مجلة الأزهر

٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٨٣

المجلد الرابع والستون ـ القسم الأول

السنة ١٤١٢هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25907497 / 25899823
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail: info@saqifat-alsafa.org

٢٢٥
٢٢٢٢٦ع
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا العام الهجرى الجديد

نظرة أمل ودعوة عمل

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

اليوم مطلع العام الهجرى الجديد ، نأمل أن يكون موقظاً للشعور بثقل الأعباء التى تنوء بها كواهل الشعوب الإسلامية ، وحافزاً للهمم وهادياً إلى شرف الغاية .

يستقبله كل مسلم وكل مسلمة ، فتعاوده ذكرى هجرة رسول الله محمد ﷺ ـ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فى سبيل الدين ، تلك الهجرة التى استمدت روحها وخطها من وحى الله ، ونسجها من خلق رسول الله ، واستقرت أحداثها ومقاصدها فى قلوب ومسامع الأجيال مثلاً مضروبا لقواد الإنسانية عامة وقادة المسلمين خاصة ، يستلهمون منها الصبر على المكاره ، والاستمساك فى مزالق الفتن ، والاستبسال فى مواطن المحن والاستشهاد فى سبيل المبدأ الحق والاعتقاد الصادق .

لقد بلغ الرسول ﷺ رسالة ربه ، حين أمره فى قوله سبحانه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ « الشعراء » ٢١٤ .

ثم جهر بدعوته ، وصدع بالحق الذى جاء به حين نزل عليه قول ربه فى القرآن : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ « الحجر » ٩٤ .

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

السنة الرابعة والستون
الجزء الأول
المحرم ١٤١٢هـ
يوليو ١٩٩١م

ولقد تألبت ضده حماقات الشرك والعصبية،وعداوات الحسد والمنافسة،وحرمان الفقراء،فما وهن عزمه ، وما استكانت عزيمته ، حين أبت قفار مكة أن ينبت بها هذا الدين ، هذا الغرس الإلهى ، وبعد صبر ومصابرة ومثابرة ، وإعداد واستعداد ، وتكوين للعصبة أولى القوة بالإسلام وبالإيمان وبصدق العزم على بيعهم أنفسهم وأموالهم لله نصرة لدينه ، هاجر الرسول ﷺ تحرسه وتحميه عين الله ورعايته .

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ « التوبة » ٤٠ . قالها الرسول لصاحبه فى الغار إخبارا بوعد الله وحفظه .

وهنالك فى دار الهجرة ـ بالصدق وبالإيمان وبالصبر ، وبالرجولة وثباتها وإقدامها أثمر غرس الدعوة الإسلامية،وانتشر نور الله وصارت القلة المؤمنة من المهاجرين والأنصار ملة ، وصارت القرى الثلاث التى شرفت بِخُطَا رسول الله ﷺ ـ (مكة ـ الطائف ـ المدينة المنورة) بمثابة قارات ثلاث ، فقد امتد الإسلام ـ فى مدة وجيزة ـ إلى آسيا وافريقية وأوروبا) .

هذا هو العام الهجرى الجديد يهل ، فهل راجعنا السجل ، سجل الألْفِ ومابعدها من أعوام الهجرة منذ كانت ، لنقرأ ماخطه التاريخ من أمجاد أمة ..

إن فعلنا عثرنا على مجد العرب والمصريين بل والمسلمين أجمعين،وسمعنا صوت الأجداد يهيب بنا أن نستلهم الدين ، ونستحث القادة ، ونجمع الشمل ـ بدلاً من مجرد قرع الطبول بالويل والثبور ، وقتل الزمن فى تأييد رأى وتفنيد رأى ، أو فى زفاف البُشرى،لو فعلنا لخجلنا من هذا الموقف السلبى ضد الأحداث ، وفقط:نصور الخطط بالكلام ، ونطلب النصر فى الأحلام .

انطوت صفحة عام هجرى ، ولم تُسَجِّل فى أوطان المسلمين ـ لا سيما العرب ـ غيرَ الأسى والألم فهذه الأهواء المتصارعة ، والأقلام المتنازعة المتدافعة ، فى غير قضية ، وإنما فى أطماع متعارضة وفردية طاغية ، وأَثَرَةٍ تسف وخصومة تكيد ولا تكف ، وشعوب تكابد داء الغرور فى زعمائها ، وتكاد تستجير بعدوها من أوليائها ، ننظر هذه الشعوب ، فنرى فى يدها العتاد ، وفى طبعها الاستعداد ، ومع هذا فما تزال وضيعة الشأن فى الحياة لا يثقل بها الميزان؛لأنها تفرقت سدى ، واستثمر عدوها هذا التمزق فأشعل الفتيل ناراً ، وما أن تطفأ حتى تندلع هنا وهناك .

هذه فلسطين البائسة ، من دماء أبنائها كان المداد ، ومن نشيج بكائها كان هذا الْكَلِمْ ، بيعت فى سوق السياسة منذ وقعت فريسة ، تزايد فى هذا السوق أهلها العرب بالحق ، وقالوا : إن الحق رأى واجتهاد ، وبالقانون ، وماكان القانون إلا ورقاً ومداداً من صنع الإنسان الذى تتغلب عليه الأهواء والمطامع دون التزام بحقوق الإنسان التى جاءت بها شريعة الإسلام .

ثم هؤلاء يهود العالم كله بقيادة الصهيونية يدخلون هذا السوق:الذهب . وما أدراك ماالذهب ؟ به يكون الباطل حقاً ، وينزوى الحق حتى يجد من ينتصر له ، وإلى أن يفيق الأنصار ، يظل العرب فى فلسطين مقضياً عليهم بالفشل والتشريد ، حتى تهودت القدس أوكادت ، فقد وقعت أسيرة منذ أكثر من اربعين عاماً ، يدافع أهلها بأجسادهم عن الأقصى وسائر مقدسات المسلمين والنصارى فى هذه البقاع التى كرمها الله ، فقد جردوا من كل سلاح إلا الإيمان بالله ، وبأن النصر مع الصبر،وبأن مع العسر يسرا ، ذلك أنهم استمعوا إلى قول الله سبحانه فى القرآن حثا على حماية المساجد ودور العبادة فى سورة الحج : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ « الحج » ٣٩ ، ٤٠ .

استمعوا إلى هذا فأيقنوا انهم مكلفون بالدفاع عن مساجدهم ولو تكلفوا ذات نفوسهم وأولادهم ،

فأقاموا أجسادهم دون جدران المسجد الأقصى يتلقون بدلاً منها الطعنات والطلقات ومعاول الهدم وحفر الأنفاق ، وإخوانهم فى الأوطان الأخرى من حولهم ينظرون إليهم نظر العُوَّاد إلى المريض ، يؤنسونه بالبكاء، والبكاء لا يدفع الموت. ويسعفونه بالدعاء ، والدعاء ـ وحده ـ لا يرفع الواقع الذى يكابده .

لو انتفعنا بذكريات الهجرة واستفدنا من دروسها لما بددنا الجهود فى التجارب، وافسدنا أمورنا بالتردد ، ذلك أن لنا تاريخا إنسانيا حافلاً، فيه لكل عظيمة موقف ، ولكل ملمة تجربة، وان لنا دستوراً كاملاً فيه لكل قضية دليل ومخرج ، فإذا التمسنا دليلنا من وحى الله، واقتبسنا استدلالنا من روح السلف الصالح، واستقمنا كما استقام سلفنا على الطريقة التى سنها وانتهجها الرسول ﷺ ـ لاتجهنا جميعاً إلى الغاية وانتهينا عندها إلى القوة والوحدة .

إن من سمة الإسلام انه دين يقوم على التوحيد . وعموم الرسالة للناس أجمعين ، قال الله لنبيه ﷺ ـ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيرًا ﴾ « سبأ » ٢٨ . وقال : ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ « الاعراف » ١٥٨ .

فجاءت أحكام هذه الرسالة هادية للأبيض والأسود والأحمر ، تقرر المساواة بين البشر ، والإخاء بين المؤمنين ، والعدل بين الناس أجمعين، وجاءت عباداتها نقية خالصة لله رب العالمين .

وكانت الهجرة إيذانا بمجتمع مسلم ، ينتظم جميع الأجناس والأقوام بألوانهم ولغاتهم ، ويحتوى خصائص البشر وكفاياتها ، وينسق بين جماعاتها ويخلصها للإسلام ، ويعقد الإخاء بينها على اختلاف الوانها والسنتها، ويربط بينها بروابط الحب ، ومشاعر الرحم والقرابة ، ووحدة الغاية ، وسمو الأهداف ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ « الحجرات » ١٠ .

فظهرت بالهجرة أمة إسلامية نبيلة السمات ، تنتصر للحق ابتغاء وجه الله ، فكانت حضارتها ظاهرة ، سامقة بين حضارات التاريخ ..

وتفرد مجتمع الهجرة فى الحياة العملية بمنهج رفيع ، يعلى خصائص الإنسان العليا ، وينميها ، ويتسامى بها ، ويبث مشاعر الإخاء بين المسلمين ويؤكد روابط الحب والالفة بينهم : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَافِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ « الانفال » ٦٣ .

بهذه السمات والمشاعر كان مجتمع الهجرة مجتمع الرضوان : ﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمْ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . . « المجادلة » ٢٢ .

لقد بارك الله هذا المجتمع وصلى عليه فقال : ﴿ هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ « الأحزاب » ٤٣ .

فكان المجتمع الذى طهره الله واتم عليه نعمته ، وخاطبه بقوله : ﴿ مَايُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ « المائدة » ٦ . ويقول : ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ « المائدة » ٣ .

وجماع ذلك أن الهجرة انبتت خير المجتمعات ، فقد قال الله فى ذلك : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ « آل عمران » ١١٠ .

فهو المجتمع الذى استمسك بالمثل والمبادىء التى جاء بها الوحى، واعتصم بأحكام الإسلام وتحلى بأخلاق القرآن ، ورعى أواصر الإخاء والوحدة بين المؤمنين التى أمر الله برعايتها .

فكانت هجرة إلى النصر ، وإلى السمو الإنسانى ، وإلى الحضارة .. ولن يصلح حاضر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها : اعتصام بالدين وعمل جاد للمعاش والحياة ، ورعاية لما أمر الله به ووثقه من أواصر الوحدة والإخاء بين المسلمين .

وما أحوج المسلمين اليوم وقد أظلتهم هذه الذكرى أن يهاجروا إلى الله بالعمل ، فيهجروا مانهى الله عنه من الخلاف والفرقة ، والشقاق والنفاق ، وسوء الأخلاق ، والتهجم على الإسلام والتخلى عن آدابه ، وأن يعودوا إلى دعائم الإيمان من التراحم ، والتواصل والإخاء الوثيق ، والتعاون على البر والتقوى ..

هذا من عهد الإيمان : ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ «الفتح» ١٠ .

إن الإسلام يفرض على المسلمين جميعاً حكاما ومحكومين أن يتناصحوا ، وأن يرتفعوا فوق الشقاق والخلافات ، وأن يعفوا ويصفحوا عما كان ، أملاً فيما يكون من وحدة الصف ، وجمع الكلمة دفاعاً عن الأمة التى استهان بها غيرها ، وتخطفها الناس من حولها ..

إن المتغيرات التى حدثت فى العالم المعاصر تنبىء عن أحداث جسام تقتضى الحذر واليقظة والإعداد والاستعداد ، واستشعار الأخطار المحدقة ببلاد العرب قاطبة وبالمسلمين عامة ، فقد سقطت الأقنعة وانخذلت الصداقة،واختفى الصدق،وانكشف المستور الذى يراد بهذه الأمة ، فهذا التكتل والتجمع البشرى الصهيونى فى القدس الشريف وماحولها يتنادون من كل مكان اغتصابا لما بقى من أرض .

وهذه « أفغانستان » لايزال النزال بين حق المجاهدين وباطل الآخرين محتدماً،وقد تعالت عليه أصوات الحادثات والنوازل التى أطبقت على أمة المسلمين .

فى العام الهجرى الذى انصرم من عمر هذه الحياة ، وقلت الإمدادات أو توقفت ، وهذه الانفجارات التى تحدث على أرض المسلمين حتى صار بأس المسلمين بينهم شديداً،وأصبحت قلوبهم شتى ، وكلما تقاربت القلوب أوقد الأعداء نيران الخلافات،وأشعلوا الحروب بين الشعوب الإسلامية وحكامها ، وانساق هؤلاء وأولئك حتى صاروا وقودا للحرب وإمّعات للفتن ، وكل يدعى أنه يعمل للإسلام وبالإسلام وما هم فى هذا وذاك من هدى الإسلام فى شىء .

ألَا فليكف أولئك المتنازعون فى « الجزائر » وغيرها من بلاد الإسلام عما وقعوا فيه ، وليذكروا قول الرسول ﷺ ـ صاحب الهجرة : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» رواه الشيخان

احذروا أيها المسلمون مايراد بأمتكم وشعوبكم من فرقة وإفساد،واعلموا أن ما حدث ويحدث على أرضكم كان وسيظل امتهانا لأمة عريقة الحضارة قدمت للإنسانية أسمى الأخلاق وأرقى العادات والأعراف ، وَعَلَّمت الجاهل ، وهدت الضال ..

وشتان بين الهجرة الخيرة المثمرة الهادية التى تمر بنا ذكراها فنأخذ منها الهدى والرشاد ، وبين هجرة آثمة معتدية ومهجرين مُستأجَرين للعدوان على أهل الديار وأصحابها،جاءوا مفسدين مخربين للعامر يهلكون الحرث والنسل ، ولا مناص من أن تتجسد الأمة الإسلامية كافة جسداً واحداً كما وصفها رسول الله ﷺ ـ صاحب هذه الذكرى فى الحديث الذى رواه مسلم عن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ ـ قال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ..

وإن من أخطر ما في عصرنا هذه المشابهة والمشاكلة التى يقلد فيها أهل الإسلام غيرهم ، فإنها وإن كانت ظاهرية لكنها تجر إلى مشابهة ومشاكلة فى أمور أخرى ، تصرف عن حقائق الإسلام إلى أباطيل خصومه ، وتستتبع تآلفا وتنسيقاً بل واندماجا فى الفعال والخصال ، وفى ذلك إضعاف لشخصية المسلم ، بل إزهاق لميزاته ومميزاته .

فمن الهجرة المطلوبة فى عصرنا وبحكم الإسلام أن نهجر تقاليد غيرنا،وأن نتحفظ فى متابعتهم حذراً من الوقوع فيما يخالف أحكام الإسلام .

وأخص بالذكر هؤلاء الذين فتنوا من المسلمين وافتتنوا بمحاكاة الأمم غير المسلمة فى عاداتهم وأزيائهم وسلوكهم ، حتى فيما ينافى المروءة والغيرة يحسبونه هينا ، وهو عند الله عظيم ، وباب خطر داهم ، ليس فى أمر الإسلام:عقيدته وشريعته فحسب ، بل وفى أمر هذه الحياة ؛ إذ أن هذه المتابعة ـ دون حذر وتَروّ ـ طريق انحلال الأمم وفنائها،وتسلط غيرها عليها بعد ذوبان مقوماتها .

فى ذكرى الهجرة النبوية يلزمنا هجرة السوء وتركه أيا كان نوعه أو وصفه ونسقه ، وأن نهاجر إلى الله بعبادته كما فرض وأمر ، وبإحسان معاملة الخلق ، كما أرشدنا رسول الله ﷺ فى الكثير من أقواله ، بل وفى سلوكه ومودته ، ومحبته للناس وإيثاره إياهم بكل خير ، والوقوف معهم فى كل محنة،والنزوع بهم إلى كل سلوك حميد أو محمود .

اهجروا الخيانة ما ظهر منها وما بطن فى الأقوال والأفعال ، واصدقوا مع الله ومع رسوله تنعموا فى دنياكم ويوم لقائكم ربكم ، وليصدق القول العمل ، ولنكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ونبتعد عن المراء والجدل لتتوثق صلاتنا ، وتزداد مودتنا ، وتعود أمتنا إلى متانة بنيانها وحسن أخلاقها وصدق تعاونها . وليدرس أهل الإسلام سيرة الهجرة ومسيرها درس استنباط ، ليأخذوا منها الهدى والحل لأزماتهم المتلاحقة التى حاقت بالمسلمين فأوهنت البنيان وزلزلت الأقدام ، وتقلصت الأواصر التى كانت للأمة رباطاً .

لقد أَسَّسَت الهجرة مجتمعَ المدينة ، تقوده عقيدته وأخلاقه ، مجتمعاً تطهر من نزوات الطيش والبطش والاستغلال واستقرت فيه الفضائل ، حتى أُشرِبت بها عقول المسلمين وقلوبهم ، فكانوا هداة صالحين قادة ، بهم تم البناء وفيهم كمل الدين ، وأصبحت بهم المدينة قاعدة لأمة فاضلة لم تلبث أن عبرت هدايتها إلى الآفاق فى كل اتجاه .

إن على المسلمين أن يتذكروا ماضيهم ليصلحوا به حاضرهم،ويُؤَمِّنُوا طريق مستقبلهم ، ملتزمين بأوامر الله فى القرآن وبسنة رسول الله : إنهم إن فعلوا ذلك ارتفعوا فوق الأحداث ، وهانت تحت أقدامهم الخطوب ، وانجابت عنهم الكروب ، واجتمع شملهم وتوحدت كلمتهم .

باسم الأزهر الشريف أدعو علماء المسلمين فى كل أقطار الأرض أن ينصحوا الأمة ، وأن يفصحوا عن كلمة الله التى حَمَّلهم إياها حتى لا تكون فتنة بين المسلمين،وأن يكونوا جميعاً على قلب رجل واحد .

أسأل الله أن يجعل هلال شهر المحرم بشيرا لأمة الإسلام بالانتصار ليحل عليها السلام والوئام .

إن ربى لسميع الدعاء وإنه لغفور رحيم .

وتهنئة خالصة بهذا العام المبارك إلى ملوك المسلمين ورؤسائهم وأمرائهم وسائر مجتمعاتهم فى أقطار الأرض : ﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ . .

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

هجرات غير المكيين

د. على أحمد الخطيب

ما اكثر ما تطغى ميادين الحوادث - وهى بِكْر - على الحوادث نفسها فى بقاع أُخَر بعيداً عن مهدها الأول ، وهذا ما حدث بشان إسلام من اسلم - خارج حدود مكة ، وفى اى مكان بالجزيرة العربية قبل هجرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

لقد استاثرت مكة - فِعْلاً - بجذب وعى المسلمين ، ولا تزال - إلى مواقف ساكنيها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إبان حياتَيْهِ جميعا ، قبل الرسالة ثم بعدها حتى هجرته - عليه الصلاة والسلام - فلولا مايفرضه البحث - من وجوب الفحص عن موضوع بميادين وقوعه جميعا ، لفقد تاريخ الهجرة الإسلامية عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - هجراتٍ عدة لها خطوطُها من كل انحاء الجزيرة ظاعنة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمؤمنين آزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه - صلوات الله وسلامه عليه .

ولنبتعد قليلاً - عن مكة - بؤرة الحوادث - فى هذا المقال لنرى ما أحدثته « دعوة التوحيد » خارجها ؛ وسوف نجد - باختصار شديد - أن مكة نجحت فى : « بث الدعوة » وأن المدينة نجحت فى « إرساء قواعدها » ذلك :

أ - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قام بـ « قوة دفع » شديدة ومتواصلة لدعوته عجزت أمامها قوى قريش مجتمعة أن تحول بينها وبين امتداد إذاعتها فى الناس حتى طرقت تخوم الجزيرة العربية نفسها بكل مكان، فَعلِم بالدعوة ساداتُ العرب ودهماؤهم، وآمن كثير منهم.. كثير فوق الإحصاء.. آمنوا مثلما آمن معظم بيوتات المدينة ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قائم بمكة ، يروح ويغدو بين ظهرانيها لم يأذن الله - سبحانه - له بعد بالهجرة .

وكانت وسيلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى بثه للدعوة بسيطة للغاية - بعد تجربة الطائف : فما أن يعلم-عليه الصلاة والسلام - بشريف يَقْدم مكة من أى القبائل حتى يسرع - عليه الصلاة والسلام - إليه بدعوته ... آمن أم لم يؤمن .

وإذا جاءت مواسم العمرة والحج ، وانتشرت مضارب القبائل من مكة إلى عرفة سعى بينها ودعاها ... آمنت أم لم تؤمن- كان ذلك دأبه - عليه الصلاة والسلام - من قبل الطائف - وبعده

رأى رسول الله أشراف الناس من كل فجاجها رأى العين واستمعوا له وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يبالى بأبى لهب وأبى جهل ، وهما خلفه يحضون الناس على عدم السمع له ؛ بل كان سلوك المكيين هذا مثيراً فى ذاته للبحث عن « محمد » صلى الله عليه وسلم ، والاستماع إليه .

ب ـ ولم يكن عجيبا ـ أمام هذا المنهج ـ أن تسعى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جماعات وأفراد ، ويجتمعون إليه ، ويستمعون منه ، ويسألونه أن يعرض عليهم دينه ، ثم يجيبوه إليه ، ومن بعد ينطلقون دعاة فى قومهم فيؤمن منهم من يؤمن ، ثم يلحقون برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مهاجرين من ديارهم المختلفة بالجزيرة العربية حينْ علموا بهجرته ـ عليه الصلاة والسلام .

ونلاحظ أن معظم هذه الطوائف المباركة لم تطعن فى رسول الله ، أو تخاصم ، بل سلمت وجوهها لله ، ثم لرسوله مطيعة راضية ، وكان ذلك أولى بالمكيين الذين ظلوا يلقبون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بـ « الأمين » برغم الحوادث ، وما بينهم وبينه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من اشتباك .

جـ ـ تختلف هجرة من هاجر من هؤلاء المباركين من انحائهم الشتى عن هجرة المؤمنين المَكِّيِّين ، فقد كان المكيون المؤمنون مطاردين مطلوبين ، أو مُضَيَّقاً عليهم فى خير الظروف ، ولم يكن كذلك حال أكثر المهاجرين من غير مكة ، فقد خرجوا مختارين لا يسوقهم قهر ، ولا يقودهم اضطهاد حتى قدموا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مبرورين . وينبغى أن نعقب على هذه الثلاث بملاحظة لتحديد ميدان الموضوع وزمانه ؛ فنقول : إننا نتكلم عن قوم لا شأن لهم بـ « الوفود » التى جاءت تَتْرَى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بعد غزوة ثقيف .. أى بعد العام الثامن للهجرة ؛ فنحن هنا نتحدث عن غير المكيين من أفراد أو جماعات أسلمت على يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بمكة ، فنستبين « قوة الدفع » وتلاحقها اللذين عمل بهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقومُهُ أشد ما كانوا خلافا معه وفراقا لدينه .

وهذه صورة مركزة لبيان هذا البلاغ القوى المتدفق ننقلها عن الإمام المؤرخ الثقة محمد بن عمر الواقدى ، فقد استقصى هذا الإمام خبر القبائل التى دعاها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى التوحيد ونبذ الشرك واحدة واحدة ، فذكر:بنى عامر بن صعصعة ، وغسان وبنى فزارة ، وبنى مُرَّة ، وبنى حنيفة ، وبنى سليم ، وبنى عبس ، وبنى نضر بن هوازن ، وبنى ثعلبة بن عُكابة ، وكندة ، وكلباً وبنى الحارث بن كعب ، وبنى عذرة ، وقيس بن الحطيم .. وغيرهم .

وإذا نحن طرحنا هذا القدر من الأسماء على (مُصَوَّر) مواطن القبائل بالجزيرة الذى وضعه صاحبا الوسيط ، والأستاذ الشيخ محمد مختار يونس ، وجدناه مستوعبا لأركان الجزيرة وداخلها .

وبعد : فلنقدم نماذج لبعض هؤلاء المؤمنين : جماعات وأفراداً بالقدر المناسب للمجلة .

١ ـ فنذكر : من بنى عامر بن صعصعة ثلاثة آمنوا راضين مرضيين هم :

غطيف ، وغطفان ابنا سهل ، وعروة ، أو عذرة بن عبد الله بن سلمة العامرى ـ رضى الله عنهم ... وشارك الثلاثة فى الجهاد فيما بعد وقتلوا شهداء .

وسَبَقَت إلى الإسلام من بنى عامر ضُباعةُ بنت عامر بن قُرْط العامرية قال .. فى"أسد الغابة": « أسلمت بمكة » .

ويوم عاد بقية بنى عامر الذين لم يؤمنوا إلى ديارهم وحدثوا ـ شيخا لهم أدركَتْهُ السِّنُّ بخبر رسول

هجرات غير المكيين

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وضع الرجل يده على رأسه أسفا لعدم استجابتهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال :

يابنى عامر ، هل لها من تَلَاف ؟ [أى إدراك] هل لِذُنَابَاها من مطلب،والذى نفس فلان [يعنى نفسه] بيده ماتَقَوَّلَهَا إسماعيلىٌّ قط ، وإنها لحق ، فأين رايكم كان عنكم !!!

مساكن قبيلة عامر هذه تتوسط الجزيرة إلى الغرب قليلا إلى الشمال من مكة

٢ ـ وفد نصارى نجران :

روى البيهقى ـ بسنده ـ إلى ابن إسحاق قال :

.. قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا ـ وهو بمكة ـ أو قريب من ذلك ، من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة ، فوجدوه فى المجلس ، فكلموه وسألوه ، ورجال قريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عما أرادوا ، دعاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الله ـ عز وجل ـ وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له ، وآمنوا به ، وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره .

فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش ، فقال : خَيَّبَكُمُ الله من رَكْب ، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركبا أحمق منكم ...

قالوا لهم : لا نجاهلكم ، سلام عليكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نَأْلُوَنَّ انفسَنا خيراً . ا هـ .

يُرجّح أنهم نصارى نجران : قربهم من أخبار الحبشة ، وعلمهم بالعربية دون ترجمان . والله أعلم .

٣ ـ وهؤلاء بعض أفراد سادة مقدمين :

أ ـ إياس بن معاذ الأوسى الأشهلى ، سمع من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدعوة إلى الإيمان بالله ـ وحده ـ قبل العقبة بكثير ، ولم يلبث أن توفى ، وهو أول من آمن من أهل المدينة قال محمود بن لبيد : فأخبرنى من حضره من قومه أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فكانوا لايشكون أنه مات مسلما .

ب ـ ضماد بن ثعلبة الأزدى من أزْد شَنُوءة ، قدم مكة ، وسمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له » ثلاثا .

فقال : والله ، لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ولقد بلغت قاموس البحر(١) ، فهلم يدك أبايعك على الإسلام !

---

(١) اى ابعد موضع فيه غورا .

فبايعه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : وعلى قومك ؟ فقال : وعلى قومى . وشَنُوءة مِخْلاف[٢] باليمن منه هؤلاء القوم .

عن « مسلم والبيهقى » .

جـ ـ مازن بن العضوب الخطامى الطائى ، وخطامة بطن من طيىء . ومواطن طيىء شمال الجزيرة الأعلى أقرب إلى الشرق .

وفى « أسد الغابة » مازن بن الغَضُوبة .

سكن مازن قرية « سمايا » من أرض « عُمان » وسمع بدعوة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانطلق إليه يقول : ركبت راحلتى حتى قدمت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فشرح الله صدرى للإسلام فأسلمت .

التمس مازن دعاء رسول الله فيما رأى من بلاء يأتيه،فدعا له رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فقال :

« اللهم أَبْدِلْهُ بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالإثم وبالعُهْرِ عفة ، وآته الحياء ، وهب له الولد »

قال : فَأَذهب الله عنى ما أجد !! .

وأَكْبَرَهُ قومُهُ فراسهم،وأسلموا جميعا .

د ـ الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص ذو النور الأزدى الدوسى.كان سيدا مطاعا شريفا فى دَوْس . ومنازل « دوس » إلى الغرب بين مكة والأحقاف .

قدم الطفيل مكة فحذره مشركوها من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى وضع « الكُرْسُفَ »[٣] فى أذنيه كيلا يسمعه ، ثم استاء من نفسه فقال : « وَاثُكْلَ أمى ، والله إنى لرجل لبيب شاعر ، ما يخفى على الحَسَنُ من القبيح فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؛ فإن كان حسنا قبلتُه ، وإن كان قبيحا تركته » فالتقى برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعرض عليه الإسلام وتلا عليه القرآن . قال :

فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يانبى الله ، إنى امرؤ مطاع فى قومى ، وإنى راجع إليهم ، وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليه . فدعا له .

وعاد إلى قومه بآيته تنير عصاه فأسلم أبواه وزوجُهُ ، وكثيرٌ من قومه ، ولم يزل يدعو بقيتهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهاجر إليه بمن أسلم من قومه .

وللطفيل جهاد إلى جانب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الذى هدم الوثن المسمى « ذا الكفين » ، وقتل شهيدا باليمامة ـ رضى الله عنه .

هـ ـ وإسلام النجاشى ـ رضى الله عنه ـ قِصَّتُهُ وحده معروفة ، وقد منعته إدارة الملك عن الهجرة إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومات فنعاه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأصحابه ، وصلى عليه .

---

(٢) شَنُوءة مقاطعة باليمن كالمحافظة فى تعبيرنا العصرى .

(٣) القطن .

هجـرات غيـر المكييـن

وإسلامه، وتوسعته على المهاجرين الأولين بأرضه كانا بثًا للإسلام فى هذه الديار، وتعريفا به ـ فيما بعد ـ بديار الرومانية الشرقية.

و ـ أبو ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ وكنيته أشهر من اسمه، وأصح ما قيل فيه أنه: جُندَب بن جُنادة ابن قيس بن عمرو بن مُلَيْل ـ ينتهى إلى غِفَار .. قبيلة من قبائل الشمال بين مكة والمدينة إلى الغرب .. أسلم قديما ويُعد من كبار الصحابة وفضلائهم .. قيل: أسلم بعد أربعة فكان خامساً(٤).

كان ممن يبحث عن الدين حتى هداه الله ـ سبحانه ـ إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم: ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى.

اسلم أبو ذر، وأسلم معه أخوه أُنَيْس وأمهما، قال ابن كثير: فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى لأبى ذر: « إنى قد وُجِّهت إلى أرض ذات نخل، ولا أحسبها إلا يثرب فهل أنت مُبْلِغٌ عنى قومك، لعل الله ينفعهم بك ويأْجُرُك فيهم ».

قال أبو ذر: فتحملنا حتى أتينا قومنا (غِفَار) .. فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة، وكان يَؤُمُّهُم خِفَافُ بن إيماء بن رحْضَة الغفارى، ثم أسلم بقية قومه.

ولأبى ذر ـ رضوان الله عليه ـ جهاد معروف. ومن قديم مَنْ أسلم من قومه صحابى جليل عُرِف بلقب آبى اللحم، يتصدر أسماء الصحابة لدى من كتب عنهم.

ز ـ أبو موسى الأشعرى: عبدالله بن قيس بن سُلَيم بن حضَّار، ينتهى إلى الأشعر بن أُدَد.

أسلم قديما بمكة، ثم رجع إلى بلاد قومه باليمن، فلم يزل بها داعيا يُستجاب له، يدلنا على ذلك: أنه لما سمع بهجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة قدم هو وأناس من الأشعريين مهاجرين فى بضعة وخمسين رجلا فى سفينة فألقتهم سفينتهم إلى النجاشى بأرض الحبشة فأقاموا فترة حتى قدموا ومهاجرة الحبشة ومعهم جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ جميعا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زمن خيبر.

وبعد فتلك نُبْذَةٌ من تاريخ جماعة أو أفراد أَوَوْا إلى مكة وأسلموا على يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ثم عادوا إلى قومهم دعاة مخلصين فانتفع بهم أقوامهم، قبل أن ينطلقوا جميعا مهاجرين إلى حيث هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فشاركوا فى الفتوح والدعوة كما شاركوا فى الرواية عنه ـ عليه الصلاة والسلام(*).

---

(٤) العدد فى مثل هذا يعتبر أَوَّلُهُ أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فهو أول من أسلم من الرجال.

* راجع فيمن أسلم من هؤلاء وأمثالهم من غير المكيين:

(أ) أسد الغابة ١/٤٥ و١٨٦ ـ ٢/٢١٣ ـ ٣/٥٦ و٧٨ ـ ٤/١٨٤ ـ ٥/٦ و٢٨٥ ـ ٦/٩٩ و٣٠٦ و٧/١٧٨ ط الشعب.

(ب) سيرة ابن كثير: ١/١٦٧ و٣٤٩ و٤٤٧ و٤٥٢ ـ ٢/٣ إلى ٣١ و٤٠ و٧٢ و١٥٠ إلى ١٥٢ و١٥٦ ط عيسى الحلبى.

(حـ) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٣٢ و٧٧ و٧٨ و٨٥ مكتبة المتنبى.

المفهوم الحيوى للهجرة

للأستاذ/
عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

يمر حدث الهجرة النبوية المباركة على المسلمين كل عام ، فيتذكرون خطوات النبى - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى المدينة ، وقد سبقه كثير من أصحابه الذين أسلموا مبكرين إلى هذا الوطن الجديد ، وقد أصبح بالنسبة لهم وطنا ثانياً أحبوه كحبهم لوطنهم الأول أو أشد ؛ بل لقد أصبحت المدينة فعلا هى الوطن الأم بالنسبة لهم ، فإذا ما ذهبوا إلى مكة أسرعوا عائدين منها إلى المدينة بعد انتهاء عمرتهم أو حجهم أو زيارتهم ، واعتبروا أنفسهم فى حالة سفر - لا إقامة - فى أثناء وجودهم بمكة[1] .

ولقد كانت الهجرة شرطا من شرائط الإيمان ، ودليل ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ النساء ٨٩ .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا . . ﴾ - الأنفال ٧٢ -

المفهوم اللغوى للهجرة :

ومفهوم الهجرة اللغوى يوحى بترك الوطن ، وعلماء اللغة يقولون : هجر الشىء : تركه إلى غير رجعة ، والهجرة ضد الوصل ، قال ابن منظور فى لسان العرب : الهِجرة - بكسر الهاء - والهُجرة - بضمها - : الخروج من أرض إلى أرض .

وقد لا يتلفت الهاجر إلى المكان الذى يهجره ولا يتذكره ، وربما لا يطرأ له على بال ، بعكس المهاجر - من هاجر - الذى لا ينسى وطنه ، ولذلك يقال : هاجر النبى - صلى الله عليه وسلم - ولا يقال : هجر ، ويقال : المدينة مُهَاجَر المسلمين ولا يقال : مهجرهم .

وقال الأزهرى - فيما يحكيه صاحب لسان العرب أيضاً - : وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوى من باديته إلى المدن ، يقال : هاجر

(١) ذلك أنهم ما كانوا يقيمون بمكة إلا فترة قضاء النسك ؛ لأنهم إنما هجروا مكة فى سبيل الله ، فما كان لهم أن يقيموا فيها مرة أخرى .

المفهوم الحيوى للهجـرة

الرجل إذا فعل ذلك ، وكذلك كل تارك مسكنه ، منتقل إلى قوم آخرين بسكناه فقد هاجر قومه .

قال : وسمى المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التى نشأوا فيها لله ، ولحقوا بدار ليس لهم فيها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة . فكل من فارق بلده من بدوى أو حضرى أو سكن بلداً آخر فهو (مهاجر) والاسم منه (هجرة) ، قال الله - عز وجل - : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِى الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ - النساء ١٠٠ -

وكل من أقام من البوادى بمباديهم ومحاضرهم فى القيظ ، ولم يلحقوا بالنبى - صلى الله عليه وسلم - ولم يتحولوا إلى أمصار المسلمين التى أحدثت فى الإسلام ، وإن كانوا مسلمين فهم غير مهاجرين ، وليس لهم فى الفىء نصيب ، ويسمون الأعراب ..

وهناك فرق بين (هاجر) و (تَهجَّر) ، يوضحه حديث عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حيث يقول : (هاجِروا ولا تَهَجَّروا » .

ومعناه كما شرحه أبو عبيد : « أخلصوا الهجرة لله ، ولا تشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم ، فهذا هو التهجُّر ، وهو كقولك : فلان يتحلَّم وليس بحليم ويتشجَّع وليس بشجاع - لسان العرب مادة هجر -

وجوب الهجرة فى الإسلام :

والهجرة بمعنى ترك الوطن كانت واجبة فى أول الإسلام ، وكانت دليلا على صدق المسلم - كما ذكرنا ، فلما فتحت مكة وتوطد أمر الدين ، نادى النبى - صلى الله عليه وسلم - بـ : « الأ هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » وبقى معنى الهجرة الروحى ، وهو أن يهجر الإنسان المعاصى ويترك النواهى ، وينأى بجانبه عن كل ما يغضب الله وهذا يفهم من « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

وهذا المعنى قد استنبطه الذوق الإسلامى الرفيع الذى أضفى على الكلمات معانى جديدة ، وألبسها أثواباً روحية تفيض نوراً وجلالا ، فالمسلم هو الذى يسلم الإنسان من لسانه ويده ، والمؤمن هو الذى يؤمنه الناس على أموالهم وأعراضهم ، وكذلك المهاجر هو الذى يهجر المعاصى والآثام ويـألف الطاعـات وأحكام الإسلام .

وقد جاء فى ذلك حديث شريف رواه أنس - رضى الله عنه - قال : قال النبى - صلى الله عليه وسلم - : « المؤمن من أمِنه الناس ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر السوء ، والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه » .

الحديث فى مجمع الزوائد جـ ١ ص ٥٤٠ (باب الإسلام والإيمان) وأخرجه أحمد فى مسنده ، وأبو يعلى ، والبزار - وهو فى جمع الجوامع برقم ٢١/١١٥٨١ جـ ٢ ص ٥٩٣ .

الهجرة فى حياة الأنبياء :

والهجرة بمعنى مفارقة الأوطان كانت ديدن الأنبياء عليهم السلام ، فما من نبى إلا كانت له هجرة ، وفى الأمثال : لا كرامة لنبى فى وطنه ، وطالما سمع الناس أن « زامرة الحى لا تطرب » فكان على الأنبياء أن يتركوا القوم الذين أصموا آذانهم وأغلقوا عقولهم عن دعوتهم ، وانطلقوا فى الآفاق يبشرون بدين الله ويدعون إلى الله .

وقد هاجر نوح - عليه السلام - هجرته الكبرى مع الطوفان ، وترك واديه الذى كان يقيم

فيه إلى حيث مقره الجديد الذى استوت فيه سفينته على الجودى .

وهاجر إبراهيم « أبو الأنبياء » من أرض العراق إلى أرض الشام ، وكانت حياته سلسلة من السياحات حيث رحل من الشام إلى مصر ثم عاد إلى فلسطين ، ثم رحل إلى مكة مصطحبا معه وليده اسماعيل وأمه هاجر فى واد غير ذى زرع ، وكان ذلك بأمر من ربه لحكمة ظهرت فيما بعد ، حيث أمره الله برفع القواعد من البيت ، وأمره أن يؤذن فى الناس بالحج إليه ..

وفى هجرة إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ـ العنكبوت ٢٦ ـ

وهجرة موسى ـ نبيا رسولا ـ بقومه ، معروفة ، وكانت فى القرن الخامس عشر من قبل الميلاد ، وقد صحبتها معجزات باهرات آخرها فلق البحر ومروره بقومه على أرض يبست بقدرة الله ـ على الرغم من مرور ملايين السنين لم ينقطع عنها الماء .

وهاجر عيسى مع أمه حين توجست الخوف من بنى إسرائيل على وحيدها ، ففرت به إلى مصر حيث يقول بعض المفسرين ذلك عند قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ ـ المؤمنون ٥٠ ـ

وبعضهم يذكر أماكن غير مصر ، ـ القرطبى حـ١٢ ص ١٢٦ ـ

إلا أنهم جميعا متفقون على رحيل مريم بوليدها من المكان الذى ولدت فيه إلى مكان آخر خوفاً عليه .

الهجرة شهادة صدق :

إن الهجرة شهادة صدق لصاحبها بأنه لا يؤثر هوى نفسه على ما يريده الله ، وهى تضحية بأعظم ما يتمسك به الإنسان وهو الوطن فى سبيل العقيدة الصحيحة التى آمن بها ، والتى يضحى من أجلها بكل عزيز وغال .

والهجرة بمعناها الأعم ضرب من الجهاد ، بل هى قمة الجهاد ، وهى باقية غير منقطعة مادام هناك استضعاف وحيلولة بين المرء وقدرته على الجهر بالحق ، قال الله ـ تعالى ـ فى شأن هؤلاء الذين يؤثرون البقاء فى ظل الذل والاستكانة والخوف : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا : إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ ـ النساء ٩٧ ، ٩٨ ـ

ولقد فهم قوم على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الهجرة انقطعت بالفتح كما يفهم من ظاهر اللفظ فأرشدهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أن الهجرة ماضية إلى يوم القيامة . أورد ابن عبدالبر فى كتابه « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » فى ترجمة جنادة بن أمية الأزدى الخبر الآتى :

قال جنادة : إن رجالا من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اختلفوا فقال بعضهم : إن الهجرة قد انقطعت ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تنقطع الهجرة ما كان الجهاد » ـ الاستيعاب ١/٢٤٩ ـ

اعتداد المسلمين بالهجرة :

وقد استجاب المسلمون لأمر الله إياهم بالهجرة ، فقد كان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما ، وكان الدين فى نفوسهم أحب إليهم من الأهل والمال والوطن ، بل أعظم من الدنيا بأسرها ، حتى أقبلوا على الشهادة يطلبونها

المفهوم الحيـوى للهجـرة

راغبين راضين ، مصدقين الله تعالى فى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ .. ﴾ التوبة ١١١ .

وأخذوا يهاجرون جماعات وجماعات لا يحبس الرجل منهم عن الهجرة إلا عائق فوق إرادته ، وإنه ليأسى لذلك ..

كان نعيم بن عبدالله النحام من بنى عدى بن كعب من المسلمين الأوائل ، أسلم بعد عشرة أنفس ، وكان يكتم إسلامه .

فلما هاجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أراد أن يلحق به ، فمنعه قومه لشرفه فيهم ، وقد كان ينفق على أرامل بنى عدى وأيتامهم ويمونهم ، وقال له قومه : أقم عندنا على أى دين شئت ، فوالله لا يتعرض إليك أحد إلا ذهبت أنفسنا جميعا دونك .

ولكنه لحق بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ست سنين ، هاجر عام الحديبية ، وشهد ما بعدها من المشاهد .

وحين قدم المدينة مهاجرا قدم معه أربعون من أهل بيته ، فاعتنقه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقبَّله ، وقال له : « قومك خير لك من قومى » .

فقال نعيم : لا ، بل قومك خير يارسول الله .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « قومى أخرجونى ، وقومك أقروك » .

فقال نعيم : يارسول الله ، قومك أخرجوك إلى الهجرة ، وقومى حبسونى عنها .

ـ أسد الغابة ٣٤٦/٥ ـ

فانظر إلى نعيم وقد زكاه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه التزكية واستقبله هذا الاستقبال ـ يعتبر أنه حُرِم شرفا ناله غيره من المسلمين ، وهو شرف المبادرة بالهجرة . إنه يعد الهجرة منزلة عليا تأخر عنها ، على الرغم من أن بقاءه فى مكة كان فى سبيل عمل صالح يقوم به ، لا يغنى عنه غيره فيه ، ومن أجل هذا زكاه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ولقب نعيم بالنحام لقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « دخلت الجنة فسمعت نحمة (سعلة) نعيم فيها » .

ـ أسد الغابة ٣٤٦/٥ ـ

الهجرة وغفران الذنوب :

لقد كانت الهجرة سببا من أسباب غفران الذنوب ، وإذا كانت بدر غفرت لأصحابها ؛ فإن الهجرة كذلك . ذكر ابن الأثير فى ترجمة « الدوسى » قال : عن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسى هاجر إلى المدينة ، وهاجر معه رجل من قومه ، فمرض ذلك الرجل ، فجزع ، فأخذ مشاقص ـ نصال السهم ـ فقطع بها براجمه (البراجم : العقد فى ظهور الأصابع) فنزفت يداه حتى مات .

فرآه الطفيل فى منامه فى هيئة حسنة ، ورآه مغطيا يديه .

فقال : ما صنع بك ربك ؟

قال : قيل لى : لن نصلح منك ما أفسدت .

فقص الطفيل رؤياه على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اللهم وليدَيْه فاغفر » .

ـ أسد الغابة ٣٤٩/٦ ـ

الحرص على ان تكون المدينة هى المثوى الأخير :

لقد انقطع المهاجرون إلى مهاجرهم الجديد

البقية ص ٤٨

نسوة فى طريق الهجرة

الطريق والطليعة

للأستاذ / حلمى الخولى

الإسلام نجوما باهرات لم يكن مثلهن فى التاريخ .. فلنَنْزِل بالطرف إلى وضعهن لنرى :

(١) آمنة بنت وهب : (التدريب على الهجرة)

هجرة المرسلين ليست كهجرة البشر ؛ ذلك أنها هجرة هدفها التمكين لدين الله - تعالى - بإرساء قواعده فى الأرض لإعلاء شعائره إلى السماء ، وهى هجرة لا يقدم عليها النبى الرسول إلا بإذن ربه .. وكم فات هذا المعنى كثيرا من الباحثين فخلطوا حتى آذوا النبى - ﷺ - بقولهم : هاجر خوفا أو فرارا من الأعداء ، يقولون هذا وموسوعات السيرة النبوية بين أيديهم تقص عليهم حث الصديق - رضى الله عنه - رسول الله - ﷺ - أن يهاجر فيبين له الرسول - ﷺ - أنه فى انتظار أمر ربه .. حتى أذن سبحانه .. فكانت الهجرة من أجل الله ودين الله ؛ فلم تكن لدنيا .. أو مال ..

واستوى - لهذا الأمر - رجال ونساء ، وما أكثر ما كان من حديث للرجال فى الهجرة - ربما كان سببا فى خفاء أمر نسوة - كن على طريق الهجرة - من قبل الهجرة ومن بعدها ، أدَّين أدواراً غاية فى الروعة والفداء والإيمان ، نسوة : صَدَقْن أيضا ما عاهدن الله عليه ، فلَمَعْن فى سماء

■ أول النساء اللاتى شاركن فى هذا الحدث الكبير ، السيدة آمنة بنت « وهب » أم النبي - ﷺ - فقد صحبته وهو فى سن السادسة من عمره إلى - يثرب - فى رحلة ذهاب وعودة ، وكان الهدف من الزيارة هو التعرف على أخوال جده من بنى النجار ، وزيارة قبر أبيه فى - يثرب - وكل شىء كان يمر بالنبى - ﷺ - ويحدث له ، إنما كان إعدادا من الله له ليتحمل فيما بعد مهام أسمى رسالة إلى البشر . وبهذه الرحلة التى اصطحبته فيها أمه ، يكون النبى - ﷺ - قد

نسوة فى طريق الهجرة

عرف طريق يثرب وهو فى سن مبكرة ، وكأن الله كان يعده إعدادا عمليا ، وتمهيدا لرحلة أخرى سوف تأتى بعد هذه الرحلة التدريبية التمهيدية لسنوات .

■ وبعدما أمضى النبى ـ ﷺ ـ مع أمه ـ شهرا فى يثرب ـ بدأت رحلة العودة مرة أخرى إلى مكة ، فرحل مع أمه وحاضنته ـ أم أيمن ـ فى رحلة العودة ، وعلى الطريق بين مكة ويثرب مرضت الأم ، وتوفيت ، ودفنت فى « الأبواء » ـ مكان يبعد عن المدينة نحو أربعين كيلومترا وهكذا ودع المصطفى ـ ﷺ ـ أعز إنسانة لديه بين ربوع تلك الأرض القريبة من يثرب حيث أودع أبوه من قبل فى المدينة .

■ وكان المصطفى ـ ﷺ ـ يقص على صحابته الكرام حديث هذه الرحلة الأولى إلى المدينة مع أمه حديث محب للمدينة ، وحديث محزون لما تحوى القبور من أهل أعزاء لديه ، وظل لهذه الرحلة أثر كامن فى نفسه ـ ﷺ ـ حتى بعد هجرته ، فعندما وصل هو وصحبه إلى يثرب بدأ الأنصار يناقشون أين ينزل المصطفى ـ ﷺ ـ ، فحسم الأمر بنزوله على أخواله من بنى النجار

كأثر باق لتلك الرحلة البعيدة ، التى كان شرف التدريب العملى عليها للسيدة العظيمة « آمنة بنت وهب » وتكون من النساء اللاتى شاركن فى الهجرة بطريقة غير مباشرة وذلك بالتدريب عليها وإن كان قبلها بسنوات ، وأثر تلك الرحلة عاطفيا ونفسيا على النبى ـ ﷺ ـ ليظل ذلك الأثر ممتدا حتى يأذن الله بما مهد له .

(٢) نسيبة بنت كعب المازنية ، وأم منيع أسماء بنت عمرو السلمية : (التمهيد للهجرة) .

■ بُعث النبى ـ ﷺ ـ فى مكة . وأخذ يدعو قومه ، فأسلم منهم قليل ، وبسطت قريش أيديها وألسنتها بالسوء ، فأخذ النبى ـ ﷺ ـ يعرض نفسه على القبائل عله يجد من بينها ناصرا ، فلم يجد منها جميعا أذنا صاغية ولا قلبا واعيا حتى لقى فى موسم الحج نفرا من الخزرج فعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فصدقوه وآمنوا به ، وقالوا : إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله إليه ، فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا عن رسول الله ـ ﷺ ـ وقد بايعوه .

■ فلما عادوا إلى المدينة أذاعوا بها الإسلام فأجاب داعيتهم خلق كثير ، حتى إذا كان موسم الحج من قابل ذلك العام ، خرج من المدينة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ليبايعوه ويُؤْتُوه عهدهم وذمامهم أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم ، فتوافدوا جميعا إلى العقبة إخفاء لأمرهم ، وبايعوا النبى ـ ﷺ ـ بيعة العقبة الثانية التى كانت النواة الأولى فى لبنة الدولة الإسلامية .. وما يهمنا من أمر هذه البيعة هو ما كان من أمر المرأتين وهما :

■ (أ) ـ نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو من بنى النجار ، وتكنى « أم عمارة الأنصارية » ، وهى زوج زيد بن عاصم الصحابى الجليل ، وكانت بطلة مجاهدة من أبطال الإسلام ، ويحفظ لها التاريخ وقفتها يوم أحد ، وهى تقاتل دون النبى ـ ﷺ ـ حتى قال : « ما التفت يمينا وشمالا إلا وأنا أراها تقاتل

دونى » ، وقد جرحت ثلاثة عشر جرحا ، والدم ينزف منها ، فنادى المصطفى ـ ﷺ ـ ابنها عمارة قائلا : أمك أمك . اعصب جرحها . بارك الله عليكم من أهل بيت . مقام أمك خير من مقام فلان وفلان . فلما سمعت أمه قالت : ادع الله أن نرافقك فى الجنة فقال : اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة . فقالت : ما أبالى ما أصابنى من الدنيا .

■ ويحدث التاريخ عن موقفها فى حروب الردة ومقاتلة مسيلمة الكذاب الذى قتل ابنها « حبيب » وقطعه قطعا ، وشاركت فى الحرب كأحد الأبطال الميامين حتى قطعت يدها .. فهذه المرأة وما اتصفت به من صفات تفوق الخيال كانت أولى المبايعات للنبى ـ ﷺ ـ ، وامرأة بمثل هذه القوة والشجاعة لابد أن يكون لها فى قومها رأى ومكانة . ولابد أن يكون لها تأثير على نساء قومها الذين عرفوا فيما بعد بالأنصار .

■ (ب) ـ أم منيع : أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى بن سواد بن سلمة ، وتعرف بأم منيع الأنصارية ، وهى أم معاذ بن جبل ، أحد الأئمة المعدودين من أصحاب النبى ـ ﷺ ـ ، أسلمت حين تنفس صبح الإسلام بالمدينة المنورة ، قبل بيعة العقبة الثانية ، وجاءت مع وفد البيعة وكانت من اتم القوم عقلا ، واحكمهم رأيا ، ومن المشاركات فى الجهاد فى غزوة « خيبر » .

كلتا المراتين كانت مثالا فى قومها للرأى والحكمة والعقل والشجاعة ، ولابد أن يكون لذلك تأثير على من سواهما من نساء يثرب ، فقامتا مع الرجال بتعبئة الجو العام اليثربى وتهيئته للإسلام حتى كانت الهجرة فكان المجتمع اليثربى مستعدا لتكوين وتشييد وإقامة الدولة الإسلامية التى تكونت نواتها الأولى ببيعة العقبة .

(٣) ليلى بنت أبى حثمة العدوية : (طليعة الهجرة) .

■ هى ليلى بنت أبى حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن كعب بن لؤى القرشية العدوية ، زوج عامر بن ربيعة العنبرى .

قبل مبعث النبى ـ ﷺ ـ كان زوجها مهيأ نفسيا لرؤية النبى ـ ﷺ ـ والإيمان بدينه ، وذلك لأن زيد بن عمرو بن نفيل قال لعامر زوجها : أنا انتظر نبيا من ولد إسماعيل، ثم من بنى عبد المطلب ، ولا أرانى أدركه ، وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبى؟ فإن طالت بك مدة ـ ياعامر ـ ورأيته فأقرئه منى السلام .

هكذا كانت « ليلى » مهيأة لقبول الدين الجديد ، لأن زوجها كان يردد كثيراً قول زيد بن عمرو بن نفيل .

■ فلما سرى فى مكة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو إلى الواحد الأحد اقبل عامر وليلى وأسلما ، وكانا فى طليعة المهاجرين إلى الحبشة لما اشتد أذى قريش وقال لهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم : اخرجوا إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد،وهى أرض صدق . تقول ليلى : « كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا فى إسلامنا ، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة ، جاءنى عُمر،وأنا على بعيرى نريد أن نتوجه ، فقال : اين يا أم عبد الله ؟ ـ وهى أم عبد الله بن عامر،وبه كانت تكنى ـ فقلت : آذيتمونا فى ديننا ، فنذهب فى أرض الله حيث لانؤذى فى عبادة الله ـ فقال : صحبكم الله . ثم ذهب فجاءنى زوجى عامر بن ربيعة ، فأخبرته بما رأيت من رقة عمر ، فقال : تَرْجِين أن يسلم ؟ فقلت نعم .... » وهاجرت هى

نســوة فــى طريــق الهجــرة

وزوجها إلى الحبشة ، ولما علم المهاجرون بإسلام عمر عادوا أملا فى أن يكون فيه المنعة والحماية ، فلما اشتد أذى الكفار ، هاجرت ليلى وزوجها « عامر » مرة أخرى عائدة إلى الحبشة ، وعندما أذن النبى – صلى الله عليه وسلم – للمسلمين بالهجرة إلى « يثرب » وقال : « من أراد أن يخرج فليخرج إليها » كانت « ليلى بنت أبى حثمة » هى أول امرأة هاجرت إلى المدينة ، فقد كان أول المهاجرين – أبو سلمة – ثم تبعه « عامر بن ربيعة » وزوجه « ليلى » وتعد أول ظعينة تهاجر إلى المدينة ، ويظن الكثير أن أول مهاجرة كانت أم سلمة ولكنها كانت « ليلى » – وليست أم سلمة – كما سيتضح من عرضنا لأم سلمة فيما بعد .

■ ولم تكن هجرة « ليلى بنت أبى حثمة » إلى يثرب – المدينة – مجرد انتقال من مكان إلى مكان ولكن كان لها دور إيجابى هى وباقى المهاجرات والمهاجرين فى توطيد دعائم الدين الإسلامى فى قلوب اليثربيات واليثربيين ، وليس أدل على ذلك مما رأيناه من خروج الأنصار والمهاجرين ونسائهم للقاء للنبى – ﷺ – بعد علمهم بهجرته المباركة .

(٤) رقيقة بنت صيفى : (بداية الهجرة) .

■ هى رقيقة بنت صيفى – وقيل بنت أبى صيفى – بن هاشم بن عبد مناف بن قصى . عمها عبد المطلب بن هاشم وكان أسن منه ، وتتصل « رقيقة » برسول الله – ﷺ – فى هاشم بن عبد مناف فهو جدها وجد أبيه . ولما أدركها الإسلام كانت قد تطاول عليها القدم ، وجاوزت حد الهرم . والتاريخ الإسلامى يحفظ لها وقفة مع الإسلام ، كثيرا ما يغفلها المؤرخون .. فلقد كانت ترقب ما يدور على الساحة من حولها وترى أن عدد المسلمين فى ازدياد ، وكذلك عذاب المشركين يحمى وطيسه كلما أسلم مشرك . وقد اجتمع كبار المشركين ليلا – ومعهم إبليس اللعين فى صورة شيخ نجدى – وانتهى أمرهم إلى أن يقتلوا النبى – ﷺ – فى داره ، بيد فتية من كل قبيلة فتى ليتوزع دمه – ﷺ – فى القبائل ، تلك المرأة المسنة – رقيقة – هى التى استشفت خبر قريش يوم ائتمروا بالنبى – ﷺ – ، فذهبت العجوز تجر أثقالها حتى أنهت إلى النبى – ﷺ – ، الخبر وحذرته من المبيت فى داره ، وحدثته بحديث القوم الذى لا يعلمه إلا الله ثم هى ومن تآمروا عليه . ذهبت العجوز التى أنافت على المائة ، لتنقل الخبر ولم تأمن على نقله ابنها « مخرمة بن نوفل » وهو من لحمة النبى – ﷺ – وذوى صحبته ، ذلك لأن الشك فيها وهى العجوز المسنة مستبعد ، وما أطيب امرأة ، وأجل منزلتها أن ذهبت إلى رسول الله – ﷺ – بمثل ما سبق به جبريل إليه – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

■ ولعل هناك من يقول : وأى عظمة تجدها فى امرأة سمعت خبرا فألقته كما سمعته ؟

ذلك قول من لم يستبطن الأمر ، ويتبين دخيلته ، فإن فئة قليلة العدد خطيرة الغرض ، من هامات القوم ، وأشداء فتيانهم ، بيتوا أمرهم واحتجزوا خبرهم عن بقيتهم ، والممالئين لهم ، وتعاهدوا وتعاقدوا ألا يذيعوه حتى يمضوه . فئة ذلك شأنها ، وتلك غايتها ، ليس بالهين اليسير كشف أمرها والوقوف على ذوات نفوسها ،

واستنقاذ رسول الله - ﷺ - من كيدها وشر غائلتها .

■ وتكون « رقيقة » من أول مشاركة فى أعظم حوادث الإسلام خطرا ، وأبقاها أثراً ، وأدومها على مر الدهور ذكرا ، وأقومها ببناء الإسلام ، وبنقلها خبر قريش يكون البدء الفعلى للهجرة .

(٥) اسماء بنت ابى بكر : (الفداء والبطولة) :

■ هى اسماء بنت أبى بكر الصديق بن أبى قحافة القرشية التيمية ، وامها قتيلة بنت عبد العزى بن أسد ، وهى شقيقة « عبد الرحمن بن أبى بكر » ، وأم « عبد الله ابن الزبير » ، وأخت « عائشة أم المؤمنين » لأبيها ، أسلمت بعد سبعة عشر مسلما ، واصبحت بطلة ضربت أروع الأمثلة فى البطولة والفداء .

■ تنقلت العظائم من يد طاهرة إلى يد طاهرة ، فبعد أن دعمت العجوز « رقيقة بنت صيفى » أثرها اقامت الفتاة الحَدَثة « اسماء بنت أبى بكر » أثرها أيضا ، لقد اعجل النبى - ﷺ - وصاحبه عن ابتغاء الزاد ، وشغلهما الغرض الأسمى عن الغرض الأدنى ، فسارا خفيفين إلى غار فى الذروة العليا من جبل « ثور » إخفاء لأمرهما ، وإعياء للذاهبين فى أثرهما .

■ قامت الفتاة بحمل أمانة يُشفق على الرجال من حملها ، فكانت تقطع ثلاثة أميال إلا قليلا - وهى الصبية الناشئة - فى جوف الليل ، ووحشة الطريق ، بين أسنة الصخر ، ومساحات الرمال ، تمشى متخفية حذرة مترقبة حتى تصعد إلى هامته ، ثم تنحدر فى جوفه فتوافى رسول الله - ﷺ - وصاحبه كل ليلة بالزاد والماء وبما عسى أن تكون قد سمعته ، أو رأته ، من حديث القوم وخبرهم .

■ قامت الصغيرة بدور فدائى وحملت أمانة الإمداد والتمويل للرحلة المباركة ، ونقل أخبار الكفار . ولما أراد النبى - صلى الله عليه وسلم - الرحيل من الغار متجها إلى يثرب جهزت الزاد والماء ، ولم تجد ما تربطهما به ، فشقت نطاقها ، وربطتهما به ، وحين فعلت ذلك قال النبى - صلى الله عليه وسلم - : « أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة » فقيل لها : ذات النطاقين .

■ تلك هى الصبية التى تركت الولدان والولائد من لداتها واترابها يغدون إلى ملاعبهم ويأوون إلى صدور أمهاتهم ، وذهبت إلى حيث يعجز أشداء الرجال وأبطالهم ، فأى قوة تلك التى أمدها الله بها ، وأى قلب ذلك الذى أودعه الله بين ضلوعها ، وأية عزمة تلك التى خفقت فى نفسها ؟ فلعمرى لئن سلمت الفتاة « أسماء » من عثرات الطريق ، ووعثاء الصحراء تحت جنح الليل البهيم ، فلم تسلم من أذى قريش وكفارها ، فجاءها نفر واقتحموا عليها وداعتها وهدوءها وأحاط بها رجال القوم وهى فريدة بينهم لا يحمى ظهرها رجل ، وسألوها فى عصبية : أين أبوك يابنت أبى بكر ؟ ! فردت فى صمود وشموخ وثقة وإباء : لا أدرى أين أبى !! فرفع النذل أبو جهل لعنه الله - يده ولطمها لطمة قاسية طار لها قرطها ، ولم يوهن ذلك شيئا من عزيمتها ولا عبث بمكنون سرها .

■ وتعد هذه الفتاة الفدائية مثلا لتلك النفوس التى استخلصها الله لدينه ، واصطنعها لدعوته ، ونفث فيها من روحه ، فكانت مستقراً لفضائل الكمال . ويحدثنا التاريخ بإسهاب لمواقفها البطولية بعد ذلك فى مجال الجهاد

نســوة فـى طريـق الهجـرة

والدعوة ، وليس أعظم من قولتها لابنها « عبد الله بن الزبير » حين خشى من التمثيل بجثته : « يابنى إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها ، فامض واستعن بالله » . قالت هذا وهى تحذرمصير ابنها ، ولكنها تعلمت أن تضحى منذ الصغر ، ولا تبخل فى سبيل الله بالجهد والمال والولد .

(٦) عاتكة بنت خالد الخزاعية : (البلاغة والفصاحة ، والوصف الفذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم)

هى عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة بن كعب بن عمرو من خزاعة ، وتعرف « بأم مَعْبَدٍ الخزاعية » من ربات الفصاحة والبلاغة وكانت امرأة برزة جلدة تسقى وتطعم ، فمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليها فى خيمتها ، هو و « أبو بكر » رضى الله عنه ، ومولاه « عامر بن فهيرة » والدليل « عبد الله بن اريقط » ، وسألوها لحما وتمرا ليشتروه ، فلم يصيبوا عندها شيئاً ، وفى كسر الخيمة شاة فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا أم معبد هل بها من لبن ؟ قالت : هى أجهد من ذلك .

فقال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : نعم إن رأيت بها حلبا . فمسح ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده ضرعها،وسَمَّى الله،ودعا لها فى شاتها ، فدرت،واجترت فدعا بإناء فحلب فيه حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت ثم سقى أصحابه حتى رووا وشرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم غادره عندها وارتحلوا عنها .

■ وما لبثت « أم معبد » حتى جاء زوجها يسوق أعنزا عجافا فلما رأى اللبن قال فى عجب : من أين لك اللبن يا أم معبد والشاة عازب حيال ، ولا حلوب فى البيت ؟ . قالت عاتكة : لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت .

فقال : صفيه لى ، فوالله إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلب . وخُلدت « عاتكة » فى التاريخ بما قدمته من وصف للمصطفى ـ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو أدق وصف وصف به ، فلم يصفه الواصفون بمثل ما وصفته به أم معبد .

■ قالت فى وصفه : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة حسن الخلق مليح الوجه لم تَعِبْهُ ثُجْلَة ولم تزر به صُعْلة ،قسيم ، وسيم فى عينيه دَعَج ، وفى أشفاره وَطَف ، وفى صوته صَحَل ، أكحل أزج أقرن فى عنقه سَطَع،وفى لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن ، أبهى الناس وأجمله من بعيد ، وأحسنه من قريب ، ربعة لا تَشْنَأه عين من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدا ، له رفقاء يحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا لأمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند .

فقال ـ أى بعلها : هذا والله صاحب قريش الذى تطلب،ولو صادفته لالتمست أن أصحبه ، ولأجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً .

■ وأى محدث يريد أن يصف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لايسعه إلا أن يعود إلى وصف أم معبد البليغ . وقد كان لها دور أيضا فى الهجرة ، فخيمتها معروفة على الطريق من مكة إلى المدينة ، وبعد رحيل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من

الغار ، انقطعت أخباره عن أصحابه فى مكة فلم يعلموا الوجهة التى قصدها النبى - صلى الله عليه وسلم - وبعد ماحل فى خيمة أم معبد عرف كل من بمكة ذلك ، وعن هذا تحكى الفدائية « أسماء » فتقول : مكثنا ثلاث ليال ماندرى أين وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه ، يسمعون الصوت ولا يرون صاحبه

حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلاَّ خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به
فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقُصىٍّ مازوى الله عنكم
به من فعال لا تجازى وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت
له بصريح ، ضرة الشاة مزبد
فغادره رهنا لديها لحالب
يدُرّ لها فى مصدر ثم مورد

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأن وجهه إلى المدينة ، وأخذ المهاجرون على خيمتى أم معبد حتى لحقوا بالنبى - صلى الله عليه وسلم - .

■ وهكذا كانت خيمتا أم معبد هما حلقة الوصل لتصل ما انقطع من أخبار النبى - صلى الله عليه وسلم - عن المسلمين فى مكة ، وفى الخيمة كانت الراحة للمهاجرين ، ثم الترحال للحاق بالنبى - صلى الله عليه وسلم - .

● وفى الحلقة القادمة - إن شاء الله - نواصل الحديث عن نساء أخريات كان لهن دور بارز فى أعظم حدث فى تاريخ الإسلام والبشرية .

حنين يتصل إلى مهد العقيدة

لفضيلة الشيخ
معوض عوض إبراهيم

حب الوطن من الإيمان ، وهو امارة كرم المولد ، ومازال الأسوياء مهما علوا فى مدارج الرقى ، وتنقلوا بين الأصقاع والبقاع يستبدبهم الشوق إلى مسقط رءوسهم ، وتذهب بهم الخواطر إلى ملاعب صباهم فى المدائن والقرى ، ويستروحون برد الرفاهية كلما ذكروا ملاعب الصبا كما قال ابن الرومى :

وحبب أوطان الرجال إليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو
عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

وحب المرء لأول أرض مس جسمه ترابها يدع إلى جواره أماكن لجميل المشاعر ، لبلاد له فيها أصول وقرابات وأصهار وأصدقاء ، وبلاد تقلب بينها طالباً للعلم ، ومؤدياً واجب العمل الذى نيط به وهياه الله تعالى له ، وما اقترن بذلك من حلو الذكريات وكريم المواقف ، وتكاليف الدعوة إلى الله .

ويبقى فى أعماق القلوب حنين لا ينفد ، وشوق يتجدد ، وإعزاز ينمو مع الأيام لموطن العقيدة ، ومشرق نور التوحيد ، ومدارس خير العصور فى المدينة المنورة ، حيث البيت الحرام فى البلد العتيق ، كما قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾ آل عمران ٩٦ ـ ٩٧ .
وحيث حديث البقاع يتوالى ، وأصداؤه تتعالى ، فترطب أفئدة المؤمنين بأنباء أبى الأنبياء إبراهيم عليهم السلام ، وقد أسكن بواد غير ذى زرع ابنه « وحيده » يومئذ إسماعيل ، وأمه هاجر ، تلك التى أهديت إلى سارة عليهما السلام من مصر فأهدتها إلى إبراهيم ، وأبطل الله بها الوطنيات الضيقة ، والإقليميات البغيضة ، فقد جاءت من البلد البعيد لتلد أب العرب إسماعيل عليه السلام وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

أجل .. يتعالى حديث البقاع ، ويتوالى ويرسى فى شغاف النفوس سر الله وحكمته ، فى هجرة

الأسرة الكريمة أولاً من العراق إلى الشام إلى مصر ثم إلى الجزيرة العربية إلى ذلك الوادى القصى فيها حيث لا دار ولا ديار ولا زروع ولا انهار ولا اشجار ، ورضيت هاجر بأمر الله وقضائه فيها وفى صغيرها ، بعد أن اخبرها الشيخ الكبير أنها مشيئة الله فقالت : « إذن لا يضيعنا » .

وتركهما إبراهيم فى رعاية الله ، وتردد بينهما وبين سارة فى فلسطين حتى كان ابتلاء إبراهيم بذبح إسماعيل وإذعان الابن وأمه لما قضى الله ، كما حكى القرآن الكريم ، وتتابعت الآثار ، ويبقى إسماعيل بعد أن صدق إبراهيم الرؤيا ، وفدى الله سبحانه إسماعيل بذبح عظيم ، وأقام القواعد من البيت ، ولم يعد الوادى غير ذى زرع ، فقد سقت زمزم الناس ، واتصلت قوافل الحجيج وفاءً بوعد الله لإبراهيم : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ الحج/٢٧ . وتجلت حكمة الله من افتداء إسماعيل على النحو الذى لا تنفد عذوبة آيات الله الباقية المتلوة به إلى يوم القيامة فى قوله تبارك وتعالى فى سورة الصافات : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ . رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ الصافات ٩٩ ـ ١٠٧ .

وكان محمد ـ صلوات الله عليه ـ الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة والرسول الذى جاء الدنيا بأسرها عربها وعجمها ، وإنسها وجنها كما قال تعالى : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ الانعام١٩

﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف ١٥٨ .

وقال :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ سبأ/٢٨ .. وقال :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء/١٠٧

وفى الحديث المتفق عليه من قول رسول الله ﷺ : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلى » حتى قال : « وكان كل نبى يبعث فى أمته وبعثت إلى الناس كافة » .

وكان الذين آمنوا برسالة الرحمة « خير أمة اخرجت للناس » كما جاء فى قوله تبارك وتعالى فى الآية العاشرة بعد المائة من سورة آل عمران وهى خيرية تتألق وتصدق أول ما تصدق ، فيمن قال فيهم رسول الله ﷺ : « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .. » .

وتمتد هذه الخيرية فيمن اتبعوهم على منهج الله كما يقول أصدق القائلين : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ التوبة/١٠٠ .

إلى مكة المكرمة يتضاعف الحنين ، وتعظم الغبطة بها ، وأنت ترى مداخلها ومخارجها وقد ذللت ، وشوارعها وميادينها وقد عُبِّدت ، ومرافقها ومنازلها وقد صلحت وتوافرت ،

البقية ص ٦٠

رجل يتحدى كل الأخطار

عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

للدكتور :
عبد المقصود محمد نصار

رجل كان يتمتع بصدق العزيمة ، وهو فى حدود ما تهيأ له من طرق النظر يستعين باراء غيره ، فإذا اتضح له الطريق السوى عزم ، وإذا عزم لا يزحزحه شىء ولا تستطيع اية قوة الوقوف امامه او صده .

ومع هذا فانت حين تراه سريع التاثر ، وان عبراته تسابق قلبه - هذان الخلقان له - رضى الله تعالى عنه - من غير شك كان احدهما يدفع شر الآخر فى سياسة الدول ، لأن الرجل إذا كان صادق العزيمة أَمِنَ شرَّ التردد الذى فيه الهلاك . وإن ذلك الفكر تجده واضحا كل الوضوح فى سيرة الصديق - رضى الله تعالى عنه - ولعل خير برهان على ذلك هو ما تم على يديه من إعادة الرشد إلى المسلمين الذين اصابتهم غاشية من عنف الهزة بموت رسول الله - ﷺ - أما الصديق فإنه لما علم بنبأ الوفاة ، جاء مسرعا ، ودخل المسجد ، فوجد عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - ، يخطب فى الناس متهددا ومتوعدا كل من زعم أن محمداً - ﷺ - قد مات ، ويقول : إن رسول الله - ﷺ - حى لم يمت .

لم يهتم الصديق - رضى الله تعالى عنه - بهذا الذى شاهد ما عليه الناس ، وإنما دخل على رسول الله ﷺ - وهو مسجى فى بيت عائشة أم المؤمنين - رضى الله تعالى عنها - ، واقبل عليه إقبال الرجل المؤمن القوى فى إيمانه ، وكشف عن وجهه الشريف ، وقبله وقال : « أما الموتة التى كتبها الله عليك فقد ذقتها ، ولن يصيبك بعدها موتة ابداً » ، ثم غطى وجهه الشريف ، وخرج على الناس وقد أصابهم ما أصابهم من الجزع الشديد الذى عقد السنة بعضهم ، وأسلم البعض الآخر إلى متاهات الحيرة حتى غابت عنهم الحقيقة التى لا يمارى فيها أحد ، وعمر - رضى الله تعالى عنه - مازال يتكلم ويردد مقالته التى يتهدد بها كل من زعم أن محمداً قد مات . فتقدم منه أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - ، وقال له « على رسلك ياعمر » ثم توجه نحو الناس قائلا : « أيها الناس إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت » ، ثم تلا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى

عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾[1] وعمر يعلن بعد ذلك أن ما سمعه من أبى بكر من قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ الآية ، كما أعلن رجال من الصحابة ـ ما علمنا أن هاتين الآيتين نزلتا حتى قراهما ابو بكر يومئذ[2] .

وبهذا أعلن ابو بكر نبأ وفاة رسول الله ـ ﷺ ـ ، وأعاد للصحابة رشدهم .

ثم اوشك ان يقع خلاف حول المكان الذى يدفن فيه الجثمان الطاهر ، ولكن أبا بكر انهى هذا الخلاف بتلاوة حديث شريف عن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو : « ما قبض الله نبياً إلا فى الموضع الذى يحب أن يدفن فيه » . رواه الترمذى[3]

وهكذا كان أبو بكر الرجل الذى يستمع إلى الأنباء المفزعة عن الحركات الخطيرة فى هذا الجو ، إثر وفاة رسول الله ـ ﷺ ـ حركات المرتدين من مانعى الزكاة وغيرهم يستمع إليها فى أناة وتريث ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة فى غير وهن ، ويصغى إلى ما يقال له دون قلق أو خوف ، يسمع بأذنه ، ويعرض الأمر على عقله وفكره الشفاف . فى هذا الموقف الدقيق ـ والجزيرة العربية كادت تكون كافرة ، ما عدا بعض الأقاليم مثل الحجاز والطائف ، وقليل غيرهما ، الأمر الذى تنخلع له القلوب ، ويطير له قلب الشجاع شعاعا » .

هذا وجيش أسامة ينتظر أوامر الخليفة بالمسير كما أمر رسول الله ـ ﷺ ـ .

كان هذا هو أبو بكر ـ الرجل الذى ألقت إليه المقادير بمقاليد هذه الأمة ، وسلمته زمامها فى ذلك الوقت ، لكل ذلك أحس فى نفسه بفداحة المسئولية ، وعظم التبعة ، ولكن ذخيرته من الإيمان والصدق ، وقوة العزيمة التى لا تعرف التردد ـ وكان ذلك هو وقتها ـ كانت فوق كل هذه الأحداث ، مهما عظمت أو جلت .

هذا هو أبو بكر الصديق الذى قرر الحرية الشخصية للمسلم مع حاكمه الذى تولى أمره فى أول خطاب له بعد خلافته ، حتى أسهم فكره ذلك فى خلق المسلم الذى ساقه إلى طريق المجد الحقيقى دينا ودنيا ، فقد وجهه لأن يكون متوازنا مع نفسه معوانا على الحق نصيرا له ، يدفع الظلم مهما كان له من سلطان ، ويجاهد بنفسه وماله فى سبيل الحق ، وإعلاء كلمة الله تعالى ، والذود عن شريعته وتعاليمه . وتلك هى ذخيرة ابى بكر .

هكذا كان الصديق ـ رضى الله تعالى عنه .

موقفه من بعث أسامة :

فى هذا الإطار تلفت الصديق حوله يسأل عن أسامة بن زيد وكان أسامة قد انتدبه رسول الله ـ ﷺ ـ لقيادة جيش من المهاجرين والأنصار لتأمين التخوم الشمالية مع الروم وتأديب القبائل التى ساعدت الروم فى معركة مؤتة ، التى دارت رحاها سنة ثمان من الهجرة ، وكان جيش المسلمين يبلغ حوالى ثلاثة آلاف .

وكان أسامة ـ رضى الله تعالى عنه ـ ينتظر أمر رسول الله ـ ﷺ ـ بالمسير ، ولكن ما كاد البعث يتحرك ليأخذ مكان التجمع خارج المدينة حتى مرض رسول الله ـ ﷺ ـ فتوقف أسامة بجيشه

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤٤ ـ

(٢) روى ذلك الطبرى ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٣ ص ٢٠٢ وفى سيرة ابن هشام قال أبو هريرة : قال عمر « والله ما هو إلا أن سمعت أبابكر تلاهما » .

(٣) ترجو إدارة التحرير كتابة مرجع الحديث الوارد فى المقال ضرورة .

رجل يتصدى لكل الأخطار

حتى كانت الوفاة ، وبويع أبو بكر بالخلافة ، وحينئذ بلغه أن بعض الأعراب وغيرهم ممن ارتد عن الإسلام بإنكار وجوب الزكاة ومنعها .

موقف خالد :

وهنا كان الموقف الخالد للصديق حين سأل عن « أسامة بن زيد » فى هذا الوقت ، ولعل المحيطين به من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ظنوا أنه يسأل عن أسامة ويطلبه ليصرفه عن القيام بهذه الحملة ، لكى يبقى الجيش لمواجهة الأحداث الرهيبة بسبب ردة المرتدين ، وتوجه بعضهم نحو المدينة - ولعل منطق الحوادث كان يوحى بذلك . وقد اندهش الحاضرون عندما سمعوا أبا بكر يطلب من أسامة السير فورا إلى الشام كما أمر رسول الله - ﷺ - بذلك قبل وفاته ، وربما حدثتهم نفوسهم : كيف يحدث هذا ؟ وتخلو المدينة من جيشها وحماتها فى مثل هذا الظرف الذى تمر به البلاد ، وقد اضطربت الأرض ومادت تحت أقدام المسلمين خوفا على الإسلام وأهله . ونظر الصحابة إلى بعض ، وعلت قسمات وجوههم علامات الدهشة فقال أحدهم لأبى بكر - رضى الله تعالى عنه : ياخليفة رسول الله - ﷺ - إن هؤلاء جل المسلمين ، والعرب كما ترى قد انتفضت عليك ، فليس ينبغى أن تفرق جماعة المسلمين المحاربين فى هذا الظرف . كما طلب عمر بن الخطاب من أبى بكر ، وكان غالبا ما يكون المتكلم بلسان الجماعة الإسلامية - طلب بقاء الجيش ، ليكون عونا على هذه الحركة المعادية من المرتدين ، ودار بينهما حديث طويل حول قتال مانعى الزكاة .

ولكن أبا بكر ما إن سمع هذا الكلام حتى انتفض غاضبا ، وقال : « والذى نفس أبى بكر بيده لو ظننت» أن السباع تتخطفنى لأنفذت جيش أسامة ، كما أمر رسول الله - ﷺ - » ثم تابع حديثه معقبا على مطلبهم « كيف تريدوننى أن أرد قضاء قضى به رسول الله - ﷺ -» وأبى إباء شديدا وصمم على تنفيذ البعث مهما كانت النتائج ، وهذا هو خلق عدم التردد فى الأمور ، فإنه لو تردد وأخر إرسال البعث لكان قد شرع للناس لأول مرة مخالفة ما أمر به الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وهنا رأى جماعة من الأنصار أن يطلبوا من عمر بن الخطاب أن يتكلم مع أبى بكر فى أمر آخر ، وهو ولاية أسامة على الجيش ويطلب منه أن يولى قيادة الجيش رجلا أكبر سنا من أسامة وأكثر خبرة منه بقيادة الجيش .

وما أن بلغ عمر - رضى الله عنه - أبا بكر هذه الرغبة حتى ثار فى وجه عمر وأخذ بلحيته وقال : يوليه رسول الله - ﷺ - ويعزله أبو بكر ، واشتد فى الكلام مع عمر حتى قيل إنه قال له : « عدمتك أمك يابن الخطاب . استعمله[4] رسول الله - ﷺ - وتطلب منى أن أقيله » .

هذه بعض من مظاهر منهج الصديق فى خلافته التى كانت دائما مظهراً لعظمته فى صدق العزيمة بعد المشورة ، وإذا اتضح له الأمر عزم ، وإذا عزم فلن يتراجع مادام قلبه قد اطمأن حتى يأمن شر التردد المهلك .

درس حكيم فى طاعة القائد :

انظر معى أيها القارىء الكريم إلى ما أعطاه أبوبكر للجند من درس بالغ الأهمية والحكمة فى طاعة القائد ، حيث خرج يودع أسامة ماشيا على قدميه ، وأسامة كان راكبا وأخذ يزوده بالنصائح التى كان لها أكبر الأثر فى نجاح الحملة ، سلوك إسلامى وإنسانى للجند وقادة الجيوش يجب أن يتبع وقد كان مما أوصى به قوله «أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ولا تغدروا ولا تقتلوا

(٤) استعمله : أى عينه .

طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ولا تعقروا نخلا أو تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ولا بعيرا إلا لتأكلوه ، وسوف تمرون بقوم قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم ، وما فرغوا أنفسهم له وإذا قرب إليكم طعام فاذكروا اسم الله عليه وكلوا .

ياأسامة !! اصنع ما أمرك به نبى الله ببلاد قضاعة(٥) ولا تقصروا فى شىء مما أمرك به رسول الله ﷺ .

وقد ذكرت هذه الوصية بصيغة أخرى فى بعض المراجع إلا أن المضمون يعتبر واحدا .

مبادىء انطوت على أشرف ما عرفته البشرية قديما أو حديثا . بهذه المبادىء وتلك المفاهيم التى انطلق بها المسلمون ، ووضعوا بها قواعد الحضارة الإسلامية ، الأمر الذى حمل الأعداء بعد سنين محدودة يندفعون نحو اعتناق الإسلام . لأنهم وجدوا فى تعاليمه السعادة الروحية والجسمية ، وجدوا فيه التوازن بين الدنيا والدين فى حياة الإنسان .

رحم الله تعالى أبا بكر الذى أقر أسس المساواة والتراحم وإعطاء كل صاحب حق حقه .

فأسامة بن زيد يقود جيشا فى ركابه أبو بكر وعمر وعلية الصحابة فى توجيهات قول الله تبارك وتعالى : ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾ ، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

بهذه المبادىء انطلق المسلمون يكافحون الأعداء الذين كانوا فى عصور ازدهارهم ، ويعيشون فى مجتمع قائم على اعتبار النسب ، فى مجتمع دستوره الطبقية العاتية .

أما أن الناس سواسية كأسنان المشط ، أو أحرار كما خلقوا ورحم الله تعالى عمر بن الخطاب القائل « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » فهذا لاعهد لهم به ولا مكان له فى مجتمعاتهم .

وكتب التاريخ تحدث عما كان الغالبون من غير المسلمين يعاملون سكان البلاد المقهورة من الإذلال والاستعباد . أما تغليب المعانى الخيرة على العنف فلا يعرفه إلا المسلمون ، الذين اشربت قلوبهم تعاليم الإسلام ، حتى مع أصحاب الديانات الأخرى فكان التسامح والرفق وحرية العقيدة : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(٦)

كما كان المسلمون حين يلقون أعداءهم فى معركة يعرضون عليهم الإسلام أولا ، ثم الجزية ، التى كانت تعود عليهم من أجل أمنهم وسلامتهم ، وحمايتهم وإلا فالقتال للتمهيد للإعلان عن الإسلام وبيان مبادئه وأحكامه .

وحتى فإن موقف الإسلام من غير المسلمين كان يتسم بالرفق والتسامح واللين ما لم يعتدوا

﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾(٧) .

أما شريعة الفرس والروم فكانت فى الشرق والغرب قائمة على المبادىء اللا إنسانية ، وقد استمرت إلى القرن التاسع عشر حيث وضعت أوروبا مبادىء نظرية لا وجود لها فى معاملاتهم للمغلوبين ، وهى لاتزال قائمة حتى اليوم الذى نعيشه فكل يوم تطالعنا وسائل الإعلام بصور رهيبة من الغالبين للمغلوبين . وإن الإسلام قد سبق بحوالى ثلاثة عشر قرنا الدول التى تدعى الحضارة والتقدم الزائف بوسائل الحضارة والتقدم ، وأبو بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه . سجل فى وصيته للقائد أسامة بن زيد وجيشه أسس المعاملات الإنسانية الهادفة إلى

(٥) بلاد قضاعة جنوب الشام .

(٦) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٧) سورة البقرة آية ١٩٤ .

رجـل يتصـدى لكـل الأخطـار

كل مافيه سعادة البشر ، وطبقها المسلمون قولا وعملا ، فنفذوها عن رضى وراحة نفس ، لأنها إسلامية وآمنوا بها شرعة ومنهاجا ، وبعد .

فإن تعاليم الإسلام عالجت مشاكل المجتمع علاجا لم يجرح الكرامة ، أو يخدش مقومات الإنسانية الغريزية أو ينتقص من الحقوق الطبيعية المقررة للإنسان .

عالجه علاجا قويا ماديا وروحيا ، وطبقه أبو بكر رضى الله تعالى عنه .

ولا أنسى للصديق هذا الدرس العملى ، الذى يجب أن يعيه كل مسئول ، ويضعه شارة مضيئة يتوج بها سلوكه . ذلك هو استئذانه للقائد أسامة فى بقاء من يستعين بهم وبرأيهم مثل عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه ـ أبو بكر يستأذن أسامة ـ وأبو بكر الرئيس للدوله . ثم إنه يسير فى ركابه ماشيا ، والقائد الشاب أسامة راكب ـ فقال له أسامة ـ رضى الله تعالى عنه : ياخليفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتركبن أو لأنزلن فقال أبو بكر : « والله لا نزلت ولا ركبت وما علىَّ أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله تعالى .

يالروعة هذا السلوك والمنهج ، والسمو الأدبى والسياسى والاجتماعى فلقد كان له وبعمله هذا ما حمل القوم على الرضا بإمرة أسامة إذ رأوا الخليفة ماشيا فى ركابه ، مؤديا له كل حقوق القيادة ، كما كان فى استئذانه له ببقاء عمر ليكون مشيرا له فى مهام الأمور عمل يعتبر توجيها عمليا فى إعطاء القيادة حقها مهما كان وضع القائد فى نظر المسلمين أو الجند .

وودعه الصديق ، وبعد أربعين يوما تقريبا عاد والنصر يسير فى ركابه بفضل الله تبارك وتعالى . لقد كان إرسال أبى بكر لبعث أسامة نهاية الحزم ، كما كان له عظيم الأثر ، إذ قذفوا الرعب فى قلوب المرتدين والفزع لما عرفوا نصر المسلمين على القبائل ذات الشوكة والقوة ، كما أكدت للمسلمين فى المدينة فكر أبى بكر ، وبعد نظره فى تقدير الأمور .

وعاد الجيش ، واستقبله الخليفة بقلب مفعم بالبشر والسرور ، وذلك فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣ هـ وبعد أن أخذ الجيش وقائده قسطا من الراحة ، واطمأن الخليفة ، على راحتهم ، أعلن التعبئة العامة لحرب المرتدين ، بعد دراسات لكل متطلبات النصر ، وما عساه يكون من هزيمة لاقدر الله .

تلك صفحة من كثير من الصفحات المشرقة فى تاريخ الزمان . وخاصة فى تاريخ الإسلام والمسلمين ، لما تم فيها على الرغم من قصرها من إعادة توحيد الأمة الإسلامية .

ولعل خير ما أختتم به الحديث ، هو ما ختم به الخليفة الصديق حياته ففيه خير الدنيا والآخرة ، وأسأل الله تبارك وتعالى التوفيق . لقد روى عنه ـ رضى الله العالى عنه ـ أنه قال لعائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها وقد أحس بقرب النهاية : «يابنية !! إنا ولينا أمر المسلمين ، فلم نأخذ لنا درهما ولا دينارا ، ولكنا أكلنا من قريش طعامهم فى بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، وأنه لم يبق عندنا من فىء المسلمين قليل ولا كثير ، إلا هذا العبد الحبشى ، وهذا البعير الناضح[8] فإذا مت فابعثى بهما إلى عمر !!

وهنا قال عمر رضى الله عنه : «لقد أتعبت من بعدك» .

وكانت وفاته مساء ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ ـ ٦٣٤ م بعد خلافة دامت سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال عن ثلاث وستين سنة كما ذكر ذلك الطبرانى[9] وتاريخ الإسلام للذهبى .

(٨) البعير الناضح الذى يستقى عليه .

(٩) جـ ٣ ص ٤٥٠ ، والذهبى جـ ٣ ص ٧١ .

من فقه الشافعي

المسئولية التقصيرية

وجناية السلطان

للشيخ : محمد حسام الدين

تحدث فقهاء القانون عن : « المسئولية التقصيرية » ، وعرفوها بأنها « تحمل التبعة عن اخطاء العمل » .

ثم اتسع نطاقها لديهم بحيث اصبح مفهومها : (تحمل التبعة عن الضرر المترتب على العمل) .

سواء كان الضرر حادثا عن خطأ وتقصير ، او كان حادثا عن غير خطأ فى طبيعة العمل او فى أدائه .

ولم تكن المسئولية التقصيرية واضحة فى قواعد القوانين الأوروبية القديمة وبخاصة القانون الرومانى .

لكن عناصرها اخذت تتمايز وتتضح شيئا فشيئا فى ظل القانون الفرنسى وتطوراته المتعاقبة متاثرا بالقانون الكنسى وغيره .

فجاءت خصائص «المسئولية التقصيرية » اكثر وضوحا فى صياغة القانون المدنى الفرنسى الصادر فى مطالع القرن التاسع عشر [١] .

وخلصت مواده إلى ان « كل عمل يوقع ضررا بالغير يقتضى التعويض ممن قام بالعمل ، سواء نتج الضرر عن خطئه ، او إهماله،او كان ناتجا عن عمله الشخصى او عن عمل تابعه [٢] .

(١) يراجع الموضوع فى كتاب «الوسيط فى شرح القانون المدنى ـ للدكتور عبدالرازق السنهورى ـ جـ١ ـ ط ١٩٥٢ .

(٢) مفهوم إجمالى ـ المرجع السابق ـ ص ٧٦٧ والمواد الفرنسية من ١٨٣٢ ـ ١٣٨٦ .

من فقه الشافعى

المسئولية التقصيرية وجناية السلطان

وقد توسع الفقهاء الفرنسيون ـ مؤخرا ـ فى شرح هذه المبادىء القانونية بحيث لا يكون الخطأ وحده أساسا « للمسئولية التقصيرية » وبحيث يكفى لترتيبها أن ينتج الضرر عن العمل ، ولو كان تنفيذ العمل فى ذاته واقعا دون أى خطأ . وعندئذ يتحمل الضمان من أفاد بالعمل .

وصاغوا لهذا المبدأ نظرية جديدة أسموها : «نظرية تحمل التبعاب المستحدثة » وقالوا : إن النظرية الشخصية التى تقوم على فكرة الخطأ لا تتفق مع التطور الاقتصادى فى عصر سادت فيه الآلة . وكثرت فيه المخترعات بحيث أصبحت مورد رزق كبير ، ومصدر خطر جسيم .

ومن العدل أن يتحمل من ينتفع بهذه الآلات والمخترعات تبعة أخطارها «والغنم بالغرم » (٣) .

لكن الفقهاء الفرنسيين لم يلبثوا أن عادوا فى هذا البحث إلى النظرة الشخصية لا الموضوعية ، فرتبوا حق التعويض على الخطأ ، سواء وقع الخطأ من الشخص بالفعل ، أو كان فرضا عليه بأن كان التزاما بالسلامة يفرضه القانون . أو يفرضه العقد . وبهذا تنتفى المسئولية إزاء مايحدث من ظروف أو قوة قاهرة (٤) .

وقد اهتمت التشريعات الأوروبية العصرية بموضوع « المسئولية التقصيرية » وسبقت فى مجالها سبقا واضحا ، ومن هذه التشريعات ماضمته القوانين الإيطالية والألمانية ، والإنجليزية وغيرها من التشريعات الأوروبية على اختلاف أصولها ، ومذاهبها .

وقد اقتبس منها القانون المدنى المصرى ، سواء فى إصداره القديم سنة ١٨٨٣ م ـ أو فى إصداره الجديد فى يوليو سنة ١٩٤٨ م .

ولقد جاءت نصوص القانون المدنى المصرى الجديد فتناولت المسئولية التقصيرية ، من جانبيها : الموضوعى ، والشخصى ، وجمعت أطراف الموضوع ، وشتات النظريات فيه ، وأقامت على هذا جميعه ضمانات تفى بمواجهة أخطار العمل ، وأخطار العصر الصناعى المعقد .

ثم وفت هذه التشريعات بالنظر فى تبعات الحرفة ، وتبعات العمل ، وتبعات التضامن الاجتماعى ، وتبعات العمل بالمصانع ، وآثار الحروب ، وغير ذلك .

ومع هذا فإن فقهاء القانون المعاصرين يعترفون بأن القانون لايزال بعيدا فى ميدان التشريع عن استغراق كل صور المسئولية التقصيرية ، ومنها « تبعات الملكية » وتبعات « النشاط » بوجه عام (٥) .

هذا وقد تناول الفقه الإسلامى هذا الموضوع وتنوعت نظراته إليه تنوعا رائعا عجيبا . مما يجعل المبادىء الفقهية الإسلامية ، أساسا متينا صالحا للتقنين اليوم فى هذا الصدد .

وكان الشافعى ـ رحمه الله ـ من أسبق من كتبوا فى المسئولية التقصيرية ومن أفقه من أرسوا مبادئها .

(٣) المرجع السابق ص ٧٦٧ ـ ٧٦٨ . بتصرف واسع .
(٤) المرجع السابق ص ٧٧٠ .
(٥) المصدر السابق ص ٧٧١ ـ ٧٧٢ .

وإذا كان من الفقهاء المسلمين من خالف الشافعى فى بعض آرائه هنا ، فإن الشافعى يمتاز فى آرائه فى هذه المسألة بالعديد من الميزات .

يمتاز الشافعى صاحب الفقه المبكر فى المسألة ، أنه استقصى جوانبها تقريبا ، واستند فيما عرضه من رأى فيها إلى أصول إسلامية متينة ، بل وإلى مبادىء عامة قد يخشى الفقه الدستورى المعاصر تقريرها أو الإلزام بها اليوم .

لقد رأى الشافعى ـ رحمه الله ـ أن السلطان مسئول مسئولية شخصية عما يحدث من ضرر نتيجة لخطئه ، أو تجاوزه فى مهمته ، أو تقصيره فى أداء واجبه .

ثم نظر الشافعى فى تبعة الملكية ، والظروف القاهرة والمسئولية عن التابع .

وتحدث بالتفصيل عن مسئولية « الموظف العام » عن الأضرار التى تترتب على عمل صدرت إليه الأوامر بتنفيذه .

ولم ينس الشافعى ـ رحمه الله ـ أن يرأف بالسلطان إزاء ما يحمل من تبعات ، فأكد على مبادىء تدخل اليوم فى مسمى « التكامل الاجتماعى » إزاء تبعة الخطأ الذى قد يستوجب الأَرْش أو الدية ، أو التعويض فجعل الدية ، أو الضمان على عاقلة السلطان .

إن الشافعى يحاسب السلطان على الخطأ فى تطبيق الأحكام فيقول :

« وإذا حد الإمام رجلا ـ بشهادة عبدين ، أو عبد وحر ، أو ذمى ومسلم ، أو شهادة غير عدلين فى أنفسهما ، أو غير عدلين على المشهود عليه حين شهدا ـ فمات [٦] ، ضمنته عاقلته[٧] لأن هذا كله خطأ فى الحكم .

وكذلك لو أقر عنده ـ صبى ، أو معتوه ـ بحد ، فحده [٨]ضمنهما إن ماتا .

ومَنْ قلتُ : يَضْمَنُه أن مات ـ ضَمِنَ الحُكُومَةَ فى جَلْدِه[٩] او اثر[١٠] إن بقى به وعاش .

وكذلك يضمن دِيَةَ يده إن قطعه ، وكل ما قُلْتُ : يَضْمَنُه من خطئه فالدية فيه على عَاقِلَتِه » .

ويحاسب السلطان عن تقصيره فى بيان ما يأمر به ، فيقول الشافعى : « وإذا امر [١١] الجالد بجلد الرجل ، ولم يوقت [١٢] له ضربا . فضربه الجالد أكثر من الحد ، فمات . ضمن الإمام دون الجالد فإن كان حده ثمانين فزاد سوطا فمات ، فلا يجوز فيه إلا واحد من قولين :

« أحدهما : أن يضمن الامام نصف ديته ، كما لو جنى رجلان على رجل ، أحدهما : ضربة[١٣] ، والآخر : ثمانين ضربة [١٤] ، أو اقل ، أو أكثر ، ضمنا الدية نصفين [١٥] أو : يضمن [١٦] سهما من أحد وثمانين سهما من

(٦) اى : فمات الرجل .

(٧) اى : عاقلة الإمام نظرا لكونه اخطأ بالأخذ بشهادة من لاتقبل شهادته فيما يستوجبه الحد .

(٨) اى فأقام عليهما الحد بناء على هذا الإقرار الذى لا يعتد به .

(٩) اى يضمن ما يحكم به من التعويض إذا كان قد جلده خطأ .

(١٠) اى يضمن الآثار فى بدن المحدود إن اقيم عليه الحد ، وبقيت له آثار فى بدنه .

(١١) اى وإذا امر السلطان الجالد .

(١٢) اى ولم يحدد له السلطان عدد الضربات .

(١٣) اى كما لو تعدى احدهما بضربة واحدة .

(١٤) اى وكما لو ان الآخر تعدى بثمانين ضربة .

(١٥) ذلك لأن السلطان والجالد تعديا ، فالسلطان لم يحدد قدر ما يستحق الجانى من ضربات ، والجالد زاد على أقصى حد بالجلد ، فهو متعد بالتأكيد ، وإن لم يعلم مقدار التعدى نظرا لعدم توضيح القدر المطلوب للسلطان .

(١٦) اى والقول الثانى أن يضمن ... إلى آخره ، فالمسألة فيها قولان على ما أوضح الشافعى . وهذه العبارة هى بيان القول الثانى .

من فقه الشافعى

المسئولية التقصيرية وجناية السلطان

ديته ، ويكون كواحد وثمانين قتلوه ، فَيَغْرَمُ حِصَّتَه .

وفى مسئولية التنفيذ - أو « الموظف العام » قال الشافعى : «ولو كان الإمام للمضروب ظالما ضمن ما أصابه من الضرب بأمره . ولم يضمنه الجالد .

إلا أن يعلم الجالد أن الإمام ظالم . بأن يقول الإمام : أنا أضرب هذا ظالما ، أو يقول الجالد : قد علمت أنه يضربه ظالما بلا شبهة فيضمن الجالد والإمام معا .

ولو قال الجالد : ضربته وأنا أرى الإمام مخطئا عليه ، وعلمت أن ذلك رأى بعض الفقهاء ضمن الجالد .

وليس للضارب أن يضرب إلا أن يرى أن ما أمره به الإمام حق ، أو مغيب عنه سبب ضربه ، أو يأمره بضربه فيكون ذلك عنده على أنه لم يأمره إلا بما لزم المضروبُ .

وهكذا : أرسى الشافعى مبدأ يستوجب مسئولية المنفذ ، أو « الموظف العام » إذا نفذ أمرا لمن لاتجب عليه طاعته ، أوكان بحيث يعتقد بأن فى الأمر تعديا ، أو ظلما .

وقد نصت المادة ١٦٧ من القانون المدنى المصرى الحاضر على أنه : « لايكون الموظف العام مسئولا عن عمله الذى أضر بالغير ، إذا قام به تنفيذا لأمر صدر إليه من رئيس . متى كانت إطاعة هذا الأمر واجبة عليه . أو كان يعتقد أنها واجبة ، وأثبت أنه كان يعتقد مشروعية العمل الذى وقع منه ، وكان اعتقاده مبنيا على أسباب معقولة ، وأنه راعى فى عمله جانب الحيطة » .

وجاء فى المذكرة الإيضاحية للمشروع التمهيدى للقانون فى هذا الصدد ما نصه :

« وترتفع المسئولية كذلك إذا كان العمل الضار قد وقع تنفيذا لأمر صادر من رئيس إدارى لانتفاء الخطأ فى هذه الصورة ، ويشترط لإعمال هذا الحكم شرطان :

فيجب أولا : أن يكون محدث الضرر موظفا عاما .

ويجب ثانيا : أن يكون العمل الضار قد وقع تنفيذا لأمر صادر من رئيس إدارى ، ولو لم يكن الرئيس المباشر ، وعلى من أحدث الضرر أن يقيم الدليل .لا على اعتقاده وجوب طاعة هذا الرئيس فحسب ، بل وكذلك على اعتقاده وجوب تنفيذ الأمر الصادر منه ، وعليه كذلك أن يقيم الدليل على أن اعتقاده هذا كان مبنيا على أسباب معقول ، وأنه راعى جانب الحيطة فيما وقع منه[١٧] .

هذه المادة القانونية ، لم ترد بالصيغة الصريحة التى تضمنتها عبارة الشافعى وهى أنه «ليس للضارب أن يضرب إلا أن يرى أن ما أمره به الإمام حق ، أو مُغَيَّبٌ عنه سببٌ ضربه .

ولعل عذر المادة القانونية أننا نعيش فى زمن يجرى فيه تلبيس الحق بالباطل على الناس ، فلا تتضح صورة الحق فى جلاء ، وأن من مهام القانون ضبط الشئون الإدارية ، وإنفاذها ، وهى كثيرة شديدة التعقيد فى عصرنا .

(١٧) الوسيط - للسنهورى جـ ١ ص ٧٩١ - هامش .

وقد اجتهد شراح القانون فى إزالة شىء من إبهام المادة ، وكانوا بين .. بين . لكن القضاء كان قد أرسى قبل صدور هذا القانون نفس المبدأ الذى قرره الشافعى ـ رحمه الله ـ فقد اتجه القضاء فى بعض أحكامه إلى أنه : (لو اتضح أن الموظف العام كان يعلم عدم مشروعية العمل الذى ارتكبه فإنه يكون مسئولا)(١٨) .

هذا : وإن من أدق المبادىء التى قررها الشافعى هنا أن السلطان مسئول مسئولية شخصية عن كل أمر ليس فيه صلاح المسلمين وأنه ضامن لما ينجم عن هذه الأوامر من أضرار ، فإن وجب فيها التعويض المالى ، كان فى ماله ، أو مال عاقلته .

قال الشافعى (١٩) : « فأما كل أمر ليس من صلاح المسلمين أكره السلطان عليه رجلا فمات منه فى ذلك الأمر فالسلطان ضامن لدية من مات فيه »(٢٠) .

لقد جعل السلطان مسئولا عن نتائج الأوامر الصادرة منه ، حتى الفزع والترويع الذى يغشى بعض الناس إذا ظهر الجنود عليهم بمظهر البطش .

والشافعى يجعل الضمان على السلطان وعلى عاقلته ، ولا يميل إلى الأخذ برأى من خالفوه بجعل الضمان فى بيت المال .

قال : «ثم اختلِفَ فى العقل الذى يلزم السلطان : فأما الذى أَخْتَارُ ، والذى سمعت ممن أرضى من علمائنا : أن العقل على عاقلة السلطان .

وقد قال غيرنا من المشرقيين : العقل على بيت المال ، لأن السلطان إنما يؤدب لجماعة المسلمين فيما فيه صلاحهم ، فالعقل عليهم فى بيت مالهم ....)(٢١) .

لقد أفاض الشافعى فى هذا الوقت المبكر ـ فى شرح ما يسمى اليوم «بالمسئولية التقصيرية » وحدد وجوهها فى كثير من الوقائع ، وأرسى مبادئها ، واستوفى وجوه التبعات فيها ، بحيث يبهر النظريات القانونية المعاصرة فى هذا الصدد ، ويسبقها إلى ما لم تقرره حتى الآن فى جوانب «تبعات الملكية » و «تبعات النشاط » بوجه عام ، وغيرها .

وعقد لهذا الموضوع فصولا عديدة تناولت : خطأ الطبيب ، والإمام يؤدب ، وجناية معلم الكتاب ، والمسئولية عن الجمل الصئول ، ومسئولية الرجل يكترى الدابة ، ومسئولية الأُجَرَاءِ عما يُسَلَّمُ إليهم أو يكون فى أيديهم للعمل ، ومسئولية الحَجَّام ، والخَاتِنِ ، والبَيْطَارِ ، والضمان فى اصطدام السفينتين ، والفارسين ، وجناية السلطان .. وهكذا .

ورحم الله الشافعى ، فقد ترك بين أيدينا ما ندعو له فقهاء القانون اليوم ، مما يكشف لهم أن ما فى الفقه الإسلامى أوفى ، وأوسع وأنسب مما يرجونه فى النظريات القانونية الأخرى .

وعسى الله أن يهديهم إلى فقه الإسلام .
والله ولى التوفيق .

---

(١٨) الوسيط ـ للسنهورى جـ ١ ص ٧٩٢ ـ هامش : استئناف مختلط ١٩٢٣/٦/٢١ . م ٣٥ ص ٥٢١ .
(١٩) يراجع الأم للشافعى جـ ٦ ص ٧٥ وما بعدها ـ كتاب الشعب ـ .
(٢٠) يراجع الأم للشافعى جـ ٦ ص٧٧ . ـ كتاب الشعب ـ .
(٢١) يراجع الأم للشافعى جـ ٦ ص ٧٧ وما بعدها ـ كتاب الشعب ـ

رفع اليدين فى الصلاة

للشيخ على حامد عبد الرحيم

عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : رايت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا قام فى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ، وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ، ويفعل ذلك إذا رفع راسه من الركوع ، ويقول : سمع الله لمن حمده ، ولا يفعل ذلك فى السجود . ـ متفق عليه ـ واللفظ للبخارى .

الحَذْو والحذاء : الإزاء والمقابل .

كثيراً ما يرى المصلى مع الجماعة مَنْ يرفع يديه عند التكبير فى افتتاح الصلاة فقط ، ومنهم مَنْ يرفع يديه ـ إلى جانب ذلك ـ عند الركوع ، وعند الرفع من الركوع ، وبعضهم يرفع يديه ـ بالإضافة إلى ما تقدم ـ إذا قام من الركعتين .

فما حكم ذلك ، وماالحكمة منه ، وما وجهة كل فريق ، وما المطلوب من المسلم . ونبادر إلى الحكمة من رفع اليدين قال العلماء إنه تعظيم لله عز وجل ، وعبادة له ، وابتهال إليه ، واستسلام له ، وخضوع فى الوقوف بين يديه ، واتباع لسنة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقالوا : إن الرفع لنفى صفة الكبرياء عن غير الله ، والتكبير لإثبات الكبرياء لله .

وقالوا : إن الرفع معناه الإشارة إلى طرح الدنيا ، والإقبال بكليته على العبادة .

وقيل : الإشارة إلى الاستسلام والانقياد ، وليناسب فعله قوله الله اكبر .

وقيل : الإشارة إلى رفع الحجاب بين العبد والمعبود .

وقال الربيع : قلت للشافعى ما معنى رفع اليدين ، قال : تعظيم الله واتباع سنة نبيه ، ونقل ابن عبد البر عن ابن عمر أنه قال : رفع اليدين من زينة الصلاة ، وعن عقبة بن عامرٍ الجهنى ـ فيما رواه الطبرانى ـ بإسناد حسن قال : يكتب فى كل إشارة يشيرها الرجل بيده فى الصلاة بكل إصبع حسنة أو درجة .

وأما حكمه : فقد ذهب الجمهور إلى أن رفع اليدين سنة ، وأنه واجب عند داود الظاهرى وبعض أصحابه ، ومن هؤلاء من أوجبه فى تكبيرة الإحرام فقط ، ومنهم من أوجب ذلك فى افتتاح الصلاة ، وعند الركوع والرفع منه ، ومنهم من أوجبه عند السجود أيضاً . وسبب الاختلاف ، معارضة ظاهر حديث «المسىء صلاته» فإنه ليس

فيه ذكر رفع اليدين . مع أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة .

وأما الحنفية فقد عولوا على رواية مجاهد انه صلى خلف ابن عمر فلم يره يرفع يديه ، واحتجوا بحديث ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه رأى النبى - صلى الله عليه وسلم - : يرفع يديه عند الافتتاح ثم لا يعود - أخرجه أبو داود - وقد رده الشافعى بأنه لم يثبت ، قال : ولو ثبت لكان المثبت مقدماً على النافى ، وقد صححه بعض أهل الحديث ، لكنه استدل به على عدم الوجوب ، وأنه فعله تارة وتركه أخرى .

وأما عند المالكية : فقد قال ابن عبدالبر - كما جاء فى فتح البارى - لم يرو أحد عن مالك ترك الرفع فيهما أى الركوع والرفع منه - إلا ابن القاسم، والذى نأخذ به الرفع على حديث ابن عمر ، وهو الذى رواه ابن وهب عن مالك ، ولم يَحْكِ الترمذى عن مالك غيره ، ونقل الخطابى وتبعه القرطبى فى "المفهم" أنه آخر قولى مالك وأصحهما ، ولم أر للمالكية دليلاً على تركه ولا متمسكاً إلا بقول ابن القاسم : وذلك لمخالفة عمل أهل المدينة .

روى البخارى فى(جزء رفع اليدين)عن مالك .. أن ابن عمر - رضى الله عنهما - كان إذا رأى رجلاً لا يرفع يديه إذا ركع ، وإذا رفع رماه بالحصى ، والشافعى وأحمد ومالك فيما رواه فى الموطأ يرجحون حديث ابن عمر - « عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله عن عبدالله بن عمر » : « أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا افتتح الصلاة رفع يديه حذو منكبيه ، وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك أيضاً » . وقد رواه جماعة عن مالك فذكروا فيه الرفع عند الانحطاط للركوع ، قالوا فيه : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة حذو منكبيه ، وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع . ذكر الدارقطنى الطرق عن أكثرهم عن مالك كما ذكرنا وهو الصواب .

وذهب بعض أهل الحديث إلى رفع اليدين عند السجود والرفع منه ..

ورفع اليدين عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع ، والرفع منه ، كما فى الحديث الذى صدرنا به الباب الذى رواه ابن عمر فقد نقل البخارى عن شيخه على بن المدينى قال : حق على المسلمين أن يرفعوا أيديهم عند الركوع والرفع لحديث ابن عمر هذا .

وقد قال البخارى فى جزء رفع اليدين : من زعم أنه بدعة فقد طعن فى الصحابة فإنه لم يثبت عن أحد منهم تركه ، قال:ولا أسانيد أصح من أسانيد الرفع ، وذكر البخارى أيضاً أنه رواه سبعة عشر رجلاً من الصحابة ، وذكر الحاكم وأبو القاسم بن منده ممن رواه:العشرة المبشرة .

وأما الحد الذى ترفع إليه اليدان ، فهو عند الأحناف إلى حذو الأذنين . وحده عند مالك والشافعى إلى المنكبين ، ولأحمد ثلاث روايات أشهرها: حذو منكبيه ، والثانية إلى أذنيه ، والثالثة التخيير ، وقيل:إلى الصدر،وكل ذلك مروى عن النبى - صلى الله عليه وسلم .

ويمكن الجمع بين رواية المنكبين ورواية الأذنين ، أنه يرفع يديه حتى تحاذى كفاه منكبيه ، وتحاذى أصابعه أذنيه. وهاتان هما الروايتان المشهورتان عنه - صلى الله عليه وسلم - .

والخلاصة : أن رفع اليدين مشروع - وجوباً - عند بعض العلماء،وسنة ومستحب عند البعض الآخر ، وحسب المصلى أجراً وثواباً أن له بكل مرة يرفع فيها يديه عشر حسنات بعدد أصابع يديه . وكما قال - صلى الله عليه وسلم - : صلوا كما رأيتمونى أصلى .

صلح الحديبية

للأستاذ/ عبدالمنعم محمد عمر

كانت جميع القبائل العربية تعظم البيت الحرام ، وإليه كانوا يحجون ويعتمرون خاشعة قلوبهم ، حاملين معهم نذورهم ومحاصيلهم ، فيبيعون ما يحملون من متاع ويبتاعون من مكة ما هم فى حاجة إليه ، وقد ظل احترام البيت الحرام سائدا بين جميع القبائل العربية يطوفون حوله فى مواسم الحج وفى غير المواسم ، فيما عدا المسلمين إذ منعهم شيوخ قريش من دخول مكة .

وكان المسلمون بعد هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستقبلون فى صلاتهم بيت المقدس ، وظلوا كذلك ثمانية عشر شهراً حتى نزل قوله تعالى :

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[1]

وفى العام الخامس من الهجرة النبوية الشريف فرض الله الحج على المسلمين[2] لمن استطاع إليه سبيلا ، كما أباح العمرة ، وقد عزم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أول ذى القعدة من العام الهجرى السادس على أداء العمرة ، أى فى أوائل الأشهر الحرم فى ذلك العام ، وهى الأشهر التى تعاهد العرب منذ أقدم العصور على احترامها وتحريم القتال فيها .

وكان الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرجو أن يهدى الله زعماء قريش فيمتنعوا عن اعتراض سبيل المسلمين ، فقد كانت القاعدة التى سار عليها أجدادهم ألا يصدوا أحدا عن المسجد الحرام ، وألا يمنعوا أحدا من الطواف حول الكعبة المشرفة .

كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شوق للصلاة فى المسجد الحرام والطواف حول الكعبة المشرفة ، وكذلك كان كل من خرج معه من المسلمين ، وكانوا حوالى ألف وأربعمائة مسلم[3] ، ولحق بهم بعض الأعراب ممن استجابوا لدعوة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أداء العمرة معه ، وقد ساق المسلمون أمامهم الهدى حتى تعلم قريش أن النبى ومن

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٤٤) .
(٢) هذا أحد أقوال فى فرضها
(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٢ ص ٦٢١ .

كانوا معه خرجوا لأداء العمرة ، وأنهم لا يريدون قتال أحد .

وفى الطريق علم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن رؤساء قريش قد عزموا على التعرض له ، وعلى منعه هو ومن معه من الوصول إلى مكة ؛ ولذلك فقد أرسلوا خالد بن الوليد على رأس قوة بلغ عدد فرسانها مائتين ليصدوهم عن المسجد الحرام[٤] .

لقد كان المسلمون أصحاب حق ، كما كانوا أكثر عددا ، وأعز نفرا ، وكانوا على استعداد أن يحاربوا المشركين إذا حالوا بينهم وبين أداء العمرة ، معتمدين على حب الله وعلى حقهم ؛ ولكن خاتم الأنبياء والمرسلين كان لا يريد حربا يستشهد فيها بعض المسلمين ويقتل فيها بعض المشركين ، ولكنه كان يبغى السلام ، وأن يمكنوه من أداء العمرة ، ولذلك أمر المسلمين أن يغيروا طريقهم ، فاتخذوا طريقا وعرا غير مطروق ، وبذلك تجنبوا الاصطدام مع خالد بن الوليد ومن معه من الفرسان .

وهكذا وصل المسلمون سالمين إلى « الحديبية » وهى : قرية على بعد بضعة أميال من مكة ، كما أنها داخلة فى حمى حرم أم القرى ، ولا يجوز لقريش أن تحاربهم ماداموا قد دخلوا فى حمى الحرم .

وفى الوقت نفسه كان زعماء الارستقراطية القرشية يخشون من تمكن المسلمين من دخول مكة فى هذا العام ـ خاصة بعد أن فشل خالد بن الوليد فى منعهم ، لأن معنى ذلك أنهم دخلوها عليهم عنوة ، وبذلك تضيع هيبتهم بين القبائل العربية الأخرى فيما يرون .

لقد استطاع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذكائه وحكمته أن يضع مشركى قريش فى مأزق حرج ، لأنه أظهرهم أمام العرب جميعاً بأنهم صادون عن البيت خارجون على التقاليد التى ورثوها عن أجدادهم ، وقد أدرك ذلك بوضوح الوسطاء الأربعة الذين أوفدهم المشركون ليفاوضوا نبى الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلما عادوا إليهم نصحوهم أن يخلوا بين المسلمين وبين المسجد الحرام ، وكان من بين هؤلاء الوسطاء « الحليس بن علقمة سيد الأحابيش » وهم من أكبر القبائل المتحالفة مع قريش وأعزها .

فلما رأى المسلمين محرمين وسيوفهم فى القرب ، ورأى الهدى الذى ـ ساقوه أمامهم ، عاد إلى مشركى قريش وقال غاضبا : « والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم : أيصد عن بيت الله معظّم له ؟

والذى نفس « الحليس » بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ، وهكذا وقع خلاف كبير بين قريش وبين الأحابيش أكبر حلفائهم[٥] . فقالوا له : مه ، كف .. عنا يا « حليس » حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به » .

وبعد مفاوضات عسيرة استطاع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحكمته وبعد نظره أن يتغلب على جميع المصاعب التى كانت تقف حجر عثرة فى سبيل التفاهم مع قريش على إقرار سلام معهم ، واستطاع بعد صبر طويل ، وبعد مباحثات شاقة أن يعقد معهم صلحا كانت أهم

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٢٢ .

(٥) الطبرى : جـ ٢ ص ٦٢٧ ـ ٦٢٨ .

صلــح الحديبيــة

شروطه هى :

أولا : « اصطلح الطرفان على وضع الحرب بينهما عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض » .

وبمقتضى هذا الشرط اعترفت الارستقراطية القرشية لأول مرة بالأمة الإسلامية التى كونها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد صراع عنيف فى مكة والمدينة دام حوالى عشرين عاما . وما أن ضمن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نشر السلام فى « المدينة المنورة » حتى نشط يعمل على اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتنظيمها .

ثانياً : « انه من أحب أن يدخل فى عهد محمد وعقده ، فعل ، ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش وعقدها فعل » .

وقد دخل فى عهد المسلمين بعض القبائل التى كانت تخشى قريشا ، كما دخل كثير من الناس فى الإسلام كان من أشهرهم خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وكان ذلك نصرا للمسلمين .

ثالثا : « وان محمداً يرجع عنا بأصحابه : (أى يرجع هذا العام بلا عمرة) عامه هذا ، ويدخل علينا بأصحابه من قابل ، فيقيم فيها ثلاثة ، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر : « السيوف فى القرب » .

رابعاً : « وانه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه ردّه محمد إلى وليه ، وأنه من أتى قريشا من أصحاب محمد لم يردوه »[٦] .

وقد أثارت بعض شروط هذا الصلح غيظ المسلمين ، فقد منع أحدها المسلمين من العمرة هذا العام بعد أن أصبحوا قريبين من مكة المكرمة ؛ كما كان أشد الشروط عليهم ذلك الشرط الذى يلزم المسلمين أن يعيدوا إلى كفار مكة المسلمين الذين يتمكنون من الفرار بدينهم ويصلون إلى المدينة المنورة .

وذهب عمر بن الخطاب إلى الرسول الكريم ، وسأله فى ذلك فرد عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : « أنا عبدالله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعنى » ، فذهب عمر إلى أبى بكر وسأله ، فقال له : « أيها الرجل إنه رسول الله . ولن يعصى ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه »[٧] .

وقد تأثر المسلمون تأثراً شديداً من تلك الشروط ، ومن ذلك ما رواه الطبرى عن الزبير بسنده ، كما روى عن مروان بن الحكم قولهما : (فلما فرغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قضيته قال لأصحابه : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » . قالا : « فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ؛ فلما لم يقم منهم أحد قام [أى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم] فدخل على أم سلمة ، فذكر لها مالقى من الناس . فقالت له أم سلمة : « يانبى الله اتحب ذلك ! اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنتك ، وتدعو حالقك فيحلقك . فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة حتى فعل ذلك ؛ نحر بدنته ،

البقية ص ٦٣

(٦) الطبرى حـ ٦٣٤ ـ ٦٣٥ .

(٧) كناية والمراد بالحيطة تمسك بأمره كما يتمسك الراكب بالركاب فى سرج الفرس وانظر الطبرى : حـ ٢ ص ٦٣٥ .

الحلال والحرام

في معاملات البنوك والمال

قرات في جريدة الأهرام الصادرة يوم ١٩٩١/٥/٢٩ م مقالا بهذا العنوان ، ولما لهذا المقال من الخطر ؛ لأن كاتبه هو مفتى الديار المصرية ، كان من الفرائض على ان اناقش وعلى – مجلة الأزهر – ان تنشر إحقاقا للحق الذى عهده الناس من الجامع الأزهر ، وبيانا لشرع الله الذى التبس بعض احكامه على كثير من الناس ، ونمهد بالثوابت الآتية :

١ – قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ النساء – ٢٩ . اشتملت الآية الكريمة على امرين :

الأول : النهى عن أكل أموال الناس من طريق باطلة ، ومثل لها المفسرون والفقهاء بالمال المأخوذ من طريق السرقة أو الغصب او الربا او القمار أو الغرر أو العقود الفاسدة .

الثانى : حِلُّ المال المستفاد من طريق

لفضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبو سنه

التجارة ، والتجارة هى : « عقود المعاوضة » التى يقصد منها الربح إذا كانت خالية من كل ما تقدم ؛ فلو تضمنت ربا او قماراً او غرراً او سببا آخر من اسباب فساد العقود حَرُمت وفسدت ، وكان المال المأخوذ من طريقها مشوباً . وذكر فى « إحياء علوم الدين » حـ ٢ ص ٩٣ ، أن من انواع المال الحرام : المستفاد من طريق العقود الفاسدة .

٢ – أن الربا الذى حرمه القرآن هو الزيادة فى الديْن فى مقابلة تأجيله سواء زيد عند العجز عن ادائه او اشتراط فى أول المداينة ، أجمع على هذا ائمة الاجتهاد فى كل عصر ، ويدل عليه استقراء مذاهب المسلمين والأصل فيه قوله

● الكاتب : عضو مجمع البحوث الإسلامية .

في معاملات البنوك والمال

تعالى : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ ومن ادعى غير هذا فقد خرج عن الإجماع ويسمى ربا النسيئة وهو غير ربا الفضل ، لأن ربا الفضل زيادة من غير تأجيل وربا النسيئة تأجيل سواء كان فيه زيادة أم لا .

٣ ـ الأصل فى العقود التى تجرى بين الناس ، أن ترد إلى العقود الشرعية التى جاء بها القرآن والسنة كالبيع والإجارة والمزارعة والمضاربة ما استطاع الفقهاء إلى ذلك سبيلا ، أما إذا تعذر ردها إلى عقد من هذه العقود ، فإنها تكون عقودا مستحدثة ، والأصل فيها الإباحة كعقد الاستصناع مالم تتضمن محرما كالربا والقمار والغرر ، ونمثل لذلك (بشركة أطلس) مع المصرف التجارى فإذا رسا العطاء على (شركة أطلس) فى بناء مؤسسة للدولة واحتاجت إلى قرض من المصرف على أن يشاركها فى الربح الذى ستربحه من بناء هذه المؤسسة بالنصف ، فهذا العقد يكون عقد مضاربة من غير تردد : لأنها شركة بمال من جانب وعمل من جانب فلا تجوز الشركة فى الربح إلا على الشيوع ولا يخطر ببال فقيه أن هذا عقد مستحدث ، مادام يمكن رده إلى عقد من العقود المشروعة ، وإفتاء البعض فى الحكم بالحلّ على بعض ما يعرض عليه من القضايا استنادا إلى أنه عقد مستحدث خطأ فى كثير مما قرانا .

٤ ـ أجمع الفقهاء قاطبة على أن (المضاربة) هى دفع المالك ماله إلى آخر ليتجر فيه بربح مشترك معلوم شائع أى نسبى ، وعلمنا أن التجارة التى أذن القرآن فيها هى الخالية من الربا والقمار وغيرهما من المحرمات السابقة ومن شاء فليستقرىء فى هذا كله جميع المذاهب الفقهية .

٥ ـ اعتبار الربح نسبة شائعة فى المضاربة شرط فى صحتها ثابت بالسنة والإجماع ، أما السنة فما أخرج مسلم بسنده إلى حنظلة ، قال : سألت رافع بن خديج عن كراء الأرض بالذهب والورق فقال : لا بأس به إنما كان الناس يؤاجرون على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الماذيانات ، وأقبال الجداول وأشياء من الزرع فيهلك هذا ويسلم هذا ويسلم هذا ويهلك هذا ، فلم يكن للناس كراء إلا هذا فلذلك نصر عنه ، فأما شىء معلوم مضمون فلا بأس به »[1] .

الماذيانات : قنوات الماء ، أقبال الجداول : رءوسها ، والمعروف أن الزرع يجود فى هذين الموضعين ، وقول الراوى : « معلوم مضمون » أى نصيب معلوم مضمون لكل من الشريكين ، وذلك لا يتم إلا بالشيوع ، لأن تحديد المكان قد يقطع الشركة ، والحديث وارد فى المزارعة فاستنبط منه المجتهدون جميعاً اشتراط الشيوع فى المضاربة بدلالة النص لا بالقياس : للمساواة القوية بينهما لأن كلا منهما فيه شركة فى الخارج بين مالك المال والعامل ، قال شمس الأئمة السرخسى[2] : فى الاستدلال على فساد المضاربة إذا لم يكن الربح شائعاً والأصل ماروى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه سئل عن المزارعة بما سقت السواقى والماذيانات

(١) « صحيح مسلم » ـ « كتاب البيوع » ـ باب كراء الأرض بالذهب والوَرِق .

(٢) « السرخسى ـ المبسوط » حـ ٢٢ ـ ص ٢٣ .

فأفسدها ، وكان المعنى أى العلة فيه أن ذلك الشرط يؤدى إلى قطع الشركة بينهما فى الخارج فيتعدى ذلك الحكم إلى هذا الموضع أى المضاربة بهذا المعنى ، وهو استدلال بدلالة النص فى المزارعة ، لأن العلة يفهمها كل من يفهم اللغة .

وأما الإجماع فقد نقله ابن المنذر فى كتابه الإشراف[٣] ، وابن حزم فى مراتب الاجماع[٤] ، وباستقراء المذاهب لن تجد فقيها يخالف فيه وإنما اقتصر الفقهاء فى الاستدلال على الشيوع ببيان العلة اختصاراً ، ففهم من فهم أن الاشتراط بناء على قواعد الفقهاء . والمرحوم الشيخ عبدالوهاب خلاف نقل رأيه هذا عن تفسير المنار باب « الربا المحرم بنص القرآن والربا المحرم بأحاديث الآحاد والقياس حيث قال : « ولا يدخل فيه – أى فى الربا – أيضا من يعطى آخر مالا يستغله ويجعل له من كسبه حظا معينا لأنه مخالفة لقواعد الفقهاء فى جعل الحظ معينا ... الخ »[٥] .

ولما نشر رأيه فى لواء الإسلام سنة ١٩٥١ م ردت عليه جبهة علماء الأزهر ببيان نشر فى جريدة المنبر التى كانت تصدر فى ذلك الوقت .

٦ – المضاربة فى المصارف التجارية باطلة لأن ٨٠ ٪ على الأقل من أعمالها معاملات محرمة لاشتمالها على الربا : فمن عُمُدِها التى لا تقوم إلا بها قبول الودائع بفائدة ، ومعلوم أنه اقتراض بفائدة ومنها الإقراض للأفراد والحكومات بفائدة ومن أعمالها الربوية حسم الكمبيالات وشراء السندات للحصول على فوائدها والاتجار فيها ، وتحصيل فوائدها لعملائها ، والاعتماد المستندى المبنى على القرض ، فلا المضاربة معها جائزة ، ولا تحديد الربح بالمضاربة جائز .

٧ – العقود الفاسدة لفقد شرط من شروط العقد منهى عنها وداخلة[٦] فى قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ وسواء فسرنا الفساد باصطلاح الحنفية أو الشافعية لا يجوز الاستمرار فى التعامل بها بل ينبغى متاركتها لحق الشرع وخروجا عن معصية الفساد ، وليس معنى قول العلماء (إن المضاربة الفاسدة تنقلب إجارة فاسدة يجب فيها أجر المثل) : أنه يجوز الاستمرار فى التعامل بها ؛ بل معناه أن ما وقع من التعامل حكمه أننا نستبدل الربح فى المضاربة بقيمة عادلة لعمل المضارب وهى أجرة المثل .

وبعد هذا نناقش فضيلة المفتى فيما كتب :

١ – يقول فضيلته : « تحديد الربح فى المضاربة لا دليل من السنة أو القرآن عليه كما قال الشيخ خلاف » ، الواقع أن الشيخ خلاف قلد الشيخ رشيد رضا فى هذا الرأى ، ودعوى أن الفقهاء بنوا المسألة على قواعدهم ليست بصحيحه ، لأنهم استنبطوها من سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين كما قدمنا .

٢ – يقول فضيلته : « إن تحديد الربح نافع للجانبين وليس فيه ظلم ولا إضرار لأحد بل سدّ بابه هو الإضرار » .

---

(٣) « الإشراف » – حـ ١ – ص ١٩٧ .
(٤) « مراتب الإجماع » – ص ٩٢ .
(٥) « تفسير المنار » – حـ ٣ – ص ١١٧ هذا وقد قامت مجلة الأزهر بنشر مفصل لمقالى فضيلة الشيخ عبدالوهاب خلاف – رحمه الله – وأعقبتهما بردود كبار العلماء من أعضاء الهيئة وأصدرت ذلك فى كتيب جعلته هدية عدد شعبان ١٤١٠ هـ بعنوان « الربا والقضايا المعاصرة » .
(٦) « الجصاص – أحكام القرآن – حـ ٢ – ص ١٧٢ .

الحلال والحرام

في معامـلات البنوك والمال

نقول : إذا كانت الحكمة في حرمة التحديد هي البعد عن الغرر كما هو واضح كالشمس في حديث المزارعة ، فالتحديد إضرار محض ولا مصلحة فيه لأحد ، بل فيه مفسدة ألّا يربح المال شيئا ثم يغرم المضارب لرب المال ما شرط عليه .

٣ ـ يقول فضيلته : « إن مسألة التحديد وعدمه ليست من العقائد أو العبادات التي لا يجوز التغيير فيها ؛ بل هي من المعاملات الاقتصادية » نقول : كيف لا يرى فضيلته مانعا من القول بالتحديد مستأنسا لذلك بأن هذه المسألة من المعاملات الاقتصادية وليست من العبادات ؟ وهل فرق الشارع في التحريم بين العبادات والمعاملات ؟ مع قوله ـ صلى الله عليه وسلم : « اتق المحارم تكن أعبد الناس »[7] ومع قوله : « لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به »[8] . وفضيلته يوافقنا على ذلك حين يقول إن الله أحل التجارة عن تراض « مالم تحل حراما » وقد تبين أن تحديد الربح محرم بدلالة السنة كما بينا .

٤ ـ يقول فضيلته : « قد تبدو النصوص مخالفة لمصالح الناس » ومن الأمثلة على ذلك حديث التسعير ، نقول : لم يأت النص مخالفا لمصالح الناس في حديث التسعير ؛ فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يسعر للناس حين سألوه التسعير ؛ لأن الأقوات كانت قليلة في المدينة ، وكان السعر مرتفعا ، كما أشار إلى هذا في الطرق الحكمية ص ٢٤٤ حيث ذكر من أسباب ارتفاع السعر المانعة من التسعير قلة الشيء وكثرة الخلق . ومن هنا قال جمهور الأئمة بجواز التسعير عند الحاجة ، وهو ما قال صاحب الهداية بجواز التسعير إذا تعدى التجار القيمة تعديا فاحشا .

٥ ـ يقول فضيلته : « إن لولي الأمر إذا رأى أن مصلحة الناس تقتضي أن تحدد البنوك الأرباح مقدما لمن يتعاملون معها : أن يكلفها بذلك » وقوله : « لا يوجد نص شرعي يمنع من التحديد » : **هذا القول بعد البيان الذي قدمنا : إسراف في الخروج على أدلة الشرع ومعارضة لها ، لما في المضاربة مع المصارف التجارية من الربا الصريح ولما في تحديد الربح من الغرر الواضح .**

٦ ـ يقول فضيلته : « إن تحديد الربح كان بعد دراسة من المصرف » نقول : ماذا تجدي دراسة المصرف للأسواق في معاملة محرمة لما فيها من الربا ، وهل هناك مصلحة لصاحب المال إذا علم نصيبه من مال ربوي ، فضلا عما يؤدي إليه التحديد من الغرر .

٧ ـ يقول فضيلته : « إن تحديد الربح لا يتعارض مع احتمال الخسارة ؛ لأن المصرف إذا خسر في عام ربح في آخر » نقول : هل كان مبلغ الشرع ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجهل أن زارع الأرض أو مالكها إذا حدد له النصيب ، وخسر في عام أنه يربح في عام آخر ، وأن في هذا تبريراً لتحديد النصيب بما يخرج من ناحية من الأرض أو تلك .

وما نقله فضيلته عن صاحب (المغني) هو في مضاربة واحدة قبل فسخها ؛ لأن المعقود عليه

(٧) كنز العمال جزء ١٥ (الحديث رقم ٤٣٥٠٠) .

(٨) كنز العمال جزء ٤ رقم ٩٢٧٧ .

فيها هو التجارة ، والمنظور فى التجارة هو جملة المال لا آحاده ، فلو أن تاجراً اشترى سيارتين وربح فى الأولى ألفا ، وخسر فى الثانية مائة وقيل له هل ربحت فى تجارتك يقول : نعم ربحت تسعمائة .

٨ ـ يقول فضيلته : « إن عدم تحديد الربح فى زماننا الذى خربت فيه الذمم يجعل صاحب المال تحت رحمة صاحب العمل المستثمر » نقول : لم تجر العادة أن خراب الذمم يشمل سائر الناس وسائر المصارف فما يزال فى الدنيا إيمان وأمانة ، وما يزال فى الدنيا ضمير حىّ يخاف عذاب الله ، وما يزال فى الدنيا مرشدون يحذرون الناس من الخروج عن أدلة الشرع ، وإذا كان هذا علاج خراب الذمم ، فما علاج الغرر فى المعاملة الناشىء عن تحديد الربح .

٩ ـ يقول فضيلته : « وكما تدخل الحكام الفقهاء فى تضمين الصناع بالمصلحة المرسلة ، فإن لولى الأمر أن يتدخل فى (المضاربة) ، بتحديد الربح وجعل رأس المال مضمونا على المضارب » نقول : إن مسألة جعل الربح نسبياً أو محدداً ليست مما يطبق عليه دليل المصالح المرسلة ؛ لأنها ثابتة بدلالة السنة والإجماع ، والمصالح المرسلة إنما تطبق فى مالم يرد فيه نص كمسألة ضمان الصناع ، فلا يصح إثبات التحديد بالمصلحة المرسلة لأنه مصادم للنص والإجماع كما قدمنا ولما فيه من الغرر .

ونهيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أن يبيع حاضر لباد الذى ذكره فضيلته ليس من موضوعنا ، لأن معناه : أن يجعل ساكن المدينة نفسه سمساراً لأصحاب القرى والبوادى فى بيع سلعهم لساكنى المدينة بأثمان مرتفعة أكثر مما لو باع به أصحاب القرى والبوادى أنفسهم وفى هذا إضرار بمصلحة عامة وهو ثابت بنص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

١٠ ـ يقول فضيلته : « مع تسليمنا جدلا بأن تحديد الربح مقدما يفسد عقد المضاربة ، لم يقل أحد من الأئمة بأن فساد عقد المضاربة لهذا السبب يجعل العقد معاملة ربوية ، يحرم فيها الربح الناشىء عن العمل فى المال المستثمر » نقول : صحيح أن فساد عقد المضاربة لا يجعل المضاربة معاملة ربوية ؛ لأن للربا معنى خاصا ، لكن لا يلزم من نفى كونها ربوية أن تكون حلالا ، بل هى محرمة بسبب آخر وهو فساد العقد ؛ فإن فساد العقد من أسباب تحريم المعاملة الواقع فيها عند الفقهاء ، وقد ذكرنا أن العقود الفاسدة من أسباب أكل المال بالباطل فى الآية الكريمة ، وماذكره صاحب تكملة فتح القدير : هو بيان لحكم المضاربة الفاسدة أى ما يترتب عليها من حق العامل وحق رب المال وليس معنى هذا انها معاملة حلال ؛ بل هى محرمة يجب الخروج منها ، وفسخها على الاصطلاحين بعداً عن معصية الفساد ، كما هو الشأن فى سائر العقود الفاسدة ، وهنا الانتقال من مضاربة فاسدة بتحديد ربح إلى إجارة فاسدة لجهالة الأجر .

أما الإجارة الصحيحة فهى حلال ويجب فيها الأجر المسمى .

١١ ـ يقول فضيلته : « إن البنوك التى تحدد الربح وتدعى أن ذلك هو الحلال هل أخبرت المتعاملين بنصيبهم النسبى ، نقول : إن المصارف التى شرطت على نفسها أن تتعامل بأحكام الإسلام هى المسئولة عما تعامل الناس به وعن مقداره فعليها الجواب .

الخلاصة : إن المضاربة مع المصارف التجارية فاسدة لأن ٨٠ ٪ على الأقل من معاملاتها ربوى ، وأن جعل الربح نسبيا فى المضاربة شرط ثابت بالسنة والإجماع ، وإذا غاب هذا الشرط عن بعض الكاتبين فهذا لا يؤثر على شرطيته ، وقد نبهت جبهة علماء الأزهر على هذا الشرط سنة ١٩٥١ م ، ونشر فى « مجلة الأزهر » ابتداء من شهر صفر سنة ١٤٠٩ هـ .

نظرات في كتاب

معاملات البنوك وأحكامها الشرعية

لفضيلة الدكتور: سيد محمد طنطاوى

اعجبنى فى مطلع هذا الكتاب قول مؤلفه : « إن الذين يفتون فى شأن المعاملات التى تجريها البنوك والمصارف عن جهل ، أو عن هوى ، أو عن سوء نية ، يرتكبون فى حق دينهم وفى حق امتهم افحش الأخطاء » .

وأرى أن هذه الكلمة حق وصدق ، لاشتراك الأصناف الثلاثة فى البعد عن الشريعة ، أما المفتون عن هوى أو عن سوء نية ـ وإن كان بينهما تداخل ، إذ الهوى لا يخلو من سوء نية ، وسوء النية لا يخلو من الهوى ـ فلا حيلة لنا فيهم ، إذ الهوى يعمى ويصم ، وسوء النية قلما يرد صاحبه إلى الصواب ، وهؤلاء وأولئك حسابهم على الله ، ولكن نسأل الله تعالى لهم البعد عن الهوى والغرض وأن يجعلنا وإياهم على حسن النية وسلامة الطوية ، والرجوع إلى الله تعالى .

وبعد : فإن طائفة ترى أن « إيداع الأموال فى البنوك وصناديق التوفير وأخذ الأرباح المحددة

بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور عبد العال عطوة

عليها أمر مشروع ومباح ، على أساس أن ذلك نوع من أنواع المضاربة التى أقرتها الشريعة الإسلامية .

وقد دافع مؤلف الكتاب عن هذا الرأى ، وأيده بشُبَهٍ سنذكرها فيما بعد . وقبل إيراد هذه الشبه والرد عليها ، نقول: إن المؤلف حاول أن يجد لهذا القول سنداً من أقوال فقهاء الصحابة أو التابعين، أو من فقهاء المذاهب المعتبرة الذين دونت مذاهبهم ، أو التى لم تدون ولكنها منثورة فى بطون كتب الفقه العام أو الخاص ، ولكنه لم يجد ، فلجأ إلى الاستشهاد بأحد فقهاء العصر الذى أفتى بحل فوائد دفاتر توفير البريد ، بناء على أن إيداع الأموال فى صناديق توفير البريد نوع من أنواع المضاربة ، وأن القول بأن تحديد مقدار معين من الأرباح لأحد المتعاقدين يفسد عقد المضاربة، قول لا دليل عليه من الكتاب

والسنة ، وقد نشرت هذه الفتوى بمجلة لواء الإسلام(١) .

وقد رد على هذه الفتوى فضيلة أستاذنا وشيخنا الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق ، وفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة ـ عليهما رحمة الله تعالى ـ ونشر هذا الرد بمجلة لواء الإسلام أيضاً فى الأعداد التالية للعدد المذكور بعد فترة قليلة من نشر الفتوى ، وقد بلغنى أن هذا الرد نشر أخيراً بمجلة الأزهر الغراء(٢) .

وقبل أن أدخل فى صميم الموضوع بذكر الشبه التى ساقها المؤلف لتأييد هذه الفتوى والرد عليها ، أذكر واقعة تختص ببيان هذا الموضوع وإلقاء الضوء عليه ، كان زمنها عقب هذه الفتوى ، حدثنى بها زميل لى من العلماء العاملين بالقسم الفنى بدار الإفتاء المصرية فى ذاك الوقت واسمه الشيخ بدر ـ رحمه الله تعالى حياًأوميتاً ـ وهى أنه عقب هذه الفتوى مباشرة كتبت دار الإفتاء إلى إدارة صندوق توفير البريد تسألها فيه عن حقيقة وطبيعة الأموال المودعة فى الصندوق ونشاطها الاستثمارى ، فـأفادت الإدارةُ المذكورة دارَ الإفتاء بأنها تقوم بإقراض هذه الأموال بفائدة تعطى المودعين بعضها وتأخذ هى البعض الآخر ، أى أنه لا يوجد لدى إدارة صندوق التوفير أى نشاط صناعى أو تجارى أو زراعى أو غيرها من أنواع الاستثمار المشروع ، وبالتالى لا يوجد أى عقد استثمارى بين المودعين ـ مضاربة أو غيرها ـ ولا بين إدارة الصندوق وغيرها من جهات الاستثمار ، وإنما الأرباح عبارة عن فوائد ربوية ناشئة عن عمليات الاقتراض ، وبهذا تنهار الفتوى وما بنيت عليه وقت نشر الكاتب لها بمجلة لواء الإسلام .

ونعود بعد ذلك إلى ذكر الشُبه التى أيَّد بها المؤلف جواز التحديد ومشروعيته فنقول :

الشبهة الأولى : أنه لا يوجد دليل شرعى يمنع من أن يقوم أحد المتعاقدين فى المضاربة بتحديد الربح مقدما مادام هذا التحديد قد تم بتراضيهما ، وبناء على ذلك فإنه لا مانع من أن يقوم البنك المستثمر للمال بتحديد ربح معين فى عقد المضاربة الذى يكون بينه وبين صاحب المال الذى يضعه فى البنك بقصد الاستثمار فيما أحله الله .

والرد على هذه الشبهة : أن الدليل الشرعى المانع من التحديد قائم وهو الإجماع والقياس اللذان اعترف المؤلف فى صدر كتابه بأنهما من أدلة التشريع التى لا خلاف فيها .

أما الإجماع فقد اتفق فقهاء المذاهب الأربعة وغيرها على أن تحديد مقدار معين لأحد المتعاقدين فى عقد المضاربة يفسدها ، أى أنه أمر غير مشروع فى عقد المضاربة ، ونسوق أقوال المذاهب فى ذلك :

١ ـ قال الكاسانى الحنفى : « ومن شروط المضاربة : أن يكون المشروط لكل واحد منهما من المضارب ورب المال من الربح جزءا شائعا ـ نصفا أو ثلثا أو ربعا ـ فإن شرطا عددا مقدراً ، بأن شرطا أن يكون لأحدهما مائة درهم من الربح

---

(١) العدد رقم ١١ من السنة الرابعة لسنة ١٩٥١ .

(٢) نشرت مجلة الأزهر ردود كبار العلماء ، منهم فضيلة الإمام الاكبر الأسبق الأستاذ الدكتور عبد الرحمن تاج ، والشيخ أبو زهرة ، والشيخ الطيب النجار وغيرهم ، ثم جمعت ذلك فى كتاب « الربا والقضايا المعاصرة » الذى صدر هدية مع عدد شعبان ١٤١٠ هـ .

نظرات فى كتاب

معاملات البنوك وأحكامها الشرعية

أو أقل أو أكثر ، والباقى للآخر ، لا يجوز والمضاربة فاسدة » .

[بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع جـ ٦ ص ٨٥ ، ٨٦]

٢ ـ وجاء فى (تكملة المجموع) شرح (المهذب) فى فقه الشافعية مايلى :ـ (فصل) ولا يجوز أن يختص أحدهما بدرهم معلوم ثم الباقى بينهما ، لأنه ربما لا يحصل ذلك الدرهم فيبطل حقه ، وربما لا يحصل غير ذلك الدرهم فيبطل حق الآخر » .

[تكملة المجموع شرح المهذب جـ ١٣ ص ٤١٧ ، ٤١٨]

٣ ـ ومثل ذلك جاء فى الفقه المالكى [حاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ ٣ ص ٥١٧] .

٤ ـ وجاء فى كتاب (المغنى) لابن قدامة فى الفقه الحنبلى مايلى : « مسألة » قال : « ولا يجوز أن يُجعل فى المضاربة لأحد من الشركاء فضل دراهم » .... .

قال ابن المنذر : أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على إبطال القراض ـ المضاربة ـ إذا شرط أحدهما أو كلاهما لنفسه دراهم معلومة ، وممن حفظنا ذلك عنه : مالك والأوزاعى والشافعى وأبو ثور وأصحاب الرأى » .

فهذه نصوص أصحاب المذاهب وفى بعضها التصريح بالإجماع على أنه لا يجوز تحديد الربح مقدما فى عقد المضاربة ، ولا نعلم مخالفا لهذا القول إلا شخصا طلع علينا بمقال فى مجلة لواء الإسلام بخبر هذا التحديد وذلك فى سنة ١٩٥١م وتلقفه مؤلف الكتاب حين استعصى عليه أن يجد من يجيز ذلك من فقهاء القرون الماضية ، ومعروف أن مخالفة الإجماع باطلة لا قيمة لها ولا يعول عليها ، هذا إن صدرت من مجتهد مشهود له بالاجتهاد ، فما بالك إذا كانت المخالفة من غيره .

وأما القياس : فهو قياس المضاربة التى حُدد فيها جزء معين مقدما لأحد المتعاقدين ، على عقد المزارعة التى تتم بين رب الأرض والزارع إذا دفع له الأرض ـ سواء كان معها البذر أو لا ـ على أن يزرعها ويكون لرب الأرض جزء معين من الخارج ، والباقى من الخارج بينهما مناصفة أو مرابعة أو مثالثة ، فهذه قد نهى عنها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى رواية عن رافع بن خديج ـ رواها أحمد والبخارى والنسائي ـ قال : حدثنى عمَّاي أنهما كانا يكريان الأرض على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما ينبت على الأربعاء وبشىء يستثنيه صاحب الأرض لنفسه ، قال فنهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك وفى هذا المعنى أحاديث أخرى رواها الشوكانى [نيل الأوطار جـ ٥ ص ٢٣٣]

فهذا نص نبوي على فساد المزارعة التى يستثنى فيها صاحب الأرض لنفسه شيئا من الخارج المستثمر ، لنهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك والنهي يقتضى الفساد كما تقرر فى (علم الأصول) ، فيقاس على صورة المزارعة هذه المنهى عنها المضاربة التى حُدد فيها شىء من الربح مقدما ؛ لأن رب المال فى المضاربة يقابل ويماثل رب الأرض والبذر ، والعلة الجامعة بين المضاربة والمزارعة هي تحديد جزء من الخارج المستثمر مقدما لأحد المتعاقدين فى كل منهما ،

فكما تفسد المزارعة بذلك فكذلك تفسد المضاربة به .

فهذان دليلان من أدلة التشريع الإسلامى المجمع عليها - والتى اعترف بها المؤلف فى مطلع كتابه - يفيدان عدم جواز تحديد مقدار معين من الربح لأحد المتعاقدين فى عقد المضاربة ، وأنه لو تم ذلك بين المتعاقدين - ولو برضاهما - فسد العقد ، وبذلك لا يقال : لا يوجد نص فى موضوع المسألة ، ويبنون على ذلك جواز التحديد ، ولعل المؤلف يقصد بالنص ما ورد فى الكتاب أو السنة ، فإن صح هذا فإنه لا يفيده بشىء ، لأن الإجماع والقياس من أدلة التشريع المجمع عليها ، وقد بينا آنفا أنهما لا يجيزان التحديد ، وأنه يفسد المضاربة لو وقع .

الشبهة الثانية : إن مسألة تحديد الربح مقدماً أو عدم تحديده من المعاملات الاقتصادية التى تتوقف على تراضى الطرفين فى حدود شريعة الله تعالى .

والرد على هذه الشبهة : أن التحديد ليس من شريعة الله ، وليس داخلاً فى حدودها ، وقد أقمنا الدليل على ذلك من الإجماع والقياس ، وليس التراضى وحده كافيا لإثبات شرعية المعاملة ؛ بل لابد أن يكون هذا التراضى مقارنا لبقية الشروط التى وضعها الشارع لتحقيق شرعية المعاملة ، وإلاَّ فكثير من التصرفات التى حرمها الله تعالى تقوم على التراضى كالزنا ونحوه ، ومن الشروط التى وضعها الشرع بجانب التراضى فى عقد المضاربة الشركة النسبية فى الربح وعدم تحديد مقدار معين لأحد المتعاقدين ، كما بيناه آنفا .

الشبهة الثالثة : أن شريعة الإسلام تقوم على رعاية مصالح الناس فى كل زمان ومكان ، فيجب أن تراعى ولو خالفت مراعاتها بعض النصوص ، كما فعل ذلك بعض الفقهاء الذين أجازوا لولى الأمر تسعير السلع والأقوات لما فى التسعير من المصلحة التى تعود على أفراد الأمة ، مع أن هذا التسعير مخالف لما أثر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - من عدم التسعير ، عند ما سأله بعض الصحابة أن يسعر لهم .

ثم قال المؤلف : وقياسا على ذلك فإن لولى الأمر إذا رأى أن مصلحة الناس تقتضى أن تحدد البنوك الأرباح مقدما لمن يتعاملون معها ، فله أن يكلفها بذلك ، رعاية لمصالح الناس ، وحفظاً لأموالهم وحقوقهم ، ومنعا للنزاع والخصام بين البنوك والمتعاملين معها ، وهى مقاصد شرعية معتبرة . اهـ .

أى أن المؤلف يريد أن يقول : مادام قد ساغ لبعض الفقهاء مخالفة النص للمصلحة ، فلا مانع من التحديد الذى يخالف مادل عليه الإجماع والقياس من عدم التحديد رعاية للمصلحة أيضا ، قياسا على ما رآه هذا البعض من الفقهاء فى قضية التسعير ، وهذا اعتراف ضمنى من المؤلف بعدم جواز التحديد شرعاً ، إن لم يكن اعترافا صريحا .

والرد على هذه الشبهة : أن التحديد ليس مصلحة معتبرة لمخالفته الإجماع والقياس ، وجانب المفسدة فيه أرجح من جانب المصلحة لما يؤدى إليه من الظلم والغبن على الوجه الذى بيناه فيما سبق .

ثم إن غلاء السعر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى دفع بعض الصحابة إلى طلب التسعير من رسول الله - صلى الله عليه

نظرات فى كتاب

﴿ معاملات البنوك وأحكامها الشرعية

وسلم ـ لم يكن منشؤه تحكم التجار فى الأسعار ، واستغلالهم حاجة الناس ، واستبدادهم برفع الأسعار دون سبب إلا الجشع فى الأرباح وامتلاء جيوبهم وخزائنهم بالأموال ، وإنما الغلاء الذى أشار إليه الحديث كان بسبب الظروف الاقتصادية وقلة العرض وكثرة الطلب ، فلم تكن المصلحة حينئذ فى التسعير ، وإنما كانت فى عدم التسعير ، ولذلك لم يسعر لهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعض الفقهاء الذين أجازوا التسعير قيدوا ذلك بتغالى التجار فى الأسعار وتجاوزهم القيمة الحقيقية للسلع والأقوات ، وإذاً فلم يكن منهم مخالفة حقيقية لامتناع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن ثم فلا يصح بناء التحديد على هذه القصة أو القياس عليها .

ويجب أن نعيد إلى الأذهان أمراً مهما وهو أن القول بالتحديد مبنى على أن الأموال المودعة فى البنوك أو المستثمرة عن طريقها مضاربة ، والواقع أنها ليست مضاربة؛ لأن معظم البنوك لا تستثمر هذه الأموال فى مشاريع صناعية أو زراعية أو تجارية ، وإنما تستثمرها عن طريق إقراضها بفوائد تأخذ بعضها وتعطى المودع بعضاً آخر ، وعلى ذلك فالأساس المبنى عليه التحديد أساس غير سليم أيضاً من الوجهة الشرعية .

« يتبع »

المفهوم الحيوى للهجرة - بقية

واطمأنوا فيه ، وحرصوا على أن تكون المدينة هى مثواهم الأخير ، وكرهوا أن يموت الواحد منهم فى وطنه الأول الذى هاجر منه ، وقد كان ذلك استجابة لدعوة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى دعا أن يحبب الله المدينة إلى أصحابه حتى تكون أحب إليهم من غيرها .

وقال ـ فيما يرويه ابن منظور فى لسان العرب ـ حين قدم مكة : « اللهم لا تجعل منايانا بها » .

ولقد حج سعد بن خولة مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حجة الوداع ، ومرض فى مكة وعاده النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مرضه ، ورثى له أن مات بمكة ، وقال : « اللهم امض لأصحابى هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم » ـ الاستيعاب ٢/٥٨٦ ـ

إن فى الهجرة معانى روحية سامية تنبه لها العارفون وأدركها الذائقون .. عرفوا منها معنى الأخوة الصادقة والإيثار الحميد الذى مجد الله فيه الأنصار الذين آثروا إخوانهم عليهم وقال فى ذلك : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ .. ﴾ ـ الحشر ٩ ـ

وعرفوا منها معنى السياحة التى تعلم الإنسان معنى الصبر ومغالبة النفس وقهرها ، وحملها على تحمل المشاق والصعاب ، وذلك لون من ألوان الجهاد النفسى العظيم . وعرفوا منها معنى التضحية والجهاد والفداء ..

وذاقوا بها لذة الإيمان الحق الذى أثنى الله على أصحابه بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ـ الأنفال ٧٤ ـ

البديل الإسلامي

للأدوات الربوية

في أسواق رأس المال

للأستاذ: سمير عبد الحميد رضوان *

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، خاتم المرسلين ، الذى جاء بالكتاب المبين ، وفيه يقول المولى ـ عز وجل : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ ﴾ الانعام ٣٨ .

إن رصيد الإسلام الروحى والاجتماعى والاقتصادى والقانونى وَفَّر للإنسان ـ أيا كان ـ غطاء امينا لحياته ... فى دينه وعقله ونفسه وماله وعرضه . وما على المسلم إلا ان يسبح متجاوزاً بؤرة تحلّقت حول حياته جعلته لا يرى من دينه إلا جانب العبادة ، وغفل عما سواها : فما كان فى هذا الدين من علم ، وما كان لهذا العلم من روافد سخرت الكون للإنسان ... كل ذلك غاب عن المسلم ، ولو عرفه ـ وذلك واجبه ـ لعرف ما اراد الله ـ تعالى ـ له من عزة ، وما اراد له من نعمة . ولعرف ماله من حق وما عليه من واجب ... واجب لا يرهقه ولا ينال من طاقته ، قال تعالى : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ الاعراف ٤٢ ـ وقال ـ سبحانه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَاآتَاهَا ﴾ الطلاق ٧ .

من هذا المنطلق العلمى نقدم هذه الدراسة :

لقد أسهمت أسواق راس المال فى الدول النامية فى تسرب جزء كبير من المدخرات الوطنية كان من الممكن أن يضاف إلى رصيد التراكمات الرأسمالية اللازمة لدعم الجهاز الإنتاجى ، وذلك بسبب عدم تخير المؤسسات المالية لأدوات الاستثمار التى تتفق ورغبات المولين ، وميول ومعتقدات المدخرين المحتملين .

ولقد ثبت من الدراسات والبحوث التى قدمت ونوقشت فى العديد من الندوات العلمية والتى شارك فيها لفيف من الاقتصاديين والمسئولين أن شركات توظيف الأموال قد تمكنت من استقطاب مدخرات العاملين فى الخارج ، ومدخرات القطاع العائلى والخاص بالداخل ثم حجبتها عن

* الكاتب باحث اقتصادى . والبحث فى عرض للدراسة والمناقشة بين المختصين .. مجلة الأزهر .

للأدوات الربوية فى أسواق رأس المال

التوظيف فى استثمارات طويلة الأجل عدا القليل منها .

وباستبعاد هذه الأصول من دورة الإنفاق الإنتاجى وتوجيهها لاحتياجات التشغيل لم تؤد وظيفتها كمدخرات فى عملية تكوين رأس المال الثابت ، ولم تؤد دورها بالتالى فى عملية الإنماء الاقتصادى .

لذلك فإن كل محاولة جادة وكل جهد يبذل من الآن من أجل استقطاب هذه المدخرات وعودتها إلى أوطانها لأداء وظيفتها الأصيلة فى تكوين رأس المال الثابت من شأنه معالجة الاختلالات الهيكلية وتدعيم الموازنة النقدية .

إن حاجة الاقتصاد القومى للادخار لاتكون بفرض التشريعات التى تجعل المدخر حبيسا للأساليب التقليدية ، وعلى الدولة ألا تغلق كل الطرق أمام المدخر فتضطره إلى الاكتناز أو توظيف مدخراته فى الأوعية الادخارية التى لم تحز قناعته .

لذلك فإنه من المأمول الوصول إلى صيغة مقبولة من جميع الأطراف المعنية بأمر الادخار وهم المدخرون والقائمون بالتوظيف والدولة ، وليس من المقبول ـ ونحن نسعى إلى جذب المدخرات ـ أن نطالب الآخرين بتصحيح أو تصويب مفاهيمهم لكى تتوافق مع الأدوات المالية القائمة ، وإنما المطلوب أن تطوع الأدوات المالية لتتناسب مع كل منهم .

ماهية الأداة الاستثمارية المقترحة :

ـ هى أداة استثمارية تقوم على تجزئة رأس مال المضاربة إلى صكوك ملكية ذات وحدات متساوية القيمة حيث يمثل الصك حصة شائعة فى (رأس مال المضاربة) ويجرى توزيع الأرباح على حملة الصكوك بنسبة ملكية كل منهم ، ويستفاد مما تقدم أن هذه الصكوك لاتختلف فى طبيعتها عن الأسهم العاديـة فى شركات المساهمة ، ووجه الخلاف بينها وبين الأسهم لايتعلق بطبيعة الصك وإنما بأسلوب توظيف أموال المشروع ، حيث يمتنع على شركة المضاربة الإسلامية التعامل فى محرم بيعا أو شراء أو التعامل بالفائدة أخذا أو عطاء .

الغرض من إصدارها :ـ

ـ إيجاد صيغة جديدة للاستثمار تقوم على مبدأ المشاركة فى العائد والمخاطرة .

ـ استحداث أداة مالية جديدة تسهم فى تنشيط السوق المالية فى مصر ، وتشارك مع أدوات الاستثمار القائمة فى إفساح المجال أمام أصحاب المدخرات الوطنية لاختيار الأداة الاستثمارية التى تناسب كلا منهم وتتفق وميولهم ومعتقداتهم الشرعية .

ـ المساهمة فى إزالة الأسباب التى أدت إلى تسرب جزء كبير من المدخرات الوطنية ، والذى كان من الممكن أن يضاف إلى رصيد التراكمات الرأسمالية اللازمة لدعم الجهاز الإنتاجى فيما لو تلاقت أدوات الاستثمار مع الميول والمعتقدات الشرعية .

ـ تهيئة المناخ الاستثمارى فى مصر لاستقبال المدخرات الوافدة والهاربة من مناطق التوتر والمحفوفة بالمخاطر والمهددة باندلاع الحرب .

ـ إقامة مشروع قومى كبير يتم تمويله من خلال إصدار هذه الصكوك للمساهمة فى عمليات الإنماء الاقتصادى ، والمساهمة كذلك فى حل مشكلة البطالة دون تحمل الجهة المصدرة لأية

اعباء تمويلية ثابتة من شأنها رفع تكلفة الإنتاج والتهام عوائده .

ـ لما كان معدل النمو الاقتصادى ما هو إلا حاصل نسبة المدخرات إلى معامل رأس المال ، لذلك فإن إصدار الأدوات المالية التى تجذب قطاعا عريضاً من المستثمرين من شأنه زيادة المدخرات وبالتالى نسبة النمو الاقتصادى ، الأمر الذى تصبح معه هذه المسألة مسألة قومية .

ـ تصويب المسار الذى سلكته بعض شركات توظيف الأموال وذلك من خلال توجيه مدخرات القطاع العائلى والخاص نحو استثمارات طويلة الأجل فى رأس المال الثابت بما يعنى زيادة التراكمات الراسمالية التى تسمح بزيادة المقدرة الإنتاجية للاقتصاد القومى .

الصيغة الاستثمارية :

المضاربة بمفهومها الشرعى تختلف عن المضاربة بمدلولها الاقتصادى ، فهى عقد على الشركة فى الربح بين رب المال الذى يقدم ماله وبين المضارب الذى يقدم عمله ، فيد المضارب على المال يد أمانة ، وتصرفه فى هذا المال تصرف الوكيل ، فإذا ما تحقق ربح فالمضارب شريك فى هذا الربح مع رب المال حسب شروط العقد ، وإذا لم يتحقق ربح فلاشى ، للمضارب ، وقد عرَّفها أحد الباحثين الاقتصاديين بأنها نوع من المشاركة بين صاحب الأموال وصاحب الخبرات يقدم فيها الأول ماله والثانى خبرته ويقتسمان نتائج المشروع بنسب يتفق عليها ، وهى الوسيلة الإسلامية المشروعة التى يمكن من خلالها توظيف الأموال النقدية Monetary Fands فى النشاط الاقتصادى بتحويلها إلى عنصر إنتاج من خلال عمل مشترك يقوم به صاحب المال ورب العمل معا .

وقد ذهب المالكية فى تخريجهم لعقد المضاربة إلى انه توكيل من رب المال إلى غيره لكى يتجر فيه بمعنى أن رب المال يقيم غيره مقام نفسه فى تصرف جائز معلوم ، وهو هنا الاتجار فى ماله بجزء شائع معلوم من الربح كالنصف أو الثلث أو نحوهما . ولا خلاف بين الفقهاء أو القانونيين بأن كل ما جاز للإنسان أن يتصرف فيه بنفسه جاز له أن يوكل فيه أو يتوكل(١) ، ومما لا شك فيه أن الحاجة ماسة إلى هذا العقد ، لأن الموكل (رب المال) قد يكون له مال ولا يُحسن التجارة فيه ، وقد يُحسن ولا يتفرغ ، وقد اباحها الشارع لدواعى الحاجة وتحصيلا للمصلحة .

اركان المضاربة :

وتقوم المضاربة على ستة أركان وهى :
مالك المال الذى يدفع .
والعامل الذى يأخذ .
والاتجار الذى هو عمل العامل .
والربح الذى يشتركان فيه .
والمال الذى يتجر فيه .

والإيجاب والقبول وينعقد بكل مايدل عليه ، ويكفى فيها المعاطاة عند الحنابلة ؛ فإذا أخذ العامل المال وباشر العمل فيه كان جائزاً .

شروط المضاربة .

ويتعلق بالمضاربة أيضا ثلاثة شروط منها :
ـ أن يكون رأس المال نقوداً وهذا اشتراط

---

(١) أى يقبل الوكالة .

للأدوات الربوية فى أسواق رأس المال

جمهور الفقهاء ، فلا يجوز بالعروض ولا بالديون .

ـ أن يكون رأس المال معلوم القدر والجنس والصفة عند التعاقد ، ومحدداً تحديداً نافياً للجهالة .

ـ أن يكون رأس المال مُسَلَّمًا للمضارب بمعنى تخلى رب المال عن مال المضاربة ، وإفساح المجال للمضارب لتمكينه من تحريك المال وتثميره .

الربــح :

اتفق الفقهاء على تحديد نصيب كل من صاحب المال والمضارب فى الربح عند إبرام العقد بجزء مشاع غير محدد ، وذلك بأن يكون نسبة مئوية ، أو كسراً اعتياديا لكل منهما .

الخسارة :

أما عن الخسارة فإنها تكون على رب المال ما لم يكن هناك تقصير من جانب المضارب أو تعدٍ أو مخالفة للشروط المتفق عليها ـ ففى حالة تقصير المضارب (العامل) فإن الخسارة تكون عليه فيما نقص من رأس المال ويقاس مقدار التقصير والتعدى بقدر مايمكن أن يفعله قرناؤه من التجار فى نفس الظروف وفى نفس السوق .

الأعمال التى لا يجوز للمضارب أن يعملها :

إقراض مال المضاربة أو الهبة منها .

التوقيت :

اجاز الأحناف توقيت عقد المضاربة بينما لم يجزه المالكية والشافعية ، وقد أجاز الحنفية التوقيت ؛ لأن عقد المضاربة توكيل ، والتوكيل يحتمل التخصيص بوقت دون آخر ، وقد أوضح (الكاسانى) أنه لو أخذ المال مضاربة إلى سنة جازت المضاربة .

اقسام المضاربة : المضاربة نوعان

ـ مضاربة مطلقة .
ـ مضاربة مقيدة .

المضاربة المطلقة :

ويطلق فيها تصرف العامل (المضارب) فى كل ما يرجو فيه ربحا فهذا جائز على عموم التصرف ، بمعنى إطلاق يد المضارب فى سائر التصرفات من غير تعيين للعمل أو المكان أو الزمان أو صفة العمل .

المضاربة المقيدة :

وهى التى تُغَل فيها يد العامل بتقييد تصرفاته بوجه من الوجوه أو بتعيين شىء مما يتحرر منه العامل فى المضاربة المطلقة .

دليل المضاربة المقيدة :

ما روى عن حبيب بن يسار عن ابن عباس رضى الله عنهم قال : « كان العباس إذا دفع مالاً مضاربةً اشترط على صاحبه ألا يسلك به بحراً ولا ينزل به وادياً ولا يشترى ذات كبدٍ رطبة فإن فعل ذلك فهو ضامن ، فرفع شرطه إلى النبى ـ ﷺ ـ فأجازه ، والمقصود بهذه الشروط هو الحفاظ على المال من الضياع أو الهلاك .

مجموعة البدائل المقترحة :

وفقاً للتقسيم المتقدم للمضاربة بين مطلق ومقيد فإنه يمكن طرح البدائل الآتية :

ـ صكوك مضاربة إسلامية مطلقة (عامة) .

ـ صكوك مضاربة إسلامية مخصصة لنوع معين من النشاط .

ـ صكوك مضاربة إسلامية مخصصة لمشروع معين .

النوع الأول : صكوك المضاربة الإسلامية المطلقة :

وفيها تطلق يد المضارب فى سائر الأنشطة المباحة والتى يرجو فيها ربحاً .

النوع الثانى : صكوك المضاربة الإسلامية المخصصة لنشاط معين :

ويلتزم المضارب (العامل) هنا بتوظيف أمواله فى نشاط معين كالإسكان أو صناعة الدواء أو التعدين إلخ ... ، فإن خالف ووظف أموال المضاربة فى أنشطة أخرى كان متعدياً وضامناً .

النوع الثالث : صكوك المضاربة الإسلامية المخصصة لمشروع معين :

وبمقتضاها يلتزم المضارب بتثمير أموال المضاربة فى مشروع محدد بذاته ؛ فإن تعدى ذلك إلى غيره ولو فى نفس النشاط كان متعدياً وكان بالتالى ضامناً .

ويبين من العرض المتقدم أن النوع الأول من قبيل المضاربة المطلقة والنوعين الآخرين وهما الثانى والثالث من قبيل المضاربة المقيدة ، وبينما ينفسح المجال وتتعدد روافد الاختيار أمام المضارب فى النوع الأول لتوظيف مال المضاربة فى وجوه الاستثمار التى تحقق للمشروع أعلى ربحية ممكنة ، تقل فى النوع الثانى المجالات التى يمكن أن يتحرك فيها المضارب لتثمير أموال المضاربة وتتحدد على وجه تنعدم معه فرص الاختيار فى النوع الثالث ، ومع هذا يبقى لكل نوع من المزايا النسبية ما يجعله موضع مفاضلة وتفضيل من جانب أرباب الأموال .

ولما كان أحد الأغراض المقترحة لإصدار هذه الصكوك هو إقامة مشروع قومى كبير يجرى تمويله من مدخرات العاملين المصريين فى الخارج ، والقطاع العائلى والخاص بالداخل ؛ فإن أرجح البدائل التى نراها هو البديل الثالث لعدة اعتبارات :

١ ـ أن عدم تحديد المشروع الذى سيجرى تمويله من حصيلة هذه الصكوك من شأنه إثارة شكوك الفئة المخاطبة فى إمكان توظيف أموالهم فى مجالات لا تحظى بقبولهم ، أو لا تتفق وميولهم ، أو تخالف معتقداتهم .

٢ ـ أن توظيف حصيلة الصكوك المقترحة فى مشروع قومى كبير يستوعب الفوائض المالية للعاملين فى الخارج والداخل ويستهدف زيادة الطاقة الإنتاجية ، ويعالج بعض الاختلالات الهيكلية ، ويحقق عائداً مجزياً لأصحاب رءوس الأموال من شأنه استيثاق الفئة المخاطبة من قيام الوكيل بتوظيف أموال موكله فى المجالات التى تحظى بقبوله ، ولا تعارض معتقداته ، ولاتخرج عن حدود وكالته ، وتحقق فائضاً مجزياً له ، ومنفعة قومية للبلاد ، وذلك كله بعد إعداد دراسات الجدوى والإعلان عنها فى نشرة الاكتتاب وخاصة من حيث :

ـ معدل الربح المتوقع للمشروع .

للأدوات الربوية فى أسواق رأس المال

— معدل مايتوقع أن يسهم به المشروع فى توفير فرص العمل ، والمساهمة فى حل مشكلة البطالة فى مصر .

— معدل ما يتوقع أن يضيفه المشروع إلى الدخل القومى .

— المعدل المتوقع لما يضيفه المشروع إلى الطاقة الإنتاجية .

— ما يوفره المشروع من العملات الأجنبية .

وعلى الرغم مما تقدم فإنه يظل من الممكن الجمع بين البديل الثالث والأول إذا ما توافرت للمشروع الأموال اللازمة للوفاء بالاحتياجات التمويلية لرأس المال الثابت والعامل من حصيلة الاكتتاب ، وإذا ما استبان أن هناك فائضا فى سيولة المشروع تقتضى المصلحة تشغيلها فى مختلف وجوه الاستثمار المباحة على أن يجرى تحديد أعلى نسبة يمكن توجيهها لتلك الاستثمارات فى نشرة الاكتتاب .

ونتناول فيما يلى العناصر التى اشترط الفقهاء توافرها فى صكوك المضاربة الإسلامية فى ندوة المجمع الفقهى الإسلامى المنعقد خلال الفترة من ٨/٣٠ إلى ١٩٨٧/٩/٢ .

العنصر الأول :

أن يمثل الصك ملكية حصة شائعة فى المشروع الذى أصدرت الصكوك لإنشائه أو تمويله ، وتستمر هذه الملكية طيلة المشروع من بدايته إلى نهايته .

العنصر الثانى :

يقوم العقد فى صكوك المضاربة على أساس أن شروط التعاقد تحددها نشرة الإصدار ، وأن (الإيجاب) يعبر عنه (الاكتتاب) فى هذه الصكوك وأن (القبول) يعبر عنه موافقة الجهة .

ولابد أن تشتمل نشرة الإصدار على جميع البيانات المطلوبة شرعا فى عقد القراض (المضاربة) من حيث بيان معلومية رأس المال ، وتوزيع الربح مع بيان الشروط الخاصة بذلك الإصدار على أن تتفق هذه الشروط مع الأحكام الفقهية المعتبرة .

العنصر الثالث :

أن تكون صكوك المضاربة قابلة للتداول بعد انتهاء الفترة المحددة للاكتتاب باعتبار ذلك تصرفا من المالك فى ملكه .

العنصر الرابع :

أن من يتلقى حصيلة الاكتتاب فى الصكوك لاستثمارها ، وإقامة المشروع بها هو المضارب أى عامل المضاربة ولا يملك من المشروع إلا مقدار ما قد يسهم به بشراء بعض الصكوك ، فهو رب مال بما أسهم به ، بالإضافة إلى أن المضارب شريك فى الربح بعد تحققه بنسبة الحصة المحددة فى نشرة الإصدار وتكون ملكيته فى المشروع على هذا الأساس ، وأن يد المضارب على حصيلة الاكتتاب فى الصكوك وعلى موجودات المشروع هى يد أمانة لا يضمن إلا بسبب من أسباب الضمان الشرعية ورتبوا على ما تقدم :

(أ) عدم جواز اشتراط مبلغ محدد لحملة الصكوك أو صاحب المشروع .

(ب) أن محل القسمة هو الربح بمعناه الشرعى وهو الزائد على رأس المال .

(جـ) يعد حساب أرباح وخسائر المشروع ويكون معلنا وتحت تصرف حملة الصكوك .

(د) ليس هناك ما يمنع شرعاً من النص فى نشرة الإصدار على اقتطاع نسبة معينة فى نهاية كل دورة ، إما من حصة حملة الصكوك فى الأرباح فى حالة وجود (تصفية) وإما من حصصهم فى الإيراد ، أو الغلة الموزعة تحت الحساب ووضعها فى احتياطى خاص لمواجهة مخاطر خسارة رأس المال .

جهة الإصدار :

يقترح أن يقوم أحد المصارف الإسلامية المسجلة فى مصر بإصدار هذه الصكوك . والترويج لها وطرحها للاكتتاب العام وخدمتها .

حجم الإصدار :

يتوقف حجم الإصدار على نوعية وحجم المشروع القومى المقترح تمويله من هذه السندات .

التوصيات

ـ نوصى بإصدار صكوك المضاربة الإسلامية المقيدة والتى يجرى تخصيصها لنشاط معين .

ـبالاتصال بهيئة الاستثمار بغرض الوقوف على المشروعات القومية ذات الأولوية ، والتى سبقت دراسة جدواها الاقتصادية ، والتى يتوقع أن يرتفع فيها معدل الكفاية الحدية لرأس المال ، وتؤدى إلى زيادة الطاقة الإنتاجية وتسهم فى حل مشكلة البطالة ، وتقلل من الاعتماد على الخارج فى استيراد السلع الاستراتيجية الأمر الذى يؤدى إلى تحسين ميزان المدفوعات .

ـبأن يتم قيد وتداول هذه الصكوك فى سوق الأوراق المالية من قبيل التيسير على حاملى الصكوك الذين يرغبون فى تصفية استثماراتهم إذا مادعت إلى ذلك حاجة أو ضرورة فضلا عن إثراء السوق وتنشيطها بهذه الأداة الاستثمارية الرائعة .

عالمية الإسلام

مدخلنا لإعلام إسلامي دولي

إعداد الأستاذ
حسن علي العنيبسي

خلاصة مانشر :

يهتم الإعلام المعادى للإسلام بصرف المسلمين عن اهداف دينهم ، وقد نجح فيما يريد إلى شاو بعيد ؛ فبين ايدى مخططيه ارقى ما انتجه التقدم العلمى فى مجال الإعلام إلى المال الوفير فالجنس الساخن فالعلم الدقيق بمجال الهدف ، ومجال مراحله ، فإذا نظرنا إلى المسلمين ، وهم الطرف المقابل ارتد الطرف وهو حسير ثم إنه بالرغم من ارباح الإعلام الغربى العظمى من اموال المسلمين ، يعنيه جدا التمهيد لكل فرية ضد الإسلام ، وما العهد ببعيد فى قضية سلمان رشدى ، ولاعذر للمسلمين إطلاقا ... فلا قلة فى المال .. ولا عجز يمنع من استخدام التكنولوجيا الحديثة ... ولا جهل يمنع من تخطيط مقابل يرد الكيد ، ويجلى عن وجه الإسلام هذه (الفِرَى) .

والإعلام الإسلامى - فى النهاية - هو إعلام محفوف بأخلاقيات هذا الدين ، يُصدِرُ عن قواعده الأمينة الملتزم بها نحو المسلمين ، ولتتضح معالم هذا الإعلام اكثر واكثر بَيِّنا ، ابتداء ، وقبل الإمعان فى الدراسة :

(ا) أن الإعلام الدينى هو الإعلام الذى يقدم مادة دينية لعقيدة ما .

(ب) وان الإعلام الإسلامى هو الذى يقدم كل وظائف الإعلام المعاصرة فى إطار اخلاقيات الإسلام وأماناته وأحكامه . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾الأنعام ١٥٢ .

(حـ) وان الإعلام الإسلامى الدينى هو المرتبط بمادة دينية إسلامية[1] كما يتبين من الشكل التوضيحى التالى :

---

(١) انظر عدد ذى القعدة ١٤١١هـ ص ١٢٤٨ .

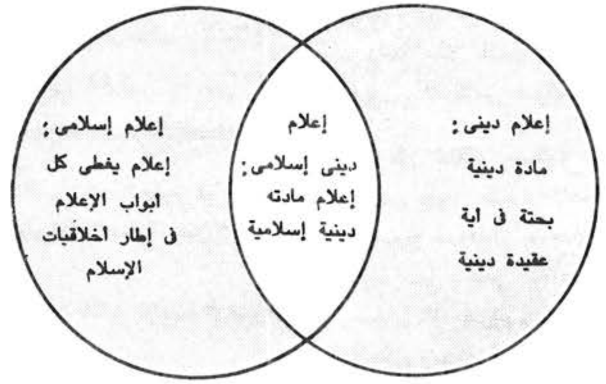

وإلى مزيد من البيان

● **اولاً : الإعلام الدينى :-**

لاشك أن الإعلام الدينى إعلام متخصص [٢] وقد يوصف بأنه نوع من الإعلام الثقافى ، ولكن طبيعة الجماهير التى يوجه إليها هى التى تحدد نوعيته وترسم لنا كيفيته .

وعندما نتحدث عن الإعلام الدينى - إسلاميا - فإننا نجده ماثلا فى قوله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [٣] .

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [٤] .

ولقد نختلف من - حيث المبدأ - مع أساتذة أجلاء سبقوا إلى تعريفه :

فالدكتور عبداللطيف حمزة يعرف هذا الإعلام بقوله : « هو الجهود التى يبذلها الناس لتأييد الأفكار الجديدة أو العقائد الجديدة أو المذاهب الجديدة ، وهو يختلف عن الدعوة التى تعبر عن جهود أصحاب العقائد الجديدة التى يبذلونها لنشر عقائدهم [٥] .

والتعريف ، إذا نوقش ، ينبغى أن نلاحظ معه دور الريادة للأستاذ الدكتور عبداللطيف حمزة فقد كانت الدراسات فى هذا اللون من فن الإعلام بين أساتذة الإعلام وليدة تكاد تكون انفاسها معدودة ، لذا نحتاط كثيرا حيال التعريف الذى يذكر (الناس) ولا يذكر (رجل إعلام) والتردد بين كلمتى (افكار ، ومذاهب) ... ولكن التعريف عموما خطوة على الطريق .

ونلاحظ أن كثيرا من أساتذة الإعلام قد عرَّف الإعلام الإسلامى على نحو نَعْرِفُ منه أنه يقصد به "الإعلام الدينى" وليس "الإعلام الإسلامى" مثل :

(٢) دكتورة نوال عمر ، دور الإعلام الدينى فى تغيير بعض قيم الأسرة الريفية والحضرية ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٤ ، ص .

(٣) المائدة ٦٧ .

(٤) النحل ١٢٥ .

(٥) د . عبداللطيف حمزة ، الإعلام فى صدر الإسلام ، ص١٠١ ، ص١٠٥ .

عالمية الإسلام مدخلنا لإعلام إسلامي دولي

١ ـ د . محيى الدين عبدالحليم فى كتابه الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية ، ص١٣٧ ، ص١٤١ .

٢ ـ د . عمارة نجيب فى كتابه الإعلام فى ضوء الإسلام ، ص١١ ، ص١٣ .

٣ ـ د . إبراهيم إمام فى كتابه « الإعلام الإسلامى المرحلة الشفهية » ص ٢٨ .

٤ ـ مجلة الندوة العالمية للشباب الإسلامى ص٤٥١ : ص٤٥٢ .

٥ ـ بيان جاكرتا الصادر عن المؤتمر الأول للإعلام الإسلامى المنشور بمجلة الإيمان المغربية ، ص٧٣ .

كذلك يلاحظ على جميع التعريفات السابقة :ـ

١ ـ أنها تعريفات حصرت وظيفة الإعلام الإسلامى فى التزويد بحقائق الدين أو تأييد العقيدة ، أو توضيح مبادىء الإسلام .

٢ ـ وأن معظم من تصدى للكتابة فى هذا المجال متخصص فى الإعلام ، ولكن معرفته بفنون الدعوة وأصول الفقه والدراسات الإسلامية محدودة .

٣ ـ لا تفرق التعريفات السابقة بين الدعوة والإعلام الإسلامى ، وبين الإعلام الإسلامى والتعليم ، والإعلام الدينى .

٤ ـ كذلك فإن هذه التعريفات فاتها أن الإعلام الإسلامى لابد أن يشمل كافة الأنشطة الإعلامية فى المجتمع الإسلامى التى تتناول جميع وظائف الإعلام من أخبار وترفيه وتثقيف وتعليم .... الخ .

ومما سبق نشير إلى تعريف محدد للإعلام الدينى الإسلامى فنراه :

« كل إعلام مستمد من القرآن والسنة مختص ببيان عقيدة الإسلام ، والدعوة إليها ، وتوضيح شريعته ، ومسار تلك الشريعة خلال سيرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته ـ رضوان الله عليهم ـ وجهود الفقهاء فى استنباط الأحكام وبيانها للناس بجميع الوسائل الإعلامية الشخصية والجماهيرية على أساس من الموعظة الحسنة .. ومن خلال جميع فنون الاتصال بدءا من المحاضرة ، وانتهاء بالاقمار الصناعية .

ثانيا الإعلام الإسلامى

مما سبق يمكن التوصل إلى تعريف للإعلام الإسلامى يستفيد من التعريفات المشار إليها على النحو التالى :ـ

هو كل ما اختص بتزويد الناس بالمعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة مشتملا على جميع أنشطة الإعلام فى المجتمع الإسلامى ، مؤديا جميع وظائفه من تثقيف وترويح وإرشاد وإخبار وتعليم ملتزما فى ذلك بمبادىء الإسلام فى جميع عملياته ومراحله وأهدافه ووسائله[٦] .

ويتميز تعريفنا هذا عما سبق بالتالى :

١ ـ الإعلام الإسلامى عملية تشمل جميع وظائف الإعلام ولايتوقف عند إبلاغ الناس بحقائق الدين فقط ، فهذه مهمة «الإعلام الدينى الإسلامى » وبناء عليه فهو ليس مجرد دروس أو مواعظ تلقى فى (الراديو) ، ولا تلك المسلسلات

(٦) حسن على : الإعلام الإسلامى الأسس والمبادىء ـ مذكرات غير منشورة للباحث القيت بالاكاديمية الإسلامية بالباكستان ، ص١٦ فى العام الجامعى ١٩٨٩/٨٨ .

التاريخية الدينية التى يخرجها الهوى وتتجاوز حقائق الأشياء .

٢ ـ الإعلام الإسلامى هو كل مايجب أن يتولاه الإعلام فى المجتمع الإسلامى من وظائف وكل مايصدر عنه من برامج وندوات وأخبار وتحقيقات ومقالات .... إلخ

٣ ـ أنه إعلام ملتزم فهو لايخرج عن أخلاقيات الإسلام فى جميع مراحله سواء فى أسلوب استقاء الأنباء أو تحريرها أو نشرها ، ولا يمكن له مهما كان السبب أن يخرج عن مبادىء الإسلام فى الجهر والصدق والعدل .

٤ ـ إن الإعلام الإسلامى يستخدم جميع وسائل الاتصال وأجهزة الاتصال المتخصصة والعامة فهو يستخدم الصحف ووكالة الأنباء العالمية والأقمار الصناعية ولا يقف عند رجل الدعوة فى خطبة جمعة فقط .

ثالثا : الإعلام الإسلامى الدولى ضرورة .. لماذا ؟

● فرض العالم الغربى المسيحى أو الشرقى الشيوعى الملحد على وسائل إعلامنا ، مضامين إعلامية غريبة على ثقافتنا ، تحمل قيما تتناقض فى جوهرها مع القيم الإسلامية ، وذلك من خلال إعلامه الدولى ، واحتكاره لوسائل الإعلام الدولية وأصبحت وسائل الإعلام فى المجتمع الإسلامى فى وضع المتلقى فقط ـ على أحسن ظروفها .

وعلى سبيل المثال :

● تمثل الصناعات الإعلامية ـ حاليا ـ فى الولايات المتحدة سوقا تقدر بحوالى ١٢٥ مليار دولار [٧] ، ولا يخفى الدور الصليبى لأمريكا فى العالم الإسلامى .

فى مقابل :

● الإنتاج المحلى للمواد الإعلامية فى الدول الإسلامية الذى لايزيد على ٢٠٪ من الإنتاج العالمى،ويأتى فى معظمه محاكاة لأفكار وإنتاج وإخراج الدول غير الإسلامية[٨] .

● حسبنا أن نعلم أن لدى يهود (٢٤٤) صحيفة منها (١٥٨) دورية ، وثلاثون دورية فى كندا ، (١١٨) صحيفة فى أمريكا اللاتينية ، كذلك لدى اليهود (٣٤٨) دورية ومجلة فى أوروبا .

● وحسبنا أن نعلم أن كبار أصحاب الصحف ورجال الإعلام فى العالم من اليهود .

هذا فى الوقت الذى يتحول فيه الإعلام فى بلاد المسلمين إلى معول هـدم للقيم والمبادىء الإسلامية بما يبثه ـ عن عمد أو فقر ـ من برامج مستوردة لتغطية مساحات زمنية ـ وما يلى ذلك من الأغانى الهابطة ومسلسلات الخيانة ، أو المقالات أو الأخبار ذات الاهتمام الفردى الذى قل أن يترك أثرا لأكثر من وقته .

ثم بعد . هل الإعلام الإسلامى الدولى ضرورة ؟.

نقول : نعم .

أولا : يواجه المسلمون اليوم فى مختلف أقطارهم ومواطنهم غزوا فكريا وثقافيا وحضاريا رهيبا ، ولم يعد هذا الغزو الحضارى الشامل مقصورا على الوسائل التقليدية للغزو من كتب

(٧) وليم ديفيدسون ، المسابقة العجيبة ، (نيويورك) ، ١٩٨٣ ، ص١٤٠ .

(٨)كتاب الأمة ، مقالات فى الدعوة والإعلام الإسلامى ـ تأليف نخبة من المفكرين ، العدد ١٨ ، ص ١٠ .

نحو إعلام إسلامي

عالمية الإسلام مدخلنا لإعلام إسلامي دولي

استشراقية ، أو مذاهب هدامة ، أو مؤامرات استعمارية ..

إن الغزو الثقافى الحضارى الموجه للأمة الاسلامية يستخدم وسائل جديدة من خلال الخبر الصحفى ، والتحليل السياسى ، والصورة التى تبثها الأقمار الصناعية .

ثانيا : سبق أن قلنا : إن المقابل الإسلامى لهذا الغزو .. لا أهمية له .

ثالثا : إذا كان الإعلام يعكس الواقع ، فإن واقع المسلمين الحالى الاجتماعى والحضارى والإعلامى ضعيف وبالتالى فإن إعلام المسلمين إعلام ضعيف .

ولذلك نرى:

● إن الإعلام الإسلامى ضرورة لتوضيح الصورة الحقيقية للمجتمع الإسلامى إزاء ماينشر ومايذاع من وسائل الإعلام الدولية غير الإسلامية .

● الإعلام الإسلامى ضرورة لتوحيد الأصوات العربية المتفرقة المتطاحنة ولنعلم أنه (إذا عَزَّ العرب عَزَّ الإسلام) .

● إن الإعلام الإسلامى ضرورة لجمع شمل المسلمين والارتفاع بمستواهم الاجتماعى والحضارى .

حنين يتصل لمهد العقيدة . بقية

ومشاعر الحج وقد تيسرت وامتدت يد العمران ووسائل الإمكان من حول الكعبة ، وفيما بين الصفا والمروة ، وعند زمزم ، وفى منى وعرفات ، حتى لكأن الجبال والوهاد والأودية تنادى الناس :

انظروا كيف كنا والنبى وصحبه يجدون المشقة والجهد فى غُدُو ورواح ، وكيف صرنا والأمن غامر ، والخير يفيض ويتكاثر ، وتصدق منة الله تعالى فى قوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ العنكبوت ٦٧ .

وقوله : ﴿ أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا ﴾ القصص/٥٧ .

وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ.الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ قريش .

وأكرم بالقرآن الكريم وهو يتحدث عن البلد الحرام فى آيات ذوات عدد من سورة البقرة وآل عمران وإبراهيم والحج .. إنها آيات تسعد الأنفس وتضاعف الشوق إلى أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا من عذاب الله يوم القيامة .

وما أعظم الأمن يتكرر صفة لذلك البيت الذى سيبقى كما تمنى إبراهيم ـ عليه السلام ـ وإلى آخر الزمان ﴿ حَرَماً آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ .

الفتاوى

إعداد: أحمد السيد تقي الدين

نقض العهد مع الله

س : يسأل كرم عبد الغني من الاسكندرية عن كفارة نقض العهد مع الله ، وهل يغفر الله هذا الذنب بعد التوبة ؟

ج : نقض العهد مع الله إن كان فيه قسم ، أى حلف بالله ، وجبت كفارة وهى إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم وإلا فصيام ثلاثة أيام . وإن لم يكن فيه قسم ، فكفارته التوبة القائمة على الإقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم الصادق على عدم العودة إليه . ومن فعل ذلك يرجى أن يغفر الله له : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (التحريم / ٨) .

مع مراعاة رد الحقوق إلى أصحابها أو طلب تنازلهم عنها ، وكذلك وجوب قضاء ما له قضاء وعوض كالصلاة والصيام .

الفرق بين الرسول والنبى

س : ما الفرق بين النبى والرسول ؟ وهل كل نبى يمكن أن يكون رسولاً وكل رسول ممكن أن يكون نبياً ؟ وكم عدد الأنبياء والرسل ؟

(يونس محمود ـ المنصورة)

ج : النبى إنسان أُوْحِىَ إليه بشرع يعمل به ولم يؤمر بتبليغه والرسول إنسان أُوْحِىَ إليه بشرع يعمل به وامر بتبليغه ، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا .

وسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبى ورسول ، قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ (الأحزاب / ٤٥) وقال جل شأنه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (الأحزاب / ٤٠) .

فجمعت الآيتان بين وصفه بالنبوة والرسالة .

وقد يحل كل لفظ محل الآخر ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴾ .

الفتـــاوى

وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الزخرف / ٦ ، ٧) .

هذا أحسن ما قيل فى الفرق بين النبى والرسول . المهم أن نجتهد فى العمل بما بلغنا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

أما عدد الأنبياء المرسلين فكثير ، قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر / ٢٤) وقال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ (غافر / ٧٨) .

ونحن لا نكلف إلا بمعرفة الخمسة والعشرين المذكورين فى القرآن الكريم ، وأكثرهم فى الآيات : ٨٣ ـ ٨٦ من سورة الأنعام ، وأولها : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا . . . ﴾ وهم ثمانية عشر يضاف إليهم سبعة وردوا فى مواضع أخرى ، نظمها بعضهم فى قوله :

فى تلك حجتنا منهم ثمـانية
من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو
إدريس هود شعيب صالح وكذا
ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

وقد ورد حديث صحيح رواه ابن حبان عن أبى ذر الغفارى أنه قال : قلت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كم عدد الأنبياء ؟ فقال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفـا (١٢٤٠٠٠) فقلت : وكم عدد الرسل ؟ فقال « ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيراً » (٣١٣) . لكن الحديث ليس متواتراً حتى على فرض صحته ، فلا يفيد إلا الظن ، والعقائد لا تؤخذ إلا باليقين .

وهناك أقوال كثيرة لا داعى لذكرها ويرجع إليها فى (الإتقان) للسيوطى .

ومعرفة ذلك تفيد المجتهدين عند الاستنباط فى معرض الناسخ والمنسوخ وغيره ، كما يفيد فى الإيمان والتعاليق كما قال علماء الفقه .

الذبح للميت

س : يسال سالم عبد الله من اسوان عن حكم الذبح للميت بعد موته فى العزاء او بعد موته باربعين يوما ؟

ج : الذبح من أجل الميت تكريما له أو اعتقادا فى شىء آخر لا يجوز ، فإنه من عادات الجاهلية . فقد روى أبو داود أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا عقر فى الإسلام » قال عبد الرازق : كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة ، وقال الخطابى : ذلك كما كان يفعل فى الدنيا من الجود والكرم ، ويتركونها للسباع والطيور ، ليكون مطعما فى مماته كما كان مطعما فى حياته .

أما الذبح لإطعام من يأتون إلى العزاء فلا وجه لحرمته ، على الا يكون من أموال القصر ، والأولى أن يساعد الناس أهل الميت فى إعداد طعام لهم لأنهم مشغولون بالحزن على الميت وكذلك فى إطعام الضيوف القادمين للعزاء .

وإذا جاز ذلك للعزاء لمدة ثلاثة أيام فيكره العزاء وما يتبعه من طعام وغيره بعد هذه الأيام الثلاثة .

صلح الحديبية - بقية

ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا ؛ حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غما)[٨] .

قال الزهرى : (فما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ـ فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضا فالتقوا ، وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يُكَلَّم أحد فى الإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه)[٩] .

وقد كان من فضل الله تعالى أن هذا الشرط الذى غضب منه المسلمون ، وفرح به المشركون ، فظنوا ـ وبعض الظن إثم ـ أنه كان مكسبا عظيما لهم ؛ كان من فضل الله أن جعله سببا من أسباب نصر المسلمين على المشركين ، وذلك أن بعض المسلمين الذين هربوا من التعذيب فى مكة ، وردهم الرسول الكريم إلى الكفار ، استطاعوا أن يفلتوا من حراسهم أثناء عودتهم بشتى الحيل ، وكونوا جماعة متعاونة متحدة أخذت تعترض سبيل قوافل قريش التجارية فتغير عليها ، وتقتل حراسها ، وتأخذ ما تحمله من تجارة .

ولم يجد كفار قريش وسيلة لاتقاء شرهم إلا أن يستجيروا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويناشدوه الله والرحم أن يكفيهم شر هؤلاء الفارين منهم ، وتنازل زعماء المشركين عن هذا الشرط تنازلا تاما ، وبدأت عودة المؤمنين الذين كانوا محتجزين عند كفار قريش ، وأنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾[١٠] .

وبعد هذه المعاهدة وانتشار السلام نتيجة لها ، تفرغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنشر الدين الإسلامى بوسائل كثيرة كان من اهمها :

١ ـ إرسال الكتب لدعوة الحكام فى شبه الجزيرة العربية وإلى الملوك خارجها يدعوها للإسلام تنفيذا لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[١١] .

٢ ـ تفرغ لمن نقض العهد معه ، فقد تم فتح « خيبر » ، و « فدك » ، و « وادى القرى » .

ولذلك كان أبو بكر يقول : « ما كان فتح أعظم فى الإسلام من فتح « الحديبية » ، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه ، والعباد يعجلون ، والله لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد » .

وصدق الله العظيم إذ أنزل على رسوله الكريم أثناء عودته للمدينة قوله تعالى :
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . لِّيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا . وَيَنصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ .

وهكـذا وصف الله السلام فى صلح « الحديبية » فتحا عظيما ونصرا عزيزا ، فاللهم إنك أنت السلام فهب للعالم كله السلام ، وهب للمسلمين جميعا السلام .

---

(٨) الطبرى : حـ ٢ ، ص ٦٣٧ .
(٩) الطبرى : حـ ٢ ، ص ٦٣٨ .
(١٠) سورة الفتح : الآية (٢٤) .
(١١) سورة سبأ : الآية (٢٨) .

فضيلة الشيخ محمد نور الحسن

عضو جماعة كبار العلماء ووكيل الأزهر الأسبق

للأستاذ / محمد الطاهر الزنكلوني

هو الشيخ / محمد نور بن الحسن ابن عبد الرحمن بن زين العابدين ابن الأزيرق ابن الأمين بن الولى الصالح العارف بالله الشيخ خوجلى عبد الرحمن الذى دفن بمدينة الخرطوم بحرى .

ولد الشيخ - رحمه الله - بقرية « الخوجلاب » بالسودان ١٣١١ هـ - ١٨٨٩ م وبدأ تلقيه للعلم - ككل المبتدئين فى ذلك الوقت - فى الكُتَّاب « الخلوة » حيث تخرج فيه حافظاً للقرآن الكريم مع شىء من علم الفقه على يد استاذه الأول الشيخ « احمد سليمان » بـ « قرية الجعليين » بمحافظة الخرطوم ، وكان عمره آنذاك لم يتجاوز الثانية عشرة . ثم اتصل بشيخ الإسلام فى ذلك الوقت الشيخ « محمد البدوى » ، وتتلمذ عليه فترة من الوقت وهناك فى مجلس العلم تشوق للرحيل إلى الأزهر وقد سمع عن شهرته ومكانته العلمية فشد الرحال إليه عام ١٩١٠ م .

وهو إذ ذاك فى العام الحادى والعشرين من عمره ، وفى الأزهر بدأ حياته العلمية الجادة حيث انقطع للتحصيل لمدة ثلاث سنين متصلة ، انصرف خلالها للتحصيل الخالص لدروسه فى عمق وأناة وصبر ، ليس يصحبه سأم ولا ملل بل رغبة صادقة وعزم أكيد حتى حصل على العالمية بمرتبة ممتازة من بين أقرانه ، وذلك على يد الأفاضل من شيوخه وأساتذته من أمثال : الشيخ مصطفى حامد ، والشيخ محمد راضى الصغير ، والشيخ محمد أبى عليان ، والشيخ عبد المجيد سليم أولئك الكبار الذين كان يفخر بهم ويعتز ، والذين وثقوا به كثيراً وطالما أنابوه عنهم فى إلقاء الدروس ، وهو لا يزال - بعد - طالباً ثقة به وركونا إلى أمانته العلمية ، وكان ذلك عام ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م .

حمل الشيخ شهادته العالية التى تحمل هذا التفوق وخرج بها إلى ميدان العمل ، فعمل

* الكاتب مدير الشئون المالية والإدارية بمجمع البحوث الإسلامية .

بالتدريس بمعاهد المملكة (حينئذ) فى شتى انحائها ولم يزل يتدرج فى أقسامها المختلفة من القسم الابتدائى إلى الثانوى إلى العالى حتى انشئت الكليات الأزهرية فنقل إلى كلية اللغة العربية ، وأسند إليه فيها تدريس « شافية ابن الحاجب » بشرح الرضى الاستراباذى ، وهى من أمهات كتب الصرف التى لا يسند تدريسها إلا إلى الثقات من فحول العربية ، ومن ذلك أيضاً كتاب « الكشاف » فى التفسير للزمخشرى وهو مرجع عال فى تفسير القرآن ، ثم لما رأى أساتذته وأصدقاؤه من أمثال الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر الأسبق والشيخ الزنكلونى عضو جماعة كبار العلماء والشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر الأسبق والشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الأسبق من نبوغه ما يؤهله للدخول فى جماعة كبار العلماء أشاروا عليه ونصحوه وألحوا عليه فى أن يقدم رسالة ينال بها عضوية جماعة كبار العلماء فنزل على رغبتهم وأعد الرسالة وقدمها للجنة المناقشة بمشيخة الأزهر التى أجازته عضواً بالجماعة، وصدر المرسوم الملكى بذلك عام ١٩٤٩ م . ثم فى عام ١٩٥٠ م وقع عليه اختيار أستاذه المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر وقتذاك ليكون مديراً لتفتيش العلوم الدينية والعربية . وفى أواخر عام ١٩٥٢ . وقع عليه الاختيار أيضاً ليكون وكيلاً للأزهر ، ومكث فى هذا المنصب إلى أن عين وكيلاً لوزارة الإرشاد القومى حين وزرها صلاح سالم أوائل عام ١٩٥٤ م . وفى أوائل عام ١٩٥٥ م طلب إحالته إلى التقاعد وإعفاءه من أعباء المنصب ، ورجع إلى التدريس بكلية اللغة العربية التى لم يرض بها بديلاً وزاول التدريس بها إلى أواخر عام ١٩٥٨ م . ثم صدر قرار جمهورى بتعيينه وكيلاً للأزهر فعمل فى هذه المرة مع صديقه الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر وقتذاك ، وظل فى هذا المنصب إلى أوائل عام ١٩٦١ م حيث طلب إحالته إلى التقاعد ليخلد إلى الراحة بسبب ضعف واعتلال فى صحته ، وفى أوائل عام ١٩٦٢ م ، صدر قرار جمهورى مرة أخرى بتعيينه عضواً فى « مجمع البحوث الإسلامية » فظل عاملاً به إلى أن لقى ربه .

هذا وقد حفلت حياة الشيخ ـ رحمه الله ـ بالنشاط العلمى إلى جانب التدريس فله من المؤلفات رسائل وبحوث وتحقيقات تعد من النفائس وإن قلت حجما وعددا ، ومن ذلك :

رسالته فى « تفسير سورة النجم » . التى نال بها عضوية جماعة كبار العلماء .

و« الاجتهاد فى ماضيه وحاضره » ، قدم فى أحد مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية .

وبحث له فى « هدايا الحج وكيفية تنظيمها والاستفادة منها » .

وتحقيق ذو قيمة كبرى على كتاب هو من أمهات كتب الصرف فى العربية وهو : « شرح الرضى الاستراباذى على شافية ابن الحاجب » وهو الكتاب الذى كان قد أسند إليه تدريسه لطلبة قسم التخصص القديم ثم لطلاب « الأستاذية الدكتوراه » فى كلية اللغة العربية .

خاتمـــــة :

هذا وللشيخ ـ رحمه الله ـ دور بارز فى الحركة الوطنية فى مصر والسودان فعند قيام الثورة المصرية سنة ١٩١٩ كانت غرفته فى « رواق السنارية » مشعلاً لها تنعقد فيها اجتماعات الثوار من العناصر الوطنية جميعاً وتخرج منها المنشورات الثورية إلى كل مكان ، كما كان له دور فى « ثورة السودان عام ١٩٢٤ » . ضد المستعمر .

رحمه الله رحمة واسعة

مشاهد من الهجرة

إعداد الشاعر: رشاد محمد يوسف

ستظل الهجرة بمشاهدها وأحداثها أعظم حدث فى تاريخ الإسلام حيث انتقل مشعل الهداية من مكة إلى المدينة وانطلقت شرارة الإيمان تضىء العالم أجمع وجاء نصر الله والفتح ليغمر الدنيا بأنوار الحق والخير والسلام على يد خير أمة أخرجت للناس وهذه بعض مشاهد من الهجرة المباركة.

قال شاعر النيل حافظ إبراهيم فى أول محرم سنة ١٣٢٧ هـ :

أطل على الأكوان والخلق تنظر
هـلال رآه المسلمـون فكبـروا
تجلى لهم فى صورة زاد حسنها
على الدهر حسناً أنهـا تتكرر
وأذكـرهم يومـا أغـر محجـلا
به توج التاريخ والسعد مسفر
وهاجر فيه خير داع إلى الهدى
يحف به من قوة الله عسكر
إذا الله أحيا أمة لن يردها
إلى المـوت قهـار ولا متجبـر
رجال الغد المأمول، إنا بحاجة
إلى قـادة تبنى وشعب يعمـر
رجال الغد المأمول إنا بحاجة
إلى عـالم يدعـو وداع يذكـر

الشاعر محمد عبد الرحمن صالح الدين يناجى هجرة المختار:

يـاهجرة المختـار إنـك مـرفـأ
والهول أرغى فى الحياة وأزبدا
ومنـارة أضـواؤهـا منشـورة
ظلت لطـلاب الحقيقة مـرشدا
ذكـراك للإنسـان أورف واحة
والعيش من لفح الهجير توقدا
لى كل عام فى رياضك نزهة
أجد السكينة فى رباها والندا

ويرق وجدانى ويشرق خاطرى
فأرى بعين الروح فيك محمدا

والشاعرة وفيقة عواد سلامة تناجى موكب الذكرى : ـ

فى موكب الذكرى ترف مشاعرى
وتضوع بالأشذاء ملء خواطرى
وافى المحرم كى يعيد أريجها
فى الخافقين ـ يزفها بمفاخر
ويعيد للأذهان مشهد هجرة
لأجل مبعوث وخير مهاجر
آه من الذكرى وما تغرى به
خطراتها فى هول خطب الحاضر
المسلمون قد التقى سيفاهما
بتقاتل وتباغض وتناحر
فمتى يفيق السادرون بأرضنا
ويهاجرون إلى صفاء غامر ؟
ليعود للإسلام سابق مجده
وتقر بالأمجاد عين الناظر

اما الشاعر الكبير محمد مصطفى الماحى فيقول : ـ

سلوا الهلال كم انجابت به الظلم
واستلهموه ففى أسراره الحكم
للمسلمين به ذكرى ترددهم
إلى مفاخر تعيى دونها الكلم
أيام كان كتاب الله رائدهم
إلى الهدى وتُقَى الرحمن همهم
أيام لا خلجات النفس يوهنها
شك ولا ناصح فى الله متهم

فلا الضعيف بمأكول لذى نهم
ولا القوى بغير الحق معتصم

ثم يستطرد الشاعر الماحى قائلا : ـ

ذكرت بالهجرة الإسلام ينصره
قوم كرام فدوا بالنفس دينهم
دعاهم لمساواة يعز بها
من ليس ينجده جاه ولا نعم
دعاهم لإخاء ليس يفسده
سوء المظنة أو تودى به التهم
إن العقيدة ند للحياة فإن
ضاعت فكل حياة بعدها عدم
فهل تعود إلى الإسلام قوته
ويحزم المسلمون اليوم أمرهم
ويجمعون على الحسنى شتاتهم
فتطهر النفس والأعراض والشيم ؟

ويتحدث شاعر السويس الراحل محمد فضل إسماعيل عن عناء الرحلة فيقول : ـ

فى هجير الحر فى رمضانه
ودع المبعوث وجه الوطن
بالغ الأعداء فى إيذائه
لم يكفوا عن ضروب الفتن
خف للصديق فى لأوائه
فى قناع من نسيج الحزن
صاحبان اجتمعا يالهما
من وفيين وفاء الأبد
خلصا لله لم يثنهما
ماعرا نفسيهما من كمد

مشـاهـد مـن الهجـرة

فـارقـا أهلـهمـا مـا بـرمـا
بـالأذى فى اللـه أو بـالكيـد

ويقدم الشاعر الأستاذ محمود شاور ربيع مشهدا آخر من مشاهد الهجرة فيقول : ـ

وانظر معى « شاة » هناك هزيلة
كادت تموت وأوشكت أن تنفقا

مسح النبى بضرعها فتـدفقت
وكأنها السيـل العظيم تدفقـا

يا أم « معبد » قد سعدت بمنحة
من مسه المختار أمسى مغدقا

وعلى مشارف يثرب طلع السنا
وبدا الرسول على الأحبة مشرقا

والناقة القصواء تمضى بالهدى
وببيت أيـوب تنيـخ تـرفقـا

وتحيط بـالنور المهـاجـر أمـة
نالت به من كل خلد مرتقى

أما الشاعر الفارس محمود سامى البارودى فيكمل ابعاد الصورة قائلا : ـ

ولم يزل سائرا حتى أناف على
أعلام طيبة ذات المنظر العَمَمِ

أعظم بمقـدمه فخـرا ومنقبـة
لمعشر الأوس والأحياء من جشم

فخر يدوم لهم فضل بذكـرته
ماسارت العيس بالزوار للحرم

يوم به أرخ الإسـلام غرتـه
وادرك الدين فيه ذروة النُّجُمِ

ثم ابتنى سيد الكونين مسجده
بنيان عز فأضحى قائم الدعم

واصبحوا فى إخاء غير منصدع
على الزمـان وعز غـير منهدم

وأصبح الناس إخـوانا وعمهم
فضل من الله أحياهم من العدم

ويقدم الشاعر « رشاد محمد يوسف » :
هذا المشهد التاريخى أمام الغار

تحلقوا حول باب الغار فى فرح
حيث استقر على أعتابه الأثر

هنا محمد ، نال القوم بغيتهم
تمكنوا منه ، ضل القوم بل خسروا

أيخنق الفجر والأكوان ضارعة ؟
أيطفىء النور والأيام تنتظـر ؟

أيترك الحق يعثو كل طاغيـة
بأرضه ويسوس الشر والشرر ؟

حاشا وربـك والدنيـا بقبضته
والخلق والأمر والأرزاق والقدر

فـأنزل اللـه بالهـادى سكينته
وباض طير وأرخى نسجه الحشر

وأشرقت فى رحاب الغار بارقة
من الأمـان فلا خـوف ولاحذر

البقية ص ٧٧

العلوم الكونية

تقنية الصوتيات

الأعشاب الطبية

تقنية الاتصالات عبر الفضاء

الجديد في العلم والتقنية

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

تقنية الصوتيات

أ. د. أحمد فؤاد باشا

تناولنا فى العدد الأسبق(*) «علم الصوتيات» باعتباره احد العلوم الكونية التى تدين بنشاتها وإرساء اصولها لعلماء الحضارة الإسلامية الزاهرة، من امثال الجلدكى وابن سينا وابن المرزبان وإخوان الصفا والفخر الرازى والبيرونى والكندى وابن الهيثم وكمال الدين الفارسى وغيرهم، واوضحنا - من خلال تحليل بعض النصوص التراثية - كيف أن هؤلاء العلماء كانوا على دراية تامة بطبيعة الموجات الصوتية وشروط انتقالها وانعكاسها فى الأوساط المادية، وكيف انهم افادوا من فهمهم الواعى لأساسيات علم الصوتيات فى مجالات تطبيقية ونظرية متنوعة شملت علوم البصريات والتاليف والتصنيف، وقدموا تفسيراً مناسباً لآلية بعض مصادر الصوت وانواعه. كما انهم افادوا من نظريتهم الخاصة بظاهرة الصوت فى تطوير تقنية الهندسة الصوتية واستخدامها فيما يعرف الآن باسم «الصوتيات المعمارية».

هندسة الصوت :

عرف علماء الحضارة الإسلامية أن الصوت عندما ينعكس عن سطح مقعّر فإنه يتجمع فى بؤرة محددة، شأنه فى ذلك شأن الضوء الذى ينعكس عن سطح مرآة مقعرة، وإذا أُجرى حساب دقيق لهندسة السطوح المقعرة فإنه يصبح بالإمكان تسليط الأمواج الصوتية المنعكسة وتركيزها فى اتجاهات معينة بحيث تزيد من وضوح الصوت وشدته. أما إذا لم تُراع الحسابات الدقيقة لأماكن وأبعاد السطوح المقعرة بالنسبة لأماكن إصدار الصوت واستقباله فإنه ينتج عن ذلك تشويش غير مرغوب للصوت لدى السامع بسبب التداخل الذى يحدث بين الصوت الذى يصل من المتكلم إلى السامع مباشرة والصوت المنعكس عن السطح المقعر إلى السامع بعد مرور فترة من الزمن ..

وقد فطن المهندسون المسلمون إلى أهمية استخدام خاصية تركيز الصوت Focusing Of Sound فى أغراض البناء والتشييد، وخاصة فى المساجد الجامعة الكبيرة لنقل وتقوية صوت

(*) انظر عدد ذى القعدة ١٤١١ هـ ص ١٢٦٨ .

الخطيب والإمام فى أيام الجمعة والأعياد ، مثال ذلك مسجد أصفهان القديم ومسجد العادلية فى حلب ، وبعض مساجد بغداد القديمة ، حيث كان يُصمم سقف المسجد وجدرانه على شكل سطوح مقعرة موزعة فى زوايا المسجد وأركانه بطريقة دقيقة تضمن توزيع الصوت على جميع الأرجاء ، فيصل صوت الخطيب واضحاً دون تشويش إلى جميع المصلين على الرغم من كبر مساحة المسجد . وتبقى هذه المآثر الإسلامية خير شاهد على ريادة علماء الحضارة الإسلامية فى مجال هندسة الصوتيات التى ظلت اختصاصاً إسلامياً لعدة قرون ، وذلك قبل أن يبدأ العالم الشهير « والاس ك . سابيه » حوالى عام ١٩٠٠ م فى دراسة أسباب سوء الصفات الصوتية لقاعة محاضرات فى جامعة « هارفارد » ، وتتبع سلوك الخواص الصوتية للقاعات وحجرات عزف الموسيقى [١] .

وتستخدم خاصية تركيز الصوت فى الحضارة المعاصرة كجزء من هندسة الصوتيات ، حيث تزود المسارح وقاعات الاحتفالات الكبيرة بجدران خلفية مقعرة تعمل على ارتداد الصوت وزيادة وضوحه . ويمكن تحسين الحالة الصوتية فى القاعات باستخدام ألواح من مواد ماصة للطاقة الصوتية مثل « الفلين » و« الجبس » ونسيج « الألياف الزجاجية » Fiber Glass ، وتوضع هذه الألواح فى أماكن معينة على السقف والجدران بغرض تقليل دوىّ الصوت أو التخلص منه . وعلى الرغم من أن دوىّ الصوت بصورة زائدة عن حد معين يعتبر أمراً غير مرغوب فيه ، إلّا أن التخلص منه كلياً لا يُلجأ إليه إلا فى تصميم مايسمى بالغرف الماصة للصوت Sound Proof Rooms أو الغرف الصماء Dead Rooms التى تستخدم لأغراض خاصة ، كما فى أماكن فحص السماعات الدقيقة و« الميكروفونات » الحساسة ، أو فى غرف « استديوهات » الإذاعة والتسجيل .

من ناحية أخرى ، عندما يراد جمع الطاقة الصوتية ونقلها دون فقد تقريباً يتم استخدام أنابيب من مواد ذات معامل امتصاص ضئيل جداً على نحو ما نجد فى سماعة الطبيب مثلاً .

تقنية الصوتيات الحديثة :

يشهد تاريخ العلم والتقنية على أن علم الصوتيات بتقنياته المختلفة لم يحرز تقدماً ملحوظاً إلا مع حلول القرن التاسع عشر [٢] عندما دخل العلم مرحلة التقدير الكمى والقياس باستخدام الأجهزة المختلفة التى شهدت بدورها تقدماً مماثلاً ، فقد ابتكر عالم الطبيعيات فيليب

---

(١) تاريخ العلم والتكنولوجيا ، الجزء الثانى : القرنان الثامن عشر والتاسع عشر ، تأليف : ر . ج . فوربس ، أ . ج . ديكستر هوز ، ترجمة : أسامة أمين الخولى ، مراجعة : محمد مرسى أحمد ، سلسلة الألف كتاب (الثانى) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ ، ص ٦٨ .

وتجدر الإشارة إلى ما جاء فى هذا الكتاب من اعتبار « سابين » رائداً فى مجال بناء قاعات استماع الموسيقى على أساس علمى ، وكنا نتمنى أن ينوه فى الترجمة العربية على الأقل إلى الريادة الحقيقية لعلماء المسلمين فى مجال هندسة الصوتيات .

(٢) ذكرنا فى مقال « علم الصوتيات » المنشور بالعدد الأسبق من مجلة الأزهر أن أولى محاولات القياسات الكمية فى مجال الصوتيات بدأت فى القرن السابع عشر باستخدام طرق تقريبية لحساب سرعة الصوت فى الهواء على أساس نظرية علماء المسلمين فى الربط بين ضوء وصوت صادرين من مصدر واحد فى نفس اللحظة . لكن تقنية القياسات الدقيقة لم تتحسن إلا خلال القرنين الأخيرين فقط .

تقنية الصوتيات

ريس ، عام ١٨٦١ م ، أول جهاز عملى قادر على نقل الكلام (تليفون) ، ولم يصبح صالحاً من الوجهة الفنية للاستخدام إلا بعد هذا بخمسة عشر عاماً ، وذلك بفضل التحسينات التى استحدثها العالمان الأمريكيان « الكسندر جراهام بل » ، و« إيليشيا جراى » ، فى نفس الوقت . ولقد تحسن « التليفون » تحسناً كبيراً مرة أخرى باستخدام جهاز « ميكروفون » حبيبات الكربون الذى اخترعه « دافيد ادوارد هيوز » . كما أن المخترع الأمريكى « توماس ألفا اديسون » قد تمكن فى عام ١٨٧٨ من ابتكار الحاكى (الجرامفون) Gramophone ، ثم تطورت بعد ذلك أساليب التسجيل وإعادة إخراج الصوت .

وقد غزت الصوتيات الحديثة مجالات أخرى تطبيقية عديدة نذكر منها على سبيل المثال :

١ ـ جهاز سبر الأعماق (السونار) ، الذى تستخدمه السفن لتحديد مواقع الأجسام تحت الماء ولسبر أعماق المياه التى تبحر فيها ، كما يستخدم فى الأغراض الحربية لاكتشاف الغواصات المعادية . وتتألف كلمة سونار Sonar من الحروف الأولى للعبارة الانجليزية Sound Navigation And Ranging التى تعنى « الإبحار وسبر الأعماق بواسطة الموجات الصوتية . يعمل السونار بطريقة مشابهة لعمل الرادار [٣] ، حيث يرسل موجات صوتية فى الماء ، وعندما يقابلها جسم فإنها تنعكس وترتد ثانية إلى الجهاز ، ويتم قياس الزمن الذى تستغرقه هذه الموجات ذهاباً وإياباً ، ثم يحسب عمق الجسم بسهولة بعد معرفة سرعة الصوت فى الماء .

٢ ـ فوق الصوتيات Ultrasonics وهو مجال علم وتقنية الأمواج الصوتية عالية التردد (أكثر من ٢٠٠٠٠ ذبذبة فى الثانية) [٤] . وذلك أن مدى ترددات الأمواج الصوتية ينقسم إلى ثلاثة أقسام تشمل مدى الموجات السمعية Sonic Waves التى تتأثر بها الأذن ، أو المدى المسموع Audible Range ، للترددات بين ٢٠ و٢٠٠٠٠ هرتز ، ومدى الأمواج تحت السمعية InFrasonic Waves ذات التردد الأقل من ٢٠ هرتز ، ومدى الأمواج فوق السمعية Ultrasonic Waves ذات التردد الأعلى من ٢٠ ألف هرتز .

وتتميز الأمواج فوق السمعية بقصر طولها الموجى مما يجعلها تنتشر فى خطوط محددة بحيث يمكن توجيهها بسهولة فى اتجاهات معينة . كما أن طاقة الأمواج فوق السمعية تتركز فى حزم ضيقة تجعل شدتها عالية وتؤهلها للاستخدام فى

---

(٣) الرادار Radar عبارة عن كشاف يستخدم الموجات « اللاسلكية » لتحديد مواقع الأجسام حتى ولو كانت على بعد مئات الكيلو مترات ، أو كانت فى الظلام أو الضباب ، وكلمة رادار تتألف من الحروف الأولى للعبارة الانجليزية Radio Detection And Ranging التى تعنى « الكشف وتحديد المدى بواسطة الراديو (اللاسلكى) » . وتستخدم السفن « الرادار » لكى « ترى » السفن الأخرى ومداخل الموانىء والعوائق الخطرة مثل جبال الجليد ، كما تستخدمه الطائرات لأغراض مشابهة ، ويستخدمه رجال « المرور » لمراقبة سرعة العربات فى الطرق العامة ، ويستخدمه علماء الفضاء لمراقبة خط انطلاق الأقمار الصناعية والسفن الفضائية الأخرى ..

(٤) يقاس التردد الموجى بعدد الذبذبات فى الثانية ، كما تستخدم وحدة الهرتز Hertz لقياس التردد تخليداً لذكرى العالم الفيزيائى « هرتز » الذى اشتهر بأبحاثه فى دراسة الأمواج الكهرومغناطيسية ، وعادة مانسمع عن وحدات أكبر لقياس التردد من بينها الكيلوهرتز = ألف هرتز ، والميجاهرتز = مليون هرتز .

أجهزة السونار ، وفى تطبيقات أخرى علمية تشمل :

(أ) فحص لحام المعادن والمسبوكات ، حيث يُقاس الاختلاف فى شدة الموجات فوق السمعية قبل وبعد مرورها خلال المادة المراد فحصها ، وبتحديد المناطق التى حدث فيها امتصاص كبير للموجات يمكن تحديد المناطق التى تحتوى على فقاعات من الهواء والتى لم يكتمل لحامها بعد .

(ب) تستخدم الموجات فوق الصوتية حالياً فى المستشفيات : للتصوير الطبى ، وفى الصناعة من أجل لحام اللدائن ، وتنظيف المواد ، وفى المنازل أحياناً ، فى أجهزة الإنذار ضد السرقة ، وفى « المبخرات » Vaporizers .

(جـ) تستخدم خاصية « التكهيف » أو « التجوف » Cavitation للأمواج فوق الصوتية فى تعقيم الماء والحليب والمواد الغذائية المختلفة ، ويتوقع استخدامها فى المستقبل القريب بنجاح عظيم فى عمل المستحلبات المستخدمة فى التحضيرات الكيميائية ، وفى تحطيم الجزئيات الضخمة فى الكيمياء العضوية ، وقد أظهرت التجارب الحديثة أن تعريض سائل لأمواج فوق صوتية يؤدى إلى تكوين فقاعات مجهرية ثم انخسافها فجأة وبعنف ، بحيث تسخن محتوياتها إلى ما يقارب درجة حرارة سطح الشمس (حوالى ٦٠٠٠°م) ، ثم تبرد خلال عدة أجزاء من المليون من الثانية (ميكروثانية) . ومثل هذه التجارب من شأنها أن تقدم للكيميائيين مصدراً جديداً للطاقة يُسيِّرون به تفاعلات كيميائية تولد مواد ومركبات جديدة .(٥) .

حياتنا بين عذوبة النغم وعذاب الضجيج

ترتاح الأذن لسماع الأصوات التى يقع ترددها فى المدى المسموع ، خاصة إذا كانت هذه الأصوات تتميز بمقادير مناسبة من حيث درجة الصوت وشدته وارتفاعه ونوعه . أما الضجيج Noise فهو مصدر إزعاج للإنسان على مر العصور ، وقد بلغ فى أيامنا هذه حداً جعل البعض يعتبره أحد أشكال التلوث البيئى ، بمعنى أنه ليس أقل خطورة على صحتنا من السموم الموجودة فى هوائنا ومياهنا .

وإذا كان التأثير الضار للضجيج يمكن أن يؤدى إلى فقدان حاسة السمع ، فإن هناك تأثيرات أخرى يمكن أن تمتد إلى باقى أجزاء الجسم ، وتؤدى إلى أمراض تصيب الأوعية الدموية والقلب والجهاز العصبى المركزى وحاسة الإبصار ، بالإضافة إلى تأثيرات أخرى نفسية واجتماعية خطيرة . وقد ظهر مؤخراً بعض التقدم فى ميدان مكافحة هذه المشكلة ، وبدأت بعض البلدان والمنظمات فى وضع تشريعات تحدد مستويات الضجيج المسموح بها فى الأماكن المختلفة ليلاً أو نهاراً .

لقد دق بالفعل ناقوس الإنذار بخطر الضجيج .. وعلى إنسان هذا العصر فى كل مكان من الأرض أن يستعد لمواجهة هذا الخطر ..!!

---

(٥) راجع مقالاً هاماً بعنوان : « التأثيرات الكيميائية للفوصوت » ، فى مجلة العلوم ، مجلد ٦ عدد ٩ (١٩٨٩) .

الأعشاب الطبية

وفوائدها فى العلاج

د. موسى مدنى مصطفى

الدعوة إلى استخدام الاعشاب الطبية فى العلاج ليست دعوة إلى التخلف ، وإنما هى دعوة إلى استعمال الماء والهواء والغذاء والدواء النقى الطاهر الذى خلقه الله تبارك وتعالى ؛ دون آثار جانبية ، والغرض منها كشف ما تحويه الطبيعة وما سخره الله لنا فيها من الخير ، والله سبحانه وتعالى هو خالق الابدان وهو اعلم بما يصلحها ؛ حتى نستعيد قوتنا ومناعتنا ، وصفاء نفوسنا .

قال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (ق - ٧) والبهيج : الحسن اللون .

وفى الصحيحين[١] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما أنزل الله من داء إلا أنزل الله له شفاء» وفى المسند من حديث ابن مسعود يرفعه : «إن الله - عز وجل - لم ينزل داءً ، إلا أنزل له شفاءً ، علمه من علمه ، وجهله من جهله»[٢] .

ويقول أبقراط - أبو الطب : « ليكن غذاؤك دواءك ، عالجوا كل مريض بنبات أرضه فهى أجلب لشفائه » .

وسار على نهجه الطبيب العربى المشهور ابن النفيس ، يؤكد ذلك فى مقولته الجامعة : « صحتك فى تنظيم غذائك ، وعليك بالحذر من اللجوء إلى الأدوية لسميتها إلا عند الضرورة القصوى » .

وقد سار على منوالهما معظم رواد الطب العربى الأفذاذ مثل : ابن سينا ، وابن زهر ، وابن رشد وحنين بن إسحاق ، وأبو على ، يحيى بن جزلة ، وأبو القاسم الزهراوى وداود

(١) البخارى ومسلم .

(٢) واخرجه ايضاً النسائى ، وابن ماجه ، والحاكم ، وابن حبان فى صحيحيهما ، والطبرانى ورجاله ثقات وهو - ايضاً - فى مسند أبى حنيفة .

الأنطاكى صاحب التذكرة وغيرهم .

ولكن ، متى وكيف بدأ استخدام الأعشاب الطبية فى العلاج ؟!

من المعلوم أن استخدام الأعشاب الطبية فى العلاج قديم قدم التاريخ (فقد استعملها الإنسان الأول) وقد دلت الحفريات والآثار على أن كهنة الفراعنة كانوا يعلمون فوائد الأعشاب الطبية ، وكيفية التداوى بها !

ولقد سجل الفراعنة فى بردياتهم بعضا من أعشابهم التى استخدموها فى العلاج ، ومن هذه البرديات بردية «هيرست» ، وبردية «أدوين سميث» ، وبردية «ايبرس» التى تصف علاجا للصداع .

تقول سطور البردية : « تدق حبوب الخروع وتخلط بالماء ثم توضع على الراس وسوف يزول الصداع كأن لم يكن » .

وكان الفراعنة يستخدمون نبات «العرعر» فى معالجة أمراض الكُلَى والمثانة ، كما استخدموا (الحنظل) كمسهل وطارد للديدان ، وهناك برديات طبية أخرى ولكنها أقل أهمية ، وقد وصف الفراعنة زيت الحلبة لمعالجة تجاعيد الشيخوخة ، اما الخروع فقد عرفوه كمسهل أيضاً ولمعالجة سقوط الشعر ، واستعملوا بذرة الكتان للآلام والأورام .

كما عرف الهنود القدماء الأعشاب ، وحذقوا فن المعالجة بها ، ولا يفوتنا أن نذكر كتابهم المسمى «ريجنيدا» والذى نوه بخصائص شفائية لأعشاب كثيرة واشتمل على دعوات من أجل الحصول على الشفاء ويقابل كتاب «ريجنيدا» عند الهنود كتاب «زندافستا» عند الفرس ، إلا أن الطب عند الفرس كان خليطا من التعاويذ والرقى وشيئا ضئيلا من المبادىء الطبية .

وفى اليونان القديمة وضع كثير من الحكماء عدة مؤلفات تعالج بالأعشاب والنباتات المختلفة ، كان ذلك فى القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد ، ونذكر من هؤلاء الحكماء أشهرهم : أبقراط ، وارسطوطاليس ، ثم جاء بعدهما جالينوس ، الذى اشتهر كثيراً حتى صار الطبيب الخاص للقيصر .. وكان «أبقراط» هو ابو الطب التجريبى بحق .. فقد كان يؤمن بالتأثير النفسى فى سرعة الشفاء ، وكان يعتقد أيضاً أنه إذا عرفت أسباب المرض امكن علاجه .. وقد قسم أبقراط العقاقير إلى أدوية تستعمل من الظاهر ؛ كالكمادات ، والزيوت ، والمراهم ، وأخرى يتناولها المريض ، منها السائل مثل الأعشاب المغلية يتجرعها مع العسل ، أو على صورة حبوب ، أو قطرات للعين ، وهى على هيئة قلم صغير تمس به العين ، أو لبوسات ، أو غيرها وكان يستعمل فى علاجه أكثر من مائتين وثلاثين من العقاقير والأعشاب .

أما فى روما القديمة ، فقد اشتهر من الأطباء فيها «كاتو» ، وكان هناك أيضاً «ديسقوريدس» ، وكان جراحا وكان مغرما بالأعشاب حتى أنه وضع كتابا أسماه «الأعشاب» ، وكان جملة ما كتبه عن الأعشاب والنباتات تسعمائة وثمانية وخمسين عقارا وعشبا ، كما وصف الحديد لعلاج نزيف الرحم ولتقوية الضعاف .

ويحسن بنا أن نشير إلى أن معظم طب أبقراط وجالينوس وديسقوريدس وأرسطو طاليس ؛ وهم أشهر اطباء اليونان القديمة كما تقدم ؛ وكذلك الطب الرومانى ، قد أخذوه عن الطب المصرى القديم .

أما العرب فقد كان للأطباء العرب باع طويل وواسع فى المعالجة بالنباتات والأعشاب ، فالشيخ ابن سينا الف كتابه المشهور «القانون» الذى

وفوائـدهـا فى الصحة والعلاج

قسم فيه الألم إلى خمس عشرة درجة ، وسجل لعلاج الأمراض فيه ما يزيد على ستين وسبعمائة دواء .

كما أن هناك من أطباء العرب «ابن البيطار» ، وهو أول عالم عربى ألم بخواص النباتات ، ووضع فيها كتابه «الجامع الكبير» الذى احتوى وصفا دقيقا لألفين منها ، ثم كتاب «المغنى فى الأدوية المفردة» ، وكتاب «الأفعال الغريبة والخواص العجيبة» ، وأخيراً كتابه «الدرة البهية فى منافع الأبدان الإنسانية» .

ومن حكماء العرب - أيضاً - أبو على يحيى بن جزلة ، الذى الف كتابا أسماه «المنهاج» ، ورتبه على الحروف الهجائية، وجمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والأدوية .. و «سابور بن سهل» ، وهو أول طبيب يضع دستوراً للأدوية، ثم جاء «الرازى» ووضع أول كتاب عن الأعشاب اليونانية بالفارسية ، وأسماه «كتاب الأبنية عن حقائق الأدوية» وصف فيه ما يقرب من خمس وثمانين وخمسمائة عشبة ، ولا يغيب عن الذهن كتاب داود الأنطاكى المسمى «تذكرة داود» ، وهو كتاب مشهور تعرفه العامة قبل الخاصة ، وكان دستوراً للعلاج والشفاء لأزمنة طويلة ، ولايزال هذا الكتاب مرجعا لكثير ممن يعملون بالطب .

كانت هذه العُجالة التاريخية التى ذكرناها سببا فى تأصل بعض الوصفات الشعبية لدى العامة ، يتناقلونها جيلاً بعد جيل ، وبعد ازدهار الكيمياء ، بدأ الطب الطبيعى والعلاج بالأعشاب والنباتات الطبية يتوارى فى عالم النسيان ، لتحل محله المخلقات الكيميائية ، وهناك ما لا يقل عن ٢٥,٠٠٠ مستحضر دوائى كيميائى على صعيد الأسواق التجارية ، هذا فضلاً عن آلاف الأدوية الطبيعية الأخرى والمستخرجة(٣) من الأعشاب والمعادن والحيوانات .

لماذا العودة إلى استخدام الأعشاب الطبية فى العلاج ؟

تبين من الدراسات التفصيلية الشاملة التى أجراها البروفيسور البريطانى «توماس ماكيون» ، فى جامعة برمنجهام ، أن العقاقير الطبية لم تحدث سوى تأثير ضئيل بصدد خفض معدلات الوفاة الناجمة عن الأمراض العصرية مثل تصلب الشرايين والسرطان ، فهذه العقاقير تساعد على احتواء الأعراض فقط ، فهى مجرد مخفضات أو مسكنات للألم ، وليست سبيلاً فعالا للعلاج القاطع ، والإنسان وحده هو الذى يملك تحقيق ذلك العلاج بصورة فعالة .

لا غرو أن يقال بحق ؛ أن الوباء الذى يجتاح العالم الآن ، هو وباء خطير يعرف باسم «المضاعفات الجانبية للدواء» كما أن هناك حالات كثيرة من تشوه الأجنة خلال الحمل ، قد حدثت نتيجة استعمال عدد من الأدوية بشكل تجريبى ، ثم أوقف استعمالها ورفعت قضايا ودفعت تعويضات !

بينما نرى على الجانب الآخر ، أن العلاج بالأعشاب الطبية ، قد نجح فى اختبار الزمن ، خلال استعماله لعدة أجيال متعاقبة ، خالياً من الآثار الجانبية، ومازال يتحدى ويقدم العون لكل من يستعمله ، لأنه خلاصة تجارب الإنسان منذ أول الخليقة وحتى الآن ، ولأنه زهيد الثمن ، فهو ينبت بمشيئة الحق تبارك وتعالى رحمة بعباده .

وفى الولايات المتحدة الأمريكية ، قام العالم الأمريكى الزنجى الأصل البروفيسور «بروس

(٣) وذلك بمعالجتها كيميائيا ثم تخرج على هيئة حبوب أو كبسولات أو معلق وخلافه حيث تصبح جاهزة للاستعمال الآدمى .

جوليان» ، بإجراء سلسلة من البحوث المستفيضة على كتب الطب الصينية القديمة ، وأهمها كتاب «الأعشاب الكبير» الذى كتب عام ١٥٦٩ قبل الميلاد ، وقد تمكن هذا الباحث من استخلاص هرمونات جنسية من نبات الطماطم ، والثوم ، وفول الصويا ، وطلع النخيل ، والزنجبيل ، والتفاح ، والكركديه ، والترمس ، والحلبة ، والقرطم ، وصنع منها إكسيرا يستخدم لتنشيط وتجديد الغدد والخلايا .

وهذا ما حدث بالفعل فى مصر ، فقد استطاع فريق من العلماء المصريين بالمركز القومى للبحوث استخلاص المادة الفعالة لبعض الأعشاب التى ورد ذكرها فى كتب الطب القديمة .

واكتشف الأطباء المصريون - مثلاً - أن نبات الخلة يفيد جداً فى توسيع الحالب ، وطرد حصوات الكلى ، وتوسيع الشريان التاجى المغذى لعضلات القلب .

ونحن لا يمكننا بهذا الكلام أن نقلل من حجم الانتصارات التى حققها الطب الحديث ، ولكننا بحاجة إلى ترشيد للمسيرة العلمية فى معالجة الأمراض وشفاء الأجسام ، فقد ابتعدنا عن الطبيعة التى وهبها الله لنا ، وبقدر ابتعادنا عنها ، بقدر شقائنا وآلامنا التى باتت تنخر عظامنا بلا رحمة ولا شفقة .

ولسوف يعود الإنسان - إن شاء الله - فى المستقبل القريب إلى أحضان الأعشاب الطبية هاربا من التلوث الكيميائى الذى صنعه بيديه ، يعود إلى جنة الله فى أرضه ، حيث الطبيعة الخالية من التلوث ، ليعيش مرة أخرى فى ظلالها ، مستعينا بكل ما منحه الله له فيها من الكنوز ، مستفيدا من الطب النباتى والرياضة البدنية ، وطب الأعشاب ، لكى يسترد قوته ، وعافيته ، وتعود إليه لياقته ، ومناعته الطبيعية .

المراجع

١ - الطب النبوى لابن قيم الجوزية .

٢ - الطب النبوى للإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى .

٣ - النباتات الطبية وإطالة عمر الإنسان أ.د/ سعد محمد خفاجى .

٤ - الصحة والعلاج فى الطبيعة والأعشاب د . سامى محمود .

٥ - التداوى بالأعشاب للدكتور أمين رويحة .

٦ - تذكرة أولى الألباب (تذكرة داود) للشيخ الحكيم داود الأنطاكى الضرير .

مشاهد من الهجرة - بقية -

والشاعر السورى الكبير عمر ابو ريشة يقدم لنا هذه الصورة :

جمعت شملها قريش وسلت
لأذى كل صعدة سمراء
وأرادت أن تنفذ البغى من أحمد
فى جنح ليلة ليلاء
أمر الوحى أن يحط خطاه
فى الدجى للمدينة الزهراء
وسرى واقتفى سراه أبو بكر
وغابا عن أعين الرقباء
وأقاما فى الغار والملأ العلوى
يرنو إليهما بالرعاء
وقفت دونه قريش حيارى
وتنزت جريحة الكبرياء
وانثنت والرياح تجأر والرمل
نثير فى الأوجه الربداء
هلل ياربا المدينة واهمى
بسخى الأظلال والأضواء

واجمعى الأوفياء إن رسول الله آت لصحبة الأوفياء

تقنيــة الاتصالات عبر الفضــاء

د. ميرفت السيد عوض *

تعتبر الاتصالات اللاسلكية - وهى الوسيلة التى يمكن عن طريقها إرسال واستقبال العلامات والإشارات والكتابة والصور والأصوات والمعلومات من أى نوع عن طريق الموجات الأثيرية - فنّاً حيّاً دائم التقدم والنماء ، كلما تقدم خطوة نحو الكمال طلب المزيد .

لا يسعنا المقام هنا لسرد التطورات التى حدثت فى طريق الاتصالات اللاسلكية منذ بدء ثورة المواصلات عام ١٨٣٨م حينما اكتشف « صموئيل مورس » أن المعلومات يمكن أن تنقل على الأسلاك إذا ما حوّلت إلى شفرة بنبضات كهربـائية خاصة ، وكان هذا بدء الاتصالات عن طريق الكهربـاء ، واعقبه العـالم « ماركونى » عام ١٨٩٥م بتمكنه من إرسال هذه الشفرة على الأثير دون استعمال الأسلاك (أى باللاسلكى) .

وقد اعتبرت هذه الوسيلة المبتكرة فى ذلك الوقت إحدى الخوارق العلمية العظيمة ودونما استرسال فى سرد تفاصيل تاريخية ، فإننا سنتعرض فى هذا المقال لما توصل إليه هذا العلم خلال السنوات الأخيرة فى مجال « مواصلات الفضاء » ، ذلك أن كل يوم يشهد تزايداً فى عدد المشتغلين فى حقول التجارة والصناعة والإعلام الذين يستخدمون الأقمار الصناعية لتسيير اعمالهم ، وكل يوم يشهد زيادة فى عدد المحطات الأرضية بوجوهها البيض وعيونها الجواحظ إلى نقاط مختلفة فى السماء .

كل ذلك يعود إلى وجود أقمار الاتصال الصناعية لأنها فتحت طرق اتصال جديدة تغطى مساحات واسعة فى وقت واحد ، توفر تسهيلات لم تتوافر من قبل بواسطة الوسائل الأرضية . والأقمار الصناعية ، توفر القدرة على إرسال الصوت والبيانات والصور المطبوعة وصور « الفيديو » و« التليفزيون » الملون من وإلى مئات أو آلاف المواقع فى إطار شبكة كبيرة متماسكة مشتركة . وكذلك لدى الأقمار الصناعية التى ترسل البرامج التليفزيونية عبر القارات وحول العالم بدون الحاجة إلى حجز مسبق ، وذلك باستخدام أجهزة الموجات الصغيرة جداً وأجهزة الإرسال الدقيقة إلى عديد من البلدان .

---

* الكاتبة : أستاذ مساعد الميكانيكا الفضائية - جامعة القاهرة

وأهم من كل شيء أن الأقمار الصناعية توفر القدرة على توفير المال ، وإذا لم تكن أقمار الاتصال الصناعية توفر تسهيلات أوفر ثمنا من الاتصالات الأرضية لن يقوم أحد بشرائها ، إلا أنهم يفعلون ذلك . واليوم يوجد حوالى مائة قمر اتصال صناعى فى مدار حول الأرض وحوالى ثمانين منها تقريباً مكرسة للاستخدام فى عوالم التجارة والصناعة والإعلام . وهذه الأقمار الصناعية التجارية توفر أرباحا لمالكيها وتوفر تكاليف الاتصالات بالنسبة لمستخدميها فى الوقت ذاته . إن تخفيض كلفة الاتصالات تعنى مزيداً من الأرباح بالنسبة لمستخدمى الأقمار الصناعية ، مما يفسر سبب نمو عدد أقمار الاتصال الصناعية والمحطات الأرضية .

أنواع الأقمار الصناعية :

لكى يستخدم القمر الصناعى فى الاتصالات الفضائية لاسلكيا فإن من الضرورى ـ كقاعدة أساسية ـ أن يكون منظوراً من محطتى الإرسال والاستقبال ، وعلى ذلك كلما ارتفع المدار عن سطح الكرة الأرضية كلما أمكن أداء التوصيل لمسافات أبعد وتوافر وقت أطول لقمر صناعى واحد لنفس المسافة .

وتنقسم الأقمار الصناعية إلى ثلاثة أنواع :

١ ـ القمر السلبى أو العاكس :

وهو أبسط أنواع الأقمار الصناعية ، يتخذ شكل (بالون) كبير مغطى بغلاف معدنى ولا يحتوى على أى أجهزة بداخله ، ويستخدم لمجرد عكس الإشارات اللاسلكية الواردة إليه من الأرض سواء أكانت برقية أم صوتية ، إلى جهات أخرى بعيدة عن الأرض ومن عيوب هذا النوع من الأقمار أنه يتطلب قوة كبيرة جداً لأجهزة إرسال المحطات الأرضية التى تبث إليه العلامات حتى يتسنى عكسها بقوة نحو سطح الأرض مرة أخرى ثم استقبالها .

٢ ـ القمر النشط فى مدارات مختلفة :

تحوى هذه الأقمار أجهزة للإرسال والاستقبال بواسطة القوة الكهربائية المستمدة من البطاريات الشمسية المركبة على سطح القمر الصناعى ، وتتم الاتصالات باستقبال أجهزة القمر للعلامات المشعة من محطات الإرسال الأرضية ثم تغير ترددها وتكبرها وتعيد إرسالها بأجهزة إرسال القمر حيث تستقبل فى محطات أرضية أخرى ، وبهذا فإن الأمر لا يستلزم إرسال العلامات بقوة كبيرة من الأرض ، كما أن الأجهزة اللاسلكية بالقمر الصناعى يجب أن تكون على درجة عالية جداً من الجودة والكفاءة وتحمل الأداء .

على أن القمر الذى يدور فى مدار قطبى منخفض (وقد تبين أنه الأنسب للاتصالات بين بلدان الشرق والغرب) ، أو ذلك الذى يدور فى مدار استوائى منخفض (وهو الأنسب للاتصالات بين بلدان الشمال والجنوب) ، لا يمكن أن يوفر أى منهما الاتصال بين بلدين لأكثر من مدد محددة أثناء ما يكون منظوراً من محطتى الإرسال والاستقبال . ولما كانت هذه الأقمار غير متزامنة بمعنى أنها تطلق فى مدارات مختلفة حول الأرض بغية الاقتصاد فى نفقات الصواريخ الطالقة ، فالقمر فى هذه الحالة لا يبدو ظاهراً بالنسبة إلى محطتين أرضيتين فى وقت واحد إلا لفترة قصيرة من الوقت ثم يختفى وراء الكرة الأرضية ولا يظهر ثانية إلا بعد فترة طويلة تالية ، ولذلك إذا استخدم هذا النوع من الأقمار للاتصالات المستمرة (٢٤) ساعة يوميا يجب أن نرسى مزيداً من الأقمار تكون منظورة من

تقنية الاتصالات عبر الفضاء

محطتى الإرسال والاستقبال وتظهر فى الفضاء المرئى بالتتابع . وهذا يجعل هذه الوسيلة غير ملائمة من الناحيتين الاقتصادية والحركية ، إلا انها تستخدم فى أغراض أخرى كالأرصاد الجوية والبحوث العلمية والفلكية .

٣ ـ القمر المتزامن :

هذا النوع من الأقمار يماثل الأقمار التى سَلَفَتِ الإشارة إليها إلا أنه يختلف عنها فى أجهزة الضبط والتحكم . ونظراً للارتفاع الهائل الذى يبلغه هذا النوع قبل أن ينتظم فى مداره ؛ فإن الصاروخ الحامل له تزيد تكاليفه بدرجة كبيرة . ويقابل هذا نقص ملحوظ فى تكاليف المحطة الأرضية ؛ لأن القمر ثابت فى وضعه بالنسبة لها فى الفضاء فلا يحتاج إلى هوائيات ضخمة متحركة ، بالإضافة إلى أن مدى هذا القمر كبير جداً لدرجة أن ثلاثة أقمار من هذا النوع تكفى لإيجاد اتصال مستمر عبر الفضاء بين معظم أنحاء المعمورة .

والقمر المتزامن بعد إرسائه يدور فى فلك محدود فى مستوى خط الاستواء بسرعة (٦٨٧٠) ميلاً فى الساعة وبارتفاع عن سطح الكرة الأرضية يبلغ (٢٢٣٠٠) ميل (٣٦٠٠٠ كيلومتر) ويقطع الدورة فى ٢٤ ساعة ، وبذلك يبقى متلازما مع الموقع الذى يواجهه ، ومن هنا جاءت تسميته بأنه متزامن مع دورات الأرض ، وعلى العلامات المرسلة من محطة أرضية نحو مثل هذا القمر أن تقطع (٣٦٠٠٠) كيلومتر للوصول إليه ومثلها للعودة من القمر إلى المحطة الأرضية المقابلة ، أى يلزم لها قطع مسافة (٧٢٠٠٠) كيلومتر فى الذهاب والعودة ، ومع ذلك فإن الزمن الذى تستغرقه الرحلة لا يتعدى ربع ثانية لأن سرعة الموجات اللاسلكية تبلغ (٣٠٠٠٠٠) كيلومتر فى الثانية الواحدة .

الرسم (ا) :

إن مداراً لمدة ٢٤ ساعة فوق القطبين الشمالى والجنوبى لن يكون مفيداً لأغراض الاتصالات فالقمر الصناعى ومستخدمُهُ يسافران فى اتجاهات مغايرة .

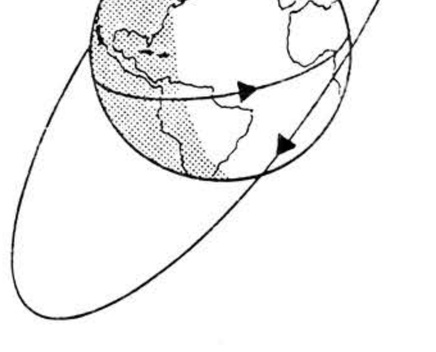

الرسم (ب) :

وكذلك فإن المدار المنحنى ليس مفيداً للسبب ذاته

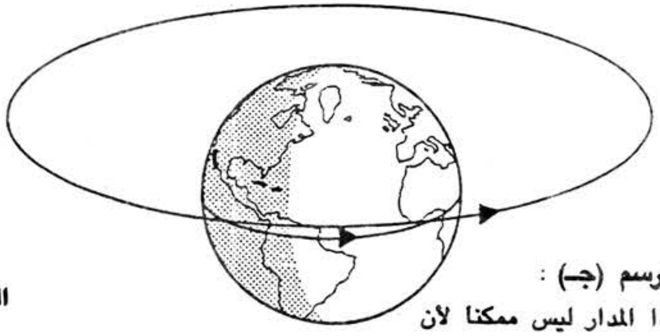

الرسم (جـ) :
هذا المدار ليس ممكنا لأن القمر الصناعى لا يكون ساقطا دائريا باتجاه مركز الكرة الأرضية

الرسم (د) :
فقط هذا المدار ، المدار الأرضى التزامنى ، هو المناسب للاتصالات

إطلاق الأقمار الصناعية :

سنعرض الآن لما يتم من خطوات لإطلاق الأقمار الصناعية المتزامنة وكيفية إرسالها فى مدارها المتزامن فوق خط الاستواء :

١ ـ يستخدم لإطلاق القمر الصناعى صاروخ ذو ثلاث مراحل له قوة دفع حوالى (٢٥٠٠٠٠) رطل ويحتوى على ٣ « موتورات » رفع كل منها (٣٥٠٠٠) رطل ، ويوضع القمر الصناعى داخل غطاء حماية بالجزء الأعلى من الصاروخ .

٢ ـ بعد الانطلاق بـ ٧٥ ثانية تكون المعززات المروحية الصلبة قد تم احتراق وقودها وانفصلت مبتعدة عن جسم الصاروخ ، ويستمر محرك المرحلة الأولى بإعطاء الدفع للمركبة التى تكون على ارتفاع (١٠,٨) ميل من سطح الأرض .

٣ ـ بعد مضى (٢٢٠,٨) ثانية من الانطلاق يتم احتراق المرحلة الأولى ، ويبدأ الاشتعال فى المرحلة الثانية ، ويكون الصاروخ قد وصل إلى ارتفاع (٨٣) ميلاً من سطح الأرض .

٤ ـ بعد (١٥) ثانية من بدء إشعال المرحلة الثانية يكون الارتفاع ٩٥ ميلاً . وعند إتمام احتراق المرحلة الثانية يكون الصاروخ قد ارتفع ٢٠٩ أميال .

٥ ـ بعد ذلك يبدأ محرك المرحلة الثالثة فى الإشعال وتكون المسافة المقطوعة ٣٦٦٩ ميلاً .

٦ ـ بعد (١٢٣٨,٩) ثانية من بدء الانطلاق يتوقف محرك المرحلة الثالثة ، وفى هذه اللحظة ينفصل القمر الصناعى عن جسم الصاروخ ويبقى فى الفضاء وحيداً ويكون قد قطع مسافة (٣٨٨٠) ميلاً .

٧ ـ يلى ذلك دوران القمر فى مدار أهليليجى مؤقت (مدار انتقالى) نهايته العظمى (٢٦٠٠٠) ميل ، والصغرى (٣٠٠) ميل كل (١١) ساعة ثم يقوم المهندسون بتدوير القمر (١٣٥°) تهيئة للمرحلة الحرجة .

٨ ـ بتوجيه أوامر عن طريق اللاسلكى من

البقية ص ٨٨

الجديد في العلم والتقنية

إعـــداد
د. نجوى السـيد أحمد

١ | شبكة « رادارات » لمراقبة الأرض وغلافها الجوى

تم إنتاج « رادار » يعمل بمساعدة الحاسبات ويتخطى مداه الأفق Over The (OTH) Horizon حيث يصل إلى ٣٢٠٠ كيلو متر ، أى حوالى عشرة أضعاف المدى الذى تغطيه « الرادارات » الأخرى . هذا « الرادار » هو الأول من بين مجموعة « رادارات » يخطط لإنشائها فى أماكن مختلفة من العالم لتشكل فى المستقبل شبكة كبيرة قادرة على مراقبة ملايين الكيلو مترات المربعة .

******

٢ | استخدامات جديدة للأشعة السينية الملونة ..

تمكن مهندسو مؤسسة أبحاث الفيزياء الفلكية فى كاليفورنيا من تطوير جهاز يقدم خدمة كبيرة لمفتشى جهاز أمن المطارات عند فحص الأمتعة بالأشعة السينية . ويستطيع هذا الجهاز الجديد التمييز بين الأجسام العضوية والأجسام غير العضوية عن طريق عرض صورها بالألوان . حيث يقوم حاسب الكترونى بتلوين الأجسام العضوية باللون البرتقالى والأجسام اللا عضوية باللون الأزرق ، ويعرضها فى آن واحد .

******

٣ | مجهر صوتى لفحص خلايا الجسم

بدأت تقنية « السونار » تشق طريقها فى مجال الأبحاث الطبية . فقد قام العلماء بابتكار تقنية جديدة للتصوير الصوتى (المجهر الصوتى) فى المختبرات الطبية ، بعد أن أصبح التصوير فوق الصوتى أسلوبا تشخيصياً روتينياً .. وللمجهر الصوتى فائدة هامة ، فبالرغم من أن استبانته تقارب استبانة المجهر الضوئى الذى يجب صَبْغ الأنسجة المراد مشاهدتها فيه مما يتسبب فى قتل الخلايا ، فالمجهر الصوتى يمكّننا من فحص الخلايا الحية دون الحاجة إلى صباغتها . وهذه الميزة مفيدة جداً فى الاختبارات الصيدلانية لأنها تفسح المجال أمام الباحثين بمراقبة تفاعلات الخلية مع عقار معين على مدى فترة زمنية محددة .

٤ | الليزر يدخل عالم الطباعة

خطا العلم خطوات سريعة تجاه الطبع الآلى ، حيث يجلس المؤلف أمام آلته فيكتب ما خطر له على شاشة ، ثم يضغط زراً فيخرج ما كتبه فى صورة صفحة من طابعة تعمل بأشعة الليزر وجاهزة لوضعها فى جهاز النسخ الذى يخرج منها الآلاف المؤلفة . وهكذا تنسخ كل صفحة يعدها المؤلف حتى تكتمل صفحات الكتاب دون حاجة إلى عمليات الصف أو الجمع والتصميم التى تتبع منذ اختراع قوالب الأحرف للطباعة .

••••••

٥ | أوراق التوت لعلاج « الروماتيزم » ..

أكدت الأبحاث أن أوراق نبات التوت لها فاعلية فى علاج أمراض الروماتيزم ، وأن المادة الفعالة فى أوراق التوت تقضى تماماً على الآلام الروماتيزمية بدون آثار جانبية ..

••••••

٦ | سيارة بدون سائق ..

نجح مهندسون أمريكيون فى إنتاج حاسبة الكترونية « كومبيوتر » غريبة مهمتها قيادة السيارات ، والتعرف على الطرق والمنحنيات ، وتحسب مسافات الحواجز بفضل « كاميرا اليكترونية » ، وهى التى تقرر السير على هذا الطريق أو ذلك واختيار أفضل الطرق وأقربها ، حسب أولويات برمجتها . فى البداية لم يكن فى إمكان هذه الحاسبة سوى قيادة عربة صغيرة تسير بسرعة ٢ كيلو متر فى الساعة ، ولكن بعد تغييرات عدة أجريت عليها أمكنها اليوم القيام بمليون عملية فى الثانية ، والسير بسرعة ٥٦ كيلو مترا فى الساعة ، دون الاصطدام بالأرصفة أو إشارات المرور أو السيارات أو المشاة ، إلا أنها لا تزال تعانى من مشكلتى الحجم الكبير والسعر المرتفع ، وسوف يساعد هذا « السائق الآلى » المعاقين فى قيادة السيارات .

••••••

٧ | أول « ترانزستور » فائق التوصيل ..

تم صنع أول « ترانزستور » له قدرة فائقة على التوصيل ويعمل فى درجات حرارة مرتفعة نسبياً مما يجعله أداة ذات فائدة هامة فى تطوير الموصلات الفائقة فى الحاسبات والأجهزة الالكترونية .

من المعروف أن العلماء لم يتمكنوا حتى الآن من صنع أسلاك سميكة قادرة على التوصيل الفائق للتيارات الكهربية الشديدة فى درجات حرارة مرتفعة ، إلا أنه أمكن التوصل إلى شرائح لهذا التوصيل عن طريق مجموعة أبحاث عديدة ، واستخدم علماء معامل « سانديا » بأمريكا شرائح توصيل عالية القدرة مركبة من عنصر « الثاليوم » مع أوكسيد النحاس لصنع « الترانزستور » الجديد .

••••••

٨ | من الفوائد الطبية لزيت الزيتون ..

يسمى زيت الزيتون بالزيت الطيب لطيبه ونقاوته وامتيازه فى التغذية ، ولونه ضارب للخضرة لوجود مادة « الكلوروفيل » به ، ويستخدم فى الأغراض الطبية لعلاج المرارة والكبد ، كما يحتوى على بعض الڤيتامينات الهامة التى تفيد فى علاج الكساح وأمراض العيون .

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

« قضاء حوائج الناس »

من كثرت نعم الله عليه ، كثرت حوائج الناس إليه ، فإن قام بما يحب الله فيها عرَّضها للدوام ، وإن لم يقم فيها بما يحب الله عرضها للزوال .

« من وصايا معاذ بن جبل »

جاء رجل إلى معاذ بن جبل - رضى الله عنه - فقال له : علمنى !

قال مُعاذ : وهل أنت مطيعى ؟ قال : إنى على طاعتك لحريص ! فقال معاذ : صم وأفطر ، وصل ونم واكتسب ، ولا تأثم ، ولا تموتنَّ إلا وأنت مسلم وإيَّاكَ ودعوة المظلوم .

« ما ظنكم »

تحسر بعض الحكماء عند موته ، فقيل : مابك ؟ فقال : ما ظنكم بمن يقطع سفرا طويلا بلا زاد ، ويسكن قبراً موحشا بلا مؤنس ، ويقدم على حكم عدل بلا حجة .

« كيف كان مجاذيبهم »

يحفظ تاريخ الأدب العربى أخبارا لبعض المجاذيب فى زمان ازدهار الدولة الإسلامية منهم :

« بهلول » و« عليان » و« سعدون » و« سحنون » و« شقران » ، وغيرهم ، وقد عزيت إليهم أشعار وأقوال أولى لها هذا الباب من الطرائف ، من ذلك ما رواه عيسى بن علىّ عن سعدون ، قال : رأيت سعدونا والصبيان يرمونه بالحجارة فصرفتهم عنه ، فقال لى بعض الصبيان : إنه يزعم أنه يرى « ربه » .

فقلت له : ما تسمع مقالة الصبيان فقال : ياأخى مذ عرفت الله ما فقدته ثم قال :

زعم الناس اننى مجنون
كيف أسلو ولى فؤاد مصون
علق القلب بالبكا فى الدياجى
وهو بالله مغرم محزون

وقال إسماعيل بن عطاء ، مررت بسعدون فلم أسلم عليه ، فنظر إلىَّ وقال :

ياذا الذى ترك السلام تعمدا
ليس السلام بضائر من سلما
إن السلام تحية مبرورة
ليست تحمل قائليها مغرما

ومن شعر سعدون - أيضا :

لئن أمسيت فى ثوبى عديم
لقد بليا على حر كريم
فلا يحزنك أن أبصرت حالا
مغيرة عن الحال القديم

« حقيقة الحب »

حقيقة الحب فى الله أن الا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء .

« كلمات فى المدائح الخلقية »

مدح أعرابى رجلا فقال : كان والله تعبا فى المكارم ، غير ضال فى طرقها ، ولا متشاغل بغيرها عنها .

وقال آخر : فلان لو وجد الكرم فى يد غيره لعلم أنه ضالة له .

ومدح بدوى رجلا فقال : كان والله صحيح النسب ، محكم الأدب ، من أى أقطاره أتيته انثنى إليك بكرم فعال ، وحسن مقال .

ومنها كأن الألسن والقلوب ريضت له فلا تنعقد إلا على وده ، ولا تنطق إلا بثنائه وحمده .

وقال بليغ : فلان من شجر لا يختلف ثمره ، ومن ماء لا يأتلف كدره .

وسأل الوزير يحيى بن خالد البرمكى عن ابنه الفضل فقال له المسئول وكان بليغا : تركته وماء الحياء ينحدر من أسارير وجهه ، وسيول الجود سائلة من فروج أنامله ، ولآلىء العلم منتشرة من مسارب منطقه .

ومن هذا الباب ما مدح به إبراهيم بن الصابى الوزير المهلبى فقال :

له يد برعت جودا بنائلها
ومنطق دره فى الطرس منتثر

فحاتم كامن فى بطن راحته
وفى أناملها سحبان مستتر

« نصيحة »

إن الله نصب شيئين : أحدهما أمر والآخر نَاه فالأول يأمر بالشر وهى النفس: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ والآخر ينهى عن الشر وهى الصلاة : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

فإذا أمرتك النفس بالمعاصى والشهوات فاستعن عليها بالصلوات .

« أريد رجلا »

قال سيدنا عمر ـ رضى الله عنه : أريد رجلا إذا كان فى القوم وهو أميرهم كان كبعضهم ، وإذا لم يكن أميرهم فكأنه أميرهم .

« رحمك الله »

وقف الأحنف على قبر الحارث بن معاوية .

فقال : رحمك الله ، كنت لا تحقر ضعيفا ، ولا تحسد شريفا .

« دعاء »

اللهم إن مغفرتك أرجى من عملى ، وإن رحمتك أوسع من ذنبى . اللهم إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فرحمتك أهل أن تبلغنى لأنها وسعت كل شىء ياأرحم الراحمين . □

فى مجلس القرآن

لفضيلة الأستاذ الشيخ / السيد الشريف

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

للاستماع إلى آيات الله البينات آداب يجب أن تتبع ولمجلس القرآن قدسية تحترم .. وقد وضع لنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذا الأساس قرآنا يتلى فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(١) .

وقد شرط العلماء السابقون شروطا يجب توافرها فى القارىء والسامع .. وهى فى جملتها تتناسب وجلال كلام ربّ العالمين ، أما ما نراه ونسمعه فى بعض مجالس القرآن فى هذه الأيام فشىء غريب معيب ينبغى التخلص منه . فليتنا نروض عواطفنا التى تحكمنا فى مثل هذه الأمور. فنكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

قال الأستاذ رحمه الله :

تعود كثير من المستمعين إلى أى الذكر الحكيم فى حفلات المآتم والذكرى وبعض المناسبات ـ أن يجلس كل منهم إلى زميله يتحدث معه جهرة ، أو بين السر والجهر ، فى شئون متنوعة ، وقد يتطرق بهما الحديث إلى تناول آخرين بالقدح وتعداد المثالب ، وقد يبلغ بهما التعمق فيه إلى أمور أقل ما يقال فى الحديث عنها أن إثارتها عمل يجافى الذوق ، ولا يساوق الطبع ، ولا يتفق وما لمجلس القرآن من مهابة وكرامة ، وتوقير وتبجيل ، ورفعة وسمو .

وقد انتقلت هذه العدوى إلى المساجد ، إذ نرى فريقا كبيراً من المصلين ، إذا ما سمعوا قارئا ، يحزمون أمرهم باتفاق ، أو على سبيل المصادفة على أن يوجهوا إليه تحية ، ليست طيبة

(١) سورة الأعراف آية ٢٠٤ .

ولا مباركة عند كل وقف أو قبله بأصوات صاخبة مدوية ، مدفوعين إلى ذلك بدافع التشجيع له ، أو التعصب لفنه ، لما بينهم من روابط وصلات ، على أن من القراء من يتخذ له بطانة تلازمه فى حله وترحاله ، تشيد بذكره ، وتنتزع الإعجاب والاستحسان من سامعيه ، حتى يعلو ذكره ، ويطير صيته ، وينبه شأنه .

وتلك حالة ، كيفما كان الباعث عليها ـ تدعو إلى الأسى والألم ـ ، ولا تتفق مع ما يجب لهذه المجالس من قدسية وجلال ، ليتوافر للجالس فيها ما يطلب منه ، من تفكير واعتبار ، وتدبر وإمعان فى أسلوب القرآن ، للوقوف على ما فيه من روعة وجزالة وقوة ورصانة ، وما يفصح عنه ، من حكمة وعظة ، وترغيب وترهيب ، ووعد ووعيد ، ودعوة حازمة إلى الطريق القويم ، وتوجيه حكيم إلى الصراط المستقيم .

وإن ما تقع عليه نواظرنا الآن فى المساجد وغيرها ، وتنقله إلينا الإذاعة ، ويسمعه العالم الإسلامى والعربى أيام الجمع من تهويش يثقل على السمع ، وتتبرم به الذاكرة التى تود أن تعى ، وتضيق له النفس التى تبغى التدبر والتأمل ، هو حرام يأثم مقترفه ، والداعى إليه ، والمحبذ له ، لأنه فضلاً عما فيه من مجافاة للذوق ، فيه مخالفة للنص الصريح ، فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وللعلماء فى المراد من هذه الآية الكريمة أقوال أصحها قول الحسن وأهل الظاهر .

إن فحوى هذه الآية على العموم فى أى وقت وفى أى موضع ومن أى قارىء قرأ القرآن ، يجب على كل أحد الاستماع والسكوت ، لأن قوله فاستمعوا وأنصتوا أمر ، وظاهر الأمر الوجوب ، فمقتضاه أن يكون الاستماع والسكوت واجبين ، والمراد من الاستماع الإصغاء ، والمقصود من الإنصات السكوت للاستماع ، بحيث يحيط السامع بذلك الكلام المسموع على الوجه الكامل ، كما قال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ .

وقد ذهب بعض العلماء إلى عدم الاكتفاء من سامع القرآن بالسكوت والإصغاء ، بل طلب منه الإجابة والقبول كما قال الزجاج ، ورأى أن هذا أوفق لتأليف النظم الكريم سابقا ولاحقا ، وأجمع للمعانى والأقوال ، فإنه تعالى لما ذكر قوله : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ تعريضاً بأن المشركين إنما استهزءوا بالقرآن ونبذوه وراءهم ظهريا ، لأنهم فقدوا البصائر وعدموا الهداية والرحمة وأن حالهم على خلاف المؤمنين ، لهذا ، أمر المؤمنين بما هو أزيد من مجرد السماع ، وهو قبوله ، والعمل بما فيه والتمسك به بألا يجاوزوه ، فيما يأتون وما يدعون ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ ، وصفة ذلك أن يشغل المؤمن قلبه بالتفكير والنظر إلى الأوامر والنواهى ، ويعتقد قبول ذلك ، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى ، اعتذر واستغفر ، وإذا مر بآية رحمة ، استبشر وسأل ، أو عذاب أشفق وتعوذ ، أو دعاء تضرع وطلب .

على أن رفع الصوت فى المساجد بالعلم والذكر وفى غير حضرة القرآن ، كرهه مالك وجماعة من العلماء ، فكيف بهذه الأصوات ترتفع قوية مجلجلة بغير العلم والذكر وفى حضرة القرآن . إنه ـ لاشك ـ ذنب عظيم وإثم كبير . يعيد إلى الذاكرة ما كان يقترفه أولئك الذين استهانوا بحرمة البيت حينما تقربوا إليه بالمكاء

والتصدية ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ اى صفيرا وتصفيقا .

وفى كنف هذه الآداب حبب الدين الحنيف للسامع أن يطلب ذا الصوت الندى الجميل . الذى يرسل إلى الآذان لحنا عذبا جميلا . يلمس الإحساس فيملأ النفس نشوة وارتياحا والقلب إيمانا ويقينا ، وقد أخرج البزار وغيره « حسن الصوت زينة القرآن » وأيضا حمد من القارىء إن لم يكن حسن الصوت أن يحسنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، بحيث لا يخرج إلى حد التمطيط الذى يتولد منه عن الفتحة ألف والضمة واو . والكسرة ياء . أو يدغم فى غير مواضع الإدغام . فإن وصل به التحسين إلى هذا الحد ، كانت القراءة حراما ، يفسق بها القارىء ، ويأثم المستمع لأنه عدل بالقرآن عن نهجه القويم ـ كما رغب إليه أن يضع نصب عينيه ، الحفاظ الشديد ، والعناية التامة بالكتاب العزيز ، فيحافظ على سلامة لفظه ويرعى ترتيب آيه ، وأن يجلس إليه خاشعا ، يزينه الوقار ، ويحوطه الحياء ، متطهرا متجملا ، وأن يحذر قطع القراءة بمكالمة أحد ، لأن كلام الله لا ينبغى أن يؤثر عليه كلام غيره ، وقد كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه ، وأن يأخذ نفسه على ترك الضحك والعبث والنظر إلى ما يلهى .

هذه بعض الآداب التى يجب أن تتوافر لمجالس القرآن ، دستور الله القويم ، ومعجزة رسوله الخالدة ، ونهجه المشرق الواضح ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

وفق الله المسلمين إلى رعاية قدره ، وهداهم إلى الخير ، وجنبهم مواطن الزلل . إنه سميع مجيب .

تقنية الاتصالات عبر الفضاء ـ بقية

محطات أرضية مخصصة لهذا الغرض يبدأ عمل محـرك صاروخى مـركب فى جسم القمر الصناعى . وهذا العمل يعطى القمر دفعاً بحيث يضعه على مدار دائرى تقريباً ويكون فى مستوى خط الاستواء بارتفاع (٢٢٣٠٠) ميل من سطح الأرض .

٩ ـ بعد بضعة أيام تضبط من الأرض (دائرية) مدار القمر ويجعل متوافقاً فى السرعة مع دوران الأرض فى نقطة مختارة مسبقاً . ويدار هوائى القمر فى حدود (١٣٠°) بحيث يعطى تغطية لاسلكية لأكثر من ثلث الكرة الأرضية أسفل منه .

والجدير بالذكر هنا أن التحدى الحضارى قد فرض نفسه على المنطقة العربية ، فقد شهد عام ١٩٨٥م دخول الأمة العربية عصر الفضاء بإيجابية إذ نجح إطلاق القمر الأول للاتصالات « عربسات ـ ١ » فى ٨ فبراير ١٩٨٥م ثم « عربسات ـ ٢ » فى ١٧ يونيه ١٩٨٥م ، وكان إطلاق القمر الأول بواسطة صاروخ من طراز « إريان » بالأسلوب التقليدى لحمل أقمار الاتصالات إلى « المدار الثابت » فوق خط الاستواء ، بينما اختلفت طريقة إطلاق القمر الثانى إذ حمله مكوك الفضاء الأمريكى « ديسكوفرى » وكانت هذه التقنية آنذاك وليدة ، ولم تطبق على كثير من الأقمار الأخرى قبله . وقد نجح القمر الثانى فى نقل شعائر الحج بدءاً من عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) من مكة المكرمة وعلى مدى الأعوام التالية ، كما نجح فى نقل الكثير من الأحداث العربية الأخرى حتى يومنا هذا .

اللغة والأدب والنقد

علماء نيجيريا

ألفاظ الحضارة

الاستشفاء بالدعاء

التعريف بمؤلفات

علماء نيجيريا

من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٨٨

إعداد
الأستاذ سليمان موسى (*)

المدخل :

فى هذه المقالة اوردنا اسماء مؤلفات علماء نيجيريا فى الأدب العربي من الفترة (١٩١٤ - ١٩٨٨ ميلادية) . ونحيط القراء علما بان (نيجيريا) عرفت فى العالم بهذا الاسم منذ سنة ١٩١٤م ، وذلك بعد ما انضم جنوبها إلى شمالها تحت رئاسة (لورد لوغارد) البريطانى[١] ومنذ تكوين نيجيريا فى ذلك العام إلى يومنا هذا ، انجبت نيجيريا المثقفين المؤهلين فى الأدب العربى . وقد ساهموا إسهاما كبيراً فى نشر الإسلام ، والدعوة إليه ، والتاليف فيه .

الأعلام الذين اتينا بمؤلفاتهم فى هذه المقالة من الذين اشتهر صيتهم علما وتقوى ، قد بذلوا جهداً كبيراً للتأليف فى الأدب العربى ، ومع أن عددهم كبير جداً ومؤلفاتهم كثيرة تكاد لا تعد ولا تحصى ، بذلنا الجهد المستطاع فى ذكر الكثير منها فى هذا البحث .

وقد رتبنا أسماء المؤلفين على الترتيب الهجائى ، وذكرنا نبذة يسيرة للتعريف ببعضهم ليكون للقارىء إلمام بقدر عن حياتهم ، وإضافة إلى ذلك ذكرنا بعض المعلومات عن كثير من المؤلفات التى أشرنا إليها لتمهيد الطريق للباحثين للحصول عليها . ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من المؤلفات التى أوردنا ذكرها (مخطوطة) وقد لا توجد نسخ منها إلا لدى المؤلف أو تلاميذه ، او فى مكتبات الجامعات ، ودور الوثائق فى نيجيريا .

١ - ابو بكر بوبى صكتو (الشيخ)[٢] .

(أ) كتاب الرسوخ .

(ب) تخميس القصيدة للشيخ عبد الرحمن السنجيطى .

---

* الكاتب محاضر بمركز الدراسات الإسلامية / جامعة عثمان بن فودى - سكتو ، نيجيريا .

(١) احمد سعيد غلادنث : حركة اللغة العربية وآدابها فى نيجيريا دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٨٢م ص ٢٨ .

(٢) هو من اعلام الإسلام فى نيجيريا انظر ابوبكر ببوبى صكة : حياته وإنتاجاته الشعرية . أطروحة لنيل الشهادة العالية فى اللغة العربية بجامعة سكتو فى عام ١٩٨٣م تقديم يحيى محمد الأمين .

٢ ـ ابو بكر محمود جومى (الشيخ)[٣] .

(أ) رد الأذهان إلى معانى القرآن (تفسير القرآن الكريم)[٤] .
(ب) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة[٥] .
(جـ) الإسلام وما يبطله .

٣ ـ ابو بكر عتيق الكشناوى (الشيخ)[٦] .

(أ) تحميل الوطر فى ترجمة الشيخ محمد سلغ ابن الحاج عمر
(ب) رسالة مفيد الخلان .
(جـ) الحصن الرصين فى التوسل بأهل الفتح ورجال التحصين .

٤ ـ ابو بكر مسكين الله بن احمد (الشيخ)[٧] .

(أ) ديوان أبى بكر مسكين الله .

٥ ـ آدم عبد الله الألورى (الشيخ)[٨] .

(أ) الإسلام فى نيجيريا والشيخ عثمان بن فودى الفلانى[٩] .
(ب) نظام التعليم العربى وتاريخه[١٠] .
(جـ) موجز تاريخ نيجيريا .
(د) الإسلام وتقاليد الجاهلية[١١] .
(هـ) تاريخ الدعوة الإسلامية .
(و) توجيه الدعوة والدعاة .
(ز) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم[١٢] .
(ح) آثار الفلسفة والتصرف والعلم فى مسيرة الدعوة الإسلامية .
(ط) فلسفة النبوة والأنبياء .
(ى) أشعة العقول والنقول على أضواء القنديل والفضول[١٣] .
(ك) نسيم الصبا فى أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا .

٦ ـ آدم بن عبد الرحمن السيوطى (الشيخ)

(أ) حجج العلماء المدايوين .

٧ ـ آدم بن محمد الفندكى (المعلم)

(أ) كتاب الإعلان بتاريخ كنو .

---

(٣) هو قاضى قضاة شمال نيجيريا سابقا ولد فى قرية غمى بولاية سكتو ـ نيجيريا سنة ١٩٢٢ ميلادية ، ودرس فى مدرسة علوم العربية (كانو) ، وبخت الرضا بالسودان هو على قيد الحياة .

(٤) طبعة دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان سنة ١٩٧٩ م .

(٥) طبع وترجم إلى الإنجليزية وسائر اللغات . طبعه بالعربية دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان سنة ١٩٧٢ م .

(٦) هو من اعلام الإسلام ، بذل جهدا كبيرا فى نشر الإسلام فى شمال نيجيريا وتعليمه ، هو كشناوى منسبا والكنوى مسكنا .

(٧)من أشهر اعلام الإسلام فى نيجيريا . أسس مركز التعليم العربى فى مدينة ميدوقرى عاصمة ولاية برنو فى نيجيريا .

(٨)هو مدير مركز التعليم العربى والإسلامى باغيغى له تآليف كثيرة فى الإسلاميات والأدب العربى الترجمة شخصية . انظر الصفحة الأخيرة لكتابه الإسلام فى نيجيريا ، والشيخ عثمان ابن فودى الفلانى . الطبعة الثالثة المطبوعة فى سنة ١٩٧٨ ميلادية .

(٩) المصدر السابق .

(١٠) طبعة دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ـ الطبعة الثالثة .

(١١) طبع على نفقة الحاج كمال الدين الساعاتى البخارى فى نيجيريا فى مطبعة المدنى بالقاهرة فى سنة ١٩٧٩ ميلادية .

(١٢) يطلب من مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية ـ عابدين القاهرة رقم الايداع ٧٩/٤٥٤٢ .

(١٣) مطبعة الثقافة الإسلامية ص ب ١٧٥ جيجى . ولاية لاغوس نيجيريا .

(١٤) الطبعة الثانية فى المطبعة النموذجية ٦ سكة الشابورى بالحلمية الجديدة سنة ١٩٨٧ .

التعريف بمؤلفات علماء نيجيريا

٨ ـ آدم نماجى (الشيخ)(١٥)

(أ) الاكتشاف المفيد .

٩ ـ احمد تجانى بن عثمان الكنوى (الشيخ)(١٦)

(أ) مروق العشاق فى مدح السيد أبى إسحاق .
(ب) مرقاة الخلان إلى معرفة الرحمن .
(جـ) شرب الينبوع فى نظم مسائل كثيرة الوقوع .
(د) النصائح المرشدة لترك ما يقع فى الجنائز من المفسدة .

١٠ ـ احمد الرفاعى اوكى آرى (الشيخ)

(أ) تاريخ علماء أبادن .

١١ ـ جنيد بن محمد البخارى (الشيخ)(١٧)

(أ) تسلية القلوب عما أصابها من الكروب .
(ب) انتخاب المواتى بتهجر لغة الفلانى .
(حـ) مرتع الأذهان على لغة الفلانى .
(د) قلائد العقيان فى ذكر أمور شيخ عثمان .
(هـ) تعريب قصيدة أسماء فى التوسل بوليات الله .
(و) إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين محمد بلو .
(ز) ديوان فى القصائد التى امتدح بها أمير المؤمنين محمد بلو .
(ح) قصائد التوسلات .
(ط) ديوان قصائد .
(ى) الباكورة الجنية على اللغة الفلانية .
(ك) عقد المرجان على لغة الفلان .
(ل) ضبط الملتقطات من الأخبار المتفرقة فى المؤلفات .
(م) تانيس الأحياء بذكر أمراء غوند مأوى الأصفياء .
(ن) نيل المرام بترجمة أمير المؤمنين محمد بلو الهمام .
(س) إسعاف الزائرين بذكر ترب الأولياء الأصفياء .
(ع) التحفة السنية بذكر بلدة مكتو البهية .
(ف) إتحاف الحاضر بمرائى المسافر (عن السودان) .
(ص) نيل الأمل بذكر قرية دغل .
(ق) نيل الأرب فى استقصاء النسب .
(ر) تفريح النفس بذكر زيارة العراق والقدس .
(ش) نسق كتاب سعد على حروف أبجد .
(ت) مزار الشيخ عبد الله ـ رضى الله عنه .
(ث) تلخيص إسعاف الزائرين بذكر ترب الأولياء والصالحين .
(خ) روائح الأزهار من روض الجنان فى ذكر كرامات الشيخ عثمان .

---

(١٥) من أعلام الإسلام فى نيجيريا . له تلاميذ كثير . ومن أشهر تلاميذه الشيخ آدم عبدالله الالورى .

(١٦) من اكبر علماء كنو الذين لهم معاهد تعليم عربية وإسلامية . انظر د . على أبوبكر : الثقافة العربية فى نيجيريا . الطبعة الأولى ، مؤسسة عبدالحفيظ الباسط ـ بيروت لبنان سنة ١٩٧٢ م . ص١٧٥ ـ ١٧٦ .

(١٧) من اشهر اعلام الإسلام فى نيجيريا . له تآليف كثيرة فى الأدب العربى والإسلامى . وهو اول رئيس (جماعة نصر الإسلام) فى نيجيريا ، وزير امير المؤمنين فى مكتو . كتب عنه الباحثون ما ينيف على عشرة بحوث ، كل واحد منها يتكلم عن حياته وثقافته والمناصب التى شغلها ، والدرجات التى نالها .

(ذ) متحف الإخوان بما فى كتاب الكشف والبيان .
(ض) تحفة الإخوان فى ذكر كرامات الشيخ .
(ظـ) شرح تعريب الأسماء .
(غ) شرح مقاصد المحب لأخى محمد لهم فى السير .
(أ) الرحلة الفاخرة إلى ليبيا والسودان والقاهرة .
(ب) رحلة غينيا والسنغال والمغرب الأقصى وليبيا .
(جـ) التذييل على كتاب خليل بن عبد الله أمير غواندوا .
(د) مورد الظمآن فى التبرك بذكر بعض خواص جماعة الشيخ عثمان .
(هـ) تعليم الإخوان بذكر من تعلمت منه لغة الفلانى .
(و) مزار الشيخ عثمان بن فودى - رضى الله عنه .
(ز) عرف الريحان بذكر من أشهر من أولاد الشيخ عثمان وبناته .
(ح) إتحاف الإخوان فى التبرك بذكر الأماكن التى مكث فيها الشيخ عثمان .
(ط) التحفة الزكية عن الرياض الحجازية .
(ى) الغصن الناضر فى ذكر بعض قصائد عبد القادر بن المصطفى .
(ك) رحلة اغدس .

١٢ - الشريف إبراهيم بن صالح بن يونس (الشيخ)[١٨]

(أ) تاريخ الإسلام وحياة العرب فى إمبراطورية : كانم برنو[١٩]
(ب) ميزان التفاوت بين التواضع والتصاول .
(حـ) بيان كشف الجهلة ببيان حكم المقتول بالأسولة .
(د) العدة الموجهة إلى القونى جده .
(هـ) بيان حقائق الأعيان الوجودية .
(و) كشف الضباب عن وجه أسئلة الأحباب .
(ز) الكشف والتحقيق .
(ح) المصطفى من أحاديث المصطفى (أربعة اجزاء) .
(ط) الفاصل بين الحق والباطل .
(ى) تحبير التحقيق (أربعة أجزاء) .
(ك) كشف معانى السنن والآثار .
(ل) نور اليقين فى الدعوة إلى رب العالمين .
(م) معارج القدس .
(ن) الفتوحات الأحمدية .
(س) تحقيق المقال فى بحث الأحبة والأطفال .
(ع) اللؤلو والمرجان من أدب تلاوة القرآن .
(ف) الإسلام وراء المنحرفين .
(ض) سعادة المعتمد .
(ق) الإسلام ضد الخرافة .
(ر) إعلام العوام .
(ش) كشف الغطاء عن حكم القسم بين النساء .
(ت) الحركة الإسلامية فى غربى أفريقيا .
(ث) نيل الطالب شرح معنى الغالب (فى جزءين) .
(خ) سر الحساب .
(ذ) التحرير لقواعد علم التفسير .
(هـ) التحذير من مكائد أهل التبشير .
(ظ) التحذير من بدع التفكير .

(١٨) هو الشيخ الجليل الشريف إبراهيم بن صالح بن يونس الحسنى النوى الشهير بالشريف إبراهيم دغونغى . ولد يوم السبت الخامس عشر من جمادى الأولى عام ثلاثة وستين وثلاثمائة هجرية ، انظر - ترجمة الشيخ إبراهيم بن صالح الحسينى ، أطروحة الليسانس ، جامعة مكتو ، سنة ١٩٨٣ .
(١٩) طبع ونشر .

التعريف بمؤلفات علماء نيجيريا

١٣ ـ شيخو احمد سعيد غلادنث (البروفيسير)[٢٠]

(أ) حركة اللغة العربية وآدابها فى نيجيريا[٢١] .

١٤ ـ على ابو بكر الدكتور

(أ) الثقافة العربية فى نيجيريا .

١٥ ـ على نائبى سويد (البروفيسير)[٢٢]

(أ) كيف نتذوق الأدب العربى[٢٣] .

١٦ ـ عثمان القلنسوى (الشيخ)

(أ) الروائح العنبرية فى بيان الرحلة القلنسوية[٢٤] .

١٧ ـ عمر بن إبراهيم (القاضى)

(أ) حديقة الأزهار .

١٨ ـ عبد القادر الغسوى (القاضى)[٢٥]

(أ) أزهار الروضة فى مدح صاحب الغيضة .

(ب) عنوان الزمان فى مدح قطب الأوان .

١٩ ـ محمد منتقى الكماشى (الشيخ)

(أ) تحقيق وتعليق مفتاح القارى شرح سراج البخارى للحافظ عبد الله بن فودى .

٢٠ ـ محمد بلاربى بن عبد القادر الغسوى (الشيخ)

(أ) مرآة النظر على نور البصر .

٢١ ـ محمد الطاهر ميغرى ' البرناوى (الشيخ)[٢٦]

(أ) الشيخ إبراهيم السنغالى : حياته وآراؤه وتعاليمه[٢٧] .

(ب) التحفة السنية على الطريقة التيجانية .

٢٢ ـ محمد الناصر بن محمد المختار الكبراوى الكنوى[٢٨]

(أ) إتحاف الخلاق بحقيقة الطريقة القادرية .

(ب) المرآة فى الحجاب .

(حـ) قمع الفساد فى تفضيل السدل على القبض فى هذه البلاد .

(د) سبيل الجنة .

(هـ) سبحات الأنوار عن سبحات الأسرار .

٢٣ ـ محمد الثانى الحسن الكافنفى (الشيخ)

(أ) تحقيق وتعليق على قصيدة الياقوتة الفريدة .

---

(٢٠) مدير جامعة سكتو سابقا (الآن جامعة عثمان بن فودى ، سكتو) وسفير نيجيريا فى المملكة العربية السعودية حاليا ، من النيجيريين الذين تعلموا اللغة العربية وأجادوها والفوا فى آدابها .

(٢١) طبعة دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٨٢ ميلاية .

(٢٢) أستاذ بقسم اللغة العربية ، جامعة (بايرو ـ كانو) نيجيريا . ومن المجيدين فى اللغة العربية وآدابها .

(٢٣) طبعة دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان فى عام ١٩٨٦ ميلادية .

(٢٤) طبعة مؤسسة عبدالحفيظ الباسط ـ بيروت لبنان سنة ١٩٧٢م .

(٢٥) هو الشيخ القاضى عبدالقادر بن محمد الثانى بن إدريس الغسوى ، ولد ببلدة غسو فى ولاية سكتو ـ نيجيريا سنة ١٩٢٧ ميلادية .

(٢٦) محاضر بقسم الدراسات الإسلامية جامعة بايروكنو ـ نيجيريا .

(٢٧) الطبعة الأولى مطبعة دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان فى سنة ١٩٨١ ميلادية .

(٢٨) محمد الناصر بن محمد المختار الكبراوى الكنوى ، ولد سنة ١٩٢٤ فى قرية غرنغاوى المجاورة لكنو عاصمة ولاية كنو نيجيريا ، ومن أشهر أعلام الإسلام فى نيجيريا ، وشيخ كبير فى الطريقة القادرية .

(ب) فصل المقال فى الوضع والإرسال .

(حـ) الأدلة السنية فى الرد على الطائفة البدعية .

(د) زيارة غانا .

(هـ) المنح الحميدة فى الرد على فساد العقيدة .

٢٤ ـ محمد بلو نشيخ الهادى (الشيخ)

(أ) تحية المحتاج فى معرفة تشكيلات صاحب المعراج .

٢٥ ـ نائبى سليمان والى (القاضى)[٢٩]

(أ) غذاء الولدان فى عقائد الإيمان .

(ب) النور الدلال فى ترشيد الأطفال .

٢٦ ـ يهوذ بن سعد الزكزكى (الشيخ)[٣٠]

(أ) فتح الجواد فى شرح الإرشاد السالك .

(ب) روض اللسان .

(حـ) كتاب علم الفرائض المعروف بـ(هباديز) .

(د) التهذيب .

(هـ) مفتاح التوحيد للصبيان .

(و) خلاصة المباحث .

(ز) سفر الصغرى وهو تلخيص للصغرى للشيخ محمد السنوسى .

(ح) تخميس لبردة المديح لابى عبد الله محمد البوصيرى .

(ط) تخميس (إذا ما شئت) للشيخ محمد الحضرمى .

(ى) فتح الوهاب فى شرح كتاب القرطبى للشيخ يحيى القرطبى .

(ك) الخلان فى معرفة فقه ورد التجانى .

(ل) تبشير الإخوان بأخذ ذيل شيخنا التجانى .

(م) ترغيب الإخوان فى مدح شيخنا التجانى .

(ن) كتاب الميمية الإبراهيمية فى مدح الشيخ إبراهيم بن عبد الله الكولى .

٢٧ ـ يوسف عبد الله اللكوجى (الشيخ)[٣١]

(أ) جواب السائل فى كون تكرار زيارة الولى قربة عظيمة .

(ب) الجبل المتين .

(حـ) مجموع النوافل .

(د) طريق الوصول إلى المارب .

(هـ) الدرة البيضاء فى مولد سيد الأنبياء[٣٢] .

(و) البيان الصافى فيما عليه الصوفية .

(ز) تحفة أحباب الرسول الفخيم فى مدح النبى الأمى ﷺ .

(ح) تحفة الأحباب فى مرثية الشيخ المجدد ـ كبرى .

(ط) تحفة الأحباب فى مرثية الشيخ المجدد ـ صغرى .

(ى) النونية فى مرثية نيجيريا بقارس (الحاج عبد الملك) .

(ك) الدرة المصونة .

(ل) القول المفيد والفوائد النفسية إلى زهرة الغيضة التجانية .

(م) ذكر بعض الأحباب الأحياء المؤمنين الصالحين فى نيجيريا .

(ن) كشاب حجة القبض والرفع فى الصلاة وزجر المنكرين .

---

(٢٩) قاض بمحكمة الشريعة الإسلامية بكنو ـ نيجيريا .

(٣٠) من اكبر علماء مدينة (زاريا) له معهد كبير يؤمه طلاب العلم من شتى انحاء البلاد ، وكان من شيوخ الطريقة التجانية ايضا . انظر حياة الشيخ الفاضل يهوذا بن سعد الزكزكى التيجانى ـ رحمه الله ـ تعالى إعداد بلاربى إدريس . أطروحة الليسانس ، جامعة سكتو سنة ١٩٨٢ م .

(٣١) الناشر الحاج ثانى آدم كانو ـ نيجيريا وطبع بإذن ابن المؤلف الحاج محمد المختار الزكزكى التيجانى .

(٣٢) من شيوخ الطريقة التيجانية فى نيجيريا ، ومدير مركز التعليم العربى والإسلامى فى لوكوجا ، ولاية كوارا . انظر : الشيخ يوسف عبدالله اللكوجى : حياته وأعماله . وإعداد محمد الأول ـ آدم راجى ، أطروحة الليسانس فى جامعة سكتو سنة ١٩٨٢ ميلادية .

(٣٣) كتاب سيرة النبى المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . الطبعة الأولى بنفقة المقدم البركة الحاج آدم الراجى ، وشقيقه المريد عبدالله الراجى المكتى بالحاج بابا أسابيغ بده نيجيريا سنة ١٣٩٢ هجرية .

ألفاظ الصدارة

في أساليب العرب

للدكتور أحمد عبد العزيز عبد الله

تتكون الأساليب العربية من جمل ـ اسمية أو فعلية ـ ولا ريب أن المتكلم يصوغ عبارته على النمط الذى يحقق غرضه من الكلام ، فهو لا يلقى الكلام على عواهنه ، بل يتوخى النسق الذى يوضح المعنى ، ويعين المخاطب على الفهم والاستيعاب ، فالجملة الاسمية تفيد الثبوت وفيها شىء من التاكيد للمعنى الذى تضمنته ، والفعلية تفيد التجدد والحدوث ، وهذا لا يغيب عن ذهن المتحدث الفطن عند إنشاء الكلام .

فإذا اقتضى المقام شيئاً زائدا على اصل المعنى كالاستفهام والنفى والتاكيد ـ فإن فى لغتنا الغراء وفاء وغناء ، وفيها ادوات تعرف بادوات الصدارة تفى بتلك المعانى والأغراض .

ولما كانت تلك الأغراض لا تقل أهمية عن المعانى الأصلية ، وذات أثر بالغ فى مفهوم العبارة صدرت بها التراكيب تنبيها على أنها مقصودة للمتكلم .

فإذا قلنا : الجو دافىء ، أشرقت الشمس ، فهاتان جملتان : الأولى اسمية ، والثانية فعلية ، وكلتاهما من قبيل الإسناد الخبرى فى عرف البلاغيين .

وإذا قلنا: هل الجو دافىء ؟ أأشرقت الشمس ؟ فإن مضمون الجملتين مستفهم عن وقوعه ، وهما من قبيل الإنشاء عند البلاغيين ، ولا أثر (للهمزة) و(هل) فى الإعراب. ، لأنهما حرفان غير عاملين لكونهما مختصين .

وإذا قلنا : ليس الجو دافئا ، ما محمد مقصرا فى أداء الواجب ، فالدفء منفى عن الجو فى المثال الأول ، والتقصير منفى عن محمد فى المثال الثانى ، ولأداتى النفى أثر فى الإعراب ، لأن «ليس» من الأفعال الناقصة التى ترفع المبتدأ اسما لها ، وتنصب الخبر ـ خبرا لها ـ وكذا «ما» المشبهة بها فى المثال الثانى ، وعلى هذا فإن ما له صدر الكلام قد يؤثر فى الإعراب ، وقد لا يؤثر .

ولا يخفى أن كلًّا من الاستفهام والنفى قد تصدر الجملتين ، وأثر فى مضمونيهما ـ استفهاما أو نفيا ، وكذا أدوات الشرط والعرض والتحضيض ، والتمنى ، وكل ما أثر فى الكلام ، ومن ثم استحق كل منها صدر الكلام .

قال الرضى : وإنما كان للشرط والاستفهام والعرض والتمنى ـ ونحو ذلك مما يغير معنى الكلام ـ مرتبة التصدر ، لأن السامع يبنى الكلام ـ الذى لم يصدر بالمغير ـ على أصله فلو جوز أن يجىء بعده ما يغيره لم يدر السامع إذا سمع بذلك المغير ـ أهو راجع إلى ما قبله بالتغير ،

او مغير لما سيجيء بعده من الكلام فيتشوش لذلك ذهنه أ . هـ[١] .

وحكى السيوطى عن صاحب (البسيط) أنه قال : الأسماء المتضمنة للمعانى تقتضى الصدارة وإن لم تكن معارف ، ولهذا تقدم الإشارة على العَلَم فى قولك : هذا زيد - وإن كان العَلَم أعرف - لتضمنه معنى الإشارة أ . هـ[٢] .

وقد عرض سيبويه لذلك تحت عنوان : (هذا باب ما يقع موقع الاسم المبتدأ ويسد مسده) ، وقد مثل للخبر المقدم لكونه استفهاما بنحو «أين زيد ؟ وكيف عبد الله ؟» ثم قال : فمعنى «أين» : فى أى مكان و«كيف» : على أية حال ، وهذا لا يكون إلا مبدوءا به قبل الاسم ، لأنها من حروف الاستفهام أ هـ[٣] .

وما له الصدارة فى الأساليب العربية كثير ، فمن ذلك :

ادوات الاستفهام : وتستعمل للسؤال عن تحقيق مضمون ما دخلت عليه ، كالهمزة فى نحو : أحاضر ابوك ؟ أحضر ابوك ؟ و(هل) فى نحو : هل اخوك ناجح ؟ وهل نجح أخوك ؟ والأصل أن يلى الفعل حروف الاستفهام ، لكنهم اوقعوا الاسم بعدها توسعا قال سيبويه :

وحروف الاستفهام كذلك لا يليها إلا الفعل ، إلا أنهم توسعوا فيها ، فابتدأوا بعدها الأسماء ، والأصل غير ذلك ، الا ترى انهم يقولون : هل زيد منطلق ، وهل زيد فى الدار أ هـ[٤] .

وتختص «هل» بأنها لطلب التصديق الإيجابى نحو : هل نجح أخوك ؟ بخلاف نحو هل اخاك اكرمت ؟ لأن تقديم الاسم يشعر بحصول التصديق بوقوع الإكرام للاخ ، وبخلاف : هل لم تكرم اخاك ؟ وبخلاف هل أخوك حاضر أم عمرو ؟ - إن أريد بـ (أم) المتصلة .

أما الهمزة فترد لطلب التصديق ، نحو : أنجح أخوك ؟ ولطلب التصور ، نحو : أزيد قائم أم عمرو ؟ وتدخل الهمزة على الإثبات كما تقدم ، وعلى النفى نحو ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾[٥] بخلاف «هل» ، فلا يقال : هل لم يسافر الضيف ؟ بل الصواب أن يقال : هل سافر الضيف ؟

ولا يتقدم على الهمزة شيء ، بما فى ذلك حروف العطف ، الا ترى أن العاطف قد اخر عنها فى قوله تعالى : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ﴾[٦] ، ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾[٧] ، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ ﴾[٨] بخلاف غيرها من أدوات الاستفهام ، إذ يتقدم العاطف كقوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾[٩] ، ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[١٠] .

هذا هو ما عليه سيبويه والجمهور ، ويرى جماعة فى مقدمتهم الزمخشرى : أن الهمزة فى نحو «أثم إذا ما وقع آمنتم» ، « أفلم يسيروا » ونحوهما أن (الهمزة) فى محلها ، وأن العطف على جملة محذوفة ، والتقدير فى الآية الأولى : أغفلتم

(١) شرح الرضى لكافية ابن الحاجب ١/ ٩٧ .
(٢) الأشباه والنظائر ١/ ١٩٦ .
(٣) الكتاب ٢/ ١٢٨ .
(٤) الكتاب ١/ ٩٨ ، ٩٩ .
(٥) الآية ١ من سورة الفيل .
(٦) الآية ٥١ من سورة يونس .
(٧) الآية ١٠٩ من سورة يوسف والآية ١٠ من سورة محمد صلى الله عليه وسلم .
(٨) الآية ٧ من سورة الشعراء .
(٩) الآية ٢٦ من سورة التكوير .
(١٠) الآية ٩٥ من سورة الأنعام .

ألفاظ الصدارة فى أساليب العرب

عن الإيمان ثم إذا ما وقع ، وفى الآية الثانية : امكثوا فلم يسيروا ، وقد ضعفه ابن هشام[11] بما فيه من التكلف ، وبأنه غير مطرد فى جميع المواضع .

وفى شرح قول الزمخشرى (والهمزة أعم تصرفا فى بابها من أختها)[12] قال ابن يعيش : ولقوتها وغلبتها وعموم تصرفها جاز دخولها على «الواو والفاء وثم» من حروف العطف ، فالواو نحو قوله تعالى : ﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾[13] ، والفاء نحو قوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ﴾[14] ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ ﴾[15] وقوله : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾[16] ، وثم نحو قوله : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ﴾ ولا يتقدم شىء من حروف الاستفهام وأسمائه غير الهمزة على حروف العطف بل حروف العطف تدخل عليهن كقولك : وهل زيد قائم ؟ وقوله : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[17] ا هـ[18] .

وتقدُّم حروف العطف على غير الهمزة من أدوات الاستفهام لا يخرجها عن صدارتها ، لأن حرف العطف لا يعد جزءا من الجملة بل أتى به لعطف الجملة المستفهم عن مضمونها على ما قبلها .

ومن أدوات الاستفهام أسماء ، نحو «مَنْ» فى قولنا : مَنْ عندك ؟ وهى هنا فى محل رفع مبتدأ خبره متعلق الظرف بعده ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ﴾[19] فـ «مَنْ» فى محل رفع مبتدأ خبره الجملة الفعلية ، بعده ومنها «ما» نحو قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾[20] ﴿ مَا لَوْنُهَا ﴾[21] وهى فى الآيتين فى محل رفع مبتدأ خبره جملة «منعك» فى الآية الأولى ، ولونها فى الآية الثانية .

وإذا جُرَّتْ «ما» الاستفهامية وجب حذف ألفها ، نحو قوله تعالى : ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴾[22] وقوله تعالى : ﴿ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾[23] وقوله تعالى : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[24] .

وإنما حذفت ألفها للفرق بينها وبين «ما» الخبرية ، ولهذا ثبتت فى قوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[25] وقوله : ﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ ﴾[26] وأما قوله :

على ما قام يشتمنى لئيم
كخنزير تمرغ فى رماد[27]

(١١) المغنى ٢٣ ، وينظر ص ٢٠ ، ٢١ .
(١٢) يعنى « هل » .
(١٣) الآية ١٠٠ من سورة البقرة .
(١٤) الآية ٩٧ من سورة الأعراف .
(١٥) الآية ٨٥ من سورة البقرة .
(١٦) الآية ١٤ من سورة محمد .
(١٧) الآية ١٠٨ من سورة الأنبياء .
(١٨) شرح ابن يعيش ٨/١٥١ .
(١٩) الآية ٣ من سورة التحريم .
(٢٠) الآية ١٢ من سورة الأعراف .
(٢١) الآية ٦٩ من سورة البقرة .
(٢٢) الآية ٤٣ من سورة النازعات .
(٢٣) الآية ٣٥ من سورة النمل .
(٢٤) الآية ٢ من سورة الصف .
(٢٥) الآية ٤ من سورة البقرة .
(٢٦) الآية ١٤ من سورة النور .
(٢٧) البيت من الوافر ، وفى ديوان حسان ص ٧٩ وأمالى ابن الشجرى : ٢/٢٣٣ وابن يعيش ٤/١٩ والدر المصون/ ٥١٦ برقم ٣٦١٦/٢٨٠ برقم ٤٢٠ ، ٤/٥٠١ برقم ١٨٤٥ والمغنى ٣٩٤ برقم ٥٥٤ والهمع ٢/٢١٧ والدر ١/٩٠ والخزانة ٢/٥٢٧

فضرورة ، وإذا وقف على «ما» الاستفهامية المجرورة ـ فإن كانت مجرورة باسم ، وجب لحاق هاء السكت ، نحو قولهم : مجيء مَهْ ؟ وإن كانت مجرورة بحرف فالاختيار اللحاق أيضاً نحو على مَهْ ؟ وفيمَهْ ؟(٢٨) .

ودخول حرف الجر على «من» أو «ما» الاستفهاميتين لا يقدح فى صدارتهما ، لأن العبرة بتصدر كل منهما فى جملتها ، وإنما صح دخول حرف الجر عليهما من قبل كونهما اسمين ، والجر مختص بالأسماء .

ومن أدوات الاستفهام «كيف» فالغالب فيها أن تكون استفهاما ، وتكون خبرا للمبتدأ نحو : كيف أنت ؟ وخبرا للفعل الناقص نحو : كيف أصبحت ؟ وفى موقع المفعول الثانى نحو كيف أصبحت ؟ وفى موقع المفعول الثانى نحو كيف ظننت زيدا ؟ وحالا قبل فعل لازم نحو : كيف جاء عبد الله ؟ أو قبل فعل متعد استوفى مفعوله نحو : كيف لقيت عمرا ؟ ومنه قوله تعالى : ﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾(٢٩) اى على اى حال بدأ الخلق ، ومن وقوعها خبرا لكان قوله تعالى : ﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾(٣٠) ﴿ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾(٣١) فهى فى محل نصب خبرا لكان ، و«عاقبة» اسمها مؤخر وفعل النظر (فانظر ، ينظروا) معلق عن العمل ، وهى مقدمة من تأخير فى كل ما تقدم لأن لها الصدارة وقد أشار سيبويه إلى ذلك حين قال :

وتقول : ما مررت برجل مسلم فكيف رجل راغب فى الصدقة ؟ بمنزلة : فأين راغب فى الصدقة ، وزعم يونس أن الجر خطأ ، لأن «أين» ونحوها يبتدأ بهن ، ولا يضمر بعدهن شيء(٣٢) .

ومن أدوات الاستفهام «أنى» ، ويسأل بها عن الحال مثل : «كيف» ، قال تعالى : ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾(٣٣) اى على اى حال شئتم ، وقال تعالى : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾(٣٤) اى كيف يحييها ، وقال تعالى : ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾(٣٥) ﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾(٣٦) أى فكيف تؤفكون ؟ وفكيف تصرفون ؟ وتحتمل فى الآيتين الأخيرتين معنى : «أين» ، وأيا كان المراد بها فهى مقدمة من تأخير ؛ لأنها استفهام عن الحال أو المكان ، وحق الفضلات ، وحق الفضلات التأخر إلا إذا كانت من ألفاظ الصدارة .

ويستفهم بأين عن المكان ، وتقع فى مواقعه ، فهى خبر المبتدأ فى قولنا : اين أنت ؟ وقال تعالى ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾(٣٧) وهى خبر « كان » فى نحو أين كنت ؟ وهى ظرف مكان فى نحو : أين وقف زيد ؟ وأين ضبط اللص ؟.

قال سيبويه : ونظير « متى » فى الأماكن « أين » ولا يكون « أين » إلا للأماكن ، كما لايكون « متى » إلا للأيام والليالى ؛ فإذا قلت : أين سير عليه ؟ قال : سير عليه مكان كذا وكذا ، وسير عليه المكان الذى تعلم(٣٨) .

(٢٨) ينظر الدر المصون ١/٥١٦ .
(٢٩) الآية ٢٠ من سورة العنكبوت .
(٣٠) الآية ٦٩ من سورة النمل .
(٣١) الآية ٩ من سورة الروم .
(٣٢) الكتاب ١/٤٣٥ .
(٣٣) الآية ٢٢٣من سورة البقرة .
(٣٤) الآية ٢٥٩ من سورة البقرة .
(٣٥) الآية ٩٥ من سورة الأنعام .
(٣٦) الآية ٦ من سورة الزمر .
(٣٧) الآيتان ٦٢ ، ٧٤ من سورة القصص .
(٣٨) الكتاب ١/٢٢٠ .

ألفاظ الصدارة فى أساليب العرب

فأين للاستفهام عن المكان ، وله الصدارة فى الكلام ، أيا كان موقعه الإعرابى . و « متى » للسؤال عن الزمن الذى عبر عنه سيبويه ـ فيما تقدم ـ بالأيام والليالى ، ويقع « متى » خبرا عن المعانى نحو متى الصوم ؟ ولايكون خبرا عن الذات ، فلا يقال : متى زيد ؟ لأن الذات معلومة الوجود فى سائر الأزمنة ، فلا جدوى فى السؤال عن وجودها فى زمن خاص ، بخلاف نحو (متى سافر أخوك) ، فيجوز باطراد ، لأن الاستفهام عن وقت السفر ، ومحله النصب على الظرفية ، لأنه يجاب عنه بنحو : سافر أخى يوم الخميس ، ومعروف أن الظرف من الفضلات ، وحقه التأخير ، وقد قدم « متى » لأنه له الصدارة من جهة كونه استفهاما .

ومن الألفاظ المستعملة فى الاستفهام « أى » الاستفهامية وهى من الألفاظ الملازمة للإضافة ، فتضاف إلى النكرة مطلقا نحو أى رجل أنت ؟، أى رجلين قابلت ؟ فهى خبر مقدم فى المثال الأول ، ومفعول مقدم فى المثال الثانى ، وتضاف للمعرف إذا كان مثنى نحو قوله تعالى : ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾(٣٩) وهى فى محل المبتدأ ، وخبرها « أحصى » ، و « نعلم » معلق عن العمل ، أو مجموعا نحو قوله تعالى : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾(٤٠) ، وهى هنا مبتدأ ، خبره جملة « يأتينى » وقد تضاف للمفرد إذا تضمن أجزاء نحو : أى الكتاب قرأت ؟ وهى مفعول مقدم للفعل (قرأ) ، وهى مقدمة فى كل ماذكر ، لأن لها الصدارة كسائر أدوات الاستفهام .

ولأن الاستفهام له صدر الكلام ـ عُدَّ من المعلقات عن العمل ، لأن ماقبله لايعمل فيما بعده ، قال الصيمرى : واعلم أن ماقبل الاستفهام لايعمل فيما بعده ، لأن الاستفهام له صدر الكلام ، فلو أعملت ماقبله فيما بعده خرج من أن يكون صدرا ، فتقول : علمت أزيد عندك أم عمرو ؟ فتلغى « علمت » ، لأن الألف حالت بينه وبين ماتعمل فيه(٤١) .

وقال ابن عصفور : وأما إذا دخل على المعمول همزة الاستفهام ، أو يكون المعمول اسم الاستفهام ، أو مضاف إليه مستفهما عنه فى المعنى ، فلم يؤثر العامل أيضا ، لأن ذلك كله له صدر الكلام(٤٢) .

---

(٣٩) الآية ١٢ من سورة الكهف .
(٤٠) الآية ٣٨ من سورة النمل .
(٤١) التبصرة ١/٤٧١ .
(٤٢) شرح الجمل ٢/٤١٥ .

الاستشفاء بالدعاء

تأليف: إبراهيم محمد الجمل

عرض وتعليق

عاطف شحاته زهران

قد يتشكك البعض فى مسالة الاستشفاء بالدعاء من الماديين او ممن فى قلوبهم مرض، اما المسلمون فلديهم عقيدة ثابتة فى إله واحد قادر بيده الأمر كله، يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، لا يعجزه - سبحانه - ان يشفى مريضاً لجا إليه بعد ان سدت امامه ابواب الأرض ... بعد ان استنفد اطباء البشر حيلتهم وما وصل إليه علمهم فيمم وجهه وقلبه لمن بيده الحول والقوة وحده فاستجاب دعاءه وكشف بلاءه ..

ونحن نقرا فى كتاب الله قصة نبى الله ايوب - على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام - وقد ابتلى فصبر ثم دعا ربه فعافاه.

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ « الأنبياء ٨٣ ، ٨٤ ».

ونبى الله زكريا يتقدم به العمر دون أن يرزق ولدا وامرأته عاقر، ولم يمنعه كل ذلك من التضرع إلى الله سبحانه - فى ثقة من يؤمن أنه لا يخيب راجيه - أن يهبه ذرية طيبة فتأتيه البشارة الفورية من مجيب الدعاء: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ « الأنبياء ٨٩ ، ٩٠ ».

وتشير الآيات إلى: صلاح أسر الأنبياء ومسارعتهم فى الخيرات، والإكثار من الدعوات فى كل الأحوال، وخشوعهم وعبادتهم لله صاحب الأمر كله.

إن الله - سبحانه - قادر على شفاء ما استعصى مهما كان. والكتاب الذى نقدمه للقارىء على هذه الصفحات يعالج هذه القضية. ويدل القارىء على مواطن الاستشفاء من السنة النبوية وآيات القرآن المجيد.

صدر عن (دار الفضيلة) فى مائة وستين صفحة.

بدأ بتمهيد عن الدعاء وفضله وأوقاته وأماكنه، ثم تحدث عن الاستشفاء بأسماء الله الحسنى وبسور أو آيات من القرآن الكريم، فهو ◄

الاستشفـــاء بالدعـاء

شفاء ورحمة ، وهو شفاء لما فى الصدور .. شفاء من أمراض الكفر والضلال ، وشفاء من أمراض الجسد إن شاء الله وتحقق إخلاص الداعى به وصح اعتقاده فى الله القادر الشافى .

والقرآن حين يتحدث عن الشفاء يصل ذلك بالمؤمنين .

فيقـول : ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ « التوبة ١٤ » . ويقول : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ « الإسراء ٨٢ » .

● آيات الاستشفاء :

مازال الجسم البشرى عامراً بالأسرار التى يحاول العلم الكشف عنها ويجتهد لذلك وقد يساعده تقدمه الهائل ، ولا تزال الأسرار تتكشف حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، والله وحده خالق الإنسان هو العالم بما يصلحه فلا غرو أن يكون كلامه فيه شفاء لخلقه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ « الملك ١٤ » .

وقصت مراجع الحديث الصحيح ما حدث لبعض الصحابة الذين كانوا فى سفر ودُعُوا لرُقْيَةِ كبير الحى فرقوه بالفاتحة ، وهى تفيد أن طب الأرض قد يعجز ، ولكن طب السماء لا يُخيب بفضل الله ، كما تفيد أن الفاتحة كما تنفع قارئها تنفع من قرئت عليه .

وقد ذكر الأستاذ إبراهيم الجمل للفاتحة أسماء منها : آيـة المستجيرين ، والحـافظة والمحصنة .. ثم تحدث عن الاستشفاء بخواتيم سورة البقرة ، ولم يذكر مايدل على الاستشفاء بهما من فعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو إقراره ، ويبدو أنه استشف ذلك من عبارة جاءت فى حديث عزاه للحاكم فى المستدرك تفيد (أنها صلاة وقرآن ودعاء) .

وأتبع ذلك بالاستشفاء بسورة الإخلاص وأورد من أسمائها : الشافية والمعوذة والمقشقشة (من قشقش المريض إذا صح وبرأ) ثم الاستشفاء بالمعوذتين وحديث الرقية بهما معلوم بين عامة المسلمين . وبعد ذلك يعرض الكتاب لأدعية الاستشفاء التى وردت بالسنة المطهرة ، وذكر منها ماينفع فى كشف الكرب والهموم وكشف آلام البدن والأرق والعطش والرمد ..... إلى غير ذلك ..

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أشار إلى التداوى بهذه الأدعية لم يهمل الأدوية الطبيعية الأخرى عالماً بأن الله هو الذى يجعل فيها الشفاء ـ إن شاء وفى الوقت الذى يشاء ـ حتى لا يقطع المؤمن صلته بربه أبدا .

●● ملاحظات عابرة :

بذل المؤلف جهداً مشكوراً فى جمع هذه الأدعية وتقديمها فى هذا الكتاب . ولكن القارىء للكتاب سيتوقف عند نقاط معينة رأينا التنبيه عليها ، منها : ما يتصل بالسنة ، ومنها ما يتصل بمصادر الكتاب .

أولاً : ما يتصل بالسنة المشرفة :

(أ) اعتمد الكتاب على الأحاديث النبوية بصورة أساسية ، ولكن المؤلف فى بعض الأحيان أغفل تدوين المصدر الذى اعتمد عليه فى نقل الحديث ، وتحديد ذلك تحديداً دقيقاً يعين القارىء على التيقن من صدق هذه الأحاديث . ولكنا رأينا المؤلف قد لا يذكر المصدر أصلاً ، أو قد يذكره دون تحديد الجزء والصفحة ويكتفى بقوله : رواه الطبرانى أو البخارى مثلا .

وللطبرانى معاجم ثلاثة [الكبير والصغير والأوسط] ، والكبير فى حوالى [٢٥ مجلداً] ، والبخارى له إلى جانب الصحيح الأدب والتاريخ . وذلك يحتم ذكر المصدر بدقة ، ومكان الشاهد منه جزءاً وصفحة وطبعة ومطبعة .

(ب) نعرف أن كتب السنة مختلفة الدرجات فمنها ما يهتم بالصحيح ، ومنها ما يجمع مع الصحيح غيره من الضعيف ، وربما الموضوع . وفى هذه الحالة لابد من الرجوع إلى كتب التخريجات والتعقيبات على تلك الكتب ، فعلى من يأخذ من الطبرانى أن يرجع لمجمع الزوائد للهيثمى مثلاً ، ومستدرك الحاكم تعقبه الذهبى فاقره أحياناً ، وخالفه أخرى . والترمذى يعقب على الحديث مبيناً درجته ، فلابد لمن نسب إليه حديثاً أن يذكر تعقيبه على الحديث من حيث الصحة أو الحسن أو النكارة أو الغرابة .. حتى يقف القارىء على الصحيح والسقيم ، ولكن المؤلف أغفل ذلك فنراه يعزو لهذه الكتب ، ويكتفى بذلك دون ذكر درجة الحديث وحكم أئمة الحديث عليه . وحسبنا أن نطالع (ص ٩) على سبيل المثال ليثبت لنا ذلك .

(جـ) يلاحظ قارىء الكتاب أن هناك أخطاء تقع أحياناً فى أسماء بعض المصادر التى يذكرها . ففى (ص ٧١) يذكر حديثاً ويعقب عليه بقوله : أخرجه أبو يعلى فى الكبير . ونعلم أن كتاب أبى يعلى هو المسند . أما الكبير فهو للطبرانى . وفى (ص ٧٦) يذكر حديث : (لعن الله العقرب) ، ويعقب عليه بقوله : رواه ابن أبى شيبة فى مسنده ، والمعروف أن اسم كتاب ابن أبى شيبة (المصنف) ، ولم يؤلفه على طريقة المسانيد .

(د) ولا يفوتنا أن ننبه على خطأ وقع (ص ١١٧) حين علق على دعاء : (اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ...) ، بقوله : هذا الدعاء ذو طرفين : الطرف الأول من حديث ابن مسعود وهو صحيح ، والطرف الثانى من حديث أنس . والظاهر أنه يقصد أن للحديث طريقين أو روايتين لا طرفين .

ثانياً : ما يتصل بالمصادر الأخرى :

يقتضى المنهج العلمى فى البحث أن يرد المؤلف الكلام إلى مصادره التى اقتبس منها . ولكن النظرة السريعة للكتاب ترينا تخليه عن ذلك ، واكتفاءه بقوله : قال ابن القيم ، قال الشوكانى ، وقال الإمام على .. وعلى سبيل المثال نقرأ له دعاء (ص ٧٢) ، نسبه للإمام على ـ كرم الله وجهه ـ دون إثبات المصدر الذى نقل عنه هذا الدعاء ليوقن القارىء من صدق نسبة هذا الدعاء للإمام ، وليطالعه وغيره فى مصادره إن شاء .

بل إن المؤلف قد تجاوز ذلك أحياناً فقال : قال بعض الحكماء ، وقال بعضهم .. مما لا ينبغى أن يكون فى الكتابة العلمية .. وحين نطالع موضوع العلاج النفسى والإسلام (ص ٢٥) ، سنجد قوله : قال بعض الأطباء ، وقالوا أيضاً ، وقد أجمع الأطباء النفسيون .. ونرى أنه من الأنفع للكتاب وللقارىء تحديد القائلين ومراكزهم العلمية ، وحين يتحدث عن (إجماع) علمى كالذى حدث منه ينبغى أن يدل على المرجع ، فأما إلقاء الكلام على عواهنه ، فأمر يثير فى صدر القراء اهتزازاً فى قيمة ما يقرءون .

وختاماً فالكتاب جهد بشرى اجتهد مؤلفه وله أجره عند الله سبحانه وإدراك الكمال من المحال .. فالكمال لله وحده ولكلامه .. ونأمل أن يراعى فى الطبعة التالية للكتاب هذه الملاحظات العابرة ..

وعفا الله عنا وهدانا لما فيه خيرنا ..

أنباء وآراء

اعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

انباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الإمام الأكبر يحضر مؤتمر الاتحاد الإقليمى للجمعيات الخيرية المصرية

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مؤتمر الاتحاد الإقليمى للجمعيات الخيرية المصرية والذى حضرته الأستاذة الدكتورة وزيرة التأمينات الاجتماعية .

وقد أشاد فضيلته بالدور الذى تقوم به الجمعيات التطوعية فى مختلف مجالات العمل الاجتماعى مشيراً إلى ما يقدمه الأزهر الشريف من خدمات لرعاية الطلبة والمعوقين والمسجونين وفى المجالات الاجتماعية المختلفة .

كما أكد فضيلة الإمام الأكبر على دعم الأزهر لهذه الأنشطة وتعاونه مع الجمعيات الدينية التى تعمل على نشر القيم والمثل السامية وتحفيظ القرآن الكريم .

الإمام الأكبر يفتتح ملتقى الفكر الاسلامى بالاسماعيلية

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أعمال ملتقى الفكر الإسلامى السابع الذى عقد بمدينة الاسماعيلية فى الفترة من ١٤ : ١٦ يونية ١٩٩١ وقد بدأ الملتقى أعماله بأداء صلاة الجمعة بمسجد خالد ابن الوليد بحضور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة الدكتور / محمد على محجوب وزير الأوقاف والدكتور أحمد جويلى محافظ الاسماعيلية .

شارك فى أعمال المؤتمر اثنا عشر عالما من كبار رجال الدعوة والمفكرين فى مصر ناقشوا على مدى ثلاثة أيام متصلة أكثر من اثنتى عشرة قضية من القضايا الهامة الحساسة التى تشغل بال الكثيرين فى مجتمعنا المعاصر .

الإمام الأكبر يعتمد نتائج الشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بتاريخ ١٩٩١/٦/٢٧ نتائج الشهادتين الإعدادية والثانوية الأزهريتين للعام ٩١/٩٠ ، بلغت نسبة النجاح بالشهادة الإعدادية ٢٢,٨٪ وبلغت نسبة النجاح بالقسم الأدبى للشهادة الثانوية ٣٢,٨٪ و٤٣,٦٪ للقسم العلمى بشعبتيه .

كما اعتمد فضيلته بتاريخ ١٩٩١/٧/١ نتيجة الشهادتين الإعدادية والثانوية للبعوث الإسلامية .

بلغت نسبة النجاح بالشهادة الإعدادية ٤٠,٦٪ .

وبلغت نسبة النجاح بالشهادة الثانوية ٤٥,٣٪ .

الإمام الأكبر يفتتح الندوة الفلسفية الثالثة

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الندوة الفلسفية الثالثة التى نظمتها « كلية أصول الدين جامعة الأزهر » بالاشتراك مع الجمعية الفلسفية المصرية تحت رعاية فضيلته . حضر الندوة لفيف من أساتذة جامعة الأزهر والجامعات المصرية المختلفة .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على ضرورة مراجعة الفلسفات والدراسات والمذاهب الفكرية والاجتماعية الغربية التى صارت تمثل ثقلاً على فكر الإنسان .

كما أكد فضيلته على أن الإعراض عن الباطل دعوة شرعية وعقدية وعقلية وأن تقدير مسئولية الكلمة واجب إسلامى ينبغى التمسك به .

أنباء العالم الإسلامى

معاهد إسلامية بالفلبين

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية :

أن جبهة مورو الإسلامية اقامت بالفلبين عدداً من المعاهد الإسلامية لدراسة اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم .

وقد أعلن مسئول الجبهة عن تزايد أعداد الطلاب فى هذه المدارس ، الأمر الذى يدعو إلى افتتاح المزيد منها مستقبلاً .

منع صلاة الجمعة فى الأراضى المحتلة

أفادت الأنباء الواردة من الأراضى الفلسطينية المحتلة أن سلطات الاحتلال الإسرائيلى تواصل منع المواطنين الفلسطينيين فى الضواحى المحتلة : القدس والضفة الغربية وقطاع غزة من أداء صلاة الجمعة وبشكل جماعى فى المساجد .

صدور أول عدد من مجلة فرنسية - بعنوان (رؤى الإسلام)

ذكرت إذاعة مونت كارلو :

انه قد صدر فى باريس العدد الأول من « مجلة رؤى الإسلام » .

وهى مجلة فرنسية يقوم بإصدارها المركز الأوروبى للمعلومات والأبحاث حول الإسلام ويرأس تحرير المجلة التى تصدر مرة كل شهرين باللغة الفرنسية أحد الفرنسيين الذى اعتنق الإسلام واسمه « ديديه على بورج » .

وذكر رئيس التحرير فى افتتاحية العدد الأول للمجلة ثراء النشاطات الإسلامية فى فرنسا ذات المساهمة فى تعميق المعرفة بالإسلام ومبادئه .

الجدير بالذكر أن عدد المسلمين فى فرنسا حوالى ٤ ملايين مسلم غالبيتهم من دول المغرب العربى .

نرجو أن تكون « مجلة رؤى الإسلام » إحدى المجلات الإسلامية الرائدة فى الغرب ، فتقدم الإسلام : عقيدة وشريعة وحضارة وعلما عن إيمان تام بنزاهة هذا الدين وفضله ، وخلوه من التناقض وصلاحه للبشرية أيا كانت ، ولا تكون

أنبـــــــــاء وآراء

كالصحيفة العربية « الوقور » التى تتعمد بين الحين والآخر النيل منه ومن المسلمين ، سواء .

إدخال برنامج تربوى إسلامى فى نظام التعليم ببريطانيا

ذكرت الإذاعة اللندنية :

أنه تحقيقا لمطالب المسلمين فى بريطانيا وافقت الحكومة البريطانية على ادخال برنامج تربوى إسلامى فى نظام التعليم البريطانى .

يهدف النظام الجديد إلى إيجاد غرف خاصة لأداء الصلاة والسماح للطلبة بحضور صلاة الجمعة فى المسجد المحلى ، واعتبار الأعياد عطلة رسمية ، وتقديم الأطعمة الحلال ، وفصل الجنسين فى مراحل التعليم .

يهتم المسلمون بإنشاء المدارس الإسلامية فى المناطق التى يشكل فيها المسلمون أغلبية .

إقبال شديد من الأمريكيين على اعتناق الإسلام

ذكرت الإذاعة الأمريكية الناطقة باللغة العربية وأكدت مجلة « النيوزويك » أن أعداد المسلمين بأمريكا فى ازدياد مما يقلق الكنيسة من سرعة انتشار الإسلام فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد طالب المنصرون بمكافحة هذه الظاهرة داخل الولايات المتحدة . والجدير بالذكر :

أنه من مظاهر هذا الإقبال الجماهيرى على الإسلام فى الولايات المتحدة أن المستشرق الأمريكى « توماس أرفينج » رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة « مينسوتا » قام مؤخراً بنشر ترجمة لمعانى القرآن الكريم .

وبعد : فلا ندرى علام القلق .. والمجالس الرسمية بالولايات المتحدة تحظى بنسبة ٧٥٪ من الأعضاء اليهود والبقية من غيرهم من أهل الكتاب ..

ثم هذا الإسلام دين الله .. ولا فائدة من مقاومته .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة ٣٢ ، ٣٣ .

اهتمام المسلمين السوفييت باللغة العربية

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية :

أنه قد بدأ المسلمون بالاتحاد السوفيتى فى إعادة تدريس لغاتهم القومية بالحروف العربية من خلال برامج نشر اللغة العربية المطبقة حالياً فى الإدارات الدينية الموجودة فى أنحاء الاتحاد السوفيتى .

وقد أوضح الشيخ / محمد صادق مفتى المسلمين فى « آسيا الصغرى وقازاقستان » لمندوب وكالة الأنباء الإسلامية أن هذه البرامج قد حققت نتائج إيجابية ، وساهمت فى نشر اللغة العربية بين أوساط المسلمين بشكل جيد .

قرارات الإمام الأكبر
بشأن لجان الفتوى فى القاهرة والأقاليم

قرار شيخ الأزهر
رقم (٤٥٣) لسنة ١٩٩٠ م

شيخ الأزهر :

- بعد الاطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها والقوانين المعدلة له .
- وعلى القرار الجمهورى رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥ بشأن إصدار اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ المشار إليه .
- وعلى القانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨ بإصدار قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة والقوانين المعدلة له .
- وعلى قرار وكيل الأزهر رقم ٧٨٣ لسنة ١٩٦٩ بشأن تشكيل لجنة الفتوى بالأزهر والقرارات المعدلة له .
- وعلى قرار شيخ الأزهر رقم ١٠٠ لسنة ١٩٧٩ بشأن تحديد مكافآت أعضاء لجنة الفتوى بالأزهر وتعديلاته .
- وعلى قرار شيخ الأزهر رقم ٤٣٥ لسنة ١٩٨٤ بإعادة تنظيم العمل فى لجنة الفتوى .
- وعلى قرار مجلس الوكلاء بمحضر اجتماعه رقم ١ لسنة ١٩٨٩ م
- وعلى ما عرضه فضيلة الشيخ وكيل الأزهر بالإنابة بمذكرته المؤرخة ١٩٩٠/٣/٧ م .

قــــــرر

المادة الأولى : يضاف إلى المادة الأولى من قرار شيخ الأزهر رقم ٤٣٥ لسنة ١٩٨٤ النص التالى :-
(ويكون مقر لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الشريف .

ويجوز تشكيل لجان للفتوى فى المناطق الأزهرية بمحافظات الجمهورية بقرار من شيخ الأزهر تسرى عليها أحكام هذا القرار وأية قرارات أخرى صدرت أو تصدر فى هذا الشأن)

المادة الثانية : مع مراعاة أحكام قرار شيخ الأزهر رقم ٤٣٥ لسنة ١٩٨٤ المشار إليه :

(أ) تشكل بمقر كل منطقة أزهرية فى محافظات الجمهورية لجنة للفتوى من خمسة أعضاء على الأقل .

(ب) يراعى فى اختيار أعضاء هذه اللجان توافر الاعتبارات المقررة فى المادة الثانية من قرار شيخ الأزهر المرقوم .

(جـ) يرأس هذه اللجنة الأقدم من كل من مدير المنطقة الأزهرية للتعليم أو للدعوة .
وتضم فى عضويتها ممثلا لكل مذهب من المذاهب الفقهية السائدة فى المحافظة،وعضوا متخصصا فى العقيدة .

• إعداد الأستاذ عمر بسطويسى

(د) يجرى تحديد أسماء أعضاء اللجنة والرئيس فى كل منطقة باقتراح من رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وعرض من وكيل الأزهر ويعتمد من شيخ الأزهر .

ويجوز أن يكون من بين الأعضاء بعض المتقاعدين من علماء الأزهر المقيمين فى بلد المقر الذين تتوافر فيهم الاعتبارات المقررة لعضوية لجان الفتوى .

المادة الثالثة :

(أ) يعهد بالأعمال الفنية للجنة إلى أحد العلماء من مدرسى الفقه ويكون مشرفا على مكتب هذه اللجنة، ومسئولا عن أعمالها الإدارية .

(ب) يكون هذا المكتب تابعا للمنطقة الأزهرية وتُنتَدبُ له العددَ المناسب من العاملين وتسرى عليه كافة القوانين واللوائح، ويعلن عن مقره فى مكان بارز .

(جـ) لاتُحَصَّل على الفتاوى الصادرة من هذه اللجان أية مصروفات .

المادة الرابعة :

تحدد مكافآت أعضاء اللجنة بمن فيهم المشرف على اللجنة بقرار من شيخ الأزهر .

المادة الخامسة :

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار .. ويعمل به اعتبارا من ١/١٠/١٩٩٠ م .

صدر فى : ١٠ من ذى القعدة ١٤١٠ هـ

الموافق : ٣ من يونية ١٩٩٠ م

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

قرار شيخ الأزهر
رقم (٤٣٥) لسنة ١٩٨٤
باعادة تنظيم العمل فى لجنة الفتوى

شيخ الأزهر

- بعد الاطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر وهيئاته والقوانين المعدلة له .
- وعلى القرار الجمهورى رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥ بإصدار اللائحة التنفيذية للقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ المشار إليه .
- وعلى القانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨ بإصدار قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة .
- وعلى قرار شيخ الأزهر المؤرخ ١١/٩/١٩٣٥ .
- وعلى قرار وكيل الأزهر رقم ٧٨٣ لسنة ١٩٦٩ بشأن تشكيل لجنة الفتوى بالأزهر والقرارات المعدلة له .
- وعلى قرار شيخ الأزهر رقم ١٠٠ لسنة ١٩٧٩ بشأن تحديد مكافآت أعضاء لجنة الفتوى وتعديلاته .

قــــــرر

المادة الأولى :

يكون تنظيم الإفتاء فى المسائل والأمور الدينية التى ترد لهيئات الأزهر من الأفراد والهيئات والجماعات وغيرها وفقا لأحكام هذا القرار .

المادة الثانية :

تشكل لجنة للفتوى فى هذه المسائل بقرار من شيخ الأزهر تتبع مجمع البحوث الإسلامية ـ يراعى فى اختيار أعضائها مايلى :

١ ـ أن لاتقل سن العضو عن ٤٥ سنة .

٢ ـ أن يكون معروفا بالتقوى والورع فى ماضيه وحاضره .

٣ ـ أن لايكون قد صدر منه مايمس الشرف والأمانة، أو سلك سلوكا ينتقص من قدره بوصفه من علماء الأزهر .

٤ ـ أن يكون من خريجى الكليات الأزهرية المتخصصة فى الدراسات الإسلامية والعربية أو ما يعادلها . وتكون الأولوية للممارسين لتدريس المواد التى تعين على الفتوى ولمن يحمل مؤهلا أعلى .

٥ ـ أن يكون له نشاط علمى بارز فى مجال الدراسات والبحوث الإسلامية، أو اشتغل بتدريسها فى كلية أو معهد عال لمدة لاتقل عن عشر سنوات، أو شغل إحدى وظائف القضاء أو الافتاء وكان متخرجا من إحدى كليات الأزهر .

نظام الإفتاء :

المادة الثالثة :

تُصدِرُ لجنة ـ الفتوى ـ المنصوص عليها فى المادة الثانية : جَوابَها عن الاستفتاءات التى ترد للأزهر وذلك على النحو التالى :

١ ـ الاستفتاءات التى يطلب الرد فيها وفق فقه مذهب معين من المذاهب الفقهية الإسلامية المعتبرة يكون الجواب عنها وفق أرجح الآراء فى فقه هذا المذهب . وفى غير ذلك يجب أن تكون الفتوى موافقة للكتاب والسنة، أو إجماع الفقهاء، أو القياس الصحيح الموافق لقواعد الدين العامة الملائم لمصالح المسلمين .

٢ ـ المسائل التى تتصل بالعقيدة وما يتبعها يكون الجواب فيها وفق قواعد الدين العامة مشتملة على البراهين الصحيحة من الكتاب والسنة، وعلى الأدلة العقلية .

٣ ـ يجب أن تكون الفتاوى مستندة إلى أدلتها الشرعية المعروفة. وإذا كانت الإجابة متعلقة بأمر فقهى نُصَّ فيها على مرجعها من كتب المذهب أو المذاهب التى اعتمدت عليها الفتوى ، وبوجه عام تعتمد الفتوى أيا كان موضوعها على أدلتها الشرعية والعقلية أو الفقهية على وجه تطمئن إليه القلوب .

٤ ـ الالتزام فى الفتوى بما صدرت به قرارات وتوصيات مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية، أو مجلس المجمع .

٥ ـ المسائل التى تحال إلى اللجنة من شيخ الأزهر تعرض أجوبتها عليه ، ويكون إرسالها من قِبَلِهِ .

المادة الرابعة :

يعد دفتر خاص لقيد الطلبات التى ترد إلى لجنة الفتوى برقم مسلسل، وتُرَقَّم صحف هذا الدفتر برقم متتابع ويختم . وذلك كله وفقا للنموذج رقم (١) المرفق بهذا القرار .

المادة الخامسة :

يُعَدُّ سجل لتدوين نصوص فتاوى المواريث ، وثانٍ لتدوين نصوص فتاوى الوقف ، وثالث لتدوين نصوص الفتاوى الأخرى غير ماسبق، وتقسم صفحات كل سجل وفقا للنموذج رقم (٢) المرفق بهذا القرار .

المادة السادسة :

(أ) يعد دفتر خاص لقيد طلبات إشهار الإسلام مُرَقَّمُ الصفحاتِ، وتختم جميعها بالختم الرسمى وفقا للنموذج رقم (٣) المرفق بهذا القرار .

(ب) يعد سجل خاص يسجل فيه نص إشهار الإسلام الذى يجب أن يحوى اسم الطالب ثلاثيا ـ قبل الإسلام ، واسمه بعد الإسلام ، والأوراق الرسمية التى تثبت شخصيته كبطاقة عائلية أو شخصية او جواز سفر سَارٍ ، وتاريخ ولادته ومحلها وجنسيته السياسية وحالته الاجتماعية (متزوج، أو ليس متزوجا ، له أولاد أم لا ، ومُسَمَّى الأولاد ، وديانة الزوجة ، ويذكر فيه محل إقامة زوجته وأولاده إن كانوا) .

ويوقع أصل الإشهار وسجله من اسم عضو لجنة الفتوى الذى استمع إلى إشهار الإسلام، أو اللجنة التى استمعت إليه، ومن (سكرتير) اللجنة، وتسلم صورته إلى المُشْهِر بإيصال بتوقيعه على دفتر قيد الطلبات .

(جـ) إذا كان المشهر مصريا وجب النص فى آخر الإشهار على التزامه باتخاذ الإجراءات الرسمية لإثبات إشهار إسلامه بمكتب التوثيق المختص .

المادة السابعة :

يستمر أعضاء لجنة الفتوى العاملون ـ وقت صدور هذا القرار فى مزاولة الأعمال المنوطة بها .

المادة الثامنة :

ينظم رئيس لجنة الفتوى مواعيد عمل اللجنة، ومدى مشاركة السادة أعضائها ، ويعد لذلك سجل خاص يُثْبِتُ فيه هذه المواعيد، ومن باشر العمل منهم، ومن تخلف .

المادة التاسعة :

يعد حصر للطلبات المقدمة وما انتهى منها بأنواعه الموضحة ومابقى دون إجابة ، ويخطر به الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية كل ثلاثة اشهر .

المادة العاشرة :

ينشأ دفتر مرقم الصفحات ويختم ، يخصص لقيد اجتماعات اللجنة فى دورتها الأسبوعية ويبين فى محضر كل جلسة المسائل المعروضة عليها ، وما تم فحصه، وما انتهت اللجنة منه، وما أحيل من المعروض لجلسة قادمة كما يذكر فيه أسماء السادة الحاضرين من أعضاء اللجنة والمتخلفين ، وذلك كله وفقا للنموذج رقم (٤) المرفق بهذا القرار .

المادة الحادية عشرة :

يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره وعلى الجهات المختصة تنفيذه، ويلغى كل مايخالفه .

صدر فى ٢٦ من شوال سنة ١٤٠٤ هـ

الموافق ٢٥ من يوليو سنة ١٩٨٤ م

شيـــخ الأزهـــر

جاد الحق على جاد الحق

قرار شيخ الأزهر رقم (٤٥٧) لسنة ١٩٩١ م

شيخ الأزهر :

- بعد الاطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها والقوانين المعدلة له .
- وعلى القرار الجمهورى رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥ بشأن إصدار اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ المشار إليه .
- وعلى القانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨ بإصدار قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة والقوانين المعدلة له .
- وعلى قرار وكيل الأزهر رقم ٧٨٣ لسنة ١٩٦٩ بشأن تشكيل لجنة الفتوى بالأزهر والقرارات المعدلة له .
- وعلى قرار شيخ الأزهر رقم ١٠٠ لسنة ١٩٧٩ بشأن تحديد مكافآت أعضاء لجنة الفتوى بالأزهر وتعديلاته .
- وعلى قرار شيخ الأزهر رقم ٤٣٥ لسنة ١٩٨٤ بإعادة تنظيم العمل فى لجنة الفتوى .
- وعلى قرار شيخ الأزهر رقم ٤٥٣ لسنة ١٩٩٠ بشأن تشكيل لجان الفتوى بالمناطق الأزهرية .
- وعلى قرار مجلس الوكلاء بمحضر اجتماعه رقم/ ٤ لسنة ١٩٩١م .
- وعلى ماعرضه فضيلة رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية بالاشتراك مع فضيلة مدير عام الدعوة والإعلام الدينى من قوائم المرشحين للعمل بلجان الفتوى بالمناطق الأزهرية .

قـــــرر

المادة الأولى :

مع مراعاة أحكام قرارى شيخ الأزهر رقمى ٤٣٥ لسنة ١٩٨٤ ، ٤٥٣ لسنة ١٩٩٠ م المشار إليهما :

تشكل لجان « الفتوى » بالمناطق الأزهرية فى محافظات الجمهورية على النحو التالى :

منطقة القاهرة :

يكتفى بلجنة الفتوى بالجامع الأزهر الشريف

منطقة الجيزة :

الاســـــــــم	الوظيفة الاصلية	المذهب	العمل باللجنة
١ ـ فضيلة الشيخ / سامى محمد متولى الشعراوى	ـ مدير عام المنطقة	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / محمد محمد على الليثى	ـ مدير الوعظ بالجيزة		عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / محمد الشافعى حسين عزيز	ـ وكيل اول المنطقة الأزهرية	شافعى	عضو اللجنة

٤ ـ ،، ،، / جمال الدين محمد قطب	ـ مفتش وعظ الجيزة	شافعى	عضو اللجنة
٥ ـ ،، ،، / محمد سيد مصطفى مامون	ـ موجه عام علوم شرعية	حنفى	امين اللجنة

منطقة القليوبية :

١ ـ فضيلة الشيخ / عزب مامون عزب	مدير عام المنطقة	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / احمد عبدالحميد الكردى	ـ مدير التعليم الثانوى	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / احمد محمد موسى	ـ قائم بعمل مدير الوعظ	مالكى	عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / عبدالغنى محمد شحاته	ـ مفتش اول بالوعظ		عضو اللجنة
٥ ـ ،، ،، / محمد عجمى إبراهيم سلام	ـ وكيل معهد فتيات شبلنجه	حنبلى	امين اللجنة

منطقة المنوفية :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد السيد مصطفى النجار	مدير عام المنطقة	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / صابر محمود محمد محمود	مدير وعظ المنوفية	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / احمد عبدالرحمن راضى	مدير الدعوة والإعلام الدينى «سابقا»	شافعى	عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / عبداللطيف على حسن نصار	مدير التوجيه بوعظ المنوفية	شافعى	امين اللجنة
٥ ـ ،، ،، / عبدالفتاح محمد محمود حنفى	موجه أول بالمنطقة الأزهرية	مالكى	عضو اللجنة

منطقة الغربية :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد محمد احمد ابوفريخه	مدير عام الوعظ بالغربية	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / انور عبداللطيف ورده	مدير عام المنطقة الأزهرية «ندبا»	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / عبدالجواد إبراهيم مسعود	رئيس المعاهد الأزهرية سابقا	مالكى	عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / عبدالغنى السيد بكر	مدير عام شئون المناطق سابقا	شافعى	امين اللجنة
٥ ـ ،، ،، / عبدالمغنى محمد سلامة جبر	مدير عام منطقة الغربية سابقا	حنفى	عضو اللجنة

منطقة الدقهلية :

١ ـ فضيلة الشيخ / عبدالحليم احمد راشد	مدير عام المنطقة الأزهرية «ندبا»	شافعى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / احمد صقر صقر حجازى	مدير الوعظ بالدقهلية	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / ابوالخير محمد سلامة	مدير مرحلة بالمنطقة	شافعى	عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / شرف الدين احمد إسماعيل	رئيس تفتيش الوعظ	شافعى	عضو اللجنة
٥ ـ ،، ،، / محمد العمرانى إبراهيم شلاطه	موجه اول ثانوى	حنفى	امين اللجنة

منطقة كفر الشيخ :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد الاحمدى حسين محمد الذهبى	ـ مدير عام المنطقة « ندبا »	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / عبدالباسط على داود	ـ مدير التعليم الثانوى	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / احمد احمد عبدالخالق	ـ موجه عـــام	حنفى	عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / على سيد احمد الجمل	ـ موجه عام بالمنطقة	شافعى	امين اللجنة
٥ ـ ،، ،، / عبدالعزيز محمد احمد شاهين	ـ مفتش اول وعظ	مالكى	عضو اللجنة

منطقة البحيرة :

١ ـ فضيلة الشيخ / احمد الطيب حسين على	ـ مدير عام المنطقة	مالكى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / عاطف ياسين زين الدين	ـ مدير الوعظ	حنفى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / عبدالله محمد الأبحر	ـ مفتش أول علوم شرعية	مالكى	عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / نعيم عبدالقادر عطاالله	ـ مفتش وعظ	مالكى	عضو اللجنة
٥ ـ ،، ،، / محمد احمد على دياب	ـ مفتش أول علوم شرعية	شافعى	امين اللجنة

منطقة الشرقية :

١ ـ فضيلة الشيخ / احمد عبدالعظيم المرسى السودة	ـ مدير عام المنطقة « ندبا »	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / سليم عبده محمد السيد	ـ مدير الوعظ بالشرقية	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / عبدالمعبود عبدالله الجمل	ـ مدير المعاهد الأسبق		عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / عبد المنصف محمود عبدالفتاح	ـ مدير عام الوعظ سابقا	حنفى	عضو اللجنة
٥ ـ ،، ،، / محمد حربى محمود الشريف	ـ رئيس توجيه الوعظ بالشرقية		امين اللجنة
٦ ـ ،، ،، / حسين خضيرى موسى	ـ مدير مرحلة بالمنطقة	حنفى	عضو اللجنة

منطقة الاسكندرية :

١ ـ فضيلة الشيخ / عبدالحميد سيد احمد بكور	ـ مدير عام المنطقة الأزهرية	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / عبدالمحسن محمد الدمياطى	ـ مدير وعظ الاسكندرية	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / مصطفى السيد ابوالعينين عيد	ـ مدير عام المنطقة السابق	حنفى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / حافظ يوسف حافظ	ـ رئيس تفتيش الوعظ	شافعى	امين اللجنة
٥ ـ ،، ،، / احمد مصطفى عبدالرازق	ـ مفتش اول بالمنطقة	مالكى (كفيف)	عضو اللجنة

منطقة دمياط :

١ ـ فضيلة الشيخ / احمد محمد عبدالرءوف مصطفى بسيونى	وكيل اول قائم بعمل مدير المنطقة	شافعى	رئيس اللجنة

٢ ـ فضيلة الشيخ / حامد عبدالوهاب عبدالمجيد	ـ شيـخ مـعـهـد دميــاط الإعدادى والثانوى	مالكى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / احمد حامد عبدالمعطى مدكور	ـ رئيس تفتيش الوعظ		عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / عبدالله سالم محمد طرباى	ـ مدير عام المنطقة السابق	شافعى	عضو اللجنة
٥ ـ ،، ،، / محمد محمود مصطفى الخياط	ـ واعظ اول بدمياط	شافعى	امين اللجنة

منطقة الإسماعيلية :

١ ـ فضيلة الشيخ / عبدالفتاح على سلطان	ـ مدير عام المنطقة « ندبا »	شافعى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / فهمى القطب الخولى	ـ قائم بعمل مدير الوعظ	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / عبدالعزيز عبدالسلام	ـ مفتش اول بالمنطقة	مالكى	عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / السيد ابوالعينين العطار	ـ مفتش اول بالمنطقة	شافعى	عضو اللجنة
٥ ـ ،، ،، / محمد احمد الدهشان	ـ واعظ بالمنطقة	شافعى	امين اللجنة

منطقة بنى سويف :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمود سيد عويس خضير	ـ مدير عام المنطقة « ندبا »	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ ،، ،، / خليل محمود خليل الحصاوى	ـ مدير الوعظ	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ ،، ،، / محمد احمد طلبة عياد	ـ وكيل اول المنطقة	شافعى	عضو اللجنة
٤ ـ ،، ،، / قرنى صلوى محمد مرعى	ـ مدير التعليم الثانوى	مالكى	عضو اللجنة
٥ ـ ،، ،، / حسن احمد ابراهيم المسكين	ـ مفتش اول الوعظ	مالكى	امين اللجنة

منطقة الفيوم :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد محمد احمد عبد البارى	مدير عام المنطقة	مالكى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / مصطفى احمد عبد العال احمد	مدير الوعظ	حنفى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / عبد الوهاب امين قاسم	وكيل اول المنطقة	شافعى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / على مهيوب محمد محسب	مدير التعليم الثانوى	مالكى	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / أحمد جمعة محمد برياش	مفتش اول علوم شرعية	مالكى	امين اللجنة

منطقة المنيا :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد عز العرب محمد توفيق	مدير عام المنطقة	مالكى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / محمد عبد العزيز	مدير الوعظ بالمنيا	مالكى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / محمد عبد المنعم محمد حسانين	وكيل اول المنطقة	حنفى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ /محمد صفوت عبد القادر إبراهيم	مدير شئون القرآن الكريم	حنفى	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / محمد السيد حسين مطر	مفتش وعظ	شافعى	امين اللجنة

منطقة اسيـوط :

١ ـ فضيلة الشيخ / حسن حسين بخيت	مدير عام المنطقة الازهرية	مالكى	رئيس اللجنة

٢ ـ فضيلة الشيخ / ثابت احمد مهران	مدير عام الوعظ باسيوط	حنفى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / احمد محمد احمد دحلوب	مدير تفتيش وعظ اسيوط	مالكى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / محمد الدرملى حسين عمر	مدير عام المنطقة الأزهرية «سابقا»	حنفى	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ /حسين رشدى إسماعيل حسين	شيخ معهد اسيوط		عضو اللجنة
٦ ـ فضيلة الشيخ / مصطفى احمد محمد سليمان	مفتش اول بالمنطقة الأزهرية	شافعى	امين اللجنة

منطقة سوهاج :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد محمد محمد عويس	مدير عام الوعظ بسوهاج	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / عبد الصادق هاشم احمد	مدير عام المنطقة الأزهرية	مالكى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / احمد محمدين سليم	مفتش وعظ	حنفى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / قدرى احمد خليل درويش	مدير التعليم الإعدادى	مالكى	امين اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / عبد الوهاب خليل فريد	موجه اول المنطقة		عضو اللجنة

منطقة قنا :

١ ـ فضيلة الشيخ / على محمد إبراهيم عبد العاطى	مدير عام المنطقة	مالكى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / رمضان غزالى محمود	مدير عام الوعظ	مالكى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / احمد قاسم إبراهيم محمد	مدير مرحلة بالمنطقة	حنفى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / احمد إبراهيم عويضة مصطفى	مفتش اول بالمنطقة	مالكى	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / نصر مصطفى حاوى إسماعيل	مفتش وعظ	حنفى	امين اللجنة

منطقة أسوان :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد يوسف احمد عيسى	مدير عام المنطقة ندبا	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / عزيز الدين عطية عثمان	مدير الوعظ ، سابقا ،	مالكى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / صالح صادق احمد الشاعر	وكيل اول المنطقة	مالكى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / عبد الفتاح محمد احمد داود	مدير مرحلة بالمنطقة	مالكى	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / عبد المنعم على عبد الرحيم إبراهيم	مفتش الوعظ	مالكى	امين اللجنة

منطقة الوادى الجديد :

١ ـ فضيلة الشيخ / محمد عثمان الصاوى حسين	مدير عام المنطقة ندبا	مالكى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / سيد عبد اللاه محمود	وكيل اول المنطقة	حنفى	امين اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / هشام عبد العليم محمود	شيخ معهد ناصر بالخارجة	حنفى	عضو اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / محمد محمد حسين مصطفى	مفتش وعظ الخارجة	مالكى	عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / مظهر محمود احمد	واعظ بالخارجة	حنفى	عضو اللجنة

منطقة شمال سيناء :

١ - فضيلة الشيخ / محمد عبد الحليم الحديدى	مدير عام المنطقة	شافعى	رئيس اللجنة
٢ - فضيلة الشيخ / عبد الحميد البكر طلب زعتر	رئيس وعظ شمال سيناء	شافعى	عضو اللجنة
٣ - فضيلة الشيخ / احمد عبد اللطيف احمد النوسانى	وكيل اول المنطقة		عضو اللجنة
٤ - فضيلة الشيخ / عبد الرحمن احمد محمد سالم	مفتش علوم شرعية		عضو اللجنة
٥ - فضيلة الشيخ / فرج على شحاته محمود	شيخ معهد العريش		امين اللجنة

منطقة جنوب سيناء :

١ - فضيلة الشيخ / محمد عبد العظيم إبراهيم	مفتش الوعظ وقائم بعمل مدير المنطقة الأزهرية		رئيس اللجنة
٢ - فضيلة الشيخ / فرج عبد الله عبد الوهاب	واعظ بجنوب سيناء		عضو اللجنة
٣ - فضيلة الشيخ / احمد عبد المتعال احمد عمرو	شيخ معهد الطور (ع)	شافعى	امين اللجنة

منطقة البحر الأحمر :

١ - فضيلة الشيخ / احمد الصديق متولى حماد	مدير عام المنطقة ندبا	رئيس اللجنة
٢ - فضيلة الشيخ / سيد احمد يوسف مصطفى	وكيل اول المنطقة	عضو اللجنة
٣ - فضيلة الشيخ / ابو الوفا محمد تاج الدين	مفتش اول الوعظ	عضو اللجنة
٤ - فضيلة الشيخ / على سيد احمد حبيب	مفتش الوعظ	عضو اللجنة
٥ - فضيلة الشيخ / عبد الهادى تونى احمد	قائم بعمل مدير التعليم الثانوى	امين اللجنة

منطقة مطـــــروح :

١ - فضيلة الشيخ / سعيد حيطاوى عبد الرحمن اطباخ	شيخ معهد مطروح وقائم بعمل مدير المنطقة	شافعى	رئيس اللجنة
٢ - فضيلة الشيخ / محمد إبراهيم أبو البقا	وكيل معهد مطروح	شافعى	عضو اللجنة
٣ - فضيلة الشيخ / فؤاد يوسف بيومى حميده	مدرس بمعهد مطروح	مالكى	امين اللجنة
٤ - فضيلة الشيخ / عصابى احمد الصاق	واعـــظ	مالكى	عضو اللجنة
٥ - فضيلة الشيخ / رمضان حامد عبد الكريم	واعــــظ	مالكى	عضو اللجنة

منطقة بور سعيد :

١ - فضيلة الشيخ / مسعد عبده الحديدي صالح	شيخ معهد قراءات بور سعيد	شافعى	رئيس اللجنة
٢ - فضيلة الشيخ / مصطفى محمد درويش مصطفى	شيخ معهد بورسعيد (ع/ث) للبنين	حنفى	عضو اللجنة
٣ - فضيلة الشيخ / سعيد محمود حسن	شيخ معهد بورسعيد فتيات (ع/ث)	حنفى	امين اللجنة

٤ ـ فضيلة الشيخ / ظريف محمد إبراهيم الغريب	واعـــظ	شافعى	عضو اللجنة
٥ .. فضيلة الشيخ / خيرى محمد إبراهيم حبيب	واعـــظ	حنفى	عضو اللجنة

منطقة السويس :

١ ـ فضيلة الشيخ / عبد العال نصر سالم خطاب	وكيل اول وقائم بعمل مدير عام المنطقة ندبا	حنفى	رئيس اللجنة
٢ ـ فضيلة الشيخ / احمد عبد الغنى عبد اللطيف	قائم بعمل شيخ معهد فتيات السويس	شافعى	عضو اللجنة
٣ ـ فضيلة الشيخ / السيد احمد آدم يوسف	وكيل معهد فتيات السويس	مالكى	امين اللجنة
٤ ـ فضيلة الشيخ / عبد الحليم عبد الله لبيب	واعـــظ		عضو اللجنة
٥ ـ فضيلة الشيخ / محمود السباعى محمود عبد الله	واعـــظ		عضو اللجنة

المادة الثانية :

على كل مديرى المناطق الأزهرية رؤساء هذه اللجان تخصيص مكان لعمل اللجنة والعاملين بها فى مبنى المنطقة ، أو فى المعهد الثانوى للبنين بعاصمة المحافظة يعلن عنه بالطرق المتاحة لدى المنطقة ، وتخطر به أمانة مجمع البحوث الإسلامية .

المادة الثالثة :

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار ..

صدر فى : ١٨ من ذى الحجة ١٤١١هـ

الموافق ٣٠ من يونيه ١٩٩١م

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

الفهرس

الموضوع	الصفحة
● نظرة أمل ودعوة عمل	
لفضيلة الإمام الأكبر	١
● هجرات غير المكيين	
د . على أحمد الخطيب	٦
● المفهوم الحيوى للهجرة	
للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى	١١
● الطريق والطليعة	
للأستاذ حلمى الخولى	١٥
● حنين يتصل إلى مهد العقيدة	
لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم	٢٢
● رجل يتصدى لكل الأخطار	
للدكتور عبد المقصود محمد نصار	٢٤
● من فقه الشافعى	
للشيخ محمد حسام الدين	٢٩
● قبس من أنوار النبوة	
للشيخ على حامد عبد الرحيم	٣٤
● صلح الحديبية	
للأستاذ عبد المنعم محمد عمر	٣٦
● الحلال والحرام فى معاملات البنوك والمال	
لفضيلة الدكتور أحمد فهمى أبو سنة	٣٩
● نظرات فى كتاب « معاملات البنوك وأحكامها الشرعية »	
لفضيلة الدكتور عبد العال عطوة	٤٤
● البديل الإسلامى للأدوات الربوية فى أسواق رأس المال	
للأستاذ سمير عبد الحميد رضوان	٤٩
● عالمية الإسلام مدخلنا لإعلام إسلامى دولى	
للأستاذ حسن على العنيبيس	٥٦
● الفتــــاوى	
إعداد أحمد السيد تقى الدين	٦١
● من أعلام الأزهر « فضيلة الشيخ محمد نور الحسن »	
للأستاذ محمد الطاهر الزنكلونى	٦٤
● مشاهد من الهجرة	
إعداد الشاعر : رشاد محمد يوسف	٦٦

الموضوع	الصفحة
باب العلوم الكونية	
العلوم الكونية فى التراث الإسلامى	
● تقنية الصوتيات	
أ . د . أحمد فؤاد باشا	٧٠
● الأعشاب الطبية	
د . موسى مدنى مصطفى	٧٤
● تقنية الاتصالات	
د . ميرفت السيد عوض	٧٨
● الجديد فى العلم والتقنية	
إعداد د . نجوى السيد أحمد	٨٢
● طرائف ومواقف	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٨٤
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر « فى مجلس القرآن »	
إعداد وتقديم عبد الفتاح حسين الزيات	٨٦
باب اللغة والأدب والنقد	
● علماء نيجيريا	
إعداد الأستاذ سليمان موسى	٩٠
● ألفاظ الصدارة فى أساليب العرب	
للدكتور أحمد عبد العزيز عبد الله	٩٦
● الاستشفاء بالدعاء	
عرض وتعليق : عاطف شحاتة زهران	١٠١
● أنبــاء وآراء	
للأستاذ عبد المنعم فودة	
مصطفى عبد المجيد	١٠٤
● قرارات الإمام الأكبر	
إعداد الأستاذ عمر البسطويسى	١٠٧
القسم الانجليزى	
إشراف د. أنس النجار	
● المقالة الثانية	
للأستاذ عبد الحكيم أحمد طه	١٢١
● المقالة الأولى	
دكتور أنس مصطفى النجار	١٢٦

the build-up of the normal psychological patterns of their children. That is a fundamental truth, which must be supplemented by the obligations that sons and daughters must observe towards their parents. Kindness, respect, humbleness, eloquent decency, obedient understanding, rational thought to knowledge and perception, maturity with time, richness of culture and attainment of experience and wisdom with growth. The new generations have the faulty tendency of argumentative attitude, believing that they are more understanding of life than their elders, more capable of steering the courses of life, more possessive of its resources. New generations should be cognizant of the fact that the older generations of parents were the ones to plough, cultivate and organize the multiform culture which forms the soil and social matrix upon which the new generations are thriving and promoting their own development. In time, the new will become the old, the people, the culture, the matrix and all. The sequential development of human societies is a continuous process of proliferative development, the achievements of every generation is dependant upon its precursor, and instrumental to the one that follows; it is the long complex chain of the history of mankind. This teaches us that every generation must be indulged and respectfully cognizant of the cultural concepts, intellectual progress, achievements and pitfalls of the generation before.

The "Hadith" also addresses all blood relations as members of the wider circle of family. The elements of love, respect, assistance, propriety and cordial sincere relationship must be extended. The Hadith also includes the neighbours, and the further members of the human family in society. To these elements of the human family, decency, justice, love, rightness, ethical morals and social conventions must be extended. With these decorous social relationships, the human family will develop with strong roots on fertile healthy soil to give the social matrix the integrity of healthy cohesion. The goodness of relationship with kinsmen and neighbours is a highly optimized issue in Islamic teachings.

These ramifications of the Hadith traverse from one circle of human community to another in expanding trajectories to include the whole complex of the human race in a prevalent milieu of reciprocal mutual goodness, affability and love. Islamic doctrinal teachings conceive the human race as one large family, sharing the common purpose and aspirations in their finite life. The accomplishment of such aspirations requires the institution of the values of goodness, magnanimity and mutual love. This is the theme of the Hadith of the Prophet of Islam, prayers and peace from Allah be upon him.

Translated from the Arabic Original by the Editor.

trait, the behavioural pattern, and the solemn observance to which the growing generations adhere. The institution of such cultural practices results in a prevailing quality of goodness and gracious attitude of mankind, both within and outside the domain of familial environment. The vista display of artificial appearances will no longer be part of the human character. The human character will become wholesome in identity and characteristics.

The "Hadith" is addressed to every member of the family without distinction or precedence, each according to the functional responsibility. The inherent meaning of the Hadith invokes husbands to conduct themselves with indulgence, tolerance, loving consideration and an affable soul possessed in patience. The Hadith also entreats wives to qualify themselves with the same characters of magnanimity, creative thought, and gentle clemency of feminine endearing grace.

These cordial feelings of affectionate care must be practiced both within and outside the home environment. A common phenomenon observed in human societies is the contradictory conflicting patterns of husband wife relationships in public, as opposed to those practiced in the confines of their home. The artificial loving cordial respect conducted in public, turns into an explosion of accusations and humiliative disgraceful incriminations, seeding the irreversible roots of hatred. According to the teachings of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), husband wife relationship must be enveloped with genuine respect elegant dignity, cultured civility and polite courtesy; even on occasions when differences exist.

The Hadith also instructs both parents to observe their paternal responsibility towards their children. These responsibilities constitute all aspects of child care, culture, education, setting the example, meanings of value and social grace, the right and wrong, the virtue and vice, the inherent true meanings of truth, reality, goodness, and the proper understanding of the ultimate purpose of human creation. The child must be educated to understand the doctrines of belief, and the elements of faith. The child must be prepared to face the challenging drifts of the vast ocean of life supported by spiritual, mental and physical abilities to secure his stability, safeguard the integrity of the individual human as an element in the complicated matrix of the human society. The optimization of child culture and juvenile education to serve as functional healthy members of the human race has become one of the most compelling issues of present societies. The accomplishment of such extremely vital achievement is the most basic fundamental essential duty of parents.

The Hadith is also addressed to the young posterity, to the sons and daughters of all ages and all generations. The duties they carry towards their parents, the obligations they bear towards themselves, their future, their society, and the real purpose of their life. The science of child psychology has correctly taught us that parents are responsible for

THE ROOTS OF WISDOM

Hadith of the Prophet

"The Best Amongst You is He Who is most Affable to His Family"

By: Abdel-Hakim Ahmad Taha

Goodness is a desired quality of gracious attitude of every aspect of human life. Justice, magnanimity, altruism, kindness, love, beauty and eloquence are all forms of goodness. Also, goodness constitutes plentifulness, affluence, abundance and sufficiency. The various connotations of the word goodness are inherent in the syntax of the context, because goodness is always associated with everything auspicious estimable and commendable.

In the context of the present Hadith, the word "best" refers to the highest order of goodness; meaning the more useful, the more lenient, the more generous the more loving and the more understanding and affable. When such high order of goodness is directed to one's family, one is indeed distinguished among others. Outside the family environment, one poses behind one's social cast, limited in action and thought by scores of traditions, codes, relationships, customs and other social interactions. Such conditions impose alterations and formalities on the normal human behaviour. Within society, mankind lives behind appearances that must be tailored to suit and fit the man made framework presentation of the society.

At home, within the domain of the domestic environment of the family, mankind conducts himself according to the natural instincts, mannerisms, temperaments and inclinations. Within the confined boundaries of the habitation and domesticity, mankind acts with extemporaneous impulse of modus vivendi without the vista display of artificial appearances. The reality characteristics of leniency or cruelty, pomp or humbleness, generosity or miserly, content or greed; all appear as manifestations of the innate unconstrained unceremonious behaviour of mankind.

The context of the "Hadith" is a clear indication to the importance of the familial behavioural education and its cultural organization as affected by the social convention, decorum, social graces, and values upheld by the parents. These venerated forms of cultural behaviours should be methodically practiced as everyday functions, organized and supervised by the parents to take the form of customary proprieties within the framework of family life. This system of familial cultural education becomes the cultural

Islamic doctrinal teachings, and that was the gateway for Islamic proliferative expansion in Egypt.

Indeed, Amre ibn Al-Aas is the champion of Muslim intrusion into Egypt, leading triumphant confrontations against Romans, and organizing the successful administrative policy that gained recognition by Egyptians. The policy that instituted the roots of Islamic doctrines. However, notwithstanding these achievements, the eminent greatness of Omar ibn Al-Khattab at the head of the Muslim state, honours him as the paragon chancellor, the brilliant statesman, the upholder of Muslim theism, and the master genius. The man resident of Al-Madinah, while the banners of Islam emerged across the eastern plains of Persia, and the words "Allahu Akbar" echoed across the horizons of north Syria, and the footsteps of Muslim warriors stamped on the deserts of Libya, the shores of the Mediterranean and the Upper waters of the Nile valley. Omar ibn Al-Khattab, the champion of Islam, that materialized a dream into a reality, the implementation of the Islamic policy of liberation among nations.

as the capital during the Hellenic and Roman occupation. The magnificent grandeur of the city justified the choice of Amre ibn Al-Aas to make Alexandria the Muslim capital of Egypt. Omar ibn Al-Khattab wrote to Amre to choose a site where no waters would separate him from Muslim during winter or summer. Upon such instructions, Amre ibn Al-Aas selected the site on the east side of the Nile, nearing the fortress of Babylon. The place became known as Al-Fustat. Muslim warriors we instructed to plan around the area, and build their homes in districts around the great Mosque (known as Masjid Amre ibn Al-Aas). Gardens and vineyards were planted to give the place the elegance of the Muslim Capital. The Egyptians carried out most of the building construction of the growing city, and made their dwellings within the precincts of Al-Fustat, this included another district called Al-Askar. The fact that Al-Fustat became the Muslim capital of Egypt, gave the city the impact to undergo progressive expansion. Amre ibn Al-Aas resided at Al-Fustat, being appointed by Omar ibn Al-Khattab as commissioner of Egypt. Amre ibn Al-Aas drew the strategy of policy and government to make Egypt an important territory in the life of Muslims. Social justice, liberty and reformation were the important aspects of the Muslim administration of Egypt.

The Muslim warriors remained recruited to defend the country, they were not allowed to own property in Egypt during the remaining years of the reign of Omar ibn Al Khattab. During later years, they were permitted to own property and to pay the revenue for that property on similar terms as other property owners without distinction between Muslims and non-Muslims Civil positions were entrusted to qualified Egyptian officials, or remained occupied by Romans who remained resident in Egypt. Omar ibn Al Khattab repeatedly instructed Amre ibn Al-Aas to consult Archbishop Benyamin in matters of government, social policy and mechanisms of reformation. The Archbishop always advised with sincerity, wisdom, justice and foresight. Revenues were collected at the end of harvest, individual and social justice was granted and guaranteed. Restorative actions were instituted particularly in the irrigation systems and water channels. The most outstanding achievement was the digging of the gulf of Trajan that joins the Nile with the Gulf of Suez. That was accomplished in a record time of less than one year. An outstanding engineering feat of that era of history, that established an active trade link between the east and west across Egypt.

The fundamental features of Muslim administrative policy were mental ecumenism, promotion of thought, social justice, and liberty of belief., These features instituted conditions of stability and acknowledged contentment among the Egyptians. This affirmative recognition inspite of differences in language and faith, materialized into an enriched proliferative association between the Muslims and the Egyptians. This fruitful association became reflected to involve every aspect of life in Egypt. The genuine authenticity of the Muslim Egyptians associate synergism, and the optimization of its formulative elements, established a desire among Egyptians to understand the concepts of the Muslim policy of administration. That was the portal to recognize the basic criteria of

of the new regime. Propriety, liberty, constitutional human rights recognition of merits, social justice, moral obligations and reverence of equity; are all fundamental articles of Islamic doctrinal teachings. The Muslim administration in Egypt found no difficulty in applying the codes of Islamic jurisdiction to implement the firm and continuous desire to render to everyone the right measure of justice. The promotion of social propriety with candid ecumenic unpretentious modesty and moral goodness, established an environment of dependability and trustworthiness. The Egyptian population awakened to experience a totally new regime, the principles of which were the doctrinal teachings of the Muslim Theism. Amre ibn Al-Aas was determined to reinstate archbishop Benyamin at the head of the coptic church in Egypt, which was his rightful place. Amre ibn Al-Aas wrote a proclamation of safety to Benyamin and his followers. Such an action was highly favoured by the Egyptian coptics; Benyamin announced after meeting with the Muslim leader "I have returned to find security after fear, liberty after oppression, and justice after inequity. The Creator has lifted from our shoulders the heavy burden of despotism."

The administration of the Muslim regime in Egypt introduced a system of taxation very different to that adopted during the Roman occupation. The Muslim system of taxation was lenient, considerate, permissive, legal, and tolerant. This system of taxation was based according to the hierarchic classification of richness in the society. The revenue of such taxation was spent on the improvement of cultivation programmes, and civil services. The new system of taxation, and the channels of expenditure of the national income advanced the motivation of the Egyptians to harmonize their national aspirations to conform with the new regime. The Muslim policy of administration was successful in every aspect of life for both the Egyptian population, and the Muslims in Egypt. The appointed officers of state were either Egyptian Coptics, or Romans, who refused to leave Egypt during the Roman evacuation. The Muslims remained as warriors to ensure security, to supervise the implement of Islamic justice and to organize national reclamation programmes.

The prevailing milieu of religious freedom induced a culture of an ecumenic unbiased conceptualization of theistic comprehension as an element of human existence. The true understanding of faith, and the reality of belief emerged in the minds of people as new more profound exercise of thought and mental function. The resulting candid ratiocination and intellect induced several people to approach and study the Muslim theism with an ecumenic liberal understanding. That was the start of the proliferation of Islam in Egypt; that was also the phenomenon of the liberal freedom of belief that prevailed as part of Muslim policy of administration. Islam achieves pluralism through its own inertia by virtue of its inductive and deductive reason of rational thought. This has proved to be the most characteristic quality of Islamic doctrines. Through the years after the emergence of Islam into Egypt, the country advanced towards the new faith with progressive conviction.

The main question in the mind of Amre ibn Al-Aas after the triumph at Alexandria, was where to establish the new capital. He had selected Alexandria due to its long history

Egyptians, their lives, their beliefs, their wealth and property, their churches, their crosses, their lands and waters. They were to receive protection against invasion or foreign intrusion of Romans or Nubians; in return, the Egyptians were to pay the "jiziah" according to Muslim jurisdiction. They were to submit to the prescribed land revenues according to the magnitude of Nile flood. They were to enjoy freedom of passage and freedom of trade. Such enactment was dictated under oath by Amre ibn Al-Aas, witnessed by several of Amre's men, and sanctioned by Omar ibn Al-Khattab.

The Egyptian Coptics were also invoked to accept Islam, and thereby enjoy all prerogatives and privileges of Muslims; there was no compulsion or coercion in that respect. This Enactment of safety was favourably accepted by Egyptians, it contained articles that constituted elements of respect, freedom, assurance,and preservation of wealth and property. The articles of the "Enactment of safety" were widely proclaimed and accepted among the various sectors of the Egyptian population. This Enactment of safety was exclusively considering Muslim - Egyptian relationships; it did not include any clauses or articles related to peace treaties and pacts of truce arranged between Muslims and Romans. The popular acceptance of the Enactment of safety by the Egyptian population started a new era of Muslim presence in Egypt. the whole policy was geared to establish peace and prosperity. The Romans evacuated after their defeat, and the whole country settled down in domicile acceptance of Muslim prevailing presence. The ground was fertile to implant the rational magnanimous doctrines of Muslim theism. This understanding required the sagacious wisdom and eloquent statesmanship of a reformer. That man was no other than Amre ibn Al-Aas himself the champion of the Egyptian campaign.

This era of restorative reformation demanded an action plan of unique social strategy which Amre ibn Al-Aas had organized in multipurpose optimal detail. The major salient aspect of that policy was the absolute total abolition of religious dispotism. The Egyptian population had suffered severely from that form of oppressive tyranny of thought control during the Roman occupation of Egypt. According to the doctrines of Islamic Theism, freedom of belief was a fundamental article of faith. This precept was popularly proclaimed, ensured, and sanctioned. Every living person from the territories of Nuba south, to the north shores of the Delta was permitted total freedom of belief without compulsion. Every person was free to adopt any Christian sect, free to change from one sect to another, free to enter into Islam without coercion. This policy of freedom of faith was implemented with optimal exactness; the churches of all Christian sects were all actively promoting their beliefs without fear of oppression or limitation. This policy of freedom of belief induced sympathy and sentiments of the Egyptians towards Muslims. Several priests and bishops came out from their retreats and hideouts to proclaim obeisance to the Muslim administration.

The institution of social justice was another form of reformative action that was part

OMAR IBN AL KHATTAB

Enactments of Liberation

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The Roman defeat at Alexandria was in fact a declaration that Egypt had become under Muslim domination. From the north shores of the Delta to the south territories of Tiba in Upper Egypt, the Muslim authority prevailed. Few isolated Roman fortifications remained unable to engage in a major confrontation with Muslims, however, able to offer self sustained resistance. Most of these towns were around Alexandria, as Ikhna, Balhib, Barollos and Tinnis. The Muslim warriors had to capture these districts by force; several groups of the Egyptian Coptic population assisted the Muslims against the Romans. After the completion of these activities, the absolute sovereignty of Muslims over the whole of Egypt was established. Amre ibn Al-Aas wrote to Omar ibn Al-Khattab of the details; and gave the Muslim warriors time to recuperate, and gave himself time to plan the strategy of organization for Muslim presence in Egypt.

Amre ibn Al-Aas soon recognized that Roman troops were present in large numbers in Libya, the western boundaries of Egypt. This contradicted the security of Muslims. After obtaining the approval of Omar ibn Al-Khattab, Amre ibn Al-Aas moved from Alexandria to the richly cultivated territories of Barqa and Tripoli. The Muslim warriors occupied the whole territory of Tripoli with little resistance. This action, ensured the security of Muslims in Egypt. Amre ibn Al-Aas requested permission to proceed further West to Tunis, but he was denied the consent of Omar ibn Al-Khattab. Amre ibn Al-Aas returned to Barqa to receive the allegiance of the clans. There remained the people of the Nuba living in territories on the south borders of Upper Egypt. The Nubians had no territorial demands of expansion, and therefore did not constitute a threat to Muslims in Egypt. However, Uqbah ibn Nafeé Al-Fahry was delegated to secure the safety of the south frontiers.

An important issue that gained considerable discussion in the various annals of literature, is the debate whether Muslim presence in Egypt was the result of force, or the consequence of truce arrangements and peace treaties. Various authors and chroniclers elaborate in detail to justify their opinion. Most chronicles, however, agree on the more rational understanding that Muslims established their domination of Egypt by repeated decisive victories over the Romans. On the other hand, since the Coptic Egyptian population did not take any active part in the Muslim Roman confrontations; several articles of truce and treaties were arranged between the Muslims and the Egyptians. The details of Egyptian - Muslim relations were precisely defined according to what was named "The Enactment of safety". This enactment ensured the absolute safety of

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 64, PART I

Muharram 1412, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab
   The Enactments of Liberation.
   By: Anas Moustafa El Naggar

2. The Roots of Wisdom
   The best amongst you is He who is most affable to his family".
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ /
٩٠٥٥٠٦
الجزء الثانى
السنة الرابعة والستون
صفر ١٤١٢ هـ
اغسطس ١٩٩١ م

١٢
٢٢٤٤٦٤
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

مسئوليات الهجرة

يخطىء من يظن أن رسول الله - ﷺ - كان ينتهز الفرصة ليهاجر خفية خوفا من مشركى مكة أن يبطشوا به - ﷺ - ونرجو الا يَفْسُق من يعتقد ذلك .

ويضل ضلالا بعيدا من يرى أن حبنا الشاغف برسول الله - ﷺ - هو الذى يدفع بنا إلى «مغالاة» تنفى الخوف عنه - ﷺ - فى هجرته التى تمت خفية .

ذلك أن هجرته - عليه الصلاة والسلام - لم يكن امرها بيده ، لقد كانت تستلزم .. « إذْنًا » مُسَبَّقًا بها من المولى - عز وجل - وبدونه ما كانت الهجرة لتتم مهما بلغت مشقة إقامته - عليه الصلاة والسلام - بمكة ومهما حَفَّها من مخاطر ، أو مواصلة الكيد والتآمر .

فما كان ثمة انتهاز فرصة .

ولا كان هنالك من خوف .

واقلم - عليه الصلاة والسلام - فى انتظار هذا «الإذن» حتى اخذت مقدماته تاتى شيئاً فشيئا :

(١) فهاهم المؤمنون قد تمكنوا - جميعا - من الهجرة سالمين ، واستقر بهم المقام بالمدينة ، وصاروا يمارسون عبادتهم علنا ، وهم مطمئنون،ولم يبق بمكة بعد رسول الله - ﷺ - وابى بكر وعلي - رضى الله عنهما - إلا مستضعف مغلوب ، أو مفتون ، وهذا او ذاك لا يتجاوز عدُّهما اصابع اليدين ، ومُؤْمِنُهُمْ فى حفظ الله ، وكفى بالله حفيظا . ◀

﴿ مسئـوليـات الهجـــرة

(ب) ومكة لن يؤمن فيها إلا من قد آمن ، لقد أصبحت إلى حين مستعصمة بالكفر مؤمنة بالشرك لا تختار دونهما بديلا ، وأكد المولى ـ عز وجل ـ ذلك لرسوله الكريم مرتين فقال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (الصافات ١٧٤) ، ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (الصافات ١٧٨) .

أى لست ملوما ـ يامحمد ـ على ترك هؤلاء المكيين فقد أديت واجبك ، والله شهيد على ذلك ، فدعهم إلى وقت يكون لك معهم فيه شأن .

وبنزول هاتين الآيتين الكريمتين يتبين أن بقاء رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة لا معنى له ؛ فليس الإسلام خاصا بالمكيين ، فإذا رفضوه فقد انتهت الرسالة ..

لا ، فالرسالة للعالم كله ، وهذا الجانب الذى أكده مضمون الآيتين أقوى بشير ودليل على قرب نزول الإذن بالهجرة ، وتهدئة لخاطره ـ ﷺ ـ لكيلا يأسى أو يأسف على قوم كافرين ؛ فكانت الهجرة لتستمر الدعوة .

(جـ) وأقام رسول الله ـ ﷺ ـ ينتظر «الإذن» بالهجرة ، وغمره ـ ﷺ ـ فيض الفرج بنزول الآية الكريمة : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ الإسراء ٨٠ .

أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء أن يجعل له مما هو فيه فرجا قريباً ومخرجا عاجلا ، فأذن له تعالى فى الهجرة إلى المدينة المنورة حيث الأنصار والأحباب فصارت له داراً وقراراً وأهلها له انصاراً .

قال الإمامان : أحمد بن حنبل ، وعثمان بن أبى شيبة ، كلاهما عن جرير ، عن قابوس بن أبى ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما :

كان رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة فأُمر بالهجرة ، وأنزل عليه : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ . . . . ﴾ الآية[1] .

قال الإمام البخارى : « ثُمَّ أُمِرَ بالهجرة » .

أى أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان أمام أمر ، وليس مجرد إذن يحمل فى طياته خِيَرَةً لرسول الله ـ ﷺ ـ يفعل إزاءها ما يروق له .

قال ابن كثير : مدخل صدق : المدينة ، ومخرج صدق : الهجرة من مكة .

وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله ـ ﷺ ـ ليهاجر ، فيقول له ـ عليه الصلاة والسلام : « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا » .

جاء الأمرُ بالهجرة فكان الفصل الأخير من إقامته ـ عليه الصلاة والسلام ـ بمكة ، وفى هذا الفصل جزء خفى على التاريخ فلا علم لأحد به حتى يومنا هذا .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢/٢٢٦ . ط عيسى الحلبى ١٣٨٤ هـ

ذلك :

أن رسول الله - ﷺ - خرج من داره التى أحاط بها المتآمرون ليقتلوه ، وكان خروجه قبل الفجر ، وفشلت المؤامرة ، كما هو ثابت مقرر معروف ، قال ابن كثير :

« ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب » أهـ ٢/٢٣٠ كذا : (حيث أراد) ، فأين ذهب ؟

وأين مكث إلى أن ذهب إلى بيت الصديق - رضى الله عنه - ليصطحبا للهجرة .. ؟

هذا الذى لا يعلمه إلا الله .

فهو - ﷺ - لم يذهب إلى بيت الصديق فور خروجه - من داره - ليلا قبل الفجر ، فما كانت هذه عادته فى الزيارة ولا سجل أحد المؤرخين أن ضرورة دفعت رسول الله - ﷺ - ليطرق بيت الصديق فى هذه الساعة المتأخرة من الليل .

وعادة زيارته لهذا البيت العظيم تتحدث عنها عائشة - رضى الله عنها - فتقول :

«كان لا يخطىء رسول الله - ﷺ - أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار : «إما بكرة وإما عشية» .

اى أن عادته - فى الزيارة - كانت فى إحدى فترتين : إما بعد الفجر وقبل شروق الشمس ، وتلك هى البكرة ، وإما عشية ، اى آخر النهار ، أو فى الوقت بين المغرب والعشاء .

ثم من الثابت الصحيح أنه - ﷺ - ابتدأ الهجرة من منزل أبى بكر حيث اصطحبا معا إلى (غارثور) .

فمتى أتى رسول الله - ﷺ - بيت الصديق ؟

قالت عائشة :

«حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه لرسوله - ﷺ - فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظَهْرَى قومه أتانا رسول الله - ﷺ - بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها» ٢/٢٣٣ أى أتاهم ظهرا- عليه الصلاة والسلام -

وذلك يعنى أن رسول الله - ﷺ - ظل مقيما بمكة بعد خروجه من داره حيث أقام المتآمرون - فترة تقدر بنحو نصف نهار ، إن لم تتجاوزه قبل أن يأتى منزل الصديق .

وذلك أمر يضاف إلى بيان ثقته - ﷺ - فى الله - تعالى - ناصره ، كما تسجل له شجاعة وثباتا لا يكونان إلا له - عليه الصلاة والسلام .

لقد جنح بعض الإخوة الزملاء إلى القول بأن هذه الزيارة التى جاءت ظهرا كانت فى يوم سابق على ليلة المؤامرة .

نقول :

حتى لو سلمنا بذلك ، فإن هذا التفسير لن ينفى أبداً أن فترة مضت ، بعد خروجه - عليه الصلاة والسلام - من داره ثم ذهابه إلى بيت الصديق ، وأنها لم تكن فترة هينة ، وذهابه إلى دار الصديق لا يمكن نفيه .

والاستثناء الوارد - فى نص عائشة - كان لمرة واحدة لا أكثر ، فإذا ذهبنا - فى التفسير - إلى غير ما قررناه لزم أن نتحدث بروايات هشة ، أو نطرق فروضا معلولة ، وفى كليهما إنكار للثابت الصحيح من روايات الهجرة .

مسئوليات الهجرة

لقد كان رسول الله - ﷺ - مقيما على الثقة بربه مطمئنا إليه لا يخشى القوم بُكْرَةً أو هاجرةً أو عشية ، وما عرف الخوف إليه سبيلاً .

لقد كان - عليه الصلاة والسلام - بشراً رسولاً .

وكان الصديق - رضى الله عنه - بشراً تابعا .

وكان الخوف فى الصديق !

وما أجله من خوف حاز شجاعة الفداء كلها !!

إن الصديق لم يكن خائفا يخشى على نفسه ، إنما كان خوفه أن يصاب رسول الله - ﷺ - بسوء فصار يتخذ لنفسه أكثر من وضع حول رسول الله - ﷺ - ليقيه بنفسه .

وهل فوق ذلك من شجاعة ؟!

ورسول الله - ﷺ - يعلم ما فى نفس خير تابعيه فيطمئنه بقوله :

«ياأبابكر ، ماظنك باثنين ، الله ثالثهما» .

وفى بيت الصديق ، وفى تلك الزورة المستثناة التى حَدَّثَتْ بها عائشة قال رسول الله - ﷺ - يخاطب الصديق : إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة .

فقال أبو بكر : الصحبة بأبى أنت وأمى !

قال النبى - عليه الصلاة والسلام : نعم . فبكى الصديق فرحا . وفى الليل خرجا إلى غار ثور .

وإذا لم يكن خَوْفٌ فَلِمَ كانت الخفية ؟

نقول :

لئلا يكون العَلَنُ بالهجرة سببا مباشرا فى وقوع حادث تتوالى منه نتائج تسىء إلى الرسالة والرسول والمؤمنين،وتكون فتنة تجد فيها الخصومة الوثنية والكتابية مرعى خصبا تنفث فيه ما تستطيع من ادعاء فاجر ، ومقولة قبيحة حين يَعِزُّ - على المسلمين - بيان الحق وبسط الدفاع ، ورسول الله - ﷺ - لا يفوته حساب الأحداث ؛ ولنأخذ فى بيان ذلك .

● أحدث خروج رسول الله - ﷺ - من حجرته سالما ليلة المؤامرة ، ضجة لم تَغِبْ عن بنى هاشم ولا بنى المطلب ، هذان البطنان من بطون قريش اللذان حرصت قُوَى المؤامرة على إخفاء سِرّها عنهم ، فلما باءت بالفشل انفجر الغيظ فقضى على حرص الكتمان وانتشر الخبر فعلم بنو هاشم وبنو المطلب ما دبر لهم بليل ليقفوا أمام القبائل بخزى عاجزين .. أما وقد انقلبت المؤامرة رأسا على عقب فما كانوا يسمحون أن يؤذى رسول الله - ﷺ - أمام أسماعهم وأعينهم وكان - لامحالة - من صراع . وفى أى مكان ؟

فى الأرض الحرام .

وحسبك فى هذا حادث يُشنِّعُ بالنبى الكريم ، وهو منه براء ، فما أسرع من شاعر خبيث يصم محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ بسفك الدماء فى البيت الحرام ، وخُذْ ـ إلى ذلك ـ من التهم ما يمده الحقد ، وفوات الغرض ، والضيق بهذا الدين إلى شهوة الانتقام فالكيد الذى لا يعرف حدودا من كرم ، أو قصداً من شهامة .

نقول هذا ـ دون أن نضيف إليه ـ تمكُّن رسول الله ـ ﷺ ـ من ضرب خصومه فى هذا الميدان المشروع ، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ على قوة خارقة يشهد لها صراعه ـ ﷺ ـ مع يزيد بن رُكانة وأبى الأشدين ، أقوى مصارعى القوم، وتغلب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عليهما . وهى قوة لم يستخدمها رسول الله ـ ﷺ ـ مع خصومه إلا مضطراً (٨٣/٢) .

وفى انتشار الأخبار الكاذبة وسرعة طيرانها بين القبائل التى كان معظمها ينأى عن الصراع ليس حبا فى رسول الله ـ ﷺ ـ أو اعترافا بدينه ، بل لمنزلة الأرض الحرام ، فركنت القبائل إلى مراقبة الحوادث آملين أن يتغلب قومه ـ عليه الصلاة والسلام ـ عليه فينعموا بها ، أو الأخرى فيكون لهم شأن .

● والإسلام الذى عرف فى نجران .. وعُمان .. ومضارب بنى صعصعة .. وبطون غفار .. وغيرهم ممن كان له نصيب فى الإسلام فأسلم بين قومه ، وأسلم معه من أسلم ، وحولهم أكثرية وثنية على استعداد تام لقبول الفِرى فرية فرية بل والزيادة عليها ضيقا بالإسلام ونهجه والنبى ودعوته نقول : كيف يكون حال هؤلاء المسلمين .. الذين أسلموا ورسول الله ـ ﷺ ـ مقيما بمكة .

● بل كيف يكون حال المهاجرين فى المدينة ؟ أولئك المهاجرون الذين اجتمع عليهم حَنَقُ المنافقين وكيد اليهود وتربص القرشيين ومداولاتهم السرية .

كيف يدافعون ؟

صحيح .

ان الوحى ينزل بالحق ، ويُجَلِّى البيان ، ويفصل بالعدل.. لكن من ذا الذى يؤمن بالوحى ؟

إنهم المؤمنون فقط .. ليس الكافرين .. ولا المستهزئين .. وتبقى الفتنة تدوى .

ضد الدين .. والرسول .. والمسلمين ..

وليس يقضى على ذلك كله إلا أن يخرج الرسول ـ ﷺ ـ مهاجرا فى خفية تختفى معها الفتنة .

لقد كانت الهجرة خطوات محسوبة ومسئوليات معلومة كان منها رسول الله ـ ﷺ ـ على أتم بصيرة .

د . على أحمد الخطيب

طوابق المسجد والانتفاع بها

فتوى لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر خطاب من سكرتير المدرسة فى « باندرا » ـ مقاطعة فى بومباى بالهند ..

يقول فى صدر خطابه : نحن فى حاجة إلى فتواكم فى الموضوع التالى .. وقد أورد فى كتابه ستة بنود ملخصها ما يلى : ـ

أولاً : قام المسلمون بجمع المساهمات لبناء مسجد على جزء من الأرض فى « باندرا » مقاطعة بومباى وأوشك المسجد على التمام ويؤمه المصلون فى الصلوات اليومية والجمع ..

ثانيا : بالمسجد مدرسة لتعليم الأطفال « الدين والقرآن الكريم » .

ثالثا : رغبة فى الفائدة الكبرى رأى أمناء المسجد إنشاء مدرسة « عليا متوسطة انجليزية » فى طوابق المسجد العليا وضمن منهج الدراسة تكون مادة الدين إجبارية .

وحيث أنها ستكون داخل المسجد فالطلاب والمدرسون سيكونون جميعا مسلمين .

والمطلوب إرشادكم حول ما إذا كان مناسبا فى الشريعة أن يستخدم مبنى المسجد أيضا للمدرسة ، مع أنه لا يوجد فضاء بأرض المسجد تقام عليها المدرسة إلى جانب ارتفاع سعر الأرض جدا فى بومباى ؟

والجواب :

أولاً : ما قام به المسلمون من بناء مسجد متعدد الطوابق بالمساهمات المالية والجهود الذاتية فى « باندرا » بومباى الهند .. يعتبر عملا دينيا طيبا ، يستحق المساهمون عليه أجراً عظيما فى الدنيا ،

وثوابا كريما يجدونه يوم القيامة حاضرا ، ويرضى الله ورسوله عنه والمؤمنون ، لأن المسجد للمسلمين هو قبلة صلاتهم ، ومقر اعتكافهم ، أذن الله برفعه ومدح عمّاره ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ سورة التوبة الآية (١٨) .

ثانيا : من وظائف المسجد أنه مركز للتعليم ، ودراسة النافع من الأمور والمفيد من الأعمال ، والتعرف على السياسة الشرعية ، والآداب القرآنية والتوجيهات النبوية ، وهذا مما حمل المسلمين فى « باندرا » على تخصيص مدرسة فى المسجد لتعليم الأطفال الدين والقرآن الكريم ، وهذا خير عظيم يقدم لأبناء المسلمين . روى الخليفة الثالث عثمان ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخارى وأبو داود والترمذى .

وقد ثبت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتخذ من مسجده بالمدينة المنورة مقرا لتعليم أصحابه ، بجانب أداء الصلاة فى أوقاتها ، وقصة الثلاثة الذين دخلوا مسجد الرسول وهو فى حلقة العلم مشهورة رواها البخارى فى « صحيحه » عن أبى واقد الليثى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينما هو جالس فى المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذهب واحد . قال : فوقفا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهبا ، فلما فرغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة : أما أحدهم فأوى فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه » .

ثالثا : المدرسة العليا المتوسطة الانجليزية المراد إنشاؤها فى طوابق المسجد العليا لأطفال المسلمين ، ويقوم بالتدريس فيها مدرسون مسلمون ، وضمن منهجهم مادة الدين لا تعارضها مقاصد الشريعة الإسلامية مادام يوجد فى بناء المسجد طوابق أعدت لذلك ، وروعى تخصيص المكان الذى بنى للمسجد أولا .. لإقامة الصلاة عليه ، حتى لا يشغل المكان المخصص للصلاة بشىء يزاحم الصلاة فى أوقاتها ، وقد أفتى الإمامان : أبو يوسف ومحمد صاحبا أبى حنيفة : « أنه يجوز أن يكون سفل المسجد أو علوه منتفعا به إذا اقتضت الضرورة كما فى البلاد التى تضيق بسكانها » .. نقل ذلك ابن نجيم الحنفى فى كتاب البحر الرائق[1] وبناء عليه يباح إنشاء المدرسة المنوه عنها بأحد طوابق المسجد الملحقة به إعمالا لقاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » والضرورة تقدر بقدرها وبخاصة ما جاء فى كتاب السكرتير من ارتفاع سعر الأرض جدا فى بومباى ولا يوجد فضاء بأرض المسجد تقام عليها المدرسة ..

هذا وبالله التوفيق ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

---

(١) جزء ٣ باب الوقف فى أحكام المسجد صـ ٤٠٢ وما بعدها من كتاب « الدر المختار وحاشيته رد المحتار » لابن عابدين الحنفى .

من رجال الدعوة

ناصح أمين

لفضيلة الشيخ
أحمد بن محمد طاحون

حَدَّث قتادة عن الرجل الذى جاء من اقصى المدينة لينصر المرسلين الذين جاءوا إلى انطاكية برسالة عيسى ابن مريم عليه السلام يدعون إلى الحق وخالص الإيمان لينصرهم من قومه المشركين حين هموا بإيذائهم وقتلهم قال : كان ـ هذا الرجل ـ يعبد الله فى غار ، فلما سمع خبر المرسلين جاء يسعى فقال للمرسلين : أتطلبون على ماجئتم به أجرا ؟ قالوا : لا ما أجرنا إلا على الله ، قال أبو العالية : فاعتقد ـ الرجل ـ صدقهم ، وآمن بهم ، وأقبل على قومه فـ : ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (يس ٢٠) يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم بالخير وأسباب الرحمة .

واسم هذا الرجل عند المفسرين وأصحاب السير « حبيب » هداه الله إلى الحق وخالص الإيمان واتبع الرسل ، وأخلص النصيحة لقومه ، وصار أنموذجا صالحا فى صدق اليقين ، ونصرة الدين ، وفى الدعوة إلى الله بالحكمة والدليل ، والرغبة فيما عند الله من الرحمة والثواب ، وقد ألح على قومه فى قبول دعوة الرسل ، والخروج من مضايق الشرك وظلامه ، إلى سعة رحمة دين الله ونوره : ﴿ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾ (يس ٢١) تكرير للتأكيد ولبيان أنهم لو كانوا متهمين لطلبوا المال ، ولسعوا إلى الدنيا من وراء إبلاغ الرسالة ، ولكنهم أخلصوا عملهم لله ، ورجوا الخير للناس ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ ، أى : فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ، فلماذا لا تهتدون ، وأنتم لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم ، وتربحون صحة دينكم ، فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ؟ وجملة : ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ حالية

فى محل نصب فيها مايؤكد كونهم لا يسألون الأجر ، ولا مايتبعه من طلب جاه وعلو وسمعة بين الناس ، وإنما هم ثابتون على الاهتداء مخلصون فى أداء الواجب ، حريصون على طلب مرضاة الرب .

ومن لطائف المعانى ما علق به القشيرى فى تفسيره قال : فى القصة أنه جاء من قرية فسماها مدينة ، وقال : ﴿ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ ﴾ ولم يكن أقصاها وأدناها ليتفاوتا بكثير ، ولكنه - سبحانه - أجرى سنته فى استكثار القليل من فعل عبده إذا كان يرضاه ، ويستنزر الكثير من فضله إذا بذله وأعطاه . وقد أبلغ الرجل الوعظ ، وصدق النصح ، ومن ذلك تلطفه فى إرشاد قومه بإيراده فى معرض المناصحة لنفسه ، مع إخلاص النصح لهم إذ أراهم أنه اختار لهم مايختار لنفسه ، وهو خير الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس ٢٢) أى : وما يمنعنى من إخلاص العبادة للذى خلقنى وحده لا شريك له ، وإليه - سبحانه - المرجع للجزاء يوم المعاد ، فيجاريكم على أعمالكم ، إن خيرا فخير وإن شرأ فشر .

وتأمل ماتضمنته الآية الكريمة من الأسباب الموجبة لتوحيد الله عز وجل ولإخلاص العبادة له وحده فهو سبحانه الخالق ، فكيف يُجحد فضله ؟ وكيف يعبد معه غيره ؟ ثم إن المرجع إليه ، وهو سبحانه الذى سيحيينا للحساب والجزاء ، والمصير إما إلى جنة وإما إلى نار ، ولو تفكر كل واحد تفكرا صحيحا لما بقى على وجه الأرض ملحد ولا مشرك ، وقد ضرب الرجل المؤمن المثل بنفسه : ﴿ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى ﴾ ليدعو غيره إلى التأمل والتدبر ، وكأنه قال : ومالكم لا تعبدون الذى فطركم ؟ ولذا قال : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ للمبالغة فى تهديدهم بتخويفهم بالرجوع إلى الله يوم تكشف الخبايا ، ويعذب أهل الإنكار والشرك ، وفى الآية الكريمة مع التهديد تقريع لهم على تركهم عبادة خالقهم وانصرافهم إلى عبادة غيره .

ثم عاد إلى المساق الأول فى التلطف فى إرشاد قومه مقدماً الدليل على بطلان الشرك فى صيغة استفهام للإنكار والنفى فقال : ﴿ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ (يس ٢٣) . ﴿ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً ﴾ أى : لا يكون ذلك أبدا ، وفيه نفى لاتخاذ جنس الآلهة من دون الله على الإطلاق ، وفيه من تحميق وتجهيل من يعبد غير الله مافيه .

وقوله تعالى : ﴿ إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾ استئناف سيق لتعليل النفى المذكور ، أى : إن هذه الآلهة التى تعبد من دون الله لاتملك من الأمر شيئا ، فإن الله لو أراد عبده بسوء : ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾(١) وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه ، ولو شفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ، ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده - سبحانه - لدفع الضر عنكم : ﴿ وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ أى : ولا تقدر الأصنام على إنقاذ عابديها منه بوجه من الوجوه ، ولا تخليصهم مما هم فيه .

﴿ إِنِّى إِذًا لَّفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (يس ٢٤) أى : إن اتخذتها آلهة من دون الله عز وجل ، وكيف يرضى ذو عقل وفهم أن يشرك من لا يخلق بمن يخلق ، وهو سبحانه القادر على كل شىء ،

---

(١) يونس : ١٠٧ .

ناصح أمين من رجال الدعوة

وليس من شأن من لايخلق النفع والضر بل هو مخلوق عاجز ، وليس لمخلوق أدنى شركة مع الخالق سبحانه وتعالى ؟ إن من فعل ذلك فقد وقع فى خطأ واضح ، وغلط ظاهر ، إذ العقل السليم يرفض تعدد الآلهة ، والفكر المستقيم يأبى الجحود والإنكار ، ويأبى عبادة ما لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، وقد قامت البراهين على وجود الخالق وكمال حكمته ، وسطعت الأدلة على كمال قدرته ، وتفرده بالإلهية .

لقد دعا هذا الرجل المؤمن قومه إلى التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة ، مقدما الدليل من نفسه ومما يحيط به ، داعيا غيره إلى إجالة الفكر وإنعام النظر فى آيات الله ودلائل عظمته وكمال سلطانه ، مع بيان انه سبحانه فى رحمته بعباده لا يحتاج إلى وسطاء بينه وبينهم ، وهذا الأسلوب الهادىء الحكيم فى الدعوة إلى الحق وإنارة السبيل أمام العقل والقلب جاء فى حوار إبراهيم الخليل عليه السلام مع قومه(٢) حين قال لهم : ﴿ مَاتَعْبُدُونَ ﴾ طرح عليهم السؤال ليلفتهم ويشركهم فى التفكير فأجابوا : ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ فألقى عليهم السؤال الذى يلجمهم ولا يجدون له جوابا ، وفيه تحميق لهم وتجهيل : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ أى : فكيف يعبد من لا يسمع دعاء من دعاه ؟ ولا يجلب نفعاً ، ولا يدفع ضراً ؟ إنه سؤال موجه للقلب والعقل معاً ؟

ولما كان السؤال فيه جوابه أى : إنهم لايسمعوننا إذ ندعوها ، ولا ينفعوننا ولا يضروننا تحير لذلك المشركون ، فأجابوا إبراهيم عليه السلام بجواب المقلدين لمن سبقوهم دون إعمال فكر : ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ومتى كان التقدم فى الزمن والأولية برهانا على الصحة ؟ إن الباطل لاينقلب حقا بالقدم ، وما عبادة من عبد هذه الأصنام إلا عبادة أعداء له ، كما جاء بيانه فى قوله تعالى : ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ (٣) ولأن المغرى على عبادة الأصنام هو الشيطان وهو أعدى أعداء الإنسان .

لهذا قال إبراهيم معرضا وناصحا : ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ وإنما قال : « عدو لى » تصويرا للمسألة فى نفسه ، على معنى : إنى فكرت فى أمرى ، فرأيت عبادتى للأصنام عبادة للعدو فاجتنبتها ، وآثرت عبادة من الخير كله منه ـ سبحانه ـ وأراهم إبراهيم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أولا ، وبنى عليها تدبير أمره ، لينظروا فيقولوا : مانصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه ، وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه ، ليكون ذلك النمط من أسلوب الدعوة إلى الله ادعى لهم إلى القبول ، وأبعث على الاستماع منه ، ولو قال : فإنه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ، ولأنه دخل فى باب من التعريض ، وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح ، لأنه يتأمل فيه ، ويشارك المتحدث فى تفكيره ، وربما قاده التأمل والتفكر إلى التقبل .

البقية ص ١٧٣

(٢) الآيات : ٧٠ : ٨٢ من الشعراء .
(٣) مريم : ٨٢ .

روح الصف في المعركة

للـــواء . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

﴿ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾

شكل المعركة الحديثة :

● كانت الجيوش قديما تقاتل فى شكل كتل بشرية وصفوف متراصة كتفا لكتف ، لكن هذا الشكل أصبح غير ذى موضوع بعد ظهور الأسلحة التى تحصد الصفوف حصداً ابتداء من الرشاشات إلى أسلحة التدمير الشامل كالقنابل النووية . من أجل ذلك أصبح « انتشار » القوات والجنود على مسافات واسعة أمرا حتميا تجنبا للفناء .

● لكن الواقع التاريخى يؤكد أنه إذا كان التغيير والتطوير مطلوبا تمشيا مع روح كل عصر وما يصاحبه من تقدم علمى وتقنى ، فإن هذا التغيير والتطوير ينصب على « الأشكال والأساليب والوسائل » ، وتبقى « روح المبادىء والأسس وفلسفتها » سليمة لا تتغير ، وبمعنى آخر : إذا كان « شكل » الصف فى المعركة الحديثة قد انتهى أمره ، فإن « روح » الصف مازالت باقية ، بل لقد أصبحت ضرورة حتمية للنصر .

● ويشير إلى هذا المعنى قول الجنرال « أندريه بوفر » (فى كتابه مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية) وهو يصف المعركة البرية بأنها مجابهة عنيفة بين جدارين بشريين مشكلين من المقاتلين ، ويوضح فلسفة هذا التشكيل الجدارى : « ويأتى هذا التشكيل الجدارى من رغبة كل مقاتل فى أن يحمى ظهره وجنبيه بالأصدقاء ، فإذا ما حمى كل مقاتل زميله واحتمى به ، تشكل من المجموع صفوف (انساق) متراصة يزداد تراصها وتعاقبها أو يقل حسب القواعد التكتيكية لكل عصر » .

● وتتمثل روح الصف فى المعركة الحديثة بمحتوياتها المعنوية والمادية فيما تعارف عليه العسكريون من مسميات مثل : معركة الأسلحة

روح الصف فى المعركة

المشتركة - تنظيم التعاون - تنسيق النيران - حماية الأجناب والمؤخرة .. الخ .

روح الصف فى الإسلام :

● ويقرر الإسلام أن من أهم العوامل لتحقيق النصر ، تعاون المقاتلين وتضافر جهودهم فى مواجهة العدو وهو بعض ما يفهم من قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[١] وقد قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وشبك بين أصابعه »[٢] .

● ويذكر المفسرون أن معنى الآية الكريمة أن الله تعالى يحب الذين يقاتلون فى سبيله متساندين مترابطين كأنهم بنيان مرصوص ، لايجد العدو بينهم ثغرة ينفذ منها[٣] ، وأصل لفظ مرصوص : المتماسك بعضه ببعض « بالرصاص » والمراد انه متقن ومحكم كأنه قطعة واحدة[٤] . وهكذا يقرر الإسلام انه يجب أن يكون بين المجاهدين المقاتلين « تلاحم تام » وتعاون وثيق ، لتحقيق الأهداف التى يقاتلون من أجلها .

● ولعل أبلغ ما يدل على ما لروح الصف من تقدير عظيم فى الإسلام أنها ألحقت بالعبادات حتى تتغلغل فى كيان المسلم ، ففى الصلاة يتعلم المسلمون « تسوية الصفوف » حيث جعلت من تمام الصلاة ، فعن انس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سووا صفوفكم ، فإن تسوية الصف من إقامة الصلاة »[٥] .

وفى غزوة « بدر » نظم الرسول القائد - صلى الله عليه وسلم - الجيش فى صفوف وحرص على أن يمر بنفسه على الصفوف ليتأكد من انتظامها ، فلما وجد رجلا اسمه سواد خارجا عن الصف أصلح من وضعه فى الحال وقال :« استو ياسواد » .

قوة الصف الإسلامى .

● والمتأمل فى كلمة « صفا » ، وتشبيه المقاتلين « بالبنيان » كما جاء فى الآية الكريمة وفى الحديث الشريف ، يستطيع أن يستخلص أن المجاهدين قادة وجندا « مسئولون » عن تنفيذ هذا التوجيه الإسلامى ، وعن العمل بما ينطوى عليه من مبادىء تحقق للصف الإسلامى كل القوة والمنعة والتى نذكر منها ما يلى :

اولا : وحدة العقيدة ووحدة الهدف :

● إن حجر الأساس فى بناء الصف الإسلامى هو أن المجاهدين تجمع بينهم « عقيدة قتالية واحدة » هى الجهاد فى سبيل الله وإعلاء كلمة الله ، قال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ

(١) الآية الكريمة ٤ من سورة الصف .
(٢) الحديث رواه البخارى والترمذى .
(٣) الشيخ عبد الجليل عيسى : تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم ص ٧٣٨ .
(٤) « المعجم الوسيط » لمجمع اللغة العربية ٣٤٨/١
(٥) الحديث . رواه الشيخان .

﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ . . . ﴾(٦) .

● وإذا كان علماء النفس والاجتماع يجمعون على أن من أهم أسباب تماسك الجماعة هو « أن تكون الاتجاهات الفكرية لأفرادها موحدة وتتركز فى مبادىء وعقائد عامة يعتنقونها جميعا » ، فإن الإسلام يتجاوز هذه الأفكار إلى مبادىء تتميز بالأصالة والإحكام :

(١) « **فالتوحيد** » هو مبدأ الإسلام وجوهره ، أى توحيد الله ـ عز وجل ـ وإخلاص العبادة له ، فهو وحده الخالق المدبر ، وهذه العقيدة تتغلغل فى كيان المؤمن ، وتستقر فى قلبه ، فيتجرد لها تجردا كاملا ، وتكون ملء سمعه وبصره ، فى كل لحظة من لحظاته ، يعيش بها ، ويموت فى سبيلها ... وهذا هو الأساس الأصيل لوحدة الجماعة الإسلامية وقوتها ، فرباط الإيمان والعقيدة بين الناس هو « أقوى الروابط » وهو أقوى وأثبت من تلك الروابط التى يتحدث عنها علماء الاجتماع كاللغة والجنس والأهداف وغيرها ، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٧) .

(٢) « **والجهاد فى سبيل الله** » هو التكليف الملزم « بحشد » كل الطاقات نحو غاية سامية هى إعلاء كلمة الله ، وتتميز عقيدة الجهاد « بوضوح الهدف » فإن الغرض من الجهاد ليس عدوانا على أحد أو اغتصابا لحق أو حظا من حظوظ الدنيا ، وإنما هو إعلاء كلمة الله ، وكلمة الله هى الحق وهى العدالة وهى الرحمة وهى الأخوة وهى السلام العام للفرد فى نفسه ودمه وماله وعرضه ، وللأمة فى كرامتها وعزتها وكل مقدساتها ، وللناس جميعا .

ثانيا : استمرار الصف وعدم التخلف عنه :

● كان المسلمون الأوائل يتسابقون إلى الجهاد ولا يعتذرون عنه أو يستأذنون النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التخلف عنه كما يقول الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾(٨) .. أما المنافقون الذين لا إيمان لهم فكانوا ينتحلون المعاذير فرارا من الجهاد ويستأذنون فى النكوص عنه ، ويلجئون إلى الاستنامة عنه والفتور كما يقول الله فيهم : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾(٩) .

● وقد ربط الله تعالى الإيمان بالجهاد فى صورة محكمة متماسكة بحيث « يزول » الإيمان عند الفرار من الجهاد وعند النكوص عنه ، وفى ذلك يقول الله سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(١٠) ويقول جل شأنه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

(٦) الآية الكريمة ٧٨ من سورة الحج .
(٧) الآية الكريمة ١٥٣ من سورة الأنعام .
(٨) الآية الكريمة ٤٤ من سورة التوبة .
(٩) الآية الكريمة ٤٥ من سورة التوبة .
(١٠) الآيتان الكريمتان ١٥ ، ١٦ من سورة الأنفال .

﴿روح الصف في المعركة

اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١١) ومما يذكر انه حينما نزلت هذه الآية قال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين : « ربح البيع ، لا نقيل ولا نستقيل » أى اننا ملتزمون بهذا البيع والعهد ولا نفسخه أبدا ولا نطلب أن نُعفى من هذا التكليف(١٢) .

● وحتى يستمر الصف الإسلامى قائما مهما اشتدت وطأة القتال وعنفه يوجه الإسلام إلى ما يلى :

(١) الثبات والصبر :

● فالثبات والصبر وقوة الاحتمال هى عناصر القوة فى الجهاد ، وسبيل النصر على الأعداء ، يقول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .(١٣)

ويقول جل شأنه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١٤) .

● ويلتقى مع توجيه القرآن فى ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

— « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً »(١٥) .

— « إنما الصبر عند الصدمة »(١٦) .

(٢) توقع الشدائد وتقدير المشقة :

● ولا شك فى أن توقع الشدائد يسهل احتمالها ، وإذا نزلت بالمجاهدين « لم تكن مفاجئة لهم » ، من أجل ذلك يحث الإسلام المجاهد على أن يقدر المشقة قبل أن يقدر الانتصار ، وأن يعرف أنه يذوق البلاء قبل أن يذوق نعمة الانتصار ، فقد قال سبحانه وتعالى للمجاهدين :

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾(١٧) ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَاتَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ . وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا

(١١) الآية الكريمة ١١١ من سورة التوبة .
(١٢) أقال البيع أو العهد : فسخه ، واستقاله البيع : طلب إليه أن يفسخه .
(١٣) الآيتان الكريمتان ٤٥ ، ٤٦ من سورة الأنفال .
(١٤) الآية الكريمة ٢٠٠ من سورة آل عمران .
(١٥) الحديث : رواه أصحاب السنن .
(١٦) الحديث رواه البخارى .
(١٧) الآية الكريمه ١٨٦ من سورة آل عمران .

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .[١٨] ـ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[١٩] .

وفى هذه الآية يربى سبحانه وتعالى روح الصبر فى المجاهدين بحملهم على توقع الأذى والبلاء كما وقع لغيرهم من المؤمنين .

(٣) لا فرار من المعركة :

● ونهى الإسلام عن الفرار أمام العدو ، وعدَّه من الكبائر كما يفهم من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[٢٠] ، وكما يفهم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « خمس من الكبائر لا كفارة لهن ، وذكر فيها التولى يوم الزحف » . وقوله أيضا : « إن من أعظم الموبقات الشرك بالله وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات »[٢١] .

(٤) المناورة بالقوات والوسائل :

● وحدد الإسلام حالة التراجع المسموح بها فى المعركة إذا وجدت القيادة أنها ضرورة استراتيجية أو تكتيكية للتغلب على العدو كما يلى :

الحالة الأولى : انتقال القوات إلى « موضع آخر » أفضل وأنسب لقتال العدو ، وهو ما يفهم من عبارة (إلا متحرفا لقتال) .

الحالة الثانية انتقال القوات لكى « تنضم » إلى قوات أخرى تُقَوِّيها أو تتقوى بها ، أو لتوفير ظروف أفضل وأنسب لقتال العدو ، وهذا مايفهم من عبارة (أو متحيزاً إلى فئة) .

● وكلتا الحالتين يعرفها العسكريون « بالمناورة بالقوات والوسائل » ، ويعتبرونها من أعمال القتال التى تقتضيها « إدارة المعركة » لتحقيق النصر ، وتكون المناورة بالقوات « مناورة استراتيجية » إذا تمت على مستوى عال وبقوات كبيرة وعلى مسافات أو مساحات كبيرة ، وتكون « مناورة تكتيكية » إذا تمت على نطاق محلى ومحدود من حيث القوة والمسافة .. الخ ، والمناورة الناجحة بالقوات تدل على « براعة القائد » فى إدارة المعركة .

ثالثا : إنكار الذات وروح الفريق :

● لقد ورد ذكر « البنيان » فى الآية الكريمة من سورة الصف ، وفى حديث : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وتشبيه المقاتلين به ، ولما كان البنيان لا يقوم إلا على أساس التكامل والتناسق والترابط بين عناصره ومواده المختلفة ، فإنه يجب أن يؤدى كل فرد دوره متعاونا مع زميله ، وليس لأحد أن يدعى لنفسه الفضل وحده فى تحقيق النصر على العدو .

● ويمتد هذا المفهوم صعودا من مستوى

(١٨) الآيات الكريمة ١٥٣ ـ ١٥٧ من سورة البقرة .
(١٩) الآية الكريمة ٢١٤ من سورة البقرة .
(٢٠) الآية الكريمة ١٥ من سورة الأنفال .
(٢١) الحديث رواه الشيخان .

روح الصـــف فــى المعــركة

الأفراد فى أصغر وحدة إلى أعلى مستوى فى القوات المسلحة حيث تتعاون أسلحتها البرية والجوية والبحرية والدفاع الجوى فى المعركة التى تعرف « بمعركة الأسلحة المشتركة » التى لا يتحقق النصر على العدو بدونها .

● والواقع أن منهج الإسلام فى تربية المسلمين على خُلق إنكار الذات والعمل بروح الفريق يذهب ما فى الصدور من حب الذات والأنانية والأثرة ، وينمى فى وجدان المسلم أقوى الدوافع إلى أن « يبتغى وجه الله وحده » فى كل أعماله ، فالعمل الصالح حقا هو ما أداه صاحبه ابتغاء وجه الله : ولقد جاء رجل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : « يارسول الله أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ، ما له ؟ فأجاب الرسول صلى الله عليه وسلم : لا شىء له ، فأعاده الرجل ثلاث مرات ، فقال الرسول : لا شىء له ، إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا ، وابتغى به وجهه »[٢٢] وكذلك جاء رجل إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله إنى أقف الموقف أريد وجه الله ، وأريد أن يُرى موطنى ، فانتظر عليه الصلاة والسلام فى الرد ، حتى نزل قول الله تعالى : ﴿ . . . فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[٢٣] .

ولقد ورد ذكر المقاتل الذى يقاتل لكى يقال عنه « فلان جرىء » من بين الثلاثة الذين قال عنهم الرسول القائد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى هريرة رضى الله عنه : « أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة »[٢٤] .

رابعا : تطهير الجيش من دعاة التخذيل :

● ومن أخطر ما يتعرض له الصف الإسلامى أن يندس فيه دعاة التخذيل وتثبيط العزائم ، ومن الأمثلة التى أوردها القرآن فى هذا المجال أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين ـ عندما أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالإعداد لغزوة « تبوك » ـ أن يتخلفوا عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا ينفروا فى لظى الشمس ووهج الحر ، فجاءت الآية الشريفة « تحذر من اتباعهم » وتنبئهم أن جهنم أشد حرا ، وتطلب من الرسول ـ صلى الله وسلم ـ « ألا يستعين بهم » فى غزوة أخرى ، قال تعالى :

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾[٢٥] .

فالقرآن هنا لا يكشف محاولات تثبيط العزائم ، ولا يحذر المسلمين من الاستجابة لها فحسب ، بل يقرر أيضا « ضرورة تطهير الجيش » من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم عليه .

(٢٢) الحديث رواه النسائى والطبرانى .
(٢٣) الآية الكريمة ١١٠ من سورة الكهف .
(٢٤) الحديث رواه الترمذى والحاكم .
(٢٥) الآيات الكريمة ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ من سورة التوبة .

كشمير الإسلامية

ومشكلتها بين الهند وباكستان

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

تعتبر شبه القارة الهندية التى تضم دولتى الهند وباكستان من الأمم ذات الحضارة القديمة بحيث تزامل فى حضارتها حضارات مصر الفرعونية وبابل و آشور واليونان وسكانها يختلفون فى ألوان بشرتهم ما بين اللون الأسود الغالب فى الجنوب وبين اللون القمحى فى الوسط ، حتى إذا وصلنا إلى نهاية الشمال فى كشمير وجدنا السكان يمتازون ببياض البشرة .

كان المسلمون أرقى أمة فى الشرق بل فى العالم المتمدين ، إذ كانوا يحملون دينا جديداً متميزا بعقيدته وعلومه ، وقد توسعت حضارته ورقَّت حواشيها وكان علماء الإسلام يبايعون الناس على التوحيد والإخلاص واتباع السنة النبوية ، والتوبة عن المعاصى ويحذرون من الفحشاء والمنكر والبغى والأخلاق السيئة والظلم والقسوة ويرغبونهم فى التحلى بالأخلاق الحسنة وتزكية النفس وإصلاحها وحب الله والناس .

ونتج عن هذه التعاليم السامية أن كسدت سوق المنكرات من الخمر والميسر والفسق والفجور والفحشاء ، وأصبحت الكبائر تشبه الكفر فى أعين الناس ، واستحيوا من التعامل بالربا وندرت فى السوق حوادث الكذب والتطفيف والغش[1] .

---

(١) مقتبس من كلام العلامة أبو الحسن على الندوى والقاضى ضياء الدين البرنى الوارد فى موسوعة التاريخ الإسلامية والحضارة الإسلامية المجلد رقم ٨ صفحة ٣١٠ ، ٣١٦ تأليف الدكتور أحمد شلبى الطبعة الأولى .

ومشكلتها بين الهند وباكستان

الاستعمار الأوروبى يتطلع إلى ثراء الهند :

ومنذ قديم وأوروبا تتطلع إلى ثراء الهند لاعتقادها الراسخ أن شبه القارة الهندية حافلة بالغنى وبالمواد الخام التى يمكن أن تكون أساسا لثراء الشعوب الأوروبية ، وعندما اكتشف فاسكو دى جاما طريق رأس الرجاء الصالح الذى ربط أوروبا بالهند دون حاجة للبحر المتوسط والبحر الأحمر سنة ١٤٩٩ م ، كان ذلك مؤشرا لزحف أوروبا تجاه الهند وقد بدأ ذلك الزحف بالبرتغال التى كانت بحريتها أسبق لهذه المناطق خصوصا بعد أن سيطرت على شرق إفريقيا وعلى عمان ليكون الطريق إلى الهند تحت سلطانها ، كما أنشأوا قواعد لهم فى هرمز وسقطرة وجوا ثم امتد الطريق بعد ذلك إلى ملقا(٢) .

وقد انضم للبرتغاليين بعض جماعات الهندوس بسبب كراهيتهم للمسلمين ، وليتخذوا منهم وسيلة وبطانة لإضعاف السلطة الإسلامية بالبلاد ، إذ كانت دولة المغول هى آخر الدول الإسلامية التى حكمت الهند بوصفها أمة واحدة وظلت البرتغال سيدة الموقف فى المنطقة حوالى قرن من الزمان ولم يضعف كيانها إلا وقوع البرتغال تحت سلطة الأسبان سنة ١٥٨٠ م مما أتاح لدول أوروبية أخرى أن تزحف للمنطقة وتكون بها مستعمرات متنافسة وهذه الدول هى هولندا وفرنسا وانجلترا ولكن النشاط الواسع فى الهند تُرِكَ لانجلترا التى توغلت فى المناطق الهندية المختلفة مبتدئة استعمارها بإنشاء شركة الهند الشرقية التى باشرت نشاطها التجارى فى حماية الانجليز منذ سنة ١٦٠٠ م بعد أن حصلت على إذن من ملكة انجلترا اليزابيث الأولى بمباشرة التجارة مع شبه القارة الهندية فأقاموا مستعمرات لهم فى (سورات) و(بمباى) ثم بعد مدة فى (مدراس) و (كلكتا)(٣) .

انفراد انجلترا باستعمار الهند :

وفى سنة ١٦١٦ م قَدِمَ (توماس رو) إلى بلاط امبراطور الهند المسلم جهانكير ممثلا لبريطانيا وحصل على امتيازات كثيرة للشركة الإنجليزية ، ولم يكن لدى حكام الهند المغول المانع من إعطاء هذه التسهيلات ؛ لأنهم فى غفلتهم اعتقدوا أن تلك الشركة لم تكن ذات بال ، وكانوا يعدونها ممثلة لجزر صغيرة فقيرة ، بيد أن هذه الشركة الإنجليزية استطاعت بمرور الزمن أن تحصل على قطع من الأراضى الصغيرة لتبنى عليها مراكزها التجارية ، وبعض المصانع الإنتاجية وسرعان ما أصبحت هذه المناطق حصونا وقلاعا وامتدت على طول شبه القارة الهندية .

ونظراً لضعف الإمبراطورية المغولية الحاكمة فى الهند اشتد التنافس بين حكام الأقاليم الهندية فهيأ ذلك فرصة لتدخل الشركة الإنجليزية فى الشئون الداخلية للبلاد تدخلا أسفر شيئا فشيئا عن « سلطة » ، وكثيرا ما كانت تلك الشركة تأخذ إذنا من الامبراطور بإدارة بعض المناطق باسمه

(٢) كتاب تاريخ الإسلام فى الهند تأليف الدكتور عبدالمنعم النمر صفحة ٤٢٣ ـ ٤٢٦ الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ بيروت لبنان .

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المجلد رقم ٨ المرجع السابق صفحة ٣٢١ .

وتتعهد بالإبقاء على النظم القائمة ، ثم تبدأ فى تنفيذ حركة واسعة فى المنطقة باسم الملك فتعزل وتولى .

ومن ياترى هؤلاء الذين تعزلهم ؟

لقد كانت تعزل المسلمين وتولى الهندوس أو الانجليز بدلا منهم ، ثم خطت الشركة المشار إليها خطوة كبيرة حينما أرغمت الإمبراطور المغولى (شاه علم) على التنازل للشركة عن إيرادات (البنغال) و(بيهار) واستمرت تخطو فى هذا المجال للاستيلاء على مناطق أخرى .

وزاد من سيطرة الحكومة الإنجليزية على البلاد أن جعلت الشركة الإنجليزية خاضعة لها وأرسلت من جانبها حاكما يمثل الحكومة الإنجليزية فى شبه القارة الهندية ثم أعلنت تبعيتها للتاج البريطانى سنة ١٨٥٨ م وبذلك جثم الاستعمار الإنجليزى على بلاد الهند جميعها .

الانجليز يضطهدون المسلمين دون ما عداهم من سكان الهند :

الأديان المشهورة فى شبه القارة الهندية والتى يعتنقها السكان هى الهندوسية والسيخية والنصرانية والإسلام ، وما دام المسلمون هناك ينتمون إلى الإسلام ، هذا الدين الذى تحركت أوروبا كلها لمصارعته خلال الحروب الصليبية وكان لانجلترا وملوكها دورهم الكبير فى هذا الصراع ، فإن الروح الصليبية كانت متأججة فى نفوس ذراريهم ، وكانوا لذلك ينتهزون الفرص كلما حانت ليشفوا ما بهم من غيظ وحنق وكان دخول الانجليز الهند فرصة للإيقاع بمسلمى الهند فذلك امتداد لما يتطلعون إليه من محاولات للصراع ضد الإسلام[٤] .

كان الحكم للمسلمين فى الهند طيلة ثمانية قرون تقريباً ، ورأى الإنجليز أن استقرار الأحوال لهم إنما يأتى بالقضاء ويستلزم استقرار الأحوال للإنجليز بالهند على بقايا الحكام المسلمين السابقين ، وأن يستعينوا بالهندوس الذين كان الحكم قد أفلت من أيديهم بغلبة المسلمين عليهم فأخذوا يذكون نار الخلافات بينهم ، تلك الخلافات التى طحنت الهند طحنا[٥] .

وحتى يستطيع الإنجليز السيطرة الدائمة على البلاد هناك ، قسموها إلى مئات الولايات ووضعوا واليا لكل ولاية ، وأثاروا الخلافات والصراعات بين كل ولاية وأخرى تبعا للخطة الاستعمارية التى أتقنوها فى حقل الاستعمار ، أعنى : (فرق تسد) فكان من أعمالهم أن يعينوا للولاية التى يكثر بها المسلمون واليا هندوسيا وللولاية التى يغلب فيها الهندوس واليا مسلما .

ثم إن الإنجليز ألغوا القوانين التى سبق أن وضعها المسلمون ، ووضعوا قوانين جديدة لحكم البلاد وعينوا قضاة للحكم بهذه القوانين من الإنجليز أو من الهندوس ، واستولوا على أموال الأوقاف الإسلامية التى كان ينفق منها على التعليم ومراكز العبادة ، ونتيجة لذلك أغلقت المدارس الإسلامية واستبد الإنجليز بإقامة مدارس أخرى ولكنها عنيت عناية كاملة بإبعاد الطلاب عن الإسلام وأحيانا بجذبهم إلى النصرانية ، كما استبعد المسلمون كذلك من

(٤) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المجلد رقم ٨ المرجع السابق صفحة ٣٢٢ .

(٥) كتاب تاريخ الإسلام فى الهند المرجع السابق صفحة ٤٦٦ .

ومشكلتها بين الهند وباكستان

قوات الأمن ، ومن إدارة الجيش وجهاز الإدارة ومن المناصب الكبرى وطبيعى أن تفتح الأبواب للهندوس فى تلك الإدارات المختلفة(٦) .

كاتب إنجليزى يصف اضطهاد دولته للمسلمين فى الهند :

لقد صور السير وليم هانتر وهو كاتب انجليزى سياسة الاضطهاد التى قام بها الإنجليز ضد المسلمين بقوله : (إنه لن يجدينا نفعا أن نصم آذاننا عن هذه الحقيقة الماثلة من أن المسلمين الهنود قد ارتكبنا ضدهم أموراً خطيرة لم ترتكبها حكومة من الحكومات ، إنهم يستطيعـون مقاضاتنا عن هذه الأمور :

١ ـ يقاضوننا عن إغلاق كل حياة كريمة فى وجوههم .

٢ ـ ويقاضوننا عن نظام التعليم الذى دفعهم إلى الجهل .

٣ ـ وعن نظام الاقتصاد الذى حكم عليهم بالفقر .

٤ ـ لقد عاش ملايين المسلمين فى الهند بعد سقوط دولة المغول فى تعاسة وشقاء بعد أن فقدوا عزتهم وأملاكهم وقوتهم(٧) .

تقسيم شبه القارة الهندية وقيام دولة الباكستان :

أثمرت سياسة الحكم الإنجليزى لشبه القارة الهندية ثمرتها باضطهاد المسلمين ، فقام المسلمون هناك بإنشاء حزب الرابطة الإسلامية للعمل على حفظ حقوق المسلمين ، وطالبوا بثلث عدد المقاعد لممثليهم فى المجلس النيابى بالهند ، كما طالبوا بضمانات أخرى سنة ١٩٢٤ م تحفظ للمسلمين حقوقهم ، وكان هذا الاتجاه نتيجة للفظائع والمجازر التى أشعلها الهندوس ضد المسلمين فذهب ضحيتها آلاف المسلمين .

ولما ألفت الحكومة البريطانية لجنة سيتمون سنة ١٩٢٧ م لدراسة مشكلات الهند أصر نهرو ممثل حزب المؤتمر وهو هندوسى على وحدة تامة تقوم بالهند ، وأن تكون السلطة للأغلبية الهندوسية ورفض إعطاء أية ضمانات للمسلمين هناك .

وفى سنة ١٩٣٢ م قام مسلمو كشمير بنضال باسل ضد المظالم التى كان يلحقها بهم حاكم الولاية غير المسلم ، ولما أجريت الانتخابات بالهند سنة ١٩٢٧ بعد أن أصدر البرلمان البريطانى قانون حكومة الهند ، نال حزب المؤتمر الهندوسى أغلبية كبيرة ، وألف حكومات فى كافة الولايات لم تشترك فيها الرابطة الإسلامية ؛ فباشرت تلك الحكومات وسائل مختلفة لتضييق الخناق اقتصاديا على المسلمين والعمل على محو تراثهم الثقافى ، وقد دفع هذا الاتجاه المسلمين إلى التمسك بتقسيم الهند وقيام دولة الباكستان ، ولما عقدت الرابطة الإسلامية دورتها السنوية

---

(٦) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المجلد رقم ٨ صفحة ٣٢٣ المرجع السابق .

(٧) مـن كـلام Sin William Hunter : Indian Muslimans المذكور فى موسوعة التاريخ الإسلامى صفحة ٣٢٣ المرجع السابق وفى كتاب تاريخ الإسلام فى الهند المرجع السابق .

بلاهور سنة ١٩٤٠ اتخذت القرار الذى عرف بقرار باكستان وتضمن وجوب تقسيم شبه القارة ، وتأسيس دولة إسلامية مستقلة ذات سيادة ، وفى سنة ١٩٤٥ وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، واتجاه انجلترا إلى الحد من نشاطها الاستعمارى كان لابد لها من الجلاء عن أرض الهند خصوصا بعد استطلاعها للاتجاهات السياسية هناك ، فتأكد لها ضرورة تقسيمها لذلك أعلنت قرارها بالجلاء عن شبه القارة نهائيا قبل يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ وتقسيمها إلى دولتين هما : الهند وباكستان .

ولما وضعت قواعد التقسيم كان من أهم شروطه : أن الولايات لها الحق فى الانضمام إلى الهند أو باكستان حسب رغبة شعبها وأغلبية الهندوس أو المسلمين بها وموقعها الجغرافى ، لكنها سلفا كانت قد أعدت الإسفين القاتل الذى أشرنا إليه حيث وَلّت على الأغلبية المسلمة حاكما هندوسيا والعكس صحيح . كذلك كان للولاية أن تبقى مستقلة إذا أرادت ، وعند التطبيق برزت أطماع الهَند بشكل سافر فلم تطبق قواعد التقسيم بالأمانة الواجبة :

ففى ولاية حيدر أباد التى تقع فى هضبة الدكن فى وسط النصف الجنوبى من شبه القارة الهندية والتى بلغ سكانها زمن التقسيم (١٧) مليونا منهم مليونان من المسلمين ، كان حاكمها المسلم الأمير عثمان على خالد المعروف باسم (نظام حيدر أباد) وهو من أغنى أغنياء العالم قد اختار أن تبقى بلاده مستقلة ، لكن حكومة الهند انتهزت فرصة وفاة محمد على جناح زعيم الباكستان القوى فجأة وانشغال الناس بإجراءات تشييع جنازته ودفنه والحداد عليه فاقتحمت بجيوشها (ولاية حيدر أباد) وسحقت قوات تلك الولاية وضمتها إليها بالقوة العسكرية ، كما نهبت ثروة زعيم الولاية المسلم وحاكمها ونقلتها إليها فى خمسة قطارات أثقلها ما حملته فيها من الذهب والفضة التى وجدت بقصوره وفى أقبية خاصة ومعها صناديق حافلة باللؤلؤ والجواهر[٨] .

وفى ولاية كشمير تكرر أسلوب حكومة الهند وتتئذ مرة أخرى برغم أن هذه المقاطعة ملتصقة بأرض باكستان وتقع على قمة جبال الهملايا وتنحدر منها المياه التى تغذى أنهار البنجاب والسند وسكانها يبلغون حاليا (١١) مليون نسمة يمثل المسلمون منهم أغلبية تبلغ أكثر من ٧٥ ٪ وكان المسلمون فى كشمير قد اتجهوا بكل قواهم إلى الانضمام إلى دولة باكستان[٩] فيتخلصوا من عسف الوالى الهندوسى الذى استبد بهم طيلة قرن كامل تعرضوا خلاله لتهديدات وفرضت عليهم القيود القاسية بسبب عقيدتهم الإسلامية ، مما دفعهم مرات كثيرة إلى الانتفاضة ضد الحاكم الهندوسى كان آخرها فى سنة ١٩٣٠ بسبب المظالم التى كان يلحقها بهم .

ولما كان الوالى الهندوسى لا يريد الانضمام بولايته للباكستان ، لذلك أخذ يستقطب جماعات من الهندوس والسيخ من ولاية البنجاب الهندية المجاورة ويسكنهم فى كشمير ليتقوى بهم ضد المسلمين ، وإزاء ذلك التصرف بدأ المسلمون يتذمرون من الوالى وحدث صراع دامٍ بين ذلك الوالى ومساعديه وبين المسلمين فى أعقابه فر

---

(٨) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المجلد رقم ٨ المرجع السابق صفحة ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

(٩) جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ٢٩ رمضان سنة ١٤١١ هـ ـ الموافق ١٤ ابريل سنة ١٩٩١ عن مقال بعنوان المسلمون فى كشمير .

ومشكلتها بين الهند وباكستان

الوالى من كشمير ثم أعلن أنه يريد الانضمام إلى الهند ، وعندئذ اندفعت هذه بقواتها تجاه كشمير مما اضطرت معه باكستان أن تزحف هى الأخرى لمساعدة المسلمين وحمايتهم وتحقيق آمالهم وهم أغلبية فى الانضمام إليها(١٠) .

لكن كانت الهند قد احتلت الجزء الأكبر من كشمير ويقدرونه بثلثى مساحتها ، واحتلت باكستان الجزء الباقى ويقدرونه بثلث مساحة تلك الولاية ثم نشب قتال بين الهند وباكستان نجحت هيئة الأمم فى وقفه كعادتها فى إيقاف الأمور حيث تحلو للاستعمار ، ولما أعلنت الهند سنة ١٩٥٦ أن ما استولت عليه من أراضى كشمير يعتبر أرضا هندية رفضت باكستان ذلك الإعلان ، وتجدد الصراع العسكرى بينهما فتدخلت بشأنه الأمم المتحدة لا لتحسم الأمر بل لتبقيه على حاله حتى لا يفيق المسلمون من هذا الوضع ويتجهوا إلى عمل أفضل لمستقبلهم(*) .

صورة مما يعانيه المسلمون فى كشمير :

إن المسلمين سكان وشعب كشمير يعانون الكثير من الجهاز الحاكم الهندوسى ومن جيوش الهند التى تحتل أرضهم وبلادهم وقليل من أخبار هذه المعاناة هو الذى يخرج من هناك ، وذلك للتعتيم الإعلامى المفروض على تلك البلاد فالرأى العام فى بلاد الإسلام لا يكاد يعلم شيئا عن نشاط أولئك الهندوس ضد الإسلام والمسلمين بسبب قصور الإعلام الإسلامى إلى الحد الذى يمكن اعتباره غير ظاهر أو موجود بالمرة .

ولقد جاء فى نبأ لوكالة رويتر أن المواطنين المسلمين فى منطقة وادى كشمير قد أعلنوا الإضراب العام فى أعقاب قيام جنود هنود سكارى باغتصاب (٥٣) امرأة مسلمة بالمنطقة المشار إليها .

كما جاء فى تقرير لعدد من الزعماء قدم للجنة حقوق الإنسان أن نحو (٥٠٠) جندى هندى قاموا باقتحام قريتين إسلاميتين بتلك المنطقة واغتصبوا النساء هناك بصورة جماعية منكرة(١١) .

هل تقف مطامع الهندوس الاستعمارية عند كشمير فقط ؟

إن مطامع وأحلام الهندوس الاستعمارية العدوانية لا تقف عند حد ابتلاع ولاية كشمير الإسلامية ، بل إنها تمتد إلى الدول والشعوب المجاورة للهند عامة وللدول العربية والإسلامية من المحيط الهندى إلى قناة السويس خاصة ، فهذا أستاذ للفلسفة فى جامعة أندهرا يدعى (ناندا مورتى) يقول منذ أكثر من عقدين من الزمن (إن الحرب والقسوة فيها والخديعة

(١٠) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المرجع السابق صفحة ٣٦٤ .

(*) وهكذا الشأن فى الأمم المتحدة ـ أوجدها الاستعمار لحسابه فعملت لحسابه ، وهاهى قراراتها ضد إسرائيل لم تنفذ منها إسرائيل شيئا ، وذلك أيضاً عن رضا تام من الأمم المتحدة وأروقتها المتعددة .

(١١) مجلة منار الإسلام عدد شوال سنة ١٤١١ هـ ـ ابريل سنة ١٩٩١ م .

والاستيلاء على بلاد الناس جزء من الديانة الهندوكية) .

وفى مقال نشر فى صحيفة تايمز أوف إنديا Times of India ـ بتاريخ ٢٤/١/١٩٦٥ بقلم الأستاذ كريشنا سيتانيا يقول (إن الادعاء الذى يتردد كثيراً والقائل بأن الهند هى الدولة الوحيدة فى العالم التى تمارس سياسة خارجية عدوانية لا يمكن إنكاره ؛ لأن هذه السياسة داخلة فى صميم تقاليدهم) .

وفى كتاب المؤثرات الجغرافية لمؤلفه الهندوسى المتعصب الدكتور باتيل يقول بالحرف الواحد (إن مصالح الهند تقوم فى المناطق القريبة منها : فنيبال وباكستان وبنجلاديش وأفغانستان وبورما والملايو (ماليزيا) وأندونيسيا وسيريلانكا بلاد لازمة لسلامة الهند ، كما أنه من الضرورى جداً أن تسيطر الهند على سنغافورة وقناة السويس لأنها بمثابة الباب الرئيسى للهند) ثم يضيف ذلك الهندوسى قوله : (إن حاجة الهند إلى البترول تلح عليها بالالتفاف نحو الجزيرة العربية والعراق .

ومادام للهند قوة بحرية عظيمة فمن الواجب ـ على حد قوله ـ أن يتحول المحيط الهندى من سنغافورة إلى السويس ليصبح خليجاً تملكه الهند)[١٢] .

وبعـــد :

فإن محنة المسلمين فى كشمير فى زماننا المعاصر حقيقة لا سبيل إلى تجاهلها أو إنكارها ، ولا جدال فى أن الاستعمار الانجليزى الذى جثم على أرض الهند يحمل كل أوزارها بوضعه على أرض كشمير حاكما هندوسيا برغم أن غالبية سكانها من المسلمين . وهو الذى أشاع العداوة بين الهندوس والمسلمين ونشر فى ربوع الهند جميعها فكرة أن الدول الإسلامية التى سبقته فى حكم الهند ليست دولا هندية بل هى دول غازية أو مستعمرة مع أن غالبية المسلمين من سكان ولايات الهند هم هنود أصلا اختاروا الإسلام دينا ومنهاجاً[١٣] .

فإذا أضفنا إلى ماسبق أن الهندوس كانوا ومازالوا فى عقلية متأخرة ويعيشون فى عالم أقل ما يقال فيه : أنه يرجع آلاف السنين إلى الأزمان الغابرة تلك العقلية التى مازالت تعتبر كل من لا يعتقد اعتقادهـا جاحـداً يستحق القتل والإبادة .

وعن تلك العقلية الهندوسية تقول الكاتبة الأمريكية مؤلفة كتاب The Land of the lingam أنه لا يمكن أن ترتقى الهند إلى مصاف الأمم المتحضرة حتى تكنس منها الهندوكية وخرافاتها وطقوسها الحيوانية .

وماذا عن المسلمين :

إن على المسلمين فى كل مكان أن يؤمنوا بالمثل القائل : أُكِلْتُ يوم أكل الثور الأسود وأن يعيدوا إلى انفسهم الثقة فيما بينهم ، ويتخلصوا تماما من الممارسات الاستعمارية . وأذنابها التى نجحت أن تجعل كلا منهم دولة وأفراداً يقول : وأنا مالى ، لا شأن لى وليعلموا أن من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم .

(١٢) مجلة منار الإسلام عدد جمادى الآخرة سنة ١٤١١ هـ ـ ديسمبر سنة ١٩٩٠ م مقال الوجود الإسلامى فى الهند والتطرف الهندوسى .

(١٣) كتاب محنة الاقليات المسلمة فى العالم للأستاذ محمد عبدالله السمان صفحة ١٥٨ المرجع السابق .

موقف المسلمين

في يوغوسلافيا

من حوادثها الجارية

للأستاذ توفيق إسلام يحيى

كاتب هذا التحقيق يوغسلافي الأصل من إقليم « كوسوفو » يكتب عن علم بشئون بلاده ، وما تعرضت له من حوادث ، كتابة الخبير الذى لا تفصل بينه وبينها آماد وأبعاد ، وهو لا يستقى مصادره كلمة من هنا وأخرى من هناك ، بل يقدم تحقيق المسلم الأمين الأحرص على قوميته وبلاده في إطار سلامة الدولة من ناحية ، وبيان ما يعترضها من أسباب التدهور ، وهو ـ بعد ـ إنما يكتب إخلاصا لدينه وضميره ووطنه . ولا عليه أن يقول : ألا قد بلغت .. اللهم فاشهد .

إذا أردنا أن نفهم بموضوعية وعمق الأسباب التى أدت إلى هذا التمزق العنيف للاتحاد اليوغوسلافى ، والمآسى الفاجعة التى تعرض لها طائفة من المسلمين فيها من عشر سنوات إلى الآن ، وسيتعرض لمثلها بقية المسلمين فيها كما سنبين فيما بعد .

إذا أردنا ذلك فلابد من الرجوع إلى معاهدة « فرساى » عقب الحرب العالمية الأولى ، عندما قام زعماء الدول المنتصرة فى ذلك الوقت بوضع خريطة جديدة للعالم تتمشى مع ميولهم الاستعمارية التى أعمت بصائرهم عن صالح العالم ككل فى أن يعيش حياة حرة ينعم فيها أفراد الأسرة وأفراد المجتمع بالهدوء والأمن والاستقرار ، ينسون الأسباب التى أدت إلى

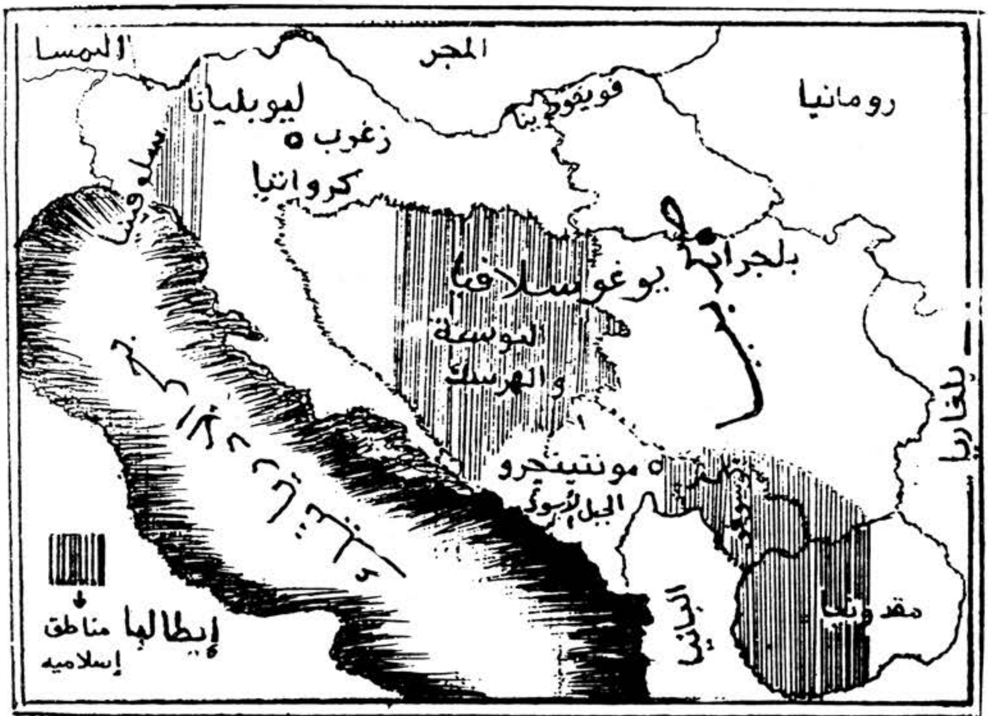

يوغوسلافيا ومسلمون ليس لهم إلا الله
وكفى بالله حسيبا

الحرب المهلكة ، ويحاولون أن يخلقوا جواً تسوده المحبة والمودة والتعاون بحيث يتمتع كل إنسان أياً كان عرقه ولغته ودينه بحقه فى الحياة كإنسان كرّمه الله « عز وجل » ، وفضله على غيره من المخلوقات .

لكن الأهواء الاستعمارية التى كانت قد ملأت جميع جوارح زعماء معاهدة « فرساى » حملتهم على إنشاء دول ، وكل دولة منها تتكون من أجناس شتى معتقدين أنهم بذلك يضمنون سيطرتهم ، ويسارعون إلى التدخل فى شئونها عند حدوث أى نزاع بين الشعوب وبين الدولة التى تحكمها ، يتدخلون فى شئونها متظاهرين بقصد إزالة أسباب النزاع . وهكذا تكون لهم الكلمة العليا دائما .

وَهُمُ زعماء معاهدة « فرساى »

اكبر دليل على أن هؤلاء الزعماء كانوا واهمين ما حدث ـ بعد نشوب الحرب العالمية الثانية فى البلقان وفى يوغوسلافيا بالذات حيث احتلتها الجيوش الألمانية دون إطلاق رصاصة واحدة ـ بعد أستثناء المنطقة الصربية ـ لأن الشعوب التى اقتطعتها معاهدة « فرساى » من هنا ومن هناك

موقف المسلمين فى يوغوسلافيا

وكونت منها يوغوسلافيا الكبيرة : هذه الشعوب استقبلت الجيوش الألمانية بالزهور باعتبارها جيوشا محررة من ظلم وطغيان المملكة اليوغوسلافية المستبدة . ولم تقاوم الجيوش الألمانية إلا « بلغراد » وما حولها ، ثم استسلمت بعد أن دكتها الطيارات الألمانية دكا . ولو أعطت معاهدة « فرساى » كل شعب حقه فى تقرير مصيره كما طالب بذلك الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت لقاوم كل شعب الجيوش الألمانية مقاومة عنيفة دفاعا عن حريته ، ولم تكن تستطيع الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط إلا بعد مدة كانت كفيلة بقلب موازين القيادة الألمانية رأسا على عقب ، وبالتالى كانت ستضطر إلى تأخير هجومها على روسيا .

بعد نظر « تيتو » ورفاق سلاحه

« تيتو » وزملاؤه فهموا هذا الوضع وأرادوا تفادى العواقب الوخيمة التى ترتبت على قصر نظر زعماء معاهدة « فرساى » فقرروا إنشاء اتحاد عام يتكلم فى المحافل الدولية باسم الشعوب التى تتكون الدولة منها ، ويكون كل شعب حراً فى إدارة شئونه حسب عِزّته وعاداته وتقاليده وأمجاده . لهذا عاشت يوغوسلافيا الاتحادية بين الستينيات والثمانينيات حياة تتميز بقدر كبير من الاستقرار السياسى ، وتتمتع بقدر كبير أيضاً من تقدير العالم لها حيث كانت بمثابة صمام أمن دولى بين الشرق والغرب ؛ لانتهاجها لسياسة عدم الانحياز ، ولم تبد ظاهرة من ظواهر النزاع العرقى فى حياته . **وبعد رحيله بدأت النوازع التوسعية تظهر فى الوجود يوما بعد يوم إلى أن بلغ التمزق مداه باستخدام جميع أنواع الأسلحة فتحول الاتحاد اليوغوسلافى إلى عامل يهدد ويتحدى النظام الأوروبى الجديد المزمع إقامته فى العام القادم ، لذلك أصيب رؤساء المجموعة الأوروبية بقلق شديد خوفا من هذا التمزق الذى سوف يعرض نظامهم الجديد للخطر .**

زعيم الصرب الشيوعى سبب التمزق

قبل أن يمضى عام على رحيل « تيتو » ظهر زعيم الصرب الشيوعى على العالم ، ونوازعه التوسعية وحب السيطرة والاستبداد تملأ جوارحه . وأعلن صراحة قائلا : « فليذهب (تيتو) ونظامه من غير رجعة ولتعد إلينا أراضينا » وأخذ يدبر المكائد والدسائس ويرسل أعوانه المتآمرين إلى الأقاليم التى بها أقلية صربية يمرنونهم على القيام بعمليات إرهابية ضد شعوبها عند صدور الأوامر إليهم . وقد نشرت مجلة الأزهر الغراء شيئا من هذا بالتفصيل[1] .

عدد المسلمين فى يوغوسلافيا والأقاليم التى يقيمون فيها

عدد المسلمين فى يوغوسلافيا نحو خمسة ملايين مسلم . يسكنون فى أقاليم متفرقة .

يقيم حوالى مليون ونصف مليون مسلم فى جمهورية البوسنه والهرسك .

---

(١) راجع عدد رمضان سنة ١٤٠٩ ص ٩٨٦ وما بعدها ، وعدد شوال سنة ١٤٠٩ ص ١١١٠ وما بعدها .

ويقيم حوالى مليونين فى إقليم « كوسوفو » المشهور وهم من اصل البانى .

ويقيم اكثر من نصف مليون مسلم فى جمهورية مقدونيا واكثرهم من اصل البانى .

ويقيم اكثر من مائة الف مسلم من اصل البانى فى الجمهورية الصربية حيث وضعت يدها على البلاد والقرى المتاخمة لحدود « كوسوفو » وحدود « مقدونيا » فضمتها إليها .

ويقيم اكثر من مائة الف مسلم فى إقليم « سنجق » التابع لجمهورية الجبل الأسود .

ولا يوجد مسلمون فى كرواتيا وسلوفينيا من سكانهما الأصليين .

الخطر يهدد المسلمين جميعاً

الخطر يهدد جميع المسلمين فى يوغوسلافيا أينما كانوا ، ولقد تعرض المسلمون فى « كوسوفو » لخطر الإبادة والهلاك عقب موت « تيتو » ولا يزالون يتعرضون إلى الآن كما سيأتى ذكر ذلك بالتفصيل بعد قليل . وهذا الخطر الذى يهدد سلامة المسلمين وأمنهم ووجودهم يأتى من الجمهورية الصربية . وبعبارة أدق يأتى من بعض زعمائها الذين لا يزالون يعيشون بعقلية القرن التاسع عشر ويعتقدون أن منطقة البلقان كلها موطنهم الطبيعى وبخاصة إقليم « كوسوفو » حيث وقعت فيه معركة « كوسوفو » الشهيرة سنة ١٣٨٩ بين السلطان مراد العثمانى والجيوش البلقانية المتحالفة بقيادة ملك الصرب « لازار » الذى قتل فى المعركة نفسها .

إن ادعاءهم بأن منطقة البلقان وبخاصة إقليم « كوسوفو » موطنهم الطبيعى ادعاء باطل وقلب للواقع .. اكتفى بذكر دليلين على بطلان ادعائهم :

الدليل الأول : جهلهم بالتاريخ ؛ لأنهم حينما بدأوا يزحفون فى القرن العاشر من شمال أوروبا إلى البلقان اصطدموا بسكان البلقان ودارت بينهم معارك متتالية مما يدل دلالة قاطعة على أن البلقان ليست وطنهم الطبيعى لوجود سكان بالبلقان قبل زحفهم إليها .

الدليل الثانى : أرض « كوسوفو » أرض ألبانية ؛ لأن الألبانيين أول شعب نزح إلى البلقان كما يقول المؤرخون . والمعركة وقعت فى أرض ألبانية حيث اجتمع فيها جميع جيوش الأقاليم بقيادات أمرائها ، ومنها الجيش الألبانى ولم يكن الألبانيون قد أسلموا بعد ، وأمراء الجيوش اختاروا ملك الصرب « لازار » قائداً عاما لأن جيش الصرب كان أكثر عدداً . لا لأن أرض المعركة أرض صربية . ولو صح ادعاؤهم أن أرض « كوسوفو » وطنهم الأصلى لأن جيشهم حارب فيها وقتل ملكهم فى المعركة ، لصح لأمريكا أن تعتبر شمال أفريقيا وفرنسا وبلجيكا وايطاليا والمانيا .. إلخ أرضا أمريكية لأن جيشها بقيادة أبرز قوادها « ايزنهاور » حارب فيها ، وجنودها الذين ماتوا فى المعارك دفنوا فى أرضها . ولصح لأمريكا أيضاً أن تعتبر أرض العراق أرضا أمريكية لأن جيش التحالف وأكثره امريكيون بقيادة القائد الأمريكى حارب فيها ، ولا يقول بذلك إلا ذو عقل يحتاج إلى علاج .

هؤلاء الزعماء الصربيون الذين يعيشون بعقلية القرن التاسع عشر(٢) تجددت فى أفكارهم

(٢) لا يخفى أن بالجمهورية الصربية زعماء وشبابا واقعيين يعيشون بعقلية القرن الحادى والعشرين ولا يتفقون مع زعماء التوسع والسيطرة والهيمنة على الغير . وقامت قبل أشهر فى العاصمة بلغراد عدة مظاهرات على فترات تطلب الإصلاح وتنحى الزعماء المتشددين .

موقف المسلمين فى يوغوسلافيا

النزعة التوسعية التى غرستها فى نفوسهم معاهدة « فرساى » حيث قرر مخططوها اقتطاع شعوب مختلفة العرقية وضمها إلى دولة الصرب لجعلها دولة كبرى تدين لهم بالولاء . لكن الله « عز وجل » أراد أن يخيب أملهم حيث استسلمت يوغوسلافيا للألمان فى الحرب العالمية الثانية بدون إطلاق رصاصة واحدة كما ذكرنا سابقا . وخاب أمل رؤساء المجموعة الأوروبية حيث أخذوا يشعرون بأن يوغوسلافيا الحاضرة المكونة من شعوب مختلفة العرقيات تهدد نظامهم الجديد المزمع إقامته .

مسلمو « كوسوفو » أول شعب تعرض للإبادة

المسلمون فى يوغوسلافيا تعرضوا بعد موت « تيتو » ولا يزالون يتعرضون لأبشع عدوان بما فى ذلك الأسلحة الثقيلة والمروحية ولكن بدرجات متفاوتة حتى لا يثور العالم الإسلامى ضد المعتدين ، ومسلمو « كوسوفو » أول شعب تعرض ولا يزال يتعرض لهذا العدوان .

كان إقليم « كوسوفو » يتمتع بالحكم الذاتى : به رئيس وزراء ووزراء ومدارس وجامعة ومحاكم وجهاز إعلام مقروء ومسموع ومرئى وو ... إلخ . وبعد موت « تيتو » بدأ زعماء الصرب المتعطشون للتوسع والسيطرة وإعادة دولة يوغوسلافيا الكبرى الشمولية التى ظهرت فى الوجود بعد معاهدة « فرساى » ـ بدأوا يدبرون المؤامرات لتشكيل دولتهم الكبرى الشمولية فدفعهم حقدهم الدفين للإسلام والمسلمين إلى أن يبدأوا التحرش بمسلمى « كوسوفو » متخذين عدة وسائل تمكنهم من كسب تأييد أوروبا وأمريكا لما يريدون القيام به ، من ذلك :

أولا : ادعاؤهم بأن مسلمى « كوسوفو » متطرفون ، أصوليون ، خومينيون يهددون غرب أوروبا ، والصرب يعتبرون أنفسهم حماة أوروبا المسيحية من هؤلاء الإرهابيين . وصرح أحد زعمائهم علنا بأن « الصراع فى « كوسوفو » ليس بين الصرب والألبان وإنما بين الإسلام والمسيحية .

ثانيا : اتصال الصربيين بالصهاينة وخطب وذهم لحملهم على تبليغ أمريكا أن مسلمى « كوسوفو » من أتباع الخومينى فيجب كبح جماحهم حتى لا يكونوا خطراً على أوروبا . وبذلك يضمنون عدم اهتمام أمريكا بالمخاطر التى يتعرض لها هؤلاء المسلمون .

ثالثا : المواقف المتشابهة جمعت بين الصرب والصهاينة حيث يريد كل طرف أن يحتل أرض الغير بالقوة ، وابتكر زعيم الصرب الشيوعى ما لا يخطر على البال للوصول إلى هدفه ، وهو إقامة احتفال كبير بذكرى مرور ٦٠٠ عام على موقعة « كوسوفو » فى الساحة الكبرى التى بها ضريح السلطان مراد العثمانى . والمسافة بين هذه الساحة وبين عاصمة « كوسوفو » لا تزيد على أربعة أميال .

والغريب فى هذا الأمر أن الاحتفال إنما يكون لذكرى انتصار لا لذكرى هزيمة نكراء لحقت بالجيوش البلقانية المتحالفة فى تلك الموقعة ، ومنها الجيش الألبانى قبل اعتناق الألبانيين الإسلام . لكن زعيم الصرب الشيوعى ابتكر هذا الأمر الغريب ليصل إلى هدفين اثنين :

الأول : إحياء الأحقاد القديمة الدفينة وتجديدها فى قلوب الشباب الصربى الوديع

المتعطش إلى حياة كريمة هادئة مستقرة أملا فى جذبه إلى تحقيق المؤامرات التى يدبرها الزعيم الصربى وزملاؤه للحصول على أمجاد شخصية لا لتحقيق أمن واستقرار المواطنين وسلامة الوطن من الخراب والدمار .

الهدف الثانى : توجيه الدعوة من قبل الجمهورية الصربية إلى إسرائيل للاشتراك فى هذا الاحتفال ، وقد اشتركت فيه فعلا بحضور عدد كبير من الأحزاب الدينية الإسرائيلية . وقصد زعيم الصرب الشيوعى بحضور إسرائيل هذا الاحتفال خلق سوء تفاهم ، وكراهية بقصد بين إسرائيل وبين مسلمى « كوسوفو » حينما يرون وفود إسرائيل قد حضرت الاحتفال(٣) ، فيكون هذا البغض حافزا لإسرائيل على استخدام جميع وسائلها لتعكير جو البيت الأبيض الأمريكى وصرفه نهائيا عما يحدث لمسلمى « كوسوفو » من أبشع أنواع الاعتداء .

رابعا : محاولة زعيم الصرب الشيوعى الاقتراب بكل الوسائل إلى دول العالم الإسلامى متظاهراً بتأييد يوغوسلافيا موقف العرب من قضية فلسطين قاصداً بذلك صرف أنظار زعماء العالم الإسلامى عما يحدث لمسلمى « كوسوفو » أو تقليل اهتمامهم بما يحدث على أساس أن ما يقال لا يمثل الحقيقة . ولا ندرى ماذا كان موقف زعماء العالم الإسلامى من الاعتداءات الوحشية المتكررة من الجمهورية الصربية على مسلمى « كوسوفو » من بعد موت « تيتو » إلى سنة ١٩٩٠ م . لكنى أتذكر أن جريدة الجمهورية المصرية نشرت يوم ١٨ من مارس سنة ١٩٩٠ ما نصه تحت عنوان :

« رابطة العالم الإسلامى تطلب رعاية مسلمى كوسوفو » مكة المكرمة :

أعرب د . عبدالله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى عن قلق الرابطة البالغ للإجراءات المؤسفة التى يتعرض لها المسلمون فى مناطق « كوسوفو » بيوغوسلافيا . بعث برقية للرئيس اليوغوسلافى يطلب فيها تحقيق مطالب المسلمين فى حفظ كيانهم الإسلامى وممارسة حقوقهم » .

وقد أرسل كاتب هذا المقال فى اليوم التالى إلى الأمين العام برقية شكر هذا نصها : « فضيلة الدكتور عبدالله نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى . مكة المكرمة . شكر الله لمعاليكم دفاعكم عن حقوق مسلمى « كوسوفو » ويرجو استمرار سعيكم المشكور حتى تتحقق مطالبهم العادلة . توفيق إسلام يحيى المولود بإقليم كوسوفو » .

إلغاء الحكم الذاتى فى « كوسوفو »

فى شهر مارس من العام الماضى وهو الشهر الذى أرسل فيه أمين عام الرابطة الإسلامية برقية إلى الرئيس اليوغوسلافى ، وقد سبق ذكر نصها . فى هذا الشهر نفسه وضع الصرب دستوراً جديداً قضوا من خلاله على الحكم الذاتى من غير موافقة رياسة الاتحاد اليوغوسلافى وهى القناة الشرعية الوحيدة لكل تغيير يراد إيجاده .

---

(٣) قصة هذا الاحتفال وما وقع فيه من تبادل كلمات الغزل والحب والتعاون بين العرب والإسرائيليين الذين حضروا هذا الاحتفال تحتاج فى بيانها إلى كلام كثير ليس هذا مجاله .

موقف المسلمين فى يوغوسلافيا

... وعلى الفور اقتحمت القوات الصربية المسلحة بجميع أنواعها إقليم « كوسوفو » وأسقطوا الحكومة وأغلقوا البرلمان ووضعوا الإقليم تحت حكم الجمهورية الصربية ، قبضوا على المسئولين الكبار وملأوا السجون بالمعتقلين الذين قاموا يدافعون عن حقهم بموجب قرار الاتحاد العام الذى لا يزال حتى الآن سارى المفعول قانونا . ومن المتناقضات فى عصر العلم والنور أن زعيم الصرب أقال مندوب « كوسوفو » فى مجلس رياسة الاتحاد ، وعين مندوبا من قبله يحضر جلسات مجلس الرياسة ليضم صوته إلى صوت مندوب الجمهورية الصربية على اعتبار أن الحكم الذاتى موجود قانونا ، ولا وجود له فعلا ، بعد وضع الإقليم تحت الحكم المباشر بإسقاط الحكومة وإغلاق البرلمان واعتقال كبار المسئولين وإغلاق وسائل الإعلام بجميع أنواعها وإقالة أغلب الموظفين وإحلال الصربيين محلهم ومنع التدريس باللغة الألبانية وقطع مرتبات المدرسين ونهب المحلات التجارية التى امتنع أصحابها عن فتحها تأييداً للقائمين بالإضراب العام والمظاهرات ضد العدوان الصربى الغاشم بخلاف الضرب والتعذيب وحرمان الشعب من القوت لدرجة أن الجمهورية البوسنوية كونت لجنة عليا برياسة رئيس جمهوريتها المنتخب « على عزت بكوويتش » لجمع تبرعات نقدية وعينية وغذائية وغيرها وترسلها إلى « كوسوفو » بمصاحبة لجنة خاصة تتولى توزيعها على المسلمين بمعرفتها ، بعد أن وصل إلى علم اللجنة العليا أن التبرعات التى أرسلت إلى « كوسوفو » كان الصربيون يستولون عليها ويوزعونها على أنفسهم . كل ذلك حصل فى « كوسوفو » بعد أن أقامت الجمهورية الصربية تعتيما مطبقا حتى لا يسمع العالمان : العربى والإسلامى شيئا عما يحصل للمسلمين الألبان . ولإحكام هذا التعتيم كان وزير خارجية يوغوسلافيا ينتقل كالمكوك بين عواصم الدول العربية أسبوعيا متظاهراً بأن يوغوسلافيا تسعى لحل أزمة الخليج سلميا . والغرض الحقيقى هو شغل العالم العربى بجهود يوغوسلافيا السلمية حتى لا يلتفت إلى البشاعة التى تحصل فى « كوسوفو » من قتل للكبار وتسميم للأطفال ، وحرمان من الغذاء والكساء والدواء والتعليم واستعمال لغة الأم .

ولقد نشرت جريدة « الجمهورية » المصرية الصادرة يوم ٥ من هذا الشهر نقلا عن صحيفة المدينة المنورة السعودية : « إن الجيوش الصربية هاجمت فى « كوسوفو » قبيل عيدالأضحى ، البيوت والمساجد والمحلات التجارية وقتلوا مائة مسلم » ومع الأسف الشديد لم يرتفع صوت بالاحتجاج . ولما قتل الصرب عدداً يقل عن عدد أصابع اليد الواحدة فى كرواتيا وسلوفينيا ، قام رؤساء المجموعة الأوروبية يهددون الجمهورية الصربية بالويل والثبور ، وقطع المساعدات الغربية عن يوغوسلافيا .

أين مسلمو العالم الإسلامى ليدافعوا عن إخوانهم المسلمين فى « كوسوفو » ؟! بعد أن صرح زعيم الصرب الشيوعى قائلا : « إننا قد بدأنا الجولة الثانية من معركة « كوسوفو » ضد المسلمين » . وقال زعيم صربى آخر يدعى ميلوفان جيلاس : إذا اندلعت الحرب الأهلية فى يوغوسلافيا فإن الخطر يتمثل فى أن الألبان فى « كوسوفو » سوف يثورون وسوف تتدخل الدول الإسلامية عندئذ ، وجمهورية الصرب تضمر مشاعر القلق والخوف تجاه جمهورية « كوسوفو » التى تعتبر الوطن التاريخى للشعب الصربى » .

وانا أشكره حيث ذكر بلسانه اسم « جمهورية كوسوفو » . أما ادعاؤه بأن « كوسوفو » تعتبر الوطن التاريخي للصرب فهو نوع من الهراء لا يقول به عاقل ، وسبق أن وضحنا ذلك .

هكذا تحمل مسلمو « كوسوفو » ظلم الصرب وعدوانهم الوحشي إلى أن بلغ آخر المدى فى العام الماضى ، كان المسلمون يضحون بحياتهم ، ولا يردون بالمثل على المعتدين تلبية لنداء الزعماء الذين طلبوا منهم التمسك بالسلبية لتنكشف فضائح الصرب أمام أوروبا والعالم ، وادعاءاتهم بأن مسلمى « كوسوفو » سفاكو الدماء ، فزهقوا الأرواح ، ولا يقدر على حماية أوروبا المسيحية من هجماتهم غير الصرب .

بعد نظر زعماء « كوسوفو » بالتمسك بالسلبية وعدم الرد على المعتدين ، واتصالهم بمسئولى أوروبا وأمريكا لإحاطتهم علما بحقائق الموقف كان سببا فى فشل خطط زعيم الصرب الشيوعى ، وجعل الصحافة الغربية تنحاز إلى تأييد مسلمى « كوسوفو » لدرجة أن إحدى صحف فرنسا نشرت فى نهاية العام الماضى ما يأتى : نحن نشكر زعيم الصرب حيث كان سببا فى قيامنا بالتحرى عن الوضع الصحيح فى « كوسوفو » فوجدنا أن أهالى « كوسوفو » ليسوا إرهابيين وسفاكى دماء كما حاول زعيم الصرب أن يفهمنا وإنما هم أصحاب حقوق مهضومة يطالبون باستردادها ، كما يطالبون بالمساواة بشعوب يوغوسلافيا ، ودستور الاتحاد العام يؤيدهم فى استرداد حقوقهم .

موقف المجموعة الأوروبية

وقفت المجموعة الأوروبية ضد ما حصل فى سلوفينيا وكرواتيا ، وطالبوا الذين قاموا بإثارة القلاقل بالعمل بأسرع ما يمكن ـ لكى يبقى الاتحاد ـ على القيام بوضع نظام جديد يتمتع كل شعب فى ظله بحقوقه كاملة . وأيد رئيس إيطاليا كلامهم بتصريحه المنشور فى الأهرام يوم أول يوليو : « يرى الرئيس الإيطالى أنه يجب إيجاد موقف دولى يوفق بين الحفاظ على وحدة الدولة اليوغوسلافية وحق الشعوب المقدس فى تقرير المصير » . وشعب « كوسوفو » لا يطالب إلا بما يتفق مع رأى الرئيس الإيطالى . ولما اجتمع أعضاء البرلمان فى « كوسوفو » فى الثانى من يوليو من العام الماضى وأعلنوا إنشاء الجمهورية السابعة فى إطار الاتحاد اليوغوسلافى ليتساوى شعب « كوسوفو » بباقى الشعوب وضعوا نصب أعينهم دستور الاتحاد العام الذى لا يمانع فى قيام إحدى القوميات بتأسيس جمهورية جديدة شريطة أن يكون تأسيسها طبقا لمبادىء الاتحاد العام . وإنشاء جمهورية « كوسوفو » لم يخالف دستور الاتحاد ولا مبادئه .

تحذير وتنبيه

إذا أخفقت المجموعة الأوروبية فى مسعاها ، وهو القيام بوضع نظام جديد يتمتع كل شعب من خلاله بحقوقه كاملة ، فإن ما تعرض له مسلمو « كوسوفو » على النحو الذى ذكرنا تفصيله سيتعرض لمثله المسلمون فى البوسنة والهرسك ، والمسلمون فى مقدونيا ، والمسلمون فى السنجق علما بأن التحرشات القائمة بين وقت وآخر بين الصرب وبين هؤلاء المسلمين نذير لما سيحصل لهم من دمار وهلاك فى المستقبل لو تمكن ـ لاقدّر الله سبحانه ـ زعيم الصرب الشيوعى من تحقيق أهدافه .

وبعد : فإنى أقول لكل مسلم : إن قيام أولاد العم بمعاونة أولاد عمهم ومساعدتهم على نيل حقوقهم أولى من أن يقوم بذلك الغرباء .

وفق الله ـ سبحانه ـ المسلمين للعمل بما يحقق صالح البشرية جمعاء على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم وأديانهم آمين .

ودائع البنوك العادية

للأستاذ الدكتور :
عبد الستار أبو غدة

أحب أن أمهد لهذه الكلمة التى اكتبها استجابة لدعوة (الأهرام) لمناقشة رأى فضيلة مفتى الجمهورية الدكتور/ محمد سيد طنطاوى بانه قد سبقها ترحيب فضيلته بالمناقشة كلما نشر رايه ، وفى ضوء ذلك بادر عدد جم من الفقهاء والجهات العلمية إلى إبداء النصيحة الخالصة لوجه الله - إن شاء الله - لالمصالح شخصية كما زعم بعضهم .. فلم نعلم أن أحداً من هذه الطائفة المتفقهة فى الدين يملك بنكا أو هو من كبار مساهميه ، على أن فيمن ناقشوه من ليس لهم حتى علاقة المشورة للبنوك الإسلامية مع أنها مهمة مستقلة ، ويرتبط من يقومون بها غالباً بالجمعيات العمومية لها .

ولقد حفزنى على الكتابة فى هذا الموضوع - على غزارة ماكتب فيه - تلك الهجمة العنيفة التى ختمت بها المقالة الرابعة المنشورة فى الأهرام ، ولا تطاوعنى نفسى أن أصدر كلمتى بها ، فستأتى فى الأخير بعد أن ينجلى الموقف أمام القارىء .. فأخذتنى الغيرة عند الطعن فى علماء هذا القطر وغيرهم ممن خالفوا المفتى فى رأيه .. وأنا من قطر آخر يربطه بمصر الإخاء القديم المتجدد والريادة الوحدوية ، وقد نهلت وعللت من الأزهر ، كما تجمعنى بالمفتى رابطة صداقة ، ومازلنا نتبادل الاحترام والمودة فى اللقاءات الكثيرة التى تجمعنا ، فلا أدرى هل اختلاف الرأى سيفسد قضية الود بيننا ؟

لقد بدأ ظهور الرأى الخاص لفضيلة المفتى بالكلام عن شهادات الاستثمار التى صدرت عام ١٩٦٥ بمقتضى القانون ٨ لسنة ١٩٦٥ ، والذى بموجبه أمكن للبنك الأهلى المصرى إصدار شهادات استثمار مختلفة ، حدد لها هدفان أساسيان هما : تشجيع الادخار ، وتمويل خطط

التنمية .. ولعل هذين الهدفين المتفق على نفعهما استحوذا على اهتمام من عالج أمر هذه الشهادات حتى طغى عند بعضهم على مراعاة كنه الموضوع وهو الإقراض والاستقراض .. وقد صدر تعديل قانونى لشهادات الاستثمار لم يمس جوهرها وتكييفها بل سمى مايعطى عليها (عائدا مجمعا أو ممنوحا) بدلا من تسميتها (فائدة) وأشير فى أول هذا القرار (١٦٣ لسنة ٩٠) إن هذا تم بناء على فتوى فضيلة المفتى ، ولم يتضمن القانون ولا القرار بيانات بشأن حساب العائد ، ويدل الجدول الملحق بالقرار على أنه محسوب على أساس الفائدة المركبة تماما . كما نصت قرارات تسعير الفائدة على أن يكون لشهادات الاستثمار أعلى سعر فائدة .

ثم توسع فضيلته فشمل بحكم الإباحة أيضا فوائد الودائع البنكية باعتقاد أن ما تجمعه من أموال يستثمر وأن ما يعطى عليها هو ربح ، لكن لم تتحقق فيه صفة التحديد النسبى بل حدد بالنظر إلى رأس المال بمبلغ معين وتم تخريجه على مبدأ (المضاربة الفاسدة) وأنه بدلا من إعطاء كل الربح لرب المال وللبنك أجر المثل استعيض عن ذلك بتقدير البنك أو ولى الأمر .. ولسنا هنا بصدد إعادة ما قاله فضيلة المفتى والتعقيب عليه إيجابا أو سلبا ، فإن فى المقالات الأربع التى نشرتها الأهرام بيانات وافية عن رأى فضيلته ، وقد مهد لذلك بقدر كبير من المعلومات التى لانزاع فيها ، أو فيها مراجعات علمية جزئية لايصح أن نشغل بها القارىء عن الموضوع الأساسى بتسليط الضوء على العناصر المؤثرة فى نقد الرأى المشار إليه .. فإن من المقرر فى أصول الفقه الذى هو منهج البحث ومنار الاستنباط ضرورة تحرير المناط وتحقيقه وتنقيحه للوصول إلى العلة المؤثرة فى الحكم ، أو إبداء الفرق والمانع ..

واكتفى هنا بنبذة يسيرة فى شأن الودائع البنكية ، والمضاربة الشرعية ، قبل أن أعلق على مالخص به فضيلة المفتى رأيه فى نقاط عشر فى آخر مقاله .

إن المبالغ المودعة فى البنوك العادية ليست ودائع بالمعنى الدقيق ، والتسمية الحالية منتقدة شرعا وقانونا حتى سموها (الوديعة الناقصة) لأنها لاتبقى على ملك صاحبها ولا يمنع من هى بيده من التصرف بها ، فى حين أن دور المودع لديه هو الحفظ ، ويمتنع عليه التعدى أو التقصير تحت طائلة التضمين . ولا يقال إن البنوك تصرفت بها فتضمن ، لأن التصرفات الدائمة المستقرة المأذون بها لاتبنى على هذه التصورات التى تعتمد عنصراً مفسداً للتصرف مع تكراره واستساغته وقطف ثماره .

وحقيقة الودائع وشهادات الاستثمار أنها قروض ، لأنها : مضمونة الرد بصرف النظر عن النتائج وعن مجال الاستخدام ، ولأن التصرف فيها سائغ ممن هى بيده من غير نكير ولا اتهام ، ولأن العائد المحدد بمبلغ معين مستهدف منها بالإضافة إلى ضمانه استرداد رأس المال وإن كون معاملات البنوك حديثة لايغير من الأمر شيئا ، لأن جوهرها موجود فى تطبيقات الفقه ومبادئه ، وهى متناولة بالقياس على علل النصوص وفحواه إن لم يرد فيها نص من كتاب الله أو سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا هو سر شمولية الشريعة الإسلامية وصلاحها لكل زمان ومكان .

ودائــع البنــوك العــاديــة

أما المضاربة فهى (شركة) بين مال وعمل ، وهى اشتراك فى (الربح) الحاصل من عملية الاستثمار المشروعة والحصص يجب أن تكون نسباً شائعة منه لامبالغ معينة بالنسبة لراس المال ، ولا التزام على العامل فى المال - بد تكن أو شركة أو فرداً - بأن يعطى رب المال (ربحا مفترضا) ، ولا دخل هنا لغنى أحد الطرفين او فقره ، فالله عز وجل يقول : ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ فإن لم يتحقق ربح اقتصر حق رب المال على استرداد ماله وفاته الكسب المتوقع وتحمل العامل خسارة جهده .

وفضيلة المفتى بعد أن قرر اشتراط الفقهاء فى ربح المضاربة أن يكون بالنسبة ، لا بالمبلغ المحدد عاد فى موضوع آخر فجعل الأمر على الخيار للمتعامل استناداً إلى رأى انفرد به المرحوم الشيخ/ عبدالوهاب خلاف ، فى صورة استثمارية حقيقية موضوعها التجـارة أو المقاولات ، وهى لاتنطبق على معاملات البنوك التى نحن بصددها ، فإن من المحظور على البنوك العادية مزاولة الأعمال التجارية وكل ما فيه احتمال الخسارة إلا فى استثناءات محصورة بأضيق الحدود ومحفوفة بكثير من القيود ، مما يستلزمه إقامة البنك ، أو يحصل تبعاً وبأحوال طارئة موقوتة ، وفيما يلى نص المادة (٣٩) من قانون البنوك والائتمان الصـادر بالقـرار الجمهورى رقم ١٦٣ لسنة ١٩٥٧ وهذه المادة لم يقع عليها أى تعديل بالقانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٨٤ فى شأن البنوك . ونصها :

(مادة ٣٩ - يحظر على البنك التجارى أن يباشر العمليات الآتية :

(أ) التعامل فى المنقول أو العقار بالشراء أو البيع أو المقايضة ، فيما عدا :

١ - العقار المخصص لإدارة أعمال البنك أو للترفيه عن موظفيه .

٢ - المنقول أو العقار الذى تؤول ملكيته إلى البنك ، وفاءً لدين له قبل الغير ، على أن يقوم البنك بتصفيته خلال سنة من تاريخ أيلولة الملكية بالنسبة للمنقول ، وخمس سنوات بالنسبة للعقار . ويجوز لمجلس إدارة البنك المركزى مد هذه المدة عند الاقتضاء .

(ب) إصدار أذون قابلة للدفع لحاملها وقت الطلب .

(جـ) قبول الأسهم التى يتكون منها رأس مال البنك بصفة ضمان لقرض ، أو التعامل فى هذه الأسهم أو امتلاكها مالم تكن هذه الأسهم قدَ آلت ملكيتها إلى البنك وفاء لدين له قبل الغير ، على أن يقوم البنك ببيع هذه الأسهم خلال سنة من تاريخ أيلولة الملكية .

(د) امتلاك أسهم الشركات بما تزيد قيمته على ٢٥٪ من رأس المال المدفوع للشركة ، وبشرط أن لاتجاوز القيمة الاسمية للأسهم التى يملكها البنك فى هذه الشركات مقدار رأس ماله المدفوع واحتياطياته . ويجوز لوزير المالية والاقتصاد زيادة الحدين المذكورين عند الاقتضاء) .

إن هذا النص يدفع مابنى فضيلة المفتى رأيه عليه من أن الودائع البنكية تستثمر بصورة مشروعة فى تجارة حلال بطريق المضاربة رغم تخلف مقتضاها ، فإن مايقع من الاستثمار لدى البنوك هو من النزر اليسير وقد ألزم القانون البنوك بالتخلص منه وتصفيته خلال مدة معينة

سواء أدت التصفية إلى ربح أو خسارة محققة .. وكذلك الحال بالنسبة للفقرة (د) فإن السماح بامتلاك أسهم الشركات المساهمة مقيد بأكثر من قيد .

ونشرع الآن فى مناقشة النقاط العشر التى ختم بها فضيلة المفتى بيان رأيه (فى المقالة الرابعة) مع الاكتفاء بذكر أرقامها دون تكرار مضمونها تخفيفاً على القارىء الذى يدل اهتمامه بقراءة هذه المناقشة على اطلاعه على أصل الموضوع ، وكما قيل : السؤال معاد فى الجواب :

أولا : لانزاع فى أن مسألة التحديد للربح مقدما ليست من العقائد أو العبادات التى لايجوز التغيير أو التبديل فيها .. ولكن هل مفاد هذا أن أحكام المعاملات عرضة للتغيير الكيفى ، أو لخلاف ليس له حظ من النظر دون أن تكون فى أساسها مبنية على عرف وقد تغير ، أو تصور وقد اختلف جوهريا فى أصله وليس بالتسمية أو بالتراضى من المتعاقدين فالتراضى ليس مصدراً للتشريع ولا يحل حراماً ولا يحرم حلالا ، وهو عبارة عن شرط لسلامة الإرادة والتعبير الصحيح عنها ، ووجود الشرط وحده لايستلزم وجود المشروط .. ولا قيمة للتراضى المخالف لمقتضى العقد لأنه كما قال الفقهاء من تغيير الشرع ،

ومقتضى شركة المضاربة الاشتراك فى الربح بأن لايوجد ما يقطعه ولو احتمالا .. وأن يكون الربح نسبيا من استرباح فعلى وليس افتراضيا لامصدر شرعيا له .. والتراضى إن كان له مجاله الواسع فى التبرع فإنه فى المبادلات أو المعاوضات لادور له إلا تحقيق سلامة الإرادة من الشوائب ، على أن يكون موضوع الإرادة مشروعا أصلا .

ثانيا : إن التسعير تدخل من ولى الأمر لمنع تحكم التجار فى الأسعار . وإجراء القياس فى موضوعنا أن يتدخل ولى الأمر فيحدد النسبة التى يربحها كل من العامل ورب المال (بدلا من تركها للتراضى) وليس مجرى القياس إلغاء مقتضى الشركة وإلزام الناس بما يقطع الاشتراك فى الربح ، وإذا كان تسعير ربح المضاربة نفسه غير مقبول فكيف بما ليس مجرى القياس أصلا .

ثالثا : إن عدم وجود نص شرعى يمنع من قيام أحد المتعاقدين فى المضاربة بتحديد الربح مقدماً لايعفينا من مراعاة القواعد الشرعية المستمدة من النصوص ومن عمل النبى ﷺ المنقول عن طريق التعامل بين المسلمين على مدى العصور ، وأن الصورة التى قررها الفقهاء للمضاربة المشروعة الصحيحة هى من قبيل السنة التقريرية ولا يسوغ الخروج عنها برأى فردى يعوزه الدليل . فالفقه كما يؤخذ من نصوص الشريعة يؤخذ من القواعد الشرعية المستمدة من النصوص .

رابعا : من المعروف أن تحديد البنوك العادية للمقابل المغطى على الودائع مستندة إلى أسعار الفائدة العالمية أو المحلية ، وليس هو نتيجة النظر إلى حصيلة الاستثمار لديها (وقد رأينا أنه نادر والنادر لاحكم له).

خامسا : إن المنافع المدعاة لتحديد الربح بمبلغ معين لاتنهض لرد الأصل الشرعى كما تستتبع ضرراً جسيماً بإلغاء التوجه للاستثمار الفعلى من نفوس أرباب الأموال ، وهى الأضرار التى وراء تحريم الربا ، كما يبعدهم ذلك التحديد عن مهمة المراقبة للعامل فى المال . أما الجهالة لما سيصل إليهم من ربح لو بقى نسبة شائعة فهى من طبيعة عقد الشركة وهى جهالة تزول بالحساب عند حصول الربح .

سادسا : لايخفى التعارض بين استحقاق الودائع لعائد معين وبين ما لاتنفك عنه التجارة

ودائــع البنــوك العــادية

من احتمال الخسارة ، وما أورده فضيلة المفتى من تعديل خسارة عملية بربح أخرى إنما هو فى أنشطة استثمارية فيها ربح ، وما ها هنا ليس كذلك ، فإن ما يعطى عن الودائع هو فائدة على القروض وهو لايتأثر بنتائج البنك ولا علاقة له بما يحدث فى عمليات المضاربة التى تتوازن قبل حصول القسمة .

سابعاً : إن التعلق بعدم أمانة العامل فى المضاربة لتسويغ تحديد الربح بمبلغ معين يتنافى مع ابتناء المضاربة على الأمانة والثقة ، فإذا لم يتوافر ذلك فلا مجال لعقدها أصلا لا بربح معين ولا بربح نسبى ، وإذا كان هذا الخوف فى المضاربة الشرعية التى لابد فيها من المحاسبة فما بالك بطريقة البنوك العادية التى لاتخصص أى حساب لأرباح أموال العملاء وهذا منسجم مع اعتبارها الودائع قروضاً فى ذمة البنك وضمانه ، وانحصار حق العميل فى الفائدة المحددة .

ثامناً : إن الاجتهاد الفقهى المبكر بتضمين الصناع (الأجير المشترك) ليس تغييراً لمقتضى العقد فى الإجارة ، لأن ثمرة هذا الاجتهاد نقل عبء الإثبات إلى الأجير فى حال تلف محل الإجارة فإذا لم يثبت تلفه بفعل غيره كان من ضمانه .

والتغيير الذى يراد إدخاله على المضاربة ليس فى حالة التلف بل هو تغيير لمقتضى الشركة . ولو أريد إجراء القياس على تضمين الصناع لاعتبر العامل فى مال المضاربة ضامناً له إن تلف ، ولو لم يثبت تعديه أو إهماله ، وقد حاول بعض المعاصرين ترويج هذا القياس فلم يقبل منه لأنه يجعل تبعة الهلاك على غير المالك وتسليم مال المضاربة مختلف عن تسليم محل الإجارة وفى موضوعنا فإن تحديد الربح بمبلغ معين ليس له علاقة بالتلف بل هو إلزام بربح افتراضى بلا استثمار ومن غير محاسبة .

تاسعاً : إذا كان تحديد الربح بمبلغ معين يفسد المضاربة ويحولها إلى إجارة لم تحدد فيها الأجرة بحيث يستحق العامل أجر المثل ويخلص الربح كله لرب المال ، فإن هذا التطبيق إنما هو فى مضاربة تفسد عرضاً ، وفى أوساط تجهل أحكام الشريعة ، أما أن يستقر عمل البنوك على هذه الصورة فإنه مرفوض ، لأنها مؤسسات يفترض فيها الانضباط وتحرى سلامة التصرفات ، ولا يقبل أن تبنى الأوضاع الدائمة على أسس نادرة أو شاذة أو غريبة .. وعلى تسليم ذلك جدلاً لابد من حساب دقيق لجميع الربح ليحوزه رب المال كله ويلتزم بأجرة المثل للعامل (البنك) .

عاشراً : من المعروف لكل من يتعامل مع البَنوك الإسلامية أو يطلع على انشطتها أنها تحدد نسبة الربح مقدماً لكل من العميل والبنك بنسبة مئوية من نتيجة المضاربة ، وذلك من خلال بيانات فتح حساب الوديعة الاستثمارية كما أن فى وسع أصحاب الأموال المستثمرة فى تلك البنوك معرفة نصيبهم كاملاً من خلال المحاسبة التى تقوم بها مكاتب مستقلة .

واضيف إلى هذه النقاط العشر أمرين ورداً فى ثنايا كلام فضيلة المفتى أو من أعجبهم قوله فتخيلوا أن الحقائق الشرعية تتغير بهما وهما : تغيير تسمية الفائدة ، أو توافر نية الاستثمار لدى المودع ، وقد حذرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من استحلال الحرام بمجرد تغيير اسمه ، بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ليكونن

من أمتى أقوام يستحلون الخمر يسمونها بغير اسمها) ـ وكما قال ابن تيمية ـ إن معظم من ضل من الطوائف والفرق قد ضلوا بتسمية الأشياء بغير اسمها وإجراء أحكام مغايرة لحقيقتها الشرعية ، وقد بلغ ببعض المتسرعين ممن أعجبهم رأى فضيلة المفتى أن يقول فى احتقار للفكر وغمط للعقل : (إن البنوك لو جعلت اسم الوديعة استثماراً ، واسم الفوائد نصيب المال من الربح لما حدث كل هذا اللبس) فأى استهتار بالمعايير العقلية والمبادىء الشرعية أكثر من هذا ؟ ثم متى كان مجرد القصد كافياً مع الخلو عن المضمون ، بحيث وجد البعض أنه يكفى للعميل أن يقصد بوضع ماله فى البنك الاستثمار ، أو أن يصرح بذلك ، ولو لم يكن هناك استثمار ، بل كان هناك منع قانونى للبنوك عن الاستثمار والمتاجرة كما يتضح من المادة (٣٩) من قانون البنوك والائتمان .

وأخيراً يحق لنا أن نتساءل فى استغراب واستنكار : كيف يوصف القول المستقر فى مدونات الفقه ، والمستنبط من قواعد الشريعة ، وهو (منع تحديد الربح بمبلغ معين) بأنه (من الأقوال التى تنقصها الأمانة العلمية) ؟ فهل عرفان حق الفقهاء يكون بهذا الطعن فيهم ؟ والأكبر من هذا التجاسر على وصف القائلين بهذه الحقيقة بأنهم : (يريدون أكل أموال الناس بالباطل) مع أن المصير إلى هذا القول هو للفرار من أكل أموال الناس بالباطل فيما إذا حدد الربح بمبلغ معين ولم يصل إليه مستوى الربح المتحقق فعلاً إذ يأكل الشريك مال شريكه بالباطل .

والأدهى والأمر رمى هؤلاء الفقهاء ـ ولا يخفى أن هذا يشمل فقهاء الأمة ـ (بالمتاجرة بالدين لمصالحهم) مع أنهم فى عداد المستثمرين ومصلحتهم الشخصية تتصور فى تعزيز القول الغريب بضمان أصل أموالهم مع ربح محدد بمبلغ معين ، وهم داروا مع الشريعة حيث دارت معتقدين أن فى مقرراتها المصالح الحقيقية الكاملة .

إن صدى هذه الكلمات الجارحة قد أطلق عنان الأقلام الجائرة لتتهم العلماء الذين أشفقوا من تعدى حدود الله بالغوغائية وأن (ثرواتهم متوقفة على قول ما قالوه) مع أنهم لم يقولوا إلا بما انتهى إليه الفقهاء قبلهم بالاستمداد من قواعد الشريعة .

وأورد فى ختام كلمتى مقولة مشهورة للإمام السبكى يقول فيها : (اعلم أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله فى هتك أستار منتقصيهم معلومة ، فمن تناول العلماء بالطعن والثلب ، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب) .

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

نظرات في كتاب معاملات البنوك وأحكامها الشرعية

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

٢

أ. د. عبد العال عطوة

الشبهة الرابعة :

إن البنك لا يحدد الربح مقدماً إلا بعد دراسة مستفيضة ودقيقة لأحوال الأسواق العالمية والمحلية ، والأوضاع الاقتصادية فى المجتمع ، وظروف كل معاملة ومتوسط أرباحها ، وفوق كل ذلك فإن هذا التحديد يتم بتعليمات وتوجيهات البنك المركزى ، الذى يعد بمنزلة الحكم بين البنوك والمتعاملين معها .

الرد على هذه الشبهة :

يتضح من هذا التعليل أن المقصود منه هو أن احتمال الخسارة الذى قد ينشأ من التحديد ويتأثر به الطرف الآخر ، منعدم أو ضئيل ، فينعدم الضرر بالنسبة للمتعاقدين ، وهذا قول يكذبه الواقع إذ احتمال الخسارة قائم على الرغم من هذه الدراسات المذكورة ، وقد أيد الواقع ذلك ، بما نشرته الصحف ووكالات الأنباء من إفلاس بعض البنوك فى لبنان وأمريكا وغيرهما ، بل قد حدث ذلك فى مصر ، حيث تعرض بعض البنوك للخسائر ، وكاد ان يعلن إفلاسه ، لولا تدخل الحكومة فى ذلك الوقت لإنقاذه .

الشبهة الخامسة :

إن تحديد الربح مقدماً فيه منفعة ومصلحة لرب المال ، لأنه يعرفه حقه معرفة خالية من الجهالة ، وفيه منفعة للعامل ، لأنه يحمله على الجد والاجتهاد فى عمله ونشاطه ، حتى يزيد على الربح الذى حدد لصاحب المال .

الرد على هذه الشبهة :

إنه قد سبق أن بينا أن المفسدة فى التحديد تربو على المصلحة ، ومن المقرر ـ فقهاً وأصولاً ـ أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، ثم أين

المصلحة فيما إذا بذل العامل ما فى وسعه من جهد ونشاط، ثم لم تربح المعاملة إلا المقدار المحدد لرب المال، وذلك بسبب بعض الظروف التى لم يمكن تفاديها أو التغلب عليها؟ ألا يضار العامل بذلك؟!

الشبهة السادسة:

إن هذا التحديد لا يتعارض مع احتمال الخسارة من جانب المستثمر، سواء كان بنكاً أو غيره، لأن المستثمر إن خسر فى جانب كسب فى جانب آخر، فتغطى المكاسب الخسائر، ومع ذلك فهذه الخسارة إن تحققت بسبب الإهمال أو الخيانة أو سوء الإدارة، فصاحب المال ليس مسئولاً عن هذه الخسارة، ويكون العامل ضامناً لها نتيجة إهماله أو خيانته.

الرد على هذه الشبهة:

إن هذا قول عجيب، لأن الفرض أن احتمال الخسارة ليس فى معاملة جزئية من مجموع النشاط الاستثمارى، وإنما الاحتمال مفروض فى المعاملة برمتها ومجموعها، ومع ذلك إذا لم يغط المكسب فى أحد الجوانب الخسارة فى الجوانب الأخرى، فماذا يكون الوضع؟ ألا تتحقق الخسارة فى الجملة؟ ومادام هذا الاحتمال قائماً فإن الضرر الذى يصيب الطرف الآخر قائماً، فتمتنع هذه المعاملة المفضية للضرر، طبقاً لقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لا ضرر ولا ضرار».

الشبهة السابعة:

إن عدم تحديد الربح مقدماً يجعل صاحب المال تحت رحمة العامل المستثمر، ومع خراب الذمم الذى يتسم به معظم أهل هذا العصر قد يقول له: إننى ما ربحت شيئاً، أو ربحت عشرة، وقد ربح أكثر، وصاحب المال عاجز عن إثبات حقيقة الربح، وهذا إضرار به، ولا سبيل إلى دفع هذا الضرر إلا بتحديد الربح مقدماً.

الرد على هذه الشبهة:

إن المستثمر إن كان أميناً ولم يتحقق من الربح إلا المقدار المحدد فقد وقع الغبن والضرر على العامل المستثمر، والضرر يجب دفعه ولا سبيل إلى دفع الضرر إلا بعدم التحديد، وإن كان العامل المستثمر غير أمين فسوف لا يمنعه التحديد من ادعاء الخسارة، وهنا يقع النزاع بين الطرفين، ولا سبيل إلى دفع هذا النزاع إلا بعدم التحديد وجعل الربح بينهما نسبياً حسب اتفاقهما.

الشبهة الثامنة:

إن لولى الأمر فى هذا العصر الذى خربت فيه الذمم ـ هكذا جاء حكمه عاماً بخراب ذمم أهل العصر، ولم يستثن أو يخصص ـ أن يتدخل فى عملية المضاربة، فلا يجعل المال أمانة تحت يد المضارب ـ العامل المستثمر ـ إذا هلك كان هلاكه على صاحب المال فى كل الأحوال، بل عليه أن يتدخل لفرض الضمانات الكافية لحفظ الأموال، ومن هذه الضمانات: تحديد الربح مقدماً، وأن يكون رأس المال مضموناً، وهذا اللون من التدخل يندرج تحت باب المصالح المرسلة، قياساً على تضمين الصناع ما تحت أيديهم، حيث أفتى الصحابة بتضمينهم ما تحت أيديهم من أموال إذا تلفت، محافظة على أموال الناس.

معاملات البنوك وأحكامها الشرعية

الرد على هذه الشبهة :

من ثلاثة وجوه : -

١ - إن تحديد الربح فى عقد المضاربة ليس من باب المصالح المرسلة ، لأن ضابط المصلحة المرسلة الا يشهد لها دليل بالاعتبار أو الإلغاء ، والمصلحة المدعاة هنا قد شهد لها الإجماع والقياس بعدم الاعتبار ، وإذن فهى ليست مندرجة تحت قاعدة المصالح المرسلة ، لعدم انطباق ضابطها عليها .

٢ - إن التحديد ليس مصلحة معتبرة ، لأن جانب الضرر فيه أرجح من جانب المصلحة على الوجه الذى بيناه فيما مضى ، وإذن فالتحديد ليس من المصالح المعتبرة ، كما أن المصلحة المزعومة له ليست من باب المصالح المرسلة ، فليس لولى الأمر أو أحد المجتهدين أن يتدخل بالقول بجواز تحديدها .

٣ - إن قياس التحديد على تضمين الصناع ما تحت أيديهم عند التلف قياس غير سليم ، لأن شرط القياس الصحيح أن يكون حكم الأصل - المقيس عليه - ثابتاً بنص أو إجماع ، وهذا الشرط غير متحقق فى تضمين الصناع ما تحت أيديهم من أثاث ومتاع ، لأن حكم التضمين ليس ثابتاً بنص أو إجماع ، وإنما ثابت بطريق الاجتهاد القائم على رعاية المصالح التى لم يرد بشأنها نص أو إجماع بإلغائها فلو سلمنا - جدلاً - بوجود مصلحة فى التحديد لكان هذا القياس قياس فرع على فرع آخر ، ولو كان المؤلف دقيقاً فى عبارته لجعل المسألة من باب التنظير لا من باب القياس ، أى أن التحديد - فى زعم المؤلف - نظير التضمين ، أى أنهما من باب واحد ، وقاعدة واحدة .

الشبهة التاسعة :

مع التسليم جدلاً بأن تحديد الربح مقدماً يفسد عقد المضاربة فإن أحداً من الائمة لم يقل بأن فساد عقد المضاربة لهذا السبب يجعل العقد معاملة ربوية يحرم فيها الربح الناشىء عن العمل فى المال المستثمر ، وإنما الذى أجمع عليه الفقهاء عند فساد عقد المضاربة بسبب تحديد الربح مقدماً أن العامل المستثمر للمال يصير أجيراً عند صاحب المال ، وله اجر مثله بالغاً ما بلغ ، ولصاحب المال ما بقى من الربح فوق راس ماله .

الرد على هذه الشبهة :

لم يقل أحد بأن تحديد مقدار معين من المال لأحد المتعاقدين فى عقد المضاربة يجعل عقد المضاربة معاملة ربوية ، وليس النزاع فى ذلك ، وإنما النزاع فى أن التحديد مقدماً يفسد عقد المضاربة ، وتنتهى أحكامها المقررة لها شرعاً بالنسبة للمشاركة فى الربح ، وتصفى آثارها بما قرره الفقهاء من وجوب أجر المثل للعامل والربح كله لصاحب المال مع رأس ماله ، حتى يتحقق التعادل والتساوى بين الطرفين ، فلا يضيع على العامل ثمرة عمله ومجهوده ، ولا يضار صاحب المال بضياع ثمرة ماله وربحه ، فالمؤلف يفترض معركة لا وجود لها ويرتب عليها أن العقد لم يتحول إلى معاملة ربوية ، وهو ما لم يقل به أحد ، وإنما قالوا بأن التحديد يحول المضاربة

إلى معاملة فاسدة يجب فسخها وإنهاء آثارها بما يحقق العدالة للطرفين على الوجه الذى قرره الفقهاء فيما أسلفناه .

وكأن المؤلف بكلامه هذا - وإن لم يفصح عنه - يرى بقاء المضاربة مستمرة لا يجب فسخها ، وللعامل أجره عند نهاية المدة المحددة لها أو فى نهاية كلٍّ ولكننا نستبعد هذا الرأى منه .

الشبهة العاشرة :

يقول المؤلف : « ونحن مع احترامنا للرأى الأول - وهو أن يكون الربح نسبياً لا قدراً معيناً - باعتباره هو الأصل فى المضاربات الشرعية ، لا نرى مانعاً من الأخذ بالرأى الثانى - وهو تحديد الربح مقدماً - إذا وجد المقتضى لذلك ، لأن كلا الرأيين من الآراء الاجتهادية ، التى تختلف باختلاف الظروف والأحوال .

الرد على هذه الشبهة :

أولاً : ادعاء أن مسألة تحديد الربح مقدماً من المسائل الاجتهادية بحيث يؤدى الاجتهاد فيها إلى القول بجواز التحديد ، ادعاء باطل ، لأنه لا يجوز الاجتهاد فى مقابل النص والإجماع ، كما هو مقرر فى علم الأصول ، وفى هذه المسألة قام الإجماع والقياس على عدم جواز التحديد فيكون القول بجواز التحديد قولاً باطلاً .

وثانياً : كيف يحترم المؤلف القول بعدم جواز التحديد ثم يخالفه إلى القول بالجواز !! وما قيمة هذا الاحترام إذن ؟! وإذا كانت العبارة من باب المجاملات الجوفاء التى يتعاطاها بعض الناس فيما بينهم فهل يليق استعمالها فى الأساليب والعبارات الفقهية التى تقوم على الدقة فى التعبير ، والصدق فى القول ؟!

وثالثاً : لقد اعترف المؤلف بأن الأصل فى المضاربات الشرعية عدم التحديد إلا إذا وجد المقتضى للعدول عنه إلى القول بالتحديد ، ولم يأت بدليل أو شبه دليل يقتضى العدول إلى القول بالتحديد . لأننا أبطلنا كل الأدلة والأوجه العشرة التى أتى بها للاستدلال على وجود هذا المقتضى .

وبعد .....

فهذه نظرة فى مسألة من مسائل الكتاب المذكور أرجو أن تتبعها نظرات ، لا نبغى بها إلا الوصول إلى الحق والله من وراء القصد .

قبس من أنوار النبوة ..

الرحماء يرحمهم الرحمن

للشيخ على حامد عبد الرحيم

عن ابى صالح الحنفى قال : قال رسول الله ـ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ رحيمٌ لا يضعُ رَحْمَتَهُ إلَّا عَلَى رَحِيمٍ ، وَلَا يُدخِلُ الجَنَّةَ إلَّا رَحِيماً » .
قالوا : يارسول الله : إنَّا لَنَرْحَمُ أَمْوَالَنَا وَأَهْلِينَا !
قالَ : لَيْسَ بِذَلِكَ ، وَلَكِنْ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» .
رواه الإمام احمد فى الزهد

من القيم الرفيعة فى الإسلام ، ومميزاته ـ وما اكثرها ـ صفة الرحمة وصف الله ـ عز وجل ـ بها نفسه ـ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ـ وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ١٤٣ ـ البقرة ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٣٩ ـ المائدة ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ٤٩ ـ الحجر . ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ الأعراف ـ ١٥٦ .

وقال سبحانه فى الحديث القدسى : أنا أرحم بعبدى من الوالدة بولدها .

روى البخارى : قال ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وانزل فى الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه .

ولقد وصف الله ـ عز وجل ـ رسوله محمدا بأنه الرحمة المرسلة للعالمين ، فقال : سبحانه :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء - ١٠٧ - وقال : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران ١٥٩ وقال : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة ١٢٨ - وقال فى شانه وشأن صحابته : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح - ٢٩ - كما مدح سبحانه المؤمنين بالتواصى بالصبر والتواصى بالمرحمة ، فقال : عز وجل : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ . أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ البلد ١٧ - ١٨ . والرحمة فى أصل معناها رقة فى القلب تقتضى الإحسان والانعطاف والإنعام وتقابلها القسوة والغلظة وهى فى جانب الله تفضل وإنعام وإحسان ، والرحمة التى يريدها الإسلام : هى الرحمة خاصة وعامة فالرحمة الخاصة هى أن يرحم الإنسان نفسه ويكون ذلك بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، ووقاية نفسه من أسباب العطب والخسران والذنوب والآثام ، وحماية قلبه من القسوة ، ووقاية نفسه من أكل الحرام ، والإكثار من عمل الصالحات ، مع الطمع فى رضوان الله عنه بدخول الجنة والنجاة من النار .

كما تكون الرحمة الخاصة بأن يرحم الإنسان أهله أو صاحبه « فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فيما رواه الطبرانى - قال : قال رسول الله - ﷺ - « لن تؤمنوا حتى تراحموا ، قالوا كلنا رحيم يارسول الله ، قال : « إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة الناس . رحمة العامة » أى الناس كافة .

أما الرحمة العامة فهى الرحمة الشاملة التى تعم الناس جميعا ، وتظهر آثارها من القلب على الجوارح واللسان فى السعى فى إيصال البر والخير والمنافع إلى الناس وإزالة الأضرار والمكاره عنهم .

وعلامة الرحمة الموجودة فى قلب العبد أن يكون محبا لوصول الخير لكافة الخلق عموما وللمؤمنين خصوصا ، كارها حصول الشر مع الصبر عليهم ، فبقدر هذه المحبة والكراهة تكون رحمته . وأولى الناس بالرحمة الوالدان قال - عز من قائل : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ الإسراء ٢٤ .

وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال : أقبل رجل إلى نبى الله فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله فقال : هل لك من والديك أحد حى ؟ قال : نعم ، بل كلاهما . قال : فتبغى الأجر من الله تعالى ؟ قال نعم . قال : فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما .

بل إن الرحمة بهما والإحسان لهما : ليس مقصورا على برهما فى حياتهما ، وإنما يمتد إلى ما بعد وفاتهما . فقد جاء رجل إلى رسول الله - ﷺ فقال : يارسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد وفاتهما ؟ قال : نعم « الصلاة عليهما . أى الدعاء - والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما - أى تنفيذ وصيتهما - من بعدهما ، وصلة الرحم - أى أقارب الأب والأم - التى

قبس من انوار النبوة

الرحمــاء يرحمـهــم الرحمــن

لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما » رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

ومن هنا كانت القسوة عليهما وعقوقهما من اكبر الكبائر بعد الشرك بالله ومن الذنوب التى يعجل الله عقوبتها فى الدنيا قبل الآخرة .

فعن رسول الله ـ ﷺ ـ فيما رواه البخارى ومسلم : انه قال كل الذنوب يؤخر الله ما يشاء منها إلا عقوق الوالدين ؛ فإن الله يعجل لصاحبها فى الحياة قبل الممات .

وللأم درجة خاصة من البر والإحسان لما تحملته من المشاق والمتاعب . فقد روى البزار عن بريدة عن أبيه أن رجلا كان فى الطواف حامل أمه يطوف فسأل النبى ـ ﷺ : هل اديت حقها ؟ فقال : لا ولا بزفرة واحدة ،ثم الرحمة بذوى القربى وذوى الأرحام : فقد روى أبو داود أنه قيل يارسول الله من أبر ؟ قال : قال أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك الذى ذاك أى قريبك الذى يقرب من هؤلاء المذكورين ـ حق واجب ورحم موصلة أى قرابة يجب وصلها ـ قال تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ الإسراء ـ ٢٦ . روى الإمام احمد عن أبى هريرة : سمعت رسول الله يقول : الرحم شجُنه من الرحمن تقول يارب إنى قُطعت يارب إنى اسىء إلىَّ ! يارب إنى ظُلمت يارب ، يارب ! فيجيبها : الا ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك .

وممن تجب الرحمة بهم الأولاد بالعطف عليهم والرقة والحنو عليهم وبهم ، فقد روى البخارى عن أبى هريرة أن النبى ـ ﷺ ـ : قبَّل الحسن أو الحسين بن على وعنده الاقرع بن حابس ، فقال إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا قط ! فنظر إليه رسول الله وقال : من لا يرحم لا يُرحم .. وفى رواية : أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك » وقد دمعت عينا رسول الله ـ ﷺ : عند فقد ابنه إبراهيم ولما سئل فى ذلك قال : إنها رحمة ـ رواه مسلم .

كما تجب الرحمة بالضعفاء والمساكين . روى الطبرانى : أن رسول الله ـ ﷺ : قال : « طوبى لمن تواضع فى غير منقصة ، وذل فى نفسه من غير مسألة ، وانفق مالا جمعه فى غير معصية ، رحم أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة » .

وعن أبى هريرة أن رجلا شكا إلى رسول الله قسوة قلبه : فقال له : أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك ، ارحم اليتيم وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك يلن قلبك . وتدرك حاجتك ـ رواه أحمد .

وممن تجب الرحمة بهم المرضى وذوو العاهات : فلا تقسُ عليهم بل تكون رحيما بهم متخلقا بخلق الله معهم : قال ـ عز من قائل : ﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ـ الفتح ـ ١٧.

وإذا كانت الرحمة التى يدعونا إليها الإسلام عامة لا تقف عند حد ، فإن الواجب يقتضينا أن نتصف بها مع الناس اجمعين ، وفى كل وقت وحين ، حتى نكون اهلا لوعد ربنا حيث قال : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وقال : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

﴿ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة ـ ٧١ .

وكما دعينا إلى الاتصاف بصفة الرحمة مع بنى الإنسان جميعا ، كذلك امرنا بالرحمة مع العجماوات : قال رجل ـ فيما رواه الحاكم يارسول الله إنى لأرحم الشاة أن أذبحها فقال : إن رحمتها رحمك الله .

ولقد كانت الرحمة سببا فى مغفرة ذنوب المسرفين على انفسهم فى المعصية فقد روى مسلم : أن امراة بغيا رات كلبا فى يوم حار يُطيف ببئر قد ادلع لسانه من العطش فنزعت موقها ـ خفها ـ فغفر لها به ـ كما أن امراة دخلت النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ـ رواه البخارى .

فعلينا أن نقتدى برسول الله ـ الرحمة المهداة ـ حتى نكون أهلا لرحمة الله التى وسعت كل شىء .

ولقد قدم صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ: بسَبْى وإذا امراة تسعى قد تحلب ثديها إذا وجدت صبيا فى السبى فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله ـ ﷺ .

«أترون هذه المراة طارحة ولدها فى النار ؟ قالوا : لا ـ وهى تقدر على الا تطرحه ـ قال : فالله أرحم بعباده من هذه بولدها » البخارى .

اللهم اجعلنا ممن اتصفوا بالرحمة حتى نكون أهلا لرحمتك ياأرحم الراحمين .

ناصح أمين ـ بقية ـ

ثم بين إبراهيم عليه السلام أن المستحق للعبادة هو رب العالمين الذى خلقهم وهداهم إلى كل مايصلحهم ويعينهم كالهداية إلى معرفة الثدى عند الولادة ، وإلى معرفة مكانه والهداية لكيفية الارتضاع إلى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد حتى يفارق الإنسان الدنيا ، وبيده سبحانه وحده الصحة والمرض ، والغنى والفقر ، والحياة والموت ، وهو سبحانه وحده الذى يقبل التوب ، ويعفو عن المسىء ، ويغفر الذنب ، ولنسمع : ﴿ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ . الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِى أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ ﴾(٤) .

فتأمل منهج أبى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى الدعوة إلى الخير والهدى ، ومنهج الصالحين ومنهم الرجل الذى جاء من أقصى المدينة يسعى ليعزز المرسلين ، ويدعو قومه إلى توحيد الله ، ويقيم البرهان ويخاطب العقل ، وينبه الوجدان والقلب بجمال الأسلوب ، وروعة البيان ، وسطوع الدليل ، وقد تحدث عن نفسه ليدعو غيره إلى التأمل والتفكر ، ثم التفت إلى الناس مؤمنهم وكافرهم قائلا : ﴿ إِنِّى آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ فماذا كان من أمر المشركين معه ؟ رضى الله عنه .

للبحث صلة

(٤) الآيات : ٧٧ : ٨٢ من سورة الشعراء .

الحاقدون يعترضون

على مقسم الأرزاق

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ . أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ « سورة الزخرف ٣١ ـ ٣٢ » .

لا ريب ان الإسلام ينأى بالمسلمين عن مثيرات الحقد والضغينة ويامر اتباعه بالتعاون على البر والتقوى : لان الله يقول : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ . . . ﴾ « سورة المائدة ٢ » .

ومما لا ريب فيه أن الإسلام يجعل الإيمان دواء شافياً يشفى الصدور من الضغينة التى يصاب بها الحاقدون أعداء النعم وخصوم الحياة ، لأن الرضا بصنيع الله مقسم الأرزاق بين خلقه ولم ينس أحداً ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ « هود ٦ » .

الرضا يملأ القلب اطمئناناً بأن الله بيده ملكوت كل شىء : يعطى ويمنع ويضر وينفع ، والله يقول : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ « سورة آل عمران ـ ٢٦ ـ ٢٧ » .

والمؤمن يترك أمر المُلك للمالك ويدع الخلق للخالق ؛ لأن الأمر لله جميعاً . ﴿ . . لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ . . . ﴾ « سورة الروم ـ ٤ » .

ولكن جمهور الحاقدين لا يرضيهم إلا زوال

النعمة من أيدى المنعم عليهم ورحم الله القائل :

داريت كل الناس لكن حاسدى

مداراته عزت وعز نوالها

وكيف يدارى المرء حاسد نعمة

إذا كان لا يرضيه إلا زوالها

والله يقول : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ « سورة الفلق ٣ ـ ٥ »

وذلك لأن الحسود شره مستطير وسيرد حقده عليه ، وكان الأولى به أن يرحم نفسه من الضرر الذى يصيبه من هم وغم وقلق دائم : لأن الحسد داء ينهك الجسد ويفسد الود . ويعمى البصيرة ويطمس القلب ويغرى بالإثم .

وعندئذ تنقطع الصلات وتتمزق العلاقات بين الأفراد والجماعات .

والمسلم الصادق يكون راضياً عن الله فى كل ما يهب لعباده الفقراء إليه ، ليصبح ويمسى مستريح النفس من بركان الحقد الأعمى فى قلوب أهل الضغينة المفسدين الحاقدين .

ولقد أمرنا الله بالاستعاذة من شر حاسد إذا حسد لأن الحسد جمرة متقدة فى الصدور الجاحدة ..

مجتمع التراحم

والمجتمع الذى يتعاطف ويتراحم ويحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه هو المجتمع الذى يريده الإسلام ويحبه الرحمن ، (وعن عبدالله بن عمرو قيل يارسول الله أى الناس أفضل ؟ قال : كل مخموم القلب صدوق اللسان ، قيل صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب ؟ قال : هو التقى النقى ، لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد) « رواه ابن ماجه » .

إن أدب المجاملة وحسن النية وطهارة السريرة ومراعاة أحاسيس الناس وإسلام الوجه لله ، كل ذلك من أعظم القربات عند الله تعالى ، لأن ذلك يدل على عمل المصلحين ، والله هو المطلع على خبايا النفوس وحده ، والإيمان فى قلوب المتقين لا يقبل الضيم ولا يتحمل الضير ، وهو يأبى الذلة و« الانحطاط » ويحب معالى الأمور .

أول معصية

إن أول ذنب عصى به الرحمن فى دنيا الناس يكمن فى جملة قالها إبليس يوم أُمر بالسجود لآدم فأبى واستكبر وقال : أنا خير منه ، فكانت الأنانية وكان الحقد وكان الكبر البغيض الذى سبب له اللعنة ؛ ثم أرأيت كيف كان الحقد سبباً فى إغراء قابيل على قتل أخيه فقتله ؛ كما جاء فى القرآن الكريم ؟!!

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ . فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ « سورة المائدة ـ ٢٧ ـ ٣٠ » . هذا هو الحقد يتجسد ويفور ويثور ليقتل أخاه إرضاء لنزواته وإشباعاً لإيلام غِلِّه وحقده ، ولكن أصحاب الهمم العالية والأخلاق السامية وأهل الإباء والوفاء يترفعون عن الدنايا والخطايا وفعل النقيصة والخسيسة .

الحقد والتآمر على الدعوة المحمدية

الحقد الشرير شره مستطير وأمره خطير يسبب الشقاق ويفسد حياة الآمنين لأن الحقود عذابه

الحاقدون يعترضون

على مقسم الأرزاق

مقيم فى قلبه الجريح الذى لا يبرأ من الغل إلا بالإيمان السليم واتبـاع الصراط المستقيم وإخلاص الفؤاد لرب العالمين ، وبهذا يبرأ المرء من صغار الحقد ، وهو من صفات الطبقات الدنيا من الخلق ، أما أصحاب النفوس العالية فلا ينزلون إلى تشويه الحقائق والافتراء على الأبرياء بسبب الكره الحاقد ممن لاخلاق لهم ، فعاشت فى صدورهم جراثيم الخبث والشر والكيد بسبب الحقد الذى يتمنى صاحبة للناس الدمار والبوار لا لشىء إلا لأنه فاشل حيث نجح غيره ، فراح الحاقد يتلمس العثرات ويحصى الهنات على غيره .

ولقد تآمر الكافرون على سيد البشر خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث خططوا لاغتياله ليلة الهجرة .. ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ « سورة الأنفال ـ ٣٠ » .. فقد خرج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلتئذ مهاجرا ومعه صاحبه أبو بكر تحرسهما عين الله تعالى إلى المدينة .

وكيف رسموا الخطة للمؤامرة ؟

لقد اجتمع مائة من الحاقدين الجاحدين الكفرة ، الفجرة فى « دار الندوة » بزعامة أبى جهل وقرروا أن يجمعوا من كل قبيلة شاباً قوياً فتياً ، يُعطى سيفاً صارماً ثم لينقضوا جميعاً على محمد ابن عمومتهم ليشترك ممثلو القبائل فى ضربه ضربة رجل واحد ، فيقتلونه ويستريحون منه فلا يقدر بنو عبد مناف على ضرب الجميع فلا دية له ولا ثأر بعد ذلك ، ولكن الله خيب أملهم بحماية حبيبه الذى اجتباه ورباه وتولاه منذ وجده يتيماً فآواه وقد اصطفاه لأضخم رسالة وادخره لأعظم مهمة عرفتها الإنسانية وقال له : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ .... ﴾ ولم يهدأ حقد أهل مكة .. فأخذوا يبحثون عنه فى الكهوف والمغاور وأعدوا الجوائز لمن يحضره حياً أو ميتاً !!!! ولكن الله رد كيدهم خناجر مسمومة إلى صدورهم المحمومة :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ « سورة التوبة ـ ٤٠ » .. وبالهجـرة انتصر الإسلام وعزت كلمته وكان الحقد آفة النفوس الضعيفة الملتوية .

لو كان الحقد رجلا لوجب قتله

كل جريمة من الكبائر تمتد جذورها إلى حقد أو طمع أو أنانية أو كبر فى الأرض بغير الحق وركائزها كلها ، الحقد الدفين على من أنعم الله عليهم ، وقد يكون الحقد بين الجماعات والأمم كما يكون بين الأفراد والأسر ، وقد كان فرعون صورة للقلب الحاقد والباغى الجاحد ، فقد امتلأ كبراً وغروراً وطغياناً وفجورا ، وكان شغوفاً بإذلال الآخرين يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ، ثم تطور أمره وازداد ضره حتى قال : ذرونى أقتل موسى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ . وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ « سـورة غـافـر

ـ ٢٦ ـ ٢٧ » : فماذا كانت نهاية غروره وفجوره ؟!! كانت نهايته أن أخذه الله نكال الآخرة والأولى . إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى .

وتلك هى نتيجة التكذيب والكبرياء والاستعلاء على خلق الله والتطاول وادعاء الألوهية !!! الله يقول : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾

الغبطة والمنافسة

والمنافسة أو الغبطة غير الحقد ، وهى محمودة ، وليست من الحسد ، لأن الغبطة والمنافسة محاكاة أى ناجح فى عمله مع تمنى الخير له مع دوام النعمة التى في يديه له من غير تمنى زوالها عنه ، واتخاذ المُجِدِّ قدوة ، وهذا حسن ومطلوب لأنه وسيلة كريمة لمحاربة الضعف فى النفس ، وبهذا يتقدم الإنتاج والله يقول : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ : وقد وصف الله أهل المدينة الذين استقبلوا إخوانهم المهاجرين بالترحاب والرضا والارتياح التام فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . . ﴾ « سورة الحشر ـ ٩ ـ ١٠ » .

وهؤلاء قد كانوا يتطلعون إلى فضل الله وحده وغير كارهى الخير للغير ، وهم يحبون للناس ما يحبونه لأنفسهم ، وفى هذا يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها ... » [رواه البخارى] .. والمؤمن لا يقبل سقوط الهمة بالحقد على الناس الذين اختصهم الله بموهبة أو بميزة أو عطاء ، لعلمه بأنه لا يجتمع فى جوف ابن آدم إيمان وحسد ، كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا يجتمع فى جوف عبد غبار فى سبيل الله وقبح جهنم ، ولا يجتمع فى جوف عبد الإيمان والحسد) .. « رواه البيهقى » .. ويقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » « رواه البيهقى » .

وليس على أى طموح يحب الرفعة أى حرج فقد قال عباد الرحمن : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ « سورة الفرقان ـ ٧٤ » .

ويقول سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ « سورة ـ ص ـ ٣٥ » .

الحقد ونشر الشائعات

إن شر خلق الله رجل لا يجد عيباً فى رجل محسود فيزور عليه قولاً أو ينتحل له أمراً ، أو ينسب إليه سوءاً ، كذبا وتشفيا وتشهيرا . وهذا سفه ولؤم وخسة وصفاقة وها هوذا القرآن الكريم يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ « سورة النور ـ ١٩ » .

والإسلام دين السمو والعفة والرفعة والصدق ، يكره الكذب ويمقت الإفك ويحب ستر عورات الناس وحرم التشنيع على الناس فى المجالس لينقص من أقدارهم بإبداء المساوىء وخلق التهم لحقد مكظوم أو يتخذ لنفسه متنفساً لغل مكتوم ، وفى هذا يقول معلم البشرية وأستاذ

الحاقدون يعترضون

على مقسم الأرزاق

الإنسانية الذى بعث ليتمم مكارم الأخلاق ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من ذكر امرءا بشىء ليس فيه ليعيبه حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنفاد ما قال فيه » « رواه الطبرانى » ..

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ « قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم : قال : ذكرك أخاك بما يكره؛ قال : أرأيت إن كان فى أخى ماأقول ؟ قال : إن كان فيه ماتقول ؛ فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته » « رواه مسلم » ..

وكان صاحب الخلق العظيم يقول : « لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئاً ، فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » « أبو داود » .. وقال : من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موءودة » « الطبرانى » ..

وإن الذين يتتبعون العورات لنشرها يظهرون غل قلوبهم وحقد صدورهم الكامن فى نفوسهم وهم أشد خطرا وأعظم ضررا من أهل العداء الواضح المعلن . لأن عملهم عداء مقنع ولكنه بارز غير مستتر ، لأن المرض الحاقد فى صدور الأفاكين لا علاج له إلا بالصبر كما قال الشاعر الحكيم ـ رحمه الله ـ :

اصبر على كيد الحسو
د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها
إن لم تجد ما تأكله

هذا قول يصور الشحناء فى قلب أهل البغضاء ويصف العلاج بالصبر الجميل على كيد الحسود ، ليصطلى وحده بناره ، وهو يقول : فإن صبرك قاتله .. لأن الصبر لا يغسل أدران الحقد من صدور الحاقدين ولكنه يكبت كيدهم !!! والاستعانة بالصبر والصلاة دواء والله يقول :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ، إن الناس يكرهون رؤية الحاسد وينفرون منه ويتشاءمون من عينيه ويحتقرون خلقه الخبيث الساخط الساقط الباغى فهو صاحب الطبع اللئيم وهو شاذ سقيم وليس لسقمه دواء ولا لحسرته انتهاء .

فهو بخيل بما لا يملكه طالب لما لا يجده ، عدو لمن لا ذنب له عنده ، ولا يتجسد الحسد إلا عند زيادة النعم فمن كثر جاهه كثر حساده .

شرار الناس

روى عن ابن عباس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ألا أنبئكم بشراركم ؟! قالوا بلى إن شئت يارسول الله ؟ قال : إن شراركم الذى ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده ؛ أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى ، إن شئت يارسول الله ؛ قال : من يبغض الناس ويبغضونه ، قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى إن شئت يارسول الله ؟ قال : الذين لا يقيلون عثرة لا يقبلون معذرة ، ولا يغفرون ذنباً ، قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : من لا يُرجى خيره ولا يُؤمن شره » « رواه الطبرانى » .

البقية ص ٢١٩

الفتاوى

إعداد : أحمد السيد تقى الدين

المرور أمام المصلى

س : يسال عبد السلام البندارى من كفر الشيخ عن جواز المرور امام المصلى .

ج : المرور أمام المصلى من المحرمات ففى الحديث المتفق عليه « لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرله من أن يمر بين يديه » وفى رواية للبزار نسبه صحيح : « لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه كان لأن يقوم أربعين خريفا خير له من أن يمر بين يديه » .

وقال المحققون : التحريم يكون إذا صلى الإنسان لسترة اتخذها أمامه ، أما إذا لم يتخذ سترة فلا يحرم المرور وإن كان الأولى تركه .

ومن ذهبوا إلى تحريم المرور سواء اتخذ المصلى سترة أم لا ، قالوا : إن المنطقة المحرمة هى التى بين قدمى المصلى إلى موضع سجوده . أما ما بعد ذلك فلا حرمة فى المرور فيه .

كل من الزوجين يرث الآخر

س : ويسال م . ن من البحيرة عن حكم الإسلام فى رجل عقد قرانه على فتاة وتوفى قبل الدخول بها فهل ترث منه ؟ وهل يحق لابنه الزواج منها ؟

ج : مادام عقد الزواج قد تم فكل من الزوجين يرث الآخر عند الموت سواء كان قبل الدخول أو بعده ، أما المعاش فله نظام خاص ، وإذا لم يعين المتوفى من يستفيد من معاشه يوزع كالميراث .

وليس لابنه أن يتزوج منها لأنها زوجة أبيه بمجرد العقد ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (النساء ٢٢) .

ويدخل فى النكاح هنا الزواج بلا وطء .

التزام الدخول بعد الزفاف

س : سال م . ا من اسيوط عن حكم الإسلام فى رجل عقد قرانه على فتاة وعاشرها المعاشرة الزوجية قبل الزفاف فهل يحل هذا ام يحرم ؟

ج : مادام الشاب قد عقد زواجه بفتاة فقد حل له منها ماكان محرما قبل العقد أى فى فترة الخطبة وما قبلها .

الفتـــاوى

لكن العرف السائد أنه لا يتصل بزوجته اتصالاً جنسياً إلا بعد إعلان الدخول لأن هذا الذى عاشر زوجته بعد عقد قرانه عليها بطريقة سرية ربما تبدل الحال بعد ذلك واختلف الزوجان أو أهلهما فأنكر أنه دخل بزوجته وبذلك يجر عليها ويلات لا حد لها بسبب زوال بكارتها أو ظهور حمل بها .

فدرءا لهذا الشر المستطير يجب على كل من أراد أن يستمتع بمن عقد عليها أن يعلن أمام الناس أنه دخل بزوجته حتى لا يكون له سبيل إلى الإنكار فيما لو اختلفا فى الدخول وعدمه .

والله أعلم

إطالة الخطبة وتقصير الصلاة

س : ويسأل على الليثى من الجيزة عن حكم الدين فى خطيب المسجد الذى يطيل فى خطبة الجمعة ويقصر فى الصلاة .

ج : كان هدى النبى ﷺ التوسط والقصد فى الخطبة وإطالة الصلاة بالحد المعقول مراعاة لحال المأمومين .

فقد أمرنا ﷺ بذلك .

روى الترمذى بسند حسن عن العرباض ابن سارية : كانت خطبة الرسول ﷺ فى الجمعة قصداء أى متوسطة لا طويلة ولا قصيرة ، وفى الحديث الذى رواه مسلم ما يفيد أن طول صلاة الرجل وقصر خطبته علامة على فهمه وتفهمه فأطيلوا الصلاة .

وننصح الخطيب الذى يريد أن يوفى الموضوع حقه أن يختصر مراعاة لحال الناس ، وبعد الصلاة يشرح ويوضح لمن شاء ماكان يريد ذكره فى الخطبة ، وذلك من الحكمة فى الدعوة التى أمر بها الدين .

أولياء الله

س : وتسأل ح . عبد ربه من الزقازيق عن أولياء الله ومن يستحق أن يلقب بلقب الولى ، وهل لهم كرامات ؟

ج : أولياء الله هم الذين تولوا أمر الله بالتنفيذ وتولاهم الله بالرعاية ، قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (يونس ٦٢ : ٦٤) .

ففى هذه الآيات مواصفاتهم (آمنوا وكانوا يتقون) حيث تولوا أوامر الله بتنفيذها إيماناً وتقوى وفيها جزاؤهم . (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) حيث تولاهم الله بالرعاية والتكريم .

والكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد ولى من أوليائه الصالحين ، وهذا أمر غير لازم أن يظهر فى الدنيا فقد يدخره الله فى الآخرة .

الأولياء المخلصون يحبون أن يعيشوا مستورين بعيدين عن الرياء والشهرة .

الشعر والشعراء

إشراف: رشاد يوسف

الإسكندرية

دار السعادة في الرضا

للمؤلف قناع

على لسان محتضر

الإسكندرية

للشاعرة : جليلة رضا

اسكندرية : ايها الثغر الجميل ؟ انا هنا
اهفو إلى الماضى البعيد واستعيدك موطنا
يالهف نفسى كم احن إليك ، اعشق فيك أمسى
ولكم وكم ناداك عبر حنينه المشبوب حسىّ
انا إن هجرتك إنما احيا وطيفك فى خيالى
واظل أسأل هل أراك غداً وأحظى بالوصال
انا قد اغيب وإنما استاف « يُودَكِ » فى انتشاء
وامد عينى من بعيد نحو بحرك فى رجاء
انا فى رباك صبية تنهل من نبع المنى
تغزو الشطوط الشقر ، تبنى من رمالك مسكنا
انا فى رباك شجيرة نهلت عصارات الحياة
اخت الأزاهر والحدائق والزوارق والمياه
انا كالطيور على رباك رفيقة الفجر الندى
احيا مع الحسن المهيمن والجمال العبقرى
آه وآه من نسيمك حين يسرى فى ضلوعى
قلبى الذى الف الصراع لديك كالحمل الوديع
اسكندرية ! تحت خطوك افرش القلب الامين
فخذيه فى الحضن الدفء وكفكفى الدمع الحزين
من اجل حبك لم اعد اهوى حياة القاهرة
ياقطعة من قلب مصر . وكل قلب الشاعره ... !

إن السعادة فى الرضا

للشاعر : سيد عبد الرءوف سيد

إن السعادة فى الرضا فلترض ياصاح رضاى
اسعى فإن ادركت ما أرجو انتشيت فذا مناى
انا لا انى فإذا المنى صدفت رضيت به قضاى
مالى اقطب عابسا فيزيدنى ألما أساى
المال إن يكثر بذلت لمعوز وسخت يداى
وإذا امتحنت به أنست لقائل : مالى فداى
وإذا بليت بجاهل فالحلم يحرس لى قواى
الشامتون من العدا ارثى لهم وهم عداى
ماضر لو طعموا الرضا حلوا وصاروا فى رضاى
أناإن ظلمت ولم اطق دفعا وقد كسرت عصاى
احنو على نفسى ومن يحنو على نفسى سواى ؟
والموت إن يقدم فكم قد شيعت موتى خُطاى .

---

* الشاعر سيد عبد الرءوف سيد موجه علم للغة العربية سابقا .

للزيف قناع متهرئ

شعر: شوقي محمود أبو ناجي

أتلفتُ بَيْنَ دُرُوبِ الْوَهْمِ لأبحثَ عن شيءٍ مجهولْ
عَنْ شَيءٍ لاَ أذكرهُ .. ضَاعَ عَلى الطرقات بغيرِ دَليلْ
وتشيحُ الطّرْقُ بوجهٍ طُمِستْ فيه معالم كلِّ سبيلْ
والصمتُ يزمجرُ بينّ جوانح نفسٍ تبحثُ عنْ تأويلْ
وأمدُّ الطرْفَ لأسبرَ غوْرَ الأفقِ فيرجعُ وَهو كليلْ
صِفْرَ الكفينِ .. رَمادُ الدمعِ يلوّن آفاق المجهولْ

لا يبصرُ إلا الزيفَ يبرقِعُ فهوَ قِناعٌ شرُّ قِناعْ
يخفي الظلماتِ بوجهِ يوهمُ أنّ الحلكةَ غرسُ شعاعْ
ويذلّل صعبَ الصعبِ .. بحكمةِ من يتمرسُ بالإقناعْ
وبداخله جُبُّ البهتانِ .. بعيد الغور عميق القاعْ
ولمخلبه سمُّ الرقطاءِ .. يداوى من كلِّ الأوجاعْ
وَدعيُّ الصدقِ .. دعيُّ الحقِّ .. يُؤَيِّدُ مِنْ شرِّ الأتباعْ

وسعيتُ إلى جاثٍ يحفنُ ذُلاًّ ويهيلُ على نفسهْ
ويتمتم بالدعواتِ لِمَنْ يسقيه هواناً فى كأسهْ
ويبثّ العاشق صَهْدَ الهمِّ شجونا تلهث من فأسهْ
والأرض تجيبُ بهمس الغصن وماءُ العزة فى غرسهْ
سَيَهُبُّ إباءُ بين عروق الغصنِ تمردَ فى حبسهْ
فإذا الجلاد جريح النظرة والأوحال على رأسهْ

على لسان محتضر

للشاعر: محمد عبد الرحمن صان الدين

نظـرت إلى دنيـاى نظـرة عـاشق ∴ أهيم بها وجدا ، وينبض خافقى(١)
فلست أراهـا غير حسنٍ ، ورونَقٍ ∴ ونبـعِ صفـاء بـالمسرة دافـقِ

ومـرتـعِ مجْـدُودٍ ، يـديـر بكفـه ∴ مقاليدَ عيش قد خلا من بوائق(٢)
وغـايـة آمـال ، ومُنْيَـةِ طـامـح ∴ كأنى ضمنت الخلد ، غيـر مفارق

ومرت (سنين) العمر ، والقلب غافل ∴ أغُضُّ جفونى عن بَهِيرِ الحقـائق
على الأرض أغْدُ وكيف شئت مُجنَّحا ∴ وليس أمـامى فوقهـا من عـوائق

ولما انقضى عمرى ، ولاحت منِيَّتى ∴ تُتَـابِعُ أنفـاسى ، بـأعين وامِقِ(٣)
وأيقنت أنى - لا محـالـة - راحـل ∴ إلى حيث تلقـانى جميع سـوابقى

تَلَفَّتُّ من حـولى أروم عشيـرتـى ∴ وصفـوة أخدانى ، وظـل منافق(٤)
فلم أُلفِ من هـذا وذلـك دانيـا ∴ يكـون لَدَى حين الـوداع مرافقى

وحدَّقْت فى حِرْزِى ، لأصحب ما به ∴ فلم أحظ مِمَّا قد حَوَيْتُ بِدَانِق(٥)
فصدتْ عن الدنيا جميع جوارحى ∴ وودعت ما فيها بـوجدان حـانق(٦)

وهـأنـذا أمضى وحيـدا مجـردا ∴ بعقلٍ شريد ، فى الهواجس غارق
وحسٍ كضوء الشمس طَىَّ سحابة ∴ وطـرفٍ كليـل بـالمُحَجَّب عـالق
ولَمَّـا وَنَى نبضى ، وأصبح هيكلى ∴ بغيـر لسـان ، بـالمشـاهـد نـاطق

تكشَّفَ لى مـا كـان عنِّى محجبـا ∴ وقد صار منى دانيـا كل شـاهق
وطَوَّفْتُ فى طول الوجود وعرضه ∴ فلم أرَ شيئـا غير أنـوار خالقى

---

(١) خافقى : قلبى .
(٢) مجدود : محظوظ ، بوائق : الدواهى .
(٣) وامق محب .
(٤) أروم : أريد ، أخدانى : أصدقائى .
(٥) دانق : ربع درهم .
(٦) حانق : غاضب .

من أعلام الأزهر وشعرائه

فضيلة الشيخ عبد المنعم فارس

الذكريات الغالية :

حين اتصل بى المهندس عبدالحميد فارس ، نجل أستاذنا وشيخنا عبدالمنعم فارس ، انداحت أمام مخيلتى مساحات شاسعة من الزمان والمكان ، ووجدتنى فى أسيوط ، وفى معهدها ، وأرى زملائى فى شرخ الشباب مقبلين على العلم والحياة فى بهجة يحسن أن يصورها رسام ويصفها شاعر صاحب إلهام : وتناوشتنى الأفكار من كل جهة ، وتجلت الخواطر تتراءى أمام عينى حتى قلت مع الشاعر العربى :

تكاثرت الظباء على خراش
فما يدرى خراش ما يصيد

وأنا خراش فى هذا المجال ، ويهمنى أن أسجل أن شيوخنا كانوا على مستوى تحلم البرية ببعضه ، فرؤساء المعهد على التوالى وهم شيوخ لايضارعون : نذكر منهم : الشيخ إبراهيم حمروش ، والشيخ عبدالحكم عطا صاحب المقولة المشهورة : « لو ضاع مذهب مالك لجمعته من صدرى » والشيخ السرفى والشيخ أبا العيون ..

لفضيلة الشيخ
السيد حسن قرون

ومن المدرسين المشايخ أذكر الشيخ عبد الرحمن تاج ، والشيخ السايس والشيخ صالح شرف ، والشيخ شبل يحيى ، والشيخ عبدالحليم أبو بيه ، والشيخ محمد عبد الرحيم الكشكى .

ومن شباب المدرسين : الشاعر الناقد الشيخ عبدالمنعم فارس ، ومن شيوخه ومدرسيه ازدان الأزهر بتولى مشيخته بكل من : الشيخ حمروش ، والشيخ تاج .

وكانت الاحتفالات فى المواسم الدينية والوطنية مجالاً لظهور العبقريات من الخطباء والشعراء ، « سوق عكاظ » من غير تجارة ولا مفاخرة ، بل هو سباق فى سبيل الإجادة ووضع المثل العليا من الأدب شعره ونثره مع الخلق الكريم ، والنهج السليم ، ونحن الطلاب نجنى من كل حفل ثمرات لها طعمها الذى لا يفنى ، وكنا نحفظ مايقال ، ونتمنى أن نراه مطبوعاً لاقتنائه ، وهيهات

هيهات ، فالشيوخ ينقلون إلى المعاهد الأخرى والطلاب ينالون الشهادة الثانوية الأزهرية ، ثم تتلقاهم الكليات ، ولكن الصلات الروحية تدوم ، وإنى لأذكر بعض ما قيل فى ذلك الزمان على مدى تسع سنوات قضيتها فى ذلك المعهد « معهد اسيوط » .

ففى حفل دينى أنشد الشيخ شبل يحيى (وكان يحمل أكثر من شهادة عليا) ، قوله الذى ألهب الأكف والحناجر وهو :

وهـل بين ابنـاء المـدارس كلهـا
فتى كـالشباب الأزهـرى نجيب ؟

ومن شعر الشيخ عبدالحليم أبو بيه ، وقد كان الإعداد لإنشاء المجمع اللغوى ، قوله فى الحفل من قصيدة طويلة :

زعموا بأن المجمـع اللغوى قَـدْ
يـرضى قبيلا أو يصـد قبيـلا
فليـعلم القـوم الـذيـن يلـونـه
أنـا درسنـا النص والتنـزيـلا

وفى حفل اقيم بمناسبة استشهاد عمر المختار الليبى سنة ١٩٣١ ، القى الشيخ عبدالمنعم فارس قصيدة عصماء يشوى جاحمها وجوه المستعمرين منها والرواية عن تلميذه زميلنا الأستاذ أمير محمد عبدالعال ، قال الشيخ عبدالمنعم فارس :

مصابٌ دهى الإسلام والنـاس نُوَّمُ
ورُزْءٌ نـأى عنه الخميس العـرمـرمُ
مصاب لعمرى فى الصميم من الحشا
تـزلـزل من وقـع الـرزايـا المقطم

وتمر الأيام ، وفى السنة الأولى من المرحلة الثانوية كان يدرس لنا علم العروض ، وكان لإلقائه وتقطيعه الأبيات وبيان ميزة كل وزن وهو ما يسمى البحر ، مضرب المثل فى الإفهام

والتفهيم ، وكان بجانب الأمثلة القديمة يحرك أذهاننا بإيراد أبيات من الشعر الحديث ولا سيما شعر شوقى .

وفى أكتوبر ١٩٣٢ مات أمير الشعراء أحمد شوقى ، فقلت له أثناء الدرس : ألا ترثى شاعرك المفضل ؟ فقال : إننى سأفعل ، ثم أتى بالقصيدة وبعد قراءتها أخذتها منه وارسلتها إلى الأستاذ محمد توفيق دياب لينشرها فى جريدته (الجهاد) لأنى رأيت الجهاد يجعل شعاره قول شوقى :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهداً
إن الحيـاة عقيـدة وجـهـاد

وكان أن نشرت جريدة الجهاد بيتين أحفظ منهما البيت الأول وهو :

ياناعى الشعـر ماأقسـاك من ناعى
إنى حزنت وهد الحزن اضلاعى

ولقد كان الشيخ عبدالمنعم فارس من أقرب

من اعلام الأزهر وشعرائه

فضيلة الشيخ عبدالمنعم فارس

المدرسين إلى قلوبنا ، لأن شبابه يجعله من جيلنا ، وكنا لا نستحى أن نطلعه على نظمنا ومحاولات قرض الشعر ، ومنه ومن زملائه قامت نهضة أدبية فى « معهد أسيوط » ، فامتلأ بالطلاب الذين ينظمون الشعر بل يصدرون الدواوين ، وشيخهم عبدالمنعم فارس يكتب لهم المقدمات شعراً ونثراً على حين أنه لم يجمع شعره ليصير ديواناً بين يدى طلابه وعشاق أدبه .

من هنا حين كتبت عنه عقب وفاته فى جريدة : « منبر الشرق »[1] لصاحبها « على الغاياتى » ، لم أجد ماأتمثل به من شعره إلا بعض أبيات من قصيدة له أنشدها فى ذكرى الهجرة ، وكم تمنيت لو أتيحت لى الفرصة لأجمع ذلك الشعر لا لأتولى طبعه ، بل لأدعو غيرى ليقوم بهذا العمل المفيد ، فهو شعر من الطراز الذى يقال فى حقه « حوى الأصالة والمعاصرة » .

وقد سرنى أن نجله عبدالحميد وهو مهندس ينشط الآن بجمع ذلك الشعر ، ولكن فاتنى أن أبسط القول فى شعره متناولاً كل الأغراض من : حماسة ، وفخر ، ومدح ، ورثاء ـ وقد رثى كثيراً من تلاميذه الذين غرقوا أو استشهدوا فى مجابهة الاستعمار ، فلن يفوتنى أن أضع بعض النماذج ، وقديماً قالوا : « يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق » ، وأرجو ألا أكون مخطئاً فى ضرب هذا المثل .

وإليك بعضاً من مقدمة ديوان « ثورة الشباب » تأليف الشاعر « سيد سليمان النخيلى » صدر الديوان فى مارس ١٩٣٧ ـ قال الأستاذ عبدالمنعم :

انظر إلى « ثورة الشباب »
كمرهف الحد غير نابى
تجد دروساً لكل فنٍّ
تجد سبيلاً إلى الرغاب
فيها حياة لمن وعاها
فيها اهتداء إلى الصواب
فيها مُعين على هموم
كالروض مخضرة الجناب
فيها نكير على الدنايا
فيها إباءٌ لكل عاب
قد جاءكم « سيد » بنور
يسوق هدياً إلى الشباب

وهو شعر فيه روح الشباب يستجيب لثورة الشباب ، ولم يكتف بالشعر ، بل آخى الشعر بمقدمة من النثر ، ولا بأس من قطف بعضها . كتب :

« هى ثورة ترى فيها روح الثائرين الذين يأبون العار ، ويأنفون الضيم ، ويستنكفون الصَّغار ، ويطلبون الخير لبلادهم ، ويستعذبون العذاب فى سبيل أمتهم» وقد ساهم [2] الشاعر فى الجهاد الوطنى[3] للدفاع عن الحرية المستذلة والكرامة المهدورة ، والدستور الموءود .. وفى الدفاع عن الأزهر ... فهو حينما ينظم ينظم من حبات قلبه ومهجته ، تقرأ له « الجيش » فيخيل إليك أنه النفير العام للتجنيد يود لو يقود الكتائب ويتقدم الفيالق .

ومع ذلك لا يحابى تلميذه الشاعر فيقول : « بيد أنى لا أنكر الحق ولا أمارى فى الواقع ؛ فقد رأيت فى ديوانه بعض الضعف كما هو الشأن فى كل ثورة ؛ ذلك لأنه قَبَسٌ من نار قلبه الثائر

(١) نشر المقال فى ١٧ سبتمبر ١٩٤٠ .
(٢) ساهم . الكلمة صحيحة والمتشددون يقولون « اسهم » .
(٣) سنة ١٩٣٦ .

المتوهج ، فلم ينمق ولم يرقش ولو نمّق ونظر لأجاد وأوفى » .

وهذه صورة لأسلوبه المسترسل الذى يبعد عن المحسنات ، ومع أننا لا نوافقه على طلب التنميق من تلميذه ، فإنه رأى له وجاهته ، ويغلب على ظنى أن النموذج الذى عهده من شاعره شوقى له تأثيره فى الحكم على شعر أبنائه ، وقد كتب شعراً كان مقدمة لديوان تلميذه الثانى « عبدالستار فراج » ـ رحمه الله ـ بشعر جميل لا أحفظه .

مولده ونشأته :

وأظنك بعد هذا تتطلع إلى معرفة ذلك العالم الجليل ، والمعرفة من أسباب الرضا ، والمتاع والفائدة ، وأنا يسرنى أن أتحدث عنه ، وأعطيك صورة عن نشأته ومواهبه : ولد عبدالمنعم فارس ، واسمه بالكامل :

أبو جمال الدين عبدالمنعم بن حسن بن محمد بن حسن فارس ، وجمال الدين الذى كنى به مات طفلاً ولم يعش له إلا ولدان صاحبنا المهندس عبدالحميد والآخر أحمد وهو محام فى بلدته .

ولد عبدالمنعم فارس فى بنى عدى من أعمال أسيوط فى ٢٥ سبتمبر ١٩٠٣ م ـ الموافق ١٣٢١ هـ ، ونحن نعلم عن بنى عدى كثيراً من الأخبار ولها شهرة فى العلم وإنجاب النجباء ، فلما عقل عبدالمنعم أرسل إلى مكتب الشيخ الدردير ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ القرآن ، و« الدردير » ـ كما يقول الشيخ أحمد بن أحمد الدردير ، صاحب كتاب الشرح الصغير لقب على تلك الأسرة ، كما يفهم من كلامه ، قال الشيخ أحمد الدردير ، وكان الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ رجلاً صالحاً عالماً متقناً للقرآن ، فقد بصره فى آخر عمره ، فاشتغل بتعليم الأطفال كتاب الله تعالى ، فحفظ القرآن على يديه خلق كثير ، وكان يعلم الفقراء حسبة لله تعالى ، ولا يأخذ منهم صرافة (أى أجراً) ، ولا غيرها ، بل ربما واساهم من عنده . مات ـ رحمه الله ـ شهيداً بالطاعون سنة ١١٣٨هـ ، وكان عمر الابن (صاحب شرح الصغير) نحو عشر سنين ، (راجع مقدمة الشرح الصغير) ، فى ذلك المكتب المقام باسمه فى بنى عدى حفظ الطفل عبدالمنعم فارس القرآن وجوّده إلى قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ . . . ﴾ « من الآية ٩٧ ـ المائدة » ، على يد والده الشيخ حسن (كعبة القراء فى زمانه) ، بالروايات السبع ـ وإن أنسى لا أنسى أن نسبه من جهة أبيه ـ أعنى عبدالمنعم ـ يتصل بسلالة الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ أما نسبه من جهة أمه فهو يتصل بآل المصرى ونسبهم يرجع إلى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وهكذا عرفت أن فى بنى عدى من ليس عدوياً ، وإن كانت بنى عدى تشمل الجميع .

اتصاله بالأزهــــر :

وأبناء بنى عدى من قديم يتجه تعليمهم إلى الأزهر الشريف ، وصاحب الشرح الصغير الذى تحدثنا عنه وعن أبيه من علماء الأزهر وزعماء الشعب على عهد المماليك والوالى التركى من بنى عدى توفى قريباً من الحملة الفرنسية سنة ١٢٠٥ هـ ، وفى « معهد أسيوط » على عهدى بطلب العلم كان من بنى عدى أربعة من العلماء المدرسين ، فلا عجب إذا اتجه عبدالمنعم فارس إلى طلب العلم فى الأزهر ، وكان له ما أراد .

فانتظم فيه سنة ١٩١٤ طالباً مستجداً ، ونال الشهادة الابتدائية سنة ١٩٢٠ عقب ثورة ١٩١٩ ، وكان يود أن يتم تعليمه فيه بالقاهرة ، ولكن المعاهد الدينية التابعة للأزهر أنشئت فحول مع أمثاله إلى « معهد أسيوط » ، فلم يقبل

من اعلام الأزهر وشعرائه

فضيلة الشيخ عبد المنعم فارس

التحويل وانقطع عن الدراسة ، واشتغل كاتباً بعمل تجارى أحد عشر شهراً ، ولكن حنينه إلى الدراسة لم ينقطع ، فرجع إلى الأزهر بعزيمة صادقة تصحبها همة عالية ، فتقدم لنيل الشهادة الثانوية الأزهرية من الخارج ـ وكانت لوائح الأزهر تبيح ذلك ـ فنالها ، وانتسب فى السنة الثالثة من التعليم العالى بعد أن أدى الامتحان فى العلوم المقررة على السنتين الأولى والثانية ، ثم نال الشهادة العالية ، ولم يتم الثالثة والعشرين من سنى حياته ، لقد أصبح من العلماء وأن له أن يقوم بالتدريس بالأزهر ، ولكن قوانين الأزهر لا تمكنه من وطره إلا إذا بلغ الخامسة والعشرين من السن ، فماذا يفعل ؟ لقد اضطر إلى العمل فى المدارس الحرة والأميرية ، اشتغل مدرساً بمدرسة الأقباط الكبرى بطهطا ، ثم بمدرسة السلامون الإلزامية .

وفى أكتوبر سنة ١٩٢٨ على عهد الشيخ المراغى عين مدرساً بمعهد أسيوط الدينى ، وماأن دخل المعهد حتى عرف فضله وأسرع الطلاب للالتفاف حوله ، وكانت له شعبية كبيرة ، ـ كما نقول اليوم ـ كل يتمنى أن يكون تلميذه ، ولقد حظيت أنا به فكنت من تلاميذه المقربين ، وحسبك أن تعلم أنه استجاب لى حين طلبت إليه رثاء شوقى ـ كما قلت آنفا .

ولما توفى سنة ١٩٤٠ فى التاسع من يونية هالنى فقده ولم أوفق إلى تشييع جنازته لوجودى بالقاهرة لأداء الامتحان ، فبادرت إلى الكتابة عنه بجريدة « منبر الشرق » ـ كما قلت سابقاً ـ منوها بفضله وعلمه وأدبه ، وأعتقد أن أحداً لم يسبقنى إلى الكتابة عنه [٤] ، وقد بلغنى أن الشاعر محمد على مخلوف كتب نبذة عنه وأرسلها إلى الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى ، وهو الجد الأكبر ، فيها حديث عن نسب الشيخ عبدالمنعم فارس وشىء من حياته وفيها تحديد لمولده وأخباره ووفاته ، ولكنها لا تحقق ما نريد ، فنحن نريد مواقفه ومقاماته .

لقد كان سلفنا من مؤرخى الأدب العربى أحسن منا حالاً ، فأنت تجد كتابات ـ مهما قلت ـ عن شعراء لم تمهلهم منيتهم لجمع شعرهم وكتاباتهم تصور حياتهم ويُجمع تراثهم ، فأنت تقرأ لطرفة وتقرأ للعرجى وتقرأ لأبى تمام ، وفى العصر الحديث تجد ديواناً كاملاً لأبى القاسم الشابى (١٩٠٩ ـ ١٩٣٤) ولا تجد ديوانا للشاعر عبد المنعم فارس (١٩٠٣ ـ ١٩٤٠) ، لقد رحل عنا ولم يستطع تلاميذه أن يجمعوا تراثه الأدبى من شعر ونثر .

فليت يتكون من تلاميذه مَنْ يعكف على جمع تراثه ويعده للطبع .

نقول مع القائل :

لعمـرك ما وارى التـراب فعالـه
ولكنمـا وارى ثيابـاً وأعظمـا

رحمه الله فلقد كان فارس ميدان ، ورب فصاحة وبيان .

من شعره فى ذكرى الهجرة :

مناجاة الهلال

أدرْ ذكـر الأحبة لى مُـدامـاً
وخَلِّ صحائف التـاريخ جـاما
وذق من طيب سيرتهم رحيقاً
طهـوراً يكسب الطهر الغمـاما
هـلال العـام حـدثنـا وحـدث
حـديثـاً بَـذَّ أرواح الخـزامى

(٤) اقصد الكتابة فى الصحف .

العلوم الكونية

علم التربة وطبيعة الأراضي

المادة ونقيضها

الجدل في العلم

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

علم التربة وطبيعة الأراضى

أ. د. أحمد فؤاد باشا

هناك من يؤرخ لنشأة « علم التربة » أو « البيدولوجيا » Pedology بكتاب تشيرنوزيوم » أو « الأرض السوداء » الذى نشره العالم الروسى « دوكوتشايف » Dokoutchaev عام ١٨٨٣ م ، واوضح فيه مفهوم التربة واهمية العوامل المناخية فى تكوينها . لكن القراءة المتانية فى تراث الحضارة الإسلامية تؤكد بما لايدع مجالاً للشك سبق علماء المسلمين من امثال الغزى والنابلسى وابى الخير وابن بصال وابن العوام وغيرهم إلى وضع اصول « علم التربة » على اساس علمى تجريبى وفق ما كانوا يملكون من معطيات وادوات . وسوف نعرض فيما يلى لتجلية هذه الحقيقة الهامة ، وخاصة أن الكثير من المصطلحات والمفاهيم التى وضعها علماء الحضارة الإسلامية فيما يتعلق بالتربة واستخدامها لايزال يستخدم حتى اليوم فى علم الأراضى الحديث .

نظرية تكوين التربة :

التربة هى ذلك الجزء من سطح الأرض الذى تنمو فيه النباتات ، ويتكون من خليط من :
(أ) الصخور . (ب) المعادن .
(حـ) المواد العضوية . (د) الماء .
(هـ) الهواء . بنسب قد تتفاوت من مكان إلى مكان ، إلا أن حوالى نصف الحجم الكلى لتربة سطحية جيدة يتكون عادة من خليط من الصخور « مواد معدنية » المتفتتة والمتحللة ، ومن بقايا الحيوانات والنباتات « مواد عضوية » ، بينما يكون النصف الباقى فراغا يتخلله الماء والهواء .

وقد كان يُعتقد فى الماضى أن الطبقات المكونة من قطع الصخور والمعادن المهشمة بفعل قوى طبيعية مختلفة هى العامل الأساسى الذى يسبب

الفوارق بين أنواع التربة ، غير أن دراسات العلماء الحديثة قد اثبتت أن التربة تتكون نتيجة تداخلات معقدة لعدة عوامل تشمل مادة الصخور الأصلية والزمن والمناخ والعوامل الحيوية (النبات والحيوان) والسمات السطحية أو « الطوبوغرافيا » Topography ويرى علماء التربة أن المناخ يعد أهم العوامل المتحكمة فى تكون التربة وفى نوع الحياة النباتية والحيوانية السائدة فيها . كما أن الفائدة الرئيسية للنباتات والحيوانات تتمثل فى توفير المواد العضوية اللازمة لخصوبة التربة . وتعمل ديدان الأرض والحيوانات الحفارة على مزج المعادن والأجزاء العضوية من التربة ، وتساعد الحُفَر والمسارب التى تتركها هذه الحيوانات على مرور الماء والهواء خلال التربة[1] .

وإذا عقدنا مقارنة سريعة بين هذه النظرية الحديثة فى تكوين التربة وبين ما يناظرها فى تراث الحضارة الإسلامية نجد أن « رضى الدين ابن محمد الغزى » قد ذكر فى مؤلفه « جامع فرائد الملاحة فى جوامع فوائد الفلاحة » نقلاً عن الرازى ، ما نصه :

« .. الحجر يستحيل إلى الطين على طول الدهر بفعل الشمس والمطر وبالتجفيف وتبريد الأجزاء ثم بالتحليل لما لطف حتى يتاكل ويعفن على طول الزمان حتى يصير طينا » . ويلاحظ ان هذه العبارة الموجزة قد اشارت صراحة إلى معظم عوامل تكوين التربة «الطين» من الصخرة الأصلية «الحجر»، وركزت على اهمية الزمن والمناخ « الشمس والمطر والماء » والعوامل الحيوية والكيميائية « العفن والتحلل »[2] .

فضلاً عن ذلك ، تحدث الغزى فى مؤلفه الهام عن لتركيب الطبقى لقطاع التربة Soil profile ووصف بوضوح تام الفروق المميزة بين ما يعرف اليوم باسم « التربة السطحية » Surface Soil و« التربة التحتية » Subsoil حيث تعتبر الطبقة السطحية من التربة غنية بالمخزون العضوى والمعدنى ويكون النشاط الحيوى فيها عالياً ، بينما تعتبر الطبقة التحتية ذات خصوبة أقل ، وعادة مايكون النشاط الحيوى فيها محدوداً . لذلك اكد الغزى عند إنشاء بساتين الفاكهة على أن يؤخذ التراب السطحى للحفرة ويوضع جانباً ثم يؤخذ التراب السفلى ويوضع فى الجانب الآخر . والغرض من هذه العملية دفن الجذور بالتراب السطحى أولاً لاحتوائه على نسبة اكبر من المواد الغذائية ، ثم تكملة ردم الحفرة بالتراب السفلى . يقول الغزى : « تقلب الأرض إذا أريد إنشاء الغراس فيها ، وهو أن يؤخذ من ترابها ماكان على وجه الأرض ، وقد أثر فيه كل من الشمس

---

(١) لمعرفة المزيد من التفاصيل التى توصل إليها العلم الحديث بخصوص التربة وانواعها والعوامل المتحكمة فى تكوينها يمكن الرجوع إلى كتاب : « الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية » ، تأليف إدوارد تاربوك وفردريك لوتجنز ، الترجمة العربية منشورات مجمع الفاتح للجامعات ، ليبيا ١٩٨٩ .

(٢) د . محمد عبد الله الصديق ، بعض المفاهيم والمصطلحات العربية عند الغزى فى دراسة علم الترب . ندوة التراث العلمى العربى للعلوم الأساسية ، طرابلس ـ ليبيا ـ ديسمبر ١٩٩٠ .

وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ عبد الغنى النابلسى النقشبندى القادرى (١٠٥٠ ـ ١١٤٣ هـ) قام باختصار الكتاب المذكور للغزى (ت ٩٣٥ هـ) واسماه « علم الملاحة فى علم الفلاحة » .

علـم التربـة وطبيعة الأراضى

والهواء برهة من الزمان فيجعل أسفل الأرض المحفورة ، ليظهر أثره الجميل بما اكتسبه من الشمس والهواء ، ويكون مجاوراً ومخالطا لأصول الأشجار المغروسة وعروقها فيربى حملها وينميها بحرارته ورطوبته فينجب بسرعة ، ويشير عالم التربة الإسلامى إلى ضرورة إزالة الطبقة السطحية من التربة فى أعمال التسوية عند استصلاح الأراضى لكى تظهر التربة التحتية التى تكون ضعيفة الإنتاج ، فيقول : « مايخرج من أعماق الأرض كالآبار والمطامير لا ينبت أول عام حتى تطبخه الشمس وتلطف أجزاءه ، ويكسب من حرارتها ، لأن الأرض فى طبيعتها باردة يابسة ، ولولا تسخينها بالشمس وترطيبها بالمطر لما نشب فيها نبت البتة »(٣)

كذلك عرف علماء المسلمين مفهوم « التربة المنقولة » Transported Soil على نحو مايعرف اليوم عندما يحدث انجراف للطبقة السطحية من التربة بفعل الأمطار الشديدة فى الأراضي غير المغطاة بالغابات أو المراعى ، فتزيد الطبقة المنجرفة من خصوبة الأماكن التى تترسب عليها وتضر بالتربة التى انجرفت منها . ويعبر الغزى عن ذلك بقوله : « إن أرض الجبل أبرد من السهل وأيبس ، وصفحات الجبال ليست بجيدة لأن الأمطار تجرد ما أحرته الشمس فتهزل .. والأرض الغائرة التى تسترها الجروف ونحوها باردة جداً رطبة كثيراً »(٤) .

وأمام هذا التقسيم الطبقى لقطاع التربة من واقع الخبرة والممارسة لم يجزم علماء المسلمين بأفضلية الطبقة السطحية على الطبقة التحتية فى جميع الأحوال وتركوا الحكم فى نهاية الأمر للتجربة العملية بحسب ظروف كل منطقة من الأرض . وفى مقدمة هؤلاء العلماء يأتى « محمد ابن إبراهيم بن بصال الطليطلى » الذى جعل من الفلاحة علما متميزاً بعيداً عن التنجيم والسحر ، حيث يقول فى « كتاب الفلاحة » :

« ليس كل أرض يطلق عليها جيدة ولا ردية حتى يعلم ظاهرها وباطنها ، لأنه ربما كان وجه الأرض جيداً وأسفلها بخلاف ذلك ، أو يكون وجهها رديا وأسفلها بخلاف ذلك ، وهذا كله يعرف بالاختبار والامتحان ودوام الحركة بالعمل فيها »(٥) .

ولعل فى تلك النصوص التراثية التى ذكرناها ما يشير أيضاً إلى دور السمات السطحية للمكان « الطوبرغرافيا » فى عملية تكوين التربة وما يتضمنه ذلك من تأثير عوامل انحدار الأرض واستوائها واتساعها وارتفاعها أو انخفاضها عن سطح البحر .

فيزياء التربة فى التراث الإسلامي :

اهتم علماء الحضارة الإسلامية منذ فجر نهضتهم العلمية بالمحافظة على الأرض وتحقيق

(٣) المرجع السابق .

(٤) د . محمد وليد كامل ، دراسات حول واقع التربة فى المنطقة الجافة عند الفلاحين العرب » ، ندوة التراث العلمى العربى للعلوم الأساسية ، طرابلس ـ ليبيا ، ديسمبر ١٩٩٠ .

(٥) المرجع السابق . ونوضح من جانبنا أن الكتاب المذكور لابن بصال غير « كتاب الفلاحة » المنسوب لمعاصره « أبى الخير الأندلسى » فى القرن الخامس الهجرى « الحادى عشر الميلادى » ، وأيضاً غير « كتاب الفلاحة » الذى سيأتى ذكره بإذن الله منسوبا لابن العوام فى أواخر القرن السادس الهجرى « الثانى عشر الميلادى » .

الإعمار فيها بعد إصلاحها وتحسينها وإجراء الدراسات المناسبة للتعرف على مختلف خصائصها والعوامل الطبيعية المؤثرة عليها . وقد أسفر هذا الاهتمام عن حصيلة ممتازة من المعارف المتعلقة بفيزياء التربة واستخدامها في تصنيف أنواع الأراضي . مثال ذلك ماتوصل إليه هؤلاء العلماء من ربط حالة التربة وخصوبتها بمجموعة من العوامل الفيزيائية تشمل الحرارة والرطوبة والكثافة الظاهرية ، وهو ما نستدل عليه من هذا النص الواضح للغزى :

« اعلم أن الارض الطيبة هى الحارة الرطبة ، وسواد الأرض دليل على الحرارة .. والأرض الشديدة السواد تحمل الامطار اكثر من غيرها ، ثم الارض البنفسجية اللون وتسمى الهندية وهى طيبة جداً ، وإذا كانت منتفشة فإنه يجود بها الشجر كثيراً ، وبعدها الأرض الحمراء ، ثم الأرض الصفراء ، والأرض البيضاء ابردها » .

كما بين الغزى دور قوام التربة فى امتصاصها للحرارة حيث قال :

« الارض الرملية تزيد حرا فى الصيف وبرداً فى الشتاء ، وكذلك الحجرية ، وذلك يؤذى الغراس .. ويدل على جودة الأرض قلة تشققها عند يبسها وعدم احتباس الامطار ، ولا تصير وحلة بل تشرب جميع ماء المطر ، ولا تصير وقت البرد كالخزف ، وخلاف ذلك يدل على الرداءة » .

ويؤكد الغزى على حاجة الأرض إلى خواص فيزيائية جيدة بقوله :

« والحاجة إلى رطوبة الأرض ودسمها وانتفاشها اكثر من الحاجة إلى حرها »[٦] .

وأهم ما يميز المبتكرات التى توصل إليها علماء المسلمين فى علوم التربة والفلاحة أنها تستمد قيمتها من سلامة المنهج العلمى الذى اتبعوه فى تحقيقها ، وهو منهج يعتمد على الملاحظة والتجربة والاستقراء . فهذا هو « ابن العوام الأشبيلى » صاحب « كتاب الفلاحة » يؤكد أنه لم يثبت فى كتابه إلا ما جرَّبه مراراً فصح ، ويقول : إن أنت مارست الطين بيديك فأصبته شبيها بالشمع يلصق شديداً فاعلم أنها ارض غير موافقة للبقول ، وأجود الأرض البنفسجية ثم شديدة الغبرة لأن فيها تخلخلاً « أى مسامية » ، وطعم ترابها عذب « أى خالية من الأملاح » .

ونراه يهتم بدور الدراسة المقارنة فيذكر لمعرفة نوع الأرض أنه قام بحفر ثلاث حفر بعمق نصف ذراع وجمع التراب فى آنية من الخزف بعناية شديدة ثم أخذ من أرض متخلخلة غير ملتزمة ووضع فى الحفاير فإن بقى شىء كانت ملتزة[٧] .

وهذا هو « رضى الدين الغزى » يعبر عن الطريقة التى تستخدم لمعرفة الكثافة الظاهرية للتربة باعتبارها مقياساً للانتفاش أو المسامية فيقول :

« تمتحن الأرض بالميزان بان يملأ إناء من تراب غير ندى ويوزن ثم يملأ ايضاً من تراب أخر ويوزن » .

وبهذا نجده قد ربط بين حجم التربة ومساميتها ، فكلما قلت الكثافة الظاهرية ، وهى كتلة وحدة الحجوم للأرض الجافة ، كلما كانت التربة مفككة وتحتوى على فراغات كثيرة تساعد على التهوية الجيدة وتوفر الوسط الأمثل لإنبات

---

(٦) د . محمد عبد الله الصديق ، مرجع سابق .
(٧) د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤ ص ١٤٤ .

علم التربة وطبيعة الأراضى

البذور وتغلغل الجذور . كما أوضح الغزى كيفية التعرف على الأرض من حيث جودتها من خلال الوقوف على مدى تلاحم وارتباط جزيئات التربة ومدى تخلخلها وانتفاشها ، وفى هذا يقول :

« من أراد أن يعرف الأرض الذكية والوسط والرديئة حفر منها قدر ما بدا له ثم يعيد فى تلك الحفرة طينها الذى خرج منها ، فإذا زاد طينها عند حشو تلك الحفرة فتلك الارض جيدة طيبة ، وإن كان ما يعلد من طينها إلى حفرتها كفافاً يستوى فى الأرض فهى ارض وسط ، وإن نقص عن حشوها فهى ارض رديئة » .

وليس أدل على إدراك علماء المسلمين لعناصر المنهج التجريبى وأدواته مما ذكره الغزى عن استخدام الحواس فى دراسة التربة ، حيث يقول :

« والارض تمتحن باللمس والشم والذوق والنظر ، فاللمس يكون بمرس الطين فى اليد ، فإذا مرس باليد اصبح ملتصقا بها بشدة اشبهها بالشمع ، فهى رديئة غير موافقة للبقول . والشم بان يؤخذ التراب والطين من اسفل حفرة وتوضع فى إناء من زجاج ويصب عليها ماء عذب طيب ويحرك فيه ثم يشم فالمنتن الرائحة والكريه والخبيث لا خير فيه وهو ردىء .. وتمتحن الأرض بالذوق بان يؤخذ تراب الأرض من قعر حفرة فى إناء زجاج ويطرح عليه الماء العذب فالمالحة رديئة لا تصلح لشىء من الزرع والشجر اصلاً إلا النخيل فإنه يجود فيها نباتاً وثمراً » .

ومن المعروف علمياً بأن النخيل يتحمل الملوحة . ولا يفوت عالم التربة التجريبي أن يؤكد على حقيقة هامة مؤداها أن : **« الارض قد تتغير إلى الملوحة بكثرة إهراق الشمس لها فتهلك النبات » .**

وفى هذا إشارة إلى الدور الهام الذى تؤديه اشعة الشمس فى تحويل الاراضي الصالحة للزراعة إلى اراض مالحة ، ذلك عندما يتواجد مستوى من الماء الأرضى المحمل بالأملاح على عمق قليل من سطح التربة . ونتيجة لارتفاع درجة حررة سطح التربة وجفافه ، فإن الماء الأرضي المحمل بالاملاح ينتقل إلى سطح التربة بواسطة الخاصة الشعرية والتبخر ، مما يؤدى إلى تملح التربة[٨] .

أهمية الدراسات التراثية عن التربة :

لقد أردنا بهذا العرض الموجز لمآثر علماء المسلمين فى مجال علم التربة وطبيعة الأراضي أن نجذب الانتباه إلى الأسلوب العلمى الذى اتبعه أسلافنا فى دراسة أرضنا الطيبة ، وأن نستفيد من الدراسات التراثية فى تحديد العوامل الأكثر اثرا فى زحف الملوحة والجفاف على مناطق عديدة من الأرض الإسلامية فى الفترة المعاصرة . ويكفى أن نعلم أن هذه الأرض التى تعجز الآن عن تلبية احتياجات أهلها قد جذبت فى عصور ازدهار الحضارة الإسلامية كل الأوروبيين بسحرها وجمالها وخيراتها ، وذلك بفضل المجهود الكبير الذى بذل فى دراسة الأراضى واستصلاحها وتعميرها ، فلم يترك أسلافنا شبرا إلا واستثمروه طلبا للرزق فى حنايا الأرض .

---

(٨) د . محمد عبد الله الصديق ، مرجع سابق .

المادة ونقيضها

في الكون

أضحى من المعروف الآن أن النظريات الفيزيائية - وبسبب تماثل قوانينها - تسلم بوجود أزواج الجسيمات فى الكون ، بمعنى أن كل جسيم له ضده ، والجسيمات المضادة هى تلك التى تكافىء الجسيمات الأصلية فى كتلتها ولكنها تضادها فى جميع الصفات الأخرى ، فعلى سبيل المثال هى تحمل شحنة عكسية ، وتتصرف بطريقة عكسية لتصرف الجسيمات الأصلية إذا وضعت فى مجالات كهربية أو مغناطيسية .. إلخ .. ومن أمثلة تلك الأزواج .

(١) الالكترون أو مايسمى بالنيجاترون (Negatron) نحتا من كلمتى (Negative electron) أى إلكترون سالب وضده المقابل هو البوزيترون (Positron) اختصاراً لكلمتى (Positive electron) أى إلكترون موجب .

بقلم : إسراء على أحمد

(٢) البروتون الذى يحمل شحنة موجبة وضده الذى يحمل شحنة سالبة .. إلخ .

والحقيقة أن النظريات الفيزيائية قد سبقت التجارب العملية فى هذا المضمار ، فقد اقترح ديراك عام ١٩٢٩ وجود ضد الإلكترون وذلك عندما حاول دمج نظريتى النسبية وميكانيكا الكم[١] رياضيا ، واقترح فى بداية الأمر أن هذا الضدد هو البروتون (وكان ذلك فى الواقع بسبب أن البروتون هو الجسيم الوحيد ذو الشحنة الموجبة الذى كان معروفاً فى ذلك الوقت) إلا أنه تراجع عن رأيه عام ١٩٣١ حين أعلن أن ضد الالكترون لابد أن يكون له نظرياً نفس كتلة الإلكترون[٢] وأن مثل هذا الجسيم - ضد

(١) النظرية النسبية تعتبر أن الزمان نسبى وليس مطلقاً وأن الفضاء ليس منعزلاً عما يحدث فيه وتضع المبادىء الرياضية التى تتعامل مع الجسيمات العالية السرعة . أما ميكانيكا الكم فهى تضع الأسس الرياضية للجسيمات المتناهية الصغر .

(٢) كتلة البروتون = ١٩٣٨ مرة قدر كتلة الإلكترون .

المادة ونقيضها فى الكون

الإلكترون - لم يشاهد بعد وأطلق عليه اسم « بوزيترون » (أى الكترون موجب) ، ثم أعقب ذلك أن أعلن ديراك أن البروتون أيضاً لابد أن يكون له ضد ، ثم توالت بعد ذلك الإثباتات العملية على صدق هذه التنبؤات النظرية .

فلقد ادى تطور الأجهزة العلمية ومعجلات الجسيمات إلى أن اثبتت التجارب العملية أن الجسيمات - حقيقة - قد خلقت ازواجاً ، فلقد شوهد البوزيزون عام ١٩٣٢ وأعقبه اكتشاف ضد البروتون عام ١٩٥٥ ثم توالت المشاهدات لأضداد الجسيمات المعروفة لدينا فى الكون ، كذلك اثبتت تلك المشاهدات العملية بالبراهين القوية أن المادة تخلق فى شكل زوج من جسيم وضده ، وحين تفنى فإنها تفنى نتيجة تصادم زوج من جسيم وضده ، و .. سبحان الله القائل فى كتابه الكريم :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو « هل التماثل فى قوانين الفيزياء على المقياس الصغير - مستوى الجسيمات - والذى ادى إلى اقتراح وجود ضد جسيم كما يوجد الجسيم ينعكس أيضاً على المقياس الكبير - كالشمس والنجوم والمجرة والكون ؟ هل للشمس ضد ؟ هل للنجوم ضد ؟ هل للمجرة ضد ؟ هل الكون متماثل من ناحية المادة واللامادة وهل يوجد ما يعرف بضد هذا الكون ؟

والواقع أن الخوض فى هذه المشكلة يتطلب منا التفريق بين سؤالين :

الأول هو : « أيجب أن يكون الكـون متماثلاً » ؟ هل النظريات الفيزيائية والرياضية تفرض هذا ؟

والسؤال الثانى : « هل الكون بالفعـل متماثل » ؟ هل يوجد دليل عملى على هذا ؟

والإجابة المقترحة ولكنها ليست بالضرورة صحيحة - على السؤال الأول هى ليس ضرورياً إذ أن هناك فى الواقع العديد من الأمثلة فى الأنظمة الفيزيائية التى تعارض تماثل قوانين الفيزياء التى تحكمها على المقياس الكبير رغم خضوعها لهذا التماثل على المقياس الصغير ، بل الأكثر من ذلك أن روعة الأنظمة الفيزيائية على المقياس الكبير قد لا تظهر أحياناً فى الصورة الرياضية الصحيحة إلا عند استبعاد قاعدة التماثل .

أما محاولة الاجابة على السؤال الثانى : فهى فى الواقع تعنى الاجابة على السؤال التالى : « هل حقيقة هناك دلائل عملية على وجود ضد المادة فى الكون اللهم إلا تلك الجسيمات التى تتكون داخل المعجلات أو تلك التى تنتج من تصادمات الأشعة الكونية ؟

الحقيقة أن محاولات العلماء للحصول على

دليل قاطع على وجود تكتلات من اللامادة فى أى شكل كان قد باءت بالفشل حتى وقتنا هذا ، وعلى الرغم من رصد جسيمات مضادة فى الأشعة الكونية لم يستطع أحد أن يثبت أن تلك الجسيمات قد انطلقت من منطقة تكتلت فيها اللامادة كأن تكون انطلقت من ضد مجرة مثلاً !

ومن الجدير بالذكر أن نقول إن الفشل فى البحث عن تجمعات من اللامادة فى الكون يمكن تفسيره على أن نسبة تلك التجمعات صغيرة إذا ما قيست بنسبة تجمعات المادة ، ولا يعلم حتى الآن إلا خالق الكون مافيه وربما يأذن لنا الله يوما أن نعرف ، وصدق الله العظيم .

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ .

الجديد فى العلم والتقنية

إعـداد
د. نجوى السـيد أحمد
باحثة بالمركز القومى للبحوث

١. مبيدات حشرية من البكتريا :

نجح فريق من العلماء المصريين بالمركز القومى للبحوث فى إنتاج بعض السلالات من « البكتريا » التى تقضى على الحشرات الضارة ، ولا تترك آثاراً جانبية كالتى يسببها الإسراف المتزايد فى استخدام المبيدات الكيماوية . تمكن الفريق من إنتاج « بكتريا » على مستوى نصف صناعى بالاشتراك مع شركة صناعية باستخدام الوسائل الاقتصادية لتكاثر البكتريا ، وقد استخدمت البكتريا بنجاح فى المقاومة المتخصصة للحشرات حرشفية الأجنحة .

٢. خطورة الأسبرين :

حذرت الإدارة الأمريكية للتغذية والدواء النساء الحوامل فى الشهور الثلاثة الأولى من استعمال الأسبرين ، وأوضحت الإدارة أن دواء الأسبرين يضر بالدورة الجنينية ، ومن الممكن أن يؤدى إلى الإجهاض . وطالبت الإدارة شركات صناعة الأدوية بكتابة تحذير للحوامل على منتجاتها من الأسبرين .

٣. اختراع تليفون للصم والبكم :

توصل المتخصصون فى مؤسسة « بورتيرون » فى مدينة ليننجراد السوفيتية إلى اختراع جهاز

تليفون للصم والبكم . وقد أجرى اختبار الجهاز بنجاح كبير فى مركز الخدمات العلمية والفنية لدى المؤسسة . ومن المتوقع انتشار استخدامه الفعلى قريباً . وتستخدم فى الجهاز الجديد مفاتيح للطبع بدلاً من الميكروفون فى التليفون العادى ، ويجرى استقبال المكالمة على هيئة سطور متحركة مكتوبة على الطرف الآخر بدلاً من السماعة العادية .

٤. تلسكوب عملاق على الجانب المظلم من القمر :

يفكر العلماء حالياً فى بناء تلسكوب عملاق على الجانب المظلم من القمر للاقتراب من جوف الكون . جاءت هذه الخطوة كمحاولة لتعزيز المهمة المنوطة بتلسكوب « هابل » الطائر فى الفضاء منذ أبريل ١٩٩٠ م بعد أن تخطى العوامل الجوية فوق الأرض والتى كانت تواجه المراصد الأرضية وتحد من رؤيتها الواضحة لآفاق الكون الفسيح .

جدير بالذكر أن الصور التى يرسلها « هابل » حالياً إلى الأرض غير واضحة المعالم تماما بسبب خلل فنى فى إحدى مرآتيه .

٥. أحدث دواء لمنع تجلط الدم :

توصلت إحدى الشركات السويسرية إلى إنتاج دواء جديد يمنع حدوث الجلطة ، ويحول دون بناء أنسجة تزيد من سمك جدار الأوعية الدموية والشرايين .

الدواء الجديد أطلق عليه اسم « سيلازيريل » يساعد على الاستغناء عن عملية « القسطرة » أو « البالون » التى يلجأ إليها الأطباء لتوسيع الشريان ومنع حدوث الجلطة .

٦. خطر تسرب الأوزون من أجهزة التصوير والطباعة :

أعلن الجهاز التنفيذى للصحة والوقاية فى بريطانيا ضرورة الانتباه إلى مخاطر تسرب غاز الأوزون من أجهزة تصوير المستندات وأجهزة الطباعة التى تعمل بالليزر كالملحقة بأجهزة « الكمبيوتر » المكتبية وخاصة إذا كانت فى حجرات صغيرة غير متجددة الهواء . ويتكون غاز الأوزون من أكسوجين الهواء عند تعرضه للشحنات الكهربائية العالية الضغط التى تنطفىء فى جهاز تصوير المستندات لتشحن دقائق الحبر المسحوقة قبل انتقالها إلى ورقة الطبع النهائية . وأوصى جهاز الصحة والوقاية بضرورة وجود نظام تهوية مزود بشفاطات تسحب الهواء من الغرفة ووضع هذه الأجهزة فى غرف كبيرة ، أو فى الممرات المتجددة الهواء .

٧. قماش « مكيف » فى الصيف والشتاء :

ابتكر العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية نوعاً من الأقمشة يقوم بتدفئة الجسم فى الجو البارد ويلطف من حرارته فى الجو الساخن .

القماش الجديد من حبيبات البلاستيك وبعض المواد الكيماوية يمتص الحرارة ويختزنها ثم يشعها فى الجو البارد ، ويحفظ الجسم من التنقل فى الأجواء المختلفة .

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

المستقبل بعد مقتل عثمان - رضى الله عنه -

قال خليفة بن خياط : حدثنا ابن علية ، حدثنا ابن عوف عن الحسن - رضى الله عنه - قال : أنبأنى رباب(*) قال : بعثنى عثمان - رضى الله عنه - فدعوت له الأشقر ؛ فقال : ما يريد الناس ؟

قال : ثلاث ليس من إحداهن بد .

قال : ما هن ؟

قال : يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم ، فتقول : هذا أمركم ، فاختاروا من شئتم ، وبين أن تقتص من نفسك . فإن أبيت ، فإن القوم قاتلوك !!

فقال : أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالا سربلنيه الله .

وأما أن اقتص لهم من نفسى ؛ فوالله لئن قتلتمونى لا تحابون بعدى ، ولا تصلون بعدى جميعا ، ولا تقاتلون بعدى جميعا عدوا أبدا .

أخـــى

ليكن حظ المؤمن منك ثلاث :

إن لم تنفعه فلا تضره .

وإن لم تسره فلا تغمه .

وإن لم تمدحه فلا تذمه .

من حكم الامام على بن أبى طالب رضى الله عنـه

- رب قريب أبعد من بعيد ، وبعيد أقرب من قريب ، والغريب من لم يكن له حبيب .
- ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى .
- ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله ، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله .

(*) لعلها أبان .. والله أعلم

● كفاك أدبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك .

● من شكا الحاجة إلى مؤمن فكأنه شكاها إلى الله ، ومن شكاها إلى كافر فكأنما شكا الله .

● زهدك فى راغب فيك نقصان حظ ورغبتك فى زاهد فيك ذل نفس .

نصيحة

سرورك عورة من عوراتك فلا تبذله إلا لمأمون عليه .

أصدق الناس فراسة

أصدق الناس فراسة ثلاثة :

العزيز فى قوله لامرأته عن سيدنا يوسف - عليه السلام - «أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا» .

وابنة الرجل الصالح التى قالت لأبيها عن سيدنا موسى - عليه السلام - ﴿ يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِىُّ الْأَمِينُ ﴾ .

وسيدنا أبو بكر - رضى الله عنه - فى الوصية بخلافة سيدنا عمر - رضى الله عنه - .

ألا موت يباع فأشتريه

الوزير المهلبى كان كاتب السلطان (معز الدين بن بويه) سنة ٣٣٩ للهجرة .

كان قبل الوزارة فقيرا ، سافر مرة ولقى فى سفره مشقة شديدة ، واشتهى اللحم فلم يقدر عليه ، لأنه لم يجد ثمنه .. وكان معه رفيق يقال له أبو عبدالله الصوفى فقال المهلبى مرتجلاً :

الا موت يباع فأشتريه
فهذا العيش ما لاخير فيه
الا موت لذيذ الطعم شاف
يخلصنى من العيش الكريه
إذا أبصرت قبرا من بعيد
وددت لو أننى فيما يليه
الا رحم المهيمن نفس حر
تصدق بالوفاة على أخيه

فلما سمع رفيقه الأبيات اشترى له بدرهم لحما وطبخه وأطعمه وتفارقا .

ودارت الأيام ، وتقلبت الأحوال بالمهلبى حتى ولى الوزارة ، وضاقت الأحوال برفيقه الصوفى فقصده وكتب إليه :

الا قل للوزير فدته نفسى
مقال مُذكّر ما قد نسيه
اتذكر إذ تقول لضيق عيش
الا موت يباع فأشتريه

فلما قرأ الأبيات تذكره وأمر له فى الحال بسبعمائة درهم ؛ ووقع له فى رقعته ، ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾ .

سؤال وجواب

سئل عبد الله بن المبارك : من الناس ؟

قال : العلماء .

قيل : فمن الملوك ؟

قال : الزهاد .

قيل : فمن السفلة ؟

قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين .

دعاء

اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا وكثرة عدونا ، وتشتت أهوائنا .

رسالة الأستاذ الأكبر
للإمام عبد المجيد سليم
إلى شعوب العالم الإسلامى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

ما احوج المسلمين فى عالم اليوم إلى كلمة رشيدة تبصرهم بمواطن الزلل فتقيل عثرتهم، وتاخذ بحجزهم عن مهاوى الخطر الماثل والمتمثل فيما هم عليه الآن.

لقد بات حتماً عليهم الاستجابة إلى داعى الإسلام. وليس لهم من مفر إلا الامتثال لأوامر الدين الحنيف والأخذ بها. فإنها وحدها القادرة على راب الصدع، وهداية الضال ورد الأبق ولم الشتيت.

إنها دعوة الإسلام الخالدة. فهل آن الأوان لأن نصيخ السمع، ونفتح القلب، ونزيل ماران على عقولنا وابصارنا من غشاوة، حجبت عنا الحقيقة الإلهية فترة من الزمن، كدنا نهلك فيها؟ ليتنا نعى فنرعوى.

قال الأستاذ ـ رحمه الله ـ:

هذه الرسالة خير ما يوجه إلى الشعوب الإسلامية فى العالم أجمع فى الحالة الحاضرة جمعاً لصفوفها، وصونا لوحدتها.

إننى، وقد توليت منصبى هذا، أعد نفسى قد حملت أمانة غالية دقيقة لاشك أنى مسئول عنها أمام ربى، وأسأله تعالى أن يهبنى من لدنه عوناً ييسر صعابها، ويذلل عقابها، إن ربى لطيف لما يشاء، إنه هو العليم الحكيم.

لقد عشت طول حياتى معنياً بأمر المسلمين، مفكراً فيما يصلحهم، وينقذهم مما تورطوا فيه من الضعف والتخاذل والانحراف عن الصراط

السوى فى العلم والعمل ، فوجدت أن لا سبيل إلى ذلك إلا بأمرين :

أولهما : أن يؤمنوا إيماناً عن بينة وبصيرة بأنه لا صلاح لهم إلا بهذا الدين الذى صلح به أولهم ، وأنهم على حسب ما ينحرفون عن تعاليمه ومبادئه يصابون فى بلادهم وأنفسهم وسائر أحوالهم بالضراء وألوان الشقاء .

وثانيهما : أن ينسوا أحقادهم وميراث عداوتهم الذى أورثتهم إياه عوامل الضعف ، وعهود الذلة والخوف وتسلط الأعداء ، فيعودوا كما تركهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمة واحدة عزيزة كريمة تشعر بعزتها وكرامتها ، ولا غرض لها إلا إعلاء كلمة الله ، ونشر دينه ، والدفاع عن الحق حيثما وجدت لذلك سبيلا .

***

إن المسلمين إذا آمنوا حق الإيمان بالأمر الأول ، استقر فى قلوبهم حب دينهم ، وحرصوا على أن يسلكوا سبيله فى حياتهم ، وأن يسيروا على خطته ومنهاجه السديد فى كل شئونهم ، فإن الإيمان بشىء ما هو أساس حبه وتوجه الرغبة إليه ، والحب الصادق يملك على صاحبه جوارحه وأعماله كما يملك قلبه وعواطفه ، وعلى هذا الأساس انتصر الإسلام فى أوله ، فقد شرى المؤمنون أنفسهم وأموالهم لله ، وكان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما من المال والولد والنعمة والمتاع ، ولولا ذلك ما استقام لهم أمر ولا تمكنوا ـ وهم القلة الضئيلة الهزيلة المستضعفة ـ من السيطرة على أكبر الأمم فى أقصر زمن عرفه التاريخ لأمة ناشئة ناهضة .

وقد سجل الله تعالى هذه الحقيقة فى قوله جل شأنه : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[1] .

فبين بهذا القول الصريح ، أن أساس الإيمان هو إيثار الله ورسوله على كل ما سواهما بالمحبة الخالصة الصادقة ، وأن إيثار شىء عليهما فسق وخروج على أمر الله ، لا يهدى الله أصحابه ، بل يجعلهم فى موضع المتربص المتوقع للبلاء حتى ينزل به ويأتى عليه .

والمسلمون ـ مع الأسف الشديد ـ فى هذا الموضع منذ زمن طويل ، فقلما نجد منهم من يؤثر الله ورسوله على شىء من متاعة الفانى ولو كان زهيداً ، ولذلك كانت حالهم هى تلك الحال التى تسر العدو ، وتسوء الصديق .

والسبيل إلى إصلاح هذه الحال ، أن يتعاون أهل العلم والرأى فى كل شعب على تعليم المسلمين دينهم تعليما نافعاً ، وأن يظهروهم على مافى الدين من محاسن ، ويقنعوهم بما يكفله لأهله من سعادة وقوة ، وينفوا عنهم ما أدخل عليهم من خرافات وأوهام ، كان الركون إليها سبب ضعفهم واستكانتهم .

ولا شك أن على الأزهر فى ذلك أكبر قسط ، فإنه الجامعة الدينية التى تهوى إليها أفئدة المسلمين من كل صوب ، والتى تضم طلابا من مختلف أجناسهم نفروا إليها ليتفقهوا فى الدين ،

(١) التوبة ٢٤ .

من روائع الماضى

للإمــام عبد المجيد سليم

ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . وقد أخذت على عاتقى وشرعت ـ والله المستعان ـ فى توجيه هذه الجامعة الكبرى إلى ذلك توجيها عمليا صالحا ، أرجو أن يكون مبارك الثمرات على الإسلام والمسلمين إن شاء الله .

وسوف لا أدخر وسعا فى إمداد المسلمين داخل الأزهر وخارجه بعلماء صالحين مصلحين يكونون رسل الثقافة الإسلامية الصحيحة حيثما حلوا ، وأساة الأرواح والقلوب أينما سلكوا ، حتى نربى أمة جديدة شبيهة بالأمة الأولى التى فتح الله بها مشارق الأرض ومغاربها .

وإذا كنت أعلن ما اعتزمته وبدأته فى ذلك ، وادعو إليه أبنائى الأزهريين أن يأخذوه بقوة فإنى أدعو كذلك سائر أهل العلم فى مختلف الشعوب والطوائف الإسلامية أن يقوموا بما عليهم فى ذلك ، وأن يبثوا الدعوة للدين والعلم به فى أقطارهم ويحثوا على الأخذ بها أبناء وطنهم ، حتى يكون الإصلاح عاما ، والتوجيه كاملا .

أما الأمر الثانى ، وهو أمر الاتحاد وائتلاف القلوب ، والغض عن كل ما يثير الأحقاد ، وينكأ الجروح ، فذلك أمر له فائدته الكبرى فى التعجيل بالقضاء على الضعف ، والتفرغ لما ينفع المسلمين ويصلح شأنهم .

إن مثل المسلمين ، إذا احتفظوا بخلافاتهم ، وانصتوا لداعى الفرقة والقطيعة ، كمثل شعب قامت فيه حرب أهلية طاحنة ، فهى تشغل أبناءه . وتستنفد قواهم ، وتضيع جهودهم ، وتلهيهم عن إصلاح أحوالهم ، وتقويم معوجهم ، وتعين عليهم أعداءهم ، وتكون سببا دائما فى إثقال كواهلهم بما لا يحتملون من الأعباء ، وفى إلباسهم لباس الذل والخوف والشقاء .

لقد ألحت هذه الحروب الأهلية الضروس على الأمة الإسلامية منذ قرون فقطعت ذات بينها ، وافسدت كثيراً من خطط الإصلاح على واضعيها والداعين إليها ، وما علمت حربا كهذه نيرانها حامية ، وأسبابها واهية .

فليتدبر المسلمون موقفهم ، ولا سيما فى هذا الوقت العصيب ، الذى فغرت فيه المطامع أفواهها لابتلاعهم ، والذى أصبحت القوة فيه والتكتل هى لغة التخاطب السائدة ، وأسلوب التفاهم المفيد . ولينسوا ما بينهم من الخلافات التى أوهنتهم ، وثبطت من عزائمهم . وليقفوا صفاً واحداً لإنقاذ انفسهم ودينهم ، بل لإنقاذ العالم من المطامع الفاسدة ، والمبادىء الخطرة . فإنهم أهل فكرة ، ووارثو رسالة ، وإن الله سائلهم عما أورثهم .

إنى لأعلم أن أحسن ما تطفأ به هذه الحرب الأهلية التى ظلت مستعرة بين المسلمين قروناً طويلة ، هو التفاهم . وأن يدرك كل شعب ما عند الآخر . ويومئذ يظهر للجميع أن أمة الإسلام متفاهمة على كل ما يكون به المسلم مسلماً ، وأن ما وراء ذلك لا يضر بالدين . ولا ينبغى أن يكون سبباً فى قطع حبل الأخوة والائتلاف .

وسأنظر ـ إن شاء الله تعالى ـ فى كل ما يعين المسلمين على إدراك هذه الحقيقة ، والعمل بمقتضاها .

وإن رسالة جماعة التقريب فى ذلك لتلتقى مع رسالة الأزهر ، الذى يرى حقا عليه أن يبصر الأمة الإسلامية بأمرها ، ويرشدها إلى ما يجب أن يقوم عليه شأنها من المودة والتراحم والألفة ، وتبادل العلم والمعرفة .

أسأل الله أن يهيىء للمسلمين من أمرهم رشداً ، وأن يوفق قادتهم وزعماءهم إلى النجاة بهم من العواصف والأنواء إنه سميع مجيب .

اللغة والأدب والنقد

ألفاظ الحضارة في أساليب اللغة العربية

قراءة جديدة في كتاب غير جديد

ألفاظ الصدارة

في أساليب العرب

الفصل الأخير

للدكتور
أحمد عبد العزيز عبد الله (*)

(ب) أدوات الشرط :

من أدوات الصدارة ، سواء كانت الأداة حرفا باتفاق نحو ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾[1] .

أم كانت حرفا على الأصح كقول الشاعر :

إذا ما أتيت على الرسول فقل له

حقا عليك إذا اطمأن المجلس[2]

أم كانت الأداة اسما كقوله تعالى ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾[3] .

في كل ما تقدم من الشواهد أسلوب شرط علق فيه حصول الجواب على حصول الشرط ، وهو من أكثر الأساليب استعمالا ، ولا يتحقق هذا الأسلوب إلا بأداة تعرف بأداة الشرط ، بها يتم تعليق الجواب على الشرط ، ومن ثَمَّ استحقت الصدارة ، وفي شرح قول الزمخشري (والشرط كالاستفهام في أن شيئا مما في حيزه لا يتقدم عليه) .

قال ابن يعيش : قد تقدم أن الشرط كالاستفهام له صدر الكلام ، ولذلك لا يعمل في اسم الشرط شيء مما قبله ، ولا يتقدم عليه ما كان في حيزه ، إلا أن يكون العامل خافضا له ، فإنه يجوز تقديمه على المجرور إذا كان في صلة ما بعده أو مبتدأ نحو قولك : « بمن تمرُرْ امرُرْ ، وبمن تنزل انزل » اهـ[4] .

وقال أبو حيان : فمذهب البصريين أن أداة الشرط بها صدر الكلام ، لذلك لا يجيزون تقديم شيء من معمولات فعل الشرط ولا فعل الجواب

(*) تعتذر المجلة لضيق المساحة عن عدم استيعابها لهذا البحث جملة ....

(١) الآية ١٦ من سورة فاطر .

(٢) البيت من الكامل للعباس بن مرداس ، في كتاب سيبويه ٥٧/٣ والخصائص ١٣١/١ وابن يعيش ١٩٧/٤ وشرح الجمل ٢٠٤/٢ برقم ٥٨٦ وشرح الكافية الشافية ١٥٨١/٣ برقم ١٠٦٣ والخزانة ٦٣٦/٣ ورواية الديوان ص ٧٢ (أما أتيت) وعلى هذا فلا شاهد فيه ، وعلى رواية النحاة « اذ ما » أداة شرط ، وجملة الشرط (أتيت) والجواب (فقل له) .

(٣) الآية ١٢٣ من سورة النساء .

(٤) شرح ابن يعيش ٧/٩ .

عليها ، وإنما تقع مستأنفة أومبنية على ذى خبر ونحوه أ هـ[٥] .

(جـ) الأحرف العاملة :

الناصبة المبتدأ الرافعة الخبر - وهى « إن » وأخواتها ما عدا « أنَّ » المفتوحة الهمزة ، لأنها تؤول مع معموليها بمصدر يقع خبراً لمبتدأ[*] نحو : خير القول أنى أحمد الله ، فالمصدر المؤول من « أن » ومعموليها فى محل رفع خبر المبتدأ الذى هو (خير القول) ، أو فاعلا نحو قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾[٦] فالمصدر المؤول فى محل رفع فاعل « يكف » ، أو نائب فاعل نحو : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ ﴾[٧] فالمصدر المؤول فى محل رفع نائب فاعل « أوحى » .

فلابد أن يسبقها كلام يكون المصدر من تمامه .

وأما « إنَّ » المكسورة الهمزة فحقها أن تتصدر جملتها نحو إنَّ لصاحب الحق مقالا وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[٨] و « لكن » نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾[٩] و « كأن » كقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[١٠] و « ليت » نحو ليت الشباب يعود ، و « لعل » كقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[١١]

وإنما استحقت هذه الأدوات الصدارة لأنها تؤثر فى مضمون الجملة الاسمية ، بالتوكيد أو الاستدراك أو التشبيه أو التمنى أو الرجاء ، وإذا أخرت لم يتحقق الغرض منها لضعف أثرها فى المقدم ، من جهة أنَّ هذه المعانى فى الأصل للأفعال نحو أؤكِّد وأشَبِّه وأستدرك وأتمنى وأرجو ، فإذا كانت هذه الأحرف قد عملت لتضمنها معانى تلك الأفعال دون حروفها ، فإنها أضعف من أن تؤثر فى معمولين مقدمين عليها .

(د) أدوات النفى العاملة :

وهى « ما » العاملة عمل « ليس » فى لغة الحجازيين ، كقوله تعالى : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾[١٢] وقوله تعالى : ﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾[١٣] ، و « لا » النافية العاملة عمل « ليس » - عند الحجازيين أيضا - نحو لا رجل أفضل منك ، وقول الشاعر :

تعز فلا شىء على الأرض باقيا
ولا وزر مما قضى الله واقيا[١٤]

ولإعمال « ما » عمل « ليس » عند الحجازيين أربعة شروط :

أحدها : بقاء النفى ، فلو انتقض النفى بإلا بطل عملها كقوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾[١٥] .

---

(٥) ارتشاف الضرب ٥٥٨/٢ .

(*) لا يمنع ذلك أنها تنصب المبتدأ وترفع الخبر تقول : أعلم أن أحمدَ كاتبٌ ولا تستطيع خلاف ذلك .. المجلة .

(٦) الآية ٥١ من سورة العنكبوت .

(٧) الآية ١ من سورة الجن .

(٨) الآية ١ من سورة الكوثر .

(٩) الآية ١٧ من سورة الأنفال .

(١٠) الآية ٥٨ من سورة الرحمن .

(١١) الآية ٣ من سورة الشعراء .

(١٢) الآية ٣١ من سورة يوسف .

(١٣) من الآية ٢ من سورة المجادلة .

(١٤) البيت من الطويل ، لم يعلم قائله ، فى الجنى الدانى ، ٢٩ وشرح ابن عقيل ٣١٣/١ برقم ٧٨ والمغنى ص ٣١٥ برقم ٤٣٤ وشرح شواهد ٦١٢ والتصريح ١٩٩/١ ، والهمع ١٢٥/١ والدرر ٩٧/١ ، والعينى ١٠٢/٢ وحاشية الصبان ٢٥٣/١ والوزر : الملجأ ، وواقيا : حافظا .

(١٥) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران .

ألفاظ الصدارة فى أساليب العرب

الثانى : أن لا يقترن اسمها بإن الزائدة كقوله :

فمـــا إن طِبُّنـــا جُبْـنٌ ولكـن
منـــايانـــا ودولـــة آخـــرينـــا[٥]

الثالث : أن لا يتقدم خبرها على اسمها فلو قيل : ما حاضر عبدالله ـ بطل عملها ، لتقدم الخبر ، ومنه قولهم : ما مسىءٌ مَنْ أعتب لأن (مسىء) خبر مقدم و (مَنْ أعتب) مبتدأ مؤخر .

الرابع : أن لا يتقدم معمول خبرها على اسمها وهو غير ظرف أو مجرور ، فلو قيل : ما طعامك زيد آكل ـ فلا عمل لـ « ما » لتقدم معمول خبرها ، فإن كان معمول الخبر ظرفا أو مجرورا ، جاز تقدمه على اسمها مع بقاء عملها ، نحو ما عنك أو فى الدار عبدالله مقيما ، ولم يجز البصريون تقدم معمول الخبر على « ما » خلافا للكوفيين .

قال أبو حيان : ولا يجوز تقدم معمول الخبر على « ما » ، ولا برفع الخبر ولا بنصبه ، نحو طعامك ما زيد آكلا أو آكل عند البصريين ، وأجاز ذلك الكوفيون أ هـ[١٧] .

ولا تعمل « لا » المحمولة على « ليس » إلا فيما استوفى الشروط السابقة ـ عدا الشرط الثانى ـ ويجب أن يكون معمولاها نكرتين نحو لا عمل انفع من طاعة الله ، لا حاكم أعدل من الفاروق .

أما « لا » العاملة عمل « إنَّ » فيضاف إلى شرط كون معموليها نكرتين أربعة شروط هى :

أولها : أن يكون المنفى بها الجنس ، والثانى : أن يكون نفيه على سبيل التنصيص ، أى لا يحتمل نفى الوحدة ، والثالث : أن لا يدخل عليها جار ، والرابع : أن لا يفصل بينها وبين اسمها نحو لا رجل فى الدار ، ولا طالب علم ممقوت ، وتسمى « لا التبرئة » لأن مَنْ نفيت عنه أمرا على سبيل التنصيص فقد برأته منه .

وأيا كان عمل « لا » النافية فلا يجوز أن يتقدم عليها شىء مما فى حَيِّزها .

وقد ألحق قوم « إنْ » النافية بما وليس ، فرفع بها المبتدأ اسما لها ونصب خبره خبرا لها ، وقد نسبها أبو حيان[١٨] للحجازيين والكسائى وأكثر الكوفيين والفارسى وابن جنى ، ثم قال : ومنع ذلك الفراء وأكثر البصريين أ هـ[١٩] .

وقد نسب ابن هشام[٢٠] تلك اللغة إلى أهل العالية[٢١] وحكى عن بعضهم قوله : « إنْ أحدٌ خيراً من أحد إلا بالعافية » .

وذكر ابن جنى قراءة سعيد بن جبير : ﴿ إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادًا ﴾[٢٢] بنصب (عبادا) وتخفيف « إنْ » ثم عقب عليها قائلا : ينبغى ـ والله أعلم ـ أن تكون « إن » هذه

(١٦) البيت من الوافر ، قائله فروة بن مسيك كما فى كتاب سيبويه ١٥٣/٣ ، وهو حجازى كما قال المرادى فى الجنى الدانى ص ٣٢٧ ، وهو فى الوحشيات ٢٧ والمقتضب ٥١/١ ، ٣٦٤/٢ ، والكامل ٣٤١/١ ، والأصول ١٧٧/١ والخصائص ١٠٨/٣ ، والمصنف ١٢٨/٣ ، والروض الأنف ٣٢٤/٢ وشرح الجمل ٥٩٢/١ برقم ٤٢٠ والمغنى ص ٣٨ برقم ٢٣ والخزانة ١٢١/٢ والطلب : العادة والدأب ، والدولة الغلبة والانتصار .

(١٧) ارتشاف الضرب ١٠٦/٢ .

(١٨) ارتشاف الضرب ١٠٩/٢ .

(١٩) المرجع المتقدم .

(٢٠) أوضح المسالك ٢٩١/١ .

(٢١) هم الذين سكنوا المنطقة من تهامة إلى نجد . بما فى ذلك مكة وما ولاها ، وتعرف بسلسلة جبال السروات .

(٢٢) الآية ١٩٤ من سورة الأعراف .

بمنزلة « ما » فكأنه قال : ما الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم ، فأعمل « إنْ » إعمال « ما » ، وفيه ضعف ، لأن « إنْ » هذه لم تختص بنفى الحاضر اختصاص « ما » به ، فتجرى مجرى « ليس » فى العمل ا هـ[٢٣] .

ومجمل القول أن النحاة متفقون على استعمالها بمعنى « ما » النافية ، وأن إعمالها عمل « ليس » قد ورد بقلة ، بيد أن تصدرها فى جملتها لا خلاف فيه ، لأن ما فى حيز أداة النفى لا يتقدم عليها .

(هـ) مما له الصدارة « كم » الاستفهامية نحو كم كتابا قرأت ؟ ويستعملها مَنْ يستفهم عن كمية الشيء ، ويتوقع جوابا عن سؤاله ، وتمييزها يكون مفردا منصوبا ، ويجوز جره بـ « مِنْ » مضمرة إذا جرت « كم » بالباء نحو بكم دينارٍ اشتريتَ هذا ؟

ومثلها فى وجوب التصدر « كم » الخبرية ، نحو كم كتب قرأتُ وكم رجالٍ عرفتُ ويستعملها من يريد الافتخار والتكثير ، ولا ينتظر جوابا ، ويتوجه إليه ـ باعتباره مخبرا ـ التصديق والتكذيب ، وتميز الخبرية بمجموع مجرور كثير كالمثالين المتقدمين ، وبمفرد مجرور قليل نحو كم رجلٍ عرفتُ ، وقد بُنِيَت « كم » الاستفهامية لتضمنها معنى حرف الاستفهام ، وهى الهمزة ، وأما « كم » الخبرية فقد بنيت حملا على « رُبَّ » لأن كلتيهما تستعمل للفخر والمباهاة .

وإنما لزمت « كم » صدر الكلام لأنها تؤثر فى مضمون الجملة بعدها ـ استفهاما أو افتخارا وتكثيرا ، فتكون فى موقع المبتدأ فى نحو : كم رجلا فى الدار ؟ وكم رجلا زارك ؟ ، وتتصدر وهى فى محل المفعول إنْ وَلِيَها فعل متعد لم يستوف مفعوله نحو : كم ضيفا أكرمت ؟ ولكنها لا تكون فى موقع الفاعل ، لأن الفاعل لا يتقدم على فعله .

قال سيبويه : لأنها لا تكون إلا مبتدأة ، ولا تؤخر فاعله ولا مفعوله ، ولا تقول : رأيت كم رجلا ، وإنما تقول : كم رجلا رأيتَ ؟ وتقول : كم رجلٍ أتانى ، ولا تقول : أتانى كم رجل ا هـ[٢٤] .

فهى لا تكون إلا مصدرةً فى جملتها ، وإن كانت فى محل نصب على المفعولية ، نحو : كم رجلا رأيت ، لأن « كم » فى موضع نصب برأيت ، وهى استفهامية ، ولهذا نُصِب مميزها والاستفهام له صدر الكلام ، كما تقدم ، وقد حُمِلت « كم » الخبرية على الاستفهامية فى لزوم الصدر ، طرداً للباب ، وحملا على « رب » لأنها أشبهتها فى إفادة التكثير ، وفى لزوم الصدارة .

وعلم مما تقدم أن (رب) من ألفاظ الصدارة ، سواء كانت للتقليل نحو رَبَّهُ رجلا يوحد صفوف المسلمين ، ومنه قولة :

ألا رُبَّ مولود وليس أبٌ
وذى ولد لم يَلْدَه أبوان[٢٥]

فالمراد بالمولود الذى ليس له أب ـ عيسى عليه السلام ، وبذى الولد الذى لم يلده أبوان آدم عليه السلام ، وكل منهما فرد لا نظير له ، فكونها هنا مفيدة للتقليل واضح ، أم كانت للتكثير كقوله تعالى : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾[٢٦] .

(٢٣) المحتسب ٢٧٠/١ .

(٢٤) الكتاب ١٥٨/٢ .

(٢٥) البيت من الطويل ، نسبه سيبويه (الكتاب ٢٦٦/٢) لرجل من أزد السراة ، ونسبه غيره لرجل اسمه عمرو الجنبى ، قاله لامرىء القيس حين لقيه فى مفازة ـ على سبيل المعاياه ، أراد بالمولود الذى ليس له أب عيسى ـ عليه السلام وبذى ولد لم يلده أبوان ـ آدم ـ أبو البشر ، والبيت فى الكامل ٩٠٦ والخصائص ٣٣٣/٢ والمفصل وشرحه لابن يعيش ٤٨/٤ ، ٢٣/٩ ، ١٠ ، ٢٦ والمقرب ١٩٩/١ والجنى الدانى ٤٤١ والتصريح ١٨/٢ والهمع ٥٤/١ ، ٢٦/٢ والخزانة ٣٩٧/١ .

(٢٦) الآيـة ٢ مـن سـورة الحجر

◆ ألفاظ الصدارة في أساليب العرب

فقد استعملت « رُبَّ » فى الآية لإفادة التكثير ، لأن السياق يقتضى التخويف ، ولا يناسبه التقليل ، أى أن الكثير من الكفار يتمنون حين يَرَوْنَ العذاب أنْ لو كانوا أسلموا .

وقد لزمت « رُبَّ » الصدر فيما تقدم بما فى ذلك البيت ، لأن « ألا » الاستفتاحية من ألفاظ الصدارة أيضا ، وإنما لزم تصدر « رب » لأنها تؤثر فى معنى ما دخلت عليه ـ تقليلا أو تكثيرا ـ وهذا ثابت لها سواء أزيدت « ما » بعدها كقوله تعالى : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أم لا كغالب استعمالاتها .

(و) ومما له الصدارة « لام الابتداء » وهى اللام المفتوحة الداخلة على المبتدأ فى قوله تعالى : ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً .. ﴾[27] وقوله تعالى : ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ ﴾[28] أو ما حل محل المبتدأ ، وهو المضارع المصدر به الجملة ، نحو لَيَقُومُ زيد ، لَيَخْرُجُ عمرو ـ بفتح اللام ورفع المضارع عند المالقى[29] (ت ٧٠٢ هـ) ، والفعل غير المتصرف نحو : لنعم الرجل خالد ، وقوله تعالى : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[30] .

وقد نسب المرادى وابن هشام[31] القول بإجازة دخولها على المضارع إلى ابن مالك أيضاً .

ومما له الصدارة « ما » التعجبية فى نحو : ما أكرَمَ محمدا ، لأن صيغة التعجب لا تقبل التصرف إذ جَرَتْ مجرى المثل ، فلا يجوز أنْ يقدم المتعجب منه ، ولا فعل التعجب على « ما » التعجبية ، وقد تحدث سيبويه عن صيغة التعجب فقال : وذلك قولك : ما أحسن عبدالله . زعم الخليل أنه بمنزلة قولك : شىء أحسن عبدالله ، ودخله معنى التعجب ، وهذا تمثيل ، ولم يتكلم به ، ولا يجوز أنْ تقدم عبدالله وتؤخر « ما » ، ولا تزيل شيئا عن موضعه ، ولا تقول فيه : ما يحسن ولا شيئا مما يكون فى الأفعال سوى هذا . ا هـ[32] فصيغة التعجب لا يجوز التصرف فيها بالتقديم والتأخير ، وقد أوضح ابن يعيش ذلك فقال : صيغة التعجب تجرى على منهاج واحد لا يختلف ، فلا يجوز تقديم المفعول فيه على « ما » ، ولا على الفعل ، فلا يجوز (زيدا ما أحسن) ولا (مازيدا أحسن) كما يجوز لك فى غير التعجب من نحو (زيدا عبدالله أكرم) و (عبدالله زيدا أكرم) وذلك لضعف فعل التعجب وغلبة شبه الاسم عليه . ا هـ[33] .

والدليل على ضعفه لزومه صيغة واحدة ، وتصحيح المعتل منه نحو ما أقْوَمَ هذا الطريق ففى غير التعجب يُعَل (أقْوَم) ينقل حركة المعتل إلى الساكن الصحيح قبله ، ثم تقلب الواو ألفا لتحركها بحسب الأصل ، وانفتاح ما قبلها بعد النقل ، أما غلبة شبه الاسم عليه فواضحة من جواز تصغيره نحو ما أميلحة ، لهذا امتنع تقدم معموله عليه ، كما امتنع التصرف فيه ، فلا يجوز تقديمه على « ما » ، ومن ثَمَّ كانت « ما » التعجبية من ألفاظ الصدارة .

(ز) « ألا » من ألفاظ الصدارة « ألاَ » سواء أكانت للاستفتاح والتنبيه كقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[34] ، أم كانت للتمنى كقول اليائس من وجود الماء : ألا

---

(٢٧) الآية ١٣ من سورة الحشر .
(٢٨) الآية ٢٢١ من سورة البقرة .
(٢٩) وصف المبانى ٣٠٦ .
(٣٠) الآية ٦٣ من سورة المائدة .
(٣١) الجنى الدانى ١٢٤ والمغنى ٣٠٢ .
(٣٢) كتاب سيبويه ٧٢/١ وما بعدها .
(٣٣) شرح ابن يعيش ١٤٩/٧ .
(٣٤) الآية ١٣ من سورة البقرة .

ماء أشربه ؟ أم كانت للعرض كقوله تعالى : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[٣٥] أم كانت للتحضيض والحث على الفعل كقوله تعالى : ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾[٣٦] أم أريد بها التقرير بالشيء كقوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ .. ﴾[٣٧] .

فقد تصدرت « ألا » جملتها فى كل ما تقدم ، أيا كانت الجملة ، اسمية أو فعلية ، وأيا كان الأسلوب فى أول الآية نحو « ألا تقاتلون .. » او فى تذييلها نحو « ألا إنهم هم السفهاء .. » وإنما لزمت « ألا » الصدر ، لأنها تؤثر فى معنى الكلام الواقع بعدها ، استفتاحا وتنبيهـا لأهمية ماوليها ، أو عرضا وترغيبا فى الظفر بأمر محبوب ، أو تقريرا بمضمون ماوليها ، أو حثا على تحصيله والعمل بمقتضاه ، وكل ما كان كذلك استحق صدر الكلام .

ومن هذا القبيل « لولا » المستعملة حرف امتناع لوجود فى نحو قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾[٣٨] والمرفوع بعدها مبتدأ خبره محذوف وجوبا ، لكونه فى الغالب كونا مطلقا ، فالتقدير فى الآية المتقدمة : لولا أنتم صددتمونا لكنا مؤمنين ، وكذا « لو ما وهلا وألا » فى التخصيص والاختصاص بالفعل ، بفتح أولها وتشديد اللام فى « هلا وألا » نحو قوله تعالى : ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[٣٩] وقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لجابر بن عبدالله « هلا جارية تلاعبها وتلاعبك .. »[٤٠] وقولنا : ألا عاقبت المسيء فكيف عن الإساءة إليك . فهذه الألفاظ تؤثر فى مضمون الكلام الذى وليها ولهذا استحقت الصدارة لما وقع بعدها .

هذا وقد علم مما تقدم ان الأسماء المستحقة للتصدير بنفسها هى :

أسماء الاستفهام ، أسماء الشرط ، « كم » الخبرية التى عرضنا لها اثناء الكلام عن « كم » الاستفهامية ، « ما » التعجبية ، وقد بسطنا القول فى ذلك تفصيلا .

وهناك أسماء استحقت الصدارة بغيرها وهى أربعة :

الأول : كل اسم أضيف إلى اسم استفهام نحو كتاب مَنْ قرأت ؟ فكتاب مفعول (قرأت) والأصل فيه التأخير ، ولكنه قدم لإضافته إلى ما يستحق التصدير[٤١] وهو « مَنْ » الاستفهامية ، ونحو صبيحة أىِّ يوم سفرك ؟ وذلك أنَّ (صبيحة) خبر (سفرك) والأصل فى الخبر التأخير ، ولكنه قدم وجوبا لإضافته إلى لازم الصدرية ، وهو أى « الاستفهامية .

الثانى : كل اسم أضيف إلى اسم شرط نحو كتاب مَنْ تقرأ اقرأ ، فكتاب مفعول (اقرأ) والأصل فيه التأخير ، ولكنه قدم وجوبا لإضافته إلى اسم الشرط (من) وهو من ألفاظ الصدارة .

الثالث : كل اسم أضيف إلى « كم » الخبرية نحو : مال كم رجل عندك ؟ فمال مبتدأ لا يجوز تأخيره ، لإضافته إلى لازم الصدر ، وهو « كم » الخبرية .

الرابع : كل اسم اقترن بلام الابتداء نحو : لزيد قائم ، فزيد مبتدأ لا يجوز تأخيره لاقترانه بلازم الصدر ، وهو لام الابتداء والله أعلم .

---

(٣٥) الآية ٢٢ من سورة النور .

(٣٦) الآية ١٣ من سورة التوبة .

(٣٧) الآية ١٤ من سورة الملك .

(٣٨) الآية ٣١ من سورة سبأ .

(٣٩) الآية ٧ من سورة الحجر .

(٤٠) الحديث فى سنن الترمذى ٢/ ٢٨٠ مرويا عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال تزوجت امرأة ، فأتيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أتزوجت ياجابر فقلت : نعم ، فقال بكرا أم ثيبا ؟ فقلت : لا بل ثيبا : فقال : هلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ الحديث .

(٤١) انظر الترمذى ١/ ١٧٤ وما بعدها .

قراءة جديدة

فى كتاب غير جديد

حول كتاب "الشيخان" للدكتور طه حسين

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

دعانى إلى كتابة هذا الموضوع إعادة تقرير كتاب (الشيخان) للدكتور طه حسين ، على طلاب الثانوية العامة هذا العام بعد ان كانت الوزارة قد الغت تدريسه منذ عام سبعة وسبعين حتى الآن .

وكان الكتاب قد اثار موجة من النقد حين قُرِّر فى المرة الاولى ، وكُتِبت مقالاتٌ فى الصحف والمجلات المهتمة بشئون الادب والثقافة ، وكنت قد كتبت مقالاً فى مجلة الثقافة التى كانت تصدرها وزارة الثقافة فى ذلك الوقت ، ونُشر فى عدد ابريل سنة ١٩٧٦ ، استعرضت فيه السلبيات التى تكمن وراء تقرير هذا الكتاب بوزارة التربية والتعليم .

ولذلك كانت العودة إلى تقريره مرة أخرى مثيرة للدوافع التى املت كتابة ماكتبت منذ حوالى خمسة عشر عاماً ..

ولا بأس من العودة إلى الكتابة حوله مرة اخرى نظراً لاهمية هذا الأمر ، ولأن مجلة الأزهر منبر عام يتحدث عن قضايا التعليم والتربية فى كل القطاعات والمؤسسات المهتمة بذلك . وهذه رسالتها .

الهدف من تقرير كتاب ذى موضوع واحد

تقرر مناهج اللغة العربية كتاباً ذا موضوع واحد فى صفوف الدراسة المختلفة ، والوزارة تهدف من وراء ذلك إلى أهداف تربوية متعددة منها :

تنمية المثل العليا فى نفوس الطلاب ، وإقدارهم على تتبع مايقرءون ويسمعون ، وفهمه فهماً صحيحاً والانتفاع به فى الحياة العملية ، وان يتخذ الطالب مما يقرؤه زاداً يعينه على مواجهة الحياة واعبائها ، وان ينمو ميله إلى القراءة وشغفه بها وتذوقه لما يقرؤه بحيث يدفعه إلى الاتصال بما يلائمه وينفعه ، وأن يتصل بنتاج المجددين من الادباء وأصحاب الأساليب فى مختلف العصور .. إلى غير ذلك من الأهداف

التربوية السليمة التى تتصدر مناهج اللغة العربية فى مراحلها المختلفة ..

وتحقيقاً لهذه الأهداف وضعت مناهج اللغة العربية أسساً متعددة لدراسة القـراءة ، وبخاصة فيما يتصل بالكتاب ذى الموضوع الواحد . الذى نعتبره مقدمة كبرى لاعتماد الطالب على نفسه فى المرحلة الجامعية ، التى تتطلب استقـلال الشخصيـة ، واستنطـاق المراجع ، واكتناه مكنوناتها ،

مايجب توافره فى الكتاب المختار

وحرصاً على ذلك يجب أن نصل الطالب بالكتاب حتى يأنس إليه ولا ينفر منه ، بمعنى أن نقدم إليه مايتناسب مع سنه ، ومايصحح له مثله ، وما يَقْوَى به فكره ، ومايأخذ بيده إلى الطريق السوى فيما يجب أن يعتنق من مبادىء وأفكار ومثل ..

وتمشياً مع هذا قرأنا فى بعض الأعوام فى صفحات مجلة المصور مقالاً ثائراً للأستاذ رجاء النقاش ضد كتاب (حافظ وشوقى) للدكتور طه حسين الذى كان مقرراً على طلاب الثانوية العامة أنذاك ، وقد طلب الأستاذ النقاش ضرورة إلغاء تدريس هذا الكتاب فوراً لأنه يهز المثل التى يرسمها الشباب فى مخيلته لأعظم شاعرين أنجبتهما مصر العزيزة ، ودان لهما الشعراء فى أقطار العرب ، حتى بايعوا أحدهما وهو شوقى ، بإمارة الشعر فى حفل تكريم عظيم .

كما نشرت مجلة الكاتب أيضاً مقالاً للأستاذ رشدى صالح أيام أن كان هذا الكتاب مقرراً يوضح فيه أن موضوعات الكتاب التى تناولها الكاتب فى (حافظ وشوقى) لم تعد صالحة للدراسة الآن بعد أن استعادت مصر تراث العرب العريق ، وجددت فى مجالات الفكر وتفوقت .

فالكتاب الذى يقدم لطلاب الصف الثالث الثانوى بالذات يشكل خطورة عظيمة بالنسبة لأفكار هؤلاء الشباب فى هذه السن الخطيرة التى تتأرجح فيها المثل ، وتهتز فيها القيم .

وفى هذه المرحلة من مراحلنا التى نجتاز فيها ظروفاً قلقة تعيشها الأمة العربية ، وفى هذه الأيام التى وفدت فيها تيارات غريبة جرفت الكثير من الشباب ، وصنعت لهم اهتمامات جديدة لا تتناسب مع ما يجب أن يكون عليه الشباب من جد وعزم وقوة .

كتاب (الشيخان) ومايثيره من شك

ومن هنا ندرك خطورة دور الكتاب ومايجب أن يصنعه فى توجيه الشباب . وأخلص من هذا إلى أنه إذا كنا قد ثُرنا على كتاب (حافظ وشوقى) لأنه هز مثليهما فى النفوس ، فمن الأولى أن توجه هذه الثورة إلى كتاب (الشيخان) المقرر هذا العام لأنه عرض هذين الخليفتين العظيمين (أبا بكر وعمر) ـ رضى الله عنهما ـ لأكثر من ذلك .

عرضهما لموجة من الشك الذى بنى عليه كتابه فترك الشباب فى حيرة وقلق ، لا يدرى أين يضع قدمه بين تلك الأمواج المتدفقة من عباراته مثل : (أنا أشك) .. (زعموا) ـ (يزعمون) (أنا غير واثق) . إلى غير ذلك مما يفتح الطريق واسعاً للتخبط والشك والضياع .

وأسلوب الشك هذا نزعة انتهجها الكاتب لا فى كتاب (الشيخان) وحده ، ولكن فى غيره من الكتب مما أثار ضده ثائرة عنيفة فى مطلع هذا القرن ، وإذا كانت التربية تفرض علينا أن نوجه النشء فى هذه السن الخطرة إلى الإيمان بمثله العليا المنبثقة من تاريخه العظيم ؛ فإن من الواجب علينا أن نعيد النظر فيما يقدم له من زاد فكرى يعينه على تعميق الإيمان بهذه المثل . وخير ما يقرؤه فى تاريخ أبطاله الذين يعتز بهم ،كتب تقدم له هذه الشخصيات فى صورة مبنية على التحليل النفسي الذي يصل به إلى اليقين ، ولا يسلمه إلى الشك .

قراءة جديدة فى

كتـــاب غـــير جـــديد

امثلة مما جاء فى الكتاب

واحب أن أقف مع القارىء وقفات حول بعض ماجاء فى الكتاب ، وقفات تستدعى التأمل والتعجب .

ــ يقول الكاتب فى مقدمة كتابه (وأنا بعد ذلك اشك فى بعض ماروى عن هذه الأحداث ، وأكاد اقطع بأن بعض ماكتب القدماء من تاريخ هذين الإمامين العظيمين ومن تاريخ العصر القصير الذى وليا فيه أمور المسلمين أشبه بالقصص منه بتسجيل حقائق الأحداث التى كانت فى أيامهما .. فالقدماء قد أكبروا الشيخين الجليلين إكباراً يوشك أن يكون تقديساً لهما ثم أرسلوا انفسهم على سجيتها فى مدحهما والثناء عليهما ...)

ماذا يريد الكاتب بهذا ؟ هل يريد أن يكف الناس عن مدح أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ ؟ وهل هذان الخليفتان العظيمان لا يستحقان المدح والإجلال والثناء ؟ ولماذا لا يُقدسان وقد أَجَلَّهما القرآن وأثنى الله تعالى عليهما إن لم يكن صراحة فضمنا ؟ فالقرآن هو الذى يشير إلى أبى بكر بقوله : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ ﴾ والقرآن هو الذى ينزل مؤيدا لعمر فى كثير من المواقف . وماذا يكون التقدير غير هذا ؟ ومتى كان الإكبار سبيلاً إلى الشك فيما يروى من الأحداث ؟

ــ أوضح الكاتب أن هدفه من الكتاب (ليس الثناء على الشيخين ، أو تفصيل تاريخ الفتوح فى عصرهما ، وإنما هدفه شىء آخر مخالف لهذا أشد الخلاف ، فهو يريد أن يعرف القارىء بشخصية أبى بكر وعمر ـ رحمهما الله ـ كما يصورها مانعرف من سيرتهما ، وكما تصورها الأحداث التى كانت فى عصرهما ، وكما يصورها هذا الطابع الذى طبعت به حياة المسلمين من بعدهما) .

ونحن حين نقرأ الكتاب لا نجد التزاماً بهذا المنهج ، ولكنا نجد مجرد سرد للروايات التى يشك فيها كلها ، ولا يخلص للقارىء بعد ذلك شىء مما أشار إليه بأنه هدفه ، كما أن الكتاب ليس فيه ذلك العسر المبذول الذى وطن نفسه له ، فالعسر فى البحوث إنما يكون فى تحليل المواقف وتفسير السلوك وربط الأسباب بالمسببات .

شىء يحمد له :

حقاً إنه مما يحمد له أنه أبعد المسلمين الأوائل عن شبهة الاختلاف والتطاحن عند اختيار الخليفة الأول ، كما أنه أبعد عنهم شبهة الاضطرابات والتردد فى مواجهة المرتدين ، وكنا نود أن يستمر فى مناقشة بقية الأحداث بهذه الطريقة المنطقية . ولكنه سكت عن كثير من المواقف التى كان أحرى به أن يناقشها ، لأن عدم مناقشتها يعرض أصحابها للاهتزاز .

من ذلك مثلاً موقفه من قصة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ مع أبى بكر .

فقد ذكر دون أن يشهد الرواة ـ على غير عادته ـ أن من المحن التى تعرض لها أبوبكر مغاضبة فاطمة له ؛ لأنه منعها ميراث أبيها ، وظلت مغاضبة له حتى توفيت ، وطلبت ألا يخبر بموتها ، وأن تدفن سراً حتى لا يشهد جنازتها .

ولنا أن نقف مع الكاتب وقفة قصيرة فنسأله :

لِمَ تعمد أن يطيل الحديث حول هذه القصة ، ويذكرها مرتين فى كتابه ؟ ولم يناقشها كما ناقش غيرها مع أنها أحرى بذلك ؟

ولم ذكرها فى صورة توحى بأنها حقيقة لا شك فيها فلم يسندها إلى راو من الرواة ؟

مع أن المنطق يقضى بأنه من غير المعقول أن تغضب فاطمة مع أبى بكر ، لأنه أراد أن ينفذ سنة أبيها .

ومن غير المعقول أن تغضب فاطمة للدنيا ، وهى التى رباها أبوها على الزهد والتواضع والإيثار .

ومن غير المعقول أن تمرض فاطمة ولا يعلم أبوبكر بمرضها ، وتموت ولا يعلم بموتها ، وتدفن ولا يعلم بدفنها ، وقد أجمع الرواة على أن التى كانت تمرض فاطمة هى أسماء بنت عميس زوجة أبى بكر نفسه وهى التى غسلتها وكفنتها .

ومن تلك التى ماتت ولم يعلم أبو بكر بموتها ؟ إنها فاطمة بنت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت أحب الناس بعد أبيها إلى المسلمين ، فموتها ليس حدثا هينا ؛ ولكنه حدث يشغل الناس جميعاً وفى مقدمتهم أبوبكر ـ رضى الله عنه ـ .

وقد جاء فى طبقات ابن سعد الذى يعتمد الكاتب عليه فى كثير من رواياته أن أبابكر صلى على فاطمة فكبر أربعا .

فمن أين جاء العلم للكاتب بأن أبابكر لم يعلم بموتها ؟ هذا على قرب مابين البيتين بيت على زوج فاطمة ، وبيت أبى بكر .

حقيقة أن طبعة الوزارة حذفت كثيراً مما جاء فى الكتاب الأصلى للمؤلف حول هذا الموضوع ، ولكن بقى فى هذه الطبعة مايدعو إلى تساؤل القارىء حول هذه المغاضبة التى نبرىء منها السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ .

ـ وقد عرض الكاتب كثيراً من الأحداث عرضا مشوهاً ، ومن ذلك حروب الردة التى تُعَدُّ من أخطر الحوادث التاريخية فلم يعرفنا : كيف دارت المعارك ؟ ولا كيف أبلى المسلمون فيها ذلك البلاء الحسن الذى يترك صورته الصحيحة المشرفة فى نفوس الشباب ، وبخاصة فى هذه الظروف التى مازلنا نحارب فيها عدواً يتربص بنا ونقف له على أهبة الاستعداد ؟ .

وبهذه الصورة الموجزة المخلة أيضاً تعرض لفتوح الشام والعراق فلم يعرض أمامنا صفحات من البطولات الرائعة التى قام بها المسلمون والقواد ، واستشهدوا وانتصروا بسببها ، وليس ذلك من قبيل التفصيلات التى أعفى نفسه منها ولكنها من الضرورات التى تسجل عصر الشيخين أصدق تسجيل ، وتوحى بروعة المواقف التى وقفها كلاهما ذودا عن الحق ، ودفاعاً عن الدين .

ـ ومن المغالطات التى لا يسكت عنها أن يذكر الكاتب أن من أسباب الحروب فى العراق تنافس المدينتين الجديدتين (الكوفة والبصرة) فى الفتح رغبة فى الاستكثار من الفىء والغنائم ، فيقول ص ١٥١ من طبعة الوزارة : (وكان حظ الكوفة من سواد العراق ومما فتح من أرض الفرس أعظم من حظ البصرة ، فكان أهل البصرة يطمعون فى أن يوسعوا رقعتهم ، ويكثروا من الفتوح ليتاح لهم من الغنائم وسعة الفىء ..

قال الأحنف بن قيس ذات يوم لعمر ـ وكان عنده فى وفد البصرة : إن عيشنا أضيق من عيش إخواننا فى الكوفة ، وإنا لن نأمن الفرس ولن نفرغ منهم حتى نظفر بملكهم ، أو نقتله ، ومازال المصران يلحان فى عمر فى أن يأذن للناس فى الانسياح فى الأرض حتى انتزعوا منه الإذن فى ذلك انتزاعا) .

وهذا الكلام ينبغى الوقوف عنده طويلاً ، فمن المسلم به أن آخر ماكان يفكر فيه المسلمون فى فتوحاتهم عرض الدنيا ، ولكنها الاستجابة لأمر الله الذى وعدهم بالنصر . وكيف يفكرون فى عرض الدنيا وقد حذرهم الله من ذلك فى قوله تعالى : ﴿ مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ . . ﴾ « الأنفال ٦٧ » ..

ومن المسلم به أيضاً أن عمر كان يكره الحرب ، ولكنها الضرورة التى تلجئه إليها ، وليس من الضرورة إلحاح أهل البصرة والكوفة عليه رغبة فى الاستكثار من الدنيا .. ولكن

قراءة جديدة فى

كتاب غير جديد

الضرورة التى تلجئه هى حماية الدين وتأمين الجزيرة العربية أولا والبلاد التى فتحت ودانت بالإسلام ثانيا .

ـ ومن المآخذ التى تؤخذ على الكتاب ـ ذلك الشك الذى أشرنا إليه ولنضرب على ذلك مثالا مما ورد فيه .

يقول ـ بصدد إسلام عمر بعد أن ذهب عمر إلى دار الأرقم ليعلن إسلامه بين يدى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويتلقاه النبى آخذا بمجامع ثوبه قائلا له : أما انت منتهيا ياعمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ماانزل بالوليد بن المغيرة .

يقول الكاتب : (وانا أروى هذه الرواية غير واثق بها كل الثقة وإنما أراها مصورة لما كان القدماء وأصحاب النبى بخاصة يعرفون من أخلاق عمر قبل إسلامه) .

ولست أدرى فيم يشك ؟ هل يشك فى قدرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على مواجهة عمر وهو الذى واجه قريشا كلها دون أن يخشى بأسهم ؟ أم يشك فى أن عمر كان كافرا وأسلم ؟ .

ويفوت الكاتب أحيانا الترتيب بين الأحداث التى تتطلب الدقة فى ترتيبها .

فقد جاء ص ٢٠ : أن عمر ـ فى صلح الحديبية ـ ذهب إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول له : لِمَ نعطى الدنية فى ديننا ؟

فقال له النبى ـ وقد أخذه شىء من الغضب : أنا عبدالله ولن يضيعنى .

قال الكاتب : وذهب عمر بعد ذلك إلى أبى بكر فحاوره كما حاور النبى ، فكان جواب أبى بكر نفس الجواب .

الدقة تقتضى ـ كما ذكر الرواة ـ أن يذهب عمر أولا إلى أبى بكر فيحاوره فيقول له أبوبكر : إنه رسول الله ، ولن يضيعه .

ولا يقتنع عمر فيذهب إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول له النبى ماقال .. فيطمئن عمر ويهدأ . وهذا ماحدث فعلا .

لأن سياق القصة كما رواها الكاتب تشير إلى أن عمر لم يطمئن إلى كلام النبى ، ومازال فى قلبه شك حتى ذهب إلى أبى بكر ..

وهذا مخالف لما ذكره الرواة من جهة ، ومخالف لطبيعة عمر من جهة أخرى حيث كان ينتهى عن مراجعته حين يحزم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله معه .

هذه أمثلة من الكتاب .. يمكن أن نضيف إليها عدم الترتيب وكثرة التكرار . فحروب الردة مثلا ذكرها فى الفصل الأول وذكرها فى الفصل الثالث ، كما تحدث عن أسباب الارتداد فى أكثر من موضع والفتوح ذكرها أيضا فى حديثه عن أبى بكر ، وفى حديثه عن عمر .

وعزل خالد تحدث عنه فى موضعين مختلفين .

ومن أمثلة عدم الترتيب : أنه ذكر فى المشكلات التى واجهها أبو بكر مشكلة الارتداد أولا . ثم تحفز عرب الشام والعراق وإنفاذ جيش أسامة ثم وفاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان الأولى أن يقدم هذه المشكلة أولا .

وفى حديثه عن الفتوح فى أيام عمر . تحدث عن فتوح العراق ثم تركها إلى الشام ثم عاد إلى العراق .

والكتاب أحيانا تعوزه الدقة فقد صحح زميل فاضل واقعة حمل السيدة أسماء بنت عميس التى تركها ـ فيما يزعم الكاتب ـ أبوبكر حاملا ، والصحيح أن التى كانت حاملا هى زوجه السيدة حبيبة بنت خارجة الخزرجية وولدت بعده أم كلثوم .

وقد صححت الوزارة هذه المعلومة فى طبعتها الأخيرة ، ولكن مازال الخطأ موجودا فى الكتاب الأصلى .

هذه بعض ملاحظات على الكتاب جديرة بأن يعاد النظر فى اختيار مايقرر على الطلاب الذين يجب أن نضع أمام أعينهم الصورة الكاملة الحقيقية لتاريخ الإسلام والمسلمين .

وهذه الوان من اطوار الحقد الكريه الذى يصيب من شرد من دينه واستسلم لنزواته وشهواته ، فكان أسير شيطانه اللعين الذى أقسم اليمين لاغوينهم أجمعين واستثنى المخلصين المتقين .

قال : ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ « سورة الأعراف ـ ١٦ ـ ١٧ » .

لأن الشيطان يوقد نار الضغينة ويوقع العداوة والبغضاء بين الناس لمباشرة مهمته . وذلك بعد أن يئس من أن يجعل من العاقل عابد صنم ، ولكنه استطاع إغراء الإنسان وإغواءه وإبعاده عن ربه بإيقاد نار الشحناء فى القلوب لتأخذ طريقها إلى كل ضحية ممن ظهرت عليهم النعم ، ونار الشحناء تلتهم القريب أو البعيد إذا اشتعلت واتقدت والتهبت فأهلكت بسبب حيلة إبليس ، ومن شياطين الإنس من يزعجه الاستقرار والأمن وراحة الجار واطمئنان ذوى القربى .

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَٰهِ النَّاسِ . مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ « سورة الناس ـ ١ ـ ٦ » ؛ قد امرنا ربنا بالاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن الذين يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله ، وقد خلق الله الناس متفاوتين فى المواهب وفى الرزق وجعل المؤمنين إخوة فلا يرضى لهم القطيعة والبغض ، ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث » .. « رواه البخارى » ..

الحَسُـودُ لَا يَسُــودُ

قالوا إن الحسود ـ من الهم كساقى السم فإن سرى سمه زال عنه همه ، أما ظهور النعمة فيثير الحسد ، وكثرة الفضل تضاعف الكمد ، والإسلام ينصح اتباعه فيقول لهم : « استعينوا على قضاء الحوائج بالستر فإن كل ذى نعمة محسود » .

وقالوا عن الحسود إذا حضر أغتاب وإذا غاب عاب .

وقال الاصمعى قلت لأعرابى ما أطول عمرك قال : تركت الحسد فبقيت ؛ وليت الزملاء الشركاء فى أى عمل اليوم يحتقرون الحقد ويتعاملون بالإيثار لا بالأثرة .

يقول صلوات الله وسلامه عليه : دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، والبغضاء هى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذى نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا انبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم » . « رواه أحمد » ، ولا يزال الناس بخير مالم يتحاسدوا ، وليس فى خصال الشر أعدل من الحسد ، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود ، والله يقول : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ « سورة البقرة ١٠٩ » ..

ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ « سورة الأحزاب ـ ٥٨ » .

وعلينا أن نتجنب مجالس القاعدين الحاقدين الذين ينشرون الشائعات الباطلة والأخبار الحاقدة للتسلية : « اللهم اجعلنا من عبادك الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

والله الهادى إلى سواء السبيل ..

لحظات طيبات مع الإمام

زيد بن أسلم

إعداد : عادل خفاجة

« يابنى لا ترى أنك خير من أحد يقول : لا إله إلا الله ، حتى تدخل الجنة ويدخل النار ؛ فإذا دخلت الجنة ودخل النار تبين لك أنك خير منه »... هكذا كان زيد بن أسلم يوصى أبناءه .

إنه الإمام الحليم الحجة القدوة ، أبو أسامة ، زيد بن أسلم العدوى ويقال : أبو عبد الله المدنى الفقيه ، مولى عمر .

كان بالعدل قائلاً وعن الجهل عادلاً ، وبالفضل عاملاً ؛ فقد كان يتمثل قول رسول الله ﷺ : « طوبى لمن ترك الجهل ، وأتى الفضل وعمل بالعدل » رواه أبو نعيم .

وكان له حلقة علم فى مسجد رسول الله ﷺ ، وكانت حلقته أقرب ماتكون إلى اجتماع أخوى موسع ، قال أبو حازم الأعرج : « لقد رأيتنا فى مجلسه أربعين فقيها ، أدنى خصلة فينا التواسى بما فى أيدينا ، وما رأيت فى مجلسه متمارين ولا متنازعين فى حديث لا ينفعنا »(١) .

وكان على بن الحسين من أهل مجلسه ، وكان يتخطى مجالس قومه ليكون على مقربة منه ، قال البخارى فى تاريخه :

قال زكريا بن عدى : حدثنا هشيم عن محمد بن عبد الرحمن القرشى ، قال : « كان على ابن الحسين يجلس إلى زيد بن أسلم ، ويتخطى مجالس قومه ، فقال ـ له ـ نافع بن جبير بن مطعم : تتخطى مجالس قومك إلى عبد عمر ابن الخطاب ؟ فقال على : إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه فى دينه(٢) .

وكان ذا منطق قوى ، فقد كان يحدث ذات يَوم بحديث ، فقال له رجل : ياأسامة ، عمن هذا ؟ فأجابه قائلاً : « ياابن أخى ، ماكنا نجالس السفهاء » .

وكان أهل مجلسه يحبونه حباً شديداً ، ويؤثرونه على أنفسهم ، فهذا أبو حازم ـ أحد

(١) سيرة أعلام النبلاء : جـ ٥ ص ٣١٦ .

(٢) تهذيب التهذيب : جـ ٣ ص ٣٩٥ .

فقهاء مجلسه - يقول : « لا أراني الله يوم زيد ابن أسلم[٣] ؛ إنه لم يبق أحدٌ أرضى لديني ونفسي منه » .

وقد أيقن زيد بن أسلم بأن اتباع ما أمر الله ورسوله هو البرهان على حب الله ورسوله ؛ فقد روى عنه أنه قال : هلك عثمان بن مظعون ، فأمر رسول الله ﷺ بجهازه ، فلما وضع في قبره ، قالت امرأته : هنيئاً لك أبا السائب الجنة . فقال رسول الله ﷺ : « ما علمك بذلك ؟ » .

قالت : كان - يارسول الله - يصوم النهار ويصلى الليل .

قال : بحسبك لو قلت كان يحب الله ورسوله »[٤] .

ولزيد تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن ؛ فقد كان عالما بتفسير القرآن . وقال - عنه - يعقوب ابن شيبة : ثقة من أهل الفقه والعلم .

نماذج من تفسيره :

* قال يعقوب بن عبد الرحمن : سألت زيد ابن أسلم عن المستغفرين بالأسحار ، قال : « هم الذين يحضرون الصبح » .

* وروى مالك بن أنس عن زيد في قوله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾

قال : جزعوا مائة سنة ، وصبروا مائة سنة .

* وروى مبشر بن عبيد عن زيد في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ قال : قالوا لفروجهم لم شهدتم علينا .

حبه للتيسير :

وكان رحمه الله يحب التيسير ويرغب فيه ، فقد روى عنه أنه قال : إن رجلاً كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة ، وشدد على نفسه ، ويقنط الناس من رحمة الله تعالى ، ثم مات .

فقال : أي رب ما لي عندك ؟ قال : النار ، قال : يارب وأين عبادتي واجتهادي ؟ فقيل له : إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا ، وأنا أقنطك اليوم من رحمتي[٥] .

من كلماته :

« من اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا » .

من روى عنهم :

أدرك زيد بن أسلم جماعة من الصحابة ، وروى عن أبيه وعبد الله بن عمر ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وجابر ، وربيعة بن عباد الديلي ، وسلمة بن الأكوع ، وأنس بن مالك وأبي صالح السمان ، والأعرج ، وعلى بن الحسين وعبد الرحمن بن أبي سعيد ، والقعقاع بن حكيم .. وغيرهم .

وروى عنه :

الزهري ، وأيوب السختياني ، وعبيد الله بن

(٣) يريد الا يسمع نبأ وفاته .

(٤) حلية الأولياء : حـ ١ ص ١٠٦ .

(٥) حلية الأولياء : حـ ٣ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

الإمــام زيــد بــن أسلــم

عمر ، ومحمد بن عجلان ، وروح بن القاسم ، ومحمد بن اسحاق ، والثورى ، ومالك بن أنس ، وابن عيينة ، وسليمان بن بلال ، وأولاده : عبد الله وعبد الرحمن ، وأسامة .

ومن الأحاديث التى رواها زيد بن أسلم :

* عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً من الجنة كلما غدا أو راح » هذا حديث صحيح متفق عليه . رواه البخارى عن على بن عبد الله ، ورواه مسلم عن أبى بكر .

* عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : اختصم رجلان إلى النبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « إنما أنا بشر وإنما اقضى بينكم بما اسمع منكما ، ولعل أحدكم أن يكون الحن بحجته من بعض ، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً فإنما اقطع له قطعة من النار » هذا حديث متفق عليه .

* عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات بغير إمام فقد مات ميتة جاهلية ، ومن نزع يده من طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له » حديث صحيح ثابت أخرجه مسلم .

* وعن أبيه عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : قدم على رسول الله ﷺ بسبى فإذا امرأة من السبى تسعى ، إذ وجدت صبيا فى السبى ، فأخذته والصقته ببطنها وأرضعته . فقال رسول الله ﷺ : « أترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟ » قلنا : لا ، والله ! وهى تقدر أن لا تطرحه . فقال رسول الله ﷺ : « الله أرحم بعباده من المرأة بولدها » هذا حديث متفق عليه أخرجه البخارى فى صحيحه عن سعيد بن أبى مريم وأخرجه مسلم عن الحلوانى . وظهر لزيد من المسند اكثر من مائتى حديث .

وفاته :

كان من شدة حب أبى حازم له ، أن قال : « لا أرانى الله يوم زيد بن أسلم » فلما أتاه نعيه ، عقر(٦) فما شهده .

وقد أرخ ابنه وفاته فى ذى الحجة سنة ستْ وثلاثين ومائة .

---

(٦) جلس فما استطاع القيام .

أنباء وآراء

اعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

انباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

فضيلة الامام يستقبل أمناء المركز الاسلامى الأفريقى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفد مجلس أمناء المركز الإسلامى الأفريقى بالخرطوم الذى يضم مدير المركز والأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامى ووكيل وزارة الأوقاف الكويتية ووكيل وزارة الأوقاف القطرية وسفيرى المغرب وقطر بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث تقديم كافة المساعدات للمركز .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الأزهر سيقدم كل عون لمساندة المركز حتى يؤدى دوره المنوط به فى خدمة الشعوب الإسلامية الأفريقية والعمل على حل مشكلات الطلاب والدارسين فيه .

••••

والأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته الدكتور / حامد الغابد ـ الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى .

تم خلال اللقاء بحث أوضاع (مركز السيرة والسنة) الذى أنشأه الأزهر الشريف ، ويقوم بعمل موسوعة للأحاديث النبوية فى إطار التبويب القديم والحديث .

وقد طالب فضيلة الإمام الأكبر بضرورة التنسيق بين مراكز السيرة والسنة فى مصر والسعودية وقطر والكويت والأردن ، وأوضح فضيلته أن الأزهر الشريف سيقيم مؤتمراً لأعضاء مراكز السيرة والسنة لتنسيق العمل فيما بينها .

••••

المجلس الأعلى للأزهر وإنشاء كليات جديدة

قرر المجلس الأعلى للأزهر برياسة الإمام الأكبر فى اجتماعه فى ١٩٩١/٧/١٧ م إنشاء كلية للقراءات بمدينة طنطا ، وأخرى للدراسات الإسلامية والعربية للبنين بمدينة دمياط ، وإنشاء صندوق التكافل الاجتماعى للعاملين بهيئات الأزهر ، كما اعتمد المجلس قواعد وشروط القبول للطلاب المصريين والوافدين بكليات جامعة الأزهر للعام الدراسى ١٩٩٢/٩١ م .

أنبـــــــاء وآراء

الامـام يـرأس اجتماعات المجلس الاسلامـى العالمـى للدعـوة والاغاثة

يرأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة اجتماع هيئة رياسة المجلس العاشر صباح الأربعاء الموافق ٢١/٨/٩١م كما يرأس فضيلته اجتماع الهيئة التأسيسية للمجلس صباح الخميس الموافق ٢٢/٨/١٩٩١ يعقد الاجتماعان بمقر المجلس بالقاهرة .

••••

لجنة التعليم والدعوة بالمجلس الاسلامى العالمى للدعوة والاغاثة

كلف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الدكتور/ حامد عبد الحميد جامع ـ وكيل الأزهر بالقيام بأعباء مقرر لجنة التعليم والدعوة بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة .

كما تم ترشيح فضيلة الدكتور/ عبد العزيز عزت عبد الجليل ـ مدير عام الشئون الفنية لمكتب شيخ الأزهر ضابطا للاتصال من الأزهر الشريف لدى المجلس .

أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قرارا بتاريخ ٣٠ يولية ١٩٩١ م بإسناد أعمال (أمين عام مجمع البحوث الإسلامية) إلى فضيلة الشيخ/ أحمد السيد أحمد محمد عطا سعود ـ رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهريـة بالإضافة إلى عمله .

أنباء العالم الإسلامى

فى حمية الدعوة إلى تنصير أفريقيا قبل نهاية القرن العشرين ، وزيارات رءوس الكنائس المتعددة لأكثر من بلد أفريقى ، واتخاذ الوسائل الجنسية والمادية السخية لشراء العقائد كان ذلك النبأ ، وهو فضل من الله يؤتيه من يشاء ، فإنما الإيمان نور يقذفه الله فى قلوب من أحب من عباده .

أعلن القس «فردريك دولا مارك» كبير أساقفة جوهانسبرج بجنوب أفريقيا إشهار إسلامه فى جنيف وأعلن فوراً أنه على استعداد لنشر تعاليم الإسلام فى القارة الأفريقية .

وذكر فى مقابلة للإذاعة اللندنية أنه درس الإسلام ووجد صورة مختلفة للسيد المسيح ، وأن الدين الإسلامى واضح وموافق للفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وطالب «فردريك» بدعم جهود الدعوة الإسلامية بأفريقيا .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ . « صدق الله العظيم »

••••

أول مركز إسلامى فى موسكو

ذكرت وكالة الأنباء السوفيتية فى خبر لها نقلته الإذاعة السوفيتية الموجهة باللغة العربية .

أنه قد تأسس أول مركز إسلامى ثقافى بالاتحاد السوفيتى بالعاصمة موسكو .

ومن أهم أهداف المركز العمل على نشر القيم الروحية والثقافية الإسلامية كما يخطط لتنفيذ بعض المشروعات الاقتصادية وإنشاء مطبعة إسلامية فى موسكو بالإضافة إلى إنشاء مدرسة لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامى وسوف تصدر قريباً بالمركز صحيفة إسلامية .

نرجو أن يكون العمل به خالصا مستمرا لوجه الله تعالى بعيدا تماما عن المسالك الرسمية .

اختتام مؤتمر أجهزة الدعوة الاسلامية

اختتمت اجتماعات أجهزة الدعوة الإسلامية بمنظمة المؤتمر الإسلامى بجدة برياسة الدكتور/ حامد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى .

وأوصى السادة المجتمعون بتشكيل لجنة لوضع استراتيجية العمل الإسلامى المشترك فى مجال الدعوة الإسلامية .

وتقرر مناقشة هذه التوصية فى مؤتمر وزراء الخارجية للدول الإسلامية الذى سيعقد فى (استانبول) خلال الشهر الحالى بمشيئة الله تعالى .

صيام المسلمين يضاعف الانتاج

ذكرت إذاعة مونت كارلو أن شركة (كوماتيك) الفرنسية التى يعمل بها مسلمون يبلغون أكثر من ٥٠٪ من عمالها يعملون (فى صناعة الألكترونيات) أنها حققت أعلى معدل زيادة فى إنتاجها خلال شهر رمضان الماضى عام ١٤١١ هـ بسبب البرنامج الذى وضعه المسلمون العاملون فى الشركة ليتناسب مع مواعيد صيامهم وإفطارهم حسب التوقيت الفرنسى .

••••

مؤامرة هندوسية جديدة على المساجد الاسلامية فى الهند

أعد الهندوس فى قرى أيدوهيا وكاشى ومهزا خطة للاستيلاء على المساجد بتلك المدن .

طالب زعيم الهندوس فى كابنور بهجرة المسلمين مؤكدا عدم أحقية المسلمين فى كابنور فى الإقامة ، بينما يتعرض المسلمون فى تلك المدن لعمليات سلب ونهب .

وطالب الزعماء المسلمون الحكومة الهندية بموقف حازم لحماية الجالية المسلمة فى القرى المذكورة .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
● مسئوليات الهجرة — للدكتور على احمد الخطيب	١٢٩
● طوابق المسجد والانتفاع بها — فتوى لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر	١٣٤
● ناصح أمين — لفضيلة الشيخ احمد بن محمد طاحون	١٣٦
● روح الصف فى المعركة — للواء ا . ح . محمد جمال الدين محفوظ	١٣٩
● كشمير الإسلامية ومشكلتها بين الهند وباكستان — للمستشار محمد عزت الطهطاوى	١٤٥
● موقف المسلمين فى يوغوسلافيا — للأستاذ توفيق إسلام يحيى	١٥٢
● ودائع البنوك العادية — للأستاذ الدكتور عبد الستار ابو غدة	١٦٠
● نظرات فى كتاب معاملات البنوك — للأستاذ الدكتور عبد العال عطوة	١٦٦
● قبس من أنوار النبوة : الرحماء يرحمهم الرحمن — للشيخ على حامد عبد الرحيم	١٧٠
● الحاقدون يعترضون على مقسم الأرزاق — لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان	١٧٤
● الفتـــاوى — إعداد : احمد السيد تقى الدين	١٧٩

باب الشعر والشعراء

إشراف : ا . رشاد محمد يوسف

الموضوع	الصفحة
● الاسكندرية — للشاعرة جليلة رضا	١٨٢
● إن السعادة فى الرضا — للشاعر سيد عبد الرءوف سيد	١٨٣
● للزيف قناع متهرىء — شعر : شوقى محمود ابو ناجى	١٨٤
● على لسان محتضر — للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين	١٨٥
● من أعلام الأزهر : الشيخ عبد المنعم فارس — لفضيلة الشيخ السيد حسن قرون	١٨٦

باب العلوم الكونية

الموضوع	الصفحة
● علم التربة وطبيعة الأراضى — للأستاذ الدكتور احمد فؤاد باشا	١٩٢
● المادة ونقيضها فى الكون — بقلم : إسراء على احمد	١٩٧
● الجديد فى العلم والتقنية — د . نجوى السيد احمد	٢٠٠
● طرائف ومواقف — للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٢٠٢
● من روائع الماضى — إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات	٢٠٤

باب اللغة والأدب

الموضوع	الصفحة
● ألفاظ الصدارة فى أساليب العرب — للدكتور احمد عبد العزيز عبد الله	٢٠٨
● قراءة جديدة فى كتاب غير جديد — للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى	٢١٤
● لحظات طيبات مع الإمام زيد بن أسلم — إعداد عادل خفاجة	٢١٠
● أنباء وآراء — إعداد عبد المنعم فودة، مصطفى عبد المجيد	٢٢٣

القسم الفرنسى

الموضوع	الصفحة
المقال الثانى للشيخ ياسين رشدى — ترجمة هدى حسين شعراوى	٢٣٣
المقال الأول : للدكتورة رقية جابر	٢٤٦

القسم الانجليزى

إشراف د . انس النجار

الموضوع	الصفحة
المقال الثانى للأستاذ عبد الحكيم احمد طه	٢٥٠
المقال الاول للدكتور انس النجار	٢٥٤

sa conscience. Il voit aussi bien ce qui est visible pour nous et ce qui est invisible. Il voit dans la nuit obscure, la fourmi noire et entend le bruit sourd de ses pas sur le rocher insonore .

6 - Allah - Gloire à lui - est doué de Parole :

Parmi les Attributs d'Allah se trouve la Parole . Mais Sa Parole est aussi autonme et éternelle que Sa présence et ne ressemble pas à celle de Ses Créatures. Nous appelons «parler» la faculté d'articuler les sons au moyen des organes phonatoires Mais Allah n'a besoin ni de langue, ni de lèvres ni de cordes vocales pour communiquer avec Ses messagers .

Ainsi nous comprenons comment le verbe divin :
«Qu'est cela, dans ta main droite, ô Moïse» ? existait depuis l'éternité avec l'existence d'Allah et fut transmis à Moïse sans avoir besoin de sons,ni de syllables .

Moïse après avoir entendu La Parole divine fut nommé L'Interlocuteur d'Allah .

Ainsi le Coran qui est la Parole d'Allah existait depuis l'éternité Il est le seul Livre dont Allah a garantie l'inviolabilité, l'immuabilité et ne sera l'objet d'aucune altération jusqu'à la fin du monde. Il a été et il sera toujours lu, récité, et conservé dans les coeurs tel qu'il a été révélé à Mohammed le Messager d'Allah - salut et bénédiction sur lui .

Ainsi l'Etre Suprême créa le monde selon un modèle préétabli par Lui, tout se réalise selon les normes et les conditions prévues par le Créateur .

Nous comprenons donc comment notre connaissance du ciel ne provient qu'après avoir vu le ciel, mais Sa connaissance du ciel préexiste à la création du ciel .

Il connait tout ce qui est caché et ce qui est apparent dans le ciel et sur la terre. Aucune parcelle si minime soit - elle ne Lui échappe .

L'Omniscience d'Allah ne se limite point à cela, mais si nous citons des exemples, c'est pour rendre les notions plus accessibles à l'esprit du lecteur. Mais en fait rien n'est comparable à Allah .

3 - Allah - Gloire à Lui - est doué de vie :

Allah est l'Eternel vivant, ni le néant ni la mort ne peuvent l'atteindre.... Il n'oublie, ni ne sommeille, sinon qui veillerait à l'harmonie de cet univers durant son absence ? Il est vivant et sa vie est la source de toute existence. D'autre part, comment pourrait - Il donner la vie s'Il en était dépourvu Lui même ?

Ainsi nous reconnaissons que l'Etre Suprême est Omniscient, Omniprésent, Il est celui qui subsiste par Lui - même et par qui tout subsiste .

4 - Allah - Gloire à Lui - est doué de volonté :

Il faut reconnaître également parmi Les Attribust d'Allah : La Volonté d'Allah est doué de volonté et Sa volonté existe depuis toujours et elle est éternelle. Il a une autorité suprême sur tout ce qui existe dans l'univers, et tout ce qui arrive survient par Sa Volonté...... Le mouvement ou l'immobilité.... La Vie ou la Mort.... Le Bien ou le Mal.... l'Utile ou le nuisible... La Foi ou l'incrédulité... L'augmentation ou la diminution... l'obéissance ou l'insoumission..... Tout ce que nous faisons a lieu par Sa volonté; ce qu'Il ne veut pas n'arrive point. Il a voulu depuis l'éternité que les choses aient lieu dans un temps et un lieu déterminés et elles ont existé conformément à ce qu'il a voulu, sans anticipation ni retard .

5 - Allah - Gloire à Lui - est Celui qui entend et voit tout :

Pour entendre Il n'a besoin ni d'oreille interne, ni d'oreille externe et Il voit sans prunelles, ni pupille. Il entend tout et partout sans aucune propagation de son. Il voit tout et partout même dans l'obscurité totale. Il entend même les pensées et les réfléxions de l'homme les plus secrètes ainsi que les remords de

et de Ses créatures. Gloire à Lui, rien ne Lui ressemble, Il est Celui qui règne sur les cieux et sur la terre .. Rien n'existe en Lui que Lui - même .

II - La Croyance aux Attributs d'Allah :

Le Musulman n'accorde à Allah que ce qu'Il s'est accordé Lui - même et que Son Prophète - salut et bénédiction sur Lui - Lui a attribué. Mais nous ne devons pas nous imaginer que Ses attributs ressemblent en quoi que ce soit à ceux de l'une de Ses créatures vu la difference qui existe entre le Créateur et la créature .

Bref, nous devons croire qu'Allah existe, qu'Il ne ressemble pas aux créatures, qu'Il est éternel dans le passé, comme dans l'avenir, qu'Il est Vivant, Omniscient, Omnipotent, Incomparable, Tout - Puissant. Il est l'Unique dont l'existence est nécessaire à Ses créatures, unique dans la plénitude de Ses perfections, Il est doué de la Parole, de l'ouie, de la vue et des autres Attributs dénombrés par le dogme religieux .

Nous comprendrons cela en expliquant les principaux Attributs de l'Etre Suprême .

1 - Allah - Gloire à Lui - est Omnipotent :

Allah est omnipotent. Tous les pouvoirs ont pour Lui une égale valeur... Rien n'est facile ni trop difficile pour Lui : La création d'une mouche équivaut à la création des mondes. Quand Il veut une chose, Son commandement consiste à dire : «Sois» et elle est. Il n'a besoin ni de membres, ni d'instruments. Il est Le Créateur Tout - Puissant; aucune de ses oeuvres, ne peut échapper à Son pouvoir .

2 - Allah - Gloire à Lui - est Omniscient :

Le savoir de l'Etre Suprême est inhérent à Son existence, Il ne s'appuie sur rien, qui ne soit en dehors de Lui, ce savoir a toujours existé dans le passé et dans l'avenir . Allah est conscient de Lui même de Son Omniscience et tout ce qui existe est conforme à ce savoir. Pour comprendre cela nous donnons un exemple :
L'architecte trace sur une petite feuille de papier le projet d'un palais, il détermine la durée de sa réalisation et se met à l'oeuvre. Dans le temps prévu pour sa réalisation, le palais projeté est construit selon le plan préétabli. Exactement comme il a été prévu .

De ce qui précède, il résulte qu'il est donc illogique de dire que le Créateur a créé l'univers au - dessous de Lui, ou au - dessus de Lui, car le haut et le bas n'existent pas pour Lui..... Gloire à Celui qui ne peut être situé, qu'aucun endroit n'englobe,ni le temps ne limite. Il est ce qu'Il a toujours été auparavant et ne connait point de limites spaciales ni temporelles .

d) Il faut reconnaître également que Allah est Unique . Il n'a point d'Associé, de partenaire ni d'égal, Cette unité est évidente . En effet s'il y avait plus d'un d'Allah chacun d'entre eux se distinguerait des autres .

Si, par exemple, l'Etre Suprême avait un égal, ce dernier jouirait des même pouvoirs qui assujetteraient les créatures, et l'harmonie de l'univers s'en trouverait troublée par la lutte entre les deux .

De même si nous supposons qu'un Etre Suprême soit plus fort ou plus faible que Lui, dans ce cas, le plus fort sera l'Etre Réel et la divinité de l'autre ne serait point justifiée .

Réfutant toute prétention d'autres divinités que Lui dans les cieux ou sur la terre, Il dit «Si des divinités, autres qu'Allah existaient le ciel et la terre seraient corrompus» .

(XXI - «Les Prophètes» - 22)

Il dit encore «Allah ne s'est point donné de fils; il n'y a pas de divinité à côté de Lui, sinon chaque divinité s'attribuerait ce qu'elle aurait créé; certaines d'entre elles seraient supérieures aux autres» .

(XXIII - «Les Croyants» - 91)

Ainsi guidés par des arguments logiques et des témoignages coraniques, nous reconnaissons que Allah est Seul et Unique.Vers Lui tout converge, Il n'a point d'associé ni d'égal .

e) Il faut concevoir qu'Allah - Gloire à Lui - règne en majesté sur Son Trône, et cela de manière très particulière comme il convient à Sa majesté .

Son établissement sur Son Trône a lieu sans contact, ni fixation, ni installation. On ne peut pas non plus interpréter le Trône comme un lieu concret qu'Allah quitte ou vers lequel IL peut se rendre. Ce sont là des questions qu'il vaut mieux ne pas approfondir, car la raison humaine trop limitée est incapable de les pénétrer, il faut y croire sans savoir de quelle façon et sans interprétation . Le Trône ne porte pas l'Etre Suprême, mais le Trône et ceux qui le portent sont soulevés par Son pouvoir et assujettis à Sa volonté .

D'autre part, l'Etre Suprême est proche de Ses créatures, plus proche de l'homme que sa veine jugulaire. Mais si nous utilisons l'épithète «proche», on ne doit pas comprendre cette proximité comme étant semblable à ce qui s'applique aux créatures, vu la différence qui existe entre la nature du Créateur

De ce que nous venons de montrer il en résulte que :

a) II existe un Créateur pour toutes les créatures.
IL préexiste aux créatures et IL sera présent même après l'anéantissement du monde . Sa présence est donc éternelle, sans début ni fin .
Notre raisonnement comprend que chaque créature est limitée par la naissance et la mort . Si le Créateur avait été créé, il y aurait sans doute un autre Etre qui l'anéantira, ce dernier à son tour aurait besoin de ce qui l'anéantirait et ainsi de suite, indéfiniment .... Or, Lui est éternel, aucun ne le précède : II est donc le Premier .
S'il y avait eu un dernier, le Créateur se serait anéanti par lui - même ou par une force destructrice . Et, comme il n'est point logique qu'il s'anéantisse par lui - même, il serait encore plus absurde qu'une autre force l'anéantisse .... Car, dans ce cas, cette force aurait existé avant lui .... IL est absurde de concevoir l'existence d'une force qui précède la force première . Car il faut que le destructeur précède la destruction . Après avoir prouvé que le Créateur est le Premier, on peut également affirmer qu'Il est le dernier .

b) IL faut reconnaître que L'Etre Suprême n'est un corps, ni une entité . Si nous supposons que L'Etre Suprême puisse être un corps, cela signifierait qu'Il est constitué de parties. Les parties composantes auront besoin chacun de l'autre pour subsister, chaque partie aura un aspect et une dimension qui occupera une place, les composantes se rassembleront ou se disperseront. Or, cette conception est relative aux créatures. L'Etre Suprême est indivisible et n'a pas d'extension .

Si nous suposons que L'Etre Suprême puisse être une entité cela signifie qu'IL a besoin d'un espace déterminé où il sera localisé . Par là même, il serait passible soit d'exister dans un autre lieu, soit de sortir de ce même lieu. Or, Lui est illimité, incomparable aux créatures. Il est l'Apparent, Le Caché, les regards ne l'atteignent pas et nul esprit ne peut concevoir Sa nature .

c) Il faut reconnaître également que l'Etre Suprême ne peut être situé dans une certaine direction . C'est Lui qui a créé les quatre points cardinaux : Est, Ouest, Nord et Sud . Il était présent avant leur création . Le dessous et le dessus, l'avant et l'arrière, la gauche et la droite sont des directions relatives à l'homme, en fonction de son aspect . Car si l'homme avait une forme shérique, ces directions n'auraient point lieu d'être. D'autre part, ce qui est devant un être peut être derrière un autre, et ce qui est en position verticale peut être par rapport à un autre en position horizontale . Le meilleur exemple de ce que nous disons est le globe terrestre .

La Foi
en l'Unicité
d'Allah

La Chahada ou La Profession De Foi Islamique

Les deux attestations de la profession de foi islamique sont : "J'atteste qu'il n'y a de divinité qu'Allah et que Mohammad est Son Messager". La langue doit les prononcer et le coeur doit les ressentir.

Ce chapitre est d'une importance capitale, car c'est en fonction de sa foi en Allah que le Musulman façonne sa vie et l'organise dans ses moindres détails. Cette foi est le fondement principal de la vie, elle mène l'homme à la volonté d'Allah. Ainsi, il faut avoir une connaissance approfondie de la profession de foi islamique car la foi ne consiste pas en paroles mais en une dévotion dans le coeur qui est confirmée par les actes.

La Chahada ou la profession de foi islamique nous mène à étudier les articles de la foi qui consistent à croire :

1- En l'Existence d'Allah .
2 - Aux Attributs d'Allah .
3 - Aux Actes d'Allah .
4 - A la véracité des instructions dictées par le Messager d'Allah - salut et bénédiction sur lui .

I - Confirmation de l'Existence d'Allah

L'exposé théologique commence par la démonstration de l'existence d'Allah ou l'Etre Suprême . Cet Etre existe par soi - même depuis l'éternité. Son existence est nécessaire pour que les créatures puissent exister à leur tour .

Dans le Coran, Allah a révélé Son existence et Sa divinité. Plusieurs versets éliminent toute prétention qui allègue l'existence d'autres divinités que Lui dans les cieux ou sur la terre. Tous ces versets affirment l'existence d'Allah comme étant le Maître et le Créateur de l'univers : II en dispose en toute liberté . II est l'Unique Créateur et Il ne partage avec aucune divinité la plus infime parcelle de Son pouvoir ni de Son autorité .

Lorsqu'on contemple cet univers gigantesque on constate que toutes les créatures sont tributaires dans leur existence d'un Créateur, et elles existent selon la forme et la modalité prévues pour elles .

Al-Tawhid
ou
La Foi en L'unicité d'Allah

Par Révérend Cheick *Yassine Rouchdy*..

Hoda Hussein Chaaraoui

Introduction de la traductrice

Mon but en préparant ce petit livret, a été de procurer à tous les francophones, Musulmans ou non-Musulmans, qui désireraient connaître la vraie Foi-le fondement principal de L'Islam - un exposé bref mais clair de l'ensemble de l'Islam,

Mais que signifie Islam ?

Islam signifie soumission et obéissance. En tant que religion, l'Islam prêche la soumission et l'obéissance totales à Allah. C'est pourquoi le fidèle est appelé Musulman.

Toutes les religions du monde tirent leur nom de leur fondateur ou du peuple où elles ont pris naissance. Par exemple, le Christianisme est ainsi appelé du nom de celui qui l'a prêché, le Boudisme de Bouda... et ainsi de suite. Mais il en est autrement avec l'Islam qui jouit de la particularité unique de n'être associé à aucun homme ou peuple particulier. Il n'est pas le produit d'un esprit humain et il ne se limite pas à une communauté particulière. C'est une religion universelle qui a pour but de susciter en l'homme la qualité et l'attitude de soumission à Allah.

J'espère que cet essai pourra satisfaire dans une large mesure aux besoins de la jeunesse Musulmane de notre époque, et aidera les non - Musulmans à comprendre la Foi en l'Unicité d'Allah.

Je remercie les amis, traducteurs et traductrices qui ont bien voulu relire la traduction, relever les erreurs ou suggérer des idées. Je rends particulièrement hommage au Dr. Rokeya Gabr qui m'a été d'un secours inestimable pour la révision de tous les ouvrages que j'ai traduits et pour la transcription des mots dc la terminologie Islamique adoptés par les professeurs d'Al Azhar. A tous, mes vifs remerciements.

Puisse Allah nous aider à suivre Ses Commandements et à mériter Sa Grâce.

Mme Hoda Hussein Chaâraoui

Enseignée dès le IX ème siéle en tant qu'organe des études coraniques, elle était aussi la langue de la jurisprudence islamique.

La connaissance de l'arabe était devenue indispensable même pour les philosophes étrangers. Posséder l'arabe était-pour un étranger - un signe de grand mérite et même un signe d'érudition, Etre de haute culture littéraire, c'était appartenir à une noblesse de mérite. Mais celui qui était Arabe de naissance appartenait à la véritable élite.

D'ailleurs le peuple arabe, depuis les temps pré-islamiques, avait toujours été. sensible à la force incantatoire du discours, puissance révélatrice de la Parole divine. Bientôt, le sens du verbe et l'amour de l'éloquence spécifiquement arabes ne tardèrent pas à se répanderent à travers tout le monde islamique.

La poésie était une littérature destinée au goût raffiné de ces personnes cultivées.

En Espagne on utilisait même la calligraphie arabe pour écrire la langue romane, De son côté, la communauté juive arabisée continuait à employer l'alphabet hébreu pour écrire l'arabe. Respectueux de la tradition libérale de l'islam en Andalousie, et officiellement protégés, ils formaient, ainsi que les Chrétiens, d'importants noyaux de la population.

Rappelons que durant tout le Moyen-Age, la langue littéraire dans toute l'Europe occidentale était le latin. Or, à partir du XII ème siècle et depuis que l'Europe a connu les ouvrages arabes, les intellectuels ont commencé à considérer cette langue comme une langue noble employée par les littérateurs et les savants : l'on commença alors à négliger le latin .

Un écrivain chrétien fanatique de IX ème siècle nommé Alvaro déplorait que les jeunes générations de Chrétiens cultivés ne s'intéressaient plus qu'aux ouvrages arabes dont ils remplissaient leurs bibliothèques, alors qu'ils délaissaient la langue des Chrétiens, l.e. le latin. Il ajoute : » Mes frères étudient les livres des théologiens et des philosophes musulmans, non pour les réfuter, mais pour imiter l'éloquence du style arabe. »

D'ailleurs, certains Chrétiens s'exprimaient parfaitement en Arabe et composaient même des poèmes dans cette langue. Attirés par la poésie et la pensée arabes, ils avaient négligé la langue latine.

Ainsi la fréquence du bilinguisme et la connaissance quasi générale de l'arabe favorisèrent la traduction qui devint la principale voie de transmission du patrimoine islamique.

Dr. Roheya Gabr

Ajoutons à cela que l'opulence fut un facteur favorable à la propagation des sciences, des lettres et des arts .

Ces échanges étaient aussi facilités grâce aux écoles où souvent Chrétiens, Juifs et Musulmans suivaient des cours donnés par des maîtres arabes, mais aussi grâce aux travaux des chercheurs .

Il ne faut pourtant pas oublier que la vie commune, la communication constante avec les Musulmans-surtout en Sicile et en Andalousie — rendaient l'érudition arabo-islamique plus facile à acquérir. Ainsi la transmission orale du patrimoine (pélerins Croisés, commerçants, voyageurs, missionnaires) et l'information orale suppléaient parfois à la diffusion, pourtant importante, des manuscrits arabes .

Notons qu'il existe une différence radicale entre les modes de transmission et de diffusion des idées au Moyen-Age et de nos jours .

Alors que les orientalistes ne disposent actuellement que d'une source principale d'information : le texte écrit, les arabisants de l'époque médiévale avaient parfois acquis une vaste érudition philosophique et théologique de l'Islam, par la simple communication. En effet, au Moyen-Age, la conversation familière, tout comme le débat scientifique, constituaient l'instrument principal de communication idéologique du patrimoine .

Il faut également rappeler qu'une grande part des enseignements religieux de l'Islam étaient — et le sont encore — donnés sous forme orale : récitation du Coran, commentaires et interprétations du Texte Sacré et des Hadiths. Cet enseignement oral est souvent donné par un «Cheikh» ou par l'«Imam» de la mosquée aux Musulmans illettrés .

Or, le Coran est écrit en arabe qui est la langue du Texte divin et c'est pour cette raison même que la connaissance de l'arabe était indispensable à la formation des Musulmans instruits quelle que fut leur origine ethnique ou linguistique. La connaissance de la grammaire et de la lexicographie était nécessaire pour les nouveaux convertis qui devaient lire et comprendre le Coran et les Hadiths .

La connaissance de l'arabe était devenue indispensable comme instrument de communication universelle qui supplantait les autres langues et dialectes locaux .

Dans les territoires incorporés à l'empire islamique, l'arabe finit même par supplanter des langues culturelles comme le grec, le latin, le syriaque, le copte et le persan(3) .

(3) Avec l'Islamisation de l'Iran, le persan fut écrit en caractères arabes et s'enrichit d'un vocabulaire emprunté de l'arabe .

côtoyèrent, la civilisation musulmane était la plus raffinée .

La cour de Roger II à Palerme comptait autant de Musulmans, que de Chrétiens bilingues (arabe-grec) et même parfois trilingues, tous versés dans la science et la littérature arabes .

Ecclésiastiques et nobles vivaient à côté en harmonie avec les hommes de lettres et les savants musulmans d'Espagne d'Afrique et d'Orient .

Frédéric II qui avait dans son conseil un grand nombre de savants musulmans et arabes, rassembla une magnifique collection de manuscrits arabes couvrant tous les domaines. Il les fit traduire en latin afin d'en envoyer des copies à Bologne et à Paris. C'est lui qui fonda en 1224 la première université de l'Europe occidentale à Naples : de ce foyer, les sciences et les lettres furent diffusées dans toute l'Europe médiévale . En effet, la proximité de l'Italie permit le passage de ces connaissances vers le Continent .

D'autre part, l'admiration des Espagnols pour la culture arabe les poussa à se plonger dans la lecture de la philosophie arabe et des textes islamiques . Ainsi ils connaissaient le texte du Coran (traduit en latin en 1143 JC), nombre de Hadiths, ainsi que des épisodes de la vie du Prophète Mohammad, et cela aux fins de controverses religieuses .

Dès la fin du XI ème siècle les habitants de l'Andalousie ne cessèrent d'enrichir leurs connaissances du savoir importé de l'Orient musulman : ils invitaient des savants, envoyaient des chercheurs et groupaient tous les ouvrages nouveaux et anciens. Comme l'Espagne avait gardé des relations culturelles étroites avec l'Orient musulman, les ouvrages importants arrivaient en Andalousie peu de temps après leur parution. Et, réciproquement, les oeuvres des savants et écrivains hispano-musulmans contribuèrent à l'enrichissement du patrimoine arabe .

Les chercheurs voyageaient très loin pour rencontrer les savants arabes éminents : il était courant de les voir quitter l'Espagne en direction des grands centres de rayonnement culturel (Médine, Damas ou Baghdad) ...

C'est pourquoi, lorsque les Chrétiens s'emparèrent de Tolède en 1085, des étudiants et des chercheurs affluèrent de tous les coins d'Europe afin d'étudier de plus près les sciences islamiques . C'est alors que le mouvement de la traduction connut son plein essor. C'est ainsi qu'au XII ème siéle. Tolède devint un grand centre de diffusion de la civilisation islamique .

Avec ce nouveau savoir transmis par l'Andalousie aux pays avoisinants, la culture arabo-musulmane raffinée commença à s'infiltrer dans les pays occidentaux .

D'autre part, l'unité de langue et de religion dans l'ensemble du monde musulman a facilité les échanges, non seulement de livres et de savants, mais aussi d'idées .

produit à quelques dizaines de lieues des sommets enneigés de l'extrême-sud de la Gaule»(2) .

Peu à peu l'Espagne musulmane commença à jouer un rôle prépondérant dans l'économie du Bassin méditerranéen et dans l'amélioration de l'existence matérielle de cette région .

Ce mode de vie où règnaient le luxe et l'aisance et où fleurissaient les arts et les belles-lettres commença bientôt à dépasser les frontières d'Espagne et de Sicile pour s'étendre à l'Europe et aux pays nordiques où il imposa une nouvelle esthétique de la vie. Ajoutons qu'une grande école de non-musulmans servit d'intermédiaire entre la civilisation islamique d'une part, et le monde occidental avide de connaître cette civilisation, d'autre part .

II. La diffusion du patrimoine arabo-islamique en Occident :

Par suite des conquêtes arabes, les contacts de l'Europe aves le monde musulman se multiplièrent. Mais à partir du XI ème siècle le commerce commença à se développer dans le Bassin méditerranéen (Gênes. Venise) et surtout avec l'Andalousie qui offrait la seule voie terrestre permettant aux civilisations d'Europe et d'Afrique de communiquer directement .

D'autre part, les pélerinages chrétiens à St. Jean de Compostelles et les caravanes se dirigeant vers la Palestine étaient fréquents (après le traité signé entre Charlemagne et Haroun Al Rachid) .

Il est indéniable que les Croisades, surtout en Syrie et au Liban, permirent un contact plus étroit avec la civilisation islamique. En effet, les périodes de trève permirent aux savants et aux traducteurs qui accompagnaient les Croisés, de consulter, de traduire ou même d'emporter des ouvrages dans divers domaines. De plus, les captifs musulmans ramenés par-delà les Pyrénnées après la prise de la ville de Barbastro, enseignèrent à leurs maîtres des techniques et des modes de leurs pays d'origine .

Ce furent surtout les Croisades des chevaliers français en Espagne au XI ème siècle qui favorisèrent les échanges culturels. Enfin les missionnaires avaient appris l'arabe et étudié les coutumes des Musulmans pour mieux les réfuter .

Toutes ces relations nouées par suite d'échanges pacifiques ou d'entreprises hostiles ont permis ou monde occidental de connaitre de plus près la civilisation islamique .

Dans la Sicile, presque entièrement islamisée, des trois civilisations qui se

(2) Philippe Sénac, l'Image de l'Autre, ... p.47 .

La cité islamique andalouse brillait surtout dans les domaines culturels, économiques et artistiques; elle devint bientôt un centre de diffusion vers l'Occident européen au cours des XII ème siècle et XIII ème siècle siècles .

Le prince Abdel Rahman II adopta les usages traditionnels des Califes (pompe, organisation du service, vêtements somptueux). C'est sous son règne qu'on introduisit en Espagne les riches tapies provenant de Baghdad ainsi qu'une multitude d'objets rares et précieux .

C'est de son époque que date également l'introduction des sciences, des lettres, des arts et même de la cuisine d'Orient .

Par l'intermédiaire du musicien Ziryab, il introduisit dans la société de Cordoue les raffinements de l'Orient; ce dernier fonda un conservatoire de musique andalouse et fut le promoteur de toutes les modes nouvelles .

Ainsi Cordoue devint l'une des plus grandes capitales du monde civilisé .

D'ailleurs toutes les cités andalouses connurent une vie intellectuelle intense. Les cours des rois musulmans (Tolède Grenade, Valence, Séville, ...) étaient des cénacles où les artistes, les lettrés, les poètes, les médecins et les savants vivaient dans l'aisance matérielle grâce à des princes éclairés. Ainsi, la culture andalouse qui connut un incomparable renouveau des productions de la pensée, attirait les philosophes, les savants et les nobles venus de tous les coins d'Europe et surtout d'Italie. (Séville attirait particulièrement les nobles italiens) .

Comme les rois de Séville avaient un penchant pour les belles-lettres, ils rivalisaient à récompenser poètes et prosateurs. Ces poètes ajoutaient de l'éclat à cette société raffinée; ils s'attachaient souvent au service d'un monarque ou d'un prince. De nombreux princes d'Andalousie furent eux-mêmes poètes .

D'autre part, la femme en Espagne musulmane jouissait d'une liberté relative et tenait dans la vie familiale et sociale un rôle plus important que dans le reste du monde musulman .

Ajoutons à cela que la majorité des riches commerçants étaient des artistes, des amateurs d'art ou des hommes de goût : ils achetaient des bibelots de valeur des oeuvres d'art, s'intéressaient à tous les aspects de la culture et surtout encourageaient hommes de lettres et artistes .

Les grandes villes musulmanes d'où provenaient les étoffes de soie, les tapis de laine, les cuirs finement travaillés, les bijoux en or ciselé, excitaient l'imagination des Européens encore plongés dans la barbarie .

«Tout ce dont l'Occident manquait, nous dit Philippe Sénac, était entreposé et

La philologie arabe brilla d'un éclat remarquable dans la voie du classicisme le plus pur grâce aux Andalous qui allaient en Orient puiser aux sources du savoir .

Mais cette tendance conservatrice se révèle également dans le domaine littéraire où l'emprise de la pensée hispanique, très vivace dans nombre de disciplines littéraires, a largement contribué à la réputation de la culture arabe en Espagne. Cependant, malgré son originalité, la poésie andalouse reste très orientale et très classique, car on garda toujours le souci de conserver intacte la tradition et la prééminence littéraire de la langue arabe .

Après avoir imprimé son propre cachet au legs arabe qu'elle avait reçu et conservé avec amour, l'Andalousie, sous le règne des Califes, commença à faire rayonner hors de ses frontières. son prestige de grande nation civilisée .

Des Arabes de race formaient l'essentiel de l'aristocratie et de la bourgeoisie urbaine en Andalousie. Ils ne tardèrent pas à s'amalgamer aux habitants de la Péninsule, progressivement convertis à l'Islam. Il y eut pendant cette période une interpénétration constante entre l'Espagne et la civilisation islamique. Des liens de plus en plus étroits, à la suite de mariages (Alphonse VI. le conquérant de Tolède, épousa Zaïda, fille de l'Emir de Séville), contribuèrent au brassage ethnique entre Arabes, Berbes, Berbères et «muwallads» . Cette population hispanique formait — dès le III ème siècle de l'Hégire — un noyau déjà important de l'ensemble de la population de l'Espagne musulmane .

Ainsi, sans céder ni leur territoire, ni leurs croyances à l'envahisseur arabe, les Chrétiens espagnols s'étaient laissés imprégner par la nouvelle civilisation .

D'autre part, les Juifs dont la condition s'était améliorée après l'occupation arabe, adoptèrent la culture dominante i.e. islamique .

Sous l'occupation arabe et même après cette occupation, les Chrétiens d'Espagne, comme les Siciliens, avaient adopté tous les aspects de la culture des occupants; on cite, entre autres, le nom d'Alphonse le Savant, roi de Castille (1252-1284) qui a particulièrement apprécié la culture arabo-islamique .

La civilisation islamique en Andalousie devint florissante sous le règne des ommeyades. Du XIème siecle au XIV ème siècle les relations culturelles et les apports économiques entre l'Orient et l'Espagne connurent une grande activité .

Les produits fabriqués dans les ateliers andalous étaient transportés dans tout le Bassin méditerranéen (zibeline de Saragosse, poteries de Malaga, bijoux de Cordoue etc ...) .

La conquêre de l'Espagne par les Musulmans

C'est au début du 8ème siècle que les envahisseurs Arabes occupèrent l'Espagne où, pendant plus de cinq siècles, l'Islam va constituer la plus grande puissance de la Péninsule Ibérique et de l'Afrique du Nord .

Les Musulmans avaient en outre conquis toute la région de Narbonne dans le Midi de la France (reprise en 750 JC) .

Rappelons qu'au début du 8ème siècle la chrétienté était un monde clos, mal informé, recroquevillé sur lui-même, confiné dans des horizons étroits où l'information extérieure était très réduite; et l'Europe, profondément rurale, était encore barbare .

Les chroniqueurs occidentaux aiment à montrer l'invasion musulmane de l'Espagne comme une occupation barbare. Or, les Arabes possédaient un empire qui devint dans les deux siècles qui suivirent l'occupation de l'Espagne, porteur d'une culture et d'une civilisation admirables .

Fière de son passé islamique, l'Espagne d'aujourd'hui reconnait qu'elle doit aux Arabes une des plus belles périodes de son patrimoine historique et intellectuel .

Cependant, à l'intérieur du monde musulman, l'occident formait un monde à part : l'Espagne musulmane n'était pas une province de l'Empire musulman mais un état indépendant qui a gardé des relations économiques et culturelles étroites avec l'ensemble des états musulmans .

Bien qu'elle soit devenue un royaume indépendant à l'extrémité de l'Empire arabe, l'Espagne musulmane a conservé tout au long de son histoire un attachement presque filial et surtout religieux au monde arabe et à sa civilisation .

En effet, la population andalouse, fermement attachée à l'Islam et à son idéal religieux, par son application à défendre et à illustrer le langage arabe, voulait marquer sa dévotion et sa soumission à l'idéal de l'Islam dont l'arabe était le véhicule .

Ainsi les savants andalous, dans le domaine des sciences religieuses, avaient apporté leurs pierres à l'édifice imposant de la littérature arabe dont ils constituaient une partie honorable .

Ce conservatisme résolu de l'Espagne s'est manifesté du point de vue du dogme et de la loi et les «faqih», représentants de la culture arabe classique, y occupaient une place privilégié .

Dans le domaine des sciences religieuses, les savants andalous ont porté leur contribution au travail d'exégèse et d'interprétation jurisprudentielle. D'autre part, les sciences coraniques au niveau de la prononciation et des recensions du texte sacré se sont développées et la science du Hadith connut de bons artisans andalous .

Ces rois protégèrent les savants porteurs du flambeau de la brillante civilisation islamique et invitaient même ceux d'Egypte et de Syrie à visiter leur royaume. Au début de leur règne, on comptait un grand nombre de savants, de théologiens et de poètes. Ainsi on chantait la poésie arabe dans la cour normande de Sicile où il se fonda même une école de poésie au XIIeme siècle .

Les Normands, séduits par les coutumes, les habitudes et le mode de vie islamiques, les adoptèrent de sorte que le royaume normand de Sicile ressemblait à un royaume islamique d'Orient : Ils imitaient les Arabes dans le port des ombrelles et même dans les coutumes alimentaires (certains avaient pris à leur service des cuisiniers arabes) .

Les rois et les courtisans avaient adopté le costume islamique et les tuniques brodées d'inscriptions arabes. On avait même fondé un «Diwan» de broderie où travaillait un grand nombre de Musulmans .

Les femmes chrétiennes imitaient leurs compatriotes musulmanes dans le port du voile et s'entouraient des mêmes atours (robes de soie d'or, voiles de couleurs, babouches dorées); elles se parfumaient même comme les musulmanes .

Il y eut également des mariages entre Chrétiennes et Musulmans et les enfants nés de ces unions parlaient plusieurs langues dont l'arabe .

Le roi Frédéric II de Sicile et d'Allemagne (1194-1250) était mi-allemend, mi-italien. Comme il avatit grandi en Sicile, son éducation était imprégnée des cultures grecque et arabe .

Philosophe, poète, amateur d'art et polyglotte (allemand, italien, latin et arabe), c'était un esprit curieux qui n'hésitait pas à correspondre avec les savants d'Afrique et d'Andalousie pour les consulter sur certaines questions .

Il voyageait aussi bien en Terre Sainte (à Jérusalem) qu'en Italie, entouré d'un cortège en turbans .

Il était fortement influencé par la civilisation musulmane et ses manières étonnaient à la fois les Musulmans et les Chrétiens. On le surnommait le «semi-oriental» : il avait à sa cour un grand nombe de savants et même de chanteuses et de danseuses arabes .

L'attitude de cet empereur-chrétien de nom choquait le Pape et les autres rois chrétiens qui se lamentaient publiquement d'un tel scandale .

Son fils, l'Empereur Manfield qui admirait beaucoup les savants musulmans, continua l'oeuvre de son père : il invitait les savants de tous les états musulmans à venir à sa cour .

par le sud et de l'Italie par le nord) en fit un lieu privilégié de rencontre du monde arabe et du monde occidental .

Par l'occupation de l'île de Crête en l'an 310 Hg. (825 JC) les Arabes détenaient la suprématie du commerce dans le bassin méditerranéen .

Ainsi la Sicile, par son emplacement, devint le lieu de rencontre de commerçants et de voyageurs venus de tous les coins du monde .

De plus, cette activité ne se borna pas aux échanges de denrées, mais s'étendit à des échanges plus durables dans le domaine de la culture : les bateaux y amenaient des savants venus de tous les états de l'empire musulman .

La Sicile jouissait ainsi d'une grande prospérité économique qui contribua à l'essor de la civilisation .

Palerme devint la capitale des Arabes : elle joua un grand rôle dans le commerce, la construction des bâteaux et connut un grand développement agricole et industriel. On y fonda la première école de médecine en Occident .

Lorsque les Normands reprirent la Sicile aux Arabes, les habitants de l'île formaient un ensemble hétéroclite (Arabes, Berbètres, Grecs, Romains, etc ...), ils laissèrent à chacun la liberté de pratiquer sa religion .

En outre, les rois normands, sensibles au progrès des Arabes dans les sciences, les arts et l'industrie, et conscients du profit qu'ils pouvaient en tirer, encouragèrent la communauté islamique à rester sir l'île .

Roger ler (1061 - 1081 J.C) protégea les Arabes à qui il laissa, ainsi qu'aux Juifs, la liberté de pratiquer leur culte. Il parlait lui-même l'arabe et sa cour était à l'image de ses puissants voisins musulmans. On a retrouvé des monnaies portant des inscriptions arabes qui datent de son époque .

Roger II (1129-1154) et William II (1166-1184) parlaient également l'arabe et s'entouraient de conseillers, de savants et même gardes arabes .
Ils gardèrent l'arabe comme langue officielle à côte du grec et du latin. Leur monnaie portait des inscriptions islamiques[1] Même les inscriptions sur les tombeaux de ces rois comportaient des formules arabes. Ils adoptèrent aussi le calendrier musulman .

L'usage de l'arabe à côté du latin sous les Normands contribua à resserrer les liens culturels entre la Sicile d'une part, et les autres états du monde arabe, d'autre part. Ceci facilita également leur correspondance avec les autres états musulmans .

(1) On a ainsi trouvé des monnaies portant la profession de foi islamique لا إله إلا الله محمد رسول الله ou encore. الحمد لله حق حمده .

ibn Affan » (23-35 Hg, 644/655 JC). Ensuite, les invasions islamiques se succédèrent et Mo'awiah Abi Soufiàn envoya une expédition militaire en l'an 47 de l'Hégire (668 JC). Cette expédition connut quelques succès et les Arabes rentrèrent avec un gros butin.

Après l'occupation de l'Afrique de Nord par les Musulmans, la ville de Kairouan devint le quartier général de l'état islamique en Afrique du Nord : elle possédait une base navale importante..D'autre part, Tunis possédait un grand arsenal.

La proximité de la Sicile, ses problèmes intérieurs, la grande richesse de cette île et enfin l'appui des Musulmans d'Orient, contribuèrent à en faciliter la conquête .

Les Arabes se sont ensuite emparés du sud de l'Italie, de la Corse, de Malte et des îles de la Méditerrannée dont ils devinrent les Maîtres incontestés .

Le règne des Arabes en Sicile dura de l'an 212 de l'Hégire (827 JC) à l'an 464 de l'Hégire (1071 JC). Alors que la première période de ce règne fut caractérisée par des guerres continues, sans aucune période de trève, la seconde, celle du règne des Fatimides, fut une période de propagation de l'Islam et l'on donna le titre de «Prince des Croyants» à Abdallah Al Mahdy .

Ce sont les Normandes qui mirent fin à l'occupation arabe en Sicile au XI ème siècle J.C.

Pourtant la civilisation arabe continua à se propager même après leur départ. Ces conquérants avaient laissé en Sicile de nombreux vestiges aussi bien dans le domaine culturel et architectural (le style gothique) que dans celui de la langue (beaucoup de mots italiens sont d'origine arabe) .

Sous le règne Fatimide, la religion islamique, la langue et la civilisation arabes se répandirent sur l'ile .

On a trouvé, en plus des mosquées, des centres d'instruction (Kuttab ou Katatib) où le nombre de professeurs était très important .

La politique des occupants arabes encouragea les savants à séjourner sur l'ile. D'autre part, la proximité de la Sicile permit à beaucoup d'écrivains, de voyageurs et de savants d'y affluer de toutes parts .

Ainsi, le règne des Musulmans, qui dura environ 3 siècles, a fortement marqué la Sicile de l'empreinte arabo-islamique, si bien qu'elle rivalisait avac l'Andalousie comme centre de propagation des connaissances dans les domaines des sciences, des lettres et des arts .

D'autre part, la position géographique de la Sicile (proche du continent africain

régions françaises à cause du nombre toujours croissant de pélerins qui se rendaient à Compostelles .

Comme les contacts étaient constants entre Chrétiens et Musulmans (guerres, commerce, voyages, pélerinage en Terre Sainte ...) l'Europe tira un grand profit de cette civilisation islamique qui dépassait tout ce que l'Occident médiéval pouvait imaginer .

En outre, les Arabes étaient différents des peuplades barbares qui détruisaient et pillaient les pays conquis . Ils étaient célèbres par leur amour et leur encouragement pour toutes les expressions culturelles .

N'oublions pas que la tolérance s'inscrit parmi les virtualités de la mentalité musulmane et que la guerre sainte ou «Jihad» ne fut jamais entreprise comme une conquête visant à l'extermination des peuples. D'autre part, la religion islamique comportait elle-même tous les fondements d'une culture authentique .

Ainsi, les pays occupés par les Arabes devenaient de grande centres civilisés, fréquentés sans crainte par les savants et les chercheurs venus de tous les coins du monde en quête de savoir et de connaissances .

C'est pourquoi les pays, à l'ombre de la conquête arabe, connurent un courant civilisateur extraordinaire. Durant sept siècles, la cité ilslamique a été un centre de rayonnement pour les philosophes, les penseurs et les écrivains occidentaux.

Les échanges culturels étaient fréquents à travers tout le monde musulman, car, pour les Arabes, les voyages étaient une chose facile, Appartenant à un peuple commerçant et nomade à l'origine, ils possédaient vers l'an 800 une flotte qui dominait la Méditerrannée : La Mecque était devenue un grand centre économique et commercial.

Pourtant, si l'Islam a encouragé le commerce, c'étaient les italiens qui assuraient à travers la Méditerrannée les échanges commerciaux entre l'Europe et le monde musulman. Les ports italiens de Vénise, et de Gênes devinrent bientôt de grands ports de commerce.

D'autre part, une grande partie de l'ancien commerce des esclaves se faisait par l'Espagne vers les pays d'Orient.

Le règne des Arabes en Sicile

Dès le ler siècle de l'Hégire, des Arabes avaient essayé à plusieurs reprises d'envahir la Sicile et les iles de la Méditerrannée, mais en fait, ils n'ont occupé la Sicile qu'au 3 ème siècle de l'Hégire .

La première invasion islamique de la Sicile eut lieu sous la Califat de « Osman

Dans la mentalité médiévale, le «Sarrasin» était peint sous des traits démoniaques et on lui attribuait tous les défauts : laid, cruel, perfide, fanfaron, barbare, etc. Matérialisant les hantises des Chrétiens, il devint même un personnage littéraire à qui l'on attribuait toujours le rôle du «méchant» .

Ainsi dans La Chanson de Roland, la religion musulmane, dénaturée par l'esprit des Croisades, découle d'un référent chrétien. Le «Sarrasin» est souvent même présenté comme un polythéiste : le nom d'Allah n'est jamais mentionné (alors que les Musulmans le prononcent souvent et plus particulièrement au cours du «Jihad».

Coupables d'ignorance, ils peuplèrent le monde de l'Islam, en laissant libre cours à leur imagination fantaisiste .

Cependant à mesure que les contacts avec les Arabes devenaient plus fréquents dans les régions occupées par les Musulmans au Moyen-Age, les appréciations des Chrétiens se nuancèrent .

D'autre part, dans les pays occupés par les Arabes, comme l'Espagne et la Sicile, on put apprécier les aspects remarquables de la civilisation arabo-musulmane .

A la suite des observations des Croisés, de l'essor commercial et des contacts directs, l'image de la société islamique s'affirma et l'Islam devint synoyme de raffinement, de luxe et d'exotisme .

Pourtant ce mythe de l'Islam - malgré la diffusion du savoir n'a-t-il pas laissé de traces dans les mentalités occidentales ?

A partir du siècle dernier, un nouveau courant défend une vision plus objective de l'Islam. Pourtant, certains orientalistes s'obstinent à refuser tout crédit à la civilisation islamique, entravant par la même les possibilités de dialogue reel entre l'Orient arabo-musulman et l'Occident chrétien .

1. LA PRÉSENCE ARABE EN OCCIDENT

La civilisation islamique connut son âge d'or entre le milieu du X ème siecle et le XVII ème siècle, et la culture arabe, loin de ce limiter à une région déterminée, s'étendit partout où l'Islam était prédominant .

L'Islam s'est propagé dans le Bassin méditerrannéen grâce aux conquêtes de l'Espagne, du Midi de la France, de l'Italie, des Baléares, de la Sicile et de l'Afrique du Nord .

Il se fonda ainsi un empire musulman sur les frontières du monde latino-chrétien. Des relations étroites commencèrent à naître tout particulièrement avec certaines

RAYONNEMENT DE LA CIVILISATION ISLAMIQUE

SUR L'OCCIDENT MEDIEVAL

Par
Dr Rokeya GABR

INTRODUCTION

Pour apprécier une civilisation à sa juste valeur, le meilleur moyen est de la comparer à d'autres cultures. Or, les recherches visant à trouver le lien entre l'Islam et les autres cultures prennent un intérêt croissant .

Ainsi, l'Islam médiéval qui a fasciné l'Europe par l'éclat de sa civilisation, a joué un rôle de tout premier plan dans l'histoire de la pensée universelle : la civilisation arabo-musulmane eut un impact indéniable sur la culture de l'Europe médiévale .

Dans le Haut Moyen-Age, l'Eglise avait dressé un «rideau de fer» entre l'Islam et la Chrétienté. D'un autre côté, les musulmans, fiers de leur supériorité, méprisaient ceux qu'ils qualifiaient d'«infidèles barbares» .

Les mentalités chrétiennes restèrent longtemps imprégnées d'une image outrageusement noircie de la religion de ces rivaux .

Soucieux de gagner les fidèles à leurs idées, les hommes d'Eglise dépeignaient ceux qu'ils appelaient «Les Sarrasins» sous les traits les plus grossiers afin d'inspirer aux Chrétiens de la crainte et de l'aversion .

Cette image subjective, à la fois floue et imprécise, était en fait le produit d'une aversion et d'une terreur maladive .

La tradition historique a consciemment prolongé cette image d'un Islam inconnu qualifié d'hérésie, d'imposture et de débauche. Cet Islam dépeint sous les traits de la violence, de la cupidité et de l'intolérance resta ainsi longtemps gravé dans les mémoires .

REVUE AL-AZHAR

Section Française

Comité de Rédaction :
Dr Rokaya GABR, Professeur adjoint au
Département de Langue Française et de Traduction

M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

CONTENU

Dr Rokaya GABR
1 - Rayonnement de la civilisation islamique
sur l'occident Médieval (1ère partie)
Mme Hoda Hussein Chaaraoui
2 - La foi en L'unicité d'Allah (1ère partie)

The broad wide definition of the word "road" in the text of the Hadith, comprises all spaces utilized for public use, communications, all forms of transportation, highways, roadways, avenues, thoroughfares, parks, gardens, courts, passages, lanes and everything that comes under such categorization. They include all desert trials, bridges, mountain pathways, trains, railway tracts and stations, all channels of air travel, and all routes of sea travel, including aeroplanes and ships. The preservation of safety, removal of danger and the upholding of propriety in all these systems of communication and transport, requires an optimal structure of diligent organization and precision. This necessitates the utmost cooperative adjustment of effort between the individual, the family, the syndicate groups, the society, and the state. The problem of road security has recently escalated to become an issue of international concern. Most countries are establishing anti-terrorist measures. Engineering companies are active in identifying quality control actions with the aim of establishing an optimal system of safeguards against accidental occurrences.

Another important means of communication in the human society are the mass media which include all types of telecommunications such as wireless, television and the like. These systems have brought about a drastic change in the transfer of culture and knowledge between the various groups of the human race. It is imperatively urgent and compelling to organize a discriminative selective process of optimized justification and differentiation of the material introduced to the human public of all ages through the wireless and television systems. These systems should be utilized to spread useful information, culture, beneficial knowledge, human values; and to bring about the various groups of the human race into a more integrated coherent community. Instead, much of the substance presented are seductive, unchaste, and degrading to human values of decent propriety. This issue is becoming much more malignant than anything else that is pathological and detrimental to the human society. It is the duty of the men of wisdom and knowledge to work in standing effort against the virulent plague of social pornography, the profligate carnality, the ribaldry of dissipated acts that are increasingly polluting the propriety, decency and true freedom of the human individual. The maxims of human rights are justice, and the wholesome emancipated liberty of body mind and soul to attain the dignity of self fulfillment. The devaluation of the human status by the expanding filth of pornographic presentations result in the most unjust, degrading humiliating form of enslavement and subjugation that mankind has suffered.

The preceding considerations indicate that the context of the Hadith encompasses an extensive domain of human life. The infinite inherent meanings of the Hadith have ramifications that reach every element of human life. The broad definition of the word "road" is in reality the complete integrated structural matrix of human life.

The total of human environment, everything that pertains to the mind, body and soul of mankind; comes under the definition of the word road. Removal and elimination of all forms of danger and evil is certainly a profound form of benignity. The roots of wisdom in the Hadith of the Prophet - prayers and peace from Allah be upon him.

Translated from the Arabic original by the Editor.

obstruction for pedestrians and other vehicles. The pavements should be left free for use by people on foot and should not be narrowed or occupied by merchandise, newspaper stands, or coffee shops.

The proper and continual maintenance of roads is another important aspect of road safety and elimination of danger from communication pathways. All actions of repair, installation, construction, sewage works, and the like should be done with the highest degree of organization to ensure safety. Building debris and construction material must be handled in such a manner to prevent inconvenience and danger. Organization of such matters have developed into a system process that should be implemented whenever the need arises. It is a form of eloquent respect and decorous behaviour to other fellow citizens.

Another aspect of thoroughfare safety that civilized societies should achieve is the beauty of roads and its environs. Parks, gardens, play and picnic sites, emergency communication systems, and other similar facilities. Safe passage of cattle across trials, pathways and pasture ground should be considered as an important aspect of road safety.

Civilized societies must preserve roads and all passageways with an environment of decency good taste, propriety and social convention. All degrading sights, demoralizing conduct, obscene vulgar language, acts, posters or photographs must be strictly forbidden and prohibited. Roads and communication routes, land, air or sea, on a small scale or large, are actually part of the common human life. Different to anything else in society, every man, woman, child and infant has continual access to roads; they are indispensable to the life of every human. The human public must always to exposed to features of literary elegance, social decorum and acts of propriety. Obscene language, and pornographic displays should be absolutely forbidden as public spectacles. Such presentations destroy human value, corrupt social systems, degrade mental abilities, debauch and pervert the basic physical relationships of mankind. Nothing is more detrimental to the preservation of human values than the devaluation of virtue and chastity. The current invasive spread of salacious indecent pornography is the most devastating disease inflicting human societies at present time. The detrimental impact on the psychological, mental and physical health of the human race, as a result of such social degradation will cripple and castrate the very roots of humanity.

The Hadith advocates a certain culture that must be educated and instituted to the growing generations from young age. Such culture should justify and optimize the understanding that roads and communication systems of all kinds are public property, owned and used by every member of the public. Based on such understanding, it becomes imperative that every member of the society should regard roads and communication systems with the high degree of dignified respect, and attentive observance. The Hadith evaluates the proper care, safety, cleanliness, and elimination of danger from the roads as an act of benignity, goodness, excellence, virtuousness, and benevolence. Through this doctrine, the issue of the preservation of road safety and removal of all forms of danger to mankind, is intimately associated with Divine commendation. This issue constitutes all features and traits of safety, security and preservation. This includes both physical safety and the proper safeguard of human values, decency, propriety, virtue and the upholding of social observances and graceful dictates.

The Roots of Wisdom
Hadith of the Prophet

Elimination of Danger from the Road is an Act of Benignity

By: Abdel-Hakim Ahmad Taha

The elimination of danger from the road is an act that renders the road safe without peril, menace or threat. In the Arabic context of the Hadith, the road signifies all places utilized by mankind which serves as a pathway of communication to all society. The right of passage on roads is the right of all individuals. The elimination of danger from the road is tendering the road to be safe from fear, evil, danger, threat, dirt and indecent vulgarity. The meaning indicates that the word "road" implies several meanings, and also the word "danger"; and the desired understanding relates to the meaning that the decent decorous disciplined safety of all human pathways of communication is a highly desirable act, equivalent to benignity. Every man, woman and child is in reality responsible for the decency and safety of our channels of communication.

The accomplishment of such goals requires certain culture instituted from young age to respect and safeguard the dignity and security of the roads. Our channels of communication are part of our environment. The human race should learn to understand the real value of roads and communication systems, their position in human life, and the importance that these roads and pathways play in a civilized society.

The road is a common system of communication, of which there are several types and various sizes starting from village lanes and ending with transboundary highways that join one country to another. All these must be kept clean, safe, and secure in order to serve their purpose with optimal efficiency. The tidiness, safety, security of these roads and their ability to serve their purpose is the responsibility of several fractions of the society. The major moral delegation rests on the society; the public should make continuous effort to ensure the proper organization for easy passage through our roads, their should be no obstruction of any kind. The roads should be well controlled regarding cleanliness, all dirt, garbage or litter should not be thrown or left on pavements. The collection of waste and refuse in civilized societies is a systematized process that is routinely undertaken by an organized public action. Individuals who purposely scatter litter on roads should receive a certain form of punishment.

The roads should be free from obstacles and parking cars, in order to allow free passage through the roads. The thoroughfare must be efficiently structured and maintained to accommodate temporary vehicle loading and unloading to prevent crowding and

brought Omar ibn Al-Khattab very close and intimately aware of the true candid conditions of the Ummah. The archives of early Islamic history are copiously rich with narratives of how Omar was closely associated with the daily life of people, their requirements, demands and intimate needs. His famous words were very sincerely practiced "How can I concern myself with the affairs of the people unless I know and share the tribulations they endure". These words indicated how Omar ibn Al-Khattab conceived the responsibility associated with authority. From the experience gained from his intimate close association with the daily life of people, Omar could reach standards of social legislations that were very justified to the needs of the Ummah. Omar's cognizant attention to the requirement of people made him a popular potentiate champion of the Ummah, greatly loved, respected and avowed.

Besides all the domestic problems at Al-Madinah and all over the Arab Peninsula, Omar ibn Al-Khattab attended to all the details of the Muslim crusaders in Persia, Syria, Palestine and the campaign in Egypt. The jubilant triumphant banners of Muslim warriors crossed to Al-Qadissyiah to Nahawand, across the desert plains of Persia to reach Azerbejan and Khorasan; the victory at Damascus and capture of Jerusalem; the conquest of Babylon and the surrender of Alexandria. The marching victories of Muslim warriors totally vanquished the Persian Empire, and the Eastern Roman Byzantine Empire. Islam was spreading and proliferating, establishing a regime of justice, liberty, enlightenment and social stability of ecumenical understanding. Omar ibn Al-Khattab was the man at Al-Madinah behind every move, every foot step on every inch of the long strenuous path of "Jihad". Omar ibn Al-Khattab, the master mind, the engineer of Muslim crusades, the champion of proliferation of Islam, the paradigm of the true meaning of Jihad.

understanding of serving Allah was serving Islam, and this came about by the precise implementation of Islamic doctrinal teachings, through the function of Allah's providence.

The reign of Omar ibn Al-Khattab was particularly characterized as one of meticulous justice. The various narratives cited in the extensive bibliographies of Omar indicate the very sharp highly optimized system of justice that was strictly practiced during the reign of Omar ibn Al-Khattab. He believed that "the root of sovereignty is justice", and that "the nation with justice remains to eternity, and the nation with injustice will soon recede." To Omar ibn Al-Khattab, justice was the steering wheel of administration, the essence of success, the potential of authority, the fountain of affluence, and the fluid of prosperity. Justice as the most influential feature of human life was optimally realized and strictly practiced by Omar ibn Al-Khattab as the man at Al-Madinah.

The complete system of Muslim administration during the reign of Omar ibn Al-Khattab was based on the doctrines of Islam, the Islamic shariah and the practices of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The genesis of administrative patterns developed during the time of the Prophet, the years of Abu Bakre as Khalifah of Rassul Allah, and also to a larger extent during the reign of Omar ibn Al-Khattab. The ultimate function of this administrative system provided strength, respect, authority, dignity, prosperity, and above all the deep rooted belief that the Muslim theism was the message for human liberation, enlightenment, justice and ecumenical civilization of mankind. The Islamic territorial expansions during the reign of Omar ibn Al-Khattab demanded a corresponding development in the matrix of administration to meet the requirements of the new responsibilities imposed upon the head of the state. The patterns of administration originated from Islamic thought, and developed according to Islamic doctrines to conform with the requirements of the progressively expanding nation, constituting the theistic, economic, social rights, and aspirational demands of that nation.

The theo-political unity of the Muslim nation during the reign of Omar ibn Al-Khattab had reached a climax of the highest order of distinction. This was characterized by the practice of the most explicit form of justice, and the implementation of consultative opinion. According to Islamic teachings, the practice of consultation at the individual level is highly advocated and encouraged. At the level of administrative authority of decision making, consultation was mandatory. The process of consultation was convening in conference with other men of wisdom, talent, experience, knowledge to reach conclusive opinion for decision making in an issue that was intimately related with public concern. The implementation of consultation was a salient outstanding feature in the administrative regime of Omar ibn Al-Khattab. Individual and group consultations were continually called upon to help Omar reach decisions in crucial matters of state; sometimes, Omar resorted to public opinion to help his decision in certain matters that directly involved public attribution.

Omar ibn Al-Khattab at the head of the Muslim state at Al-Madinah intimately practiced the basic fundamental injunction of Islamic standards of government. His profuse knowledge of Muslim theism, Arab history, tribal socio-psychology helped him greatly to guide the Muslim Ummah through periods of great turmoil and distress.

One of the most important characteristics of Omar ibn Al-Khattab was his concept of authority. He conceived authority with a rigorous system of self judgement as a very heavy burden of grave responsibility that imposed for itself the reverence that commands its sacred duty. This deep apprehensive observant scrupulous understanding of authority,

protege of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The infrastructural build-up of Omar ibn Al-Khattab accumulated the profound prophetical supremacy to culminate into an acme of knowledge, understanding of human nature, and the requirements of human stability. He developed an organized system of thought, with extrasensory perception and clairvoyance. The kindness of his heart succumbed in tears at the sight of human distress of any form. The true sincere unbigoted candidness was the seat of his wisdom.

The companionship of Omar ibn Al-Khattab to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and his counselor office to Abu Bakre Al-Siddiq had a profound effect on the development of his personality. The experience gained during these two phases of his life promoted, qualified, optimized, materialized and expanded the inborn unique qualities and characteristics of the man. There was consistent uniform harmony of compatible affinity between the basic elements of Islamic theism and the intricate personality of Omar ibn Al-Khattab. His association with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and with Abu Bakre Al-Siddiq was the most pontifical period of self adjustment, adaptation, assimilation, psychological symmetry, and mental consonance. During that period, Omar ibn Al-Khattab completely digested the reality of the substance essence of the Islamic theism. His concepts matured to conceive explicitly the infinite social dimensions of the Islamic doctrines; the universality of its ecumenical message, the precise practice of human justice, the concept of equality, the proper understanding of freedom, the knowledge of the purpose of life and death, and the reality of purpose of the practices of devotional worship.

At the head of the Muslim state, Omar ibn Al-Khattab had a complete self organized identity of the personality of a leader. In his mind was the sharp sword of justice without compromise. In his thoughts were the finest most profound elements of spiritual functions that were molten and reshaped to embody the finest morphology of understanding of Muslim theism. The integrated personality of Omar ibn Al-Khattab became totally programmed into an undirectional flow of body, mind and spirit; bearing the true knowledge and rational inertia of thought to govern the Muslim interests, and bear their responsibility at that most crucial time of early Islamic history.

The mental aptitudes of Omar ibn Al-Khattab, his life style and conduct, his self discipline and genuine cognitive understanding of Muslim theology, and of human nature brought him closer to the fundamental needs, requirements and aspirations of the Muslim Ummah. He was also cognizant and respectful to the just claims and rights of the non Muslim elements of the broad nation living under Islamic administration. To these minority fractions of the nation, Omar ibn Al-Khattab instituted the legislative code of the Holy Quran related to the "People of the Book", to every syllable of the word, without bias or discrimination, but with absolute justice.

The humble piety of Omar ibn Al-Khattab was an epitome model, exemplary representative, a paragon pattern of perfection. This nature developed through self understanding, self criticism, repentance, and the supreme realization of the reality of human creation, the modest unpretentious truth of human life, and the prosaic unadorned process of human death. At the very depths of his constitution, the most gratifying purpose in the life of Omar ibn Al-Khattab was to be instrumental in the service of Islam and Muslims. To this purpose, Omar ibn Al-Khattab devoted his whole life; his

Omar Ibn Al-Khattab
The Man at Al-Madinah

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar

The achievements of extensive territorial expansion by the "Jihad" of Muslim warriors during the reign of Omar ibn Al-Khattab exceeded all expectations. The paramount justification of such Jihad was the proliferation of Muslim theism by summoning mankind to the words of Allah. Another sanctification was the establishment of the theo-political unity of the Arab tribes within and outside the Arab Peninsula. During the short reign of Abu Bakre Al-Siddiq and the reign of Omar ibn Al-Khattab, the system of administration was characterized by the optimal practice of the essential injunctions and percepts of Islamic doctrines.

Omar ibn Al-Khattab was the man, who resided at Al-Madinah, the man upon whose shoulders lay the heavy burden of the binding imperative obligatory duty of the safety and welfare of a heterogeneous nation. The geographical dimensions of that nation extended from the eastern borders of Persia, the Caspian sea north, the boundaries of Tunisia west, and the regions of Nuba South; expanding over vast territories of two continents. On every foot of these lands, the words of "Allah" were being taught, the doctrinal teachings of Islamic were instituted, and the profound justice as dictated by Muslim theism was being implemented. The summons to the message of Islamic, the practice of Islamic teachings, the universal message of ecumenical thought to all mankind was being expounded. The message of the Holy Revelation carrying the articles of decent grandeur and salvation to humanity, became understood and appreciated. The Divine message of Monotheism was accepted, and the spread of Islamic teachings became dominant.

The proliferative expansion of Islamic didactic injunctions were essentially attributed to the profound knowledge and disciplined proficiency of Omar ibn Al-Khattab. His mind was superiorly organized, his faculty of thought was optimally rational, his sincere devoted conviction to articles of Muslim faith was formidable and concrete. His perceptive foresight enhanced his sagacity and wisdom, his absolute genuine humbleness and pure piety enlightened his mind, his whole being in body mind, heart and soul was integrated into a summation of a unique quality of character, adamant in belief and supremely candid in justice. These were the fundamental qualities constituting the basic elemental characteristics of Ameer Al-Moumineen, Omar ibn Al-Khattab, the man at Al-Madinah.

Omar ibn Al-Khattab was exposed to the words, meanings, concepts and injunctions of the Holy Revelation since he embraced Islam. He learned the Holy Quran, understood its meanings, realized its profuseness, adopted its legislations and teachings, perceived the infinite dimensions of its doctrines, absorbed the elements of its Divine nature, and became conversant with the intricate profundity of Muslim theism. These achievements were developed in perpetual graduation of schooling as an intelligent intimate disciple and

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 64, PART II

Safar 1412, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. **Omar Ibn Al Khattab**
   The Man at Al-Madinah.
   By: Anas Moustafa El Naggar

2. **The Roots of Wisdom**
   Elimination of Danger from the Road is an Act of Benignity".
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

هـ ٢١
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

في ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

كان في آدم سر وجود الإنسانية
وكان في محمد سر كمالها

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

فى شهر ربيع الأول لسنة ثلاث وخمسين قبل الهجرة كان استهلال وليد عربى فى مكة ليس ككل الولدان الذين تواثبت بهم أرحام الأمهات فى هذا البلد الآمن ولا فى غيره .

لقد طلع كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجر النهار المنير .

لقد ولد النبى فكان بولادته نور البصيرة ألا وهو الدين .

وما النهار إلا يقظة الحياة تدب سعيا إلى آمالها وابتغاء لأعمالها وما الدين ـ كذلك ـ إلا يقظة النفس وفطنة القلب تطلعا إلى نوال الفضائل .

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ربيع الأول ١٤١٢ هـ
سبتمبر ١٩٩١ م
الجزء الثالث
السنة الرابعة والستون

في ذكرى

ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

وهذه الشمس أودعها الله سبحانه طابعا إلهيا ، به تتحول المادة وتتغير،وهذا النبى « الذى ولد » يرسله الله بالدين الذى به تترقى الأرواح وتتهذب وتسمو .

هذا النبى،والنبوة إشراق إلهى على الإنسانية ، يقوِّم منها السلوك والأخلاق ، ويوجهها إلى الكمال فى ترابط ونظام لايختل إذا ما استكانت إلى وحى الله واستشعرت خيره .

ومن هنا كانت مهمة النبى الأولى إخلاص العقيدة وتطهير القلوب وتصفية النفوس مما ران عليها من ادران دورات هذه الحياة .

لقد كانت ولادة النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعالم الإنسانى يكابد فى هيكله عوامل البلى .

وكانت الولاية على الدنيا فى ذلك الحين لاخلاط من الروم أوهنهم الترف والفسوق واخلاف من الفرس هزمتهم الخيانة والطمع .

وكان بين هؤلاء وأولئك شعبٌ أبىٌّ نبيلٌ اعتصم بالصحراء فلم يتبع أيا منهما فنجا من ذلك الفساد الشامل ، ولم يعبث بضميره سلطان ، وما مس خلقه أحد من أولئك الطغاة ، وكأنما كانت جفوة الصحراء وشدتها منعة وسياجا له من أن تفسد لغته أو يختلط نسبه .

وإنما كانت هذه الأمة العربية القابعة فى جزيرتها تتلاحق بالغزو المتواصل بين قبائلها ، فأودى هذا بالضعيف مبقيا على القوى صاحب السيف الصارم والفارس الشجاع ، فانبثق منها أمة وسطا تحمل مع قوة الحيوية وكمال الرجولة وصفاء الحس ونباهة الذكر المثل الأعلى للإنسان .

تلك هى الأمة العربية التى انبعث منها هذا الوليد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب الذكرى ، وهى التى اختارها الله لقيادة الشعوب المغلوبة على أمرها واختصها الله بهذا الرسول ورسالته الأخيرة الخاتمة .

ولد الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعث بالرسالة والعرب أشتات دون رابط ، وأحياء من غير هدف ولاغرض .

حمل رسالة الله إلى هؤلاء لايسانده سلطان ولايناصره جيش ولايغريهم أو يستميلهم بمال ، فقابلوه بالعناد وآذوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى نفسه وأهله وصحبه ، فما وهن عزمه وإنما قابل الأذى بالصبر،والسفه بالحلم .

ذلك لأن ذات هذا الرسول ـ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحمل فى مجموعها جماع ماحملت به الأنفس الإنسانية من كمال وجمال ، ولو اجتمعت فضائل أهل الحكمة والعلم جميعاً منذ كانت الحياة وجعلت فى إنسان واحد مابلغت مثل نفسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكأنما هذه النفس الزاكية بخلق الله

قد تفردت حتى صارت هى النفس الإنسانية الكبرى ، ولايعرف التاريخ غير محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلا كمَّله ربه وجمَّله وأدبه فإذا الإنسانية به تتحول وتنمو وكما قيل :

« كان فى آدم سر وجود الإنسانية، وكان فى محمد سر كمالها » .

وكان دين هذا النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الإسلام : لأنه إسلام النفس إلى واجبها ، فهى إذا أسلمت كانت فى سلام مع الله وفى سلام مع ذاتها وفى سلام مع مجتمعها الإنسانى بل ومع العالم وما فيه من خلائق .

وكأن المسلم بهذا ينكر ذاته فيسلمها إلى الإنسانية ، تصرفها فى كمالها وعلوها ، فلا حَظ للمسلم فى نفسه ولكن للإنسانية السهم الأحظ من حياته ، وذلك بعد الإيثار الذى امتدحه الله فى صحابة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ فلينظر أتباع هذا النبى ـ اليوم ـ ماذا فى نفوسهم من هذا الدين : الإسلام ، وماذا فى أخلاقهم من خلقه ، وماذا فى أيديهم من تراثه فإن وجدوا أن هذا الإسلام قد أصبح رسما فى نفوس الخاصة، وأثرا شائها مضمحلا فى نفوس العامة ، وأن أخلاقهم قد افتُقدت يوم أن تخلوا عن خصائصهم التى أقامهم عليها القرآن وأكدتها سنن صاحب الذكرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن كان هذا فلا يلومون إلا أنفسهم .

ألا فلينظر أتباع هذا الوليد الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم غابت شمسهم وغامت سماؤهم وطال ليلهم ، مع أن الإشراق الإلهى على الإنسانية ، كان بولادة هذا النبى الذى اصطفاه الله من بينهم .

لقد ولد يتيما لم ير أباه، ولكن الله هو الذى آواه ورباه : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ .

لقد سعى إلى اكتساب رزقه بالعمل المشروع فرعى الغنم ، وقد كان هذا تمهيدا لرعى الأمم واشتغل بالتجارة فخالط الناس وأقام الوزن بالقسط فكانت المثابرة والمصابرة فى إبلاغ الرسالة ، ألا فليذكر المسلمون كيف تفرقت بهم السبل وصاروا غثاء كغثاء السيل ،

ذلك أنهم أخضعوا عقيدة الإسلام للحياة مع أن الأساس فى الإسلام إخضاع الحياة للعقيدة ، فتصبح العقيدة أقوى من الحاجة ، وبهذا يكون الفقير المسلم متعففا والغنى المسلم متصدقا والبخيل الشره طامعا ممسكا .

رسالة هذا الوليد الذى تحتفى أمته بذكرى ولادته قادت السلف إلى القوة والعزة فى غير بطش ولا جبروت ولا ظلم وإنما نشروا العدل والعلم ، إذ اعتصموا بما جاءهم به من قرآن وسنة فكانوا فى الصلاة صفا واحدا إلى قبلة واحدة ، يتلون آيات محددة من كتاب الله ، وكانوا فى الصوم على ميعاد واحد ، وهكذا جمعهم الإسلام فى كل عبادة وكل عمل للدين وللدنيا .

فما بال هذه الأمة قد انفرط عقدها وطال ليلها وتوزعتها الأهواء واجتاحتها المحن وهى مع هذا فى

في ذكرى

ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

يأس وقنوط ، بأسهم بينهم شديد وقلوبهم شتى مع أن معهم كتاب الله القرآن وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى قال : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى » .

ألا إن الأمر جلل والخطب عظيم ولا منجاة مما وقعت فيه الأمة إلا إذا صار أمر ها إلى وحدة الكلمة والصف ، وإلى التخلى عن كل ماأدى إلى هذا التفكك والتشرذم والعودة إلى دين الله ، ففيه الدواء وبه الشفاء .

فلتُفق شعوب الأمة من النوم ولتخفف ـ عن القدر ـ اللوم فإن الله لايظلم الناس مثقال ذرة ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

ومن عاند الحياة ، فقتل فى نفسه الطموح ، وقعد حيث تركته النوائب ، توالت عليه مواكب المصائب ، وصار كالأثر فى المتحف يشير إلى ملك قد باد وشعب انقرض ، يتحسر على المجد المفقود ، ويتعلل بكواذب الأمانى .

ألا إن الرقاد قد طال والعالم من حول أمة هذا الوليد صاحب الذكرى يتكامل ويتوحد ويتواصل ، وهذه الأمة تتلاعن وتتدابر تتذاكر الأخطاء وتؤصل الأحقاد ، ولاتتلاقى على كبح جماح الباغى وردع الظالم ، والأخذ بأسباب تجاوز المحنة .

هل لهذه الأمة أن تعتبر بالحوادث المعاصرة ، وتوقن أن يد الله مع الجماعة فتسعى إلى الوفاق متجردة من النفاق ، وتتعاون على البر والتقوى، وتتباعد عن الإثم والعدوان .

إن حياة صاحب الذكرى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قانون إلهى خالد ، وكتابه مازال بحول الله وقوته يتلى وفيه صلاح الدين والدنيا ، وإن من أساس الإسلام أن نطيع الله فى كتابه ونطيع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سننه وآدابه فهل مع هذا النبع الإلهى الصادق يظل المسلمون فى مراغة الخمول ويقنعون بالدون ، ويتخلون عن مكان الصدارة فى هذا الوجود ؟

أما لو أنهم اتخذوا من أحكام ربهم منهاجا ومن كلام رسولهم علاجا ومن حياة وسيرة الأولين من رجالهم قوة وقدرة وتجربة وعتادا ـ لو فعلوا هذا ـ لرفع الله عنهم هذا الإصر وأنعم عليهم بما لايقع من النعم تحت الحصر .

ومن أصدق من الله قيلا .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

فى ذكرى ولادة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى جمع العرب من شتات وأيقظ بدينه العالم من سبات وأقام للسماء دينا فى الأرض ، وأسس لأهل الأرض دنيا فى السماء ، يراها الناس ويدخلها أهلها يوم الجزاء .

فى هذه الذكرى أدعو كل النفوس الذاكرة الشاكرة الحرة أن تخشع إجلالاً لذكرى رسول الوحدة والتوحيد .

وأدعو زعماء العالم الإسلامى إلى محاولة جادة لتوحيد الأمة من جديد وأن يتخذوا إلى هذا منهاج هذا الوليد سبيلاً إلى هذا العمل المجيد .

وأهنىء الأمة الإسلامية شعوباً وحكومات وملوكاً وأمراء ورؤساء بهذه الذكرى المشرفة .

وأسأل الله أن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، وأن يجمع القلوب ويؤيد المخلصين ويهدى الضالين .

وبالله التوفيق ومنه التأييد .

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ .

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

أثر العقيدة فى تحقيق النصر
وتأثيرها على الروح المعنوية

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

العقيدة هى الجانب النظرى أو التقريرى الذى يطلب الإيمان به - أولا - إيمانا مستقرا لايرقى إليه شك ولايتاثر بأية شبهة ، كإيمان أبى بكر - رضى الله عنه - الذى يزن إيمان الأمة كما ورد فى الأثر .

هذه العقيدة فى الإسلام كانت أول مادعا إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

عناصر عقيدة الإسلام إذا وقرت فى نفس المؤمن واستقرت وتفاعلت صلح السلوك واستقام .

وهذه العقيدة الراسخة الصالحة تثمر فى نفس الإنسان الفضائل الإنسانية العليا من الشجاعة والإقدام، واقتحام المصاعب والتضحية والإيثار والسمو عن كل وضيعة من الصفات والفعال التماسا للخير والنبل والنزاهة والشرف وطيب الأثر .

العقيدة المستقرة الصحيحة كالشجرة المثمرة التى يتوالى ثمرها ، فهى تؤتى اكلها كل حين بإذن ربها ، تقود صاحبها إلى كل خير وبر .

ففى الحرب شجاع مقدام ، غير هياب ولا وَجِل وفى تاريخ الأمة مُثُلُ تحتذى فى كل عصر ومصر من غزوة «بدر» إلى حرب رمضان - اكتوبر - لم ترض بالنصر بديلا .

وفى الجود والإيثار مقدام : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

وفى صفاء القلب ونقاء السريرة لدى صاحب العقيدة المطمئنة سعة للناس ونسيان للأحقاد وإغفال لكل اثرة .

العقيدة إذا صلحت اثمرت العمل الصالح فى كل ميدان ، ولعلنا نذكر كيف دفعت العقيدة المسلمين الأول فى مكة إلى الصمود والصبر والمصابرة فى مقابل ما تعرضوا له من تعذيب بدنى ونفسى ، نعم صبروا على ما كُذِّبوا وأُوذوا فكان النصر ، لان قوة العقيدة تدفع الإنسان إلى طلب الكمال وتثير فى روحه الإقبال على كل مايعلى شانه ويصل به إلى هدفه وهذا احد المعانى والله اعلم - فى قول الله سبحانه : ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ .

عليه الصلاة والسلام

الرسول

واليتم والبيئة

د. على أحمد الخطيب

تؤكد مصادر السيرة النبوية جميعا ان رسول الله - ﷺ - حفظه الله من يُتْم يقاسى منه عَنَتَ الحياة ؛ فإنه - عليه الصلاة والسلام - لم يَنَلْهُ ما ينال اليتامى : بنين وبنات من شئون وشجون ، وإقبال عليهم تارة ، وإعراض عنهم تارات ، وما يلم بهم من حاجة يضيق بها اللئيم ، ويشح لها الزنيم ، وما ينالهم من محتال اثيم ياكل اموالهم ، او كفيل خبيث يتخطف كسبهم ، او حاضن وضيع يقضى على فطرة اخلاقهم ، او داعر رقيع يتجر باعراضهم .. إلى ما يكون فى المجتمع من ضروب الضعة .. والانتهازية .. وغيرهما مما يكون فيه اليتيم واليتيمة مراة صدق فى الحكم عليه .

حفظ الله - جل وعلا - رسول الله - ﷺ - فى يتمه .. الم يَقُلْ - عز وجل - عنه - عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ الطور ٤٨ .

وفى الازل خط فى الكتاب : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ الضحى ٦ .

عناية ربانية تامة ، وإيواء إلهى خالص ، تنزلتا خَلْقاً وخُلُقاً على رسول الله - ﷺ - فإذا هو (مركز) الحب والرعاية من كل من خالطه واراد الله - تعالى - له - عليه الصلاة والسلام - إيواء عنده .

ولقد كان لرعاية الله - تعالى - به ، وعنايته له ، آثار عرفنا منها شيئا ولم نعرف أشياء وكان عليه الصلاة والسلام - نظيفا دائما تفوح منه رائحة عطرة تستميل القلوب « كان الصبيان يصبحون رُمْصا شُعْثاً ، ويصبح رسول الله - ﷺ - دهينا كحيلا .. وضيئا صقيلا معطراً[1] .

فما ضاقت به حاضنة ، ولاعَنَّاها - ﷺ .

(١) الرمص : وسخ ابيض جامد يجتمع فى موق العين ، واكثر ما يكون ذلك صباحا عقب النوم . انظر النص بسيرة ابن كثير .

الرسـول عليه الصلاة والسلام واليتم والبيئة

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ « مباركا » لا يحل بمكان إلا شعر قاطنوه بما غمرهم الله من فضل فى أبدانهم وأموالهم وأولادهم ، فكانت (البركة) تحل حيث حل . وهذه حياته ـ ﷺ ـ بمضارب بنى سعد ، ثم لدى جده : عبد المطلب ، فعمه أبى طالب .. إلى النهاية من أيام دنياه ـ عليه الصلاة والسلام . ولقد كانت بركته ـ ﷺ ـ فى ترجمة (مادية) تعنى أنه كان يعطى أضعاف أضعاف ما يأخذ ـ ﷺ ـ .

وشغف من يكفله به يحدثنا عنه سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ فيقول :

كان رسول الله ـ ﷺ ـ يكون مع آمنة بنت وهب ، فلما توفيت قبضه إليه جده : عبد المطلب وضمه إليه ، ورَق عليه رِقةً لم يَرِقَّها على ولده ، وكان يقربه منه ويدنيه ، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام ، وكان يجلس على فراشه ، فيقول عبد المطلب ـ إذا رأى ذلك : « دعوا ابنى ؛ إنه يؤسس ملكا » .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ـ ﷺ ـ وحياطته ، فوجد ببيت أبى طالب رعاية لا نظير لها ؛ فأبو طالب « كان يحبه حبا شديدا لا يحبه وَلَدَه ، وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه .. وصَبٌّ به أبو طالب صبابة لم يُصَبُّ مثلها بشىء قط »(٢) .

وفى بيت أبى طالب كان لرسول الله ـ ﷺ ـ أثره فقد أحبه آل البيت ، وبخاصة السيدة : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية القرشية زوج أبى طالب وأم علىّ ـ رضى الله عنها ـ قضى رسول الله ـ ﷺ ـ شطرا من طفولته فى حجرها ، فعرفته حق المعرفة ، وكانت بَرَّةً به حَدِبَةً عليه وصدقته رسولا نبيا فآمنت به ، وهاجرت إلى المدينة ، وفيها توفيت ، وحفظ رسول الله ـ ﷺ ـ جميلها ، فلما ماتت فعل معها ما لم يفعله مع أحد ؛ فَكَفَّنَهَا فى قميصه ، واضطجع فى قبرها ، وَجَزَّاها خيرا .. فلما قيل ـ لرسول الله ـ ﷺ :

ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه ، قال : « إنه لم يكن بعد أبى طالب أَبَرُّ بى منها »(٣) ، وإذا كان ذلك يُتْمَ رسول الله ـ ﷺ ـ فلننظر ما فعله الله ـ سبحانه ـ لليتامى على يديه :

شريعة اليتم :

منعت شريعة الإسلام قهر اليتامى ، وعدته فى بعض مظاهره كفرا بالله واليوم الآخر . وحرمت أكل أمواله ، وأشارت إلى تنميتها قدر المستطاع .

---

(٢) سيرة ابن كثير ٢٤٢/١ ـ الصبابة : شدة الشوق .
(٣) أسد الغابة ٢١٧/٧ ط الشعب : جزاها : دعا لها بحسن الجزاء .

وجعلت له حقا في بابين من موارد الدولة : فإذا ما تركنا جانب « الواجب » حلا وحرمة فما أكثر ما حثت الشريعة على الإحسان إلى اليتيم واللطف به ، وكان فضل الله عظيما لمن عطف على يتيم وأحسن إليه :

الواجب حلا وحرمة :

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ الضحى ـ ٩ ـ

وقال ـ سبحانه : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ . فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ الماعون ١ ـ ٣ .

يخاطب المولى ـ عز وجل ـ الأمة عن طريق نبيها ـ ﷺ ـ بألا تقهر اليتيم ، ولينظر مسلم إلى معاملته ـ ﷺ ـ لأنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ الذى خدم رسول الله ـ ﷺ ـ عشر سنين ، ولم يكن يتيما ولا لطيما[٤] فما قال له رسول الله ـ ﷺ ـ لشيء صنعه : لِمَ صنعته ؟ ولا لشيء تركه : لم تركته .

فما بالك بمعاملته ـ عليه الصلاة والسلام ـ لليتامى . وإنما يذل اليتيم ويُكْثِرُ من قهره سلبُ حقه ، والسطوُ على ماله ، ومن أراد أن يرى رجلا من أهل النار،كفرا بالله وجحودا له فلينظر إلى رجل يزجر يتيما ـ في غير رحمة ولا شفقة ؛ فإنه لا يفعل ذلك إلا منكر ليوم الدين .. يوم الجزاء والحساب .. يوم القيامة ولا ينكره إلا كافر ، ولو كان مثله مؤمنا لسارع إلى العطف على اليتيم واليتيمة والإحسان لهما فما بالنا بمن يتخطى الزجر إلى أكل أموالهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ النساء ـ ١٠ .

وقال رسول الله ـ ﷺ :

« إنى أحرِّج حق الضعيفين : اليتيم والمرأة » ـ ابن ماجه ٢/١٢١٣ ط الحلبي،ومسند أحمد ٢/٤٣٩ الميمنية . أى أحذر ذلك وأؤكد إثمه .

« وأكل مال اليتيم » من السبع الموبقات . رواه البخارى .

وفترة اليتم تنتهى ـ شرعا ـ بالبلوغ ، فـ « لا يتم بعد احتلام » فإذا (بلغ) فقد دخل طور الرجال ولم يعد يتيما .

لذا وجب أن يرد الوليُّ لليتيم ماله إذا بلغ راشداً يُؤْنَسُ منه حُسنُ التصرف وتقدير الأمور .

وليس ينبغي أن تمر فترة اليتم ، ومال اليتيم راكد ، فعلى ولى اليتيم أن يستثمر ماله بقدر ما يستطيع قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ البقرة ـ ٢٢٠ .

ولفظ « إصلاح » عام يشمل كل الجوانب وبخاصة التربوية والمالية :

فعلى ولى اليتيم إحسان تربيته وتعليمه على خير ما يرجوه لولده ؛ فيمنعه مما يمنع منه وَلَدَه ، ويقدم إليه ما يقدمه لولده ، ويصلح ماله باستثماره ، فإصلاح ماله إصلاح له ، ولا حرج على ولى اليتيم من

---

(٤) أى لم يكن فاقداً لأبيه ولا لأمه .

﴿ الرسول عليه الصلاة والسلام واليتم والبينة

مخالطة مال اليتيم بشرط الإصلاح والمعروف فلا تؤدى الخُلْطة إلى التعدى على حقه قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الأنعام - ١٥٢ - الإسراء - ٣٤ .

وقال عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه :

« اتجروا فى أموال اليتامى .. لا تأكلها الزكاة » .

وحق اليتيم ثابت فى بابين من موارد الدولة . فى (الغنيمة) يقول تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ الأنفال - ٤١ .

وفى (الفيء) يقول تعالى : ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ . الحشر - ٧

ولم تنسخ الغنيمةُ الفيء ضرورة نزول الأولى فى (بدر) والثانية فى (بنى النضير) ولا ينسخ المتقدم المتأخر « ولا خلاف بين علماء السير والمغازى قاطبة أن (بنى النضير) بعد (بدر) وهذا أمر لايُشَكُّ فيه ولا يُرتاب »(٥) فسهم اليتامى ثابت .

وإذا كان بابا الغنيمة والفيء ليس لهما من ثمرة فى وقتنا ، فالأمر واجب فى « بيت مال » المسلمين ؛ فإن لم يف أتَمَّه أغنياؤهم حتى تستمر كفالة اليتامى بنين وبنات .

الضروب الإنسانية :

فإذا جاوزنا الحقوق والواجبات إلى الجوانب الإنسانية فإن خير بيت من بيوت المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت فيه يتيم يُسَاءُ إليه .

ولقد يكون أدنى ما يفعله المسلم ليتيم أن يمسح على رأسه إشفاقا وحبا .. وإليك جزاءها .

« عن أبى أمامة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كانت له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات ، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو - فى الجنة كهاتين . وفرق بين إصبعيه : السبابة والوسطى » أى مشيرا بهما فى وضوح . مسند أحمد ٥/ ٢٥٠ .

يتامى ينيرون بيوت الصحابة :

وبعد :

فلا غرابة من قوم صحبوا رسول الله - ﷺ - فعمر الإيمان قلوبهم ، وملأت الرحمة أفئدتهم أن

---

(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٣١٠ .

يفتحوا بيوتهم لليتامى فى عطف وتربية ، وحنان وتعليم وإصلاح وتوجيه ، ولم يجعلوها بيوتا رسمية يقوم على أمرها ذئاب :

فكان « أم سعد بنت الربيع يتيمة فى حجر أبى بكر »[6] وكان لدى أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - أيتام لا يتيم واحد :

قال القاسم بن محمد : كانت عائشة تلينى وأخا لى يتيمين فى حجرها » رواه مالك فى الموطأ .

قال الإمام الباجى - عن أخى « القاسم » هذا : لعله يريد : عبد الله بن عمر أخا القاسم بن محمد .

كذلك كانت عائشة تلى بنات أخيها محمد بن أبى بكر - ولم يكن شقيقها ؛ فكن فى حجرها ، وكانت - رضى الله عنها - تعطى أموال هؤلاء اليتامى من يتجر لهم فيها ، وما كان من حَلْىٍ للبنات لا تخرج عنه زكاة[7] .

وكان فى حجر أبى طلحة زيد بن سهل بن الأسود الخزرجى - رضى الله عنه - يتامى يكفلهم ، وكفلت زوجه أم سليم بنت ملحان بن خالد الخزرجية - يتيمة تربت فى حجرها[8] .

وكان أبو محذورة : سَمُرة بن مِعْيَر بن لَوْذان مؤذن البيت الحرام بإجازة من رسول الله - ﷺ - يكفل يتيما فى حجره[9] .

وكفل أسعد بن زرارة - رضى الله عنه - سَهْلاً وسهيلا يتيمين كانا فى حجره[10] .

وكفل هَزَّال بن ذئاب بن يزيد الأسلمى - ماعز بن مالك الأسلمى يتيما نشأ فى حجره[11] .

هذه قطرات من مورد ثَجّ يُعجِزُ حصره ، ولكنه يكشف عن قوم مسهم الإيمان برحمته فاستجابوا لله - سبحانه - فى أضعف خلقه ، وأرقه .

إن اليُتْم فى البيئات الكريمة سبب من أسباب العزة فهو ميدان يتسابق فيه أهل المروة والشرف الرفيع وليس هو كذلك فى البيئات الوضيعة .

وهذا رسول الله - ﷺ - شاهد صدق على ذلك وقد صار - من بعد - « رحمة للعالمين » .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء - ١٠٧ .

د. على أحمد الخطيب

---

(٦) مسند أبى داود ٢/١١٦ مصطفى الحلبى .

(٧) انظر الموطأ للإمام مالك : زكاة أموال اليتامى والتجارة فيها ، وباب ما لا زكاة فيه من التبر والحلى .

(٨) مسند أحمد ٣/٢٦٠ أسد الغابة ٢/٢٨٩ - ٦/١٨١ .

(٩) سنن النسائى - باب الأذان ، وابن ماجه - الأذان .

(١٠) صحيح البخارى باب هجرة النبى - ﷺ - .

(١١) انظر سنن أبى داود ٢/٤٥٦ - أسد الغابة ٦/٨/٣٩٦ .

المرء مع من أحب

للشيخ على حامد عبد الرحيم

عن انس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ ، ان رجلاً سال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : متى الساعة يارسول الله ؟
قال : ما اعددت لها ؟
قال : ماأعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكنى احب الله ورسوله .
قال : انت مع من احببت ، .. متفق عليه ..
وعن ابى موسى قال : قيل للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ، قال : المرء مع من احب ، ... رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

قيل إن السائل ـ أبوموسى الأشعرى .

وقال ابن حجر : هو ذو الخويصرة اليمانى ـ روى هذا بطرق عدة ، فقد أخرجه الإمام أحمد والستة سوى ابن ماجه عن انس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ وأخرجه الشيخان ايضاً عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ .

قال العلائى الحديث مشهور أو متواتر لكثرة طرقه ، وعدَّه السيوطى فى الأحاديث المتواترة .

وسببه كما جاء فى البخارى عن ابن مسعود قال : جاء رجل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : كيف تقول فى رجل أحب قوماً ولما يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «المرء مع من أحب » [1] .

وجاء عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ فيما

(١) « البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث » جـ ٣ ص ٢٧٤ .

رواه ابن مردويه ـ أن رجلاً أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله إنى لأحبك حتى إنى لأذكرك فى المنزل فيشق ذلك علىّ وأحب أن أكون معك فى الدرجة ، فلم يرد عليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئاً ، فأنزل ـ عز وجل ـ : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا . ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ « النساء ٦٩ ـ ٧٠ » ، والحب الذى يعنيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنما يكون بطاعة الله وامتثال أوامره ، والعمل بكتابه لما أفاضه على خلقه من النعماء فهو خالق الإنسان ورازقه ، ومسخر كل شىء له فى الأرض والسموات ، فمن حقه تعالى أن تمتلىء القلوب محبة له ، وشكراً لنعمائه ، وكذلك حب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما يكون باتباع هديه والعمل بسنته ، لأن الله ـ عز وجل ـ أحبه واجتباه واصطفاه وبعثه رحمة للعالمين :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ « آل عمران ٣١ » .

جاء فى صحيح مسلم « عن ربيعة بن كعب الأسلمى أنه قال : كنت أبيت عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « فأتيته بوضوء وحاجته فقال لى : ـ سل ـ فقلت :يارسول الله ، أسألك مرافقتك فى الجنة فقال : أو غير ذلك ؟ قلت هو ذاك ، قال : فأعنى على نفسك بكثرة السجود » .

هذا هو الحب الصحيح الذى يتجلى فى الاقتداء والاهتداء ، تأسياً واتباعاً ، وليس الحب عاطفة تشتعل جذوتها ثم تخبو حرارتها ، وليس همهمة ولا صراخاً ولا صياحاً ، ولا تظاهراً بصلاح زائف أو بمسكنة مصطنعة ، أو بتماوت يحط من قدر المسلم ويهوى بمكانته .

إن التمسك بما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمراً ، ونهياً وطريقة،سبيل حب الله جل وعلا لعبده ـ كما روى البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أن الله ـ عز وجل ـ يقول : **(ومايزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى احبه . فإذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به . ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها . ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه)** .

إن علامة الحب الخالص لله ولرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن تسود المحبة بين الناس فى الله ولله .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم » .. (رواه مسلم) ..

وقال يحيى بن معاذ : « علامة الحب فى الله الا يزيد بالبر ولا ينقص بالهجر ، كما أن المحب الذى يحب لله ويبغض لله ، ويعطى لله ويمنع لله فقد استكمل الإيمان » ... [رواه أبوداود] ..

روى الطبرانى عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :« ليبعثن الله أقواما يوم القيامة وفى

المـرء مـع مـن أحـب

وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، قال : فجثا أعرابى على ركبتيه فقال يارسول الله : جلِّهم لنا نعرفهم . قال : المتحابون فى الله من قبائل وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه » .

إن التزاور بين المسلمين لتقوية الروابط الدينية والصلات الإسلامية ومع إرادة التقرب إلى الله وطلب رضاه من أجلّ الأعمال التى تقرب العبد من خالقه ..

روى مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أن رجلاً زار أخاً له فى قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ـ طريقه ـ ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال أريد أخاً لى فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ـ تنميها ـ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله ، قال : فإنى رسول الله إليك ، إن الله قد أحبك كما أحببته فيه » .

وإذا أحب الله عبداً أشاد بذكره أهل السماء ووضع له القبول فى الأرض ، فقد روى فى الحديث الذى اتفق على صحته البخارى ومسلم : « إذا أحب الله العبد نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل فينادى فى أهل السماء ، إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض » .

ومما يبرهن على الإيمان الكامل واليقين الصادق حب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

روى البخارى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : « قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

نسأل الله أن يجعلنا ممن يتبعون منهج رسول الله الذين يعملون بكتاب ربهم ، ويهتدون بهدى نبيهم ، ويتمسكون بسنته حتى نسعد بمعيته حيث يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » .

دراسة النص القرآني

على الطريقة اليسارية

نقد كتاب «مفهوم النص»

تذكرت قصيدة العقاد القصيرة الساخرة « اشتراكى يعلل الربيع » ، حينما كنت اقرأ كتاب الدكتور / نصر حامد ابو زيد « مفهوم النص ـ دراسة فى علوم القرآن » ففى هذه القصيدة يتخيل الشاعر حوارا بين «رفيقين»من الحزب الشيوعى يظهر احدهما إعجابه بجمال الربيع ، فينكر الرفيق الآخر عليه هذا الإعجاب ، ويلعن الربيع ، ويستثقله ، لانه صنيعة للأغنياء ، وهو « مكيدة راسمالية » دبرها هؤلاء الأغنياء اللئام برشوة دفنوها فى جوف الأرض حتى باتت إليهم تميل ، فهى تخرج لهم هذا الربيع بأزهاره ورياحينه كما تخرج الذهب والفضة وتحبوهم بهما ، فالأرض والشمس والناس والدعاة العدول لهم ضمائر سوء مريضة ، وطباع وبيلة ، ومادام « ماركس » هو الذى افتى بذلك فمن المستحيل نقض فتواه !

بقلم الدكتور / محمد فايد هيكل

وكتاب الدكتور نصر حامد ابوزيد كان يثير فى نفسى هذا الشعور الساخر كلما انتهيت من قراءة فصل من فصوله ، إذ أن هذا الكاتب قد تملكته فكرة مذهبية مادية ، صبغت كل أحكامه بصبغتها وأنتجت له نتائجه ، فلم يقو على أن يحرر نفسه من أغلالها ، فى أى فصل من فصول كتابه ، فحيل بينه وبين الحكم الموضوعى ، بل حيل بينه وبين تحقيق أى من هدفيه اللذين أعلن أنه يبغى تحقيقهما وهما :ـ

* إعادة ربط النص القرآنى بالدراسات الأدبية والنقدية !!
* وتحديد مفهوم موضوعى للإسلام (هكذا يقول)!!

ولقد ذهب تحت تأثير (الفكر المادى) يقول فى « الوحى القرآنى » بغير دليل ويرمى علماء الدين

* الكاتب : مدرس الأدب والنقد ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة ـ جامعة الأزهر .

القدامى والمحدثين بالتآمر على الفكر ، والتبعية للسلطة ومحاباة الطبقات الغنية ، والتحالف مع الأنظمة العربية الرجعية المتحالفة هى الأخرى مع « الامبرياليين » أعداء الإسلام والمسلمين !!

وقد أكثر من اصطناع المصطلحات الموهمة بالروح العلمية مثل « آليات النص » و « العلاقة الجدلية بين النص والواقع » أو بين « النص والثقافة » وأتى بالرسوم البيانية والمنحنيات الصاعدة والهابطة يسجل على جوانبها الآيات القرآنية ، ودرجات الدلالات المعنوية كأنما يريد أن ينزل القرآن الكريم عن عرش قداسته ليطبق عليه ما اعتاد فئة من المحللين المحدثين للنصوص أن يطبقوه على كلام البشر ، ويُجرى عليه ما يجرونه على غيره ، وأنى له أن يبلغ مبتغاه ؟!

فإذا ذهبت تطلب المحتوى العلمى لهذه المصطلحات والرسوم والمنحنيات وجدت اختلالا بينا فى المنهج ، ولم تحصل إلا على دعاوى رددها من قبل مستشرقون وماديون غير أن المؤلف العلامة جمعها جميعا ، وحملها فى « خُرْج » واحد ، هو كتابه هذا ، يوهم القراء أنه ابتكر الجديد ولا جديد ، وإنما هو يأتسى بأقاويل قيلت من زمان قبله .

ولكيلا أعيد وأزيد فى إبطال ما سبق أن أبطل ، كتفسيره للنبوة اعتمادا على مفهوم الخيال وأنها - بنص تعبيره - ليست ظاهرة فوقية مفارقة » وإنما هى « تجربة خاصة » (وحالة من حالات الفاعلية الخلاقة) أو طنطنته بـ (عروبة الدين الإسلامى) بقصد نفى عالميته وشموله ، لكيلا أعيد وأزيد فى إبطال هذه الأقاويل التى فندها العلماء والمفكرون من قبل ، فإن نقدى هنا ينصب على خطاياه فى المنهج ، وأما العودة إلى تفنيد الأقاويل السابقة وأمثالها ، فتحصيل حاصل ، وجهد لافضل فيه .

وهذه هى خطاياه المنهجية اكشفها له ، وأنبه القراء إليها واحدة بعد أخرى :

اولها : البناء على غير اساس :

إن هذا الكاتب يَعُدُّ الآراء والاجتهادات الخاصة ببعض المفكرين حقائق قطعية ، فيبنى عليها أحكامه كأنما هى قد سلمت تسليما ، والأنموذج الواضح لتلك النقيصة المنهجية اعتماده على اجتهاد ابن خلدون فى تفسير الوحى والنبوة فأما ابن خلدون فهو مفكر رائد لا شك فى ذلك .. وأما آراؤه واجتهاداته فهى ليست ملزمة ، بخاصة إذا كانت متعلقة بظاهرة فريدة ليست من الوقائع الشائعة ، فهو لم ير نبيا فى عهده ، ونحن لم نر أنبياء صدق فى عهودنا .. والنبوة فى حد ذاتها - كما قلت - ظاهرة فريدة لاتقاس عليها الأشباه والنظائر ، فهى لاتقع تحت دائرة التجريب والاختبار ، ولم يذهب الباحثون النفسانيون بأسئلة استبانات « لعدد من الأنبياء » ثم حصروا الإجابات المتشابهة فكونوا منها (فكرة) أو اقروا (ظاهرة) ، وتفسير ابن خلدون ليس إلا ظنا ، فكيف نقنع به ونبنى عليه ؟! ولكن الكاتب حسب أنه وجد فى ذلك الاجتهاد غنيمته ، وطلبته المفقودة فتمسك به دون تمحيص ، وتعلق به دون أن يختبر متانته ، ثم قفز قفزة هائلة إلى القول « بالخيال والمخيلة » ، وجعل من القول « بالانسلاخ » أو « الانخلاع » من الحالة البشرية إلى الحالة الملائكية التى يتهيأ بها النبى لتلقى الوحى ممهدا للادعاء بأن الوحى « ليس ظاهرة فوقية مفارقة » وإنما هو « تجربة خاصة » وحالة « من حالات الفاعلية الخلاقة » ؟

ولهذا القول نتيجته وهى إمكان تكرار ظاهرة النبوة فما المانع من ظهور انبياء فى عصورنا تحدث لهم هذه الحالات الفاعلية الخلاقة ؟ ! ولكنه لم يصرح بهذه النتيجة . وقد وقع الكاتب فى التناقض دون أن يدرى ، لانه نسى انه ميز قبل ذلك بين حالة وحى القران ، وحالة وحى السنة فكيف يعود إلى القول بانه تمييز بين مرحلتين لابين حالتين ؟

فهل كان وحى القرآن مرحلة ، ووحى السنة مرحلة اخرى ؟!

ثانيها : ـ فقدان الصلة بين الهدف والبحث :

أعلن الكاتب فى الجانب الخلفى من غلاف كتابه وفى صفحة «٢١» أن **هدفه الأول هو إعادة ربط الدراسات القرآنية بمجال الدراسات الأدبية والنقدية بعد أن انفصلت عنها .**

ولست ـ أولا ـ أقره على أن الدراسات القرآنية قد انفصلت لحظة واحدة عن الدراسات الأدبية والنقدية ، سواء فى الوعى القديم أو فى الوعى الحديث ، فالدارس أو الباحث فى القرآن وعلومه ، أو المفسر ، أو الفقيه المجتهد أو الأصولى لايتأتى لأحد منهم الإقدام على مجال بحثه إلا إذا استوفى شروطا عدة ، أولها :

الإحاطة باللغة ولا أعنى الإحاطة المعجمية فحسب بل الإحاطة الذوقية الأدبية ، ليعرف طرائق الاستعمال وما جرى على الألفاظ من انتقال فى الدلالات ، وثراء أو نقص فى الإيحاءات قبل أن يرد المجال القرآنى بآفاقه وثرائه الإبداعى كما أن الدراسات الأدبية والنقدية لاتزال تثرى بالبحوث المتميزة عن جوانب الإعجاز القرآنى ، فى البناء والأساليب والتراكيب وغيرها من الجوانب التى تغذى الفن الأدبى .

ولست ـ ثانيا ـ أرى فى كتابه أدنى تحقيق لهذا الهدف ، فقد استغرقته الموضوعات الفقهية والأصولية إلى جانب موضوعات علوم القرآن كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، والمكى والمدنى وشغل بمناقشة العلماء ، ولم يسع إلى تحقيق هدفه عن طريق دراسة النص نفسه دراسة أدبية ذوقية ، وقد كان هذا ماحسبت أننى سوف أعثر عليه فى كتابه قبل قراءته ، ولكن خاب ظنى !!

صحيح أنه تعرض لموضوعات تتصل بالنواحى الأدبية والنقدية كموضوع الإعجاز والتناسب بين الآيات والسور ، ولكنه تعرض لها من الناحية الفكرية والجدل الذهنى المجرد وكان التطبيق عرضيا ، ومحدودا ، وقصيرا مثل تحليل الآيات الأولى من سورتى « العلق » و « المدثر » ، وتحديد المكى والمدنى عن طريق خصائص الأسلوب ، أو تحديد بعض الظواهر التى تميز بها النص القرآنى مثل فواصل الآيات والحروف (المقطعة) فى أوائل كثير من السور القرآنية ، ولكنه فى كل ذلك مسبوق ، ولم يُعِدْ ربط شىء كان منفصلا .

ثالثها : التعميم والتعمية :

هذا الكاتب يلقى الأحكام والاتهامات فى كل ناحية بغير تفصيل مبين ، ويرجم بالغيب دون تحديد ، بل يجمع ألوانا من الموضوعات المتباينة فى جعبة واحدة حتى يَشَلَّ قدرة القارىء على التحليل ، ويربك فكره فيستسلم لأحكامه ، أو اتهاماته التى يقذف بها متوالية ، فهو فى صفحة واحدة ، يعرض للإسلام والعلمانية والإعلام الرسمى الدينى ، وموقف علماء الدين من الصلح مع إسرائيل ، ووضع القدس وحديث الذبابة ، وحديث توفيق الحكيم إلى الله ، أو معه ، والاشتراكية والانفتاح الاقتصادى ، وتأييد علماء الدين لما يصفه فى (تعمية) بأنه أكثر الأنظمة العربية رجعية وتحالفا ، مع أعداء الإسلام والمسلمين ، ولا يفوته أن يتعرض فى هامش الصفحة نفسها لشركات الاستثمار وتوظيف الأموال . والرد عليه فى كل منها يقتضى تحليلا هادئا ، فهل يليق ببحث علمى أن يقع فى مثل هذه الخطابية والتعميم الضبابى ، ومحاولات الإثارة والرجم فى كل اتجاه ؟!

هل يليق هذا «التهويش» بكتاب علمى تصدره الهيئة المصرية العامة للكتاب ؟!

رابعها : المغالطة وخداع القارىء :

يعمد الكاتب إلى (المغالطة أو الخداع) الذى يشبه خداع الحواة أو « خفة اليد » لدس فكره إلى نفس القارىء ففى مطلع الباب الثالث ، وعلى

طوال فصوله ، يخبرنا فى أسف أن « حركة الوحى التى كانت تتصور نازلة من الله إلى الإنسان ، قد تحولت فى الفكر الدينى المتأخر إلى حركة صعود من جانب الإنسان سعيا إلى الله ذاته » ، وأن الصوفية والأشاعرة وعلى رأسهم ابو حامد الغزالى قد قلبوا أو « حولوا مفهوم النص وغايته من الاتجاه نحو الإنسان إلى الاتجاه نحو الله والآخرة » ، وأن ذلك كان « مـرتبطـا بصراع القـوى الاقتصـاديـة والاجتماعية » فالغزالى كان عالم السلطة ، « ومشروعه الذى قدمه كان يهدف إلى تقديم الأدوات التعويضية لأهل الآخرة ولعـوام المسلمين » !

والإيهام واضح ، فهو يلبس على القارىء حتى لايدرك ضرورة اختلاف الاتجاه بين حركة الوحى التى هى نداء وتوجيه ، وحركة الفعل الإنسانى التى هى استجابة للنداء وطاعة للتوجيه .. فهل الغزالى او الصوفية او الاشاعرة او السلفيون هم الذين دعوا الناس إلى الإقبال على الله وطلب الآخرة وكان النص قبلهم يدعو إلى الدنيا والاستزادة منها؟!

أليس فى النص القرآنى قوله تعالى ﴿ رِجَالٌ لَّاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ النور «٣٧» .

أليس فى النص القرآنى قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ فاطر «١٠» .

أليس فى النص القرآنى قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ الشورى «٢٠»

أما كان أولى بالباحث أن يكون على علم بمحتوى النص نفسه قبل أن يبدأ الكلام عنه أو يتصدى لمجادلة العلماء المتخصصين فيه ؟

خامسها :ـ البعد عن الدقة فى إرجاع الأفكار إلى مصادرها :

فى حديث المؤلف عن شخصية النبى ﷺ يردد « إن الفكر الدينى السائد قديما وحديثا شاء أن يحوله من طبيعته الواقعية الاجتماعية إلى حقيقة مثالية ذهنية مفارقة للواقع والتاريخ .. حقيقة لها وجود سابق على وجودها الإنسانى العيانى المادى ، وأن هذا الفكر شاء فى أشد مزاعمه إنسانية أن يجعل منه إنسانا مغمض العينين ، معزولا عن المجتمع والواقع يعيش هموما مفارقة مثالية ذهنية حتى حوله هذا الفكر إلى إنسان خال من كل الشروط الإنسانية » !!

وهذا افتئات على الفكر الإسلامى !! فهل جهل الكاتب أن هذا الفكر هو الذى يدعو دائما بما دعا إليه النص القرآنى من أن الرسول صلوات الله عليه (أسوة حسنة)؟

الم يضرب العلماء ـ سواء على مستوى الدراسة المتخصصة أم على مستوى الوعظ العام ـ الأمثلة الهادية من أخلاقه ومواقف حياته ؟ فكيف يفعلون ذلك وهم يعزلونه عن الواقع والمجتمع ويسلبونه كل شروط الإنسانية ؟

متى وأين فعل المفكرون الإسلاميون ذلك ؟

العجيب انه لا يقول : إن طائفة ما من طوائف المسلمين غلت هذا الغلو ، ولكنه ينسبه إلى الفكر الإسلامى السائد !!

الفكر الإسلامى السائد أيها الكاتب يوقن أن النبى ليس ملكا ، وإنما هو بشر لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّايَلْبِسُونَ ﴾الانعام (٩) .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾الكهف (١١٠) .

والفكر الإسلامى السائد لاينسى مع هذا الإيمان ببشرية صاحب الرسالة صلوات الله عليه أنه متميز فى إنسانيته وأن الله قد اصطفاه وهيأه ..

والفكر الإسلامى السائد هو الذى يتحدث علماؤه ووعاظه عن شخصية الرسول ﷺ قبل الرسالة ورعيه للغنم ، وتجارته الناجحة فى مال خديجة ، ومشاركته لقومه فى أحلافهم ومشاكلهم .

اما إذا كانت طائفة من طوائف العوام قد بالغت وغالت فمعتقداتها ليست هى الفكر الإسلامى السائد .

مابالك أيها الكاتب تتحدث عما يسود بين المسلمين من فكر كأنك من بلد غريب ؟ .

إنك أيها الكاتب إذ تصدر فى بحثك عن مذهب فكرى ينكر التفاوت بين مستويات البشر أصلا ، فإنك تعمد إلى أن تخلط بين الأمرين ، وتحاسب المفكرين بغلو بعض العوام ، فهل أنت لاتعترف بأن هناك فرقا بين عامة وعلماء فى الفكر الدينى ، ولا تقدر شعور القداسة .

إن الرجل الذى يصطفيه الله للهداية الدينية وقيادة البشرية من البدهى أن يكون متميزا بقوى خاصة ، وقدرات نفسية ، وصفات خلقية تعلو به على سائر الناس .

سادسها : التحيز المذهبى :

هذا هو آفة الآفات ، ومصدر كل العيوب المنهجية التى تناولناها والأخطاء الفكرية التى لم نتناولها ، هذا هو خطيئة الخطايا .

ولست بحاجة إلى جهد شاق ، ولا أى قارىء لكتابه بحاجة إلى هذا الجهد ليدرك أن المذهب الذى يتحيز له الكاتب هو (المادية الجدلية) بأوهامها ، تلك التى أخذ الناس فى مشارق الأرض ومغاربها ممن آمنوا بها يفيقون من غشاوتها عدا بعض فلولها من أشباه المفكرين عندنا الذين يقبعون فى (اليسار) ، وأهل اليسار يتجهون إلى (اليمين) .

لقد تسلطت المادية الجدلية الماركسية على أفكار الكاتب فجعلته يرى :

النص القرآنى حالة جدل مع الثقافة يتشكل بها ويشكلها !!، لأن الماركسية تؤمن بالديالكتيك أو « الجدل » الذى أخذته عن «هيجل » وحرفته إلى جدل طبقى !!

والكهانة هى الأساس الوجودى لظاهرة النبوة والماركسية وافقت فى ذلك « أوجست كونت » إمام المذهب الوضعى .

وعلماء الدين هم صنائع السلطة فى كل عصر وأوان !!

والقول بأن القرآن مسجل فى اللوح المحفوظ إفراط فى التقديس ، ووهم خرج بالقرآن عن واقعيته !!

والمتلقى الأول للنص ليس إلا رجلا عاديا لاتميز له ، لأن المادية الجدلية لا تؤمن بالتميز الفردى .

وعلماء الدين « الطبقيون » صنائع السلطة هم الذين أضفوا على« محمد » [صلى الله عليه وسلم] جو القداسة وعزلوه عن الواقع الإنسانى !!

والدعوة إلى الاتجاه بالأعمال إلى الله وطلب الآخرة تخدير للطبقات الفقيرة المضطهدة وتعويض لها عما حرمته فى الحياة الدنيا بسبب الوضع الطبقى المتسلط للحكام والأغنياء ، وتأجيل للحل والخلاص إلى مابعد الموت !!

والقول باختلاف مستويات فهم النص بحسب اختلاف العقول ودرجات الاستعداد الإدراكى دعوة للطبقية ومحافظة على النسق الاجتماعى القائم !!

وهكذا أَطْبَقَ المذهب المادى الجدلى الماركسى بأغلاله وغشاواته على فكر الكاتب حتى خنقه خنقا ، وحال بينه وبين الرؤية الجلية ، والحكم الصحيح ولهذا كنت أتذكر قصيدة العقاد الساخرة ، كلما قرأت فصلا من فصول هذا الكتاب .

التغيير.. والاجتهاد

لفضيلة الشيخ
محمد حسام الدين

قضى الله على المسلمين ان يخضعوا لنفوذ اجنبى - بما يقارب قرنين من الزمان حتى الآن .

وكان هذا النفوذ الأجنبى على اختلاف مشاربه ، ومذاهبه حريصاً على تغيير العقلية الإسلامية ، وتبديل مصادر ثقافتها ، وتحوير انماط سلوكها ، وتعديل مواقف الصلابة والرباط فيها .

وبدأ التغيير فى نظام التعليم ، ومناهجه ، وقضاياه ، لتنشأ اجيال إسلامية جديدة ، لا تعرف لقومها خصيصة ، ولا تمسك لذاتها قواماً ، ولا تمانع فى نظام - مالى أو اجتماعى - يراد لها ان تحكيه أو تسير عليه .

واتخذت دول السيادة على البلاد الإسلامية فى القرن الماضى طرائق اخرى عديدة إلى غايتها .

فاحدثت نحلا مختلفة ، تقوم بمهمة الإفساد والتحريف فى الدين ، من مثل : نحلة « البهائية » ، و« القاديانية » ، ووليدتها « الأحمدية » ، ثم ايدت مذاهب اخرى طريدة ، نبذها المسلمون ، وانصرفوا عنها منذ عهد بعيد .

ونشطت هذه النحل والمذاهب تبث سمومها ، وتفسد العقائد الإسلامية ، وتعرض الفقه الإسلامى على ما يهوى أصحاب السيادة .

واتجهت هذه الفرق بإفكها وباطلها إلى أطراف المجتمع المسلم : بالهند ، وأفريقيا ، وبلاد أوروبا . وأمريكا الشمالية ، وشىء من جزر البحر الكاريبى .

ثم حاولت هذه الفئات « مستظلة بأسماء وشعارات مختلفة » - أن تتسلل إلى قلب العالم الإسلامى فلم تفلح - والفضل لله ، والمنة له وحده - بيد أن السياسة الغربية ، ومناهج التعليم الغربى ، ونظريات الفلسفة الغربية فى القرن التاسع عشر ، كل هذا كان له أثره بين المسلمين .

فنشأت حركات فكرية وعملية تواكب هذه

الفلسفات ، أو تجانبها : البعض مفتون معجب بالجديد الغريب ، والبعض الآخر ثابت متزن .

وكان هذا الأثر واضحاً بصفة خاصة فى بلاد الهند ، وفى مصر .

ففى الهند نشأت جامعة مدنية فى « عليكرة » تحتذى النمط الغربى فى مناهجها ودراساتها .

وكان هذا على يد السيد / أحمد خان « ١٨١٧ ـ ١٨٩٨ م » وكان هذا العمل ـ فى ذاته ـ عملا محمودا له ، لولا أن السيد / أحمد خان تقدم قومه بوصفه موقظا ، منشئا ، يجرهم إلى التغريب ، منكرا لتراثه الإسلامى ، وزاد فى الخطو فجعل من نفسه مجتهدا مجددا فى الدين : يفسر النصوص الإسلامية ، ويعرض الأحكام على ما يرضى الحداثة ، ويتفق مع النظم الغربية .

وتبعه فى هذا المسار « سيد أمير على » صاحب كتاب : « روح الإسلام » الصادر سنة ١٨٩١ م .

وهو كتاب خطير ينقض الأصول ، ومناهج الأدلة الشرعية ، وينفى الإجماع ، ويستشهد بالنصوص ، والوقائع على غير مؤداها ، ويرفع شعار الاجتهاد ليبتدع فى الأحكام ، ويستبيح ما يجرى لدى الملل الأخرى من طرائق وفنون .

وكان أن ذاعت هذه الآراء ـ التحررية على حد زعمهم ـ ونشأ بالهند تيار يجتهد لإحداث تغييرات اجتماعية بين المسلمين ، ويتمرد على ما استقر عليه الرأى من الأحكام .

وكان رد الفعل لهذا التيار أن نشطت مجموعات من الفقهاء ذوى البصر ، والعلم بالدين ، ومن رجال الحديث ، ومن الصوفية المجاهدين . لتثبيت المسلمين وتقويتهم فى دينهم .

واشتهر من هؤلاء الفقهاء فى « دلهى » الشيخ أحمد بن عبد الرحيم صاحب كتاب « حجة الله البالغة » ، الشهير بولى الله الفاروقى الدهلوى المتوفى سنة ١١٧٦ هـ .

وجاء من بعده ابنه الشاه عبد العزيز ، ثم ابن أخيه الشاه إسماعيل ، ثم تلاميذهم من بعدهم من شيوخ مدرسة (ديوبند) وشيوخ (ندوة علماء الهند) .

وقد أمسك هؤلاء بزمام الرأى الفقهى ، وحفظوا التراث الإسلامى الأصيل ، ولا يزال المسلمون بالهند وباكستان يولونهم الثقة والتقديم .

وفى مصر قاد الإمام محمد عبده . (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م) حركة اليقظة الفقهية ، متأثرا بحيوية أستاذه السيد / جمال الدين الأفغانى (١٨٣٩ ـ ١٨٩٧ م) ونشاطه لنهضة الفكر الإسلامى ومواجهة المستعمر ـ على أساس من الجامعة الإسلامية ، وإصلاح النظم السياسية[1] .

ولقد كان للإمام محمد عبده نظراته العقلية فى الرأى والفتوى ـ بما يشبه « الاستحسان » ـ وكان لا يتقيد بمذهب فقهى ـ على خلاف ما كان عليه معاصروه من الفقهاء ـ.

لكنه مع هذا لم يكن يتعدى ـ فى رأيه وفتواه ـ أصلاً من الأصول الإسلامية ، بل ولقد كانت له نزعة صوفية كامنة ، تظهر آثارها فى آرائه حين يتصدى للدفاع عن الإسلام .

ومن هنا فقد اختلف أصحابه إلى منحيين : أحدهما : يدافع عن الإسلام ـ على منهج

---

(١) يراجع فى هذا الموضوع كتاب : « تاريخ البشرية » المجلد السادس ـ التطور العلمى والثقافى ـ إعداد اللجنة الدولية ـ بإشراف منظمة اليونسكو ـ الهيئة المصرية للتأليف والنشر سنة ١٩٧١ صفحة ٣٢٨ ـ ٣٣١ ـ .

التغييــر ..والاجتهــاد

أستاذه ـ مع الثبات على مذهب سلفى ، والميل إلى الأخذ بظواهر النصوص الشرعية غالباً ، ويأتى على رأس هؤلاء الشيخ محمد رشيد رضا ـ صـاحب المنار ـ « ١٨٦٥ ـ ١٩٣٥ م » ، وأصحاب المنحى الآخر : اتجهوا للدفاع عن الإسلام ببيان أن أحكامه تفى بمتطلبات الحضارة والعصر ـ اختياراً من آراء المذاهب الإسلامية دون تفريق بينها .

ومن رجالات هذا المنحى عدد من شيوخ الأزهر وعلمائه ، ولا تزال لهذه المدرسة آثارها الباقية حتى اليوم .

لقد كان من المنطقى أن يعمد الغرب إلى تغيير المفاهيم ، وتنحية المواريث للشعوب الإسلامية : فى العادات ، والمعتقدات ، وأن يتخذ الأجنبى من هذا سبيلاً لتذليل العقبات ، فى سياسة هذه الشعوب .

ولم يكن الغربيون يفصحون عن خطتهم ، لكن قوماً من كتابهم كشفوا عن هذه النوايا والأهداف .

ومن ذلك ماكتبه : سيرج لاتوسن الأستاذ بكلية الحقوق بجامعة ليل الفرنسية ، فيما نقله عنه الدكتور مصطفى محمود فى مقال له عن الغزو الثقافى .(٢)

قال الأستاذ سيرج لاتوسن : « إن عصر الفاتحين العسكريين ، وعصر الامبراطوريات التى كانت تتألق فيها قيادات كبرى ثم تنطفىء وتغيب ـ هذا العصر انتهى .... وهذه المرة سوف يسيطر الغرب على الكرة الأرضية إلى الأبد .. والاحتلال الثقافى للعقول سيكون احتلالاً باقياً إلى قيام الساعة .

وإذا كانت أول حرب صليبية قد قام بها القديس بونيفاس فيما بين « ٦٨٠ ـ ٧٥٤ ميلادية » لتنصير السكسون ... ومن بعدها جاءت الجيوش الأوروبية إلى القدس ، فإن نفس الحرب مازالت مستمرة إلى الآن .. ولكن تحت شعارات حضاريـة مقبولـة ، وتحت غطاء مشروعات للتنمية ، وقروض ومنح ، وبعثات مجانية .

ولكن يظل الهدف واحداً وهو طمس الهوية ، ومحو الأعراف ، والتقاليد المحلية ، وتذويب البنية العقلية السلوكية » ... أ هـ .

لقد كانت محاولات الغرب لتذويب البنية الثقافية للمسلمين ـ وتغيير أنماط السلوك ، وطمس الهوية ، ومحو الأعراف ، والتقاليد للمجتمع الإسلامى ـ ترتدى صوراً حضارية ، عن طريق الفن والثقافة ، والتعليم ، وتستظل بشعارات براقة ، مثل شعارات الحريـة ، والنهضة ، والتنمية .. وما إليها .

ولقد خدع كثير من الفقهاء المسلمين بهذا الرُّواء ، وهذه اللافتات فسارعوا إلى شارد الـرأى ، وباطـل القول بـدعوى التجـديد والاجتهاد ، وكان هذا من آثار التيار الغربى .

ثم لم يلبث العالم أن فوجىء بتيار أوروبى شرقى جديد ، يعاكس ما سبقه ، فيلغى كيان الفرد ، يرى أن رعاية حقه فى الحرية والعمل ، والمِلْك ، صورة من صور الفوضى الاجتماعية .

ويزعم أن الأصل هو رعاية حق الجماعة ، والتضحية بحقوق الأفراد من أجلها ، وأن من العدل أن يمسك المهيمنون على الجماعة بأقوات الناس ، ومصادر أرزاقهم .

---

(٢) مقال الدكتور مصطفى محمود ـ نشرته صحيفة الأهرام ـ القاهرية ـ فى ١٩٩١/٧/٢٠ م .

ويقسم الناس إلى طبقات متباينة ، يرفع بعضها على بعض سُلْطَةً وقهراً ، ويوقد نيران العداوة والبغضاء بينها ، ويذكى جذوة الصراع بين هذه الطبقات بقوانين ليس لها من العدل نصيب .

ولقد تسلل هذا التيار بخبثه ، وجرائره إلى مواقع عديدة بالمجتمع الإسلامى واتخذ سبيل العنف والقهر والقسوة طريقاً لإقرار مبادئه بين جنبات هذا المجتمع .

ومع هذا فقد رأى أن توطين هذه المبادىء يحتاج إلى إجراء تغييرات عميقة شاملة تصل إلى وجدان الناس ، وتستبطن مشاعرهم .

وكان حتماً لديه إجراء التغيير فى التعليم والثقافة ، وأنماط السلوك والتقاليد ، والأعراف ، والعقائد ، ونظام الأسرة ، والأزياء .

وكان حظ الأحكام الإسلامية من بلاء التغيير حظاً وافراً يأتى على قدر مكانة الإسلام فى مجتمعه .

فقد طلب من هذا الدين أن يغير مبادئه ، ويترك أصوله ، ويفسح المجال لهذه المنكرات الوافدة لتكون من مقرراته وأحكامه .

لكن الجمهرة من علماء المسلمين - والحمد لله - ظلوا أمناء على دينهم ، فلم يبرحوا الأصول الإسلامية ، ولم يجاوزوها لشىء مما طلب منهم .

وكان من السهل على قادة التغيير أن ينشئوا طبقة من الناس تسارع إلى القول فى الدين بغير علم ، وتزعم أنها تجرى على أصل من أصول الاجتهاد .

ويجاهر هؤلاء بأنهم وفقهاء الإسلام سواء ، ماداموا من المفكرين أو الكتاب ، « والإسلام لا يعرف نظام الكهنوت .. !! » .

ولقد شاعت مقولات هؤلاء ، ووجدت من يربط بينها وبين النصوص الشرعية ظلماً ، وكرهاً .

ولقد قرأنا فى صحيفة (الأهرام) فى ١٩٩١/٧/١٧ ، مقالاً لأستاذ كبير من أساتذة الاقتصاد فى مصر يجتهد فى الدين ويشرح وجهة النظر الإسلامية فى توزيع الثروة . جاء فيه : « إنما أكتفى هنا بإبراز وجهة النظر الإسلامية بخصوصها ... الإسلام يجعل للفقير فرداً كان أم دولة حقاً فى كل مال أو ثروة ... ولأن المال أصلاً هو مال الله ، والبشر : أفراداً كانوا أم دولاً مستخلفون عليه ومسئولون عنه أمام الله ، فإن يدهم على هذا المال أو الثروة هى يد أمانة ، وملكيتهم لها مجرد وظيفة شرعية .

ومن ثم أوجب الله تعالى على كل فرد غنى ، أو كل دولة غنية التزامات معينة ، تتمثل فى تقديم ما يزيد على حاجة الفرد الغنى ، أو الدولة الغنية إلى الدولة المحتاجة « ...... !!! » ، وذلك دون حدود سوى ما يسد أو يكفى احتياجات هذا الفرد الفقير ، أو تلك الدولة المحتاجة .....!!!! على أن يبدأ بالأقرب فالأقرب ، يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ (٣) .

والعفو هنا هو كل ما زاد على الحاجة .. (٤) ..

« إن الإسلام لا يسمح بالثروة والاغتناء إلا بعد توفير حد الكفاية لكل فرد ، أى المستوى اللائق للمعيشة ، وليس مجرد « حد الكفاف » ، أى المستوى الأدنى للمعيشة ، وبعبارة أخرى : إن الإسلام لا يسمح بالغنى مع وجود الفقر والحرمان ، وإنما يبدأ الغنى والتفاوت فيه بعد إزالة الفقر والقضاء على الحرمان » .. أ هـ (٥)

هذا شىء من مقولات الكتاب ، وهى مقولات خطأ ، تبرأ منها أحكام الإسلام ، وقد آن لها أن

---

(٣) الآية رقم ٢١٩ من سورة البقرة .

(٤) العمود الرابع من المقال صفحة ١١

(٥) العمود السادس من المقال .

تنكشف عن المجتمع المسلم ، وإلا تتمسح بالشريعة الإسلامية .

ولسنا الآن بسبيل بيان وجه الخطأ فى الاستدلال ، الوارد بالمقال ، ولكنما نلفت النظر إلى مقدار الخطر فى إقدام رجال الاقتصاد على الاجتهاد فى الدين أخذاً من النصوص مباشرة ، وهى مرتبة لا ينالها إلا كبار الأئمة الذين توافرت لهم وسائل الفقه بالأحكام وأحاطوا بالنصوص الشرعية ، وعرفوا مقاصدها .

والحق أننا فى محنة : فإن كل كاتب لدينا لا يرى ما يمنعه أن يصدر الرأى اجتهاداً مع المجتهدين ....

وهذه طبيعة عصر اضطربت فيه الموازين ، واختلت الضوابط قصداً إلى تغيير مجتمعنا بتغيير معتقداته وإتلاف القيم فيه .

لقد كان التغيير لحساب هؤلاء .. و هؤلاء .. هو الغاية ، وكان الاجتهاد الكاذب المباح هو المطية .

وهكذا تقع أحكام الإسلام بين ضاغطين : بين التغيير ... والتغيير المضاد ، وكلاهما يرفع شعار « الاجتهاد » - المظلوم - ..

لقد فشت بيننا هذه المقولات - التى أوردها الكاتب فيما نشرته له صحيفة الأهرام .

وجرى ترددها بين الناس حتى ظنها العامة حقيقة شرعية ، وحتى قُرِّرَتْ على الطلاب فى منهاج الدراسة الثانوية - ولا إخالها إلا كذلك حتى الآن - وهى مخالفة لأحكام الإسلام .

وكان أولى بالحكومات أن تحمى المجتمع وطلاب العلم بصفة خاصة - مما يخالف الحقيقة العلمية ، ويفترى على الأحكام .

وأولى بالحكومات أن تجعل الرأى لأهل الرأى كلٌ فى مجاله ، فلا تختل المعايير ، ولا تضيع الحدود .

يقول الشافعى « رحمه الله » : (وليس لِحَاكِمٍ أن يَقْبَلَ ، ولا للوالى أن يَدَع أحداً ، ولا ينبغى للمفتى أن يُفْتِيَ أحداً - إلا متى يَجْمَعُ أن يكون عالماً عِلْمَ الكتاب ، وعِلْمَ ناسخه ، ومنسوخه ، وخاصِّه ، وعامِّه ، وأدبه ، وعالماً بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقاويل أهل العلم : قديماً ، وحديثاً .

وعالماً بلسان العرب ، عاقِلاً ، يُمَيِّزُ بين المُشْتَبِهِ ، ويَعْقِلُ القياس ، فإن عَدِمَ واحداً من هذه الخصال لم يَحِلَّ له أن يقول قياساً ،[6] ، وكذلك لو كان عالماً بالأصول غير عاقلٍ للقياس الذى هو الفرع .

لَمْ يَجُزْ أن يقال لرجل : قِسْ : وهو لا يَعْقِلُ القياس ، وإن كان عاقلاً للقياس ، وهو مضيع لعلم الأصول أو شئ منها .

لم يجز أن يقال له : قس على ما لا تعلم .. أ هـ [7]

قد تجد الحكومات الإسلامية عذراً تعتذر به عن خطأ تقع فيه مخالف للأحكام الشرعية ، لكنها لا تستطيع أن تعتذر عن قبولها لإفساد المعايير ، وتزييف الحقائق لمجتمعها .

وقد آن الأوان : أن تُرَدَّ الأمور إلى نصابها ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[8] .

والله ولى التوفيق

---

(٦) المراد بكلمة « القياس » هنا عند الشافعى : « الاجتهاد » فهو غالباً ما يستعمل اللفظين بمعنى واحد فى باب « الاجتهاد » ، وانظر « الرسالة » بتحقيق الشيخ أحمد شاكر صفحة ٤٧٧ فى باب القياس . وعلى هذا يكون معنى العبارة : « فإن عدم واحداً من هذه الخصال لم يحل له أن يقول اجتهاداً » .

(٧) « الأم » - كتاب إبطال الاستحسان - جـ ٧ - ص ٢٧٤ - دار الشعب .

(٨) الآية رقم ٨٣ من سورة النساء .

الاستقرار فى الجماعة

حتمية تطبيق

الشريعة الإسلامية

بقلم الأستاذ الدكتور :
محمد شامه

تميل الكائنات الحية - فى الغالب الأعم - إلى العيش فى تجمعات بنى جنسها ، حيث تحس بالأمن والأمان ، وتشعر بالسكينة والاستقرار . ويتغلب الكائن الحى على خوفه فيطمئن بين افراد جنسه ، ويسيطر على مصادر القلق على نفسه من المخاطر المحيطة به وسط افراد نوعه ، فهم يمدونه بالقوة اللازمة لمقاومة عوامل الفناء من حوله ، ومصارعة ما - ومن - يحاول اعتراض طريق حياته ، ولهذا يشعر الفرد بان وجوده مرتبط بوجود جماعته ، وحياته متوقفة على هيئة وشكل المجتمع الذى هو فرد منه ؛ فإن كان قويا احس بالزهو والافتخار ، وازداد شعوره بالأمن والاطمئنان ، اما إذا كان مجتمعه ضعيفا سرى الضعف فى اوصاله ، وتغلغل الخوف فى ثناياه ، وبين ضلوعه واجفانه .

ولهذا مال كل كائن حى - غريزيا - إلى الدفاع عن جماعته ، حتى ولو أدى ذلك إلى التضحية بحياته ؛ لأنه يدرك أن لا وجود له ، إذا تلاشت هذه الجماعة ، أو وصل ضعفها إلى درجة لا تمكنها من الذود عن حياة الأفراد ، وتأمين الحماية لهم . ومن هنا تنازل الفرد عن بعض ما يحتاج إليه فى سبيل تقوية الجماعة ، فخضع لكل ما من شأنه أن يدعمها ، حتى ولو أدى ذلك إلى حرمانه مما هو أساسى فى حياته .

وكلما ارتقى الكائن الحى فى سلم التطور النوعى ، كلما زاد شعوره بأهمية قوة الجماعة وتماسكها فى حياته ، واشتد احساسه بالانتماء إليها فى سلوكه ، وقوى ارتباطه بها فى ميوله ، بحيث يصبح الشعور بوجوده غير منفك عن وجود جماعته ، فيمتزج الكل فى وحدة يزيدها هذا الشعور تماسكا ، وقوة ، وصلابة ؛ بل إن التطور النوعى يضيف إلى هذا الشعور الغريزى اقتناعا عقليا بأهمية المجتمع وقوته فى حياة الفرد .

ومما لا شك فيه أن العقل يؤدى دورا كبيرا وهاما فى إقناع الفرد بالرضوخ لقانون الحياة الجماعية ، ويهيئه نفسيا لتقبل ما يتعارف عليه

حتمية تطبيق الشريعة الإسلامية

المجموع من قوانين وإجراءات ، حتى ولو أدى ذلك إلى التنازل عن بعض حرياته ، وترك بعض ما تميل إليه نفسه للاستمتاع بملذات الحياة وطيباتها .

تعزيز اهمية الجماعة

ولا يوجد نوع وصل فى رقيه العقلى ، وتطوره الفكرى درجة تمكنه من إدراك ما للجماعة من اهمية فى حياة الفرد ، مثل ما وصل إليه الإنسان ، فقد استطاع بعقله أن يميز بين إيجابيات الحياة الجماعية ، وسلبيات الحياة الفردية ، فآمن بوجود الجماعة ، بل عمل على تقويتها وتعزيزها بسلسلة من الإجراءات والقوانين التى تلزم الفرد بالتنازل عن بعض رغباته فى سبيل المجموع ، وتحتم عليه تنفيذ ما تعارفوا واتفقوا عليه فى سبيل المحافظة على حياة الجماعة وتقويتها والدفاع عنها ، ومقاومة كل ما من شأنه أن يضعفها ، أو يهددها بالانهيار والتلاشى . وقد أطلق الاجتماعيون على هذا النوع من الالتزام : « العقد الاجتماعى » ، أى أن ما يتعارف عليه الأفراد من لوائح ترسم شكل حياة الجماعة ، ونظم تبين هويتها ، وقوانين تضبط مسيرتها ، يعتبر بمثابة العقد الذى ينبغى على كل أفراد الجماعة الالتزام به ، فمن يخرج عليها ، يعاقب طبقا للقوانين المتفق عليها ، ومن يسلك سلوكا يكون فيه تهديد لكيان المجتمع ، يقع تحت طائلة عقاب قد يصل إلى بتره ، إن لم يكن هناك وسيلة أخرى لإصلاحه ، وحماية المجتمع من شروره وعدوانه .

تفاعل البشر متجاوب مع العدالة

غير أن درجة التفاعل مع هذه القوانين والنظم ، ومدى الخضوع لها تختلف باختلاف مصدرها ، وتلاؤمها مع طبيعة الإنسان ، وصلاحيتها للتطبيق دون تفريط أو إفراط ، وعلاقة الإنسان نفسيا بها ، ودرجة ارتباطه روحيا بوجوب تنفيذها :

فإذا كانت طائفية تميز عرقا عن آخر ، وترفع طبقة على أخرى ، وتفضل ذوى الأحساب والأنساب ، وتلبى مطالب أصحاب الجاه والمال ..

تحايل المظلومون للخلاص منها ، وسلك المنبوذون مسالك شتى للتحرر من سلطانها .

ولو وضعت على نحو لا يشبع غرائز الإنسان الطبيعية ، ولايلبى حاجات البشر الضرورية ..

تمرد الناس عليها ، وأعلنوا معارضتهم لها ، وجهروا بعصيانها ، ومخالفة ، ما تنطق به بنودها وتشريعاتها .

أما إذا أفرطت فى العقاب ..

ثار المكتوون بنارها ، فاقتلعوا ما فى طريقهم من معالم الحضارة والمدنية ، واعتدوا على جلاديهم بكل سلاح يقع فى أيديهم ، بل قد تصل ثورتهم إلى إزهاق أرواح ، لا ذنب لها ولا جريرة فى مسلسل الاضطهاد ـ وسيناريو التعذيب والتنكيل بالضعفاء والمظلومين .

ولا يختلف الوضع عندما يدفع الحرمان ضحاياه إلى التمرد على قانون يحمى المستغلين وأصحاب المال ، فلا يلزمهم بحقوق تجاه مجتمعهم ، ولا يجبرهم على تأدية ما عليهم لبنى وطنهم .

المستحيل المأمول ومتى يكون

فلو فرضنا ـ جدلا ـ أن بعض المجتمعات قد تمكنت من وضع قانون ملائم لطبيعة الإنسان

البشرية ، دون إفراط أو تفريط ، فليس فيه تمييز طبقة على أخرى ، ولا تفضيل جنس على آخر ، كما أنه لا يسمح باستغلال طاقات الأمة استغلالا محرما ، ولا يترك فردا يستنزف جهود أبناء الوطن بطرق غير مشروعة ، دون الوقوف فى وجهه ، والتصدى له ، ومعاقبته عقوبة تزجره ، وتردع غيره عن التفكير فى سلوك هذا الطريق ، فإن مثل هذا القانون - وإن كان فيه العديد من العناصر الإيجابية اللازمة لسلامة البنية الاجتماعية - ينقصه عنصر هام جداً ، بل إنه يكاد يكون العنصر الرئيسى فى الإصلاح والتقويم ، ألا وهو الاقتناع الداخلى لدى الإنسان بوجوب الالتزام به ، حتى وإن كان بعيداً عن أعين الرقباء على تنفيذ هذا القانون ، ولا يتحقق ذلك على الوجه الأكمل إلا إذا كانت هناك علاقة روحية بين المشرع ، والمشرع له ، إذ يدفعه هذا الارتباط الروحى إلى المحافظة على مواد القانون ، والتفانى فى التمسك به ، والتضحية فى سبيل تطبيقه ، فضلا عن الدفاع عن شرعيته بكل ما أوتى من قوة ، وفى هذه الحالة يخفف العبء عن المعينين للرقابة ، فلا يبذلون جهدا فى حفظ الأمن والاستقرار ، إلا مع فئة قليلة ، خبث فيها هذه الروح ، وقد تضيق دائرتها ، فيقل عدد المخالفين خوفا من توقيع العقاب عليهم .

وعلى الرغم من اقتناع بعض الباحثين بأن (الثقافة ، ودرجة التحضر)، كفيلان بخلق هذه العلاقة بين الفرد والقانون ؛ إذ أن الإنسان المثقف أكثر الناس حرصا على الالتزام باللوائح والنظم والقوانين ، وكلما ارتقت درجته فى سلم الحضارة ، كان حرصه على هذا الالتزام أكثر ، حتى يصبح جزءا من طبيعته وميوله ، إلا أن ما تغرسه الروح الدينية فى هذا الجانب أكثر عمقا من أى ثقافة ، مهما كانت نوعيتها وحجمها ، وأشد صلابة من أعلى درجات الرقى والحضارة ، وإن ارتفعت بالإنسان إلى عالم المثل ، وأحاطته بطبقات من الأخلاق والفضائل ، ذلك أن الشعور الدينى يتغلغل فى الإحساس ويختلط بالشعور ، ويمتزج بالدم فى العروق والشعيرات ، بحيث لا يتصرف الإنسان إلا طبقا لإحساسه ، ولا يسلك مسلكا يتنافى مع شعوره ، فلو كان ما يطلب منه الالتزام به فى سلوكه مع نفسه ، وفى مجتمعه مع من يعيشون معه ، ملبيا لهذا الشعور ، وغير متنافر معه ، اتحد الطرفان ، فأصبح القانون جزءا من كيانه ، فلا يحس إلا طبقا لمبادئه ، ولا يتصرف إلا استجابة لأوامره ونواهيه ، بحيث لا يخرج عنه إلا فى لحظات الغفلة ، وأوقات النسيان ، لكن سرعان ما يصحو ويتذكر ، فيعود إلى سلوكه الطبيعى الذى هو صدى لما يأمر به القانون ، وينهى عنه .

قانون السماء هو المنشود

ولا يوجد فى المجتمعات البشرية ما يتميز بهذه الخصائص سوى القانون الدينى ، فتعاليم الدين تحتل مكان القداسة فى نفس الإنسان - سواء كان ذلك عن رغبة فى الثواب ، أو رهبة من العقاب - فلا يجرؤ على مخالفتها ، وليس لديه الشجاعة لمعارضتها ، فهو منقاد لها ، منفذ ما تطلبه من أوامر ، ومجتنب ما تنهى عنه ، بوازع داخلى ، دون الحاجة إلى إجبار من أمير أو خفير ، ومن غير أن يدفعه إلى ذلك سطوة سلطان ، أو سلاح فرسان ، فهو منقاد لها بطبيعته ، لأنها امتزجت بحواسه ، وهو سائر فى الطريق التى رسمتها له استجابة لمشاعره المختلطة بها ، فلا يحيد عنها لأن طبعه يأبى ذلك ؛ ولا يخالفها ؛ لأن مخالفتها تمزقه داخليا ، فيحس بالضياع والهوان .

ولهذا نرى أن المجتمعات التى تطبق تعاليم دينها فى حياتها من أكثر المجتمعات البشرية

﴿ حتمية تطبيق الشريعة الإسلامية ﴾

انضباطا ، وأقومها أخلاقا ، تقل فيها نسبة الجريمة إلى حد كبير ، ويشعر الفرد فيها باطمئنان النفس ، وراحة الضمير ، وهدوء الأعصاب ، و (انسجام) العلاقات الإنسانية ، فإذا كانت تعاليم الدين صافية غير مختلطة بترهات الكهان ، وحماقات ضعاف العقول والنفوس ، وضلالات المنحرفين والمتطرفين ، فإن ما تنطق به نصوصه من قوانين يعتبر الأساس الصحيح لتنظيم قواعد سليمة ، تصلح لحماية الأمة من عوامل الضعف والانحلال وتحافظ على كيانها ، فلا تتسرب إليها جرثومة تنخر عظامها ، ولا يعكر صفو أفرادها أى نوع من الآفات التى تصاب بها الأمم ، عندما تضل طريقها ، أو تفقد هويتها .

ولا يتحقق ذلك إلا فى الإسلام ، فقد كتب الله لنصوصه الحفظ من الضياع ، فصانها من أيدى العابثين ، بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(١) فالقرآن الكريم وحى الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فيجب أن يكون مصدر القوانين التى تضبط النظام فى المجتمع ، وتقوم سلوك الإنسان ، وتهذب أخلاقه . ولا ينكر ذلك إلا مكابر معاند ، ضاعت الحقيقة من قلبه ، فأغمض عينيه بحيث لم يعد يرى أن للقرآن الكريم سلطانا على النفوس ، فلا يستطيع المسلم منه فكاكا ، وأن فى تعاليمه كل المقومات والعناصر التى ينشدها الأفراد فى حياتهم :

— **عدالة** : لا تعرف الانحياز لطائفة ضد أخرى ، وتأبى تفضيل جنس على آخر على أساس دم أو عرق أو نسب .

— **(انسجام) مع طبيعة الإنسان** ؛ فليس فى تعاليمه ما يكبت غريزة ، أو يقضى على عنصر أساسى فى حياة الناس .

— **سهولة ويسر** ؛ فلا شطط ولا تعنت : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(٢) و ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(٣) .

— **تقبل نفسى** ؛ إذ لا يجد المرء أى غضاضة فى الخضوع لها ، فهى من الله الذى يرضى الإنسان بسلطانه ، ويتقبل أوامره بصدر رحب ، ويتجنب نواهيه بارتياح ، بخلاف ما لو كان من صنع بشر ، الأمر الذى يورث التمرد عليه ، لمجرد شعوره بأنه من إنسان مثله ، فلا تقبل نفسه الخضوع له إلا مرغماً ، ولا تنفذ ما يأمر به إلا كارهة .

دعاوى ضد الشريعة الإسلامية

فإن ادعى بعض الناس أن تطبيق الشريعة الإسلامية :

- رجوع بالمجتمع إلى عصور القرون الوسطى ، لأنها صيغت لتلائم تلك الحياة الأولى ..

- وتطويع للحياة العصرية لتعاليم لم تعد صالحة لمتطلبات العصر ، فهى عاجزة عن مواكبة سرعة الخطا فى طريق التقدم والرقى ، وتلبية احتياجات إنسان القرن العشرين ..

فهو - والحال هذا - لم يفهم طبيعة التشريع الإسلامى .. ولم يدرك فلسفته وأهدافه ..

إذ أن للتشريع الإسلامى محوراً يدور حوله ،

---

(١) الحجر ٩ .
(٢) الحج ٧٨ .
(٣) البقرة ٢٨٦ .

ويرتكز عليه ، ألا وهو الإنسان !!! إذ يركز على تقويمه ، وتهذيبه ، وإصلاح سلوكه(٤) .

ومما لاشك فيه أن طبيعة الإنسان لا تتغير بتغير الزمان والمكان .

فالأنانية التى تسيطر على بعض أفراد من البشر لا تختلف اليوم عما كانت عليه فى الماضى ، وإن اختلفت أساليب إشباعها .

وميله إلى الاعتداء على ما فى يد الغير لا يغير جوهره ومضمونه تقدم ورقى وحضارة ، وإن حورت وطورت أساليب ووسائل هذا الاعتداء ...

وكذلك الشأن فى كل غرائزه ، لا تبدلها العصور ، وإن لونت مظهرها الخارجي ، ولا يغير التحضر كنهها ، وإن عدلت فيه ، فغيرت شكله . ولا يمحوها الرقى والتقدم ، بل يحجبها فلا تراها العين المجردة ، وإن كانت آثارها أكثر وضوحاً منها فى عصور « التخلف والانحطاط » .

ومن هنا فلا يجوز أن يرفض قانون ، بحجة أنه لم يعد صالحاً للعصر ، ما دام هذا القانون يهدف إلى إصلاح الإنسان وتهذيبه ، لأن طبيعة الإنسان باقية كما هى ، على الرغم من اختلاف العصور حضارة وتقدماً ، وتفاوت مجتمعاتها ثقافة وتعليما .

أما ما يدعيه المعارضون من عدم قدرة التشريع الإسلامى على تلبية متطلبات العصر ، بحجة أن هناك من الظواهر ما يتغير ويتبدل ، وكثير منها جديد كل الجدة ـ أى ليس له مثال سابق فى تاريخ المجتمع الإسلامى ـ بل إن نظام الحياة قائم على التغير المستمر ، والتطور المطرد ، الأمر الذى يستلزم تغيير القوانين باستمرار لتنسجم مع صور الحياة المتجددة ، ولتلبى احتياجات المجتمع التى تنشأ عن هذا التغير ..

فقد نشأ هذا الاعتراض بسبب عدم إدراك فلسفة التشريع الإسلامى ـ كذلك ..! ذلك أن الله أنزل التشريع الإسلامى متطابقاً مع طبيعة الوجود ، منسجماً مع كل ما يطرأ من التغيرات ، أو يظهر على سطح الحياة من ظروف متجددة ، ذلك أنه تضمن (قواعد كلية) تصلح لكل الأزمنة والعصور ، وتتمشى مع ما ينبغى أن تكون عليه الحياة من الاستقرار ، أو تتفق مع الظواهر التى يشترك فيها جميع الأجناس البشرية ، ومع ذلك فقد تركت التفصيلات والتفريعات لعقل الإنسان ، يستخلصها حسب عصره وبيئته ، ويستنتجها طبقا لمتطلبات ظروفه المحيطة به ، بحيث يلبى احتياجات العصر . وفى الوقت نفسه لا تخرج عن الخط الرئيسى الذى رسمه الإسلام كمبدأ عام يلتزم به الجميع ، أو كدستور يتخذه الناس قاعدة تشريعية أصلية ، ينبثق عنها كل ما يقررونه من قوانين ، وما يرسمونه لأنفسهم من لوائح ونظم .

فالقضايا الكلية فى الإسلام هى (قواعد التشريع الأساسية) التى تصلح لكل شعب ، وتلبى احتياجات كل المجموعات البشرية ، على اختلاف ألوانها وأجناسها ، وتتناسب مع كل عصر وبيئة ، إذ يتخذها الجميع أساسا تستنتج منه أحكام لكل القضايا ، وعلاج لكل المشاكل التى تواجه الإنسان والمجتمعات . فكانت هذه المبادىء الرئيسية فى التشريع أساسا للاجتهاد فى مجال الأحكام الشرعية ، الذى بمقتضاه تكونت المذاهب الفقهية ، فزخرت بالأحكام والتفريعات

(٤) أو كما يقول أستاذنا د . محمد البهى : « ليكون مواطنا صالحا » فالقوانين الإسلامية إنما هى لهذا الهدف فضلا عن إعداده لسعادة الآخرة .

حتمية تطبيق الشريعة الإسلامية

التى كانت منها فروض مقدرة الحدوث فى الأزمان المستقبلة .

فكان هذا العمل فى مجال التشريع ، دليلا على مرونة الفقه الإسلامى ، وصلاحيته لمواجهة الأحداث ، التى تظهر نتيجة لديناميكية الحركة فى مجالات الحياة المختلفة ، وعنصرا جوهريا فى مفهوم صلاحية التشريع للتطبيق فى كل العصور ، مهما ارتقى الإنسان فى سلم الحضارة والمدنية .

ومن أكثر حجج المعارضين صدى بين الجماهير ، وأبعدها تأثيرا فى موقف المشتغلين بقضايا السياسة والحكم ، ما يزعمونه من أن تطبيق الشريعة الإسلامية لا يتناسب مع روح العصر ، فلم تعد تقبله النفس الإنسانية التى تربت فى جو « ليبرالى » ، يكره القسوة فى العقاب ، ويرفض كل أساليب الوحشية فى مجال التقويم والتهذيب ؛ فالإنسان المتحضر يقشعر بدنه ، عندما يسمع أن من صور العقاب : قطع يد السارق ، ورجم الزانى حتى الموت ، فهو يعارض دائما وأبدا كل تشريع يتضمن مثل هذا العقاب القاسى ، حتى ولو كان الإسلام الذى يدين به ، معللا هذا الموقف بعلل شتى ، ومبررا موقفه المعارض لتطبيق الشريعة الإسلامية ـ رغم تمسكه بالإسلام عبادة وأخلاقا ـ بمختلف الحجج والبراهين ، ومن أشهرها : ما يدعيه من أن تطبيق مثل هذه العقوبات سيؤدى إلى زيادة العجزة فى المجتمع ، مما يزيد فى عبء الدولة ، فيبدد قواها ؛ ويشل حركتها فتعجز عن مواكبة التقدم والرقى مع غيرها من الأمم .

اقتنع كثير من المسلمين ـ وخاصة خريجى المدارس المدنية ـ بهذا الاتجاه ، غير أن بعضهم أيد سلبيا ، وعارضه وجدانيا . وآخرون ناصروه بكل قوة متاحة لهم .

وينبغى على هؤلاء المعارضين لتطبيق الشريعة الإسلامية ـ سواء كانت معارضتهم سلبا أو إيجابا ـ أن يعلموا أن الشريعة الإسلامية ليست هى قانون العقوبات فقط ، بل هى منهاج لكل جوانب الحياة الإنسانية ، وما قانون العقوبات فيها إلا جزء يسير منها .

ثم هى من قبل ومن بعد من صنع الله ـ سبحانه ـ الذى لديه العلم التام بالإنسان وحياته وتطوره ، وما يطرأ على عصوره المختلفة من دوافع التقدم أو نكسات الحضارة ـ فكان كتابه العزيز بالمرصاد لكل تطور وطارىء يعالجه على أحسن حال بخير قانون ، فهو ـ سبحانه ـ بكل شىء محيط .

الأزهر والدعم المطلوب

قال النائب المستقل الشيخ جمال قطب ـ ومعه كل الحق ـ :

إن دعوة التغيير التى نطلقها لدعم الأزهر ونشاطه لم نر لها اثراً فى ميزانية الدعوة الإسلامية عامة والأزهر خاصة .

وقال : اريد ان اضيف تعريفاً بسيطاً للأزهر لكثير من الناس ، يظنون ان الأزهر جامع وله شيخ يصلى الاوقات او انه مؤسسة تعليمية .

فالأزهر بنص القانون غير ذلك .

الأزهر هو المؤسسة المسئولة عن الدعوة التى لها جذور فى هذه الدولة عمرها الف سنة ومن غير المعقول ان يخصص فى الميزانية ٨٠٠ الف جنيه لصيانة ٤٠٠٠ معهد .

وهل يرضى احداً ان تخصص وزارة المالية مبلغ الف جنيه كميزانية مكتبات والمعهد الأزهرى فيه اكثر من الف تلميذ يخصص له ٢٥ قرشاً للمكتبات ؟

وقال الشيخ جمال قطب : اما فيما يختص بالدعوة فالحكومة مشكورة تصر على ان تدرج ميزانية الأزهر ككل ، غير عابئة بالقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ والذى يقرر ان الأزهر مؤسسة ، ومجمع البحوث الإسلامية به ٤ آلاف واعظ ، والمقنن للواعظ الواحد ان يذهب شهريا إلى ٢٤ قرية !

وتساءل النائب هل من المعقول ان يصرف للواعظ الذى يذهب إلى ٢٤ قرية رغم انفه عشرة جنيهات كبدل انتقال !

وهل يستطيع الواعظ بعشرة جنيهات أن يذهب إلى قريتين او ثلاث . ويترك الباقى لمن ؟! للشباب غير المتخصص ، لمساجد انشئت بالوفرة ولا تستطيع وزارة الأوقاف ان توفر لها دعاة ، هذا امر مما يصادفه علماء الأزهر ! ثم مصحف الأزهر وكانت نعمة ان يطبع الأزهر مصحفاً يصبح دعم الحكومة له نصف مليون جنيه ! وعندما طلب شيخ الأزهر دعماً من اجل ان يطبع المصحف ويوزعه على التلاميذ او يوزعه على الأقليات الإسلامية ، يقولون له قم ببيع ربع الكمية التى لديك واستعمل حصيلة البيع فى إعادة الطبع ! وهذا امر لا يليق بالأزهر .

نريد ان نرى مجمع البحوث الإسلامية بكادره الخاص ، بقدرات وعاظه وعلمائه على مسايرة الدعوة .

نريد لمجلة الأزهر ولسلسلة مجمع البحوث ولكتب التراث خُمس او عُشر ما يخصص لأى مجلة او جريدة .

كل ذلك كلام قيل تحت القبة من نائب عن الشعب غيور على دينه ، فإذا كان الكلام صحيحا فهو شىء مؤسف حقا ، ويجب سرعة تداركه حتى تستقيم الدعوة وتنصلح الأحوال .

عن الأهرام فى ١٣ من صفر ١٤١٢ هـ

نساء في الهجرة

٢

لقد كان للنساء المؤمنات أكثر من دور بارز فى الهجرة المباركة ، وقد ساعدن فى هذا الحدث الشامخ ، وقد قدمنا ـ فى الحلقة الأولى ـ بعض النماذج ، وفى هذه الحلقة نستعرض عددا آخر ممن كان لهن دور بارز فى أخطر حدث فى تاريخ الإسلام .

بقلم : حلمى الخولى

(٧) ليلى بنت الخطيم : (فاتحة العهد المشرق) :

■ هى ليلى بنت الخطيم بن عدى بن عمرو بن سواد بن ظفر بن الخزرج الأنصارية الظفرية ، أخت الشاعر قيس بن الخطيم . أسلمت بالمدينة المنورة قبل مقدم النبى ﷺ مهاجرا ، ولما علم من بالمدينة من المسلمين بأن الرسول ﷺ بدأ هجرته المباركة من مكة فى يوم الاثنين ، وأنه على وشك الوصول إليهم ، تأهب الجميع للقاء المهيب مع رسول الله ﷺ .

■ وكان الجميع يخرجون إذا صلوا الصبح ، إلى ظاهر «الحرَّة» ينتظرون النبى ﷺ فلا يبرحونها حتى تغلبهم الشمس ، فإن لم يجدوا ظلا دخلوا البيوت وذلك فى أيام حارة . فلما كان ذلك اليوم الذى قدم فيه رسول الله جلسوا كما كانوا يجلسون ، حتى إذا لم يبق ظل دخلوا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلى صوته : يابنى قيلة هذا جدكم قد جاء ، وخرج الناس على الطرق وعلى البيوت، والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله .. الله اكبر جاء محمد .

■ وكانت «ليلى بنت الخطيم» من أشد النساء رغبة فى لقاء النبى ـ ﷺ ، وكان لها شرف السبق ، فأتت إليه ومعها ابنتاها ، «عمرة وعميرة» بنتا «مسعود بن أوس بن مالك بن سواد بن ظفر» ، وابنتان لابنتيها ، وبايعته فقالت : يارسول الله جئنا نبايعك على الإسلام ؛ فإنا قد صدقنا بك ، وشهدنا أن ما جئت به حق . فقال النبى ﷺ : الحمد لله الذى هداكن للإسلام . ثم قال : قد بايعتكن . فكانت «ليلى بنت الخطيم» أول امرأة بايعها النبى ﷺ .

■ وقد قيل : إن أول المبايعات للنبى ﷺ : أم سعد بن معاذ كبشة بنت رافع بن عبيد ، وأم عامر الأشهلية ، وحواء بنت يزيد بن السكن ، وليلى بنت الخطيم والشموس بنت أبى عامر الراهب ، وجميلة بنت ثابت بن أبى الأقلح ولكن ذكر ابن سعد فى طبقاته : إن أول امرأة بايعها

النبى كانت «ليلى بنت الخطيم» وكذلك ذكرها «ابن حجر» فى «الإصابة فى تمييز الصحابة» .

■ وقد يسأل سائل وأى أثر تتركه مبايعة «ليلى» للنبى ﷺ فى حدث الهجرة العظيم ؟!

لقد كان الإسلام مازال بكرا ، دين غض الإهاب ، وكل شيء - ولو صغيراً - يشارك فى تثبيت دعائمه ، وإقامة بنيانه ، فمرحبا به ، ومبايعة «ليلى بنت الخطيم» للنبى ﷺ كانت إحدى اللبنات الهامة فى صرح الإسلام العظيم ، فدين الله الحنيف دين الفضيلة والخلق ، ولكى يوطد دعائم الفضائل لابد من ترسيخها فى النفوس . فقد توالت مبايعة النساء للنبى - ﷺ - بعد ذلك ، وفحوى المبايعة إنما تظهر معدن النفوس التى بايعت ، فبالبيعة أخذت هذه النفوس العظيمة العهد على نفسها بتجنب أعظم الشرور والآثام فقد قلن فيما بعد للنبى ﷺ : نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك فى معروف .

■ فكيف يكون حال المجتمع - أى مجتمع - إذا كانت نساؤه على هذا المستوى من الصلاح ، فلاشرك بالله ، ولا سرقة ، ولا زنا ، ولا قتل ، ولا عصيان .

ياله من مجتمع فاضل قويم يقوم على أساسيات الفطرة التى نادى بها الإسلام ؛ فتكون «ليلى بنت الخطيم» - أول مبايعة للنبى ﷺ بعد الهجرة - هى فاتحة الخير فى أخذ العهد ببناء مجتمع طاهر تقى نظيف . وأى عظمة تلك التى يكون عليها هذا المجتمع ، وكذلك أى عظمة لمن ساهم وشارك فى بنائه ؟!!

(٨) ام سلمة : (الصبر والثبات) :

■ هى هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية ، وكان أبوها يعرف بزاد الركب ، لأنه أحد الذين انطلقت أيديهم بالجود حتى استفاض به ذكرهم ، وكان إذا سار فى ركب فعليه إطعامهم مادام فيهم ومن أجل ذلك سموه «زاد الركب» ، وتكنى بأم سلمة ، زوجت أول ما زوجت من ابن عمها «عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن مخزوم» ويعرف بأبى سلمة . وولدت له أم سلمة : سلمة ، وعمر ، ودرة ، وزينب .

■ وأم سلمة وأبو سلمة من السابقين الأولين فى الإسلام ، ومن المهاجرين ، فقد هاجرا إلى الحبشة الهجرتين ، ثم كانا من أوائل المهاجرين إلى المدينة المنورة ، وقد هاجر أبو سلمة وعُوِّقت أم سلمة ، والقصة تحكيها أم سلمة ، كما جاءت فى كتب التراجم والسير ، وقد جاء فى السيرة النبوية لابن كثير : « ... لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحَّل لى بعيره ، ثم حملنى عليه وجعل معى ابنى سلمة فى حجرى ، ثم خرج يقود بى بعيره ، فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده وأخذونى منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة ، وقالوا : والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابنى سلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة قالت : ففرق بينى وبين ابنى وبين زوجى قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس فى الأبطح ، فما أزال أبكى حتى أمسى ، سنة أو قريبا منها ، حتى مر بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة ، فرأى ما بى فرحمنى ، فقال لبنى المغيرة : ألا تحرَّجون من هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين

نساء فى الهجـــرة

ولدها . قالت : فقالوا لى : الحقى بزوجك إن شئت ، قالت : فرد إلى بنو عبد الأسد عند ذلك ابنى . قالت : فارتحلت بعيرى ، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة . قالت : وما معى أحد من خلق الله . حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت (عثمان بن طلحة بن أبى طلحة) أخا بنى عبد الدار ، فقال : إلى أين ياابنة أبى أمية ؟! قلت : أريد زوجى بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : ما معى أحد إلا الله وابنى هذا . فقال : والله مالك مِنْ مَتْرَك . فأخذ بخطام بعيرى فانطلق معى يهوى بى ، فوالله ماصحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم استأخر عنى حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ، ثم قيده فى الشجر ، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى قدمه فرحله ، ثم استأخر عنى وقال : اركبى ، فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى . فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء ، قال : زوجك فى هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلا ـ فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا إلى مكة .

■ وهكذا نرى أن «أم سلمة» قد خُلِّفَتْ فى مكة ما يقرب من سنة ، فى هذه الأثناء كان عامر بن ربيعة قد هاجر ومعه امرأته «ليلى بنت أبى حثمة» فيكون لليلى السبق من حيث الهجرة الفعلية فهى أول امرأة هاجرت من مكة ، أما من حيث النية «فأم سلمة» هى المهاجرة الأولى ، وكذلك قد انفردت بلقب أول،فهى أول ظعينة تهاجر وحدها دون زوجها فى صحبة مشرك ومهما يكن من الأمر ، فهذه أسرة تزلزل كيانها وتمزق شملها ، الزوج الأب فى المدينة والأم الزوجة عند أهلها ، والولد عند أهل أبيه ، والأم كل صباح تبكى لفراق ولدها وزوجها ... إلخ .

هذه هى النفوس العالية المباركة التى اختارها المولى ـ جلا وعلا ـ لصحبة رسوله ـ ﷺ ـ فسبحانه هو الخالق ، وهو أعلم بمن خلق .

■ واستقر المقام بأم سلمة وزوجها وولدها،ويبدأ الكفاح المسلح ويشارك الزوج فيه ويعود من إحدى المعارك وقد جرح ولم يبرأ من جرحه ولبى نداء ربه ، وأكرم الله أم سلمة وشرفها بما قدمت بالزواج من النبى ـ ﷺ ـ لتصبح أمًا من أمهات المؤمنين ، ويحفظ التاريخ لها وقفة عظيمة جمعت شمل المسلمين ، فكانت من أكمل النساء نفسا ورأيا ، ففرج الله بها عن رسول الله ـ ﷺ ـ موقفا من أشد المواقف وقعا عليه ، وإجمال ذلك أن رسول الله ﷺ خرج بالمهاجرين والأنصار إلى مكة معتمرا ، فلما دنا من مكة عرضت له قريش وقالوا : لا يسمع العرب أنك دخلت ديارنا عنوة ، وهنالك بايع رسول الله ـ ﷺ ـ أصحابه على الموت . ثم توسلت إليه قريش أن يعود إلى المدينة على أن يفسحوا له طريق الحج فى العام الذى يليه ، فرضى رسول الله إجلالا للمدينة المقدسة أن تخضب بالدماء ، وأمر المسلمين أن ينحروا اضاحيهم ويحلقوا رءوسهم تحللا من إحرامهم وايذانا لهم بالانثناء عن الاعتمار ، فعز على المسلمين أن يصرفوا عن وجهتهم بعدأن تعاقدوا على الموت فى سبيل الله ، وكفوا عما أمر رسول الله به فدخل على أم سلمة حزينا مغضبا . فقالت : مالك يارسول الله مرارا ، وهو لا يجيبها ثم ذكر لها ما لقى من الناس وقال لها : هلك المسلمون ! أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا وهم يسمعون كلامى ويرون وجهى . فقالت : يارسول الله لا تلمهم ؛ فإنهم قد دخلهم أمر أعظم مما

ادخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ، ورجوعهم بغير فتح . ثم اشارت عليه أن يخرج ولا يكلم احدا وينحر ويحلق رأسه ، فخرج رسول الله ففعل ما أشارت به ، فلم يبق مسلم إلا نحر وحلق ، والتأم شمل المسلمين وتم رأب الصدع برأى أم سلمة الحكيم .

(٩) المهاجرات العظيمات : (دعامات قوية) :

■ وقد تتابعت المهاجرات فى توافدهن على المدينة حتى خلت بعض الديار تماما من ساكنيها واصبحت يبابا مثل دار بنى جحش فقد هاجر رجالها ونساؤها ومنهن زينب بنت جحش ، وحمنة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش وجذامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيب بنت ثمامة ، وأمنة بنت رقيش ، وسخبرة بنت تميم ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنهن ـ وما منهن إلا لها عمل مجيد : جهادا أو رواية بفقه عظيم .

■ وبعد هجرة النبى ـ ﷺ ـ هاجرت زوجته ام المؤمنين سودة بنت زمعة ، ومن بناته فاطمة وأم كلثوم ، ثم هاجرت بعدهما زينب ، بعدما ضربت مثلاً رائعا للصبر على البلاء ، وهاجرت أم أيمن حاضنة النبى ﷺ ، وأم رومان زوجة أبى بكر الصديق ، وعائشة وأسماء رضى الله عنهم جميعا . وبهذا العدد المتدفق من المؤمنين والمؤمنات ، المهاجرين والمهاجرات ـ إلى المدينة بدات ملامح المجتمع الإسلامى تتضح ، وتظهر سماته ، فقد كونت الهجرة مع الأنصار قاعدة شعبية عظيمة ، ودعائم قوية لإقامة مجتمع قوى يقوم على الإيمان والطهر والتقوى .

(١٠) ام كلثوم بنت عقبة : (النية الصادقة والضمير الحى) :

■ هى ام كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية الأموية ، أمها أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس . وهى أخت عثمان بن عفان لأمه . وأخت الوليد بن عقبة . اسلمت أم كلثوم فى مكة وبايعت النبى ـ ﷺ ـ وكانت بكراً بين أبويها ، فلم تستطع الهجرة مع المهاجرين قبل النبى ـ ﷺ ـ ولا بعده .

■ ونفس المؤمنة «أم كلثوم» كانت تواقة للهجرة حتى تحيا مع الجميع فى كنف الوحى ، وزاد السماء ، ولكن صلح الحديبية الذى أبرم بين المسلمين والمشركين ، وكان من بين شروطه : «من جاء من مكة مهاجرا يرده المسلمون إلى المشركين ، ومن جاء من المسلمين إلى مكة مرتدا عن الإسلام فلا يرده المشركون . وهذا الشرط أوقف الهجرة من مكة إلى المدينة .

■ و«أم كلثوم» كانت عقدت العزم على الهجرة ، ولكن الأمور قد تعقدت أمامها بهذا الصلح المبرم ، وألم الحزن بقلبها ، وكلما رأت مسلما يعذب فى طرقات مكة ، انفطر قلبها حزنا وكمدا ، وفى هذا الخضم المؤلم ، كانت تهب نسمات من الراحة والطمأنينة على هذا القلب الرقيق المؤمن ، اليس الله هو القائل : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (سورة الطلاق الآية الثانية والثالثة) .

■ ويهدأ جزع «أم كلثوم» وتسكن ثورتها فى ظل تلاوة القرآن الكريم وذكر الله ، ودوام الدعاء والتوجه إلى الله أن يهيىء لها فرصة سانحة لتهاجر ، وذات يوم أصبحت وقد عقدت العزم على الهجرة ، وكلها أمل أن الله سيحقق لها رغبتها برغم هذا الصلح وشرطه القاسى . ولكن انى لها ذلك ؟؟ وهى فتاة ، والطريق من مكة إلى المدينة محاط بالمتاعب والمصاعب ، وليست الرحلة هينة وبخاصة إذا كانت الراحلة امرأة . وهيأ الله لها الفرج فقد رأت رجلا من «خزاعة»

♦ نســاء فـى الهجــــرة

قد عزم النية على الهجرة ، فاصطحبته ، ووصل ركب المهاجرين إلى المدينة ، وهدأت النفس القلقة بلقاء المؤمنين ، ومسحت الطمأنينة عن القلوب متاعب الخوف والسفر ، وزادتها اطمئنانا إلى اطمئنانها .

■ وكانت الفرحة غامرة فى قلب «أم كلثوم» ، طاردت كل أطياف الحزن التى مرت بها بعيداً عن إقامة الرسول ﷺ والمسلمين . ولكن الفرحة لم تدم طويلاً ، إذ أرسلت قريش فى أعقابها بركب يضم الوليد بن عقبة وعمارة بن عقبة أخويها ليعودا بها ، وأبى رسول الله ـ ﷺ ـ أن يردها لقوله تعالى ـ الذى كانت أم كلثوم سببا فى نزوله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ .. الآية . الممتحنة (١٠) .

كلمـــة أخيرة :

رأينا من العرض السابق فى الحلقتين جهاد المؤمنات الأوليات فى الإسلام ، ومشاركتهن فى حوادثه مشاركة فعالة لم تطمس واجبهن نحو بيوتهن وأزواجهن وأبنائهن ، وأن منهن من انفردت بعبء من البلاء الأليم فتحملته راضية محتسبة ولئن دل ذلك على شىء ، فإنما يدل على مدى تأثير المرأة الإيجابى فى إخلاصها أمام الهدف النبيل ، فساهمت فى تنقية الأجواء الاجتماعية من المفاسد ، ورشحت المناخ لتصفيته من المثالب .

وهل كان هذا المجتمع الأمين يسمو هذا السمو الفذ بغير هذا العضو الذكى الذى مثلته المؤمنات الأول .

المراجع والمصادر للحلقتين

(١) أسباب النزول : للنيسابورى .
(٢) أسباب النزول : للسيوطى .
(٣) السيرة النبوية لابن كثير .
(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد .
(٥) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر .
(٦) أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير .
(٧) المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها . عبد الله العفيفى .
(٨) أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام . عمر رضا كحالة .
(٩) تراجم سيدات بيت النبوة رضى الله عنهن . الدكتورة عائشة عبد الرحمن .
(١٠) أضواء على الهجرة . توفيق محمد سبع .
(١١) نساء الصحابة . عبد العزيز الشناوى .
(١٢) أعداد متفرقة من مجلة منار الإسلام .
(١٣) أعداد متفرقة من مجلة الوعى الإسلامى .
(١٤) أعداد متفرقة من مجلة منبر الإسلام .
(١٥) الاستيعاب فى أسماء الأصحاب لابن عبد البر .
(١٦) صفة الصفوة لابن الجوزى .
(١٧) الهجرة .. مواقف .. عبر .. عظات ..

عبد المعز عبد الحميد الجزار

من بشائر المولد

تصدع الإيوان ورؤيا الموبذان

للأستاذ
عبد الحفيظ فرغلى القرنى

ذكر الإمام ابن ظفر الحموى فى كتابه : (خَيْر البِشَر بخير البَشَر) الخبر الآتى :

قال : لما كانت السنة التى ولد فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرفة ، فجزع كسرى انوشروان من ذلك وتطير ، ورأى الا يكتمه زعماء مملكته فاحضر (موبذان موبذ) ـ وهو رئيس حكام دين المجوس من الفرس ـ وعنه ياخذون نواميس شرائعهم .

واحضر (الموابذة) ـ وهم القضاة .
(الهرابذة) ـ وهم كالخلفاء للموابذة ، و (اجبهذ) وهو حافظ الجيوش والامير على الامراء .

و(يزرجفومذار) وهو الوزير الاعلى ، ومعنى اسمه : اكبر مامور .

و (المرازبة) وهم حفظة الثغور وولاة ارباع المملكة .

فاخبرهم بما كان من ارتجاس إيوانه وسقوط ماسقط من شرفاته .

فقال له رئيس الموابذة وهو (الموبذان) : إنى رايت فى المنام كأن إبلا صعابا تقود خيلا عرابا ، قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس .
وأخبره فى ذلك الوقت قَوَمَةُ النار بخمودها تلك الليلة ، فهالهم ذلك واستفظعوه ، ولم يظهر لهم وجهه .

فتفرقوا عن الملك يتروون فى ذلك .
ووافت برد ـ جمع بريد ـ كسرى من جميع جهات ممالكه تخبر بخمود النيران فى تلك الليلة . ووافاه الخبر أن بحيرة (ساوة) قد غاض ماؤها .
فجمع زعماء دينه ورؤساء سلطانه ، وأطلعهم

من بشائر المولد

تصدع الإيوان ورؤيا الموبذان

على ما انتهى إليه من ذلك ، وسألهم عما يرون فيه .

فقال له : (موبذان موبذ) : أما رؤياى فتدل على حدث وأمر عظيم يكون من العرب . فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر يأمره بأن يبعث له عبدالمسيح بن عمرو بن نفيلة الغسانى - وكان معمرًا - فلما قدم على كسرى قال له :

هل عندك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟

قال : لا ، ولكن ليخبرنى الملك عما يريد علمه ، فإن كان عندى علم أخبرته .

قال : (أنوشروان) : إنما أريد من يعلم أمرى قبل أن أذكره -

فقال عبدالمسيح : هذا يعلمه خال لى يسكن بمشارف الشام ، يقال له سطيح .

قال كسرى : فاسأله وائتنى بالجواب .

فانطلق عبدالمسيح حتى انتهى إليه فوجده قد أشفى - أوشك - على الموت ، فحياه ، فلم يجبه ، فقال عبدالمسيح رافعا صوته : (1) .

أَصُمٌّ أم يسمع غطريف اليمن
ام فاد فَأَزْلَمَّ بـه شأو ألعَنَنْ ؟
يافاصل الخطة أعيت من ومن
وكاشف الكربة عن وَجْهٍ غَضِنْ(2) .
اتـاك شيخ الحى من آل سنن
وأمــه مــن آل ذئب بـن حجن
ازرق مهمى النـاب صرار الأذن
ابيض فضفـاض الرداء والبـدن
رسول قيل العجم يسرى بالوسن
لايـرهب الرعـد ولا ريب الزمن
تجوب بى الأرض علنداة شـزن
تـرفعنى وجنا وتهـوى بى وجن
حتى أتى عارى الجآجى والقطن
تلفـه فى الريـح بـوغـاء الـدمن
كانما حثحث من حضنى ثكن(3)

وقد ذكرنا هذه الأبيات من دلائل النبوة للبيهقى لوفائها عما جاءت فى كتاب ابن ظفر .. ففتح سطيح عينيه ثم قال : عبدالمسيح ، على جمل مشيح - مقبل بسرعة - إلى سطيح وقد أوفى على الضريح - القبر -

بعثك ملك بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان . رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا ، قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها .

---

(1) خير البشر بخير البشر صـ101 ط مؤسسة الأهرام 1990 .

(2) « دلائل النبوة » للبيهقى جـ1 صـ127 ط الريان .

شرح المفردات التى وردت فى الأبيات

اصُمٌّ : بهمزة الاستفهام وبناء الفعل للمجهول .

غطريف - بكسر الغين : السيد .

فاد : هلك - أزلم : ذهب مسرعا ، وقيل : قبض .

شأو العنن : غاية الموت .

وجه غضن : وجه متكسر بفعل الشيخوخة .

(3) مهمى الناب : حديد الناب ، قال فى اللسان : وأظنه بهو الناب بالواو ، يقال : سيف بهو أى حديد ماض ، وأورده الزمخشرى : ممهى الناب .

صرار الأذن : من صر أذنه ، نصبها وسواها .

قَيْل العجم : رئيسها وعظيمها وملكها .

الوسن : النوم

علنداة : ناقة قوية سريعة ، والوجنا : الأرض الغليظة ذات الحجارة وكذلك الوجن .

الجآجى : جمع جؤجؤ وهو عظام الصدر

القطن : ما بين الفخدين

البوغاء : التراب الناعم

حثحث : حرك وأسرع

ثكن : جبل حجازى .

ياعبدالمسيح ، إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وفاض وادى السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار الفرس ، لم تكن بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما .

يملك من بنى ساسان منهم ملوك وملكات على عدد تلك الشرفات . وكل ماهو آت آت .

ثم قضى سطيح مكانه ، فاستوى عبدالمسيح على راحلته ، وانطلق نحو كسرى وهو ينشد :

شمر فإنك ماضى الهم شِمِّيرُ
لايفزعنك تفريق وتغيير
إن يمس ملك بنى ساسان أفرطهم
فإن ذلك أطوار دهارير
فربما ربما أضحوا بمنزلة
يهاب صولتها الأسد المهاصير
منهم أخو الصرح بهرام وإخوته
والهرمزان وسابور وسابور
والناس أولاد علات فمن علموا
أن قد أقل فمحقور ومهجور
وهم بنو الأم ، إما إن رأوا نشبا
فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان فى قرن
والخير متبع والشر محذور[4] .

وقدم عبدالمسيح إلى كسرى ، فألقى إليه بما سمع من سطيح .. فقال كسرى : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا تكون أمور وأمور ..

فملك منهم عشرة فى أربع سنين ، وملك الباقون إلى آخر خلافة عمر ـ رضى الله عنه ـ وفى دلائل النبوة : إلى أن قتل عثمان ـ رضى الله عنه ـ

والثانى أصح ، لأن الرواة يذكرون أن آخر ملوك الفرس قتل سنة ٣١ هـ ، وكان ذلك فى خلافة عثمان ـ رضى الله عنه ـ .

هذه القصة

لقد وردت هذه القصة فى مصادر متعددة منها غير ما أشرنا إليه : دلائل النبوة لأبى نعيم الاصفهانى صـ ٩٦ : ٩٩ .

وتاريخ الطبرى ٢ ، ١٣١ .

وشرح المواهب اللدنية للزرقانى ١/١٢١ .

والبداية والنهاية لابن كثير ٢ /٢٦٨ ، « والخصائص الكبرى » للسيوطى ١/٥٦ .

وفى العقد الفريد الجزء الأول .

وفى شرح المقامات الحريرية للشريشى .

وفى « بلوغ الأرب » للألوسى ، والروض الأنف للسهيلى ، وغيرها .

وهى تعد من بشائر النبوة وإرهاصاتها التى تقدمت بين يدى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى إرهاصات وبشائر كثيرة ، اعتنى الرواة بتدوينها وتوثيقها ومن بينها هذه القصة التى سقناها .

وهى علامة صدق على صاحب هذه الرسالة الخاتمة ، ودليل على عظمة القادم بها ، ورفعة قدره عند ربه ، وشرف منزلته وسمو مكانته .

إن الله لم يرد أن يأتى صفيه وحبيبه إلى الدنيا دون مقدمات ، بل حشد فى طريقه من مواكب البشرى والإرهاصات مالفت الأذهان ونبه العقول وأثار الشوق إلى استقبال هذه الطلعة البهية بما يليق بها من الإجلال والاحتفال ، وكان

(٤) شِمِّير : صيغة مبالغة من شَمَّر بمعنى تهيأ واستعد
دهارير : جمع دهر
المهاصير : جمع مهصار وهو صفة للأسد
أولاد عَلَّات : أولاد الأب الواحد من أمهات مختلفات
قَرَن : حبل

من بشائر المولد

تصدع الإيوان ورؤيا الموبذان

من بينها تلك الرؤيا التى رآها الموبذان ، وتلك الشرفات التى سقطت من ذلك الإيوان العتيد ، إيوان كسرى الذى وقف البحترى ذات يوم فى عرصاته ـ بعد مرور أكثر من قرنين من افتتاح فارس ـ يصفه ويبدع فى وصفه ، فى قصيدة تعد من أروع ما قاله البحترى مطلعها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى
وترفعت عن جدا كل جبس

إن سقوط الشرفات منه دون سبب ، معلوم كان أمرا مثيرا للفزع والتساؤل ، ضاعف من ذلك خمود النار التى لم تطفأ منذ أكثر من ألف عام ، وهى معبودهم الذى يوكلون برعايته والسهر على إشعاله آلاف الدهاقنة والموكلين .

وغيض البحيرة (جفاف مائها)

وفيض الوادى بالماء ، وهو الذى لم يعهد فيه قبل ذلك ماء .

وهذا الوادى يقع بين خطى عرض ٣٠ ،٣٢ وخطى طول ٤٤ ، ٤٦ فى جمهورية العراق الآن فهذه آيات خارقة وإن كانت ظواهر طبيعية إلا أنها مفاجئة غير متوقعة أو متعودة .. مما أثار العجب والتساؤل والسعى لمحاولة تفسيرها وحل رموزها .

من بنى هذا الإيوان ؟

ويقال : إن الذى بنى هذا الإيوان خوسابور الملقب بذى الأكتاف ، ذكر ذلك « المسعودى » فى كتابه (مروج الذهب) جـ ١ .

وذكر أيضا أن هارون الرشيد أراد هدم هذا البناء ، وشاور فى ذلك يحيى بن خالد البرمكى ـ وكان قد اعتقله فى نكبة البرامكة ـ

فقال له : لاتفعل .

فقال الرشيد لمن حضره : فى نفسه ـ أى نفس يحيى ـ المجوسية والحنو عليها والمنع من إزالة آثارها .

ثم نظر الرشيد فوجد أن هده يحتاج إلى أموال كثيرة فعدل عن ذلك .

وكتب إلى يحيى يعلمه ذلك ، فأجاب يحيى : اهدمه وأنفق فى هدمه مابلغ من الأموال .

فعجب الرشيد من تناقض كلامه ، كيف يشير عليه أولا بعدم هدمه ، ثم يشير عليه بعد ذلك بهدمه ؟

فبعث إليه يسأله عن ذلك .

فقال : نعم ، لقد أشرت أولا بعدم الهدم ، لأنى أردت بقاء الذكر لأمة الإسلام وبعد الصيت لأن الناس يقولون : إن أمة هزمت من شيدوا هذا البناء أمة عظيمة .

وأشرت بعدها بالهدم حتى لايقال : إن الخليفة بعدما شرع فى هدمه عجز عن ذلك ، وأردت نفى العجز عن أمة الإسلام فلا يقال : إن هذه الأمة عجزت عن هدم مابنته فارس .

فلما بلغ الرشيد قوله قال : قاتله الله ـ تعالى ـ ماسمعته قال شيئا قط إلا صدق فيه ، وأعرض عن هدمه .

هذا وقد كان بين بناء الإيوان وتفكير الرشيد فى هدمه مئات السنين .. ومع ذلك فقد أعيا الرشيد نفقات هدمه مما يدل على متانة هذا البناء ورسوخه وقوته .

فسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته دون فعل فاعل ، وفى لحظة واحدة كان أمرا مثيرا للعجب والفزع ، ودالا على أنه تم بقدرة خارقة لادخل

للإنسان فيها ، مما استدعى استشارة الكهان والمنجمين الذين يزعمون القدرة على الاتصال بالسماء ، وهم ذوو الخبرة فى عصرهم .

القصة غير موضوعة

فالقصة بأسانيدها التى ذكرها الرواة ، وشواهدها التى حققتها الأيام تدل على أنها صادقة وقد صاحب مولد النبى - صلى الله عليه وسلم - خوارق كثيرة ذكرها الرواة فى مصادرهم المتعددة .. بل ألفت فى ذلك كتب مستقلة ، وأشار القرآن الكريم إلى بعض ذلك ، بما تحدث عنه بشأن ورود ذكره - صلى الله عليه وسلم - فى الكتب السماوية السابقة ، الأمر الذى كان أحبار أهل الكتاب وعلماؤهم - بل كثير منهم من عامة شعوبهم - يتوقعون مجىء نبى آخر الزمان ويترقبون يومه حتى قال أحدهم - ذات يوم - فيما يرويه حسان بن ثابت - رضى الله عنه - : (لقد طلع الليلة نجم أحمد) « سيرة ابن هشام » جـ١ ص ١٨١ بشرح الروض الأنف .

فلماذا تستغرب هذه القصة ؟ وهى من جملة الآيات المذكورة بمولد خير الأنام - عليه الصلاة والسلام .

أما الشواهد المصدقة للقصة فهى فى وجود أبطالها فى زمنهم الذى أشارت إليه . اعتبارا من (أنوشروان) ملك فارس فى ذلك الوقت ، إلى عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة الغسانى النصرانى - وكان من المعمرين - وقد ترجم له الحافظ ابن عساكر فى «تاريخه » قال : وهو الذى صالح خالد بن الوليد فى فتوح الشام .

إلى سطيح وهو : الربيع بن ربيعة بن مسعود - وكان يسكن الجابية - وكان هؤلاء متعاصرين .. وصدق سطيح فى إخباره عن الملوك الذين ذكرهم . وقد تساقطوا سراعا كما تتساقط أوراق الخريف .

فقد جاء بعد أنوشروان هرمز ، ثم أبرويز ، ثم شيرويه ، ثم أرد شير ، ثم شهريار ، ثم بودان ثم كسرى بن قباذ ، ثم فيروز ، ثم خشنشدة ، ثم أرزى دخت ، ثم فرخاد خسرو ، ثم يزد جرد الذى هلك - فى عهد عثمان - رضى الله عنه - وقد قتل « بمرو » من بلاد خراسان سنة إحدى وثلاثين من الهجرة .. وهؤلاء ثلاثة عشر ملكا ، وتفسير عبد المسيح لسقوط الشرفات الأربع عشرة يقدر بأربعة عشر ملكا . فإذا أضيف إلى هؤلاء أحد الطامعين فى الملك . وهو بهرام جوبين مرزبان الرى .

وكان فى عهد هرمز ابن أنوشروان ، وغلب على الملك فترة من الزمن حتى هزمه أبرويز بن هرمز وأطاح به .. يكون العدد أربعة عشر ملكا ..

وقال السهيلى فى «الروض الأنف » : إن ابرويز بن هرمز هو الذى بعث إليه النبى - صلى الله عليه وسلم - الكتاب .

ولم يذكر بهرام ، ولكنه ذكر ابنا لأبرويز اسمه (سابور) ملك قبل أخيه شيرويه .. وتكمل بذلك العدة أربعة عشر .

ومن بين هؤلاء الملوك امرأة اسمها بوران ملكت سنة وفى حقها ورد الأثر (لن يفلح قوم اسندوا أمرهم إلى امرأة) مسند أحمد (مسند أبى بكرة) جـ٥ ص ٤٧ وفى رواية (لا يفلح قوم ..) مجمع الزوائد ٥/٢٠٩ - وانظر جمع الجوامع للسيوطى .

ولم يفلحوا حقا ، فقد تصدعوا سريعا ، وتفرق أمرهم ، وحقت كلمة الله عليهم . وسطع نور أحمد فعم الآفاق ، وملأ النجاد والوهاد .

وصدق الله العظيم إذ يقول .. ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ - الفتح ٢٨

نحو إعلام إسلامي

٣

للأستاذ
حسن على العنيبسى

رأينا في مقالين سابقين(1) تعدد تعريفات .. الإعلام الإسلامي . واختلاف الباحثين حوله ثم خلصنا – في النهاية – إلى تعريف محدد واضح لهذا الإعلام . ولقد كان التعريف الذي قدمناه ضروريا لنلج إلى دراسة قضايا الإعلام الإسلامي ، وقد وضعنا تصوراً له حين حددناه بقولنا :

« الإعلام الإسلامي هو الذي يقدم كل وظائف الإعلام المعاصرة في إطار أخلاقيات الإسلام وأماناته وأحكامه . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ الأنعام – ١٥٢ »(2) .

إننا بغير تصور للإعلام الإسلامي – بشكل ما – لن نستطيع معرفة ميدان البحث ، ولا أقسامه ، ولا وظائفه .. إلخ وبالتالي ، فنحن لا نستطيع تداول ممارسته ، ثم الحكم بنجاحها .. ومدى هذا النجاح .

وإذا كان الإعلام عامة – شرقا وغربا – مازال علما بكرا يؤخذ منه ، ويرد ، فإن الإعلام الإسلامي – في صورة مستحدثة – أشد حداثة وبكورة من هذا الإعلام العام ، لذا لم يكن تعريفنا هذا إلا لبنة أولى نرحب بعدها بما هو أفضل عند من يسهم – فعلا – بالأفضل . ومازال حكمة الله باقية في كل ما ينشأ النشأة الأولى .. فتتعاوره الظروف والأحوال ، تأخذ منه وترد عليه حتى يستوى أمره ويبلغ مبلغ الراشدين .

ونأخذ لذلك مثلا علميا واضحا . كتب الإمام الزمخشري (المتوفى عام ٥٣٨ هـ) معجمه « أساس البلاغة » ، مستهدفا عملا عظيما رائعا هو بيان الكلمة العربية من حيث استعمالها (حقيقة) فرصد تراكيبها في الحقيقة ، ومن حيث استعمالها (مجازا) فرصد تراكيبها في المجاز .

وكانت الحقيقة والمجاز – في عصره – لم يمحصا التمحيص الكافي الدقيق ، وجاء من بعده بثلاثة قرون الإمام ابن حجر الذي توفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، فاستدرك على الإمام

---

(١) انظر عددى : ذى القعدة ١٤١١ هـ ، والمحرم ١٤١٢ هـ .

الزمخشرى فيما كتب من مادة ، وبين أن بعض ما اعتبره الزمخشرى حقيقة كان مجازا ، والعكس ، ومن ثم وضع ابن حجر ـ رحمة الله عليهما ـ كتابه (غراس الأساس) تبيانا علميا لهذه القضية .

ويعنى ذلك أن العلم يوضح نفسه على مسار الزمن بين أيدى المخلصين .. والمخلصين فقط .

إن الحاجة ملحة إلى « إعلام إسلامى » يميز الكيان الإسلامى عن غيره ، ويبرز خصائصه ، ويعطى (فروقا) فردية بينة تفصل بينه وبين الإعلام الآخر ، وإذا نجح هذا الإعلام ـ بما له من إخلاص وعدالة وهدف ـ فإنه بلاشك سوف يجذب الملايين الذين يديرون مفتاح (الراديو) على « لندن » و « مونت كارلو » و « موسكو » و « الفاتيكان » و « صوت أمريكا » إذ لا يصح إلا الصحيح ، والبقاء للأصلح ، وبين أيدينا شاهد صدق على « سلبية » قضى عليها رئيس إحدى الدول العربية حين أمر بوقف أعمال « وكالة انباء بلاده » حين اكتشف أنها تأتى بـ « الخبر » الذى قرأه من مصادر مختلفة ـ بعد ثلاثة أيام من نشره .. أى أن وكالة الأنباء هذه كانت فى (الذيل) .

وإذا كانت الحاجة ملحة إلى « إعلام إسلامى » فإننا بحاجة ملحة إلى البحث العلمى الذى يتناوله تفصيلا دون أن يكون منظوره ذهنيا بحتا حتى يمكن إنشاء (كوادره) وتوزيع (تخصصاته) على مختلف اعمالها واهدافها ، وذلك يعيننا ـ بوضوح ـ على وضع (تحليل وظيفى) دقيق للعاملين بها ، على ضوئه يختارون ، فيحققون أهدافه الكريمة النبيلة ؛ ليحتل مكانه فى المقدمة ، ويطرح الذيل كما يطرح التناقض .

وإذا كنا قد مررنا بمثال واقعى شاهد على « الذيل » فإن التناقض أشد وضوحا إذا قارنا (ميدان الإسلام) كما تتناوله شريعته ، بالإعلام الإسلامى الذى لا نجد منه إلا (طرفا) مضمونه (الوعظ) فقط ، وفى ميدان هذا الأخير .. وهو لا يمثل من الإسلام إلا قطرة من جدول عظيم .

ويعنى ذلك أنه لابد ـ فى دراستنا للإعلام الإسلامى ـ أن تكون لنا إجابة واضحة عن اسئلتنا :

(أ) ما مجالات البحث التى يمكن دراستها فى الإعلام الإسلامى ؟

(ب) هل سيكون لهذا الإعلام مشكلات (تقنية) أو (وظيفية) أو غيرهما ؟

(جـ) وإذا كانت فما الحل ؟

(د) هل يمكن وضع خطة عمل للخروج بالإعلام من (الدراسات الأكاديمية) والنزول به إلى (الواقع) فى كل ميادينه .. ؟

هذه الأسئلة ، وغيرها كثير ، ينبغى أن تكون محل الدراسة فى إعلامنا هذا دراسة موضوعية كما تعطى الإجابة تعطى الوسائل الناجعة .

وليس ننسى اننا أمام إعلام غربى قاهر استطاع أن يفرض نفسه على العالم الثالث بأكثر من طريقة جعلت هذا العالم ـ للأسف ـ لا يستطيع الاستغناء عنه :

فهو يسيطر على مصادر الأخبار فى العالم .. وهى ينابيع أساسية للمادة الإعلامية حيث الوكالات يهودية ونصرانية : تقدم ٩٥ ٪ من أخبار العالم كله :

(أ) « اسوشيتدبرس » (A.P) ، « يونايتدبرس » (U.P) ـ الولايات المتحدة الأمريكية .

(ب) وكالة رويتر (Reuters) البريطانية .

(جـ) وكالة الصحافة الفرنسية (A.F.P) .

(د) وكالتا « تاس » و « نوفوستى » ـ الاتحاد السوفيتى .

نحـو إعـلام إســلامى

تقدم هذه الوكالات الثلاث (٣٠) مليون كلمة فى اليوم وهى كمية كافية لإغراق جميع صحف بلاد المسلمين ، وإذاعاتهم ، وتليفزيوناتهم وإن شئت فافتح أية صحيفة .. تجد أنها لا تخلو من أخبار هذه الوكالات .. !!

واسمع راديو القاهرة أو الرياض أو غيرهما .. !؟

الولايات المتحدة وحدها تدير (٧٥ ٪) من جميع برامج « التليفزيون » المتداولة فى العالم ، (٨٩ ٪) من الإعلام التجارى المبرمج ، ونفس الشىء يقال عن « السينما » .

وهذا يعنى أن على الإعلام الإسلامى أن يكون من القوة والصدق والإقناع بالدرجة التى تسمح له أن يبيد الإعلام الغربى بـ « ضمة أخوية » على حد تعبير « ول . ديورانت ، ولن يستطيع ذلك إلا إذا تزود بهذه القوى فصرف وجه الناس إليه بغير ما ضجيج ، ولا تشنج .

وكم نطمع ـ أن نستقبل ـ يوما تنفض فيه الشعوب الإسلامية يدها من حاجتها إلى وسائل الإعلام الغربى ، فمازلنا ـ نحن المسلمين ، فى كل بقاع الأرض نستورد الأجهـزة للصحافـة والإذاعة ، و (التليفزيون) .

وهناك خمس عشرة مؤسسة فى ست دول فقط ـ ليس بينها دولة واحدة إسلامية هى : أمريكا ـ بـريطانيـا ـ ألمانيـا ـ اليابـان ـ هولنـدا ـ فرنسا[٢] .. هذه الدول تسيطر على ٧٥ ٪ من مبيعـات العالم من أجهـزة الاتصال من (شـاشـات) التليفـزيـون و (التلكس) والتسجيلات و (الفيديو) و (التليفون) أى أن أى نوع من الإعلام المكتوب .. المسموع .. المرئى لا يمكن بثه إلا عبر تجمع هذه الأجهزة التى تنتجها هذه الدول .. !!

مجالات البحث فى الإعلام الإسلامى :

الإعلام ـ إسلامى أو غير إسلامى ـ هو عملية اتصالية مستمرة تحدث كل يوم ؛ هذه العملية لها أركان أساسية .. وكل ركن فيها وحده يحتاج إلى البحث الدقيق ..

● فهناك المرسل أو القائم بالاتصال .. ، والبحوث الغربية فى أمريكا وأوروبا فى هذا المجال ثرية وكثيرة تتناول دور (القائم) بالاتصال فى نجاح العملية الإعلامية وفى فشلها[٣] .

وهناك دراسات تخصصت فى مجالات : مثل الصحـافـة ، ودور الصحفى ، والمنـدوب ، والمراسل ، ومدير التحرير ، ورئيس التحرير ، ورؤساء الأقسام .. فى عملية النشر ومدى صلة هؤلاء بتحريف الأخبار ، أو تزويرها ، أو بترها .. وهناك بحوث كاملة فى هذا الميدان حتى سموا (حراس البوابات) gate Keeper[٤] .. !

وهناك بحوث اهتمت بصفات رجال الإعلام الجيد باعتباره ركنا من أركان الاتصال (مرسلاً) أو قائماً بالاتصال ، وهناك بحوث التدريب .. وتنمية مهارات رجال الإعلام .

وبدهى أننا لا نملك فى ميدان الإعلام الإسلامى بحوثا تذكر فى هذه المجالات .

ومن الحق أن نقول : إننا بقدر ما نفقد من بحوث فى مجال الإعلام الإسلامى نجد لدينا

---

(٢) حمد السماك ـ مسئولية الإعلام فى الأزمة اللبنانية ـ مجلة الدراسات الإعلامية ـ العدد ٥٩ ـ ١٩٩٠ ـ ص ٢٠ .

(٣) راجع بحوث « ليرنر » ، ديفيد برلو ، ماكلوهان . وغيرهم .

(٤) راجع للدكتور جيهان رشى ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، حيث عقدت فصلا كاملا بنفس العنوان والكتاب طبعة دار الفكر العربى ، ١٩٧٣ م .

بحوثا فى (الإعلام الدينى الإسلامى) فثمة بحوث فى الدعوى .. والداعية ، والخطيب .. وعلاقة الداعية بالجماهير .. وإعداد الخطبة .. وألوانها المختلفة .. إلخ لكنا نواجه فقرا .. بل قحطا فى بحوث الإعلام الإسلامى الذى نحن بصدده .

● وهناك .. المضمون الإعلامى الذى تحتويه الرسالة الإعلامية .. الذى يراد إيصاله إلى « المستقبل » وهو من أركان العملية الإعلامية .. بل هو أهم أركانها .. ومن أجله كان الإعلام نفسه ، وكانت وسائله .

هذا المضمون إنما « يؤثر » و « يقنع » مادام قويا .. وقوة المضمون تعود إلى أسباب عدة ، منها ـ مثلا : وضوحه .. وشدة حاجة المستقبل إليه .. وجدته .. وصدقه .. إلخ . فأما إذا كان هشا فإنما هو صيحات فى مهب الريح .

لقد كان (مضمون) القرآن الكريم ـ لما اشتمل عليه من قوة وصدق وإقناع ـ كفيلا بالإطاحة بتواصى كفار مكة ألا يستمعوا إليه ؛ فكانوا يتسللون سراً لاستماعه ، أو يرتقون الأسطح لسماع تلاوة أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فى صلاته .

والمسلمون اليوم على إعلام ليس إلا خلطة من مزيج عجيب .. كنا نود أن يكون من القوة بحيث يمكنه أن يقنع « المستقبل » الغربى بقضايانا ؛ فإذا هو لا يقنع العربى بينما تجاذبته الإذاعات الأجنبية حتى يكاد بعضهم أن يحفظ مواعيد برامجها .. وفيها ما فيها من سم فى عسل وباطل فى حق .

وما من شك أن الباحث فى « الإعلام الإسلامى » عليه أن يتناول قضية المحتوى بتفصيل يتسع (عرضا) لكل أبواب الإعلام ، و (عمقا) لتقديم المادة الأصيلة ذات الجذور الإسلامية العلمية ..

فأما ما نراه من كم فى البحوث فإنما كان فى جانب الإعلام الدينى فقط ، وبحوث المحتوى ضرورية لتقويم المسار ، ولمعرفة مدى التأثيرات فى ظل الظروف الدولية والمحلية .

● ثم هناك « الوسيلة » ، وحين نتحدث عن الوسيلة فى الاتصال ، فإنما نركز على الوسيلة (الصناعية) لا الطبيعية : ذاتية أو شخصية أو جماعية .. وإن كانت هذه ـ بدورها ـ فى حاجة إلى عروج عليها ليكون لها إطارها فى إعلامنا الإسلامى .

فأما الوسيلة الصناعية الناقلة للمحتوى من (صحيفة) .. أو (راديو) أو (تليفزيون) فإن لها الفضل الأول فى نقل (الرسالة) وإلا بقيت أفكاراً مجردة فى أذهان أصحابها .. هذه الوسيلة أخذت أخيراً تلج طورا خطيرا بدأ بالأقمار الصناعية ، ويعلم الله ـ وحده ـ إلام تنتهى .

فأين نحن منها .. ؟ إن القمر الصناعى ـ فى ذاته مثلا ـ ليس محلا أبدا للحكم عليه بالحل أو الحرمة فلا داعى للخلط بينه وبين (المحتوى) .. كذلك لا داعى للخلط بين (المحتوى) والعجز عن التصدى له ، إن كان هناك من تصدٍ ، وليس ميلا من البعض إلى قبوله بشراهة كذلك لا داعى للخلط بين الوسيلة وما تحشى من سخافات ..

إن « الوسيلة » هذه الآلة الطيبة لن تمتنع أبدا عن معالجة قضايا الإسلام والعروبة والمسلمين .. إنها آلة مطواعة لا تحمل ذنوب البشر .

هذه الآلة .. أعنى الوسيلة .. والوسائل كافة لم تحظ منا ـ إلى يومنا هذا بالبحوث الكافية التى تعطينا مؤشرا دقيقا عن مدى استجابة الجماهير الإسلامية لها .. هذه واحدة والثانية : أن هذه الوسيلة بإمكانها أن تشارك فى إمداد الناس بما هم فى حاجة فعلية إليه .. فى (محو الأمية) .. فى (التوعية الموسمية) لمختلف المزروعات .. إلخ .

نحـو إعـلام إســلامى

إن بحوثا للاستفادة من هذه الوسائل ينبغى أن تجرى لتتناول كافة شئونها .

● « وهناك المتلقى » ـ جماهير الشعوب الإسلامية ..

لم نجر بحوثا لدراستها ومعرفة تركيبها السكانى ، ومعرفة الجوانب الثقافية المتعددة فيها .

وهل لدينا البيانات عن الشباب والأطفال والنساء والعمال والفلاحين والأساتذة .. إلخ .

إنها ضرورية جداً عندما نخطط لحملة إعلامية ..

ضرورية عندما نحاول إقناع الناس بأمر ما .

إننا ـ باختصار شديد ـ إذا تعرضنا ، ونحن متعرضون ـ بمشيئة الله تعالى ـ لدراسة « الإعلام الإسلامى ـ نجدنا أمام بحوث ضرورية شتى لخدمة هذا الإعلام وتغطية جوانبه كلها ، فما من موضوع أشرنا إليه فى مقالنا هذا ، وقلنا : إن الميدان خلو منه ، أو هو قليل فيه ـ إلا وجب علينا التصدى له حتى يتم للإعلام الإسلامى كيان يمكن ممارسته عمليا دون أن يقبع فى بطون الكتب .

إن مجالات البحث فى الإعلام الإسلامى وفيرة وكبيرة لمن يريد أن يخدم هذا الدين ..

وأرانى ـ إن شاء الله ـ فى هذه الدراسة سوف أتناول مجال (المحتوى) مضمون الرسالة الإعلامية بداية لأنها الأهم فى نظرى الآن ليعرف الباحثون فى الإعلام أن الإعلام الإسلامى يختلف كثيراً عن الإعلام الحالى فى مضمونه ووسائله وغاياته ورجاله ومؤسساته ..

ولا شك أن الخبر هو الخبر .. ولكن للإسلام موقفا من مصادره وأسلوب استقائه وللإسلام موقف من الصحفى الذى يستقيه ، ومن المحرر الذى يكتبه ومن الشكل الذى نخرجه به وسوف نعرض لذلك تفصيلاً ..

ولاشك أن المقال الصحفى .. هو هو .. ولكن المقال الإسلامى له مجاله .. وله رؤيته .. وله التزامه .. وله أسلوبه وله كاتبه .. وهكذا فى بقية الفنون الصحفية والإعلامية الأخرى ..

● أعرف أن القضية صعبة .. شائكة .. متشابكة .. ولكن لابد من عمل .. لابد من البداية .. مهما كانت البداية ـ

ومن الله ـ وحده سبحانه ـ نستمد العون ونرجو السداد .

الفتاوى

أموال الزكاة لا تحل لآل البيت

إعداد: أحمد السيد تقى الدين

● ما موقف آل البيت الشريف فى وقتنا هذا وقد انعدم بين المسلمين بابا حقهما الذى نص عليه كتاب الله تعالى فى الغنيمة والفىء الذى خصص جزء منه لآل البيت ، والحال ان بعضهم فقير جدا ... فهل تحل لهم أموال الزكاة والصدقات .. ؟

ــ ذكر الله ــ تعالى ــ فى سورة « التوبة » مصارف الزكاة فقال جل شأنه : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

ولايجوز دفع الزكاة لأحد من آل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما لا يجوز لواحد منهم أخذ الزكاة ، فقد كان ابن مسعود خازنا لبيت المال فى عهد سيدنا عثمان ــ رضى الله عنه ــ فأتاه آل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقالوا له : أعطنا أعطياتنا فقال : ما عندى لكم عطاء ، إنما عطاؤكم من فيئكم وجزيتكم والصدقة لأهلها ، فلما ترددوا عليه جاء بالمفاتيح إلى عثمان فرمى بها وقال : إنى لست بخازن .

عبد الرزاق ٤/٥٣

وإنما تكون نفقتهم على بيت المال إن توفر فيه مال من غير مال الصدقة فإن لم يتو فر تكون نفقتهم على أغنياء المسلمين ، والغنى من زاد ماله على نفقة عام .

قصر الخطبة وإطالة الصلاة

● ورد إلى المجلة سؤال بشأن قيام خطباء الجمعة فى بعض المساجد بإطالة الخطبة مع وجود مصلين كثير قد افترشوا الأرض خارج المسجد تحت أشعة الشمس وبعضهم كبير السن لايتحمل ذلك ، فما حكم الإسلام فى هذا الوضع ؟

ــ السنة أن يقصر الخطيب الخطبة ويطيل الصلاة فقد كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول : « أحسنوا هذه الصلاة ، وأقصروا هذه الخطب » .

وعن أبى الأحوص أن ابن مسعود ــ رضى الله عنه قال : « إنكم فى زمان قليل خطباؤه ، كثير

الفتـــــــــاوى

علماؤه يطيلون الصلاة ويقصرون الخطبة ، وإنه سيأتى عليكم زمان كثير خطباؤه ، قليل علماؤه يطيلون الخطبة ويقصرون الصلاة حتى يقال : هذا شرق الموتى ؛ قيل : وما شرق الموتى ؟ قال : إذا اصفرت الشمس جداً » .

« صلاة الإمام .. وصلاة المأموم »

● **يسأل مالك عبد الرحمن ـ باكستان ـ عما إذا كان فساد صلاة الإمام يفسد صلاة المأموم ؟**

ــ كل صلاة بطلت على الإمام بطلت على المأموم . إلا فى مسائل منها :

١ ـ إذا سبقه الحدث أو نسيه . فلا تبطل صلاة المأموم .

٢ ـ إذا ضحك الإمام غلبة أو سهوا فلا تبطل صلاة المأموم .

٣ ـ إذا رأى المأموم نجاسة على إمامه ونبهه إليها على رأى .

٤ ـ إذا سقط ساتر عورة الإمام المغلظة فى قول عند البعض .

٥ ـ إذا انحرف الإمام عن القبلة كثيرا ونوى المأموم مفارقته .

٦ ـ إذا قطع الإمام الصلاة لخوف على مال أو نفس .

٧ ـ إذا طرأ له جنون أو موت .

إلى غير ذلك . والله أعلم .

« الصلاة بعد صلاة الصبح »

● **ويسأل عبد الرحيم منصور من (المحلة) عن صحة ماسمعه عن كراهة الصلاة بعد صلاة الصبح حتى طلوع الشمس ؟**

ــ يكره للمسلم إذا صلى الصبح فى وقتها بعد ان صلى ركعتى النفل ان يصلى بعدها إلى مابعد شروق الشمس بنحو ثلث ساعة ؛ لأن هذا وقت يقارب وقت طلوع الشمس ، وهو الوقت الذى يتوجه عباد الشمس إلى عبادتها ، وعلى ذلك كان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان ـ رضى الله عنهم ـ جميعا ، وذلك لما رواه البخـارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ، ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس » « رواه البخارى ومسلم » .

ويجوز لمن لم يدرك ركعتى النفل قبل الجماعة اول الفجر أن يصليهما بعدها وقبل طلوع الشمس .

قبسات من النور المحمدى

إعداد : رشاد محمد يوسف

مولد النبى الكريم ﷺ - مولد الهدى والنور والرحمة المهداة - سيظل نبعا فياضا وعطاء مستمرا وعبقا متدفقا يعطر جنبات الحياة بكل زكى وكريم وجليل من صفوة القيم السامية والمثل العليا والخلق العظيم سيظل المولد النبوى رمزا لانتصار الحق وانطلاقا للعلم والخير والأمان وارتفاعا بكرامة الإنسان عن الدنايا والشتات وسموا به إلى آفاق النور والجلال وهذه باقة عطرة من بعض إبداعات الشعراء حول المولد النبوى الشريف،حاولنا فيها مواكبة المسيرة المحمدية ومعايشة السيرة العطرة والله ولى التوفيق .

نلتقى مع الشاعر الأعشى وهو يخاطب ناقته :

فآليت لا أرثى لها من كلالة ... ولا من حفا حتى تزور محمدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم ... تريحى وتلقى من فواضله يدا
نبى يرى ما لا يرون ، وذكره ... أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا
له صدقات ما تَغُبُّ ونائل ... وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد ... نبى الإله حين أوصى وأشهدا

ثم نستمع إلى «كعب بن زهير» وهو ينشد :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغن غضيض الطرف مكحول
أنبئت أن رسول الله أوعدنى ... والعفو عند رسول الله مأمول

قبسـات مـن النـور المحمدى

مـهـلاً هـداك الـذى أعطـاك نـافلـة ... القـرآن فـيـهـا مـواعيـظ وتفصيـل
لا تـأخـذنـى بـأقـوال الـوشـاة ولـم ... أذنـب ولـو كثـرت عنـى الأقـاويـل
إن الـرسـول لنـور يستـضـاء بـه ... وصـارم مـن سيـوف اللـه مسلـول

اما الشاعر النابغة الجعدى فيحدثنا عن لقائه برسول الله ، واثر ذلك فى حياته :

اتيـت رسـول اللـه إذ جـاء بـالـهـدى ... ويتلـو كتـابـا كـالمجـرة نَيِّـرا
اقيـم علـى التقـوى وأرضـى بفـعلـهـا ... وكنـت مـن النـار المخـوفـة أحـذرا

ويؤكد شاعر الرسول «حسان بن ثابت الأنصارى» كل المعانى السابقة فيقول :

اغـرٌ عليـه للنبـوة خـاتـم ... مـن اللـه مشـهـود يلُـوحُ ويشـهـد
وضـم الإلـه اسـم النبـى إلى اسمـه ... إذا قـال فى الخـمس المؤذن أشـهـد

ويواصل حسان بن ثابت قائلاً :

وشـق لـه مـن اسمـه ليجلّـه ... فـذو العـرش محمـود وهـذا محمـد
نبـى أتـانـا بـعـد يـأس وفتـرة ... مـن الـرسـل والأوثـان فى الأرض تـعبـد
فـأمسـى سراجـا مستنيـرا وهـاديـا ... يلـوح كـمـا لاح الصـقيـل المهـنـد
وأنقـذنـا نـارا وبـشـر جنـة ... وعلمنـا الإسـلام فـاللـه نحمـد
مـع المصطفـى أرجـو بـذاك جـواره ... وفـى نيـل ذاك اليـوم أسـعـى وأجـهـد

ثم يواصل الشعراء عطاءهم النورانى ناهلين من ألق النبوة وعبق الإسلام فيطالعنا «الكميت» فى إحدى هاشمياته قائلاً :

خيـر حـى وميـت مـن بنـى ... آدم طُـرًّا مـأمـومـهـم والإمـام
خـيـر مسـترضـع وخيـر فطيـم ... وجنـين أقـر فـى الأرحـام
وغـلامـا ونـاشئـا ثـم كـهـلا ... خيـر كـهـل ونـاشـىء وغـلام
لـو فـدى الحـىُّ ميتـا قلـت نفسـى ... وبنـى الفـدا لتلـك العظـام

اما فيلسوف المعرة ورهين المحبسين ابو العلاء المعرى فيؤكد عمق إيمانه قائلاً :

دعـاكـم إلى خيـر الأمـور محمـد ... وليـس العـوالـى فـى القَنـا كالسـوافـل
حـداكـم عـلى تـعظيـم مـن خلـق الضحـى ... وشـهـب الـدجـى مـن طـالـعـات وآفـل
والـزمكـم مـا ليـس يـعجـز حملـه ... أخـا الضـعـف مـن فـرض لـه ونـوافـل
وحـث علـى تطـهـير جسـم وملبـس ... وعـاقـب قـذف المحصنـات الـغـوافـل
وحـرم خمـراً خلـت البـاب شربـهـا ... مـن الطيـش البـاب النـعـام الجـوافـل

وتتوالى مسيرة الأيام وتظل السيرة العطرة مصدر الهام ومنبع وحى للشعراء على مر العصور .

فهذه كلمات بعنوان «مطلع النور» للشاعر احمد محرم من ديوان مجد الإسلام :

املا الأرض يامحمد نورا   واغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سراً تجلى   يكشف الحجب كلها والستورا
عب سيل الفساد فى كل واد   فتدفق عليه حتى يغورا
جئت ترمى عُبَابَهُ بعباب   راح يطوى سُيُولَه والبحورا
ينقذ العالم الغريق ويحمى   أمم الأرض أن تذوق الثبورا
زاخر يشمل البسيطة مدا   ويعم السبع الطباق هديرا
أنت معنى الوجود بل أنت سرٌ   جهل الناس قبله الاكسيرا
أنت انشأت للنفوس حياة   غَيَّرتْ كل كائن تغييرا

ويبدع أمير الشعراء احمد شوقى كل الإبداع حينما يصف أخلاق الرسول ﷺ :

يامن له الأخلاق ما تهوى العلا   منها وما يتعشق الكبراء
زانتك فى الخلق العظيم شمائل   يغرى بهن ويولع الكرماء
فإذا سخوت بلغت بالجود المدى   وفعلت ما لا تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادراً ومقدرا   لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب   هذان فى الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هى غضبة   فى الحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت فذاك فى مرضاته   ورضا الكثير تحلم ورياء
وإذا خطبت فللمنابر هزة   تعرو الندى وللقلوب بكاء
وإذا قضيت فلا ارتياب كأنما   جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا حميت الماء لم يُورَدْ ولو   أن القياصر والملوك ظماء
وإذا أجرت فأنت بيت الله لم   يدخل عليه المستجير عداء
وإذا ملكت النفس قمت ببرها   ولو أن ما ملكت يداك الشاء
وإذا بنيت فخير زوج عشرة   وإذا ابتنيت فدونك الآباء
وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما   فى بردك الأصحاب والخلطاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته   فجميع عهدك ذِمَّة ووفاء
والبر عندك ذمة وفريضة   لا مِنَّةٌ ممنونة وجباء
جاءت فوحدت الزكاة سبيله   حتى التقى الكرماء والبخلاء
انصفت أهل الفقر من أهل الغنى   فالكل فى حق الحياة سواء

ثم يتجه شوقى إلى سيدنا رسول الله داعيا ومستشفعا فيقول :

ياخير من جاء الوجود تحية   من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا
ماجئت بابك مادحا بل داعيا   ومن المديح تضرع ودعاء
أدعوك عن قومى الضعاف لأزمة   فى مثلها يُلْقَى عَلَيْكَ رجاء

قبسات من النور المحمدى

وينادى الشاعر الكبير إبراهيم عيسى زملاءه الشعراء ان ينهلوا من هذا المنهل :

ياايها الشعراء هذا منهل ... لا الكرم يعرفه ولا الندماء
لا تعذلوه إذا تسامى وازدهى ... فبه لحب محمد خيلاء
ومحمد أنشودة للأنبياء ... وقمة يحبو لها الحكماء
زفته للأرض السماء كريمة ... وعليه من ألق الجلال رواء
فكأن جوع البيد حقل سنابل ... لما همت بمجيئه النعماء
ياايها الأمى يانور الورى ... بك تستعز على السما الغبراء
اقرأ فإنك للوجود معلم ... ومهذب ومشذب ورجاء
ياايها الدر اليتيم تحية ... لا المدح طرزها ولا الإطراء
لكنها حب يغرد فى دمى ... أخفى لظاه تأدب وحياء

والدكتور مختار الوكيل يفاخر بالرسول وبالقرآن قائلاً :

زهونا بميراث النبى محمد ... ولذنا بقرآن الإله تهجدا
إذا أقبل الليل انثنينا لسورة ... نطالع فيها الباقيات على المدى
وفى هداة الليل الحنون ترنمت ... لهاة بآيات وضاء هى الندى
وعيد ووعد بالجنان ورحمة ... وعهد بغفران لمن تاب واهتدى
ونار أعدت للذين تجبروا ... عتوا فضلوا وانتهى أمرهم سدى
فياسيد الرسل الكرام تحية ... إليك من القلب الذى قام منشدا
لقد جئت من رب الأنام بمعجز ... على الدهر يبقى فى الصدور مرددا
مضت معجزات الرسل فور ظهورها ... وقرآنك الباقى على الدهر سرمدا
فيامن إلى القرآن تنمى أصولهم ... أعزوا كتاب الله تُرْضُوا محمدا

وشاعرتنا ابنة الإسلام «علية الجعار» تعتز بانتسابها إلى الإسلام قائلة :

عطر بذكر محمد الحانى ... واقبس من الأخلاق والإيمان
قامت على الخلق العظيم حياته ... اثنى عليه الله فى القرآن
أحسست عزة نفسى منذ إسلامى ... وفى حمى المصطفى حققت أحلامى
بالعطف يغمرنى ، بالحق ينصرنى ... وفى وصيته أوصى بإكرامى

●●●

ياايها الأمى قد علمتنا ... وهديت فينا أنفسا وعقولا
شاء الإله لنا النجاة فخصنا ... بك هاديا ومعلما ورسولا

والشاعر السعودى «إبراهيم أمين فودة» ينادى ويناجى المولد النبوى من ديوانه تسابيح وصلاة :

أى ذكرى كريمة كلما عدت ليلة المولد الكريم فعودى
مولد المصطفى الذى أشرق النور عميما به بكل صعيد
جاء من قبله النبيون تترى وأتى درة لعقد نضيد
ختم الله بالكمال به الرسل إلى الخلق فهو بيت القصيد
الهدى والجلال والحب والرحمة صيغت على جمال فريد
هى كانت محمداً وتجلى فيه إنسانها عظيم الوجود

ويخاطب الشاعر اللبنانى «محمد على الحومانى» النبى الكريم قائلاً :

أنت جددت شرعة الخلق السامى ونقيتها من الأدران
لم ينل قائم على الحق فى العالم ما نلت من رضا الديان
يارحيما أشعت فى كل نفس قبسات من نورك الرحمانى
فرأينا الهدى بغير عيون ووعينا الصدى بلا آذان
ولمسنا بغير أيد أياديك علينا جليلة الإحسان
فإذا كل عارف نير الفكر مدين لهن بالعرفان

أما شاعر الاسكندرية عبد العليم القبانى فيقدم هذه اللقطة المضيئة :

يوم أغر ومهرجان مشرق ضاح عليه من البطولة رونق
الأرض فيه والسماء ازدانتا بأجل ما يهب الربيع ويغدق
واهتزت الصحراء فهى خميلة تهفو لرؤيتها القلوب وتخفق
فى كل مسبح نظرة حلم يرى ومتى تتاح وفرحة تترقرق
والغار والجبل المقدس شاقه نور على نور السما يتألق
والبيت ذو الأستار يهفو فرحة حتى يكاد من التشوق ينطق
والرُّوح يدنو والملائك تلتقى زُمَراً على ركب النبى تحلق
يوم النبوة لو شهدت جلاله لدرت عيون الشعر كيف تنسق

والشاعر محمود العتريس يتحدث عن سيد الهداة قائلاً :

ماذا يقول الحديث والكلم والأمر لا يرتقى إليه فمُ
من رحمة الله جاءكم قبس تزهو بلألاء عزه القمم
محمد للورى وما طمحت إلى ذراه العصور والأمم
محمد سيد الهُدَاة به يبدأ دين الهدى ويختتم
فلتعبدوا الله لا شريك له ولتقتلوا البغى أين يعتصم

قبســات مـن النـور المحمدى

والدكتور محمد كمال إمام يخاطب النبى الكريم قائلاً :

لــولاك لما ارتفـعـت فينــا مئــذنـــة أو كبــر مسجــد
لــولاك لما نطقــت فينـــا لـغــة الإيمــان ولــم نسجــد
لــولاك لما عــرف الإنســان الــدرب إلــى اللــه الأوحــد
ولظــــل يســبـــح للأوثــــان ويــؤمـــن بــالحَجــرِ الجلمــد
لكــن فـى قلبــى أغنيــــة تتفـجَّـر مــن نبــع «محمــد»
تتسـاءل كيــف يضــل النــاس حيــارى قــد فقــدوا المــرشــد
مــا بــال القــوم كــأنـهمــو ذابــوا فى الفكــر المستــورد
وضيــاؤك فينــا مثــل الشمــس بقـــاء بــل منهـــا أخلــــد

ويقول الشاعر العربى السورى «عدنان مردم بك» :

نصـرت كـل هضيـم وانتصفـت لـه من ظــالــم فغفـت فى الأمـن أجفــان
خفضــت جنحــا لمظلــوم فــلاذ بـه كمــا تلــوذ بجُـنـح الأم ولــدان
فــأصبــح القــوم فى صــف ســواسيـة وليس فـى النـاس أحـرار وعبـدان
بـعثتـهــا صرخــة لله داويــــة أصغـت لهـا مـن ضمـير القـوم آذان
أتــيـت والنـاس أنعــام مشــردة عمــايـة وصــدور القــوم بـركــان
هتكـت غيـهـب ليـل طـالمـا خبطـت بـه الشيــوخ وضلَّــت فيـه رهبـان
حــررت قــومـك من أغْلَالِ شقــوتهـم بنـعمـــة العلـم إن الجـهـل سجــان

ويتحدث عن الصادق الأمين الشاعر الأستاذ إبراهيم صبرى رئيس نادى القصيد فيقول :

ونمـــا طــاهـــرا وشــب نقيـــا دابــه الصــدق والنــدى والــوفـــاء
أطلقـــوا (الـصــادق الأميــن) عليـــه بيــن الحــق ليــس فيــه مــراء
كلمــا صــادفــوا عسيــراً عليــهــم كــان بـالصــادق الأميــن اهتــداء
فــإذا الصــادق الأميــن رســول جمعــت فــى خــلالــه الأنبيـــاء
فــإذا المؤمنــون إخــوة بيــت جـــل فيـــه البنــاء والبـنــاء
أكمــلــت صرحـــه رســالــة طـــه فــهـــى فيــه الـدعـامـة الشـمـاء

وتتقدم الشاعرة الراحلة الأستاذة روحية القلينى بهذا النداء :

أمـحــمــــد طـــال النــــــدى يـرنــو إلـى الــروح الحبـيــب
روح الـــذى حمــــل الأمــــانـــة والقــبــائـــل تستـجـيــب

نـاديـتـــه بتلــهـف والشـــوق فــى قلبـــى وجيـــب
أمـحـمـــد طـــال النـــداء ومـــن دعـــا بـــك لا يخيـــب
فمـتــى أزورك يــاشفيـــع المسلميـــن المـؤمنيـــن
كيمــا أنــاجـــى اللـــه فـــى أرض التقـــاة القـانتيـــن
وأتــوب مـــن ذنبـــى وأنـــت شفـاعـــة للتـائبيـــن
قـــد طـــال شـــوقـــى يـارســـول الله وازداد الحـنيـــن

والشاعر إبراهيم صالح إبراهيم يخاطب رمال البيد قائلاً :

يـارمـــال البيـــد غنـــى وأعيـــدى قصـــة النـور عـــلى سمـع الـوجـود
يـوم ســارت خطـوة الطـهـر على صـــدرك الممتـــد لـلأفــق البـعيــد
اذكـــرى أحمـــد فى إشـــراقـــه وهـــو يحكـى طـلـعـة الصبـح الجـديـد
كلمـــا لاحـــت لـعينـــى «يثــرب» هـــز أعمــاقـى صـدى اللحــن الفـريـد
طـلـعـــة البـــدر علـــى آفـاقـــهـــا فــرحـــة الإيمـــان بـالنصـــر المجيـــد

والشاعر الكبير «محمود جبر» شاعر آل البيت يحدثنا عن احب الأسماء :

يـاضيــاء يـعــب منـــه الضيـــاء وبـهـــاء بـــه استـعـــز البـهـــاء
كـل شـــىء بـك استنـار سنـــاء أنـت فـى الأرض مـا تـريـد السمـاء(١)
ميمـك الميـم والمنـــى والمثـانـــى ميمـك المنـح والمـعـانـى الـوضـــاء
حــاؤك الحـمـــد لا مـــوازى بحمـــد حـــاؤك الحـــق والحيـــا والحيـــاء
دالـــك الـــدل يـادليـــل الحيـــارى يـادعـــاء بـــه يجـاب الـدعـــاء

ويخاطب الشاعر الكبير «عزيز اباظة» ام القرى قائلاً :

قـل لأم القـرى عَـدَتْـك الـعـوادى وسـقـــت رملـك الطـهــور السمـــاء
شـــب فيـك اليتيـم ضمـت أبـاه فــى الصبـا النضـر ، يثـرب الـغـراء
وطـــوى أمَّـــهُ الـــردى فطـوتـهـــا فــى مجـالـى شـبـابـهـا «الأبـــواء»
انجبــاه كـالصبـح أسفـر ، فـانجـاب ظـــلام القلـــوب فـهــــى وضـــاء
وحـجـــى بصـــر الأنـــام فـعـاقـــت جـهـلـهـا الجـاهلـيـة الحـمـقـــاء
وهـــدى طـهـــر النفـــوس مـــن الكـفـــر وللكفـــر فـــى الـــورى استـعـــلاء
يـوم ألقـــى جبـريـل مـعـجـزة الـدهـــر كـتـابـــاً بـــآيـــه يـســتـضـــاء
قيـل : ســحـــر ، وقيـل : بـل هـــو شـعـــر دون هـــذا وتقـصـــر الشـعـــراء
إنـــه البـيـنـاتُ تبـقـــى عـلـى الـدهـــر ويـبـلـــى البلـــى ويفـنـــى الفنـــاء

(١) كناية عن تنفيذ رسول الله ـ ﷺ ـ لأمر الله ـ سبحانه .

قبســات مــن النور المحمدى

ويحدثنا الشاعر العظيم «محمود حسن إسماعيل» عن النور الأعظم فيقول :

يــاأول نـــور سكــب اللـــه النـــور الأعظــم مـــن شفتيــه
يــاأول نـــور كـــل النـــور تـــألـــق منـــه ، وجــاب الكـــون عـــلى كفَّـيـه
يــاأول نـــور خـــف إليــه الـــروح القـــدس وكبـــر شــوقـــا بـيـن يـديـه
يــاأول نـــور شـــرب الكـــون رحيـــق الــعـــزة لما ســار على شطيـــه
عـــد لخطـانـــا ، عـــد لـهـــوانـا ، يـعـــد النـــور لـروح الحـائـر فى كـهـفيـه

ويتساءل الشاعر رشاد يوسف قائلاً :

يـامـلاييـن مـــن عشـيــرة طـــه | آن أن ينتـهـى زمـــان التـــرددْ
آن أن نستـفـيـق عقـــلا وقلبـــا | ليــس بـالأمنـيـات فـالأمـر أبـعــدْ
كيـف نلـهـو وبيننـا سُوَرُ الــوحـى | وفيـنـا تـعيــش سنـــة أحمـــدْ
كيـف نـرضـى بـوصمـة الجـهـل فينـا | والنبـى الكـريـم بـالجـهـل نــددْ
كيـف نـرضـى تخلـفـا أو جـمــودا | ولنـا السبـق مـن قـديـم تـعـددْ
خيـر ذكـرى لأحمـد حيـن نحمـى | قـدس قـرآننـا وحـرمـة مـعبـدْ
خيـر ذكـرى لأحمـد حيـن نمحـو | سُحُبَ الجـهـل والجمـود الملبـدْ
خيـر ذكـرى لأحمـد حيـن نصفـو | ونحيـل الحيـاة بـالحـب أرغـدْ
خيـر ذكـرى لأحمـد حيـن نقفـو | فـى دروب الحيـاة خطـو محمـدْ

العلوم الكونية

علم الفلاحة

الجديد في العلم والتقنية

الأمة الإسلامية وعصر الفضاء

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

علم الفلاحة

أ.د. أحمد فؤاد باشا

كان الإنسان منذ القدم يهاجر دائماً من ارض إلى ارض بحثاً عن انسب الأماكن التى تصلح للزراعة والتجارة واستيفاء ما ينقصه من وسائل العيش وتهيئة ظروف الأمن والاستقرار ، وكانت الأنهار والبحار هى التى تغريه بالتمركز حولها او بالقرب منها لما تدرّه خصوبة التربة ووفرة المياه من خيرات ؛ لذلك كان الاهتمام بالفلاحة امراً طبيعياً وحيوياً فى كل العصور ؛ وظل هذا الفن محصوراً فى نطاق التجربة المحلية والخبرة المكتسبة إلى ان جاء عصر النهضة الإسلامية واصبحت الفلاحة فيه علماً له اصوله وقواعده شانها فى ذلك شان باقى فروع العلم والمعرفة . وسوف نكمل فيما يلى ما بداناه فى العدد السابق من حديث حول ماثر علماء المسلمين فى مجالات الفلاحة ومنهجهم العلمى التجريبى فى التعامل مع التربة وإصلاح الارض والزروع والثمار وعلاج آفاتها .

آراء متقدمة فى اختبار الأرض وإصلاحهـا !

ذكر ابن العوام فى « كتاب الفلاحة الأندلسية » خلاصة معرفته التجريبية فى كل ما يتعلق بالعلوم الزراعية ، وانتفع به عرب الأندلس والأوروبيون فيما بعد إلى الحد الذى وصفه مؤرخ الحضارة « ول ديورانت » بأنه : « أكمل بحث فى علم الفلاحة أُلّف فى القرون الوسطى برمَّتها » ، وقد ترجم هذا الكتاب فى القرن الماضى إلى الأسبانية والفرنسية ، وقال عنه : « انطون باسى » فى تقرير قدمه سنة ١٨٥٩ إلى الجمعية الوطنية الزراعية الفرنسية : إنه موسوعة زراعية تامة تفرد بها القرن الثانى عشر الميلادى .

يقول ابن العوام : إن أول مراتب الفلاحة

معرفة الأرض ، والبعض فى امتحان الأرض يكتفون بالنظر إلى ما ينبت فيها ، ولو بحشيشة واحدة ، مثل « العوسج » و« الشوك » و« العليق » ، فيأخذون من أغصانها وأوراقها المتوسطة فيدقونه ويقيسون طعمه إلى طعم مثله مما ينبت فى أرض سليمة من الآفات ، فيستدلون بالخلاف والوفاق ؛ وهذه دراسة مقارنة لها قيمتها العلمية فى منهج البحث السليم (١) .

ويقول ابن العوام أيضاً : إن بعضهم يستدل على طيب الأرض ودناءتها بأعشاب نبتها لا نكاد نخطىء الاستدلال بها ، ويمثل بنباتات لا تنبت إلا فى الأرض الجيدة ، وأخرى تنبت فى الأرض الدنيئة ، والبعض ينبت فى كلتيهما ، فالأرض فى رأيه لا تخطىء أبداً ، وهذا مايسمى فى العلم الحديث بأن النباتات كواشف للبيئة .

أما أساليب استصلاح الأراضى فتحظى باهتمام كبير فى علم الفلاحة الإسلامى ، ومن أوضح النصوص فى ذلك قول رضى الدين الغزى : « اعلم أن الإصلاح العام لجميع الأرض الخارجة عن الاعتدال هو المطر الخفيف اللين ، ثم المطر الغسال .. وماء السيل الكدر ، إذا قام عليها وخلف تراباً كثيراً أصلحها ، فإنه يغسل الأرض ويبردها ويصلحها ويقويها ويقوم مقام الزبل المصلح ... والأرض الحامضة بتكرير التزبيل مع رماد الرمان .. وتصلح الأرض المالحة بعد مجيء المطر الأول ، فتدق عيدان الباقلى اليابسة دقاً ناعماً ، وينشر على هذه الأرض بعد كرابها وتترك هكذا للصيف ، ثم ينشر على وجهها سرجين البقر مذاباً بالماء فإنه يحيلها إلى العذوبة .. وإن اتفق أن تغيم السماء أربعين يوماً على الأرض المرّة والحريفة بحيث لا تطلع عليها الشمس صلحت صلاحاً جيداً بغير علاج ، وربما يكتفى بزراعة حب الرز والأزادرخت مما يلقط المرارة ونحوها ... والأرض الخزفية ، وهى التى يعلوها شبه الخزف لوناً وقواماً ، وإصلاحها أن تقلب قلباً عميقاً ، وتدق حتى تختلط تلك الأجزاء التى تخزفت ، ويكرر ويعاد عليها ، وينشر عليها الباقلى والشعير مخلوطين بروث الحمير .. ومثل هذا الاستصلاح إذا لم يتم بدقة فإنه يفسد التربة ، وفى ذلك خطر أن تنقلب إلى الحرافة ، فيكون الذى حصل لها شرًا مما ذهب عنها » . (٢)

ويغلب على أساليب الاستصلاح عموماً عامل المقارنة بين أنواع الأسمدة البلدية ، وقد خصص ابن العوام فى كتابه المذكور سابقاً فصلاً لكيفية استعمال الأزبال فى الشجر والخضر ، ويقول : إن هذه مع منفعتها للنبات فإنها تنفع الأرض التى فيها النبات والتى لا نبات فيها ولا شجر ، وذلك أنه إن طرحت فى أرض رديئة أصلحتها ، وإن كانت الأرض صالحة زادتها صلاحاً فى طيبها وقوتها ، وكذلك هو فعلها فى النبات والشجر ، التقوية والصلاح ودفع العوارض الردية عنها .

ويعتقد الغزى بصحة العلاقة بين الزبل ونوع الأرض ، فالأرض الحمراء تزبل يسيراً قدْر الا

---

(١) د . عبدالحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، دار المعارف ١٩٨٠ ، ص ١٧٦ .

(٢) د . محمد وليد كامل ، أعمال ندوة « التراث العلمى العربى للعلوم الأساسية » ، طرابلس ليبيا ١٩٩٠ .

علم الفلاحة

يظهر فيها لأن كثرته توهنها ، والأرض البيضاء تزبل كثيراً وكذا الصفراء ، والغليظة يحلل غلظها بالرماد والزبل الكثير إن لم تكن طيبة ، أما الأرض الكسحة فلا تحتاج إلى زبل ، والمالحة تزبل بالزبل الحلو والتبن ، والأرض كلها إذا زبلت فوق الحاجة احترقت واحترق ما فيها (٣) .

آراء متقدمة فى أساليب الغرس :

وصفت كتب الفلاحة الإسلامية طرق غرس الأشجار والخضر وأنواع المياه المستعملة فى سقيها ، فهناك الماء العذب والماء المالح الزعاق والماء القابض العفن ، والماء الذى غلب عليه طعم بعض المعادن ، وتحدث ابن العوام عن الاستدلال على قرب الماء بأنواع النبات وطعمه وريمه وبلون وجه الأرض .. وأوصى فى غرس البساتين بألا يكون غرس الأشجار غرساً مختلطاً بل ينبغى أن تكون الفُرج التى بين الغروس على قدر طبع الأرض وقوتها ، وأجود جميع الغروس التى تحمل ، وخير غرس الشجر مايكون من غصون ، والغصون التى من البذور أضعف فى الجملة من جميع الغروس ، ولا تغرس الأشجار التى تعظم مع الأشجار التى لاتعظم ولا التى تتعرى من أوراقها مع التى لا تتعرى منها .

ويصف ابن العوام طريقة « الترقيد » المعروفة حالياً فيقول : ومن الناس من يعمد إلى زرع هذه الأشجار من فروع تنتزع من الشجر فيميلها ويطمرها فى التراب حتى يصير لها أصول ثم ينقلها ، كما يصف عملية التكاثر الخضرى فى الأشجار المختلفة بطريقة « المشاتل » وينصح بأن تكون « المشاتل » فى أرض جافة لم تفلح ، وأن تكون الشمس مشرقة عليها وتصل إليها الرياح الجارية ، وينبغى أن تقلب هذه الأرض قلباً مستقصى لنزع أصول الحشائش ويحفر حول الغروس مرة كل شهر ، وأن تكون الآلات صغاراً جداً لئلا يضر ذلك الحفر بالغرس ، وتلقط الفروع التى تنبت فى الغروس وهى غضة قبل أن تخشن ، وينبغى أن تكون الأرض التى تحول إليها الغروس من موضع تربتها مقاربة فى الصفة للأرض التى ابتدىء زراعتها فيها أو مثلها ، ولا تحول من أرض جيدة إلى أرض رديئة .

ويقول ابن العوام فى أوقات الغرس : إنها تختلف على قدر اختلاف البلدان والأمم أو الربيع أو الخريف ، ويقول أيضاً : إذا أردت أن تأخذ الغرس من أى نوع شئت كان قصعاً أو خلعاً أو ملخاً أو وتداً أو غرساً بأصله ، ولا تأخذ من الغرس إلا ما يلى الشمس فهى تحره وتدبغه وكلما أحرته الشمس فهو أجود ، ولا تأخذ غرساً أبداً من ناحية الشمال ، وماجاوز الشمال فإنه ظليل قليل الحمل ، قليل التعلق ، وينبغى أن تأخذ الأغصان من أعلى الشجرة وتختار الغراسة من اكثر الأشجار حملاً وأطيبها طعماً فإن المؤونة والنفقة فى غراس النوع الجيد وعمارته والردىء سواء ، فغراسة الجيد أولى (٤) .

(٣) المرجع السابق .

(٤) د . عبدالحليم منتصر ، المرجع السابق ، ص ١٧٧ ومابعدها .

آراء متقدمة فى دراسة المراعى :

كان أبوحنيفة الدينورى المتوفى عام ٢٨٢ هـ (٨٩٥م) أول من ألف فى علم الرعى والمراعى الطبيعية ، وذلك فى باب خاص من كتابه المعروف عن « النبات » .

يقول أبوحنيفة فى آخر هذا الباب ، ملخصاً لما ورد فيه : « قد أتيت بما حضرنى ذكره فى وصف الرعى والمراعى وما يعرض لها من الآفات وحال السائمة فيها وما يعتريها من الأمراض على ما استحسنت وضعه فى هذا الكتاب (٥) . وهذا القول يكتسب أهمية خاصة عند التأصيل الإسلامى لهذا العلم الذى يعتقد الكثيرون فى الوقت الحاضر بأنه مدين بنشأته الأولى إلى العالم الأمريكي « آرثر سامبسون » Arthur W. Sampson عندما ظهر كتابه الأول عام ١٩٢٣ م عن إدارة المراعى الطبيعية والاطناعية Range And Pasture Management ، ثم أعاد كتابته من جديد فى عام ١٩٥٢ م تحت عنوان « إدارة المراعى ، أسس وتطبيقات » ، Range Management , Principles And Practices أى أن أباحنيفة الدينورى قد سبق الأمريكى سامبسون بكتاباته العلمية الموثقة عن الرعى والمراعى بما يزيد على ألف عام ، ومن ثم بما تجلية هذه الحقيقة توضح بما لا يدع مجالاً للشك أن أسلافنا العباقرة من علماء الحضارة الإسلامية لم يتركوا سبيلاً ممكناً من سبل العلم والمعرفة إلا وسلكوه عن وعى وخبرة محققين قصب السبق والريادة .

آراء متقدمة فى فنون زراعية أخرى :

كان اهتمام علماء المسلمين بفنون الفلاحة المختلفة شاملاً لكل ما يحقق الخير والنماء للمجتمع الإسلامى بأسره ، يشهد على ذلك ما تضمنته مؤلفاتهم من دراسات قيمة تتعلق بتغذية وتربية الحيوان ، فقد أفرد أبوبكر أحمد بن وحشية فى القرن التاسع للميلاد كتاباً للحيوانات المعينة على الفلاحة مثل : البقر والغنم وغيرهما ، وأفرد فيه بابا خاصاً : للحمام والطيور والكراكى . وخصص ابن العوام الأبواب الأخيرة من كتاب « الفلاحة الأندلسية » لتربية الماشية وكذا أمراض الحيوان ، وتحدث عن كيفية اختيار الجيد ومدة الحمل وما يصلح من العلف ، ثم تحدث عن التسمين ورياضة الأمهار وعلاج بعض علل الدواب ، كما خصص فصلاً عن اقتناء الطيور فى البيوت ، مثل الحمام والأوز والدجاج ونحل العسل ، ثم اقتناء الكلاب للصيد والزرع . ولم يغفل ابن العوام الحديث عما يمكن أن نسميه « النباتات الطبية » ، وخصص من كتابه المذكور ، الذى ينقسم إلى أربعة وثلاثين فصلاً ، مبحثاً لاختيار البيادر والمدارس حيث تجمع المحاصيل وتدرس ، وأفرد الباب الثلاثين لاختيار مواضع البنيان ووقت قطع الخشب ومعاصر الزيت .

ولا شك فى أن موارد المياه هى التى كانت تلعب الدور الأساسى فى تطور الفلاحة وازدهار

---

(٥) د . محيى الدين قواس ، ندوة التراث العلمى العربى للعلوم الأساسية ، طرابلس ليبيا ١٩٩٠ ، وتجدر الإشارة من جانبنا إلى أن كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى هو أحد ثلاثة كتب اشتهر بها هذا العالم الموسوعى الجليل فى ثلاثة علوم هى : « علم الأنواء » و« علم النبات » و« علم القرآن » .

ويقول « برنهارد لوين » محقق كتاب النبات : « وأغلب الظن ان كتاب النبات يقع فى ستة اجزاء إلا انه لم يصلنا من هذه الأجزاء سوى الجزءين الثالث والخامس » . أما باب « الرعى والمراعى » ، فقد أفرده أبوحنيفة فى بداية الجزء الثالث .

العلوم الكونية

علم الفلاحة

الصناعات القائمة عليها ، لهذا اهتم علماء المسلمين بدراسة الموارد المائية ، وأولوا أهمية خاصة للدول الإسلامية التى تعانى من شدة الجفاف لوقوعها فى أقاليم ذات أمطار غير منتظمة وغير كافية ، وانتشر شق القنوات وبناء الخزانات اللازمة للرى ؛ ومن ثم كان طبيعياً ان تشتهر الأرض الإسلامية بمختلف المحاصيل الزراعية ،

فزرع القمح فى : خوزستان والمغرب وفارس ومصر والشام وشبه الجزيرة العربية ، وزرع القطن والكتان فى : مصر والمغرب ، وانتشرت أنواع التمور بين منتجات شبه الجزيرة العربية ومصر والعراق وكرمان ، وأنتجت كميات وفيرة من التفاح والموز والرمان واللوز والزبيب والتين فى بلاد الشام وفارس والجزيرة وولايات أخرى كثيرة ، وعلى أساس النهضة الزراعية قامت بعض الصناعات الهامة مثل صناعة المنسوجات من القطن والكتان وكانت مراكزها الرئيسية فى البصرة ودمياط والرى وخراسان ، ومثل صناعة الورق فى : ما وراء النهر ومصر وفلسطين والشام ، ومثل صناعة العطور من الورد والزعفران فى : فارس والعراق والهند ، وكذلك صناعة الأدوية والعقاقير . ولقد نشطت حركة التبادل التجارى للسلع والمصنوعات بين عواصم العالم الإسلامى نشاطاً كبيراً ، وانتشرت الخضرة حتى كست جل رقعة الأرض الإسلامية ، « فلو اطلع مطلع على وادى السند من الجبل ـ فيما يقول ابن حوقل ـ لرأى خضرة متصلة لا يرى فى أضعافها غير قهندز (حصن) أبيض أو قصر سامق مشيد ، فأما فرجة منقطعة عن الخضرة أو أرض بائرة أو غامرة فقلما ترى هذه الحال » .

وسبحان مبدل الأحوال ..

الأمة الإسلامية

وعصر الفضاء

للدكتورة
ميرفت السيد عوض

رسالة الإسلام رسالة علم ، تطلب إلى اتباعها البحث والتنقيب وتعيب على من يقف دون العلم مكتفياً بالظن ، فيقول الله تعالى : ﴿ مَالَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ « النساء ـ ١٥٧ » وحين يطلب الإسلام العلم يحث على الدليل : .. ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ « البقرة ـ ١١١ » ، وفى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ « الأنعام ١٤٣ » ، ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ « الأنعام ١٤٨ » .

فالكتاب العزيز ينحى باللائمة على الجهل والخمول ، ولا يرضى بهما لمسلم ولا مسلمة .

ولقد كانت آية الإسراء والمعراج معجزة تشد المسلمين إلى مختلف الآفاق ، وتدعوهم إلى اكتشاف الكون ، وكم حلم الإنسان بان يرتاد اعاليه ، ولئن دفع العالم العربى (عباس بن فرناس) حياته فى تجربة غير ناجحة للطيران إلا انه ترك للناس إشارة النجاح كامنة فيما نسى ان يضعه بمؤخر جسده ليعينه على توازن بدنه اثناء الطيران .

ثم تمكن الإنسان من تحقيق ما تم من إنجازات فى مجال الفضاء بدءاً من عصر « البالونات » و« المناطيد » ، وختاماً بالأقمار الصناعية التى تدور حول الأرض .. ولا نستطيع ان نقول : إن هذا هو النصر الأخير فقد تاتى انتصارات فضائية اخرى مدهشة .

أهمية الأقمار الصناعية :

تعتبر مسألة تعيين مدارات الأقمار الصناعية ومسارات المقذوفات ـ وكلاهما أجسام مهملة الكتلة بالنسبة إلى كتلة الأرض ـ من أهم المسائل

(*) الكاتبة : أستاذ مساعد بقسم الفلك ـ جامعة القاهرة .

العلمية والعملية فى هذا العصر ، وسنعرض باختصار بعضاً من تطبيقات تعيين مدارات هذه الأجسام .

أولا : التطبيقات العسكرية :

١ ـ يمكن تعيين الموضع النهائى (الهدف) للمقذوف[١] بدقة قصوى وذلك بمعلومية كلٍ من مكان وسرعة الإطلاق .

٢ ـ يمكن تعيين السرعة الابتدائية بدقة قصوى لمقذوف من مكان ما على سطح الأرض لكى يصيب هدفاً معيناً .

ثانيا : التطبيقات العلمية لحساب مدارات الأقمار الصناعية :

يوجد تطبيقات علمية عديدة تنتج من حساب وتحليل مدارات الأقمار الصناعية سنذكر أهمها فيما يلى :

(أ) فى مجال الفيزياء الأرضية (الجيوفيزياء) :

١ ـ من دراسة الاضطراب Perturbation لعناصر معينة لمدارات الأقمار الصناعية يمكن تعيين (معاملات التوافقيات المختلفة) المستعملة لتمثيل دالة المجال التجاذبى للأرض . ومن إحدى النتائج الهامة لهذه الدراسة يمكن عمل خريطة لتوزيع الجاذبية فى المنطقة العربية ، الأمر البالغ الأهمية فى اكتشاف مواقع البترول والثروات المعدنية [٢] .

٢ ـ من دراسة الاضطراب Perturbation لمدارات الأقمار الصناعية يمكن تعيين التوزيع المثالى للكثافة والضغط من بداية الجزء المركزى لباطن الأرض إلى السطح الخارجى . وتؤدى هذه الدراسة إلى معرفة نوع الاتزان ومعادلة الحالة لمواد باطن الأرض ، والاستفادة من هذه المعرفة فى بحوث (الجيوفيزياء) ، وكذلك فى التنبؤ بالزلازل وثورات البراكين .

٣ ـ من تحليل نتائج أرصاد الأقمار الصناعية المخصصة لدراسة المغناطيسية الأرضية يمكن قياس المجال الرئيسى للمغناطيسية الأرضية وإجراء دراسة مستفيضة لحركة الدوامات المغناطيسية فى الجزء المركزى للأرض ، وترجع اهمية هذه الدراسات إلى أن هذه التغيرات المغناطيسية مرتبطة بالعديد من الظواهر الكونية التى تحدث خارج سطح الأرض ، مثل النشاط الشمسى ، حالة طبقة (الأيونوسفير) ، الأشعة الكونية ، الخ .

٤ ـ من دراسة الاضطراب والتقلبات التى تحدث لمدارات الأقمار الصناعية نتيجة تأثير الإشعاع غير المباشر والمنعكس من سطح الأرض ، يمكن معرفة القدرة الانعكاسية للإشعاع لسطح الأرض ، ومدى ارتباطها بالغطاء السحابى والخواص الفيزيائية لسطح الأرض .

(ب) فى مجال الفيزياء الجوية :

١ ـ من دراسة معدل انكماش المحور الأكبر لمدارات الأقمار الصناعية يمكن تعيين كثافة ودرجة حرارة طبقات الجو العليا .

٢ ـ من تحليل نتائج أرصاد الأقمار الصناعية المخصصة لبحوث الفيزياء الجوية يمكن دراسة شدة وكثافة الهواء مع الارتفاع ، ومدى ارتباطها بالنشاط الشمسى .

٣ ـ من دراسة معدل تغير طول البعد البُؤْرِىّ لنقطة الحضيض Perigee للأقمار الصناعية

---

(١) يطلق عليه العسكريون : « أقصى مرمى » .

(٢) وليس يقف ذلك على المنطقة العربية وحدها .

(انظر الرسم) يمكن تعيين سرعة الرياح فى طبقات الجو العليا .

٤ ـ من تحليل نتائج أرصاد الأقمار الصناعية المخصصة لبحوث طبقة (الأيونوسفير) يمكن دراسة الخصائص الفيزيائية لهذه الطبقة ، وبخاصة توزيع الكثافة الإلكترونية ، الأمر البالغ الأهمية لضمان مثالية البث الإذاعى عبر بلدان العالم .

رسم توضيحى :

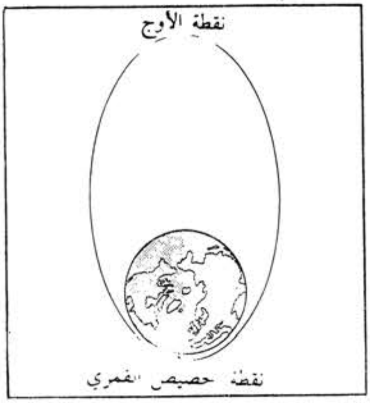

تسمى أعلى نقطة فى مسار القمر الصناعى بنقطة الأوج (Apogee) ، بينما تسمى نقطة أسفل ارتفاع له فوق سطح الأرض بنقطة الحضيض القمرى (Perigee) .

(ج) فى مجال الاتصالات :

لعل من أهم التطبيقات الهندسية للاستفادة من الأقمار الصناعية هو مجال الاتصالات (وقد تناولنا هذا الموضوع فى العدد الأسبق) (*) .

القمر الصناعى العربى « عربسات » (**) .

قامت المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية ، التى أسست عام ١٩٧٦ م كإحدى التنظيمات الحكومية التابعة لجامعة الدول العربية ، بالتعاقد ـ مع الشركات المصنعة ـ على إنتاج ثلاثة أقمار صناعية يطلق منها اثنان ، ويبقى الثالث احتياطياً فى التخزين ليطلق عند الحاجة . وكان الطرف الثانى للتعاقد يتكون من شركة « ايروسبا سيال » Aerospatiale الفرنسية التى عهد إليها ببناء جسم القمر ، وشركة « فورد للاتصالات الفضائية » الأمريكية التى عهد إليها بتصنيع الأجهزة الإلكترونية .

وفى عام ١٩٨٥ م أصبح للعرب شبكة أقمار صناعية للاتصالات قوامها ثلاثة أقمار ، استقر اثنان منها فوق خط الاستواء على « المدار الثابت » بارتفاع (٣٥٨٠٠) كم ، عن سطح الأرض ، وبذلك أصبحا متزامنين مع سرعة دوران الأرض لكى يحققا تغطية الرقعة العربية بالبث التليفزيوني والبرامج الإذاعية والاتصالات الهاتفية .

ولقد أتى تصميم القمرين بسعة تكفل تحقيق الوفرة فى الاتصالات بين ٢٢ دولة عربية ، بتغطية الرقعة العربية بكاملها ، وبلغت قنوات كل قمر : سبع قنوات تليفزيونية ، وخمساً وعشرين قناة إذاعية ، وقناة واحدة جماعية للاتصال المباشر ، ثم (٨٠٠٠) ثمانية آلاف دائرة « تليفونية » ..

ويمكن أن يستمر أداء القمر فى الفضاء مدة تبلغ ٧ سنوات .

العنصر الحاكم فى هذا الأمر هو وجود مستودع لغاز « الهيدروجين » على متن القمر ، يُنْفَثُ من فتحات ضيقة لتصحيح مسار القمر بصورة دائمة على المدار الثابت عن طريق أجهزة التحكم من محطة المتابعة الأرضية ..

(*) انظر مجلة الأزهر عدد محرم ١٤١٢ هـ ص ٧٨ .

(**) « عربسات » كلمة معربة من اختصار (Arab- satellite) وتعنى « القمر الصناعى العربى » .

ولقد اختيرت مدينة « الرياض » لتقام فيها المحطة الرئيسية لمتابعة القمر الصناعى العربى . كما اختيرت مدينة « تونس » لتقام فيها محطة متابعة احتياطية تعمل عند توقف المحطة الرئيسية .

ونظراً للاهمية البالغة للاقمار الصناعية في تطوير وسائل الاتصالات ، والتى يظهر اثرها في مختلف اوجه التنمية ؛ فلقد علق المراقبون والعلميون العرب الكثير من الآمال على إطلاق هذين القمرين ، ولكن للأسف لم يتحقق من هذه الآمال إلا النزر اليسير ، فقد توقف (عربسات ـ ١) الذى أطلق في فبراير ١٩٨٥ م عن الأداء بعد شهور قليلة من إطلاقه حيث ثبت ابتعاده عن مواقعه المقدرة على المدار الثابت فوق خط الاستواء ، فلم يصبح موجهاً إلى الرقعة العربية لتغطيتها بإذاعات كما كان مقرراً ؛ بل اصبحت إشعاعاته موجهة إلى رقعة يقع بعضها خارج المنطقة العربية ، الأمر الذى دعا بعض الصحفيين إلى التهكم والقول بأنه : « قد أصيب بالحول » .

ومن المؤسف أيضاً أن (عربسات ـ ٢) لا يعمل حتى الآن بكامل سعته ، فنسبة الاستخدام الكلى ـ كما جاء فى محاضر المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية فى أبريل ١٩٨٦م ـ كانت لا تزيد على ٢,٤٪ ، وفى عام ١٩٨٧م ارتفعت هذه النسبة إلى ٣٪ وقفزت خلال عام ١٩٨٨م إلى ٢٨٪ .

على الجانب الآخر فإنه من المشرف أن نجد من أبناء الأمة العربية من يشارك العلماء الأجانب فى هذا العلم المعاصر المتقدم ، نذكر منهم على سبيل المثال عالم الفضاء المسلم الدكتور فاروق الباز الذى ساهم فى تنفيذ بعض برامج وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) ، وأسس (مركز الدراسات الأرضية والكوكبية) ، بمتحف الفضاء ، والطيران القومى بواشنطن ، وكان عضواً فى الفريق العلمى الذى عمل مع « ابوللو » فى رحلاتها الفضائية المشهورة .. كما أن رحلة الأمير « سلطان بن سلمان » ، وهو أول رائد فضاء مسلم ، تُعتبر أول خطوة حقيقية لدخول العرب عصر الفضاء ، لأن انطلاق أول قمر صناعى عربى قد تم دون مشاركة فعلية للعرب فى عملية الانطلاق . أما فى رحلة المكوك الفضائى فنجد أن الأمير سلطان قد شارك فى عملية الإطلاق ، ولم تقتصر مهمة رائد الفضاء العربى الأول على مراقبة عملية إطلاق « عربسات ـ ٢ » ، بل تعدتها إلى القيام بخمس تجارب فضائية هامة أثناء الرحلة ..

وإحقاقاً للحق فإنه لا يزال أمامنا كأمة عربية إسلامية الكثير لدخول عصر الفضاء بإيجابية ..

ذلك ان ثرواتنا الطبيعية وادق اسرارنا المدنية والعسكرية اصبحت مجالاً مباحاً لمن يملكون العدد الكافى من اقمار الاستطلاع التى تجوب سماءنا فى كل لحظة من ليل او نهار ، وتسجل ادق ماتريد دونما عائق . وليس هناك من سبيل امامنا إلا السعى الجاد لامتلاك ناصية هذه التقنية عن طريق إعداد وتنفيذ برنامج فضائى دراسى وتطبيقى يهدف إلى تصميم وإطلاق اقمار عربية خالصة فى اقرب وقت ممكن .

وأخيراً ، على الإنسان أن يعمل على كشف المزيد من أسرار الفضاء التى أودعها الله سبحانه وتعالى فى كافة مخلوقاته .

والمسلمون مطالبون قبل غيرهم بأن يكونوا دائماً فى مقدمة ركب المتقدمين من بنى الإنسان ، حتى ترتفع على أيديهم راية الإسلام عالية خفاقة ، ويكونوا أهلاً للخطاب القرآنى فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٣] .. « صدق الله العظيم »

---

(٣) سورة آل عمران : آية ١٣٩ .

الجديد فى العلم والتقنية

إعــداد
د. نجوى الســيد أحــمد

اكتشاف أول كوكب خارج مجموعتنا الشمسية

تناقلت وكالات الأنباء العالمية مؤخراً خبراً علمياً مثيراً يتعلق باكتشاف أول كوكب خارج المجموعة الشمسية يدور حول نجم يقع بالقرب من مركز المجرة التى تتبعها الشمس .

يقول الفلكيون البريطانيون الذين أعلنوا هذا الاكتشاف : إن حجم الكوكب الجديد يفوق حجم الأرض ١٢ مرة ، ويبعد حوالى ٣٠ ألف سنة ضوئية عن الأرض ، وقد استبعد الفلكيون وجود حياة على سطح الكوكب الجديد وأعربوا عن اعتقادهم بوجود كواكب أخرى خارج النظام الشمسى قد تكون صالحة لوجود كائنات حية على سطحها .

جهاز جديد يفحص مجموعة من المرضى فى وقت واحد

توصل معهد ابحاث علم القياس الصيني إلى إنتاج جهاز الكترونى جديد لقياس التنفس ، والنبض ، ودرجة حرارة المريض عن بعد .

والجهاز الجديد مزود بآلة كاتبة و(كمبيوتر) مصغر لتسجيل بيانات حالة المرضى وتخزينها بصورة أتوماتيكية ، كما انه مزود بخمسين آلة للقياس عن بعد . ويمكن لهذا الجهاز أن يقيس حالات ٥٠ مريضاً من حيث التنفس والنبض ودرجة الحرارة فى وقت واحد .

أوضح صورة كاملة للكرة الأرضية

تم تركيب أول صورة فوتوغرافية جامعة للكرة الأرضية من آلاف الصور التى التقطتها الأقمار الصناعية ، والمخزونة على أشرطة مغناطيسية ، ولنا أن نتصور صعوبة هذا العمل إذا علمنا أنه بالنسبة للخرائط المصورة كانت الغيوم تغطى دائماً حوالى ثلثى سطح الأرض ، وذلك بحسب الموقع والوقت . لذلك تم استخلاص الأجزاء الخالية من الغيوم فى كل صورة ، وأعيد تركيبها بمساعدة الحاسب الآلى .

الجديد فى العلم والتقنية

مؤتمر فى جامعة الأزهر عن « التوجيه الإسلامى للعلوم »

تنظم رابطة الجامعات الإسلامية ، بمشيئة الله ، مؤتمراً عن « التوجيه الإسلامى للعلوم » بالتعاون مع جامعة الأزهر وفى رحابها ، والتاريخ المتوقع للمؤتمر هو ربيع الأول ١٤١٢ هـ ـ أكتوبر ١٩٩١ م . من بين ما يهدف إليه المؤتمر :

* تكوين وعى عام لدى الجامعات بأهمية توجيه العلوم توجيهاً إسلامياً ، وفتح آفاق التعاون بين الجامعات الإسلامية فيما يتعلق بهذا التوجيه .

* تحديد مفهوم التوجيه الإسلامى للعلوم وأسسه ومناهجه .

* وضع خطة متكاملة للتوجيه الإسلامى للعلوم تسترشد بها الجامعات الإسلامية .

تقنية « الفوتونيات » ثورة فى عالم الاتصالات

توصل العلماء حديثاً إلى تقنية جديدة تحقق حلمهم فى أن يحل الضوء محل الإشارات الكهربائية كحامل شائع لتبادل المعلومات ، وذلك عن طريق توليد وإرسال واستقبال ومعالجة الإشارات المكونة من (فوتونات) ضوئية بدلاً من (الالكترونات) وتعرف هذه التقنية التى تقوم حالياً بإحداث ثورة فى عالم الاتصالات باسم « الفوتونيات ـ Photonics » . وقد تطلبت تطوير مواد أساسية لتلبية احتياجاتها ، من ضمنها زجاج فائق النقاء ورقائق شبه موصلة يبلغ سمكها بضع ذرات فقط ، ويتوقع أن يكون التقدم فى صناعة (المواد الفوتونية) خلال السنوات القادمة مضاهيا للنجاحات المثيرة التى شهدتها فى الماضى تنقية السليكون بالنسبة لتقنية الالكترونيات .

مبنى من خمسة طوابق يقام فى الفضاء

تمكن اثنان من رواد الفضاء السوفييت من إقامة مبنى من خمسة طوابق لإجراء التجارب المعملية دَاخِلَهُ ، وذلك بجوار محطة الفضاء السوفيتية « مير » ، وقال معلق التليفزيون السوفيتي : إن الرائدين أقاما المبنى خلال رابع عملية سير فى الفضاء يقومان بها خلال أسبوعين .

من الجدير بالذكر أن تفكير العلماء قد اتجه حديثاً إلى ضرورة إقامة مستعمرات فى الفضاء تتسع لآلاف البشر ، وتهيىء لهم كل ظروف الحياة والعمل ، وتدور كأى جرم سماوى فى مدار ثابت وحول ذاتها لتنشأ فيها جاذبية صناعية تشبه جاذبية الأرض بالنسبة للبشر الذين سيعيشون عليها .

« كبسولة » لقياس درجة حرارة الجسم

اعتاد الأطباء استخدام (الترمومتر) لقياس درجة حرارة المريض ، ثم استعمل الشريط اللاصق لقياس الحرارة خصوصاً عند الأطفال .. وأخيراً يستخدم الأطباء أحدث وسيلة لقياس الحرارة اخترعها العلم الحديث وهى عبارة عن (كبسولة) صغيرة يبتلعها المريض فتسجل جميع درجات الحرارة لجميع الأجزاء

التى تمر فيها مهما كانت دقيقة ، وترسل ما سجلته من درجات الحرارة داخل جسم الإنسان إلى جهاز (الكمبيوتر) عن طريق شعاع (الكترونى) وتظل (الكبسولة) فى حالة إرسال دائم قد يستمر إلى ٤٨ ساعة حتى تخرج مع فضلات الإنسان بعد أداء مهمتها بنجاح ساحق . يؤكد الخبراء أن (للكبسولة) نتائج رائعة فى اكتشاف الأمراض قبل تطورها إلى الأسوأ .

بطارية تعمل ١٠٠ سنة

تقوم شركة « بيريفيرال » فى ولاية (أوريغون Origon) الأمريكية حالياً بتطوير بطارية تعمل على جسيمات (ألفاوبيتا) ، وهما نوعان أمينان نسبياً من أنواع الإشعاع النووى . والتصميم الجديد يحول الإشعاع الذى يبثه الوقود المستعمل الذى تطرحه المفاعلات النووية ، مباشرة إلى كهرباء .

من عجائب المخلوقات

تم العثور على نوع جديد من الطيور يدعى (هوازين Hoatzin) من فصيلة خلفيات (القنزعة Opisthocomidea) يعيش هذا الطير فى الغابات المدارية لأمريكا الجنوبية ، ويملك جهازاً هضمياً شبيهاً بالجهاز الهضمى للمجترات ، يبلغ وزن الطائر ثلاثة أرباع الكيلو جرام ، ويتغذى بشكل عام على أوراق النباتات التى تهضمها خمائر (ميكروبية) موجودة فى حوصلته ومريئه ، فجهازه الهضمى لا يتطابق مع الجهاز الهضمى الموجود لدى سائر الطيور وهو يسمح بتركيب (فيتامينات) وأحماض أمينية .

داعية "كوسوفو" الإسلامى

الشيخ حسن إسلام يحيى

١٢ من مارس سنة ١٩٠٥م

للأستاذ
توفيق إسلام يحيى

ميلاده ونشأته

ولد الفقيد العظيم «رحمه الله» يوم ١٢ من مارس سنة ١٩٠٥ بمدينة «جاكووه بكوسوفو» .

نشأته : ولد «رحمه الله» وترعرع وشب فى بيئة علمية أبا عن جد ، وأول ما فتح عينيه رأى العلماء وطلاب العلم يأتون إلى منزل العلامة والده العظيم «أكرم الله مثواه» حيث تفرغ لتدريس العلوم العربية والشرعية حسبة لله «تعالى» ، يدرسها لأبناء البلد والبلاد المجاورة من يوم حصوله على (الإجازة العلمية) على يد أستاذ أساتذة عصره[1] فى العام التسعين من القرن التاسع عشر إلى أن انتقل إلى رحمة الله فى الثلاثين من مارس سنة ١٩٣٠ م .

فى هذه البيئة العلمية شب وبدأت تظهر عليه آيات النجابة والذكاء ، حتى إذا ما بلغ سن تلقى العلم ، وجد نفسه محاطا بكثير من تلامذة والده ، كل منهم تولى تدريسه العلوم الأساسية فتلقى على أيديهم «الصرف» حتى شرح العزى والنحو حتى حاشية الجامى على الكافية لابن الحاجب ، وتلقى فى الفقه شروح «مراقى الفلاح» و«القدورى» و«ملتقى الأبحر» وفى البلاغة المعانى والبيان والبديع ، وفى المنطق ايساغوجى مع شرح العلامة شمس الدين الفنارى .

قضى فى دراسة هذه العلوم وفهمها واستيعابها حوالَى سبع سنوات ، ثم تسلمه العلامه والده ليدرس له المواد الرئيسية فدرس له (شرح الهداية) و (مرقاة الوصول إلى علم الأصول) و(عقائد النسفى) و (العقائد العضوية) و(تفسير البيضاوى) وبعض الأبواب الهامة من الصحيحين : البخارى ومسلم ومصطلح الحديث

(١) كان أستاذه العلامة «حسن أفندى شلاقى» من أبرز علماء مسجد محمد الفاتح باستانبول ، لكنه بعد تخرجه فضل العودة إلى مسقط رأسه لينفع أهل بلده على القيام بالتدريس بمسجد الفاتح . تخرج على يديه كثير من العلماء الأفاضل الذين ملأوا المنطقة علما ونوراً . وتخرج مع العلامة الوالد شقيقه الكبير الشيخ «صالح» الذى تطوع فى الحرب البلقانية دفاعا عن الإسلام والمسلمين فلقى الله «سبحانه» مجللا بدماء الشهادة وهو يقاتل جيش الكفر والظلم والطغيان .

لابن حجر و(الشمسية مع شرح التفتازانى) فى المنطق وكتاب العلامة القاضى الرومى فى الحكمة .

بعد دراسة هذه المواد الثلاث عشرة واستيعابها نال «الإجازة العلمية» مع زملاء فرقته قبل وفاة الوالد العظيم «رحمه الله» بعام واحد .

سبب حضوره إلى الأزهر

بعد وفاة الوالد العلامة «رحمه الله» بشهرين زار إقليم «كوسوفو» زيارة سياحة شقيقان مصريان أزهريان هما الشيخ عبد القادر الكعكى وكان ضخم الجسم قوى المادة طلق اللسان ، وكان أخوه الشيخ عبد الله مجوداً للقرآن الكريم جميل الصوت جيد الترتيل .

ولما وصلا إلى «جاكووه» زارا المعهد الدينى الكبير ، ونزلا بالاستراحة الخاصة بشيخ المعهد ، فقضيا فيها عدة أيام ، وكان يقوم بإدارة شئون المعهد فقيدنا العظيم مؤقتا إلى أن يختار رؤساء المدينة شيخا جديداً له .

كان الشيخ عبد القادر يتحدث كثيراً عن الأزهر وحلقات دروسه وفطاحل علمائه و .. و .. الخ . وأخذ يحث فقيدنا العظيم على الحضور إلى مصر والانتساب بالأزهر لا ليستفيد مادة علمية جديدة حيث وجد بالمناقشة أن ما تلقى من المرحوم العلامة الوالد يكفيه للحصول على «العالمية المصرية النظامية» وإنما يستفيد آفاقا جديدة حيث يرى العالم الإسلامى كله ممثلا فى طلاب الأزهر الشريف .

نفذ فقيدنا العظيم «رحمه الله» كلام الشيخ عبد القادر ، وبعد شهرين كان بميدان الأزهر الذى يموج بالطلاب والعلماء . التحق بالقسم العالى وأخذ يحضر دروس فطاحل العلماء أمثال الشيخ «العربى» و«السمالوطى» و«المطيعى» وغيرهم . وفى نهاية العام الدراسى ذهب إلى إدارة الامتحانات ليقدم استمارة دخول امتحان

الشيخ حسن اسلام يحيى فى شبابه

الشهادة العالمية المصرية ففوجىء بما لم يكن فى الحسبان .

ظهور عوائق يستحيل تذليلها

ذهب فقيدنا العظيم «رحمه الله» إلى إدارة الامتحانات لإنهاء إجراءات دخول امتحان الشهادة «العالمية المصرية» لكنه فوجىء بالموظف المختص يخبره بأنه لا يجوز دخول هذا الامتحان إلا بعد أن يثبت أنه قضى اثنى عشر عاما فى تلقى الدروس بشهادة رسمية مصدق عليها من وزارة الخارجية اليوغوسلافية ويعتمد هذا التصديق من السفارة المصرية ، ثم قال له الموظف : إن هذه الإجراءات قد تطول ، وأنا أفهم من حوارنا أنك مستعد علميا ، لذلك أرى أن تدخل هذا العام امتحان الشهادة «العالمية للغرباء» علما بأن مواد «العالمية» للغرباء هى نفس مواد «العالمية النظامية» بزيادة علمى : العروض والوضع ، وإذا أحضرت إلينا هذه الشهادة يمكنك دخول امتحان «العالمية» النظامية فى العام القادم ثم

من اعلام الأزهر

الشيخ حسن إسلام يحيى

استطرد قائلاً : فكر فيما قلت لك ومر علينا فى ظرف أسبوع بقرارك .

فكر فقيدنا العظيم فقرر دخول امتحان الشهادة العالمية للغرباء ، ودخل فعلا هذا الامتحان فى شهر رجب سنة ١٣٥٠ هـ وبعد نقاش دام أكثر من ثلاث ساعات أنهت اللجنة المناقشة ودعت له بالتوفيق فى خدمة الإسلام فى بلده . بعد ظهور النتيجة رسميا وحصوله على «العالمية» للغرباء ، كتب إلى أهله طالبا تحضير الشهادة المطلوبة ليتمكن من دخول امتحان «العالمية المصرية» ، لكن ظهرت عوائق جمة لم تكن فى الحسبان ، منها أن الشهادة المطلوبة لو كتبت باللغة اليوغوسلافية يمكن التصديق عليها من الخارجية لكن إدارة الامتحانات بالأزهر لا تفهم شيئاً منها . ولو كتبت باللغة العربية امتنعت وزارة الخارجية من التصديق عليها لجهلها باللغة العربية ولعدم وجود مترجم رسمى بوزارة المعارف اليوغوسلافية ، ولو وجد المترجم فالخارجية تصدق على الترجمة لا الأصل ولو حصل وصدقت على الاثنين يتعذر بل يستحيل اعتماد تصديق الخارجية من السفارة المصرية لعدم وجودها حيث لم يكن يوجد فى ذلك الوقت تمثيل دبلوماسى ولا قنصلى لمصر فى يوغوسلافيا بدليل أنه حينما وصلت إلى مصر للالتحاق بالأزهر فى سبتمبر سنة ١٩٣٥ حصلت على تأشيرة الدخول من القنصلية المصرية فى «بيريه» باليونان .

بعد محاولات كثيرة استحال تذليل هذه العوائق ، ثم تم تنفيذ القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ بإنشاء كليتى الشريعة واللغة العربية فى سنة ١٩٣٢ ، وبعدهما بقليل تم افتتاح كلية أصول الدين ، وبذلك ألغى القسم العالى بإنشاء الكليات التى حلت محله ولم يستطع الفقيد الالتحاق بإحداها وفى إبريل من عام ١٩٣٤ عاد فقيدنا العظيم ـ رحمه الله ـ إلى بلده ليخدم الإسلام والمسلمين كما خدمهما آباؤه وأجداده .

الوظائف التى تقلدها

عقب عودته من الأزهر كلفه (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) القيام بالدعوة فى إقليم «كوسوفو» وإقليم «مقدونيا» وإقليم «السنجق» بالجبل الأسود ، وابتكر المجلس لهذه الوظيفة اسما لم يكن معهودا من قبل وهو (سيار واعظ) قام بهذه الوظيفة طائفا بجميع البلاد والقرى من منتصف عام ١٩٣٤ إلى ما بعد نشوب الحرب العالمية الثانية .

لم يكن فقيدنا العظيم «رحمه الله» يكتفى فى جولاته بإلقاء المحاضرات فحسب بل حينما كان يمر بالبلاد التى بها معاهد دينية حرة يطيل الإقامة قاصدا زيارة المعاهد ليجتمع بالطلاب لدراسة أحوالهم ، ومناقشتهم فى دروسهم وتوجيههم إلى طرق البحث ، وكيفية فهم المعلومات واستيعابها ليكونوا علماء يستنبطون الأحكام من مصادرها لا حفاظا ينقلون آراء العلماء إلى المستمعين ، وكان يحثهم على الاطلاع على الآراء المختلفة ودراسة أدلتها ومقارنة بعضها بالبعض الآخر للوصول إلى الدليل الأقوى والرأى الأرجح .

هكذا قام «رحمه الله» حوالى سبع سنوات بالوعظ والإرشاد للعامة ، وبتقديم توجيهاته وإرشاداته إلى طلاب العلم . كان «رحمه الله» رفيع الجاه بين هؤلاء وهؤلاء لتضلعه من العلوم ونيله منها الحظ الوافر ، وقيامه فى دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة فى تأن وهدوء ، ولا تغادر البشاشة وجهه مهما طال الحوار

واشتد النقاش مقتفيا فى منهجه سيرة آبائه(٢) وأجداده الذين كرسوا حياتهم لخدمة الإسلام والمسلمين ، ونشر العلوم بين أبناء الإقليم حسبة لله «سبحانه وتعالى» من غير أن يتوقعوا من مخلوق جزاء ولا شكورا ، رحمهم الله جميعا رحمة واسعة .

توليه وظيفة الافتاء

بعد نشوب الحرب العالمية الثانية تولى «الإفتاء» فى مدينة «برزرين» ثانية المدن الرئيسية فى الإقليم وبها معهد دينى كبير حر ، تابع لمسجد محمد بيراقلى باشا ، به حجرات للطلاب واستراحة لشيخ المعهد . اتخذ فقيدنا العظيم المعهد مركزا للإفتاء ليجمع بين الحسنيين ؛ القيام بمهام «الإفتاء» والقيام بالتدريس لطلاب المعهد ، وكان به مكتبة زاخرة بأمهات الكتب فى العلوم المختلفة ، لزم فقيدنا العظيم المعهد ست سنوات تقريباً يقوم فيه بالوظيفتين ولا يعود إلى أهله وأولاده إلا ليلة آخر الأسبوع . اكتسب حب واحترام وتقدير سكان المنطقة له بسبب الخدمات التى كان يقدمها لأهل المنطقة عن طريق الإفتاء ، ولأولادهم عن طريق المعهد مع التمسك بالصدق فى القول مهما كانت الأسباب ، وكان لصدقه مع الله «سبحانه» ومع نفسه ومع الناس أثر كبير جداً فى إنقاذ أرواح بشرية كثيرة من رصاص «الألمان» الذين كانوا يحتلون المنطقة فى ذلك الوقت ، كان خبراء الجيش الألمانى قد قاموا بدراسة خلفيات الشخصيات البارزة فى المنطقة

الشيخ حسن اسلام يحيى فى هرمه

فتبين لديهم طبقا لمعاييرهم ان فضيلة مفتى «الإقليم» يتميز بالصدق . وفى إحدى الليالى قبض الجيش الألمانى على بعض الشباب بتهم مختلفة ، اتجه أولياء الأمور إلى فضيلة المفتى يرجونه التوسط لدى القيادة لإطلاق سراح أولادهم . اتصل فقيدنا العظيم بالقيادة طالبا موعدا للقاء القائد العام ، بعد قليل جاءه الرد بأن القائد العام مستعد لاستقباله فوراً ، قال للقائد العام : إن الشاب الفلانى برىء ولا علاقة له بما اتهم به ، ولولا يقينى بذلك لما تدخلت ، ثم قام ليغادر المكتب فودعه القائد العام إلى الباب وقال له : هذا الشاب سيكون عند أهله بعد ساعة . وإذا كان لكم طلب لدى القيادة يكفى أن تتصل بنا هاتفيا ويحضر إلى مكتبكم فوراً مندوب منا يتلقى طلباتكم .

---

(٢) عرضت على العلامة الوالد رحمه الله مشيخة الإسلام فرفضها . وقصة ذلك تطول وإنى أحاول ذكرها فى اختصار غير مخل . كان من تلامذته ابن أحد زعماء القبائل وكان اسمه «سانابك» كان وسيما ورعا تقيا لا يمشى من غير وضوء ، وكان رئيس مجلس المدينة فى ذلك الوقت يواظب على حضور جلسات العلم فى المعهد بعد عصر كل خميس . تزوج «سانابك» أخت الملك «أحمد زوغو» وتولى وزارة الداخلية المجاورة للمسجد ، فكان إذا سمع الأذان ينزل إلى الجامع لأداء الصلاة جماعة لأنه كان دائما متوضئا ، بلغ شيخ الإسلام سن الإحالة إلى التقاعد ، فرشح «سانابك» العلامة الوالد لهذا المنصب وحصل على موافقة الملك . اتصل به وطلب منه أن يأتى مع أهله إلى العاصمة ليتولى منصب شيخ الإسلام فرد عليه قائلاً : يوجد من يتولى كرسى المشيخة العالى ولا يوجد من يجلس على كرسى الدراسة الحالى ، فكرسى الدراسة عندى أفضل . ومن غريب المصادفات أن زوجة «سانابك» ماتت بالقاهرة ودفنت بتكية المغاورى خلف القلعة أيام وجود الملك زوغو بالقاهرة بعد الحرب العالمية الثانية .

من اعلام الأزهر

الشيخ حسن إسلام يحيى

ومن المعلوم أن أحداثا كثيرة من هذا النوع تحدث أيام الحرب ، وكان الفقيد العظيم يفحص حالة كل معتقل حتى إذا تبين له أنه برىء فعلا اتصل بالقيادة طالبا إطلاق سراحه . ومما يجدر ذكره أن القيادة لم ترفض له طلبا أصلا .

ولما انسحب الألمان وتولى الشيوعيون الحكم أراد البعض منهم الانتقام منه بحجة التعاون مع الألمان لكن العقلاء من المسئولين الجدد كانوا يعلمون أن ما قام به كان واجبا عليه لإنقاذ النفوس من الموت فبقى فى منصبه إلى أن صدر الدستور الشيوعى فى ٢٩ من نوفمبر سنة ١٩٤٦ و **(بصدور هذا الدستور اصبحت الأديان فى خبر كان)** ، ألغيت جميع الوظائف الدينية من الإفتاء والقضاء والوعظ والإمامة ، وأغلقت المعاهد الدينية ومكاتب الصبيان الذين كانوا يحفظون فيها القرآن الكريم كما هو معلوم لدى العامة .

اعتكافه فى داره بعد إعلان النظام الشيوعى

بعد إلغاء الوظائف الدينية لزم فقيدنا العظيم داره ـ لا يغادرها إلا لعذر قاهر ـ رغم عدم صدور أمر له بذلك ، لكنه فعل ذلك لأمرين :

الأول : إن مظاهر الحياة خارج الدار بعد النظام الشيوعى انقلبت رأسا على عقب، فأصبح لكل امرىء شأن يغنيه .

الثانى : دفع الإحراج عن بعض كبار المسئولين الذين دافعوا عنه ـ بعد تولى الشيوعيين الحكم ـ تقديرا لمقامه وتكريما لمكانة أسرته ، ولم يتقدم بطلب لتدبير معاش له كموظف سابق .

فضل الأزهر عليه

تذكر فضل الأزهر عليه وتعرفه بزملاء[٣] مصريين فى القسم العالى . وكان قد دعاه واحد منهم لزيارته فى قريته ، وكان له منحل لتربية النحل طبقا للقواعد العلمية الحديثة ، أعجب أيما إعجاب بهذا المنحل فاشترى الكتب الخاصة بنظام تربية النحل عازما على القيام بتربيته عقب عودته . وبعد عودته عمل عدة خلايا مطابقة للنظام العلمى وهيأ لها مكانا فى جانب من فناء المنزل ، حصل فعلا فى العام الأول على كمية من العسل ، لكنه اهملها حينما كثرت عليه أعماله الخارجية ، وزادت عليه أعباؤه . ولما لزم الدار تذكر المنحل فعاد إليه متفرغا له ، وبارك الله ـ سبحانه ـ له فى هذا العمل الذى أغناه عن كل شىء أكثر من عشر سنوات إلى أن سمح «تيتو» للمسلمين بالاهتمام بأمور دينهم وفتح معاهدهم الدينية .

افتتاح معهد علاء الدين الدينى الثانوى

فى سنة ١٩٥٨ افتتح هذا المعهد فى عاصمة الإقليم «برشتنة»، وطلبت الرياسة الدينية من فقيدنا العظيم القيام بتدريس العلوم العربية والشرعية لطلاب الفرقة النهائية ، ترك مدينة «جاكووه» وانتقل إلى العاصمة «برشتنة» واشترط

(٣) منهم شاعر اللغة العربية الشيخ احمد شفيع ، والشيخان فاضل وعابد من كبار وعاظ وزارة الأوقاف والشيخ محمد رشوان من كبار علماء معهدى أسيوط والقاهرة وحينما زارنى الفقيد العظيم سنة ١٩٦٤ جاء الشيخ رشوان إلى منزلى لزيارته مرحبا ودعاه إلى حفلة استقبال أقامها فى منزله بالمهندسين تكريما له رحمهم الله جميعا .

على رياسة الشئون الدينية أن يتفرغ فى المعهد للتدريس فقط ، ولا شأن له بأى شأن من شئونه الإدارية ، تولى تدريس المواد العربية والشرعية عشرين عاما ، تخرج على يديه عدد كبير ، أكثرهم توجهوا إلى الأزهر الشريف وإلى المملكة العربية السعودية وإلى الجمهورية السورية لمواصلة الدراسات العليا ، هذا بالإضافة إلى القيام بإلقاء محاضرات وعظات أيام الجمع والمناسبات ، كما كان منزله يموج بالداخل والخارج يسألونه ويستفسرونه ويستشيرونه . كل هذا العمل الدائب المرهق كان يقوم به وهو أسعد ما يكون بقيامه بواجبه على نهج المرحوم العلامة والده الذى قضى أربعين عاما فى التدريس حسبة لله «تعالى» مترسما خطا علمائنا الأجلاء من السلف الصالح .

كان فقيدنا «رحمه الله» مع المهابة فى أعين الناس كثير التواضع ، وديعا ، بشوشا ، طويل البال ، بديه الخاطر ، المثل الأعلى للمحاور ، لدرجة أن خصومه الرسميين كانوا يهابونه ويقدرونه حتى أيام اعتكافه فى داره .

ذكر لى (رحمه الله) حادثا حصل له أيام اعتكافه ، قال : إن سجينا خطرا هرب من السجن ووصل إلى علم الشرطة أنه اختفى فى مربع - يقع فى دائرته منزل فقيدنا العظيم - صدرت أوامر مشددة إلى القوات الخاصة بمحاصرة المربع وتفتيشه منزلا منزلا للقبض عليه ، ولما وصلت القوات الخاصة إلى المنزل المجاور ، أيقن فقيدنا العظيم أنهم سيقتحمون منزله للتفتيش فلبس زيه الرسمى ونزل إلى منتصف فناء منزله منتظرا . بعد قليل اقتحموا المنزل كالوحوش الضارية بدون استئذان ، فلما رأوه فى منتصف الفناء بهتوا ووقفوا قائلين : «هذا منزلكم ياشيخنا العظيم ؟! نحن آسفون ، سامحنا لم نكن نعلم» فرد عليهم بكل هدوء كعادته : لا ، لا تفضلوا فتشوا ، نفذوا ما هو مطلوب منكم ، كرروا الاعتذار عدة مرات وخرجوا من غير تفتيش مما يدل على أن الإدارة القائمة رغم عدائها الشديد لكل ما يمت إلى الإسلام بصلة كانت تكن لفقيدنا العظيم «رحمه الله» كل تقدير لمكانته العلمية، وصدقه مع نفسه ومع الناس .

مثال رائع لدعوته ونقاشه مع المنكرين

كان رحمه الله «تعالى» متواضعا وديعا هادئا بشوشا حتى مع العلمانيين المنكرين لوجود الله ، ذكر لى «رحمه الله» حادثا حصل له فى العاصمة «بلغراد» بعد إطلاق الحرية الدينية : ذهب إلى العاصمة لقضاء أمر خاص فدخل مطعما لتناول الغداء ، جلس إلى منضدة ، وأتى الخادم بمطلوبه ، ولما بدأ يتناول طعامه إذا بثلاثة شبان أغرار يدخلون . اختاروا منضدة قريبة منه ليسمعوه ما يقولون من ألفاظ منكرة . منها : الرجعيون يظنوننا مجانين ، يطلبون منا أن نؤمن بالله الذى ما رأيناه ، والعاقل يؤمن بما يقع تحت بصره و .. والخ . استمع فقيدنا العظيم هادئا كأنه لا يسمع شيئا ، وقبل أن يغادر المطعم اقترب من منضدتهم يكلمهم بكل هدوء وبشاشة بصوت يسمعه الحاضرون قائلا : «سمعتكم تقولون كيت وكيت» تصدى واحد منهم بكل وقاحة يقول : نحن عقلاء لا نؤمن بالله لأننا لم نره ، ولا نؤمن إلا بما نراه بأعيننا ! قال له فقيدنا العظيم : يعنى أنت تؤمن بأنك عاقل ، ولأنك عاقل لا تؤمن بالله لأنك لم تره ، أليس هذا كلامك ؟ قال : بلى . قال له فقيدنا العظيم : أسألك سؤالين صغيرين . الأول : هل أنت عاقل حقا ؟ قال : نعم . السؤال الثانى : هل رأيت عقلك حتى تؤمن بأنك عاقل ؟! بهت الوقح ولم يحر جوابا ، وضجت قاعة الطعام بالتصفيق استهزاء بكلام الشبان .

من اعلام الأزهر

الشيخ حسن إسلام يحيى

مثل رائع للدعوة إلى الحق ، بكل هدوء وبكل بشاشة حاورهم وناقشهم وألجمهم ، ونال إعجاب جميع الحاضرين الذين كانوا بقاعة المطعم من المسلمين وغير المسلمين .

ترجمة معانى القرآن الكريم

كان فقيدنا العظيم «رحمه الله» يتحدث عقب حصوله على «الإجازة العلمية» عن رغبته فى ترجمة معانى ألفاظ القرآن الكريم إلى اللغة الألبانية . ولما عقد العزم على الالتحاق بالأزهر قال : عقب عودتى سأبدأ فى تنفيذ مشروع الترجمة . بعد العودة شغل بالوعظ العام فى طول البلاد وعرضها ، ولم يكن قادراً على رد الدعوات التى توجه إليه لنشر الدعوة الإسلامية . وحينما تولى منصب (الإفتاء) شغل بمهام المنصب وإلقاء الدروس على طلاب معهد محمد بيراقلى باشا كما سبق أن ذكرنا . ولما صدر الدستور الشيوعى الذى ألغى الأديان وشعائرها كما سبق ذكر ذلك ولزم داره أكثر من عشر سنوات قال رحمه الله : أُذِنَ لى أن أبدأ مشروع الترجمة فعزم على تنفيذه فى اعتكافه .

مكتبة العلامة الوالد «رحمه الله» زاخرة بأمهات الكتب فى العلوم اللغوية والشرعية : بها تفاسير النسفى والبيضاوى والقرطبى والرازى والألوسى وأبى السعود بالإضافة إلى تفاسير أخرى باللغة التركية .

طالع الراحل تفسيرى : البيضاوى وأبى السعود بعمق وتأن مع كتابة ملاحظات تعينه حينما يبدأ فى الترجمة ، وكان يرجع بين وقت وآخر إلى التفاسير الأخرى . وراجع علوم البلاغة بعناية فائقة لما لها من أثر فعال فى فهم الأساليب القرآنية وهكذا تمكن فقيدنا العظيم من وضع الأسس للترجمة ، وخطط لها ، ووضع قواعد لا يتعداها . وحينما هم بالبدء فيها استدعى للتدريس فى معهد علاء الدين الدينى كما سبق ذكره فتعطل المشروع مؤقتا وبعد أن قام بالتدريس فيه حوالى عشرين عاما ، وجاوز السبعين من عمره المبارك ، وتخرج على يديه دفعات من الطلاب منهم من حضر إلى الأزهر الشريف وآخرون اتجهوا إلى جامعات سورية ، والمملكة العربية السعودية ، ثم رجعوا قادرين على أن يحلوا محله ، طَلَبَ من رياسة الشئون الدينية إعفاءه من التدريس ليتفرغ لمشروع الترجمة وقضى «رحمه الله» حوالى ثلاث سنوات فى إعادة دراسة أوراقه التى كان قد أعدها للترجمة ايام اعتكافه فى منزله ، ثم بدأ الترجمة فعلا مستعينا بالله العلى القدير **وفى ظرف ثلاث سنوات تمكن من إتمام الترجمة وكتابتها ومراجعتها** للتأكد من سلامة الترجمة ودقتها .

اتفق مع مطبعة شهيرة بالدقة والعناية بـ «زغرب» عاصمة (كرواتيا) على طبعها . ولما كانت تكاليف الطبع فوق ما كان يتصور اكتفى بطبع عشرة آلاف نسخة ، وفى المدة المحددة أتمت المطبعة طبع الترجمة طبعا متقنا مع تجليد كل نسخة تجليدا فاخرا . وعلى الفور أعلنت إذاعة «زغرب» فى نشرتها الألبانية انتهاء الطبعة ونزول النسخ إلى السوق للبيع . فى يومين اثنين نفدت النسخ كلها فى إقليم «كوسوفو» ثم انهالت عليه طلبات من الألبانيين الموجودين فى تركيا وبلجيكا وفرنسا وغيرها تطالب بإعادة الطبع وحجز أعداد كثيرة .

وفى صيف عام ١٩٨٨ ذهب إلى تركيا للالتقاء بالألبانيين الموجودين هناك الطالبين إعادة طبع خمسين ألف نسخة ، وتم الاتفاق على ذلك . وعقب عودته إلى «كوسوفو» بدأت الجمهورية

الصربية التحرش بالألبانيين ثم تحول التحرش إلى نزاع مسلح حيث استخدمت الجمهورية الصربية الأسلحة الأرضية والجوية ضد الألبانيين العزل ، وألغت قرار الحكم الذاتى الذى أصدرته (رياسة الاتحاد) بإجماع الآراء - ولايزال قرار الحكم الذاتى - هو القرار الشرعى حتى الآن ؛ لأن عضوا واحدا فى رياسة الاتحاد اليوغوسلافى لا يملك إلغاءه أعنى به (الجمهورية الصربية) التى ألغت القرار المذكور معتدية على رياسة الاتحاد كما تعتدى الآن على (سلوفينيا) و(كرواتيا) وطردت جميع الموظفين الألبانيين وعينت الصربيين محلهم . ولاتزال الجمهورية الصربية حتى الآن تكمم أفواه الألبانيين المسلمين ، وذكرت أسباب ذلك بالتفصيل فى مجلة الأزهر الصادرة فى شهر صفر سنة ١٤١٢ هـ ولايزال الحال سيئا للغاية(٤) وشعب «كوسوفو» ينتظر من المجموعة الأوروبية تنفيذ ما وعدت بوضع نظام جديد للاتحاد اليوغوسلافى يتمتع كل شعب فى ظله بحقوقه كاملة .

انتقاله إلى رحمة الله

كان للأحوال المؤسفة التى حدثت فى العامين الأخيرين ، ولاتزال تحدث فى «كوسوفو» باعتداء الجمهورية الصربية على كل حقوق الألبانيين ، وعدم سماعه صوتا واحدا يصدر من مليار مسلم دفاعا عن حقوقهم أثر كبير فى تدهور صحته ، ثم اشتد عليه المرض إلى أن أسلم روحه الطاهرة إلى بارئها «سبحانه وتعالى» صباح الثلاثاء الخامس من فبراير سنة ١٩٩١ فى «برشتنة» عاصمة «كوسوفو» .

أوصى «الفقيد العظيم» أولاده قبيل أن يلحق بالرفيق الأعلى بأمرين :

إعادة طبع «ترجمة معانى القرآن الكريم» تلبية لطلبات الألبانيين فى الخارج(٥) .

وأن يدفن فى مدينة (جاكووه) بجوار العلامة والده رحمهما الله تعالى رحمة واسعة .

تشييع جنازته كان حدثا تاريخيا

نعت إذاعة «كرواتيا» فى نشرتها باللغة الألبانية الفقيد العظيم عقب وفاته ، وأعلنت أن تشييع جنازته سيكون غداً فى مدينة «جاكووه» ومنذ الصباح الباكر بدأت الوفود الرسمية والشعبية من جميع مدن وقرى الإقليم تتوافد على المدينة حتى ضاقت بهم على سعتها للاشتراك فى تشييع جنازة الفقيد العظيم فى مشهد مهيب لم ير المشيعون مثيلا له فى حياتهم، ووقف على قبره بعد أن ووري التراب كبار رجال الفكر والأدب والعلم يرثونه ويذكرون أفضاله وخدماته وتفانيه فى القيام بتنشئة جيل جديد من خريجى المعهد يكونون خير خلف لخير سلف ، وبذله جهده فى إصلاح أحوال الناس وجمع الشمل وتوحيد الكلمة لإقامة مجتمع إسلامى يرتكز على دعائم المودة والتراحم والتعاطف ، وأن الجهد الذى بذله فى ترجمة «معانى ألفاظ القرآن الكريم» سيكون خير زاد يتركه للمثقفين جيلا بعد جيل ينتفعون به فيذكرون فضله .

استمر المتكلمون فى إلقاء كلماتهم أكثر من ساعتين أمام الحشد العظيم غير مدركين بما مضى من الوقت ، كأنهم لشدة اتصالهم روحيا بمن ووري التراب أمامهم لا يريدون فراقه وهجرانه

---

(٤) يدل على سوء الحالة ما نشرته جريدة الأهرام يوم ١٩٩١/٧/٢٦ تقول : « .... أكد مسئول فى إقليم «كوسوفو» ان تزايد موجة العنف الحالية بين الصرب والكروات سوف يؤدى إلى انفجار الأوضاع فى هذا الإقليم «كوسوفو» من جديد ، وكان هذا الإقليم أول منطقة تتفجر فيها الأحداث عندما بدا الألبان موجة احتجاجاتهم فى العام الماضى والتى أسفرت عن مصرع نحو خمسين شخصا أ هـ .

(٥) نذكر منهم على سبيل المثال ١ - الأستاذ رسول رجب مدير معهد علاء الدين الدينى ، ٢ - الأستاذ زكريا سانا نائب رئيس الحزب الديمقراطى ، ٣ - شاعر المنطقة وكاتبها الأستاذ رجب خوجا .

فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ

عبد العظيم على الشناوى

٢٩/١٠/١٩١١ - ١٥/٨/١٩٩١م

د. عبد اللطيف خليف

انتقل إلى جوار ربه راضيا مرضيا صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ عبد العظيم على الشناوى عن عمر يناهز الثمانين عاما بعد حياة مباركة طيبة حافلة بالعطاء الكريم .

نشأ ـ رحمه الله ـ فى (المطرية) من محافظة (الدقهلية) فى أسرة معروفة بالطيبة والأصل العريق ، نشأ (يتيما) ووجهته أسرته إلى الدراسة فى الأزهر الشريف فحفظ القرآن وقضى مرحلة الدراسة الابتدائية فى معهد دمياط الدينى ، ومرحلة الدراسة الثانوية فى معهد الزقازيق الدينى ، وفيه بدت ملامح شخصيته القيادية الناضجة ، فقد كان له القول الفصل بين طلاب المعهد فيما يواجهون من مسائل وقضايا ومشكلات وقد أحبه فى معهد الزقازيق زملاؤه وأطاعوه وأسلموا إليه قيادهم ، واحترمه وقدَّره شيوخه ومدرسوه ، إذ كان مع اشتغاله بمطالب الطلاب ومشكلاتهم متفوقا فى دراسته تفوقا ظاهرا ينبىء عن ذكاء متوقد وعقل متفتح وفكر متجدد ورجولة مبكرة وقد كان ظهوره وتفوقه فى معهد الزقازيق إرهاصا لتفوقه الباهر فى كلية اللغة العربية التى حصل منها على درجة الشهادة العالية ، وأهَّله تفوقه فيها إلى الالتحاق بالدراسات العليا للحصول على درجة الأستاذية (تخصص المادة) وكان الالتحاق بهذه الدراسة مقصورا على الأوائل العشرة ، وحصل على درجة (الأستاذية) فى النحو والصرف فى منتصف العقد الخامس الميلادى (١٩٤٥ م) وعمل بالتدريس فى معهد أسيوط عاما وفى معهد طنطا بضعة أشهر ثم عين فى كلية اللغة العربية مدرسا للنحو والصرف سنة ١٩٤٧ م ، ومضى فى سلك أعضاء هيئة التدريس حتى صار أستاذا .

وفى كلية اللغة العربية أحبه طلابه وتعلقوا به وحرصوا على درسه إذ كانوا يرون فيه أبا يرعاهم وعالما يفيدهم ، وكم من طالب انصرف عن الجد وأخلد إلى اللعب والكسل فرده الشيخ إلى الجد والالتزام بالواجب والاشتغال بالعلم .

كان يسأل عمن يغيب ، وينصح من يقصر ، ويسعى فى مصلحة الجميع فى مودة وحرص وذكاء وإخلاص ، من أجل ذلك كان قدوة ومثلا لطلابه كما كان قدوة ومثلا فى مودته وسماحته وكرمه فى تعامله مع إخوانه من العلماء ، ذهب فى إعارة إلى أحد الأقطار العربية وعاد من إعارته بعد سنوات ، وكانت حصيلة إعارته مبلغا من المال فأغراه صديق بأن يشترى له بهذا المال بضعة أفدنة فى بلدته فوافق الشيخ وأعطاه المال فاشترى الصديق الأفدنة لنفسه وسجلها باسمه وعلم الشيخ بما فعل صاحبه فما شكاه إلى أحد ولا خاصمه ولا قاطعه ولا سمح لأحد من أبنائه أن يذكر صنيعه معه بسوء . كان يقول لابنه : دعوا لى صاحبى لاشأن لكم به ، دعوه لى أنا أولى بحفظ كرامته ، ورعاية مودته ، وستر عيبته ، وظل المال فى ذمة صاحبه سنوات طويلة قبل أن يعيده إلى الشيخ فى أقساط قليلة تستهلك أولا بأول .

وقد بلغ من ورع أستاذنا - على حاجته وقتئذ - أن ترك ميراثه فلم يقربه مع علمه بما كان عليه ذووه من فضل وأصل كريم .

وكان شيوخه من كبار العلماء يثقون فيه ويطمئنون إلى علمه ويفاخرون بتفوقه فيه ، فكم من مرة دعاه الشيخ حمروش عميد الكلية ليناقشه فى بعض مسائل العلم الشائكة أمام بعض زائريه من كبار العلماء ، وقد وكل إليه الشيخ حمروش الرد على بعض دعاوى المجددين فى أساليب اللغة ، فعرض فكرة الرجل وبسط القول فيها كما لم يفعل صاحب الدعوى ثم عاد إليها ينقض أساسها ويفند أبعادها وينسفها نسفا ، ولما عرض الشيخ حمروش رد الشيخ على أعضاء مجمع اللغة العربية قدر أعضاء المجمع

الشيخ عبد العظيم الشناوى

رد الشيخ وأشادوا بعلمه وذكائه وأدبه فى رده ، وكان مما قال العقاد -رحمه الله- للشيخ حمروش يومذاك : كيف يسكت الأزهر ، وفيه أمثال الشيخ عبد العظيم ؟ ! ولعل العقاد كان يريد - بما قال - أن يمسك الأزهر بكل ألوان الحياة العلمية والثقافية فى مصر .

وجاءه مرة الأستاذ عبد العليم إبراهيم وكان مستشار اللغة العربية فى وزارة التربية والتعليم يعرض عليه بحثا أعده فى تطوير قواعد اللغة العربية وتبسيطها فلما قرأه الشيخ أشاد بما اشتمل عليه البحث من أفكار وبما بذل الأستاذ عبد العليم فيه من جهد ثم قال له : حبذا لو قرأت مقدمة القاموس المحيط ، ولما التقيا من بعد سأل الشيخ عن مصير البحث ، فقال الأستاذ عبد العليم : قرأت مقدمة القاموس فمزقت ماكتبت .

وقد احتل الشيخ مكانة عالية ، ومنزلة رفيعة بين طلابه وإخوانه وشيوخه بما أفاء الله عليه من علم غزير نفع به إذ كان درسه فريدا جديداً يعرض قواعد النحو فى كل تتجاوب مسائله ، وتتواصل قضاياه يفسر بعضها بعضا يستشعر

من اعلام الأزهر

الشيخ عبد العظيم على الشناوى

من يحضر درسه أن مسائل النحو وقضاياه لا يكاد يغيب شيء منها عن ذهنه فى درسه كان - رحمه الله - عالما مسيطرا على مادته متفهما لأبعادها مؤصلا أسرارها ، وكان بعض إخوانه من العلماء يرون ما يلقى من حفاوة به فى تجلة وإكبار ، فكانوا يسألون عما أوجب للشيخ هذه المنزلة بين أبنائه من طلاب العلم ، وكان بعضهم يحضر درسه ليطلع على ما تفرد به درس الشيخ من حوار ممتع ونقاش جاد وعرض جذاب لا يغيب رونقه . وللشيخ عبد العظيم - تفسير لغوى لبعض سور القرآن ، نشر فى مجلة الأزهر ، وانتفع به طلابه .

وقام بتحقيق معجم « المصباح المنير » وضم إليه مادته التى اختصرت فى طبعاته الأولى ، وقامت بنشره دار المعارف بمصر .

وكان أحد أعضاء لجنة المصحف الشريف الذى قام بإنشاء مجمعه الملك فهد ملك المملكة العربية السعودية .

وإلى جانب إنتاجه العلمى أشرف على عدد من رسائل (التخصص والأستاذية والماجستير والدكتوراه) .

زار الشيخ عبد المحسن مدير الجامعة الإسلامية بالنيابة فى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام كلية اللغة العربية ، ومر على الطلاب ، وحضر فى مروره درسا للشيخ عبد العظيم ، ولما اجتمع فى ختام زيارته الكلية بأعضاء هيئة التدريس قال : لقد حضرت اليوم درسا فى النحو للشيخ عبد العظيم فأفدت منه وسررت به ؛ لأنه درس نافع للطلاب ييسر لهم سبيل الفهم ، ويخط لهم نهج العلم فى سهولة ويسر ، ولو انتهج المشايخ من العلماء طريقة الشيخ لأجادوا وأفادوا وقاموا بدور عظيم .

وكان الشيخ موضع التقدير والاحترام ممن عمل معهم فى كلية اللغة العربية فى الجامعة الإسلامية فى (البيضاء) وفى كلية اللغة العربية فى الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة ، كان العمداء الذين عمل معهم فى الكليتين يثقون فيه ، ويطمئنون إليه ويستريحون إلى خالص نصحه فى كل ما يتصل بأمور العلم والإدارة .

وكان يحفظ مودة من عمل معهم من إخوانه يعينهم ، ويقيل عثرتهم ، ويحفظ مودتهم ويدافع عنهم ، ويشاركهم فى أحزانهم وأفراحهم فعاش مع زملائه أخا لهم يؤلف بينه وبينهم روابط وثيقة من المودة والتقدير والاحترام .

وعاد بعد سنوات فى المدينة المنورة - إلى مصر وعين أستاذا متفرغا فى كلية اللغة العربية ، وأذنت له الكلية بأن يلقى طلابه للدراسات العليا فى بيته يحاضرهم فيه فيجدون من علمه وكرمه وسماحته ما يزيدهم تعلقا به وحبا له .

وهكذا كانت حياة الشيخ العلمية حافلة بالخير والبركة والعطاء الكريم ، وكذلك كانت حياته فى أسرته حافلة بالخير والبركة والنسل الكريم ، أصهر فى شبابه - قبل أن يتخرج - إلى أسرة طيبة من جيرته فى المطرية تزوج من كريمة لهم فأنجب منها أبناءه محمد والسيد وعلى وفاطمة وسعاد وزينب وسميرة ثلاثة أولاد وأربع بنات تزوجوا جميعا وأنجبوا فى حياته .

وأبناؤه محمد والسيد وعلى تخرجوا من جامعة الأزهر : محمد من كلية اللغة العربية ويعمل فى إدارة الامتحانات بالأزهر الشريف ، والسيد وعلى تخرجا من كلية التجارة جامعة الأزهر ، ويعملان فى الجهاز المركزى للتنظيم

والإدارة من موظفيه الفنيين ، وأحفاد الشيخ تتراوح أعمارهم بين المهد والشباب .

وهكذا كان الشيخ رحمه الله أصلا لشجرة طيبة مثمرة من البنين والبنات الصالحين الذين بارك الله فيهم كما كان فرعا من شجرة طيبة مباركة تمتد جذورها إلى النسب الشريف من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وانتقلت زوجه أم أولاده إلى جوار ربها بعد أربع وعشرين سنة عاشتها معه ومن بعدها أصهر إلى أسرة (الريس) وهى أسرة كريمة من المطرية تزوج منها وعاشت معه زوجه هذه ستا وعشرين سنة ولم تنجب وقد سبقته إلى جوار ربها ببضعة أشهر .

وبعد ، فإذا كان العلم لا ينتزع من الصدور انتزاعا وإنما يقبض بقبض العلماء فقد طويت بموت الشيخ صفحة حافلة بعلم نافع غزير وسماحة بالغة وعطاء كريم .

رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وأنزله منازل الأبرار والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

والحمد لله أولا وآخراً ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

« سيدى يارسول الله » صلى الله عليك وسلم

نبئت أن رسـول الله أوعـدنى
والعفـو عند رسـول الله مأمـول

مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ
قـرآن فيها مـواعيظ وتفصيـل

إن الـرسول لنـور يستضاء بـه
مهنـد من سيـوف الله مسلـول

« قالـوا .. »

● الاطمئنان بغير الله خوف ، والخوف من الله اطمئنان من غيره .

● تقول : أنا صائم ، وأنت فى لحم أخيك سائم .

● يموت الجبان مرارا قبل موته ، وأما الشجاع فيموت مرة واحدة .

● المعروف حصن النعمة من صروف الزمن .

● إذا أردت أن لا ينسى إحسانك فكرره .

● لا يضرك فقد الياقوت إذا حصلت على القوت .

« من أجمل ماقيل فى وصف السخاء » :

تـراه إذا مـا جئتـه متـهـللا
كأنك تعطيـه الذى أنت سـائله

« حقـا »

المرأة الجميلة تعجب العين ، والمرأة الصالحة تعجب القلب فتلك جوهرة ، وهذه كنز .

« أسرار الجمال ثلاثة .. ثلاثة »

بياض فى ثلاثة : الجلد ، الأسنان ، اليدين .
سواد فى ثلاثة : الشفتين ، الخـدين ، الأظافر .
طول فى ثلاثة : القامة ، الشعر ، اليدين .

« حقيقـة »

قيل « لعارف » : خذ حظك من الدنيا فإنك فانٍ .
فقال : الآن وجب أن لا آخذ حظى منها .

« عشر كلمات »

يقول رباح بن عبيدة :

كتب عمر بن عبد العزيز إلى طاووس كتابا يسأله عن بعض ما هو فيه ؟ فأجابه طاووس بعشر كلمات ، لم يزد عليها حرفاً . قال : فما رأيت عمر أتاه كتاب كان أعجب إليه منه ، كتب إليه :

سلام عليك ، ياأمير المؤمنين : فإن الله - عز وجل - أنزل كتابا ، وأحل فيه حلالا ، وحرم فيه حراما ، وضرب فيه أمثالاً ، وجعل بعضه محكماً وبعضه متشابها : فأحل حلال الله ، وحرم حرام الله ، وتفكر فى أمثال الله ، واعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه ، والسلام عليك .

« قل ماشئت »

قال بعض الملوك لصاحب خيله : قدم لى الفرس الأبيض .

فقال له وزيره : أيها الملك لا تقل الفرس الأبيض ، فإنه عيب يخل بهيبة الملوك ، ولكن الفرس الأشهب .

فلما أحضر الطعام ، قال لصاحب السماط : قدم الصحن الأشهب .

فقال الوزير : قل ما شئت فما لى حيلة فى تقويلك .

« الأيدى ثلاث »

يد بيضاء ، ويد خضراء ، ويد سوداء .

فاليد البيضاء : هى الابتداء بالمعروف .

واليد الخضراء : هى المكافأة على المعروف .

واليد السوداء : هى المنُّ بالمعروف .

« الشعر لغة القلوب »

قيل إن شابا لقى امرأة بارعة الجمال على جسر « بغداد » .

فقال لها : رحم الله على بن الجهم .

فقالت هى : رحم الله أبا العلاء المعرى .

أراد الشاب بترحمه على ابن الجهم قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأرادت هى بترحمها على أبى العلاء قوله :

فيادرُّها بالخيف إن مزارها
قريب ولكن دون ذلك أهوال

« دعاء »

اللهم فارج الهمِّ ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين ، رحمان الدنيا والآخرة ، ورحيمها أنت ترحمنى فارحمنى برحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك » .

ذكرى المولد الشريف

موشحة

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

سيدى يارسول الله - صلى الله عليك وسلم - فى يوم مولدك الكريم . جاء صوت الشعر يشدو فى هذه الذكرى العاطرة . معبراً عن خلجات نفس مؤمنة هزها الشوق فترنمت . وبرح بها الحنين فَشَدَتْ وهل القريض إلا صدق فى التعبير منذ الأزل . به تالفت القلوب ومنه استمد العزم والحزم والإقدام . ومنه ايضاً جاءت الحكمة والحقيقة . وذلك فى قول لبيد : والذى وصف بانه أصدق ما قالته العرب .

الا كل شىء ماخلا الله باطل .
وكل نعيم لا محالة زائل .

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه ، عن النبى - صلى الله عليه وسلم - انه قال : « إن من الشعر حكمه » .

رواه البخارى وابو داود والترمذى .

قال الأستاذ :

يـاخجلتـا مـن بيـاض شيبـى
شـوه وجهى لـدى الـغـوانى ؛
فـلا دموعـى ، ولا نسيبـى
ولا ولـوعـى ، ولا هـوانـى

***

أفٍّ لـهذا المشيب يمحـو
اجمـل مـا خطـه الشبـابُ
يُـغْفِـى الفتـى غفـوة ويصحـو
إذا زمـان الصبـا سـراب
روضٌ زهـا نبتُـه ، وصبـح
يـعقبـه الجـدب والضبـابْ

***

يـالـك مـن طـارق غـريـب
عـن الـهـوى والصفـا لـوانـى
أحيـا بـه عيشـة الحـريـب
بـلا خيـال ، ولا أمـانـى

***

يالهف نفسى على شباب
من المنى والحياة أحلى
الظرف ، والقصف ، والتصابى
يوم تولى الشباب ولى
عوجوا على ربعه ركابى
احط من ذى الهموم ثقلا
اسبح فى افقه الرحيب
وأنشق الترب فى المغانى
واملأ الجو بالنحيب
اسى وحزنا على زمانى

***

من لى بأن أسترد عهدا
شربته فى الكؤوس خمرا ؟
مضى ، وأهدى إلى وجدا
حسبته فى الفؤاد جمرا
كان زمان الشباب سعدا
فعاد بعد المشيب ذكرى !

***

يانفس ، قد آن أن تؤوبى
عجلى ، إلى شاطىء الأمان
وفى حمى المصطفى الحبيب
تلقين ماشئت من ضمان

***

ميلاده الباهر المجيد
نال به الكون ما تمنى
بنوره أشرق الوجود
وهز أعطافه ، فغنى !
اقر عين العلا وليد
قر به الكون واطمأنا !

***

تهفو مجاليه بالقلوب
كما هفت بالنهى المثانى
تضم ذكراه فى وجيب
وفى جلال ، وفى حنان

***

ياقوم ، من شام مثل (طه)
قد أنبت العلم فى الصحارى ؟
امية عيش فى هداها
وشرعة أنقذت حيارى
لاقى بها خصمه وجاها
فحار فى أمره ومارى

***

من أين للكفر والصليب
بواهر الوحى والقرآن ؟
أولاك يروون عن غيوب
وذا يلقاه عن عيان

***

دعا ، فأحيا القلوب غلفا
وسار والسعد فى الركاب
واوسع العالمين عطفا
فى الحكم والسلم والغلاب
لم يملأ الخافقين خوفا
فتلك فى شرعة الذئاب

***

من كل خوانة مريب
يختص بالعطف كل جان
أو غادر فاجر لعوب
يكسب بالعرض كالزوانى !

***

من روائع الماضى

ذكـرى المولد الشـريف

قولوا لصهيون : ما لموسى
يروع الأنسات قتلا ؟!
والصليبى : ما لعيسى
يملأ هذا الوجود ختلا ؟!
تعسًا لأعلامكم ، ونكسا
أما نبياكما ، فجلا
لم يدعوا فى الورى لحوب
ولا لغدر ، ولا اختيان
ولا أغارا على الشعوب
بكل مسترزق جبان

***

سيعمر الكون من جديد
بدين خير الأنام طه
بالجند ، خفاقة البنود
تدك أعلام من رماها
البدء فى المشرق السعيد
ينبع ، والغرب منتهاها

***

ونحن فى أمسنا القريب
سرنا على هامة الزمان
فى الهدى ، فى السلم ، فى الحروب
فى الحكم ، فى العلم ، فى البيان

***

مجد مضى فى الزمان حرا
وعز فى ظله الأنام
عهد ، لياليه كن غرا
قد ساد من بعده الظلام
ياسيد المصلحين طرا
ـ عليك من ربك السلام ـ

***

اعطف على بائس أديب
مروع فى الحياة عان
قل لى ـ إذا خفت من ذنوبى ـ :
لا تبتئس ، أنت فى ضمانى !

المجلد الثانى والعشرون

اللغة والأدب والنقد

التشريع اللغوي في نموه وانتشاره وتنوعه

المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية

لحظات طيبات مع الإمام الفضيل بن عياض

التشريع اللغوى

فى نموه وانتشاره وتنوعه

للدكتور
توفيق محمد شاهين

اللغة تعتبر من الميزات الأساسية التى اختص بها الإنسان ، واتسم بها دون سائر الكائنات ، ولاهمية هذه الميزة وروعتها اثارت انتباه العلماء منذ القدم ، وبحثوها من زوايا علمية متعددة ، على صعيد علم الاجتماع ، والنفس ، والفلسفة ، فضلا عن اللغويين وغيرهم ..

وتعددت زوايا البحث والدراسة اللغوية ، لانها ترتبط بصورة وثيقة بالإنسان وبيئته . ولاهميتها فى كونها تتيح للإنسان إتمام عملية الاتصال والتعبير عما يدور بخلده ووجدانه واغراضه ، فكانت ايسر وسيلة ـ بالاتها وطبيعتها ـ للتعبير عن الآراء والأحاسيس ، ونقل التراث والخبرات ، بدرجة شاملة وكلية وطبيعية . ولعل هذا ماحدا بالمناطقة لتسمية الإنسان بانه : حيوان ناطق ، والنطق إبانة عما فى الفكر ، ومن ثم كان ارتقاء المجتمعات البشرية ورفاهيتها وتطورها وتانسها .

والمدلول اللغوى ـ كما هو مشاهد ـ متأخر عن الحدث الاجتماعى ؛ فالمولود يولد ـ مثلاً ـ وقد أخذ فى العموم لفظ ولد أو مولود ، لكنه يحتاج إلى تخصيص بعدئذ يميزه عما سواه .

ومن أهم خصائص الإنسان : القدرة على التعبير عن الأفكار الجديدة ، وتفهم التعابير الفكرية المتجددة فى إطار لغته ومحيطه .. ومقدرة الإنسان الإبداعية فى هذا الجانب لاتبارى ولاتحد فى ظل القوانين اللغوية التى تحيط به ويعايشها من نتاجه أو من صنع غيره .

ومظهر المقدرة الإبداعية عند الإنسان فى اللغة يتميز باستعماله الطبيعى للغة فى تجدد ، وإن كان ما ينطق عفويا فى تعابير متجددة وإن كانت عند التحليل صورة متكررة للمألوف والمعروف

والمتوارث . ومظهرها أيضا متحرر من كل قيد ، سوى المبادىء اللغوية التى تختص باللغة ، واللغة بذلك تعتبر أداة الفكر والتعبير الذاتى . وأخيراً نجد من مظاهرها التماسك الذى يبدو فى كل تحليل للكلمة والجملة والفكرة والموضوع ، حسب الكفاية التى يملكها المتكلم للغة بطبيعتها وإطارها .

وقد أشبع العلماء المقام كلاما وبحثاً فى القول بنشأة اللغة وأوليتها حين أثارت انتباههم فقدحوا زناد فكرهم فى طرق كل الاحتمالات والتأويلات الممكنة لحل هذا اللغز المحير والمثير .

وسقنا فى مقال سابق محاولات متواضعة ، لإلقاء أضواء كاشفة عن الأسرار الكامنة وراء القول بتلك الآراء والنظريات ، ووعدنا بإلقاء نظرة على التشريع اللغوى - إن صح هذا التعبير - وكيفية تكاثره أو نموه وانتشاره ، ليغطى الأحداث الاجتماعية بمدلولات لغوية مرتضاة تعرف وتؤلف ، أو قل : إنها قامت على الحاجة وسدّ الحاجة فى حياة الإنسان (البيولوجية) والاجتماعية عبر تعامله مع محيطه .

وموضوع التشريع اللغوى ، أو من يسن اللغة لأهلها يمثل نظرة الصيرورة عبر النشوء والارتقاء والانتشار ، كما أن موضوع النشأة والأولية . مثل موضوع البدء فى نقطة الانطلاق .. والموضوعان - إذن - لايتناقضان ، بل يتسايران غزارة فى المضمون والإشعاع ، وفى صلب تاريخية الحياة اللغوية .

وموضوع التشريع اللغوى بحثه وخاض فيه : الفقيه ، واللغوى ، والفيلسوف ، وأصحاب الملل والنحل . لأنه يمثل البحث فى أصل اللغة نشوءا ووجودا وارتقاء ، وانتشارا لظاهرة قائمة فى وجود آنى . ولايوجد مشكل فى هذا الصدد مع أو عند أصحاب الاتجاه التوقيفى والإلهامى . إنما هو بالقول بالمواضعة :

فهل توفر على وضعها حكيم متخصص ، له قدرة على الوضع والارتجال ، بما حُبى به من حصافة وذكاء ؟ أو هم جماعة متعاونة فى مؤسسة لها قاعدة وقمة وأعضاء يعملون فى حركة دائبة (ديناميكية) ؟ أم هم جماعة من ذوى الفطانة والسداد والخبرة ، حتى تكون أعمالهم حكيمة وصائبة وقائمة بالغرض ، ومتلائمة مع المحيط ؟ وهل للاختلافات الواضحة فى أعضاء الجهاز النطقى ، وما يتفاعل معه من محيط بيئى ومناخى أثر فى التباين الواضح ، وبالتالى فى التفرد بخصائص تتفق فى الأصل والهدف وتختلف فى المظهر والسمع والدلالة ؟....

فالعلامة ابن جنى يرسم صورة متخيلة لكيفية بناء اللغة ونشوئها بقوله : (كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا) للإبانة عن المعلومات بوضع أسماء لها تعرفها ، فيومئون - مثلا - إلى إنسان من بنى آدم ويقولون : إنسان ، ويزيدونه تخصيصا وتسمية لأعضائه ، فيقولون : رأس ، وعين ، وقدم ، ومتى سمع ذلك بعدئذ عرف معناها .

ويجعل مكان هذه الأسماء ما يجعلها متعارفة فى لغات أخرى على سمتها وأعضائها ، مثل : (مرو) ، بمعنى رجل ، (وسر) بمعنى رأس فى الفارسية مثلا[1] .

---

(١) الخصائص ١/ ٤٦

التشريع اللغوى فى نموه وانتشاره وتنوعه

فالمؤسسة اللغوية عند ابن جنى يقودها أكثر من حكيم عاقل ، ضمانا للجودة فى الإنتاج ، ويجعل حرية للحكماء فى اختيار الألفاظ لكل واضع ، لكن يعترض عليه بأنه : أين كانت اللغة قبل اجتماع الحكماء ؟ وكيف كان حال اللاغين ؟

والفارابى يرى أن الحاجة متمثلة فى التخصص ، بمعنى أن المتخصص فى وضع المدلولات إزاء دوالها هو الذى يبت فى التعيين عند « الوضع الذى يستدعى فى تحققه مؤثرا مخصصا »(٢) . مواز بين الوضع والتناسق بين بنود القوانين المنظمة للمجتمع الإنسانى .

والفارابى - إذن - كابن جنى يرى أن التشريع اللغوى يأتى من عل ، ومن رأس مدبر ، وهو الذى يحملهم عليها أيضا . إلا أن الوضع عند الفارابى لابد له من جماعة مدبرين ينوبون عن الجمهور كله(٣) .

و(إخوان الصفا) يذهبون مذهب الفارابى ، من اختصاص رئيس الجماعة بالتشريع اللغوى ، وعليه نشرها فى محيطه الصغير ، لتعرف بعدئذ فى العالم الكبير ، ويأنس بها الإنس - ولعل هذا يفسر جانبا من الأنظمة التى قامت عليها إخوان الصفا ، يقولون :

إن وضع السياسة اللغوية يكون (بحسب اجتهاد رئيسهم ، وما أعمل فيه فكرته ، وأنتجته قريحته ، وأوجبته رؤيته ، ... فيأخذ صور هذه فيلقى عليها أسماء من ذاته .. فإذا تم ذلك له ونطق به وأكمل الصناعة النطقية ، وقيدها بحروف الكتابة ، وضم الأشكال إلى اشكالها ، والخطوط إلى أمثالها ، ثم عرفها أقرب الناس إليه ، وأكرمهم لديه فيصطلح عليها هو وأهل بيته ، وعشيرته ، ثم أهل مدينته ، وبعد ذلك أهل بقعته ، ثم أهل إقليمه ، ثم تنتشر فى العالم ، وينشأ عليها الصغير ، ويأنس بها الكبير من تلك الأمة)(٤) .

فالحكيم الألمعى رئيس ، وطاعته واجبة ، وعليه إضفاء الكمال والجمال فى صنعته ، ومخالطوه نجباء وخلصاء لتحمل واجب الدعوة وبثها ، والبدء بالأقربين يتم إشاعة الفكرة فى المحيط الخاص والعام فى حلقات انتشارية متدرجة متكاملة ، بالغة اقصى مداها .

وهذا مارآه الفارابى للراس المدبر ، ليكون (هو واضع لسان تلك الأمة ، فلا يزال منذ أول ذلك يدبر أمرهم إلى أن توضع الألفاظ لكل ما يحتاجون إليه فى ضرورية أمرهم)(٥) .

ويجعل الفارابى هذا الحق لفصحاء الأمة وبلغائها ، وحفظة أشعارها ، ونقلة أخبارها ، وعليهم عبء تركيب الألفاظ للأمة واضحة سهلة مشهورة ، للأحداث الاجتماعية التى وقعت أم لم تقع ، مما دخلت تحت جنس أو نوع ، « فربما شعروا بأعراض فيصيرون لها أسماء » ، وكذلك الأشياء التى لم يكن يحتاج إليها ضرورة ، فلم توضع لها أسماء ، فهم مدعوون إلى تركيب أسماء لها .

(ويجعل وظيفة هؤلاء المشرعين غير محددة بزمن وثابتة ، لتستوجب المتابعة والتواصل ،

(٢) مفتاح العلوم ص ١٦٩
(٣) شرح العبارة ص ٢٧
(٤) رسائل إخوان الصفا جـ٣ ص ١٤٣
(٥) الحروف للفارابى ص ١٣٨

لأنهم مسئولون عن رعاية اللغة وتعهدها بالمواظبة على تعديلها وتجريحها ، فكأنما هم أعضاء فى مؤسسة أكاديمية لغوية على الوجه الأكمل)[٦] ويحمل القاعدة عبء الذيوع والانتشار ، لأنهم المتعاملون بها .

وإذا قامت الثورات الحديثة لتقول : لابد لنقل الحكم من قمة الهرم إلى قاعدته ، لأنهم نسيج الأمة ، والمنتج يجب أن يكون منهم ، وهم المنفذون بعدئذ .. فكذلك فى موضوعنا هذا نجد من المفكرين من قال بذلك ، أى نقل التشريع إلى القاعدة العريضة ، وهى الجماهير اللاغية ، والمستهلكة ، فلابد من إعطائها المشاركة فى صنع القرار ، وبذلك يصبح المجتمع من صميم المؤسسة اللغوية ، وصاحب الشأن فى إدارة دفتها ، كأداة يعتمل فيها عن طريق الفرد والجماعة ، وبذلك ينصهر المشرع والمشرع له فى بوتقة الاجتماع الإنسانى ، ويتم له بالتالى سرعة الانتشار والذيوع لما يقرر ويفرض ، لأنه هو مالك اللغة والمتعامل بها :

فابن حزم – رضى الله عنه – يقر الناس – كل الناس – على إحداث لغات شتى ، من خلال المجموعة الإنسانية ، التى تقوم بأمر التشريع للأمر اللغوى[٧] .

ويرى السكاكى إمكانية الوضع بالذات ، جاعلا للإنسان أمر تصرفه فى أداته اللغوية بالوضع حسبما يلم به من ضرورات فى التعبير[٨] .

وحتى ابن فارس ، وهو من القائلين بالتوقيف ، ويجنح إلى الاصطلاح يرى : أنه إذا ثبت أن اللغة مواضعة فلا يكون أحد فى الاحتجاج بما يضع من اللغة بأولى من أحد[٩] . لأنه ظن راجح ولم يعارض بما هو أرجح منه .

والقاضى عبد الجبار يقر لأى فرد أن يواضع غيره على (لغة مبتدأة) ويشبه عملية الكلام بعملية التنفس ، بمعنى أنها لا تتوقف على إذن من المشرع إطلاقا . أى أنها حق للقاعدة الشعبية ، ومنعا للفوضى والتكاثر بلا معنى ، وربطا للضوابط يرى أن يكون التشريع معتمدا على نوعية الروابط القائمة بين الأفراد والسلطة المشرعة لحياتهم ، دينية كانت أم وضعية . وهذا منه قيد له قيمته الأدبية ، حتى لا نلتفت إلى لغة الشطار ، والسراق ، والذين يفضلون العيش فى الظلام ، وحتى لا يكون هناك ألغاز وتعمية ، واللغة للإبانة والإفصاح عن الأغراض .

---

(٦) الحروف ص ١٤٣ نقلا عن آفاق عربية ص ٥٩
(٧) الأحكام ١/٣٠
(٨) مفتاح العلوم ص ١٦٨
(٩) الصاحبى ص ٦

المسلمون

فى الولايات المتحدة الأمريكية

الأستاذ
مجدى عبد الحميد بشير

ان يعيش المسلم فى بلده بين اهله واحبته يسمع آيات الله تتلى عليه بكرة واصيلا ، يمتع عينيه بمنظر ـ لا اظن منظرا اروع منه ـ وقد اخذت صفوف المصلين تتراص لأداء الصلوات المفروضة بعد ان شنف آذان المحبين لله ورسوله صوت المنادى ينادى ان (حى على الصلاة . حى على الفلاح) فيمس منا شغاف القلوب ، وتحلق معه الأرواح ، إلى آفاق لايدرى مداها ، إلا منشيها وباريها .

أقول : أن يعيش المسلم فى هذا الجو المشبع بعبق الإيمان الزكى ، وعطر اليقين الفواح ، فإن ذلك شىء تفرح له النفس ، ويطرب القلب ، وتصفو معه الحياة أى صفاء ، فوق انه آمن فى سربه مطمئن فى وطنه .

أما أن يعيش المسلم فى جو يخالف هذا الجو الطيب ، جو يعلو فيه الضجيج والصخب ، وتنتشر فيه المعصية ، انتشار النار فى الهشيم ، إلى درجة تجعل المؤمن الذى خالطت فطرته النقية بشاشة الإيمان تجعله يجأر إلى الله صارخا : النجاء النجاء ، بيئة راح أهلها ينهمكون فى العمل إلى أن تقول : لا يخلدون للراحة أبدا وانغمسوا فى الشهوات وغرقوا فى الملذات الحسية إلى أن تقول : لاينثنون عنها طرفة عين ولا أقل منها .

أقول : أن يعيش المسلم فى هذا الجو المتخم بالشهوات المثخن بالجراحات ، التى لابرء منها ولا شفاء ، فلعمرى أن ذلك جهاد من الجهاد ، وابتلاء وتمحيص لمعدن الإيمان فى المؤمن الذى

لاخيار له إلا أن يتمسك بدينه تمسك القابض على الجمر ، يعلم أن فى دينه حياته ، وإن انصهر داخله انصهارا ، وإما يستسلم لواقع دنيا تذهب لذتها وتبقى تبعتها .

ومن ثم فهو جهاد جدير بأن نميط اللثام عن أهله وأن يعيش القارىء طرفا من أخبار هؤلاء المجاهدين بلا سيوف إلا المضى على الإيمان الصامدين بلا ذخيرة إلا الاستمساك بهذا الدين ذوداً عن حياته ، وتحقيقا لأمره وخير مثل لأولئك الأفذاذ من شاءت لهم مقاديرهم أن يعيشوا فى الولايات المتحدة ، وهى غنية عن التعريف .

وعمدتنا فى ذلك تحقيق مطول مستفيض نشرته واحدة من كبريات الصحف الأمريكية ، وأوسعها انتشارا فى أمريكا وفى العالم ، وهى صحيفة WALL STREET GOURNAL الصادرة عن حى المال والأعمال (نيويورك) فهى تقول فى البداية :

إن الإسلام يعد من أسرع العقائد نموا فى هذه البلاد ، ومن ثم فعلى معتنقيه أن يقاوموا - وقد نفضوا عن كواهلهم غبار الخوف - كل محاولات القولبة (١) والتسطيح (٢) ، وإفراغ الدين من فحواه ، والبعد به عن مغزاه الذى وسع العوالم صغيرها وكبيرها .

ويصف لنا الكاتب رحلة قام بها مجموعة من المنصرين استقلوا حافلة متجهين إلى المركز الإسلامى بجنوب (كاليفورنيا) فى (لوس انجلوس).

ويقوم (حسان حتحوت) أحد كبار الأعضاء بالمسجد باصطحاب الزائرين .

وبعد أن أتموا جولتهم بالمسجد يأخذهم (السيد حتحوت) فى رحلة روحانية فى رياض العقيدة وبساتينها .

ومن أولى الثمار التى اجتنت يداه لضيوفه تلك النقاط العامة التى شاطر المسلمون غيرهم الاتفاق عليها .

فالجميع لاينكر - وكيف ينكر ؟!! احترام السيدة مريم العذراء(٣) وتبجيلها وتوقيرها ، مستمدا المثل فى ولادة عيسى بن مريم من غير أب من قدرة الله الذى خلق آدم من غير أب ولا أم ، وأن الناس جميعا من نسل آدم وحواء ، لايفوته - السيد حتحوت - فى ذلك قول الله تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ الآية رقم (٥٩) سورة آل عمران ثم تطرح إحدى الحاضرات سؤالا يقول :

ماكل هذا الحديث عن الجهاد والحرب المقدسة القادم إلينا من الشرق الأوسط ؟.

وسرعان ماينبرى السيد حتحوت مرة أخرى لتوضيح تلك النقطة شارحا كيف أن بعض المفاهيم الإسلامية كالجهاد والذى هدفه مقاومة الشر ومكافحته ومجابهته بكل الوسائل ، كيف تم للبعض لى عنقه بطريقة مروعة فظيعة لأغراض شخصية محضة .

ومايحس به السيد حتحوت من إحباط هو نفس ما يحس به إخوانه العاملون فى حقل الدعوة الإسلامية إذ يرون : أن الدين الإسلامى - وإن كان من أسرع الأديان انتشارا فى أمريكا - إلا ◄

---

(١) يريد وضع الدين فى قوالب فكرية جاهزة غير قابلة للمناقشة .

(٢) أن يكون الشىء بلا عمق ولامغزى .. هذه وجهة نظر الكاتب .

(٣) ... إلا اليهود - عليهم لعنة الله - تعالى ؛ فإنهم رموها - وهى البتول - بالفاحشة - قال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ نسأل المولى - جل وعلا : أن تلحقهم لعنة تبيد ولا تذر .

المسلمون فى

الولايات المتحدة الأمريكية

أنه من أكثر الأديان التى أسىء فهم مقاصدها النبيلة وغاياتها السامية ، ومثلها العلى .

وتقدر أشد الاحصائيات تحفظا عدد الجالية الإسلامية فى أمريكا بـ (أربعة ملايين) نسمة ، وهو مايعنى أن عددهم ضعف عدد المسيحيين الاسقفيين . كما أنه يوجد فى أمريكا من المسلمين أكثر مما يوجد فى بلد عربى كليبيا .

ويمكن للمسلمين أن يتجاوز عددهم بنهاية هذا العقد عدد اليهود البالغ ستة ملايين ، وذلك بفضل الفيض الدافق الثابت من المهاجرين إلى أمريكا ، وبفضل روافد أخرى ، وإن لم تكن بذات الحجم من المعتنقين للإسلام الناشئين هناك أصلا بما فيهم الكثير من الأمريكيين السود .

وترتفع شامخة سامقة أماكن عبادة المسلمين متمثلة فى أكثر من ستمائة مسجد انتشرت فى ربوع تلك البلاد وتشيع الإيمان واليقين .

وأحد أكبر هذه المساجد وأقربها حداثة هو المسجد المقام على الجانب الشرقى من مدينة نيويورك ، حيث أنشأت مجموعة صغيرة من المسلمين مجمعا كليا فى صبغته الإسلامية خارج (هاتز برج) بولاية (ميزورى) .

أما المركز الإسلامى بـ (لوس أنجلوس) وهو مبنى من الخراسانة والقرميد بارتفاع طابقين فإنه يشبه من حيث الأناقة والنظام أحد مبانى البنوك ، ويضم بين جنباته واحدا من أكبر التجمعات الإسلامية بأمريكا ، كما أنه يتميز بصفة لاتتوافر فى كثير من المساجد هناك ، وهى أنه يعد أقوى هذه المساجد فى جرأته فى التعبير عن رأيه وفيما يرى أنه حق .

وأوضح مثل على ذلك أنه عندما قامت العراق باجتياح الكويت سارع هذا المركز بإصدار بيان يدين الاجتياح ، ويحث الولايات المتحدة على أن لا تتدخل عسكريا . بيد أنه ـ كما يوضح التحقيق ـ أن قليلا من المساجد عايشت روح المصاب مما ملأها ثقة فى التعامل مع مجريات الأمور ، بشكل مغاير لهذا النهج الواضح .

ففى (أطلنطى) جنح الزعماء بمسجد الفاروق إلى عدم اتخاذ أو إعلان أى موقف علنى معروف بصدد الأزمة ، وذلك للحفاظ على مايسود من ود ووئام وسلام جماعاته المتنوعة . فقد حدث ثلاث مرات أن جاءت طواقم التلفاز للتصوير فى وقت الصلاة بغية الحصول على تعليقات ، وكانوا فى كل مرة يرفض طلبهم فيها بأدب ولطف بالغين ، وذلك بإرشادهم إلى باب الخروج من المسجد .

ثم يثير التحقيق قضية نراها من أخطر القضايا عندما يقول :

إن المركز الإسلامى بـ (لوس أنجلوس) كان ، ولبضعة أشهر ، قاعدة انطلاق لعمليات ومجهودات شملت كل أنحاء الولاية ، يقوم بها المسلمون لإجبار المدارس بـ (كاليفورنيا) على مراجعة وتنقيح كتب الدراسات الاجتماعية بها وتنقيتها ، مما يعتبرونه إساءات مهينة للإسلام ، من محاولات طمس للهوية وتشويه للصورة .

وتتوقع الصحيفة لذلك الكفاح ـ إن قدر لهم النجاح ـ أن يكون فتيل الإشعال لأنشطة عارمة يقوم بها المسلمون فى سائر أنحاء الولايات المتحدة .

ويرجع الفضل فى تغيير مابهذه الكتب من صور مشينة عن الإسلام إلى (جابر منصورى) وهو مهندس كيمائى بضاحية (جلينديل) وعضو مجلس أمناء بالمركز الإسلامى .

فمن يوم أن أطلعته ابنته على كتاب يصور الإسلام على أنه دين البدو شاهرى السيوف وهو يقول : إنه قد التمس العون والتأييد من

المدرسين وخبراء الدين الإسلامى من غير المسلمين مناشداً السلطات المدرسية ومهيبا بها أن تغير ما بهذه الكتب من افتراءات ، كما قام إخوة له من المسلمين بعبور حدود الولاية للإدلاء بشهادات فى جلسات استماع علنية بالكونجرس بخصوص هذا الموضوع .

وهو يؤكد التأكيد على بعض النقاط الهامة فى الأوساط الأمريكية ومن أهمها كما يوضح الكاتب أن الإسلام الذى نادى به محمد ﷺ فى القرن السابع الميلادى ، هو دين عالمى ، واسع الانتشار ، يبلغ أتباعه (بليونا) من البشر ، ليس فى الشرق الأوسط منهم إلا عشرين فى المائة فقط ، أى الخمس .

ومعروف أن أندونيسيا تعد أكبر الدول الإسلامية من حيث عدد السكان ، وأن معتنقى الإسلام هم أحفاد النبى إبراهيم[1] ، ومن ثم فإن لهم علاقة باليهود والنصارى وأنهم أمة مسالمة ذات أخلاق ومثل وقيم ، وذات تاريخ ثر من الفنون والعلوم .

ويقول السيد منصورى : إن مايدعونا لمكافحة هذا الفكر الخاطىء تلك النعرة الكاذبة التى بثت بذورها بخبث ، وحيكت خيوطها بالتواء لايبغى إلا الإساءة للإسلام والكيد له والنيل منه ، ثم يتجه إلى حقيبة سيارته ويخرج منها أحد كتب الدراسات الاجتماعية المقررة على طلاب المدارس الثانوية والاعدادية ، ويركز هذا النص من الكتاب على العصور الوسطى فى جميع انحاء العالم ، حيث يحوى كل قسم منه شكلا توضيحيا يشرح كل قارة على حدة . فأوربا تمثلها صورة لامرأة سوق فرنسية ، أما أفريقية فيمثلها ملك ، كما يمثل اليابان أحد النبلاء المعروفين بالساموراى .

أما الإسلام فكان رسمه التوضيحى جملا لايركبه أحد ، ويقول السيد منصورى : إنها الصورة الوحيدة التى خلت من الناس ، وهى صورة توحى بالتخلف وعدم التحضر .

ومن ثم ؛ فإننى أقول كاب يؤلمه هذا الأمر : إن الجهل بالإسلام يبدأ فى مرحلة سنية باكرة جداً .

وما يخشاه السيد منصورى وغيره من المسلمين أن هذا الجهل يؤدى أحيانا إلى العنف ضد المسلمين . خصوصا عندما تقفز أخبار الشرق الأوسط إلى عناوين الصفحات الأولى للصحف .

يتبع

---

(١) ليس من معلومات مصادرنا أن المسلمين جميعا من أحفاد إبراهيم عليه السلام إلا أن يكون ذلك تعبيرا مجازيا مقصودا به أن المسلمين جميعاً على ملة أبيهم إبراهيم وهى التوحيد الخالص .

لحظات طيبات مع الإمام

الفضيل بن عياض

إعداد: عادل خفاجة

كان بشر بن الحارث يقول :
« عشرة ممن كانوا ياكلون الحلال ، لا يُدْخلون بطونهم إلا حلالاً ولو استفوا التراب والرماد .
قيل : من هم ؟
قال : سفيان ، وإبراهيم بن ادهم ، والفضيل بن عياض .... » .

والفضيل بن عياض هو : ابن مسعود بن بشر التميمى اليربوعى الخراسانى شيخ الإسلام أبو على (المجاور بحرم الله) .
ولد « بسمرقند » ونشا « بأبيورد » .

سبب توبته :

كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين « أبيورد » و« سرخس » ، وكان سبب توبته انه عشق جارية ، فبينا هو يرتقى الجدران إليها ، إذ سمع تالياً يتلو : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ . . . ﴾ « الحديد : ١٦ » ، فلما سمعها ، قال : بلى يارب ، قد آن ، فرجع ، فآواه الليل إلى خربة ، فإذا فيها سابلة ، فقال بعضهم : نرحل ، وقال بعضهم : حتى [نصبح] فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا .
قال : ففكرت ، وقلت : أنا أسعى بالليل فى المعاصى ، وقوم من المسلمين ها هنا ، يخافونى ، ومااُرى الله ساقنى إليهم إلا لأرتدع ، « اللهم إنى قد تبت إليك ، وجعلت توبتى مجاورة البيت الحرام » .

شدة خوفه وحزنه :

كان الفضيل دائم الخوف شديد الحزن ؛ وكيف يفرح من شغله بكاؤه على خطيئته .
وها هو يقول : « الخوف أفضل من الرجاء مادام الرجل صحيحاً ، فإذا نزل به الموت ، فالرجاء أفضل » .
نعم ، إنه الخوف الذى يدفع الرجل إلى العمل ، فإذا مانزل الموت فحقيق بباب الرجاء أن ينفتح .
وبهذا القلب الخائف رأى الفضيل رجلاً يضحك ، فقال له : ألا أحدثك حديثاً حسناً ؟
قال : بلى !

قال له : (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) .

ولقد ملأ الحزن حياة الفضيل ، مما دعا عبدالله بن المبارك أن يقول : إذا مات الفضيل ارتفع الحزن .

وكان الفضيل يقول : « كل حزن يبلى إلا حزن التائب » .

وهذا أبو على الرازى يقول : صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة مارأيته ضاحكاً ولا مبتسماً إلا يوم مات ابنه على ، فقلت له فى ذلك فقال : « إن الله ـ عز وجل ـ أحب امراً فأحببت ما أحب الله » .

من أقواله لابنه :

رأى الفضيل بن عياض من ابنه نشاطاً وجداً ومثابرة فى طلب الطاعة ، ولعله خاف أن يغتر بكثرة عبادته فنصحه قائلاً له : « لعلك ترى انك فى شىء ؟ الجعل[1] أطوع لله منك »

بغضه أصحاب البدع :

كان الفضيل يبغض أصحاب البدع ويحذر من مشاورتهم ،فيقول : « من أعان صاحب بدعة فقد اعان على هدم الإسلام » .

وكان يقول : إنى أحب من أحبهم الله ، وأبغض من ابغضهم الله ، وهم أصحاب الاهواء والبدع .

الأرباح عند ابن عياض :

الأموال والأرباح عن ابن عياض ما يجده المؤمن بعدما يرحل عن هذه الدنيا الفانية ؛ لذلك يقول : لن يتقرب العباد إلى الله بشىء افضل من الفرائض ، الفرائض رءوس الأموال ، والنوافل الأرباح » .

وعن قيام الليل :

يقول : « من أخلاق الأنبياء الحلم ، والأناة ، وقيام الليل » .

« إذا لم تقدر على قيام الليل ، وصيام النهار ، فاعلم انك محروم كبلتك خطيئتك » .

سجن اللســان :

كان الفضيل يقول : « لا حج ولا جهاد ولا رباط أشد من حبس اللسان ، لو أصبحت يهمك لسانك أصبحت فى غم شديد ، وسجن اللسان سجن المؤمن ، وليس أحد أشد غما ممن سجن لسانه » .

ويقول : « تكلمت فيما لا يعنيك فشغلك عما يعنيك ، ولو شغلك ما يعنيك تركت مالا يعنيك » ..

وعندما رأى قوماً من أصحاب الحديث يمرحون ويضحكون ، ناداهم : مهلاً ياورثة الأنبياء ، (مهلاً ، مهلاً ، مهلاً) إنكم ائمة يقتدى بكم .

وكان يقول : بلغنى أن العلماء فيما مضى كانوا إذا تعلموا عملوا ، وإذا عملوا شغلوا ، وإذا شغلوا فُقدوا ، وإذا فُقدوا طُلبوا ، فإذا طلبوا هربوا .

ومن أقواله أيضا :

المؤمن قليل الكلام كثير العمل ، والمنافق كثير الكلام قليل العمل .

(١) الجُعَلُ : دابة سوداء من دواب الارض .
قيل : هو ابو جعران ، بفتح الجيم ، وجمعه جعلان.

لحظات طيبات مع

الإمام الفضيل بن عياض

* « بقدر ما يصغر الذنب عندك ، يعظم عند الله ، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله » .
* « والله ما يحل لك أن تؤذى كلباً ولا خنزيراً بغير حق فكيف تؤذى مسلماً » .
* « لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه » .
* « ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله عنهما » .
* « عاملوا الله ـ عز وجل ـ بالصدق فى السر ، فإن الرفيع من رفعه الله ، وإذا أحب الله عبدا أسكن محبته فى قلوب العباد » .
* وسأله رجل قائلاً : ياأبا على متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى ؟

فقال له الفضيل : إذا كان عطاؤه ومنعه إياك عندك سواء ، فقد بلغت الغاية من حبه .

* وسأله عبدالله بن مالك فقال : ياأباعلى ما الخلاص مما نحن فيه ؟ فقال له : أخبرنى من أطاع الله ـ عز وجل ـ هل تضره معصية أحد ؟ قال : لا ! قال : فمن عصى الله سبحانه وتعالى هل تنفعه طاعة أحد ؟ قال : لا ! قال:فهو الخلاص إن أردت الخلاص .

لقاؤه مع الأئمة :

سفيان الثورى :

قال أحمد بن عاصم : التقى سفيان الثورى وفضيل بن عياض فتذاكرا فبكيا ، فقال سفيان : إنى لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة .

فقال الفضيل : نرجو لكنى أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤماً ، أليس نظرت إلى أحسن ماعندك فتزينت لى به ، وتزينت لك به ، فعبدتنى وعبدتك ؟ قال : فبكى سفيان حتى علا نحيبه ثم قال: أحييتنى أحياك الله .

سفيان بن عيينة :

قال أبو جعفر الحذاء : سمعت فضيل بن عياض يقول : أخذت بيد سفيان بن عيينة فى هذا الوادى فقلت له : إن كنت تظن أنه بقى على وجه الأرض شر منى ومنك فبئس ماتظن .

موقفه من السلطان :

قال عبدالصمد بن يزيد : سمعت الفضيل يقول : « لو أن لى دعوةً مستجابة ، ماجعلتها إلا فى إمام ، فصلاح الإمام صلاح البلاد والعباد .

ترفقه فى نصح السلطان :

يقال : لما دخل الفضيل بن عياض على هارون الرشيد ـ أمير المؤمنين ـ قال : أيكم هو؟ فأشاروا إلى أمير المؤمنين .

فقال : أنت هو يا حسن الوجه ؟ لقد وليت أمراً عظيماً إنى ما رايت احداً هو احسن وجهاً منك ، فإن قدرت الا تسود هذا الوجه بلفحة من النار فافعل ، فقال له أمير المؤمنين : عظنى .

فرد الفضيل قائلاً : بماذا أعظك ، هذا كتاب الله تعالى بين الدفتين ، انظر ماذا عمل بمن أطاعه ، وماذا عمل بمن عصاه ، فإنى رأيت الناس يغوصون على النار غوصاً شديداً ، ويطلبونها طلباً حثيثاً ، أما والله لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسر لنالوها ، فرد أمير المؤمنين قائلاً له : عد إلىّ .

فقال الفضيل : لو لم تبعث إلىَّ لم آتك ، وإن انتفعت بما سمعت منى عدت إليك .

لم يكن الفضيل ممن يحبون مخالطة السلطان ، ويتضح ذلك من قوله لأمير المؤمنين : « لو لم تبعث إلىَّ لم آتك » .

وها هو يقول : « ما على الرجل إذا كان فيه ثلاث خصال ، إذا لم يكن صاحب هوى ، ولا يشتم السلف ، ولا يخالط السلطان » .

ثم يقول : مالكم وللملوك ؟ ماأعظم مِنَّتهم عليكم ، قد تركوا لكم طريق الآخرة ، فاركبوا طريق الآخرة ، ولكن لا ترضون ، ثم تزاحمونهم على الدنيا ، ما ينبغى لعالم أن يرضى هذا لنفسه .

من روى الفضيل عنهم :

اسند الفضيل عن أعلام التابعين وعلمائهم ، منهم : سليمان الأعمش ، ومنصور بن المعتمر ، وعبدالله بن أبى أوفى ـ رضى الله تعالى عنهم ـ ومنهم عطاء بن السائب ، وحصين بن عبدالرحمن ، ومسلم الأعور ، وأبان بن أبى عياش وكلهم أدركوا أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى ـ عنه .

وروى عنه :

سفيان الثورى ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان وعبدالرحمن بن مهدى ، وحسين بن على الجعفى ، ومؤمل بن إسماعيل ، وعبدالله بن وهب المصرى ، وأسد بن موسى ، وثابت بن محمد العابد ، ومسدد ويحيى بن يحيى النيسابورى ، وقتيبة بن سعيد وأشكالهم ونظراؤهم .

ومن الأحاديث التى رواها الفضيل :

* عن الأعمش مرفوعاً إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود » (١) .

* عن منصور بن المعتمر مرفوعاً إلى السيدة عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت : ما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تنتهك محارم الله ، فإذا انتهك من محارم الله شىء كان أشدهم فى ذلك غضباً ، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثماً » (٢) .

ضرورة العمل بالحديث :

كان ـ رحمه الله ـ شديد الهيبة للحديث إذا حدَّث ، وكان يثقل عليه الحديث جداً ، وكان إذا طُلب منه الحديث يقول : لو طلبت منى الدنانير كان أيسر علىَّ .

فقال له رجل : لو حدثتنى بأحاديث فوائد ليست عندى ، كان أحب إلىَّ من أن تهب لى عددها دنانير . فقال : إنك مفتون ، أما والله لو عملت بما سمعت ، لكان لك فى ذلك شغل عما لم تسمع .

سمعت سليمان بن مهران يقول : إذا كان بين يديك طعام تأكله ، فتأخذ اللقمة ، فترمى بها خلف ظهرك متى تشبع ؟

نماذج من تفسيره :

* قيل له يوماً : ياأباعلى ما بال الميت يُنزع نفسه وهو ساكت ، وابن آدم يضطرب من القرصة ؟

(١) الحلية : جـ ٨ ص ١١٦ .

(٢) الحلية : جـ ٨ ص ١٢٧ .

الإمام الفضيل بن عياض

قال : لأن الملائكة توفته ، ثم قرأ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ .

* وعن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ .

قال : لا تغفلوا عن أنفسكم فإن من غفل عن نفسه فقد قتلها .

* وعن قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ .

قال : أوفوا بما أمرتكم أوف بما وعدتكم .

* وكان حين يقرأ سورة (محمد) يردد هذه الآية : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ .

ويظل يرددها وهو يبكى ويقول : وتبلو أخبارنا ؟ إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا وأهلكتنا .

فتح باب الرجاء :

قضى ابن عياض عمره بعد توبته مجاوراً البيت الحرام مع الجهد الشديد والورع الدائم ، والخوف الوافر ، والبكاء الكثير ، ورفض الناس وما عليه أسباب الدنيا .

قال بعضهم : كنا جلوساً عند الفضيل بن عياض ، فقلنا : كم سنُك ؟

فقال :

بلغت الثمانين أو جزتها
فماذا أؤمل أو أنتظر
علتنى السنون فأبليننى
فَدَقَّ العظام وكَلَّ البصر

هكذا بعد أن ضعف الرجل ووهن عظمه وكلَّ بصره ، أسرع إلى فتح باب الرجاء .

وقد سمعه إبراهيم بن الأشعث يقول فى مرضه الذى مات فيه : « ارحمنى بحبى إياك ، فليس شىء أحب إلى منك » .

ويقول : « مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » .

« ارحمنى فإنك بى عالم ولا تعذبنى فإنك على قادر » .

وهكذا قضى حياته بين الخوف والرجاء .

ولقد قال عنه ابن المبارك : « إن الفضيل بن عياض صدق الله ، فأجرى الحكمة على لسانه ، فالفضيل ممن نفعه علمه » .

وفاتــه :

كانت وفاته ـ رحمه الله ـ بمكة فى أول سنة مائة وسبع وثمانين [1] .

(١) تهذيب التهذيب : جـ ٨ ص ٢٩٥ .

أنباء وآراء

اعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

أنباء مكتب فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

الإمام الأكبر يفتتح اجتماعات الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اجتماعات الدورة الثالثة « للهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة » التى عقدت بالقاهرة يومى ٢٢ ، ٢٣ من أغسطس الماضى .

وقد أكد فضيلته فى الكلمة التى ألقاها فى الجلسة الافتتاحية على أن اجتماعات الدورة الثالثة امتداد لدور المجلس الإيجابى والبناء لنشر الدعوة والتصدى للهجمات الشرسة الموجهة إلى الشعوب الإسلامية ، مشيراً إلى ضرورة العمل وتكثيف الجهود لإيجاد خط إسلامى واضح لمواجهة الأفكار المضللة فضلا عن تقديم المساعدات اللازمة للمسلمين فى جميع أنحاء العالم .

من أهم ما صدر عن الاجتماعات من قرارات تفويض فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وهيئة رياسة المجلس فى التوسط لدى السلطات العراقية لإطلاق سراح الأسرى الكويتيين وفتح المجال أمام لجنة الإغاثة لتقديم المعونات اللازمة للشعب العراقى لتخفيف حدة الحصار المفروض عليه .

وكذلك دعم مركز تدريب الدعاة بالأزهر والاستفادة منه فى تدريب الدعاة التابعين للمنظمات الأعضاء بالمجلس والتنسيق والتعاون بين الدارسين والوعاظ فى مختلف البلاد الإسلامية والعمل على حماية المسلمين من الأخطار المحدقة بهم .

وقد بعث المجلس فى نهاية اجتماعاته ببرقية شكر إلى الرئيس محمد حسنى مبارك لاستضافة اجتماع المجلس وشموله برعايته كما بعث ببرقية أخرى لخادم الحرمين الشريفين لاستضافته لمؤتمر الأقليات الإسلامية الذى سيعقد فى أكتوبر القادم .

الإمام الأكبر يستقبل « وزير الإعلام الكويتى »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر ـ بمكتب فضيلته الدكتور بدر جاسم اليعقوب وزير الإعلام الكويتى والوفد المرافق .. لسيادته .

أنبـــــاء وآراء

شهد اللقاء السيد عبد الرازق الكندرى ـ سفير الكويت بالقاهرة ـ حيث أعرب الوزير الكويتى عن تقديره وشكره لدور الأزهر الشريف وموقفه من الغزو العراقى للكويت مؤكدا على أن مصر الأزهر هى قلب الأمة العربية والإسلامية النابض بالحرية والدفاع عن الحق .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن مصر الأزهر بقيادة الرئيس « مبارك » تقف دائما مع الحق والعدل والشرعية ضد القهر والاعتداء على حقوق الإنسان .

الإمام الأكبر يعتمد حركة الابتعاث لعلماء الأزهر الشريف إلى دول العالم

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر ـ حركة الابتعاث لعلماء الأزهر الشريف فى التخصصات المختلفة إلى دول العالم للعام الدراسى ٩٢/٩١ .

وقد بلغ عدد المبعوثين (٧٢٠) مبعوثا إلى كل من السعودية ـ وسلطنة عمان ـ موزمبيق ـ چيبوتى ـ زمبابوى ـ ساحل العاج ـ اليمن ـ السودان ـ السنغال ـ جامبيا ـ الكاميرون ـ سيراليون ـ نيجيريا ـ بنين الشعبية ـ تشاد ـ باكستان ـ بنجلاديش ـ أندونيسيا ـ مالى ـ رواندا ـ غينيا كونكرى ـ غينيا بيساو ـ بوركينا فاسو ـ جواتيمالا ـ زائير ـ النيجر ـ الفلبين ـ تنزانيا ـ سنغافورة ـ غانا ـ أوغندا ـ مالاوى ـ سيرلانكا ـ المالديف ـ البانيا ـ أستراليا .

أنباء العالم الإسلامى

انتخاب شيخ المشيخة الإسلامية بيوغوسلافيا

تم الاحتفال رسمياً فى مدينة « سراييفو » اليوغوسلافية بانتخاب الشيخ / يعقوب أفندى لرياسة المشيخة الإسلامية فى « سراييفو » وينتمى الشيخ يعقوب إلى جمهوريةَ « مقدونيا » اليوغوسلافية ، وقد جرى الانتخاب فى سرية تامة وشارك فيها كبار علماء المسلمين اليوغوسلاف .

الجدير بالذكر : أن « الشيخ يعقوب أفندى سليموسكى » من خريجى « كلية الشريعة والقانون » جامعة الأزهر الشريف . وأن عدد المسلمين فى يوغوسلافيا ٥ ملايين مسلم .

● كان فشل الانقلاب الروسى وعودة « جورباتشوف » ضربة قاصمة لجمهورية « الصرب » اليوغوسلافية ، فقد كانت هذه الجمهورية مؤمنة بمبدأ الانقلابيين والعودة بشعوب الاتحاد السوفيتى إلى « الستار الحديدى » مرة أخرى . وهى نفس النزعة التى يعمل الصرب على فرضها بين جمهوريات يوغوسلافيا .

فى العدد الماضى من مجلة الأزهر قدمت المجلة بحثاً عن أحوال يوغوسلافيا ، وانعكاس أمورها على المسلمين .

البرلمان السوفيتى يوافق على حرية الدين للمواطنين السوفييت

وافق البرلمان السوفيتى على قانون يضمن حرية العبادة وينهى عقوداً سيطرت فيها الدولة على العقيدة واضطهاد المتدينين لاسيما المسلمين .

ويسمح القانون الجديد بحرية العقيدة والفصل بين الدين والدولة ، وينص القانون الجديد على أن جميع المعتقدات متساوية ولا يضع الإلحاد بوجه خاص على قدم المساواة مع الدين ، مثلما كان ينص على ذلك دستور ثورة الشيوعيين عام ١٩١٧ م .

معاناة المدارس الإسلامية فى بريطانيا

لندن : (ذكرت صحيفة الديلى تلغراف اللندنية والتى صدرت هذا الأسبوع نقلاً عن أقوال الصحف البريطانية فى الإذاعة اللندنية)

أن المدارس غير الإسلامية تحصل على معونات مادية كبيرة من الحكومة الانجليزية ومن بينها « ٢٣٠٠ » مدرسة كاثوليكية و« ٢٠٤٠ » مدرسة تابعة للكنيسة الإنجيلية و« ٣٢ » مدرسة يهودية بينما لا تزال المدارس الإسلامية هناك محرومة من أبسط المعونات الرسمية مما يلقى على كاهل أولياء أمور الطلبة المسلمين عبء ارتفاع أجور التعليم .

وكذلك يلقى عبئا على أغنياء المسلمين فى العالم .

إنشاء مقر دائم للجامعة الإسلامية بكوالالمبور

تقوم الحكومة الماليزية حالياً بإنشاء مقر دائم للجامعة الإسلامية العالمية بـ « كوالالمبور » التى ستضم ثمانى كليات منها كليات الآداب والزراعة والعلوم الصناعية والهندسة .

من المقرر أن تضم قريبا كلية للطب ومركزاً لـ « تكنولوجيا المعلومات والبحوث والتنمية » .

صحيفة إسلامية جديدة فى «طشقند» بالاتحاد السوفييتى

صدر العدد الأول من صحيفة « نور الإسلام » عن الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى فى مدينة « طشقند » باللغة الأوزبكية والعربية والروسية وقد تم طبع أربعين ألف نسخة من هذا العدد صرح بذلك الشيخ / محمد صادق رئيس الإدارة الدينية ومفتى آسيا الوسطى لوكالة الأنباء الإسلامية ، وذكرتها مجلة (منار الإسلام) التى تصدر فى دولة الإمارات العربية فى عددها الماضى .

أول حاكم إسلامى لجزيرة « ماندناو »

يعتبر السيد زكريا منداو أول حاكم مسلم لجزيرة « ماندناو » بعد حصولها على الحكم الذاتى فى أكتوبر ١٩٩٠ م ونقلت إلى الجزيرة الإدارات المختصة فى الحكومة المركـزية ، واستتبع ذلك نقل موظفى وزارات الحكم المحلى والبيئة والموارد الطبيعية والشئون الاجتماعية والتنمية والتعليم والتكنولـوجيا والسيـاحة والأشغال العامة والطرق إلى حكومة الأقاليم .

والجدير بالذكر : تقع جزيرة ماندناو جنوب الفلبين ، وقد حصلت على الحكم الذاتى الذى طالبت به منذ استقلال الفلبين .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
في ذكرى ميلاد الرسول - ﷺ -	
للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	٢٥٧
اثر العقيدة في تحقيق النصر	
للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	٢٦٢
الرسول - ﷺ - واليتم والبيئة	
د . على أحمد الخطيب	٢٦٣
قبس من انوار النبوة « المرء مع من احب »	
للشيخ على حامد عبد الرحيم	٢٦٨
دراسة النص القرانى على الطريقة اليسارية	
د . محمد فايد هيكل	٢٧١
التغيير والاجتهاد	
للشيخ محمد حسام الدين	٢٧٦
الاستقرار في الجماعة « حتمية تطبيق الشريعة الإسلامية »	
د . محمد شامة	٢٨١
نساء في الهجرة	
الأستاذ حلمى الخولى	٢٨٨
من بشاير المولد « تصدع الإيوان ورؤيا الموبذان »	
أ . عبد الحفيظ فرغلى القرنى	٢٩٣
نحو إعلام إسلامى	
أ . حسن على العنيبيسى	٢٩٨
الفتـــاوى	
أ . أحمد السيد تقى الدين	٣٠٣
الشعر والشعراء « قبسات من النور المحمدى »	
إعداد رشاد محمد يوسف	٣٠٥
العلوم الكونية	
علم الفلاحة	
أ . د . أحمد فؤاد باشا	٣١٤
الأمة الإسلامية وعصر الفضاء	
د . ميرفت السيد عوض	٣١٩
الجديد في العلم والتقنية	
د . نجوى السيد أحمد	٣٢٣
من اعلام الأزهر	
داعية « كوسوفو » الإسلامى الشيخ حسن اسلام يحيى	
للأستاذ توفيق اسلام يحيى	٣٢٦
« الأستاذ الدكتور الشيخ عبد العظيم على الشناوى »	
أ . د . عبد اللطيف خليف	٣٣٤
طرائف ومواقف	
أ . عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٣٣٨
من روائع الماضى لمجلة الازهر	
« ذكرى المولد الشريف » للشيخ عبد الجواد رمضان	
إعداد عبد الفتاح حسين الزيات	٣٤٠
اللغة والأدب والنقد	
التشريع اللغوى في نموه وانتشاره وتنوعه	
د . توفيق محمد شاهين	٣٤٤
المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية	
أ . مجدى عبد الحميد بشير	٣٤٨
لحظات طيبات مع الإمام الفضيل بن هياض	
إعداد : عادل خفاجة	٣٥٢
انباء وآراء	
إعداد عبد المنعم فودة	
مصطفى عبد المجيد	٣٥٧
القسم الانجليزى	
إشراف د . انس النجار	
المقالة الثانية	
أ . عبد الحكيم احمد طه	٣٦٣
المقالة الأولى	
د . أنس النجار	٣٦٦

essential substantial elements in human constitution. The perpetual enduring function of these qualities requires the observation of munificent condoning mannerisms. The practice of fasting acts as a promoting stimulant to excite these humane qualities to function uniformly. This action cultivates these mannerisms into a condition of refinement and elegant grace of character. The purpose of fasting is to restore and uphold the integrity of these magnanimous qualities as a deterrent against the material impacts of life, and against human victimization by monster octopus of materialistic life. The practice of abstention, during the act of fasting, nurtures and fosters within the human heart the basic elements of affection, and establishes the perceptive recognition of the immaterial spiritual perspectives of human nature; real infinite horizons of man's creation, the loving emotions in the life of mankind.

The integration of all these protective function to the mind, heart and health of the individual will ultimately lead to a total protective function of the society. The aggregate entirety of the advantages of fasting is the society value in totality. In this respect, the society is protected from extreme contradicting diversity of social elements. The society remains more coherent and psychological related. The wide hiatus between extreme affluence and extreme poverty will no longer exist. The impact of abstention on the humane faculties of the rich will induce them towards social altruism, philanthropy and self denial. The impact of fasting on the poor fractions of society is always associated with an inherent feeling of deep seated content. The interactions of these mechanisms in the heterogeneous society will maintain a social condition of pacification by narrowing the wide hiatus between the various fractions of the society. Everybody in society is brought down to the base line of abstention and deprivation during the fasting process, and consequently the phenomenal conscience attitude of social nearness and human attachment dominated the links of the various social elements.

Last but not least, abstention during the fasting process is essentially a Divine dictate and ordinance. A command from The Creator for mankind to abstain from certain specified indulgences of life for specified duration of time. The Divine nature of this mandate compels the absolute obedience to execute the command according to the prescribed code of practice of this act of Worship. The compliance of obedience becomes in itself a process of self-denial, self-resignation, and self-submission to Divine Authority; a basic fundamental requirement of Belief in Muslim Theism. The act of abstention is a matter that is in its truth and reality known to Allah, without outward appearance; a secret between the individual and Allah; unlike all other practices of worship. The honest true comprehended act of fasting certainly brings the individual nearer to the Divine Milieu. The approach of mankind to the Divine Transcendence qualifies the individual with superior spiritual virtuous pious qualities. The attainment of such attributes is subject to the degree of love, devotion, adoration, submission, obedience, and attachment to the Divine Supreme Being. The society away from the Divine Milieu becomes distorted, chaotic, unhealthy and socially disintegrating. These observations are current symptoms of the collapse of present societies. Fasting and abstention is performed only bodily through the act of deprivation, the mind heart and self remain vacant and unaffected by not realizing the true purpose and understanding of abstention. The physical impacts of the acts of worship must have inner repercussions and determinant reflections on the mental, spiritual and psychic functions of the individual. By this mechanism, abstention by fasting offers a certain shield of protection and safety to mankind.

These are some speculations of the Hadith of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and the meanings beyond our limited recognition are plentiful. The enlightened intellect of mankind is yet to perceive the still hidden meanings of the Hadith. The roots of wisdom are ever deepening to provide mankind with knowledge, perception and wisdom, to bring him closer to the Divine Milieu.

Translated from the Arabic Original by the Editor

abstaining from all other. This fasting is that of the very highly select, the saints and prophets and those on the path of devotees and zealous adoration.

The meaning of "Safety" in the context of the Hadith relates to the precise understanding that Fasting as a form of worship and glorification to the Creator, becomes in fact a protective sanctuary from evil, a shield against the wrath of Allah. This general conceptualization of the Hadith, refers to the many aspects by which Fasting is protective to mankind. Among the very important of these is the self discipline of the bodily carnal demands by training the urges to interact with the elements of life according to justification of necessity. Fasting will inhibit, retard and restrict excessive indulgence in sensual orgiastic practices. This cannot be achieved by acts of forcible suppression, or by deprivation; both of which will have consequences of mutinous rebellious discontent. Whereas, fasting will be achieved by voluntary abstention of the individual, a self accepted pragmatic exercise. Through the coherent belief of the doctrinal teaching of a Divine Faith, such voluntary action is accepted as a human functional enactment. Such understanding is controlled, rewarded and sanctified only by Divine Providence. This establishes a bond between man and his Creator. This bond is the protective shield from evil. The real purpose of fasting must be well comprehended by a Muslim, otherwise the fruits of fasting are not harvested. Fasting as an act of self deprivation and abstention is a spiritual process, designed to elevate and promote the spiritual charisma of moral goodness, the health of the soul, the fountain of cardinal virtues and the conduct of moral rectitude.

Fasting is protective to the human self, the ego of the psyche of the mind, the primitive impulse forever battling to gain the utmost of the elements of life. To gain power, prestige, wealth, health, rank is authority, affluence, and excessive sufficiency. Throughout the violent throbbing agitative turmoil of life, the psyche is always the loser, by abstraction, bewilderment, stress, depression, anguish and melancholy. The human self may also fail through false esteem, arrogance, conceit vanity and egocentric immodesty. The practice of fasting daunts the psyche, inhibits the ego, and restrains the primitive impulses from uncontrolled demands. Fasting will discharge the ego faculties, and restores them to basic energy level capable of wider and deeper spectrum of perceptive realization of the reality and truism of human creation.

The human mind, the faculty of thought is also protected by fasting. That faculty is the only function of man that can associate with both materialistic and spiritual matters. The channels of this associative interaction may elevate man to celestial angelic hierarchy, or may lead to degradation to the lowest order of animality and demonism. The justification of human creation necessitates that the Divine Transcendent element of the mind should function by associative interaction with both material and spiritual matters. through rational controlled moderation of the demanding impositions of the requisites of life. Fasting establishes control and moderation on overindulgence in materialistic demands, and provides a mental and spiritual matrix that will balance the various associative interactions of the mind. Fasting will liberate the human thought from the heavy bonds of materialistic demands, and relieve the lustful burden of prosaic mundane compulsions. The liberation of the mind from the yoke of materialistic bondage, will emancipate the thought into the field of freedom to realize the infinite wonders of creation; to gain knowledge, perception, and coherence with the Divine element of the human mind.

The human heart, the seat of love, emotion, kindness, mercy magnanimity and tolerant forbearance, is a vital supreme faculty in the body. These humane qualities are

THE ROOTS OF WISDOM

"HADITH OF THE PROPHET"

Fasting is Safety

By: Abdel Hakim Ahmad Taha

This short Hadith manifests into several manifestations of human life. The Arabic philological meaning of "Fasting" is "Syam". This linguistically denotes the act of abstention from any act or deed. The wide spectrum of human action, conduct, or thought may be subject to man's abstention. Every human act may become subject to refrain according to man's intention. Based on such understanding, scholars of theology have classified fasting into four distinct categories.

The first is "canonized fasting" which is an ordinance of ritualistic decree, an enactment of abstention of food, drink, sexual relation, from dawn to sunset. This is the fasting of the common requiring temporary control of the major urges of the human body. This type of fasting is not particularly imposing during its limited period, and can be tolerated by most individuals without distress or agony. It is the basic limit of Divine prescript; and the dominion of Divine mercy placed this limitation. This class of fasting is divided into six types, the most important of which is the fasting of the month of Ramadan, an independent ordinance of Islam, an edict that must be practiced by all able adult Muslims. It is a duty that must be observed or compensated according to the laws of Shariah that deal with the issue. The other forms of fasting are voluntary actions determined by individual intention, tradition, and religious occasions; however, the act of fasting remains exactly the same regarding the form and duration of abstention.

The second class of Fasting is that directed to chastity and righteousness. This is the abstention and total refrain from everything related to profanity unsavory or vulgarity. This entails the profound training to programme all human senses away from obscenity and unsanctity. All human actions are directed to deeds of orthodox sacred qualities that are justified that are beneficial to mankind. The hearing, the vision, the thoughts should all abstain from wrong, and seek only the virtuous. All the faculties and functions of the individual become totally directed to the enlightenment and promotion of man's purpose in life. It is the fasting of the few.

The third form of Fasting is that of the mind, an elevated level of human endeavor to meditate in thought and exercise intellectual function in contemplative meditation into the deep fathoms of creation to learn and recognize the Divine Transcendent Providence. This form of Fasting penetrates the clouds of ignorance and perceives enlightenment of true knowledge. This form of fasting is that of the very few, the fasting of the scholars of reality.

The fourth category of Fasting is the fasting of the heart, the highest order of love. The abstention of the heart to love nothing other than Love for the Supreme Being. The human heart, mind, soul become saturated only with the Love of Allah; rejecting and

physical and mental strength of the man, into the most tender merciful seat of affection with deep capacity of emotion. Such evidences of mercy and deep emotion in the life of the great man were always related and associated with the heavy sense of duty. Other evidences showed an independent deep seated emotion as fundamental human feeling. This quality of mercy was also towards animals, and several tales are related in this connection. Omar ibn Al-Khattab was therefore qualified by two outstanding qualities, extreme justice and the deep gentle clemency of mercy.

Omar ibn Al-Khattab had a deep rooted sense of guardian protectorship for everything that he regarded within the domain of his responsibility. This sense included the vigilant preservation towards the theo-political unity of the Ummah; his guardianship over every action or issue that was associated with justice, human rights, doctrinal dictates of Muslim teachings, and the preservation of all qualities of virtue and goodness. The dominating personality of the great man was instrumental in the implementation and practice of his austere sense of responsibility of guardian protectorship for issues and matters that were according to his optimized thought function, highly demanding to safeguards and protective guardianship.

The mental faculty of intelligent thought of Omar ibn Al-Khattab was totally utilized in decision for action, rather than for speculative analytical postulations and theorization. History has classified Omar ibn Al-Khattab not as a scientist, but as a great leader, a founder of a dominion, a maker of history, a champion of Islamic proliferation, a guardian of justice, a paradigm of mercy, and a yardstick by which all rulers of all great qualifications are measured. In all truth, no leader or ruler in human history can approach the eminence of Omar ibn Al-Khattab. His supreme devotion to faith, his extreme sense of justice, his utmost respect to human existence, his precise true understanding of life and death, and above all his perpetual consciousness of Divine Transcendent powers. These values, highly rated and optimized in the genesis of the psychological matrix of the great man, ultimately resulted into a personality trait of character of supremely unique qualification, a lattice structure of its own, a man of great distinction.

The great distinction of Omar ibn Al-Khattab are a leader of men, at the head authority of a juvenile state, responsible for its stability, progress, prosperity and the promotive proliferation of the doctrines of a new theism. This was the paramount crescendo of all distinctions,t he achievements of the great man navigating the Muslim Ummah through the most adverse conditions of heterogeneous conflicts, struggles and controversial issues to reach the climax of supreme success. He became the undisputed founder of the Islamic Empire where social justice profoundly prevailed, the champion of Muslim crusades, the instrument of the most coherent theo-political unity in history, and the humble subject of Allah walking the streets of Al-Madinah imposing law, order and social equality of dueness, seeking to know the affairs, tribulation and concerns of people, Ameer Al-Mumineen Omar ibn Al-Khattab dressed as the most common of men, lived as the poorest of men, disciplined his mind and heart with supreme piety, fear of Divine Providence and extreme sense of responsibility. A man of unique distinction, a sage and scholar of Muslim Theism bearing the doctrines of human enlightenment.

Arab, Islamic and World literature of historical archives are very rich in the biography of Omar ibn Al-Khattab. The distinctive manifest eminent personality of the great man, his life and achievement; make it very arduous if not beyond capability to write about the great man, to pay him homage of true worth and value. Omar ibn Al-Khattab the chart and compass of Islamic endeavor, the voice forever sounding across the centuries the real balance of human justice.

Al-Khattab was that of establishment, promotion, escalation, and geographical expansion of the Muslim faith. The ultimate achievements were beyond all expectations. The ingenuity and talents of the man responsible for these achievements were certainly most superior. This genius faculty of mastery and distinction was part of his deeds, and part of his constitution of character. A matrix select, unique in greatness, distinguished by awesomeness, commands respect, prestigious in appearance, authoritative in right, majestic in justice, and above all strictly dominating in implementing the doctrines of Islam. The impact of his psychological stability and strength on whoever encountered him was much more compelling than the impact of his physical strength and stature. However, the pontifical strength in body and mental stability was balanced by a heart of extreme mercy, leniency, ecumenical tolerance and true inherent kindness. His body built exhibits great physical strength with unusual tallness, distinct in voice, precise in words acutely rational in decision, gifted to the direct shortest channels of correctness. No enemy or friend could deny the greatness, the distinction of personality, the genius of the mind.

This characteristic uniqueness of Omar ibn Al-Khattab was selectively organized, promoted as cultural optimized faculties through the perpetual Islamic teaching which Omar ibn Al-Khattab experienced during his long companionship to the Prophet. The resulting deep piety, and true fear of the Creator were the maximum of truth and wisdom which Omar ibn Al-Khattab had achieved. By this faculty of knowledge, he was very sensitive, perceptive, and emotional; crying to tears on the sight of human misery, injustice, or despotic exploitation. The absolute submission to Allah in total belief, the continual feeling of Divine Transcendent Dominating Omniscient presence, the perpetual mental vision of life's reality, and the true concept of death, of the hereafter, were the basic themes of Omar ibn Al-Khattab's understanding of Islam. These basic themes were proliferated and ramified in his intellectual faculty into understandings of great dimensions. The honest perception of these understandings developed the personality of modesty, humbleness, mercy, justice, human dignity and rights. Such qualities developed into an aptitude of temperament that was extremely sensitive to any form of human injustice, indignation or suffering; a trait of character that was recalcitrant and refractory to human distress, anguish or grief. Omar ibn Al-Khattab was a paradigm of uniqueness in his physique, in his deeds and his characteristics by all calibres and all measures; a genius of distinction portraying the true milieu of Islamic profile.

Omar ibn Al-Khattab was a man of rare talents and unusual properties. His inner self was in total unison and conformity with his outer function and behaviour. Scholars of history describe his personality as highly characteristic of extreme justice, eminent in mercy, perceptive in wisdom, genuine in devotion, conscious of duty, deeply devoted to faith, intimately coherent to the dictates of Islamic doctrines. These superior qualities commanded the mental functions to become programmed into a single trait of character whose logistics were based on several channels of knowledge and inbred genetically qualified characteristics. This developed into a character of adamancy of decision in whatever was right and just according to rational analytical thought. This adamant character was not stone rigid, it was reversible, not according to mood or personal bias, but consequent upon the faculty of thought, and the true evidence of mental perceptive nuance. This adamancy was not a trait of character in the mind, it appeared always associated with the performance of duty. The quality of mercy was another of Omar ibn Al-Khattab outstanding characteristics. History relates several incidences of extreme mercy descending upon his heart from Divine Transcendent powers to turn the pontifical

OMAR IBN AL-KHATTAB

Man of Distinction

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The preordained destiny of the Arab nation was the association of the epiphany of the Muslim Theism with the initiation of potentialities of men of great distinction. The schooling of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) to the companions, their absolute belief and acceptance of prophetic teachings of Islamic doctrines; certainly brought out the best qualities and latent powers of these companions. However, in all modes of schooling, elements of distinctive abilities appear, and these segregate few men as a class of their own. Omar ibn Al-Khattab was one of those men of rare distinction in the history of mankind who established the fundamental ground plan for the formation of the Muslim Ummah and Islamic propagation. Omar ibn Al-Khattab gained excellence in qualities through genuine understanding, intimate coherence and optimal practice of Islamic doctrines, as fundamental fountains of true faith. These faculties were the matrix of ingenuity, craftsmanship, brilliance, justice, humbleness, honesty of the great man who was destined to command the successful strategy of Muslim crusades, the theo-political organization of a multi-tribe heterogeneous nation, the institution of the most precise form of individual and social justice and the attainment of the highest order of social stability.

Omar ibn Al-Khattab was a man who possessed great psychological strength and mental potentialities. His unpretentious modesty, liberal idealism, rectitude, and health of soul, restrained all actions of avaricious greedy transgression or injustice. He conceived the rational implications of true belief, respected the human identity, acknowledged human privileges confidentialities, honour, and liberal rights. Omar ibn Al-Khattab, the commanding personality in human history was the laureate scholar, the intelligent perceptive savant of Muslim culture, the prodigy of Islamic Theism, the paragon graduate of the schooling of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). His intimate association with the Prophet enhanced the maturity of faculties, developed the knowledge of Muslim doctrines, and established the intricate infrastructural epistemology and value theory of the Divine Revelation of the Holy Quran, and the Prophet's tradition. By understanding the supreme greatness of Omar ibn Al-Khattab, humanity may perceive how to conquer fear, defeat oppression, abolish injustice, promote freedom, understand human rights, and establish the bonds of love, mercy, sincerity, and magnanimity; the real medicament prescription of human emancipation.

The biography of Omar ibn Al-Khattab is very rich with actions and deeds of the first order of vital importance to the Muslim Ummah. The relics and annals of the great leader classify him as the founder of the Islamic Empire. The years of the Prophet and Abu Bakre were times of birth and nurturing the Muslim faith. The reign of Omar ibn

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 64, PART III

Rabie Al Awal *1412, HIJRAH*

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. **Omar Ibn Al Khattab**
   Man of Distinction
   By: Anas Moustafa El Naggar

2. **The Roots of Wisdom**
   Fasting is Safety
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

> *"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".*

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

١٢٥
ع ٢٢٢٦
دوريات

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ربيع الآخر ١٤١٢ هـ
اكتوبر ١٩٩١ م
الجزء الرابع
السنة الرابعة والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

إلٰه واحد وأمة واحدة

لا إلٰه إلا الله

رحم الله ـ تعالى ـ « العقاد » كاتبنا العالم الأديب الذى انهى دراسته عن « الشيوعية » ـ وقد ترك فيها اكثر من كتاب ومقال ـ بانها مذهب « الانتهازية والاتجار بالضمائر[1] » . فكان هذا المبدا وسيلتها الأولى لخدمة « المطامع الشخصية » لأعضاء الحزب الشيوعى فقط ، وللبقية من افراد الشعب الذل والهوان .

كان لأصحابها حلم كبير يسعون لإقامته ، وساقوه للناس فى عبارات عدة من فلسفة « الجدل » لتقنع السذج بضرورة الشيوعية العالمية ، والانقلاب الشيوعى العالمى ، والحكومة العالمية الموحدة التى ينعم الناس جميعاً فى جنتها ، وجعلوا هذا « الانقلاب » ضرورة ، اى انه أمر كائن لا محالة ، مهما حاول المحاولون صَدَّه .. إنه كالمطر فى الشتاء والقيظ فى الصيف كائن لا محالة ..

إلـه واحـد وأمـة واحـدة

وإذا الكائن أمر آخر تقرره عدالة السماء التى ابدته فيما يستحقه .. من هوان حقير تبدى فى (بيع لينين) « من يشترى لينين » كذا نقلت وكالات الأنباء ، لا وكالة واحدة ، ونشر الخبر صباح ١٥ من ربيع الأول ١٤١٢هـ ـ ٢٤/٩/١٩٩١م : عن موسكو :

« عرض الحزب الشيوعى السوفيتى على صالة مزادات كريستى البريطانية شراء تمثالين عملاقين ـ بطول عشرة أمتار ـ للينين مؤسس الدولة السوفيتية .

ومازالت الصالة مترددة فى عرض شراء هذه التماثيل » .

وانتهى الحلم العريض إلى نبذ « لينين » والتردد فى عرضه ، لقد سقط الرمز إلى الأبد .

وجاء درس السماء الثانى عندما قام الانقلاب الذى أطاح بضعة أيام بـ « جورباتشوف » فصفق الشيوعيون فى العالم وقالوا : إن ما يحدث بروسيا إنما هو تحقيق لمرحلة تاليةٍ التطبيق فى الفكر الشيوعى ؛ فإذا بـ « يلتسين » يقضى ـ بمشيئة الله ـ وحده ـ على هذه الخرافة .

ليس ذلك فقط .

بل ليكون الشيوعيون ـ فى العالم كله ـ على « كف يلتسين » الذى نجح فى الاستيلاء على أهم الوثائق التى تثبت عمالتهم للكرملين والمبالغ المالية التى تقاضوها . ثم صدر الأمر بمصادرة أموال الحزب .

لقد توالى السقوط .. سقوط الشيوعية فى أوروبا الشرقية جميعاً ، وفى داخل الاتحاد السوفيتى ؛ فلم تكشف عن شعب واحد .. واحد فقط منها .. عاش حراً سعيداً داخل مجتمع يتمتع بالعدالة ..

سبحانك اللهم ..

لقد كشف السقوط عن حقيقة واحدة تبين منها قواعد الشيوعية حين تطبق على الشعب الفريسة فتنظر إليه من خلال خمس طبقات :

« طبقة الملاك الكبار ، طبقة الأغنياء ، طبقة متوسطى الحال ، طبقة الفقراء ، طبقة المعدمين » .

لتجعل منه الطبقة الأخيرة فقط .. وحيث لن يبقى له ـ بَعْدُ ـ إلا (نور) واحد يمده بالأمل ، ويؤكد له تغير الحال ، ويدفعه إلى التماس التغيير .. وهو « نور السماء » ... هو (الله) .

لذا كان العداء للذات الإلهية .

كان مقرراً أن يكون الإنسان فى قيود هذا النظام مجرداً من المال والدّين ..

وكان ذلك ضرورة ليقوم أى نظام شيوعى .

فلم يكن مصدر عدائهم للدين انه « أفيون الشعوب » كما رددوا .. إنما كان العداء لأنه « مصدر المقاومة » الذى أقنع الإنسان ألا يذل إلا لله .

وبما أن الله حى لا يموت فالمقاومة مستمرة والنتيجة حتمية .

كتب (بوريس باسترناك) روايته المشهورة (دكتور زيفاجو) ليحكى ـ وهو الروسى المعاصر ـ قصة الشعب السوفيتى فى ظل الحكومة الشيوعية ، وبدأ القصة من أولها ، فلما ذكر الأيام الأولى ، والاضطراب الواقع فى (موسكو) كتب عن القطار الذى بدأ يتحرك من موسكو بحمولته فقال :

« وظل القطار يسير ثلاثة أيام ولكنه لم يغادر موسكو » .

هذه كانت حقيقة يمكن تطبيقها بكل بساطة على سبعة عقود شيوعية أو ثمانية عاشتها شعوب عاشت

تحت حكم (الكرملين) ولم تتقدم إلى الأمام ؛ فكان قطار موسكو خيرا منها لأنه لم يتخلف إلى الوراء .. أما هذه الشعوب فقد تخلفت قرونا طويلة .. جداً .

وكتب السياسى الداهية (جون فوستر دالاس) ـ وزير خارجية الولايات المتحدة فى الخمسينيات ـ كتابه (حرب أم سلام) فقال فيه : « إن الجيش الأحمر نفسه ليس شيوعياً » .

وقال الناس : رجل عدو للشيوعية يريد أن ينفى حبها عن مواطنيها ..

وها هو الواقع يثبت لـ (باسترناك) و (دالاس) حقيقة الرؤية .

فأما بعد :

فليس يعنى انتهاز الشيوعية الاعتراف بحق الجمهوريات الإسلامية فى الحرية والاستقلال ، فإنه لا تزال الحرب الصليبية قائمة ضدهم ، بل وعلى أيدى الذين ضاقوا بعسف الشيوعية أنفسهم .

إن لنا ـ نحن المسلمين ـ جسداً ممتداً فى روسيا يموج فى جمهورياتها ففى آسيا منه :

أذربيجان ـ أوزبكستان ـ طاجيكستان ـ تركمانستان ـ قازاجستان ـ قرغسيا .

وفى أوربا :

داغستان ـ شاشان ـ كباردبا ـ بلكاريا ـ القرم .. وغيرها .. وغيرها .

هذه الجمهوريات وشعوبها الإسلامية لها فى أعناق المسلمين أجمعين حق الوقوف إلى جانبها فى ضوء ما هو مشروع من مساندة دولية لا تلقى بها فئة على أكتاف أخرى ، فكم تحملت مصر وحدها ..

لقد صدرت صحيفة (الصباح الأسبوعى) التونسية صباح الاثنين ٢٢ من صفر ١٤١٢ هـ ـ ٢/٩/١٩٩١ وفى صفحتها السادسة كتبت ـ تحت عنوان على ثلاثة أعمدة ـ تقول :

« نظرة روسية إلى الجمهوريات الإسلامية »

إلـه واحـد وأمـة واحـدة

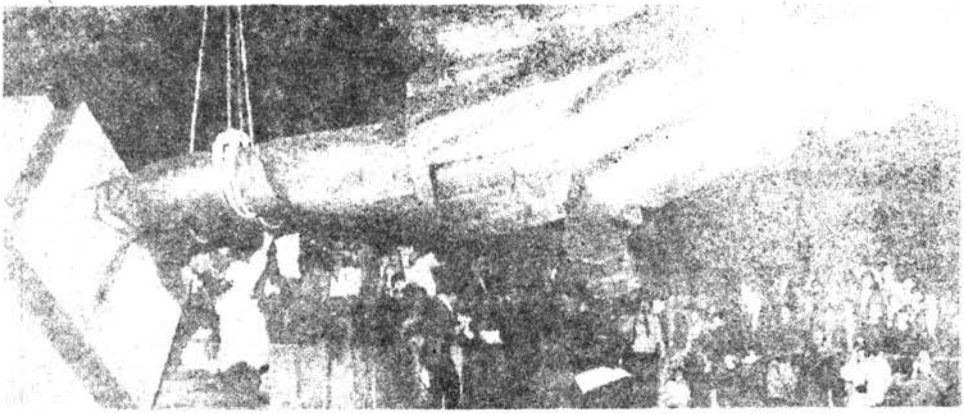

« القناة الأولى للتليفزيون الإيطالى (راى أونو) قدمت ليلة الاثنين الماضى برنامجا خاصا طويلا عن الوضع بالاتحاد السوفيتى بعد انقلاب « عصابة الثمانية » وبرز من خلال هذا البرنامج :

أن جمهورية روسيا التى يرأسها بوريس يلتسين مرشحة للاضطلاع بدور كبير فى المستقبل ، وقد دعا نائب رئيس لجنة الشئون الخارجية فى برلمان روسيا للحديث عن بعض المواضيع ، ومن بينها مسألة مستقبل دولة الاتحاد والجمهوريات .

هذا النائب اسمه « أوجينى ابرازموف » وهو من كبار مساعدى يلتسين .. قال :

« إن جمهوريات البلطيق الأوربية يجب أن تستقل استقلالا تاما ، وهذا ـ فى رأيه ـ .. يخدم الديمقراطية والحرية .

وكذلك أيضاً ، وربما بالنسبة لجمهورية أوكرانيا ومولدافيا .

[ولما وصل به الحديث إلى الجمهوريات التى يسكنها المسلمون من أصل تركى ، أو من سلالات أخرى] قال :

إن تلك الشعوب معتادة على (النظام التسلطى الأسياوى) الذى لا يتلاءم مع الديمقراطية والحرية ، وفى تلك الجمهوريات سيتم اتحاد (المافيا الحزبية الشيوعية) و (الأصولية الإسلامية) وذلك خطر على الديمقراطية وبالتالى : « لا يجب السماح لتلك الجمهوريات بالحصول على حريتها » .

فهل يترك المسلمون فى العالم إخوانهم المسلمين فى تلك الجمهوريات للمرة الثانية .

إنهم ـ إذا فعلوا ـ سيكونون تجاراً بدينهم كما قال الرئيس مبارك .

ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد !!! .

د. على محمد الخطيب

---

(١) انظر : للأستاذ محمد سعيد اسماعيل ـ بلاد الإمام البخارى ماضيها وحاضرها .

(٢) وللأستاذ يوسف ولى شاه اوراكيراى ـ كارثة القرم الإسلامية .

الاحتفال بمولد الرسول
صلى الله عليه وسلم

فضل الرسالة الربانية

كلمة

الرئيس محمد حسني مبارك

في الاحتفال بذكرى مولد الرسول

صلى الله عليه وسلم

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

في احتفال الدولة بالمولد النبوي الشريف

فضل الرسالة الربانية

كلمة الرئيس محمد حسنى مبارك

فى الاحتفال بذكرى مولد الرسول

صلى الله عليه وسلم

ألقى الرئيس حسنى مبارك خطابا هاماً وشاملاً فى الاحتفال الدينى الكبير بذكرى المولد النبوى الشريف فيما يلى نصه :

الإمام الاكبر شيخ الازهر

العلماء الأجلاء

الإخوة والأخوات .

إن من اعظم دواعى سعادتى . ان التقى بالدعاة والعلماء ، الذين هم حملة رسالة الحق وورثة الأنبياء .. ويزيد من دواعى هذه السعادة ، أن يكون اللقاء للاحتفال بذكرى من اخلد الذكريات ومناسبة من أمجد المناسبات ، وهى ذكرى ميلاد خير الأنام ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .. فليس من شك فى ان هذا الميلاد المبارك ، كان ميلادا للنور الذى يبدد الظلام ، وللحق الذى يزهق الباطل ، وللخير الذى يهزم الشر ، وللسلام الذى أراد الله أن يعيش به الناس فى امن وحب ووئام .

ولم يكن هذا الفيض الربانى الذى عم بميلاد محمد بن عبد الله ، محصوراً فى بلد معين أو جنس محدد ، وإنما كان مثل ضياء الشمس ، يبدأ من مكان لينتشر ويعم نوره كل مكان ، يشرق أول الأمر على البعض ، لينير فيما بعد الحياة للكل .. وهكذا كان محمد صلوات الله عليه ، فهو باعث الأمة العربية ، ومحرر الجماعة الإنسانية ، والمبشر بأسمى القيم للحضارة البشرية .. أشرقت طلعته الميمونة فى مكة ، وكان فى طفولته وصباه مثالاً للطهارة والشموخ ؛ لأن المولى سبحانه وتعالى كان يعده لحمل أعظم أمانة والقيام بأخطر رسالة ..

وبعد أن جاءه الوحى فى الأربعين من عمره ، صدع بأمر ربه ، فبدأ ينذر عشيرته الأقربين ، وينير بصائرهم بهدى السماء ، ثم راح يوسع دائرة النور إلى قريش وكل آل مكة ، ثم اتسعت دائرة الإشراق حتى وصلت إلى المدينة ، ومن المدينة انتشر الإشراق إلى كل العرب ، حتى تم توحيدهم بعد فرقة وإخراجهم من ظلمات الجاهلية إلى أنوار المدنية ، بعد تصحيح فكرهم بالتوحيد ، وتطهير عقولهم من

الشرك ، وبعد تصحيح خلقهم بفضائل الإسلام ، وتنقيتهم من رذائل الكفر ، وبعد ملء قلوبهم بروح السلام والحب ، وصرفها عن دواعى العداء والحرب .. وهكذا بعث محمد ـ صلوات الله عليه ـ الأمة العربية .

رسالة ربانية تحريرية

ثم تجاوزت دائرة النور بلاد العرب ومازالت تتسع شرقا وغربا ، وشمالاً وجنوبا ، بفضل الرسالة الربانية التحريرية ، التى حمل أمانتها محمد وخلفاؤه العظام ، حتى تم فك الأغلال عن الشعوب المغلوبة ، ورفع نير الاستبداد عن البلاد المقهورة ، واستضاءت بنور الإسلام الدولتان الكبريان اللتان كانتا تتحكمان فى العالم آنذاك ، واستظلت براية الإسلام معظم البلاد التى كانت تحت حكمهما ، وتحول المستعبدون والمستضعفون فى الأرض ، إلى محررين وغالبين ، وورث الأرض عباد الله الصالحون .

ولم يكن تحقيق ذلك إلا بالجهاد الحق الذى يأخذ ـ فى وعى ـ بروح الإسلام ، ويعرف كيف يحقق مقاصد الدين الحنيف .. إنه الجهاد لا من أجل العدوان على الغير أبدا ، ولا من أجل السيطرة أو البغى ، ولا من أجل السلب أو النهب ، أو الاستيلاء على أرض الغير ظلما وبهتانا ، ذلك أن الإسلام لا يعرف العدوان ولا يقر البغى .. كذلك لم يكن الجهاد الذى حمل رايته النبى وأصحابه ، من أجل حمل الآخرين على أن يتركوا دينهم ويعتنقوا بالقوة دين المجاهدين ، فالإسلام لا يسمح بغرس العقيدة فى القلوب بسنان الحراب وحد السيوف ، وإنما كان الجهاد فى عهد الرسول ، وفى عهود أصحابه الراشدين والتابعين الواعين ، إما للدفاع ضد المعتدين ، وإما للوقاية من مؤامرات الطامعين والغادرين ، وإما لتحرير المستعبدين والمقهورين ، الذين تسيطر عليهم قوى غاشمة ، وتحول بينهم وبين رؤية نور الإسلام ومعرفة دين رب العالمين .

أسس تحرير البشرية

وهكذا اتسعت دائرة الضياء الإلهى والنور المحمدى ، فتجاوز العرب إلى غير العرب . ومازالت الدائرة تتسع حتى عمت الإنسانية ، وتحقق وضع الأسس لتحرير البشرية .. وذلك بفضل تلك القيم الرفيعة ، التى جاهد من أجلها المجاهدون المسلمون الواعون ، والتى جاء بها محمد وحيا عن ربه ، ليؤكد للناس جميعاً حقهم فى الحفاظ على كرامتهم ، وليحصنهم ضد كل ما يسىء إلى إنسانيتهم ، إنها قيم للحرية والديمقراطية ، والمساواة والعدل ، والإخاء والسلام .

أما الحرية ، فمعروف أن الإسلام قد حرر الإنسان كياناً وعقلاً وضميراً ، فلا رق ولا عبودية ، وإنما كل الناس قد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، ثم لا تعطيل للعقل ولا تغييب للفكر ، وإنما الناس مكلفون بإعمال العقل تكليفهم بالعبادة ، ومطالبون بالتفكير مطالبتهم بالفريضة ، ثم لا سلطان لأحد مهما كان على ضمير الإنسان غير تقواه ومراقبته الله ، وما أصدق قول الرسول الكريم لابن عباس فيما معناه .. : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك ، لن ينفعوك إلا بشىء كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك ، لن يضروك إلا بشىء كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

كلمة الرئيس حسنى مبارك فى الاحتفال بذكرى مولد الرسول

الديمقراطية ركيزة حياة المجتمع الإسلامى

وأما الديمقراطية فقد جعلها الإسلام ركيزة حياة المجتمع الإسلامى وقوام دولة الإسلام حين أمر بالشورى ، فلا استبداد برأى ، ولا تسلط لفرد ، ولا حكم لغير الجماعة ، وقد وصف الله المسلمين بقوله : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ بل أمر سبحانه رسوله الكريم ، أن يشاور أصحابه ولا ينفرد بالرأى ، ذلك رغم أنه نبى يوحى إليه من ربه بما يعصمه من الخطأ ، وما أروع قول الله تعالى لنبيه الكريم : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ ﴾ (آل عمران ـ ١٥٩) .

وأما المساواة ، فقد جعلها الإسلام ركنا أساسياً من أركان النظام الاجتماعى ، حين أقر التسوية بين الناس مهما اختلفت ألوانهم ، وأجناسهم ومواطنهم وثرواتهم ومناصبهم ، فالناس جميعاً من آدم وحواء ، ومن هذين الأبوين تكاثروا ، وجعلهم الله شعوبا وقبائل ، والناس جميعاً ـ بسبب أصلهم الواحد ـ متساوون كأسنان المشط ، « ليس لعربى على أعجمى ، ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى » ، إذاً فلا امتياز لأحد على أحد إلا بمقدار تقواه ومراقبته لله ، وفى مقدمة ذلك الذى يتم به التميز ويتحقق التفضيل ، مقدار مايقدمه المرء للحياة والناس من عطاء ، وما أسمى قول الرسول الكريم ـ وكأنه يضيف بعدا جديدا إلى مفهوم التقوى ـ : « خير الناس أنفعهم للناس » .

الناس أمام القانون سواء

وأما العدل ، فقد بلغ به الإسلام حدود ذروته ، ووصل فيه إلى أقصى غاياته ، فالناس جميعاً محاسبون على ما يعملون ، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[١] ، والناس جميعاً متساوون أمام القانون ، فلا طبقية ولا امتيازات ولا استثناءات ، فالقانون يحكم الجميع لأنه سيد الجميع ، الحاكم والمحكوم ، الكبير والصغير ، الغنى والفقير .

وقد اتسع مفهوم العدالة فى الإسلام ليشمل دائرة عريضة لم تكن معروفة من قبل ، وحسبنا هنا أن نتذكر وصية عمر بن الخطاب للقاضى أبى موسى الأشعرى ، تلك الوصية التى يقول فيها عمر : « آس بين الناس فى مجلسك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس ، ثم هديت فيه إلى رشدك ، أن ترجع إلى الحق ، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل » .

وأما الإخاء ، فقد جعله الإسلام الأساس للعلاقات بين أبنائه ، « فالمسلم أخو المسلم » ، بل إن الإسلام ارتقى بالعلاقة بين ابنائه إلى ما هو أقوى من الصلة بين الأخ وأخيه ، حيث جعلها وحدة عضوية ، تفرض أن يكون كل فرد بالنسبة إلى الآخرين كالعضو بالنسبة لباقى أعضاء الجسد . وما أسمى قول الرسول الكريم ﷺ « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

(١) سورة الزلزلة الآيات ٨ ، ٩ .

السلام هو الأصل فى العلاقة بين الجماعات

وأما السلام ، فقد أعلى الإسلام قيمته ، وجعله الأصل فى العلاقة بين الجماعات ، أما الحرب فهى الاستثناء الذى لا يلجأ إليه إلا لضرورة . وقد بلغ من تقدير المولى لقيمة السلام ، أن جعله أحد أسمائه الحسنى . ثم دعا إليه وحث عليه فى قوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ . . . . ﴾(١) ، أما الحرب فلا تكون إلا رداً لعدوان أو دفاعاً عن النفس ، وفى هذا يقول المولى جل شأنه : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا . . ﴾(٢) .

ولهذا لا يسوغ أن تستغل الحروب الإسلامية من بعض الجهلة والمفسدين ، أو المغامرين والطامعين ، فى تبرير العدوان على الآخرين باسم الجهاد ، فلا جهاد مع العدوان ، ولا جهاد مع البغى ، ولا إسلام يفرض على غير المسلمين بحد السيف ، فالله سبحانه يقول للناس جميعاً : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾(٣) ويقول لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾(٤) .. ويقول له ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ فى شأن من وجب قتالهم دفاعاً أو وقاية أو تحريراً : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . . ﴾(٥) بل يقول لنبيه فى شأن المقاتل المشرك الذى يخوض المعركة فعلاً ضد المسلمين : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾(٦) .. كل ذلك لأن السلام هو أساس العلاقات وهو قيمة عليا من قيم الإسلام التى حرص عليها ، ودعا إليها ، وأراد أن يعيش المجتمع الإنسانى كله فى ظلها .

حققت الرسالة كل إنجاز عظيم

الإخـوة والأخـوات ..

إن الاحتفال بذكرى مولد النبى الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى حققت رسالته كل هذا الإنجاز العظيم ، سنة حميدة نعتز بها ونحرص عليها ، ونسعد كل السعادة بالمشاركة فيها .. ومن أسباب هذا الحرص وتلك السعادة ، أنها مناسبة تذكرنا بالمثل الأعلى ، الذى يجب أن نسير على هديه ونقتدى به ، فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه للاستنارة بهذا النموذج الإنسانى الرفيع .. فكراً وسلوكاً ومنهجاً .

لقد بدأ ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعلاج الفرد فى عقيدته وفى نفسه ، وفى ضميره ، وفى خلقه ، وذلك ليحقق بناء الإنسان الذى هو النواة الأولى فى بناء المجتمع .

ثم مضى ـ صلوات الله عليه ـ إلى علاج الأسرة ، فى علاقاتها ، وسلوكياتها ، وكل شئون حياتها ؛ لأنها هى الخلية الأساسية فى جسم المجتمع .

ثم اتبع ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذلك كله بعلاج المجتمع كله ، بصفته الكيان الأكبر الذى تتألف منه الأمة ، فأرسى لهذا المجتمع قيم الأخوة والتعاون والتكافل ، وغرس فيه مبادىء الحب والإيثار والمسئولية المشتركة .

(١) سورة يونس آية ٢٥ .
(٢) سورة البقرة آية ١٩٠ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٦ .
(٤) سورة يونس آية ٩٩ .
(٥) سورة الأنفال آية ٦١ .
(٦) سورة التوبة آية ٦ .

كلمة الرئيس حسنى مبارك فى الاحتفال بذكرى مولد الرسول

وعلى منوال هذا المجتمع الإسلامى الذى قام فى المدينة ، تآلفت المجتمعات الإسلامية المتعددة فى الأقاليم الأخرى ، فى مصر والمغرب والأندلس غرباً ، وفى الشام والعراق وفارس شرقاً ، ثم نما هذا المجتمع الإسلامى الكبير حتى أصبح لعدة قرون أرقى مجتمع ينضوى تحت راية أعظم دولة ، وكل ذلك بفضل رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعاليمها الرفيعة ، وبفضل التسامح الذى أبداه المسلمون الأول نحو غيرهم ، ونبذهم لمنطق الإكراه والإجبار ، ورفضهم للتعصب والتطرف ، وتقديسهم لحرية الرأى ، واحتكامهم إلى العقل ، فلا حجر على فكر ، ولا قيد على رأى ، ولا تسلط ولا إرهاب لنصير أو خصم .

دور كل الأطراف

وهنا نأخذ الدرس ونستلهم العبرة من الذكرى العطرة ، هنا يأتى دور كل الأطراف التى تتولى بناء الفرد : الأسرة والمدرسة ، وأجهزة الثقافة ووسائل الإعلام ، فهى جميعاً مطالبة برعاية الفرد وتصحيح فكره والسهر على بناء عقله وتربية ضميره وتصويب سلوكه ، لكى يتم مع الآخرين تجانسه ويتحقق مع باقى أفراد المجتمع توافقه ، ولكى تصح نظرته ويستقيم حكمه ويقوى إلى الوطن انتماؤه .

كذلك يأتى ـ ونحن نستلهم العبرة من الذكرى العطرة ـ دور كل الأطراف التى ترعى شئون الأسرة وتؤتمن على توجيه مسيرتها ورعاية علاقاتها ، ويأتى دور الآباء والمربين ، والمفكرين والمبدعين ، والدعاة والإعلاميين ، وكل من يعنيه أن تكون الأسرة مترابطة متعاونة منتمية مسئولة . يوقر فيها الصغير الكبير ، ويرحم الكبير الصغير ، وتعى تماما أنها خلية من خلايا الوطن . يجب أن تكون حية صحيحة قوية ؛ ليتألف منها ومن غيرها الوطن الحى الصحيح القوى .

كذلك يأتى دور المسئولين عن المجتمع والمأمولين لتحقيق نهضته ، من كوادر علمية ، وأجهزة ثقافية ، ووسائل إعلامية . ومؤسسات تنفيذية ، فهذه جميعا مطالبة بحماية المجتمع من الانحرافات ، ومحاربة كل ما يشوبه من خرافات أو سلبيات ، وتوجيهه إلى كل ما يجعل منه مجتمعا يشده الترابط ويعمر قلوب أبنائه الحب ، ويتجه فيه الجميع إلى ما فيه خير الجميع .

أسس جمع الشمل

ثم علينا أن نجمع الشمل على أساس من الصدق والمصارحة والحفاظ على أمانة العهد وشرف الكلمة ، ورفض سياسة المخادعة والمراوغة والافتئات على الحق والحرص على المكاسب الشخصية على حساب المصلحة الجماعية ، وعلينا أن نحرص على أن تكون علاقاتنا جميعا علاقة ترابط وثيق ، بل صلة أخوة حميمة ، لكى نندفع ـ فى مناخ صاف وشمل مجتمع ـ إلى التعاون الصادق والتكامل الحق ، شاعرين جميعا أننا أبناء أمة واحدة ، الكل فيها مسئول عن الكل تماما مثل أفراد الأسرة الحقيقية ، بل مثل أعضاء الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء .

الإخـــوة والأخـــوات :

إن التحديات التى تواجهنا فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الإنسانية تفرض علينا أن نعيد بناء الفرد ، ونحقق له التقدم ، ونعالج أمراض المجتمع ونوفر له كل عوامل الصحة ، ونعزز قوة الدولة ، ونهيىء لها جميع عناصر القوة ، ونجمع شتات الأمة حتى تصبح على قلب رجل واحد .

إن كثيراً من أبناء أمتنا يشغلون أنفسهم بالقشور ولا يهتمون باللباب ، ويتعلقون بالشكل ولا يعنون بالجوهر ، بل إنهم أحيانا يأخذون أنفسهم بعوامل التفرق والتمزق ، أكثر من أخذهم بأسباب التجمع والتكتل ، ومن هنا وقفوا مكانهم وتقدم غيرهم ، بل فى كثير من الأحيان نراهم يتراجعون ، بينما الآخرون يزحفون بل يثبون ويقفزون ، حتى أوشكنا ـ بسبب هذه السلبيات ـ أن يتجاوزنا العصر ونخرج بهذا الجمود والقعود عن مسيرة التاريخ .

ماعذرنا ... وقد أصبحت أمورنا بأيدينا

لقد كنا فى الماضى مكبلين بأغلال الاستعمار ، معوقين بهذه الأغلال عن التقدم والنهوض والانطلاق ولكن ما عذرنا اليوم وقد أصبحت أمورنا بأيدينا بعد أن مزقنا أغلال الاستعمار عنا ؟!

ما عذرنا فى أن نظل حيث كنا ، وكلما تقدمنا خطوة تراجعنا خطوات !؟!

لعل الداء يكمن فى أن البعض يكتفى من الإسلام بالمتاجرة بمبادئه ، والتزييف لتعاليمه ، ومحاولة الكسب بالانتماء إليه والتظاهر بالحماسة له ، إلى درجة ادعاء الانتساب إلى نبيه .

إذاً ، علينا أن ننهض من الكبوة ونفيق من الصدمة ونعود إلى التماسك والترابط وجمع الشمل ، وبناء ما تهدم ، ولا أمل إلا فى استيعاب الدرس وانتزاع الأمل من بين أنقاض اليأس .

لا أمل إلا بالعودة الصادقة إلى تعاليم الإسلام وروحه السمحة .. إنها مبادىء الحق والعدل ، والتعاون والتكافؤ ، وجمع الشمل ، وتوحيد الصف ، وعدم الانخداع بالزيف والنفاق والكذب والدهاء ، وإقامة العلاقات الفردية ، والجماعية على أساس الصفاء والمحبة والإخاء .

القيم الإسلامية القويمة طريقنا إلى التخلص من الآفات

إن الإسلام فى جوهره هو قيم إنسانية رفيعة ، يتطهر بها الفرد ، من الخوف والحقد والكراهية ، ويتخلص بها المجتمع من الآفات المدمرة ، وعوامل الصراع والنزاع . وتهتدى بها الأسرة الدولية فى إقامة مجتمع جديد . يحقق للبشرية قدراً أكبر من الطمأنينة والأمان ، ويرسخ بنيان السلام بين مختلف الأمم والشعوب ، فلا حرب ولا قهر ولا تسلط ، ولا عنف ولا أذى ، بل مودة وإخاء وحسن جوار ، بصرف النظر عن تنوع الانتماءات والاجتهادات ، وتعاون بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، فكلنا نواجه نفس الأخطار والتحديات .

إن القيم الإسلامية القويمة هى طريقنا إلى أن نأخذ مكاننا ـ كعرب ومسلمين ـ فى عالم اليوم الذى لا مكان فيه لجاهل ، ولا محل لخامل ، ولا دور لمتخلف ، ولا كرامة لتابع ولا أمن لضعيف ، ولا وزن لكيان صغير .

كلمة الرئيس حسنى مبارك فى الاحتفال بذكرى مولد الرسول

الإخوة والأخوات :

إننا نعيش اليوم فى عصر تعاظمت فيه التحديات التى تواجه الفرد والمجتمع ، وتعقدت فيه مشاكل الحياة فى كل جوانبها ، رغم التقدم الهائل الذى حدث فى مجالات العلم والمعرفة ، ولابد أن نتحرك جميعا لتصحيح هذا الوضع ، ونتفق معا على منهج يتيح لنا أن نسخر هذا التقدم غير المسبوق الذى بلغناه فى المجالات العلمية والتقنية لخدمة القضية الأساسية وهى جعل الإنسان أكثر قدرة على مواجهة المشاكل التى تعترض طريقه ، وأكثر إحساسا بالأمن والطمأنينة وأكثر أملا فى المستقبل .

عزائم الرجال قادرة على التغلب

إن الأمل لم يضع فى صحوة صادقة فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية فمهما كانت السلبيات التى تصيب بلادنا وأمتنا ، فإن عزائم الرجال قادرة على التغلب عليها ، بالإيمان الراسخ ، والقيم السامية والأخلاقيات الرفيعة ، التى جعلت الأمة الإسلامية ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

إن الأمر يحتاج إلى إدراك واع للمسئولية وأداء أفضل للأمانة ، ونحن نعاهد الله ونعاهد أنفسنا أن نؤدى هذه الأمانة على خير ما يكون الأداء .

فلتكن البداية من اليوم قبل الغد ، ولنعمل جميعا من أجل هذه الأمانة السامية ، كل فى موقعه : الوالد والمعلم والداعية والمفكر ، العالم والكاتب ، المشرع والمنفذ ، المحكوم والحاكم ، فالكل راع والكل مسئول عن رعيته .

أجل ، علينا جميعا أن نأخذ أنفسنا بمهمة الإصلاح وإعادة البناء ، والعمل الجاد من أجل إخراج أمتنا من غيبة العقل ، وتمزق الصف ، وضعف البنية ، وانحراف السلوك ، ولنعمل جميعا من أجل إقامة مجتمع إسلامى فاضل ثابت الأركان ، قادر على احتلال مركز مرموق بين الأمم والشعوب يتيح لأبنائه أن يحيوا حياة حافلة بالرقى والتقدم .

فهكذا نصبح بالفعل كما أراد لنا المولى : ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

وهكذا نكون جديرين بالانتساب إلى الإسلام وقيمه وتعاليمه .

وهكذا يكون احتفالنا بميلاده ـ صلوات الله عليه ـ احتفالا عمليا ، حيث ننتفع بالذكرى كما أمر الله تبارك وتعالى حين قال لرسوله الأمين : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات ـ ٥٥) .

فلننتفع بالذكرى عملا لا قولا ، وإيجابا لا سلبا ، ولنترجم حبنا لصاحب الذكرى استلهاما لروح رسالته ، ومضيا فى طريق دعوته ، وتحقيقا لنبيل غايته .

والله من وراء القصد .. وهو الهادى إلى سواء السبيل .. وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

فى احتفال الدولة

بالمولد النبوى الشريف

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله
السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية .
الحفل الكريم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ــ وبعد :

لماذا الاحتفاء بهذه الليلة ؟

فإذ نحتفى فى هذه الليلة بميلاد الرسول « محمد » صلى الله عليه وسلم ، فإنما نحتفى بنبى كان فى ولادته كل البُشْرَياتِ ، فأبوه (عبد الله) ـ فجاء بعبادة الله وحده ـ

وأمه (آمنة) فكان ذلك بشرى لأمن هذه الأمة وسلامتها.

وأَلْهَمَ الله جده عبد المطلب فسماه (محمدا) إنفاذا لأمره بأن يكون محمودا فى الأرض وفى السماء ، ولم يكن هذا الاسم شائعا عند العرب فى عصره .

وقابلتُه (الشفاء) أم عبد الرحمن بن عوف فكان فى مَقْدَمِهِ الشفاء والرحمة بأمته .

وأول من أرضعته (ثويبة) جارية عمه أبى لهب فكان فيها الفأل بالثواب لهذه الأمة .

وحاضنته (أم أيمن) ، فكان فيها الفأل باليمن والإقبال وانتشار الإسلام ، ثم آلت حضانته ورضاعته إلى (حليمة السعدية) فكان فى اسمها ولقبها بشريات له بالسعادة والحِلْم وبالعلم .

ثم رفع الله ذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ . الَّذِى أَنقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[1] رفع الله ذكره فكان اقتران اسمه

---

(١) سورة الشرح الآيات (١ ـ ٤) .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف

ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع كلمة التوحيد وهى : (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)حيث لا يتم دخول الإسلام إلا بهذه الكلمة .

رفع ذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ثم رفع الله ذكره فتردد اسمه فى الصلوات ، ففى التشهد فى الصلوات : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ـ وفيها : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ـ وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، تحيات وصلوات وإعلاء لذكر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى فى عبادة الله (الصلاة) التى لايذكر فيها غير الله .

ولقد أعلى الله ذكره فقال ـ فى شأنه إيجابا وتوجيها للأمة وتوقيرا له ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٢) .

فالصلاة والسلام ـ على رسول الله « محمد صلى الله عليه وسلم » عبادة ، وذكره عبادة ، فأى ذكر أرفع شأنا مما مَنَّ الله به على الرسول الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فهل مع هذه الرفعة التى منحه الله إياها نأتى فى عصرنا ويكتب بعض الناس (محمد) ويتحدثون عن (محمد) كأنهم ينادون شخصا عاديا أو يتحدثون عن شخص عادى مع أن الله علم أصحابه ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾(٣) أدبا للأمة أن يوقروا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وألا يذكروه إلا بما أمر الله به (ياأيها النبى ـ ياأيها الرسول) فهل نستجيب لأمر الله ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ ذكر ورفعة لشأنه وتكريم لقدره لأنه عظيم قدره « صلى الله عليه وسلم » .

الاقتداء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

كانت كلمات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومبادئه : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾(٤)فلم يعرف بفحش القول ، ولم يعرف بالخروج عن الرحمة والأدب مع الناس فهو أسوتنا وقدوتنا .. فهل نتبعه فى هذا ونقتدى به ؟ هل نعلم أولادنا أن يقولوا للناس ، حسنا وأن ينشأوا على ذلك ؟ هل نتعلم جميعا هذا الأدب الربانى الذى وجهه الله إلى الأمة ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ .

إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ذا خلق أو هو الخلق بل هو يقول عن نفسه ـ صلى الله عليه

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٦ .   (٣) سورة النور آية ٦٣ .   (٤) سورة البقرة آية ٨٣ .

وسلم ـ : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » ، ذلك لأن الأخلاق الحسنة ، الأخلاق الكريمة هى صمام الأمن والأمان فى هذه الأمة ، وهى التى تقود الأمة إلى أحسن المسالك وإلى أطيب الثمرات هى التى تجعل الحياة سهلة طيبة متعاونة متساندة فى المسرات والمضرات فهل يكون لنا من هذه الوصية نصيب نتخذه ونعمل به وقد قيل :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فالأخلاق تقتضينا أن نوقر ذكرى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » .

توقير الكتاب العزيز والسنة الشريفة

فهل لنا أن نوقر القرآن الكريم ؟؟ ليس توقيرنا أن نحمله فى سيارتنا ، أو نضعه فى بيوتنا ، أو على مكاتبنا وإنما أن نحمله فى صدورنا، وأن نعمل بما فيه ، وأن نأخذ أسرنا ومجتمعنا على التربية على نبراسه .

والسنة المطهرة التى جاءت شرحا وبيانا لكتاب الله ، هل لنا أن نوقرها فلا يتجرأ أحد على أن يمتهنها أو يحاكمها بعقله ، مهما كان عقله ، هل لنا أن نفعل ذلك ؟

نأمل أن نقول ـ فى القرآن وفى السنة ـ القول الحسن الذى يناسب توقير القرآن الكريم ، ويناسب وقار السنة المطهرة ولا يأتى أحد ليقول : أحاكم القرآن بعقلى أو أحاكم السنة بعقلى ! إذا كنا نحتفى الليلة بهذه الذكرى المباركة ، ذكرى ميلاد الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن معالم هذه الذكرى وهذا الاحتفاء ينبغى أن تكون فى أن نقتدى به ، وأن نوقر ما تركه لنا وأن نعمل به: نقتدى لنهتدى .

كل عام وأنتم بخير سيادة الرئيس .

وكل عام وأنتم بخير أيها الحفل الكريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شيخ الأزهـــر الشريف
(جاد الحق على جاد الحق)

قبس من أنوار النبوة

لا تزكوا أنفسكم

للشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن ابى هريرة رضى الله عنه : « إن زينب بنت ابى سلمة كان اسمها برة . فقيل تزكى نفسها ، فسماها رسول الله - ﷺ - زينب » .
- رواه البخارى ومسلم -
وعن محمد بن عمرو بن عطاء ، قال : سميت ابنتى برة فقالت لى زينب بنت ابى سلمة : إن رسول الله - ﷺ - نهى عن هذا الاسم،وسميت برة ، فقال رسول الله - ﷺ - : لا تزكوا انفسكم إن الله اعلم بأهل البر منكم ، فقالوا : بم نسميها ، قال : سموها زينب » .
- رواه مسلم -

إن الحديث عن النفس أو عن الغير - بالتزكية - قد يشتط بصاحبه فيجعله يزكى نفسه أو غيره بما لا يعلم ، أو يتجاوز الحق والصواب وهذا يؤدى إلى الإعجاب والكبر ، وتضييع العمل ، وترك الازدياد من الفضل ، ففى البخارى من حديث أبى بكرة أن رجلا ذكر عند النبى - ﷺ - فأثنى عليه رجل خيرا ، فقال النبى - ﷺ :

« ويحك قطعت عنق صاحبك إن كان أحد مادحا لا محالة فليقل : أحسب كذا وكذا ، إن كان يرى أنه كذلك ، وحسيبه الله ، ولا يزكى على الله احدا » .

لقد نهى الإسلام عن الإفراط فى المدح بما ليس فيه حتى يظن الممدوح أنه كذلك ، وعلى هذا - تأول العلماء قوله - ﷺ : « احثوا التراب فى وجوه المداحين » أن المراد به : المداحون لغيرهم فى وجوههم بالباطل وبما ليس فيهم ، أما ذكر الإنسان بما فيه من الفعل الحسن ، واللفظ المحمود ليكون منه ترغيبا له فى أمثاله ، وتحريضا للناس على الاقتداء به فليس بمدح . ولقد مدح النبى فى الشعر والنثر ، ولم يحث فى وجوه المداحين التراب ولا أمر به ، كما مدح هو أيضا أصحابه فقال : « إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع » .

وأما قوله - ﷺ - فى صحيح الحديث : لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وقولوا : عبد الله ورسوله » .

فمعناه - كما جاء فى تفسير القرطبى - لا تصفونى بما ليس فىّ من الصفات ، تلتمسون بذلك مدحى ، كما وصفت النصارى عيسى بما لم يكن فيه فنسبوه إلى أنه ابن الله فكفروا وضلوا ، وهذا يقتضى أن من رفع امرءاً فوق حده وتجاوز مقداره بما ليس فيه فمعتد آثم ؛ لأن ذلك لو جاز فى أحد لكان أولى الخلق بذلك رسول الله - ﷺ » .

إن مما نهى عنه النبى - ﷺ - : مجاوزة الحد فى الإطراء . فقد ورد أن أم العلاء الأنصارية قالت فى عثمان بن مظعون - رضى الله عنه - حينما مات رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك ، فقال النبى - ﷺ : « وما يدريك أن الله أكرمه ؟ فقالت : بأبى أنت يارسول الله ، فمن يكرمه الله ؟ فقال - عليه الصلاة والسلام : « أما هو فقد جاءه اليقين ، والله إنى لأرجو له الخير ، والله ما أدرى - وأنا رسول الله - ما يفعل بى » قالت : فوالله لاأزكى أحداً بعده أبداً . رواه الإمام أحمد .

والخطر الأكبر أن يزكى الإنسان نفسه فينساق فى الحديث عنها ، فيذكر من أعماله ومفاخره بالحق وبالباطل ، فإذا ذكر الناس أحداً فى الجود ادعى أنه حاتم ، وإذا ذكر بالعلم أحداً ، زعم أنه البخارى فى الحديث ، وأبو حنيفة فى الفقه ، يعدد مناقبه ، ويزكى نفسه ويروى ما قيل فيه من المدح والثناء .

« لقد مر أحد العباد بقوم يذكرونه بقيام الليل كله . وكان يقوم نصفه ، فاستغفر الله مما قيل فيه ، وعاهد ربه أن يقوم الليل كله ، وعجيب أمر من قيل فيه الخير وليس فيه ، كيف يفرح ؟ وأمر من يقول الخير فى نفسه وليس فيه أعجب !

وإذا كان الحديث يبين لنا أن النبى - ﷺ - قد كره أن يزكى الإنسان نفسه بالاسم ، فكيف إذا كان بالصفات والدعاوى الكاذبة ، ومادح نفسه كاذب ولو صدق .

لقد كره النبى - عليه الصلاة والسلام - من المرأة أن يكون اسمها بَرَّة - فقال : لا تزكوا انفسكم ، الله أعلم بأهل البر منكم ، فقالوا : بم نسميها ؟ فقال - ﷺ : سموها زينب .

ولقد كان - ﷺ : يعجبه الاسم الحسن ويكره الاسم الخبيث فكان لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - زوجة اسمها (عاصية) فسماها النبى - ﷺ - (جميلة) ، كما سمى حربا (سلما)، وشهابا (هشاما) كما سمى المضطجع (المنبعث)، وارضا عفرة سماها (خضرة)، وشِعْب الضلالة سماها (شعب الهدى)، وحزن سماه (سهلا).

وقال : ﷺ - فيما رواه مسلم وأبو داود والترمذى والطبرانى - « أحب الأسماء إلى الله ما تعبد له ، وأصدقها همام وحارث » .

وقال - عليه الصلاة والسلام : أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن . « وجاء فى - زاد المعاد - أن النبى - ﷺ - كان يستحب الاسم الحسن وأمر إذا أبردوا إليه بريداً أن يكون حسن الاسم ، حسن الوجه . وكان يأخذ المعانى

البقية ص ٤٦٨

المتعصبون فى غفلة عن

الحق المبين

للأستاذ
محمد صابر البرديسى

عن قتادة ان رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه :

« إنى خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم ، وامروهم أن يشركوا بى غيرى » - رواه مسلم والإمام احمد .

اولاً - اللغة :

١ - حنفاء : يوحدون الله .. الإله الواحد .

٢ - اجتالتهم : ادارتهم ، وحولتهم عن قصدهم .

ثانياً - ما يشتمل عليه الحديث :

١ - المتعصبون فى غفلة من الله الحق .

٢ - ذكر الإنسان لله ، ليس استحضارا لغائب .

٣ - انعم اهل الدنيا ، واشدهم بؤسا فيها .

البيـــــان

١ - المتعصبون فى غفلة عن الله الحق :

إن فى ذكر الله - تعالى - ودوامه واستحضاره فى نفس المسلم وقلبه حصناً يأمن معه المؤمن من الزلل ، كما يأمن أيضاً من مكر شرار الخلق ، وفى الغفلة عن ذكره تعالى - مفارقة لهذا الحصن تؤدى بالإنسان إلى نسيان نفسه فمعصية ربه ، فإن الغفلة عن الله غفلة عن الحق المبين .

وإذا كان بعض الناس مذهولين عن الحق المبين المصاحب لهم المحيط بهم ، فقد استبدلوا الغفلة ببصيرة تقود إلى الهدى والرشاد .

وقد أكثر القرآن الكريم من لفت الأنظار إلى هذه الغفلة وما يترتب عليها حتى يتقيها المؤمن ، فقال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ سورة الحج آية رقم ٤٦ .

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ .. سورة البروج آية رقم ٢٠ .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ﴾ سورة النمل آية رقم ٨١ .

وقال سبحانه : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ سورة الحديد آية رقم ٤ .

سبحانه بصير بما نعمل ، وهو معنا حيثما كنا .. الا تعين هذه الحقائق على صدق المعرفة بالله سبحانه وتعالى .

٢ ـ ذكر الإنسان لله ليس استحضارا لغائب :

وذكر الإنسان لله ليس استحضاراً لغائب ، فإنه سبحانه يقول عن نفسه : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ﴾ وإنما هو استحضار من الإنسان الغافل لوعيه هو ليفيق من غفلته فيحظى بحصن الله ، لكن الغافلين أوغلوا فى غفلتهم وعسير عليهم أن يلجئوا إلى الهدى ، ولكن الله لطيف بعباده .

وعادة مايكون الغافلون متعصبين لما هم فيه ، والله غنى عنهم : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ . سورة الشورى آية رقم ٢٠ .

إن الله يرزق الصالح والطالح والمؤمن والكافر ، وقد وهبهم الله الحياة وكفل لهم الرزق ـ ولو منع رزقه عن العاصين والمارقين والكافرين لما استطاعوا أن يرزقوا أنفسهم ، ولماتوا عريا وجوعا وعطشا ، وعجزوا عن أسباب توفير الحياة الضرورية ، وهى أسباب ييسرها الله ـ تعالى ـ لهم ، وليسوا بقادرين على إنشائها وممارستها بغير إرادته سبحانه وتعالى ، فإنه لا يقع فى ملك الله إلا ما يريد .

جعل الله ـ تعالى ـ الآخرة حرثا والدنيا حرثا ، يختار المرء منهما ما يشاء ، ويجعل الله لمن يريد الدنيا ما يشاء حسب إرادته .

فمن كان يريد حرث الآخرة ، عمل فيه ، وزاد له الله فى حرثه ، وأعانه عليه بنيته ، وبارك له فيه بعمله ، وكان له مع حرث الآخرة رزقه المكتوب له فى هذه الدنيا لا يحرم منه شيئاً ، حيث يرجو وجه الله فى تثميره وتصريفه والاستمتاع به والإنفاق منه .

ومن كان يريد حرث الدنيا أعطاه الله من عرض الدنيا رزقه المكتوب له ، لا يحرم منه شيئاً وليس له فى الآخرة من نصيب ، فهو لم يعمل لحرث الآخرة شيئاً ليحظى له بجائزة ، والأمر فى النهاية مرتبط بالحق الذى هو من عند الله .

انعم اهل الدنيا ، واشدهم بؤسا فيها :

قد يعد الإنسان ماتملكه يداه نعمة ، ولكن النعمة فى الحقيقة هى فيما يمكن الإنسان من السعادة الأخروية ، من إيمان بالله ورسوله ، وعمل بتعاليم دين الإسـلام ، ومن أداء الواجبات ، والتمسك بمكارم الأخلاق فأما ما وهبه الله للإنسان من الصحة والسلامة من كل مكروه ، وما أغدق عليه من وسائل النعيم ، من مال وبنين ، وزوجة وجاه ، فهذه النعم متى صاحبتها الهداية والرشاد ، وروعى فيهـا الواجبات والحقوق والشكر نالت من الله التوفيق والتأييد .

ولا تأييد ولا تأبيد لنعمة مكفورة ولبطر ينأى عن الحق ويهدى إلى الجبروت ، وقد ضرب الله ـ تعالى ـ فى ذلك مثلاً بـ(قارون) وأمثاله ، ممن أعمتهم الضلالة فظنوا أنهم أصحاب الأسباب ثم تمادى بهم الغرور فظنوا أنهم صانعوها . أولئك الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وأولئك هم الفاسقون .

فأما المؤمنون ـ وهم عادة قلة ـ لا ينسون فضل الله .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ سورة البقرة آية رقم ٢٤٣ .

نرجو الله أن يبصرنا بالحق ..

والله الموفق .

يلحدون دون دليل

للدكتور
محمد رجب البيومي

كان الإلحاد المارق فيما قبل ، يتخذ البحوث العلمية مداراً لشكوكه ، فما تجد نظرية منحرفة ، حتى يتسابق المتسرعون دون بصر علمي إلى تأييدها ، وتتوالى الصحف مشحونة بالأفكار المضطربة ، والنقول المتعارضة ، لتصل إلى هدفها المريض ، والقارىء الحصيف يلمس شبهات الزيغ بين السطور فيميز الطيب من الخبيث ، أما القارىء السطحي فتتقاذفه الشكوك ، حتى يجد من يهديه ..

أجل ، كانت البحوث العلمية مدار الشك المغرض ، ولكننا نرى القصة الأدبية تسهم بدورها في هذا المجال ، فقد انتشرت بدعة الإلحاد في بعض الروايات الهابطة ، وهو إلحاد لا يكلف القصاص عناءً ما ، لأنه لا يلتزم بمنطق علمي واضح ، بل يجعل الأشخاص يتحاورون كما يتفق لهم الحديث ، فتتناثر عبارات الإلحاد من أفواههم مبتورة شاذة ، وتتوالى عبارات الرجس في مواقف متتالية لتحدث أثرها الخادع بالتكرار لدى من لم يتحصن بالمعرفة الحقة ، وإذا كانت الرواية تطبع آلاف النسخ ، وتجد آلاف القراء ، فإن الحريق سيمتد لهيبه المدمر إلى قرائها وأكثرهم من المراهقين والمراهقات .

لقد كتب الأستاذ أحمد بهجت في جريدة « الأهرام » نقداً هادفاً لقصة جديدة تنكر وجود الله ، وقيامة اليوم الآخر ، وتتهكم بالجنة والنار . كما تعرض أنبياء الله واحداً واحداً لتهزأ بمعجزاتهم ، ويتعاظم المؤلف فوق قدره القميء فيجعل نفسه أستاذاً لرسل الله ، مستهزئاً بنار إبراهيم وسفينة نوح ، وهدهد سليمان ، وكأن هذه الأشياء الثابتة ونظائرها المعجزة لم تكن حقائق راسخة جاء بها التنزيل الحميد ، ثم يستطرد الفنان المزعوم إلى تفاهات سخيفة ليخرج بنتيجة كاذبة : هي أنه لا إله ولا رسل ، ولا بعث ولا جزاء ولا عقاب .

وليست هذه الأفكار بادىء ذي بدء مما يستغرب ، فالمنكرون الجاحدون للألوهية واليوم الآخر ، وللأنبياء الله ورسله ذوو عهد بعيد في الإنسانية وما أتى رسول إلا كذبه قوم وآمن به أقوام ، وماأكثر ماتحمل رسل الله من العناء في بسط الأدلة المقنعة دون أن يجدوا مناقشاً يستهدف الصواب بل ما أكثر ماجوبه الأنبياء بمن ينكرون البعث والجزاء ، دون دليل على

الإنكار ، إذ يقولون فيما حكى الله عنهم فى كتابه الكريم : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ ، ولكن المستغرب أن يأتى روائى ناشىء بمضحكات ساخرة تبتعد عن المنطق ثم يلح فى تكرارها ، دون سأم ، كما أنه ليس من المستغرب أن تؤلف رواية تتحدث عن الجنة والنار وتعقد مقابلات خيالية لزعماء التاريخ ، وحواريى الرسل والأنبياء ، فقد اشتهر هذا الضرب من التأليف شرقاً وغرباً ، وألفت عنه الدراسات المقارنة فى الآداب المختلفة ، وأقربها إلى الذهن ما قيل عن تأثير حديث المعراج فى كوميديا « دانتى »الإلهية ورسالة الغفران لأبى العلاء ، ولكن المستغرب أن يؤلف ناشىء عابث رواية تتحدث عن الجنة والنار ليسب الأنبياء والمرسلين ، ولينكر الذات الإلهية ، ويجزم بانتفاء البعث والجزاء ، ثم يتاح لهذه الرواية أن تذاع ، وتجد من يشير إليها من المجندين مدافعاً ، متذرعاً بما يزعمه من حرية الفكر ، على نحو ما نألف فى حياتنا الثقافية منذ انتشر وباء الإلحاد مما زكمت به الأنوف حيناً من الدهر ، وفى يقينى أن المؤلف العابث لم يسطر هراءه إلا اعتماداً على قوم يشاركونه منحاه ، وهو فى نفسه سعيد بترداد الحديث عنه ، سواء كان الحديث تأييداً أو تفنيداً ، فقد أضيف اسمه إلى أنصار الرأى الحر ودعاة التقدم والنهوض .. وإذا أراد القارىء أن يقف على نمط من تفكير هؤلاء العابثين ، فإنى أنقل له ما زعمه بعض (المغرورين) ممن يصطنعون الحوار المريض فى تأكيد الإلحاد الكافر ، حين قال على لسان بعض الشخصيات : إن « جاجارين » الروسى صعد إلى السماء ودار بعينه فى الفضاء فلم يجد الله !!

وكأن الكاتب قد جاء بفلق الصبح حين استشهد برحلة « جاجارين » الشاب المادى الماركسى ، وما درى أن « جاجارين » قد اختير للرحلة ، لا لكفاءة عقلية ولا لمزية إنسانية ، بل لأنه ذو جسم قوى يتحمل مرهقات الرحلة فى أعلى طبقات الجو ، فمثله مثل الحصان القوى الذى يختار لقطع مسافة طويلة ، ثم ينتهى دوره بانتهاء الرحلة ! فهل إذا قال إنه لم ير الله ، يكون كلامه موضع استشهاد ، وقد اعترف بقوله إنه يجهل كل شىء عن الله ! أكان لرب العزة مكان خاص ، حتى يجده غائباً عنه ، أم كان يرى بالعيان ، وهو الذى لا تدركه الأبصار ! أما كان الأولى أن نسكت عن تسجيل خزى فاضح ينطق بالجهل والغباء ! بل كان الأولى أن نعتبر قائله ذا بلاهة رعناء !

هذا نمط مما يقال ! أفنعتد هذا التخريف العابث دليل حرية وارتقاء ، أم أنه آية تهور وانتكاس !؟ لقد وجدنا من الأغرار من رحب بهذا التخريف العابث وعمل على نشره فى أكثر من مجال ، وهم قوم نعرفهم بسيماهم ، كما نعرفهم فى لحن القول وصريحه معاً ، فكيف يجهلون ! ولهم فيما يسمى بالفن الأدبى زملاء يشاركونهم سوء النية إذ يلبسون الحق بالباطل ، عن خداع يعرفون أبعاده عن يقين ، فليس كتاب الرواية وحدهم من نعنيهم بالمؤاخذة الجادة على ما يثيرون من شبهات لا يعرفون أبعادها ، وإنما يسوقون الحوار العابر لا لتمحيص الحقائق فى ضوء النقاش الهادف ، بل لإثارة الشكوك دون يقين ، ليس هؤلاء وحدهم ، فإن هناك فريقاً من الشعراء قد سبقوا القوم إلى إذاعة الأراجيف الغائمة ، فكل من يعرف الوزن العروضى ، ويزعم لنفسه صفة التجديد ، يظن أن التساؤل عن المجهول باب من أبواب الفلسفة الشعرية ،

يلحدون دون دليل

فيفجأ القارىء بأسئلة عن أصل الكون ؟ ماالبداية ؟ ماالنهاية ؟ ويعلن انه ليس يدرى ؟

بل ربما تطرق فى نزق إلى قيوم السموات والأرض ، فتساءل من هو؟ وفى أى مكان ؟ وكيف أوجد الكون ؟ تساءل تساؤل المشكك ، لا تساؤل من ينشد الحقيقة ؟ ويعتقد أنه بذلك العبث قد أصبح الشاعر الفيلسوف ؟ ولعل الشاعر العراقى جميل صدقى الزهاوى كان أوسع من خاضوا فى هذه الأراجيف دون بصيرة ، وقد زار مصر فى العشرينيات ، وفسحت له جريدة السياسة مجالاً ممتداً لقصائده الإلحادية ثم كانت الطامة حين نشر قصيدة تحت عنوان الطبيعة ، يقرر فيها أنها هى القوة الموجودة للكون ! ولم يشأ العلامة الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى أن يسكت على هذا الهذر ، فوجه للشاعر كتاباً على صفحات السياسة يدعوه إلى محاورة علمية تدور حول ماجاء عن الطبيعة فى قصيدته ، ورجاه أن يذكر البراهين التى اهتدى إليها لتكون موضع مناقشة جادة ! أفيدرى القارىء ماذا كان جواب الشاعر الفيلسوف ، إنه رد معتذراً بالمرض ، ومعلناً انه يزور مصر للراحة لا للجدل ، وأنه يقدر حماسة الأستاذ محمد فريد وجدى لإيمانه راجياً أن يتركه هادئاً ؟! أفلو كان الشاعر المتفلسف ذا اقتناع بإلحاده ومالكاً لبراهينه وأدلته ، أكان يؤثر الانسحاب فى استخذاء !

هذا شأن اكبر شعراء التساؤل الإلحادى ، فما ظنك بمن لا يبلغون مبلغه من الدراسة والتجربة والجلد على المصاولة والحجاج ! إنهم يتعللون بالمادية الصماء ، وبأنهم لا يؤمنون إلا بما يحسون ، كأن الحواس وحدها ، هى المقياس ، فلو قلت لهم إن الإنسان مزود بحواسه منذ خلق ، وقد أتى عليه حين من الدهر لا يعرف أرضاً يسكنها زملاؤه فى الإنسانية وهو يشترك معهم فى سكنى كوكب واحد ، بل أتى عليه حين من الدهر لا يعرف شيئاً عن الجراثيم والميكروبات ، ولا يدرك ماهية الكهرباء والمغناطيس والذرة ! فهل كانت هذه الأشياء غير موجودة لأنها لا تدرك بالحواس حينئذ ، أو أن الوجود ملىء بالمساتير المجهولة ، وأن العلم إذا كشف طبقة من هذه المساتير ، فأمامه عدة طبقات ، حتى تنجلى السجوف شيئاً فشيئاً تصديقاً لقول الله – عز وجل – ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

وإذا كانت بعض الصحف الذائعة تُحبذ نشر الترهات الإلحادية وتفسح لها أوسع مكان ، فإن هذه الصحف لا تنشد الحقيقة لذاتها فى شىء ، إذ أنها حين تنشر هذا العبث ، تمتنع امتناعا كريهاً عن نشر ما تتمخض عنه الأحداث العالمية ، حين يدعو الحدث إلى الإيمان واليقين ، فقد عقدت المؤتمرات العلمية قرابة عامين فى أمريكا لتزييف نظرية أصل الأنواع ، ودحض ما اهتدى إليه (دارون) فيما يسمى بنظرية التطور ، وأصبح الشك فى هذه النظرية أصلاً ثابتاً لا شبهة فيه ، حتى امتنعت اكثر المدارس هناك عن تدريسها كمسألة ذات يقين ، وقام أحد أولياء الأمور فى (كاليفورنيا) برفع قضية على إحدى المدارس التى لا تزال تدرس النظرية دون أن تقدم للطلاب ما دار حولها من الشكوك والاعتراضات ، وجاء حكم القاضى المنصف صريحاً فى الجزم بأن نظرية التطور من قبيل

الاحتمالات الفرضية التى لم تصل إلى درجة الإثبات ، وأن على المدارس أن تتجنب تقرير ما جاء بها وكأنه حق ، أجل أصدرت محكمة (سكرامنتو) هذا الحكم الدامغ ، ورحبت به الجرائد الأمريكية ودعت المدارس والجامعات إلى الالتزام به ، وتناقلت الصحف فى أوروبا القضية فى كل مكان ، ولكن بعض صحف العرب فى بلاد الإسلام لم تشأ أن تشير إلى ما ذاع وشاع ! مع انها لا تكاد تسمع أكذوبة دنيئة تحاك حول قضية دينية حتى تفسح لها شتى المجالات ! انقول بعد ذلك إن الإلحاد الدينى هدف مقصود لدى بعض صحفنا الواسعة الانتشار ؟ وأن ما تنشره فى رمضان من البحوث الهامشية لا يخرج عن إتجار كاذب يراد به الكسب المادى دون إيمان صريح بما يقال ، إننا لو قلنا بذلك لوجدنا الأدلة الواضحة التى تعلن انفصام هذه الصحف عن صراط الحق ، وجدناها صريحة فى إذاعتها الأراجيف ، وإغفالها اليقين من حقائق الدين الحنيف ، ولئن اشتد أسفنا لهذا التجاهل الغريب ، فإن سرورنا ليكتمل حين نرى الأفذاذ من أئمة العلم التجريبي ، يملكون من الأدلة المقنعة ، والبراهين الدامغة ما يشفى صدور قوم مؤمنين .

لندع شكوك الأغرار من ذوى العواطف المضطربة إلى يقين العلماء الأفذاذ ممن درسوا قضايا الكون ، وخفايا التركيب الإنسانى دراسة مطمئنة أوصلتهم إلى اليقين الجازم بوجود خالق مدبر ، يبدع العالم على أحسن نظام ، وأدق ترتيب ، وحين نجد بعض الشذوذ فى مؤلفات ذوى الدراسات الإنسانية من علماء النفس وعلماء الاجتماع ، فإننا لا نحفل بهذا الشذوذ الذى تطل أفاعيه من السطور نافثة سمومها القاتلة ، لأن أصحاب الدراسات الإنسانية جميعهم نظريون لا يعتمدون على التجارب الصادقة ، والمجاهر الدقيقة ، كما يعتمد علماء الطبيعة ، وأساتذة التشريح ، فالشطحات الفكرية لدى من يؤمنون بالمادية من أمثال فرويد ودوركهايم لا تزن شيئاً فى ميزان الأثبات الثقات من ذوى المشاهدة التجريبية ، والمسائل الرياضية ذات النتائج الصحيحة ، لذلك نجد لهؤلاء العلماء يقيناً ثابتاً فى خالق الكون ، وإيماناً مطمئناً بإله مدبر يحيط بكل شىء علما ، حيث لا تعذب عنه غائبة فى السماء والأرض .

لقد نشر الدكتور (دنبرت) البحاثة الألمانى إحصاء تفصيلياً لآراء مائتين وتسعين عالماً من كبار رجال الفلسفة والطبيعة والطب فى القرون الأربعة الأخيرة ، ليصل إلى ما استقر فى وجدانهم من العقيدة الثابتة ، فاتضح له أن اثنين وتسعين فى المائة من هؤلاء الكبار يؤمنون كل الإيمان بفاطر السموات والأرض ، وهى نسبة ممتازة تتضاءل جوارها ثمانية فى المائة ما بين متردد ، وجاحد ، كما جاء فى خاتمة هذا البحث تسجيل لرأى العلامة الكبير (باستور) صاحب الاكتشافات الطبية الباهرة فى القرن الماضى حيث قال : إن العلم الصحيح لا يمكن أن يكون مادياً ، ولكنه على النقيض من ذلك يؤدى إلى زيادة العلم بمن أبدع الكون وأداره على أحسن نظام ، وينطق بكمال الحكمة التى خلقت النواميس الطبيعية للوجود فى كمال لا حد له » .

وليس هذا الكمال مما يوصف به التدبير الكونى جزافاً دون دليل ، فإن النظر المتعاقب فى دقائق الكون ينطق بهذا الكمال المطلق نطقاً صريحاً يدعمه الدليل ، ودونك بعض الأمثلة إن الأرض التى تدور حول محورها بمعدل ألف ميل فى الساعة الواحدة ، لو أبطأ دورانها عن مقداره المحدد ساعة من زمن لانتقلت أشعة الشمس إلى

يلحـدون دون دليـل

الأرض فأتت على الأخضر واليابس ، وإن بعد الأرض عن حرارة الشمس التى تصل درجتها إلى اثنى عشرة ألف درجة يتيح لها أن تنعم بالدفء وأن تتجنب الاحتراق ، فإذا جمدت الشمس دون أن تجرى لمستقر لها ، وإذا قربت اليابسة شيئاً ما عن موضعها الأصلى ، فإن الفناء محقق محتوم ! فمن ضبط الموقعين على نحو يمنع الاضطراب ؟ أهى المصادفة ! أم التدبير الحكيم ؟ والقمر يبعد عن الأرض مائتى ألف وتسعة وثلاثين من الأميال ، فلو تحرك موضعه قريباً منها ذات مرة لتعرضت الأرض إلى موجات المد من المحيطات الزاخرة حولها ، ولغرقت جميعها فى طوفان لا يبقى ولا يذر ، فمن منع هذا الخطر ؟ أهى المصادفة أم التدبير الحكيم ؟!

ونحن نتحدث عن الغلاف الجوى الآن ونرى أنه معرض للثقوب ، بما يرتفع إليه من المواد المهلكة ، فهل نعلم أن هذا الغلاف قد اختير اختياراً دقيقاً ، بحيث لو كان أخف كثافة مما هو عليه الآن لسمح للشهب أن تجتازه لترمى الأرض بالنار والدمار ، ولن تستطيع مقاومتها أدوات الإطفاء ، لأنها حينئذ بمثابة فأر ضئيل أمام أسد هوال !

هذا عن الكون فقط ، فما ظنك بعجائب الخلق فى دنيا الإنسان والحيوان والشجر والنبات مما سجلت فيه مئات الكتب ، ودارت حوله آلاف البحوث التى كتبها علماء متخصصون يلمسون القدرة القادرة فى كل نبضة دم ، ورجفة قلب ، واهتزاز غصن ، ورحلة طير ، وهجرة سمك ، ونسمة هواء ، أفنترك ذلك كله ، لنصدم بين الآونة والآونة بكاتب عابث ينشر رواية مسفة ، لا تحمل ذرة ضئيلة من بوارق الفن الأدبى ، بل ترجم الناس بهراء مجنون ، أو نفاجأ بمتشاعر يدعى التفلسف حين يتساءل فى بلاهة : من أنا ؟

ومن أين جئت ؟ وكأنه لم يسمع الجواب الحاسم تنطق به مشاهد الكون قبل أن تسجله بحوث الثقات ، أليس من الخبل الخابل أن نحتفل بكل ساخر عابث ، لا لشىء إلا لأنه يصد عن سبيل الله ، ويفتح باب الشهوات لمن يسرهم أن تنتهى الحياة دون مثوبة أو عقاب ، بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ، حين يسأل أيان يوم القيامة ؟ وسيراه عياناً إذا برق البصر ، وخسف القمر .

النفس الإنسانية

حرمتها وموقف الإسلام من المعتدى عليها

لفضيلة الدكتور
محمد أحمد جمعة

لقد اقتضت حكمته سبحانه ان يخلق المخلوقات ويبدع الكائنات بإتقان وإحكام وفى كمال وانسجام . ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾(١) واخبرنا سبحانه بانه ما خلق خلقه ولا ابدع كائناته لهوا ولا لعبا قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾(٣) .

النفس الإنسانية بين تكريمها والمحافظة عليها :

وتجلت حكمته سبحانه فى خلقه لهذا الإنسان على فطرته التى فطره عليها فخلقه فسواه فعدله فى اى صورة ما شاء ركبه : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(٤) ، ثم افاض عليه من نعمه فكرمه واجتباه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ ﴾(٥) . ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾(٦) ، وتعهده ورعاه بتعاقب الملائكة عليه ليلاً ونهاراً : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(٧) . وميزه على غيره بما أودع فيه من وسائل الإدراك وأسباب المعرفة : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٨) ومن الإنسان اصطفى الله رسله وانزل عليهم كتبه : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾(٩) واجتبى عباده وحفظهم من كيد الشيطان : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾(١٠) وجعل اكرمهم عنده

(١) سورة النمل اية ٨٨ .
(٢) سورة الأنبياء اية ١٦ .
(٣) سورة ص اية ٢٧ .
(٤) سورة المؤمنون اية ١٤ .
(٥) سورة الإسراء اية ٧٠ .
(٦) سورة الجاثية اية ١٣ .
(٧) سورة الانفطار الآيات ١٠ : ١٢ .
(٨) سورة النحل اية ٧٨ .
(٩) سورة الحج اية ٧٥ .
(١٠) سورة الحجر اية ٤٢ .

﴿ وموقف الإسلام من المعتدى عليها

اتقاهم ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١١) فخلق الإنسان إذن لم يكن عبثا ووجوده لم يكن إلا لحكمة ... قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾(١٢) فلا عجب إذن أن كانت النفس الإنسانية فى شرع الله مقدسة يجب حمايتها والمحافظة عليها والدفاع من أجلها وألا نعرضها موارد التهلكة كما يقول سبحانه : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾(١٣) ، وأن التعدى عليها ظلم وقتلها حرام وحل دمها بغير حق كفر وأن من يستبيح ذلك إنما يجرم فى حق الإنسانية كافة . وفى حق المجتمع جميعا يقول سبحانه : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا .. ﴾(١٤) .

قتل النفس .. انتهاك وخروج على تعاليم الإسلام :

وظاهرة التعدى على النفس فى المجتمع الإنسانى إنما هى خروج على تلك القوانين وتعد على كل الحدود واستباحة للحرمات ومجاهرة لله سبحانه بالمعاصى ومخالفة للفطرة التى فطر الله الناس عليها وخلع لربقة الطاعة والولاء لرب العالمين .

فالله قد حرم علينا قتل النفس إلا بالحق فى أكثر من آية فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ .. ﴾(١٥) حتى التى يحل قتلها بالحق كالزانى المحصن والقاتل لغيره المستبيح دمه لا يحل لنا كأفراد أن نباشر قتله وإنما ذلك لولى الأمر أو من ينوب عنه . ونهانا سبحانه عن قتل النفس ـ بقوله سبحانه : ﴿ .. وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾(١٦) وتوعد على ذلك بالعذاب فى الآخرة فقال تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾(١٧) .

فالدنيا تهون على الله ويهون زوالها عن قتل رجل سجد لله سجدة .. وعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قتل النفس من السبع الموبقات قرينات الشرك بالله فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ .. « **اجتنبوا السبع الموبقات . قيل يارسول الله : وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل أموال اليتيم . والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** »(١٨) وفى « حجة الوداع » بين حرمة ذلك وحذرنا مغبته فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ **إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا إن كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة .. »**(١٩) .

وعلى هذا فظاهرة الانتحار مثلا من الموبقات المهلكات ، ومرتكبها مخالف للفطرة التى خلقه الله عليها فجاهد بالمعصية غير آبه بحدوده غير مستجيب لشرعه .

ومهما كانت الدوافع والأسباب من شدة مرض لازمه أو قهر أو عوز أو جور وظلم منعه

(١١) سورة الحجرات آية ١٣ .
(١٢) سورة المؤمنون آية ١١٥ .
(١٣) سورة البقرة آية ١٩٥ .
(١٤) سورة المائدة آية ٣٢ .
(١٥) سورة الأنعام آية ١٥١ .
(١٦) سورة النساء آية ٢٩ .
(١٧) سورة النساء آية ٣٠ .
(١٨) رواه البخارى ومسلم .
(١٩) رواه مسلم .

حقه وحرمه مما له ، أو فقدان عزيز يحبه ، أو مال أو متاع تعب من أجله ، أو فوات منصب أو مفارقة جاه وسلطان ...

أو غير ذلك من الأسباب والدوافع فإنه لا يجوز له أن يقتل نفسه أو يعجل بحياته ويستجيب لنداء الشيطان متبعا فى ذلك هواه متجاهلاً فطرته غافلا عن هذا التحذير الإلهى :

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[20]

موقف الإسلام من الاعتداء على النفس :

فمن خالف ما نهى الله عنه من قتل النفس الإنسانية وإزهاق الروح البشرية أو بإتلاف لبعض الأعضاء أو الإصابة بجرح أو خلافه .

فمن فعل شيئا من ذلك سيما القتل فقد ارتكب أعظم الذنوب فليس بعد الكفر ذنب أعظم من قتل المؤمن وإزهاق روحه ، وجدير به أن يكون أهلا لهذا العقاب الذى توعده الله سبحانه به فى الحياة الآخرة .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[21] .

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة الدماء** »[22] .

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **لا يزال المسلم فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما** »[23] .

ولقد وقف الإسلام من هذا الجرم موقفا حاسما :

فإن الجناية ـ القتل ـ عن عمد .. بمعنى أن القاتل أصاب المؤمن بشىء من شأنه القتل كحديدة أو عصا غليظة أو ألقى عليه حجرا ثقيلاً أو رماه من شاهق أو أغرقه فى ماء أو حرقه بالنار أو خنقه بيده أو قدم له سما فى الطعام أو شراب فمات بذلك . فقد وجب عليه القود واستحق القصاص . لقول الله تعالى :

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[24] .

ولقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **من قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما ان يود وإما ان يقاد** » .

وإن كانت الجناية عن شبه عمد بمعنى أن الجانى قصد ضربه بما لا يقتل غالبا ولم يرد قتله .

كأن ضربه بعصا خفيفة أو لكمه بيده أو أوقعه فى ماء قليل أو صاح فى وجهه أو هدد فمات بسبب واحدة من هذه الأمور .

وجب على الجانى الدية على عاقلته والكفارة عليه مع إثمه ... مصداقا لقول الله تعالى : ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ﴾[25] .

أما إن كانت الجناية عن خطأ بأن فعل ما يباح فعله كصيد أو رماية فطاش السهم أو الطلقة فاصاب شخصا فمات ..

وجب عليه الدية المخففة فى مال العاقلة وليس عليه إثم لعدم قصده القتل لمباشرته أمرا مباحا ، وإذا وجب للمسلم دم خير بين ثلاثة : أن يقاد له لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ

(٢٠) سورة البقرة آية ٢٦٨ .
(٢١) سورة النساء آية ٩٣ .
(٢٢) متفق عليه .
(٢٣) رواه البخارى .
(٢٤) سورة المائدة آية ٤٥ .
(٢٥) سورة النساء آية ٩٢ .

﴿ وموقف الإسلام من المعتدى عليها

الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى ﴾(٢٦) .

أو دفع الدية لقوله تعالى : ﴿ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ﴾(٢٧) .

أو العفو لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾(٢٨) .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾(٢٩) .

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **من أصيب بدم أو خبل ـ أى جرح ـ فهو بالخيار بين إحدى ثلاث : اما ان يقتص او ياخذ العقل ـ اى الدية ـ او يعفو فإن اراد الرابعة فخذوا على يديه** »(٣٠) .

وقوله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ . . ﴾(٣١) .

موقف الإسلام من ظاهرة الانتحار :

ولقد توعد الله ورسوله مرتكب جريمة الانتحار الذى قتل نفسه وعجل بحياته وأزهق روحه بأشد أنواع العذاب فى الآخرة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين فهو ملعون مطرود من رحمة الله ، حرام عليه الجنة مخلد فى النار وأن عذابه فيها يكون بما قتل به نفسه وأزهق به روحه ، يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **من قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة** »(٣٢) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « **من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجا بها بطنه يوم القيامة فى نار جهنم خالدا مخلداً فيها ابداً ، ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابداً** »(٣٣) .

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **الذى يخنق نفسه يخنقها فى النار والذى يطعن نفسه يطعن نفسه فى النار ، والذى يقتحم يقتحم فى النار** »(٣٤) .

وفى الصحيحين قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فجز بها يده فما رقا الدم ـ جف ـ حتى مات قال الله عز وجل : « بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة** »(٣٥) ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾(٣٦) .

ويحدثنا جابر بن سمرة « رضى الله عنه » **أن رجلا كانت به جراحة فأتى قرنا له ـ جعبة السهام ـ فأخذ مشقصا فذبح به نفسه فلم يصل عليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ** .

فهذه النصوص تدلنا على مدى غضب الله سبحانه وغضب رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على من لجأ إلى وسيلة الانتحار ليخلص بها نفسه من هذه الحياة ويفارق بها الدنيا ويبتعد عن كل ما من شأنه يسىء إليه ويؤله .

---

(٢٦) سورة البقرة آية ١٧٨ .
(٢٧) سورة النساء آية ٩٢ .
(٢٨) سورة البقرة آية ١٧٨ .
(٢٩) سورة الشورى آية ٤٠ .
(٣٠) رواه أحمد .
(٣١) سورة النور آية ٢١ .
(٣٢) البخارى .
(٣٣) رواه البخارى ومسلم .
(٣٤) رواه البخارى .
(٣٥) رواه البخارى ومسلم .
(٣٦) سورة النساء آية ٣٠ .

الانتحار : جبن وخور لا شجاعة وإقدام :

ويخطىء من يظن - حتى ولو كان ذلك هو المنتحر ذاته - أن هذه شجاعة نادرة واجه بها أقسى الظروف وأسوأ المصائب والمصاعب فأراح نفسه منها وخلص ذاته من تبعاتها وجعل لهذه المتاعب والأسباب نهاية . خطط لها ودبر وعزم عليها في إصرار نادر وعزيمة قوية وجراة قلما توجد في إنسان فكان بعمله هذا فوق المصاعب وفوق المتاعب وفوق الأحداث لأنه استطاع أن يخلفها كلها وراءه بقتله نفسه وإزهاقه روحه .

ونقول : إن هذا التصرف السيء ليس من الشجاعة في شيء ولا يمت إليها بسبب من قريب أو من بعيد . وإنما كان هذا منه هو عين الجبن والخور والضعف والخذلان فقد ثبت ضعفه وخذلانه أمام بعض أحداث الزمن ونكبات الأيام مع أنها سنة الله في خلقه كما يقول سبحانه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾[٣٧] .

فما أن ضاق عليه رزقه وتقتر عليه دخله إلا هلع وفزع وضجر وسخط ، وما أن ابتلى بالمرض واختبر في العافية إلا ويئس وقنط مثيله في ذلك الزاني والسارق وشارب الخمر يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن** ... » أو كما قال ...[٣٨] .

تعاليم الإسلام : هادية منجية :

فلو كان عنده أدنى صلة بالله لأحسن الظن حتى آخر لحظة في حياته كما يأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - « **لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن** » .

ولو كان على قرب من تعاليم دينه لا نتفع بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول : « **لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه - فإن كان لابد فاعلا فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي** »[٣٩] .

بل ولو كان على مقتضى الفطرة التي فطره الله عليها يوم خلقه لكان منه بدل أن يورد نفسه موارد التهلكة ذليلة رخيصة هينة مطرودة من رحمة الله ، محرومة من الجنة ، مخلدة في النار أن يقدمها غالية عزيزة زكية لتحقيق هدف سام وغاية عليا في نصرة الدين أو تأييد حق أو حماية وطن أو دفاع عن مقدسات ، وحينئذ يكون موته حياة وحرمانه عطاء ونهايته جنة عرضها الأرض والسماء ويكون ضمن من وعدهم الله تعالى في قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[٤٠] .

وحتى لا نغتر بفعل طاعة ، ولا نقنط من رحمة بعد معصية نضع نصب أعيننا وأمام بصائرنا قوله - صلى الله عليه وسلم - : « **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها** »[٤١] .

---

(٣٧) سورة محمد آية ٣١ .
(٣٨) رواه البخاري ومسلم .
(٣٩) رواه البخاري ومسلم .
(٤٠) سورة البقرة آية ١٥٧ .
(٤١) رواه مسلم .

إكرام القادم إلى المجلس بالقيام

في ضوء سنة خير الأنام

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين .

وبعد .. فقد امر الله المؤمنين بالتفسح في المجالس فقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾(١) ، « فعلى المؤمن أن يوسع لأخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق عن مكانه وموضعه » (٢) . قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يجلس فيه » (٣) ، « وكان ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه » (٤) .

وهذه مبادىء عليا ، ومثل عظمى دعا إليها الإسلام ، وحث عليها سيد الأنام ، وإذا كانت توسعة المجلس أدباً رفيعاً من آداب الإسلام ،

للدكتور
عبد البصير خليفة حسن

فماذا عن إكرام القادم واستقباله بالقيام ؟ إنك في حياتك العملية واختلاط الناس ومعاملاتهم ، قد تصادف مَنْ نسب إليه رذيلة كِبْر أو سوء خلق ؛ لأنه اعتاد عدم القيام لمن يدخل عليه . كما قد تشاهد من تمعر وجهه وتصبب عرقه أو من ذهب مغاضباً وتألى حلفة ألا يدخل على فلان مجلسه لأنه لم يقم له ، كما قد ترى من يتقبل عدم القيام بقبول حسن ، ويحمله لصاحبه على محمل حسن .

و« بين يديك أيها القارىء الكريم » ..

وهذه توجيهات رسول رب العالمين ، « فلا يزال الناس على الطريقة ماتبعوا الأثر » (٥) .

---

(١) سورة المجادلة آية ١١ .

(٢) « تفسير القرطبي » ٩/٦٤٦٧ ، ط دار الشعب .

(٣) « البخاري » ، الاستئذان ـ لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ٦٢/١١ ، « مسلم » ، كتاب الأدب ـ تحريم إقامة الإنسان من موضعه ١٤/١٦٠ .

(٤) « البخاري » ، الاستئذان ـ لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ٦٢/١١ .

(٥) « الحلية لأبي نعيم » ٣/٣٠٠ ط دار الفكر ، جامع بيان العلم وفضله ص ٤٠٩ ط دار الكتب الإسلامية .

وقال مجاهد : « ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك ، إلا النبى – صلى الله عليه وسلم – » [6] . أسأل الله تعالى أن يعصمنى من ضلة الأفهام ، وزلة الأقلام ، وأن يجعل هذا خالصاً لوجهه الكريم .

أولاً : أحاديث أرشدت إلى القيام :

الحديث الأول : عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال : « لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إليه ، وكان قريباً فجاء على حمار ، فلما دنا قال النبى – صلى الله عليه وسلم – : قوموا إلى سيدكم » [7] .

الحديث الثانى : حديث كعب لما تخلف عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى غزوة تبوك ، وفيه : « لما بشرت بالتوبة انطلقت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتلقانى الناس فوجاً فوجا يهنئوننى بالتوبة يقولون : لتهنئك توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، فقام إلىَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى ، ما قام إلىَّ رجل من المهاجرين ، ولا أنساها لطلحة » [8] .

الحديث الثالث : عن عبدالله بن الزبير فى قصة إسلام عكرمة بن أبى جهل – رضى الله عنه – قال : فلما دنا من مكة قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه : « يأتى عليكم عكرمة بن أبى جهل مؤمناً مهاجراً ، فلما بلغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – استبشر ، ووثب له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قائماً على رجليه فرحاً بقدومه » [9] .

الحديث الرابع : روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة قال : « كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يجلس معنا فى المسجد يحدثنا ، فإذا قام قمنا قياما حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه ، فحدثنا يوماً فقمنا حين قام فنظرنا إلى أعرابى قد أدركه ، فجبذه بردائه فحمر رقبته ، قال أبو هريرة : وكان رداء خشناً ، فالتفت فقال له الأعرابى : أحمل لى على بعيرى هذين ، فإنك لا تحمل لى من مالك ولا من مال أبيك » [10] الحديث .

---

(٦) « المدخل للبيهقى » ص ١٩٤ ط دار الخلفاء للكتاب الإسلامى .

(٧) أخرجه « البخارى » ، الجهاد – باب إذا نزل العدو على حكم رجل ١٦٥/٦ ، مناقب الأنصار – مناقب سعد بن معاذ ١٢٣/٧ ، المغازى – مرجع النبى – صلى الله عليه وسلم – من الأحزاب ٤١١/٧ ، وفى الاستئذان – قول النبى – صلى الله عليه وسلم – : قوموا إلى سيدكم ٤٩/١١ من فتح البارى ط السلفية . مسلم فى الجهاد – إجلاء اليهود من الحجاز ٩٢/١٢ – ٩٣ بشرح النووى ط المطبعة المصرية ، أحمد ٧١/٣ .

(٨) « البخارى » ، « المغازى » – حديث كعب ١٣/٨ ، مسلم ، التوبة – حديث كعب ٧٨/١٧ – ١٠١ .

(٩) « الحاكم فى المستدرك » ، معرفة الصحابة – مناقب عكرمة ٢٤١/٣ ، المدخل إلى السنن الكبرى – باب ما يذكر فى القيام لأهل العلم ص ٣٩٨ ، واللفظ للبيهقى .

(١٠) أخرجه أبو داود ، الأدب – الحلم وأخلاق النبى – صلى الله عليه وسلم – ١٣٢/١٣ – ١٣٣ من نسخة عون المعبود ، وأخرجه النسائى ، القسامة – القود من الجبذة ٨ / ٣٣ – ٣٤ ، والبيهقى فى المدخل – باب مايذكر فى القيام لأهل العلم ص ٤٠١ ، قال الدارقطنى : تفرد به محمد بن هلال عن أبيه عن أبى هريرة فقال : ثقة ، وقال مرة : ليس به بأس ، قيل : وأبوه ؟ قال : لا أعرفه . وسئل أبو حاتم الرازى عن محمد بن هلال ، قال : صالح ، وأبوه ليس بالمشهور . « عون البارى » ١٣٣/١٣ – ١٣٤ فى أثناء التعليق على الحديث رقم ٤٧٥٥ .

♦ إكرام القادم إلى المجلس

الحديث الخامس : روى أبو داود بسنده عن عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان جالساً يوماً فأقبل أبوه من الرضاعة ، فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأجلسه بين يديه » (١١) .

الحديث السادس : روى الترمذى بسنده عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت : « ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت :

وكانت إذا دخلت على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قام إليها ، فقبلها وأجلسها فى مجلسه ، وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته فى مجلسها . فلما مرض النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخلت فاطمة فأكبت عليه فقبلته ، ثم رفعت رأسها فبكت ، ثم أكبت عليه ثم رفعت رأسها فضحكت ، فقلت : إن كنت لأظن أن هذه من أعقل نسائنا ، فإذا هى من النساء ، فلما توفى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قلت لها : أرأيت حين أكببت على النبى ـ صلى الله عليه وسلّم ـ ، فرفعت رأسك فبكيت ، ثم أكببت عليه فرفعت رأسك فضحكت ، ما حملك على ذلك ؟ قالت : إنى إذن لبذرة ، أخبرنى أنه ميت من وجعه هذا فبكيت ، ثم أخبرنى أنى أسرع أهله لحوقا به وذلك حين ضحكت » (١٢) . قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن عائشة .

ثانياً : أحاديث أرشدت إلى عدم القيام :

الحديث الأول : أخرج الترمذى عن أنس قال : « ما كان شخص فى الدنيا أحب إليهم رؤيته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلموا منه كراهيته لذلك » (١٣) .

الحديث الثانى : أخرج أبو داود بسنده عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال : « خرج علينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ متوكئاً على عصا ، فقمنا إليه فقال : لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ، يعظم بعضهم بعضا » (١٤) .

الحديث الثالث : أخرج أبو داود بسنده عن أبى مجلز ، قال : « دخل معاوية بيتاً فيه عبدالله

(١١) « أبو داود » ، الأدب ـ بر الوالدين ٥٤/١٤ من عون المعبود . قال المنذرى : هذا معضل عمر بن السائب يروى عن التابعين . انظر عون المعبود .

(١٢) « أبو داود » ، الأدب ـ باب القيام ١٢٨/١٤ ـ ١٢٩ ، الترمذى ـ المناقب ـ فضل فاطمة ٣٧٣/١٠ ـ ٣٧٤ ، الحاكم ، معرفة الصحابة ـ مناقب فاطمة ١٥٤/٣ ، وقال : على شرط الشيخين ، وصححه الذهبى .

(١٣) أخرجه الترمذى ، الأدب ـ كراهية قيام الرجل للرجل ٢٩/٨ ، وقال : حسن صحيح غريب .

(١٤) أخرجه أبو داود ، الأدب ـ الرجل يقوم للرجل يعظمه بذلك ١٤٣/١٤ ، وأخرجه ابن ماجه ، الدعاء ـ فضل الدعاء ١٢٦١/٢ ، وذكر الحافظ فى « الفتح » أن الطبرى أجاب عنه بأنه حديث ضعيف مضطرب السند ، فتح البارى ٥٠/١١ .

ابن الزبير وعبدالله بن عامر ، فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير ، فقال معاوية - رضى الله عنه - : اجلس يابن عامر ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » (١٥) .

آراء العلماء واستنباطاتهم من الأحاديث السابقة :

بعد أن ذكرت هذه الطائفة من أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث يدل بعضها على جواز القيام ، ويدل بعضها الآخر على منع القيام - يحسن بنا أن نقدم للقارىء نماذج من آراء العلماء فى هذه المسألة ، فأقول وبالله التوفيق :

ترجم البخارى فى الأدب المفرد ، فقال : « باب فى قيام الرجل لأخيه » (١٦) ، كما ترجم أبو داود : « باب القيام » (١٧) ، وكذا صنع البيهقى فى كتاب المدخل حيث بوب : « باب ما يذكر فى القيام لأهل العلم وغيرهم على وجه الإكرام » (١٨) ، ونقل قول الإمام مسلم فى تعقيبه على حديث « قوموا إلى سيدكم » : « لا أعلم فى قيام الرجل للرجل حديثاً أصح من هذا ، وهذا القيام على وجه البر ، لا على وجه التعظيم ، أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأنصار أن يقوموا إلى سيدهم » . أ هـ .

وقال الخطابى فى معالم السنن فى شرح حديث « قوموا إلى سيدكم » : « فيه من العلم أن قول الرجل لصاحبه : ياسيد غير محظور إذا كان صاحبه خَيرًا فاضلًا ، وإنما جاءت الكراهية فى تسويد الرجل الفاجر ، وفيه أن قيام المرء بين يدى الرئيس الفاضل ، والولى العادل ، وقيام المتعلم للعالم مستحب غير مكروه ، وإنما جاءت الكراهية فيمن كان بخلاف هذه الصفات » (١٩) .

وقال النووى فى الأذكار : « وأما إكرام الداخل بالقيام ، فالذى نختاره أنه مستحب لمن كان فيه فضيلة ظاهرة من علم أو صلاح او شرف أو ولاية ونحو ذلك ، ويكون هذا القيام للبر والإكرام والاحترام ، لا للرياء والإعظام ، وعلى هذا استمر عمل السلف والخلف » (٢٠) .

وقال البيهقى : « القيام على وجه البر والإكرام جائز ، كقيام الأنصار لسعد ، وطلحة لكعب ، ولا ينبغى لمن يقام له أن يعتقد استحقاقه لذلك ، حتى إن ترك القيام حنق عليه أو عاتبه أو شكاه ، قال أبو عبدالله : وضابط ذلك أن كل أمر ندب الشرع المكلف بالمشى إليه ، فتأخر حتى قدم المأمور لأجله ، فالقيام إليه يكون عوضاً عن المشى الذى فات » (٢١) .

وبوب الترمذى - رحمه الله - على حديث أنس فقال : باب فى كراهته قيام الرجل للرجل ، وترجم لحديث معاوية ، باب كراهية القيام للناس » (٢٢) .

(١٥) اخرجه ابو داود فى الأدب - قيام الرجل للرجل ١٤٢/١٤ ، واخرجه الترمذى ، الأدب - كراهية قيام الرجل للرجل ٣٠/٨ ، وقال : حسن .
(١٦) الأدب المفرد ص ٢٧٧ .
(١٧) سنن ابى داود ١٢٥/١٤ .
(١٨) « المدخل » للبيهقى ص ٣٩٨ .
(١٩) « معالم السنن » ١٥٥/٤ ط المكتبة العلمية .
(٢٠) « الاذكار » ص ٢٣٩ ط مكتبة جمهورية مصر العربية .
(٢١) « فتح البارى » ٥٢/١١ .
(٢٢) « سنن الترمذى » ٢٩/٨ من تحفة الأحوذى .

◆ إكرام القادم إلى المجلس

وقال ابن الحاج فى كتاب المدخل : « وينبغى للعالم أن يتحرز فى نفسه بالفعل ، وفيمن جالسه بالقول ، من هذه البدعة التى عمت بها البلوى ، وكثر وقوعها عند الصغير والكبير منا ، ممن يعرف العلم وممن لا يعرفه ، أعنى فى الأكثر إلا من وفقه الله ـ وقليل ما هم ـ وهو هذا القيام الذى اعتاد بعضنا لبعض فى المجالس والمحافل ؛ لأنه لم يكن من فعل من مضى ، والخير كله فى الاتباع لهم » (٢٣) .

وقال ابن الحاج فى المدخل أيضاً : « وقد وقع لمالك ـ رحمه الله تعالى ـ فى العتبية من (كتاب النكاح) أنه سئل عن الرجل تكون له المرأة الحريصة المبالغة فى تأدية حقه ، فإذا رأته داخلاً تلقته فأخذت عنه ثيابه ونزعت نعليه ، ولم تزل قائمة حتى يجلس ، فقال : أما تلقيها إياه ونزعها ثيابه ونعليه فلا أرى فى ذلك بأسا ، وأما قيامها فلا أرى ذلك ، ولا أرى أن تفعله ، هذا من التجبر والسلطان .

فقلت : والله ما ذلك شأنه ولا يشتهى هذه الحالة ، ولكنها تريد إكرامه وتوقيره وتأدية حقه ، وإنه لينهاها عن ذلك .

فقال لى : كيف استقامتها فى غير ذلك ؟

فقلت له : من أقوم الناس طريقة فى كل أمرها .

فقال : تؤدى حقه فى غير هذا ، وأما هذا فلا ارى أن تفعله ، إن هذا من فعل الجبابرة ، وبعض هؤلاء يكون الناس جلوساً ينتظرونه فإذا طلع عليهم قاموا له حتى يجلس ، فلا خير فى هذا ولا أحبه ، وليس هذا من أمر الإسلام ، فأرى أن تدع هذا وتؤدى حقه فى غير ذلك ، وليس هذا من الذى اخبر الله تعالى عنه : ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (٢٤) .

قال عمر بن الخطاب للدابة التى ركب : ما نزلت عنها حتى تغيرت ، قال مالك : ولعمر فضله » (٢٥) ا . هـ .

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ فى شرحه لقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾(٢٦) . « وقد اختلف الفقهاء فى جواز القيام للوارد إذا جاء ، على أقوال : فمنهم من رخص فى ذلك محتجاً بحديث « قوموا إلى سيدكم » ، ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث : (من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار) . ومنهم من فصل فقال : يجوز عند القدوم من سفر ، وللحاكم فى محل ولايته ، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ ، فإنه لما استقدمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حاكماً فى بنى قريظة فرآه مقبلاً ، قال للمسلمين : قوموا إلى سيدكم ، وما ذلك إلا ليكون انفذ لحكمه ، والله أعلم ، فأما اتخاذه ديدنا فإنه من شعار العجم » (٢٧) .

وقال الغزالى فى الإحياء :

« القيام مكروه على سبيل الإعظام لا على سبيل الإكرام » . ا . هـ (٢٨) .

---

(٢٣) انظر : « المدخل » لابن الحاج ١/١٥٨ .

(٢٤) سورة النمل آية ٤٠ .

(٢٥) « المدخل » لابن الحاج ١/١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٢٦) سورة المجادلة آية ١١ .

(٢٧) « تفسير ابن كثير » ٤/٣٢٥ .

(٢٨) « إحياء علوم الدين » ٦/١٠٠٨ ط دار الشعب .

قال الحافظ فى الفتح : « وهو تفصيل حسن » [٢٩] .

وقال ابن رشد فى البيان والتحصيل : « القيام للرجل على أربعة أوجه : وجه يكون القيام فيه محظوراً ، ووجه يكون فيه مكروها ، ووجه يكون فيه جائزاً ، ووجه يكون فيه حسناً ، فأما الوجه الذى يكون فيه محظوراً لا يحل ، فهو أن يقوم إكباراً وتعظيماً لمن يجب أن يقام إليه تكبراً وتجبراً على القائمين إليه . وأما الوجه الذى يكون القيام فيه مكروهاً ، فهو أن يقوم إكباراً وتعظيماً وإجلالاً لمن لا يحب أن يقام إليه ولا يتكبر على القائمين إليه ، فهذا يكره للتشبه بفعل الجبابرة ، وما يخشى أن يدخله من تغيير نفس المقوم إليه ، وأما الوجه الذى يكون القيام فيه جائزاً ، فهو أن يقوم تجلة وإكباراً لمن لا يريد ذلك ولا يشبه حاله حال الجبابرة ، ويؤمن أن تتغير نفس المقوم إليه لذلك ، وهذه صفة معدومة إلا من كان بالنبوة معصوماً ؛ لأنه إذا تغيرت نفس عمر ـ رضى الله عنه ـ بالدابة التى ركب عليها فمن سواه بذلك أحرى . وأما الوجه الذى يكون القيام فيه حسناً فهو أن يقوم الرجل إلى القادم عليه من سفر فرحاً بقدومه ليسلم عليه ، أو إلى القادم عليه مصاب بمصيبة ليعزيه بمصابه ، وما أشبه ذلك ، فعلى هذا يتخرج ما ورد فى هذا الباب من الآثار ولا يتعارض شىء منها » [٣٠] .

وبعد ماعرضناه لبعض أحاديث جواز القيام للقادم للمجلس وبعض أحاديث المنع ، وبيان استنباطات العلماء ، ومناقشتهم لأحاديث المنع والجواز نقول : إن تفصيل ابن رشد ـ رحمه الله ـ المذكور فى هذه المسألة هو أسلم طريق للجمع ، وبه يحصل التوفيق بين هذه الأحاديث التى فى ظاهرها التعارض ، فتحمل أحاديث الجواز على حالات معينة ، وأحاديث المنع على مواقف أخرى اقتضت ذلك .

وإذن فالمنع ليس على وجه الإطلاق والإباحة ليست كذلك ، وبهذا المسلك الحسن تلتقى وجهة نظر العلماء وتجتمع كلمة الفقهاء ، والله أعلم ، وبالله التوفيق ..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

(٢٩) « فتح البارى » ١١/٥٤ .

(٣٠) انظر : المدخل لابن الحاج ١/١٦٨ .

موقف المسلمين في يوغوسلافيا

من حوادثها الجارية

للأستاذ/ توفيق إسلام يحيى

ذكرنا في المقال السابق ان الصربيين في شهر مارس من العلم الماضى وضعوا دستوراً جديداً ، قضوا من خلاله على الحكم الذاتى من غير موافقة رياسة الاتحاد اليوغوسلافى ، وهى القناة الشرعية الوحيدة لكل تغيير يراد إيجاده . زعيم الصرب الشيوعى بدا التحرش بالمسلمين الالبانيين في النصف الثانى من العلم الثامن والثمانين بدرجات متفاوتة[1] . وكان يبلغ هذا التحرش في بعض الأيام إلى درجة استخدام الأسلحة الخفيفة والثقيلة البرية والجوية ضد الألبانيين المسلمين العزل من السلاح إلا سلاح الإيمان بحقهم في ان يعيشوا كما تعيش الشعوب التى تتكون يوغوسلافيا منها ، وقرارات الرياسة العامة تعطيهم هذا الحق . وكان زعيم الصرب الشيوعى يدعى ـ لتبرير موقفه من المسلمين الألبانيين ـ ان المسلمين الألبانيين يعتدون على الصرب الموجودين في « كوسوفو » ، واكبر دليل على عدم صحة هذا الادعاء عدم حدوث شيء من ذلك في اثناء حكم « تيتو » الذى كان يعامل جميع الشعوب بنسب متساوية ، بعد صدور الدستور الجديد بدا يزداد هذا التحرش يوما بعد يوم إلى ان وصل إلى الذروة في اليوم الثانى من يوليه علم ١٩٩٠ م . وهو اليوم الذى يسميه المسلمون الألبانيون يوم « المأساة الكبرى » .

---

(١) راجع تفصيل ذلك بمجلة الأزهر الغراء عددى رمضان وشوال سنة ١٤٠٩ هـ ص ٩٨٩ وص ١١١٠ ومابعدهما .

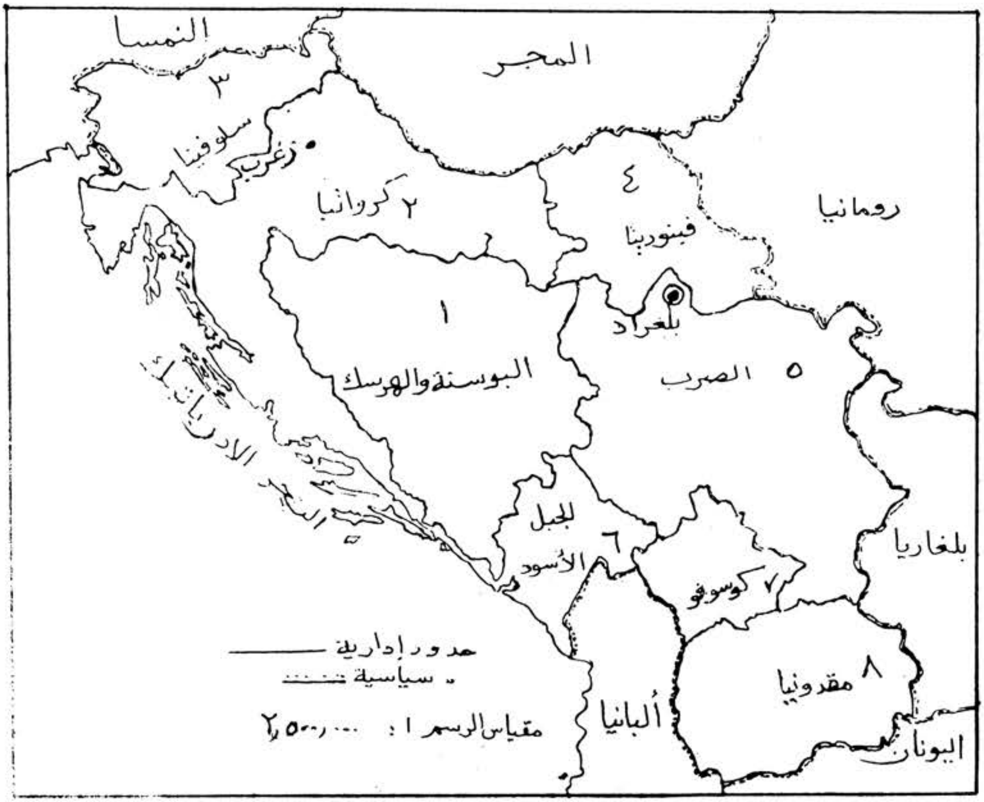

الجمهوريات اليوغوسلافية

يوم « المأساة الكبرى »

المتتبع لأحوال المسلمين فى يوغوسلافيا يرى العجب العجاب ، يقضى على حريات وكيان المسلمين فى « كوسوفو » والشرق ساكت هادىء . ويتحرش الصربيون بسكان « سلووينيا » و « كرواتيا » والغرب هادر صاخب ، ياللعجب !!

فى يوم الاثنين الثانى من يوليه ١٩٩٠ م ـ وهو يوم وقفة عيد الأضحى المبارك فتح أريج عيد الأضحى المبارك باب دار كل مسلم فى الدنيا فعطرها بأفخر أنواع الروائح الزكية وملأها بالفرح والأنس والمحبة . أما المسلمون فى « كوسوفو » فقد اقتحمت المأساة الكبرى باب دار كل مسلم فملأتها بالآلام والفواجع والدموع . وزاد بلواهم أن إخوانهم المسلمين غير عابئين بالنكبة التى أصابتهم فى هذا اليوم الحالك السواد بالنسبة لهم ، كأنهم لم يسمعوا قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »(٢) . صدقت

(٢) رواه مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب .

موقف المسلمين فى يوغوسلافيا

يارسول الله فيما قلت ولكن أين الآذان الصاغية ؟

ماذا حدث فى هذا اليوم الحالك السواد ؟

فى هذا اليوم بلغ النزاع الذى بدأ بعد رحيل « تيتو » والمسلح أحيانا بين الجمهورية الصربية الطامعة فى التهام إقليم « كوسوفو » وجعله تحت حكمها المباشر مستخدمة أسلحتها البرية والجوية/ وبين شعب « كوسوفو » الأعزل من السلاح ، فى هذا اليوم بلغ هذا النزاع آخر المدى ؛ يكون الشعب أو لا يكون . لذلك عقد نواب الشعب فى هذا اليوم جلسة لتقرير المصير . وبعد تداول الكلمات وتبادل الآراء اتفقوا جميعا على رأى واحد هو الاستقلال وإنشاء الجمهورية السابعة التى لايمنع قيامها القانون الأساسى للاتحاد اليوغوسلافى إذا كان ذلك باختيار الشعب ، ووضعوا الصيغة التاريخية للقرار النهائى تمهيدا لإعلانه رسميا . وصلت أخبار ما يدور فى الجلسة عن طريق أجهزة التصنت الحديثة إلى القيادة الصربية فأمرت الجيش بحصار البرلمان وطرد نواب الشعب وإغلاقه وفى الوقت الذى وقف رئيس الجلسة لإعلان قرار نواب الشعب رسميا . فى هذا الوقت اقتحمت الجيوش الصربية البرلمان وطردوا نواب الشعب ومزقوا المستندات والأوراق الموجودة . وألغوا الحكم الذاتى ، وقبضوا على الحاكم العام . وعلى رئيس الوزراء والوزراء ، واقتحموا المنازل يعتقلون الشبان والمثقفين ، ويدمرون ما يقع تحت أعينهم ، وأما سلب ما غلا ثمنه وخف حمله فحدِّث عنه ولاحرج ، وأغلقوا فى نفس الليلة ـ ليلة وقفة عرفات ـ وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ، ووضعوا « كوسوفو » تحت حكمهم المباشر ، وأحلوا الصربيين محل الألبانيين فى جميع الوظائف الإدارية . هكذا قضى مسلمو « كوسوفو » ليلة عيد الأضحى المبارك وأيامه فى مأساة موجعة أليمة تفتت الأكباد .

هاجت مؤسسات الغرب مستنكرة ما حدث فى إقليم « كوسوفو » ، ولو شاركت المؤسسات الإسلامية فى هذا الاستنكار بصورة ما ـ علما بأن مأساة الخليج لم تكن وقعت ـ لتقهقرت الجمهورية الصربية متعللة بأية حجة حفاظا على ماء وجهها . لكن سكوت الشرق وهدوءه رغم هدير الغرب وصخبه جعل زعيم الصرب الشيوعى يظن أن العالم الإسلامى غير مبال بما حدث ، والعالم الغربى وإن كان صاخبا يمكنه التفاهم معه بحجة أنه يحمى الغرب من هجمات المسلمين .

زعيم الصرب الشيوعى إنما يخدع نفسه لأن الجيش الصربى لم يستطع أن يحمى الغرب من العثمانيين الذين اكتسحوا ـ بعد معركة « كوسوفو » بقرن تقريبا ـ الصرب والبوسنة والهرسك والمجر[3] إلى أن وصلوا إلى فيينا . وإذا كان زعيم الصرب الشيوعى لم يقرأ التاريخ فليسأل مستشاريه قبل أن يقول كلاما يتفاكه به الغربيون ويتمازحون .

زعيم الصرب الشيوعى يعلن الحرب على الإسلام

قال هذا الزعيم فى العام الماضى : « إننا قد بدأنا الجولة الثانية من معركة « كوسوفو » ضد

---

(٣) يذكر التاريخ أن العثمانيين استولوا على المجر سنة ١٥٢٦ بعد المعركة المعروفة بـ « موهكز » ، وكانت معركة فاصلة قتل فيها ملك المجر « لويس الثانى » ، فأقام السلطان سليمان القانونى على البلاد ملكاً من أهلها هو الملك « جان زابولى » ، ولم يعين على البلاد ملكاً من أبنائه أو إخوته كما كان يفعل ملوك أوروبا .

المسلمين » . ولما كانت هذه العبارة قاصرة عن الإفصاح عن المعنى الذى يقصده صاحبها تولى أحد أعضاء النهضة الصربية تفسير عبارته وإفصاح ما يقصده فقال : إن الصراع فى « كوسوفو » ليس بين الصرب والألبان . وإنما بين الإسلام والمسيحية . بهذا التفسير يتضح جليا مايقصده الزعيم الشيوعى بعبارته السابقة وهو إعلان الحرب على الإسلام .

ونحن بدورنا نطمئن هذا الزعيم بأن القضاء على الإسلام عاجلا أو آجلا أمر مستحيل . وإذا كان يجهل ذلك لقلة بضاعته فى التاريخ فليسأل مستشاريه المؤرخين ليبينوا له أن من كان أعظم منه شأنا وأقوى نفوذاً وأشد خطرا ـ وهو فرديناند الأسبانى ـ عجز عن القضاء على الإسلام وعلى الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية بل ظهر الإسلام والفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية بصورة أجلى فى مناطق أخرى بدخول التتار فى الإسلام ، واشتداد عروة الدولة العثمانية التى استولت على البلقان وأخضعت المجر ووصلت إلى عاصمة النمسا بعد مائة وثلاثين عاما من فشل فرديناند الأسبانى من تحقيق طموحاته ، لأن الإسلام سيبقى شامخا فى العلو شموخ قمة « أفرست » راسخا فى القاعدة رسوخ جبال هيمالايا إلى أن تقوم القيامة ، لأن الله سبحانه وتعالى .. أخبرنا بذلك حيث قال فى كتابه الكريم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٤)
وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ .
« التوبة ـ ٣٣ ـ والصف ٩ »

زعيم الصرب الشيوعى بدأ يعتدى على شيوخ الإسلام فى « كوسوفو »

زعيم الصرب الشيوعى حينما أعلن الحرب على الإسلام كان قاصداً مايعنى بدليل أنه طلب من اتباعه التحرش بعلماء الإسلام الأجلاء والاعتداء عليهم من غير أن يتدبر ما يمكن أن يترتب على هذا الاعتداء من عواقب وخيمة بسبب جرح مشاعر وأحاسيس مليار مسلم فى العالم . ومهما كان من أمرهم ، وخلافاتهم مع بعضهم فلهم دون شك مكانتهم وكلمتهم لدى المؤسسات العالمية المختلفة ، والمحافل الدولية السياسية .

العلماء الذين اعْتُدِىَ عليهم

١ ـ الشيخ انور رجبى من ائمة مدينة « جيلانى » قبضوا عليه لأنه حينما خرج من مسجده وجد حشوداً من الألبانيين يتظاهرون ضد طغيان الصرب فاشترك مع المتظاهرين للدفاع عن حقوق الألبانيين وكيانهم ومؤسساتهم الدينية والسياسية والإدارية . قبضوا عليه وقدموه أمام محكمة صورية حكمت عليه بالسجن ، وبعد أن قضى فى السجن عاما كاملا افرجوا عنه وطردوه من الوظيفة .

٢ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ رجب بويا ـ ابن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تلقى بها العلوم إلى أن نال درجة الدكتوراه ـ وهو الآن يتولى رياسة المشيخة الإسلامية والإفتاء بإقليم « كوسوفو » اعتدى عليه أتباع زعيم الصرب الشيوعى وعلى زوجته وأولاده قبل أسابيع فى أثناء عودته إلى العاصمة « برشتنه » عقب الإجازة الأسبوعية . وأُذكِّر رئيس وأساتذة وطلاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ـ بالاعتداء على أحد أبنائها وهو يتقلد أعلى منصب دينى فى « كوسوفو » .

٣ ـ الشيخ عبد الله إسماعيل إمام مسجد الحميدية كان عائدا إلى منزله بإحدى ضواحى العاصمة « برشتنه » فأحاطت بسيارته القوات

---

(٤) الآية ٩ من سورة الحجر .

موقف المسلمين فى يوغوسلافيا

الصربية بحجة التفتيش ، ثم أخذوا يضايقونه بالفاظ .. ثم تحولت المضايقة إلى ضرب مبرح لدرجة أنه لم يستطع الوقوف ليركب سيارته ، فحُمِلَ إلى منزله ولزم فراشه اسبوعين . ولم يسترد نشاطه كاملا إلا بعد شهر . وإن لم تتخذ المؤسسات الإسلامية موقفا حازما فإن الخرق قد يتسع .

الإسلام دين الحرية والهداية والتراحم لا دين العنف والإكراه والتلاحم

الإسلام الذى أعلن زعيم الصرب الشيوعى الحرب عليه هو دين الله الواحد الأحد ، مالك الكون كله ، لو عرفه زعيم الصرب الشيوعى على حقيقته لما حاربه ، بل قدره . ولو رفض قبوله . التتار حاربوا الإسلام حربا شعواء . ولما عرفوه على حقيقته أسرعوا ـ كبارهم وصغارهم . رجالهم ونساؤهم ـ إلى اعتناقه مختارين ، وعملهم هذا أكبر دليل على صدق قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾(٥) . وحقيقة الإسلام متشعبه الجوانب أحاول أن أذكر بعضا منها باختصار غير مخل فأقول:

أولاً : الإسلام دين الحرية ، وقد جعل الإسلام لها مكانة عليا فى الحياة . ودليل ذلك لو أن مسلما تقدم إلى القاضى وادعى أن اللقيط الموجود عنده هو عبده ، وتقدم ذمى مدعيا أنه ابنه حكم القاضى بثبوت نسبه من الذمى(٦) وسلمه له وكان حراً . ولو حكم به للمسلم لكان عبداً وربما بقى عبداً طول حياته .

هكذا ملكت الشريعة الإسلامية لهذا اللقيط شرف الحرية التى لا يستطيع أن ينالها بنفسه ، لأنها بيد سيده أما شرف الإسلام فإنه يستطيع أن يناله باختياره عند بلوغه رغم أنف سيده .

ثانياً : الإسلام دين الهداية إلى الصراط المستقيم ، الله عز وجل هو الذى خلق الإنسان وهو أعلم بأحواله وبما هو فى حاجة إليه لينجح فى حياته من الإنسان نفسه لذلك أرسل إليه رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليهديه إلى الصراط المستقيم ، ويبين له المنهج الإلهى الذى يسير عليه فى عمله ليسعد فى دنياه وآخرته .

ثالثا : الإسلام دين التراحم حيث قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾(٧) . وقال عز من قائل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾(٨) .. وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء »(٩) . الدين وحده هو الذى يملأ القلب بالرحمة والألفة والمودة والحب .

رابعا : الإسلام ليس دين العنف كما يدعى الجاحدون بل هو دين الرفق واللين واللطف والصفح والعفو قال الله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾(١٠) . وليس فوق هذا اللطف لطف بين الناس أبدا .

خامسا : الإسلام ليس دين الإكراه ، بل هو دين الحرية كما سبق ذكره . وإذا دار الأمر بين الحرية والدين فالإسلام يملك الإنسان الحرية لأنها بيد سيده لابيده . أما الإسلام فإنه

(٥) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

(٦) راجع الجزء الرابع من شرح الزيلعى على الكنز ص ٣٣٤ .

(٧) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

(٨) الآية ١٠ من سورة الحجرات .

(٩) رواه الترمذى فى أبواب البر والصلة .

(١٠) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف .

يستطيع اعتناقه باختياره عند بلوغه لأنه بيده لا بيد سيده . ولا يذكر التاريخ الصادق أن شخصا ما أكره على اعتناق الإسلام . وإذا وجد فى التاريخ شيء من ذلك فهو من افتراءات الحاقدين على الإسلام .

سادسا : الإسلام ليس دين التلاحم والقتال إلا فى حالتين اثنتين كلتاهما تعتبر حالة دفاع شرعى عن النفس والدفاع عن النفس مشروع من لدن آدم « عليه السلام » إلى قيام الساعة .

الحالة الأولى : الدفاع عن الدعاة والمبلغين الذين يأمرهم الإسلام بأن يدعوا بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويأمرهم بالصبر على العنت الذى قد يلقونه ، ويأمرهم بغض الطرف عما يسمعون من عبارات غير لائقة ولا يردون عليهم بمثلها . والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوبل من بعض المشركين بألفاظ نابية ، منها الإجرام ، والله ـ عز وجل ـ أمره أن يرد عليهم رداً مثالياً فى الأدب وحسن الخلق والحوار حيث قال له : ﴿ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(١١)

وفى حالة الاعتداء على الدعاة ومنعهم من نشر الدعوة أذن الإسلام للمسلمين أن يحاربوا المعتدين للدفاع عن الدعاة الذين أمرهم الإسلام بنشر الدعوة بين الناس جميعاً .

الحالة الثانية : إذا اعتدى على المسلمين فى أرواحهم أو أعراضهم أو أموالهم أو أرضهم ، أذن الإسلام للمسلمين أن يحاربوا المعتدين ويردوهم إلى ديارهم . والآيات القرآنية الكريمة كلها تفيد هذا المعنى . واكتفى بذكر آية واحدة منها وهى قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(١٢) . هذه الآية الكريمة تأمر المسلمين بأن يصنعوا كل أنواع الأسلحة بالغة مابلغت قيمتها لأنها للدفاع عن النفس والعرض والمال .. الخ ، وما كان كذلك كان فى سبيل الله ، ولهذا يرد الله ـ عز وجل ـ إليهم ما أنفقوه ، ولا يظلمهم أحد لأنهم ـ بما عندهم من أسلحة فتاكة صنعوها بأمر الله ـ تعالى ـ لهم ـ أقويـاء يرهبهم أعـداؤهم فلا يفكرون فى الاعتداء عليهم ، وبفضل قوتهم يعيشون فى أمان ، ويسلمون من ظلم أعدائهم .

هكذا تحدث القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً عن نظرية « السلم المسلـح » .. الإسلام لا يحارب لإراقة الدماء ، وإنما يحارب لحفظ كيانه وحماية معتنقيه ، وإذا اعتدى عليهم أوجب على المسلمين جميعاً ـ لأنهم كمثل الجسد الواحد ـ أن يهبوا لرد المعتدين كما حصل فى الحروب الصليبية التى تحركت جحافلها من أوروبا ومعها ملوكها وأمراؤها إلى الشرق لمحاربة المسلمين فى عقر دارهم .

بعد هذا البيان الوجيز الواضح لا ينبغى لزعيم الصرب وأعوانه أن يدعوا أن الإسلام دين إراقة الدماء . أما القتال الذى يدور بين المسلمين فى بعض الفترات فهو كالقتال الدائر بين الانجليز والأيرلنديين ، وكلهم مسيحيون ، وكالقتال الدائر بين الصربيين والكرواتيين وكلهم مسيحيون .

---

(١١) الآية ٢٥ من سورة سبأ .

(١٢) الآية ٦٠ من سورة الأنفال .

حول شهادات الاستثمار

بقلم المستشار الدكتور
أحمد محمد إبراهيم

نشرت الصحف المصرية يوم الجمعة ١٩٨٩/٩/٨ البيان الذى أصدره الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية عن الحكم الشرعى لعائد شهادات الاستثمار . وجاء فى ختام البيان :

وعما قريب ـ بإذن الله ـ سنتحدث ، بعد الرجوع إلى الخبراء من الاقتصاديين والفقهاء ، عن جوانب اخرى من المعاملات التى تجرى فى البنوك والمصارف ، فإنها متعددة المسالك ، متنوعة المقاصد .

ووفاء بهذا الوعد اصدر المفتى كتابه عن (معاملات البنوك وأحكامها الشرعية) وقال فى اوله : ايها القارىء الكريم ، إذا كان لك رأى او تعليق على هذا الكتاب فارجو أن تبعث به إلى المؤلف .

واستجابة منى لما طلبه المفتى أعددت هذا التعليق على الكتاب ، ولئن كان المفتى قد طلب أن يرسل الرأى أو التعليق إليه على (دار الإفتاء المصرية) ، غير أنى آثرت نشر تعليقى على الكتاب ليكون تحت نظر من يهتمون بالموضوع ، لعلهم يجدون فيه نفعا أو يصححون فيه خطأ .

وأبادر إلى إيضاح **أن هذا التعليق يقتصر على مناقشة آراء وأقوال جاءت بالكتاب رأيتها جديرة بالمناقشة ، ولا ينصب بصفة أساسية على حكم عائد المعاملات التى بحثها المفتى** فقد نشر الكثير عن ذلك .

ومن آخر ما نشر فى هذا الشأن ـ فيما أعلم ـ فتوى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر التى جاء فيها .

إن من الربا المحرم شرعا ان تاخذ وزارة التموين من الجمعية التعاونية الإسلامية بمحافظة الجيزة فائدة ٦٪ عن قرض مقداره مائة الف من الجنيهات منحته الوزارة للجمعية لتشغيلها فى تمويل المواد الغذائية التى تعمل فيها الجمعية ؛ لأن ذلك مما يدخل فى نطاق القروض بفائدة مشروطة محددة فتكون عقداً اشتمل على الربا فصار محرما . كما ان القول بانه لا ربا بين المصالح الحكومية ؛ لأن الحكومة تقرض الحكومة غير صحيح ، لأن القرض بفائدة مشروطة محددة مقدما يدخل فى معنى الربا شرعا وقانونا . والربا والتعامل به محرم فى الإسلام بين الأفراد والجماعات والدول . ولم يرد فى النصوص الشرعية استثناء طائفة من الناس او الحكومة او مصلحة من مصالحها أو

هيئاتها من سريان تحريم التعامل بالربا .
(مجلة الأزهر : عدد ذى الحجة ١٤١٠ هـ يوليو ١٩٩٠ م) .

كما شكلت فى كلية الشريعة والقانون لجنة من علماء المذاهب الثلاثة : الشافعى والمالكى والحنفى - بناء على طلب مجلس جامعة الأزهر - لبيان الحكم الشرعى فى شهادة الاستثمار ذات العائد المجموعة (ب) التى أودعها السيد المستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى بالبنك الأهلى المصرى ، على أن تكون وقفا لصالح مركز إعاقة الطفولة بجامعة الأزهر ينتفع بعائدها - ودرست اللجنة طبيعة هذه الشهادة فى ضوء مبادىء الشريعة الإسلامية وقواعدها ، ورأت بالإجماع : أن هذه الشهادة لا يتفق التعامل بها مع مبادىء الشريعة وقواعدها ، ويتضح ذلك من دراسة طبيعتها ، فهى عبارة عن صك يتم شراؤه بقيمة محددة ، ويلتزم البنك بأن يدفع للمشترى فائدة سنوية أو نصف سنوية ، تحدد هذه الفائدة مقدما عند الشراء ، ولمدة سريان الصك مودعا بالبنك ، كما يلتزم البنك بإرجاع قيمة الشهادة كاملة عند انتهاء مدتها ، وليس لذلك علاقة بأعمال البنك من ربح أو خسارة . فتبين للجنة من دراسة طبيعتها أنها تمثل قرضا جر نفعا . والقاعدة الشرعية : أن كل قرض جر نفعا يكون ربا ، والربا محرم فيكون التعامل بها محرما . وليست من القراض المشروع ؛ لأن الفائدة المقدرة فيها ليست جزءاً من الربح ، وإنما هى تعطى سواء ربح المال أم خسر أو لم يربح شيئا ، أما القراض المشروع فالجزء المقدر المشترط إنما يكون جزءا نسبيا من الربح ..

ويرفع هذه الدراسة إلى فضيلة الأستاذ الدكتور مدير الجامعة كتب يقول : إنه لا خلاف فى حرمة هذه المعاملة ، لكننا نريد الرأى فى أن المتبرع اتخذ هذه الوسيلة ، وتم التسجيل والكتابة بأنها وقف لا تباع ، فهل نقبل العائد المخصص للأطفال المعاقين خاصة اليتامى منهم أم لا ؟ مع العلم بأن قبول العائد يخلعه من الإثم .

وتدارست اللجنة السابقة التى رأت حرمة هذا العائد ، وجهة النظر هذه وانتهت إلى القول بأن وجهة النظر المذكورة غير سليمة ، ولا يصح أن يبنى عليها قبول التبرع . والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل . (مجلة الأزهر - عدد شعبان ١٤١١ هـ فبراير - مارس ١٩٩١ م) .

وانتقل الآن إلى التعقيب على أهم ما رأيته جديرا بذلك فى كتاب المفتى .

اولا : التحريف فى الفتوى :

تضمن كتاب المفتى البيان الذى نشرته الصحف يوم ١٩٨٩/٩/٨ ووصف فى الكتاب بأنه فتوى صدرت عن دار الإفتاء فى ١٩٨٩/٩/٦ . ولاشك فى أن هذه الفتوى سجلت فى سجلات دار الإفتاء بالنص الذى نشر فى الصحف .. وتعد على هذا الأساس وثيقة رسمية لا يجوز إجراء اى تغيير فيها . وإذا جاز الاستشهاد بشق مما جاء بالفتوى ، فإنه لا يجوز التعديل فيها بالحذف أو بالإضافة إذا أريد نشرها كاملة . ويصبح التعديل فيها تحريفا لها إذا شمل آراء كانت محل مناقشة وتفنيدا ممن اعترضوا على الفتوى ، ونشرت اعتراضاتهم فى بعض الصحف أو المجلات أو الكتب .

وإذا رجعنا إلى نص الفتوى كما نشرت فى الكتاب ، نجد أن المفتى قد حذف أجزاء منها دون أن يشير إلى ذلك أو ينبه إليه . وقد كان عليه - إن عنت له ملاحظات على فتواه - أن يذكر

حـــول شهــادات الاستثمـــار

ذلك فى هوامش الكتاب أو عقب نشر الفتوى ، أما حذف أجزاء منها ، فهو أمر لا يمكن قبوله . ويزداد الأمر خطورة إذا جَهَّلَ المفتى هذا الحذف ولم يشر إليه .

لقد تضمن البيان ـ أو الفتوى ـ كما نشر فى الصحف نص الأسئلة التى وجهها المفتى إلى رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى المصرى ، والإجابة عنها . وكان نص السؤال الأخير هو :

هل شهادات الاستثمار تعتبر قرضاً أو وديعة أذِنَ صاحبها باستثمار قيمتها ؟

وكان نص الإجابة :

شهادات الاستثمار تعتبر وديعة أَذِنَ صاحبها باستثمار قيمتها .

وخلا الكتاب من هذا السؤال والإجابة عنه .

كما جاء فى البيان الذى نشر فى الصحف : وقد يسأل سائل فيقول : وما رأى دار الإفتاء المصرية فى شأن التعامل فى شهادات الاستثمار ، وفى شأن التعامل فى أرباحها بعد هذا العرض الطويل ؟

« والجواب : **إن دار الإفتاء قد اقترحت على المسئولين بالبنك الأهلى أن يتخذوا الإجراءات اللازمة لتسمية عائد الأرباح التى تعطى لأصحاب شهادات الاستثمار بالعائد الاستثمارى أو بالربح الاستثمارى . وان يحذفوا كلمة « فائدة » لارتباطها فى الأذهان بشبهة الربا ، مع اعترافنا بان العبرة فى المعاملات بحقيقتها وليست بالفاظها واسمائها » .**

« وأن ينشئوا شهادة رابعة يسمونها بالشهادة ذات العائد المتغير ، أو غير الثابت ولا ينص فيها مقدما على ربح معين ، وإنما تخضع الأرباح فيها للزيادة والنقص ، وبذلك يكونون قد فتحوا الأبواب أمام جميع المعاملات التى تطمئن النفوس إلى سلامتها . وقد أبدى المسئولون عن هذه الشهادات ـ مشكورين ـ ارتياحهم لهذين الاقتراحين ووعدوا بتنفيذهما فى اقرب وقت » .

« وبناء على ما سبق فإن دار الإفتاء المصرية ، ترى أن المعاملات فى شهادات الاستثمار وفيما يشبهها كصناديق التوفير جائزة شرعا . وأن أرباحها كذلك حلال وجائزة شرعا » .

واقتصر الكتاب على إيراد ما يأتى :

« وقد يسأل سائل فيقول : وما رأى دار الإفتاء المصرية فى شأن التعامل فى شهادات الاستثمار ، وفى شأن أرباحها بعد هذا العرض الطويل .

والجواب : إن دار الإفتاء المصرية ، بناء على ما سبق من آراء ، ترى : **أن المعاملات فى شهادات الاستثمار ، وفيما يشبهها كصناديق التوفير ، جائزة شرعا . وأن أرباحها كذلك حلال جائزة شرعا .**

وجاء فى الفتوى أيضا ـ كما نشرت فى الصحف .

« ومن كل ما سبق يتبين لنا أن الدافع لإنشاء شهادات الاستثمار ـ كما جاء فى خطاب السيد رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى ـ هو حاجة الدولة إلى المال لتمويل خطة التنمية لدعم الوعى الإدخارى ، وأن الدولة هى التى تقوم بدفع الأرباح لأصحاب هذه الشهادات . **وأن شهادات الاستثمار تعتبر وديعة أذن صاحبها باستثمار قيمتها . وليست قرضا منه للبنك » .**

ولما نشرت الفتوى فى الكتاب حذف منها « وأن شهادات الاستثمار تعتبر وديعة أذن صاحبها باستثمار قيمتها وليست قرضا منه للبنك » .

اسباب الحذف فى الفتوى :

وانى اعتقد ان حذف ما حذف من الفتوى يرجع إلى ما يأتى :

١ - هوجم المفتى بسبب توجيه السؤال الرابع إلى مجلس إدارة البنك الأهلى ؛ لأنه يستفسر منه عن تكييف شهادات الاستثمار ، وهل هى قرض أو وديعة أذن صاحبها باستثمار قيمتها ، مع أن تكييف المعاملة هو من صميم اختصاص المفتى ، ومن الواجب عليه أن يقوم بذلك ، وكل ما يحق له أن يطلبه من رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى هو **بيان وقائع المعاملة وعناصرها** ليتولى هو تكييفها فى ضوء ذلك - وقد أدى حذف السؤال والإجابة عنه إلى حذف ما جاء متعلقا به فى الفتوى وهو قول المفتى : إن شهادات الاستثمار كما جاء فى خطاب السيد رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى .. تعتبر وديعة أذن صاحبها باستثمار قيمتها وليست قرضا منه للبنك .

٢ - كانت الصيغة التى وجه بها السؤال لرئيس مجلس إدارة البنك الأهلى موضع استنكار من الناحية الفقهية ، ومما قيل فى ذلك :

« **اغرب سؤال للمفتى ، يشهد ببعده عن** الفقه ، ومعانيه ، وآفاقه ، وأعماقه ، ومضامينه ومراميه ، يقول المفتى : هل شهادات الاستثمار تعتبر قرضا ؟ أو هى وديعة أذن صاحبها باستثمار قيمتها ؟ يافقهاء هذا الزمان ، أرجو أن تفسروا لى سؤال المفتى هذا ، فإن مآل السؤال وتفسيره ، وعاقبته ، أنه يشبه القول الآتى : هل شهادات الاستثمار تعتبر قرضا أو تعتبر قرضا : ولا تندهش أيها القارىء ، لأن الوديعة التى أذن صاحبها باستثمار قيمتها لا تخرج عن أنها قرض » .

٣ - قال المفتى فى كتابه : إن « ما يسميه الناس بالوديعة الاستثمارية ، وأن من حق صاحبها إذا أودعها البنك أو غيره أن يأخذ عليها ربحا . فهذا اصطلاح شائع ليس له سند لا من أصول اللغة ولا من قواعد الشريعة » وقد استتبع هذا الرأى أن يحذف المفتى من الفتوى ما يتعلق بالوديعة التى أذن باستثمارها ، ودرءا للتعارض بين ما جاء فى الفتوى وما جاء فى الكتاب فى هذا الصدد .

٤ - يرجع حذف الاقتراح الخاص بتغيير مسمى عائد شهادات الاستثمار إلى أنه وصف بأنه كمن اقترح كتابة ملح على وعاء السكر حتى لا يقترب منه النمل .

٥ - ويرجع حذف اقتراح إنشاء شهادة رابعة ذات عائد متغير ، إلى ما قيل : من أن فى هذا دليلا على عدم اطمئنانه إلى مشروعية عائد الشهادات الثلاث الموجودة فعلا .

ثانيا : وديعة النقود التى يؤذن فى استعمالها :

أورد المفتى فى كتابه أن مما اعترض به على فتواه أن المادة ١٢٦ من القانون المدنى المصرى تنص على أن الوديعة قرض .

وأجاب عن ذلك بقوله : « أنا أتكلم باسم الأحكام الشرعية ، ولا أتكلم باسم المواد القانونية . ومع ذلك فكل ما تقصده هذه المادة - كما قال خبراء القانون المدنى - أن الوديعة إذا هلكت بسبب التقصير أو الإهمال من المودع عنده ، كان عليه ضمانها ، كما أن من عليه ديون لغيره ملزم بسدادها له . وعلى هذا فإن المادة لا علاقة لها بشهادات الاستثمار ولنا على هذا الموضوع ملاحظات ثلاث هى :

١ - أن نص المادة ١٢٦ من القانون المدنى ليس (الوديعة قرض) ولا أظن أن أحداً من الذين عقبوا عليه أورد نص المادة المذكورة بجملة (الوديعة قرض) .

إن نص المادة المذكورة هو : **إذا كانت الوديعة مبلغا من النقود ، او اى شىء آخر**

حــول شهــادات الاستثمــار

مما يهلك بالاستعمال ، وكان المودع عنده مأذونا فى استعمالها اعتبر العقد قرضا .

٢ ـ إن خبراء القانون المدنى الذين قالوا للمفتى : إن كل ما تقصده المادة ١٢٦ هو أن الوديعة إذا هلكت بسبب التقصير أو الإهمال من المودع عنده كان عليه ضمانها ، هؤلاء الخبراء :

إما أن يكونوا غير أهل لأن يوصفوا بأنهم رجال قانون .

وإما أن يكونوا قد تعمدوا تضليل المفتى والسخرية منه .

وأعتقد أن المفتى لو كان قد قرأ المادة ١٢٦ لأدرك ذلك فى الحال ، فنص المادة واضح لا يحتاج فى فهم المراد منه إلى خبراء فى القانون المدنى : فقد نص القانون المدنى على التزامات المودع عنده تحت عنوان خاص بذلك . وذكرها فى المواد من ٧١٩ إلى ٧٢٣ . أما المادة ٧٢٦ فجاءت تحت عنوان (بعض أنواع الوديعة) وهذه المادة يستحيل أن يكون المقصود منها أن يضمن المودع عنده الوديعة إذا هلكت بسبب تقصيره أو إهماله ؛ لأنها تبين الحكم إذا أجيز للمودع عنده له من مالكها أن يهلكها عمداً ؛ لأن الإذن باستعمالها يبيح تعمد إهلاكها ، فالوديعة كما جاء فى نص المادة مما يهلك بالاستعمال .

٣ ـ إن اعتبار وديعة النقود وغيرها مما يهلك بالاستعمال قرضا إذا أذن صاحبها للمودع عنده فى استعمالها ، هو حكم قال به فقهاء الشريعة قبل أن توجد فى مصر قوانين مدنية ؛ فقد قرروا أن المودع لديه إذا أذن له المودع باستعمال الوديعة فاستثمرها ، فإنه يستثمرها لحساب نفسه ، والربح كله له ، وهو لا يتملك المال إلا إذا كان قد وهب له ، أو أعطى له قرضا ، وإذا كان لم يوهب له فلم يبق إلا أن يكون قرضا . كما قالوا : إنه إذا أذن المودع للمودع لديه فى التصرف فى الوديعة واستعمالها فاستعملها بحسب الإذن ، صارت عارية مضمونة ، وعارية النقود وكل ما يهلك بالاستعمال قرض .

ثالثا : عن فتاوى المفتى السابقة على البيان :

نشرت صحيفة الأهرام يوم ١٩٨٩/٦/١ مقالا بعنوان « حول تحديد ربح القرض والوديعة الاستثمارية » كتبه الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف الأسبق ، ورئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب آنذاك قال فيه : إنه يود أن يطرح موضوعا على إخوانه العلماء لبحثه وإبداء الرأى فيه ، وهو موضوع تحريم القرض أو الوديعة إذا كان محددا بنسبة ٩٪ أو ١٠٪ وبعد أن أورد ما لديه من أفكار خلص إلى القول :

« والنتيجــة النهــائيــة لهــذا المنطق الواقعى ، أو التحديد الذى اعتبرناه علة التحريم مع الأفراد لا يصلح أساسا لتحريم التعامل مع المصارف ، لعدم وجود أى ضرر عليها منه ، وما دامت علة التحريم فى التعامل مع الأفراد وهى الضرر غير موجودة فى التعامل مع المصارف ، فيكون التعامل فى المصارف وأشباهها من المؤسسات ، وتقدير ربح منها مقدما حلالا غير حرام ، مادامت تستثمر الأموال فى أعمال جائزة شرعا . هذه وجهة نظر مطروحة لدى كثير من المفكرين » .

فما رأى إخوانى من العلماء والاقتصاديين فيها ؟

وقد أثار هذا المقال مناقشات كثيرة فى الصحف والمجلات بين مؤيد ومعارض . ونشرت الصحف أن دار الإفتاء تبحث هذا الموضوع ،

وأجرى مندوب صحيفة الشعب حديثا مع المفتى نشر يوم ١٩٨٩/٩/١٢ تحت عنوان (آخر حديث مع المفتى قبل صدور الفتوى) جاء فيه : كانت بداية الحوار بيننا :

قلت له : لماذا جعلت القضية الفوائد الربوية للبنوك أولوية دون كثير من القضايا الأخرى ؟

« قال : لقد كتب الدكتور النمر مقالا ، وكان لابد لدار الإفتاء أن تتحرك » .

ونجد لهذا السبب فى تحرك دار الإفتاء صدى فى البيان الذى أصدره المفتى ، فقد بدأه بقوله :

« كثر الكلام فى هذه الأيام عن المعاملات فى البنوك والمصارف ولما يترتب على ذلك من أرباح ، وقد رأت دار الإفتاء المصرية أن تقول كلمتها فى بعض هذه المعاملات ، بعد أن خاض فيها من يحسن الكلام ومن لا يحسن » .

وتحدث المفتى فى كتابه عما دفعه لبحث حكم شهادات الاستثمار فقال :

فى أوائل ١٩٨٧ ، وبعد بضعة شهور من تعيينى فى وظيفة الإفتاء ، أذكر أنى كنت مسافرا إلى الإسكندرية لحضور بعض الندوات العلمية ، فالتف عدد كبير من الناس حولى فى القطار ، وطلبوا منى إصدار فتوى فى التعامل مع البنوك ، ولاسيما شهادات الاستثمار ؛ لأن الناس فى حيرة من أمرهم ، بسبب اختلاف الآراء فى شأن التعامل مع البنوك ، ووعدتهم بأنى سأبذل جهدى فى توضيح الحكم الشرعى لهذه المعاملات .

ونُشرت للمفتى ـ فيما أعلم ـ ست فتاوى عن هذه المعاملات فى المدة من ١٧ ديسمبر ١٩٨٧ إلى ١٩ مارس ١٩٨٩ ، اثنتان منها نشرتا فى مجلة « اللواء الإسلامى » فى العدد الصادر فى ٢٥ ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ ـ ١٧ ديسمبر ١٩٨٧ م . أعادت نشرها (مجلة التوحيد) بعد نشر بيان المفتى :

الأولى منها خاصة بالتعامل مع بنك ناصر .

والثانية تتعلق بشهادات الاستثمار .

والأربع الباقية جمعها الدكتور عبد الحميد الغزالى فى كتابه عن (الأرباح والفوائد المصرفية بين التحليل الاقتصادى والحكم الشرعى .

وموضوع هذه الفتاوى كالآتى :

واحدة تاريخها ١٩٨٩/١/١٥ تتعلق بفوائد المال الذى يودع فى البنوك .

واثنتان تاريخهما ١٩٨٩/٢/٢٠ تتعلقان بشهادات الاستثمار .

والأخيرة وتاريخها ١٩٨٩/٣/١٢ تتعلق بموقف الإسلام من استثمار الأموال بشهادات الاستثمار التى يصدرها البنك الأهلى ، وشهادات الإدخار الدولارية التى يصدرها بنك مصر ، والفروع الإسلامية للبنوك العادية والبنوك الإسلامية .

ويستخلص من هذه الفتاوى أن المفتى كان يرى أن :

١ ـ الاستثمار فى مشروعات صناعية دون تحديد فائدة مقدما ، بل يبقى خاضعا لواقع الربح أو الخسارة كل عام ، جائز شرعا ، ويخلو هذا التعامل من الربا لأن الربح محتمل والخسارة كذلك محتملة .

٢ ـ الوصف القانونى الصحيح لشهادات الاستثمار ذات الفوائد المحددة زمانا ومقدارا أنها قرض بفائدة .

٣ ـ إيداع الأموال فى البنوك أو إقراضها ، أو الاقتراض منها بأى صورة من الصور مقابل فائدة محددة زمنا ومقدارا يعتبر قرضا بفائدة .

٤ ـ فوائد شهادات الاستثمار ذات الفوائد المحددة ، وكذلك فوائد التوفير والإيداع بفائدة ، والسندات الدولارية تدخل فى نطاق الربا المحرم شرعا ، وهى أموال خبيثة لا يجوز التبرع منها لبناء المساجد ، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، ويجب التخلص منها عن طريق الصدقة .

حـول شهـادات الاستثمـار

وينصح كل مسلم بأن يتحرى الطريق الحلال لاستثمار ماله ، والبعد عن كل ما فيه شبهة الحرام ، لأنه مسئول يوم القيامة عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه .

٥ ـ القول بأن هذه الفائدة تعتبر مكافأة من ولى الأمر ، غير وارد بالنسبة للشهادات ذات العائد المحدد مقدما ، لاسيما وقد وصف بأنه فائدة بواقع كذا فى المائة .

وإذا رجعنا إلى البيان الذى أصدره المفتى ، وإلى كتابه عن معاملات البنوك وأحكامها الشرعية نجده قد انتهى إلى مخالفة كل ما استخلص عن فتاواه السابقة :

فنفى وصف القـرض عن كل هـذه المعاملات ، وقال فى بيانه : إن شهادات الاستثمار تعتبر وديعة أذن صاحبها باستثمار قيمتها وليست قرضا ، ثم قال عنها فى كتابه : إن ما يسميه البعض الوديعة الاستثمارية لا أساس له من المصطلحات اللغوية أو الشرعية ، وإنما هو من المصطلحات التى شاعت بين الناس دون أن يكون لها أساس لغوى أو شرعى .

وذكر أن شريعة الإسلام لا تعرف شيئا اسمه القروض الإنتاجية أو الاستهلاكية .

كما قرر أن تحديد الربح ـ مقدما ـ حلال وجائز شرعا ، وأنه لا يوجد نص من القرآن أو السنة يمنع من أن يقوم أحد المتعاقدين فى المضاربة بتحديد الربح مقدما ، سواء كان هذا التحديد صادرا من صاحب المال أو من صاحب العمل ، كما لا يوجد إجماع أو قياس تطمئن إليه النفس يمنع من ذلك مادام تحديد الربح قد تم باختيار الطرفين ورضاهما المشروع .

وقال فى آخر البيان : إنه من الخير أن يشترى الإنسان شهادات الاستثمار بنية مساعدة الدولة فى مشروعاتها النافعة لكافة أفراد المجتمع ، وأن يتقبل ما تمنحه له الدولة من أرباح فى نظير ذلك ، على أنها لون من التشجيع له على مساعدته لها فيما يعود عليه وعلى غيره بالخير والفائدة ، وفى الحديث الشريف « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه » .

وأنا لا أريد من هذا التعقيب مناقشة أسباب عدول المفتى عن آرائه التى تضمنتها فتاواه السابقة ، ولكن الذى يعنينى هو معرفة هل الفتاوى التى صدرت عن المفتى من ديسمبر ١٩٨٧ إلى مارس ١٩٨٩ كانت بعد دراسة ليخرج الناس من حيرتهم ، واستجابة لطلب من التفوا حوله فى القطار ، وقال لهم بأنه سيبذل جهده فى توضيح الحكم الشرعى لهذه المعاملات ، أو أنها صدرت قبل أن يقوم بدراسة أحكام هذه المعاملات ؟

وإذا كانت قد صدرت بعد دراسة فما الذى دفعه إلى إعادة بحثها من جديد ، وخصوصا أن آخر أربع فتاوى (من يناير إلى مارس ١٩٨٩) لم يكن مدادها قد جف بعد .

كان قد توافر لدى انطباع بأن الفتاوى السابقة على البيان لم تسبقها دراسة ، وأن المفتى اطلع على فتاوى من سبقوه ، ولم يقم لديه من الأسباب ما يدعو لمخالفتهم ، فأفتى بمثل ما افتوا . ونشأ هذا الانطباع من قول المفتى فى فتواه الأخيرة : « إن الأمانة العلمية تقتضى عدم الفتوى فى مثل هذه الأمور إلا بعد سؤال القائمين على أمرها والخبراء فى شئونها ، إذ الحكم على الشىء فرع عن تصوره ، فأرسلت إلى السيد الأستاذ رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى المصرى أسئلة معينة عن هذه الشهادات ، فأجاب عليها سيادته مشكورا بما يلى ..

إن هذه العبارات قاطعة الدلالة على أنه لم يكن لديه تصور عن هذه المعاملات ، فاستفسر عن ذلك من الخبراء فى شئونها .

ودعم هذا الانطباع أن هذا هو منهج المفتى حتى اليوم ، فقد أورد فى فتواه ، ما أفتى به الشيخ محمود شلتوت يرحمه الله عن أرباح صندوق التوفير ، وعقب عليها بقوله : « لاشك أن أرباح شهادات الاستثمار تطابق من كل الوجوه صندوق التوفير الذى قال فضيلته : إنها حلال ولا حرمة فيها . كما أنه قال ـ فى فتواه ، ومازال يردد فى كتابه : إن المعاملات فى شهادات الاستثمار ، وفيما يشبهها كصناديق التوفير جائزة شرعا ، وأن أرباحها كذلك حلال وجائزة شرعا إما لأنها : مضاربة شرعية . كما قال فضيلة الشيخ عبد العظيم بركة وغيره .... وإما لأنها معاملة حديثة نافعة للأفراد وللأمة وليس فيها استغلال من أحد طرفى التعامل للآخر ـ كما قال فضيلة الدكتور محمد سلام مدكور وغيره .

وهذا الحكم الذى انتهى إليه المفتى يفيد أنه لم يستطع أن يقطع برأى فى وصف هذه المعاملات حتى اليوم ، واكتفى بأن يقول : إنها قد تكون معاملة مستحدثة ، أو قد تكون مضاربة مع أن الوصفين لا يجتمعان ، فالقول بأنها معاملة مستحدثة يعنى أنها ليست مضاربة ، والمضاربة عرفها العرب فى الجاهلية وأقرها الرسول عليه الصلاة والسلام وعنى فقهاء المسلمين ببيان أحكامها .

وأخيرا صار الانطباع الذى قام لدى من أن المفتى فى فتاواه السابقة ـ سار على نهج من سبقه من المفتين حقيقة مؤكدة ـ وذلك على الأقل بالنسبة للفتويين المنشورتين فى (اللـواء الإسلامى) فى ديسمبر ١٩٨٧ ، ففى أثناء مراجعتى للفتاوى التى صدرت فى هذا الموضوع وجدت أن الفتويين المنشورتين فى (اللواء الإسلامى) متطابقتان تماما مع فتـويين أصدرهما فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق عندما كان مفتيا .

اولاهما : خاصة ببنك ناصر الاجتماعى صدرت فى ٢٧ ذى القعدة ١٣٩٩ ـ ١٨ اكتوبر ١٩٧٩ .

والفتوى الثانية : خاصة بشهادات الاستثمار وصدرت فى ١٠ صفر ١٤٠٠ ـ ٩ ديسمبر ١٩٧٩ وهما منشورتان فى المجلد التاسع من الفتاوى الإسلامية من دار الافتاء التى تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية برقم ١٢٥١ و ١٢٥٢ فى الصفحـات ٣٣٣٤ و ٣٣٣٥ و ٣٣٣٦ .

ولا يفوتنى أن أشير إلى أنه مما يلفت النظر أن السؤال الذى وجه للشيخ جاد الحق كان مقتصرا على : « معرفة حكم عائد شهادات الاستثمار » ولكنه استطرد فى إجابته عن السؤال إلى : « بيان حكم فوائد التوفير أو الإيداع بفائدة » ، ونجد هذا الاستطراد فى فتوى المفتى رغم ان السؤال لم يتطرق إلى فوائد التوفير او الإيداع بفائدة . وفى هذا ما يؤكد ان المفتى قد اصدر فتاواه السابقة قبل أن يكون لديه تصور عن المعاملات التى افتى فيها ، ولما توافر لديه تصور عنها تغير رأيه فى شانها وانقلبت أحكامها من الشىء إلى ضده .

وهنا يحق لى أن أتساءل :

كيف اطمأنت نفس المفتى إلى إصدار فتاواه السابقة .

وما الذى منعه من الاستفسار عن عناصرها برغم وعده فى أوائل ١٩٨٧ بانه سيعمل على تجلية احكامها .

ولماذا لم يشمر عن ذراعيه ويستفسر عنها من الخبراء فى شئونها إلا بعد ان كتب الدكتور عبد المنعم النمر عن انتفاء علة التجريم فيها ؟

الفتاوى

إعداد: أحمد السيد تقى الدين

حكمة تعدد الزوجات

س : تسأل القارئة محاسن . م . ج عن حكمة تعدد الزوجات فى الإسلام والهدف من إباحة الطلاق ؟

ج : تعدد الزوجات كان موجوداً قبل الإسلام بدون حدود أو بعدد كبير ـ وهو كذلك موجود عند أهل الكتاب ، ولا تزال نصوصه واضحة فى « العهد القديم » المتداول إلى يومنا هذا ، فأبقى الإسلام عليه للحاجة إليه ، لكنه نظمه وجعل له حدودا وشروطا فلا يتجاوز أربع زوجات مع اشتراط العدل والقدرة .

وفى التعدد تيسير يرفع الحرج ، ويلبى داعى الضرورة ، وتيسيره قد يعود على الزوج أو الزوجة أو كليهما كالزوج يريد ذرية وزوجته عقيم ، وهو لا يحب مفارقتها فيضم إليها أخرى ، وقد تكون مريضة مرضا يمنعها حاجته، والزوج يريدها ، ولا يرغب فراقها فمن الخير أن يضم إليها أخرى ... الخ .

وفيه مصلحة للزوجة أيضا إذا كان طلاقها لمرضها أو عقمها سيعرضها إلى أخطار اقتصادية أو أخلاقية ، وقد يكثر النساء لفقد أزواجهن فى الحروب وغيرها ونذكر ـ بهذه المناسبة ، وحين كان الرئيس السادات سكرتيراً للمؤتمر الإسلامى أوائل الخمسينيات أن طلبت إليه ألمانيا الغربية تشريعات الإسلام بصدد تعدد الزوجات نظراً لما فقدته من شبابها أثناء الحرب العالمية الثانية ، وليس من شك أن العلى القدير المشرع هذا الأمر وغيره إنما شرع ما شرع لما فيه مصلحة إنسانية لا تقتضى استفسار المؤمن عن حكمتها ، مدفوعا فى ذلك بما يروجه المغرضون ،

ذلك أن المغرضين إنما يروجون مايروجون ضد الإسلام لرغبتهم فى تأكيد أن الإسلام ليس دينا سماويا وإنما هو شرعة أرضية من تفكير محمد [صلى الله عليه وسلم] . ونحن نبرأ من هذا الفكر الآثيم معتقدين تماما أن الإسلام شرعة الله وحده القائل لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ آل عمران ـ ١٢٨ .

من قال : إني بريء من دين الإسلام

س : ما حكم الإسلام في رجل قال : إني بريء من دين الإسلام إن كنت كاذباً وهل يكفر إن كذب ؟

ج : مثل هذا الحلف منهى عنه شرعا ، وفيه يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « من حلف فقال : إني بريء من الإسلام فإن كان كاذبا فهو كما قال وإن كان صادقا فلن يرجع إلى الإسلام سالماً » رواه أبو داود .

وهو إن قصد بيمينه هذا العزم على الكفر فهو كافر في الحال .

وهذا ليس بيمين عند مالك والشافعي ، ولا تجب فيه كفارة ، وقائله آثم إن لم يقصد به العزم على الكفر وعليه أن ينطق بالشهادتين ندبا .

مال الزوجة

س : ما حكم الإسلام في زوج اعتاد اخذ مال زوجته بدعوى مواجهة اعباء الحياة على الرغم من رفضها ذلك ، وهل هذا الرفض من الزوجة يعني نشوزها ؟

[م . ١ . ح]

ج : لا يجوز للزوج أخذ أموال زوجته لأي غرض كان ، إلا بموافقتها هي ، فإذا لم توافق حرم على الزوج الانتفاع به ، ذلك أن ملكية الزوجة محترمة لايجوز التعدي عليها ، والله يقول - في المهر الذي يعطيه الزوج لها : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ (النساء ٤) .

ويقول جل شأنه : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا . وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (النساء ٢٠ ، ٢١) .

أما النشوز فهو رفض الزوجة الدخول في طاعة زوجها وهجرها لمنزل الزوجية دون مبرر شرعي وعلى هذا فإن رفض الزوجة منح أموالها لزوجها لا يجعلها ناشزاً .

السنن المؤكدة وغير المؤكدة

س : سمعت أن للصلاة سننا مؤكدة ، واخرى غير مؤكدة ، فما الفرق بينهما ؟ وهل من تركها يحاسب على تركها ؟

ج : السنة المؤكدة هي التي واظب عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يتركها إلا مرة أو مرتين في حياته ، كركعتي الفجر والضحى والوتر عند الجمهور ، والسنة غير المؤكدة هي التي لم يواظب عليها كسنة العصر القبلية وسنة العشاء القبلية .

ومعلوم أن السنة بكلا نوعيها يثاب المرء على فعلها ولا يعاقب على تركها وهذا رأى جمهور العلماء .

الفتـــــاوى

فضل تأخير صلاة العشاء

س : ما تفسير الحديث الشريف « لو لم اشق على أمتى لأخرت العشاء » .

ج : هذا الحديث صحيح وقد ورد بألفاظ مختلفة تؤدى نفس المعنى ، منها قوله ـ صلى الله عليه وسلم : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم أن يؤخروا العشاء إلى ثلث الليل أو نصفه » رواه أحمد والترمذى . والحديث يدل على أن من الأفضل للمسلم تأخير صلاة العشاء إلى نصف الليل ، مالم ينم قبل ذلك . فإن كان ينام فعليه أن يصليها قبل أن ينام ، لأن النوم قد يفوت على النائم الصلاة فى الوقت المستحب . فإن وجد من يوقظه فيه فلا كراهة .

وإن صلى العشاء فى أول وقتها المعروف ـ وهو بعد مغيب الشفق الأحمر ـ جاز بلا كراهة ، وإن كان فى جماعة كان له ثوابها .

والجماعة فى أول وقتها أفضل من التأخير إلى نصف الليل إن تأكد أنه يصلى فيه منفردا لحديث « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » .

فصلاة العشاء جماعة فى نصف الليل أكثر ثواباً ، يليه صلاتها جماعة فى أول وقتها . فصلاتها فرادى فى نصف الليل . ثم صلاتها فرادى فى أول وقتها . ثم صلاتها فرادى قبل وقت الفجر . بهذا الترتيب .

خروج الزوجة بلا محرم

س : هل يجوز خروج المرأة إلى الأسواق بدون محرم ؟

امتثال عبد الرحمن ـ كفر الشيخ

ج : الممنوع خروج المرأة فى سفر بدون محرم ، أما ذهابها إلى الأسواق فلا يحتاج إلى محرم ، وإنما يحتاج إلى إذن الزوج فقط ، وعليها أن تكون فى خروجها لقضاء المصالح أو العمل محافظة على كل الآداب الإسلامية .

من أعلام الأزهر

الشاعر والعالم والأديب والمربي
أحمد عبد اللطيف بدر

شيخنا عبد العظيم الشناوي

الشيخ محمد يوسف البنوري وجهوده العلمية

الشاعر والعالم والأديب والمربى

أحمد عبد اللطيف بدر

للأستاذ محمد شاور ربيع

قضى جل حياته فى مدينته الباسلة العزيزة الغالية « بور سعيد » ، فقد ولد بها فى مطلع العقد الثانى من هذا القرن ، وعاين فيها ثورة ١٩١٩ ، كما عاين الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ وفيها ايضاً شهد العدوان الثلاثى ١٩٥٦ ، ثم العدوان الغادر الذليل ١٩٦٧ . وتنقل وثورة ١٩٥٢ مابين دمياط والسويس والزقازيق وسمالوط وطما واسوان وحلوان ، ووجد نماذج بشرية تختلف طباعاً واتجاها ، ونوازع وسلوكا ، فصور التجربات فى صدق واخلاص وامانة . ونظم فى ذلك « ارجوزة » شعرية فريدة فى الشعر العربى ، تصور تاريخا صادقا فى اسلوب شعرى شائق سلس . اهداها إلى الشاعر المغرد الأستاذ « فاروق شوشة » ، وفى الإهداء يقول :

صوت به السحر يسرى فى قوافيه
تنغيمه الشعر يشدو الطير من فيه
سبحان ربى له سر يحيط به
والقلب يهفو إليه من تناجيه
فى رقة عاطفت بالحب أفئدة
عند الصباح على شوق توافيه
« فاروق » يشدو بألحان منغمة
إن الصفاء تجلى عن تناغيه
إذا تحدث كانت كل رائعة
فيها الجمال على قول يواتيه
إن المواهب جل الله مبدعها
عنها السمو بقلب فى تساميه
صار الطريق على نور بمشرقه
والزهر يألق فى أحلى مغانيه

والشاعر الرقيق الفرد الأستاذ « فاروق شوشة » المراقب العام للبرامج الثقافية بإذاعة

جمهورية مصر العربية والمشرف على الأركان الجهيرة : حياتنا الثقافية ـ لغتنا الجميلة ـ كلمات على الطريق .

مؤلفات الشاعر

والشاعر الكبير « أحمد عبد اللطيف بدر » له مؤلفات عديدة فى « الأدب » نثرا وشعرا وزجلا ، منها : « مرآة الماضى ، أصدره عام (١٩٣٢) و« أزجال بدر » عام (١٩٣٤) و« فوضى الأدب فى مصر » (١٩٣٦) ومجموعة قصص بدر للأطفال (١٩٤٣) أصدرها بعد تخرجه فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف (١٩٤٢) . والمرأة والشعب (١٩٤٦) وخواطر بدر (١٩٥٠) وديوان « ترانيم السحر » (١٩٥٧) .

وله بجانب الكتب الأدبية ، كتب « علمية » منها المطالعة التوجيهية (١٩٥٢) والمنير فى الإنشاء والتعبير (١٩٥٦) وتراجم أدبية (١٩٥٧) وله بجانب هذين رسائل وقصص دينية منها قصة « يوسف » عليه السلام ، وقصة « سليمان » عليه السلام ، وقصة أيوب عليه السلام ، ونحو « مجد الإسلام » وقبس من « نور القرآن » ، وغير ذلك كثير ، والإحاطة بكل مؤلفاته التى تربو على الخمسين كتابا شىء يكاد يكون مستحيلاً أو شبه مستحيل فلنشر إلى بعض مؤلفاته ، ولنتعرف على بعض نماذج منها .

فهو يقول فى ديوانه « ترانيم السحر » معرفا الشعر .

الشعر فى مدلوله الأسمى متلاق مع الشعور ، فهو مصور للعاطفة الإنسانية ، ومعبر عن النزعة الفلسفية ، ومحقق إلى المثل العليا . والشعر الحديث يجب أن يكون صورة لحياة العصر فى موضوعه ، ولغته ، وخياله ، وأسلوبه ، واتجاهه حتى يمكنه تسجيل عمل خالد له خصائصه ومميزاته .

صدى الوجدان

استمع إليه وهو يقول من صدى الوجدان تحت عنوان : من أنا ياإلهى ؟

من أنا فى الكون والكون رحيب
إننى فى الكون إنسان غريب
من أنا فى موكب محتشد
ياإلهى ؟ أنت لى خير مجيب .

وفيها يقول :

ياإلهى قد عرفت من أنا ؟
بعد أن طاف مع الفود المشيب
اننى فى الكون عبد خاضع
مرتجٍ ـ ياسيدى ـ أن تستجيب
تعجب النفس بما تعرفه
أين منها ذلك الكون العجيب
غاب عنها عالم الغيب الذى
تختفى الأرواح فيه وتغيب

وهنا تطالعنا بواكير شعره « الصوفى » الذى لازمه طول حياته ، وقد كتب فيه كتابا مستقلاً باسم « سفينة النجا لمن إلى ربه التجا » الذى يقول فى ختامه :

نجواك ربى
يشدو بها قلبى
يامصدر الحب
فى البعد والقرب

ومما قاله فى « تصاوير الحياة » ، « الوردة الحمراء » وفيها يقول :

من اعلام الازهر

الشاعر أحمد عبداللطيف بدر

بل الندى أعطافها
حتى أبان شفافها
وبدت بحمرة مهجتى
يبغى البعاد قطافها

ومن الشعر « الإنسانى » « دمعة ولوعة » ، وهى مهداة إلى روح خالد الذكر المجاهد فى سبيل الله الشيخ محمود أبى العيون » :

قد عز الصبر فى خطب أصبت به
والدمع قد فاض من عينى فعزانى
تبكى العيون « عيونا » غاب مشرقها
فى مغرب الغيب القاها وتلقانى
تلك العيون « أبوها » نوره الق
فيه متاع لعينى بل لإنسانى
صفاته الغر أعيت كل ذى لسن
ووصفه فى سمو النفس أعيانى
فى جنة الخلد روح مشرق نعم
يضحى على الفور فى روح وريحان

ومن « اذعاته الدولية » تحت عنوان « كبائر الأمم الكبرى » :

كبائرها فى نار حرب تثيرها
بأطماعها حتى يغير مغيرها
فأين عهود السلم حتى تعيدها ؟
وأين مجير الحق منها يجيرها ؟
تريد بناء فوق أنقاض ظلمها
وتبغى اقتسام الزور فيما يضيرها
لقد غرها وهم ، وأغرى غرورها
تهاويل ما يقوى عليه نعيرها

فهل علمت أين المصير بحربها ؟
وهل عرفت أن الفناء مصيرها ؟

وأما « قيثار الحب » فنجده يقول قصيدة بعنوان « حبى » :

حبى من القلب فى شدوى وإنشادى
حبى مع [الصمت] فيه إسعادى
أحببت للروح حبا صغته نغما
فى لوعة الصب بل فى ظلمة الصادى
الحب سر خفى لست أعرفه
الحب لحن طهور صاغه الشادى

وفى « ثورة الشعر » تحت عنوان « ممتاز » يرد على حامديه وقد فاز بتقدير ممتاز من القاضى المنصف الأستاذ « أمين محمود » المفتش بوزارة التربية والتعليم :

إن « الأمين » محال أن يحابينى
وهو المبرز يبغى العلم إبرازا
أبرزت علمى بمجهودى ومعرفتى
وأيكم زاد فوق الجهد فامتازا
اتحمدون بما لم تفعلوا عرضا
والله يسأل : كيف الحمد قد جازا ؟

أما « الملحمة الخالدة » فى تصوير معركة « بور سعيد » الماجدة فقد استهلها بقوله :

تعز فؤادى بعد نصر مؤزر
فقد شرد الباغى بقهر مقدر
تعز وجدد عزمة بعد عزمة
وهز يراع الفخر فى كل مفخر
تعز فقد عزت لنا هام راية
ترف على الأبطال دون تحسر

وصور فيها المعركة منذ بدأت ببطش وجنون ، وحصار وترويع ، وما عاناه البورسعيديون من صبر وحرمان ، وما قام به الفدائيون من بسالة

وشجاعة ، حتى انسحب العدو الغادر ، وارتفعت راية النصر .

وأما « الأناشيد » فكثيرة ، ومنها « نشيد القناة » الذى يقول فى مطلعه :

نحن أبناء القناة
مصدر الخير العميم
نحن نسعى للحياة
نبتنى العز المقيم
سعينا سعى حميد
فى ركاب الأمل
عن منانا لانحيد
والمنى بالعمل
نحن فى الدنيا مثال للجهاد
نركب الصعب لنرقى بالبلاد
نحن للغرب منار الأمم
نحن للشرق مثال الهمم
نطلب المجد العظيم

الرجز

وهناك لون من الشعر يقال له الرجز ، ويزعم بعض النقاد : أنه أول ماقالته العرب من الشعر ، ومن هذا البحر ما نظمه كثير من العلماء من قواعد العلم ومنه ألفية ابن مالك فى النحو ، والشاطبية فى القراءات . وقد نظم منه شاعرنا أحمد ارجوزته « الحياة والوطن والناس » عام ١٩٧٤ وقدمها الشاعر بقوله :

إن أصدق الشعر ما صور المشاعر ، معاطفا التجربة ، وحياة الإنسان متصلة بتجربته على مدى وجوده ، وقد صفت هذه الأرجوزة مع انفعال صادق فى استرجاع كل حادث أثر فى نفسى على الرغم من تباعد الزمن ، وأن عمق التجربة لا يمكن أن يغطيها النسيان ، وبخاصة إذا اتصلت بحياة الوطن والناس ، وقد بدأها بقوله بين « البيت والفطرة » :

إنى اهتديت بين أسرة التقى
فى فطرة والقلب صاف فاتقى
قد كان لى « الجد » بمهدى مؤنسا
عن متعة القلب رحيما ماقسا
يحيا مع النفس بلطف ملطفا
فى رقة الطبع بنبع قد صفا
إن لم يجدنى قال : أين « أحمد » ؟
فى لهفة أصحو وعينى تشهد
العطف يحدونى وعيشى أرغد
والمجد يحبونى وبيتى أمجد

وقال عن « أبيه » :

أما « أبى » الأبى بعد أن مضى
« جدى » تولى راضيا بما انقضى
فى « بور سعيد » صار نجما لامعا
فى وعظه كان مبينا رائعا
يتلو « كتاب الله » فى قداسته
مبينا مفسرا لآيته

وبجانب الشعر والرجز والزجل برع الشاعر فى النثر بجميع فنونه : الأدبية والعلمية ، ومارس التأليف وتدوين المصنفات القيمة ، فكتب فى الدين وكتب فى التربية ، باعتباره من رجال الدين العارفين المتصوفة ، ذوى النظرات الثاقبة ، وباعتباره من رجال التربية والتعليم وكبار الموجهين ومن أصحاب التجربة الصادقة .

نداء المؤمنين

ومما كتبه فى الدين كتابه القيم « نداء المؤمنين » فى القرآن الكريم . الذى أصدره فى ذى الحجة سنة ١٣٨٩ هـ يناير ١٩٧٠ وقال فى

من اعلام الأزهر

الشاعر أحمد عبداللطيف بدر

تقديمه الذى نشره فى جريدة الأخبار يوم ١٩٦٨/٨/٣ :

إن الإيمان فى أسمى مدلوله يدل على الاعتقاد الصادق الذى يلازمه العمل الخالص ، فالصدق متصل بسلامة العقيدة ، والإخلاص مرتبط بحسن السلوك ، والتصديق القاطع تتبعه بالضرورة الثقة المطلقة ، ولهذا اختلفت مراتب الإيمان على قدر درجات المؤمنين فى الصدق والسلامة والوثوق .

ولقد جاء فى القرآن الكريم ـ النداء مشرفا صفة الإيمان بقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ . والأسلوب القرآنى يتميز بدقة اختيار الفاظه ، وقوة تلاحمها ، وتآلف صوغها ، فالإشعار بالصلة على الموصول فى الذين آمنوا يعطى الدلالة على مدى مكانة المؤمنين الذين يستمعـون القول فيتبعـون أحسنه ، حتى يستجيبوا إلى داعى الله ما داموا صادقى النية مخلصى العمل واثقين فى الجزاء ، وإن كل أمر أو نهى بعد النداء بالإيمان ، وكل توجيه رشيد مرشد إنما يحث بالإيماءة على وجوب العمل وفق الأمر والنهى ، والتوجيه والترشيد ويرى المتأمل فى جلال الآيات القرآنية أن كل مايرد بعد نداء ياأيها الناس يكون مرتبطا بإيقاظ الغفلة ، وينير الإدراك وصحوة التأمل .

إن جلال التفسير لآيات الله يحتاج إلى إشراق روحى ينير العقل حتى يتعرف عليه فيهتدى إلى بدائع مافيها ، وروائع خافيها ، ثم يعبر عنها بحسب طاقته البشرية بما يدفع إلى القلوب الرهبة فتعرف أن الكلام الإلهى مجلل بالجلال ، ومنته إلى الكمال فى لفظه ومعناه ، وإشارته وفحواه ، لهذا كان العمل هو التوفيق فى نور الإيمان العميق .

وقد بينت تلك المقدمة مذهب الأديب الشاعر العالم فى تفسيره ، وأسلوبه الواضح الجلى الدقيق ، الذى لا يترك بعده زيادة لمستزيد ، وقد تتبع القرآن الكريم من فاتحته إلى خاتمته فلم يترك آية تبدأ بنداء المؤمنين ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلا وبينها وجلاها واستخلص منها الفوائد الكثيرة . وإليك مثالا مما كتب ..

طاعة الله ورسولــه

قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [الآية ٥٩ من سورة النساء]

إن الامتثال لما أمر الله تعالى به مرتبط بأمر الرسول الذى لا ينطق عن الهوى ، وكل من تولى أمر المسلمين مادام مطبقا لتشريع الحكيم من دون خروج على أحكامه ، إذ لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، ويقول الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ : حق على الرعية إطاعة الإمام مادام قد حكم بما أنزل الله وأدى الأمانة . وبهذا يتبين جلال موضوعية السياق بين الآية السابقة وهذه الآية إذ الحاكم والمحكوم سواء فى اتباع أمر السماء ، والمراد بأولى الأمر كل من يقوم بشأن المسلمين فى أمور دينهم وصلاح أحوالهم .

البقية ص ٤٥٢

شيخنا عبد العظيم الشناوى

وعليك من نور الإله جلالة

أ.د. مصطفى أحمد خليل النماس

بقية من الوفاء تؤذن بان الدنيا لا تزال بخير إذ نعاود ذكرى شيخ النحاة فى عصره ، فلا نذكره اليوم كذكرانا له منذ اعوام ..

كنا نذكره بشرا سويا حيا يغمرنا بنشاطه ..

اما اليوم فنذكره روحا سارية وفضيلة سامية ؛ فى حياته الباقية ، وهى حياة لا تحدها تلكم الطاقة المادية ، ولا تاسرها الأواصر الآدمية ؛ بل حياة ابدية خالدة سعيدة ـ بمشيئة الله : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت ـ ٦٤ ـ

لقد كنت اذكره فيما مضى من الاعوام فاذكر فيه الأستاذ العالم والمعلم والوالد والرجل والصديق اما اليوم فإنما يحضرنى منه صفاته ، وكم هى نادرة وعزيزة ، فما كان عبد العظيم عبد الهوى ، ولا عبد المنفعة الرابحة ، والفرصة السانحة ، إنما هو عبد «العظيم» سبحانه .

ولذا كان عظيم الأثر ؛ فكان للكبير أخا ، وللصغير أبا ، وكان بالجميع بَرا ، عف اللسان واسع الصدر بعيد النظر ، كبير القلب شريف النفس ، أحفظ ما يكون على كرامته وكرامة من معه .

كان رجلا بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معانى الرجولة الكاملة والمروءة الفاضلة ، قوى الشخصية ، مبرزا فى جميع نواحيه ، وبخاصة فى (النحو والصرف) من علوم العربية ، كانت حياته كلها مواقف تاريخية مشهودة سطرت له صفحات مجد خالد من الشرف سواء كان مقيما بالأزهر فى القاهرة ، أم خارجها فى ليبيا أو المملكة

من أعلام الأزهر

السعودية :

كأنك من كل النفوس مـركب
فأنت من كل النفـوس حبيب

كان محبا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولآل البيت فآثر ان يسكن معظم حياته فى حى السيدة عائشة فى شقة متواضعة ، ولما سئل عن السر فى ذلك قال : « إنى احب أن أكون مجاورا لآل البيت والعترة الطاهرة » ..

ولما كان شيخا (للنحو والصرف) فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - على ساكنها افضل الصلاة وأزكى السلام - ، كان يتخذ من مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - مكانا معروفا غربى المنبر ليكون قريبا فى مجلسه من الروضة الشريفة وبيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - والكل يعرف مكانه يقصده من أراد فيذهب إليه يسأله عن عويصة فى اللغة فيحل له غامضها ، ويشرح له دقائقها ، وكأن العربية لديه - وحده - فيبسط من سرها المحجوب وكنزها المجهول ؛ فيخيل للمستمع إليه أنه يقرأ من كتاب ، وإنما هو العلم وحكمته - يضىء المولى به عقل من يشاء . ويحضرنى الآن نادرة من نوادر أخلاقه العالية : حبه الحق وأهله وحرصه على العدل بين طلابه ، ذهب أحد تلامذته المقربين الذين كان يشرف عليهم ، وكانت تربطه بالشيخ علاقة وطيدة وصداقة قديمة ، فطلب من الشيخ أن يقدم مناقشته للرسالة على زميل له لا تربطه بالشيخ نفس الدرجة من الصداقة ، وظل يلح على الشيخ ، ويحيل عليه من يؤثر فيه عله يقبل أن يجامله على حساب زميله ، فكان رد الشيخ (يافلان) « لقد كتبت تقرير زميلك قبلك ، وشكلت لجنة مناقشته قبلك ، وأنا لا أجامل أحدا على حساب أحد) .

فأما علمه - رحمه الله - فحدث عنه ولاحرج ، كان معطاء لا يمل السؤال ، فهو حجة فى النحو والصرف واللغة ، ثقة فى كل ما يقول ، شهد له بذلك أساتذته أقطاب الأزهر من أمثال : الشيخ حمروش رحمه الله ، والشيخ الشربينى ، والشيخ محيى الدين عبد الحميد . فهو سيبويه زمانه وحجة عصره ، كثير القراءة فى دقائق المسائل المشكلة ، لا يحب أن يقرأ قراءة تخصصية فى غير العربية ، ولما اختير للتدريس فى الدراسات العليا فى جامعة البيضا بليبيا آثر ان يقرأ لطلابه مقدمة (القاموس المحيط) لما حوت من المعلومات اللغوية والقضايا العلمية الهامة ، وكما أشاد بمقدمة القاموس المحيط أشاد بما ورد فى نهاية القاموس من الكم الهائل (الظروف) التى استخدم بعضها (اسم فعل أمر) ولم يوردها نحاة ؛ لأن الرجل جمع حبات العقد المنفرط مما يدل على أن الشيخ كان إذا قرأ كتابا فإنه يستوعبه ليكون ذخيرة للقاصى والدانى .

تراه إذا ماجئته متهللا
كأنك تعطيه الذى أنت سائله

هو البحر من أى النواحى أتيته
فلجته المعروف والجود ساحله

وأذكر أنه وجهنا فى جانب النقد لما اكتشفه من زيادة دست على صاحب العقد الفريد بعد وفاته . ولا زال هذا الكتاب مرتعا لمن لا يتقون الله فقد أدخلوا فيه أخيراً تعليقا للأستاذ سعيد العريان - رحمه الله - فى طبعة بعد وفاته .

شيخنا العظيم :

أفنيت حياتك تعد للغة وعلومها دعاة يحبونها ويتعشقونها سوف يكونون - بمشيئة الله - على

خطاك يمدون صراطك فتعيش العربية بين الناس على خير حال بما خلدته من خلق ، وما تركته من عظيم الأثر .

مؤلفات الشيخ :

حاولت جاهدا أن أجمع ماخلفه فى علوم العربية وكأنى أجمع حبات عقد منفرط فلقد ترك آثاراً علمية تدل على علو كعبه ، وكانت كتبه كأنها صفوف ولائد عليها فصوص من قلائد ملأت فراغاً فى المكتبة العربية ؛ فما قرأت كتاب رجل إلا عرفت مقدار عقله ؛ لأن عقول الرجال فى أطراف أقلامها وانظر للشيخ :

١ - (التعريف بفن التصريف) على التصغير والنسب وهمزة الوصل والإمالة والكتاب يعتبر بمثابة دراسة صرفية فى كتاب سيبويه .

٢ - (الموضح فى الدراسات اللغوية) والكتاب عبارة عن محاضرات فى تفسير بعض سور القرآن الكريم ، ونشر بعضها فى مجلة الأزهر .

٣ - التطبيقات على قواعد اللغة العربية

٤ - الهمزة وأثرها وأحوالها فى لغة العرب تحت رقم ٨٣٤١ فى كلية اللغة العربية .

٥ - كما قام الشيخ بتحقيق كتاب (المصباح المنير) وعلق عليه تعليقات لغوية مفيدة ، ورد إليه ما اختصر فى طبعة وزارة المعارف المصرية فصار تاما كاملا على يديه .

٦ - وله تعليقات مفيدة على كتاب (نشأة النحو) للشيخ محمد الطنطاوى .

هذا ولا يفوتنا أن آخر حياته كان مسك الختام حيث أشرف على لجنة المصحف الشريف فى المدينة المنورة (مجمع المصحف الذى أنشأه خادم الحرمين الشريفين فى المدينة المنورة) على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ففى ذمة الله أنت ياشيخنا وفى كنفه وفى سناه وفى رضاه وفى جنبات رضوانه رجاء ما قدمت للعربية وطلابها ، ولقاء ما أسديت لها من إخلاص وتفان ، وكفاء ما حققت من البحوث والرسائل العلمية التى أشرفت عليها .

لقد كانت مجالستك غنيمة وصحبتك سليمة ومؤاخاتك كريمة .

فعليك من نور الإله جلالة
تعنو لديك لعزها العظماء
ومحبة غدت القلوب بأسرها
أسرى لها وانقادت الأهواء

من أعلام الدعوة الإسلامية

الشيخ محمد يوسف البنوري

وجهوده العلمية

للأستاذ الدكتور
عبد العزيز عزت عبد الجليل

هو محمد يوسف بن محمد بن زكريا البنورى .

والبنورى نسبة إلى بلدة ـ « بنور » ـ قرية من قرى « البنجاب الشرقى » من ولاية بتيالة من ولايات الهند .

ولقب كذلك بالبشاورى نسبة إلى مدينة ـ « بشاور » عاصمة الحدود الشمالية الغربية فى « باكستان » المتاخمة للحدود مع « افغانستان » ، وتقع على مسافة ثلاثة عشر ميلا من ممر « خيبر » المعروف فى التاريخ .

ومما هو معروف أن للبيئة أثرها فى تكوين الفرد فقد نشأ الشيخ محمد يوسف البنورى فى أسرة علمية حملت لواء العلم ، وورثته الأبناء والأحفاد .

حفظ العلامة البنورى القرآن الكريم فى صغره ، وتلقى مبادىء العلوم على أبيه وخاله ، ثم رحل مع أبيه إلى «أفغانستان» ، وبعد العودة إلى « بشاور » تلقى دروسه على أشهر العلماء هناك فى ذلك الوقت ، ثم رحل إلى مدينة « جلال آباد فى أفغانستان » وانتقل بعد ذلك إلى « الهند » ، والتحق بمدرسة دار العلوم ديوبند التى لقبت « بقرطبة الهند » ، وأزهر آسيا .

وبعد ذلك توجه إلى ـ « دابيل » ـ من أعمال « بومباى » محط كبار العلماء ، وموئلهم ، ولا يخفى على أى مُهتم بالدراسات الإسلامية دور رجال « الجامعة الإسلامية » فى « دابيل » وشهرتهم فى علوم الشريعة وكانت رحلته فيما بعد إلى « كشمير » ، ولم يمكث بها طويلا .

وقد تبوأ الشيخ البنورى مناصب عديدة أذكر منها الآتى : ـ

(١) رئيسا لجمعية العلماء فى إقليم « بشاور » .

(٢) رئيسا لجمعية علماء الهند فى « كجرات » .

(٣) عين عضوا بارزا فى المجمع العربى « بدمشق » .

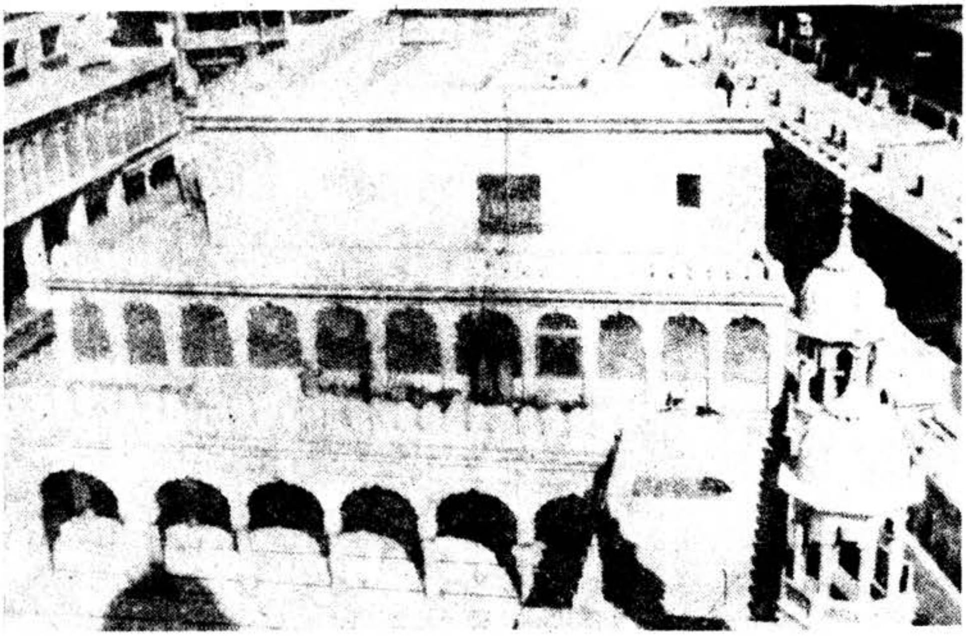

جامعة العلوم الإسلامية

(٤) عين كذلك عضوا فى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

(٥) اختير عضوا بجامعة كراتشى فى لجنة انتخاب المدرسين بكلية الدراسات الإسلامية والعربية .

وغير ذلك من المناصب التى بلغت أكثر من ستة عشر منصبا علميا وقد كان الشيخ البنورى شخصية علمية بارزة .

قال عنه الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة : « كان ـ رحمه الله ـ كنز العلوم والفضائل لكل مستفيد ، وكان رأيه ثاقبا ، وفكره مصباحا وضاء ، أنار السبيل للسالكين والمستهدين » .
كان ـ رحمه الله ـ محدثا ، وكان فى منهجه يهتم بالسند والرجال ، والدقة فى الرواية والبحث والتأمل ، وكان صاحب باع طويل فى شرح الحديث الشريف وتدريسه .

كما كان الشيخ البنورى مفسرا وكانت له مواقف من السير سيد أحمد خان بسبب التفسير الذى ألفه ، وكذلك مع مولانا أبو الكلام آزاد ورد على كتابه ـ « ترجمان البيان » فى كتابه ـ « يتيمة البيان فى علم القرآن » ، كما انتقد أبو الأعلى المودودى على كتابه فى التفسير « تفهيم القرآن » .

والبنورى كذلك كان فقيها له اهتمام بالغ بعلم الفقه وأصوله وقد وصفه من ترجم له بالفقيه ، وكان حنفى المذهب ، يفتى به ، ويرجحه على غيره دون تعصب .

من أعلام الدعوة الإسلامية

وكان البنورى اديبا وشاعرا ، وله آثار فى الأدب العربى ، وأذكر هنا نموذجا من قصائده فى مدح النبى ـ صلى الله عليه وسلم :

كأن نجوما أومضت فى الغياهب
عيون الأفاعى أو رءوس العقارب
إذا ما أتتنى أزمة مدلهمة
تحيط بنفسى من جميع الجوانب
تطلبت هل من ناصر أو مساعد
ألوذ به من خوف سوء العواقب
فلست أرى إلا الحبيب محمداً
رسول آله الخلق جم المناصب

وغير ذلك من القصائد فى مختلف أغراض الشعر العربى وللشيخ البنورى مؤلفات عديدة فى مختلف العلوم الدينية والأدبية .

- **ومن ذلك فى علم الحديث الشريف الآتى : ـ**
- مقدمة فيض البارى وتحقيقه .
- **تحقيق نصب الراية « للزيلعى » .**
- **مقدمة اوجز المسالك فى « موطا مالك » .**
- مقدمة لامع الدرارى على « جامع البخارى » .
- **مقدمة بذل المجهود فى « حل ابى داود » .**
- **مقدمة السنة ومكانتها فى التشريع .**
- ترتيب وتبويب مع إخراج وتصحيح « العرف الشذى شرح الترمذى » .
- **التعليق على « سنن ابى داود » « لازال مخطوطا »**
- **تحقيق وتخريج لمعانى الآثار للطحاوى .**
- **« لب اللباب لما يقول الترمذى » ـ وغير ذلك كثير وكثير اتركه خوف الإطالة .**
- **آثاره فى الفقه : ـ**
- **« الفتاوى على مدى سنوات طويلة » .**
- **« بغية الأريب فى مسائل القبلة والمحاريب » .**
- **« مقدمة للسعاية فى كشف ما فى شرح الوقاية » .**
- **« مقدمة فى عقد الجيد فى ادلة الاجتهاد والتقليد » .**
- **الأسماع إلى خصائص حجة الوداع » .**

وله فى العقائد :

- **موقف الأمة الإسلامية .**
- **مقدمة عقيدة الإسلام وعدة مقدمات اخرى .**

وللشيخ البنورى دور هام فى بناء المراكز الإسلامية والمساجد وإيفاد المبعوثين إلى جهات مختلفة لنشر الدعوة الإسلامية خاصة فى « أفريقيا » و « أوروبا » و « أمريكا » ومن أبرز خدماته مواجهته « للقاديانية » بالكلمة والتحرك المضاد والمباشر ودوره الفعال فى حركة ـ ختم النبوة ـ حتى انتخب بالإجماع رئيسا لمجلس ختم النبوة الدولى .

وقد أسس ـ عليه رحمة الله ـ « جامعة العلوم الإسلامية » ـ بمدينة « كراتشى » فى الثالث من شهر المحرم سنة ١٣٧٤ هـ وتعد الآن من المفاخر الإسلامية فى باكستان لما تتمتع به من سمعة علمية وثقة المجتمع الباكستانى فيها ،

البقية ص ٤٦٨

الشعر والشعراء

رشاد محمد يوسف

في الفخر والاعتزاز

إنها مصر

سؤال إلى أمة ممتحنة

فى الفخر والاعتزاز

للشريف الرضى

لغير العُلا منى القلَى والتجنُّبُ ... ولولا العُلا ما كنتُ فى الحبِّ ارغبُ
إذا الله لم يعذرك فيما ترومُهُ ... فما الناس إلا عاذل ومؤنب
ملكت بحلمى فرصة ما استرقها ... من الدهر مفتول الذراعين اغلب
فإن تك سنى ما تطاول باعها ... فلى من وراء المجد قلب مذرب
فحسبى انى فى الأعادى مبغض ... وانى إلى غر المعالى محبب
وللحلم أوقات ، وللجهل مثلها ... ولكن ايامى إلى الحلم اقرب
يصول على الجاهلون ، واعتلى ... ويعجم فىَّ القائلون واعرب
يرون احتمالى غصة ، ويزيدهم ... لو اعج ضغن اننى لست اغضب
ولا اعرف الفحشاء إلا بوصفها ... ولا انطق العوراء والقلب مغضب
تحلم عن كر القوارص شيمتى ... كان معيد الذم بالمدح مطنب
لسانى حصاة يقرع الجهل بالحجا ... إذا نال منى العاضه المتوثب
ولست براض أن تمس عزائمى ... فضالات ما يعطى الزمان ويسلب
غرائب آداب حبانى بحفظها ... زمانى وصرف الدهر نعم المؤدب

الشاعر : هو الشريف الرضى : الحسن محمد بن الحسين الرضى العلوى نقيب اشراف بغداد واشعر بنى هاشم فى عصره توفى سنة ٤٠٦ هـ وهو استاذ الشاعر ، مهيار الديلمى ، الذى تخرج على يديه فى الشعر واسلم ايضاً على يديه .

القصيدة : الشاعر هنا يفخر بعلمه وحلمه وصبره وانه حبيب إلى اهل المعالى بغيض إلى الجاهلين ، وهو هنا يشيد بالخلق القويم والخلال الطيبة والاعراض عن الفحشاء وقوارص القول ، وانه لا تمس عزائمه ولا تثنيه عن معالى الأمور الفضالات الدنيوية ، وكلها ركائز ودعائم لدولة الخلق التى تسمو بالنفوس والارواح .

إنها مصر

للشاعر: رشاد محمد يوسف

لن تنالوا من ارضها او سماها ... لن تنالوا من حسنها أو بهاها
لن تنالوا من فكرها او حجاها ... لن تنالوا من عزمها أو قواها
إنها مصر والكنانة اسم ... طاب من قاله ومن أسماها
إنها مصر فى ضمير الليالى ... انبتت ارضها واعطت يداها
اغدقت فى العطاء علما وفنا ... فسما الكون من زكىّ هداها
شعبها صانع الحضارة يحيا ... شامخ الهام كبرياء وجاها

*

إنها مصر ما استكانت لضيم ... او اذلت لدى الخطوب جباها
كم على ارضها توالت جيوش ... وغزاة بخيلها تتباهى
ثم عادت كسيرة الخطو كلمى ... ودروس فى الحرب لا تنساها

*

لن تنالوا من دينها فهو حق ... ويقين بفكرها وحجاها
عرفت ربها قديما وعاشت ... وهدى الله فى عميق حشاها
وترى الدين طاقة وحياة ... شمل الناس امنها ورخاها

*

ايها المارقون شلت يمين ... تتمنى تخريبها أو اذاها
ايها الغادرون ثوبوا وعودوا ... لحياة الأمان فوق رباها
فتحت صدرها لكل غريب ... تتلقاه بالحنان يداها
أرضعتكم من نيلها العذب صفوا ... فاستدرتم تعكرون المياها
منحتكم من الأمان حياة ... لا يرى مثلها بارض سواها
صانها الله فى السنين الخوالى ... ورعى الله غرسها وحماها

*

يابنى مصر مصركم تتاذى ... كسر الغدر والجحود خطاها
بددوا الغيم عن سماها وصدوا ... نذر الشر ان تنال ثراها
وانهضوا للفداء عزما وقلبا ... ما استحق الحياة من ينساها
إنها مصر عزة وانتماء ... كل قلب بها شهيد هواها

سؤال إلى أمة ممتحنة

شعر: السيد الصديق حافظ

السؤال :

ما بال أمر الأرض في يد معشر
نقموا على الإسلام نهج رشاده ؟!
جلبوا عليه بخيلهم وبرجلهم
وتحكموا في جنده وبلاده

★★★

الجواب :

قد قال - ما معناه - جل جلاله
وهو العليم بقصده ومراده:
ولقد كتبنا في « الزبور » ، وقبله
في «الذكر» أن الأرض إرث عباده
الصالحين المهتدين بهديه
من جاهدوا في الله حق جهاده

★★★

ميراث أرض الله ليس لأمة
هدمت من الإسلام ركن عماده
نفضت يديها من بواعث مجدها :
علم الجهاد ، وسيفه ، ونجاده !
فجثت على قدم الهوان ذليلة
وتمرغت في شوكه وقتاده
هانت وإن رجالها عدد الحصى
لكنهم في قدره وعداده !
ديست كرامتها ودنس قدسها
وتصاغرت لعدوها وعناده

«القت إليه بنفسها ونفيسها»[1]
ترجو صداقته وفضل وداده
وتعللت بالصبر بعد نفاده
وتقاعست عن حربه وجلاده
من هان عند «يهود» شر عصابة
بصق الزمان على عريض[2] وساده !
زمر اليهود على الفساد بقاؤها
وفناؤها في فقده وكساده !
هم مخلب الاقوى وهم حلفاؤه
مهما تظاهر للورى بحياده !

★★★

تعقيب :

لولا بقية عزة وكرامة
وإباء سيف مل طول رقاده !
وفتى حجارة ارضه مدد له
يبنى طريف المجد فوق تلاده[3]
لترجل التاريخ يمشى صاغراً
في ارضنا عن عرشه وجواده !

---

(١) الشطر الاول الشوقى .
(٢) وساده العريض . كناية عن الغباء .
(٣) الطريف = الجديد . والتلاد ومثله التالد = القديم والبيت إشادة ببطولة اطفال الحجارة .

العلوم الكونية في التراث الإسلامي

أساسيات علوم الأرض

أ. د. أحمد فؤاد باشا

قال - تعالى - في القرآن الكريم : ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (سورة الملك : ١٥) ومشى علماء المسلمين في مناكب الأرض لينظروا عظمة الله في خلقه ، ويدرسوا عن طريق الرحلات والأسفار كل ما يعرض لهم من معالم الأرض وظواهرها ، ويدونوا مشاهداتهم وخلاصة تجاربهم واكتشافاتهم ليطلع عليها الخلف وتتواصل مسيرة البناء والإعمار ، فكانت مؤلفاتهم أساسا لِعلْمين عظيمين عُرفا فيما بعد بعلم الجغرافيا (Geography) وعلم الجيولوجيا (Geology) .

أما الجغرافيا فهي : العلم الذي يعنى عموماً بدراسة سطح الكرة الأرضية وخصائص البلدان والأقاليم وسكانها ، بينما يعنى علم الجيولوجيا بالبحث في تاريخ الأرض ودراسة المواد والطبقات المكونة لها والتعرف على كل ما يرتبط بذلك من ظواهر تحدث تحت أو فوق سطحها . وحتى لا يختلط الأمر بين مآثر علماء الحضارة الإسلامية في علمي الجغرافيا والجيولوجيا لتشابه مادتهما في مراحلها الأولى فإننا سنبين بإيجاز حظ كل منهما على حدة في تراثنا الإسلامي .

أولا - الجغرافيا :

قام علم الجغرافيا ، أو « تقويم البلدان » كما عرف عند العرب ، على الرحلات إلى الأقطار والبلدان المختلفة ودراسة تضاريسها ووديانها وأنهارها وخلجانها وحدودها وجبالها وسهولها ومشاهدة عادات سكانها ومعتقداتهم وثرواتهم ومواصلاتهم ، والتعرف على مناخ تلك البلاد ومواقع مدنها الكبرى وأهميتها من مختلف النواحي الاقتصادية والصناعية و « الاستراتيجية » . ومنذ القرن الأول للهجرة (الموافق القرن الثامن الميلادي) اتسعت معرفة المسلمين بأقسام الأرض وصفاتها نتيجة لاتساع فتوحاتهم ، وعرفوا منذ ذلك الحين عمل الخرائط وقراءتها ، فيروى أنه لما غزا قتيبة بن مسلم الباهلي مدينة بخارى صعب عليه فتحها ، فكتب بذلك إلى الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق ، فكتب إليه الحجاج يطلب منه أن يصورها (أي يرسم خارطتها وما حولها) ويرسل صورتها إليه ، وقد أشار الحجاج على قتيبة بطريقة فتحها سنة ٩٠ هـ .

كذلك تميز « الجغرافيون » فى الحضارة الإسلامية بنظرتهم العلمية الواقعية لمختلف الموضوعات الجغرافية ، مثال ذلك معالجتهم لتأثير العوامل البيئية على حياة الناس وأفكارهم وسلوكهم ومحاولة الربط بين البيئة والنشاط البشرى ، مما جعل بعض الباحثين المعاصرين يشهد لهم بفضل السبق فى تناول مبادىء الجغرافيا البشرية الحديثة ، وقد ورد الكثير من الآراء فى هذا المجال للمسعودى فى « كتاب التنبيه » وللمقدسى فى « أحسن التقاسيم » ولابن رسته فى « كتاب الأعلاق النفيسة » ولابن خلدون فى « المقدمة » ، كما يعزى إلى الإدريسى فضل الريادة فى الربط بين الجغرافيا الوصفية والجغرافيا الرياضية والفلكية ، ويعتبر كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » عن أقاليم العالم كلها - طبقا لما جاء فى دائرة المعارف الفرنسية - « أوْفَى كتاب جغرافى تركه العرب ، وإن ما يحتويه من تحديد المسافات والوصف الدقيق يجعله أعظم وثيقة علمية جغرافية فى القرون الوسطى » . فقد أتم الشريف الإدريسى تأليف هذا الكتاب فى أوائل عام ١١٤٥ م بناء على طلب روجر الثانى ملك صقلية وإيطاليا وشمالى أفريقيا ، وقدمه له مشتملا على سبعين خريطة تفوق خرائط « بطليموس » الشهيرة فى دقتها ووضوحها وقلة أخطائها ، وقدم معها خريطته الشهيرة للعالم التى نحتها على شكل كرة من الفضة قطرها متران وجعلها تقرب من وضعها العلمى الصحيح الذى هى عليه اليوم ، وبقيت خريطة الإدريسى ثلاثة قرون تسد الفراغ فى الغرب كنموذج يهتدى به ، ووصفها العلامة الألمانى « ميللر » بأنها تمثل مدرسة جغرافية خاصة ذات أثر كبير فى تصوير الدنيا للأوروبيين[(١)] .

وهناك من بين علماء المسلمين فى عصر النهضة الإسلامية من أوْلى عناية خاصة بجغرافية منطقة بعينها أو قطر بذاته ، فقد كتب لسان اليمن الهمدانى « صفة جزيرة العرب » ، وكتب أبو الريحان البيرونى عن « الهند » ، وترك أحمد بن فضلان رسالة وصفت أحوالاً طبيعية واجتماعية فى بقاع من الأرض فى تركيا وروسيا ذهب إليها أيام الخليفة المقتدر .

على أن أهم ما نودّ التأكيد عليه فى هذا العرض الخاطف لتطور الفكر الجغرافى إبان عصر النهضة الإسلامية هو حرص علماء المسلمين على اتباع المنهج التجريبى فى البحث والتنقيب وصولاً إلى المعلومات الجغرافية السليمة على أساس علمى قوامه الملاحظة والتجربة الميدانية واستخلاص النتائج . ويكفى أن نعلم - فيما تقول المستشرقة الألمانية سيجريد هونكه - أن الناس فى أوروبا لم يعرفوا لزمن طويل الجغرافيا المؤسسة على المشاهدة والتجربة ، فلم تكن خرائط الأديرة ترسم الأرض طبقا لفهمهم للإنجيل إلا على أنها قطعة من الأرض يحيط بها بحر عالمى وفى وسطها الجنة ، وبينما كان الغرب عاكفا خلف أسوار الأديرة يبحث عن الجغرافيا فيما كتبه الأقدمون ، كان عالم كالمقدسى مثلاً يجوب الأرض طولاً وعرضا ليكتب فى القرن العاشر كتابا فى جغرافية الأرض وشعوبها ، اتخذ

---

(١) لمعرفة المزيد من التفاصيل حول المؤلفات التراثية المذكورة وغيرها راجع :

— د . صلاح الدين الشامى ، الإسلام والفكر الجغرافى العربى ، الأسكندرية ١٩٧٩ .

— س . م . ضياء الدين علوى ، الجغرافيا العربية فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، تعريب وتحقيق الدكتورين عبدالله الغنيم وطه جاد ، الكويت ١٩٨٠ .

— د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤

— عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧ .

أساسيـات علـــوم الأرض

مادته من تجاربه ومشاهداته الخاصة فقط[٢] .

وهاهو أبو عبدالله المقدسي يحدثنا عن المنهج الذى اتبعه فى تأليف كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » ـ وقد ترجم هذا الكتاب إلى كثير من اللغات الأوروبية ـ فيقول فى مقدمته : « أسست هذا الكتاب على قواعد محكمة وتحريت جهدى الصواب ، واستعنت بفهم أولى الألباب ، ووصفت ما شاهدته وعرفته ، فما وقع عليه اتفاق أثبته ، وما اختلفوا فيه نبذته ، ومالم يكن بدّ من الوصول إليه والوقوف عليه قصدته ، ومالم يقر فى قلبى ولم يقبله عقلى أسندته إلى الذى ذكره .. وما تم لى جمعه إلا بعد جولاتى فى البلدان ، ودخولى أقاليم الإسلام ، ولقائى العلماء ، وخدمتى الملوك ، ومجالستى القضاة ودرسى على الفقهاء .. مع لزوم التجارة فى كل بلد والمعاشرة مع كل أحد .. وتفطنى فى الألسن والألوان حتى رتبتها ، وتدبرى فى الكور حتى فصلتها ، وبحثى عن الأخرجة حتى أحصيتها » . وعن الخرائط الملوّنة التى رسمها المقدسى للدول التى زارها ، واستخدم فيها الرموز وطرق التعبير الاصطلاحى عن التضاريس كى يمكن فهمها على الوجه الصحيح ، يقول : « ... ورسمنا حدودهـا وخططها وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة ، وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة ، وبحارها المالحة بالخضرة ، وأنهارها المعروفة بالزرقة ، وجبالها المشهـورة بالغبـرة ، ليقرب الـوصف إلى الأفهام »[٣] .

وهنا قد يبدو للبعض أن دور التجربة فى البحث الجغرافى غير واضح وضوحه فى أبحاث العلوم الطبيعية الأخرى وتطورها ، إلا أن الجغرافى المعاصر يرى فى الرحلة عين الجغرافيا المبصرة فى الدراسة الميدانية ويجعل من الجغرافيا علما عمليا يمتلك ـ كأى علم تجريبى ـ المعمل أو المختبر متمثلا فى الرحلة الجغرافية الميدانية إلى المساحة المعنية ، فى إطار الواقع الجغرافى الطبيعى والبشرى ، وفى ضوء هذه الرؤية المعاصرة يتأكد لنا سبق علماء الحضارة الإسلامية إلى إرساء مفهوم البحث الجغرافى وإنجازه عن طريق الرحلة الميدانية ، وذلك قبل الجغرافى المعروف « اسكندر همبولت » الذى يعده أهل الاختصاص واحداً من عمالقة الجغرافيا فى القرن التاسع عشر الميلادى ، وينسب إليه البعض أُبوَّة الرحلة الجغرافية المتخصصة ، عندما خرج فى الرحلة التى غطت مساحات من أمريكا الشمالية وشرق أوروبا وسيبريا ، وعاد منها لكى يصبح جغرافيا مرموقاً[٤] .

ثانيا ـ الجيولوجيا :

غالبا ما نقرأ فى المؤلفات الجيولوجية أن نظرية الكوارث Catastrophism كانت تشكل الفلسفة السائدة قديما لتفسير التغيرات التى تحدث لسطح الكرة الأرضية بمرور الزمن . فالملامح المتمثلة فى الجبال والأخاديد التى نعرف اليوم أنها تأخذ وقتا طويلاً لتتكون ، كانت تفسَّر على أنها نشأت عن طريق كوارث عالمية هائلة كالزلازل والبراكين وغيرها ، تحدث بمسببات غير معروفة ، ولم تعد مثيلاتها تحدث فى الوقت الحاضر ، وقد نشأت هذه الفلسفة كمحاولة للربط بين معدلات التغير التى تطرأ على القشرة الأرضية وبين الأفكار السائدة آنذاك فى الغرب حول عمر الأرض ، فقد أعلن القسيس جيمس أشر سنة ١٦٥٤ م أن عمر الأرض هو ٦٠٠٠ سنة تقريباً

(٢) سيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، الترجمة العربية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨١ .

(٣) د . احمد فؤاد باشا ، المرجع السابق .

(٤) د . صلاح الدين الشامى ، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة فى الدراسات الميدانية ، الاسكندرية ١٩٨٢ .

حيث أنها قد خلقت سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد حسب زعمه ، وأعلن قسيس آخر أن الأرض قد خلقت بالتحديد في تمام الساعة التاسعة صباحاً من يوم ٢٦ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد(٥) . وتتلخص هذه العلاقة الوهمية بين عمر الأرض ونظرية الكوارث في أن تجميع الأحداث والتغييرات الهائلة التى شهدتها الأرض خلال فترة قصيرة تعد بآلاف السنين قد تحتاج إلى فلسفة تناسب المقام ، وهذه الفلسفة تعتمد على التغيرات العنيفة والمفاجئة .

من ناحية أخرى ، غالبا ما يزعم المؤرخون لعلم الجيولوجيا الحديث أن مولده تم على أيدى العالم الاسكتلندى جيمس هاتون James Hutton في عام ١٧٨٥ م عندما أعلن عن تفسير جديد لحدوث تغيرات سطح الأرض على أساس نظرية الانتظام Uniformitarianism الذى يُعبَّر عنه عادة بأن « الحاضر هو مفتاح الماضى » The present is the key to the past . وتعنى هذه النظرية ببساطة أن القوانين الطبيعية والكيميائية والحياتية السائدة في الحاضر هى نفسها التى كانت سائدة في الماضى ، ومن ثم فإن القوى والأساليب التى نراها اليوم تغير شكل الأرض قد سادت بنفس الطريقة في الماضى ، وبقيت كما هى دائما ، وقد حاول « هاتون » أن يقدم أمثلة تؤكد صحة آرائه وتبين أن القوى التى تبدو صغيرة ، إذا ما استمرت لفترات طويلة من الزمن فإنها تنتج آثاراً تعادل تلك التى تسببها الكوارث المفاجئة ، فالجبال مثلا تتشكل وتذوى بواسطة عوامل التعرية وفعل المياه الجارية ، وأن بقاياها تنقل إلى المحيطات بواسطة عمليات يمكن مشاهدتها . وإن قبول مبدأ الانتظام مبدئيا بهذه الصورة العامة يعنى قبول تاريخ طويل جدا للأرض لأن العملية المؤثرة ـ رغم تفاوت حدتها ـ تستغرق وقتا طويلا لتبنى أو تزيل الملامح الأساسية لوجه الأرض . وهذا بطبيعة الحال يتعارض مع آراء الكنيسة التى تحدد زمنا قصيراً لا يتناسب مع الزمن الجيولوجى الموغل في القدم لبلايين السنين طبقا للتقديرات العلمية والتجريبية الحديثة .

وإلى هذا الحد من رواية « مولد الجيولوجيا الحديثة » يقول تاربوك ولوتجنز في كتابهما « الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية » : « وقبل ظهور نظرية هاتون المتعلقة بالأرض لم يوضح أحد علاقة الجيولوجيا بالطول المفرط في الزمن »(٦) . وهنا يأتى دورنا لإيضاح بطلان هذه المقولة وبعدها التام عن الحقيقة التى يشهد بها تاريخ العلم والحضارة كما يرويه المنصفون . والأدلة الدامغة سوف نستخلصها من عيون تراثنا الإسلامى لتكون أبلغ رد على مثل تلك الدعاوى والافتراءات التى تحاول بشتى الطرق إسقاط الدور الإسلامى الرائد وتأثيره في حركة التاريخ الإنسانى .

يقول أبو الريحان البيرونى (٩٧٢ ـ ١٠٤٨) عن الأرض : « ولا نعلم من أحوالها إلا ما نشاهد من الآثار التى تحتاج في حصولها إلى مدد طويلة ، وإن تناهت في الطرفين ، كالجبال الشامخة المتركبة من الرضراض الملس المختلفة الألوان المؤتلفة بالطين والرمل المتحجرين عليها ، فإن من تأمل الأمر من وجهة وأتاه من بابه علم أن الرضراض والحصى هى حجارة تنكسر من

---

(٥) Edward J.Tarbuk & Frederick K.Lutgens; « The Earth. An Introduction to physical Geology, Charles E.Merrill publishing Company (1984)

انظر الترجمة العربية لهذا الكتاب ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ، طرابلس ليبيا ١٩٨٩ . وكنا نتمنى أن ينوه في الترجمة العربية هذه إلى ريادة علماء الحضارة الإسلامية فيما يتعلق بوضع الكثير من المفاهيم الجيولوجية التى ينسب الكتاب اكتشافها زوراً إلى « هاتون » وغيره على نحو ما سنوضح فيما بعد ، خاصة إذا ما علمنا أن الكتاب المذكور يعتبر من المراجع الهامة الحديثة التى يعتمد عليها الطلاب في المراحل الأولى لدراسة علم الجيولوجيا .

(٦) المرجع السابق .

العلوم الكونية

أساسيات علــوم الأرض

الجبال بالانصداع والانصدام ، ثم يكثر عليها جرى الماء وهبوب الرياح ويدوم احتكاكها فتبلى ، ويأخذ البلى فيها من جهة زواياها وحروفها حتى يذهب بها(فتدملكها)، وأن الفتات التى تتميز عنها هى الرمال ثم التراب ، وأن ذلك الرضراض لما اجتمع فى مسايل الأودية حتى انكبست بها وتخللها الرمال والتراب فانعجنت بها واندفنت فيها وعلتها السيول فصارت فى القرار والعمق بعد أن كانت من وجه الأرض فوق ... وإذا وجدنا جبلا متجبلا من هذه الحجارات الملس ، وما اكثره فيما بينها ، علمنا أن تكونه على ما وصفناه ، وأنه تردد سافلاً مرة وعاليا أخرى ،

وكل تلك الأحوال بالضرورة ذوات أزمان مديدة غير مضبوطة الكمية ، وتحت تغايير غير معلومة الكيفية ، ولها تتناوب العمارة على بقاع الأرض ، فإن أجزاءها إذا انتقلت من موضع إلى آخر انتقل معه ثقلها فاختلف على جوانبها »[٧] .

ويرى إخوان الصفا « أن الجبال من شدة إشراق الشمس والقمر والكواكب عليها بطول الأزمان والدهور ، تنشف رطوباتها وتزداد جفافاً ويبساً ، وتنقطع وتنكسر ، وخاصة عند انقضاض الصواعق ، وتصير أحجاراً وصخوراً أو حصى ورمالا ، ثم إن الأمطار والسيول تحط تلك الصخور إلى بطون الأودية والأنهار ، ويحمل ذلك شدة جريانها إلى البحار والغدران والآجام ، وأن البحار ، لشدة أمواجها وشدة أضطرابها وفورانها ، تبسط تلك الرمال والطين والحصى فى قعرها سافا (طبقة) على ساف بطول الزمان والدهور ، ويتلبد وينعقد وينبت فى قعور البحار جبالا وتلالا »[٨] .

بمثل هذه النصوص وما جرى مجراها فى ثنايا سطور التراث الإسلامى نجد الكثير من الآراء والمفاهيم العلمية التى أسهم بها علماء المسلمين فى وضع أصول « النظرية الجيومورفولوجية » الحديثة التى تقضى بأن تطور أشكال سطح الأرض يعتمد على عوامل التعرية والإرساب والحركات الأرضية التى تؤثر على مدى طويل جدا من الزمن . وفى ضوء هذا المعنى يمكن القول بأن هذه الآراء تضمنت ما يعرفه علم الجيولوجيا الحديث من أن الجبال تصبح أرضا والأرض تصبح بحراً ثم تصبح أرضا مرة أخرى وذلك فى إطار نظرية التغير النسبى لليابس والماء ، وهى من النظريات الحديثة التى تعتمد على الحركات الرأسية (أى الانغمار والانحسار) والحركات الأفقية (أى الحركات البانية للجبال) .

هذا بالإضافة إلى معلومات جيولوجية أخرى وردت فى كتب التراث الإسلامى تتعلق بالحفريات Fossils وتتابع الطبقات Superposition وتزحزح القارات Continental drift والآبار الاردوازية[٩] وتصنيف الصخور والمعادن وتوزيعها ، إلى غير ذلك من الموضوعات والمؤلفات الهامة التى يضيق المقام هنا عن مجرد الإشارة إليها ، وندعو الله تعالى أن يوفقنا ، أو يوفق غيرنا ، إلى الحديث عنها فى دراسات مستقلة ، فما أحوجنا فى هذا الزمان إلى أن نتخذ من أسلافنا القدوة والمثل وندعو الأجيال إلى أن تحذو حذوهم فى حب العلم والحرص على طلبه والتفانى من أجله .

(٧) البيرونى ، (أبو الريحان) محمد بن احمد ، تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن ، توثيق محمد بن تاويت الطبخى ، طبع بأنقره عن نسخة مكتبة السلطان محمد الفاتح .

Dogus Ltd. Sirketl Matbaasi - Ankara - 1962 .

(٨) مجموعة رسائل اخوان الصفا ، بومباى ١٣٠٥ هـ ، جـ ٢ ص ٩٣ ، ٩٤ . عن س . م . ضياء الدين علوى ، مرجع سابق .

(٩) تجدر الإشارة هنا إلى كتاب « انباط المياه الخفية » ، لمحمد بن الحاسب الكرخى ، حيدر آباد ١٣٥٩ هـ ، الذى ضمنه آراء قيمة فى مجال المساحة والمياه الجوفية .

الجديد في العلم والتقنية

إعداد
د. نجوى السيد أحمد

رصد جسم غريب في الفضاء الكوني

تمكن فريق دولى من علماء الفلك فى بريطانيا وأمريكا من رصد جسم غامض، يُعدّ من اكثر الأجسام لمعاناً فى الفضاء الخارجى، ولكنه يبدو باهتا عند رؤيته من الأرض.

ذكر العلماء أن الطاقة المنبعثة من هذا الجسم تعادل الطاقة المنبعثة من مجرة «درب التبانة» بحوالى ٣٠ الف مرة. ويُعتقد أن يكون هذا الجسم داخل مجرة فى طور التكوين.

جهاز للتخاطب عن طريق الموجات فوق الصوتية

تقوم إحدى الشركات الأمريكية بتطوير جهاز يستخدم «التكنولوجيا» فوق الصوتية ويساعد على السمع ويحول الكلمات إلى أصوات تفوق بشكل طبيعى القدرة القصوى لحاسة السمع عند الإنسان.

أجرى الباحثون تجاربهم باستخدام الجهاز الجديد على ثمانية وعشرين شخصا يتمتعون بحاسة سمع طيبة، وخمسة عشر من كبار السن يعانون من صمم جزئى و تسعة صم تماما، ووجدوا أن الجميع تمكنوا على الأقل من فهم بعض الكلام الذى نقل لهم بالموجات فوق الصوتية، وقد يكون هذا الجهاز أملا جديدا للمصابين بالصمم الشديد.

(الجزر) و (البنجر) للوقاية من سرطان الرئة

نصح علماء مركز أبحاث السرطان بجامعة (هاواى) الأمريكية ـ المواطنين بتناول الخضروات الطازجة وبخاصة التى تحتوى على فيتامين «أ» مثل الجزر والبنجر، للوقاية من

الجديد فى العلم والتقنية

الإصابة بمرض سرطان الرئة الذى يقضى سنويا على حوالى مائة وعشرين الف مواطن أمريكى . وقد قارن علماء المركز فى أبحاثهم بين وجبات الغذاء التى يتناولها نحو عشرين وثلثمائة من المصابين بسرطان الرئة وما يتناوله اكثر من ٨٦٠ من الأصحاء مع أخذ العوامل التى تزيد من التعرض للإصابة كالتدخين فى الاعتبار ، وجد أن وجبة الغذاء الغنية بالخضروات تقى من سرطان الرئة .

توليد الكهرباء من الطاقة الشمسية فى الفضاء

يسعى العلماء فى الاتحاد السوفيتى إلى تنمية صناعة الطاقة عن طريق بناء (محطات شمسية فى المدارات الكونية) ومن المتوقع أن يساعد هذا على إقامة (بطاريات شمسية) بأحجام كبيرة للغاية على سطح الأرض . ذلك أن التيار الكهربائى الذى ستولده الطاقة الشمسية سيتحول إلى شعاع طاقة موجَّه فى مجال الأمواج الدقيقة بمستقبل هوائى للالتقاط ، ومن ثم يحول من جديد إلى تيار كهربائى ، وهو تيار ثابت وليس متغيراً . ويؤكد العلماء انه بذلك يمكن الاستغناء لا عن (المحطات الكهربائية) على الأرض فحسب ، بل وعن (خطوط نقل الكهرباء العالية الجهد) التى تتطلب كميات كبيرة من المعدن وتشكل خطراً على الكائنات الحية . ويمكن توجيه أشعة الطاقة إلى اى نقطة على سطح الأرض بواسطة الأقمار الصناعية .

استخدام جديد للأشعة تحت الحمراء

ظهر مؤخراً جهاز جديد لمنع حدوث الخلل النمائى الخطير الذي يصيب عادة أكثر من ١٠٪ من أطفال الولادات المبكرة بسبب عدم تدفق الدم الغنى بالاكسجين إلى الدماغ بشكل طبيعى . يعمل هذا الجهاز على مراقبة تدفق الدم باستخدام ضوء قريب من الأشعة تحت الحمراء ، ومجسات فائقة الحساسية يمكنها ضبط الكميات الدقيقة من هذا الضوء .

إنتاج (ليزر) جديد بالأشعة السينية

من المعروف أن أجهزة الليزر البصرى تعطى ضوءاً شديد التركيز ذا طول موجى محدد . ويتميز تطور هذه التقنية بالتقدم المستمر فى اتجاه الأطوال الموجية القصيرة ، لكن اختراع ليزر الأشعة السينية ظل املا يراود أحلام العلماء إلى أن تمكنوا من تحقيقه مؤخراً فى إطار الأبحاث المعملية الماضية ، ويجرى تطويره حاليا للحصول على ليزرات تنتج حزماً ذات أطوال موجيه أقصر بمئات المرات من الأطوال الموجية للضوء المرئى .

يتوقع أن يكون لأجهزة الليزر ذات الأمواج القصيرة تطبيقات متنوعة من اهمها إنتاج صور مجسمة (هولوجرامات) Holograms لوحدات البناء البيولوجية الدقيقة التى لا يمكن دراستها بمجهر الضوء المرئى ، وعندما تصبح ليزرات الأشعة السينية موثوق بها وذات مردود اقتصادى جيد سيكون لها العديد من التطبيقات الهامة .

بلاستيك جديد لامتصاص بقع البترول

اعلنت شركة يابانية فى طوكيو أنها أنتجت نوعا جديدا من البلاستيك يمكن أن يستخدم فى امتصاص بقع البترول وسائر المواد الضارة بالبيئة . وأوضح الباحثون أن هذا النوع الجديد من البلاستيك يمكنه أن يمتص ما يصل إلى عشرة أمثال وزنه من البترول والبنزين والزيوت النباتية والمذيبات التى يعد عنصر (الهالوجين) أساسا لها .

أضاف المسئولون أنه ما إن يمتص هذا البلاستيك أى مادة فإنها لا يمكن أن تتسرب منه مرة أخرى وذلك نظرا ؛ لأنها تصبح محاصرة فى داخل التركيب الجزيئى لهذا المركب الكيميائى .

خطر تآكل طبقة الأوزون على المحاصيل الزراعية

ذكر باحثون أستراليون أن بعض المحاصيل الزراعية كالقمح والبازلاء ستتعرض لأضرار خطيرة نتيجة تآكل طبقة الأوزون التى تحمى الكرة الأرضية . حيث ثبت بعد تعرض القمح والبازلاء معمليا للأشعة فوق البنفسجية لمدة ثمانية أيام متصلة أن المحاصيل فقدت ٥٥٪ من مادة الكلوروفيل التى تساعد النبات على القيام بعملية التمثيل الضوئى .

أخطار التحدث بصوت مرتفع

بعد الكثير من الدراسات العلمية أعلن أطباء أمراض القلب فى (لندن) أن التحدث بصوت مرتفع لمدة ساعتين يحدث اضطرابات بالقلب تعادل المجهود الذى يبذله القلب فى الجرى السريع لمسافة ٤ كيلو مترات .

آلة تصوير الرؤية فى الأماكن المليئة بالدخان

توصلت إحدى الشركات البريطانية إلى إنتاج آلة تصوير حرارية ، تمكن رجال الإطفاء من الرؤية فى الأماكن المليئة بالدخان الكثيف الذى يحجب الرؤية وتعمل « الكاميرا » ببطارية تستمر فى العمل لمدة ساعة ، وتثبت فوق خوذة رجال الإطفاء بحيث تصور الحريق بعد أن تنقى الصورة من الدخان عن طريق مرشحات خاصة تنقل الصورة أمام عيون رجال الإطفاء .

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

« همهما صادقا »

قيل لبعض التابعين : إنا نجد وسوسة فى الصلاة .

قال : أنا أجد ذلك

فقيل له : ما الذى تجده ؟

قال : أجد ذكر الجنة والنار وكأنى واقف بين يدى ربى !!

فقالوا له : إنا نجد ذكر الدنيا وحوائجها .

فقال : لأن اخر من السماء إلى الأرض أحب إلىَّ من أن يعلم الله ذلك من قلبى .

« أجهل من قومى قومك »

قال معاوية يوما لرجل من أهل اليمن ، ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة .

فقال : أجهل من قومى قومك الذين قالوا لما دعاهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للإيمان : ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ولم يقولوا : « إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه » .

« أوجع بيت هجاء »

قال عبد الملك بن مروان : ما هجانى أحد بأوجع من بيت هجانى به ابن الزبير وهو :

فإن تصبك من الأيام جائحة
لم نبك منك على دنيا ولا دين

« كم فقار ظهرك ؟ »

قال رجل لأعرابى : ما أحسبك تعرف كم تصلى فى كل يوم وليلة ؟

فقال له : فإن عرفت أتجعل لى على نفسك مسألة ؟

قال : نعم !!

قال :

إن الصلاة أربع وأربع
ثم ثلاث بعدهن أربع
ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال : صدقت .. هات مسألتك .

قال له : كم فقار ظهرك ؟ قال : لا أدرى .

قال : فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك .

« هذا الذي أعطاه حقه »

اختصم أعرابيان إلى بعض الولاة في دَيْنٍ لأحدهما على صاحبه ، فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق فقال له المدعى : دعني من هذه الأيمان ، واحلف بما أقول لك ، لاترك الله لك خُفًّا يتبع خفا ولا ظلفا يتبع ظلفا ، واحتُك من أهلك ومالك حت الورق من الشجر إن لم يكن لى هذا الحق قِبَلك .

فأعطاه حقه ولم يحلف له .

« أخي »

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذر مايرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

« مفاخرة يمن ومضر »

قال الأبرشي الكلبي لخالد بن صفوان : هلم أفاخرك وهما عند هشام بن عبد الملك فقال له خالد : قل .

فقال الأبرشي : لنا البيت (يريد الركن اليماني) ومنا حاتم طيىء ، ومنا المهلب بن أبي صفرة .

قال خالد بن صفوان : منا النبي المرسل - صلى الله عليه وسلم - وفينا الكتاب المنزل ، ولنا الخليفة المؤمل .

قال الأبرشي : لا فاخرت مضريا بعدك .

« قالوا ... »

● آفة النصح أن يكون جدالا ، وأذاه أن يكون جهاراً .

● إن الرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام ، وإن العطية بعد المنع أجمل من المنع بعد الإعطاء ، وإن الإقدام على العمل بعد التأني فيه ، أحسن من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه .

● إن من البلِّية أن يكون الرأي بيد من يملكه دون من يبصره .

● إذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك .

● الحكيم الصالح لا يخادع أحداً ، والعاقل الكامل لا يخدعه أحد .

« دعاء »

اللهم أنت غياثي ، فبك أستغيث ، وأنت ملاذي فبك ألوذ ، وأنت عياذي فبك أعوذ .

أعوذ بك من خِزيك ومن كشف سترك ، ونسيان ذكرك ، والانصراف عن شكرك .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

من توجيهات القرآن

فى تربية الخلق

لفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

ليس من الإنصاف القول بان رسالة الإسلام تعنى بالعبادات فقط ، فهذا فهم خاطىء نابع عن فكر قاصر بحقيقة الإسلام رسالة ومنهاجا ، فللإسلام جانب علمى لتوجيه الحياة بكل تفاصيلها إلى اسمى مكانة ينشدها الناس ، والعقيدة وهى لب الإسلام يبرزها ويعلن حقيقتها الجانب العملى ، وهذا الجانب يتمثل فى الخلق ، فالخلق دليل على صدق الإيمان ، ولن ياتى التعرف على هذا الجانب إلا بالتعامل .

وقد وضح ذلك فى دعوة رسول الله - ﷺ - سلوكا وخلقا ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ال عمران - ١٥٩ .

فالمسالمة ، ورقة الطبع ، ولطف المعشر اقرب الوسائل إلى امتلاك القلوب وتاليف الجماعات .

وفى تتبع لما جاء به القرآن الكريم من توجيهات خلقية قال الكاتب - رحمه الله :

أ- ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ .

ب- ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ .

قف معى أمام هاتين الآيتين ، واستشعر بوجدانك بعدما بين الفريقين ، ثم صاحبنى فى الموازنة بين المقامين ، علنا نهتدى من وراء ذلك إلى ماهنا من توجيه نحو أخلاق هى ذات الشأن فى التفريق بين فريق وفريق .

شعار هذا المقال ينم عن وعظ ، ويوحى بأنه للترغيب والترهيب ، ولئن كان ذلك المعنى شاخصا فيما أكتب ، فإن القصد الذى عنيته بالذات ، وأردت القارىء على أن يؤازرنى فيه هو أن نواصل ما بدأنا من تتبع ما هنا من توجيهات خلقية سيقت إلينا فى تأكيد من القول ، ولكنا على جفوة منها أو تجاهل ، حتى كأنها لم تكن لنا وبنا ، أو كأننا فى حل منها عملا والتزاما .

(أ) ينساق إلى بعض الأذهان أن القرآن حينما يتحدث عن المتقين ، إنما يقصد خصوص القائمين برسوم الإسلام من صلاة وزكاة ونحوهما ، وإن وهن فيهم جانب الأخلاق ، وأنه حينما يتحدث عن نقائص المنافقين لا يعنى بهم سوى المنافقين فى الإسلام ، على عهد الرسول ﷺ ، وإن توفرت كثرتهم بيننا فى هذه الأزمان .

ولو صح ذلك لكانت الفضيلة أرخص ما يدعيه الأدعياء ، ولوجدت جمهرة الأشرار يزحمون خيار الناس فى مناقبهم ، ويحتلون من الشرف منازلهم .

ولكن القرآن وضع للفضيلة حدودها ومعالمها ، وماز الخبيث من الطيب ، بما ذكر من خصائص النفوس ، واختلاف النزعات ، فإذا توارت عن بعض العقول حدود الفضيلة ، أو تعامت عن معالمها بصائر ، أو تطاول نفر من الحمقى فزعموا لأنفسهم أكثر مما لها ، فلن يكون ذلك طامسا لما رسم القرآن ، ولن يخلط الأوضاع التى تأبى أن تتبدل ، والتى ستظل فى حماية الدين ، وفى رعاية العلم ، وستظل كذلك مادام عقل يزن ، وضمير يحكم .

ليس الأمر كما فهم أولئك الذين زعموا أن دعوة القرآن إلى الخير ، تقف عند فرائض قد يؤديها من لا يحسنها ، وقد يباهى بها من يسير فى حياته على مناهضتها ، ولا يستشعر بشىء مما توحى به فى رسمها ، وفى معناها وأهدافها ، وإنما القرآن أوسع رحاباً مما تخيلوا وأسمى مأربا مما فهموا .

فهو ينظر فى الإنسان إلى عقيدته وعمله ، ويعتبر الخلق جانبا من العمل ، ناظرا إلى أثره فى الوجود ، وما ينجم عنه من خير أو شر ، فهو لا يحكم على الخلق ، ولا يرتب عليه جزاء إلا بقدر ما يتحقق من ورائه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

ثم يرى القرآن فيما علمنا أن الخلق ـ العمل ـ من متعلقات العقيدة وفيه تتمثل قوتها ، أو يبدو ضعفها ، وعلى ذلك ترى القرآن حينما يذكر المتقين ليشيد بهم ، وحينما يبشرهم بما أعد لهم فى أخراهم ، إنما يقصد بهم أولئك الذين صحت عقيدتهم ، وسلمت من شوائب الدخل طويتهم ، فكان مظهرها خالصا وصادقا فيما يبدو من خلق كريم ، وما يبدو من عمل حميد .

وما من شك فى أن العقيدة مصدر الإلهام للجوارح ، وصاحبة السلطان فى التوجيه ، فتدفع إلى الخير وتحببه إلى النفس ، أو تذود عنه وترغب عن سواه .

وإلى هنا يتضح أن العقيدة وحدها ، أو عملا طيبا لا تكون العقيدة مبعثه ، أو لا يكون مشفوعا بخلق حسن ، شىء من ذلك وحده لا يكفى لانتظام صاحبه فى المتقين ، ولا ينهض شأنه أن يأبه القرآن لذكره ، والإشادة به ، واستنهاض العزائم ، وإيقاظ النفوس لأن تترسم آثاره ، وتتأسى بصنيعه .

وقد تقرر عند أولى العلم أن الإيمان عقيدة ، وقول ، وعمل ؛ فإذا ما اعتور النقص واحداً من هذه الثلاث امتنع أن يوصف بالتقوى ؛ إذ التقوى هى كمال الإيمان .

نعم تكون تقوى نسبية فى مقابلة من يكون أقل من ذلك منزلة ، ولكن ليست التقوى التى يردد

من روائع الماضى

من توجيهات القرآن فى تربية الخلق

القرآن امتداحها ، ويقام لها الوزن الراجح فى اصطلاح علم الأخلاق .

ولدينا المثل لتطبيق هذا ، فإن خيار الناس الذين امتلأت الدنيا بذكرهم ، وجرت على لسان الزمن سيرتهم ، كان امتيازهم بعد العقيدة بادياً من ناحية الخلق .

وكانت أخلاقهم نماذج للإنسانية الكاملة ، ومعالم وضاءة لهداية الناس ، لا فى جانب دون جانب ، بل فى جوانب الحياة عامة ، وفى كل شأن يتصل به شئون الجماعات ، وقد رأينا القرآن حينما يعرض الثناء على المتقين ، يذكر أول ما يذكر ناحية الخلق ، فهو يمتدح فيهم كظم الغيظ ، والعفو عن الناس ، والإعراض عن اللغو ، وعفة اللسان ، ويذكر لهم الإيثار والقناعة ، والإخلاص وحب الخير للناس والوفاء ونقاء السريرة ، وقوة العاطفة ، والصبر، والرضا ، ويذكر كل ما يعتبره الدين من كمال الدين وكل ما يراه علم الأخلاق من محاسن الأخلاق .

ونرى القرآن حينما يختص النبى محمداً ـ صلوات الله عليه ـ بذكر مناقبه ، يمتدح فيه الرحمة ولين الجانب وسعة الحلم ، وجميل الصفح ، ويجمل ذلك وما إليه من شمائله الكريمة فى قوله : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .

وفى ذلك توجيه لنا إلى أن المسالمة ، ورقة الطبع ، ولطف المعشر أقرب الوسائل إلى امتلاك القلوب ، وتأليف الجماعات .

ثم فى مقام آخر يعمد القرآن إلى الإحاطة بكل ما يتأتى أن يمدح به النبى ، ويطوى ذلك فى أيسر عبارة تجرى على اللسان فيقول : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

فهذا نمط القرآن حين يتحدث عن التقوى والمتقين ؛ إذ يذكر أعمالهم وخصالهم ، ولا يقف عند ذلك التحديد الضيق الذى يقف عنده الذهن الكليل .

ومع ان القرآن ينثر أوصاف المتقين فى مواضع كثيرة من آياته ، ويبث مدائحهم فى الوان عدة من الثناء ، فقد نراه يوجز كل ذلك فى وعد كريم يشف عما لهم عند الله من قدر ، كفاء ما تجملوا به من خلق . أفرأيت قولا أحفل بالرضا ، وأدل على سمو المنزلة من قوله ، فقال : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ، ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ ، ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ ؛ بل هناك من حسن التقدير ، وبالغ الوصف ما هو أحفل وأعجب ، وحسبك قوله عز شأنه : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ الآية فكأنهم غير مجزيين بقدر أعمالهم فحسب ، بل لهم الآمال الفسيحة ، والمطامع الممتدة ، والرغبات المستجابة ـ ذلك جزاء المحسنين .

فليتنبه إلى ذلك من كان يظن أن التلون بلون الدين فى عبادة جافة ، أو فى زهادة لا يؤازرها خلق ، أو فى تزمت وغرور ، أو فى تكاسل مع الإسراف فى حسن الظن بعفو الله ، من كان يظن أن شيئاً من ذلك يرقى به إلى مكان يروقه من الإيمان ، أو ينهض به إلى منزلة أعدت لمن عرفوا الدين دينا وخلقا ، فهو دون الفهم الصحيح ، والنظر الصائب ببون شاسع وأمد بعيد .

(ب) ذلك هو المقام الكريم من مقامين ، فأين منه مقام آخرين على طرف مضاد ؟ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ؟

إن القرآن فى دعوته إلى تزكية النفس ، يستحثنا على الصدق فيما ننتحل من قول وعمل ، وينأى بنا عن مساوىء الدعوى المصطنعة ، والتقنع بالكمال المدخول ، مع الركون إلى

سفساف الخلق ، والاحتيال فى جلب الثناء من غير طريقه .

يرى القرآن فيما يتجه إلينا به أن هذا اللون الزائف من الخلق المموه ، شر ما يطمس معالم الإنسانية وقد كرمها الله ، وأقبح ما ينتاب المجتمع من تحلل النفسيات ، والتبجح فى قلب الأوضاع ، والطغيان على المبادىء القويمة التى هى موازين الكرامات والتى تعتبر من مباهج الحياة .

وما كانت أقدار الناس متمايزة فى قياس العقل ، ولا كانت القيم الأدبية على تفاوت بين إنسان وإنسان ، بل بين الإنسان والحيوان الأعجم إلا لأن هناك مدارك وحساسية توفرت فى جانب دون جانب ، وبرزت آثارها فى فرد أو جماعة أكثر مما توفرت وبرزت فى آخرين .

فهذا إنسان أينع فيه الخلق الفاضل ، حتى ارتقى فى مكانته لدى من يقدره ، واقترب فى إنسانيته أن يكون ملائكيا ، وذاك آخر هبطت فيه المدارك ، والحساسية ، وذبلت نفسيته حتى ارتكس إلى سفل ، وكان محسوبا على الإنسانية وهو ثقل على عاتقها ، ومخزاة فى وجهها ، أو كانت حياته شقوة تلحق بمجتمعه ، وتكدر العيش على من يبتغون العيش مطمئنا فى ظلال رفيهة من حسن الأخلاق .

يسوقنا ذلك ، أو يسوقنا إلى ذلك ما صنع القرآن فى حديثه عن النفاق وأهله ، فقد انتهج مع المنافقين أقسى مما انتهج مع أهل الكفر الصراح .

ليس لأن الكافرين بدعوة القرآن أحب إليه ممن نافقوا ، ولكن لأن الكفر الصراح يعتبر من الوجهة الاجتماعية عنادا سافرا وعداء مكشوفا ، أما النفاق فعداء ملفوف ، وضغن كامن ، فيه ما فى الكفر الصراح من قبح ، وفيه فوق ذلك مكر يبيتونه ، وشباك ينصبونها وراء ذلك الود البراق .

وكثيراً ما يقع المسالم المطمئن فى حبال النفاق ، إذا استنام إلى ظاهره ، ولم يفطن إلى خباياه أنه من الهين على المرء أن يتحاشى عدوا سافرا أكثر مما يتحاشى عدوا كامنا .

لذلك كان النفاق مهينا غاية المهانة وكان بغيضا نهاية البغض ، فليس فيه شىء يخفف من سوء ما به ، ولا يجتمع مع النفاق اعتزاز بشخصية ، ولا احتفاظ بكرامة ، ولا خشية من معرة .

ذكر القرآن من أوصاف المنافق ما كشف عن شخصية متأرجحة ، لا تملكها عقيدة ، ولم يثبتها إيمان ، فهى بين وسوسة وقتية ، ورعدة لازمة ، ويظل المنافق بين وسوسته وخوفه مفكك الشخصية ، مائع الخلق ، غير متماسك الرأى ، وهو إزاء اضطرابه ذلك يحاول أن يستند إلى غيره : كمن يلعب برأسه دوار ، أو كمن خارت قواه عن الوقوف ؛ فلم يتمالك أن ينهض على قدميه ، فمد يده إلى جانب ، والأخرى إلى جانب ، ثم ترهل فى حركته ليقف كما يقف الأقوياء وليس هو من الأقوياء .

يحرص المنافق على أن يمالىء هذا وذاك ، ويلتمس الرضا هنا وهناك ، فهو مع كل زامر يرقص ، ومع كل منشد يطرب ، وأنى يكون إنسان من كان كذلك ، أو على شىء من ذلك ؟

وليس أصدق من قول الله فيمن ينافق : ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ ولا يحسبن حاسب أن النفاق جملة نقائص تتجمع فى شخص ، بل النفاق خصال وضيعة ، فمن تجمعت لديه فهو ممعن فى نفاقه ، ومن ابتلى منها بشىء فهو منافق إلى حد ما ، والنفاق شر كله وإن كان هينا على من اقترفه أو اقترف منه طرفا يسيرا .

ذكر القرآن أوصاف النفاق فى مناسبات من آياته : فأنت تراه يقول عن المنافقين : ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ويقول : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ ، ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ

من روائع الملغى

من توجيهات القرآن فى تربية الخلق

أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ ، ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ ، ﴿ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾ ، ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ ، ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾ ، ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ .

وهكذا من الآيات التى تشهد على المنافق بالضعة ، وتعطيك من صوره أنه : مراء وكذاب ، ونفعي ومتصنع ومريض القلب ، وما إلى ذلك مما يعافه السمع الكريم ، وتتأوه من هوله الجماعات ، فهل بعد هاته الدنايا يعرض للمنافق شأن أو يقام له حساب ؟

من كان كذلك فهو دون الغير فى الاعتبار ، بل هو دون الغير حتى فى الهوان ، فقد يكون خصم له قدر ، وقد يكون خصم تتخطاه الأنظار. ويتجاوزه الحديث حتى فى عداد الخصوم لو كانوا شرفاء ، فإذا رايت القرآن يؤكد لك أن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار فقد سلك بهم مسلكهم ، ووضعهم فى أخراهم حيث وضعوا انفسهم فى دنياهم ، وجعل قرارهم فى الدرك الأسفل ، بعد أن جعل مثوى المتقين فى مقام أمين ، ولم يكن هناك بين هؤلاء وأولاء سوى كرامة وأخلاق .. واليوم يابعد ما بين مقام ومقام !

من أعلام الأزهـــر - بقية -

وهكذا يمضى حتى يقول فى ختام شرحه لهذه الآية : ولما كان رد الأحكام إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة قاطعا السبيل على المبعدين فى التأويل والمحرفين جعل فيه الخير ، وكان أحمد عاقبة من التأويل البعيد ، الذي يحيل الشريعة إلى اجتهاد بشرى لا تثبت فيه . مع أن الدستور الأول محفوظ برعاية الله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

العلم معرفة وسلوك

وكما كان شاعرنا عالما دقيقا كان « مربيا » فاضلا وموجها رائدا ، وقد نشر الكثير من آرائه القيمة فى مجلة « الرائد » تحت عنوان « اتجاهات تربوية علمية » ومن موضوع له بعنوان « العلم معرفة وسلوك » يقول :

إن معنى التوجيه الذهاب إلى جهة . والسلوك فى جملته مرتبط بالفضائل ونحن حين نؤدى واجبنا العلمى فى وضوح وبساطة ويسر إنما نربى أبناء هذا الجيل على المسلك الذاهب إلى الحق فى نور اليقين . وللكلام بقية بعون الله وفتوحه ورضاه » .

وامتد عطاؤه عشرات السنين ، واختير « معلما مثاليا » ثم اختير « رائدا من الرواد الأوائل » وقد حياه الرئيس السادات تحية خاصة عند تكريمه . وقد تخرج - رحمه الله - فى كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٢ وكتب مع نوابغ زملائه فى الأزهر « محمد فهمى عبد اللطيف » و « أحمد الشرباصى » وغيرهما حتى قبل تخرجهم كتبوا فى مجلة الصباح لصاحبها مصطفى القشاش ، ولم يترك القلم من يده منذ ذلك اليوم إلى أن انتقل إلى جوار ربه فى ١٩٩١/٨/١٧ . وكان موسوعة علمية وأدبية تتحرك بين الناس ، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه أحسن الجزاء لما قدمه لدينه ولأمته .

اللغة والأدب والنقد

التشريع اللغوي في نموه وانتشاره وتنوعه

المسلمون في الولايات المتحدة

التشريع اللغوى

فى نموه وانتشاره وتنوعه

٢

للدكتور
توفيق محمد شاهين

ويجرنا الحديث إلى قضية التكاثر والانتشار اللغوى مع الحديث عن قضية النشوء والارتقاء؛ ويسميها الدكتور المسدى (نظرية النشوء والتناسل)[١] وهى تكرس توالى نقاط الديمومة، وروابط التعاقب فيها اكثر مما تحتكم إلى منطلق الزمن فى اصل نشاته.

وهذه النظرية تقوم على افتراض تحرك الوجود اللغوى على محور الزمن قبل اكتمال الظاهرة اللغوية ذاتها، لانها لا تولد بالطفرة التلقائية، اى انها لم توجد فى لحظة معينة بصفة متكاملة، وإنما وجدت كوحدات فى اصل النشاة، ثم اعقبها التوالد والتكاثر، كالخلية التى تتكاثر، ودراستها حينئذ كدراسة اى ظاهرة من ظواهر المجتمع الذى نعيشه، ونرى تدرج الظواهر والأمور فيه على نحو متدرج يتكامل ويتكاثر وينتشر.

فإخوان الصفا حملوا الرئيس المدبر، وخلطاءه، ومن يلوذ بهم من بعدهم مسئولية الإشاعة والبث، حتى تعم الظاهرة اللغوية، ويذهبون إلى أن منشأ اللغة هو الرمز بحروف، هى ضرب من الأرقام الهندية فى الحساب، يتوصل بها إلى معرفة أسماء الأشياء وصفاتها، وتدرج ذلك إلى كلام بسيط محدود طبقا لقانون الحاجة والاضطرار، ويشبهون ذلك بشجرة نبتت وتفرعت وتفرقت فروعها، وكثرت أوراقها وثمارها، وتقسمها الأقوام فأخذ كل قوم بحسب ما اتفق لهم فى أصول مواليدهم[٢].

والحاجة الملحة عند الإنسان هى الدافع الأول

(١) افاق عربية ص ٥٩.

(٢) رسائل إخوان الصفا ٣/١٤١ ـ ١٥٠.

لتوالد اللغة وتكاثرها ، يقول الجاحظ : (كثر كلام الناس واختلفت صور ألفاظهم ، ومخارج كلامهم ، ومقادير أصواتهم : فى اللين والشدة ، وفى المد والقطع .. إنما هو بسبب : كثرة حاجاتهم ولكثرة حاجاتهم كثرت خواطرهم وتصاريف ألفاظهم ، واتسعت على قدر اتساع معرفتهم)[٣] .

والأديب اللغوى الشيخ عبد الله العلايلى - أمد الله فى عمره - يرينا صورة لهذا التدرج - كنظرة عقلانية - فيها قريب معقول ، وبالتالى فيها خيال خصيب ، عالج فى هذه الصورة الأحادية فى أصول اللغة والثنائية والثلاثية ، ويخلص منها إلى أن اللغة - بعامة ، قد مرت فى ثلاثة أدوار ، موجزها :

الدور الأول : أدنى المقاطع ، وهو المقطع البسيط الأحادى ، الذى هو أحد حروف الجدول الهجائى ، والتى أخذت منه كل لغة ما يناسبها ، مثل (بَ) فى العربية ، و (B A) فى الانجليزية مثلاً . وكل صوت أو مقطع عبر عن معنى ودلالة فى الطور البدائى الفطرى للإنسان ، حين اضطر إلى ذلك ، ويقول مثلاً : «عو» يدل على الحيوانات الزئيرية ، و«وا» يدل على الصوت المتكرر بحركة الفكين ، وعنه نشأ الفعل «وو» فى العبرية بمعنى وصل .

والدور الثانى : ذو المقطعين ، أى صامتين + مصوتين ، أو مصوت واحد ، وذلك ناشىء عن تطور المقاطع الأحادية إلى ثنائية ، فمعنى المثال السابق (عوا) حيوان مفترس يواصل التصويت ، ويضرب الشيخ العلايلى مثلاً آخر لمعنى كلمة (سمك) ، فالسين بمعنى الدعامة ومطلق القوى ، و(الميم) ترمز للمياه ، و(الكاف) للكف أى مطلق التبسيط فى الصغر ، فالمعنى : كف الماء القوى ، وهو تصوير صحيح عن السمك .

والدور الثالث : دور طويل يمثل إنسان العصر الحجرى وما تلاه حتى تم نضج الإنسان واكتمل عقله ، ولطوله قسمه الشيخ العلايلى إلى حلقات خمس ، هى :

الحلقة الأولى : من العصر الحجرى إلى البرونزى ، وفيه استعمل الإنسان المقطع الواحد والمقطعين .

والحلقة الثانية : كثرت المفردات ، وعرفت الكتابة ، وتركبت الجمل وذلك فى العصر الحديدى .

والحلقة الثالثة : فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف ، وعرف الاشتقاق ، وأتقن الكتابة .

والحلقة الرابعة : تم فيها نضجه اللغوى ، وتمكن من الاشتقاق ، وأكسب اللغة حيوية .

والحلقة الخامسة : اكتملت اللغات الحية ، ولم تعد بحاجة لمستزيد ، وكمن فيها غناؤها وكفايتها[٤] .

هذه نظرية الشيخ العلايلى ، وفيها خيال خصيب لا يبعد ولا يعد الحقيقة كثيراً فى نظرنا .

وعلى هذا المنوال كان بحث فريق من علماء اللغة ، مثل (جبر سن) ، الذى دارت أبحاثه ودراساته حول (لغة الطفل) ، و(لغة القبائل البدائية) و(دراسة تاريخية التطور اللغوى) ، للوصول بذلك إلى معرفة تطور اللغة وانتشارها فضلاً عن منشأها ومبتداها[٥] وكلها - فى الواقع ظنون ، وإن كانت ظنونا قوية ، إلا أنها لا ترجع إلى اليقين بحال ؛ لأن البحث فى هذا الجانب

---

(٣) الحيوان للجاحظ جـ ٤ ص ٢١ .

(٤) مقدمة لدرس لغة العرب ، للشيخ العلايلى ص ١١٠ وما بعدها .

(٥) اللغة والمجتمع د . محمود السعران ص ٤١ .

التشريع اللغوى

في نموه وانتشاره وتنوعه

اللغوى - كما هو معلوم - بحث غيبى ميتافيزيقى ، لأنه لا يعتمد على الأسلوب العلمى التجريبى حتى يكون من الأبحاث العلمية الدقيقة ، فكانت لذلك كل النظريات تعطى جانبا يقرب من الحقيقة ، ويميط جانبا من الحجب الضاربة على الواقع اللغوى فى منشئه وتدرجه ؛ لأنه ظن راجح ولم يعارض بما هو ارجح ، كما أسلفنا من قبل .

والفيلسوف الإسلامى أبو نصر الفارابى أصل من قبل مرحلة الأدوار والمراحل التى قطعها الإنسان فى الإبانة عن نفسه ، بحسب العادة ، وضرورة التعايش الاجتماعى ، والتكيف الطبيعى والبيولوجى والاستعدادات الفطرية ، على نحو ما فصل الشيخ العلايلى حديثا .

فالإنسان - عند الفارابى موجود قبل اللغة ، والتى هى ظاهرة عارضة وطارئة على الإنسان ومجتمعه ، واحتاج الإنسان إلى (أن يعرف غيره ما فى ضميره ، أو مقصوده بضميره ، فاستعمل الإشارة فى الدلالة ، وفزع معها إلى التصويت اللغوى ، والذى هو أساس الحروف ، ومنها تألفت الكلمات وترقت بالتولد من البسيط إلى المركب ، حتى تكاملت الظاهرة ، وبلغت الذروة فى الكمال ، من الترقى المحسوس إلى المعقول ، حديثا ، وخطابة وشعرا وفلسفة)[٦] .

وتعددت اللغات - بعدئذ - بخاصية الانسلاخ والتعدد ، بفضل بعدى الزمان والمكان - متى ؟ وأين - كأساس تفتيشى لكل معضلة وقضية ، أو رمز للزمن والمحيط فيقر الإمام ابن حزم مبدأ التكاثر انطلاقا من :

(لغة واحدة مترادفة الأسماء على المسميات ، ثم صارت لغات كثيرة .. ويعزو هذه الظاهرة إلى مبدأ تبادل ابنية اللغة : على طول الأزمان ، واختلاف البلدان ، ومجاورة الأمم[٧] .

وأفضى هذا التكاثر إلى تعدد اللغات بحيث تفرقت المظاهر اللسانية فى أجناس النطق وأشكاله ، حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين فى همس وجهارة ، أو حدة ورخاوة ، أو فصاحة ولكنة ، أو نظم وأسلوب ، أو غير ذلك من صفات النطق وأحواله ، كما يقرره العلامة الزمخشرى[٨] .

ومن قبله قرر ابن جنى ذلك التغير الطارىء على الظاهرة اللغوية ، مثلها فى ذلك مثل الكائن الحى فيما يعتوره ، كما قال : « ... وهذا ونحوه مما يدلك على تنقل الأحوال بهذه اللغة ، واعتراض الأحداث عليها ، وكثرة تغيرها وتحولها»[٩] ويعبر ابن جنى عما يسمى بقانون التناسب الطردى ، أو التناسب بين التواتر والاستحالة فى آن واحد ، بقوله : (وهم لما كثر استعماله أشد تغييرا)[١٠] اى ومن حقه حين كثر استعماله أن يثبت ، لا العكس .. لكن الأمر فى هذا أصبح كقانون ؛ لأن التراكم الكمى للحدث اللغوى فى الزمن هو رصيدها وجوهر حياتها ، ولكن التغير هو الدليل على حيويتها وثرائها ، وقدرتها على النماء الذاتى (والديناميكية).

ومن مظاهر الانتشار التداخل اللغوى .. ومعنى التداخل : أن تتركب لغة ثالثة هى خليط من لغتين ، واللغة هنا بمعنى اللهجة ، أى أن التداخل إنما يكون فى إطار اللغة الواحدة ، يقول ابن جنى : (ثم تلاقى أصحاب اللغتين ، فسمع

(٦) الحروف للفارابى ١٣٥ .
(٧) الأحكام لابن حزم ١٣١/١ .
(٨) الكشاف للزمخشرى ٥٠٦/٢ .
(٩) الخصائص لابن جنى ٢١٥/١ .
(١٠) السابق ٣٤/٣ .

هذا لغة هذا ، وهذا لغة هذا ، فأخذ كل واحد منهما من صاحبه ما ضمه إلى لغته ؛ فتركبت هناك لغة ثالثة)[11] .

وتداخل اللغات قائم على سنن ، ومن ثم فلم يفزع منه علماء اللغة ، بل وصفوا مظاهره ، وعللوا أسبابه ، وذكروا أمثلته .

وإنما التغيير أو المسخ هو الذى أفزع العلماء ، ومن ثم نشطوا لجمع اللغة وضبطها ، وبخاصة عند الذين تأخر بهم الزمن فأقلقهم قانون التغير الطاغى ، ويصور الحيرة العلامة ابن منظور الأفريقى المصرى (٦٣٠ ـ ٧١١) هـ ، حيث يقول :

(فإننى لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية ، وضبط فضلها ؛ إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز ، والسنة النبوية ، ولأن العالم بغوامضها يعلم ما توافق فيه النية اللسان ، ويخالف فيه اللسان النية . وذلك لما رأيته قد غلب فى هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان ، حتى لقد أصبح اللحن فى الكلام يعد لحنا مردودا ، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا ، وتنافس الناس فى تصانيف الترجمانات فى اللغة الأعجمية ، وتفاصحوا فى غير اللغة العربية ، فجمعت هذا الكتاب فى زمن أهله بغير لغته يفخرون . وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون . وسميته لسان العرب)[12] .

فهو متأثر (عقيدة) فى ضرورة الحفاظ على وعاء الإسلام بجمعه وضبطه ، ومشفق من هذا التغير الذى استشرى ، والحيرة فى ظاهرة التنافر والتوافق بين اللسان والنية ، وعاتب على إهمال العرب والمسلمين للغة القرآن والسنة .

وهذا التغيير الحتمى أدركه وعى الفكر العربى ، كما يصوره الدكتور المسدى بقوله : (وليس أدل على وعى الفكر العربى بحتمية التغير اللغوى من تصوير المعجميين بالحافز الذى كان يستنفرهم لوضع قواميسهم ، وخاصة من تأخر فى الزمن نسبيا منهم ، إذ انتهى إذ ذاك مشكل جمع اللغة خشية التشتت أو الاندثار بعد أن تكاملت منظومة التراث العربى على مر قرون عدة) .. وضرب المثل بابن منظور ، الذى أصبحت حيرته الناموس القهار الذى للزمن على الظاهرة اللغوية .. وصوره بغاية الدقة عند إبراز ظاهرتى التوافق والتنافر بين النية واللسان ، وهو مجمع الأشكال فى تحولات الظاهرة اللغوية[13] .

ويقرر ذلك الناموس فى صراحة القاضى عبد الجبار ، حين يقول عن سلطان هذا الناموس وجبروته : (العرف أقوى من اللغة ؛ لأنه يرد على اللغة فيغير حكمها)[14] .

ويسلم الزملكانى لهذا السلطان كأنه حتمية لازمة بقوله :

(لكل زمان أهل وعادة فى مقالهم ومجارى استعمالهم)[15] .

وهذا ما يفسر نشوء اللهجات وانشقاقها من اللغة الأم ، ثم تتسع مسافة الخلف وتتباعد ، وإن حملت الملامح والسمات الأساسية ، وقد يسعفها الدهر بحادث جليل فتصبح أمًّا أو بدرا تختفى النجوم حولها ، كما حدث للقرشية بالنسبة للهجات الأخرى فى اللغة العربية ، وقديما قال الشاعر :

وكم فى العرس أبهى من عروس
ولكن للعروس الدهر ساعد

وإذا فطن اللغويون لسبب طغيان لهجة على أخرى ، أو خط لغة فى الذيوع والانتشار ، بسبب

---

(١١) الخصائص ١/٢١٥ .

(١٢) مقدمة قاموس لسان العرب .

(١٣) آفاق عربية د . المسدى ص ٦٢ .

(١٤) المغنى ٦/٩٨ .

(١٥) البرهان ٩٣ .

في نموه وانتشاره وتنوعه

الكثرة أو الغلبة والانبهار .. فقد أدرك مفكرونا القدماء ذلك :

فابن خلدون يرى المخالطة أو الغلبة : المخالطة للكثرة فى الاجتماع ، والغلبة فى المحرك الحضارى والتفوق العسكرى بين الجماعات اللغوية المتغايرة :

فابن خلدون يرى أن اختلاط العرب بغيرهم فى الفتح وغيره غير ملكتهم اللغوية (بما ألقى إليها السمع من المخالفات التى للمستعربين ، والسمع أبو الملكات اللسانية) وكان التغاير (بما ألقى إليها مما يغايرها لجنوحها إليها باعتياد السمع) حتى (فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم ، وسبب فسادها : أن الناشىء من الجيل صار يسمع فى العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التى كانت للعرب ، فيعبر بها عن مقصوده ؛ لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ، ويسمع كيفيات العرب أيضاً ؛ فاختلط عليه الأمر ؛ وأخذ من هذه وهذه فاستحدث ملكة)[١٦] .

فالاختلاط أدى إلى فساد الملكات ، والسمع أبو الملكات اللسانية على نحو ما يقرره علم اللغة الحديث ، والتأثير والتأثر متبادلان ، والنتيجة هى التشقق واستحداث لهجات جديدة تنفصل أو تظل على اتصال واهٍ أو متين من اللهجة الأم .

وعن تأثير قانون الصراع والغلبة وأثره على اللغة واللهجات ، يقرر العلامة ابن خلدون بقوله :

(اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها أو المختلطين بها) ويسوق دليلا على ذلك بغلبة العربية على ألسنة الأمم الأخرى حين عزت وبذت الدولة الإسلامية على غيرها (والدين والملة صورة للوجود والملك ، وكلها مواد له ، والصورة مقدمة على المادة ، والدين إنما يستفاد من الشريعة ، وهى بلسان العرب) ، وحين ضعف سلطان الأمة الإسلامية ، وتولى أمردولتهم غير من أقاموا دعائم دينهم ، (وملك التتر والغول بالمشرق ، ولم يكونوا على دين الإسلام .. ذهب ذلك المرجح ، وفسدت اللغة العربية على الإطلاق) فلم يبق له ـ فى ممالك العراق وما وراءه (أثر ولا عين ، حتى أن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمى ، وكذا تدريسه فى المجالس)[١٧] .

فاللغة تعيش كما يعيش الكائن الحى ، بما هى خصيصة الإنسان ، فإن ارتقى الإنسان ، وقوى ، توفرت عناصر البقاء والحياة والقوة والنماء للغة والعكس بالعكس ، ويعبر عن هذا صراحة ـ أيضاً ـ العلامة ابن حزم الأندلسى بقوله :

(إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم فى مساكنهم ، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم :

فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها ، قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم .

وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم ، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل فى خدمة أعدائهم فمضمون منهم موت الخواطر ، وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم)[١٨] .

وما ينطبق على العربية ينطبق على غيرها ، كاللاتينية وما تفرع عنها مثلاً .

---

(١٦) المقدمة ص ٥٥٥ ـ ٥٥٧ .
(١٧) المقدمة ص ٣٨٠ .
(١٨) الاحكام ١/ ٣١ .

وإن الناظر فى حال الأمم الإسلامية والعربية التى وقعت تحت نير الاستعمار الغربى أو الشرقى ، ليرى مصداق كلام وتقرير العملاقين : ابن خلدون وابن حزم ، وكيف أن اللسان العربى مسخ ، وأن فرقة اللهجات ازدادت اتساعا ، وبعدت الأصول اللغوية عن اللغة الأم ، فأصبحت مشوهة ، أغرت الضالين بالقول بالتخلى عن اللغة العربية الفصحى وعزلها فيما تبقى لها فى حيز ضيق وعاشت بين أهلها غريبة الملامح والسمات والانتماء الروحى ، وحتى من أقبل عليها مسوقا بالعاطفة الدينية من غير أبنائها .. ما إن سار قدما فى تعلمها حتى وقع فى حيرة وبلبلة ، حين وجدها حية فى الكتب والخط العلمانى ، وميتة على لسان أهلها والجاهلين بأمرها حين يعايش تخاطبهم بلهجات عامية ، ويعاين جهلهم بأبسط قواعدها ، والنتيجة : أنه تعلم العربية ، وهى لغة قوم لا يعون عنها شيئاً ، ويستغربون أو لا يفهمون التخاطب بها ولا يعون التعاطف معها .

وحيا الله جهود أفراد نافحوا وجاهدوا فى سبيلها فى ظلمات العواصف التى ألمت بها وبأهلها، فأرسوا قواعدها وحافظوا عليها ، ودافعوا عنها ، وأمدوها بجرعات الحياة ، وشدوا من عضدها ، فاستقامت ، واحتضنها أقوام انست إليهم وانسوا لها ، أمثال : الأفغانى ، والشيخ عبده ، والشيخ طاهر الجزائرى ، وابن باديس ، والرافعى ، والكيلانى وغيرهم من أبنائهم فى العصر الحديث ، حين اهتموا وعاونتهم المجامع اللغوية على حياة اللغة وإحيائها من منظور لسانى ووطنى .. وبالتالى عاونت المعاهد والجامعات وفى مقدمتها الأزهر من منظور لسانى وعقيدى .. وكان المنتوج الإنسانى باهرا فى إحياء العربية .. وحبذا لو جاء تلامذة للرواد يضربون على نفس الوتر ، ويعزفون نفس المنظومة .. إذن لتبدل حال العربية إلى الذيوع والانتشار ، بمعاونة القمة والقاع ، وتعاون الأجهزة المختصة والقادرة على إرساء حجر الأساس والزاوية فى بناء صرح العربية .. فقد تنازع البقاء والذيوع والانتشار فى ميدان الكون اليوم لغات غطت مساحات المعمورة كلها كلفات سائدة رائدة يرفدها العون المادى والأدبى والدفع القوى ، كالانجليزية ، والفرنسية ، والأسبانية .

فإذا عاملنا العربية ككائن حى ، وأوليناها الرعاية والعناية اللائقتين ، وعاملناها من منطلق لسانى ومن منطلق إيمانى .. سيصير الحال غير الحال ، وما ذلك على الله بعزيز .

ونسوق فى الختام قول الفيلسوف الألمانى : إن وجود أمة من الأمم بوجود (إنيتها) التى هى شخصيتها ، وإن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة : الدين ، واللغة وحب الوطن .

إن اللغة هى رمز وجود الأمة ، إن الذى يفقد لغته ينتهى به الأمر إلى الذوبان ؛ لأن اللغة هى القوة الطبيعية الأولى لأمة ما ، فهى صدى روحها وأصالتها ، وهى لسان شخصيتها والحافظة لتراثها .. ويقول : إن العبد يأخذ لغة سيده .. وإن فقدان أمة للغتها .. هو فقدان وعيها ، وإنيتها ، وذاتيتها .. هى العروة الوثقى التى تربط بين الأحياء ، وتصل بالأموات ، ويكتب بها سجل الأمم (من كتابه : نداء إلى الأمة الألمانية) .

المسلمون

في الولايات المتحدة الأمريكية

٢

الأستاذ
مجدى عبد الحميد بشير

ولسنوات عديدة كان المركز الإسلامى ضحية تهديدات بالقنابل ، ومحاولة حرق واحدة على الأقل ؛ كما كان الثمن - مع مساجد أخرى - اكثر فداحة ، فقد اشعل الحارقون النار بأحد المساجد فى (كورونا) فى مقاطعة الملكات بمدينة (نيويورك) . وذلك بعد اختطاف سفينة الركاب الإيطالية (اكيلى لاوْرُو) فى البحر المتوسط عام ١٩٨٥ .

وفى أوائل هذا العام بعد اختطاف الطائرة T W A مزقت قنبلة موقوتة أحشاء مسجد فى (هُيُوسْتُنْ) ، وفى الربيع الماضى أتلفت قنبلة حارقة المركز الإسلامى غير الحصين فى كوينسى بولاية (ماسَاشُوستْ) حيث وُضِعَتْ فى وقت متأخر من إحدى ليالى رمضان الذى يُعرِّفُه الكاتب بقوله : إنه الشهر القمرى التاسع الذى يصوم فيه المسلمون من الفجر إلى الغسق وهو شهر يزدان فيه التقويم الإسلامى بذكرياته العطرة وانتصاراته عبر تاريخ المسلمين الحافل .

وقد حاول المجلس الإسلامى بـ (لوس انجلوس) مقاومة سوء الفهم هذا بطرق عديدة أهمها : إصدار وتوزيع مجلة إخبارية أسبوعية تسمى (الإسلام) وهى مجلة ذات أسلوب معين برامجية توزع على محطات (التلفاز) بتسع مدن .

والبرنامج من بنات أفكار (نذير خاجا) وهو طبيب يدرس بأحد مدارس الطب بـ (كاليفورنيا) كما قام بإنشاء (خدمة المعلومات الإسلامية) عام ١٩٨٥ .

وعلى جهاز بعيادة دكتور خاجا أخذ شريط لأحد العروض القديمة فى الدوران ، وفى هذا الشريط المرئى يرى مغنى الأغانى الشعبية سابقا (كات استيفينز) الذى اعتنق الإسلام مؤخراً ، واسمى نفسه (يوسف إسلام) ، وقد اعتلى إحدى المنصات وانهمك فى شرح وتوضيح أساسيات الإسلام ومبادئه .

كذلك تم تصوير (يوسف إسلام) فى إعلانات المركز الإسلامى فيما يسمى بشريط الشهر الذى يصدره النادى . ويسمى أحد شرائط (الفيديو) تلك (الإسلام .. مستقبل البشرية) .

وفى هذه الأيام أخذ المركز ينخرط بقوة فى المسائل السياسية من خلال العمل الإبداعى الذى لم يتجاوز السنتين والمسمى (مجلس الشئون العامة للمسلمين) . والذى يديره (سلام المراياتى) وهو مهاجر عراقى يبلغ من العمر ثلاثين عاما ، ومنتقد صريح لسياسات بلاده . كما يقوم المركز بدعوة السياسيين من مختلف المشارب والاتجاهات والدرجات من أعضاء مجالس مدن إلى ممثلين برلمانيين بمختلف الولايات وذلك لزيارة ومناقشة شتى القضايا .

وكما دخلوا فى التنافس للتسجيل كناخبين . كذلك اشتغل أعضاء عدة فى الحملات السياسية الانتخابية الخاصة بترشيح (جى سى جاكسون) للرئاسة عام ١٩٨٨ . وقد تحدث (السيد جاكسون) فى المركز مرتين ، وحض المسلمين على الدخول فى المعترك السياسى بشكل أكثر تأثيراً .

ويقدم (السيد المراياتى) بعض الأمثلة التى يدعى الكاتب أنه حين النظر إليها كلياً يتضح لنا مدى صعوبة تصنيف وتحديد ورقة عمل سياسية يمكن للمسلمين أن يكون لهم بها دور فى المعترك السياسى الأمريكى .

فهو يدين عقوبة الإعدام ويقول : إنها تطبق طبيقا تعسفياً على السود بشكل خاص ، كما ينتقد الشذوذ الجنسى ، ويتحدث عن الضرر الذى يسببه الاختلاط الجنسى بين غير المتزوجين فى المجتمع الأمريكى .

ويضيف : أنه طبقا للشريعة الإسلامية ؛ فإن المطلوب من الرجال والنساء التواضع فى الهندام . وتشتد الحاجة للبساطة فى الأمور الشخصية وتبرز فى التحدث إلى المسلمين خصوصا النساء اللاتى يؤكدن أن البساطة فى اللباس هى من الأسباب التى حببت إليهن ارتداء غطاء الرأس أى (الحجاب) . ولا يشاهد أى أسلوب فردى معين فيما يخص الملابس فى رواد المركز وذلك بعد ظهيرة الجمعة التى أطلق عليها الكاتب (سبت المسلمين) ، وهو زعم باطل ، حيث أنه ليس للمسلمين سبت بل عيد أسبوعى وهو يوم الجمعة ، . ويشبه الكاتب الجموع الغفيرة فى هذا اليوم باجتماع للأمم المتحدة ، حيث يتدفق المصلون من كل لون وجنس إلى المبنى ، . الرجال فى شتى أنواع الملابس من بدل العمل إلى الأردية القطنية البيضاء ، والنساء فى أحذية عالية الأكعب وقد ارتدين أردية مناطق الشرق الأوسط وافية الطول فضفاضة ، وأحجبة ضافية وقورة ، لكنه يلفت النظر إلى أنه لم ير امرأة تغطى وجهها . وتتمتع المرأة المسلمة فى هذا البلد بقدر أكبر من الحرية التى لا تتاح لمثيلاتها فى بلاد عربية أو إسلامية أخرى كالسعودية وإيران مثلا .

المسلمون فى

الولايات المتحدة الأمريكية

وتقول (دونا على) : وهى ربة بيت ومحاسبة فى (جالف بورت) بـ (ولاية نيزورى) : إن

الكثير من النساء اليوم فى العالم الإسلامى يعانين الكبت والظلم ، لكنها سرعان ما تستدرك قائلة : وليس هذا بالطبع مما نادى به الإسلام من مبادىء وإنما هو ما أسمته بدور المثقفين والثقافة . ونحن نرى أن الصواب قد جانبها فى ذلك ، فالمرأة المسلمة فى هذا العصر ومنذ القرون الأولى للإسلام تتبوأ أعلى المناصب ، ويوكل إليها مايناسب قدراتها من أعمال ، . ثم يواصل الكاتب وصفا ليوم الجمعة حيث يقول :

إن الحشد البالغ أكثر من ألف من البشر ينطلق خارج الحجرة الرئيسية حيث مكان واسع ليس به إلا سجادة بسطت ، وكوة تحدد جهة الشرق وهو اتجاه مكة المكرمة .

ويملأ المصلون الصالة الرئيسية وغرفة مؤتمرات كبيرة خلفها ، وحيث تؤدى الصلوات بالعربية ؛ فإن المؤمنين يتابعون شعائر من القيام والركوع والسجود ، وقد اصطف الرجال فى المقدمة تليهم النساء فى المؤخرة . وأسفل الممر القصير فى مكتب (مصباح الدرينى) توجد صورة طولها ياردة للمسجد الحرام بمكة بالسعودية ، وقد شغلت هذه الصورة حائطا بأكمله ، ويشير (السيد الدرينى) مدير المركز إلى أن مايشاهده النظارة بالصورة هو المسجد الحرام الذى تحول إلى خلية نحل تزخر بالحجاج الذين يؤدون فريضة الحج وهى رحلة إلى مكة يفرضها الإسلام على كل مسلم قادر مستطيع .

ويأتى المسلمون لأداء هذه الفريضة من كل بقاع الأرض : بعيدها وقريبها كجنوب أفريقيا والاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية وحتى جنوب الباسفيك والهند .

وإذا نظرنا إلى تنـوع القادمين لأداء الفريضة ؛ فإن هناك مكانا واحداً يشبه ذلك فى تنوع واختلاف قاصديه الا وهو كما يقول الدرينى : الولايات المتحدة غير أنه فات الكاتب ـ ومن أخذ عنه ـ أن يبين : أن ثمة فرقا جوهريا بين من ذهب لأداء فريضة من فرائض الله ، وبين من ذهب لعمل دنيوى محض وهو لا يدرى عن الدين شيئاً . وعلى مدى ثلاث سنوات مضت ، عَمِلَ الدرينى ـكما يوضح ـشاهدا على تحول ألفين وخمسمائة فرد جاءوا إلى المركز لإشهار إسلامهم .

وكبينة على ما يقول : يدفع مجموعة من الملفات على مكتبه ترجع إلى الشهر الماضى كل منها قد ارفق به صورة . ويقول الكاتب : إن ممن رأيت فى أعلى الملفات صورة رجل أبيض يعمل مهندساً،ومحاسبة فلبينية،ونجاراً أسود وامرأة يابانية لم تحدد وظيفتها . وفوق توقيع المشهر لإسلامه توجد شهادته وهو النطق بالعقيدة التى على المسلم الجديد أن يعلن بها حيث يقول بالحرف الواحد : (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله) وأحيانا مايقول المسلمون بالمركز الإسلامى : إن الأمريكان يرتاحون أكثر إلى الإسلام حينما يعلمون أن الدين الإسلامى انتشر سلماً واطمئنانا فى هذه البلاد لأكثر من ثلثمائة عام ، وذلك منذ جاء به الرقيق من جنوب افريقيا .

وهو موضوع يشغف به المسلمون السود الذين يقولون : إن الإسلام يردهم إلى جذورهم الإفريقية ، ويجعلهم على صلة بها . وأحد هؤلاء يدعى (صابر محمد) ، وكان سابقا طالبَ فصل

دراسى تعميدى فى أطلنطا ، وهو يكتب لجريدة (المسلم) وهى جريدة إسلامية يقول : أعتقد أن الدين الإسلامى يمثل جزءاً لا يتجزأ من الذاكرة الجينية[1] للأمـريكيين من أصل إفريقى .

فلقد قُدمت إلينا النصرانية جاهزة يراد غرسها فينا .

فلم يُربِّ النصارى على متون المراكب كما حدث للمسلمين الذين تحملوا عبء نشر الدعوة الإسلامية .

ويكتسب الإسلام عدداً يخشى بأسه من الأمريكيين السود . وتأثير ذلك على المجتمع الإسلامى هناك واضح .

هذا وقد قامت (المنارة) وهى مجلة فصلية توزع فى شتى انحاء أمريكا ، ويصدرها المركز الإسلامى ـ بنشر صورة لـ (نيلسون مانديلا) على غلافها الخارجى فى أوائل هذا العام وفى احدث اعدادها الصادرة مؤخراً مقالاً عنوانه : (تحية إلى مالكولم العاشر) الذى يصف اعتناقه للإسلام فى الفصول الأخيرة من سيرته الذاتية .

ويعتبر عدد من المعتنقين السود للإسلام مسلمين سود سابقاً ، وهم ـ حاليا ـ اعضاء ينتمون إلى (أمة الإسلام) هذه الأمة طائفة قومية من السود كان لها دور بارز فى الستينيات هؤلاء فى نظر الكثير من المسلمين الآن يعتبرون[2] جماعة غير مؤهلـة ، ومقرهـا (شيكاغو) . إذ بعد عام ١٩٧٥ قاد زعماؤها الكثير من اعضائها إلى ترك وهجر فلسفتهم الانفصالية المتشـددة حسب زعم الكاتب والانضمام إلى التيار العام للمسلمين .

ولا تزال لـ (أمة الإسلام) تلك بقية من وجود تحت قيادة شخص يدعى (لويس فرحان) .

إن التآلف الذى يسود أوساط المسلمين المهاجرين فى المركز الإسلامى والذى اختلط فيه البيض بالسود لايمتد اثره بالضرورة كما يقول الكاتب : إلى مساجد أخرى ، . ففى مدن كثيرة تقع المساجد بالقرب من الجيرات[3] التى يغلب عليها او تصطبغ بصفات مجموعة بذاتها كالمصريين أو اللبنانيين إذ أنهاـتمثل اهتماماتهم وترعى شئونهم ومصالحهم .

ويقول (داود خليل الله) المعتنق للإسلام وهو من (كمتن) المجاورة بولاية (كاليفورنيا) : إنه لاحظ أن فى هذه التجمعات الإقليمية للمسلمين ـ ميل كل فرد ميلاً فطريا وطبيعياً إلى مجموعته الأصلية ، واوضح مثل على ذلك الأمريكان ذوو الأصول الإفريقية والهنود والباكستانيون .

ولإزالة ما يفصل بين هذه التجمعات من حواجز نظم داود خليل الله دورة كرة السلة الإسلامية بين مساجد جنوب كاليفورنيا وهو أمر يأمل نشره فى شتى أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية ، ويهدف المركز الإسلامى إلى كسر الحواجز الفاصلة بين الأطفال المسلمين من جنسيات مختلفة وتعليمهم الإسلام وقيمه وذلك عن طريق (الأفق الجديد) وهى مدرسة ابتدائية ملحقة بالمركز ، ومنذ أن تأسست عام ١٩٨٣ وهى تعمل حتى الآن ، وتضم حوالى ١٠٠ تلميذ ، وذات صباح وفى أحد الفصول الدراسية بها ، والذى تم تزويده باثنين من الحواسب

(١) اى الوراثية ....

(٢) غير معترف بها رسميا ؛ لانها لا تملك مؤهلات الجماعة والتنظيم .

(٣) جمع جيرة .

الولايات المتحدة الأمريكية

تصل إليه عربة ذات لون من ألوان السمك الذهبى ، وقد حملت مجموعة من مراسلى شركة الإذاعة الأمريكية A . B . C لتقوم بزيارة المدرسة . وفى البداية تقوم مجموعة من الأطفال بتحية الزوار بالتحية الإسلامية المعروفة السلام عليكم ، ويقوم (أمير) وهو أحد الصبيان بالمدرسة يرتدى (قميص تيشرت) مزخرفا بالرسومات مزدانا بالرسومات الجميلة بإلقاء عبارة بالإفريقية ، وتقوم المدرسة (سامية عبد الله) المنهمكة بشرح أحد دروس الأخلاق بالتأكيد على أن النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الأسوة والقدوة فى كل شىء ، ثم تأخذ فى تصوير مظاهر كرمه مع الناس ورأفته بالحيوان والطير ورحمته بكل مافى الكون ، خاصة تلاميذها على وضع هذه المثل والقيم نصب أعينهم للعمل بها فى حياتهم اليومية . ثم يعلق الطفل أمير على ذلك بعبارة رقيقة يقول فيها : وقد قاطع معلمته : يعنى إذا كنت عطوفاً طيبا فسيدخلك الله الجنة ، ويمنحك من الطعام واللعب ماتشاء .

ويقول (مجدى الأتربى) الذى يرأس اللجنة التعليمية بالمسجد : إن اليوم المدرسى عندنا يزيد ٩٠ دقيقة على ماسواه من أيام بالمدارس المحلية العامة الأخرى ، مما يتيح فسحة من الوقت للمعلمين كى يركزوا على الدين والأخلاقيات .

لكنه ـ يضيف ـ وبالطبع فليس القصد من ذلك أن تكون المدرسة مأوى دائماً . ومن ثم فليس بها إلا سنوات الابتدائية الست المعروفة فقط ، فنحن نرى ـ والكلام لـ (مجدى الأتربى) ـ أنه بعد سن الثانية عشرة يكون الوقت قد حان لكل من الفتى والفتاة أن يواجه المجتمع بنفسه ، ويعايشه ويتكيف معه ـ محاولاً التأثير فيه تأثيراً إيجابياً .

أنباء وآراء

إعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

شهد الرئيس محمد حسنى مبارك احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف الذى أقيم بحديقة الخالدين بالدرَّاسة ، شهد الاحتفال مع سيادته : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، والأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء ، وفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية ، وفضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف ، ولفيف من علماء الأزهر الشريف والأوقاف .

بدأت وقائع الاحتفال بتلاوة آى الذكر الحكيم ، ثم ألقيت كلمة الفائزين فى المسابقة الدينية التى نظمتها وزارة الأوقاف بهذه المناسبة الكريمة .

ثم ألقى صبرى إدريس كوتش مفتى ألبانيا كلمة المكرمين من العلماء ، فشكر السيد الرئيس على تكريمه للعلم وللعلماء ، وعلى ما تقدمه مصر من مساندة ودعم للمسلمين الألبان .

ثم ألقى فضيلة الدكتور وزير الأوقاف كلمة الوزارة فى ذكرى ميلاد الرسول الكريم « صلى الله عليه وسلم » مؤكدا أن المسلمين تعلموا من صاحب الذكرى العطرة أن العنف لا يصلح طريقا إلى الدين ، وأنه لن تقوم به دنيا ، ولن تستقيم به حياة الأمم .

بعد ذلك قام السيد الرئيس بتوزيع أوسمة العلوم والفنون من الطبقة الأولى على المكرمين من علماء الإسلام والتى منحتها لهم الدولة ..

ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمة جامعة أكد فيها فضيلته على أن الأخلاق تقتضينا أن نوقر ذكرى الرسول الكريم « صلى الله عليه وسلم » ، وأن نوقر ما جاء به وما تركه لنا وأن نعمل به تكريما لقدره ؛ لأنه عظيم قدره « صلى الله عليه وسلم » .

ثم ألقى السيد الرئيس كلمة دعا فيها سيادته أبناء الأمة الإسلامية إلى البدء فى إقامة مجتمع إسلامى فاضل ثابت الأركان قادر على احتلال مركز مرموق بين الأمم والشعوب .

وقال سيادته : إن التحديات التى تواجهنا فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الإنسانية تفرض علينا أن نعيد بناء الفرد ، ونعالج أمراض المجتمع وأن نجمع شتات الأمة .

ودعا الرئيس فى ختام كلمته إلى الانتفاع بهذه الذكرى العطرة عملا لا قولا وإيجابا لا سلبا ،

أنبـــــــاء وآراء

كما دعا إلى ترجمة الحب لصاحب هذه الذكرى استلهاماً لروح رسالته ، ومضياً فى طريق دعوته ، « صلى الله عليه وسلم » ..

الإمام الأكبر يلتقى ووفد غينيا كوناكرى

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتبه ووفد غينيا كوناكرى برئاسة السيد إبراهيم كمارا مدير الثقافة بالرابطة الإسلامية الوطنية وعضوية كل من الحاج هارون سيلا مدير المساجد فى غينيا كوناكرى ، والسيدة / مريم كمارا رئيس وفد وزارة التعاون الدولى .

تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف ووزارة التربية الوطنية كما تم بحث طلب المساعدة من الأزهر الشريف للمركز الثقافى الكبير الذى أنشىء مؤخراً فى غينيا كوناكرى بمساعدة المملكة العربية السعودية ويمتد نشاطه لدول غرب أفريقيا ، وسيتم افتتاحه فى شهر ديسمبر المقبل .

وفى نهاية اللقاء قدم الوفد الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر الشريف من مساعدات لدولة غينيا كوناكرى فى مجالى التعليم والدعوة .

الإمام الأكبر يلتقى ووفد بروناى

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ووفد سلطنة بروناى برئاسة السيد سفير السلطنة بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث كافة أوجه التعاون بين الأزهر الشريف وسلطنة بروناى ، وقد قدم السيد السفير الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر من مساعدات لطلاب بروناى فى مجال التعليم .

كما تم بحث الخطوات التى اتخذت بشأن مشروع طبع المصحف الشريف الذى تعتزم سلطنة بروناى القيام به .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بمتابعة الموضوع ، وما تم بشأنه حتى يمكن الحصول على إذن الطبع من الأزهر الشريف .

توفير الاعتمادات المالية لاستكمال إنشاء مكتبة الأزهر الشريف

أصدر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك توجيهات للحكومة تقضى بضرورة توفير الاعتمادات المالية اللازمة لاستكمال إنشاء مكتبة الأزهر الشريف على المستوى اللائق لتضم المراجع الإسلامية والتاريخية .

جاء ذلك أثناء افتتاح سيادته لمبنى دار الإفتاء الجديدة بحديقة الخالدين بالدرَّاسة .

أنباء العالم الإسلامى

محمد على كلاى للملاكمين : تفرغوا للعبادة !

أعرب محمد على كلاى بطل العالم السابق فى الملاكمة عن سعادته بزيارة مصر أرض العروبة والإسلام ، وأنه يعتز بهذه الزيارة تلبية لدعوة رئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة وبشرف الرئيس مبارك .

ووجه كلمة إلى الملاكمين الشبان قال فيها : تفرغوا إلى عبادة الله واتركوا هذه اللعبة .

واضاف : أنه يقوم بجولة يزور خلالها كلا من السعودية وتونس والبحرين والكويت كما سعد كثيرا بزيارته لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وعن مشروعاته الإسلامية قال : إن مؤسسة محمد على لها الآن أكثر من ٣٠٠ مسجد و ٥٠ ألف مؤسسة ومدرسة لتعليم الدين الإسلامى ، وقال ـ عن آخر نشاطاته الآن : إنه يقوم ببناء مسجد فى شيكاغو و(اكاديمية) لتعليم الإسلام .

آلاف الأطفال المسلمين يتعلمون القرآن فى المدارس الإسلامية الألمانية

ذكرت إذاعة (كولون) الألمانية والتى تبث إرسالها باللغة العربية إلى دول الشرق الأوسط : أن عدد المسلمين فى ألمانيا حوالى ٤٪ من إجمالى عدد السكان ، وأن الإسلام يمثل الديانة الثالثة بعد الكاثوليكية والبروتستانتية فى ألمانيا .

ويبلغ عدد الجمعيات والمؤسسات والتجمعات الإسلامية فى ألمانيا (٤٠٠) جمعية .

وهناك عشرات المساجد والمراكز الإسلامية وتبلغ نسبة المنتسبين إلى هذه التجمعات من المسلمين أكثر من ٢٠٪ من عدد المسلمين فى ألمانيا .

ويعتبر المركز الإسلامى الثقافى فى كولون من أنشط المنظمات الإسلامية بألمانيا بالإضافة إلى حوالى ٣٠٠ قاعة للصلاة فى برلين وغيرها ، وتنتظم تحت لواء هذه المدارس والجمعيات والمراكز الإسلامية دراسات إسلامية تشمل : تحفيظ القرآن للأطفال المسلمين ودراسة الفقه الإسلامى وعلوم القرآن .

نائب مسلم بيوغوسلافيا يدعو الأمة الإسلامية لفتح جامعاتها الإسلامية لطلاب العلوم الإسلامية اليوغسلافية

دعا الدكتور / بنيازا شكريج العضو المسلم بالبرلمان اليوغسلافى فى مقابلة أجرتها معه جريدة « المسلمين » : الجامعات الإسلامية لفتح أبوابها للدارسين المسلمين من يوغوسلافيا لتلقى العلوم الإسلامية بها .

وذكر د / بنيازا أن عدد المسلمين فى يوغسلافيا ٥ ملايين مسلم من مجموع ٢٠ مليون هم تعداد سكان يوغوسلافيا .

وأوضح الدكتور / بنيازا أن الإسلام فى يوغوسلافيا بدأ يتحرر من أغلال الحكم الشيوعى السابق ، وهو يمر الآن بمنعطف خطير فلابد أن يتزود المسلمون بيوغوسلافيا بالعلوم الإسلامية عن طريق الدراسة والكتب وإنشاء الجمعيات الإسلامية .

هذا ، وللعلم ؛ فإن (الصربيين) ناقمون أشد النقمة على المسلمين ، ويوجهون غاراتهم المتتالية عليهم فى مختلف بقاع تجمعهم الكبير الذى سبق لمجلة الأزهر أن كتبت عنه .

وبالمناسبة فإن عدد المسلمين أضعاف ما ذكره د . بنيازا بكثير ... مجلة الأزهر .

معهد العلوم الإسلامية والعربية فى واشنطن بأمريكا ينظم دورات لحديثى الإسلام

نظم معهد العلوم الإسلامية والعربية بواشنطن دورات فى المواد الإسلامية ، وتنشئة الداعية المسلم لحديثى الإسلام فى أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية .

قبس من أنوار النبوة - بقية -

من أسمائها فى المنام واليقظة ، كما رأى انه واصحابه فى دار عقبة بن رافع فاتوا برطب من رطب ابن طاب ، فأوله بأن لهم العاقبة فى الدنيا والرفعة فى الآخرة . وأن الدين الذى قد اختاره الله لهم قد أرطب وطاب » .

كما تأول سهولة الأمر - يوم الحديبية من مجىء سهيل بن عمرو إليه ، فكان الأمر كذلك ، وقد أمر - ﷺ - امته بتحسين اسمائهم ، واخبر انهم يدعون يوم القيامة بها .

ولقد كان - ﷺ - يكره الأسماء المنكرة .. ويمنع امته من الأسباب التى توجب لهم سماع المكروه ، وهذا أولى من التسمية بيسار من هو من اعسر الناس ، وبنجيح من لانجاح عنده ، وبرباح من هو من الخاسرين ؛ فيكون قد وقع فى الكذب عليه وعلى الله .

وقد يطالب بمقتضى اسمه فلا يوجد عنده فيجعل ذلك سببا فى ذمه وسبه ، كما قد يظن المسمى فى نفسه انه كذلك فيقع فى تزكية نفسه وتعظيمها ويرفعها على غيره . وهذا هو المعنى الذى نهى النبى لأجله أن يسمى - برة - وقال : لا تزكوا انفسكم الله اعلم بأهل البر منكم .

وعلى هذا فتكره التسمية بالتقى والمتقى والمطيع والطائع والمحسن والمخلص والرشيد والسديد وغيرها .

وسميته صالحا فاغتدى
بضد اسمه فى الورى سائرا
وظن بأن اسمه ساتر
لأوصافه فغدا شاهرا

فهل نقتدى برسول الله - ﷺ - الذى كان يتخير فى خطابه ، ويختار لأمته أحسن الألفاظ وأجملها ، ويكره أن يستعمل اللفظ الشريف فى حق من ليس مستحقا له .

من أعلام الدعوة الإسلامية - بقية -

وكانت قبل ذلك تسمى المدرسة العربية الإسلامية أسسها بعد تقسيم الهند وباكستان .

وكانت وفاته - رحمه الله - فى الثالث عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٧٧ م ، وقد وافته المنية وهو يتهيأ للسفر إلى القاهرة لحضور مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية .

ومما قيل فى رثائه : -

رضينا بالقضاء من القدير
اله الخلق علام خبير
بموت الشيخ يوسف بن بنور
نظيف البشرة الصافى الضمير
فلا نسلو بشىء بكاء فى فقيد
بكل تفجع منا جدير .
وإن شئنا بكاء دم عليه
بكيناه على خطب كبير
واهل العلم فى حزن عظيم
وساح بالصبر ماهو القصير
جوى علما ورشداً ثم تقوى
قنوعا فى المعيشة باليسير
وما احد يضاهيه بوصف
ولا يدنوه فى علم غزير

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه خير الجزاء .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
● إله واحد وأمة واحدة	
للدكتور على أحمد الخطيب	٣٦٩
الاحتفال بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم	
● كلمة السيد رئيس الجمهورية	٣٧٤
● كلمة فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر	٣٨١
● قبس من أنوار النبوة	
للشيخ على حامد عبد الرحيم	٣٨٤
● الحـق المبين	
للأستاذ محمد صابر البرديسي	٣٨٦
● يلحدون دون دليل	
للدكتور محمد رجب البيومى	٣٨٨
● النفس الإنسانية حرمتها وموقف الإسلام من المعتدى عليها	
لفضيلة الدكتور محمد أحمد جمعه	٣٩٣
● إكرام القادم إلى المجلس بالقيام في ضوء سنة خير الأنام	
للدكتور عبد البصير خليفة حسن	٣٩٨
● موقف المسلمين فى يوغسلافيا	
للأستاذ / توفيق إسلام يحيى	٤٠٤
● حول شهادات الاستثمار	
بقلم المستشار الدكتور أحمد محمد إبراهيم	٤١٠
● الفتـــاوى	
إعداد أحمد السيد تقى الدين	٤١٨
مـن أعـلام الأزهـر	
● الشاعر والعالم والأديب أحمد عبد اللطيف بدر	
للأستاذ محمد شاور ربيع	٤٢٢
● فضيلة الشيخ عبد العظيم الشناوى	
للأستاذ الدكتور مصطفى أحمد خليل النماس	٤٢٧
● فضيلة الشيخ محمد يوسف البنورى	
للأستاذ الدكتور عبد العزيز عزت عبد الجليل	٤٣٠
الشعـر والشعـراء إشـراف رشـاد محمـد يوسـف	
● فى الفخر والاعتزاز	
للشريف الرضى	٤٣٤
● إنها مصـــر	
للشاعر رشاد محمد يوسف	٤٣٥
● سؤال إلى أمة ممتحنة	
شعر : السيد الصديق حافظ	٤٣٦
العلـوم الكـونية	
● أساسيات علوم الأرض	
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	٤٣٨
● الجديد فى العلم والتقنية	
إعداد : د . نجوى السيد أحمد	٤٤٣
● طـرائف ومواقف	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٤٤٦
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر توجيهات القرآن فى تربية الخُلق	
إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات	٤٤٨
اللغـة والأدب والنقـد	
● التشريع اللغوى فى نموه وانتشارموتنوعه	
للدكتور / توفيق محمد شاهين	٤٥٤
● المسلمون فى الولايات المتحدة الأمريكية	
للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير	٤٦٠
● أنبـاء وآراء	
إعداد : عبد المنعم فـودة مصطفى عبد المجيد	٤٦٥
القسـم الانجـليزي إشراف د . أنس النجـــار	
● المقالة الثانية :	
للأستاذ سيد مصطفى مصطفى	٤٧٣
● المقالة الأولى :	
للدكتور أنس مصطفى النجار	٤٧٨

normal process of natural selection, the most wise and the most learned reach the ranks of leadership, to bear the responsibility of the Ummah. At this rank, they are not immune of criticism according to the dictates of Muslim canon law of jurisprudence.

Education and pursuit of knowledge is a major tenet of the Holy Quran, and prime practice of the Prophet. Every Muslim woman, and man should seek learning. In several of the Prophet's Hadith, Muslims are urged to learn, to gain knowledge. Knowledge is the substance of reason, and reasoning is the process of rational thought, the most profound function of mankind. Knowledge enables the mind to distinguish and differentiate, lightens the path of understanding, it is our milieu in solitude, a companion in loneliness, the guide to confidence, the strength in adversity, and an ornament in human society. "Say! are those who have knowledge equal to those who have no knowledge?" (Surat Al-Zunmar, XXXIX, 9). "Lo! the angels do lower their wings to him who seeks knowledge" (Hadith of the Prophet).The Muslim Faith promotes mankind to the proper gear of action in the daily life through knowledge, education and cultivation of the mind. Miracles in the light of Islamic thought are not a proof of Divinity much less do they violate the laws of nature which are ordained by Allah. They are evidences of phenomenal human proficiency towards the Transcendent; the path and laws of which are obscured from the multitudes. Miracles are not at all landmarks in Muslim belief; the Holy Quran, and the Prophet's Tradition are the only sources of Islam doctrinal teachings.

The Islamic culture through its genuine origin urges the human mind to observe the phenomena of nature, the cosmic expanse, the wonders of creation, the unity of universal forces, the mystery of birth life and death, and all the integral complexity of interdependance of the various systems into a perfection of law and order. Man is not the sovereign of this creation; his provinces of free will, free thought, effort, are but delegated powers within an Absolute Sovereignty, the Sovereignty of Allah, the Creator, the Sustainer of the Universe. Mankind does not realize the marvels of his natural conditions, and the providence surrounding him, because they never fail to function. The breath inhaled, the nerve impulse, the heart beat, the vision, the function of the mind, are all patterns of existance determined by definite laws of action that man never made, nor can he stop. Mankind is absorbed in interests of restricted sphere of energy, like an insect, idolizing his own restricted sphere, seeking providence that will only back him in his special aim, oblivious of the grand milieu around him, the needs and purpose of the whole creation.

The whole theme of Islamic Culture is to incarnate within the Mulim understanding the concept that there is a sacred purpose for creation. Within the framework of this understanding, mankind must have knowledge to give effort to conform with the Divine Will and purpose of Creation; only then can mankind hope for success, prosperity, enlightement, and emancipation from ignorance, hatred, fears, doubts and uncertainties.

teachings and traditions of Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), the Messenger of Islam. This sacred instruction entails the understanding that the term "Islamic Culture" constitutes the doctrines of the Muslim Theism as dictated by the Holy Quran, and also the Traditions of the Prophet Muhammad. The vast expanse of this understanding encompasses every detail of human existance, the body mind soul and spirit, the birth life and death, the reward punishment and forgiveness. Islamic doctrines are not mere religious aspirations and expressions separated from human existance; they are translated into a practical organized integrated system that is divinely optimized to appeal to the natural inborn instincts of mankind.

Islamic culture does not differentiate between secular and religious education. All tuition was brought into the unification of knowledge; since all knowledge is the knowledge of the Transcendent Creator Allah. The glory of Islam was that it gave the various disciplines of science the same ground that it gave to the study of the Quran, Hadith, and Jurisprudence. The Mosque was the university of Islam during the grand old days, where within its precincts, all disciplines of knowledge were being studied. This unity and glorification of all learning gave the old Muslim scholars the particular qualities of insight, sagacity widsom, profound mental capacity, the calm serenity, and liberty in tranquility. In the Holy Quran, the distinction is drawn only between right and wrong, virtue and vice, beneficial and harmful, that which is useful to man's growth and cultivation and that which is detrimental and noxious to mankind. The rational doctrinal teachnigs of the Muslim Theism appeal to the human mind to practice the rational process of thought. The human experiences in the history of mankind prove that freedom of thought and ecumenic conceptualization are obsolutely necessary for human progress. These experiences also prove that nations who undermine and deviate from Credence of Faith, deteriorate in disintegration. The words of the Holy Quran repeatedly address the intelligent understanding, the mental faculty, the comprehensive reasoning, and thought organization of the human mind. There is no doctrine in Muslim Theism that does not conform with the rock bottom stratum of human reality.

Contrary to Western schools of thought, Islam has proved that Credence of Faith and rationally justified freedom of thought are perfectly compatible. During the frontier centuries of Muslim civilization, an intense form of Belief was combined with free thought in every aspect of human life. The gift of thought bestowed upon mankind by the Al-Mighty Creator "Allah" should be exalted by every individual as the most unique faculty of creation. This supreme faculty of "Thought" should be optimally utilized, justifiably exploited, and rationally functioned for the cultivation, enlightenment and emancipation of the human race. The key to such human civilized profound felicity; is the confident Belief in the Absolute, the Beneficient, Merciful Creator. There is no hierarchy in Islam; every individual is directly related to the Creator; every individual possesses the same prerogatives, and bears the same responsibilities. Through the

nature. The elemental teachings of these Divine precepts have been ordained as a message transmitted to mankind according to human mental tolerance, needs, and development; predestined at a certain time of human history. The last of these Divine Theisms was that of Islam, trransmitted to mankind through an Angelic mediūn to formulate a Divine Message to the whole humanity. The Holy Quran, the scripture manifesto of that theism was revealed to Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) in protracted sessions of Revelation, according to timely cause, effect, and purpose. The Muslim Theism constitutes an integrated complete rational comprehensive system of belief materializing within itsef all the requirements for an ecumenic, decorous stable dignified purposeful human life.

The Islamic Culture promotes all functioning human faculties for the cultivation not only of individuals, or individual groups, but in reality for the entire human race. The doctrines of the Holy Quran provide guidance for knowledge is all disciplines of human life, and light the path of the individuls to felicity in the hereafter. Islamic precepts promote the performance of mental faculties, and proliferate the thought into deep knowledge of the Truth and Reality. Islamic teachnigs present a way of life which specifically aims at human enlightenment, social stability, justice, prosperity, and purpose oriented scientific progress. The detailed ingredients of Islamic precepts are provided in a number of commands and prohibitions covering evry vocation of man's daily life; social, political, educational, economical, work performance, associations, behaviour, psychic patterns, traits of character; and everything that is effectively related to human existance. The intricate most wonderous creation of the human body by a Divine pragramme of meticulous precision of exactness; requires a corresponding Divine pragramme for the performance, conduct, behaviour, beliefs, and manifestations of the life of that human body. For such purpose, the Divine doctrines of ordinances and prohibitions were instituted with comprehensive detail in the articles of Muslin faith. These articles of faith address both the bodily and spirituial constitution of mankind. The implicit obediance of a certain injunction of the Sacred Law must establish success within the sphere of that injunction. The injunctions of the Islamic Culture attribute to all facets of human life. Accordingly, realization of purpose, success and felicity in life and the hereafter are attained to the extent the individual, the group, or the society adopt and implement the teachnigs of Islam in their daily life and associations.

The core substance of Islamic credence is the absolute confident submission, reliance and dependence to the Absolute Supreme Transcendent Being "Allah". This genuine submission develops into devotion, adoration, hommage, veneration, reverence and worship. The verses of the Holy Quran are the Words of Allah which have been acclaimed, proclaimed and communicated to mankind at large. The sacred scripture of the Holy Revelation of the Quran constitutes the complete doctrines of Islamic Theism. This Holy Book emphatically instructs that Muslims should intimately adhere to the

THEME OF ISLAMIC CULTURE

Part I

By: Saad Moustafa Moustafa M.D.

The concept of culture means the refined enlightenment and cultivation of the human mind. This entails the promotion of the human faculty of thought to superior profound rational levels of function. The human race has experienced several different cultures throughout history. Some of these cultures were of Divine origin transmitted to mankind as divine ordinances and commandments through Divinely selected Prophets. All Divine theologies possess the sacred quality of purification and sanctification of the human race as prodromal to betterment enrichment and civlization of human thought, behaviour, and conduct. Other cultures are construed by man's efforts as a trial to establish for himself a hierarchic structure of life that appears to have an organized backbone. Within this framework, the human race may during limited instances gain purpose and transient equilbrium stability in life, but in general, mankind becomes lost in the entropy of chaos and ambiguity of purpose.

Divine cultures fundamentally originate from One Divine Source. They are characterized by possessing a unified integrated system of doctrines in sequential orderly continuity, forming an articulated comprehensively coherent matrix for human thought, to emancipate man from the dark crevices of ignorance to the light of reality. Divine cultures originated as very simple primitive ordinances compatible with human intellect at the early phases of human history; and gradually developed in congeniality with the promoted faculty of the mind. Man made cultures are sporadic, short lived, mostly agnostic to human nature, and provide a form of unharmonious association incompetent to satisfy the needs of human life. These man formulated system of ideas are sporadic, singular in purpose, have failed to satify the majority fraction of society, even in the most urging necessities. These systems of ideas, have repeatedly failed. For centuries, mankind has been striving hard in a struggle for emancipation from despotic exploitation, for human rights, social justice, equity, self sufficiency, for real freedom and for preservation of dignity and of values. All ideologies formulated by man have failed to bring about even limited achievement for the prosperity, culture and stability of human societies.

Despite all erroneous refractory opinions regarding the intimate institution of Divine cultures as a modus operandi for the management operation associations of human life; it remains a definite actuality that the provisions of these cultures are most eligibile consistent and harmonious with the fundamental needs and psychic traits of human

groups, psychology of men, and the complete panorama of all conditions. The selection of the army leaders according to talent and expert craftsmanship, was an issue of great concern to Omar, nevertheless, he advised on the overall planning of strategy, scheming and alternatives of maneuverability. Above all, Omar ibn Al-Khattab carried the full responsibility ; giving the men the freedom to act, helping them towards a unified direction of thought, and providing for them a continual state of self confidence as commander on the battleground.

At the head of the Muslim state, Omar ibn Al Khattab concerned himself with every minute detail of the affairs of the Ummah. This was an outstanding characteristic of his nature, bringing him actually close to the people, walking their roads, entering their homes, meeting their families, listening to their talks, discerning their worries and diagnosing their complaints. Omar ibn Al Khattab Amir Al-Momineen even during the crescendo of his reign, could pass unknown through the alleys of Al-Madinah. His humble character, simple common dress, without guard or pomp, presented him as an ordinary common muslim in the large expanse of the Muslim Ummah.

Quran; or following the tradition of the Prophet; or the outcome of knowledge, wisdom, piety, acuteness of thought and mental performance of the man in position. The institution of justice among individuals of the various social classes of the nation, and the establishment of an organized hierarchy of human rights, were issues of distinct supreme prominent seriousness and gravity. Justice and human rights were instituted throughout the nation with utmost precision and perfection.

The practice of consultation is basically a Divine command. In the text of the Holy Quran several verses indicate the precept of consultation, and consequently muslim teachings dictate consultation as mandatory. The practice of consultation was observed by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) as directed by the Holy Quran. Abu Bakre Al-Siddiq adhered strictly to the traditions of the Prophet, and exercised consultation in all matters dealing with issues of state. During the administration of Omar ibn Al-Khattab, consultation was highly developed and proliferated to become a major front of government. Omar appointed a permanent council of men of knowledge and wisdom, close companions, to the Prophet, men of piety and profound perception of Islamic teachings. This council convened whenever necessary to discuss, provide opinion, advance rational thought, answer inquiries of interrogations, and pass legislative motions. Omar ibn Al-Khattab advanced the practice of consultation to become an art of state authority. He consulted friends and foes, and through his clairvoyance of instinctive light of perception, he could discern by his faculty of dialectic rationality the brightness of light; it did not matter who carried the lantern. Omar ibn Al-Khattab was unquestionably the man who established the basic constitution of advisory bodies and consultative councils. These functioned to provide guidance, appraisal, judgement and attitude of thought on all major issues concerning state administration. Sometimes, Omar ibn Al-Khattab solicited opinion from individual persons in matters of specific nature. The art of consultation to pursue thought, advise, guidance and the mental attitude, is one that demands expert talent to present the problem issue, and to harvest the most rational commendable and praiseworthy opinions.

The reign of Omar ibn Al-Khattab was characterized as the period of great triumphs. The Muslim warriors during Omar's regency had expanded the territorial boundaries outside the Arab Peninsula. They defeated the Persian military machine on the Persian mainland; and overpowered the might of the Roman legions in Syria, Palestine and Egypt. The brilliant competence, true understanding of responsibility and proficient instinctive faculties of piety and faith; were in reality the foundation of supreme success of Omar ibn Al-Khattab in achieving those triumphs. During his residence at Al-Madinah, Omar was in continuous contact with army commanders on the various fields of crusade. He had the knowledge of all details, the situation of the Muslim warriors, their opponents, the geography, nature of terrain, environment , population density, friendly and alien

syntax, the rhetoric, the diction, the phraseology, the prose and verse were all purified to preserve and maintain the Arabic language fundamentally precise and correct to be used by the Muslim Nation as the language of the Holy Quran. Omar ibn Al-Khattab instructed the formulation of the Arabic grammar. The Arabic language as the language of the Holy Quran was used wherever Muslims were present. This common foundation of language and divine scripture formulated a coherent matrix of social unity of harmony in expression and grace in belief. The heterogeneity of origin of the Muslim Nation dissolved in the crucible of unity of language and theism. This theosocio-political unity promoted the linguistic literary elegance of the Arabic language. The heritage of the Arab language including Quranic interpretations is very rich with scholars and theologians of non-arab descent. The perceptive thought of Omar ibn Al-Khattab recognized the paramount consequence of preserving the linguistic excellence of the Arabic language, the language of the Divine Scripture of the Holy Quran, the torch and lantern on the path of human existence. The Arabic language ranks as the richest in phraseology, meanings, syntax, grammar, and the sources of meanings and idioms. The most profound form, style, and literary elegance of the Arabic language, is that of the Holy Quran.

The historical frontiers of the Islamic Nation commenced during the reign of Omar ibn Al-Khattab. The patterns of constitutions instituted were previously unknown to Arabs. The articles of such constitution were precise implementations of the doctrines of Muslim Theism. A new civilization was growing for the enlightenment, freedom and justice for mankind. The hierarchic governmental structure was established to provide an articulated integrated system of management, planning, and transaction. The whole system was coherent throughout the territorial expanse of the Islamic Nation by a mail courier service. The fiscal frame and social economics were controlled with uniform methodology in compliance with the dictates of Islamic Shariah which is based upon fundamental articles of the Holy Quran. The backbone of the hierarchic governmental structure of Omar ibn Al-Khattab were absolute consummate justice, and the practice of deliberative consultation. Both these managerial functions became profoundly optimized meticulously implemented by Omar ibn Al-Khattab. He wisely perceived that the perpetual progress of a nation was utterly dependant on justice and consultative authority.

The matters of judiciary nature were left to men of knowledge, honour, wisdom, and distinctive selection. The supreme authority of judicial administration was totally separated from the authority of the state. The independent function of the judiciary system provided it with qualities of honour, respect and sanctity. The individuals that carried the responsibility of this potentate sovereign office were selected with scrupulous accuracy and meticulous thoroughness. Nevertheless, Omar ibn Al-Khattab formulated a modus operandi for the manipulation process of the judiciary procedure. The operational channels of this modus operandi was strictly based on Divine Doctrines depicted from the

Omar ibn Al-Khattab followed Abu Bakre Al-Siddiq as the man to administer and govern the Muslim people at the most critical of all conditions. At the time of his death, he was indeed the founder of the Islamic Nation, the undisputed architect planner of the Islamic form of government, the connoisseur statesman, and the paradigm of true faith, humbleness and responsibility. During his life, Muslim warriors reached the eastern plains of Persia, the borders of Turkestan and the Caspean Sea north, and the complete dominion of the Nile Valley to the west. This vast widespread territorial expansion imposed a demand for more elaborate form of governmental administration. Omar ibn Al-Khattab was cognizant of the need for this radical transformation in administrative form and function; and fully perceptive of the dimensions underlying the task. His prime concern was to cultivate the growing roots of Muslim Theism that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had ingrained, and that Abu Bakre had firmly established and preserved.

The supreme achievements of Omar ibn Al-Khattab are in reality far beyond the limited margins of any chronology. The gigantic structure of the Muslim Nation, the responsibilities and forms of administrative offices, and the justified optimal implementation of Muslim teachings in judicial and socio-economic functions, resulted into a condition of social security and stability unparalleled in human history. The responsibility of Omar ibn Al-Khattab towards the Muslim Nation started long before his nomination to be the head of the state. He was a close companion to the Prophet, and minister to Abu Bakre during which periods he was actually helping, and in fact establishing the fundamental precepts of the Muslim Nation that was envisaged. The capability of Omar ibn Al-Khattab for administrative governmental structural framework was a unique intrinsic talent that manifested itself to formulate part of his intellectual constitution. A man from the desert to embark on a matter of grave importance and responsibility without prior knowledge nor experience; yet to be guided by purity of faith, humbleness and sagacious wisdom; to the most profound forms of administrative governmental structure.

The compilation of the Holy Quran remains as the most eminent achievement in the life of Omar ibn Al-Khattab by which he preserved the Divine Scripture of Islam, the Holy Quran, the manifesto for human enlightenment, the spirit of confidence, justice and freedom, the doctrinal canon of Muslim Theism. Through the insistent advice, rational thinking and devoted approach, he succeeded to gain the willing enthusiastic approval of Abu Bakre Al-Siddiq to order the compilation of the Holy Quran. This achievement was in fact the fundamental building brick from which the whole integrated matrix of the Islamic Nation originated, structured and perpetually maintained. The Arabic language being the language of the Holy Revelation was also preserved as well. The grammar, the

Omar Ibn Al-Khattab

Omar and The Islamic Nation

Part I

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar; M.D., Ph.D.

During the life of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), the fundamental seeds of Muslim Theism were being cultivated. The Divine text of the Holy Quran was being revealed to the Prophet, and through that Revelation was the embodiment of the doctrines of the Islamic faith. The Prophet through Divine command proclaimed these doctrines; and summoned people, in fact all mankind, to learn, to know, to think, and to formulate a belief in the precepts of Islam. The epoch of the Prophet was programmed entirely to establish the rootings and the fundamental elements of the Muslim faith on the soil of the Arab peninsula. The culture and schooling advanced by the Prophet to his companions, established a community of men and women, who were confident in belief, and devoted to their faith. Those companions were the pioneer vanguards who finally established a pan-tribal allegiance to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from all tribes resident on the Arab Peninsula. The Muslim Theism was therefore ascertained beyond regression.

During the life of Abu Bakre Al-Siddiq, the fundamental principles of the Islamic faith were firmly established; and after the war of the apostates, there was a unity of theism among the Arab tribes of the Peninsula. Abu Bakre Al-Siddiq as Khalifah of Rasul-Allah promoted the idea of security for the juvenile Muslim community; and originated the concept of the theopolitical unity between the Arab tribes of the peninsula and those in the north resident in Iraq, Syria and Palestine. The propagation of Islam was the cardinal design objective of Abu Bakre, and for such purpose, Muslim crusades started. The Khalifate period of Abu Bakre was short, his efforts were essentially to secure the foundations and doctrines of the Muslim faith in continuity to what the Prophet had already started; and also to further the summons to the words of Allah beyond the limits of the Peninsula. The administrative patterns of the Khalifate were yet very simple, the tribal concept of government was yet dominant, and the daily life of people accorded with Islamic teachings. The Muslim faith during these early years after the death of the Prophet was still relatively limited geographically, and in the numbers of its followers.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part IV

Rabie Al Akher 1412, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

Omar and the Islamic Nation (Part I).

By: Anas Moustafa El Naggar.

2.Theme of Islamic Culture

By: Saad Moustafa Moustafa.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

م ١٤
ع ٢٤٤٢٦
دوريات

مصرى في رحاب آل البيت

عرف هذا المصرى الكريم بكُنْيته ، فهو « أبو رافع » وغَلبتْ عليه ، وكان ـ رضى الله عنه ـ من سادات الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ صحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نحوا من عشر سنين : فقد روى ابن حجر ـ رحمه الله ـ انه اسلم قبل (بدر) وشهد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (أُحُداً) ومابعدها

ونلمح من حديثه الشخصى أنه أقام بمكة زمناً ليس باليسير عند العباس ـ رضى الله عنه ـ وإتقانه للعربية واضح فِيما رَوَى وما رُوِى عنه .

حَمَلَ ـ رضى الله عنه ـ من عِلم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فثبت له ثمانية وستون حديثاً رَوَى منها البخارى ومسلم وأحمد بن حنبل وغيرهم .

ومشاهدته للغزوات جعلته يقص طرفاً من حديثها ـ رضى الله عنه ـ وكان شجاعاً على أدب جم يعى به مقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويستفيد من علمه .

كذلك يحفظ تاريخُ الصحابة ، ومتونُ الحديث ـ شيئاً من أسماء أولاده الذين رَوَوْا عنه ، وشيئاً من أسماء حَفَدَته ، ويعتبر أولاده : الحسن ، ورافع الذى تَكَنَّى به ، وعبدالله ، والمعتمر وعلى ، من سادات المدينة وأشرافها ، وعَقِبُهُ فيهم ـ رضوان الله عليهم .

قال ـ عنه ـ الحسن البصرى : كان قبطياً . ا هـ .

ولا يحفظ لنا التاريخ شيئاً عن اسمه ، لذا اضطرب النقل فيه بين : ثابت ـ هرمز ـ إبراهيم ـ أسلم .

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبدالحفيظ محمد عبدالحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
جمادى الأولى ١٤١٢ هـ
نوفمبر ١٩٩١ م
الجزء الخامس
السنة الرابعة والستون

والحق ـ كما أشار الجاحظ ـ رحمه الله ـ أن الأمم غيرَ العرب لم تكن تُعْنَى بأنسابها عناية العرب بحفظها ، لذا كان انتسابهم إلى بلدانهم أوضح من اهتمامهم بذكر آبائهم وأجدادهم ، فيقال : فلان السجستانى .. والمروزى .. والتركستانى .. الخ .ويحدث ـ رضى الله عنه ـ عن نفسه فيقول :

ـ « كنت غلاماً للعباس بن عبدالمطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا ؛ فأسلمتُ ، وأسلمَتْ أم الفضل ، وكان العباس قد أسلم ، ولكنه كان يهاب قومه ، وكان يكتم إسلامه » .

وأبو رافع هو الذى بشر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإسلام العباس ، ثم صار أبو رافع مولى (1) لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وكان ـ رضى الله عنه ـ فخوراً بهذه الموالاة ، ويقول :

ـ « أنا مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » .

وهذه الموالاة أوجبت عليه من أحكام آل البيت ، فَحَرُمَ عليهِ ماحَرُمَ عليهم كالصدقة ، فلا يتناول من أموال الزكاة شيئاً .

بعثَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأرقمَ الزهرى أو ابنَ أبى الأرقم ساعياً ليأتى بأموال الزكاة ، ومعروف أن للسُعاة جزءاً من مال الزكاة ، فقال هذا الساعى لأبى رافع : ألا تصحبنى تصيب ؟ اى تستحق مالاً ..

قال أبو رافع : حتى أذكرَ ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فذكرتُ ذلك فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة ، وإن مَوْلَى القوم من انفسهم » .

اى « لا تحل لك الصدقة كما لا تحل لنا » .

وكم فى العبارة من إشارة لمنزلة أبى رافع ـ رضى الله عنه ـ :

فأبو رافع كبنى هاشم وبنى المطلب آل البيت

روت أم كلثوم ابنة على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهما ـ حديث جدها ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إنا أهل بيت نهينا عن الصدقة ، وإن مَوَالِيَنَا من انفسنا ؛ فلا تأكل الصدقة » .

يخاطب بذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مولاه مهران .

وفى حديثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ بالموطأ :

« لا تحل الصدقة لآل محمد إنما هى أوساخ الناس ». قال الإمام الزرقانى ـ شارح الموطأ :

« وهم منزهون عن ذلك صيانة لمنصبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنها تنبىء عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه » . أ هـ . ولا أعز فى الخلق من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ثم آله ومن لحق بهم (2) . توفى أبو رافع سنة اربعين .

د. على أحمد الخطيب

---

(1) كلمة مولى اختيار إسلامى رفيع القدر يدور معناه على النَّصْرَة والموالاة والقرابة ، ومماارتبط بذلك من المعانى الكريمة ، لذا لم يحمل لَفْظُهُ غضاضةً لاحد .

ذلك أن لفظ « مولاى » يستخدمه كلا الرجلين : من كان سيداً ، ومن كان رقيقاً فى الأصل ثم نال حريته ؛ لذا كان مختلفاً تماماً عن لفظة « سيدى » التى تنص صراحة على السيادة فتوحى بالمعنى المضاد مباشرة .

جاء ـ فى اللسان :

« والمولى : مولى النعمة ، وهو المُعْتِقُ ... والمولى : المُعْتَق لانه ينزل منزلة ابن العم يجب عليك أن تنصره ... » .

(2) انظر مسند أحمد ٣ / ٤٤٨ ـ ٤/٣٤ ـ ٦/٧ ، ٨ ، ٩ ؛ ٣٩ ، صحيح مسلم ٣/١١٧ ـ موطأ مالك بشرح الزرقانى ٤/٤٢٧ ، سنن النسائى ٥/١١٥ . أسد الغابة ١/٥٢ ، ٩٣ ، تهذيب التهذيب ١٢/٥٢ .

العالم الإسلامي والمستقبل

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الجيوشي

« كلمة الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي - نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر - فى ندوة .. العالم الإسلامى والمستقبل » التى أقيمت بـ « فندق شبرد » فى الخامس من ربيع الآخر ١٤١٢هـ - ١٣/١٠/١٩٩١م ، بدعوة من « مركز البحوث والدراسات السياسية » .

السيد الدكتور محمد الشريف - أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية .

الأستاذ الدكتور أحمد الغندور - رئيس مجلس إدارة مركز الدراسات والبحوث السياسية .

الأستاذ الدكتور على الدين هلال - مدير مركز الدراسات والبحوث السياسية .

الأستاذ مختار عزيز - أمين عام مركز دراسات العالم الإسلامى .

الأساتذة العلماء والباحثون من السيدات والسادة .

يسرنى أن أحمل إليكم تحيات فضيلة الإمام الأكبر ، وتمنياته الطيبة لندوتكم بالتوفيق والنجاح ولولا أمور عرضت حالت بين فضيلته وبين الحضور لكان يسره أن يشارككم افتتاح ندوتكم هذه .

الحمد لله ، منه نستمد العون والسداد ، ونسأله التوفيق إلى العمل النافع ، والمنهج القويم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من دعا إلى العلم والعمل ، تركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

وبعد .. فإن كل غيور فى عالمنا الإسلامى يشغله التفكير فى مستقبل هذا العالم ، وسط هذه التحولات الكبرى التى يشهدها العالم فى عصرنا

العالم الإسلامى والمستقبل

الحاضر ، والتى شملت كل ألوان النشاط الإنسانى فى مجالاته المتعددة سواء كانت أنظمة سياسية أو أوضاعاً اجتماعية أو مناهج فكرية وثقافية أو وسائل إعلامية أو اكتشافات علمية تفوق كل ما يستطيع الخيال البشرى أن يحلق فيه ، وكل ذلك يتتابع أمام أعيننا ، ويأتى إلينا من مجتمعات أخرى غير مجتمعاتنا مما يجعلنا نتساءل : أين نحن من هذا الطوفان وما هو دورنا فيه ، وهل من سبيل إلى أن يكون لنا نحن المسلمين إسهام فى توجيه هذا المستقبل بما يعود بالخير على عالمنا الإسلامى وعلى المجتمع الإنسانى كله ، وهل لدينا من الوسـائل والإمكانات ما يجعلنا ننهض بهذا العبء ، ونؤدى هذه الرسالة ؟ أم أننا سنظل فى ساحة المتفرجين ننظر إلى ما يموج به العالم ، نظرة الحالم المبهور ؟

ومن أجل ذلك كان لزاما علينا أن نزجى الشكر والتقدير إلى هذه الكوكبة من العلماء والباحثين الذين فكروا فى إعداد هذه الندوة التى تحاول - كما يبدو من البحوث المطروحة أمامكم - أن ترسم طريقاً مستقبليا لعالمنا الإسلامى حتى ينهض بواجبه فى صنع الحضارة الإنسانية المعاصرة على أسس من هدى كتابنا وسنة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، هذه الأسس التى تضمنها قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .. تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى ، ولعل بعض من يستمع إلى هذه الكلمات يقول وما علاقة هذا التوجيه بما نحن فيه ، ونحن نواجه تحديا حضاريا فى التقنية والعلوم ووسائل الإعلام ، وما يزخر به العالم من مخترعات وما يطلع علينا به كل يوم من مكتشفات ، ونبادر فنقول رداً على هذا التساؤل الذى قد يمرّ بخاطر البعض أن كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - قد تضمنتا الأسس التى توجه إلى تحقيق ما نرجوه لمستقبل عالمنا الإسلامى ، فالذى يمعن النظر فى القرآن الكريم يجد آياته تدعو إلى الفكر والنظر والبحث والتأمل وحث العقل على التفكير فى جنبات الأرض والسماء وطوايا النفس الإنسانية من مثل قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ . وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ . وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ . وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾ وهذا نموذج وأمثاله عشرات النماذج فى الكتاب العزيز تدعو إلى التأمـل والبحث والاستنتاج ، وفى ظنى أن علماء الجيولوجيا وطبقات الأرض وعلماء الفضاء وعلماء النفس والدراسات الإنسانية سيجدون بداية مشجعة حينما يقرءون الآيات الكريمة : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ .

وسنجد فى السُّنَّة مثل هذا وحسبنا أن نذكركم بما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها » وبقوله : « ما من أحد يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة إلى يوم القيامة » .

ولقد حفل تراثنا الإسلامى بآثار علمائنا وباحثينا فى كل مجالات المعارف والعلوم الإنسانية من طبية إلى هندسية إلى زراعية إلى اقتصادية إلى صيدلية حتى قادوا ركب الحضارة

عدة قرون من الزمان استجابة لتوجيهات القرآن والسنة وعلى ضوء اكتشافاتهم وبحوثهم قامت الحضارة المعاصرة ، وقد سجلوا آثارهم فى اللغة العربية حتى كانت لغة العلم والحضارة ، وكان كل باحث فى جانب من جوانب المعرفة إذا أراد أن يستكمل أدواته ويبرز فى ميدانه كان لا بد له أن يدرس اللغة العربية ليقف على آثار هؤلاء العلماء كما يفعل الباحثون منا فى أيامنا هذه حينما يتابعون آثار العلماء فى لغاتهم المختلفة ، فإذا أردنا أن نأخذ بنصيبنا فى صنع المستقبل وبناء الحضارة الإنسانية على هدى من قيمنا ومثلنا ومبادئنا ، فعلى علمائنا وباحثينا أن يسجلوا آثارهم وفكرهم بلغتهم فإذا شعر العالم أن هناك جديداً فى العلم أو الاقتصاد أو الدراسات الإنسانية قد كتب بهذه اللغة ، فسيسعى إلى أن يتعرف عليها ليقف على آثار علمائها كما فعل من قبل ، وبذلك تعود لغتنا كما كانت لغة الحضارة والعلم .

وهنا أرى لزاما علىَّ أن أشير إلى ما تميزت به الحضارة الإسلامية عن سواها من الحضارات وهذا التميز يبدو واضحاً فى أن العالم المسلم يضع فى اعتباره أن ما يصل إليه من نتائج إنما يقصد به أن يحقق سعادة الإنسان على هذه الأرض وأن ينال بما قدم رضى الله لأنه أسهم فى تيسير الحياة على عباده سواء كان ذلك عن طريق عقار جديد يكتشفه يخفف به آلام المرضى أو طريق ناجح فى استغلال الأرض لتقدم للناس ما يحتاجونه من غذاء أو وسيلة سهلة تعاون الناس على التغلب على مشقات الانتقال أو تسهيل وسائل الاتصال أو غير ذلك مما يستغرق النشاط الإنسانى بكل جوانبه ، أما ما نشهده من سباق محموم بين صناع الحضارة المادية المعاصرة فإنه لا يكفيهم ما يصيب الإنسان من ويلات من آثار الدمار الذى توقعه مكتشفاتهم بالإنسان والبيئة والحيوان والنبات ، والسبب فى ذلك فيما أعتقد أن الباحث المسلم إنما ينطلق فى تفكيره إلى البحث والاستنتاج فى هدى من الوحى وتوجيه السماء ،أما الباحثون الآخرون فقد طرحوا هذا الإحساس جانبا ، ولذلك زادت معاناة الإنسان على هذه الأرض ، نريد الباحث المسلم الذى يقرأ ويفهم ويطبق قول الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

أيها العلماء والباحثون المسلمون ، إن الأمة فى حاجة الآن ومستقبلا إلى منهج متكامل فى الاقتصاد الإسلامى يقدم للعالم حلولا لمشاكله ، وهذا المنهج تجد أصوله مبثوثة فى كتب فقهائنا سواء فى كتب الفقه العامة أو كتب الفقه المتخصصة مثل كتب الأموال وكتب الخراج مستهدية بنصوص القرآن والسنة .

نريد منهجاً واضحاً فى التربية قائما على أسس من قيمنا وأخلاقنا وقد قدم علماؤنا القدامى لأبناء جيلهم ما يحتاجون إليه ، وأصبح علماء التربية المعاصرون مطالبين بأن يقدموا أسلوبا فى التربية يتحاشى الأخطاء التى وقع فيها علماء الغرب من أمثال [جون ديوى] وسواه ، نريد إعلاما يؤصل الفكر الإسلامى والسلوك الإسلامى والخلق الإسلامى فى نفوس الأجيال حتى تتميز شخصيتها وتخدم مجتمعاتها .

لقد شهد هذا العقد تغيرات جذرية فى نظم الحكم والنظريات السياسية والاقتصادية وانهارت نظم ظلت عقوداً من الزمن تدعو إلى قيمها وترغم الناس عليها ولم تلبث أن تلاشت بعد أن فشلت فيما كانت تدعو إليه ، وتبين للقائمين عليها أنهم كانوا يعيشون وهماً

العالم الإسلامى والمستقبل

وخيالات ، كما أن النظام القائم فى الجانب الآخر من العالم ليس هو النظام الأمثل فإنه يحمل عوامل ضعفه وانهياره وقد تنبه بعض الباحثين فى تلك البلاد إلى المستقبل المظلم الذى ينتظر أجيالهم لو استمروا فى طريقهم حتى رأينا بعض الباحثين من الأمريكان واليابانيين ينبهون إلى ذلك ، وكتب بعضهم يقول : « أمة تعيش فى خطر » محذراً من المستقبل وهذا يدعوكم أيها العلماء والباحثون أن تأخذوا بزمام المبادرة وتقدموا النموذج الذى يحقق للعالم الإسلامى مستقبلا أفضل وللعالم رخاء وأمنا .

بلاد المسلمين غنية بمواردها لكنها مثقلة بمشاكلها وخلافاتها لأن اتجاهاتها موزعة بين نظريات من هنا ومن هناك ، ولا يجمع شتاتها ويقضى على تنازعها إلا إذا أخذت منهجها فى الحكم والسياسة والاقتصاد والإعلام والتربية والبحث من منابعها الأصيلة التى هيأها لها الإسلام حتى نخرج من هذا الضياع الذى نعانيه على الرغم مما بين يديها من عوامل النجاح ولله در شوقى حين قال :

بأيديهم نوران ذكر وسنة
فما بالهم فى حالك الظلمات

إن بعض بلاد المسلمين صالح لأن يقدم للعالم الإسلامى كله ما يحتاجه من غذاء ومع هذا فالأمة تستورد غذاءها من غيرها وفى العالم الإسلامى مصادر الثروة التى تكفل لأى مجتمع أن يعيش فى رخاء ورغد ولكنه دائما يعتمد على الآخرين ويأخذ عنهم وهذا دوركم أيها العلماء والباحثون وقد بدأتم الطريق سدد الله خطاكم

وأنجح مسعاكم وحقق للعالم الإسلامى بفضل هذه الخطى المخلصة مستقبلا أكرم وقدرة على رد الطامعين المتربصين . ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأنفال

للأستاذ الدكتور عبد الجليل شلبي*

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١) .

هذا أول حديث تفسير ، أكتبه لمجلة الأزهر ، وهى مجلة عزيزة علىَّ وعلى كل أزهرى وكل مسلم .

ولا أملك إلا أن أسأل الله ـ تعالى ـ أن يمدنى بعونه لأقوم بهذا الواجب وأن يتقبله منى ويعيننى عليه .

وكنت إذ عزمت أن أكتب قد انتهيت فى قراءتى القرآنية إلى أول سورة الأنفال . فرأيت أن أبدأ بها حديثى مستعينا بالله وحده .

وسورة الأنفال نزلت فى شأن غزوة بدر ، وكان ابن عباس يقول : هى سورة بدر ، لأنها تحدثت عن غنائم حربها وطريق توزيعها ، وكانت أول غزوة ، وغنيمتها أول الغنائم ، وقد تحدثت السورة عن مواقف أخرى من هذه المعركة .

والأنفال جمع نفل (بفتح الفاء وسكونها أيضا) ـ والنفل له معان عديدة ، منها التطوع والزيادة على الواجب ، وسميت لذلك الصلوات غير المفروضة نوافل . ويقال لولد الولد نافلة ، لأنه زيادة على الولد الأول . وغنيمة الحرب نافلة . لأنها زيادة فيما أحله الله لهذه الأمة ، ولأنها كسب دنيوى زائد على الجزاء الأخروى الذى يناله المجاهدون من الله فى الآخرة .

والنفل أيضا اليمين ، ومنه الحديث . فتبرئكم يهود بنفل خمسين منهم .

ويأتى بمعنى الانتفاء ، يقال : انتفل من هذا الأمر أى نفاه عن نفسه ، ومنه الحديث : « فانتفل من ولدها » أى نفاه عن نفسه .

وهو أيضا نوع من النبات .

* الكاتب عضو لجنة الفتوى

(١) الأنفال ـ ١

الأنفـــال

اقرب معانى الكلمة :

واقرب المعانى للكلمة ههنا أنها الغنائم ، وذلك ما ارتضاه غير واحد من الصحابة والتابعين واللغويين .

ومعانيها بوجه عام : تدور على ما يأخذه المحاربون من أعدائهم . وقد تخصص بنوع معين من ذلك .

انها ما نَفَّله رسول الله ـ ﷺ ـ المقاتل من سلب قتيله ، زائدا على سهمه من المغنم .

ومنه أن يقول الإمام تحريضا على الحرب وتشجيعا : من قتل قتيلا فله سلبه .

او أن يقول للسرية : ما أصبتم من الأعداء فهو لكم ، أو لكم منه نصفه أو اقل او اكثر . وهذا لا يخمس كالغنيمة .

ومنه ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عبد أبق أو دابة شاردة أو نحو ذلك فهذه نوافل ؛ لأنها شىء زائد آل إلى المسلمين ، وما تحصل عليه السرايا التى تتقدم الجيش لتستطلع مكامن الأعداء وخبايا الطريق ، فإذا وقع فى أيديهم شىء من مال العدو فهو نفل زائد جاء من غير حرب .

وقيل : هى الزيادة التى يؤثر بها الإمام بعض الجيش لمصلحة يراها ، وقيل غير ذلك . وكلها ـ كما قلنا ـ دائرة حول أسلاب الحرب .

سبب النزول :

وجاء فى سبب نزول السورة أقوال لا تفارق هذا المعنى ، وقد تكون كل الأحداث التى رويت صحيحة وأن السورة نزلت لها جميعا .

قال أبو أمامة : سألت عبادة عن الأنفال ، فقال : فينا أصحاب بدر نزلت . اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فانتزعه الله منا وجعله إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقسمه بين المسلمين عن بواء ـ أى عن سواء .

وجاء عن عبادة بن الصامت أنه قال : خرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فشهدت معه بدراً ، فالتقى الناس فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة فى آثارهم يهزمون ويَقْتُلُون ، وأقبلت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله ـ ﷺ ـ (يحمونه حتى) لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض ، قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها فليس لأحد غيرنا فيها نصيب .

وقال الذين خرجوا فى طلب العدو : لستم بأحق بها منا ، نحن منعنا العدو وهزمناهم .

وقال الذين أحدقوا برسول الله ـ ﷺ ـ خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به ،وقد كنا فئتكم ورداء كم ، لو قهركم العدو لانحزتم إلينا .

وفئة الرجل قومه وأصحابه الذين يحتمى بهم ، وجاء فى هذه السورة : ﴿ ..... وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾(١) وجاء أيضا ﴿ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾(٢) وقال عمر لجيش المسلمين وقد رجعوا مندحرين : أنا فئتكم . يريد لستم فارين مولين الأعداء أدباركم .

وجاء فى سبب نزول السورة أيضا أن سعد بن أبى وقاص قال : اغتنم أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ غنيمة عظيمة . فإذا فيها سيف ، فأخذته فأتيت به النبى ، فقلت : نفِّلنى هذا السيف ـ أى أعطنيه نافلة زائدة عما آخذ من الغنيمة ـ فأنا من علمت حاله ، يعرض بشجاعته وإخلاصه فى الجهاد ، فقال : رُدَّه من حيث أخذته .

قال سعد : فانطلقت حتى أردت أن ألقيه فى

---

(١) الأنفال ـ ١٦

(٢) الأنفال ـ ١٩

القبض[1] ـ لا متنى نفسى . فرجعت إليه فقلت : أعطنيه ، فشد رسول الله ـ ﷺ ـ لى قائلا : رده من حيث أخذته . فانطلقت حتى أردت أن ألقيه فى القبض لامتنى نفسى ، فرجعت إليه فقلت : أعطنيه ، قال : فشد لى صوته وقال : رده من حيث أخذته ، فأنزل الله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ . . . . ﴾

ورواية ثانية فى هذا أن عميرا أخا سعد ـ وكان ابن ست عشرة سنة ـ قتل يوم بدر ـ قتله العاص ابن سعيد ، فقتل سعد العاص وأخذ سيفه وكان سيفا ثمينا يسمى (ذا الكُتَيْفَة) فأتى به رسول الله ـ ﷺ ـ فقال له : أذهب فاطرحه فى القبض . قال سعد : فرجعت وبى ما لا يعلمه إلا الله ، من قتل أخى وذهاب سَلَبى ، فما جاوزت إلا يسيرا حتى نزلت سورة الأنفال : فقال لى رسول الله ـ ﷺ ـ اذهب فخذ سلبك ـ أى السيف .

وتنسب رواية مثلها إلى مالك بن ربيعة قال : أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر ، وكان يسمى (المرزبان) ، فلما أمر رسول الله ـ ﷺ ـ الناس أن يردوا ما فى أيديهم من النفل ، أقبلت به فألقيته ، فرآه الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى ، فسأله رسول الله ـ ﷺ ـ فأعطاه إياه ـ أى بعد نزول السورة .

وهناك روايات أخرى . وقلنا : قد تكون كلها صحيحة ، وكل ذلك كان قبل أن تنزل آية التخميس : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ . . . ﴾ .

ومهما يكن من شان هذه الروايات كلها ـ ما ذكرنا منها ومالم تذكر ، فإنها تعكس صورة من إخلاص الصحابة ، وحرصهم على الا ياخذوا شيئا من الغنيمة إلا بإذن رسول الله ـ ثم هو ـ ﷺ ـ لم يقض بشىء إلا بعد ان أوحى الله إليه ، وفى بعض الروايات قال لسعد : لا هو لى ولا لك » .

والسؤال عن الأنفال يعنى السؤال ، عن حكمها وطريقة التصرف فيها ، وحين جعلها الله ـ سبحانه ـ لله ولرسوله ، جعل حكمها كما يبينه الله ويقضى به ، ورسوله هو المبلغ عنه ، وبهذا أذِنَ فى أخذ ما كان قد منعه .

قال الله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ . . . . ﴾ .

أى دعوا النزاع والتخاصم فى متاع الحياة الدنيا ، فذلك مما يقيكم من سخط الله .

والتقوى : مأخوذة من الوقاية ، وتفسيرها بالخوف أخذ من المعنى اللازم ، لأن من اتقى الله ترك ما يغضبه خوفا من عقابه .

وإصلاح ذات البين : يعنى إصلاح ما بينهم من التخاصم والنزاع فتلك شئون مشتركة بينهم . كل طرف منهم له حظ فيها ، وهذا التعبير جار فى اللغة العربية ، فهم يصفون (الأسرار) بأنها ذات الصدور ، أى المستكنة فيها ، ويقولون : بثه ذات نفسه أى أسراره ، واسقنى ذا إنائك ، أى الماء الذى فيه .

والآية ـ بوجه عام ـ تأمر بالمصافاة والمودة ، والتنزه عن متاع الحياة الدنيا ، ومحاربو بدر جاهدوا أساسا لدفع عدوهم وحماية دينهم ، فلا ينبغى أن تكون الغنائم مثار خصومة واختلاف بينهم .

أما الشرط فى قوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فيعنى إن كنتم كاملى الإيمان محصلين ما يتطلبه من ورع وعفة نفس ، ولا يعنى مجرد وجوده لأنهم مؤمنون مصدقون ، وإيمانهم هو الذى وجههم للجهاد ، وهذا التعبير جار فى كلامنا ، تقول للمحارب : إن كنت محاربا فنازل فلانا ، وتقول للقارىء : إن كنت قارئا فرتل قرآنك ، تريد إن كنت شجاعا حقا أو قارئا قراءة مستوفاة . والله أعلم .

---

(١) القبض بفتح الباء ما جمع من الغنيمة .

قبس من أنوار النبوة

سلعة الله غالية

للشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ ، وَمَنْ أَدْلَجَ ، بَلَغَ المَنْزِلَ . أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ الله غَالِيَةٌ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ» .
رواه الترمذى وقال : حديث حسن .
أدلج : سار من أول الليل ، والمراد التشمير والجد فى الطاعة .

أرسل الله تبارك وتعالى ، رسوله محمدا ﷺ للناس بالهدى ودين الحق بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، فهدى الله به للإيمان قوما أخلصوا لله ، وبادروا بالطاعة ، فنجوا وفازوا ، لأنهم توجهوا إلى الله بكليتهم فى كل ما يفعلون ، وما يتركون ، يرجون رحمة الله ويخافون عقابه ، كما قال عز من قائل : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ سورة السجدة ١٦ .

روى الإمام أحمد والترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ . وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ . وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ - سورة المؤمنون ٥٧/ ٦٠ .

أهو الذى يزنى ويشرب الخمر ويسرق ؟ قال : « لا يابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه » .

سئل أحد العلماء حاتم الأصم عن صلاته فقال : « إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء ، وأتيت المصلى فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ثم أقوم إلى صلاتى ، وأجعل الكعبة بين حاجبى ، والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى ، والنار عن شمالى ، وملك الموت ورائى ، وأظنها آخر

صلاتى ، فأتمها بين الخوف والرجاء اتم خشوع ثم لا أدرى بعد أمقبولة منى أم مردودة عليَّ » ؟!

والخوف من اللّٰه تعالى : هو من أهم صفات المتقين ، قال اللّٰه تعالى فى محكم كتابه : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ سورة يونس ٦٢/٦٤ .

وكلما استشعر المؤمن عظمة اللّٰه وكبرياءه كان أشد خوفا لله وأعظم خشية له ـ قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ سورة فاطر ٢٨ .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ تعالى : فى قول اللّٰه عز وجل فى سورة النازعات : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ اى خاف القيام بين يدى الله عز وجل ، وخاف حكم الله فيه ، ونهى النفس عن هواها وردها إلى طاعة مولاها ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ اى منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء .

فمن خاف ربه وخالقه امتنع عن الكذب والغيبة وكلام الفضول ، وشغل لسانه بذكر الله وتلاوة القرآن ، وشغل قلبه بالإيمان ، وأخرج منه العداوة والبغضاء وحسد الناس . ولا ينظر إلى الحرام . ولا يأكل إلا طيبا ، ولا تمتد يده إلا إلى ما فيه طاعة لله عز وجل ولا يمشى فى معصية .

الخائف من الله ـ يهرب إليه ـ فيجعل عبادته خالصة لوجه الله ، بعيدة عن الرياء والنفاق ، قال الفقيه السمرقندى ـ رحمه اللّٰه تعالى : من عمل الحسنة يحتاج إلى الخوف من أربعة أشياء ، فما ظنك بمن يعمل السيئة :

أولها : عدم القبول لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ سورة المائدة ٢٧ .

ثانيها : خوف الرياء ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ سورة البينة ٥ .

ثالثها : خوف عدم المجيء بعمل الصالحات : فإن اللّٰه تعالى يقول : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ سورة الأنعام ١٦٠ ـ حيث اشترط المجيء بها إلى الآخرة .

رابعها : خوف الخذلان فى الطاعة ؛ لأنه لا يدرى هل يوفق لها أم لا . يقول اللّٰه تعالى : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود ٨٨ .

وإذا كان المسلم على هذه الحال من الخوف من الله عز وجل ، فإنه يكون قويا بالله شجاعا يجهر بالحق ، وينكر المنكر دون تهيب من أحد أو خوف من مخلوق ، وإذا كان فى الأمة من يجهر بالحق ويدعو إليه ويعمل على نشره ، فإن الباطل سيتوارى كما تتوارى ظلمات الليل عند طلوع الفجر الصادق ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ الأحزاب ٣٩ .

ومما لاشك فيه أن هذا الخوف ينتج أطيب الثمار التى لا تستطيع القوانين تحقيقها ـ مهما كانت صارمة ـ فإن الخوف من الله يخلق الضمير الحى الذى يجعل من الإنسان رقيبا على نفسه ، يشعر بمعية الله ، يرى حركاته وسكناته وهذا هو الإحسان الذى قال فيه الرسول ﷺ : «الإحسان

البقية ص ٥٢٥

التراضى على خروج وريث أو التخارج

د. محمود عبد المتجلى خليفة *

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ؛ فقد ثار خلاف بين عدد من الفقهاء فى حكم من أحكام المواريث وهو التخارج فأحببت أن أفصل الحكم فيه موضحا له بالصور التى تظهر حقيقته ، وترفع الخلاف فيه ، والله يهدينا جميعا سواء السبيل .

التخـــارج :

هو فى اللغة مأخوذ من كلمة الخروج ضد الدخول .

وهو تفاعل بين اثنين فأكثر ، على أن يُخرِجَ أحدهما الآخر من مكان أو من شىء مشترك بينهما .

أما التخارج فى اصطلاح الفقهاء فهو :

أن يتصالح الورثة على خروج بعضهم وترك نصيبه فى التركة مقابل مال يأخذه من التركة أو من غيرها .

وسبب التخارج : طلب الوارث الخارج من بقية الورثة ذلك عند رضاهم به وبناء على هذا التعريف للتخارج فإنه يكون عقد قسمة بين الخارج وبقية الورثة إذا كان المقابل المدفوع للخارج من التركة .

ويكون التخارج عقد بيع إذا كان المقابل المدفوع للخارج من غير التركة سواء أكان هذا المقابل من الورثة الباقين جميعا أم كان من بعضهم والدليل على جواز التخارج أثر رواه محمد علاء الدين بن عابدين فى كتابه (قرة عيون الأخيار لتكملة رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار) جـ ٢ ص ٢٤٤ .

وذلك أن عبد الرحمن بن عوف الصحابى الجليل ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه ـ طلق امرأته تماضر بنت أصبغ بن عمرو الكلابية فى مرض موته طلاقا ثلاثا فكان طلاقا بائنا ، وأصبحت هذه الزوجة بهذا الطلاق أجنبية منه لا ترث منه شيئا إذا مات ،

ثم مات سيدنا عبد الرحمن فى هذا المرض وتماضر فى عدتها منه فَوَرَّثَهَا عثمانُ رضى الله تعالى عنه وكانت مع ثلاث نسوة أخر فصالحها الورثة عن نصيبها من التركة وكان ذلك بحضور

---

* الكاتب عضو لجنة الفتوى .

الصحابة ، وكانت المصالحة على ثمانين ألف دينار ، وأن ذلك كان نصف حقها إذ كان لها ربع الثمن ١/٣٢ من التركة وهو يقدر بمبلغ ١٦٠ ألف دينار .

وللتخارج ثلاث صور :

الأولى : أن يكون التخارج مع أحد الورثة فيتفق الخارج مع هذا الوارث على ترك نصيبه له مقابل مال يدفعه له من خارج التركة .

فيأخذ التخارج فى هذه الصورة حكم البيع ، إذ باع (الخارج) نصيبه إلى هذا الوارث بهذا الثمن المعلوم .

وبذلك يكون للوارث نصيبه فى التركة ميراثا ونصيب هذا الخارج شراء ، ومثال ذلك : إذا مات شخص عن ابنين وبنت ، فتخارج أحد الابنين مع أخته وتركت حصتها مقابل مال دفعه إليها ، قسمت التركة بين الورثة للذكر ضعف الأنثى تعصيبا أى إلى خمسة أسهم للبنت خمسها ولكل ابن خمسان .

وقد باعت البنت نصيبها لأحد أخويها فيكون لذلك الأخ نصيبها وهو خمس التركة مضافا إلى نصيبه وهو الخمسان ، فيكون له ثلاثة أخماس التركة .

الثانية : أن يكون التخارج مع باقى الورثة جميعا ، فيتفق الخارج معهم على ترك نصيبه لهم مقابل مال يدفعونه له من خارج التركة .

ويأخذ التخارج فى هذه الصورة حكم البيع أيضاً ، إذ باع الخارج نصيبه إليهم بهذا الثمن فيتملكون نصيبه ويقسمونه بينهم حسبما جاء فى عقد التخارج ، فيقسم بينهم بنسبة أنصبائهم فى التركة إذا كان المال المدفوع للخارج بهذه النسبة .

أو بنسبة ما دفع كل منهم إلى الخارج إذا لم يلتزموا فى المال المدفوع نسبة أنصبائهم .

فإذا خلا عقد التخارج من النص على طريقة التقسيم قسم بينهم نصيب الخارج بالتساوى ، لأنهم قد اشتروه شركة بينهم ولم يبينوا نصيب كل واحد منهم والشركة بحسب الأصل تقتضى المساواة بين الشركاء ويحمل الأمر على أن المال المدفوع منهم كان بالتساوى بينهم ، إذ لو كان الأمر على خلاف ذلك لنصوا عليه فى عقد التخارج .

مثال يوضح هذه الصورة :

إذا توفى شخص عن ثلاثة أبناء وبنتين فتخارج الأبناء وإحدى البنتين مع البنت الأخرى بمال دفعوه من خارج التركة . قسمت التركة بينهم للذكر ضعف الأنثى فتقسم إلى ثمانية أجزاء لكل ابن جزءان ولكل بنت جزء .

ويأخذ كل منهم نصيبه ما عدا البنت التى خرجت فإن سهمها يقسم بين البنت والأبناء الباقين للذكر ضعف الأنثى إذا كان المال المدفوع بنسبة أنصبائهم .

فإذا كانت البنت الباقية قد دفعت لأختها ضعف ما دفعه الابن الواحد قسم نصيب البنت الخارجة بنسبة ما دفعوا فيكون للبنت الباقية فى هذا المثال ضعف ما يأخذه الابن .

أما إذا لم ينص فى عقد التخارج على طريقة التقسيم اقتسم الأبناء والبنت نصيب البنت الخارجة بالتساوى .

الثالثة : أن يكون التخارج مع باقى الورثة : ولكن يتفق الخارج معهم على أخذ جزء من التركة نقودا أو منقولا أو عقارا أى بيتا أو أرضا للزراعة أو للمبانى فى مقابل نصيبه .

والتخارج فى هذه الصورة يكون قسمة غير كاملة بين الخارج الذى فرز نصيبه وبين باقى الورثة الذين يملكون الباقى على الشيوع .

خـروج وريـث أو التخـارج

وهذه الصورة هى أكثر صور التخارج وقوعا .

وفى هذه الحالة تحل مسألة الميراث ليعرف نصيب كل وارث ومن ضمنهم الوارث الخارج ، ثم تستبعد سهام الوارث الخارج ويقسم الباقى من التركة بين باقى الورثة بنسبة سهامهم فى حالة وجود الوارث الخارج .

والمثال الذى يوضح هذه الصورة كالآتى :

توفيت امرأة عن زوجها وأمها وعمها الشقيق .

وكانت تركتها ٦٠ فدانا(١) ومبلغا من النقود .

فتخارج الزوج مع بقية الورثة على أن يأخذ النقود ويترك نصيبه من الأرض الزراعية .

مع ملاحظة الأصل أن له نصيبا فى الأرض الزراعية وأن بقية الورثة لهم نصيب فى النقود فسيتنازل عن نصيبه فى الأرض وسيتنازلون عن نصيبهم فى النقود .

ولهذا تحل المسألة كالمعتاد وكأن الزوج لم يخرج .

فيكون للزوج النصف فرضا لعدم الفرع الوارث وللأم الثلث فرضا لعدم وجود فرع وارث أو جمع من الإخوة وللعم الشقيق الباقى تعصيبا .

فيكون للزوج ثلاثة أسهم من أصل التركة وهو ستة .

وللأم سهمان وللعم سهم واحد .

ثم تستبعد سهام الزوج الذى تخارج فى مقابل أخذه للنقود ويقسم باقى التركة وهو ٦٠ فدانا على الأم والعم الشقيق بنسبة سهامهما حال وجود الزوج أى بنسبة ٢ ـ ١ فيكون للأم ٤٠ فدانا وللعم ٢٠ فدانا .

هذا ولا يصح تقسيم باقى التركة بين الأم والعم الشقيق بنسبة ميراثهما حال عدم وجود الزوج وكأن الزوج لم يكن .

وذلك لأن هذا الزوج أخذ جزءا من التركة ، فإهمال وجوده يؤدى إلى أن للأم ثلث هذه الأرض وهو ٢٠ فدانا فرضا .

وللعم الباقى وهو الثلثان تعصيبا ٤٠ فدانا .

وهذا لا يتفق مع الأنصبة الشرعية الثابتة لهم ولا مع ما يقتضيه عقد التخارج ، لأن الأم والعم قد تركا نصيبهما فى النقود بنسبة ميراثهما مع وجود الزوج فى مقابل نصيبه فى الأفدنة .

فيكون لهما باقى التركة وهو ٦٠ فدانا .

ولذلك فهما يرثان فى الباقى بهذه النسبة ٢ ـ ١ لأنه قد آل إليهما نصيب الزوج بهذه النسبة .

ولو كانت الأم هى التى خرجت من التركة قسم الباقى بين الزوج والعم الشقيق بنسبة نصيبهما حال وجود الأم أى بنسبة ٣ ـ ١ فيكون للزوج ٤٥ فدانا وللعم ١٥ فدانا .

ولو اعتبرنا الأم كأن لم تكن لكان للزوج نصف الباقى مع أنه يستحق نصف التركة كلها بما فيها نصيبه فى النقود التى أخذتها الأم .

ولو كان العم هو الذى خرج قسم الباقى بين الزوج والأم بنسبة ميراثهما مع وجود العم أى بنسبة ٣ ـ ٢ فيكون للزوج ٣٦ فدانا وللأم ٢٤ فدانا .

ولو اعتبرنا العم كأن لم يكن لأخذ الزوج نصف الباقى بعد نصيب العم مع أنه يستحق نصف التركة كلها بما فيها نصيبه فى النقود التى أخذها العم .

هذا ولا يغترن أحد بما ذكره العالم الحنفى الكبير الشيخ عبد الله بن محمود بن مودود فى كتابه الاختيار جـ ٢ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

حيث قال : ومن صالح من الورثة على شىء من التركة فاطرحه كأن لم يكن ثم اقسم الباقى على

(١) الفدان = ٤٢٠٠ متر مربع .

سهام الباقين . فإذا ماتت امرأة عن زوج وأم وعم ثم صالح الزوج عن نصيبه من التركة على ما فى ذمته من المهر فاطرحه كأنها ماتت عن أم وعم واقسم التركة بينهما للأم الثلث والباقى للعم .

وهذا سهو من صاحب الاختيار لأن للأم والعم نصيبا فيما فى ذمته من مؤخر الصداق كما أن للزوج نصيبا فى بقية التركة فقد ترك نصيبه من بقية التركة فى مقابل مؤخر الصداق كما أن الأم والعم تركا نصيبهما فى مؤخر الصداق فى مقابل بقية التركة .

ولهذا جاء فى تعليقات المرحوم الشيخ محمود أبى دقيقة على هذا الكلام بقوله : والصواب أن يقول : للأم الثلثان وللعم الثلث كما هو المنصوص فى المذهب الحنفى من غير خلاف . وهو غلط مشهور من صاحب الاختيار وجل من لا ينسى ولا يغلط جل جلاله .

هذا وقد ورد التخارج فى قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ م فى المادة ٤٨ ونصها كالآتى :

التخارج هو أن يتصالح الورثة على إخراج بعضهم من الميراث على شىء معلوم ، فإذا تخارج أحد الورثة مع آخر منهم استحق نصيبه وحل محله فى التركة .

وإذا تخارج أحد الورثة مع باقيهم ؛ فإن كان المدفوع له من التركة قسم نصيبه بينهم بنسبة أنصبائهم فيها .

وإن كان المدفوع من مالهم ولم ينص فى عقد التخارج على طريقة قسمة نصيب الخارج قسم عليهم بالسوية بينهم . أ هـ

هذا ويلاحظ أن المادة ٤٨ لم تصرح بحكم ما إذا كان بدل التخارج من خارج التركة وقد نص فى عقد التخارج مع باقى الورثة على طريقة تقسيم نصيب الخارج بينهم بنسبة أنصبائهم أو بنسبة ما دفعوه لظهور حكمه .

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

فقه الخلاف

للشيخ :
محمد حسام الدين

العلم بفقه الخلاف هو العلم بوجوه نظر الأئمة للمسائل والوقائع ، وطرائق الاستنباط لديهم للحكم فى كل مسألة ، ومآخذ كل منهم فى الاستدلال لها .
ولا يكون الرجل فقيها ـ على الأصل فى معنى الفقيه ـ إلا إذا كان عالما بالخلاف فيما سبقه من آراء .

روى ابن عبد البر[1] الأندلسى بسنده عن سعيد بن أبى عروبة قال : « من لم يسمع الاختلاف فلا تَعُدُّوه عالما » .

وعن قتادة قال : « من لم يعرف الاختلاف لم يَشُمَّ أنْفُه الفقه »

وبسنده عن عطاء قال : « لاينبغى لأحد أن يفتى حتى يكون عالماً باختلاف الناس ، فإنه إن لم يكن كذلك رَدَّ من العلم ما هو أوْثَقُ من الذى فى يديه » .

وبسنده عن أبى أيوب السختيانى قال : « أجْسَر الناس على الفتوى أقلهم علما باختلاف العلماء ، وأمْسَكُ الناس عن الفتيا أعلمهم باختلاف العلماء » وبسنده عن ابن عيينة مِثْلَه .

وعن ابن الماجشون : « كانوا يقولون : لا يكون فقيها فى الحَادِثِ مَنْ لَمْ يكن عالما بالماضى »[2] .

ويقول الشافعى (رحمه الله) : « لا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما قضى قبله من

(١) الإمام الحافظ : أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى الأندلسى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ . انظر « جامع بيان العلم وفضله » جـ ٢ ص ٥٧ ، ٥٨ ـ السلفية بالمدينة المنورة ـ ط ـ ٢ ـ ١٩٦٨ م .
(٢) المصدر السابق .

السُّنَنْ ، وأقاويل السلف ، وإجماع الناس ، واختلافهم »[٣] .

ولقد اهتم العلماء بمعرفة الخلاف بين الفقهاء ، ومصدر تغاير الرأى لديهم فى كل مسألة .

كما عقد أصحاب المذاهب المختلفة لهذا الغرض لقاءات جرت فيها مناظرات ، ومُطَارَحَاتٌ ، ومُقَارَنَاتٌ بين الآراء .

واشتهرت فى هذا المجال مناظرات جرت بين فقهاء الشافعية والحنفية حضرها العلماء ، والأمراء .

ولقد كتب الشافعى (رحمه الله) فى فقه الخلاف ، وعقد له كتبا وأبواباً منها : (كتاب ما اختلف فيه أبو حنيفة وابن أبى ليلى عن أبى يوسف) و(كتاب اختلاف عبد الله بن مسعود) و(كتاب اختلاف مالك والشافعى) ، و(باب خلاف ابن عباس فى البيوع) و(باب خلاف عمر ابن عبد العزيز فى عشور أهل الذمة) ، و(باب خلاف سعيد وأبى بكر فى الإيلاء) و(كتاب الرد على محمد بن الحسن) و(كتاب سير الأوزاعى)[٤] وغيرها .

ولا ينبغى أن يتبادر إلى الذهن أن الشافعى ـ رحمه الله ـ قصد فى هذا العَرْضِ أن يَعيبَ مذهباً ، أو مَنْحى ، أو رأيا من آراء السلف ، فقد كان الشافعى ورعا بعيداً عن هذه المظان ، وقد شغل نفسه فيما كتبه فى هذا المجال بِعرضِ الرأى ، ومَأْخذِه من الدليل .

ولم يزد على البيان شيئا سوى أن يَشْرَحَ وَجْهَ الترجيح لما ذهب إليه ، أو لما اختاره من آراء الفقهاء .

وكثيرا ما كان يعرض الآراء وملمحها من الدليل ، ويكتفى بهذا ويقف موقف الحياد فلا يعلق على الآراء بشىء ما لم يكن هو طرفا من أطراف الخلاف فى المسألة .

ونحن إذا نظرنا إلى مقال الشافعى فى : « كتاب اختلاف مالك والشافعى »[٥] مثلا وجدناه يَعْرِضُ لنوعين من الخلاف .

أحدهما : خلاف مالك والشافعى مع غيرهما ، وذلك فيما اتفق عليه هذان الإمامان ، وكان الخلاف فيه مع غيرهما .

والثانى : ما وقع فيه الخلاف بين الشافعى « رحمه الله » وبين أتباع مالك « رضى الله عنه » .

ومثال النوع الأول : ما جاء فى « كتاب الأقضية »[٦] فقد احتج الشافعى لرأيه ورأى مالك بالقضاء باليمين مع الشاهد ، وناقش حجة من خالفهما فى هذه المسألة : قال الشافعى (أخبرنا مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قضى باليمين مع الشاهد ، فأخذنا نحن وأنتم[٧] به ، وإنما

---

(٣) الرسالة للشافعى ص ٥٠٨ تحقيق وشرح الشيخ أحمد شاكر ـ ط ١٩٧٩ م .

(٤) انظر الأم ـ الجزء السابع ـ ط دار الشعب .

(٥) الأم ١٧٧/٧ .

(٦) الأم ١٨٢/٧ .

(٧) المخاطب بهذه العبارة هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادى صاحب الشافعى ، وراوية كتبه ، ولد سنة ١٧٤ هـ واتصل بخدمة الشافعى ، وحمل عنه الكثير ، وكان قد تلقى من قبل عن عبد الله بن وهب ، وأسد بن موسى ، ويحيى بن حسان وجماعة من اتباع مالك « رضى الله عنه » فكان على مذهبهم قبل أن يحضر الشافعى إلى مصر ، وكان الربيع يسأل الشافعى عما يفرق بين رأيه ورأى المالكية فى بعض المسائل فخاطبه الشافعى على اعتباره مالكيا ـ توفى الربيع سنة ٢٧٠ هـ ـ طبقات الشافعية ١٣٢/٢ ـ الحلبى ـ حسن المحاضرة ٣٤٨/١ ـ بروكلمان جـ ٢ ـ المعارف .

فقــــه الخـــــلاف

أخذنا نحن به مِنْ قِبَلِ أنا رويناه من طريق المكيين متصلا[8] صحيحاً ، وخالفنا فيه بعض الناس ، فما احتيج فى شىء منه قط علمته أكثر من حُجَجِهِ فيه ، وفى ثلاث مسائل معه :

فزعم أن القرآن يدل على أن لا يجوز أقلُّ من شاهدين ، أو شاهد وامرأتين .

وزعم أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال اليمين على المدَّعَى عليه ، وقال له عمر ، فكان هذا دلالة على أن لا تجوز يمين إلا على المدَّعَى عليه ولا يَحْلِفُ مُدَّعٍ .

واحتج بابن شهاب ، وعطاء ، وعروة ، وهما رجلا[9] مكة والمدينة فى زمانهما أنكراه غاية النُّكْرَةَ .

واحتج بأن لم يُحْفَظْ عن أبى بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان فيه شىء يُوَافِقُه ، ولا عن عَلِيٍّ من وجه يصح عنده ، ولا عن واحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من وجه يصح ، ولا عن ابن المسيب ولا القاسم ، ولا أكثر التابعين وبأنا[10] أحلفنا فى المال ، ولم نحلف فى غيره .

فكانت حجتى عليه أن قلت : الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثابتة ، وما ثبت عن رسول الله لم يُوْهِنْهُ أن لا يوجد عند غيره ، ولم يُتَأَوَّلْ معه قرآن ، ولم يَدْفَعْه أن أَنْكَرَهُ عروة ، وابن شهاب ، وعطاء ، لأنه ليس فى الإنكار حجة ، إنما الحجة فى الخبر لا فى الإنكار)[11] أ . هـ .

وأما النوع الثانى من النقاش الذى أجراه الشافعى فى « كتاب اختلاف مالك والشافعى » فهو الخلاف مع أصحاب مالك فى بعض المسائل ومثاله ما جاء فى باب : « النكاح بولى »[12] .

قال الربيع بن سليمان : « سألت الشافعى عن النكاح فقال : كل نكاح بغير ولى فهو باطل . فقلت : وما الحجة فى ذلك ؟ قال : أحاديث ثابتة : فأما من حديث مالك : فإن مالكا أخبرنا عن عبد الله بن الفضل عن نافع بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبى « صلى الله عليه وسلم » قال : (الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تُسْتَأْذَنُ فى نفسها وإِذْنُهَا صِمَاتها) .

وأخبرنا مالك بَلَغَهُ أن ابن المسيب كان يقول : قال عمر بن الخطاب : لا تُنْكَحُ المرأة إلا بِإِذْنِ وليها ، أو ذِى الرَّأى من أهلها ، أو السلطان . « قال الشافعى » وثَبَّتُّمْ هذا ، وقلْتُم : لا يجوز نكاح إلا بولى ... .

« قال الشافعى » أخبرنا مسلم بن خالد ، وعبد المجيد عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسى ، عن ابن شهاب عن عُرْوَةَ عن عائشة عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : « أيما امرأة نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهاَ فَنِكَاحُهَا باطل .. ثلاثا » .

وأخبرنا مسلم وسعيد عن ابن جريج عن عكرمة قال : جمع الطريق ركبا فيهم امرأة ثيب فجعلت أمرها بيد رجل ، فزوجها رجلا ، فجلد عمر النَّاكِحَ ، والمُنْكِحَ ، وفَرَّقَ بينهما .

أخبرنا مسلم عن ابن خيثم ، عن سعيد بن

---

(٨) أى متصل الاسناد .

(٩) أى عطاء وعروة .

(١٠) أى واحتج بأن احلفنا فى المال .

(١١) الام ١٨٢/٧ ـ ١٨٣ ط . الشعب .

(١٢) الام ٢٠٦/٧ ط ـ الشعب .

جبير عن ابن عباس قال : لا نكاح إلا بولى مُرْشِد ، وشَاهِدَىْ عدل .

وهذا قول العامة بالمدينة ومكة .

قلت للشافعى[١٣] : نحن نقول فى الدَّنِيَّةِ لا بأس أن تَنْكِحَ بغير ولى ، ونَفْسَخُه فى الشَّرِيفَةِ[١٤] .

فَقال الشافعى : عدتم لِماَ سَدَّدْتُم[١٥] من أمر الأولياء فنقضتموه ، فقلتم : لا بأس أن تنكح الدَّنِيَّةُ بغَيْرِ وَلِىٍّ ، فأما الشريفة فلا .

السنة والآثار على كل امرأة[١٦] .. فمن أمركم أن تخصوا الشريفة بالحياطة لها واتباع الحديث فيها ؟ وتخالفون الحديث عن النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وعمن بعده فى الدنية ؟

أرأيتم لو قال لكم قائل : بل أجيز نكاح الدَّنِيَّةِ إلَّا بوَلِىٍّ ، لأنها أقرب من أن تُدَلِّس بالنكاح ، وتَصِيرَ إلى المكروه من الشريفة التى تَسْتَحِى على شَرَفِها ، وتخاف من يمنعها . أما كان أقرب إلى أن يكون أصاب منكم ؟ .. فإن الخطأ فى هذا القول لأبْيَنُ من أنْ يحْتَاجَ إلى تبيينه بأكثر من حكايته .

النساء مُحَرَّمَاتُ الفُرُوجِ إلا بما أُبِيحَتْ به الفروج من النكاح بالأولياء والشهود والرضا .

ولا فرق بَيْنَ ما يَحْرُمُ منهن وعليهن فى شَرِيفَةٍ ولا وَضِيعَةٍ . وحق الله عليهن وفيهن كلهن واحد ؛ لا يحل لواحدة منهن ، ولا يحرم منها إلا بما حل للأخرى وحرم منها .ا .هـ .

هذا : وأما الخلافيات التى طرحها الشافعى ولم يكن طرفا فيها فمثالها ما جاء فى كتاب : (ما اختلف فيه أبو حنيفة وابن أبى ليلى عن أبى يوسف رحمهم الله تعالى) .

ومنه ما جاء فى باب السلم : « قال الشافعى » رحمه الله تعالى : وإذا كان لرجل على رجل طعام أسلم إليه فيه ، فأخذ بعض طعامه ، وبعض رأس ماله ، فإن أبا حنيفة « رضى الله عنه » كان يقول : هو جائز .. بلغنا عن عبد الله بن عباس « رضى الله عنهما » أنه قال : ذلك المعروف الحسن الجميل . وبه يأخذ . وكان ابن أبى ليلى يقول : إذا أخذ بعض رأس ماله فقد فسد السلم ، ويأخذ رأس ماله كله » .

وعَلَّقَ الشَّافِعِىُّ على هذا بما يؤيد رأى أبى حنيفة ، فقال : (سئل عن هذا ابن عباس فلم ير به بأسا ، وقال : هذا المعروف الحسن الجميل وقول ابن عباس القياس[١٧] ، وخالفه فيه غيره)[١٨] .

وفى باب الزكاة[١٩] : قال الشافعى « رحمه الله » : وإذا كان على رجل دَيْنُ أَلفْ درهم ، وفى يده أَلْفُ درهم فإن أبا حنيفة « رضى الله تعالى عنه » كان يقول ليس عليه زكاة فيما فى يديه حتى يخرج دَيْنَهُ فَيُزَكِّيَهُ ، وكان ابن أبى ليلى يقول : عليه فيما فى يديه الزكاة .

عَقَّبَ الشافعى على هذا بقوله : وإذا كان فى يَدَىْ رجل ألف درهم ، وعليه مثلها ، فلا زكاة

---

(١٣) القائل هو الربيع بن سليمان .

(١٤) قال القطب الدردير : « الدنيئة هى الخالية من الجمال والمال والحسب والنسب : وقال بعضهم : تكون من قوم فقراء شأنهم خدمة الناس ، ولا ديانة لهم ولا صيانة » وانظر الصاوى على الشرح الصغير للدردير .

(١٥) اى إلى ما كان لكم من راى سديد .

(١٦) اى دلالة السنة والآثار على الحكم عامة فى كل امراة .

(١٧) اى هو القياس

(١٨) الأم ٧/٩٨ .

(١٩) الأم ٧/١٣١ .

فقه الخلاف

عليه ، وإن كانت المسألة بحالها ، وله دَيْنٌ ألْفُ درهم ، فلو عَجَّلَ الزكاة كان أحَبَّ إليَّ ، وله أن يؤخرها حتى يَقْبِضَ ماله ، فَإنْ قَبضَه زَكَّى مما فى يديه . وإن تَلِفَ لم يكن عليه فيه زكاة .

« قال الربيع » آخِرُ قَوْلِ الشافعى : إذا كانت فى يديه ألفٌ وعليه ألفٌ فعليه الزكاة .

وفى موضع آخر قال الشافعى : ولو أن رجلا له مائتا درهم ، وعَشْرَةُ مَثَاقِيل ذهبا فإن أبى حنيفة كان يقول : إذا حال عليه الحول يُضيفُ بعضه إلى بعض ، ويُزَكِّيه كله[٢٠] .

وقال ابن أبى ليلى : هذان مالان مختلفان تجب الزكاة على الدراهم ، ولا تجب على الذهب .

وقال أبو يوسف : فيه الزكاة كله . ألا ترى أن التاجر يكون له المتاع للتجارة وهو مختلف ، فيقومه ، ويضيف بعضه إلى بعض ويزكيه ؟ وكذلك الذهب والفضة ، وقد بلغنا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه أمر رجلا تاجراً أن يقوم تجارته عند الحول فيزكيها » . أ هـ .

هذه نماذِجُ مما كَتَبَه الشافعى فى فقه الخلاف .

وقد يتشابه هذا العلم بما يسمى اليوم بالفقه المقارن ، لكن يَفْرِقُ بينهما أن فقه الخلاف لا يكتفى بعرض آراء الفقهاء فى المسألة لكنما يهتم فى الأصل ببيان مأخذ الأئمة من الدليل ، ومثارات اختلافهم ، ومواقع اجتهادهم فيها .

كما أنه قد يلتبس بعلم الجدل الفقهى الذى يهتم بمذاهب الأئمة فى الأصول ، والتفاوتِ بينها فى الأخذ بالأدلة الشرعية الفرعية ، أو فى تقديم بعض الأدلة على بعض ..

أما علم الخلاف فإنه يهتم بآراء وحجج العلماء عند تناول المسائل والفروع .

قال حاجى خليفة : « علم الجدل علم باحث عن الطرق التى يقتدر بها على إبرام ، ونَقْضِ الأدلة الفقهية ، وهو من فروع علم النظر . ومَبْنَى لعلم الخلاف» .[٢١]

قال ابن خلدون[٢٢] : « وأما الخلافات : فاعلم أن هذا الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية كَثُرَ فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وانظارهم ، خِلَافاً لَابُدَّ من وقوعه ـ لما قدمناه ـ واتسع ذلك فى الملة اتساعا عظيما ، وكان للمقلدين أن يقلدوا من شاءوا منهم .

ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة من علماء الأمصار ، وكانوا بِمَكانٍ مِنْ حسن الظن بهم ، اقتصر الناس على تقليدهم . ومنعوا من تقليد سواهم ، لذهاب الاجتهاد لصعوبته ، وتشعب العلوم ـ التى هى مواده ـ باتصال الزمن . وافتقاد من يقوم على سوى هذه المذاهب الأربعة .

فأقيمت هذه المذاهب الأربعة أصُولَ المِلَّةِ ،

---

(٢٠) من المشهور فقها أن نصاب الذهب للزكاة عشرون مثقالا وأن نصاب الفضة مائتا درهم .

(٢١) كشف الظنون ١/٥٧٩ . وانظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى مادة ـ جدل .

(٢٢) المقدمة ص ٤٥٦ ـ ط . المكتبة التجارية مصر .

وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها ، والآخذين بأحكامها مجرى الخلاف فى النصوص الشرعية والأصول الفقهية .

وجرت بينهم المناظرات فى تصحيح كل منهم مذهب إمامه ، تجرى على أصول صحيحة ، وطرائق قويمة يحتج بها كل على مذهبه ....

فتارة يكون الخلاف بين الشافعى ومالك ، وأبو حنيفة يوافق أحدهما ، وتارة بين مالك وأبو حنيفة ، والشافعى يوافق أحدهما وتارة بين الشافعى وأبى حنيفة ، ومالك يوافق أحدهما .

وكان فى هذه المناظرات بيان مآخذ هؤلاء الأئمة ، ومثارات اختلافهم ، ومواقع اجتهادهم .
كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيات . ولابد لصاحبه من معرفة القواعد التى يتوصل بها إلى استنباط الأحكام ، كما يحتاج إليها المجتهد ، لأن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط ، وصاحب الخلافيات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بأدلته .

وهو لعمرى علم جليل الفائدة فى معرفة مآخذ الأئمة ، وأدلتهم ، ومِرَانِ المُطَالِعِين له على الاستدلال عليه .

وتآليف الحنفية والشافعية فيه أكثر من تآليف المالكية[٢٣] .... وللغزالى « رحمه الله تعالى » فيه كتاب : (المآخذ) ولأبى زيد الدبوسى كتاب : « التعليقة » ولابن القصار من شيوخ المالكية : « عيون الأدلة » .

وقد جمع ابن الساعاتى[٢٤] فى مختصره فى أصول الفقه جميع ما ينبنى عليها من الفقه الخلافى مُدْرجاً فى كل مسألة ما ينبنى عليها من الخلافيات) . أ . هـ .

هذا : وبالله التوفيق ..

(٢٣) للقاضى عبد الوهاب ـ المالكى ـ تآليف جامعة فى علم الخلاف . وهو العلامة الفقيه الحافظ الحجة ، النظار الأديب الشاعر القاضى أبو محمد عبد الوهاب بن على بن نصر البغدادى ، المالكى ، ولد سنة ٣٦٢ هـ فى بغداد ، وتوفى سنة ٤٢٢ هـ بالقاهرة . رحمه الله .

وله كتب كثيرة فى المذهب المالكى ، والخلاف ، والأصول وغيرها ، وقد اشتهر منها . فى الخلاف : (النصرة لمذهب امام دار الهجرة ، وأوائل الأدلة فى مسائل الخلاف بين فقهاء الملة ، والإشراف على نكت مسائل الخلاف » ـ انظر الوفيات لابن خلكان ٢١٩/٣ . وحسن المحاضرة ـ ٢/فقهاء المالكية .

(٢٤) هو الإمام العلامة مظفر الدين أبو العباس أحمد بن على بن تغلب البغدادى المنشأ والوفاة المعروف بابن الساعاتى الحنفى الأصولى المتكلم المتوفى سنة ٦٩٤ هـ رحمه الله اشتهر والده بعلم الهيئة ، وعمل الساعات ، فلقب بالساعاتى ، كان العلامة أبو العباس الساعاتى ثقة حافظا متقنا لمذهبه ـ الحنفى ـ فى الفروع والأصول وله « مجمع البحرين وملتقى النهرين » فى الفقه ، جمع فيه بين مختصر القدورى ، ومنظومة النسفى فى الخلاف مع زوائده ، ورتبه على طريقة يعرف منها الخلاف بين أبى حنيفة وأصحابه : أبى يوسف ، ومحمد ، وزفر وكذلك بين الأئمة الأربعة على ما جاء فى كشف الظنون ، وله فى الفقه والأصول وغيرهما تآليف نافعة ـ رحمه الله ـ انظر الطبقات .

الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى

جمهورية أذربيجان

■ روسيا شىء ، والاتحاد السوفيتى شىء آخر

إنهما فى المجال العلمى والدولى شىء واحد ، ولكنهما من ناحية الواقع والتاريخ شيئان مختلفان .

كانت روسيا دويلة محدودة المساحة والقدرة ، تقع فى الركن الشمالى الشرقى من أوروبا ، ولا تزيد ارضها على مليونى كيلو متر مربع وهى سهول فسيحة تقوم فيها بعض التلال التى تعد مركز تقسيم المياه .

وقد أخذت روسيا اسمها من تلك الأراضى التى انتشر فيها الروس السلاف فى القرون الأولى للميلاد ، إذ شملت :

منطقة ينتشر فيها الروس الكبار حول قاعدتهم « موسكو » .

وأخرى ينتشر فيها (الأوكران) الذين يتوزعون فى الجنوب الغربى حول عاصمتهم « كيف » .

وثالثة للروس البيض الذين يقيمون فى الغرب حول حاضرتهم « منسك » .

وكانوا يدينون بالوثنية ، وكانت تجاورها من جميع الجهات قبائل قليلة العدد ، وعندما جاء

أ.د. محمد عبد الحليم العدوى

التتار فى القرن السابع الهجرى (١٣ م) استقرت بعض قبائلهم فى المناطق الشرقية والجنوبية ، ففرضوا سيطرتهم على الروس وتقدموا نحو الغرب وأعطى الروس الجزية عن يد وهم صاغرون .

وبعد مدة تزايد عدد الروس إذ كانوا يومذاك كثيرى النسل ، وضاقت بهم الأرض فانتهزوا فرصة وهن التتار فشرعوا يتوسعون فى الأرض حتى وصلوا إلى جبال الأورال فى الشرق وسواحل البحر الأسود فى الجنوب ، وضموا نتيجة هذا التوسع مناطق إسلامية ، وقد أطلق على المنطقة جميعها اسم روسيا : وهى منطقة ذات رقعة فيحاء بعيدة المدى .

أما الاتحاد السوفيتي فيطلق على تلك المساحة الشاسعة التى احتلها الروس بقوة الحديد والنار وسلبوها من أيدى المسلمين حتى صارت تطل على البلطيق غرباً ، وعلى

خريطة تبين التوسع الروسى فى قارتى آسيا وأوروبا

المحيط الهادى شرقاً ، وحتى بلغ حجم هذه الأرض الآن خمسة عشر ضعفاً من حجمها الأول [1] .

فتشغل مساحة قدرها ٢,٢٤٠,٢٠٠ كيلو متر موزعة على قارتى آسيا وأوروبا ، وهذه المساحة تعادل سدس اليابس تقريباً .

ويبلغ عدد سكانه الآن ما يقرب من ٣٠٠ مليون ، ويشكل المسلمون خمس سكانه تقريباً (أكثر من ستين مليوناً) ، ويعيش ٧٥٪ من مسلمى الاتحاد السوفيتي فى آسيا الوسطى (تركستان الغربية) .

ويبلغ طول الأراضى السوفيتية بين بحر البلطيق والمحيط الهادى حوالى ١٠آلاف كيلو متر ، وعرضها يتراوح بين (٣٠٠٠) كيلو متر ، (٤٥٠٠) كيلو متر ، وأصبح الاتحاد السوفيتي مكوناً من ١٥ جمهورية منها ست جمهوريات يشكل المسلمون أغلب سكانها ، هذا بالإضافة إلى الأقاليم الملحقة بالخمس عشرة جمهورية ، ولقد استولى السوفييت على مساحة ٤,٥٣٨,٦٠٠ كم من البلاد الإسلامية ، والوحدات السياسية التى استولى عليها السوفييت من الأراضى الإسلامية فى قارة آسيا هى :

(أذربيجان ، أوزبكستان ، طاجيكستان ، تركمانستان ، قازاكستان ، قرغيزيا ، جورجيا ، أرمينيا ، والست الأولى ذات أغلبية مسلمة ، والأخيرتان كانتا تابعتين لحكم إسلامى خلال فترات مختلفة .

(١) محمد الغزالى : الإسلام فى وجه الزحف الأحمر .

جمهوريـــة أذربيجـــان

وفى قارة أوروبا : داغستان ، شاشان ، كبارديا ، بلكاريا ، القرم ، مارى وأدمورت ، تشوفاشيا ، تتاريا بشكريا ، أدنبرج ، أستينا الشمالية [٢] .

هذا بالإضافة إلى منطقة سيبيريا التى تعتبر أكبر أقاليم العالم مساحة .. وهى تتبع جمهورية روسيا الاتحادية كما سيأتى :

وتضم الجمهوريات الإسلامية معظم المواد الخام بالاتحاد السوفيتي حيث الغنى فى المواد الطبيعية لدرجة السيطرة على معظم الخامات ، فينتج من البلدان الإسلامية بوسط آسيا والقوقاز أكثر من ٥٠٪ من (نفط) الاتحاد السوفيتي ، ٩٥٪ من (اليورانيوم) ، ٧٦٪ من (النحاس) ، ١٠٠٪ من (الزئبق) ، ٨٦٪ من (الرصاص والقصدير) ، ٩٠٪ من (معدن الكروم) ، ٧٨٪ من (الصوف) ، ٩٦٪ من (الحرير) المنتج من الاتحاد السوفيتي ، وأكثر من ٣٧٪ من خام (الحديد) ، ٢٧٪ من (فحم السوفييت) [٣] .

* سياسة الاستيلاء على الأراضى الإسلامية :

(١) فى عهد القياصرة :

بدأت محاولات روسيا فى عهد بطرس الأول لضم الأراضى الإسلامية ، بدأت كمرحلة أولى منذ سنة ١١٨٨ هـ ـ ١٧٤١ م حتى سنة ١٣٦٩ هـ ـ ١٨٥٢ م .

ثم حركة الضم الثانية ، وكانت ضد الخانات وانتهت امبراطورية بوغر فى سنة ١٢٨٥ هـ ـ ١٨٦٥م ، ثم الاستيلاء على البامير فى سنة ١٣١٥ هـ ـ ١٨٩٧ م .

وفى أثناء هذه المراحل استولى الروس على القرم سنة ١١٩٨ هـ ـ ١٧٨٣ م واستولوا على قرغيزيا فى أواخر القرن الثامن الميلادى ، وعلى جبال القفقاس فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، وتم الاستيلاء على منطقة التركستان فى أواخر سنة ١٣٩٩ هـ ـ ١٨٨١ م [٤] .

ولقد أمضى الروس (١٨٢) سنة فى إخضاع منطقة التركستان الإسلامية .

واستولت روسيا القيصرية على منطقة قفقاسيا سنة ١٢٨٠ هـ ـ ١٨٦٣ م .

(٢) فى عهد الشيوعيين :

أخذ السوفييت فى أحتلال البلدان الإسلامية الواحدة بعد الأخرى .. ففى سنة ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠ م امتد نفوذهم إلى (أذربيجان) التى أصبحت جمهورية اتحادية سنة ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م .

كما تحولت (أوزبكستان) إلى جمهورية اتحادية سنة ١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٤ م .

واستولوا على (طاجيكستان) فى سنة ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٤ م ، وأصبحت جمهورية اتحادية سنة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٢٩ م .

واتحدت تركمانستان سنة ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٤ م . وامتد نفوذهم إلى قازاكستان سنة ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠ م . واتحدت فى سنة ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م .

---

(٢) منتصر الكتانى ـ المسلمون فى المعسكر الشيوعى ص ٦٨ ، البلدان الإسلامية ص ٧٥١ .

(٣) البلدان الإسلامية ص ٣١٢ ، ٧٣٢ ، الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ص ١٠٩ ، الأقليات المسلمة : سيد بكر ٢٦٨/٢٦٩ .

(٤) الكتانى / المسلمون فى المعسكر الشيوعى ص ٥٧ .

وضمت جمهورية قرغيزيا للاتحاد فى سنة ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م .

وهكذا شهدت الفترة المحصورة بين سنة ١٣٣٩ هـ ـ ١٣٥٥ هـ ضم هذه البلاد الإسلامية .

وفى سنة ١٣٣٨ هـ ـ ١٩١٩ م استولى السوفييت على (باشكيريا) و(تتاريا) .

وفى سنة ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠ م ألغوا (جمهورية القرم) بعد الحرب العالمية الثانية ، ونقلوا معظم سكانها إلى سيبيريا .

وضموا (داغستان) سنة ١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢١ م .

وهكذا احتل الشيوعيون السوفييت البلدان الإسلامية ، وتم ذلك فى فترة تقدر بحوالى ست عشرة سنة ، بينما استغرق القياصرة (١٨٣) سنة لبسط نفوذهم على المناطق الإسلامية بوسط آسيا [٥] ، والسياسة الروسية فى هذا الميدان جزء من المخطط العالمى الصليبى للإتيان على الإسلام كله ودك قواعده .

وقد تكفل الاستعمار الغربى بمحاربة الإسلام فى أفريقيا كلها وجنوب آسيا، ومن حسن حظ المسلمين فى هذه البلاد أن كتاباً كثيراً فضحوا هذه الغارة ونبهوا إلى أخطارها .

أما مسلمو أواسط آسيا وشمالها ، فقد نشب القتال بينهم وبين الروس خلال قرنين مشئومين كَالِحَيْن ، داخ فيها المسلمون وذلوا واُستهلكوا ، وذلك كله وراء حجب من الصمت ، تشقها بين الحين والحين صيحات الفارين من الاضطهاد أو المنسحبين من أرض المعركة بعدما طال بلاؤهم وسقط لواؤهم .

كان المسلمون ضحية تعصب القياصرة قبل الثورة التى أطاحت بهم ، ثم كانوا بعد انتصار الشيوعية فى روسيا ضحية الإلحاد الذى يكره الدين كله ولا سيما (الإسلام) .

ومضى الروس فى طريقهم يسابقون إخوانهم من غرب أوروبا فى الانقضاض على هذه البلاد الإسلامية وتقطيع أوصالها . [٦]

... وها نحن ـ بتوفيق من الله وعون منه ـ نبسط الحديث عن أحوال المسلمين فى هذه الجمهوريات ليتعرف عليهم أبناء العالم الإسلامى وليمدوا إليهم يد العون والمساعدة وليوثقوا الصلة بهم حتى لا يخطئوا مرتين ؛ مرة حين تركوهم يسقطون فى ظل الشيوعية ، وأخرى حين يصمتون حاليا على ما يحاك لهم ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

(١) جمهـورية أذربيجان :

هى إحدى الجمهوريات الإسلامية وقد تأسست فى عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) ثم اتحدت مع جمهورية روسيا خلال الفترة من عام ١٣٤١ هـ إلى عام ١٣٥٥ هـ (١٩٢٢ ـ ١٩٣٦ م) ، إلى أن أصبحت جمهورية اتحادية فى نطاق الاتحاد السوفيتى فى عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) .

*** موقعها :**

تقع أذربيجان فى الجنوب الشرقى من قفقاسيا وهى تشرف على جزء كبير من الساحل الغربى لبحر (قزوين) وتمتد أراضيها داخله فيما يعرف بشبه جزيرة : (بشيرون) .

*** مساحتها :**

ومساحة أذربيجان ٨٦,٦٣٠ كم ، وضمن هذه المساحة الأراضى التابعة لها فى حكم ذاتى مثل جمهورية (ناختشفان) وإقليم قرة باخ .

---

(٥) الأقليات المسلمة فى آسيا واستراليا . سيد بكر .

(٦) الشيخ محمد الغزالى : الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ١١٠ / ١١١ .

جمهوريـة أذربيجـان

وعاصمة أذربيجان هى « باكو » على بحر قزوين وعدد سكانها ١,٠٤٦,٠٠٠ تقريبا .

وجمهورية أذربيجان تحيط بها من الغرب جمهورية أرمنية ، ومن الشمال الغربى جمهورية جورجيا ، ومن الشمال جمهورية داغستان وكل هذه من جمهوريات الاتحاد السوفيتى ، ولأذربيجان حدود مشتركة مع إيران .

*** سكانها :**

يبلغ عدد السكان ثمانية ملايين تقريبا فى أول سنة ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م ، ويتكون السكان من الأذربيجان ونسبتهم ٧٤٪ كما يوجد (الأكراد) فى سفوح جبال أذربيجان ، ثم التتار الذين يسكنون عند مصب نهركورا ، وفى مدينة باكو ، وهناك مستعمرون روس أيضا ، وتسود اللغة الأذربيجانية بين السكان وهى لغة تركية ، أما اللغة الروسية فلها المرتبة الثانية فى البلاد بعد الأذربيجانية ، وإلى جانب ذلك تتكلم بعض الأقليات لغاتها كالأرمنية والجورجية .

*** نسبة المسلمين :**

ويدين بالإسلام نحو ٧٨٪ من مجموع السكان فى أذربيجان ، وعنصر الأذربيجانيين جميع أفراده مسلمون ، بينهم من الشيعة نسبة لها اعتبارها ، أما ديانات الأقليات فتأتى فى مقدمتها النصرانية ، التى يعتنقها الأرمن وجورجيون ثم تأتى أخيرا اليهودية ، ومعتنقوها فئة قليلة .

ويتولى الإشراف على أمور المسلمين الدينية فى مناطق القفقاس مجلس منهم مقره مدينة باكو ، وتقوم مجالس متشابهة فى مناطق تجمع المسلمين الأخرى مثل طشقند « أوزبكستان » « وأوفا » « باشكيريا » « ويونياكسك» « دغستان » ويرأس كل من هذه المجالس المفتى العام للمسلمين فى المنطقة .

*** الاقتصاد :**

الزراعة هى دعامة اقتصاد أذربيجان وتتمثل فى (الحبوب) و (القطن) ، و (الشاى) الذى يزرع فى السهول المطلة على بحر قزوين ، كما يزرع (العنب) ، والعديد من أصناف الفاكهة والحمضيات والخضر ويشتغل بعض السكان بالرعى ، ولذلك قامت صناعة الصوف ، واللحوم .

وهى غنية بالبترول والغاز الطبيعى والرواسب المعدنية ، المشتملة على خامات الحديد ، والبوكسايت وغيرها ، ولهذا توجد صناعات عديدة للحديد والصلب والآلات الثقيلة ، ومشتقات البترول[٧] .

.. كيف ومتى وصل الإسلام إلى أذربيجان :

بعد معركة نهاوند وهزيمة الفرس انساح المسلمون يفتحون باسم الله حتى بلغوا بلاد القفقاس سنة ٢٢ هـ / ٦٤٤ م وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

يقول البلاذرى نقلا عن المدائنى رواية الزهرى « لما هزم الله المشركين بـ (نهاوند) ، رجع الناس إلى أمصارهم وبقى أهل الكوفة مع (حذيفة بن اليمان) رضى الله عنه فغزا أذربيجان فصالحوه على مائة ألف كما روى الواقدى : أن المغيرة بن شعبة غزا أذربيجان من الكوفة عام ٢٢ هـ « ففتحها عنوة ووضع عليها الخراج » .

وروى (ابن الكلبى) عن (أبى مخنف) :

(٧) انظر البلدان الإسلامية ص ٣٢٠ ومابعدها ، والمسلمون فى الاتحاد السوفيتي د . محمد على الباز .

أن (المغيرة) - رضى الله عنه - غزا أذربيجان سنة عشرين ففتحها ، ثم أنهم كفروا فغزاها (الأشعث بن قيس الكندى) - رضى الله عنه - وصالحهم على صلح المغيرة ، ومضى صلح الأشعث إلى اليوم .

وروى المدائنى أن الخليفة عمر بن الخطاب قد استعمل (عتبة بن فرقد السلمى) - رضى الله عنه - على أذربيجان بعد حذيفة ، فلما استخلف (عثمان) رضى الله عنه استعمل (الوليد بن عقبة بن أبى معيط) - رضى الله عنه - الذى غزا أذربيجان حين نقض أهلها عام ٢٥ هـ ، وطلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة ، وذكر أن الوليد بن عقبة ولى (الأشعث بن قيس) أذربيجان وأمده بجيش عظيم من أهل الكوفة لتأمين فتح أذربيجان ، ففتحها على مثل صلح حذيفة وعتبة ابن فرقد وأسكنها ناسا من العرب من أهل العطاء والديوان - وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام .

ثم تولى (سعيد بن العاص) فغزا أهل أذربيجان .

ثم ولى (على بن أبى طالب) الأشعث أذربيجان ، فلما قدمها وجد أكثرها قد أسلموا وقرأوا القرآن ، فأنزل أردبيل من أهل العطاء والديوان من العرب ومصرها وبنى مسجدها إلا أنه وسع بعد ذلك .

ولما نزلت العرب أذربيجان نزعت إليها عشائرها من المصريين والشام وغلب كل قوم على ما أمكنهم ، وقد وصلت فتوح المسلمين إلى مدينة (باب الأبواب) (دربنت) حاليا وهى ثغر على بحر الخزر « وشملت جميع بلاد شروان وجزءا من (الداغستان) ، كما شملت بلاد الأرمن والكرج وبلغ المسلمون بلنجر قاعدة الخزر ، واصبحت مدينة (تفليس) قاعدة الحكم الإسلامى فى المنطقة بعد أن أمن فتحها (حبيب ابن مسيلمة) إذ وجهه لذلك (معاوية بن أبى سفيان) - رضى الله عنه - والى الشام والجزيرة فى خلافة عثمان .

واضطلع الولاة بدعوة الناس إلى الإسلام ، واستمر انتشار الإسلام حتى بلغ (قبرطاى) ثم (كوبا) ، وقد كانت المنازعات الداخلية التى تعرض لحكام المسلمين تؤثر على سير الفتوح بطبيعة الحال .

وفى خلافة (هشام بن عبد الملك) اضطلع (مسلمة) أخو الخليفة بتوطيد الحكم الإسلامى فى تلك الديار التى كانت تدعى وقتذاك بالدربند ، ووصلت فتوح المسلمين إلى بلاد الداغستان فى عام ١٠٥ هـ/- ٧٢٣ م « وصالح مسلمة أهل خيزان وأمر بحصنها فهدم ، واتخذه لنفسه ضياعا وهى اليوم تعرف بخور خيزان ، وسالمه ملوك الجبال ، وصمد لمدينة الباب ففتحها وكان فى ألف أهل بيت من الخزر فحاصرهم وأسكن مسلمة مدينة الباب والأبواب أربعة وعشرين ألفا من أهل الشام على العطاء .. وقد ولى الثغر بعد ذلك (مروان بن محمد) فواصل الجهاد فى بلاد الخزر « فأظهر عظيم الخزر الإسلام ووادع مروان على أن أقره فى مملكته ، وتابع مروان غزواته ، وأقيمت الثغور على بحر الخزر « قزوين » لتكون قواعد لحماية ديار الإسلام من جهة ، ومنطلقا لنشر دعوته فى تلك الأرجاء من جهة أخرى[٨]

وهكذا أصبح الحكم الإسلامى مستقرا بقفقاسيا فى أواخر عهد الدولة الأموية ، وانتشرت اللغة العربية خلف الإسلام ، حيث أخذت العناصر العربية المهاجرة فى دعمها ، وهكذا كان انتشار الإسلام

(٨) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٠٩ - ٢١٣ ، ٢١٧ - ٣٢٥ .

جمهوريـــة أذربيجــــان

فى منطقة أذربيجان أسرع من انتشاره فى غيرها .

وفى عهد العباسيين استمر ازدهار الدعوة الإسلامية ، وسار العباسيون على نهج الأمويين ، وقد تولى منطقة الحدود الشمالية (يزيد بن أسيد) السلمى ، وذلك فى خلافة (أبى جعفر المنصور) ، واتخذ من أذربيجان قاعدة لمد الإسلام إلى الشمال [٩] ، واستمر نشاط أذربيجان كقاعدة لبث الإسلام فى المنطقة ، وتولى أمر المنطقة القائد العباسى (بغا الكبير) ، ونهج الأسلوب السابق فى نشر الدعوة الإسلامية ، وظهرت أسر وطنية برزت فى حكم أذربيجان فى مستهل القرن الخامس الهجرى [١٠] وزادت هجراتهم إليها وفى سنة ٥٣١ هـ - ١١٣٦ م كانت أذربيجان من نصيب الأتابك ايلدكوز ، ثم غزاها جلال الدين خوارزم شاه فى سنة ٦٣٢ هـ - ١٢٢٥ م ، ثم حكمها المغول فى سنة ٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م اصبحت جزءا من امبراطوريتهم ثم أصبحت من أهم معاقل الصوفيين فى سنة ٩١٧ هـ / ١٥٠٢م ، وبعدهم حكمها العثمانيون حكماً اسمياً [١١] .

أذربيجان والاحتلال الروسى :

وظلت أذربيجان تحت الحكم الإسلامى منذ ذلك العهد إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادى عندما بدأت روسيا تحتل أجزاء من القوقاس ومن أذربيجان ، وقد خضعت أذربيجان لحكم روسيا القيصرية منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادى ، عندما تحولت أذربيجان إلى مجموعة من الخانيات الصغيرة المتنافسة ، فسهل عندئذ ابتلاعها رغم مقاومة الأهالى بل وحكامها المحليين مقاومة باسلة ، ففى عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١م) فرضت روسيا القيصرية حمايتها على القوقاز الجنوبية ، وجورجيا (بلاد كرج أو الشراكسة) وهاجموا خانية كنجة فى أذربيجان ورغم دفاع ملكها (جواد خان) دفاعاً بطولياً واستشهاده فى المعركة مع ألفين من جنوده البواسل ، إلا أن نتيجة المعركة كانت لصالح القوات الامبراطورية الروسية الضخمة . وقد غيروا اسم (كنجة) إلى (اليزاوتيل) على اسم زوجة القيصر الكسندر الأول .

وتوالى سقوط خانيات أذربيجان واحدة إثر الأخرى فسقطت :

خانتا باكو وكوبا سنة ١٢٢١ هـ - ١٨٠٦ م .

وخانية شكى سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٥ م .

وخانية شماص سنة ١٢٣٦ هـ - ١٨٢٠ م .

وخانية قارابغ سنة ١٣٢٨ هـ - ١٨٢٢ م .

وقام الأهالى بمقاومات عدة واغتالوا القائد الروسى الجنرال سيسانوف ، ولكن ذلك أدى إلى مزيد من البطش بهم ، ومصادرة أملاكهم وأراضيهم حتى أن المؤرخ الروسى فادايف الأستاذ بمعهد التاريخ والفلسفة فى أكاديمية العلوم السوفيتية اعترف بما فعله أجداده من جرائم فقال :

« من الجلى أن الذين حلوا فى الحكم محل

---

(٩) انتشار الإسلام حول بحر قزوين ص ٢٤٤ . حامد غنيم ابو سعيد .

(١٠) الأقليات المسلمة فى آسيا واستراليا لسيد بكر ٣٣٤ / ٣٣٥ .

(١١) دائرة المعارف الإسلامية (كتاب الشعب) جـ ١ ص ٣٠ .

الخانات من قوادنا المركزيين المختارين من بين الضباط الروس والذين أخذوا يطبقون فى أذربيجان ، وغيرها من المناطق الإسلامية التى احتلوها فى تلك الفترة مطبقين نواة السياسة القيصرية الرجعية الجائرة .. كانوا يعاملون الأهالى أسوأ معاملة ، فكان الموظفون من رجال حكومة القيصر يرسون فى القوقاز الجنوبية قواعد نظم الاستعمار بتنفيذهم أساليب عسكرية إقطاعية ، وأما الادعاء القائل بأن الثقافة الروسية قد أثرت على تطور الثقافة الأذَرِيَّة منذ انضمام (احتلال) أذربيجان إلى روسيا فهراء لا يمثل الحقيقة » .

(الثـــورات)

قامت ثورات متعددة ضد الحكم القيصرى الاستبدادى فى جميع المناطق الإسلامية ومنها أذربيجان وعمت الثورة روسيا والمناطق المحتلة عام ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م .

وفى تلك الفترة تكونت عدة تنظيمات إسلامية اهمها (جماعة المسلمين لعموم روسيا) التى ترأسها السياسى الأذرى (على مروان طوبجى باشا) ، وكان هدف هذه الجماعة ضمان الحقوق السياسية والوطنية والدينية لمسلمى روسيا .

وفى ٣ يونية ١٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٧ م أصدر القيصر نيقولا الثانى قراراً بحل البرلمان الروسي وتعديل قوانين الانتخابات ، وكان نتيجة ذلك أن نقص عدد ممثلى المسلمين فى روسيا (وهم خمس السكان تقريباً) من عشرة أشخاص إلى ستة أشخاص فقط .

وقد جاء منشور رئيس الوزراء الروسى آنذاك سوليبين ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م توضيحاً لسياسة روسيا القيصرية ، ومن بعدها البلشفية بل وجميع الدول النصرانية إزاء الإسلام والمسلمين وجاء فى هذا المنشور مايلى :

ـ « أن الصراع القائم بين العالمين المسيحى والإسلامى لم ينشأ لسبب دينى فقط ، بل علينا أن ندرك أنه صراع له طبيعة سياسية وثقافية دولية ، وهنا يكمن بالتأكيد السر فى النجاح الذى أحرزته الدعوة الإسلامية فى الآونة الأخيرة ، وأن لنجاح هذه الدعوة فى وطننا روسيا لخطورة كبرى .. إذ أن مسلمى روسيا ، وإن كانوا ينقسمون فيما بينهم إلى شعوب وقبائل مختلفة تتحدث بلهجات تختلف عن بعضها بعض الاختلاف إلا أننا يجب الا ننسى إطلاقاً أنهم جميعاً من أصل تركى واحد يتحدث الجميع نفس لغته » .

وفى عام ١٣٢٤ هـ ـ ١٩٠٦ م بعد ثورة عام ١٣٢٣ هـ ـ ١٩٠٥ م الإصلاحية التى منحت المناطق المحتلة فى روسيا حق تأليف الجمعيات السياسية أرسل وزير الداخلية آنذاك يحذر من إعطاء هذه التراخيص للمناطق الإسلامية ، ويأمر بإلقاء القبض على (دعاة هذه الحركات الإسلامية الخارجة على القانون) ، واعتبرهم جواسيس وعملاء لدولة أجنبية هى دولة الخلافة العثمانية . وهى نفس النغمة التى تتكرر اليوم (١٢) .

وانفجرت الثورة فى روسيا فى فبراير سنة ٣٣٦ هـ ـ ١٩١٧ م ، وذلك قبل استيلاء البلاشفة عليها ، وتحويلها لصالحهم فى أكتوبر

---

(١٢) نبه رئيس التحرير فى افتتاحية عدد ربيع الآخر إلى ماقرره مساعد يلتسين أوجينى ابرازموق الذى أعلن ـ بصدد الجمهوريات الإسلامية ، أنه « لا يجب السماح لتلك الجمهوريات بالحصول على حريتها » .. نفس السياسة ، وسوف نراها أيضاً قائمة بالنسبة للجمهوريات الإسلامية فى أوروبا تحت أى مسمى .

وهكذا يعيد التاريخ نفسه .. ولا عذر لأحد ...

جمهورية أذربيجان

من نفس العام ، وانعقد مؤتمر مسلمى روسيا من واحد إلى أحد عشر مايو وقدموا مشروع الاستقلال الداخلى لمسلمى روسيا ضمن كيان روسيا الفيدرالية . وقد قدم المشروع (محمد رسول زادة) ، ووافق عليه المؤتمرون بأغلبية ساحقة .

وسقطت ثورة فبراير ١٣٣٦ هـ - ١٩١٧ م ، واستولت عليها قوات لينين وتحولت الثورة الديمقراطية إلى ثورة حمراء ..... ووعد لينين المسلمين بحكومات مستقلة ، وبالحرية الدينية التامة إن هم ساعدوا ثورته وقاوموا قوات الأمير دينكين .

ولم يكد يمضى شهر واحد على استيلائهم على مقاليد الأمور فى روسيا ، وعلى وجه التحديد فى ٧ ديسمبر سنة ١٩١٧ ، حتى أصدر مجلس قوميسيرى الشعب البلشفى نداء له مغزاه موجهاً إلى الشعوب فى روسيا من المسلمين ، وكان من بين من وقعوه لينين وستالين ، وقد جاء فيه :

« إن امبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشك أن تنهار والأرض التى تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشتعل ناراً ، وفى وجه هذه الأحداث الجسام نتجه بأنظارنا إليكم أنتم يامسلمى روسيا والشرق أنتم يا من تشقون الأرض وتكدحون ، وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق أنتم له أهل » .

« أيها المسلمون فى روسيا » .

« أنتم يا من انتهكت حرمات مساجدكم وقبوركم واعتدى على عقائدكم وعاداتكم وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم » .

« ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم وحرية نظمكم القومية ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم لا يطغى عليها طاغ ولا يعتدى عليها معتد » .

« هبوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم فأنتم أحرار لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل إن ذلك من حقكم إن كنتم فاعلين » .

« واعلموا أن حقوقكم شأنها شأن حقوق سائر أفراد الشعب الروسى تحميها الثورة بكل ما أوتيت من عزم وقوة ، وبكل ما يتوافر لها من وسائل ، جند أشداء ، ومجالس للعمال ، ومندوبين عن الفلاحين ، وإذن فشدوا بأزر هذه الثورة ، وخذوا بساعد حكومتها الشرعية » .

ايها المسلمون فى الشرق ..

« أيها الفرس والأتراك والعرب والهندوس / انتم جميعاً يا من وطىء الأوروبيون القراصنة ارضكم ، وتاجروا بأرواحهم وأملاككم وحرياتكم قرناً بعد قرن » ..

« حذار أن تضيعوا وقتكم دون أن تلقوا عن كاهلكم نِيرَ المستبدين والظالمين الذين استبدوا بكم وبأوطانكم .. » .

« إياكم أن تدعوهم يسلبونكم ماأوتيتم من خير بعد اليوم » ..

« وعليكم من اليوم أن تشيدوا صرح كيانكم بأنفسكم وبطريقتكم الخاصة وفق ما تحبون وتختارون » .

« فإن من حقكم أن تفعلوا وإنكم لفاعلون وها هو مستقبلكم فى أيديكم » .

« أيها الرفاق ..... أيها الإخوة ...... » .

« لنتقدم سوياً فى عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطي » .

« إن رايتنا تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة فى أرجاء العالم ..... » .

« أيها المسلمون فى روسيا ..... » .

« أيها المسلمون فى الشرق ...... » .

« إننا ونحن نسير فى الطريق الذى يؤدى بالعالم إلى بعث جديد نتطلع إليكم لنلتمس عندكم العطف والعون » .

ولا يجوز أن يمر هذا النداء دون تدبر وتدارس .

فإن حكام روسيا الجدد اعترفوا بما اقترفه الحكم الدينى السابق من دنايا وآثام فى جنب المسلمين ، وبشروا بانتهاء عهد الآلام والمصائب (١٣) .

وفعلاً قام المسلمون بمحاربة قوات الحلفاء وقوات روسيا البيضاء ، وأعلنوا استقلال بلادهم فى (القوقاز) ، وفى (بخارى) ، وفى (جورجيا) ، (بلاد الكرج) ، وفى (أذربيجان) .

وأعلنت القوقاز استقلالها فى مايو ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م وتبعتها (جورجيا) فى ٢٦ مايو ١٣٣٧ / ١٩١٨ ، وحاول لينين إثارة الفتنة بالإيعاز إلى العناصر المتعاونة معه ، وتدبير القوميسير الشيوعى ستيبان شادميان بمهمة عرقلة حركة الاستقلال ، وإثارة الفتنة فى (باكو) ، وما حولها ، حتى يتمكن لينين من إخضاع قوات روسيا البيضاء فى أماكن أخرى ، وكانت مذبحة مارس ١٩١٨م التى استشهد فيها ١٨,٠٠٠ مسلم فى (باكو) فقط تم بعدها السيطرة على هذه الفتنة الشيوعية فى ١٥ سبتمبر سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٨ م بفضل معاونة القوات التركية « بقيادة نورى باشا » رغم أن تركيا كانت قد خسرت الحرب تقريباً وتوجهت القوات البريطانية من إيران لمحاربة الأتراك ، وتم انسحاب القوات التركية فى نوفمبر سنة ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨م . ثم انسحب البريطانيون فى أغسطس ١٣٣٨هـ ـ ١٩١٩م ، نتيجة المقاومة المستمرة وبقيت هذه الجمهورية مستقلة لمدة عامين ، عندما اجتاحتها قوات لينين فى ٢٧ أبريل سنة ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠م ، واعترف الحلفاء ومؤتمر فرساى اعترافاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض باستقلال أذربيجان واعترف بها لينين كذلك بل وطلب منها مساعدته فى القضاء على قوات روسيا البيضاء .... فلما تم له التخلص من أعدائه قام بالهجوم عليها بجحافل قواته الحمراء ، واحتلها فى أبريل سنة ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠ م ، تماماً كما فعلت روسيا اليوم عندما دخلت أفغانستان بأكثر من عميل لها مدعية أنه طلب معونتها ، وهكذا تشكلت جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية فى ٢٨ أبريل ١٣٣٨ هـ ـ ١٩٢٠ م ، ثم ضمت مع (جورجيا) و(أرمنيا) فى مارس ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٢ م ـ لتؤلف جمهورية القفقاس التى ألغيت بعد ذلك ، وضمت مباشرة إلى الاتحاد السوفيتي ، وكذلك فعل لينين منذ ستين عاماً . ودخل أذربيجان بجحافله ، واحتل القوقاز وقال : إن لجنة الثورة التى طلبت معونته .

وازدادت حدة المقاومة الشعبية الإسلامية ضد هذا الغزو الروسى تماماً كما يفعل المجاهدون الأفغان اليوم . ولكن القوات الروسية ذات الأسلحة الفتاكة استطاعت أن تقضى على هذه المقاومة رغم قيام أكثر من ٥٢ ثورة للشعب الأذربيجانى المسلم ، تحت سمع وبصر الدول العربية والغربية دون أن تحرك ساكناً ، وهى ترى الدب الروسى يبتلع الأراضى الإسلامية ويحتل عسكرياً دولاً مستقلة معترفاً بها من الدول الغربية ذاتها بل ومن حكومة لينين نفسه .

ولا يزال التعاون وثيقاً بين روسيا والدول

---

(١٣) الشيخ محمد الغزالى : الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ١٢٤ ـ ١٢٥ .

◆ جمهـوريــة أذربيجــــان

الغربية فى هذا الميدان ، لإضعاف بلاد المسلمين واقتسام ثرواتها ، ونحن للأسف لا نقـرأ التاريخ ، وإذا قرأناه لم نفقهه ، وإذا فقهناه لم نتعظ .

فكما هوت عروش الكافرين والظالمين هوت الشيوعية الملحدة وظهر زيفها وخداعها ، وزلزل الله الأرض من تحت أقدام أصحابها ، ومن تعلق بأذيالهم وصبت عليهم اللعنات ، وديست أصنام مؤسسيها بالنعال ونفضت شعوب الاتحاد السوفيتي غبار الذل والاستعباد عن كاهلها .. إثر الانقلاب الفاشل الذى قاده نفر من أذناب الشيوعية على زعيمهم جورباتشوف أواخر الشهر الماضى ـ أغسطس ١٩٩١ .

وقـامت جمهـوريـات البلطيق الثـلاث ـ (ليتوانيا) ، (استونيا) ، و(لاتيفيـا) ، بإعلان استقلالها واعترفت قيادة الاتحاد السوفيتي بهذا الاستقلال وسارعت دول العالم تقودها أمريكا ودول المجمـوعة الأوروبيـة بالاعتراف وبـاركته الأمم المتحـدة وحذت الجمهـوريـات الإسـلاميـة (أذربيجـان ، أوزبكستان ، قرغيزيا) ، حـذوها فـأعلنت استقلالها وارتفع صوت الحق والإسلام بها .. ولكن ياللعجب ، لِمَ لم تسارع دول العالم ومن بينها الدول الإسلامية إلى الاعتراف باستقلال الجمهوريات الإسلامية أسوة بغيرها ؟..

ولم يعترف قادة الاتحاد السوفيتي كذلك ، ترى (لماذا ؟)

لعل الأيام القادمة تكشف عن هذا السر المخبوء ..

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ ، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

« صدق الله العظيم »

ناصح أمين

دروس للدعاة إلى الله

٢

للشيخ
أحمد بن محمد طاحون

إن دين الله رحمة ، وفى بيان حقيقة الإسلام ، قال الله عز وجل لنبيه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(١) وقال النبى - صلى الله عليه وسلم - فى وصف بعثته إلى الناس : « إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا » (٢).

إن إنقاذ الناس من الكفر رحمة ، وإن إرشاد الضال رحمة ، وإن التثبيت على الصراط المستقيم بعد حيرة الشك رحمة ، وإن إخراج الإنسان من فتنة الشهوات وحيرة الشبهات رحمة ، وإن توبة العاصى رحمة ، وإن الهداية بعد العمى والضلال رحمة ، وإن العلم النافع بعد الجهل رحمة ، وإن من الرحمة الإخلاص والتآخى والتراحم والتكافل والتعاطف والعدالة والتعاون على جلب الخير ودفع الضر ، ومن الرحمة أن يعيش المرء مع قوم من أخص صفاتهم الصدق والأمانة ، والوفاء بالعهد ، والرفق بالضعيف ، ورعاية الحقوق ، وإعانة المحتاج ، ومن خصالهم : النجدة والشرف وكف الجوارح عن الأذى والشر ، والسعى فى مصالح الناس ، والحفاظ على كرامات الناس ، وتوقير الكبير ، والحنو على الصغير ، وإعطاء كل ذى حق حقه .

ومن الرحمة أن تقدم النصيحة للمخطىء ، وأن يوعظ الغافل ، وأن ينبه الشارد ، وأن يُدَلَّ الناس دوماً على الخير ، وأن يؤمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر .

وإن الداعى إلى دين الله عز وجل يكون رحيماً بالعباد ، حكيماً ، واسع الصدر ، صدوقاً ، مخلصاً ، يبدأ بنفسه ، ويتمنى الخير للعدو والصديق لأن الداعى يسعى لخير الناس ◄

(١) الأنبياء : ١٠٧

(٢) أبو يعلى والبيهقى

﴿ دروس للدعاة إلى الله

جميعاً ، ويدعوهم إلى ما أحبه لنفسه ورضيه لروحه مما فيه صلاح الدنيا ، وسعادة الآخرة ، فهو يعيش لدعوته يرجو رحمة الله وفضله .. إنه

طريق النور ، طريق الأنبياء والمرسلين ، ومن معالمه الاساسية : ﴿ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ . وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ . إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ .

فقد أسمع هذا الداعى الأمين الصالح الناس معتقده الصحيح المؤسس على الدليل والبرهان قبل أن يفارق الدنيا ، وكأنه يريد أن يقول : الاهل بلغت ، اللهم فاشهد .

لقد شافه هذه الداعى الأمين قومه بذلك ، وصدع بالحق إظهاراً للثبات على الدين وعدم المبالاة بما يصدر عن المتعنتين ، وإن إضافة الرب إلى ضمير المخاطبين فى : ﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الأصنام أرباباً ، أى : إنى آمنت بربكم الذى خلقكم ﴿ فَاسْمَعُونِ ﴾ أى : فاسمعوا قولى ، فإنى لا أبالى بما يكون منكم بعد ذلك ، وقيل : مراده دعوتهم إلى الخير الذى اختاره لنفسه ، وقيل المراد : واسمعوا جميع ما قلته واقبلوه .

ويحتمل أن يكون الخطاب للرسل بقوله : ﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ أي : الذي أرسلكم ﴿ فَاسْمَعُونِ ﴾ أى : فاشهدوا لى بذلك عنده ، قال بعضهم : بل خاطب بذلك الرسل ، وقال لهم : اسمعوا قولى ، لتشهدوا لى بما أقول لكم عند ربى ، إنى آمنت بربكم واتبعتكم .

لقد كان هذا الداعى الأمين قوى الحجة ، ساطع البرهان ، صادق اللهجة ، ثابت الجنان ، عظيم الرغبة فى الخير لنفسه وللناس ، اعتصم بحبل الله ، وأخلص العمل لله ، وثابر فى الدعاء إلى الله حتى حظى بالشهادة ، ونال الكرامة ، وفاز بالرضوان ، وفرح بلقاء ربه ، فقد ضاقت صدور الملحدين ، وتحير أمام الحجة البالغة الحاقدون المناوئون فوثبوا على الرجل الصالح وثبة رجل واحد فقتلوه ، ولم يكن له أحد من القوم يمنع عنه ، ويرد هجمتهم الشرسة .

ونقل عن قتادة أن قتله كان رجما بالحجارة ، وظل القلب الطاهر يهتف (**اللهم اهد قومى فإنهم لايعلمون**) فلم يزالوا به حتى فاضت روحه إلى بارئها ، وهو يقول ذلك .

وقيل : حرقوه حرقاً ، وقال الكلبى : حفروا حفرة ، وجعلوه فيها . وردموا فوقه التراب فمات ردما ، وقيل : نشروه بالمنشار وقيل : قتلوه بوطء الأرجل .

وجاءته البشرى ، واستقبلته ملائكة الرحمة ، ووجد داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، لقد كان رحيماً بالناس فرحمه رب الناس : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾ فلما شاهدها ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ أى بغفران ربى لى ، فما مع الفعل بمنزلة المصدر ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي ﴾ وقيل : ما : اسم موصول بمعنى الذى والعائد من الصلة محذوف أى : ياليت قومى يعلمون بالذى غفر لى به ـ أى بسببه ـ ربى ، أو بالذى غفره ، أى : بالغفران الذى غفره لى ربى ، والمراد تعظيم مغفرته تعالى له فتؤول إلى المصدرية .

لقد أذهب الله عن حبيب حزن الدنيا وسقمها

ونصبها ، وهو المؤمن الناصح ، فلما عاين من كرامة الله تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من الكرامة والرحمة والرضوان : ﴿ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ وفى معنى تمنيه قولان : أحدهما أنه تمنى أن يعلموا بحاله ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته ، الثانى : تمنى ذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله . قال ابن عباس : نصح قومه فى حياته بقوله : ﴿ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ وبعد مماته فى قوله : ﴿ يَالَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ رواه ابن أبى حاتم « ابن كثير » . ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل ـ عليه ـ من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم ، لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل ، فرحمه الله ورضى عنه ، فلقد كان حريصا على هداية قومه .

إن حبيبا وأمثاله من الدعاة المخلصين لعقيدتهم هم أشبه بالمنارات على الطريق ، وفى سيرهم عبرة وعظة ، والواعظ الناجح هو الذى يقتبس ، وعلى طريق هذه النماذج العالية يجتهد فى السير ، ومن كتاب ربنا نتعلم ، ومن سنة نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ نتزود ، وإن هذه الآية الكريمة فيها تنبيه عظيم ، ودلالة على وجوب كظم الغيظ ، والحلم على أهل الجهل ، والترؤف على من أدخل نفسه فى غمار الأشرار وأهل البغى ، والتشمر فى تخليصه ، والتلطف فى افتدائه ، والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعاء عليه ، ألا نرى كيف نصح حبيب لقومه فى حياته وبعد موته ؟ ألا نرى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل والهلاك وهم كفرة عبدة أوثان ؟

ألا نذكر فى هذا المقام الحبيب المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد اشتد أذى قومه ، وهو الناصح الأمين الرحيم بهم فلم يدع عليهم فى أشد الأوقات حرجاً ، وكان يدعو لهم بالهداية « اللهم اهد قومى فإنهم لايعلمون ، لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله » وروى عنه عندما طلب منه بعض المسلمين الدعاء على الكفار فى غزوة أحد أنه قال : « إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا » .

إننا فى أشد الحاجة إلى هذه المناهج العالية ، وأن الدعاة إلى الله يجب عليهم أن يلزموا نفس الطريق طريق المرسلين والصديقين فى الرحمة بالناس ، والرفق بهم ، والتلطف فى إرشادهم ، وفى الوصول إلى القلوب والعقول بالقول الحسن ، والكلم الطيب ، والحكمة ، والدليل والبرهان ، ولين الجانب ، والإخلاص والصبر ، وتحمل الأذى والمشقة مع حسن التوكل على الله ، وتفويض الأمر إليه وحده ، وإن الله عز وجل ناصر أولياءه .

وقد أخبر الله عز وجل أنه تعالى انتقم من قوم حبيب بعد قتلهم إياه غضباً منه عليهم ، لأنهم كذبوا رسله ، وقتلوا وليه ، قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ أى : إنه سبحانه ما أنزل عليهم وما احتاج فى إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم ، بل الأمر كان أيسر من ذلك : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ أى : فأهلك الله أهل هذه القرية بصيحة الملك ، فبادوا عن وجه الأرض ، فلم يبق منهم باقية ، جزاء تعنتهم ، ومكابرتهم ، وقتلهم الناصح الأمين ﴿ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ معناه : وما كان يصح فى حكمتنا أن ننزل فى إهلاك قوم حبيب جنداً من السماء ، وذلك أن الله أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض ، وما ذلك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة ، وأوجبته المصلحة ، ألا ترى

البقية ص ٥٦٢

الجوع والمسلمون

داخل الوطن الشيوعي (*)

فرض الروس نكبة الجوع على مسلمى القَرْم Crimée فرضا ، وأحدثوا الجوع بينهم عمداً ، وهذه الكارثة ـ وإن كانت مماثلة لما حدث على ضفاف (نهر فولغا) وما يجاورها من بلاد ، ولكن الفارق عظيم فى المسببات ؛ فإن ما ظهر فى البلاد الأوكرانية فى حوض (فولغا) كان قحطا سببه غياب الأمطار ، أما بالنسبة لمسلمى القرم فكان سياسة مرسومة .. قال الكاتب .

ظهر القحط فى نفس السنة فى حوض فولغا ، وتكلمت عنه الجرائد العالمية بإسهاب ، ومات الألوف المؤلفة من سكانها لأن أراضيها الزراعية الواسعة الأطراف ، وإن هى زرعت لم تنزل عليها أمطار بقدر كاف فذبلت المزروعات واحترقت من شدة الحرارة ، ثم بسط الجوع سلطانه على السكان ، وهذا مضافاً إليه اضطراب الأمن وسيادة الخراب وهما الشيئان اللذان أصابا الإنسان والحيوان إصابة بالغة من جراء الحروب الدائمة والتطاحنات السياسية والأزمات المحلية فى روسيا .

ولكن الأراضى القرمية ، بصفتها شبه جزيرة فى وسط البحر ، ليست واسعة الأرجاء كالأراضى الأوكرانية فى الشرق والشمال وإنما هى بفضل أنهرها وبما حولها من البحرين الأسود وآزاق والبحيرات وبفضل ريها وطقس سهولها وتأثير جبالها وشواطئها حديقة ممتازة تحفظ فى العادة للأراضى رطوبتها ولو أن الأمطار نزلت قليلا مثل ما حدث فى تلك السنة .

فهذه العوامل المجتمعة كفلت للجزيرة فى تلك السنة بالذات ما يكفى لشعبها البائس من المؤن والذخائر التى نبتت فعلا فى حدائقها وسهولها وجبالها . غير أن الروسيين الذين فكروا فى جميع أنواع الأسلحة لاستعمالها فى تحطيم مقاومة الأمة لجأوا هذه المرة لحيلة تجويع أهل البلاد ، وهى من أشد أنواع الأسلحة الفتاكة التى فاقت فى قوتها قنبلة هيروشيما الذرية والتى امتازت بها الشيوعية طيلة ظلمها على الشعوب البائسة فى الاتحاد السوفييتى ، فنقلوا من القرم كفايتها من الأرزاق إلى روسيا بالقوة دون أن يتركوا لغالبية

(*) هذا الفصل عن كتاب « كارثة القرم الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى » للأستاذ يوسف ولى شاه اور الكيراى ـ مطبعة الصاوى بعابدين بالقاهرة أغسطس ١٩٥٠ نشر مكتبة الخانجى .

السكان ما يتعيشون به ، ولو كان فى استطاعتهم نقل أسماك البحر التى استعان بها القرميون كثيراً فى فترة الجوع لما ترددوا فى عمله لحظة إن سياسة التجويع فى الاتحاد السوفييتى ، كما ترونها فيما بعد ، نكبة يرتعش لسماعها الشعب ويفقد أمامها توازنه تماماً .

أيها القارىء الكريم ! انصب من روحك رقيبا يطالع من بُعد ، زوجك التى وصل بها اليأس إلى درجة أن يدها تمتد بالجناية على وليدها الذى يتضور ألماً من شدة الجوع ويتلوى أمامها فتقتله ، وبعد التهامها إياه ، تركن عظامه فى ركن لتبكيه وتدمع عيناها دماً لمصيرها المحتوم !؟

فماذا كنت تعمل أنت بالذات إن أحسست بما كانت تحسه هذه الأم المسكينة ، أو كنت فعلا من ضحايا الجوع ؟!

هل من أم تقتل طفلها لتتغذى على لحمه ؟!

نعم حدث كل ذلك فى القرم لهول المجاعة ، كانت أهوالا غير غريبة بالنسبة لمن فتك بهم الجوع فى هذه البلاد التى لم يفهم الكثير فى العالم آلامها حتى فى أحرج أوقاتها وأشد محنتها . فمن ضحايا الجوع رجال أنقذوا ولا يزالون إلى اليوم على قيد الحياة فى مصر وغيرها ، وشاهدوا هذه الأهوال بعيون تسكب اليوم جفونها دموعاً ساخنة لذكرها ....

عصفت عواصف هذه المجاعة التى أثارها الروس فى القرم عمداً مع سبق الإصرار فى سنة ١٩٢١ [الداخلة] فى ١٩٢٢ ، ونشرت (جريدة إزفستيا) فى نسختها الصادرة يوم ١٥ يولية ١٩٢٢ تقرير (كالينين) الذى زار القرم فى محنتها حيث قال :

« بلغ فى يناير عدد الذين أصابتهم محنة الجوع ثلثمائة ألف واثنين ، مات منهم ١٤,٤١٣ شخصاً .

أما فى شهر مارس فارتفع عددهم إلى ثلثمائة وتسعة وسبعين ألف شخص مات منهم ١٩,٩٠٢ شخصاً .

وبلغ فى شهر إبريل ثلثمائة وسبعة وسبعين ألف شخص مات منهم ١٢,٧٥٤ شخصاً .

« وفى شهر يونية بلغ ثلثمائة واثنين وتسعين ألفا واثنين وسبعين شخصاً » .

وجاء فى أقواله أيضاً أن أكل لحم الإنسان لم يكن من الحوادث التى يستغرب لها أو يبدو [أمْراً] عجيباً فى بابه .

كانت المجاعة فى القرم فى سنة ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ ، كما تكلمت عنها جريدة « برافدا » فى نسختها الصادرة بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٢٨ ، تشبه فى شدتها مجاعة حوض فولغا .

وأثبتت اللجان المشرفة على إسعاف منكوبى القرم فى محنتهم إصابة ١٠ ٪ من البالغين المتوسطين . ومات سكان بعض المدن والقرى بنسبة ٥٠ ٪ .

وجاء فى كتاب « بوتون قريم » الذى نشر فى القرم عام ١٩٢٩ ما يفيد بأن القرم أضاعت فى هذه الكارثة . ٢١ ٪ من سكانها أى بمقدار ١٥٠,٠٠٠ شخص ، وذلك على لسان العالم الروسى (فولوغدين) هاجر منهم إلى الخارج خمسون ألف شخص إنقاذاً لأرواحهم ، ومات الباقى من هول المجاعة وشدة الكارثة لهذا السبب خفضت نسبة سكان المدن إلى ٢٤,٦ ٪ ونسبة سكان القرى إلى ١٨ ٪ وذكر (فولوغدين) أعدادا جد مهمة بخصوص تناقص الأهالى فى المدن وقال :

إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة باغجه سراى ٥٥٪

إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة قارأصو بازار ٤٨٪

الجوع والمسلمون داخل الوطن الشيوعى

إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة كوزلوه ٤٣٪
إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة أسكى قريم ٤١٪
إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة كفه ٣٦٪
إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة بالتا ٢٩٪
إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة كرتش ٢٨٪
إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة آقمسجد ١٣٪
إن نسبة السكان التى فقدتها مدينة آقيار ١١٪

يرى المرء فى هذه المعلومات الإحصائية الواردة فى المصادر الشيوعية الرسمية أن عدد السكان فى آقيار خفض بنسبة (١١ ٪) بينما فى باغجه سراى وهى مدينة إسلامية محضة خفض بنسبة (٥٥٪) ولو نمعن النظر فى كون هاتين المدينتين موصولتين بسكة الحديد ، وأن المسافة التى تفصل بينهما لا تزيد فى الواقع على ساعتين ، ولو نلاحظ أيضاً زيادة نسبة الموتى الذين فتك بهم الجوع فى المدن التى تألفت أغلبيتها من المسلمين نجد أن هذه الأعداد تكشف لنا عن أسرار سوف تشكو الإنسانية إلى خالقها [من] هذه الفظائع وتلك الجنايات التى ارتكبتها موسكو لتفرض من ورائها الجوع المصطنع فى سبيل القضاء على القرم ...

عندما رأى الأتراك إتجار الروس الفاحش معهم ، إذ أن الروس كانوا يقدمون إليهم طعاماً قليلا جداً مقابل الأثمان الباهظة الخارجة عن حد المعقول ، ذهبوا إلى أوكرانيا وابتاعوا لهم المؤن اللازمة لسد رمق الجوع ، وعادوا بها فى طريقهم إلى القرم ، ولكن الإدارة الشيوعية صادرت هذه الأرزاق قبل وصول القافلة إلى البلاد .

أيها القراء !

اعلموا أن الإنسان ليعجز عن تصوير سلوك البلاشفة وسوء معاملتهم لأهل البلاد ، ويلح على ضميرى أن أذكر للقراء الحادثة الأليمة التالية للمرة الأخرى وهى مثل من الأمثلة الكثيرة التى لا حصر لها .

كان (حوض تساريتسين) أى (ستالينغراد) اليوم تقدم إلى الصليب الأحمر الإيطالى طالباً إسعاف المصابين فيه بالجوع . وبهذه المناسبة كرر الإيطاليون طلبهم ، وألحوا على البلاشفة فى السماح لهم بمد يد المساعدة الإنسانية على القرم أيضاً . ولكن طلبهم هذا رفض كل مرة رفضاً باتاً كما سبق أن صرح البابا بذلك لحضرة صاحب المعالى جعفر بك سيد أحمد حين قابله فى فاتيكان .

استقر البلاشفة فى القرم ، ولم يأمنوا جانب الأتراك المسلمين ، فأتوا إلى رياسة الجمهورية بشيوعى مجرى يدعى (بلا كون) ولكن ما لبثوا أن احتاطوا ، فأحلوا محله عام ١٩٢٢ (ولى إبراهيم القرمى) الذى راح يحاول إقناع الروس بوجوب التخلى عن سياسة العنف وعدم مساس كرامة القرم باسكان اليهود وغيرهم فيه ، وظل يجادل رئيساً لغاية ١٩٢٧ تلك السنة التى ثار على الحزب الشيوعى لسياسته الجارحة لكرامة الجمهورية القرمية ، واستعمل فى خطاباته السرية التى جرت بينه وبين الكرملين لهجة شديدة وحججا كاتمة للأنفاس ، فقبض عليه مع رجال حكومته وأمنائه ، وطار بهم « تشيكا » فى طائرة مسلحة خاصة إلى موسكو حيث أعدموا .

وبذلك عاد الإرهاب من جديد ، ونفذ ستالين ما أراده من إسكان خمسة وثلاثين ألف يهودى فى (أراضى أوقاف القرم) بمنطقة جانكوى ليشتغلوا فيها بالزراعة ! وقال ولى إبراهيم بسخرية لجلاديه قبيل إعدامه :

« نعم إنى عارف أن الدب حين ينوى افتراس ولده يُمَرِّغُهُ فى الطين كى يتجاهل أنه ابنه » .

ألبانيا الإسلامية

وأخوة الإسلام

للشيخ
توفيق إسلام يحيى

بعد ظلمة دامسة ، وحياة قاسية وعزلة موحشة استغرقت قريباً من خمسين عاماً ، تمكن الشعب الألبانى المسلم من القضاء على الشيوعية ، واستئصال جذورها ، ليتنسم أريج الحرية ، ويعيش حياة الإنسان التى أحرقتها الشيوعية تماماً لعقود كثيرة . كان الشعب الألبانى خلالها آلات بلا إرادة أمام طواغيت تعد على الأصابع خلفها زبانية لها شهوات بلا مشاعر ، وأهداف بلا وسائل وحمية بلا شرف .

وما تهادى النسيم المنشود حتى عز على أعداء الإسلام أن يتركوه ينعم بحياته على ما فيها من شدة وشظف ، وعلى ماينتظرها من متاعب ترتيب الدولة لبناء جديد شريف ـ حتى فوجىء هذا الشعب بما لم يكن فى حسبانه ..

لقد فرغت أوروبا الصليبية من الشيوعية ، ونفضت أيديها من خرابها فاتجهت بكليتها إلى الإسلام ، وأسرعت بحشد جيش من مندوبى الجمعيات التبشيرية العالمية يجتازون حدود ألبانيا من جهات متعددة كالبرق الخاطف ، وانتشروا فى طول البلاد وعرضها ، وأسسوا فى كل قرية رئيسية ، وفى كل مدينة مراكز للتبشير وملأوها بهدايا كثيرة مختلفة الأنواع من كساء وغذاء ودواء ولعب ترفيهية للأطفال ، وقبل أن تنفد هذه المواد من المراكز تأتى الحافلات متتابعة محمولة بالبدائل ، بدأوا يوزعون الهدايا على سكان البلاد الأكثر احتياجاً على أنها هدايا إنسانية سريعة لإنقاذهم من الهلاك الذى يهدد كثيراً من المناطق بسبب الجوع والبرد والمرض ، ثم توسعوا فأقاموا الموائد وبعدها يقومون بتقديم الهدايا ، وتعليق السلاسل ـ وبكل سلسلة صليب ـ على أعناق أطفال المسلمين ملوحين بأنه قد أن الأوان للعودة إلى النصرانية بعد أن أجبر

ألبانيا الإسلامية وأخوة الإسلام

آباؤهم وأجدادهم على اعتناق الإسلام بالسيف من قبل المسلمين الإرهابيين ـ كذا .

ثم توسعوا فى الإفصاح وأعلنوا عن مكنون ما فى نفوسهم صراحة بأنه على الألبانيين أن يتنصروا جبراً ، كما أجبر آباؤهم على اعتناق الإسلام بالسيف ، ولا شك أن مندوبى الهيئات التبشيرية حينما يقولون هذا الكلام لا يقولونه من عند أنفسهم ، وإنما يرددون أوامر هيئة الرياسة العليا للتبشير والتنصير ، ويلوحون بتعليقهم السلاسل مع الصلبان على أعناق أطفال المسلمين إلى أن الحروب الصليبية التى بدأت سنة ١٠٩٦ ميلادية لا تزال دائرة إلى نهاية القرن العشرين .

فهل يتدبر ذلك المسلمون ؟

هيئة الرياسة العليا للتبشير

تصر على الإسراع فى التنصير

الرياسة العليا العالمية للتبشير تحسب لكل شىء حساباً ، تطالب المبشرين بالإسراع فى تنفيذ عملية التنصير حيث إن الوقت مناسب جداً لأن المشاكل الكثيرة التى تشغل العالمين الإسلامى والعربى وخلافاتهم مع بعضهم تستغرق جميع أوقـاتهم ، ولا تترك لهم فـرصة يتمكنـون ـ خلالها ـ من جمع الكلمة وتوحيد الصف ، بل ولا الانتباه إلى ما يجرى لفريق من إخوانهم فى

لينين : سقوط الزعيم فى ليتوانيا

انور خوجة : سقوط التابع فى تيرانا

ألبانيا ، كما لا ينتبهون إلى مايجرى لفريق آخر من إخوانهم فى يوغوسلافيا ، وهم مسلمو « كوسوفو » ومسلمو « البوسنة والهرسك » .

رياسة الجمعيات التبشيرية لم تترك المبشرين يفعلون مايشاءون بل أعطتهم منهجاً محدداً ، ووضعتهم تحت رقابة مشددة لإجبارهم على تنفيذ أهداف الرياسة بأقصى سرعة ، ترسل إليهم بين

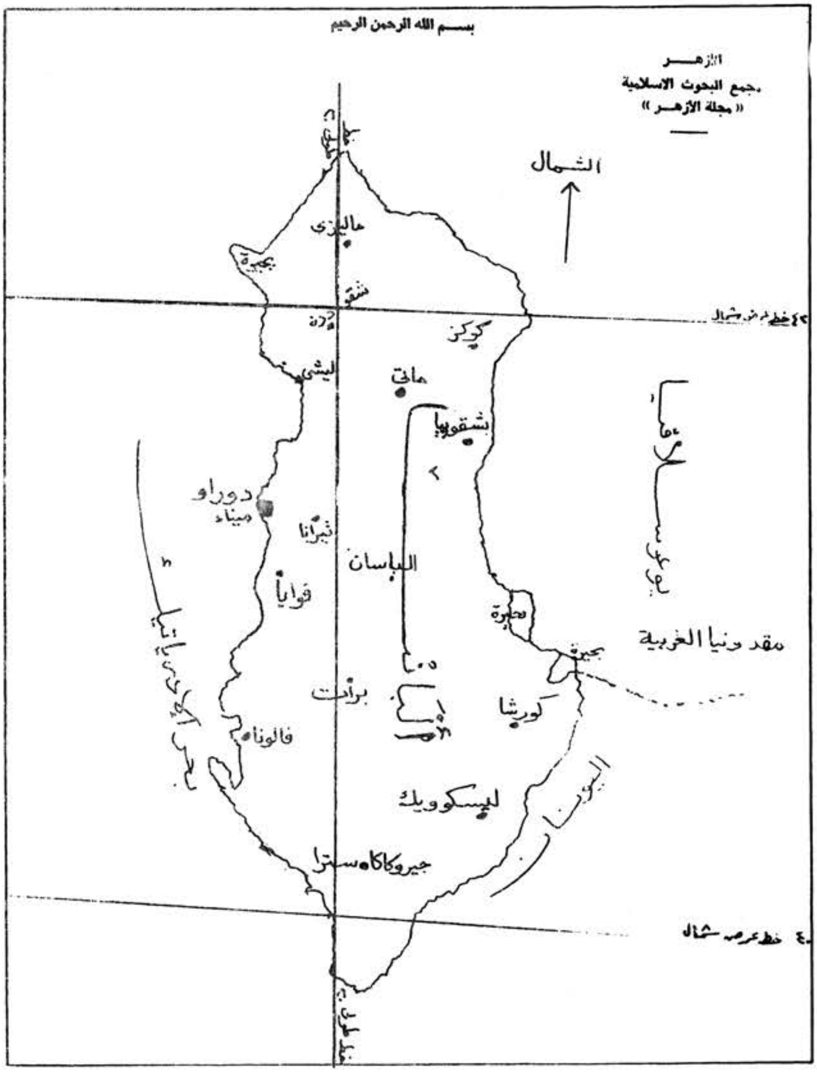

وقت وآخر مشرفين ليروا بأعينهم مدى نجاحهم فى مهمتهم ، بل إن الرياسة لم تكتف بإرسال مبشرين ، وإنما أرسلت أيضاً مبشرات ليسهل الاتصال بالمسلمات الألبانيات ، وعلى رأسهن الراهبة العالمية الشهـيرة « الأم ـ أمهم ـ تريزا » ، تدخل المنازل وتختلط بالنساء ، وتعلق على أعناق الرضع السلاسل الصليبية .

ألبانيـــا الإســـلامية

فى حاجة إلى دعم قوى ومستمر

إن المسلمين الألبان فى موقف بالغ الحرج . إنهم فى حاجة ماسة وسريعة إلى دعم لإصلاح ما خربته الشيوعية .

ألبانيا الاسلامية وأخوة الاسلام

ثم إنهم فى حاجة إلى دعم قوى ومستمر للدفاع عن دينهم ضد أولئك المبشرين الذين جاءوا إلى بلدهم محاولين شراء دينهم بما يقدمون من مساعدات باسم الإنسانية .

أيها الإخوة الألبان ..

ثقوا كل الثقة .. إن تمسككم بالصبر على النوازل ، واستعانتكم بالله « عز وجل » على التخلص منها خير وسيلة لاجتياز هذه الأهوال ، والخروج منها إلى بر السلام : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ وإن الله لمع الصابرين ولا تقنطوا من رحمة الله ، فهو ـ عز وجل ـ « إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » وفى الأمة الإسلامية رجال نوادر يعرفون موضع الحاجة فيهوون إليها بما تريد وما الله بغافل عما يعملون .. مَنْ كَنَزَ .. ومَنْ أَنْفق ... وخير النفقة عون فى سبيل الله ... للإسلام وأهله ..

اللقاء مع سماحة مفتى

ألبانيا الأكبر

كنت شديد الحرص على اللقاء بسماحة الشيخ صالح كوتشى مفتى ألبانيا ورئيس الهيئة الشرعية بها لأسمع منه حقيقة الحال فى ألبانيا وفظائع الشيوعية وأهوالها التى وقعت فيها ، وتم اللقاء ـ والحمد لله ـ واستعرض سماحة المفتى الأكبر الأهوال التى مر بها الشعب الألبانى المسلم نحو خمسين عاماً حتى أنقذه الله ـ عز وجل ـ من المآسى التى لا تخطر على البال .

وسماحة المفتى الأكبر قضى أكثر من عشرين سنة فى (زنزانة) لا يعلم إلا الله « سبحانه » حالها ، وماحصل فيها ، وذكر أن الشيوعية أفسدت فى هذا المدى الطويل كل شىء حتى وصل إلى أجمل ما فى الإنسان ، وهو الضمير ، واستطرد فضيلة المفتى الأكبر يقول : إن بعض المسئولين الآن ـ وإن كانوا من قبل من أقطاب الشيوعيين ـ إلا أنهم بعد أن هداهم الله أقسموا على أن يبذلوا كل ما فى جهدهم ووسعهم من فكر وطاقة لاستئصال جذور الشيوعية (١) ، وإعادة الإسلام والشرعية ، ونشر الحب بين أفراد الشعب والأمن والطمأنينة ، وتحقيق المعيشة اللائقة بالألبانيين ، وذلك بتحسين حالتهم العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ليرفع الألبانيون هاماتهم عالية أمام المجتمع الأوروبى .

ويبدو من حديث سماحة المفتى الأكبر أن الحالة الآن ـ وإن كانت مطمئنة ـ لكن الخوف لا يزال يعاود الناس من نكسة موجعة لا قدر الله ؛ لأن بعض المسئولين ، وإن كانوا فعلاً صادقين فى أقوالهم وأفعالهم (١) إلا أن طائفة أخرى ممن كانوا من أقطاب الشيوعية لا يزالون محتفظين بمناصبهم الكبيرة ويتظاهرون بأنهم يحمدون الله كثيراً على تخلصهم من الشيوعية وأهوالها . لكن بعض أعمالهم يلوح منها أنهم يتحينون الفرص للاستيلاء على السلطة من جديد ، وبسط الاستبداد والهيمنة كرة أخرى .

(١) يبدو أن سماحة المفتى حسن الظن اكثر كثيراً مما ينبغى ان يكون .

ويستمر فضيلة المفتى قائلاً : إنه وهو مفتى ألبانيا ورئيس المشيخة الإسلامية لا يزال حتى الآن يدير الشئون الدينية من الفندق الذى ينام فيه ، وطالب المسئولين مراراً وتكراراً بتحديد مركز رسمى للمشيخة الإسلامية يكون جديراً باستقبال كبار الضيوف الذين يزورون ألبانيا ، ويطلبون الاتصال بكبار المسئولين عن الشئون الدينية الإسلامية . ويقول فضيلة المفتى : إننى فى منتهى الخجل لعدم استطاعتى استقبال كبار ضيوف المسلمين . وكلما طالبت المسئولين بتحديد هذا المركز أسمع منهم كلمة (نعم) و(عن قريب) ولا شيء بعد ذلك ولا أزال أدير الشئون من الفندق الذى أنام فيه . وكلام سماحة المفتى الأكبر يحمل فى ثناياه إلى العالمين : الإسلامى والعربى وإلى كل من يعمل لإرساء قواعد الديمقراطية فى العالم إشارة إلى الإسراع بإرسال المعونات إلى ألبانيا قبل أن تقع الكارثة الجديدة ..

بيان إجمالى

بما خربته الشيوعية

علمت من خلال حوارى مع سماحة المفتى الأكبر الشيخ « صالح كوتشى » أن الشيوعية فى ألبانيا دمرت كل شيء له علاقة أو اتصال بشعائر الدين الإسلامى ، وإصلاحها يحتاج إلى زمن وإلى مجهودات شاقة ومساعدات عينية ومادية كثيرة نذكر هنا بالإجمال شيئاً من الخراب الذى أصاب المصالح الإسلامية .

أولاً : **المساجد** : ٩٠٪ منها أصابها التخريب الكامل تقريباً ، ولم يبق منها إلا بعض الجدران بسبب تغيير معالمها ، ثم استعمالها (ملاهى) أو دوراً (للسينما) أو نوادى أو حظائر للبهائم ، وبمضى الزمن (٥٠ عاماً) تداعت وتساقطت . وبعض المساجد فى حاجة إلى تجديد مآذنها وأبوابها ونوافذها ومنابرها وطلائها .

ثانياً : **المعاهد** : وللعلم يطلق الشعب الألبانى على المعهد الدينى اسم « المدرسة » ، ويطلق على المدارس التابعة لوزارة التعليم اسم « شكولاً » ، هذا وبالنسبة للمعهد العالى الإسلامى بالعاصمة والمعاهد التى تتبع بعض المساجد تهدم هذا وذاك .

ثالثاً : **الجهل بالتكاليف الدينية** : كل من ولد بعد سنة ١٩٣٥ ميلادية ، وهم يشكلون الآن ٨٠٪ من سكان ألبانيا لم يتعلموا قراءة وكتابة كلمة واحدة عربية ، وبالتالى لم يتعلموا شيئاً من العبادات لإلغاء التعليم الدينى بعد استيلاء الشيوعيين على الحكم عقب الحرب العالمية الثانية ، وإذا كان هناك الآن من يحفظ سوراً قصيرة أو آيات صغيرة فعن طريق التلقين من أبيه أو أخيه سراً فى البيوت . ولإزالة هذا الجهل لابد من بناء المعاهد وإعادة تشغيلها .

المعونات التى

يرجى أن يقدمها الموسرون

والجامعات والمؤسسات

الدينية والخيرية

أولاً : المشيخة الإسلامية فى ألبانيا تلتمس من جميع المؤسسات العلمية « جامعات ومعاهد » فى العالمين الإسلامى والعربى أن تفتح أبواب جامعاتها ومعاهدها لاستقبال أبناء ألبانيا

ألبانيا الإسلامية وأخوة الإسلام

للالتحاق بها ، ولا تكتفى بإعطـائهم منحا دراسية ، بل تقوم بالإشراف التام عليهم ، وتساعدهم بمدرسين خصوصيين فى غير أوقات الدراسة [١] حتى يتمكنوا من استيعاب أكبر قدر ممكن من المعلومات فى أقصر وقت ليعودوا إلى بلادهم ، ويتولوا تدريس ماتعلموه لأبناء ألبانيا فى المعاهد الجديدة ، وتخصص الجامعات للمتفوقين منهم فى معاهدها منحاً ليلتحقوا بالجامعات والدراسات العليا .

ثانياً : تلتمس المشيخة الإسلامية أن تتكرم المؤسسات العلمية بإرسال وعاظ وأئمة ليتولوا إرشاد المسلمين وهدايتهم إلى الطريق المستقيم ، يعلمونهم كيفية أداء الصلوات وشروطها وكيفية الصيام .. الخ وإمدادهم بمعلومات إسلامية عن الدين ، ومكارم الأخلاق لتنوير عقولهم وتطهيرها من الخـرافات التى حشـا بها المبشرون والشيوعيون عقولهم من قبل ، وإذا كانت الرياسة العالمية للتبشير أرسلت راهبات إلى ألبانيا لمحاولة تنصير المسلمات الألبانيات ، فيستحسن ـ نظراً لظروف ألبانيا ـ أن يرد الأزهر الشريف عليها بإرسال عدد من الداعيات ـ خريجات قسم أصول الدين ـ ليقمن بإعطاء دروس شفوية للمسلمات الألبانيات لإفساد محاولة الراهبات اللاتى وصلن برياسة الراهبة العالمية الشهيرة من التأثير فى عقول المسلمات ، وليعلم الكل : أن بالأزهر علماء وعالمات .

ثالثاً : تتكرم المؤسسات الدينية بإهداء الكتب المقرر تدريسها بالمعاهد التى ستنشأ إن شاء الله « تعالى » عن قريب .

رابعاً : تتولى المؤسسات الدينية إقامة مكتبة علمية عامة فى العاصمة « تيرانا » وجمع أمهات الكتب والتراث العلمى الموجودة عند أحفاد علماء المسلمين الألبانيين ، وهم على استعداد لإهدائها إلى المكتبة العامة تخليداً لذكرى أجدادهم « رحمهم الله تعالى » ، وتتولى المؤسسات العلمية إمداد المكتبة بحاجتها .

خامساً : تخصص المؤسسات الدينية جوائز للطلاب الألبانيين الذين يدرسون داخل ألبانيا ويحفظون القرآن الكـريم ، ويتفوقـون فى دراساتهم كمنح مالية ، أو أداء عمرة ، أو الحج لما لذلك من أثر عظيم فى تشجيع الطلاب على حفظ القرآن الكريم ، واستيعاب المعلومات .

سادساً : ذكرنا فيما سبق أن المبشرين

---

(١) فعل ذلك الأزهر الشريف قبل الحرب العالمية الثانية حينما أرسلت المشيخة الإسلامية فى ألبانيا بعثة إلى الأزهر الشريف فوجدت إدارة البعوث الإسلامية فى ذلك الوقت أن أعضاء البعثة فى حاجة إلى تعلم اللغة العربية حتى يتمكنوا من فهم شروح المدرسين . لذلك خصصت مدرساً يلازم الطلاب ويدرس لهم ويتخاطب معهم ، بهذه الطريقة تمكن الطلاب فعلاً من اللغة العربية ونجحوا فى دراساتهم بكلية أصول الدين . منهم المرحوم (حسن سلام) حصل على الشهادة العالمية ، والتحق بتخصص المادة لكن الأجل لم يمهله فلقى الله تعالى سنة ١٩٤٢ .. ومنهم المرحوم (حسنى خوجا) حصل على الشهادة العالمية ، وعلى الإجازة فى الوعظ والإرشاد ، وقام بواجبه فى أمريكا إلى أن لقى الله قبل عامين .

ـ وكذا الراهبات ـ يتقربون إلى أطفال المسلمين ، يداعبونهم بكلمة ثم يعلقون على أعناقهم سلاسل ، بكل سلسلة صليب . لذلك يرجى من أثرياء المسلمين والمؤسسات الخيرية والصناعية التكرم بعمل شرعى مقابل ذلك يهدى للأطفال لينصرفوا عن هؤلاء الراهبات ..

كلمة أخيرة :

هذه هى حالة ألبانيا الحقيقية الآن والأنظار متجهة إلى العالمين الإسلامى والعربى مترقبة وصول معوناتهما لتضميد جراح المسلمين الألبانيين الدينية والغذائية والصحية لصرفهم عن الحاجة إلى معونة المبشرين .

وبهذه الطريقة تتوثق الروابط بين الشعوب الإسلامية والشعب الألبانى ليطمئن إلى أن له إخوة مخلصين يشاركونه بجهدهم ومالهم عن طيب خاطر عاملين بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « .... والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه » [1] . وجزى الله المحسنين خير الجزاء ..

سلعة الله غالية

بقية

أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

بخلاف القوانين فإنها لا تراعى إلا حيث يخاف الإنسان من الوقوع فى قبضة السلطات التى تنفذ القوانين ، فإذا وجدت فرصة سانحة يأمن فيها على نفسه هتك حرمة القوانين وخرج عليها دون مبالاة،ولهذا سجل الله المغفرة والرحمة للخائفين منه ، وجعل لهم الأجر الكبير قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ الملك ١٢ .

قال الإمام الغزالى فى كتابه الإحياء : « إنه ـ اى الخوف ـ يقمع الشهوات ، ويكدر اللذات فتصبر عن المعاصى ، ويجعلها مكروهة كما يصير العسل مكروها ، إذا علم أن فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ، ويذل القلب ويستكين ، ويفارقه الكبر والحقد والحسد ، وتصير شغله المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ النور ٥٢ .

قال المظهرى من خاف الله فليهرب من المعاصى إلى طاعته تعالى ، لأنه ينشد سلعة ، رفيعة القيمة ـ وهى الجنة ـ وهى عزيزة لا يليق بثمنها إلا بذل النفس والمال .. ومن خطب الحسناء لم يغله المهر .

هذه وصية جامعة من الرسول الكريم لأمته فى كيفية السير والسلوك إلى الله ، تغنى عن كل شىء ولا يغنى عنها شىء .

فاللهم وفقنا لما يرضيك عنا ، ووفقنا لصالح القول والعمل ، إنك على كل شىء قدير ، واجعلنا من ورثة جنة النعيم ، الذين ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

---

(١) جزء من حديث طويل ذكره الإمام النووى فى كتابه « الأربعين النووية » منقولاً عن مسلم .

"أشد الناس عداوة للذين آمنوا"

ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية

بقلم لواء. أ. ح
دكتور/ فوزى محمد طايل

فى ليلة السبت الخامس من « إيار » عام ٥٧٠٨ (بالتقويم العبرى) ، الموافق الرابع عشر من مايو عام ١٩٤٨ م وقع ثمانية وثلاثون شخصية صهيونية بارزة وثيقة (إعلان قيام دولة جديدة على أرض « فلسطين ») أطلق عليها اسم (إسرائيل) . كان ذلك فى مدينة (تل أبيب) التى صارت عاصمة للدولة الجديدة .

ولا تعد إقامة « الدولة العبرية » الغاية النهائية « للصهيونية » ، بل هى الخطوة الأولى الضرورية - من وجهة نظرهم - لإقامة « ملك إسرائيل » أو ما يسمونه « بإسرائيل الكبرى » على ما يطلقون عليه « أرض الميعاد » التى تمتد « من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »[1] وليست هذه سوى الخطوة الوسيطة « للغاية الصهيونية » .. وهى السيطرة على العالم بأسره ، وهى غاية لا يكادون يخفونها .

لقد مضى زمن طويل والمسلمون يعزفون عن دراسة هذا الكيان دراسة علمية متأنية ، يسبرون من خلالها أغوار هؤلاء القوم الذين تداعوا إلى هذه المنطقة ليقيموا فيها نظاماً سياسياً يحمل فى طياته - بكل المقاييس - منهاجاً يخالف منهاجنا ، وقيماً تخالف قيمنا ، ومصالح تتعارض ومصالحنا ، وأهدافاً تعرض أمننا للخطر . ولئن كان قد فاتنا ما فات فلنبدأ دون حرج أو تقصير فى التعرف على كنه ما يحمله لنا هذا الكيان من خطر داهم . ولعل إحدى الزوايا الهامة التى يمكن النظر إليه منها هى التعرف على ملامح نظامه السياسي .

مقومات النظام السياسى لإسرائيل وقيمه العليا وثقافة شعبه :

لعل جماع هذه الأمور كلها يتلخص فى كلمة « الصهيونية » تلك التى تعنى ببساطة تغيير مكان إقامة « معظم يهود العالم » - مما يطلقون

(١) سفر التكوين / الإصحاح الخامس عشر النص رقم ١٨ .

عليه « الشتات » « Diaspora » - إلى « صهيون »[٢] .. هو مجرد رمز لضرورة استيلاء « اليهود » على القدس وما حولها .

١ - السند القانونى والمساندة السياسية :

وقد أعلن « تيودورهرتصل » فى أغسطس ١٨٩٧ م الهدف المباشر للصهيونية ، والذى تصور أن يتحقق من خلال « برنامج » يستغرق خمسين عاماً ، فكان هذا الهدف هو « إنشاء » وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين يتمتع بحماية القانون العام وحدد وسائل تحقيق هذا الهدف فى أربع وسائل :

● تشجيع الاستيطان المنظم لأرض فلسطين بواسطة عمال الزراعة والصناع والحرفيين اليهود[٣] .. وقد تحقق هذا الهدف تدريجياً فبعد أن كان اليهود فى فلسطين قرابة خمسة وعشرين ألفا عام ١٨٨٢ م (حوالى ٠.٣١٪ من يهود العالم) صاروا ثلاثة ملايين وثلاثة أعشار المليون عام ١٩٨٢ م (قرابة ٢٣٪ من يهود العالم) ، ويتوقع زيادتهم إلى أكثر من أربعة ملايين ونصف المليون بحلول عام ١٩٩٢ م ، وذلك من خلال استمرار الهجرة المنظمة من كل أرجاء العالم ، خاصة من « الاتحاد السوفيتى » و« أوروبا الشرقية » .

● إقامة منظمة واتحاد لكل يهود العالم بما يتمشى مع القوانين المحلية .. وبالفعل أنشئت « المنظمة الصهيونية العالمية » عام ١٩١٩ م ، و« الوكالة اليهودية » عام ١٩٢٩ م ، فضلا عن مؤسسات صهيونية أخرى .. بموافقة ومباركة « المجتمع الدولى » .

● تقوية الإحساس باليهودية ، والشعور بالقومية اليهودية ، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد .

● اتخاذ الخطوات للحصول على الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق « هدف الصهيونية » وقد تم ذلك من خلال الاتفاقية البريطانية / الفرنسية التى تمت سراً بين وزيرى خارجيتهما (سايكس وبيكو) عام ١٩١٦ ، ثم إصدار بريطانيا « لتصريح بلفور » سراً أيضاً فى نوفمبر ١٩١٧ . وقد تم الاعتراف بهذه الأمور من خلال صك الانتداب على « فلسطين » ، الذى وافقت عليه « عصبة الأمم » فى ٢٤ يوليو ١٩٢٢ م . وأخيرا أصدرت « الجمعية العامة للأمم المتحدة » قرارها رقم ١٨١/٢ فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين إلى « دولة يهودية » و« دولة عربية » ، وجعلت « للقدس » كياناً مستقلا تحت إشراف « الأمم المتحدة » . وقد استمد « اليهود » السند

---

(٢) اسم التل الذى اقيم عليه « بيت المقدس » وينطق اسمه بالعبرية « تصيون » ، وبالفرنسية Sion وبالانجليزية Zion ، وإليه نسب « ناتان » النمساوى اسم الحركة عام ١٨٩٠ م ، وذلك قبل ان ينشر تيودورهرتصل كتابه « الدولة اليهودية » بنحو ست سنوات داعيا إلى المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ م فى مدينة « بازل » بسويسرا .

(٣) كانت أولى الهجرات المنظمة قد بدأت - رغم رفض « السلطان عبد الحميد » لها - فى الفترة من (١٨٨٢ حتى ١٩٠٣) وقامت بتنظيمها « جمعيات أحباء صهيون » (حوفيفى تصيون) ، وتكونت من قرابة عشرين ألف يهودى جاءوا من « روسيا » وأوروبا الشرقية واستقروا فى مستوطنات اقاموها « بالجليل الأعلى » . ثم كانت الهجرة الثانية فى المدة من ١٩٠٤ حتى ١٩١٤ ليصبح عدد اليهود خمسة وثمانين ألفا ثم الهجرة الثالثة فى المدة من ١٩١٩ حتى ١٩٢٣ ، وهؤلاء أسسوا « مستوطنات العمال » (موشاف عوفديم) ، ثم الهجرة الرابعة (١٩٢٤ - ١٩٣١) فالخامسة (١٩٣٢ - ١٩٣٩) .

أشد الناس عداوة للذين آمنوا

القانونى الدولى لإقامة دولتهم من هذا القرار الذى نصوا عليه فى إعلان قيام الدولة فى ١٤ مايو ١٩٤٨ م .

٢ ـ الطبيعة اليهودية للنظام السياسى فى إسرائيل :

انساق بعض مفكرى أمتنا ـ لأسباب غير واقعية ولا تستند إلى أساس علمى ـ وراء محاولة وصف « الصهيونية » بأنها حركة « قومية علمانية » ، وبالتالى تصبح الدولة التى تمخضت عنها ، وهى « إسرائيل » دولة « علمانية » هى الأخرى .. وهذا قول نفاه كل « مفكرى اليهود » حتى الملحدين منهم(٤) ، فمن يراجع كل الكتابات « الصهيونية » ـ قبل إقامة دولتهم ـ لن يشك للحظة فى الطبيعة اليهودية للحركة ولا لأهدافها ، ويكفى للتدليل على هذا أن جوهر الفكرة الصهيونية هو عودة يهود العالم إلى « أرض الميعاد » .

ولعل من يقرأ الجملة الأولى لإعلان الدولة يجدها تنص على أن :

« أرض إسرائيل كانت هى المكان الذى ولد فيه الشعب اليهودى » .

ومن يواصل القراءة سوف يجد فى عجز وثيقة إعلان الدولة مايلى :

« سوف تكون دولة إسرائيل مفتوحة للهجرة اليهودية .. وسوف تؤسس على الحرية ، والعدل ، والسلام كما تصورها أنبياء إسرائيل » .

وما من زعيم إسرائيلى إلا وأكد يهودية الدولة اعتباراً من « بن جوريون » حتى « يتصحق شامير » . أضف إلى ذلك أن المادة السابعة والسبعين من مشروع الدستور الإسرائيلى تنص على أن :

« القوانين يجب أن تكون مطابقة للتعاليم الأساسية للشريعة اليهودية » .

ولعل ما يحسم هذه الجزئية ما قاله البروفيسور « أشيرأريان » أستاذ العلوم السياسية بجامعة تل أبيب والعميد السابق لكلية العلوم الاجتماعية فى كتابه : « Politics in Israel The Second Generation » والذى صدر عام ١٩٨٥ م :

« إن الفصل بين الدين والدولة فى إسرائيل أمر يستحيل إقامة الدليل عليه ، وأن العكس هو الواقع الذى يستند إلى اعتبارات تاريخية ، وأخرى « أيديولوجية » ، وثالثة سياسية ، ورابعة تنظيمية » .. وفصّل هذه الأسباب تفصيلا .

أما عن التطبيق العملى فى الحياة فنجد نفس الكاتب يذكر لنا أن : « معظم اليهود فى إسرائيل يمارسون يهوديتهم كأسلوب حياة » ومع اعتبارنا لرأى الكاتب اليهودى ، والذى اعتمد فيه على المشاهدة والمعايشة ، **فاننا يجب ألا ننسى**

(٤) فمثلا يعتبر بعض مفكرينا أن « تيودور هرتصل » كان حظه من التدين ضئيلا ، أو أنه كان ملحدا . وحسبنا هنا ما قاله فى المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ ، الذى كان يتولى رئاسته : « إن الصهيونية عودة إلى اليهودية قبل أن تكون عودة إلى الوطن اليهودى » .

أوصاف « القرآن الكريم » لهم وأهمها : الظلم ، وعدم الوفاء بالعهد ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والإفساد فى الأرض ، وتحريف ما أنزل الله والميل إلى مخالفة تعاليمه دائما .. بل إننا يجب ألا ننسى ما سطرته النسخ المعاصرة « للتوراة » التى وصفتهم بصفات منها : **التمرد والتذمر وصلابة الرقبة ، والميل إلى الشر ، والغلظة والميل للإثم والخطيئة ، والعصيان الدائم .. إلخ .**

ومن ناحية أخرى فإن تطبيق « الشريعة اليهودية » « هاهلخا » كمنهاج حياة متكامل من خلال صياغتها فى صورة قوانين يطلقون عليها « القوانين الزرقاء » هو أمر واقع ، ومنها القوانين التى تراعى أحكام « السبت » والأعياد الدينية ، وإعفاء النساء المتدينات من التجنيد ، ومنع تربية أو ذبح الخنازير ، ومراعاة الطعام الحلال (الكوشير) ، وإلغاء القانون الذى كان ينظم الإجهاض .

أضف إلى ذلك ما يلتزم به المهاجرون إلى إسرائيل من تغيير أسمائهم إلى أسماء عبرية ، ثم الاهتمام بتحديد : « من هو اليهودى ؟ » وعلى حين أن أكثر من ثلثى المنشآت التعليمية فى إسرائيل منشآت تعليمية دينية ، نجد أن الباقى يدرس التوراة والتلمود والتاريخ اليهودى فى عدد ساعات لا يقل عن ربع إجمالى عدد ساعات الدراسة فى المنهج .

ينتج عن هذه الحقائق أمور أهمها أنه :

● تم صياغة الأهداف القومية للدولة ، ونظرية الأمن القومى فيها ، والعقيدة القتالية لقواتها المسلحة ، وعلاقاتها الخارجية على أساس العقيدة اليهودية .

— أصبح ولاء اليهودى الموجود خارج « إسرائيل » هو « للدولة اليهودية » بصفة أساسية(٥) .

وهذا أمر فى غاية الخطورة فى ضوء حقيقة علو اليهود فى الأرض فى أيامنا هذه وتغلغلهم فى أجهزة صنع القرار السياسى ؛ بل والعمل به أحيانا ، فى كثير من دول أوروبا وأمريكا ، فضلا عن سيطرتهم على قطاعات عريضة فى مجالات الاقتصاد والمال والإعلام .

وإمعانا فى ضمان ذلكم الولاء ؛ فإن من حق أى يهودى فى العالم أن يحمل الجنسية الإسرائيلية حتى ولو لم يهاجر إلى إسرائيل .. ولو لم تطأ قدماه أرضها حتى لو لم تكن عنده هذه النية .

● يعتبر يهوديا – حسب قانون التسجيل الصادر فى ٣ يناير ١٩٦٠ من كانت أمه يهودية ، حتى ولو لم يكن يهوديا ، كذا يعتبر يهوديا كل من تهود .. وفى تقدير « الحاخاميم » اليهود أن اليهودى يظل يهوديا حتى لو انتحر .. فلا تنزع عنه .

● ومن نافلة القول أن نستنتج أن القيم العليا والثقافة السياسية فى إسرائيل مستمدة بالضرورة من العقيدة اليهودية .

---

(٥) من الأسباب الهامة لقوة جهاز الاستخبارات الإسرائيلى وقدرته على العمل على المستوى العالمى سهولة تجنيد اليهود الذين لا يعيشون فى « إسرائيل » ، وذلك اعتماداً على انهم يعطون الولاء « للدولة اليهودية » فى المقام الأول . وهناك عدد غير قليل من الأمثلة منها قضية الجاسوس الأمريكى « جوناتان بوللارد » الذى تجسس على بلاده لصالح إسرائيل إلى أن قبض عليه متلبسا عام ١٩٨٦ م .

أشد الناس عداوة للذين آمنوا

٣ ـ منظومة القيم العليا في المجتمع الإسرائيلي وثقافته :

يتكون المجتمع الإسرائيلي من جماعات جاءت من كل صوب وحدب ، عاشوا في مجتمعات شتى ، وعايشوا ثقافات متباينة . من ناحية أخرى كان اليهود على مر القرون يحاولون الانعزال عن المجتمعات التي عاشوا فيها ، لذا نجد المجتمع الإسرائيلي يتفق اليهود فيه ـ وهم غالبية ـ حول أفكار وقيم لم تتأثر بمرور السنين ، واختلاف المجتمعات التي عاشوا فيها حياة شتات لم يتناولها بالتغيير أهمها :

(أ) فكرة السمو العنصري :

تشكل هذه الفكرة حجر الزاوية في الفكر والثقافة اليهوديتين . فحتى لو لم يكن اليهودي من الذين يمارسون أي قدر من العبادة فإنه يتصور انتماءه «لشعب الله المختار» .

وتصل درجة التعالي بهم حداً يعتبرون معه أن غير اليهود ليسوا سوى مخلوقات بين البشر والحيوانات ، ويطلقون عليهم اسم «الأغيار» أو بالعبرية «جوييم» ويبيحون التعامل معهم بأحط أنواع التعامل التي لا يجوز أن يتعامل اليهود بها فيما بينهم .

[راجع تفسيرهم وتحريفهم للنص ١٩ ، ٢٠ من الاصحاح ٢٢ سفر التثنية] .

وقد بلغ التعالي باليهود حد اعتبار أنهم جنس نقي ، أو هم على حد تعبير «هرتصل» في كتابه «الدولة اليهودية» :

«إنهم شعب لا يمكنه الاندماج في الشعوب الأخرى» .

قال أحد دعاة الصهيونية «ريتشارد جيمس جوتيل» في إحدى خطبه :

« إننا ننتمي إلى جنس يستطيع أن يفعل كل شيء إلا الفشل » .

والغريب أن اليهود يعتبرون أنفسهم فقط «الساميون» ويهددون كل من يتجرأ ويعادي السامية .

والغريب أيضاً أنهم يعتبرون أنفسهم معلمي البشرية وأساتذتها ومثلها الأعلى ، والأغرب منه أن ينظر إليهم قادة ومفكرو الغرب نفس النظرة وحسبنا أن نورد ما قاله «مارتن لوثر» مؤسس «المذهب البروتستانتي» في كتابه (عيسى ولد يهوديا) عام ١٥٢٣ م :

« شاءت الروح المقدسة أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس للعالم عن طريقهم وحدهم ، انهم الأطفال ونحن الضيوف والغرباء ، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها ، تماما كالمرأة الكنعانية » .

بل نجد «مسز تاتشر» تناشد أفراد الشعب الانجليزي في خطاب لها في مطلع عام ١٩٩٠ :

«أن يتخذوا من الجالية اليهودية في بريطانيا مثلاً اعلى يحتذى» !!

ولئن كان الأمر كذلك فليس غريبا أن نجد إعلان الدولة اليهودية وقد اشتملت فقرته الأولى على :

« ... من هنا خلق اليهود القيم الثقافية ذات

الدلالة القومية والعالمية ومنحوا العالم سفر الأسفار الخالد »(٦) .

« ... gave the world the eternal Book of Books»

(ب) فكرة أرض الميعاد :

وبجانب فكرة (السمو العنصرى) تهيمن فكرة (أرض الميعاد) على لب كل «صهيونى» أو كل مؤيد للصهيونية ، وتتكرر فكرة «أرض الميعاد» هذه فى عدد من المواضع **فى نسخ التوراة المعاصرة** .

يستند زعماء «إسرائيل» إلى هذه الفكرة فى اجتذاب الدعم والتأييد من الدول الأوروبية وغيرها فنجد :

«دافيد بن جوريون» يصرح فى مايو ١٩٦٢ بقوله : «إن إسرائيل قامت تحقيقا لنبوءات الكتاب المقدس» .

وتكرر جولدا مائير نفس المقولة فى أكتوبر ١٩٧١ بقولها : «لقد وجد هذا البلد تنفيذا لوعد الرب ذاته ؛ ولهذا لا يصح أن نسأله ايضاحا عن شرعية هذا الوجود» .

ناهيك عما يعلنه «يتصحق شامير» و«أريل شارون» وغيرهما هذه الأيام ـ رغم ما يذاع عن قرب عقد مؤتمر للسلام ـ من أنهم لن يتنازلوا عن شبر واحد من «يهودا والسامرة» (المقصود الضفة الغربية لنهر الأردن)، وأنه لا جدوى من الحديث عن «القدس» التى صارت ـ على حد تعبيرهم ـ عاصمة أبدية لإسرائيل .. الخ .

ولقد ارتبطت فكرة أرض الميعاد هذه ارتباطا وثيقا «بأمن إسرائيل» الذى يعتمد بدوره على فكرتى : «الحدود المتحركة» و«الطرد التدريجى لسكان الأرض»(٧) ، و«الحرب الدائمة» وعدم جواز مسالمة سكان الأرض(٨) .

(جـ) العـدل :

«العدل» قيمة عليا لدى كل النظم السياسية دون استثناء ، لكن مفهوم «العدل» ومضمونه يختلف من نظام سياسى لآخر ، وقد نحتكم إلى ما جاء بنسخ التوراة المعاصرة التى لا تقرر ممارسة «العدل» إلا بين اليهود فقط ، ففى سفر اللاويين/ الاصحاح التاسع/ ١٢-١٩ : «لا تغضب قريبك ولا تسلب ... لا ترتكبوا جورا فى القضاء ... بالعدل تحكم لقريبك .. لا تبغض أخاك فى قلبك ... لا تنقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك ...» متناسين ـ تماما ـ نصوص الكتاب فى وجود العدل المطلق بين البشر .

ولعل ما يلقاه العرب فى إسرائيل والأرض المحتلة من العنت والاضطهاد والجور ، فضلاً عن تعرضهم للطرد من أراضيهم ، ونسف بيوتهم وسلب ممتلكاتهم ، بل والجور فى القضاء إذا ما كانوا طرفا فى خصومة ـ كفيل أن يوضح لنا مفهوم «العدل» لدى إسرائيل .

ومن الأمور الثابتة بالدليل العملى أن «المحكمة العليا» فى إسرائيل تتنكب «طريق العدل» حينما تتعرض لقضية تمس «الأمن القومى» بأوسع مفهوم له فتتحول إلى جهاز يبرر عسف السلطات

(٦) يقصد بسفر الأسفار «العهد القديم» وهو يشتمل ـ حسبما يزعمون ـ على أسفار التوراة الخمسة وعدد آخر من الأسفار احياناً نجدها ٣٤ سفرا ، وفى البعض الآخر نجدها اكثر من ذلك ، ٣٧ سفرا ، أو خلاف ذلك وذلك من حيث اعتبار بعضها أسفاراً قانونية ، والبعض لا ينطبق عليه ذلك .. وصدق الله العظيم فى وصفه بالتحريف .

(٧) العدد/ ٣٣/ ٥٥ ـ ٥٦ .

(٨) الخروج/ ٣٤ / ١٥ .

أشد الناس عداوة للذين آمنوا

الإسرائيلية بطرد السكان ، ونسف بيوتهم ، بل ونفيهم تماما خارج فلسطين .

أين هذا من عدل الله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ (المائدة/٨) .

(د) الحقوق والحريات الفردية :

فكرة الحقوق والحريات الفردية التى هى بمثابة العمود الفقرى «للديمقراطية الغربية» تعد قيمة عليا لدى اليهود ، بنفس مفهومها لدى الغرب[٩] ولا غرو فـ «الديمقراطية الغربية» ما هى إلا نتاج الحضارة الأوروبية اليهودية النصرانية .

يضاف إلى هذا حق كل يهودى فى الهجرة إلى إسرائيل بموجب قانون العودة الصادر فى ٥ يوليو ١٩٥٠ م ، ويحق له الحصول على الجنسية الإسرائيلية بموجب قانون الجنسية الصادر عام ١٩٥٢ م ، لكن الغريب أنه لا يملك التنازل عن هذه الجنسية إلا بعد موافقة «وزير الداخلية الإسرائيلى» .

وإذا ما تعارضت فكرة الحقوق والحريات مع اعتبارات «الأمن القومى» ـ كثيراً ما يحدث هذا التعارض ـ تتغلب اعتبارات الأمن القومى على غيرها من الاعتبارات ، كما أن الشريعة اليهودية تعد أهم محدد لفكرة الحقوق والحريات الفردية . فإذا تعارضتا تغلبت أحكام الشريعة .

ومن أشهر الأمثلة : (عدم جواز مساواة المرأة بالرجل) كما يحدث عند الأوروبيين «نظريا» ، كما أنه لا يوجد لدى إسرائيل «إعلان لحقوق الإنسان» للتعارض بين بعض ما بهذا الأخير و«الشريعة اليهودية» .

(هـ) الاشتراكية :

حوى «العهد القديم المتداول» عددا غير قليل من التعاليم التى يمكن أن توصف بأنها تدعو إلى الاشتراكية[١٠] ولا غرابة إذاً فى أن يتولى «كارل ماركس» (اليهودى) صياغة النظرية الاشتراكية التى عرفت باسمه ، ولئن كانت شيوعية «كارل ماركس» قد فشلت فى كثير من بلدان العالم ،

فإنها تلقى التطبيق الحرفى الناجح فى المستعمرات الإسرائيلية المسماه «بـ «القيبوتص» التى يتم فيها العمل المشترك وتوزيع الإنتاج : «من كل حسب طاقته ، ولكل حسب احتياجه» ، ولا يوزع أجر نقدى .. وقد نتعرض بتفصيل أكبر لهذا النموذج فيما بعد .

ولقد ظل الفكر الاشتراكى ولايزال يلقى القبول لدى الشعب فى إسرائيل حتى بعد أن تولت حكومة حزب «الليكود» الحكم . فمازال لحزب العمل الإسرائيلى ثقله ، ومازالت المزارع الجماعية من المعالم الرئيسية لإسرائيل ، ومازالت «الهستدروت»[١١] تهيمن على الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

---

(٩) يرجع لسلسلة مقالات «نظرة إسلامية للديمقراطيات الغربية» ، مجلة الأزهر ، ١٤١٠ هـ .

(١٠) سفر اللاويين/ ٢٥/ ٢٣ ، ٣١ ـ ٣٣ ـ تثنية الاشتراع/ ١٥/ ٥ ـ ٦ ـ ميخا/ ٢/ ١ ـ ٢ ـ أشعياء/ ٣٢/ ٢٠ .. الخ .

(١١) «الهستدروت» هى اختصار «للنقابة العامة للعمال العبريين بأرض إسرائيل» .

بذور التفكك فى المجتمع الإسرائيلى :

المجتمع الإسرائيلى مجتمع ملء بالمتناقضات فعندهم (الفرق الدينية التى لا يعترف بعضها ببعض ولا يتزوج بعضها من بعض) ، كذلك نجد (الغلو فى الدين بغير الحق) عند بعض الطوائف مثل «النيتورى كارتا» الذين يعتزلون المجتمع بمدارسه ومؤسساته وبكل ما فيه وعندهم (شقاق اجتماعى) شبه كامل بين طائفتى «الاشكنازيم» ، و«السفارديم» ، فضلاً عن وصول طائفة ثالثة سوف تزيد هذا الشقاق عمقا هى طائفة «الفالاشا» ، ولكل طائفة الحاخام الأكبر الخاص بها ، وطريقة الحياة ومستوى المعيشة المختلف .. الخ . أضف إلى ذلك أن هناك (تعددا فى أسلوب ممارسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية) بين من يعيشون فى «القيبوتص» و«الموشاف»(١٢) وبين من يعيشون فى المدن ، وهناك (الليبراليون العلمانيون) و(الاشتراكيون الملحدون) .. الخ .

يقول الله تعالى : ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر/ ١٤) .

هذا ويدرك قادة الدولة اليهودية هذه الحقائق جيداً ويعونها حق الوعى ، لذا فإنهم يحرصون على التخفيف من عوامل التفكك هذه باستخدام عدد من الآليات منها :

● التركيز على توحيد اللغة والحفاظ عليها ، وترسيخ الثقافة اليهودية باعتبار أن الثقافة واللغة هما ـ معا ـ مفتاح البقاء القومى .

● الحرص على أن يستمر الشعور بالخوف من الأخطار الخارجية لدى الإسرائيليين حتى يؤدى هذا إلى التماسك الداخلى ، ولقد بلغ الحد بهم إلى أن أصبحت إسرائيل بمثابة معسكر كبير فى (حالة استنفار) شبه دائم الكل فيه جنود : إما تحت السلاح ، وإما فى إجازة مدتها أحد عشر شهرا فى العام .

● العمل على رفع الروح المعنوية باعتبارها هدفا استراتيجيا ، وإذكاء روح الولاء والإرادة القومية .

● محاولة دمج الطوائف والشرائح والقطاعات الاجتماعية المتباينة من خلال وسائل متعددة للدمج والتأهيل الاجتماعى نفصلها فيما بعد بإذن الله .

تصويب

جاء فى عدد ربيع الآخر ١٤١٢ ص ٣٧١ ، السطر الثامن : (فليس يعنى انتهاز) وصحة العبارة : (فليس يعنى انهيار) .. إلخ ..

(١٢) القيبوتص : مستعمرة .   الموشاف : المستوطنة وهى تعاونية .

حول شهادات الاستثمار

٢

المستشار الدكتور
أحمد محمد إبراهيم

رابعا ـ تكييف العقد :

قال المفتى فى بيانه إن المعاملات فى شهادات الاستثمار وفيما يشبهها كصناديق التوفير جائزة شرعاً ، وإن أرباحها كذلك حلال وجائزة شرعا ، إما لأنها مضاربة شرعية كما قال الشيخ عبد العظيم بركة وغيره وإما لأنها معاملة حديثة نافعة للأفراد وللأمة . وليس فيها استغلال من أحد طرفى المعاملة للآخر ، كما قال فضيلة الدكتور محمد سلام مدكور وغيره .

وكان من المفروض أن يكون المفتى عندما أصدر كتابه ، قد انتهى إلى رأى معين فى تكييف هذه المعامـلات وبيان وصفهـا الشرعى ، خصوصا وأنه ذكر فى ختام البيان أنه وعما قريب ـ بإذن الله ـ سنتحدث ـ بعد الرجوع إلى الخبراء من الاقتصاديين والفقهاء ـ عن جوانب أخرى من المعاملات التى تجرى فى البنوك والمصارف . ولكن جاء الكتاب مردداً نفس الأقوال فيقول بالنسبة للأموال التى تقدم للمصارف وأخذ عائد عنها ، وبعض الفقهاء المحدثين كفضيلة المرحوم محمد سلام مدكور ، يرى أن مثل هذه المعاملة تعد من المعاملات المستحدثة التى اقتضتهـا ظروف الحيـاة وتطورها ، والتى لا تخضع لأى نوع من العقود المسماة وهى معاملة نافعة للفرد والمجتمع ولا يوجد ما يمنعها . وبعضهم كفضيلة المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف يرى أن مثل هذه المعاملة تدخل تحت باب المضاربة الشرعية ، إذ المال من جانب ، والعمل من جانب ، وتحديد الربح مقدما لا يفسد المضاربة .

وقال بالنسبة للرجل الثرى الذى يطلب من المصرف مبلغا من المال ليستثمره فى مشروعاته لا ليكون قرضا أو وديعة ، على أن يعطى البنك ١٠٪ سنويا من قيمة هذا المبلغ ، إن هذه المعاملة حلال ولا بأس بها ، والأرباح التى تترتب عليها حلال ولا بأس بها ، لأنها إما من باب المعاملات المستحدثة النافعة الحلال ، كما يرى بعض الفقهاء وإما من باب المضاربة الشرعية ، كما يرى آخرون ، لأن المال فيها من جانب والعمل من

جانب آخر ، وتحديد نسبة الربح مقدما لم يرد ما يمنع منه شرعا .

لقد كان من الواجب على المفتى أن يبين أركان هذه المعاملة المستحدثة وشروط صحتها ، وأن يبين بوضوح الفرق بينها وبين القرض ، والفرق بينها وبين المضاربة ، أما أن يظل مردداً أنها قد تكون كذا أو قد تكون كذا ، فأمر غير مقبول ، ويدل على عدم القدرة على البت فى الموضوع . ولا يغير من ذلك ولا يعتبر تكييفا للمعاملة قوله : إن كل معاملة يقصد صاحب المال فيها تنمية ماله وزيادته بالطرق الشرعية ، فالاسم الصحيح لها : استثمار ، وليس وديعة استثمارية ، إذ الوديعة شىء والاستثمار شىء آخر .

إن تسمية المفتى فى كتابه لهذه المعاملات بأنها استثمار لا يعتبر تكييفا لها ولا بيانا لوصفها الشرعى ، ولا أدل على ذلك من أنه يقول إن الاستثمار معناه تنمية المال ، والعمل على زيادته ، كما ينمى صاحب الزرع زراعته حتى يحصل منه على الثمار ، وقد أفصح هو عن أن الاستثمار قد يتم فى عقود مسماة ، فنقل عن المعجم الوسيط أن « الاستثمار » استخدام المال فى الإنتاج إما مباشرة كشراء الآلات والمواد الأولية ، وإما بطريق غير مباشر كشراء الأسهم والسندات ، كما ذكر أن الاستثمار للأموال التى تصب فى خزائن البنوك له طرق متعددة ، من أهمها المشاركة والمرابحة والمضاربة ، ثم تحدث عن هذه العقود بشىء من التفصيل .

قد يقال إن الكتاب تضمن تكييفا لهذه المعاملات ، إذ جاء به أن أصحاب الأموال التى تقدم للمصارف وكلوا البنك عنهم فى أن يستثمر أموالهم ، ورضوا بالأرباح التى حددها لهم . ولكن يرد على ذلك بأن هذا التكييف يقدم وكالة لها أحكام لم يقل بها أحد ، فالوكالة كما يقول فقهاء الشريعة وعلماء القانون تتصرف فيها تصرفات الوكيل إلى الموكل إيجابا كانت هذه الآثار أو سلبا ، وللوكيل أجره إن كان يعمل بأجر ، أما أن تعود آثار التصرفات إلى الوكيل ويتحمل هو نتائجها ويعطى الوكيل للموكل (رب المال) مبلغا تحدد من قبل مقابل استثماره لهذا المال ، فهذا عقد آخر لا يمت إلى الوكالة بصلة من قريب أو من بعيد ، وأن الوصف الذى يمكن أن يوصف به هذا التصرف هو أن المصرف يستثمر المال لحسابه الخاص ، ويدفع لرب المال أجراً عن أمواله التى استثمرها البنك ، وتأجير النقود قرض ، وفى هذا المعنى يقول الجصاص : قال أصحابنا إذا أعاره دراهم ، فإن ذلك قرض ، ولذلك لم يجيزوا استئجار الدراهم لأنها قرض ، فكأنه استقرض دراهم على أن يرد عليه أكثر منها .

وأن وصف عائد النقود بأنه أجر ، أمر قالت به القوانين الوضعية ومن ذلك ما نصت عليه المادة ٥٤٢ من القانون المدنى المصرى من أنه على المقترض أن يدفع الفوائد المتفق عليها عند حلول مواعيد استحقاقها ، فإذا لم يكن هناك اتفاق على فوائد اعتبر القرض بغير أجر .

وتحدثت مواد أخرى عن أحكام القرض بأجر .

خامسا : الوقوع فى حيص بيص :

قال فى لسان العرب : وقع القوم فى حَيْصَ بَيْصَ ، وحِيصَ بِيصَ ، وحَيْصِ بَيْصِ ، وحَاصِ بَاصِ ، أى فى ضيق وشدة ، وقيل أى فى اختلاط من أمر لا مخرج لهم منه .

حــول شهــادات الاستثمــار

وإننا إذا اعتبرنا المعاملات المصرفية وما ماثلها مضاربة ، فإننا نقع فى حيص بيص ، فالمضاربة نوع من الشركات ، والقانون المدنى المصرى يبطل الشركة التى يقطع فيها الربح لأحد الشركاء . إذ تنص المادة ٥١٥ منه على مايأتى .

١ ـ إذا اتفق على أن أحد الشركاء لا يساهم فى أرباح الشركة أو فى خسائرها كان عقد الشركة باطلا .

٢ ـ ويجوز الاتفاق على إعفاء الشريك الذى لم يقدم غير عمله من المساهمة فى الخسائر بشرط أن لا يكون قد تقرر له أجر على عمله .

وقد استقر قضاء محكمة النقض المصرية على أن العقد الذى يشترط فيه قدر من الربح لأحد المتعاقدين ، هو فى حقيقته قرض لا شركة ، لأنه يشترط لقيام الشركة أن توجد لدى الشركاء نية المشاركة فى نشاط ذى تبعة ، وأن يساهم كل شريك فى هذه التبعة ، فإذا اشترط أحد المتعاقدين الحصول فى نهاية مدة العقد على مادفعه لتمويل العمليات ، وعدم تحمله شيئا من التزامات الشركة ، وأن يقدم له المتعاقد الآخر شهريا قدراً معينا من المبلغ المدفوع . فإن وصف هذا المبلغ فى العقد بأنه ربح غير صحيح ، إذ الربح لا يكون مؤكدا ولا معروفا مقداره سلفا . وهذا العقد هو فى حقيقته قرض ، والمبلغ المدفوع شهريا هو فائدة مستورة فى صورة ربح .

ولنا أن نتساءل عن الحكم إذا رأى أحد أطراف المعاملات المصرفية وماشابهها ، لسبب أو لآخر ، أن يطلب الحكم ببطلانها كشركة مضاربة ، استناداً إلى نص المادة ٥١٥ من القانون المدنى ، فدفع الطرف الآخر الدعوى بأن نص المادة المذكورة غير دستورى لمخالفته للمادة الثانية من الدستور التى تقضى بأن دين الدولة الإسلام ، ومبادىء الشريعة الإسلامية مصدر رئيسى للتشريع ، واستند فى ذلك إلى فتوى المفتى التى أجازت قطع الربح .

إن المحكمة الدستورية ستجد أن نص المادة ٥١٥ من القانون المدنى يتفق مع ماسار عليه المسلمون منذ عهد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وما اتفقت عليه المذاهب الإسلامية ، ولكنه لا يتفق مع فتوى المفتى وعدد من العلماء المحدثين .

هل للمفتى أن يخرج المحكمة الدستورية مما تقع فيه من حيص بيص بسبب فتواه ، ويبين لها هل المادة ٥١٥ من القانون المدنى تتفق مع مبادىء الشريعة أو مخالفة لها ؟

سادسا ـ عن الإجماع فى عدم جواز قطع الربح :

قال المفتى فى أكثر من مكان فى كتابه : إنه لا يوجد إجماع تطمئن إليه النفوس لتحريم تحديد الربح مقدما ، مادام هذا التحديد قد تم باختيار الطرفين ورضائهما المشروع .

ويحق لنا ـ ودون أن نعرض لإقرار الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الحكم ـ أن نقول ، ألا يكفى لاطمئنان نفس المفتى إلى هذا الحكم أنه هو ما التزمه الصحابة والتابعون ، وقال به جميع أئمة المذاهب الإسلامية وقدامى الفقهاء . ولم يعدل عن الأخذ به ـ كما يقول هو فى كتابه ـ إلا بعض الفقهاء المحدثين .

وفضلا عن ذلك فإن المفتى عند كلامه عن قول الصحابى كمصدر من مصادر الشريعة الإسلامية يقول : « الرأى الذى تطمئن إليه النفس ، أن قول الصحابى فى أمر اجتهادى لم

تتفق فيه كلمة الصحابة ليس بحجة ، ولكن علينا أن نأخذ بما لدينا من أقوالهم ، دون أن نخالف أقوالهم جميعا ، فإن مخالفة أقوالهم جميعا لا تصح ولا تليق » فما باله يخالف فى فتواه ما سار عليه الصحابة من عدم جواز قطع الربح فى المضاربة . لو أنه قال إن واحداً منهم أجاز ذلك فكانت فتواه متفقة مع رأيه فى حجية قول الصحابى ، ولكنه لم يذكر هو أو غيره أن أحد الصحابة قال بغير ذلك ـ كيف يتفق هذا المسلك منه مع قوله : إن مخالفة أقوالهم جميعا لا تصح ولا تليق .

وأغرب من ذلك أن المفتى ، الذى لم تطمئن نفسه إلى وجود إجماع على تحريم تحديد الربح مقدما ، يستدل على صحة ما يراه بحكم يقول إن الفقهاء أجمعوا عليه ، فإذا أورد قول هؤلاء الفقهاء وجدنا أن هذا القول يتضمن نفى وجود الإجماع الذى يقول به .

يقول المفتى : الذى أجمع عليه الفقهاء عند فساد عقد المضاربة بسبب تحديد الربح مقدما ، أن يصير العامل ـ وهو المستثمر فى المال ـ أجيرا عند صاحب المال ، وله أجره بالغا ما بلغ ، ولصاحب المال ما بقي من الربح فوق رأس ماله ، ونقل ما جاء فى فتح القدير عن ذلك وهو أن (عقد المضاربة يفسد باشتراط دراهم مسماة لأحد المتعاقدين ، والحكم فى كل موضع لا تصح فيه المضاربة ، وجوب أجر المثل للعامل والربح لرب المال لأنه نماء ملكه ، ولا يتجاوز بالأجر القدر المشروط عند أبى يوسف خلافا لمحمد) .

ألم ينتبه المفتى عند نقله هذه العبارات من فتح القدير إلى جملة (عند أبى يوسف خلافا لمحمد) ؟ إذاً لم يكن هناك إجماع فى مذهب واحد على ما يستحقه العامل فى المال إذا فسدت المضاربة ، فكيف يقال إن الذى أجمع عليه الفقهاء فى المضاربة الفاسدة هو أن للعامل فى المال أجره بالغا ما بلغ ؟ إن هذا القول هو رأى محمد أما أبو يوسف فيرى أنه لا يجوز أن يتجاوز أجر العامل القدر المشروط فى عقد الشركة ، وإن لم تربح فلا أجر له ، اعتبارا بالمضاربة الصحيحة ، فإنه إذا كان لا يستحق شيئاً : مع أنها فوق الفاسدة ، ففى الفاسدة أولى .

والاختلاف فى استحقاق العامل فى المال إذا فسدت المضاربة لا يقتصر على مذهب أبى حنيفة ، ففى مذهب أحمد رأيان كما عند أبى حنيفة .

ويرى ابن تيمية وابن القيم أن الصواب أنه يجب فى المضاربة الفاسدة ربح المثل ، فيعطى العامل ما جرت عليه العادة أن يعطاه مثله : إما نصفه ، أو ثلثه ، فأما أن يعطى شيئا مقدرا مضمونا فى ذمة المالك ، كما يعطى فى الإجارة والجعالة ، فهذا غلط ممن قاله ، وسبب غلطه ظنه أن هذه إجارة ، فأعطاه فى فاسدها عوض المثل كما يعطيه فى الصحيح المسمى . ومما يبين غلط هذا القول أن العامل قد يعمل عشر سنين أو أكثر ، فلو أعطى أجر المثل ، أعطى أضعاف رأس المال ، وهو فى الصحيحة لا يستحق إلا جزءاً من الربح ، إن كان هناك ربح . فكيف يستحق فى الفاسدة أضعاف ما يستحقه فى الصحيحة .

هل مع كل هذا الاختلاف فيما يستحقه العامل فى المال ، إذا فسدت المضاربة ، يقول المفتى إن الذى أجمع عليه الفقهاء عند فساد المضاربة بسبب تحديد الربح أن يستحق العامل فى المال أجره بالغا ما بلغ ، ثم يقول فى نفس الوقت أنه لا يوجد إجماع تطمئن إليه النفوس لتحريم تحديد الربح مقدما ، مع أنه لم يذكر أن أحداً من الفقهاء قال بغير ذلك سوى بعض الفقهاء المحدثين .

حــول شهــادات الاستثمــار

سابعا ـ عن القياس فى عدم جواز قطع الربح :

كرر المفتى فى أكثر من موضع من كتابه أنه لا يوجد قياس تطمئن إليه نفوسنا لتحريم المعاملة المصرفية التى تغل عائداً ثابتا لرب المال ، ففيها منافع للناس ، وليس فيها ما تأباه الشريعة التى تقوم على اليسر والسماحة والعدل .

وإنى أضع أمامه قياسا أورده العلماء ، وأنقل إليه ما قاله ابن تيمية فى هذا الصدد ، وأثبته ابن القيم أيضا فى كتبه ، وأطلب من المفتى أن يبين لنا وجه عدم اطمئنان نفسه إليه : « العمل الذى يقصد به المال ثلاثة أنواع » :

أحدهـا : أن يكون مقصوداً معلوما مقدورا على تسليمه ، فهذه هى الإجارة اللازمة .

والثانى : أن يكون العمل مقصوداً ، لكنه مجهول أو غرر ، فهذه الجعالة ، وهى عقد جائز ليس بلازم ، فإذا قال من رد على عبدى الآبق فله مائة ، فقد يقدر على رده ، وقد لا يقدر وقد يرده من مكان قريب وقد يرده من مكان بعيد ، فلهذا لم تكن لازمة لكن جائزة .

وأما النوع الثالث : فهو مالايقصد فيه العمل ، بل المقصود المال وهو المضاربة ، فإن رب المال ليس له قصد فى عمل العامل كما للجاعل والمستأجر قصد فى عمل العامل ، ولهذا لو عمل ما عمل ولم يربح ، لم يكن له شىء وإن سمى هذا جعالة بجزء مما يحصل من العمل كان نزاعا لفظيا ، بل هذه مشاركة ، هذا ينفع بدنه ، وهذا ينفع ماله ، وما قسم الله من الربح كان بينهما على الإشاعة . ولهذا لا يجوز أن يخص أحدهما بربح مقدر ، لأن هذا يخرجها عن العدل الواجب فى الشركة ، وهذا هو الذى نهى عنه ـــ ﷺ ـــ فى المزارعة ، فإنهم كانوا يشترطون لرب المال زرع بقعة بعينها ، وهى ماينبت على الماذيانات وأقبال الجداول (أى مسايل المياه وأوائل المساقى والأنهار الصغيرة) ونحو ذلك . ولهذا قال الليث ابن سعد وغيره : إن الذى نهى عنه ـــ ﷺ ـــ هو أمر إذا نظر فيه ذو البصر بالحلال والحرام علم أنه لايجوز ، أو كما قال : فبين أن النهى عن ذلك موجب القياس ، فإن مثل هذا لو شرط فى المضاربة لم يجز ، لأن مبنى المشاركات على العدل ، فإذا خص أحدهما بربح دون الآخر لم يكن عدلا ، بخلاف ما إذا كان لكل منهما جزء شائع ، فإنهما يشتركان فى المغنم والمغرم ، فإن حصل ربح اشتركا فى المغنم ، وإن لم يحصل ربح اشتركا فى الحرمان ، وذهب نفع بدن هذا كما ذهب نفع مال هذا ، ولهذا كانت الوضيعة (أى الخسارة) على المال لأن ذلك فى مقابلة ذهاب نفع العامل (الفتاوى جـ ٢٠ ص ٥٠٧ و٥٠٨ ـــ أعلام الموقعين جـ ٢ ص ٦) .

وواضح من هذا الذى أورده ابن تيمية أن شرط عدم جواز قطع الربح لأحد الشركاء ليس شرطا أدى إليه أجتهاد الفقهاء على ضوء المعاملات التى كانت سائدة فى أيامهم ، وإنما هو قياس للمضاربة على المزارعة ، وحكم المزارعة ثابت بحديث لاينازع فى صحته أحد .

ثامنا : المجامع الفقهية ودار الإفتاء :

ذكر المفتى أن من بين ما اعترض به على فتواه ، أن دار الإفتاء ليس من اختصاصها الإفتاء فى تلك الأمور العامة . كمعاملات البنوك ، وإنما هذه الأمور من اختصاص المجامع العلمية ، وقد حسمت هذه المجامع القول فى مسألة فوائد البنوك ، وما كان يصح لدار الإفتاء أن تخوض فى مسألة حسم القول فيها .

وأجاب المفتى عن ذلك بقوله : إن هذا الكلام غير صحيح من أساسه ، فالمجامع العلمية لم تحسم هذه المسألة ، بدليل أن كثيراً من المسائل التى تتعلق بالمعاملات المصرفية مازال الخلاف قائما حولها . وأن دار الإفتاء المصرية قد أنشئت منذ مائة سنة تقريبا ، أى أنها وجدت وقت أن كانت هذه المجامع فى عالم الغيب . وجميع هذه المجامع إما من أبناء دار الإفتاء أو من أحفادها . ودار الإفتاء التى تفتى فى دماء الناس ليس كثيراً عليها أن تفتى فى أموالهم . ومع ذلك فدار الإفتاء تحترم آراء المجامع العلمية . متى كانت هذه الآراء مستندة إلى الدليل الشرعى والفهم الصحيح .

ولنا على هذه الإجابة ثلاث ملاحظات هى :

١ ـ كان على المفتى أن يناقش النصوص القانونية التى استند إليها القائلون بأن اختصاص دار الإفتاء لايمتد إلى المعاملات المصرفية ، ولايكفى أن يقول أن دار الإفتاء أنشئت قبل المجامع الفقهية . وأن المجامع من أبناء دار الإفتاء وأحفادها ، وأنه ليس كثيراً على دار الإفتاء التى تفتى فى دماء الناس أن تفتى فى أموالهم ، فالاعتراض لايتعلق بالقدرة العلمية والاختصاص أذكر أن قانون الإجراءات الجنائية فى مصر يوجب على محكمة الجنايات قبل الحكم بالإعدام ، أن تأخذ رأى المفتى ، والمفتى الذى يجب أخذ رأيه هو المفتى على رأس العمل . فإذا طلبت المحكمة الرأى من شيخ الأزهر الذى كان يشغل من قبل وظيفة المفتى ، فإنها تكون قد خالفت القانون ، ورغم أن رأى المفتى ليس ملزما للمحكمة ، فإن الحكم الذى تصدره بعد أخذ رأى شيخ الأزهر يكون باطلا . ولايقبل القول ـ فى سبيل تصحيح حكم المحكمة ـ أن شيخ الأزهر الذى أخذت المحكمة رأيه ، كان يشغل من قبل وظيفة المفتى وهو أهل لإبداء الرأى فى القضية التى أخذ رأيه فيها . كما أن مستشارى محكمة الجنايات الذين يحق لهم الحكم بالإعدام ، لايحق لهم أن يحكموا بالغرامة فى جريمة اعتداء بالضرب ، إلا إذا كانت هذه الجريمة مرتبطة بجناية معروضة عليهم .

٢ ـ لو صح أن هناك مسائل تتعلق بالمعاملات المصرفية لم تحسم بعد ، فإن مما حسم منها حكم الفوائد المصرفية ، وأكتفى هنا بذكر ما قرره مجمع البحوث الإسلامية فى مؤتمره الثانى الذى عقد بالقاهرة فى عام ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م فى شأن المعاملات المصرفية ـ فمن قراراته المتعلقة بالفوائد :

١ ـ الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم ، لافرق فى ذلك بين مايسمى بالقرض الاستهلاكى ومايسمى بالقرض الإنتاجى . لأن نصوص الكتاب والسنة قاطعة فى تحريم النوعين .

٢ ـ الحسابات ذات الأجل ، وفتح الاعتماد بفائدة وسائر أنواع الإقراض نظير فائدة ، كلها من المعاملات الربوية المحرمة .

ولايؤثر على ذلك أن يقول المفتى إن شريعة الإسلام لاتعرف شيئا اسمه القروض الإنتاجية أو الاستهلاكية ، وإنما الذى تعرفه أن القروض أو الديون تعطى للمحتاجين لضرورات الحياة . ولايصح لعاقل أن يقترض أو يستدين إلّا من أجل ذلك ـ وأن ما يعطى للمصرف يكون لاستثماره ، وما يعطيه المصرف للأهالى هو أيضا بقصد الاستثمار والمشاركة فى الربح . هذا القول من المفتى لايغير شيئا من قرارات مجمع البحوث الإسلامية ، لأن المجمع عندما بَيَّنَ حكم الفائدة فى القروض الإنتاجية ، كان يعنى ما أسماه المفتى استثمارا ، والعبرة بالمسميات لا بالأسماء . والواقع أن المفتى اضطر إلى إنكار وجود ما يسمى بالقروض الإنتاجية أو

البقية ص ٥٥٩

الفتاوى

● س : هل الالتفات فى الصلاة يبطلها أم لا ؟

إبراهيم عبدالصمد ـ البحيرة

جـ :يكره الالتفات أثناء الصلاة يمينا أو شمالا ، ولكنه لايبطلها ، فإذا بلغ إلى حد استدبار القبلة بصدره كان مبطلا لها ، روى البخارى عن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الالتفات فى الصلاة قال : هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد » وإنما سمى الالتفات اختلاسا لأن المصلى يقبل على الله عز وجل ، ويترصد الشيطان فوات ذلك عليه فإذا التفت سلبه ذلك ، والحديث يدل على كراهة الالتفات فى الصلاة لأنه يتنافى مع الخشوع ، ولما فيه من الإعراض عن التوجه إلى الله والإقبال عليه ، لما أخرجه النسائى وأحمد وابن ماجه عن أبى ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « لايزال الله مقبلا على العبد فى صلاته ما لم يلتفت ، فإذا صرف وجهه انصرف » ، وأخرج الترمذى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إياك والالتفات فى الصلاة فإنه هلكة » ، وذلك لإخلاله بأفضل العبادات ، وأى هلكة أعظم من هلكة الدين .

إعداد : أحمد السيد تقى الدين

متى يجوز للمرأة المتزوجة أن تتزوج إذا غاب عنها زوجها

● س : انا سيدة متزوجة اختفى زوجى منذ خمسة اعوام او يزيد ، ولا اعلم مكانه ، ولا يراسلنى ، ولا ادرى احى هو ام ميت ، وانا لا ازال فى ريعان شبابى ، واخشى على نفسى من الانحراف ، فهل يجوز لى ان اتزوج زواجا عرفيا دون اللجوء إلى الطلاق ام لا ؟ وماذا افعل ؟

جـ : بما أن زوجك لايعرف مصيره ، ولا فى أى مكان هو ، ولا يراسلك ، وقد مضى على اختفائه خمسة أعوام أو يزيد ، وأنت مازلت فى ريعان شبابك وتخشين على نفسك من الانحراف والانغماس فى أوحال الرذيلة ، فإنه يجوز لك شرعا أيتها الأخت المسلمة أن ترفعى أمرك إلى القضاء فالقاضى ولى من لا ولى له ، وبعد ان يقوم بدراسة حالتك سيصدر حكما بطلاقك ، وبعد انقضاء عدتك لك أن تتزوجى بمن شئت ، واعلمى أنه لايجوز لك أن تتزوجى زواجا عرفيا

من غير أن ترفعى أمرك إلى القضاء ليصدر حكمه بالطلاق ، وإلا كان زواجك باطلا ويعتبر زنا وهو من الإثم بمكان كبير .

طلاق المكره لايقع

● س : ما راى الدين فى طلاق المكره ، حيث انه لو لم يستجب لمن اكرهه لاوقع به ضرراً عظيماً ؟ وهل يجوز له ان يراجعها علما بان الطلاق الذى صدر منه كان «بالثلاثة» ؟

محمود ا ح ـ سوهاج

ـ جـ : اتفق الفقهاء على أن الزوج البالغ العاقل المختار هو الذى يجوز له أن يطلق وأن طلاقه يقع ومن أكره على الطلاق لايقع طلاقه لأن المكره لا إرادة له ولا اختيار ، وهو فى الواقع ينفذ إرادة المكره ، فقد روى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » أخرجه ابن ماجه وابن حبان ، والدارقطنى ، والطبرانى ، والحاكم ، وإلى هذا ذهب مالك والشافعى وأحمد وداود من فقهاء الأمصار وبه قال عمر بن الخطاب وابنه عبدالله ، وعلى بن أبى طالب وابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ أجمعين وذلك خلافا للإمام أبى حنيفة وأصحابه فإنهم قالوا بوقوع طلاق المكره ، وعليه فإن هذا الرجل الذى طلق زوجته ثلاثا فى مجلس واحد تحت تأثير الإكراه لايكون طلاقه واقعا على ماذهب إليه جمهورالفقهاء وعلى القول بوقوعه عند أبى حنيفة

فإنه يعتبر طلقة واحدة رجعية من الناحية القانونية ما لم تكن مكملة للثلاث فله أن يراجعها قبل انقضاء العدة فإذا انقضت العدة قبل المراجعة صار الطلاق بائنا بينونة صغرى بمعنى انه يعقد عليها من جديد بعد أخذ موافقتها

الاسلام لايمنع المرأة من تولى الوظائف

● س : ما راى الإسلام فى ممارسة المراة للوظائف العامة ؟

منى عبدالمجيد ـ المحلة

جـ : الشريعة الإسلامية لاترى مانعا من أن تعمل المرأة فى الميادين التى تستطيع أن تعمل فيها وتؤهلها لها كفاءتها ومواهبها الفطرية وتكوينها الأنثوى كالطب والتدريس والتمريض لتزاوله مع بنات جنسها ، وكل مايطلب من المراة حال اختلاطها الضرورى بالرجال ، ومباشرة بعض الأعمال التى توكل إليها هو البعد عن التبرج وكل ما من شأنه أن يثير الفتنة محافظة على أخلاق المجتمع وحرصا على كرامة المراة نفسها ، وعلى أن يكون ذلك بموافقة زوجها .

الشيخ أحمد شحاتة

بقلم أحمد حسين النمكى*

ولد هذا العالم الجليل بمدينة جرجا إحدى مدن الصعيد ، التابعة لمحافظة سوهاج ، عام ١٨٩٠م ، حفظ احمد شحاته القرآن الكريم ولم يتجاوز الحادية عشرة ، وكان ذلك على يد والده الشيخ شحاته ، وكان والده يعمل محفظاً للقرآن الكريم ، وكان على درجة عالية من الفقه والعلم ، من ثم نشا ابنه محباً للعلم ، لا سيما العلوم والدراسات الإسلامية .

بدات علامات النبوغ والذكاء تبدو على الشيخ احمد شحاته فى حبه للاطلاع والدرس ، وحفظ المتون والمنظومات فى دراسة وتجويد القرآن ولا سيما أن عصره كان عصراً مليئا بهذه المنظومات التى تقوم بتلخيص العلوم فى قوالب واشعار تعليمية ، حتى إن الشيخ أصبح علماً فريداً فى ذلك[1] .

ظل الشيخ أحمد شحاته بمدينة جرجا يتلقى على شيوخها علوم الدين والدنيا ، وكان من شيوخه الشيخ محمد بن حامد المراغى ، وكان آنذاك شيخ عصره ، وله العديد من المؤلفات فى علوم الدين والتفسير والحديث والفقه ، والقراءات والتاريخ والأدب ، ومن هذه المؤلفات ثلاثة كتب (مجلدات) عن تاريخ مدينة جرجا[2] تحت عنوان : تعطير النواحى والأرجاء بذكر من اشتهر من علماء ، وبعض أعيان جرجا » . وكان شيخنا أحمد شحاته تلميذاً لهذا العالم الجليل المراغى . والجدير بالذكر أن المراغى هذا من أقرباء الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر .

لم يرد أحمد شحاتة أن يكتفى بما حصله من علم على يد علماء جرجا ، فقد كان يطمح أن يصل إلى الذروة ، ويشعر أن ما حصله لم يعد كافياً لأن يركن إليه . لذا قرر السفر إلى الجامع الأحمدى بطنطا ، وهناك حصل من علم القراءات وعلوم القرآن بصفة عامة ، وعلى الرغم من ذلك أراد أن يختم طوافه بالدراسة فى الأزهر

* الكاتب : ماجستير فى التاريخ الإسلامي .

(١) توجد منظومات عديدة للشيخ فى علم تجويد القرآن ، والقراءات ، ولم تزل هذه المنظومات خطية تحتاج إلى من يحققها .

(٢) توجد هذه المجلدات مخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم : ١٠٦٤٩ ، ٣٥٠٩٦ ، ٤٧٩١٢ .

بالقاهرة ، ورحل إلى هناك ومكث وتعلم ودرس على يد الكثيرين من علماء الأزهر الشريف . فدرس الأدب والنحو والصرف وعلوم اللغة والتفسير والحديث ، والأصول ، والفقه وغير ذلك . ثم عاد إلى جرجا ليجد أمامه مرة ثانية الشيخ المراغى الذى ظل تلميذاً له حتى توفى الشيخ المراغى .

ومما ذكره الشيخ أحمد شحاته فى ديوانه[٣] أن المراغى موسوعة علمية ، وله باع طويل فى العلم ، فقال :

نمقت راحتـاه خمسـين سفـراً
كل سفر يطوى هدى واعتبـارا
وبعلم التـاريـخ كـان فـريـداً
مثلما كان فى الثوى[٤] لا يبارى

حصل أحمد شحاته على إجازة بخط الشيخ المراغى وختمت بخاتمه يجيزه فى جميع مروياته[٥] . وكان هذا الحبر الجليل عالما كبيراً فى فقه المالكية ، وتشير الإجازة إلى شهادة الأستاذ للتلميذ بتمكنه فى الفقه المالكى ، وشهادة أخرى بعلمه وأدبه .

ولما توفى الشيخ المراغى أحس الشيخ أحمد شحاته كأن الدنيا قد تغير لونها ، وكأنها قد خلت من العلماء ، فقال فى رثائه :

هـات يـاعـين دمـعـك المـدرارا
واسبقـى فى مسيلـك الأنـهـارا
وإذا جفـت الـدمـوع فـهـات
من مـآقيـك كـالعقيق احمـراراً
واتـرعى يـانفـوس علقم حـزن
وانفثى يـاضلـوع فيـك جمـارا
وتفتـت مـن الأسى يـافـؤادى
فلقـد عضـك الـزمـان مـرارا
فعـلى[٦] من نحـو عـامـين ولى
وتـلاه ابـن نـوفـل[٧] فتـوارى
بـعـده حـافظ[٨] ووالاه مـولا
نا المراغى[٩] فما وجدنا اصطبارا
فعجبت للتبـر يـدفن فى التُّرْ
بِ ولكـن لا نـغـلـب الأقـدارا
فـاهجعى ياصحـائف العلم دهراً
إن حبـر العلـوم للقبـر صـارا
وَ احَدِيثَ الـرسول فـابك همـاما
كـان يـوليـك همـه واقتـدارا

وعلى أية حال ، كان الشيخ أحمد شحاته شاعراً نابغاً ، ولا سيمـا فى نظم الشعر التعليمى ، حتى إنه ترك العديد من المنظومات التى كان يعتمد عليها تلاميذه الدارسون للقراءات ، والتجويد ، والفقه ولازالت هذه ، المنظومات مخطوطة[١٠] ، ومما هو جدير بالذكر أن هذا الرجل كان عاشقاً للكتابة ، بيد أنه لم

---

(٣) لم يزل هذا الديوان مخطوطا بيد الشيخ ، ونعده للتحقيق والنشر .

(٤) الثوى : ثوى بالمكان يثوى بالكسر (ثواء) ، و(ثويا) مضى أى اقام به . « مختار الصحاح ، ص ٩٠ مادة ثوى » .

(٥) هذه الإجازة لدى صورة منها حصلت عليها من الشيخ محمد الطاهر أحمد شحاته . ووجدناها ضمن مخطوطات مبعثرة فى مكتبة الشيخ . ووجدنا إجازة أخرى بخط يد الشيخ احمد شحاته لاحد تلاميذه الذين اتموا قراءة المصحف على يد الشيخ بعد دراسة القراءات العشر ، والاربعة الشواذ كذلك ولكن يبدو أن صاحبها لم يحصل عليها ، ولا ندرى سر بقائها لدى الشيخ وحرمان الطالب منه .

(٦) على : هو الشيخ على المملوك ، أحد الشيوخ الذين تلقى عنهم أحمد علم القراءات، ويقال: إن على المملوك لم يعلم غير قراءة ورش ، ثم تدور الأيام ويتعلم أحمد شحاتة القراءات كلها بشواذها ، ثم يعلم استاذه بطلب منه ما تعلمه تلميذه أحمد من القراءات .

(٧) نوفل : هو الشيخ إبراهيم نوفل ، وابنه محمود نوفل ، وكانا من اكابر العلماء الصوفية بجرجا .

(٨) حافظ : أحد شيوخ احمد شحاتة .

(٩) هو محمد بن محمد بن حامد المراغى .

(١٠) وجد منها بعض نسخ مطبوعة ، ويبدو ان ذلك كان تيسيراً لطلابه .

من اعلام الأزهر

أحمـــد شحاتـــة

يفكر إطلاقا لأن ينشر ما يكتب ، ولكنه فى نفس الوقت لم يكن ليتراجع لأن يراسل الصحف أو المجلات العلمية التى نشرت له بعض مقالاته فى الرد على الذين نادوا بكتابه المصحف الشريف على الرسم العصرى[11] .

كان الشيخ أحمد جريئا قويا فى الحق ، وكانت علاقاته الشخصية لا تمنعه من الرد على كل من يتصدى لقراءة القرآن وتجويده ، ثم يلحن فيه . وإن كان ذلك من أقرب المقربين . وروى أنه كان يذهب إلى السهرات الليلية فى الاحتفالات الكبرى يستمع إلى الشيخ القارىء ، فإذا ظل الشيخ أحمد شحاته إلى آخر السهرة ، فإن ذلك معناه أن الشيخ كان راضيا عن قراءة الشيخ « القارىء » ، وحينئذ ينال القارىء إعجاب الناس لأنهم أدركوا بمعرفتهم عن هذه الميزة التى يتميز بها الشيخ أحمد شحاته على كل علماء القراءات فى بلده ، وكذلك علماء تجويد القرآن أنه نال إعجاب الشيخ أحمد شحاته .

أحمد شحاته شاعراً :

كان الشيخ أحمد شحاته له شعره الجيد ، حتى إن القارىء إذا قراه علم أن كاتبه شاعر مطبوع ، لا يتكلف فيه ، وإلى جانب اهتمامه بالشعر التعليمى كان مهتما بالشعر « مديحاً - ورثاء » - وهجاء - وشعرا صوفيا » وله ديوان ضخم يعطينا فيه صورة واضحة عن عصره ومجتمعه .

كان شعره يأخذ طابعا مميزا ، فلا غرابة فى اللفظ ولا غموض فى المعانى ومع ذلك كان شعره يذخر بالصور والتراكيب ، وكان شعره نابعا عن صدق فى الإحساس وتجربة وجدانية لا افتعال فيها ، وإذا قرانا مرثيته فى الشيخ محمد سليمان التى يقول فيها :

ياواعظا صدقت فى الوعظ همته
فطاب غرسك أن طابت نواياكا[12]
نشرت علمك لا تبغى المراء به
حتى قمعت بسيف الحق افاكا
وقمت بالوعظ بالحسنى فكان له
زهر القبول ومرعيا بسقياكا
ياأيها الواعظ المحبوب تكرمة
قد صغتها فيك تقديرا لمعناكا
سر ياسمى شفيع الخلق مغتبطا
مهما بعدت ففى الأفكار مرآكا

هنا نجد حلاوة المعانى والصور ، وصدقا فى التعبير ، فإنه لم يكتب الشعر من أجل العطايا والنوال وإنما كان يكتب شعره تحت لحظات تأثير ، وفى مواضع أخرى نجد الشيخ أحمد شحاته يعبر عن رأيه السياسى ، حتى إنه عرض نفسه للسجن والمساءلة اكثر من مرة ، مما جعله يفصل من عمله ، وحورب فى لقمة عيشه ، وعمل محفظا للقرآن حتى لا يخضع فى رأيه لضغوط الحكام ، وتوفى الشيخ أحمد شحاته إلى رحمة الله تعالى فى ١٨/٧/١٩٧٢م وترك لنا تراثا يحتاج للتحقيق ، فهل من معين ؟!

---

(١١) راجع ردوده فى مجلة الإسلام عدد ١٦ ، يوليو ، ١٩٣٦ م ص ١٤ - ١٦ واعداد أخرى من نفس المجلة .

(١٢) نوايا : جمع نواة ، والشيخ يريد هنا النية التى جمعها نيات ، وليست نوايا ، وفى الحديث الذى رواه البخارى يقول : « انما الأعمال بالنيات .... »

« البخارى حـ ١ ص ٩ »

زائر كريم

تقديم/ عادل خفاجة

زائر من سنكيانج

حَلَّ - بمصر ضيفاً كريماً - الحاج محمد صالح - مدير المعهد الإسلامي ونائب رئيس المجمع العلمي للأبحاث الدينية بسنكيانج - بجمهورية الصين الشعبية - قادماً منها، تلبية لدعوة مصر؛ للاشتراك في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

وقد حظي بتكريم السيد رئيس الجمهورية محمد حسني مبارك؛ الذي منحه وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى في السابع من شهر ربيع الأول من هذا العام

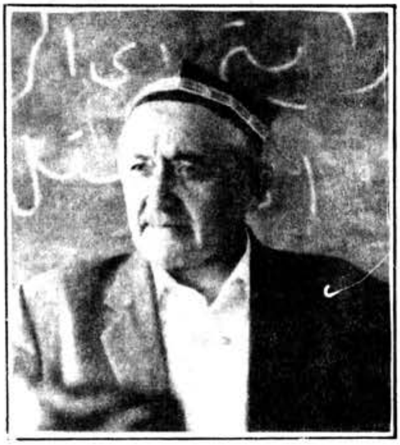

وقد هيأ الله لنا فرصة للقائه فاغتنمناها بغية التعريف بإخوة لنا شرح الله صدورهم إلى الإسلام من قديم، وتعريفاً به، قال فضيلته:

● إنه يعمل مديراً للمعهد الإسلامي بـ (سنكيانج) بمدينة (أورومتشي) بجمهورية الصين الشعبية.

● حفظ فضيلته القرآن الكريم عندما بلغ سن الحادية عشرة، ثم شرع في تعلم اللغة العربية على يدي والده - رحمه الله - الذي كان عالماً كبيراً من علماء بلده.

● ثم التحق بمعهد العلوم الإسلامية بالعاصمة الصينية « بكين ».

زائــر كــريم

● ثم عمل باحثاً بمعهد العلوم الاجتماعية .

● فمديراً للمعهد الإسلامى الذى يعمل أستاذاً فيه لمادتى : الحديث والتفسير .. وغيرهما من العلوم الإسلامية والعربية . ومن أعماله :

* ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الأيغورية . (١)

* وترجمة « جواهر البخارى بشرح القسطلانى » وهى سبعمائة حديث مختارة من صحيح البخارى لفضيلة الشيخ عمارة .

* وترجم « نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين » تأليف محمد بك الخضرى التى تنشرها تباعاً وحالياً مجلة الأزهر .

وقد طبع من كل من هذه الأعمال مائتا ألف نسخة ، لاقت إقبالاً كبيراً من المسلمين فى الصين .

* وله أيضاً تفسير جزءى « عم » و« تبارك » طبع منهما سبعون ألف نسخة .

* وانتهى مؤخراً من إعداد معجم « عربى - أيغورى » مازال تحت الطبع .

وسألته عما إذا كان قد زار مصر من قبل ؟ .

فأجاب : « كم كنت مولعاً أن ادرس فى مصر ، وفى الجامع الأزهر ، ولكن لم تُتَح لى هذه الفرصة ، وهذه أول مرة أزور فيها بلد الأزهر » .

وعما إذا كان يوجد « مفتى » فى الصين يضطلع بأمور المسلمين هناك ؟

قال فضيلته : لا يوجد مفتى فى الصين ، بل هناك جمعيات إسلامية تشرف على جميع القضايا الإسلامية ، وهناك إدارات دينية حكومية إقليمية تتبع الإدارة المركزية . كما أننا - فى الصين - لا يفوتنا أن نحتفل بالعيدين ومولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى البيوت وفى المساجد ، وفى مولده - صلى الله عليه وسلم - يقرأون « الختم الصغير » ، وهو بعض آيات من القرآن الكريم ، ثم يقرأون (المولد النبوى) للبرزنجى « باللغة العربية » . كما يقرعونه فى مناسبات دينية أخرى ..

● وعن شهر رمضان .. قال فضيلته : إنهم فى بعض المساجد يحرصون على تلاوة القرآن الكريم كاملاً موزعاً على الشهر كله فى صلاة التراويح ، وهم يصلونها عشرين ركعة ، وأضاف : إن المذهب السائد هناك هو المذهب الحنفى .

ثم انتقل حديثنا إلى معهد العلوم الإسلامية ، الذى يشرف عليه فضيلته ، ويضطلع بإدارته ، فقال :

● « معهد العلوم الإسلامية» بمنطقة سنكيانج » بمدينة « أورومتش » هو المعهد الوحيد من هذا النوع فى المنطقة ، وقد أنشىء حديثاً سنة ١٩٨٧ م أى منذ أربع سنوات ، وحظى باهتمام بالغ من الشباب ، فالتحق به فى العام الأول تسعون طالباً ، ونسعى إلى توسعته .

● مدة الدراسة بالمعهد خمس سنوات (بعد الثانوية) .

● ويهتم المعهد بتخريج أئمة المساجد ، والعاملين بالتدريس فى المدارس الإسلامية المحلية .

● تقام بالمعهد دورات تدريبية - على فترتين - لأئمة المساجد ، مدة كل منهما خمسة أشهر لكل دورة .

● وبالمعهد مكتبة أنشئت حديثاً تضم العديد من الكتب الإسلامية والدراسية والثقافية .

(١) اللغة الأيغورية : هى اللغة الشائعة بين أهل سنكيانج ، وهى لهجة من اللغة التركية (مجلة الأزهر) .

المواد الدراسية بالمعهد :

وعن المواد الدراسية قال : يدرس الطلاب (اللغة العربية ـ والنحو والصرف ـ وعلوم البلاغة والفقه ـ وأصول الفقه ـ والحديث وقواعده والتفسير ـ والتوحيد والقراءة والتجويد ـ والتاريخ الإسلامي) ، بالإضافة إلى المواد الثقافية مثل اللغة الصينية ـ والجغرافيا ـ والتاريخ .

ويقيم الطلاب بالمعهد إقامة دائمة ؛ حتى تتوافر لهم فرصة التحصيل الجاد ، وتتولى الحكومة دفع الرواتب وجميع نفقات الدارسين .

طريقة تدريس اللغة العربية لأبناء الصين :

وقال فضيلته : إن اللغة العربية هى أشرف اللغات ؛ لأنها لغة القرآن الكريم ، ولغة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولذلك يجب على كل من أراد أن يتعلم العلوم الدينية أن يتعلم اللغة العربية أولاً .

أما عن طريقة تعليمها ، فإنا نعتمد على الطريقة المتبعة ، وهى تعليم الحروف الهجائية فى (الكتاتيب) ، عن طريق تدريس كتاب [قاعدة بغدادية] ، وعن طريقه يتعلمون القراءة أيضاً ، ويشتمل الكتاب نفسه على جزء « عم » والكتاب يطبع فى الصين والهند وباكستان .

كذلك نقوم بتدريس العربية بطرق حديثة .

وتدرس مادة التوحيد من كتاب « التوحيد » للإمام محمد عبده ، بالإضافة إلى دروس التجويد التى تدرسها بعض الجامعات الإسلامية .

وفى الأدب تم إضافة الأدب العربى الحديث إلى جانب الأدب العربى القديم ، ويحصل الطالب ـ حالياً ـ على شهادة تفيد تخرجه ، فأما فى الماضى فلم يكن للطلاب امتحان بل ثمة حفل تتم فيه إجازة الطالب ، كما كان الحال فى الأزهر قديماً .

ومضى يتحدث عن والده فقال :

كتب والدى ـ رحمه الله ـ قصيدة يحثنى على حفظ (ألفية ابن مالك) ، كان مطلعها :

مسائل النحو فى ألفية جمعت
فيها قواعد ما من غيرها سمعت
محمد قد تسمى باسم جامعها
فذا دليل على عليائه ارتفعت

وكذلك كتب ـ رحمه الله ـ قصيدة أخرى يشجعنى فيها على تحصيل « هداية النحو » وكان مطلعها :

هداية النحو ضاعت من مسائلها
عقول أهل العلا والفضل والأدب
لا سيما منهموابنى ذا محمد الس
باق فى الجد والإخلاص والطلب .
ابقاه ربى مدى الأيام مرتدياً
بحلة العلم فينا عالى الرتب

قلت لفضيلته : يبدو أن والدكم ـ رحمه الله ـ كان شاعراً مُجيداً ، فأجابنى مبتسماً : كان شاعراً نحريراً ، وكان عالماً من علماء بلده ، حضر ضمن الوفد الصينى الذى زار مصر عام ١٩٥٥ ، وقال قصيدة عن مصر أذكر منها هذه الأبيات :

وما مصر إلا جنة عبقرية
تجلت بأنوار الهدى والمعارف
فأعجبنا الأهرام فيها وسرنا
لقاء الكرام الأتقياء الأشارف
نحارير سباقون فى العلم والهدى
فأكرم بها من كل هادٍ وعارف

ثم استطرد قائلاً : لقد تألمت كثيراً لوفاته ، ورثيته بأبيات منها :

كنت أشكو الفراق إذ أنت حى
كيف لى الصبر فيك بعد وفاة

زائــــــر كــــــريم

قد تركت ابنك الحزين غـريقاً
في بحار (الحموم)[1] والحسرات
نـوَّر الله تـربـة أنـت فيـهـا
وسقـاهـا بـوابـل الـهـاطـلات
مـن رضـاء ورحمـة ونـوال
وصنـوف الاكـرام والنـعمـات
يجمـع الله بيننـا يـوم حشر
في ريـاض الفـردوس والجنـات

فقلت : يبدو لي أن فضيلتكم محب للشعر ، فبادلني قائلاً : « من شابه أباه فما ظلم » . ثم استطرد قائلاً : « لقد ألقيت قصيدتين بين يدي العاهل المغربي الملك الحسن الثاني » .

كان مطلع الأولى :

جئت من أقصى بلاد الصين إذ
كنـت مشغـوفـاً بحـب المغـرب
إننـي جئـت لألقـى إخـوة
رحبـوا بـي كـالشقيق الأقـرب

ومطلع الثانية :

فيض الدموع على الخدين هتان
من لوعة الحب قلبي اليوم ولهان
أرنو إلى المغرب الأقصى المحبب إذ
تـأجحت في فؤادي منـه نـيران
هـواك يلهمني شعراً فيعـذب لي
بـه غنـاء وتـغـريـد وألحـان

وعندما حضرت إلى مصر كتبت قصيدة « تحية المولد الكريم » ، وهي قصيدة في مدح الرسول الأعظم ، جاء فيها :

بَسَمَ الـزمـان بمـولـد المختـار
والكـون أشرق ليلـه كنـهـار
نجم تـلألأ في ديـاجـير الـدجى
بـدر تـألـق في سمـاء فخـار
تهفو القلوب مدى الزمان إلى هدى
الهـادي الشفيع السيـد المختـار
والله شرف قـدر خـير الأنبيـا
فـوق السمـاء عـلاه والأقمـار
أوصـافه الغـر الحسان مضيئـة
كالشمس تشرق في انتصاف نهار
كم من ليـال عـاشهـا متفـرداً
متقـربـا متـعبـداً في الـغـار
قد قام فيهم داعيا يدعو إلى الـ
تـوحيـد والإخـلاص والإيثـار
نشر الفضيلـة والعدالـة والهـدى
ومحـا الظـلام بسـاطـع الأنـوار
من يتبـع هَدْيَ الـرسول فـإنـه
يحظى بـرضـوان الإلـه البـاري
يامصر ياخـير البلاد ومنبـع الـ
عـرفـان والفضـلاء والأخيـار
قـدمت للإسـلام أعـلام الهـدى
يـامـوطـن الـعلمـاء والأبـرار

قلت لفضيلته : يبدو انكم تبذلون جهداً في التدريس بالمعهد ـ فضلاً عما سبق ، قال :

« إنني أدرس التاريخ الإسلامي والأدب العربي أيضاً ، وإن كان واجبي خدمة العلوم الإسلامية أولاً ، يشجعني ويدفعني إلى ذلك الحديث النبوي الشريف :

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

(١) لعله يقصد الهموم .

الشعر والشعراء

رشاد محمد يوسف

إن ربك لبالمرصاد

امتشق من فكرك المضيء حسامًا

أيها الإنسان

إن ربك لبالمرصاد

للشاعر المصرى
السيد الصديق حافظ

قد يَبتلِى اللهُ الشعوبَ إذا طَغَتْ بالظالمين !
سيفاً يُجَرِّدُهُ على أعناق قومٍ فاسقين !
حتى إذا فرحوا بما أوتوا مَضَوْا فى الهالكين !
فكلاهما - الجلاد والمجلود - بالسُّوءى قمين[1] !

***

الشعب يصنع كُلَّ طاغيةٍ وصدَّامٍ مهين
ويعود يصرخ من مظالمهم فلا يجد المعين !
والناس إن صَلَحَتْ وُلاتُهُمُو أقاموا صالحين !
فإذا تولى الأمرَ شيطانٌ تَوَلَّوْا مفسدين !

***

شعب «العراق» بما جنى «الهدَّامُ» مأخوذٌ رهين !
قد فرطوا فى جنب خالقهم فمزَّقهم عِزين[2] !
إن القرى إن أسرفت أُخِذت بذنب المترفين !

***

ما كان «صدَّام» ليصدم وحده تلك السنين
فَلَقَلَّمَا[3] يَقْوَى الطغاةُ بغير عون المجرمين !
القاسطين ويحسبون نفوسَهم فى المقسطين[4]
مردوا على مرض التعالى واهتضام الآخرين !

---

(١) قمين = جدير بها واهل لها .
(٢) فرقهم «عزين» «عن اليمين وعن الشمال عزين» اى جماعات .
(٣) قلَّ ما = اى من القليل جداً .
(٤) القاسطون = الظالمون
المقسطون = العادلون مردوا = اعتادوا . اهتضام = ظلم .

امْتَشِقْ حَرْفَكَ المُضِئَ حساماً

شعر أحمد محمود مبارك

كيف تغضى عن فتنة وبلاء ... وتجنى الأعداء والعملاء
ووجوهٍ يُخْفِى وداَ كذوب ... حِقْدُها السارى فى كرات الدماء
ويوارى قناعها ظلمات ... قد كساها الخداع ثوب الضياء

*

قد تعالى فى ساحة الحرف صوتٌ ... يتباهى باللُكْنَةِ الشوهاء
ويشيع الغثاء فى أفق الفكر ... ويرمى بالغيم وجه الصفاء
يطعن الضاد والتراث ويزرى ... بعطاء الأجداد والآباء
ويبث التغريب سما زعافا ... فى يراع الكتاب والشعراء
يدعى أنه يريد جديدا ... وخلاصا من ربقة القدماء
وجديد الدَّعِىِّ غَثٌ قَمِىءٌ ... وخليق بجفوة وازدراء

*

بَدِّدِ الغيم يايراعا أصيلا ... بالجديد الجدير بالاحتذاء
من جذور الصلاح والخير ينمو ... ثابت الاصل، سامقا فى السماء
عربى السمات ليس مريبا ... وَصَمَتْهُ ملامح الغرباء
شامخا يزدهى بأصل عريق ... لا يعانى مذلة اللقطاء

*

هاهى الضاد حولها ألف وغد ... بيديه أسنة البغضاء
والتراث المجيد قد حاصرته ... بدهاء جحافل الضراء
أشرع الحرف يايراعا جسورا ... بقصيد مؤجج بالفداء

افتد الضاد إنها لغة القرآن من كل هجمة واعتداء
وادفع الكيد عن تراثك واكشف ما يحيكونه له فى الخفاء
وامتشق حرفك المضىء حساما ... فى سبيل الشريعة الغراء

أيها الإنسان

للشاعر
محمد عبد الرحمن صان الدين

ايها الإنسان ماذا تبتغيه من حياة
حسنها الخلاب وهم مثل آل فى فلاة
خلفه المخدوع يعدو لاهثا ظامى اللهاة
يقحم المحظور والأشواك فى تيه الشتات
ثم يمضى خاوى الكفين فى غيب الوفاة

★★★

ياترى هل انت صيد فى الدنا أم انت شُصّ
ياترى هل أنت مسروق بها أم انت .. لِصٌّ !
هل مع الأحداث صلب شائك أم أنت رَخْصُ
هل بسفر الدهر معنى عابر أم أنت .. نص
أنت مهما كنت تبدو فى كمال .. فيك نقص

★★★

كم توارى الحق عنا فى غيابات الظنون
هاجس الحوباء[1] فينا هز أركان اليقين
آفة فى الناس كانت لوثة العقل الرصين
كيف يجرى فوق موج عارم خاوى السفين
ليس يشفى القلب منها فى حنو غير دين

(١) الحوباء = النفس .

العلوم الكونية

التوجيه الإسلامي للعلوم ضرورة حضارية

حقائق وآراء علمية حول كوكب المريخ

الجديد في العلم والتقنية

التوجيه الإسلامي للعلوم

ضرورة حضارية

أ. د. أحمد فؤاد باشا

كثيراً ما يبدى أصحاب النزعة «العلمانية» عدم ارتياحهم للربط بين العلم والإسلام ، وهم يجدون مثلهم الأعلى فى حضارة الغرب المادية التى روجت الاعتقاد بأن الانفصال بين العلم والدين شرط من شروط قيام الحضارة ، وأن العلم بفروعه المختلفة لا يمكن إلا أن يكون «علمانيا» . لقد أدى هذا الاعتقاد الخاطىء فى بلاد المسلمين إلى حالة من الركود العلمى شلت فى ظلها كل مقومات الإبداع والابتكار ، ولم يعد أمامنا الآن سوى الأخذ بالمنهج الإسلامى الرشيد فى توجيه العلوم وتقنياتها ، فمثل هذا المنهج الربانى المتكامل هو الأقدر على تحقيق مستقبل أفضل للإنسانية ، تراعى فيه مصلحة الإنسان فى كل مكان وزمان ، بغض النظر عن فوارق اللون والجنس والعقيدة . وليس هناك من شك فى أن مثل هذا التصحيح الإسلامى لواقع الفكر الإنسانى المعاصر سوف يكون له أجل الأثر فى تصحيح وجهة العلوم وتقنياتها لدى عقلاء العالم ومفكريه إذا مادرسوا الإسلام فى حقائقه ، واستفادوا منه فى إصلاح شئون حضارتهم . وعندئذ يكون التفكير العلمى لدى البشر قد استعاد طبيعته الحقة بوصفه بحثا موضوعيا نزيها عن الحقيقة الخالصة أينما وجدت ، والإفادة منها فيما يعمر الحياة وينفع الناس ويعمق الإيمان بالله سبحانه وتعالى على هدى وبصيرة .

(*) الكاتب : أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة ، والمقال بمناسبة المؤتمر الذى تنظمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر ، وفى رحابها عن « التوجيه الإسلامى للعلوم » .

معنى العلم وخصائصه فى الإسلام:

الأصل فى معنى لفظ «العلم» عند العرب هو الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء ، وهو معنى مطلق غير مقيد بتخصيص معين . أما تصنيف العلوم إلى نقلية وعقلية ، أو نظرية وتجريبية ، أو شرعية وطبيعية وإنسانية ، أو غير ذلك ، فهو يضفى صفات تعبر عن موضوعات العلم أو مصادره أو الطرائق التى يحصل بها بحسب تناسبها وقرب بعضها من بعض . والعلوم التى يحث الإسلام على تحصيلها والاستفادة منها تشمل كل علم نافع يهدف إلى تكوين الإنسان الصالح الموصول بالله الخالق سبحانه وتعالى ، ويمكّن ذلك الإنسان من القيام بواجبات الخلافة وإعمار الحياة على الأرض ، يستوى فى هذا أن يكون العلم دينيا أو دنيويا ، مادام فى خدمة رسالة الإسلام ولصالح الحياة والإنسان . وإطلاق لفظ العلم جائز فى قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(١) ، كما ورد تحديد العلم النافع فى دعائه عليه الصلاة والسلام : « اللهم إنى أعوذ بك من أربع : من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع»(٢) ومقياس النفع هنا ليس ذلك المعيار الفردى الذى نراه فى الفلسفة «البراجماتية» ، وخاصة عند «وليم جيمس» ، وإنما هو صالح مجموع الأمة الإسلامية وإقامة أمر الدين الإسـلامى ، فمصلحة الأمة وقيام أمر الدين صنوان لا ينفصلان .

وتأكيد هذا المعنى الإسلامى للعلم نورده هنا لإظهار مدى القصور فى المفهوم الشائع عن العلم فى مختلف الفلسفات الوضعية عندما يقصد به فقط الاعتماد على الملاحظة والتجربة بغرض التوصل إلى قوانين عامة تفسر اطراد الظواهر المادية التى يحاول الإنسان دراستها ، وغالبا ما ينصرف الذهن حينئذ بصورة كلية إلى ما يطلق عليه «العلم الطبيعى» Natural science ذلك أن العلم من المنظور الإسلامى يكون شاملاً لقسمين رئيسيين من العلوم الجزئية هما :

١ - العلوم التى لا يمكن للمسلم إلا أن يتلقاها من مصدر ربانى ، وهى العلوم المتعلقة بالعقيدة والقيم والتصور العام للوجود والنفس الإنسانية ونظام المجتمع والمصدر الرئيسى لهذه العلوم هو ما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة .

٢ - علوم البحث فى ظواهر الكون والحياة ، وهى التى يظهرها الله سبحانه وتعالى على أيدى من يشاء من عباده عن طريق البحث المنهجى السليم فى عالم الشهادة(٣) ، فيهتدى الإنسان إلى هذه العلوم بمداركه البشرية التى أنعم الله بها عليه ليبصر طريق المعرفة الصائبة ويفتح مغاليق الحضارة ، على أن تظل هذه العلوم الكونية فى عالم الشهادة دنيوية بعلاقاتها مع الأشياء ، وتعبدية فى نفس الوقت لصلتها بالخالق الواحد جل وعلا .

فريضة طلب العلم فى الإسلام:

فى ضوء هذا المعنى الشمولى للعلم الإسلامى الذى ينبغى على الأمة الإسلامية أن تحصله ، وأن تعلمه أبناءها ، لا نجد مبرراً لما يتردد أحياناً فى مجال الحديث عن العلم من تفرقة بين ما هو

---

(١) سورة طه : ١١٤

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

(٣) راجع فى ذلك : عبدالحليم الجندى ، القرآن والمنهج العلمى المعاصر ، دار المعارف ١٩٨٤ .

التوجيه الإسلامى للعلوم

فرض عين وما هو فرض كفاية . ذلك أن «الفروض العينية» فى الاصطلاحات الشرعية تعنى أنها واجبة على كل فرد بعينه ، له مثوبتها إن قام بها ، وعليه عقوبتها إن تركها أو فرط فيها ، كما أن معنى «الكفائية» فى المواضعات الفقهية ما أثيب عليها فاعلها ، ولم يعاقب عليها تاركها ، بشرط أن يوجد فى الأمة الإسلامية من هو قائم بها ، ساد مسد غيره فيها . أما إن لم يوجد من يقوم بها فإن التبعة عامة ، والمسئولية شاملة لكل أفراد الأمة المتأهلين لها بخلوهم من الموانع وسلامتهم من العوائق(٤) فالواجبات الكفائية تتطلب من الدولة أن توفر العدد الكافى من المؤهلين للنهوض بها كأحسن ما يكون الأداء بحيث يستمر تحقيق المصلحة العامة على أسس ثابتة . وفرض الكفاية يأخذ هذه التسمية قبل أن يختار الشخص المناسب ويتحدد الجهد المطلوب ، أما بعد الاختيار والتحديد فإنه يتحول إلى فرض عين ، وعلى من كلف به أن يستفرغ الوسع لإتمامه(٥) . وإذا عجزت الأمة الإسلامية عن توفير كل الإمكانات التى سخرها الله فى الكون لإعزاز الإسلام والمسلمين ، فإنها تكون قد قصرت فى أداء الأمانة أيما تقصير ، والأمة التى تعطل أداء فريضة إسلامية واجبة هى أمة تلقى بأيديها إلى التهلكة .

ارتباط العلم بالإيمان فى الإسلام :

وتأسيسا على هذا التصور الإسلامى لمعنى العلم ومكانته فى الإسلام يكون البحث العلمى مرتبطا دائما بإرادة الله سبحانه وتعالى التى تكفل لنا استمرارية السنن الكونية لنراقبها وندركها وننتفع بها فى حياتنا ، بعد أن نقف على طبيعة علاقاتها ونستدل بها على قدرة الخالق ووحدانيته ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾(٦) . وهذا من شأنه أن يجعل الطريق مفتوحا دائما أمام تجدد العلم وتطوره ، على أن تظل العلاقة بين إرادة الله واطراد سننه واضحة جلية ، يفسر بها المؤمنون كل ما لا يقوى العقل البشرى على استيعابه من قضايا الغيب والمعجزات التى أخبر بها الله سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم أو جاءت على لسان نبيه الأمى الصادق الأمين . والباحث المؤمن الموصول بربه هو الذى يبحث فى اطمئنان ونقاء عن محور الوحدانية فى الوجود بأجمعه لأنه يعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق المطلق ، وهو مصدر كل الحقائق الجزئية التى أمرنا بالبحث عنها واستقرائها فى وحدة النظام بين الظواهر الكونية المختلفة . ومن ثم فإن هذا الباحث المسلم سوف يجد فى نفسه دافعاً أقوى مما يجد سواه نحو بلوغ تعميمات أو قوانين علمية من مجموعة محددة من الوقائع ، إيمانا منه بأن كل ما فى الكون من قوانين مستمد من إرادة الله ومتوقف عليها . وهذا لا يتوفر مثلا لباحث آخر ينطلق فى تفكيره من مبدأ « الحتمية » الوضعى الذى يفترض أن صدق أحداث الكون مستقل عن الزمان والمكان على نحو ما تؤكده قوانين الحركة والجاذبية لنيوتن ، ثم يكون عليه أن يبحث عن مبدأ جديد ينطلق منه فى تفكيره عندما ينتقل العلم إلى مرحلة جديدة من تطوره تتميز فيها القوانين بالنسبية والاحتمالية واللاحتمية ، وتبعد فيها الأسباب المباشرة عن متناول إدراكنا

(٤) الشيخ أبوبكر جابر الجزائرى ، العلم والعلماء ، دار الكتب السلفية ، القاهرة (المقدمة بتاريخ ١٤٠٣ هـ) .

(٥) الشيخ محمد الغزالى ، مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٣ .

(٦) سورة فصلت : ٥٣ .

البشرى المحدود، على نحو ما نجد الآن فى قوانين الذرة والنواة وعالم المتناهيات فى الصغر، أو قوانين الأفلاك والمجرات وعالم المتناهيات فى الكبر.

حدود العلم فى الإسلام:

إن أخطر ما واجه المعرفة البشرية فى تاريخها هو الخلط بين مصادرها والخطأ فى تناول مناهجها، حيث دنست الفطرة الحنيفة المؤمنة بالله والموحدة له عندما كان يراد اقتحام عالم الغيب بالوسائل التى لا تصلح إلا لعالم الشهادة. وكان من نتائج هذا الخلط الفكرى والخطأ المنهجى أن ظهرت النظريات والمذاهب الوضعية التى تجاهلت وجود القدرة الخالقة والمسيِّرة لظواهر الكون والحياة، وأحالتها إلى مسمَّيات خيالية، وإن كانت تحسبها علمية، كالطبيعة والقوة الذاتية والعقل والغريزة والمصادفة وغيرها مما لا يتفق مع التصور الإسلامى. وما ظهور «العلمانية» فى الغرب، لتجعل الانفصال التام بين العلم والدين شرطا من شروط قيام الحضارة، إلا أحد الأمثلة لهذه الفلسفات الخابطة فى الظلام(٧)، والتى انتقلت عدواها إلى المسلمين فى عهود الاستعمار البغيض، ووجدت فى ديار الإسلام من يروّج لها ويبشر بها حتى اليوم(٨).

ومن يستقرىء تاريخ الفكر الإنسانى سوف يجد أن ما يضعه البشر لأنفسهم من مذاهب وفلسفات بمعزل عن هدى الله يحتاج دائماً إلى التعديل والتبديل ليلهث وراء تلبية حاجات البشر المتطورة. أما المنهج الإسلامى - بربانيته - فهو يخالف فى أصل تكوينه وفى خصائصه تلك النظريات الوضعية، لأن الذى شرعه يرى بلا حدود من الزمان والمكان، ويعلم بلا عوائق من الجهل والقصور، ويختار بلا تأثر من الشهوات والانفعالات، ومن ثم فهو يضع للكينونة البشرية كلها، فى جميع أزمانها وأطوارها، أصلاً ثابتاً تتطور هى فى حدوده وترتقى، وتنمو وتتقدم دون أن تحتكّ بجدران هذا الإطار(٩).

ولما كانت طبيعة العلوم الكونية تتطلب إجراء البحث والدراسات المكثفة على أجزاء محدودة جداً من الكون وظواهره، وبمعزل عن بعضها البعض دون إلمام كاف من جانب الباحث بكافة الموضوعات المتصلة بموضوع البحث والعوامل المؤثرة عليه فإن إدراك الحقيقة الكاملة يظل دائماً هدفاً أسمى يسعى إليه العلماء من خلال عملية تصحيح مستمرة لمسيرة العلم تتم بتكافل جهودهم وتنافسهم الشريف فى السبق إلى كشوف علمية جديدة تلقى الضوء على حقائق جزئية فى الواقع الكونى الثابت. وقد أثبتت حركة التاريخ العلمى والتقنى للإنسان أن الكون يزداد مع التقدم العلمى اتساعاً وعمقاً، مصداقاً لما تشير إليه بعض معانى الآيات القرآنية الكريمة فى مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾(١٠)، وقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي

(٧) راجع: د. يحيى هاشم فرغل، حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف ١٩٨٩ م؛ د. محمد عمارة، العلمانية ونهضتنا الحديثة، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٦ م

(٨) انظر على سبيل المثال ماكتبه د. عبدالعظيم أنيس بعنوان «هل يمكن أسلمة العلوم؟»، وماكتبه د. فؤاد زكريا بعنوان «العلمانية ضرورة حضارية»، فى الكتاب الثامن من سلسلة «قضايا فكرية» التى تصدرها دار الثقافة الجديدة، القاهرة، أكتوبر ١٩٨٩ م.

(٩) سيد قطب، خصائص التصور الإسلامى ومقوماته، دار الشروق، القاهرة ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م، ص ٤١.

(١٠) سورة الإسراء: ٨٥.

التوجيه الإسلامى للعلوم

عِلْماً ﴾[11] ، وقوله : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[12] .

أهمية التوجيه الإسلامى للعلوم المعاصرة :

يرى بعض المحلّلين لواقع الحياة المعاصرة أن العلم لم يعد نشاطاً منزوياً تمارسه فئة قليلة نسبياً من البشر ، بل أصبح صناعة رئيسية ثقيلة ، أوْ قُلْ سلاحاً حضارياً رهيباً ، تنفق عليه الدول فى سعة ، فارضة عليه إيجاد حلول لمشكلاتها فى الإنتاج والحرب ، ولا مانع لديها من أن تحيطه بسياج من السرّية والكتمان والاحتكار عندما يكون موضوع العلم متعلقا بأمْنها القومى ومركزها التقنى التنافسى[13] . ذلك لأن التقدم العلمى والتقنى لا يقتصر أثره على ما يحدثه من تغيرات كاسحة فى أنماط الحياة ، ولكنه أصبح يحل محل الجيوش فى تغيير مراكز القوى الصناعية والسياسية فى العالم . فها هو مركز الثقل الصناعى والتجارى ينتقل من المحيط الأطلنطى إلى المحيط الهادى فى شرق آسيا ، بعد أن صارت تجارة أمريكا مع اليابان وكوريا وتايوان وسنغافورة وتايلاند أكبر منها مع أوروبا ، ولذا تسرع الأخيرة بالاتحاد لكى تقوى على البقاء فى دائرة المنافسة . وإذا ما اتصل العلم والتقنية بالصناعة والتجارة والسياسة ، ودخلا فى دائرة الحسابات والأهمية الاستراتيجية ، فإنهما لا محالة متأثران بالاتجاهات والمصالح القومية لدرجة تجعل من الحرب بين البشر خطراً دائماً محلقا فوق الرءوس ، بصرف النظر عما يبدو أحيانا من تقارب ظاهرى بين كتل العالم ومعسكراته ذات الفلسفات والأيديولوجيات المتصارعة .

من ناحية أخرى ، تدلنا نتائج الأبحاث الجارية حاليا فى مختلف فروع العلم على أن النظرة المادية للعالم فى سبيلها إلى التغيير مع بدايات القرن الحادى والعشرين وأن المرحلة القادمة من التفكير العلمى والتقنى سوف ترتبط بالكثير من المفاهيم « الميتافيزيقية » على نحو ما نجد فى الأبحاث والدراسات المتعلقة بأجيال الحاسبات والذكاء الاصطناعى ، وتعدد الأبعاد الخفية لمتّصل الزمان والمكان ، ونظريات أصل الكون وتمدده وتاريخه وغيرها . ومن المتوقع أن يؤدى هذا التوجه الجديد فى موضوعات العلم ومناهجه إلى الإطاحة بالكثير من النظريات العلمية الشهيرة والأنظمة الفلسفية القائمة عليها ، بعد أن أصبحت عاجزة عن تقديم إجابات وحلول شافية لقضايا ومشكلات جديدة لم تخطر على بال منظِّريها من قبل ، مما سيكون له أكبر الأثر فى المستقبل القريب على وعى الإنسان وتصوّره لنفسه وللعالم الذى يعيش فيه .

وهناك أيضاً الكثير من الممارسات الخاطئة فى حق العلم ، باعتباره نشاطاً إنسانياً يعلو على كل ضروب الهوى والتميز فى البحث عن الحقيقة الخالصة ، لكن المجال هنا لا يتسع لسرد نماذج من هذه الممارسات المسيئة لتاريخ العلم

(11) سورة طه : 114 .

(12) سورة يوسف : 76 .

(13) راجع ماجاء تحت عنوان « العلم السرى » Secret Science فى مجلة العلوم ، مجلد 6 ، ع 2 ، الكويت 1989 ، ص 34 ، راجع أيضاً ماكتبناه عن مظاهر الاهتمام الدولى بتقنية الموصلات الفائقة Super Conductors فى مجلة العلم ، ع 182 ، (1991) .

وأخلاقياته ، وهنا ، مرة أخرى نقول : إذا ما افتقد العلم موضوعية التأريخ له بحيدة ونزاهة ، باعتباره عملية ممتدة خلال الزمان ، يتعاقب على أدائها أجيال العلماء من مختلف الأمم ، فإنه لابد مخفق فى مهمته .

يتضح مما سبق أن العلم أصبح بحاجة إلى من يأخذ بيده إلى الصراط المستقيم ليؤدى رسالته نحو النظام العالمى الجديد . ومن هنا تأتى أهمية الدعوة إلى توجيه العلوم بعامة ، والعلوم الكونية بخاصة ، توجيها إسلامياً ، يزن كل شىء بميزان واحد هو ميزان الإسلام الذى سبق له أن أنقذ امبراطوريات كبرى من الفناء ، وسبق لأسلافنا أن شيدوا على أساسه واحدة من أطول وأعظم الحضارات التى عرفها التاريخ .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : كيف يمكن توجيه العلوم المختلفة توجيها إسلاميا فى إطار نظام تعليمى متكامل وقادر على تحقيق غايات التربية الإسلامية الرشيدة وأهدافها ؟

هذا ماسوف نحاول الإجابة عليه فى العدد القادم بإذن الله .

حول شهادات الاستثمار . بقية .

الاستهلاكية لأنه يسلم بالقاعدة الشرعية التى تقول : (كل قرض جر نفعا فهو ربا) وأن وصف أى معاملة بأنها قرض توجب عليه أن يصف عائدها بأنه ربا ، فلم يجد مخرجا من هذا المأزق سوى أن ينفى وجود ما يسمى بالقروض الإنتاجية أو القروض الاستهلاكية .

٣ ــ يقول المفتى إن دار الإفتاء تحترم آراء المجامع العلمية ، متى كانت هذه الآراء مستندة إلى الدليل الشرعى والفهم الصحيح .

والمفتى الذى يعلق قبول دار الإفتاء لآراء المجامع العلمية على استنادها إلى الدليل الشرعى والفهم الصحيح ، لايرى ذلك بالنسبة لفتواه ، فقد قال فى مؤتمر عقد فى جامعة المنصورة : (ليس من الشرع أو الأخلاق معارضة هذا الرأى الذى انتهت إليه دار الإفتاء) الأهرام ١٩٨٩/٢/٧ .

بل إنه لم يرتض لنفسه أن يقول تلك العبارة التى أثرت عن كبار الأئمة وهى أن رأيه صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيره خطأ يحتمل الصواب ، فانتقى تعبيراً جديداً يبتعد به عن إمكان وصف آرائه بأنها خطأ فقال : ولااقول بأن رأيى هو الصواب الذى لايحتمل الخطأ ، ورأى غيرى هو الخطأ الذى لايحتمل الصواب ، وإنما أقول هذا رأيى ورأى عشرات العلماء من قبل كفضيلة الشيخ محمود شلتوت ، وفضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف وغيرهما من العلماء (الأهرام ١٩٩٠/٥/١١) .

ومما يدعو إلى العجب أن المفتى الذى علق قبوله لقرارات المجامع العلمية على استنادها إلى الدليل الشرعى والفهم الصحيح ، مازال حتى اليوم عاجزا عن تكييف سندات الاستثمار وغيرها من المعاملات التى بحثها ، ومازال يقول إنها قد تكون معاملة مستحدثة كما قال فلان وفلان ، أو مضاربة كما قال فلان وفلان . وهؤلاء الذين يستند إلى أقوالهم ليسوا سوى أعضاء فى لجنة البحوث الفقهية فى مجمع البحوث الإسلامية وما تقدمه هذه اللجنة من آراء خاضع لتقدير المجمع الذى يرى المفتى أنه لايقبل قراراته إلا إذا جاءت مستندة إلى الدليل الشرعى والفهم الصحيح .

يتبع

حقائق وآراء علمية حول

كوكب المريخ

د. مرفت السيد عوض *

فى الثامن والعشرين من نوفمبر ١٩٦٤ م أطلقت الولايات المتحدة مركبة الفضاء «مارينر ـ ٤» Mariner IV والتى بدأت تدور أول الأمر حول الأرض كما تدور الأقمار الصناعية. ثم عاد صاروخها ينطلق فخرج بها عن جاذبية الأرض وارسلها «تابعا» Satellite صناعيا جديداً يدور حول الشمس، كما تدور الأرض وبقية الكواكب، لتلتقى بالمريخ بعد نحو سبعة أشهر ونصف أى ٢٢٨ يوما، قطعت فيها نحواً من ٣٥٠ مليون ميل. وإذ واجهت المريخ، ذلك الكوكب الأحمر، انفتحت «كاميرتها» الفوتغرافية التلفازية، والتقطت لسطحه ٢٢ صورة وارسلتها تباعا إلى علماء الأرض.

وتمضى مركبة الفضاء، وهى فى مدارها الشمسى خلف المريخ وتنقطع عندئذ صلتها بأهل الأرض لانقطاع الاتصال «الراديوى» بينهما، ثم تعود إلى الظهور من وراء المريخ، وتظل المركبة ماضية بعد ذلك فى فلكها الشمسى، مربوطة إلى الشمس بجاذبيتها.

المريخ لا يتعرض لتعرية مثل الأرض:

وقد كشفت هذه التجربة التاريخية الكبرى عن وجود حلقات دائرية كبيرة كأنها فوهات براكين، وكانت هذه الحلقات واضحة بينة الحدود والمعالم، منثورة على سطح ظاهر الاستواء يشبه سطح القمر. وكثرت الفوهات وتزاحمت وامتدت فى كل اتجاه، منها الكبيرة التى يبلغ قطرها حوالى ٨٠ ميلاً والصغيرة التى قطرها ثلاثة أميال، ومنها فوهات نتأت بأوسطها قمة، وأخرى ظلت أعماقها منبسطة. وقد فسر العلماء هذه الفوهات بأنها «نيازك» وقعت على سطح المريخ فصنعت فيه هذه الحفر فتراءت.

---

* الكاتبة : أستاذ مساعد الميكانيكا الفضائية بقسم الفلك - كلية العلوم جامعة القاهرة.

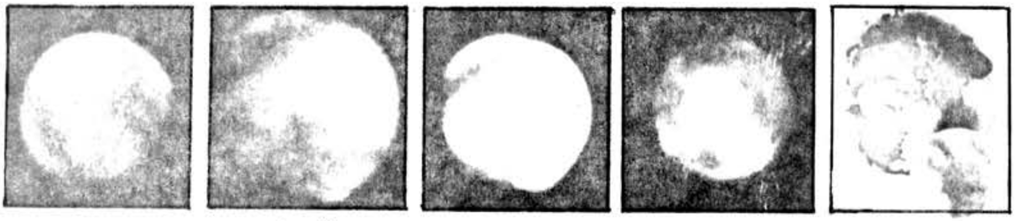

(أ) (ب) (جـ) (د)

صور توضيحية :

(١) تبلغ مساحة سطح المريخ ٢٨٪ من مساحة سطح الأرض ولا تتعدى كتلته عشر كتلة الأرض.
(٢) يتألف جو المريخ من غيوم «بيضاء» مرتفعة وفى النادر من غيوم غبار واسعة الانتشار نرى فى (أ) منطقة الغيوم التى تتكون كل صيف فوق «سرتيس ماجور» وتظهر (ب) و(جـ) هذه المنطقة إلى اليسار تغطيها الغيمة ذاتها . أما المنطقة الساطعة (د) فهى «اليزيوم» .

كالفوهات ، وقدروا الزمن الذى مضى عليها فكان بين الفين إلى خمسة آلاف من ملايين السنين .

وإذا كانت الأرض أيضاً هدفا لمثل هذه النيازك التى ذهب الكثير من آثارها بفعل «التعرية» الجيولوجية ، حيث سوتها الأمطار وسوتها الرياح على مر السنين ، فإن سطح المريخ لم يتعرض لأمطار ولا رياح كالتى تعرض لها ظهر الأرض ، ومن ثم فلا «تعرية» فى المريخ مثل «التعرية» فى الأرض .

المريخ ليس له مغناطيسية كمغناطيسية الأرض :

دل الجهاز الذى حملته المركبة الفضائية للكشف عن المغناطيسية على أن المريخ لا تكاد تكون به مغناطيسية تحس ، فهو على نقيض الأرض التى تنسب مغناطيسيتها لما بجوفها من معدن منصهر هو دائم الدوران حول نفسه . وإذن ، فقلب المريخ ليس مائعا وإنما هو جلمود أصم ، بينما يتميز سطح كوكب المريخ باللون الأحمر نظراً لوجود أكاسيد الحديد ضمن مكوناته ، والسطح صخرى يشبه البازلت ومتماسك وتوجد عليه آثار انسياب مواد بركانية ، وتختلف درجة حرارة السطح من الليل والنهار بمقدار يزيد عن الستين من الدرجات المئوية . وتتكون المناطق القطبية فى كوكب المريخ من المياه المتجمدة .

المريخ ليس حوله أحزمة من إشعاع كالتى حول الأرض :

وحملت مركبة الفضاء أجهزة تكشف الإلكترونات ، إذا هى اخترقت نطاقا به الكترونات ، وهى تقترب من المريخ ، لكن هذه الأجهزة لم تكشف عن شىء من أحزمة الإشعاع Radiation belts وهذه الأخيرة تناظر «أحزمة فان الن» Van Allen المعروفة تكريما لاسم العالم الذى كشفها ، تلك التى تلف الأرض على ارتفاع كبير من سطحها وتتألف من جسيمات ذرية منشؤها الشمس والفضاء . فإذا هى

حقائق وآراء علمية حول كوكب المريخ

وصلت إلى الأرض ، وهى مغناطيس عظيم، له خطوط قوى مغناطيسية مديدة ، صادت هذه الخطوط تلك الجسيمات الذرية وحبستها فكانت تلك الأحزمة وقد سبق أن ذكرنا أن المريخ ليست به مغناطيسية تذكر، وهذا يتفق مع غياب الأحزمة .

صور لهياكل هرمية الشكل على سطح المريخ :

فى عام ١٩٧٢ م ، التقطت المحطة الفضائية الدولية ـ التى أطلقت آنذاك ـ صوراً للعديد من التكوينات على سطح المرتفع المريخى المعروف باسم «ايليزيوس» وقد وصف البعض هذه التكوينات بأنها حقل من الأهرامات رباعية الأوجه وقامت المحطة نفسها بتصوير أشكال ذات هياكل مستقيمة تشبه المنشآت الصناعية ، وذلك فى المنطقة الجنوبية للكوكب ، وفى عام ١٩٧٦ م التقطت صور فى منطقة نصف الكرة الشمالى للمريخ لأطلال مماثلة للأهرام المصرية فى شكلها .

وكان من الطبيعى أن تثير هذه الصور خيال الكثيرين ، فلا أحد يمكنه أن يجزم ما إذا كانت أهرام المريخ مجرد تكوينات جيولوجية أم لا ؟ وفى حالة ما إذا كانت هذه الآثار المريخية غير طبيعية ، فهل يعنى هذا أن مخلوقات أخرى من مكان آخر فى الوجود قد وصلت إلى المريخ وشيدت صروح هذه الآثار؟

إن كوكبة من العلماء يتشككون فى كون أهرام المريخ الموجودة هناك أطلالاً صناعية ، إذ أن رحلات الفضاء التى تمت حتى وقتنا الحالى أثبتت عدم وجود حياة على أى كوكب من كواكب المجموعة الشمسية التى تنتمى إليها أرضنا وجارنا «المريخ» ولعل القول الفصل فى مسألة نشأة التكوينات الهرمية على الكوكب الأحمر سوف يقطع به عندما يهبط الإنسان على سطح المريخ إذا قدر الله للإنسان ذلك .

وإن غداً لناظره قريب .

دروس للدعــاة إلى الله - بقيـة -

إلى قوله تعالى من سورة العنكبوت : ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٣] .

إن الذين ضيعوا أمر الله ، وفرطوا فى جنبه سبحانه ، وماتوا على الضلال والشبهات يتحسرون ويندمون حين يعاينون العذاب يوم القيامة ، وقد جاءتهم الرسل فكذبوا وسخروا ، وقد نبه السياق من سورة يس العباد إلى ذلك ليتفكروا قبل فوات الأوان : ﴿ يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ثم دعاهم إلى الاعتبار بمصارع الكافرين : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ . وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ أى للحساب والجزاء .

فطوبى لمن قدم إيماناً صادقا وعملاً صالحاً ..

(٣) الآية : ٤٠ .

الجديد فى العلم والتقنية

إعـداد
د. نجوى السيد أحمد

علاج التشويهات الخلقية باستخدام الليزر

لقد كثرت وتنوعت استخدامات (أشعة الليزر) فى مجال الطب ، وكان آخرها علاج تلك التشويهات التى تظهر على وجوه بعض المواليد ، أو على أجسامهم وهم فى الأرحام قبل الولادة . وقد أمكن معالجة هذه البقع فى الأطفال ، بحيث ينمو هؤلاء دون مضاعفات قد تسببها لهم تلك التشويهات .

أثبتت الدراسات التى أجريت مؤخراً بكلية الطب (جامعة بوسطن) بالولايات المتحدة ان (أشعة الليزر) حققت نجاحا منقطع النظير ، إذ يستحيل على الإنسان اكتشاف مكان البقعة بعد محوها ، فالجلد يعود كما كان أصله فى ذلك المكـان . وتشمل تلـك التشويهـات البقع و(الوحمات) واللطعات حمراء اللون التى كثيراً ما تغطى كل الوجه أو جزءاً منه .

بكتيريا تنظف البيئة من الإشعاع النووى

اكتشف علماء أمريكا نوعا من (البكتيريا) يمكنه التهام المعادن المشعة وتنظيف البيئة من أخطارها . فقد أظهر الباحثون فى مؤسسة المسح الجيولوجى بـ (ولاية فيرجنيا) أن (البكتيريا) ذات القدرة على التهام الحديد تستطيع اكتساب ضعف الطاقة من التهام (اليورانيوم) وهى تنمو وتترعرع على (اليورانيوم) الذى تستخلصه من المحاليل محولة إياه إلى نوع صلب بالإمكان إزالته بسهولة . وبذلك يمكن أن تنتهى مشكلة النفايات النووية التى تؤرق العالم إذا ما كثفت الجهود لتطوير هذا الاكتشاف .

الجديد فى العلم والتقنية

من فوائد نبات الخرشوف

توصل فريق بحثى من قسم العلوم الصيدلية بالمركز القومى للبحوث إلى طريقة اقتصادية مبتكرة لاستخلاص مخلوط مواد فعالة من نبات الخرشوف تعالج أمراض الكبد والكلى حيث ثبت أنه يساعد على : إدرار البول ، وتخليص الجسم من الأملاح الزائدة وتخفيض نسبة الكولسترول فى الدم .

مضخة مياه تعمل بالطاقة الشمسية

نجح فريق بريطانى فى إنتاج أحدث مضخة تعمل بالطاقة الشمسية لضخ المياه من باطن الأرض والاستفادة منها فى الرى والشرب والاستخدامات الأخرى للمياه ليلا ونهاراً . وتتكون المضخة من مجموعة من الخلايا (الكهروضوئية) التى تحول أشعة الشمس إلى طاقة كهربائية تستخدم مباشرة فى تشغيل محرك متصل بمضخة تسحب المياه من باطن الأرض ، وفى غياب الشمس تعمل هذه المضخة بواسطة البطاريات .

الكشف عن الآثار تحت الأرض باستخدام تقنية الفضاء

أصبح باستطاعة الباحثين عن الآثار العثور على أماكن وجودها بواسطة أجهزة رصد حساسة مركبة على شاحنات أو مناطيد أو طائرات ، أو محمولة حتى فى الأقمار الصناعية ، وباستخدام مكثف للحواسيب يحول سيل المعلومات الرقمية المجموعة إلى صور قابلة للقراءة .

ومن أحدث الإنجازات فى هذا المجال ما أظهرته صور الرادار المحمول على المكوك الفضائى « كولومبيا » من وجود مجارى انهار قديمة مدفونة تحت رمال الصحراء المصرية الجنوبية وشمال غرب السودان ، حيث عثر المنقبون على فؤوس يدوية وأدوات أخرى من صنع الإنسان فى العصر الحجرى .

حمض « التنيك » للوقاية من حساسية القطط

من المعروف أن القط كلما لعق فروته لينظفها بلسانه الخشن ترك عليها طبقة رقيقة من (البروتينات) التى تنتجها الغدد اللعابية والدهنية للحيوان ، ويمكن لهذه البروتينات أن تتراكم على سجاد البيت وستائره ومفروشاته وهى تسبب دمع العين ومخاط الأنف وصعوبة التنفس التى تميز الحساسية من القطط عند عشرات ، وربما مئات الملايين من الناس فى أنحاء العالم .

لهذا ينصح بمعالجة سجاد المنزل ومفروشاته برذاذ يحتوى على حمض « التنيك » Tannic acid المتوفر تجاريا فى الأسواق ، وهو مركب يوجد فى البلوط والسنديان والبن والكاكاو والشاى .

سيارات تعمل بالغاز الطبيعى للحد من التلوث البيئى

بدأت بعض ولايات أمريكا تنفيذ قانون الهواء النقى الذى يلزم شركات صناعة السيارات

باستبدال وقود (الجازولين) بالغازات الطبيعية . وتتوقع رابطة شركات الوقود الأمريكية أن تشهد أمريكا فى العقد القادم تسيير ما لا يقل عن ١٠ ملايين سيارة بالغازات الطبيعية ، أو الطاقة الكهربائية بدلا من (الجازولين) .

لبن الأم يحتوى على أقوى المضادات الحيوية

اكتشف باحثون يابانيون وجود مضاد حيوى قوى جداً فى لبن الأم يمكنه أن يقضى خلال ساعة واحدة على كل أنواع البكتيريا المسببة لتسمم الطعام . وسمى الفريق اليابانى الباحث هذا المضاد الحيوى « لاكتوفيلسين » Lectoafelicine وهو مشتق من « اللاكتوفيلين » Lactofeline الذى يشكل ٧٠٪ من البروتين الموجود فى لبن الأم الأول بعد الولادة .

أظهر هذا المضاد الحيوى أيضاً فعالية ضد البكتيريا المسببة للإسهال الذى هو من الأسباب الشائعة لوفيات الأطفال فى العالم الثالث فى حين تم التأكد من أنه لا يمس البكتيريا النافعة بسوء .

تفسيرات علمية جديدة لأمراض القلب الفجائية

اكتشف رواد المكوك الفضائى « كولومبيا » بعد تسعة أيام من الأبحاث الطبية المكثفة خلال رحلتهم الفضائية ، أن ضغط الدم حول القلب فى الفضاء كان أقل بكثير مما هو متوقع ، وقد ظهر ذلك فى الساعات الأولى القليلة من رحلة المكوك .

عن انعدام الوزن قال الدكتور « دروجافنى » أخصائى القلب وهو أحد الذين شاركوا فى الرحلة أن السوائل اتجهت نحو النصف العلوى من جسمه ولذلك توقع العلماء أن يرتفع ضغط دمه ، لكن العكس حدث ، فقد كان ضغط دمه أقل مما لو كان واقفا على الأرض . وأضاف إن هذه المعلومات تعنى أنه يمكن للعلماء توقع تفسيرات جديدة بنظام أوعية القلب وما يحدث من أمراض فجائية له .

البورون عنصر هام لتقوية العظام

ظهر أخيراً أن عنصر (البورون) ليس أساسيا فى حياة النباتات فقط ، كما كان يعتقد فى السابق ، بل هو عنصر حيوى أيضا بالنسبة لامتصاص الكالسيوم عند البشر ، وبالتالى ؛ فإن بإمكانه أن يمنع الإصابة بترقق أو (مسامية العظم Osteoporosis) ومن المعلوم أن البقول والخضروات الليفية والفواكه وخصوصاً التفاح والعنب ، تشكل مصدراً أساسياً من مصادر البورون . وتتراوح الجرعات الآمنة والملائمة من البورون بين ١ ، ٣ مليجرام يوميا ، ويسهل الحصول على هذه الكميات بتناول وجبات متوازنة ويحذر العلماء فى نفس الوقت من أن تناول جرعات كبيرة من البورون على شكل مواد مضافة قد يكون أمراً فيه الكثير من الخطورة .

كلمات لحضرة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

إعداد وتقديم عبد الفتاح حسين الزيات

إن دين الإسلام يحارب الفقر والجهل والمرض والرذيلة والظلم ويرسم أفضل الطرق لكسب هذه الحرب . وذلك بالعمل على إيجاد جيل غنى قوى يتسلح بالعلم . ويتحصن بالفضيلة وينأى عن الرذيلة ليقيم أمة فاضلة لها حاكم يؤمن الخائف وينصف المظلوم وينشر العدل والسلام والمحبة بين الناس .

ولن يتأتى ذلك إلا إذا كنا أمة القول منها مطابق للعمل . وإلا صدق علينا قول الله تعالى :
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(١)

قال الأستاذ ـ رحمه الله :

١ ـ العلم والعمل :

ما أكثر العلماء فينا وما أقل العاملين ! نعرف النحو دقيقه وجليله ، ولكنا لا نعرف أن نقيم ألسنتنا إذا تحدثنا ؛ ونعرف المنطق قديمه وحديثه ، وكيف يتركب الدليل من مقدمات تكون عنها نتائجها ، ولا نعرف مع هذا أن نكون منطقيين عملياً فى تفكيرنا ؛ ونحذق علوم البلاغة ، وأن لكل مقام مقالا ، وأن الكلام يكون بليغاً إذا توفر فيه كذا وكذا ، فإذا أخذنا فى الكلام جاء ما ننطق به سقيما عليلا ؛ وعرفنا الأخلاق وأصولها ، والفضائل وطرقها ، والغرائز والأمزجة والعواطف وعلاجها ، ولكن عجزنا عن تكوين الضمائر الحية المستقيمة فى نفوس طلابنا وقرائنا ؛ والفقه وعلم الحلال والحرام حفظنا الكثير من متونه ، وقتلنا بحثا الكثير من شروحه ، ولكنا فى سيرتنا ومعاملاتنا لا نتفق وما عرفنا من الشريعة ؛ ونعرف كيف تدار المعاهد والمدارس ، وكيف ينشأ التلميذ على الطاعة والنظام ، وكيف يجب أن تكون العلاقة بين المدرس والتلميذ والرئيس والمرءوس ، ولكن لم يتبع منا كثير يعتبرون بحق إداريين حازمين محبوبين ممن تحت أيديهم ؛ ونعرف أن صحراء مصر وتربتها

(١) سورة الصف الآيتان ٢ ـ ٣

غنية بالمعادن المختلفة ، ولكننا لا ننقب فى جد عنها ؛ وخزان أسوان نعلم علم اليقين ، منذ زمان وأزمان ، أنه يمكن الإفادة منه فى توليد الكهرباء ، فيكون مصدر رغد وسعادة وقوة للأمة ، ولكنا حتى الآن لم يتم لنا شئ فى هذا السبيل أو نحتفل كل عام بعيدى الهجرة والمولد ، ونذكر جاهدين فى هاتين المناسبتين العظيمتين كثيراً من مزايا الإسلام وأمجاده ، ولكن لا يستطيع أن يزعم الكثير منا أنه يحقق فى نفسه بعض هذه المزايا ويحاول أن يفيد حقاً من هذه الأمجاد ؛ ومنا الطبيب وهو بحكم عمله رسول رحمة ، وقد كان يسمى قديما باسم الحكيم وهو اسم من أسماء الله عز وجل ، والفيلسوف أو مدرس الفلسفة التى تقوم على البحث عن الحكمة والتوفر عليها وطلب الحقيقة وحبها ، ولكن أصبح الكثير من الأطباء ودعاة الفلسفة بعيدين عن الرحمة والحكمة والحقيقة !

علام تدل كل هذه المثل التى انتزعناها من واقع الحياة الفردية والاجتماعية ، وسواها كثير ؟ إنها تدل على أننا أمة تقول ولا تفعل ، وكَبُر ذلك مقتا عند الله ما أكثر من يتكلم منا حتى الآن عن خطورة اختلاط البنات والبنين ، وبناته يملأن دور اللهو البرىء وغير البرىء ويجلسن مع الشبان جنبا لجنب فى المعاهد الأجنبية والجامعة ! ومن يتكلم فى الراديو حاثا على البر بالفقراء ومساعدة المكروبين بلهجة تلين الأفئدة الجامدة ، ولكنه يأبى أن ينزل عن بعض ما يأخذ من أجر على ما يذيع للغاية التى يدعو إليها !

ياقوم ، ليس بمثل هذا تتقدم الأمة ويسعد الشعب ! نحن فى حاجة إلى من يؤمن بما يقول إيمانا يدفعه إلى العمل به ، وإلا فليوفر على نفسه وعلينا عناء القول ! نحن فى حاجة إلى علماء وخطباء ودعاة إصلاح مؤمنين بعلمهم ، ويكونون بأعمالهم قدى صالحة لغيرهم ، فينفعون وينفع الله بهم . نحن فى حاجة إلى نفوس شريفة تعرف للعلم قيمته ، فتطهر به ، ثم تصدر عنه فى كل ما تعمل .

وقع نظرى منذ أيام على كتاب «فى أخلاق العلماء» للمغفور له الشيخ محمد سليمان ، فأعجبنى ما صدره به من كلمة يقدمها لابنه ، كلمة تتصل بموضوع ما نتحدث به الآن . لهذا انقل بعضها ، ففيها عظة وتذكرة لمن يريد أن يتذكر ، وجمال وخير لمن يحب أن يرى ويسمع .

يقول ـ رحمة الله له ورضوانه عليه : « واعلم يابنى أن نور العلم أن تستقبله نفس مستعدة له ، فهى التى تستنير به ، وتشعه على الناس . إنه يصفيها فتصفى ، وتكون به نورانية من ومض الله نور السموات والأرض ، كالمنار يهدى الضال ، وينير الدلج فيسلخ الظلام ، وهذه وظيفة العلم . إنه يطهر النفوس كالبوتقة تصهر الذهب ، فيذهب ما له من خبث ، ثم يكرم حتى يتعامل به الناس ، وحتى يكون الثمن الذى يوازن به كل عرض فى الدنيا . أما العلم الذى تستقبله النفوس الصلدة المظلمة ، فهو الذى لا يضر ولا ينفع ، ومثله يابنى مثل ما ترى من لعب الصبيان بالمرآة إذا عكسوها على الشمس ، الا ترى الشعاع المنعكس منها يعشى ويحرق ؟ ذلك أن وجه المرآة صلد لا ينفذ منه النور ، وقلبها أسود لا يقبله ، فارتد بذلك على الآخرين ناراً ونقمة ، ليست الغاية من العلم أن تعلم فحسب ، بل الغاية أن تعمل بما تعلم من الخير ، وأن تكون بعلمك قدوة الخير لقومك ، القدوة التى تؤثر فى الناس بالتأسى . فكن كما تحب أن يعرف عنك ، بالحقيقة الواقعة ، لا بالقول الموضوع ولا بالعمل المصنوع ، بل بالإخلاص فى صفاء النفس وتربية الضمير» .

وهذا كلام جليل من رجل مجرب عرف الدنيا وعرفته ، وخالط الكثير من جميع طبقات الناس

من روائع الماضى

كلمات الدكتور محمد يوسف موسى

حاكمين ومحكومين ، فهو يجل عن التعليق ، بل لعل التعليق عليه - إن حاولناه - أن يفسده ، وعسى أن ينفع الله به بعض قارئيه .

٢ - الصلة بين العلم والعمل :

والكلام على العلم والعمل على النحو الذى قدمنا ، يجر إلى الحديث عما بينهما من علاقة وصلة ؛ أهى صلة المعلول بعلته ، فكلما وجدت هذه وجد ذاك ؛ أى كلما كان العلم بأن كذا خير ، حصل العمل وفق هذا العلم ، وذلك كما يرى سقراط مؤسس علم الأخلاق ؟ أم أن الأمر ليس كذلك ، كما يرى أرسطو المعلم الأول وأنصاره ؛ فقد يعلم الإنسان ولا يعمل ، وقد يعمل على ضد ما يعلم .

إن كان كلام سقراط هو الحق ، فلا تفسير لوقوعنا فى الإثم أخلاقياً ، أى لتقصيرنا فى العمل ، إلا أننا لا نؤمن بما نعلمه إيمانا يقينياً . وإن كان الحق فى جانب المعلم الأول ، وأن الخطأ الأخلاقى ليس مرجعه إلا إلى قوة الهوى وأسر الشهوة ، فقد عزب عنا العقل وغلبتنا الشهوات على أمرنا !

وأرى الخير والحيطة لأنفسنا أن نعمل على استكمال علمنا بالخير حتى يكون علماً لا يلابسه شك ، ويقيناً لا يخالطه ريب ، فيدفعنا ذلك للعمل على وفقه ؛ وأن نأخذ فى ذات الوقت فى العمل على إضعاف الهوى ودواعيه التى تصرفنا عن استلهام العقل واتباعه، وتدفعنا لأسر الشهوات وفتنتها .

ومما يعين على درك الغاية التى نرجو ، إدمان المطالعة فى كتب التراجم إن هذه الأسفار عباب علم ، وصفحات مجد وفخار للإسلام وعلمائه ، هؤلاء العلماء الذين خالط الإيمان قلوبهم ، فعرفوا الله حق معرفته ، وتجلت لهم الدنيا على حقيقتها فراوها شيئاً تافها لا يوازن بشىء من الكرامة والمروءة . إن هذه الأسفار مليئة بأخبار جلة العلماء ، ومواقفهم مع الأمراء والسلاطين والخلفاء حتى فى عصور الاستبداد ، وكيف كانوا لا يرعون إلا الله وحقه والعلم وكرامته ، فعزوا وعزت بهم البلاد ، وسعدوا وسعدت بهم الأمة .

إن فى كتب سيرة المصطفى وابطال الإسلام ، وترجمات العلماء الأعلام ، لغذاء النفوس ، ومتعة للقلوب ، وحافزاً للاعتزاز بالإسلام والتشبه برجالاته . وكم يكون جميلا وخيراً إذا جلونا للناشئة بعض هذه السير ، واتخذنا من اصحابها مثلاً علياً لنا ، وكنا لهم قدًى طيبة عملية !

٣ - يشعر البعض منا بأنه غريب عن الناس ، هين عليهم ؛ فإذا ضمه مجلس بآخرين ليسوا على لونه فى الثقافة رايته يلم ثيابه ، ويتداخل فى نفسه ، ويرى السلامة منهم غنيمة ، والانصراف من المجلس نجاة وراحة ، لماذا هذا الإحساس ؟ وما عوامله ؟

لعل أهم عوامل هذا الإحساس لدى من يحسه ، هو شعوره بأنه يعيش فى دنيا غير دنيا الناس ، فهو فى واد وهم فى واد آخر ، وهو لهذا ثقيل عليهم برم بهم ، إذ يعلمون ما لا يعلم من المعارف المتعددة الألوان ، وربما انكروا عليه أن ما يعلمه ذو غناء فى هذه الحياة .

ونعتقد أن فى هذه النظرة الثقيلة غير قليل من التجنى والمغالاة ، كما أنها كانت تصدق فى

الماضى أكثر من الزمن الحاضر ، الذى صار فيه الأزهرى يشارك مشاركة طيبة فى درس ألوان المعارف التى لابد منها للثقافة العامة ، فضلاً عن دراسة ما تخصص فيه من علوم .

على أن هذا لا يمنع من أن نقول إننا لازلنا ملومين من بعض النواحى ، إذ نبذل كثيراً من مجهودنا العقلى وزمننا الدراسى فى تعلم وتعليم ما لا يجدى ، سواء من ناحية المادة نفسها موضوع التعليم ، أو من ناحية طريقة تعليمها .

ولنترك الآن أحد أعلام الأزهر وأفذاذه ، وهو المغفور له العلامة الشيخ حسين والى ، يضرب المثل لذلك من عناية الأزهريين بعلم الكلام عناية أعنتوا أنفسهم بها ، وأضاعوا بسببها كثيراً من الوقت والجهد كان من الخير أن ينفقا فى العلم الناجع المفيد . يقول السيد الأستاذ فى الجزء الأول من كتاب التوحيد :

« علم الكلام حادث فى الملة الإسلامية ، ومشى فيه الناس صوراً بعد صور ، وكل منهم يقرر صحة العقائد ويستنهض الحجج والأدلة ، وما فعلوا ذلك إلا لوجود خصوم من المبتدعة وغيرهم فكانوا معذورين فيما كتبوا . أما الآن فقد ذهبت تلك الخصوم وجاءت خصوم آخرون ، فلا يليق فرض الذاهب حاضرا وترك الحاضر الذى لا يرده إلا كتاب الله إذا بينه الراد وكان له عقل ! أما تلك الكتب ، فإن فيها حجبا كثيفة تمنع النور وتحدث الظلمة ، وربما قضت على اعتقاد صحيح ثابت .

أمن العقل والحزم أن يتوجه الإنسان إلى مباراة خصم موهوم ، ويترك الخصم الذى ضيق عليه المسالك وأوشك أن يميته موتا ؟ إن هذا لهو البلاء المبين ! أمن الحزم الرد على فرقة من فرق المسلمين ليس لها اسم أو وجود إلا فى الكتب ، وترك الرد على طاعن موجود الآن ؟ أمن الحزم أن يضيع الإنسان عمره فى الاشتغال بخصوم موهومة وإن كانوا ناجين لأنهم غير كافرين ؟ أمن الحزم أن يبحث الإنسان فى الجوهر والعرض ، ولا يبحث فى الكتاب والسنة ليستفيد علماً خيراً من هذا نافعاً فى كل وقت ؟ .. إن الجوهر والعرض أصبحا فى نسيان بجانب الكهرباء وغيرها مما عرف اليوم ، فهل أخذوا فى معرفة ذلك حتى يفيدهم فى الكلام ما أفادهم ذاك ؟ حاش لله أن يأخذوا !

إن كانت معرفة ذلك نافعة فى علم الكلام ولها دخل فى منازع الاعتقاد ، ولا إخال ذلك صحيحاً ، فليصرف الحاكم أو جماعة المسلمين طائفة من الناس لدراسته ليقوموا بهذا العبء ، ولا يتركوا طلاب العلم فى شقاء وبلاء ، ولا فائدة لهم تعود إلا استهزاء الناس بهم والحط من شأنهم » .

وبعد ! فهذا كلام لا يحسن كثير من الناس أن يقولوا مثله ، وهذا رأى يعز على الكثيرين فى سداده وصراحته ، فلنجعله خاتمة الحديث اليوم .

للأستاذ/عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

« صفاء اليقين »

لبعض السلف :

إن لله أقواما أنعم عليهم فعرفوه ، وشرح صدورهم فأطاعوه ، وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر له .

فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة .

« مفاخر العرب »

قال خاتمة أدباء الأندلس « لسان الدين بن الخطيب » العرب لم تفتخر قط بذهب يجمع ، ولا نخر يرفع ، ولا قصر يبنى ، ولا غرس يجنى ، إنما فخرها : عدو يُغلب ، وثناء يُجلب وجُزُرٌ تنحر ، وحديث يذكر ، وجود على الفاقة ، وسماحة بقدر الطاقة ، فلقد ذهب الذهب ، وفنى النشب ، وتمزقت الأثواب ، ومكلت الخيل العراب وكل الذى فوق التراب تراب ، وبقيت المحاسن تروى وتنقل ، والأعراض تجلى وتصقل .

« دعاء يضيق به إبليس »

كان محمد بن واسع - رضى الله عنه - يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم فَأَيِّسْهُ منا كما أيسته من رحمتك ، وقنطه منا كما قنطه من عفوك ، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك ؛ إنك على كل شىء قدير .

« عداوة اللئام »

نسب إلى الإمام الشافعى - رضى الله عنه - هذه الأبيات :

بـلاء ليس يشبـهـه بـلاء
عـداوة غـير ذى عـرض ودين
يبيحـك منه عـرضـا لم يَصُنْـهُ
ويـرتع منـك فى عِرْضٍ مصـون

« ما أشتهى من الدنيا »

قال محمد بن واسع : ما أشتهى من الدنيا إلا ثلاثة : أخا إن تعوجت قومنى ، وقوتا من الرزق

عفوا من غير تبعة ، وصلاة فى جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها .

« شىء من الحكمة »

- للفقر نور مادمت تستره ، فإذا أظهرته ذهب نوره .
- أضر الأشياء صحبة عالم غافل أو صوفى جاهل .
- لا تعم عن نقصان نفسك فتطغى .
- من لم يستعن بالله على نفسه صرعته .
- من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه .
- الدعوى من رعونة النفس .
- من تزين بزائل فهو مغرور .

« متى تجب الجنة ؟ »

روى أن الأوزاعى لقى إبراهيم بن أدهم وعلى رأسه حزمة حطب .

فقال : ياأبا إسحاق إلى متى هذا .... ؟ إخوانك يكفونك .. !

فقال : دعنى عن هذا ياأبا عمرو ، فإنه بلغنى انه من وقف موقف مذلة فى طلب الحلال وجبت له الجنة .

« شعر الحكمة »

حيل ابن آدم فى الحياة كثيرة
والموت يقطع حيلة المحتال
فإذا بليت ببذل وجهك سائلا
فابذله للمتكرم المفضال
واصبر على غير الزمان فإنما
فرج الشدائد مثل حَلِّ عقال

« دعاء »

اللهم اجعلنا ممن يأخذ الكتاب باليمين ، واجعلنا يوم الفزع الأكبر آمنين ، وأوصلنا برحمتك وكرمك إلى جنات النعيم ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

في الأدب المقارن

وصيّة إلى حبيب

للأستاذ/ عبد الصبور الكاشف

موضوع واحد عثرنا عليه بين شاعرين ، وعلى وجه الدقة بين الشاعرة الإنجليزية كريستينا چورچينا روزيتى Christina Georgina Rosetti .

عاشت الفترة (١٨٣٠ ـ ١٨٩٤) ، لذا تعتبر من شعراء القرن التاسع عشر ، فهى من شعراء عصر الملكة ڤيكتوريا ، وهى تختلف عن اخيها الشاعر Rosetti فى اتجاه كل منهما ، وإن اجتمعا فى الرومانسية ، ويعتبر اخوها اعظم شاعر إنجليزى فى كتابة (السوناتات[1] Sonnets) بعد (شكسبير) و (وردزورث Wordsworth) .

والشاعر الذى نَقْرِنُهُ بـ (كريستينا) هو الشاعر العربى (إيليا أبو ماضى) الذى عاش الفترة (١٨٨٩ ـ ١٩٥٧م) ، وشهرته فى عالم الأدب العربى مشهودة ، فهو أحد أعلام المهجر ، ويمتاز بخفة الروح وسلاسة العبارة ، واختيار الوزن المناسب جداً لقصائده .

والموضوع الذى عثرنا عليه يدور حول وصية إلى حبيب .

وهذا هو النص الإنجليزى وترجمته :

(١)قصيدة من اربعة عشر بيتا تقريبا .

When I am dead my dearest,
Sing no sad songs for me,
Plant thou no roses at my head,
Nor Shady Cypris tree,
Be the green grass above me
With Showers and dew drops wet,
And if thou wilt remember,
And if thou wilt forget,
I shall not see the shadows,
I shall not feel the rain,
I shall not hear the nightingale
Sing on as if in pain,
And dreaming through the twilight
That doth not rise nor set,
Haply I may remember,
And haply may forget .

عندما أموت يا أعز الناس عليَّ
لا تُغَنِّ من أجلى أغانى حزينة
بل ولاتزرع زهوراً عند رأسى
ولا حتى ذلك الصبار الظليل
وحسبى هذا النجيل الخَضِر من فوق قبرى
تُبَلّله الأمطار وقطرات الندى
وَتَذَكَّرْنى إذا شئت
وكذا انسانى إذا شئت
فسوف لا أرى الظلال
ولن اشعر بالأمطار
ولن اسمع الكروان
يغنى أغانيه الشجية
فسأحلم فى ظلمة القبر
التى لا تشرق ولا تغرب
وربما أتذكرك
وربما أنساك

وهذا هو النص العربى لإيليا أبى ماضى ، قال :

إنْ أَنَا اغمض الحِمام جفونى ... ودَوَى صوتُ مصرعى فى المدينهْ
وَتَمَشَّى فى الأرض دارا فدارا ... فسمعتِ دَوِيَّه ورنينه
لا تصيحى : واحسرتاه لئلا ... يدرك السامعون ماتضمرينه
وإذا زُرْتِنِى وأبصرت وجهى ... قد محا الموتُ شَكَّهُ ويقينه
ورأيت الصحاب جِاثين حولى ... يندبون الفتى الذى تعرفينه
وتعالى العويل حولك ممن ... مارسوه وأصبحوا يحسنونه
لا تَشُقِىّ علىَّ ثوبك حزنا ... لا ، ولا تذرفى الدموع الثخينه
غالبى اليأس واجلسى عند نعشىِ ... بسكون إنى أحب السكينه
إن للصمت فى المآتم معنى ... تَتَعَزَّى به النفوس الحزينه
ولقول العُزال عنك : بخيلٌ ... هو خير من قولهم : مسكينه
وإذا خفت ، أن يثور بك الوجد ... فتبدو أسرارُنا المكنونه
فارجعى واسكبى دموعك سراً ... وامسحى باليدين ماتسكبينه
يا ابنة الفجر من أحبك مَيْتٌ ... ولانت بمثل هذا مهينه

في الأدب المقارن

وصية إلى حبيب

إن بين القصيدتين خطوطا يؤدى بعضها إلى بعض ، وهى تفسح الطريق لمعانٍ تتفرع عنها ، وهذا واضح فيما خطته كريستينا .

فالموضوع واحد .

وفى كل منهما يختلف المخاطب فهو عند كريستينا رجل ، وعند إيليا امرأة ، فقد طلبت إلى (رجلها) أن يأْسُوَ جرحه إذا هى ماتت ، وألا يجهد نفسه فى ذكراها فلايغنى من أجلها ، أو يزرع صبارا فوق قبرها .

إنه يُغْنِيها عن ذلك ما فوق قبرها من نجيل ونَدَى .

ثم هى تسمح له ألا يقيم على وفاء لها ، فهو حر إزاءها : نسيها أو تذكرها وحسبها أن تقيم بقبرها .

وبعد :

فهذه المعانى موجودة فى قصيدة إيليا ، وغنى عن البيان أن إيليا يستطيع أن يأتى بعكسها ويضعه فى قصيدته ، ويزيد شيئا أو أكثر من بيئته العربية كشق الجيوب والندب حتى تكون أرفع شأنا من النادبين صناعة .

وليس بعيداً أن يطلع إيليا على هذه القصيدة ، فهو يتقن الإنجليزية وعاش فى أدبها دهرا ، وكلا الشاعرين : كريستينا وإيليا من شعراء الرومانسية والحق يقال :

إن إيليا استطاع أن يصوغ معانى قصيدته صياغة عربية على مستوى عالٍ ، مختارا لها بحر الخفيف الذى أعانه على شجوه وجمال تصويره الذى يبدو بطيئا تارة فى جمال رائع :

وتمشى فى الأرض داراً فداراً   فسمعت دويه ورنينه

وسريعا أخرى فى الأبيات التالية .

إنه على أى حال : شاعر مفلق ،،،

قراءة فى كتاب مدرسى

قواعد اللغة العربية

المقرر على الصف الثالث الإعدادى

د. مبروك عطية أحمد أبو زيد

الحمد لله ولى النعم . والصلاة والسلام على النبى الأكرم ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير من مشى على قدم ، إلى يوم الفوز والندم

وبعـــد :

فهذه نظرات علمية متواضعة فى كتاب « قواعد اللغة العربية » الذى قررت وزارة التربية والتعليم تدريسه لطلاب وطالبات الصف الثالث الاعدادى ، وهو من تأليف الدكتور محمود فهمى حجازى ، والدكتور رشدى أحمد طعيمة ، والأستاذ عبد الرءوف محمد الغمراوى والأستاذ محمود أمين القوصى ، وقد بذل الأساتذة فى تأليف هذا الكتاب جهداً يذكر فيشكر ، حيث قاموا على بصيرة بتسهيل قواعد العربية ، وتقريبها إلى عقل الناشىء مهتدين بقرارات مجمع اللغة العربية المصرى ، والتى سجلوا منها أربعة فى الصفحة الثانية من الكتاب ، وقد اشتمل الكتاب على ثمانى وحدات ، اشتملت الوحدة الأولى على تدريبات تمهيدية ، والوحدة الثامنة على تطبيقات شاملة ، وأما الوحدات الست فخصصت لأبواب المنهج وهى بترتيب الكتاب التوابع « النعت الحقيقى والتوكيد والعطف والبدل » والعدد وكناياته و« كم » بقسميها ، والتراكيب « النداء والمدح والذم والتعجب ، والاستفهام وأحرف الجـواب » ، والمصادر والمشتقات والتدريب على الف الوصل وهمزة القطع ، والتدريب على معرفة أصول الكلمات ، والكشف عن معناها فى المعجم الوجيز .

وبغض النظر عن اختيار الموضوعات السابقة اقول مستعيناً بالله تعالى : لقد وقفت على مواضع قصور شوهت جمال الكتاب ، وهى كما يأتى :

١ ـ لجوء الأساتذة إلى القضية النحوية المتنازع

● الكاتب مدرس اللغويات بجامعة الأزهر ـ كلية البنات الإسلامية ـ بسوهاج

قراءة فى كتاب مدرسى

وقفات مع كتاب (قواعد اللغة العربية)

فيها، ومجال ذلك الدراسات العليا، أو العالية، وليس مجاله تعليم الصغار.

فقد جاءت أمثلة التوكيد اللفظى قول الله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ وقوله سبحانه: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ. ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ وقوله عز من قائل: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ وانظر ص ٢٣ من الكتاب وهذه الأمثلة على رأى من يجيز فى التوكيد اللفظى الفصل بحرف العاطف بين الجملة المؤكدة، والجملة المؤكِّدة، فهذه قضية خلافية، حيث أجاز ذلك جماعة منهم ابن مالك.

الا ترى إلى قول الجمل فى حاشيته عند تفسير قول الله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾(١): «تأكيد لفظى كما زعمه ابن مالك ولا يضر توسط حرف العطف، والنحويون يأبون هذا، ولا يسمونه إلا عطفاً وإن أفاد التأكيد»(٢).

والذين أجازوا الفصل بـ«ثم» أو الفاء اشترطوا عدم اللبس يقول الفاكهى: «فإن حصل لبس وجب تركه كـ«ضربت زيداً، ضربت زيداً»؛ إذ لو جىء به لتوهم تكرار الضرب منك، والغرض أنه لم يقع منك إلا مرة واحدة»(٣).

ولا أود بسط الكلام فى هذه القضية، فيكفى أنها موضع اختلاف ومناقشة بين العلماء، الأمر الذى لا طاقة لطالب تلك المرحلة به، ثم إن الأمثلة السابقة - على القول بجواز التوكيد اللفظى فيها - خاصة بتكرار الجمل، ولم يذكر المؤلفون أمثلة لتوكيد الاسم أو الفعل، أو الحرف، وقد رأيت أن مطالعة الطالب فى أمهات كتب النحو أسهل له من مطالعته كتاب الوزارة، ففى ارتشاف الضرب لأبى حيان ما نصه: «التوكيد اللفظى يكون فى المفرد، والمركب غير الجملة، والجملة، ويشمل المفرد الاسم والفعل، والحرف، ويكون فى المعرفة والنكرة، فمن توكيد الاسم:

أخاك أخاك إن من لا أخا له
[كساع إلى الهيجا بغير سلاح]

ومن توكيد الفعل:

[فأين إلى أين النجاة ببغلتى]
أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس

ومن توكيد الحرف:

لا لا أبوح بحب بثنة إنها
[أخذت علىّ مواثقا وعهودا]

ومن توكيد المركب غير الجملة:

فحتام حتام العناء المطول.

ومن توكيد الجملة:

قم قائما قم قائما(٤).

ولست مبالغاً إذا قلت إن القراءة فى كتاب أبى حيان أحسن، وأنفع للدارس الصغير الذى سوف يسأل هذا السؤال: ما إعراب «ثم كلا سيعلمون» هل «ثم» حرف عطف، والجملة بعدها معطوفة، أم «ثم» حرف عطف وما بعدها توكيد لفظى، يأخذ حكم ماقبله، فلا محل له من الإعراب؟!

(١) النبأ: ٤، ٥

(٢) حاشية الجمل على تفسير الجلالين ٤ / ٤٧١

(٣) شرح الفاكهى لقطر الندى ٢ / ٢٢٣

(٤) ارتشاف الضرب ٢ / ٦١٥، ٦١٦

٢ ـ وجود أخطاء منهجية فى التدريبات والتطبيقات ، ففى ص ٣٤ السؤال الرابع ، ونصه : « اجعل التمييز فى كل جملة مما يأتى بدلاً ، واضبطه بالشكل مع بيان نوعه » ، وهذه العبارة التى هى دليل الطالب تفيد أن كل جملة وردت فى السؤال مشتملة على تمييز ، وعلى الطالب أن يحول هذا التمييز إلى بدل ثم يضبطه بالشكل ، ويبين نوعه ، لكن ذلك لم يحدث فى أول جملة فى السؤال وهى « حسن الرجل كلامه » فإن هذه الجملة ليس بها تمييز ، وإنما هى إجابة ، فالصواب أن تكون جملة السؤال : « حسن الرجل كلاما » لكى تكون مشتملة على تمييز ، فإن قال قائل : إن ذلك مقصود بغرض اختبار الطالب ، وقياس قدرته وما إلى ذلك ونحوه من الأساليب المثالية فى التربية قلت : كان ينبغى أن يغير السؤال . ومن ذلك ما تجده فى ص ٥٦ ، حيث جاء السؤال الأول فى ضوء عبارة طيبة ذات معنى يقول : « عين أساليب المدح والذم فى العبارة » وليس فى العبارة أسلوب مدح واحد ، وكان بإمكانه أن يقول : « عين أساليب المدح أو الذم أو أن يضيف إلى العبارة جملة أو جملتين فى المدح ، إذ أنها ليست تنزيلاً . وتتوالى الأسئلة وتتعدد على هذا النحو أو على أسوأ منه ، ففى الصفحة السادسة والخمسين نفسها السؤال (حـ) يقول : كيف تعرف المخصوص فى تلك الأساليب .

أقول : إن واضع هذا السؤال لم يجد شيئاً يقوله فسبق قلمه إلى وضعه ، وفى الصفحة نفسها وضع خطا تحت كلمتى « محبة » فى قوله « لأنها تكسبك محبة » و « جلساء » . فى قوله : « وتجنب جلساء السوء » والمطلوب إعرابهما وهما ـ كما هو واضح لكل من له أدنى دراية بالنحو ـ مفعول به وكان بإمكانه أن يزحلق الخط إلى أية كلمة أخرى فى العبارة بغرض التنويع ، والتدريب على معرفة أكثر من منصوب ، وهكذا . وفى الصفحة نفسها ، يقول السؤال الرابع : عين فيمايلى المخصوص بالمدح أو الذم وأعربه ، ومن ذلك الأسلوب (هـ) بئس من له فى كل قِدْرٍ مغرفة (يقال للمتدخل فيما لا يعنيه) فأين المخصوص هنا ؟! مع ملاحظة أنه لم يشر فى القاعدة إلى جواز حذفه إن علم .

٣ ـ عدم مراعاة قواعد العربية ، وحفظ الذوق ، وتنميته عند طالب تلك المرحلة ، ألا ترى إلى السؤال السادس ص ٦١ ونصه . قال الشاعر :

ما أنضر الروض إبان الربيع وقد سقاه ماء الغوادى فهو ريان

(أ) ضع بدل « ما أفعل » فى الأمثلة السابقة « أفعل به » وغير ما يلزم .

(ب) أعرب ما تحته خط .

هذا هو السؤال برمته ، ليرى قارىء هذا المقال معى فساده من أكثر من وجه ، فهو يقول « ضع بدل ما أفعل فى الأمثلة السابقة » ولا يوجد سوى مثال واحد هو هذا البيت ولو وضع الطالب « أفعل به » موضع « ما أفعله » فقرأ البيت هكذا .

« أنضر بالروض إبان الربيع وقد .. .. .. » لكسر البيت ، وفى ذلك ما لا يخفى من إفساد ذوق الطلاب .

ولو أن الغرض من هذا السؤال تدريب الطالب على استبدال صيغة بأخرى لكان مجال النثر ، أو الشعر بشرط الا يخل هذا الاستبدال بوزنه .

٤ ـ عدم المحافظة على النص المقدس ، القرآن الكريم ، وأقول ذلك صراحة ، لما ورد فى كتاب « قواعد اللغة العربية » وقد تمثل فى مظهرين .

الأول : تعريض النص للعبث والخطأ ، واقرأ ما جاء فى ص ٤٠ ، ٤١ ونصه :

٣ ـ ضع بدل الأرقام فى الجمل الآتية ألفاظاً عربية واضبطها وتمييزها بالشكل .

(ب) [والصواب أ] : « واختار موسى قومه (٧٠) رجلاً لميقاتنا » .

قراءة فى كتاب مدرسى

وقفات مع كتاب (قواعد اللغة العربية)

(ب) « إن هذا أخى له (٩٩) نعجة ولى نعجة واحدة » .

(حـ) « ولبثوا فى كهفهم (٣٠٠) سنين وازدادوا (٩)».

(د) « احتفلنا بالذكرى الـ (١٧) لإنشاء الجامعة » .

والملاحظ فيما ورد فى « أ ، ب ، حـ » من آيات أنه يعرض النص الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى الخطأ فقد يكتب الطالب (٧٠) فى السؤال (أ) : سبعون ، وقد يكتب فى (حـ) « تسعة » لا « تسعاً » ، وهو إن فعل ذلك أصاب القاعدة وأخطأ فيما لا يتسامح الخطأ فيه ، فإن القاعدة أن المعدود إذا لم يذكر جاز إثبات التاء وإسقاطها ، وقد ورد بالإسقاط قوله عليه الصلاة والسلام : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر »(٥) ، فلماذا نعرض القرآن الكريم لمثل ذلك ؟

والثانى : عدم العناية بالنص القرآنى من حيث الضبط ، وكتابة الآيات ، فمعظم الكلمات القرآنية غير مضبوطة ، إلى جانب عدم الاهتمام بكتابتها ، خذ مثلاً ماجاء فى ص ٢٥ السؤال الثانى (أ) « علم آدم الأسماء كلها » وما ضرهم لو كتبوا الواو .

فحافظوا على النص : إذ الآية : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ البقرة : ٣١ ، وماضرهم لو صدروا الآيات بعبارة « قال تعالى » لتنبيه التلميذ إلى النص ، فيستحضر الخشوع ، ويقبل عليه الاهتمام ، ويفرق بين النصوص ، فليس كل تلاميذنا يحفظون القرآن الكريم .

● وانظر إلى ما جاء فى ص ٢٩ السؤال الثانى (ب) حيث جاء النص هكذا : « وعد الله حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن » والصواب ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ التوبة : ١١١ . ولو تأملت ـ عزيزى القارىء ـ شكل السؤال ـ لأدركت معى عدم العناية بالنص القرآنى ، فالسؤال نصه :

استخرج مما يلى كلاً من المعطوف والمعطوف عليه وحرف العطف :

(أ) إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم .

(ب) وعد الله حقا فى التوراة والانجيل والقرآن « على ما فيه من خطأ بيناه » .

(حـ) يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون .

ما الذى يضر لو أنهم كتبوا الآية بتمامها من سورة التوبة ، أو صورت من المصحف الشريف حتى لا يقدموا ويؤخروا فى كلام الله فإن (حـ) فى الآية قبل (ب) وليست هناك ضرورة لارتكاب مثل هذا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ التوبة : ١١١ .

٥ ـ التجوز فى التعبير بالمصطلحات النحوية ، ففى درس النداء ص ٤٨ جاء فى العلم المفرد قول الكتاب : « فهو منادى مبنى على الضمة » والضمة ليست علامة بناء ، فلو سلمنا جدلاً

---

(٥) صحيح مسلم (كتاب الصوم / باب استحباب صوم ستة ايام من شوال اتباعاً لرمضان) والحديث رواه ابو ايوب الانصارى وانظر كتابنا (العدد وكناياته فى ضوء القرآن الكريم) صـ ١٧ ط المطبعة الفنية سنة ١٩٩٠

بظاهرة التجديد قرأنا فى ص ٥٢ ، ٥٣ فى نماذج أعربها المؤلفون : أى : منادى مبنى على الضم ، و« إنسان » منادى نكرة مقصودة مبنى على الضم ولا أشك فى أن ذلك يحدث الاضطراب ، واقرأ القاعدة فى ص ٥٥ ونصها : « قد يكون فاعل نعم وبئس اسماً محلى بـ « أل » أو مضافاً إلى المحلى بها أو أن يكون ضميراً أو « ما » الموصولة ولاحظ مافيها من ضعف التركيب ، والنقصان ، فلو حذفت « قد » و« أن يكون » ، وزيدت « من »الموصولة أيضاً لكان أسلم وأوفى ، فإن قيل : قد اقتصرنا على « ما » قلت فلم جاء السؤال بـ« من » فى ص ٥٧ « هـ » من السؤال الرابع .

٦ ـ عدم العناية باختيار العبارات ، التى صدرت فى التدريب والتطبيق ، فبعضها منقول عن فكر أصحابه دون تصرف كما فى ص ٢٩ « رحم الله زماناً كان فيه الأب آمراً لأسرة وناهيها ، فلا راد لقوله ولا مناهض لرأيه » ، ولو أنها غيرت إلى « لا أحد من أفراد أسرته يرد له قولاً ، أو يناهض له رأيا » لكان أولى ؛ إذ الذى لا راد لقوله الله الواحد القهار وحده لا شريك له ، وبعضها أبعد مايكون عن ثقافة التلميذ ومعرفته كما فى ص ١١٣ حيث تحدثت العبارة عن أبى جعفر النحاس ، وذكرت من مؤلفاته « تفسير أبيات سيبويه » وتحدثت عن تقطيعه الشعر وعلمه بالعروض ، دون أدنى تفسير للمصطلحات ، أو تعريف بسيبويه ، ولو فى سطر واحد مادمنا أخلصنا النية فى تثقيف الصغار ، وربطهم بأسلافهم من العلماء النابغين ، كما أن الكتاب قد خلا تماماً من إيضاح مبهم ، ومن تفسير غامض ورد فى تلك العبارات والإعراب فرع المعنى ، ولنأخذ مثالاً على ذلك ورود كلمة « هِمْيان » ص ٦٥ دون تفسير معناها وهو ما يشد على الوسط ويوضع فيه النفقة كما جاء فى لسان العرب (هـ ، م ، ن) وانظر ص ١١٤ ، السؤال السادس ، وص ١١٩ السؤال الثامن وص ١٢٣ السؤال التاسع وص ١٢٥ السؤال الرابع وغير ذلك كثير .

٧ ـ كثرة الأخطاء الإملائية واللغوية ، وعلى سبيل المثال دُعَيتُ س ١ ، ص ٢١ والصواب : دُعِيتُ .

ادْعُ إلى سبيـل ربك س ١٤ ص ٢١ والصواب : ادْعُ بهمزة وصل .

اطل من نافذة القطار س ١٧ ص ٢١ والصواب : أطل من نافذة القطار .

وَمِنْ حَوْلِهِ س ٤ ص ٢٢ والصواب : وَمَنْ حَوْله . ضميرِ حىٌ س ٧ ص ٢٢ والصواب : ضميرٍ حىٍّ .

والأمر يطول ، ولا يتسع له المجال هنا ، فالكتاب فى حاجة إلى مراجعة دقيقة ، إذ لا يعقل أن تجد أخطاء بهذا العدد فى كتاب خصص فى قواعد العربية .

وبعد فإذا كانت وزارة التربية والتعليم قد نهضت مشكورة بالكتاب المدرسى ، فصحا بعد سبات طويل ، وخرج إلى الوجود فى ثوب قشيب ، فإننا من باب محاولة الوصول إلى الكمال نقدم هذه الملاحظات راجين للقائمين على أمر الكتب خصوصاً كتب النحو المزيد من التقدم والرقى . وبالله التوفيق .

أنباء وآراء

إعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

تشكيل اللجنة العليا برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● تم تشكيل اللجنة العليا للدعوة الإسلامية برياسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وعضوية فضيلة الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر .

وقد تقرر تشكيل أمانة عامة برياسة فضيلة الأستاذ الدكتور حامد جامع وكيل الأزهر وأمانات فرعية للتوعية الدينية بمختلف محافظات الجمهورية .

وأعلن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن تنظيم قوافل للتوعية تضم مختلف التخصصات إلى جانب علماء الأزهر لتجوب المحافظات .

كما أعلن عن قيام فضيلته بزيارات لكافة محافظات مصر لمتابعة أعمال هذه القوافل طوال العام .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس المحكمة الشرعية بقطاع غزة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر ، سماحة الشيخ كمال سعيد الأغا رئيس محكمة الاستئناف الشرعية العليا بقطاع غزة وذلك بمكتب فضيلته .

تم خلال اللقاء بحث إمكانية إيفاد بعثات من الأزهر الشريف لقطاع غزة وتدريس العلوم الدينية المقررة على طلاب الأزهر بالجامعة الإسلامية بغزة ، والعمل على زيادة عدد طلاب القطاع المقبولين بجامعة الأزهر .

١٦ يناير إجازة نصف العام بالمعاهد الأزهرية

● وافق فضيلة الإمام الأكبر على أن تبدأ إجازة نصف العام لطلاب المعاهد الأزهرية بمختلف المراحل للعام الدراسى ١٩٩٢/٩١ عقب انتهاء دروس يوم الخميس الموافق ١٦ من يناير القادم على أن تستأنف الدراسة صباح يوم السبت الموافق الأول من فبراير القادم .

مؤسسة محمد على كلاى

● وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على إمداد مؤسسة محمد على كلاى الإسلامية باحتياجاتها من المعلمين والكتب والمناهج الدراسية للعلوم العربية والإسلامية .

وأعرب فضيلة الإمام الأكبر عن سعادته

بالجهود المشكورة التى تقوم بها مؤسسة محمد على كلاى الإسلامية من خدمات جليلة للدعوة الإسلامية بالولايات المتحدة الأمريكية .

جدير بالذكر أن المؤسسة التى أنشأها بطل العالم السابق فى الملاكمة تضم حاليا أكثر من (مائتى) مسجد إلى جانب عدد من المدارس لتعليم الإسلام . وقد أكد كلاى على أن همه الأول العمل على نشر الإسلام فى العالم .

« مفتى أذربيجان يطالب رسمياً »
بالإسلام دينا رسميا للدولة

● طالب الشيخ شكر الله باشا زاده رئيس الإدارة الإسلامية والمفتى العام فى تنقاسيا بإعلان الإسلام دينا رسميا لأذربيجان .

وقد تقدم المفتى العام بهذا الطلب للجهات الرسمية كما طالب فضيلته بإعادة المؤسسات الإسلامية المصادرة من المسلمين إبان الحكم الشيوعى فى أذربيجان وتتضمن الممتلكات والأوقاف التابعة للمساجد والمؤسسات الإسلامية حيث تم استخدامها فى أغراض غير دينية بواسطة الشيوعيين .

تعتبر مطالب الشيخ زاده اختبارا صعبا يكشف عن نوايا الحكام الجدد الذين يدينون لأوامر (يلتسين) فى وجوب أن تبقى الجمهوريات الإسلامية تحت حكم ديكتاتورى ، راجع افتتاحية عدد ربيع الآخر ص ٣٧٢ تصريح أوجينى أبرازموف وانظر نفس الخط فى سلب حرية المسلمين فى معارك الصرب ضد كوسوفو الجمهورية الإسلامية بيوغسلافيا .. والخط نفسه فى ألبانيا فى الرد على مطالب مفتيها .

العدد الحالى عن ألبانيا .

« مركز إسلامى جديد بمدريد »

● انتهى العمل فى بناء مركز إسلامى ثقافى بالعاصمة الأسبانية (مدريد) .

يتميز المركز الجديد بأنه يعد من أكبر المراكز الإسلامية فى أوروبا وهو يشغل موقعا فريداً بالعاصمة مدريد ويحتوى على مكتبة كبيرة تضم أمهات الكتب الإسلامية ومركزا ثقافيا يتلقى فيه أبناء المسلمين العلوم الدينية وحفظ القرآن الكريم .

ويوجد بالمركز قسم للفتوى للرد على أسئلة المسلمين بمدريد للتفقه فى دينهم وإشهار الإسلام للمسلمين الجدد .

الجدير بالذكر أن الإذاعة اللندنية قد تناقلت الخبر عن وكالة الأنباء الإسلامية .

مجلة الأزهر :
وجدير بالذكر أيضا أن العاصمة مدريد مهتمة جداً بترجمة كل صغيرة وكبيرة يكتبها مسلم لتتخذ ذريعة فيما يثيره المستشرقون ضد الإسلام فى خطهم الجديد الذى يعنى بالإثارة مستندة إلى كلمة مسلم حتى لا يحتج عليهم . تعرف هذه الطريقة فى فن الإثارة بـ (جذر الكذب) .. أستاذها قديما (جوبلز) مدير دعاية الفوهرر (هتلر) .

عالم مسلم من الهند يسجل أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) على أقراص كمبيوتر

● قام العالم المسلم محمد مصطفى الأزمى العظمى الهندى الجنسية بتسجيل أحاديث

أنبـــاء وآراء

رسول الله (ﷺ) من الكتب الصحاح (صحيح البخارى ومسلم وسنن النسائى وأبى داود والترمذى وابن ماجه ومسند أحمد بن حنبل) على أقراص كمبيوتر وسماها مكتبة الحديث الأليكترونى .

تم ذلك بولاية كولورادو الأمريكية .

ويمكن استرجاع هذه الأحاديث حسب المواضيع بسهولة وفيها ترجمات للأحاديث بلغات الأردو والهندى والبنغالى والإنجليزي والفرنسى والألمانى والملايو والبشتو والتركى .

إقامة أول مسجد فى (ويندهوك) عاصمة ناميبيا منذ استقلالها

● أقيم فى (ويندهوك) عاصمة ناميبيا أول مسجد منذ استقلالها فى أوائل هذا العام ، ويشمل المسجد مركزاً إسلاميا كبيرا شاملا .

وسيفتتح قريبا ذلك المركز الإسلامى فى « ويندهوك » .

تكلف المسجد مبلغ أربعين مليون دولار ، ويشتمل على قاعة اجتماعات ومدرسة ومركز تدريب ومكتبة إسلامية كبيرة .

والجدير بالذكر : أن عدد المسلمين فى « ويندهوك » حوالى الف شخص .

افتتح عدد من الدول الإسلامية سفارات لها فى « ويندهوك » منها مصر وليبيا والجزائر وتونس وإيران .

الإسلام فى بلجيكا

● فى مقابلة بثتها إذاعة مونت كارلو بالعربية عن انتشار الإسلام فى بلجيكا . ذكرت أن الإسلام قد انتشر فى بلجيكا بعد الحرب العالمية الثانية عن طريق المهاجرين المسلمين الذين استوطنوا فى بلجيكا فقد لجأ إليها كثير من الألبان المسلمين الفارين من الحكم الشيوعى فى بلادهم ، كذلك تدفقت البعثات الدبلوماسية من الدول الإسلامية على بلجيكا وكان لها أكبر الأثر فى تنمية العلاقات الإسلامية بشكل ملاحظ .

يبلغ عدد المسلمين فى بلجيكا نحوا من مليونى مسلم ، وبها أكثر من ٤٠ ألف طفل مسلم ولدوا على أرضها ، وصاروا يحملون الجنسية البلجيكية تلقائيا .

قامت مجموعة من المسلمين فى بروكسل بتأسيس منظمة إسلامية باسم المركز الثقافى الإسلامى وحصلت الجالية على اعتراف من الحكومة البلجيكية بالمركز منذ عام ١٩٦٧ م كذلك اعترفت الحكومة بالدين الإسلامى دينا رسمياً بجانب الديانة الكاثوليكية .

يضم المركز مكتبة كبيرة ومدرسة لتعليم أبناء المسلمين القرآن وعلومه واللغة العربية وقاعة اجتماعات لتدارس أحوال المسلمين فى بروكسل .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية « مصرى فى رحاب آل البيت »	
د . على أحمد الخطيب	٤٨١
العالم الإسلامى والمستقبل	
د . محمد إبراهيم الجيوشى	٤٨٣
الانفــــال	
د . عبد الجليل شلبي	٤٨٧
قبس من انوار النبوة « سلعة الله غالية »	
للشيخ على حامد عبد الرحيم	٤٩٠
التراضى على خروج وريث او التخارج	
د . محمود عبد المتجلى خليفة	٤٩٢
فقه الخـــلاف	
للشيخ محمد حسام الدين	٤٩٦
الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتي « جمهورية اذربيجان »	
أ . د . محمد عبد العليم العدوى	٥٠٢
ناصح امين « دروس للدعاة إلى الله »	
للشيخ أحمد بن محمد طاحون	٥١٣
الجوع والمسلمون داخل الوطن الشيوعى	٥١٦
البانيا الإسلامية واخوة الإسلام	
للشيخ توفيق إسلام يحيى	٥١٩
اشد الناس عداوة للذين آمنوا « ملامح النظام السياسي للدولة اليهودية »	
لواء أ . ح . د . فوزى محمد طايل	٥٢٦
حول شهادات الاستثمار	
د . أحمد محمد إبراهيم	٥٣٤
الفـــتاوى	
إعداد أحمد السيد تقى الدين	٥٤٠
من اعلام الأزهر « الشيخ احمد شحاتة »	
للأستاذ أحمد حسين النمكى	٥٤٢
زائــر كريـــم	
للأستاذ عادل خفاجة	٥٤٥
الشـعر والشـعراء	
إشراف رشاد يوسـف	
إن ربك لبالمرصاد	
للشاعر السيد الصديق حافظ	٥٥٠
امتشق حرفك المضىء حساماً	
للشاعر أحمد محمود مبارك	٥٥١
ايهــا الإنســان	
للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين	٥٥٢
العـلوم الكونيـة	
التوجيه الإسلامى للعلوم ضرورة حضارية	
أ . د . أحمد فؤاد باشا	٥٥٤
حقائق وآراء علمية حول كوكب المريخ	
د . ميرفت السيد عوض	٥٦٠
الجديد فى العلم والتقنية	
إعداد : د . نجوى السيد أحمد	٥٦٣
من روائع الماضى لمجلة « الأزهر » كلمات لحضرة	
الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى	٥٦٦
طرائـف ومواقـف	
أ . عبدالحفيظ محمد عبدالحليم	٥٧٠
فى الأدب المقارن « وصية إلى حبيب »	
للأستاذ عبدالصبور الكاشف	٥٧٢
وقفات مع كتاب « قواعد اللغة العربية »	
د . مبروك عطية أحمد أبوزيد	٥٧٥
ابناء وآراء	
إعداد : عبدالمنعم فودة	
مصطفى عبدالمجيد	٥٨٠
القســم الفرنسـاوى	
المقالة الثانية	
للأستاذة هدى حسين	٥٩٠
المقالة الأولى	
للأستاذة رقية جبر	٥٩٨
القســم الانجلـيزي	
إشراف د . انس النجار	
المقالة الثانية	
للأستاذ سعد مصطفى مصطفى	٦٠٢
المقالة الأولى	
د . أنس مصطفى النجار	٦٠٦

J'implore Allah de nous guider dans la voie du respect de notre Prophète - salut et bénédiction sur lui .

De nous inscrire parmi ses adeptes, ses alliés et ceux qui défendent ses principes .

De faire que nous soyons obéissants à ses ordres .

De ne pas nous priver de son intercession en notre faveur dans l'autre monde .

Hoda Hussein chaaraoui

Au croyant ayant répondu juste, ils disent « Regarde . voilà la résidence qui t'était destinée en Enfer, Allah te l'a remplacée par celle là au Paradis » .

Quant à l'hypocrite ou au mécréant, qui répond « Je ne sais pas, je disais ce qui disaient les gens !» , les anges diront :

« Tu n'as rien su, rien lu » . C'est alors qu'ils lui assèneront des coups avec des barres de fer qui lui feront pousser des cris entendus par tout le voisinage, à l'exception des djins et des humains .

III - Supplice ou félicité de la tombe

Le supplice de la tombe est une terrible réalité que l'homme doit affronter . Le Prophète - salut et bénédiction sur lui - ne cessait dans ses invocations de demander à Allah de le protéger contre le supplice de la tombe. Son but était d'enseigner à la communauté sans l'ombre d'un doute que cela aura lieu inévitablement . Il nous a appris que la tombe peut-être un jardin du Paradis ou un abîme de l'Enfer . Il nous a appris aussi, que ce fait est infaillible, même si l'homme a été mangé dans les ventres des bêtes féroces, ou même dans les gésiers des oiseaux, car celui qui peut anéantir a le même pouvoir de ressusciter .

IX - Le Paradis et l'Enfer

Le Paradis et l'Enfer sont les deux demeures éternelles destinées aux hommes qui seront soit retribués, soit châtiés. Le Seigneur les a créés et les a préparés pour accueillir leurs hôtes ...

Allah dans le Saint Coran a dit que le Paradis a huit portes et lorsque les croyants y parviendront, les anges gardiens leur diront ; « Paix sur vous ! Jouissez de la félicité, soyez heureux ici où vous serez immortels » .

Quant à l'Enfer, il y a sept portes[1] sur lesquelles veillent des anges qui ne désobéissent pas aux commandements d'Allah ils sont soumis à Allah et exécutent Ses ordres .

(1) Pourquoi le paradis a - t - il huit portes alors que l'Enfer n'en a que sept ?
Cette inégalité s'explique par le fait que la Miséricorde d'Allah surpasse son Châtiment .

Et cependant la tradition là - dessus est unanime malgré la durée pour révéler le défi et malgré l'acharnement des adversaires et leur zèle, ces derniers furent frappés d'impuissance et s'en retournèrent vaincus .

L'apparition d'un Livre pareil dans la bouche d'un illetré est le plus grand miracle et la preuve la plus convaincante que ce livre n'est pas l'oeuvre d'un humain mais plutôt un rayon de la science divine, une sagesse émanant du Seigneur et exprimée par la bouche de ce Prophète illetré . Le Coran vénéré constitue l'Eternel, et le plus éclatant miracle du Prophète . C'est le Livre qui renferme les nouvelles du passé et celles de l'avenir ainsi que la Loi qui gère notre vie .

Il représente l'argument certifié de la véracité de la mission de Mohammad - salut et bénédiction sur lui dans toutes les époques .

Guidés par des telles preuves, il faut obéir au Prophète, le vénérer, le respecter et suivre son exemple en ce qui concerne les préceptes de la vie d'ici - bas. Voici en quoi il nous a ordonné de croire :

1 - Le mérite des Compagnons du Prophète qu'Allah soit satisfait d'eux

Allah a choisi pour Son Prophète - salut et bénédiction sur lui - des compagnons. Ils ont été les défenseurs, les partisans et les alliés du Prophète C'est grâce à eux que l'Islam fut soutenu et s'est répandu, c'est grâce à eux que les paroles du Prophète furent transmises, se sont propagées et ont été retenues par coeur; c'est grâce à eux que le Coran fut appris de génération en génération . Leur mérite dépasse celui de tout le reste de la communauté . Le musulman doit donc les honorer, les respecter et n'en parler qu'avec égards. On doit s'abstenir de parler de leurs défauts et des différends qui les ont opposés ou des guerres qu'ils ont engagées . Le Prophète - salut et bénédiction sur lui - a averti ceux qui viendront après eux en disant « Craignez Allah en mes compagnons, ne les prenez pas pour cibles après moi . Quiconque leur nuit, c'est à moi qu'il porte préjudice, celui qui me porte atteinte, c'est Allah qu'il vise et alors il sera promptement châtié» .

II - L'épreuve du tombeau

L'homme dans sa tombe endure des suplices et subit un interrogatoire par deux anges, chargés de cette mission .

Le Prophète - salut et bénédiction sur lui - nous l'a confirmé; voici ce qu'il dit :
« L'homme à peine déposé dans sa tombe, alors que les siens viennent à peine de le quitter, entend les bruits de leurs pas, voit deux anges se présenter à lui, ils le font assoir sur son séant et lui posent les questions suivantes :
« Qui était ton Dieu ? Quelle était ta religion ? Que disais - tu de cet homme » ? (i. e. Mohammad - salut et bénédiction sur lui) Puis ils lui montrent deux résidences l'une en Enfer et l'autre au Paradis;.

IV - Croyance en la Véracité du Message du Prophète Salut et bénédiction sur Lui

La reconnaissance du Prophète nous oblige à nous incliner devant ses instructions et à les accepter .

Mohammad - salut et bénédiction sur lui - vivait en Arabie, il ne se distingua jamais comme prédicateur, ni comme orateur. Il était réputé parmi les siens pour sa modestie, sa sobriété, son calme, son amabilité, si bien qu'on l'avait surnommé « Le sincère et le probe ». Jusqu'à l'âge de quarante ans, les gens de La Mecque ne virent en lui qu'un homme d'une excellente nature . Ce fut lui que le Seigneur choisit pour la Révélation, car, sur le plan moral, le Prophète doit-être le meilleur membre de la communauté. La miséricorde d'Allah s'est répandue sur toute l'humanité lorsqu'Il a envoyé Mohammad - salut et bénédiction sur lui - avec le Message destiné aussi bien aux hommes qu'aux génies .

Pour prouver la véracité du Message de Mohammad - salut et bénédiction sur lui - Allah l'a appuyé par des miracles dont l'un est éternel, Il l'a préféré aux autres Prophètes, comme Il a préféré sa communauté à toutes les autres. Son Message est le dernier de toutes les missions prophétiques antérieures, point de Prophète après lui et la légistation coranique annule toutes les autres législations. Même la profession de foi Islamique est considérée nulle si elle n'est pas suivie par l'attestation «que Mohammad est Son Messager» .

La Révélation qu'il reçut de son vivant fut conservée dans la mémoire de ses compagnons, fut également inscrite sur des feuilles de palmier, sur des morceaux de cuir, ect ....

De sorte, que le Coran dont nous disposons aujourd'hui est identique à celui qui lui fut révélé. Pas une syllabe n'a été altérée, car Allah Lui - Même en a garantie la conservation .

Le Coran fut révélé dans un siècle qui se distingue de tous ceux qui l'ont précédé par le grand nombre d'hommes élégants et habiles dans l'art de la parole. Le don de l'esprit et le talent naturel s'exaltaient dans la force de la parole et son pouvoir à toucher les consciences et à subjuger les esprits . Mohammad - salut et bénédiction sur lui - lança aux maîtres de la parole un défi. Ce défi consiste à lui présenter quelque chose de comparable en beauté et en éloquence aux sourates du Coran ou même à la plus courte d'entre elles. Il était en leur pouvoir de réunir autant de savants ou d'orateurs qu'ils le voulaient pour composer un morceau pouvant soutenir le défi .

Mais pourquoi ne peut - on pas se fier dans ce domaine à la raison humaine ? Parce que Allah en créant le cerveau de l'homme a prévu ses facultés et ses pouvoirs : ils consistent à reconnaître l'utile du nuisible au moyen de l'expérience et de l'observation. Ces derniers se basent sur les sens qui permettent d'acquérir les informations et de communiquer ce qui est compréhensible. Or, les hommes selon leur faculté d'intelligence et de raisonnement diffèrent les uns des autres. Ils sont tous confondus devant ce qui échappe à leurs sens .... Or, les hommes sont incapables de s'entendre quand il s'agit de déterminer la Vérité . Comment donc cette raison humaine limitée et insuffisante arriverait - elle à connaître, Son Créateur, Ses Attributs, Ses Actes, ce qu'Il attend de Ses Créatures, les châtiments, les récompenses et le chemin droit qui mène à la félicité en ce monde et dans celui de l'au - delà ? Pour cela Allah a jugé nécessaire d'envoyer des Prophètes afin de faire reconnaîre le Créateur à Ses créatures et d'apprendre aux hommes la manière dont il faut adorer Allah et Lui obéir .

L'homme, dont la raison et les sens sont sains, ne peut pas connaître tous les détails de ses facultés physiques ou morales, ni la relation qui existe entre le système nerveux et musculaire dans son corps .

Ainsi il existe une différence entre le mouvement déterministe du diaphragme et les battements du coeur et les mouvements purement volontaires comme le changement de position. Il y a une différence entre ce qui est volontaire et ce qui est involontaire. On en déduit donc que les actions humaines sont une création de la volonté d'Allah mais qu'elles sont en même temps les conséquences de la raison de l'homme : il les réalise par sa volonté et les accomplit librement .

c) Les actions des humains leur sont attribuées, mais elles sont conformes à la volonté d'Allah . Tout ce qui se produit dans cet univers a été voulu par Allah . Mais cela ne veut pas dire qu' Allah approuve les mauvaises actions : Allah a pourtant permis que les méchancetés soient commises, mais il n'a pas ordonné de les faire. Nous distinguons ici, la différence qui existe entre une permission et un ordre. Allah a ordonné aux anges de se prosterner devant Adam, ils se prosternèrent tous. Ainsi Allah a ordonné la prosternation, mais n'a pas voulu que Satan se soumette. Il arrive qu'Il n'ordonne pas, mais veut que cet acte se produise. Ainsi Allah a voulu qu'Adam soit chassé du Paradis à cause de désobéir ni de croire aux propos de Satan (Ibis) et cela, malgré les avertissements qu'il a reçu de son Seigneur .

d) Allah a créé les humains et les a chargés de certaines obligations .

S'Il le voulait, la terre et le ciel n'existeraient pas, et s'Il le voulait, Il aurait pu imposer aux humains des charges qui sont au - dessus de leur force .

Il aurait pu leur imposer des devoirs qu'ils ne peuvent supporter ou encore les accabler de douleur et de supplice dans ce monde, ensuite leur infliger tous les châtiments de l'enfer dans l'autre monde ... Et cela sans motif, sans qu'ils aient commis aucun crime ni aucun péché ...

Car Allah n'a point à rendre compte de ce qu'Il fait, alors que les humains seront interrogés sur leurs actions .

Allah existait alors que le monde était un néant... Il a le droit d'agir et de faire ce qui Lui plait, Il est le Maître Absolu du Royaume .

Il règne en Maître Absolu dans Son propre Royaume. N'est - il point juste de disposer à Son gré de Ses propres biens ?

e) Allah - Gloire à Lui - a demandé à Ses serviteurs de Le reconnaîre et de Lui obéir et cela grâce à la jurisprudence et par simple transmission et non par l'intelligence et la raison .

Al-Tawhid
ou
La Foi en L'unicité d'Allah

Hoda Hussein Chaaraoui

– 2 –

III Foi dans les actes d'Allah

Nous avons prouvé que l'Etre Suprême - Gloire à lui - est doué d'Onnipotence de Lui procèdent la création et le commandement,. Il est doué aussi d'Omniscience mais Son Savoir est inhérent à Son Existence, tout ce qui est créé est conforme à la conception qu'Il s'en fait Il est le Vivant et l'Eternel dans le passé comme dans l'avenir. Mais Sa vie n'est point comparable à celle de Ses créatures L'assoupissement ni le sommeil n'ont d'emprise sur Lui, Son Pouvoir s'étend à tout le royaume des cieux et de la terre . Sa science embrasse toute chose, il est impossible qu'un fait quelconque échappe à Sa volonté. Les évènements ont lieu conformément à Sa volonté sans réflexion ni préparation préalables. Il n'a point besoin d'organes comme ceux des créatures pour voir ni pour entendre. Il est Celui qui entend tout et partout, Il est Celui qui voit tout et partout, Il entend sans avoir besoin d'oreille, Il voit sans avoir besoin d'yeux comme c'est le cas pour les créatures .

Nous comprendrons mieux les Actes d'Allah en méditant sur les points suivants :

a) Il est Créateur de tout ce qui existe dans l'Univers. Tout ce qui existe en dehors d'Allah n'a été créé que par Lui .

Allah pourvoit aux besoins de tout ce qu'Il crée : Il a créé les créatures et leurs actes, il a déterminé leur sort et leurs moyens de subsistance. Il les a doués de facultés .

Il n'existe point d'animal sur terre, ni dans l'eau ni même dans les entrailles de sa mère, à qui Allah ne donne l'instinct de trouver sa nourriture et la possibilité de s'en saisir et d'en tirer profit. Par exemple l'abeille et le miel... L'araignée et sa toile... La fourmi et son mouvement incessant... La lune et son orbite ainsi que tous les autres êtres, sont tributaires d'Allah dans leur mode d'existence (de la plus petite bête, jusqu'à l'homme, la créature la plus parfaite) .

b) Les actions des humains bien qu'elles soient des créations d'Allah, soumises à Son pouvoir, leur sont attribuées dans la mesure où elles sont accomplies librement.

Cette fierté et cet orgueil des Arabes s'expliquent en grande partie par leur origine et surtout par l'Islam lui-même . Ils étaient en effet convaincus de posséder, par leur religion et la culture qu'elle véhicule, la forme la plus noble et la plus parfaite pour parfaite pour offrir un culte à Allah. De plus, les docteurs de l'Islam ont toujours défendu farouchement le patrimoine traditionnel afin de maintenir la pureté et la rigueur du dogme et de la loi islamiques .

Au contact des Musulmans, les Occidentaux du Moyen-Age éprouvaient un sentiment d'infériorité; aussi ont-ils cherché à discréditer l'Islam. Pierre le Vénérable, Abbé de Cluny, fut l'un de ceux qui ont le plus contribué à fixer cette image, et le pélérinage à St Jean de Compostelle était principalement une tentative pour prouver la force de la foi chrétienne .

Cette réputation qu'ils donnaient à l'Islam ne reflétait en fait que l'ignorance et les ténèbres dans lesquels était plongé l'Occident chrétien médiéval avant les conquêtes arabes .

Par la suite, lorsque le volume et l'étendue de transactions commencèrent à croître entre l'Islam et l'Occident, l'Europe découvrit la vraie nature de cette civilisation et les valeurs authentiques véhiculées par le monde musulman .

Toutefois, le monde occidental, fortement marqué par cette image erronée de l'Islam donnée par l'Eglise médiévale, continuera longtemps à ignorer, voire mépriser, les temps forts de la civilisation musulmane : les jugements de bien des Occidentaux sur l'Islam sont longtemps restés marqués par des déviations et des obscurcissements intellectuels ou collectifs .

A ceux qui prétendent que les gloires de cette civilisation ne sont en rien redevables à l'Islam lui-même et qu'elles sont dues à l'apport d'autres civlisations (en particulier grecque et indoiranienne), on peut rappeler – pour le moins – que les Arabes ont servi de relais à ces cultures et qu'ils ont ranimé un flambeau qui, sans eux, risquait de s'éteindre .

D'autre part, en élargissant singulièrement l'horizon intellectuel de l'Occident, ils ont frayé leur route à l'Humanisme et à la Renaissance .

Ce n'est que bien plus tard que des penseurs intègres comme Louis Massignon manifesteront la volonté de mieux connaitre, et en toute sympathie intellectuelle et objective, la vraie valeur de la culture islamique .

A l'époque actuelle, le monde musulman est en train de reprendre conscience de sa valeur : et de tirer se force de son passé lumineux .

Dr. Rokaya Gabr

pour « la dame des pensées » et ne reflétait nullement la condition humble et répendante de la femme en France. Cette conception de l'amour était donc « étrangère » à la société française.

Ce parallélisme s'explique par les relations étroites qui liaient la France du sud et du sud-ouest avec l'Espagne, et par les voyages et les séjours prolongés de troubadours, comme Marcabru, en Espagne .

Cette influence se remarque également chez le troubadour Guillaume IX qui connaissait les terres d'Islam et avait même appris quelques rudiments d'arabe (on a trouvé 4 vers d'arabe hispanique dans l'une de ses chansons) .

D'ailleurs, la langue des troubadours du Midi de la France était étroitement apparentée au Catalan : une école catalane de poésie courtoise apparut vers 1170¡.

Il n'y a pas à se dissimuler les objections que peuvent soulever ces hypothèses qui sont pourtant très vraisemblabes. En effet, pourquoi la société féodale française répugnerait-elle à emprunter à la civilisation arabe sa poésie et ses sources d'inspiration alors qu'elle lui devait déjà tant de choses ?

Ajoutons à cela que les histoires arabes diffusées par traductions et renforcées par la transmission orale justifient les similitudes de sentiments poétiques et de sujets d'inspiration .

D'autre part, on n'ignore point que la musique arabe connut son âge d'or en Andalousie. On venait de tous les coins d'Europe étudier la musique à Cordoue, à l'école des grands maîtres arabes où les grands ouvrages sur la musique étaient traduits en latin (8) . D'ailleurs un grand nombre d'instruments de musique portent des noms d'origine arabe (le luth dont s'accompagnent les chants des troubadours, n'est autre que «al-ud») .

Rappelons enfin que la vie de faste et d'opulence des Arabes et leur magnifique civilisation ont enflammé l'imagination des Européens, contribuant ainsi à l'éveil du génie romantique chez ces peuples .

CONCLUSION

Le monde musulman continua longtemps à rayonner intellectuellement par ses sciences, sa philosophie et son art, sur le monde occidental .

Etant donné l'étendue du territoire conquis par les Arabes, les Européens pensaient que les Musulmans repésentaient le tiers des habitants de la terre .

Conscients de l'absolue supériorité de leurs croyances et de leurs coutûmes, les Arabes ont imposé, non seulement, leur langue, mais encore leur mode de vie et de pensée à la majorité des états conquis .

(8) Al Farabi, Al Kindi et Avicenne comptent parmi les plus célèbres penseurs arabes qui aient écrit sur la musique, les rythmes, l'harmonie, etc...

paradoxalement — celui qui a le plus subi l'influence de ce penseur musulman .

Comme on peut s'en rendre compte, c'est en vain que l'Eglise tenta d'éteindre les lumières philosophiques venues de l'Orient .

D'ailleurs, les premiers philosophes mystiques occidentaux du XIIIème siècle avaient étudié la philosophie arabe à l'Université de Paris .

Cependant ce n'est pas uniquement dans le domaine des sciences, de la philosophie et de la pensée mystique que les Arabes ont laissé leur empreinte sur la pensée occidentale .

Aujourd'hui on a maintes preuves qu'un grand nombre de théologiens et de poètes médiévaux ont largement puisé dans les sujets et l'inspiration poétique des Arabes .

Rappelons tout d'abord que l'admiration des Occidentaux pour les beautés de la langue arabe les amena à négliger le latin. C'est ainsi que naquirent progressivement les langues nationales européennes où l'on retrouve encore un nombre important de mots d'origine arabe .

Comme la culture arabe avait hérité du patrimoine des grands poètes de l'époque pré-islamique, leur supériorité littéraire par rapport aux Chrétiens du règne de Charlemagne était évidente .

La littérature arabe était infiniment supérieure à la poésie européenne en langue vulgaire. Les princes normonds furent conquis par le raffinement, l'art et la richesse d'inspiration de la poésie arabe. Cette dernière devint à Palerme la poésie courtoise par excellence. Dante lui-même affirmait que la poésie courtoise par excellence. Dante lui-même affirmait que la poésie italienneétait née en Sicile où la poésie arabe était hautement appréciée .

Les états latins ont connu pour la première fois la poésie rimée grâce aux Arabes qu'ils côtoyaient en Sicile, en Andalousie et dans les Baléares .

Les grands poèmes épiques espagnols étaient soit inspirés, soit traduits de l'arabe, et la langue arabe demeura longtemps la langue traditionnelle de l'amour, de la poésie et de la science, aussi bien en Sicile qu'en Italie, en Provence, à Byzance et même au coeur de l'Allemagne,

Ainsi l'amour platonique qui a participé au développement ultérieur de l'amour « courtois » en Europe occidentale avait ses racines dans la littérature arabe andalouse.

Cet idéal courtois dans la littérature arabe exprime une tendance au mysticisme, il représente une forme d'évasion romantique et un frein aux instincts. Ainsi l'Islam donnait l'exemple d'élaboration mystiques des thèmes courtois .

Or, on a remarqué un parallélisme poétique entre la poésie hispano-arabe et celle des troubadours du sud de la France. Cette dernière célébrait l'amour platonique et chaste

On peut déduire de cela une vérité importante : Le Coran incite l'homme à une vision réaliste des phénomènes. Cette invitation à tirer parti du pouvoir des sens a poussé certains penseurs musulmans à réagir contre la philosophie et la logique grecques .

Les écoles philosophiques occidentales ont trouvé dans la pensée arabe une matière et des sujets nouveaux, (en particulier le monde de la métaphysique) .

Less philosophes scolastiques de l'Europe médiévale (tels que Albert le Grand et St Thomas d'Aquin) ont largement puisé dans le système philosophique des Arabes .

L'oeuvre d'Al-Ghazzali Ihya Ouloum eddine ou la Régénération des sciences religieuses (505 Hg-1111 JC) a été traduite en latin en 1150 Jc, c'est-à- dire moins de quarante ans après la mort de l'auteur. Elle provoqua l'admiration des philosophes juifs et chrétiens qui connurent très tôt ses principales doctrines :

Al-Ghazzali a exprimé cette idée que le doute est le point de départ de tout savoir. Ainsi cette découverte, bien avant Descartes, avait été faite par un philosophe musulman .

D'autre part, pour lui, Allah est la principale cause de tout .

Enfin, Al-Ghazzali plaçait la philosophie (falsafa) en marge de la religion .

Pourtant si Al-Ghazzali a connu une certaine vogue auprès des hommes d'Eglise, il n'en fut pas de même pour d'autres philosophes musulmans comme Avicenne et surtout Averroès, dont les idées étaient accueillies avec une certaine méfiance .

En effet, alors que certains philosophes musulmans comme Avicenne avaient tenté d'établir un rapprochement entre les principes des religions révélées et les théories d'Aristote, Averroès exprima intégralement la pensée d'Aristote qui niait toute récompense et tout châtiment en dehors de la vie terrestre. Comme ses opinions allaient à l'encontre de celles des ecclésiastiques, elles firent scandale et on l'accusa d'hérésie (ainsi qu'Aristota) et l'Eglise prit des mesures contre les averroistes condamnés comme hérétiques .

Or, la philosophie d'Averroès a poussé nombre d'occidentaux à secouer le joug des enseignements de l'Eglise en revendiquant pour l'homme le droit à la liberté de pensée et à l'application de la raison fondée sur l'expérience .

L'influence de ce philosophe fut moins considérable dans le monde musulman qu'en Europe où il était devenu le meilleur modèle du libre-penseur .

Les ouvrages d'Averroès ont été traduits en hébreu et en latin et l'on compte — à Venise seulement — plus de cinquante réimpressions .

Sa philosophie libérait la pensée de l'Occident chrétien et lui ouvrait la voie de la recherche .

Son influence fut particulièrement sensible sur St Thomas d'Aquin. Bien que ce théologien chrétien ait longtemps combattu les idées d'Averroès, il fut — assez

En outre, beaucoup de noms de tissus et d'objets de luxe ont gardé une origine arabe. Une grande partie du vocabulaire du vêtement, de la parure et des objets de luxe est empruntée à l'arabe. D'ailleurs la plupart des mots français d'origine arabe sont entrés dans la langue par l'intermédiaire du castillan; et l'arabe de son côté avait largement contribué à la formation du vocabulaire castillan .

D'autre part, les emprunts de plusieurs termes techniques à l'arabe révèlent les différentes formes de progrès et les réalisations des Arabes à l'époque médiévale .

On a aujourd'hui la certitude que les savants européens du XIIème siècle avaient tiré un grand profit de la science des Arabes. C'est dans ce but qu'ils s'intéressaient à la lecture des ouvrages scientifiques arabes traduits en latin. Ainsi la science médiévale est tributaire aux Arabes des notions de médecine, d'alchimie et de mathématiques. Le Pape Sylvestre ll fut le premier des Occidentaux à apprendre et à calculer avac les chiffres «arabes» qu'il avait appris à la frontière espagnole. L'Europe a par la suite adopté ces chiffres; ainsi que le «zéro», les décimales et l'algèbre. Elle doit aux Arabes l'usage de la boussole et de la poudre .

Notons aussi, à titre d'exemple, qu'on cultivait le papyrus en Sicile et que c'est grâce aux Arabes que l'Italie connutl'industrie du papier en 1153 .

On doit à Abbas lbn Farnas la découverte du procédé de fabrication du cristal .

Il est aujourd'hui confirmé que l'Occident doit sa renaissance dans les domaines des sciences et des arts à la civilisation arabomusulmane .

Les styles islamiques imposés à l'architecture des pays conquis se répandirent en France et en ltalie grâce aux artisans mozarabes .

L'art roman chrétien a en effet emprunté à l'Islam hispanomagrébin un grand nombre de ses formes architecturales les plus typiques .

Par ailleurs, l'expérimentation scientifique fut introduite par les penseurs musulmans qui préconisaient la spécialisation .

En affirmant dans le Coran que la nature est la principale source de savoir, l'Islam a ouvert la voie à la recherche fondée sur la méthode expérimentale. Plusieurs versets du Coran expliquent comment la science et la sagesse s'acquièrent par l'observation des phénomènes naturels : le soleil; la lune, la lumière, l'homme, etc...(5) .

La parole divine apprend au musulman qu'il ne doit point rester aveugle à ces Signes de la toute-puissance divine, mais qu'il faut plutôt les observer et en tirer des leçons .(6) .

(5) Voir les sourates correspondantes dans le Coran .

(6) Voir Sourate la loi 25 (ver. 73) «Ceux qui ne deviennent pas sourds et aveugles dès qu'on leur rappelle le Signes des leur Seigneur .

Les deux traducteurs les plus célèbres de cette époque furent : Dominique Gonzalve de Ségovie qui était secondé par deux arabisants : Avendeath (Ibi Daoud), et Jean (Juan) de Séville. Gonzalve choisissait les ouvrages à traduire et donnait au texte latin sa forme définitive (i.e. corrigeait le texte latin), alors deux autres commençaient par faire une traduction littérale des textes arabes en latin C'est-à-dire qu'on dégrossit l'oeuvre en appliquant le mot latin sur le mot arabe. On pense d'ailleurs que toutes les traductions au XIIème siècle se faisaient de la sorte .

Quant au second traducteur, ce fut Gérard de Crémone, un italien installé à Tolède jusqu'à sa mort en 1187. On lui doit la traduction d'une centaine d'ouvrages .

Ce mouvement de traduction s'étendit bientôt à d'autres régions d'Espagne et ne se limita plus aux Juifs ni aux Mozarabes. Ainsi on mentionne Adelard de Bath, un Anglais, un savant de l'est de Tyrol, Hermann le Dalmatien et Robert de Chester qui ont tous contribué à la traduction des grands penseurs de l'Islam (Al Razi, Al Farabi, Al Ghazzali ...) .

On ne peut pas dire que la traduction des ouvrages arabes se faisait selon une stratégie bien définie. Cependant on peut affirmer que lorsque l'Europe prit pour la première fois contact avec la civilisation arabo-islamique, elle se trouva devant un nombre impressionnant de textes arabes traduits et couvrant tous les domaines .

Ainsi, en un seul siècle, les penseurs musulmans constituèrent les bases de toutes les sciences occidentales .

Jusqu'au XVème siècle la connaissance de l'arabe était mise à profait à cette fin, avec une efficacité remarquable. Ces traductions d'Europe pour mettre à profit le savoir des Arabes. On commença à s'intéresser à cette nouvelle civilisation, étudiant avec avidité et enthousiasme tout ce nouveau savoir apporté par les conquérants venus de l'Orient .

La civilisation islamique apparaissait comme un creuset où s'était déposé le savoir universel et où fleurissaient toutes les sciences .

III. L'Occident et l'héritage arabo-islamique

L'Islam a exercé une influence à la fois sociale, économlque, spirituelle, littéraire et artistique sur les états chrétiens limitrophes de l'empire musulman médiéval .

Les Croisades mirent en présence la civilisation islamique et la société encore féodale du monde européen. Au contact des Arabes, les rudes coutumes de la noblesse d'Europe s'affinèrent ils empruntèrent à leur rivaux non seulement le goût du luxe et de l'aisance, mais encore les moeurs chevaleresques et la délicatesse des sentiments.

Ces contacts eurent des conséquences économiques et idéologiques. Le goût culturel des Européens s'affina grâce à l'apport culturel arabo-ilsamique.

Cette aristocratie pleine de vertus guerrières, relativement inculte et grossière, découvrit les notions de civilité, de courtoisie et de respect de la femme.

Les grands centres de traduction

Les deux plus grands centres de traduction de l'arabe vers le latin furent sans conteste la Sicile et l'Andalousie .

L'empereur Frédéric II s'était entouré de philosophes, d'artistes, de savants juifs et musulmans et surtout de traducteurs. En effet, c'est du XIIIème siècle que date à Palerme le grand mouvement de traduction : un grand nombre d'ouvrages sur l'astrologie, les mathématiques ainsi que des récits de voyages furent traduits de l'arabe .

Rappelons que lorsque Tolède fut reprise aux Arabes, plusieurs juifs et Musulmans qui parlaient l'arabe y demeurèrent : ils contribuèrent à la traduction d'un grand nombre d'ouvrages .

Il est certain que les Juifs qui entretenaient de bonnes relations avec les Arabes, jouèrent un grand rôle dans la propagation de la culture arabo-islamique. Certains étudièrent les sciences et la philosophie auprès de savants arabes et le plus souvent utilisaient la langue arabe ou la langue romane dans leurs écrits.

On a ainsi trouvé des traductions hébraïques d'ouvrages scientifiques arabes qui datent du XIIème siècle .

Rappelons qu'à cette époque une communauté géographique unissait les hommes dans l'espace méditerrannéen : Juifs, Chrétiens et Musulmans se côtoyaient sans cesse .

Mais c'est surtout en Espagne musulmane que prendra naissance toute une littérature juive d'expression arabe, recouvrant les domaines de la philosophie, de la théologie et de la spiritualité .

En Espagne, des traducteurs ont collaboré activement au grand mouvement de la traduction au XIIIème siècle entrepris sous le règne d'Alphonse X, .

Ce prince éclairé fit entreprendre par une équipe de Juifs, de Musulmans et de Chrétiens, tout un travail de traduction et d'adaptation en langue castillane du patrimoine arabe. Il fonda en outre, à Séville, un institut d'études latines et arabes .

D'autre part, Raymondo (archevêque de Tolède de 1123 à 1151) commença à encourager les chercheurs à venir à Tolède en fondant dans la première moitié . Du XIIème siècle, un grand centre de traduction où l'on traduisait les ouvrages arabes importants en latin. Il fit ainsi traduire les oeuvres d'Al Farabi, Avicenne et Al Ghazzali entre autres .

Robert de Ketton acheva la traduction du sens Coran en 1143. Pour accomplir ce travail long et difficile, il était assisté d'un musulman dont on ne révéla jamais le nom. On traduisit également dans l'abbaye de Cluny une généalogie du Prophète Mohammad, la Risala d'Al-Kindi .

RAYONNEMENT DE LA CIVILISATION ISLAMIQUE

SUR L'OCCIDENT MEDIEVAL

Par
Dr Rokeya GABR

– 2 –

Rôle de la traduction dans la transmission du patrimoine islamique

Il est bon de rappeler que c'est grâce aux traductions latines de l'arabe et de l'hébreu que les grands ouvrages de l'Antiquité grecque ont été conservés et transmis au Moyen-Age chrétien .

En effet, la traduction du patrimoine grec se fit en passant par la langue syriaque ou par le sancrit à l'arabe .

Les premières traductions arabes d'ouvrages anciens commencèrent au début du 8ème siècle : c'étaient des livres de médecine et d'alchimie. Par la suite les traductions du grec vers l'arabe portèrent principalement sur deux domaines : la philosophie (Platon et Aristote, en particulier) et les sciences (astrologie, astronomie, physique et mathématiques) .

Notons que les non-musulmans arabisés fournirent une importante contribution à l'oeuvre de traduction des ouvrages grecs .

Ce vaste effort de traduction permit aux penseurs musulmans de tirer parti de la science et de la logique grecques pour mettre au point leur argumentation de défense du dogme .

D'un autre côté, les savants arabes, grâce à leurs propres recherches fondées sur l'expérimentation et l'observation, accruent considérablement les connaissances qui leur avaient été transmises (grecques, hindoues iraniennes et chinoises) .

Les traductions répondaient aux besoins d'un grand nombre de chercheurs et de savants qui vont par la suite contribuer au mouvement de la Renaissance en Europe .

Les grandes universités fondées à Florence, à Bologne, à Paris, à Oxford et à Cambridage contribuèrent par la suite à l'expansion du mouvement scientifique en Occident .

REVUE AL-AZHAR

Section Française

Comité de Rédaction :
D^r Rokaya GABR, Professeur adjoint au
Département de Langue Française et de Traduction
M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

CONTENU

D^r Rokaya GABR
1 - Rayonnement de la civilisation islamique
sur l'occident Médieval (2ème partie)

Mme Hoda Hussein Chaaraoui
2 - La foi en L'unicité d'Allah (2ème partie)

Al-Mizan, the Divine Balance of absolute justice is an attribute quality of Divine Providence, the appellations The Judge, the Just, The Equitable, provide an indication of the supreme ubiquity of Al-Mizan in cosmic order. The preservation of the concept of Al-Mizan is instituted as a fundamental ordinance of Islamic culture. The "balance of justice" must be practiced by human society with precision. Mankind must observe due balance of actions, transactions, and conduct. Al-Mizan is also figuratively expressive of the mathematical infrastructural profoundness of creation, its meticulous precision of balance and temporal sequences. In every infinitismal process of creation, there is a mechanism ordained by a perfect balance of Divine attribute. The entire matrix of Muslim doctrinal teachings of culture is structured on equity, balance, equilibrium and precise quantitation in all channels of human interrelations. The conservation of Al-Mizan in the social life of mankind establishes and maintains the cementing coherence of the unity of the Ummah.

The concept of "Ummah" in Islamic thought is a basic fundamental structure. This perceives the universality of the social order of Islam, enveloping the whole of mankind without exception. Every born human is either a member of the Muslim social order, or a potential member whose recruitment is the duty of other members. The Ummah is the Universal Community of Islam which is maintained by the universality tendencies of Islamic social order. The totalism of such tendencies, holds Islamic culture relevant to every area of human function, including all activities at all times and places. The ecumenic freedom of the social order of Islam qualifies it to include all fractions of human society. There is no compulsive coercion of people within the Muslim society or outside that society; interrelation are specially organized. Within the domain of the Muslim Ummah, however, regimentation is legitimate in issues and areas of implementation of Islamic teachings. The concept of the Ummah is the source of Muslim's rights as well as his duties; and it is the pool within which these rights and duties are exercised. The Ummah is not a society of birth, geography or language, it is a cultural moral fraternity of free association of individuals, actualizing and establishing for themselves and for humanity the whole realm of values according to Islamic teachings. The individual is not born into the Ummah by random; the individual elects and decides to join that association of Ummah after rational thought. The Ummah is a community by decision, a selective social order chosen by an individual through rational thought, to be the code of life. True understanding of Islamic culture renders every intelligent thinking man a Muslim.

angelic moral goodness of mankind will evolve in love, magnanimity, patience and forgiveness; the seraphic radiant splendor of character will illuminate with a celestial aura, an added quality to mankind of superb distinction. A quality attribute that elevates the human element from the earthly enslaving confinement of mundane life, to the higher ranks of spiritual freedom.

The Kernel of Islamic Theism is the doctrine of "Tawhid", the precise affirmation that there is no god but Allah The Creator, the Transcendent, the Sanctuary, the All-Knowing, The All-Cognizant... The doctrine of Tawhid is the moving scepter that embraces every aspect of a Muslim's life, it is the heart of the whole spectrum of human experience. This supremacy of "Tawhid" is illustrated in the general view of reality and truth of existence, of history, of space and time, and of destiny. All the entire wealth, culture, learning, wisdom, and civilization of Islamic is compressed in this very short statement [La ilaha illa Allah], there is no god but Allah. The basic tenet of Islamic culture derived from the concept of Tawhid, is that it purified Theism absolutely immaculate of all doubts regarding the transcendence and unicity of the Godhead. This precisely testifies Allah as the sole Creator of the universe; and establishes the maxim of equalizing all humans as creatures of Allah, endowed with the same qualities of humanity and same social standing. The cultural value analysis of the statement of Tawhid (La ilaha illa Allah) reveals three basic significant connotations. The first is that Creation is the material actualized by the Absolute Divine Will, it is therefore perfect and impeccable. The moral vision and value actions of the human society is a Divine purpose of creation. As an instrument to the realization of this purpose, the preservation and enhancement of values becomes an implicit incumbent obligation on the part of mankind. The second is that mankind stands on a clear path of understanding without perplexity or predicament. Tawheed embraces the concept that pursuit of Divine Will will lead humanity to felicity, and promises reward in this world and the hereafter. The third is that Tawhid expresses the Divine Will as the same for all creatures without discrimination. The theme of Tawhid affirms the total utter disparity between Creator and creature, and precisely classifies mankind as servant subject in the infinite Dominion of the Creator.

One major consequence of Tawhid is man's quest and pursuit of Divine Injunctions. This entails the formulation of a cultural paradigm of various dimensions determined by man's most intimate needs of economic, emotional, spiritual, instinctive, social affectionate, ambitious and axiological requirements. The dominance of one component over the other depends upon the prevalent social patterns, ethnic structures and ontological attitudes. The doctrines of Muslim theism teach that man's existence is far more comprehensive than his physical life per se; which is confined to a short limited span of time between birth and death. Man's existence transcends the limits of physical death. This understanding gives purpose, design, obligation, and meaning to human life, and determines the character of man's collective culture and its primary constituents. The entire purpose of man's physical existence is to attain felicity in life and acceptance on the Day of Judgement. The physical life is the manuscript in which is written every single syllable of man's entire actions in life with accurate precision. The Day of judgement will witness the unfolding of the manuscript and the establishment of Al-Mizan, the Divine Balance of absolute justice.

THEMES OF ISLAMIC CULTURE

Part II

By: Saad Moustafa Moustafa, M.D.

The total structural matrix of Islamic Culture aims to impregnate within the mental faculty of mankind the vision that there is a sanctified justified Divinely ordained purpose of creation. The whole complex fabric of Islamic doctrinal teachings are provided as an articulate documentary for the refinement and cultivated enlightenment of the human mental perception. The specific strings of this fabric accrue to the most elemental intellectual and spiritual constitution of man. This nature of Islamic cultural system coins it with the quality of universality, as an optional justified guiding perceptive standards. True understanding of Islamic injunctions renders every intelligent thinking man a Muslim. The unique quality of Islamic culture is that despite its theocratic origin, it is intimately associated with all provinces of human existence in this life and the hereafter. Islam is not a remote idea of worship contemplated at times and discarded at others; it is an actuality, a practical complete knowledgeable culture, practiced with intimate devoted conviction at all hours during life. The entire thesis of Islamic culture is dedicated to the refinement of human character, to seek a life of values, to attain social grace, and maintain mutual standards of human compassion.

The substance of Islamic culture is genuine knowledge, the fountain of which is credence in the All-knowing Creator. The whole magnificent cosmic creation is only a minute morsel of the infinite knowledge of Allah. The Divine Message of Islam to mankind constitutes precise well defined precepts and injunctions which are directly related to the conduct, behaviour and performance of mankind during life on earth. The prime purpose of human creation is worship, submission and devoted reverence to the Creator. The reward and punishment in the Hereafter is according to the intentions, conduct, deeds of action during life on earth when the mind recognizes the true path of belief, it becomes enlightened by the Light of Allah, the Light of Divine Knowledge, the perceptive cognizance of Reality. The reality of the true dimensions of the human being; these dimensions range from infinite powers and capabilities, to the infinitesimal weakness of a microscopic insect or a grain of sand.

It is therefore evident that the theme of Islamic culture is dedicated to tutor the human mind to a disciplined function, a broad ecumenic unselfish magnanimous rightfully just paradigm of conduct. Values as honesty, chastity, justice, purity of thought, love, humbleness, moderation, preservation of dignity, self respect, self confidence, self restraint, self judgement, avoidance of over-indulgence, and above all the true perceptive realization of the purpose and reality of human creation. With such cultural elements in mind, human society will attain levels of grace and refinement that will surpass the material limits of the human body to touch the delicate filaments of the human spirit. The

life in pursuit of sustenance is a basic injunction of the Holy Quran. The self respect, worth and stateliness of an individual in society is achieved by honest arduous toil for self support. No work is inferior or servile, the only requirement of work is legitimacy, honesty and dedication. These axioms were inculcated and intimately practiced during that era of enlightment in Islamic history.

The doctrines of the Muslim Theism was dominantly practiced throughout the expansive territories of the Muslim nation. These doctrines provided allowance for freedom of belief for both Jews and Christians being "the people of the Book". These enjoyed the same sanctions as Muslims except they had to pay the "Jiziah". The non-believers groups mostly resident in the Persian mainland belonging to "Incendiarism Cults" were progressively extinguishing. These groups were confronted with the rational teachings, the Divine tenets of Islam, the doctrines that address human innate discriminate intelligence. The propagation of Islam came about because of the rationalism of deductive reasoning, the implication of its teachings to every detail of human life, and the objective universality of its precepts. Throughout the territories of the Muslim Nation, Islam was explained, educated and practiced. An era of enlightenment, cultivation, authentic genuiness and conformity to fact and reality; a period of felicity prosperity and social stability.

Omar ibn Al-Khattab was in his greatness above all difficulties and surmounted all obstacles. he possessed the abilities to defeat adversities and the intelligent astute sagacity to scheme, plan and organize for unprecedented unpredictable circumstances. His most intimate concern was the daily life of the people, their needs, worries, complaints, afflictions, and any acts of individual or social injustice. His extreme meticulous perception of responsibility to the duties of his position was a supreme quality of his nature. The characteristic devoted conviction of a deep rooted certainty of Belief, rendered everything in his mental function and actions conform with the maxim of Divine Transcendence. The whole texture of the mind, body and soul; retreated with humility, humbleness and servility only to the Supreme Being "Allah". This was the source of the real confident strength of Omar ibn Al-Khattab; the man entrusted with the responsibility of the unity, prosperity of a whole nation. The man who was acclaimed as the founder of the Islamic Nation.

commissioners were placed under constant surveillance and guidance regarding their administrative dispensation, managerial competence, uncorrupt conduct and moral goodness.

The institution of the fundamental elements of justice was a sovereign issue to Omar ibn Al-Khattab. A constitution of absolute justice, a Divine command of judiciary doctrines implemented according to the jurisprudence of the injunctions of the Holy Quran. He selected the men, the most pious learned men of intelligence and inherent wisdom. He constituted a protocol of the sequential processes of judiciary procedures; based on the ordinances of the Holy Quran, the traditions of the Prophet, the consensus of opinion in similar issues, and lastly one's own genuine true devoted honest effort in judgement. Omar ibn Al-Khattab set examples of exhortation about the conduct and mental discipline of the judge, through his long previous experience in judiciary matters. Justice, the supreme form of equity, truth in action, the right reason applied to command and prohibition in social conduct, the firm profound continuous desire to render to everyone that which is his due. All these concepts were highly stipulated dictates basic provisions, obligatory mandates in the structural institution of justice during the reign of Omar ibn Al-Khattab. The prevalent dominant belief that justice is the most profound form of moral goodness, the fundamental element for human dignity and respect, and the precursor to freedom. Justice is a Divine dictate that must be instituted by the state authority, it is the foundation upon which the perpetual sovereignty of the state is structured.

The other two offices of fiscal matters, and theological tutorship, were very well programmed disciplined functions. These were practiced very strictly according to precise doctrinal teachings of Muslim Theorems. There was very little room for personal effort in the understanding of the implementation of the procedure. Other governmental institutions were also organized during the time of Omar ibn Al-Khattab. These included the whole network of governmental administrative functions, statistical programs were introduced to study age groups, sexes, marital status, living conditions, educational abilities, and population densities in the various territories constituting the Muslim Ummah. Evaluation plans were designed to study the various histories, cultures, and group psychology of the various groups of different origins and different creedal beliefs. A national treasury was founded, and a system of monetization was established. Reformation schemes for urban planning, housing projects, civil services of roads bridges and irrigation systems were introduced; and also projects for regional and national development were expanded. All these assignments were directed and staffed by native citizens with complete freedom of action within the boundaries of righteousness, values, and social benefits.

The activities of trade and commerce were encouraged according to liberal transactions within the frame of legitimate dealings. The right of land ownership was a privilege only of the native citizens of the land. This preserved the national economy of every territory, and encouraged people to work towards prosperity. Institutions for the poor and disabled were organized and the necessary budgets were provided for that purpose from the funds of the Zakah, the Jiziah, and other portals of internal revenue, according to the specific condition of every region. The fundamental purpose was to limit poverty, and to maintain at least a status of providing the minimal requirements for the poor fractions of the society. Work and industrious effort on the part of the individuals was highly encouraged. No individual should remain as a parasite to live on the efforts of others. This concept was highly indoctrinated as a common understanding, formulating a milieu of social serious zealousness, dignity, and responsibility. The need to practice an occupation in the walk of

The significant importance of these governmental entities demanded optional selection, rigorous control, and perpetual supervision on the part of the state authority at Al-Madinah. Before dictating a methodization of function for these offices, Omar ibn Al-Khattab structured a discipline for himself, a doctrinal concept that Authority is a heavy responsibility, a predicament of adversity, it should be practiced with firmness, without despotism, lenient tolerance, without weakness; and that the man in whom the state authority was invested, would be responsible for the attendance of the affairs of people to every detail. Omar ibn Al-Khattab in his public addresses, and in Friday prayer Sermons, advised the Ummah to instate justice among themselves, and to transact with honesty, to avoid the process of legal actions and judiciary procedures. The whole felicity of a nation lies in three matters; the enactment of trust, the firm enforcement of authority, and govern according to Divine Injunctions. The prosperity of money lies in three, to be obtained rightly, spend rightly and purified from corruption.

Omar ibn Al-Khattab attended Haj every year. During that season, he convened with all the officials, to converse, audit, interrogate, seek knowledge on certain issues, discuss matters, and demand explanations in problems of public complaints. The representative fractions of the Muslim Nation present during the Haj season acted as a cross-sectional portrayal of the Muslim Nation, coming from the different provincial territories constituting the Ummah. These representative fractions of the Muslim public assembled during the Haj season annually to meet with Omar ibn Al-Khattab, to be in his audience, to consult in conference, deliberate in dialogue, advance complaints, and attend the grand assembly where all issues related to justice and prosperity of the Ummah are discussed with precision. Omar ibn Al-Khattab presided in person every year to implement the administration of justice throughout the Muslim Nation. That was acclaimed as a very successful practice. To this extent, Omar ibn Al-Khattab was consciously apprehensive of the sacred responsibility invested in him as the man at the head of the State Authority. The most suitable man for government is one who is munificent with magnanimity, resolute in justice, perceptive to channels of soundness, knowledgeable in the Divine doctrines of Faith, consultative in opinion, and humble in character; that was Omar ibn Al-Khattab.

The choice and selection of the men to be entrusted with governmental offices were subject to a very meticulous process of scrutiny and rigorous discrimination. They were elected with optimal judgement, and possessed the qualities that justified their selection. Despite this careful conscientious process of selection, Omar ibn Al-Khattab continually supervised and watched over the performance of the officials he appointed. He interrogated them in person when he summoned them individually to his audience; he asked their people about their performance; and he delegated deputies as Muhammad ibn Masslamah to inquire about the conduct, practice and inactments of these appointed officers. Omar ibn Al-Khattab was famous for his vigilant superincumbent command and guidance of the men who were appointed to hold major government offices. The trusteeship of an assignment is the perception of duty and efficiency in performance; it is not pompous ceremonious superiority over people. Omar ibn Al-Khattab continuously reminded the commissioners with the words "Keep your door open and personally attend the needs of people. You are but one of them, Allah has entrusted you with the heaviest burden; Allah is the Witness of honesty and intentions". Besides these admonitions, these

Omar ibn Al-Khattab

Omar and the Muslim Nation

Part II

By: Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The extensive territorial expanse in the reign of Omar ibn Al-Khattab included various heterogeneous population groups of different phylogenetic tribal and racial ethnic descent. The geographical, historical, cultural, economical, environments and social psychology of these population groups was distinctly dissimilar and characteristically non-uniform. The creedal beliefs of these populations were fundamentally contradictory antithesis. The fanaticism of fire-worship "Idolatry Incendiarism" was dominant in Persia, protected by the tyrant sovereignty of the long dominance of the Persian Imperial rule. The cradle of Christianity was in Palestine, and its Divine teachings extended to the surrounding lands of Syria and Egypt. The Muslim doctrinal teachings were indoctrinated into these territories as a primal purpose of the Muslim crusades. The words of Allah had to be proclaimed, and mankind must be summoned to hear and comprehend the very acme, zenith and summit of all the Divine Messages. This was mediated through Muslim Crusades in those territories. The ultimate outcome of Muslim Crusades during the regency of Omar ibn Al-Khattab was the absolute collapse of the Persian-Imperial regime, and the defeat of the Roman Byzantine Empire in Palestine, Syria and Egypt. The final inclusion of these territories under the auspices of the Islamic Khalifate at Al-Madinah, justified the need for further responsibilities, requirements for governmental disciplines, and hierarchic structures. These were developed gradually according to need, purpose and the optimal benefit in prospective.

Omar ibn Al-Khattab organized four main entities of governmental offices to be established in all provinces nominated within the territorial expanse of the Muslim Nation. One office was the Regional Governor, the Commissioner, acting on behalf of Ameer Al-Moumineen, administrating the affairs of government, and in command of Muslim warriors resident in the territory. The second was the person responsible for the judiciary affairs of people; the man to establish justice between people, Muslim and non-Muslim alike. The third was the person assigned to manage all the functions of the fiscal and monetary matters. The fourth person was entrusted to teach Muslims the tenets of Islam and doctrines of the Muslim faith. The constitutional social laws and traditions implemented were totally based on the Divine injunctions of Islamic Jurisdiction, and Jurisprudence. The status of office of these commissions, and the functional responsibility of the persons entrusted, was absolutely independent from state authority.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part V

Jumadah Al Ullah,1412, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. **Omar Ibn Al Khattab**

Omar and the Muslim Nation (Part II).

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. **Theme of Islamic Culture**

By: Saad Moustafa Moustafa.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٠٢
٢٢٤٤٦ ع
دوريات

الإسلام في عالمه الجديد

ونريد بـ «العالم الجديد» عالم الأوضاع الناشئة في أعقاب الحوادث التي صرعت كبرى دول الكتلة الشرقية، فتفتتت بها «القوة الثانية»، وانسلخ عنها أكثر من جمهورية أبت إلا الاستقلال، وانتهت تلك الكتلة إلى «حال سلم» لاتهدد بحال عالم الكتلة الغربية، أو عالم الأحلاف الكائنة الذي يمقت «الشيوعية» مقتنا لها، ثم كان - ولايزال - أشد مقتا للإسلام وأهله. وخلا الميدان لكبرى دول الغرب لتبيض وتصفر - كما يقول ابن عباس - رضي الله عنهما - مستشهداً:

خلا لك الجو فبيضي واصفري

وبينما كانت الكتلة الشرقية تتنفس بصعوبة داخل حجرة إنعاش لا قيمة لها، كانت الدولة في الطرف المقابل تعد سياستها لبسط نفوذ أشمل لتكون قبضتها على العالم أشد قوة وأقوى إحكاما، والله - وحده - الذي يعلم: أين ومتى تأتي القوة الثانية .. ليكون العالم - في أرضه - بين قوتين .. كما كان دائماً.

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت: ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ
ديسمبر ١٩٩١ م
الجزء السادس
السنة الرابعة والستون

الإســـلام فـــى عالمـه الجديد

والإسلام ـ فى هذا العالم الجديد ـ ينتظر نشأة « جمهوريات إسلامية » جديدة ، وإذا كان ما نسمعه ـ ليل نهار ـ من أبواق الدعاية السوفيتية حقيقة يسيطر عليها منطق العدل ، فذلك يعنى قيام الجمهوريات الإسلامية التالية « فى آسيا : أذربيجان ـ أوزبكستان ـ طاجيكستان ـ تركمانستان ـ قازاجستان ـ قرغسيا ..

وفى أوروبا : داغستان ـ شاشان ـ كبارديا ـ القرم ... الخ ،

بالإضافة إلى ما للإسلام من جاليات ضخمة فى غيرها من جمهوريات هذا الاتحاد سابقا حتى سيبريا ... وما سوف ينشأ فى يوجوسلافيا .

وهذه الجمهوريات ـ عموما ـ تتربع عليها (حكومة ظل) لتنفيذ سياسة روسيا التى أعلنها .. أو جينى ابرازموف .. مساعد يلتسين(١) . مثلها مثل الكائن فى ألبانيا تماماً .

وأيا ما كان ... فهذه الجمهوريات أمانة لها حقوق فى أعناق المسلمين ، ولا ـ والله ـ مايفيد إزاءها عذر ، ولو كان حقا .

إن المسلمين كيان طاهر ، قوى الروح بعقيدته ، وثباته لله على وحدانيته.وحاجته فى أعناق أغنياء المسلمين هى حاجة الكفالة ، نسميها : الكفالة الإسلامية . أو .. الزعامة الإسلامية . كلٌ جائز ، ولكنها زعامة عليها حقوق وواجبات ، تماثل تلك التى يقررها فقهاؤنا ـ حين يقولون ـ عن واجب (الوالد) نحو ولده : « عليه نفقته حتى يصير قادراً على الكسب » . فضلا عن حسن تربيته ورعاية كافة شئونه فليس الأمر ـ إذاً ـ أمر (معونة) مؤقتة ، فبئست الكلمة .. إن هذه الزعامة كفالة عليها واجب العطاء بلا من ولا دعاية .. وهذه الجمهوريات وغيرها ـ وإن افتقر أهلوها ـ فإنهم قابعون على كنوز الأرض .. مافى ذلك شك ..

وينبغى ألا ننسى أنه حين تهاوت الشيوعية فى شرق أوروبا وانحسر ظلها عن (إيرلندا) وغيرها أعلن الغرب فى أتم صراحة أنه سيخصص مساعداته لهذه الدولة ..

فأين ـ فى المقابل ـ أغنياء المسلمين .. ؟!

إن الواجب ـ فى أعناق المسلمين ـ أن يدرسوا ـ بإحصاء دقيق ـ حاجة المسلمين لتبرز عمليا مصادر معاناتهم ، ثم يقيموا بينهم المنشآت العلمية والعملية المختلفة لتجبر الكسور حتى تنهض شعوب الإسلام ، صحة وعلماً وكياناً وقوة ؛ فتتبوأ مكانها الذى أحب الله ـ تعالى ـ ولا سبيل إلى ذلك إلا بوضع « العلم التطبيقى » بينها فيثمر ثَمَرُهُ ، فيجد كل مسلم صناعة فى يده تكون عزا لنفسه وقوة لأمته .

هذه واجبات الزعامة الإسلامية إن أرادها العرب ، وسوف تبقى بينهم ما أَدَّوْا حقها ، فإن هى أُهمِلت فلا عليها أن تقول : وداعا ... وإذا قالتها لن تعود ... فثمة كَنَفٌ آخر أعلن رسميا عن هذه الجمهوريات أنها .. أولى بالرعاية ..

د. على أحمد الخطيب

(١) انظر عدد ربيع الآخر ١٤١٢هـ من مجلة الأزهر ص ٣٧٢ .

كلمة السيد الرئيس

محمد حسني مبارك

بمناسبة ذكرى مرور مائة عام على إنشاء

كلية دار العلوم

أساتذة الجامعة الأجلاء

الإخوة والأخوات الأعزاء

ابنائى وبناتى ، مناط الأمل ومعقد الرجاء .

إن من أعظم دواعى السعادة ، ان التقى بكم فى رحاب الجامعة الأم ، بين سدنة العلم ، وحماة المعرفة ، وحملة مشاعل التقدم .. ويضاعف من سعادتى ، أن يكون اللقاء من أجل الاحتفال بكلية جامعية عريقة ، تجاوزت مائة عام من عمرها المبارك .

فالذى لا شك فيه ، ان هذه اللقاءات تعيد إلى ذاكرتنا - بكل الاعتزاز والفخر - دور المؤسسات العلمية المصرية فى القيادة والريادة ، وإضاءة الطريق نحو النهضة الحديثة ، ولقاء اليوم يبعث فى النفس شعورا غامرا بالرضى والسعادة ، ففيه نستعيد ذكرى ميلاد مؤسسة علمية شامخة ، أسهمت بجهد ملموس فى الحياة الفكرية العصرية ، وفى تقدم المسيرة العلمية والفنية ، وخاصة فى ميدان اللغة العربية والدراسات الإسلامية .

إنها دار العلوم ، التى بدأت حياتها الحافلة قبيل بداية الربع الأخير من القرن الماضى ، واصبحت منذ إنشائها من ركائز المؤسسة العلمية المصرية فى العصر الحديث ، تلك المؤسسة التى كانت أولى المؤسسات العلمية الحديثة والتى شكلت القاعدة الصلبة التى قامت على دعائمها الجامعة المصرية ، أولى الجامعات الحديثة فى الوطن العربى كله ..

ولا يمكن أن ينسى هنا دور الأزهر الشريف ، لأن كثيرين من الطلاب الذين التحقوا بمعاهد المؤسسة الحديثة ، كانوا من نوابغ طلبته ، كما كان عدد من الأساتذة فى هذه المؤسسات من علمائه الأجلاء ، وحسبنا هنا ان نذكر رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده ، لنعرف فضل الأزهر فى الريادة العلمية ، والمشاركة فى تحديث المسيرة الفكرية ، منذ هذه المرحلة المبكرة من مراحل النهضة المصرية ، ومن هنا كان الأزهر - منذ البداية بمثابة المنبع العلمى الفياض ، والأساس التراثى الحضارى الراسخ ..

نـص خطـاب السيـد الرئيـس محمـد حسنـى مبـارك

وفوق كل هذا ، يأتى دور الأزهر فى بلورة وترسيخ القيم العلمية الرفيعة ، وفى مقدمتها حرية الفكر والبحث العلمى ، ونزاهة القصد ، والتعفف عن الهوى والغرض ، والتجرد لتحصيل العلم والاستزادة من المعرفة ، والتسامح وسعة الصدر فى التعامل مع الآراء والاجتهادات المختلفة ، والتواضع فى التعبير عن المواقف والاختيارات المتباينة ، والأمانة فى تقرير الحقائق العلمية ، وتلك سمات جعلت الأزهر منارة حقيقية للعلم ، ومركزا للإشعاع فى كل بقاع العالم الإسلامى .

وبقيام الجامعة المصرية تحققت لمصر الريادة العلمية بوجهيها القديم والمعاصر ، فبعد أن كانت بلد الأزهر الشريف ، أقدم الجامعات فى العالم ، أصبحت أيضا موطن الجامعة المصرية ، أولى الجامعات الحديثة فى المنطقة ، وكما كان الأزهر أعرق مركز لعلوم الدين واللغة فى العالم الإسلامى ، ظهرت الجامعة المصرية ، كأول صرح من نوعه فى الوطن العربى ، ولم تكن هذه الريادة مجرد سبق تاريخى زمنى ، بل إنها فى جوهرها عطاء ثرى خصب ، تمثل فى المشاركة فى تأسيس الجامعات الإسلامية والعربية ، وفى الإسهام فيها بالتعليم والتنمية والتطوير .. ومازال هذا الدور يؤدى ـ بفضل الله ـ على أفضل وجه وفى أحسن صورة ، بل إنه تعزز وتضاعف مع تنامى الجامعات العربية والإسلامية ، وهذا وضع طبيعى ، لأن الإنجازات المصرية فى مجالات الفكر والإبداع الثقافى ليست حكرا على أبناء مصر ، بل إنها ملك للعرب والمسلمين أجمعين .

وبفضل المؤسسات العلمية المصرية ، ازدهرت الحياة العلمية فى مصر ازدهارا يدعو إلى الإعجاب ، ويجعل لمصر مكان الصدارة فى هذه المنطقة من العالم ، بعد أن بلغ عدد الجامعات المصرية إحدى عشرة جامعة ، كما تعددت الكليات الأزهرية حتى أصبحت اليوم سبعا وثلاثين كلية ، بعد أن تطورت الجامعة الأزهرية العريقة ، تدرس فيها العلوم الإسلامية والعربية ، والمواد العملية والتجريبية على السواء .

وإلى جانب الجامعات المدنية العديدة ، والكليات الأزهرية الكثيرة ، تنوعت المعاهد العالية وتكاثرت على أرض مصر ، حتى بلغ عدد من يتلقون العلم فى مرحلته العالية نحو ثلاثة أرباع المليون ، وهذا العدد الكبير من الدارسين يتصاعد ويتنامى من قاعدة عريضة جدا من الدارسين فى المرحلة قبل العالية ، حيث وصل عدد التلاميذ فى المدارس المصرية بمراحلها المختلفة إلى نحو اثنى عشر مليونا ، وتؤكد هذه الطفرة فى التعليم المصرى حقيقة ثابتة عن مصر منذ فجر التاريخ ، وهى أنها أولا وقبل كل شىء ، بلد علم وفكر وحضارة ، ولم يحدث فى أى مرحلة من تاريخ الشعب المصرى أن اقتصر اهتمامه على البناء المادى والإنجازات الصماء ، بل إنه وجهه ـ فى المقام الأول ـ إلى جوهر الحضارة وأساسها المتين ، وهو غرس القيم الأخلاقية والروحية السامية ، وتأسيس الرقى على العلم والمعرفة ، والتركيز أولا وآخرا على بناء الإنسان ، لأن الوطن القوى الشامخ لا يبنيه إلا المواطنون الراسخون الأشداء .

ولذلك ، فإن مصر تحرص تماما على وضع التعليم والثقافة فى طليعة أولوياتها وهمومها ، كما أنها

تسعى إلى تطوير نظم التعليم فى شتى المراحل ، باعتبار أن التعليم هو ركيزة التقدم ، وهو الشرط الأساسى الذى لا غنى عنه لملاحقة كل تطور ، وهو العنصر الذى يحكم قدرتنا على مواجهة تحديات العصر بقوة واقتدار .

ونحن لا نستطيع أن نتجاهل أن المجتمع البشرى يشهد فى هذه المرحلة من تاريخه ثورة علمية وتقنية هائلة ، تمتد إلى شتى جوانب الحياة ، وتصوغ تصورنا جميعا للمستقبل ، ولذلك فإنه لابد من أخذ هذا بعين الاعتبار ونحن نتصدى لقضية إصلاح التعليم فى مصر ، التى تعنى فى الحقيقة والواقع إعادة تشكيل الحياة فى ربوع هذا البلد المجيد .

لقد وجهنا اهتمامنا فترات طويلة للتوسع الكمى فى التعليم ، إزاء الواقع الذى كان قائما حتى بداية النصف الثانى من هذا القرن ، وهو انتشار الأمية فى البلاد ، وحرمان جماهير عريضة من التعليم الأساسى ، وقد آن الأوان لتوجيه قدر أكبر من اهتمامنا وجهدنا إلى مستوى التعليم فى مصر ، والتركيز على تنمية قدرة الطالب على استيعاب حقائق الحياة المعاصرة وتطويرها بما يخدم قضية التطوير والتنمية ، وبما يتواءم مع التحديات المتجددة ، وبعبارة أخرى فلم يعد المطلوب هو التركيز على حجم المعلومات التى تشحن فى ذهن الطالب ، بل إن التحدى الحقيقى هو تنمية قدراته الذهنية ، بحيث يصبح مؤهلا لاستنباط المعلومات وتحليلها ، والانطلاق منها إلى آفاق جديدة فى الزمان والمكان ، وبذلك يصبح أكثر قدرة على التعامل مع هذا العالم المتغير .

ويتصل بهذا أيضا ، وجوب النهوض بالتعليم الفنى فى مصر ، وجعله عنصر جذب للقاعدة العريضة من أبناء الشعب ، لأنه هو الذى يتيح إعداد الشباب المصرى لمواجهة احتياجات العصر فى داخل الوطن ، وعلى امتداد المنطقة التى نعيش فيها ، بل وفى كل بقاع الأرض .

ولعلكم تتابعون الجهود التى نبذلها مع الدول الصديقة بهدف حثها على مساندة عملية تطوير التعليم الفنى فى مصر ، وأذكر فى هذا المقام ـ على وجه الخصوص ـ الحديث الذى دار بينى وبين المستشار الألمانى الصديق هيلموت كول ، والذى كشف عن اهتمام ألمانيا بالمساهمة معنا فى هذا العمل الكبير ، واستعدادها لإمدادنا بالخبرات والمعدات اللازمة لتحقيق هذا التطوير على النحو الذى يتفق مع احتياجاتنا وآمالنا فى مستقبل أفضل ، وأود أن أغتنم هذه الفرصة لأعبر عن تقديرنا لهذا الموقف البناء من دولة صديقة ، تربطنا بها أوثق الروابط والعلاقات .

ولعل من المناسب أن أطرح عليكم وعلى جمهور المثقفين فى مصر ثلاث قضايا أخرى ، تتصل مباشرة باهتماماتكم الفكرية والمهنية :

وتتعلق القضية الأولى بإعداد المدرسين القادرين على تنفيذ الخطة التى توضع لإصلاح التعليم وتطويره ، فتلك نقطة البداية فى أى إصلاح ، وبدونها تصبح الخطط الموضوعة مجرد حبر على ورق ، ومجموعة من الافتراضات النظرية ، التى لا تربطها أدنى صلة بالواقع الذى نعيشه وننشده .

أما القضية الثانية ، فهى قضية إحياء الاهتمام باللغة العربية وعلومها ، ففى الوقت الذى تتزايد فيه الحاجة للإلمام باللغات الأجنبية واستيعاب علومها وآدابها ، يتعين علينا ـ من باب أولى ـ أن نبعث لدى

نـص خطـاب السيـد الرئيـس محمـد حسنـى مبـارك

الأجيال الجديدة الاهتمام بإتقان لغتها العربية ، ونوفر لها القدرة على أن تنهل من نبعها الفياض وتراثها الغنى ، لأن اللغة هى أساس كل ثقافة وحضارة .

وتتعلق القضية الثالثة بالنهج الذى يتبع لغرس الثقافة الدينية فى نفوس طلاب العلم وهم فى مرحلة الطفولة ، بحيث تتعمق لديهم القيم الرفيعة النابعة من الدين ، ولا يقتصر الأمر على حشد كم هائل من النصوص التى تعجز عقولهم عن استيعابها والاستفادة بها فى حياتهم فى الحاضر والمستقبل ، بل تغوص القيم والمثاليات الدينية داخل أعماقهم ، ويصبح أحد الروافد الرئيسية التى تشكل منهج سلوكهم ومعايير نظرتهم إلى الأشياء .

وأنتم جميعا مدعوون ـ بل مطالبون ـ بالإدلاء بدلوكم فى هذه القضايا وغيرها مما يتصل بمستقبل التعليم والثقافة فى مصر ، ولكم أن تأخذوا المبادرة فى طرح الأفكار النيرة والافتراضات البناءة ، سواء على المستوى الفردى أو على صعيد المؤسسات العريقة التى تتشرفون بالانتماء إليها ، ويجب أن يكون منطلقنا فى هذا التوجه هو أن الاهتمام بمستقبل العلم والثقافة فى مصر هو فرض واجب على كل مصرى ومصرية ، لأن مستقبل التعليم هو مستقبل الوطن ، وليس منا من لا يكترث بمستقبل هذه الأمة ، التى كانت خير أمة أخرجت للناس .

وبعد هذا ، ترد قضية أخرى لا تقل خطورة وأهمية ، وهى تعميق الصلة وتعزيز الجسور بين الجامعات والمعاهد ومؤسسات البحث العلمى من جانب ، ومؤسسات الإنتاج والخدمات من جانب آخر ، يستوى فى هذا المؤسسات الرسمية والأهلية ، وشركات القطاع العام والخاص ، فهى جميعا تشترك فى أدائها لرسالة قومية واحدة ، وهى الارتقاء بنوعية الحياة على أرض مصر ، وتحسين الأداء الاقتصادى فى كل أرجائها لصالح جماهير الشعب الغفيرة التى هى شغلنا الشاغل ليلا ونهارا ، والمهم أن نضع نصب أعيننا على الدوام أن البحث العلمى لا يؤدى رسالة كاملة إلا إذا وظف فى خدمة الحياة ، شأنها فى هذا شأن الأدب وسائر فروع المعرفة . وليس معنى هذا ، التقليل من قيمة مجالات الدراسات الإنسانية والنظرية ، ولكن معناه وجوب مراعاة التوازن والاهتمام بالأولويات وتمكين الشباب ـ من خلال ما يتعلمون ويدرسون ـ أن يعملوا من أجل حياة أفضل لهم ولبلدهم ولأمتنا جمعاء .

ويكفى للدلالة على اهتمامنا بالدراسات الإنسانية والنظرية ، ما نقوم به اليوم من الحفاوة بكلية دار العلوم ، صاحبة الدور الرائد فى هذه الدراسات ، وهو دور يدعو إلى الإعجاب ويستحق كل تقدير .. فدار العلوم قد قامت ـ وعلى امتداد أكثر من قرن من الزمان ـ بأداء رسالتها فى مجال اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، وذلك إلى جانب الكليات والمعاهد والأقسام الجامعية الأخرى ، التى تعمل فى نفس المجال ، ولكل منها طابعه المميز ، وعطاؤه الذى لا ينكر ، ودوره الملموس الذى نقدره حق قدره .

لقد قامت دار العلوم برسالتها فى المجال التعليمى ، والمجال الجامعى الأكاديمى ، والمجال الأدبى

والثقاف ، وتألق من أبنائها كثير في كل هذه المجالات ، ونسأل الله تعالى أن يهيىء لهم مزيدا من العطاء والإنجاز ، حتى تتواصل مسيرة العطاء التى قادها حفنى ناصف ومحمد المهدى ، ومحمد الخضرى ، ثم جيل إبراهيم مدكور ، ومهدى علام ، وعلى عبدالواحد وافى ، ومن جاء بعدهم من أجيال مازالت على الطريق لم تبلغ منتهاه .

وإزاء ما قامت به دار العلوم على امتداد تاريخها الطويل ، وفى شتى جوانب حياتنا العلمية والثقافية والفنية ، فإن دورها يعتبر دون شك دورا مشرفا ومضيئا ، يستحق الإعزاز والتقدير ، هذا إلى جانب دورها الأساسى ، فى الحفاظ على اللغة العربية ودفعها إلى مزيد من التطور والتجديد ، ولذا ، فقد استحقت فى ماضيها تحية الإمام محمد عبده - أحد كبار رواد التجديد والتنوير - الذى قال فى تقرير له عن دار العلوم : « إن باحثا مدققا إذا أراد أن يعرف أين تموت اللغة العربية وأين تحيا ، لوجدها تموت فى كل مكان ، ووجدها تحيا فى هذا المكان » .

وفى رأيى أن تحية الإمام محمد عبده ، لم تقصد إلى الانتقاص من قدر أى من الكليات والمعاهد الجليلة الأخرى ، التى تعمل فى حقل اللغة العربية ، وإنما هى نوع من التقدير لدار العلوم فى مجال التكريم ، وهو تقدير لا ينال من دور الكليات والمعاهد الأخرى ، التى أنشىء معظمها فى تاريخ لاحق ، ووجهت اهتماما خاصا إلى تعليم اللغة العربية وتخريج متخصصين فيها وفى أدبها ، وكلها كليات ومعاهد لها دورها وقيمتها ، وجهودها التى تستوجب الثناء والتبجيل .

وبعد ، فإننى أحيى دار العلوم ذات التاريخ العريق ، والحاضر الحافل ، والمستقبل المأمول ، كما أحيى جامعة القاهرة ، التى احتضنت هذه الكلية العريقة ، وهيأت لها وسائل التطور والنماء والتقدم .

الإخوة والأخوات الأعزاء :

إن اللغة والثقافة والفنون والآداب هى أدوات الحضارة الإنسانية ، لتعزيز روابط البشرية وغرس قيم الحق والخير ، وخلق تفاهم متبادل بين الشعوب ، ليساعد على قيام عالم أكثر أمنا وسلاما يصون حضارة الإنسان ، ويزيل العقبات التى تحول دون إسهام كل الشعوب فى ركب التقدم الإنسانى .

إن مسئولية الإنسان على الأرض هى أن يعمر ويبنى ، وأن يتواصل مع عالمه لما فيه منافع النّاس وخير البشرية ، وأن يقدم السلام على الحرب ، بشرط أن يكون عادلا متكافئا ، يعطى لكل ذى حق حقه ، ويحدد له مسئولياته والتزاماته .

من هذا المنطلق كان انحيازنا لضرورة العمل من أجل إيجاد سلام عادل وشامل فى الشرق الأوسط ، ينهى الصراع الدامى الذى استنزف طاقات شعوبنا لأكثر من نصف قرن ، ويحفظ لكل الأطراف حقوقها ، ويؤهلها للإسهام الإيجابى فى مسيرة عالم جديد ، ينبذ الحرب والشقاق ويدعو إلى السلام والتعاون .

نـص خطـاب السيـد الرئيـس محمـد حسنـى مبـارك

سعينا إلى هذا الهدف ، فى أوج انتصار أكتوبر العظيم ، لكى نؤكد للعالم كله أن مصر تحارب لا من أجل الحرب فى ذاتها ، ولكن من أجل أن ينتصر السلام العادل الذى يصون الحقوق ويحمى المصالح .

ومضينا على هذا الطريق رغم العقبات الضخمة التى واجهتنا ، ورغم ميراث طويل وعميق من الأحقاد والكراهية والمخاوف المتبادلة ، ثقة منا فى سلامة الهدف ، ولكى نثبت للجميع أن السلام ليس هدفا مستحيلا ، وأنه يمكن أن ينهض وأن يقوم لأنه فى صالح كل الشعوب .

الإخوة والأخوات

إن مصر التى اختارت السلام هدفا استراتيجيا ثابتا ، ترى فى انعقاد مؤتمر مدريد حدثا تاريخيا بالغ الأهمية فى مسار الشرق الأوسط ، وفرصة لا تعوض لإنجاز مصالحة تاريخية بين شعوبه ، تحمى سلام المنطقة واستقرارها ، وتساعد على حفظ السلام والأمن الدوليين ، وتسهم فى بزوغ عالم جديد أكثر عدالة واستقرارا .

إننا نرحب بانعقاد المؤتمر وبالمشاركة النشطة فى أعماله ونعتبره البداية الصحيحة لإنجاز سلام شامل ، يحفظ لكل الشعوب حقوقها العادلة ، يستوى فى ذلك حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وحق الشعب الإسرائيلى فى وجود أمن مستقر .

إننا نتطلع إلى أن يكون المؤتمر بداية لمرحلة جديدة فى تاريخ الشرق الأوسط ، تخلو من الشكوك والهواجس والمفاهيم البالية ، وتفتح الباب أمام علاقات جديدة ، تربط كل دول المنطقة وشعوبها على أساس من التعايش وحسن الجوار ، والتعاون المشترك البناء لما فيه سلام المنطقة وازدهارها .

كذلك فإننا نثق فى أن السلام العادل والشامل سوف يكون فى صالح كل الأطراف .. فى صالح الفلسطينيين ، الذين يعانون عسف الاحتلال ، ويتوقون إلى حقهم فى تقرير المصير .. وفى صالح الإسرائيليين ، الذين يتوقون إلى سلام آمن ، ويتطلعون إلى علاقات طبيعية مع جيرانهم العرب .. وفى صالح كل الشعوب العربية ، التى تتوق إلى تكريس جهودها لمسيرة مستقرة متواصلة على طريق التنمية والديمقراطية .

إننا على يقين من أن السلام الذى ننشده لن يكون الهدف المستحيل ، إن تغلبت عوامل الحكمة ، وخلصت النوايا ، وأدركت كل الأطراف أن الحرب والكراهية والصراع لا تحقق الأمن ، ولا تصون المستقبل ، وأن ما يصون المستقبل ويحقق الأمن هو سلام متكافىء يعيد الأرض لأصحابها ، ويحفظ الحقوق العربية والإسلامية والمسيحية فى القدس ، ويحقق الأمن للجميع ، ويؤهل المنطقة لمرحلة جديدة ، تفتح الباب واسعا أمام تعاون الشعوب .

إن وقف بناء المستوطنات فى الضفة وغزة والجولان ، سوف يكون خطوة فى الاتجاه الصحيح ، تدعم الثقة المتبادلة بين الأطراف المعنية ، وتضاعف الأمل فى إمكان الوصول إلى سلام حقيقى ، وتعطى دفعة قوية للمفاوضات الثنائية التى تجرى داخل اللجان .

إننا نعرف أن الطريق لن يكون سهلا أو قصيرا ، وأن التفاوض سوف يكون شاقا ومضنيا ، لكننا نأمل أن تتغلب كل الأطراف على مخاوفها ، لأنه لا شىء يعدل السلام الذى هو أمل كل الشعوب .

إننا نعرف أيضا أن هناك من يريدون إفشال مساعى السلام وتخريبها ، لأن السلام يناقض أفكارهم القديمة ، أو لأنه يقضى على مصالحهم ، لكننا نأمل ألا تترك الأطراف المعنية الفرصة لهؤلاء لكى يقوضوا هذا الأمل الكبير ، وهذه الفرصة التاريخية الفريدة التى يصعب تكرارها .

إن مصر تعتبر انعقاد هذا المؤتمر تتويجا لجهود شاقة ، طويلة ، حملت مصر الكثير من أعبائها ، كى يساند المجتمع الدولى فكرة انعقاد المؤتمر ، ويؤازرها بالمشاركة فى إقناع كل الأطراف بضرورة انعقاده .

إننا نحيى دور الرئيس الأمريكى بوش وإدارته التى بذلت جهدا كبيرا ، من أجل إقناع كل الأطراف بضرورة المشاركة ، كما نحيى اشتراك الرئيس السوفييتى جورباتشوف ، ونعتبر رئاستهما للمؤتمر ، دلالة ذات مغزى على اهتمام العالم كله بسلام الشرق الأوسط ، وحرصه على إنجاز هذا الهدف العظيم .

الإخوة والأخوات

إن مصر التى سعت إلى السلام الشامل وهى فى أوج انتصار أكتوبر العظيم ، واثقة من صحة مبادراتها على هذا الطريق ، لتأمل أن يوفق المؤتمر فى بلوغ أهدافه ، لأن مصر تعرف من خلال تضحياتها الجسام معنى الحرب وتبعاتها ، كما أنها تعرف من خلال تجربتها فى السلام ، أن السلام يعنى البناء والتقدم ، ويعنى الاستقرار والديمقراطية ، وأنه لا شىء يمكن أن يعدل السلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

بيان من الأزهر الشريف

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

تواترت الأنباء عن اقتحام قوات من الشرطة والمخابرات وحرس الحدود الإسرائيلى مبنى المحكمة الشرعية بالقدس الشريف بفلسطين بعد ظهر يوم الاثنين ١٨/١١/١٩٩١ م والاستيلاء على العديد من الملفات والوثائق الخاصة بالمحكمة ومنها وثائق تاريخية وأثرية يرجع تاريخها إلى أكثر من خمسمائة عام ، وأن القوات المهاجمة للمحكمة قد عبثت وعاثت فسادا فى السجلات والملفات .

وإذ كانت المحاكم الشرعية بوجه عام فى البلاد الإسلامية إنما تحتوى على الوثائق الخاصة بالزواج والطلاق والكثير من المستندات الرسمية للممتلكات ومن بينها الحجج الرسمية للأوقاف الشرعية ، وكانت تلك المستندات تراثا إنسانياً وتاريخيا يحتفظ بمكونات الأسر فيما بينها ويحفظ الحقوق فى أعيان الأموال لاسيما الأوقاف الخيرية والأهلية ، فهى مع هذا كله سجلات تاريخية تعبر عن المسار الاجتماعى للمواطنين الذين يتعاملون مع هذه المحاكم فى مصالحهم المتنوعة ، ولم تكن هذه المحاكم ـ وعلى الأخص محكمة القدس الشرعية ـ مقرا لإدارة الحرب ، ولامخبأ للأسلحة ولا الذخائر ، ولا ملجا للمحاربين حتى تهاجمها تلك القوات المتنوعة الإسرائيلية ، وتعبث بمحتوياتها . وتستولى عليها وتعيث فيها إتلافا وإفساداً .

إن العالم المتحضر ينبغى أن يقف وقفة حازمة مع هؤلاء الذين انتهكوا حرمة دور القضاء وقداستها واستهانوا بمقدرات وقيم الإنسانية ، وارتكبوا أغلظ الآثام وتخلوا عما تفرضه الأمانة والشجاعة بألا يروعوا المسالمين ويحفظوا عليهم ولهم أمانات الناس وحقوقهم التى تحتويها تلك السجلات والملفات التى انتهبوها أو أتلفوها .

باستنكار التعدى على
المحكمة الشرعية بالقدس

إن الأزهر الشريف ليأسف أشد الأسف لتخلى هؤلاء الطغاة الذين بَعُدوا وتجرَّدوا عن كل الصفات الحميدة فى الإنسان وانحدروا فى تصرفاتهم وعدوانهم على محكمة القدس الشرعية نهبا وإتلافا ، ويدعوهم أن يفيقوا ويعدلوا عما فعلوا من آثام وما ارتكبوا من جرائم ، ويعيدوا

ما انتهبوا من دار المحكمة الشرعية بالقدس إليها كاملة وسالمة غير منقوصة ، ويحذرهم من العبث بتلك السجلات والمستندات ويدعو كافة الحكومات الإسلامية والعربية إلى اتخاذ الإجراءات التى تخولها المعاهدات والمواثيق الدولية لردع هذا العدوان واسترداد تلك المنهوبات من الملفات والسجلات وتضمين الحكومة الإسرائيلية بالتعويضات عن الإتلاف الذى وقع على مبنى المحكمة ومحتوياتها .

وإن الأزهر الشريف ليدعو منظمة الأمم المتحدة وفروعها - لاسيما تلك المعنية بالتراث الإنسانى كاليونسكو - للتدخل لاسترداد ما استولت عليه تلك القوات المعتدية على المحكمة الشرعية بالقدس الشريف ويحملها مسئولية التراخى ويذكرها بحكم التاريخ إن هى تخلت عن مهمتها فى هذه الحالة ، وهى من أولى الهيئات التى تقوم على حماية التراث الإنسانى .

ويدعو الأزهر الشريف الشعوب العربية والإسلامية ، بل وكل الشعوب التى تنادى بالسلام أن تقف ضد هذا العدوان ، وأن تتنادى وتتعاون على مؤازرة الفلسطينيين وحمايتهم .

وإذ يرفض الأزهر الشريف هذا السلوك والعدوان الإسرائيلى المؤثم فى وقت يجرى التفاوض فيه نحو إقرار السلام ، وإزالة أسباب العدوان وآثاره ليدعو الفلسطينيين إلى اليقظة والحرص على ممتلكاتهم وأموالهم والدفاع عنها ولو بأجسادهم .

والله ناصركم ولن يتركم أعمالكم فى جهادكم .

شيـــخ الأزهـــر
« جاد الحق على جاد الحق »

علامات المؤمنين وجزاؤهم

للدكتور: عبد الجليل شلبى

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

اشتملت الآية السابقة على ثلاث صفات ربطت بها الإيمان الكامل ، هذه الصفات هى ، تقوى الله ، وإصلاح ذات البين ، والإذعان والطاعة لكل ما أمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبلَّغه عن ربه ، وهذه الآية استئناف لبيان حقيقة المؤمنين الكاملى الإيمان ، واشتملت على خمس صفات كل صفة منها تستدعى وقوفا لديها وتأملا فى حقيقتها .

والصفة الأولى: أنهم لكمال إيمانهم تَوْجَل قلوبُهم عند ذكر الله تعالى ، وذكر الله - سبحانه - يشمل الذكر باللسان،والتذكر بالقلب ، ويعنى الأول أنه كلما سُمِع اسم الله - جل جلاله - مجردا عن صفاته الدالة على عظمته والموحية بحسابه وعذابه ، اضطرب قلبه واهتز خشية منه وإجلالا له ، فإذا وصف مع ذكر اسمه بالجبار أو المتكبر أو الحسيب ، أو كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، أو نحو ذلك ، كان هذا أكثر فاعلية فى نفسه .

وقد يكون ذكر الله بمعنى تذكره ، فهو من الذُّكر - بضم الذال - كما فى قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ والمعنى إذن أنه كلما تذكر عظمة الله - سبحانه - وجلاله اعتراه هذا الوجل .

والوجل هو: استشعار الخوف والفزع من عذاب الله ، أو هو:توقع أمر مؤلم رهيب فى المستقبل ، وبحسب شدة الخوف وضعفه تكون قوة هذا الشعور وضعفه ، ووصفت أم الدرداء والسيدة عائشة الوجل بأنه:كاحتراق السعفة ، وقال بعض الصالحين : إنى لأعلم متى يستجاب لى ما ادعو به ، ولما سئل كيف يعرف ذلك ؟ قال : إذا اقشعر جلدى ووجل قلبى وفاضت عيناى ، فذلك حين يستجاب لى ، ونقلت استجابة الدعاء

فى هذا الموقف عن أم الدرداء والسيدة عائشة أيضا ، قالت أم الدرداء لشهر بن حوشب وقد أجابه بما سبق : أما تجد له قشعريرة ؟ قال : بلى ، قالت : فادع الله فإن الدعاء يستجاب عند ذلك ، وقالت أم المؤمنين : ما الوجل فى القلب إلا كضربة السعفة ، فاذا وجل أحدكم - بمعنى إذا أحس بهذا الشعور - فليدع عند ذلك .

وليس هذا الشعور خاصا بتذكر الإثم - أيا كان نوعه - وخوف العقاب ، ولكن هناك منزلة أعلى من ذلك وأسمى ، وأقرب إلى الله الخالق - أن يتذكر الإنسان عظمة الله وجليل نعمائه وبديع صنعه وعزة سلطانه ، فيخفق قلبه وتهتز نفسه وتفيض عيناه بالدموع ، وليس الناس فى هذا سواء ، بل هناك القلوب الغافلة التى رانت عليها ماديات الحياة الدنيا حتى أنستها حساب الآخرة وانتقام الخالق الجبار : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ. قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ .... ﴾ الآية وبين هؤلاء وبين الشعور بجلال الله حجب ثقيلة ، لايخفف من ثقلها وشدة كثافتها إلا موالاة العبادة والتدبر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ، وبعض الناس يؤدى الفرائض غافلا لاهيا، ويخيل إليه أنه فعل شيئا عظيما ، وبعض يصلى ويصوم وينفق ويتصدق .. ويصبر على مايناله .. ويرى كل ذلك قليلا فى جانب الله ، ويتذكر دائما وقوفه بين يدى ربه فيخشع قلبه وتلين جوانحه ، كما قال الله - سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ فهو وجل مقترن بالعمل .

والمتعبدون الذين مارسوا أعمال القربى إلى الله ، يقولون: إن أشد أنواع العبادات فاعلية فى النفس وإيقاظا لمشاعر الخوف والوجل قيام الليل وقراءة القرآن بتمعن وتدبر ، فقيام الليل عبادة بعيدة عن الرياء خالصة لله ، وقراءة القرآن، أو حتى الاستماع إليه . استماع لله وشعور بحلاوة كلامه ، وكل ذلك لايكون إلا مع التدبر وحسن الفهم .. ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ ، ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ .

فالقلوب إذن ينالها الوجل من خوف عقاب الله ومن تذكر رحمته ، وبقدر ما تدرك النفس من جلاله وعظمته ألا ترى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو المعصوم من الذنوب ، كان يبكى لسماع القرآن ولتلاوته ؟ و ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

وجاء فى تفسير الآية عن الإمام السدى . أن المؤمن إذا هم بمظلمة قيل له : اتق الله ، فكف ووجل قلبه .. وأولى أن تكون الآية أوسع من ذلك دلالة وإحاطة فسواء قيل له: اتق الله ، أو انبعثت فى نفسه ذكرى الله ، كف عن الإثم الذى هم به ، وهذا قريب من قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ .

علامات المؤمنين وجزاؤهم

واكثر استعمال الفعل « وَجِل » أن يكون بوزن عَلِم يعلَم وفَرِح يفرح ، وفى القرآن قول الملائكة لإبراهيم - عليه السلام : ﴿ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ .... ﴾ وجاء فى المضارع أيضا يَيْجَل بالياء ، وياجل بجعلها ألفا ، كما جاء ييجل - بكسر ياء المضارع ، ويقال فى المصدر : وجلا - كفرحا ، وموجلا ، وموجلة - مصدرا واسم مكان - وتقبلوا كسر المضارع فى (ييجل) لوجود ياءين ، ولغة بنى أسد كسرها فهم يقولون : أنا إيجل ونحن نيجل ، ورجل وجل كفرح ، وأوجل كأحمر ، ولكن لايقولون امرأة وجلاء كحمراء ، وإنما يقولون امرأة وجلة ، وقلوب وجلة .

والصفة الثانية:أنهم يزداد إيمانهم كلما تليت عليهم آيات الله ، فما هذه الزيادة،وما كيفيتها ؟

من المعروف أن الإيمان يطلق على التصديق والاعتقاد ، ولكنه يطلق أيضا فى عرف الشرع على مجموع العلم والاعتقاد والعمل بموجبهما ، وسياق الكلام يعين المراد مما يذكر إن كان شيئا واحدا أو غير واحد ، وللعلماء فى زيادة الإيمان ونقصه أقوال واسعة لسنا بصدد تفصيلها ، وبوجه الإجمال انفرد الإمام أبو حنيفة وبعض صحبه بقولهم:إن الإيمان هو التصديق ووجود العقيدة ، وهذا لايزيد ولا ينقص ، وموقف الشخص بين أمرين إما مصدق فهو مؤمن أو غير مصدق فهو كافر ، ولم يوافق الآخرون على هذا الرأى ، وقالوا بزيادة الإيمان ونقصه سواء فى العقيدة ، أو فى العلم بحقائق الإيمان وفروعه .
وممن اختار رأى أبى حنيفة إمام الحرمين وعدد من المتكلمين ، قالوا: إن الإيمان هو التصديق الراسخ الذى يصل حد الجزم والإذعان ، وليس وراء ذلك رسوخ فهو إذن لا يزيد ولا ينقص ، وتفاوته هو تفاوت الطاعات وكثرة إتيانها ، صلاة وصدقة وصوما ومما عزز به هؤلاء رأيهم أن وفد ثقيف حينما وفدوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سألوه عما إذا كان الإيمان يزيد وينقص ، فقال : الإيمان مكمل فى القلب ونقصانه كفر ، وقد تأولوا الأحاديث والآيات الدالة على زيادته ونقصه ، بأنه بحسب الدوام والثبات وطول الزمان وتكرر الأعمال على ماسبق ، وهى أيضا بزيادة مايؤمن به الشخص ، فالذى لديه معلومات وتفاصيل أوسع قد آمن بأشياء لم يؤمن بها الذين لايعرفونه ، والصحابة الذين ماتوا أول الإسلام بمكة أو المدينة فاتتهم أشياء لم تكن أوحيت بعد ، وهم قطعا مؤمنون .

وَبَطلُ هذا الدفاع وصاحب تشريحه هو إمام الحرمين الجوينى .
أما الآخرون فلهم أدلة أقوى ، من العقل ومن الكتاب والسنة .

فلا يستسيغ شخص أن يسوى إيمان رجل الشارع أو مرتكبى المعاصى الكبرى بإيمان العباد الصالحين والأنبياء ، ولو كان لهم إيمان قوى ما ارتكبوا الآثام ، ثم وضوح البراهين وكثرتها مما يعمق التصديق ويقوى الثقة ، ومراتب اليقين متفاوتة : علم اليقين،وحق اليقين،وعين اليقين ، وليس مع أى مرتبة منها شك ، وقد جاء فى الحديث : لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة لرجح إيمان أبى بكر ، وفى القرآن الكريم :

﴿ هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ، ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ

إِيمَانًا ﴾ ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ والاستقامة كالإيمان،وفى حديث لابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ : قلنا يارسول الله،إن الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : نعم ، يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة ، وينقص حتى يدخل صاحبه النار .

والخلاف فى هذا طويل ، ونحن أميل إلى القول بزيادته ونقصانه ، وعقيدة الشخص الواحد ترسخ فى بعض المواقف،وتهن وتتزعزع فى بعض آخر .

والصفة الثالثة:هى التوكل على الله وحده ، وقدمت الآية الظرف إيذانا بالحصر ، أى لايتوكلون إلا عليه . والتوكل ـ كما قيل ـ أعلى مقامات التوحيد؛فمن كان ذا يقين ثابت فى الله ، وعقيدة خالصة بأنه مدبر كل شىء اطمأن إلى حكمه ، ورضى بكل مايحدث له ، ويتوجه إلى الله وحده فى كل مقصد له .

والصفة الرابعة: هى إقامة الصلاة ، أى أداؤها مقومة كاملة فى صورتها وأركانها من القراءة والركوع والسجود وما إلى ذلك ، ثم استيفاؤها خشوعا وخشية وتدبرا ، ولذا قال الله فى سورة « المؤمنون » : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ فهما صفتان لابد منهما معا . وهذه هى الصلاة التى تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، أما مجرد الحركات والقراءة ، مع شرود الذهن وغيبة الخشوع ، فليس من الإقامة فى شىء .

والصفة الخامسة:هى الإنفاق فى وجوه البر ، سواء فى ذلك الزكاة المفروضة أو الصدقة المسنونة ـ والزكاة محك ثبات العقيدة ؛ لأن المال شقيق النفس ، والنفس البشرية لاتشبع من جمعه . ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى الثالث ، ثم هى ضنينة به ، ولا يسخو به للخير إلا ذوو الإيمان العميق .

ومن كملت له هذه الصفات الخمس كانت دليلا على كمال إيمانه : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ أى المستكملين لحقيقة الإيمان ، ولا يستكملها الإنسان إلا بعد طول رياضة للنفس وجهاد طويل . وقد سئل الحسن البصرى : أمؤمن أنت ؟ فقال لسائله : الإيمان إيمانان . فإن كنت تسألنى عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم والآخر والجنة والنار والبعث والحساب ... فأنا مؤمن ، وإن كنت تسألنى عن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ . . . ﴾ فوالله ما أدرى:أنا منهم أم الآية

وجزاء هؤلاء المؤمنين أنهم لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .

والدرجات هى:منازل الرفعة ، وكونها مضمونة لهم عند ربهم مما يؤذن بعلو منزلتها ، أى لهم درجات عالية عظيمة عند من رباهم بنعمه وفضله ، ودرجات الصالحين متفاوتة عند الله كما قال سبحانه :(هم درجات عند الله)ـ(نرفع درجاتٍ من نشاء)..(انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) (أى فى الدنيا) ـ (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا).

والمغفرة هى مسامحتهم فيما فرط منهم ، ويتحمل الله عنهم بمنه وكرمه ذنوبهم الخفيفة نحو العباد ، وكل ما كان من اللَّمَم .. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَايَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾.

والرزق الكريم هو رزق الجنة ، والكريم تأتى صفة لكل شىء عظيم مقدر والله ـ سبحانه ـ رب العرش الكريم ، وكل شىء سَوِيٍّ خال من أى قبح فهو كريم .

وحيث استكمل هؤلاء المؤمنون هذه الصفات فرزقهم من علو المكانة والمثوبة مضمون لدى الله خالق الكون الذى لايضيع أجر من أحسن عملا .

قبس من أنوار النبوة

أغنى الناس من اتقى الله

الشيخ : على حامد عبد الرحيم

عن زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ قال ـ قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ ، فَرَّقَ اللَّهُ عليه أَمْرَهُ . وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يُؤْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ .

وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِى قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِىَ رَاغِمَةٌ » .

رواه ابن ماجه بإسناد حسن .

هَمُّهُ : ما يحرص عليه . فرَّق : شتَّت وشعَّب .

نظم الإسلام شئون الإنسان كَلَبِنة فى بناء مجتمعه ، وَقَدَّرَ حاجته وحاجة المجتمع إليه ، ووضع له على هذا الأساس قواعد تنظم سلوكه ونشاطه فى كل ناحية من نواحى حياته ليرفع عن كاهله الحيرة والقلق فى توجيه سلوكه ونشاطه ، لقد رسم الإسلام للإنسان طريقه إلى عبادة خالقه وشكره على ما أنعم به عليه مما يتقلب فيه من يوم مولده إلى أن يموت .

ورسم له طريق الاستمتاع بالحياة كإنسان له غرائز ورغبات فى الحدود التى لا تؤذيه ولا تضر بإخوانه ممن لابد له من معايشتهم ومعاشرتهم ، وشئون الإنسان تختلف فى أهميتها لتعلقها بحياته ومعاشه وحاجاته وكمالياته ، فكانت عناية الإسلام بضبطها ورعاية أهميتها لتسير فى طريق مستقيم يُؤْمَنُ فيه الزلل والفوضى ضمانا لسلامة الجماعة .

ولما كان أهم شئون الإنسان تحصيل الرزق واكتساب المال ؛ إذ عليه تتوقف حياة الإنسان ، وتحقيق مطالبه ورفاهيته من أكل وشرب ولباس وسكن وغيره . ولما كان الإنسان بحكم طبيعته وضروراته حريصا على الاكتساب لجمع المال ، ولو أرخى له العنان فى هذا السبيل لما وقف عند

حد ، ولما اقتنع بغاية ، لما كان الأمر كذلك عُنِيَ الإسلام أشد العناية بأن يضع من الأحكام والإرشادات والزواجر والعظات ما يخفف من حدة هذا الحرص ، ويكفكف من غلوائه حتى تسلم الجماعة من آثار الجشع فيه والتهالك على جمعه .

إن الإسلام-حين أباح للإنسان جمع المال والاستمتاع بطيبات الحياة ؛ ليأكل ويشرب ويلبس ويتزوج وينعم بمباهج الدنيا ومسراتها ، .. وأباح له أن يجعل المال من مواضع اهتمامه- ... لم يبح له أن يجعل اهتمامه كله مصروفا إليه ، يفكر فيه ليله ونهاره ، وغدوه ورواحه ، حتى ينسى حقوق ربه ، وحقوق مجتمعه ، فيهدر قيمه ، ويبتعد عن معانى الشرف والكرامة ، وينزلق فى مهاوى الرذيلة والفجور ، ويقع فى حمأة الجريمة ، ويتصف بصنوف الانحلال التى شاعت بين كثير من الناس كالسرقة والنصب والاختلاس ، واستغلال النفوذ ، والرشوة ، وتجارة المخدرات وتعاطيها.لقد أصبح جمع المال هو القيمة الأساسية لدى كثير من أصحاب النفوس الضعيفة ، حتى وجدت وسائل جمع المال من الرذيلة والمخدرات والجرائم البشعة طريقها الواسع الذى نجد بعض الناس يسيرون فيه علانية ، وبغير حياء .

إن كل من يصرف همه كله إلى الدنيا والتكاثر فيها والحرص عليها والاشتغال بجمع حطامها وإن كثر ماله فهو فى ضنك وفقر فى قلبه مهما كثر ماله وطفح غناه .

إن كل من ضعف لديه الوازع الدينى ، وتضافرت عليه أسباب الجشع والطمع وأغرته الدعاية الكاذبة بالغنى والثراء ، وأدارت رأسه الدعاوى الزائفة بأسباب اللهو والعبث فجن جنونه بالمال ، يتزود به فى سبل الغواية ، فأصبح المال معبوده وهام به وجعله لا يبالى مم جمعه ولا فيم أنفقه .

إن من كان كذلك أضنى نفسه ونغص عيشه وبلبل خاطره ، وشتت فكره ولم يبلغ مرامه فى إشباع نهمه ، وأتعب قلبه وجسمه . فهو يأكل ولا يشبع وصار فقره بين عينيه فى جميع أحواله ، وأهلكه الشح فأسقطه من المجتمع الذى يعيش فيه ، وأصبح من خوف الفقر فى فقر ، ومن خوف الذل فى ذل ، ومن كان كذلك أضحى ممن عناهم الحديث الشريف بقوله ﷺ : « من كانت الدنيا همه ، فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له » .

أما من يجعل الآخرة همه فإنه يراقب الله ، ويسعى متوكلا على الله ، لكسب الرزق الحلال متصفابالقناعة والرضا بما قسم الله فقد سَوّدَ بحاله ، وهدأ باله وكان الله معه بالتوفيق والسداد ، ورأى أنه بالقليل مما أُعطِى غنى ، وهو غنى حقا بقناعته ، وهذا هو الذى أعطاه الله الدِّين ، ومن أعطاه الدين فقد أحبه .

روى ابن حبان فى صحيحه « أن النبى - ﷺ - قال لأبى ذر:يا أبا ذر،أترى كثرة المال هو الغنى ؟ قال : قلت : نعم ، قال : وترى قلة المال هو الفقر ؟ ، قال : قلت : نعم يارسول الله ، قال إنما الغنى غنى القلب ، والفقر فقر القلب » .

إن المؤمن الموفق للخير والعمل الصالح يحيا حياة طيبة سعيدة فى الدنيا مهما كان حظه من متاعها قليلا ، وأنه فى الآخرة من السعداء .

البقية ص ٧٠١

فقه الأصول والفروع

للشيخ / محمد حسام الدين

● **لا يعظم قدر الفقيه إلا إذا كان على علم بالأصول التى تتخرج عليها الفروع لدى المذاهب الفقهية .**

ويدخل فى هذه الأصول القواعد الفقهية العامة التى ارتآها كل مذهب .

فالشريعة الإسلامية ـ على حد تعبير القرافى[1] : (قد اشتملت على أصول وفروع ، وأصولها قسمان : أحدهما : المسمى بأصول الفقه ، وهو فى غالب أمره ليس فيه إلا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصة ، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح ، ونحو الأمر : للوجوب ، والنهى : للتحريم ، والصيغة الخاصة للعموم ، ونحو ذلك .

وما خرج عن هذا النمط إلا كون القياس حجة ، وخبر الواحد ، وصفات المجتهدين .

والقسم الثانى : قواعد كلية فقهية جليلة كثيرة العدد ، عظيمة المدد ، مشتملة على أسرار الشرع وحكمه ، ولكل قاعدة من الفروع فى الشريعة ما لايحصى ، ولم يذكر منها شىء فى أصول الفقه ، وإن اتفقت الإشارة إليها هنالك على سبيل الإجمال) ا هـ .

والفرق بين القواعد الأصولية ، والقواعد الفقهية ، أن القاعدة الأصولية تستند إلى دليل مباشر . نصا من قرآن أو سنة ، أو استنباطا منهما ، أو قياسا على حكم تقرر فيهما .

فالقاعدة الأصولية قاعدة تبين الوجه لإعمال الدليل الشرعى الأصلى أو التبعى .

كما تبين ما قد يعرض له من إطلاق أو تقييد .

ومثالها قولهم : المطلق يحمل على المقيد ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والخبر المتواتر يفيد العلم بِمُخْبَرِه ، والأمر للوجوب إلا أن يصرفه عن الوجوب صارف ، وكذلك النهى فى التحريم ، وعموم النص يتخصص بفعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

أما القواعد الفقهية : فهى قواعد استقرائية

---

(١) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن العلاء الصنهاجى المشهور بالقرافى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ وانظر « الفروق » المقدمة .

تكشف عن مقاصد الشرع بصفة عامة،ولا يتحدد نطاق عملها بموضوع بذاته .

مثالها قولهم : الأمور بمقاصدها ـ والأعمال بالنيات ـ الأصل براءة الذمة ، الأصل فى الشك عدم الفعل . المشقة تجلب التيسير ـ إذا ضاق الأمر اتسع ـ العادة مُحَكَّمَةٌ ـ إذا اجتمع الحلال والحرام غُلِّبَ الحرام ـ الرخص لا تناط بالمعاصى .. وهكذا .

هذه القواعد الفقهية تختلف من مذهب إلى مذهب ، ويتفاوت الأئمة ـ رحمهم الله ـ فى تقريرها ، فتتقارب وتتباعد بها أصول المذاهب الفقهية ، وتأتى على هذا النمط أحكام الفروع تبعا لتخريجها على هذه الأصول متقاربة ، أو متباعدة .

وعلى هذا فإن اختلاف المُفْتِين لا يأتى عفوا أو تحكما ، ولكنه ناتج من تطبيق القواعد التى ترتكز عليها أصول كل مذهب .

ومن هنا يأتى التحذير للمجتهد المُقَيِّد فى مذهب إمامه ـ فضلا عمن يكون دون مستوى المجتهد دراية بالمذهب ـ يأتى التحذير له أن يتجاوز فى استدلاله أصول إمامه وقواعده ، أو أن يُخَرِّجَ ـ عَلَى النصوص أو القواعد استقلالا ـ إذا وجد نصا للإمام فى المسألة أو نظيرها .

وقد تعرض الإمام ابن الصلاح لمراتب المجتهدين والمفتين .

فوصف المجتهد المطلق الذى يتأدى به فرض الكفاية بأنه: هو المجتهد المستقل بإدراك الأحكام من الأدلة الشرعية من غير تقليد ولا تقييد .

وقال : (ومنذ دهر طويل طوى بساط المفتى المستقل ، والمجتهد المطلق ، وأفضى أمر الفتوى إلى الفقهاء المنتسبين إلى أئمة المذاهب المتبوعة)(٢) .

ثم وصف ابن الصلاح المفتى الذى ينتسب إلى مذهب ما ، وذكر له أربع أحوال : الحال الأولى : أن لايكون مقلدا لإمامه لا فى المذهب ، ولا فى دليله ، لكنه انتسب إلى المذهب لسلوك طريقه فى الاجتهاد .

وقال : (وفتوى المنتسبين فى هذه الحال فى حكم فتوى المجتهد المستقل المطلق ، يعمل بها ، ويعتد بها فى الإجماع والخلاف)(٣) .

والحال الثانية : (أن يكون مجتهدا مقيدا فى مذهب إمامه ، يستقل بتقرير مذهبه بالدليل ، غير أنه لا يتجاوز فى أدلته أصول إمامه وقواعده ... فإذا استدل بدليل أمامه لا يبحث عن معارض له ، ولا يستوفى النظر فى شروطه، وقد اتخذ نصوص إمامه أصولا يستنبط منها ، كما يفعل المجتهد المستقل بنصوص الشارع)(٤) .

واعتد ابن الصلاح بقول هذا الرجل فى الفتوى ، لكنه لا يعتد به فى إحياء العلوم التى منها استمداد الفتوى .

وأجاز له أن (يفتى فيما لم يجده من أحكام الوقائع منصوصا لإمامه بما يخرجه على مذهبه)(٥) .

---

(٢) نقلا عن « المسودة » فى أصول الفقه ، لابن تيمية ، مطبعة المدنى بالقاهرة سنة ١٩٨٣ م ـ صفحة ٤٨٧ ، ٤٨٨ ..

(٣) نقلا عن « المسودة » فى أصول الفقه ، لابن تيمية ، مطبعة المدنى بالقاهرة ، سنة ١٩٨٣ ـ صفحة ٤٨٩ .

(٤) المصدر السابق صفحة ٤٨٩ .

(٥) المصدر السابق صفحة ٤٨٩ .

فقـــه الأصـــول

أما الحال الثالثة : فهى حال من يكون حافظا للمذهب ، عارفا بأدلته ، لكنه قَصُرَ عن درجة المجتهدين ، لقصور حفظه ، أو تصرفه ، أو معرفته بأصول الفقه وهى مرتبة المصنفين إلى أواخر المائة الخامسة .

والحال الرابعة : (حال من يحفظ المذهب ويفهمه فى واضحات المسائل ومشكلاتها غير أنه مقصر فى تقرير أدلته ، فهذا يعتمد نقله وفتواه فى نصوص الإمام وتفريعات أصحابه المجتهدين فى مذهبه)[٦] ..

وهكذا يقرر ابن الصلاح ما عليه الاتفاق من أن مجتهد المذهب لا يصح له أن يتجاوز فى أدلته أصول إمامه وقواعده .

وأن فقيه المذهب إنما يجوز له فقط أن يعتمد فى نقله وفتواه على نصوص إمامه وتفريعات أصحابه المجتهدين فى مذهبه .

ورأى ابن الصلاح أن هذا الفقيه كاف فى العصور المتأخرة ونقل عن أبى المعالى الجوينى قوله : (يبعد أن تقع واقعة لم ينص على حكمها فى المذهب ، ولا هى فى معنى شىء من المنصوص عليه فيه من غير فرق ، ولا هى مندرجة تحت شىء من ضوابطه)[٧] .

فالضابط للفتوى على ما يراه ابن الصلاح : أن تعتمد على أصول مذهب ، أو تنقل عن فروعه ، أو تكون الواقعة مندرجة تحت شىء من ضوابطه ، وأصوله فتخرج على هذا الأصل فرعا .. له .

أما هذه الفوضى الضاربة على غير هدى الجانحة إلى الهوى والرأى الكليل ، فليست من الفتوى الشرعية على نظام .

وعلى هذا،فإن أصول كل مذهب هى قواعده الشرعية التى يبنى عليها أحكامه ويخرج فروعه .

وقد اجتهد أصحاب المذاهب فى تحرير قواعدهم ، وأوضحوا الفروق فيما بينها ، وذكروا الأشباه والنظائر من فروعها .

ومما نجده فى هذا المجال كتاب : « الفروق » لشهاب الدين أبى العباس أحمد بن أبى العلاء الصنهاجى المشهور بالقرافى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ .

وقد قال فى مقدمته : (وعوائد الفضلاء وضع كتب للفروق بين الفروع ، وهذا فى الفروق بين القواعد وتلخيصها ، فله من الشرف على تلك الكتب شرف الأصول على الفروع وسميته لذلك : انوار البروق فى أنواء الفروق .. وجمعت فيه من القواعد خمسمائة وثمانى وأربعين قاعدة ، اوضحت كل قاعدة بما يناسبها من الفروع)[٨] .

ومن ذلك كتاب : (الأشباه والنظائر) فى قواعد وفروع فقه الشافعية لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

ومثله كتاب (الأشباه والنظائر) الفقهية على مذهب الحنفية ، لزين العابدين بن إبراهيم ابن نجيم المصرى المتوفى سنة ٩٧٠ هـ وكان قد سبق هؤلاء الإمام شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجانى الشافعى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ فوضع

---

(٦) المصدر السابق صفحة ٤٩٠ .

(٧) نقلا عن « المسودة » فى أصول الفقه ، لابن تيمية ، مطبعة المدنى بالقاهرة ، سنة ١٩٨٣ ـ صفحة ٤٩٠ .

(٨) الفروق للقرافى ١ / ٤ دار المعرفة ـ بيروت ـ

كتابه : (تخريج الفروع على الأصول) فى مذهبى أبى حنيفة والشافعى .

واهتم الزنجانى بالمسائل الأصولية التى ترجع إليها الفروع فى كل قاعدة ، وذكر الحجة الأصولية لكل من الجانبين ، ثم رد الفروع فى كل مسألة إلى أصلها المذهبى .

فجاء عمله فقها ، وتأصيلا دقيقا مثل : (ذهب الشافعى ـ رضى الله عنه ، وجماهير أهل السنة إلى أن الطهارة ، والنجاسة ، وسائر المعانى الشرعية ، كالرِّق والملك والعتق والحرية ، وسائر الأحكام الشرعية ، ككون المحل طاهرا أو نجسا وكون الشخص حرا ، أو مملوكا مرقوقا ، ليست من صفات الأعيان المنسوبة إليها ، بل أثبتها الله تحكما وتعبدا ، غير معللة .. ولا تصل آراؤنا الكليلة وعقولنا الضعيفة ، وأفكارنا القاصرة إلى الوقوف على حقائقها ، وما يتعلق بها من مصالح العباد ، فذلك حاصل ضمنا وتبعا ، لا أصلا ومقصودا ، إذ ليست المصلحة واجبة الحصول فى حكمه ...

وذهب المنتمون إلى أبى حنيفة ـ رضى الله عنه ـ من علماء الأصول إلى أن الأحكام الشرعية صفات للمحال والأعيان المنسوبة إليها ، أثبتها الله تعالى ، وشرعها معللة بصالح العباد لا غير ..

كما أن الحسن ، والقبح ، والوجوب ، والحظر ، والندب ، والكراهة ، والإباحة من صفات الأفعال التى تضاف إليها .

غير أنهم قسموا أحكام الأفعال إلى : ما يعرف بمجرد العقل ، وإلى ما يعرف بأدلة الشرع .. أما أحكام الأعيان : فقد اتفقوا على أنها كلها تعرف بأدلة شرعية ، ولا تعرف بمجرد العقل ، وأنها كلها تثبت بإثبات الله تعالى[9] .

وإذا تمهدت هذه القاعدة فنقول[10] : الشافعى ـ رضى الله عنه ـ حيث رأى أن التعبد فى الأحكام هو الأصل غَلَّبَ احتمال التعبد ، وبنى مسائله فى الفروع عليه .

وأبو حنيفة ـ رضى الله عنه ـ حيث رأى أن التعليل هو الأصل بنى مسائله فى الفروع عليه ، فتفرع عن الأصلين المذكورين مسائل :

منها : أن الماء يتعين لإزالة النجاسة عند الشافعى ـ رضى الله عنه ، ولا يلحق غيره به تغليبا للتعبد .

وقال أبو حنيفة ـ رضى الله عنه : يلحق به كل مائع طاهر مزيل للعين والأثر ، تغليبا للتعليل .

ومنها : أن زكاة ما لا يؤكل لحمه لا تفيد طهارة الجلد « عندنا » مراعاة للتعبد .

وعندهم يطهر تشوفا إلى تعليل الطهارة بسفح الدم والرطوبات المتعفنة[11] .

ومنهَا : أنه يمتنع الإبدال فى باب الزكوات ، ولا يجزىء إخراج القيم « عندنا » لظهور احتمال التعبد بالتشريك بين الفقراء والأغنياء فى جنس المال .

وعندهم : يجزىء[12] .

أما ابن رجب الحنبلى[13] : فله كتاب القواعد . وقد كتب فى مقدمته :

(أما بعد : فهذه قواعد مهمة ، وفوائد جمة تضبط للفقيه أصول المذهب ، وتطلعه من مآخذ الفقه على ما كان قد تغيب ، وتنظم له منثور المسائل فى سلك واحد)[14] .

البقية ص ٦٨٩

(٩) تخريج الأصول على الفروع ـ لشهاب الدين محمود بن احمد الزنجانى ـ صفحة ٣٨ ـ ٤٠ بتحقيق الدكتور محمد اديب صالح ـ الطبعة الرابعة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

(١٠) القائل هو الزنجانى .

(١١) المصدر السابق ص ٤١ ، ٤٣ .

(١٢) المصدر السابق ص ٤٥ .

(١٣) الحافظ ابو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلى المتوفى سنة ٧٩٥ هـ .

(١٤) القواعد لابن رجب ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ م ـ مطبعة الكليات الأزهرية ص ٢ .

حول شهادات الاستثمار

٣

بقلم المستشار أحمد محمد محمد إبراهيم

تاسعا : عن المساهمة فى الخسائر :

جاء فى الفتوى « وإذا حدثت له (للعامل فى المال) خسارة خارجة عن إرادته فيتحمل المتعاملون معه نصيبهم من هذه الخسارة ما فى ذلك شك .

وقال فى أكثر من موضع فى كتابه أنه إذا حدثت خسارة فى استثمار المال وثبتت هذه الخسارة بطريق صحيح يحكم به الخبراء العدول. وجب على صاحب المال أن يتحمل مايحكم به هؤلاء العدول بالنسبة للخسارة . أما إذا كانت هذه الخسارة بسبب الإهمال أو الخيانة . أو غير ذلك من الأسباب التى لايقرها الخبراء العدول ، فصاحب المال ليس مسئولا عن إهمال المهملين وخيانة الخائنين ، ومن حقه أن يأخذ الربح الذى تم عليه الاتفاق كاملا غير منقوص .

ولما كان الذى لاشك فيه طبقا للقوانين والقرارات التى تنظم المعاملات المصرفية ، وشهادات الاستثمار ، وصناديق توفير البريد ، أن رب المال يأخذ العائد المتفق عليه ، كما أن من حقه أن يسترد المال الذى قدمه لهذه الجهات كاملا ، فإنى أطلب من المفتى أن يبين حكم هذه المعاملات على هذا الأساس القانونى الذى لاشك فيه .

كما أضع تحت نظره أقوال بعض المسئولين فى بنك الاستثمار القومى عن الخسائر التى يتحملها البنك بسبب شهادات الاستثمار ، ليبين لنا المفتى على ضوئها مدى استحقاق أصحاب هذه الشهادات للعائد ، ومدى تحملهم لنصيبهم من هذه الخسائر :

صرح السيد ظافر البشرى نائب رئيس مجلس إدارة بنك الاستثمار القومى والعضو المنتدب أن التزايد المستمر فى الإقبال على شهادات الاستثمار ، ونظرا لأنها تتمتع بأعلى عائد ، يمثل فى نفس الوقت عبئا على بنك الاستثمار القومى يقدر بنحو ٢٣٥ مليون جنيه ، يتمثل فى الفرق بين سعر فائدة الإقتراض وقدره ١٦٫٢٥٪ إلى جانب تكاليف الدعاية والإعلان والإدارة ، وسعر فائدة الاقراض لجهات الإسناد وقدره ٧٪ .

كما صرح نصر طنطاوى الوكيل الأول لبنك

الاستثمار بأن مجلس إدارة البنك سيناقش مذكرة بقصر بيع شهادات الاستثمار على الأشخاص الطبيعيين ، وذلك للعديد من الأسباب ومنها : أن بنك الاستثمار القومى يتحمل سنويا خسائر تزيد على ٨٠٠ مليون جنيه نتيجة إعادة إقراضه لحصيلة شهادات الاستثمار بمعدل فائدة أقل مما يؤديه عن هذه الشهادات (الأهرام ٢/٦/١٩٩٠) .

وأعتقد أنه لن يخفى على المفتى أن المسئولين فى بنك الاستثمار القومى يستخدمون كلمات إقتراض ، إقراض ، فائدة .

ولا يختلف الوضع بالنسبة لودائع صندوق توفير البريد ، فقد نشرت صحيفة الأهرام ١٩٨٢/٢/١٣ حديثا أجرته مع المهندس جلال فيظى رئيس الهيئة القومية للبريد قال فيه أنه وقت أن كانت هيئة البريد تعطى فائدة قدرها ٤,٥٪ لأصحاب المدخرات ، كان بنك الاستثمار القومى الذى تحول إليه ٩٠٪ من جملة المدخرات فى صندوق التوفير يعطى البريد عنها نسبة فائدة قدرها ٤,٥٪ وكان الموقف وقتها محتملا إلى حد ما ، نتيجة قيام هيئة البريد باستثمار الـ ١٠٪ الباقية من المدخرات ، وتعطى من العائد المبالغ اللازمة للخدمات من أوراق ومطبوعات وغيرها ـ والغريب أنه بعد أن ارتفعت نسبة الفائدة فى صندوق توفير البريد إلى ٦٪ ثم إلى ٨٪ ثم إلى ١٠٪ أخيرا ، لكى لايهرب الناس منها إلى الأوعية الادخارية الأخرى فى البنوك ، ظل العائد الذى يعطيه بنك الاستثمار القومى لصندوق توفير البريد ثابتا لم يزد على ٤,٥٪ سنويا ، ومعنى هذا أن الفارق بين الـ ٤,٥٪ التى يؤديها بنك الاستثمار ، ونسبة الـ ٦٪ ثم الـ ٨٪ ثم الـ ١٠٪ أخيرا التى يدفعها صندوق التوفير للمدخرين لابد أن تدفعها هيئة البريد ـ وسدا لهذا العجز يطلب رئيس الهيئة ، ذلك من وزارة المالية ، وقد بلغت ديون هيئة البريد لخزانة الدولة (حتى يوم نشر الحديث) مبلغ (سبعة عشر مليونا من الجنيهات) (ولست أعلم مقدار الخسارة بعد أن صارت نسبة الفائدة تزيد على ١١٪) .

وقد علق محرر الأهرام على هذا الوضع بقوله : معالجات متضادة وغريبة لقضية تشجيع المدخرين برفع سعر الفائدة فى صندوق توفير البريد ، فبينما تزيدها الحكومة على هيئة البريد ، تصر على تثبيتها فى بنك الاستثمار القومى ، ثم تقوم بسد العجز من جهة حكومية أخرى تحت بند (ديون للحكومة) . هل يمكن أن يواجه العقل البشرى لغزا محيرا يستعصى على الحل أكثر من هذا ؟ من يدين من ؟ ومن أين تسد جهة حكومية ديونها للحكومة التى فرضت عليها الدين ؟ ولماذا كل هذا (اللف والدوران) الذى لايستطيع عبقرى أن يجد تفسيرا مقنعا له ؟

عاشرا : حول عدول بعض العلماء عن آرائهم :

١ ـ الشيخ محمود شلتوت :

أورد المفتى فى فتواه راى للشيخ محمود شلتوت ـ يرحمه الله ـ فى أرباح صندوق التوفير ، ثم قال : ولا شك أن أرباح شهادات الاستثمار تطابق من كل الوجوه أرباح صندوق التوفير التى قال فضيلته بأنها حلال ولا حرمة فيها .

وذكر بعض الذين ناقشوا فتوى المفتى أن الشيخ محمود شلتوت قد رجع عن فتواه الخاصة بحل أرباح صندوق التوفير . وأشار المفتى إلى

حـــول شهـــادات الاستثمـــار

ذلك فى كتابه ثم قال : والجواب : أن هذا القول لا أساس له من الصحة ، واقل ما يقال فى صاحبه انه إنسان غير أمين ويلقى القول بدون دليل .

وصاحب هذا الجواب هو فضيلة الأستاذ أحمد نصار ، مدير مكتب فضيلة الشيخ شلتوت رحمه الله ، وزوج ابنته ، والمشرف على طبع مؤلفاته ، والمصاحب له حتى يوم وفاته رحمه الله .

ويبدو لى أن هذا الوصف الذى وصف به الذين قالوا بعدول الشيخ محمود شلتوت عن رأيه فى أرباح صندوق التوفير ، قد قيل أخيرا من الأستاذ أحمد نصار للمفتى ، لأن ما قاله الأستاذ أحمد نصار من قبل فى موضوع عدول الشيخ شلتوت عن فتواه ، لم يكن بهذه الصيغة النابية ، فما سبق نشره عن نفى العدول عن الفتوى كان : (والإمام الراحل لم يرجع عن هذه الفتوى ولا عن غيرها ، وقد نشرت كتابه الذى طبع مرتين فى حياته ، الثانية فى أخرياتها ـ وهى مستندة إلى استدلالات فقهية كما هى عادة الإمام الراحل فى كل فتاواه ، وباب البحث مفتوح للجميع (الأهرام ٩/٥/١٩٧٩) .

كما أن ما أورده الدكتور عبدالمنعم النمر عن هذا الموضوع هو : (وقد أشيع أنه رجع عنه قبل وفاته وهو بالمستشفى . ولكن أولاده وأصهاره الذين لازموه حتى وفاته ، كذبوا هذه الشائعة ، وقالوا لى بالتحديد : إنه أوصانا بشىء آخر بخصوص طبع كتاب الفتاوى فى المستقبل ، ليس هو هذا الموضوع ، ونفذوا الوصية فعلا فى الطبعات الجديدة (اسلام لاشيوعية هامش ٢٠٤) .

وأرى أنه كان من الواجب على المفتى أن لاينقل عن الأستاذ أحمد نصار نفيه عدول الشيخ محمود شلتوت عن فتواه بالصيغة التى نشرها فى كتابه ، قبل أن يتعرف من هم الذين أقل مايقال فيهم انهم غير أمناء . والأدهى من ذلك أن المفتى لم يقف عند نقل العبارة بصيغتها المجافية لأخلاق العلماء ، فقد تطوع لإرشاد من يريد أن يسمع هذه العبارات بنفسه ، إلى عنوان الأستاذ أحمد نصار ليرددها على أسماعهم .

وأورد فيما يلى أقوال من تحت يدى مصادر أقوالهم من هؤلاء الذين أقل ما يقال فيهم أنهم غير أمناء » .

١ ـ يقول الدكتور على السالوس فى شأن تناقض فتاوى الشيخ شلتوت : وهنا أمر هام عرفته وأريد أن يعرفه المسلمون :

« فقد سألت فضيلة الشيخ سيد سابق عن سبب هذا التناقض فقال : إن فتوى التحليل صدرت ، بعد أن أفهموا الإمام أن هيئة توفير البريد تستثمر هذه الأموال وتأخذ جزءا من الأرباح وتعطى المودعين الجزء الآخر .

ثم قال : وبعد هذا ، سألت الدكتور عيسى عبده رحمه الله ، فذكر أن هيئة البريد تودع الأموال فى البنوك ، وتأخذ فوائدها ، ولا تقوم بأى استثمار .

« ثم أضاف فضيلة الشيخ سيد سابق : وما الفرق بين أخذ الفوائد الربوية من البنوك مباشرة وبين أخذ جزء منها عن طريق هيئة البريد ؟ .

« ثم حدثنى فضيلة الشيخ صلاح أبو إسماعيل بأن فضيلة الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله ، ذكر فى ندوة لواء الإسلام أنه التقى بالشيخ شلتوت وناقشه فى فتوى التحليل ، واقتنع بتحريم فوائد دفتر البريد ورأى حذفها ، فعارضه قائلا : لا بل تبقى الفتوى وتثبت تراجعك عنها ، فمن قرأ الفتوى قرأ التراجع .

واتفق الشيخان على هذا :

« وذكر الشيخ أبو زهرة هذا الموضوع أكثر من مرة فى لجنة الفقه بمجمع البحوث الإسلامية ، وكان الأمين آنذاك الشيخ صلاح أبو إسماعيل (حكم ودائع البنوك وشهادات

الاستثمار فى الفقه الإسلامى من ١١٣ و١١٤ . وزع هدية مع عدد ربيع الآخر سنة ١٤١٠ من مجلة الأزهر) .

٢ ـ قال الشيخ صلاح أبو إسماعيل ـ رحمه الله ـ وفتوى الشيخ محمود شلتوت فى أرباح صندوق التوفير قد تراجع عنها وحكم بربوية هذه الأرباح ، وطلب حذف فتواه من بين فتاواه . لكن الشيخ محمد أبو زهرة اقترح عليه ، وقد تراجع عن فتواه أن تبقى الفتوى وأن يثبت بجانبها تراجعه عنها ، حتى يقرأ التراجع كل من قرأ الفتوى (مجلة الاعتصام ـ عدد ربيع الأول ١٤١٠ هـ أكتوبر ١٩٨٩ ص٢٥) .

٣ ـ ومن فتاوى الدكتور محمد الفحام أن مواطنا عراقيا سأل عن فوائد صندوق التوفير ويقول إنه قرأ فى كتاب الفتوى لأحد علماء العصر السابقين رأيا بإباحتها لأنها فى رأى فضيلته ليست ربا ، فأجابه عن ذلك بقوله :

والجواب أننا تناولنا هذا الموضوع فى كثير من أعداد منبر الإسلام وفى فتاوانا التى تصدر من مكتبنا ، وقررنا وأكدنا أن الفوائد ربا والربا محرم كله كثيره وقليله . وقد قال الله تعالى فى الآيات التى نزلت فى تحريم الربا : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ .

وبالنسبة للرأى المخالف الذى يرى حل هذه الفوائد ، والذى ينسب لأحد علماء عصرنا السابقين ، فإن مبلغ علمنا أن فضيلته رجع فى آخر حياته عن رأيه الجديد إلى رأيه القديم القائل بحرمة هذه الفوائد ، وأنها من المال الخبيث وطلب من المحيطين به أن ينصوا على ذلك حين إعادة طبع كتبه (مجلة منار الإسلام عدد ربيع أول ١٣٩٣ ـ أبريل ١٩٧٣) .

٤ ـ وقال الدكتور عبدالحليم محمود ـ يرحمه الله ـ فى إحدى فتاواه : إن هذا الباب فى مجلة منبر الإسلام (باب الفتاوى) تناول هذا الموضوع فى أعداد كثيرة سابقة ، وأكد ومازال يذكر أن فوائد الأموال المودعة بصناديق التوفير أو البنوك ربا وأن الربا محرم بصريح القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة ، وإذا كان لأحد علماء العصر السابقين رأى آخر فى هذا الموضوع ، فقد رجع ـ رحمه الله ـ عن رأيه الأخير إلى رأيه السابق الذى ينص على أن الفوائد على الأموال المودعة مال خبيث لا يجوز الانتفاع به فى أى وجه من وجوه الانتفاع . وقد أوصى رحمه الله ـ كما علمنا ـ المحيطين به أن يشيروا إلى ذلك حين إعادة طبع كتبه (مجلة منبر الإسلام عدد ربيع ثان ١٣٩٣) .

ترى هل يرى المفتى أن هؤلاء العلماء يحق له أو لغيره أن يصفهم بأن أقل ما يقال فيهم أنهم من غير الأمناء ؟

٢ ـ الشيخ عبدالوهاب خلاف :

عول المفتى ، فى تأييد رأيه فى إباحة عائد المعاملات المصرفية وما ماثلها على مقالين نشرهما الشيخ عبدالوهاب خلاف ـ رحمه الله ـ فى مجلة لواء الإسلام . ولما كان قد نشر أن الشيخ عبدالوهاب خلاف عدل عن رأيه دون أن يشير المفتى إلى ذلك ـ وقد يرجع ذلك إلى أنه لم يطلع على مانشر عن هذا العدول ـ فقد رأيت أنه من المناسب أن انقل ما جاء فى ندوة مجلة لواء الإسلام التى ناقشت فتوى الشيخ محمود شلتوت التى أباح فيها أرباح صندوق توفير البريد .

قال الأستاذ صبرى عابدين : الذى أريد أن اقوله فى هذه المسألة أنه قد سبق لهذه الندوات عدة مرات أن بحثت موضوع الربا ، وفى كل مرة كانت تسفر النتيجة بالإجماع على تحريم جميع أنواع الربا من غير اختلاف . واذكر أن المرحوم الشيخ عبدالوهاب خلاف كان معنا فى بحث هذه المسألة ، وكان له رأى خاص فى بعض أنواع الربا ، ولكن للحقيقة أقول إنه بعد ما استمع إلى ما قاله إخواننا جميعا رجع إلى رأيهم

يتبع

ذو الجناحين

جعفر بن أبى طالب

الأستاذ الدكتور
عبد العزيز غنيم

كان جعفر بن ابى طالب هاشميا من جهة[1] ابيه ، وهاشميا من جهة امه ؛ فابوه هو ابو طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

وامه هى فاطمة بنت اسد بن هاشم .

وكان له ثلاثة إخوة : « على » ، وهو اخوه لامه وابيه ، « وطالب » ، و« عقيل » ، وهما اخواه من ابيه وحسب .

وكان بين « طالب » ، و« عقيل » ، عشر سنين[2] ، وبين « عقيل » ، و« جعفر » ، عشر سنين والأمر كذلك بين « جعفر » ، و« علىّ » .

وقد اتفق الرواة على أن أبا طالب كان كثير العيال[3] قليل المال . لا يكاد ما يكسبه يغطى نفقاته ونفقات أبنائه وبناته ، وأن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد كان يعرف هذا اكثر من غيره ، لأنه تربى فى بيته[4] ، وقضى شبابه وشطرا من طفولته فى كفالته ، وتحت ظلال حمايته ورعايته ، ومن أجل هذا فإن اهل مكة لما أرْمَلُوا مشى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى العباس بن عبد المطلب وقال له : إن أخاك أبا طالب كما ترى من كثرة العيال وقلة المال ، فإن شئت أخذت من أبنائه رجلا ، وأخذت من أبنائه رجلاً .

ولما بلغ الخبر أبا طالب قال[5] : دعا لى « طالباً » و« عقيلا » ، وخذا من تشاءان ، فضم محمد ـ ﷺ ـ إليه « علياً » ، وضم العباس إليه « جعفرا » ، وظل كل منهما فى حجر صاحبه حتى جاء الإسلام فأوى إليه « علىٌّ » ، وانضوى تحت لوائه ، وراح من فَوْرِهِ يدعو إليه « جعفراً » ، ويزينه فى قلبه حتى انْقَادَ له ودخل فيه .

ويقول الرواة إن « جعفرا » قد أسلم وله من العمر عشرون سنة ، وإن إسلامه قد كان ولما يدخل النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه دار الأرقم بن أبى الأرقم[6] ، والدليل على أن دخول « جعفر » فى الإيمان قد كان وهو فى هذه السن هو أنه قد استشهد فى « مؤتة » ، وهو فى الأربعين ، أو فى العام الذى يليه[7] ، والمدة من البعثة حتى هذه الغزوة لا تتجاوز العشرين سنة ، ومهما يكن من شىء فإن « جعفر » منذ

---

(١) « الطبقات الكبرى » ـ لابن سعد ـ جـ ٤ ص ٣٤ ط دار بيروت للطباعة والنشر .

(٢) « الاستيعاب فى أسماء الأصحاب » ـ لابن عبد البر ـ جـ١ ص ٢١٠ ط دار الفكر « بيروت » .

(٣) « السيرة النبوية » ـ لابن هشام ـ جـ١ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ط مكتبة الكليات الأزهرية .

(٤) « السيرة النبوية » ـ لابن هشام ـ جـ ١ ص ١٦٤ .

(٥) « السيرة النبوية » ـ لابن هشام ـ جـ ١ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٦) « الطبقات الكبرى » ـ لابن سعد ـ جـ ٤ ص ٣٤ .

(٧) « الاستيعاب » ـ لابن عبد البر ـ جـ ١ ص ٢١٣ .

أوى إلى ظل الإسلام الحنيف حتى غادر مكة مهاجراً إلى الحبشة وهو ملازم للنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يكاد يفارقه .

فقد كان يصاحبه فى شعاب مكة ، وكان يجلس إليه فى دار « الأرقم » بن أبى « الأرقم » ، وهذا هو السر فيما أوتيه « جعفر » من فصاحة اللسان ، وغزارة البيان ، وحدة العقل ، وتوقد الذهن ، وسرعة البديهة ، وقوة العارضة ، وحسن الخلق ، واستقامة السلوك ، وهذه القدرة الفائقة على إقناع من يحدثه ، وإفحام من يجادله ، وقد تكون هذه المزايا وغيرها هى السبب الذى من أجله أمَّره[8] النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ على رفاقه الذين أذن لهم فى الهجرة إلى أرض النجاشى بعد أن استضعفهم الناس واضطهدوهم وأذاقوهم من التنكيل والتعذيب ما يعجز الصبر عن احتماله وتضيق النفس عن احتوائه ، والاستمرار فى العيش معه .

ويقول الرواة : إن « جعفر » ـ رضى الله عنه ـ قد حمل امرأته[9] « اسماء بنت عميس » معه إلى الحبشة ، وأنها قد أنجبت له فيها « عبد الله » ومنه كان عقبه ، وعونا ، ومحمدا ، ولا عقب لهما .

والرواة مختلفون فى خروج « جعفر » إلى الحبشة ، أكان فى المرة الأولى أم فى الثانية ؟[10] ، وفى الرجل الذى دار الحوار بينه وبين « النجاشى » ، أكان هو أم « عثمان بن عفان »[11] وفى الشخص الذى رافق « ابن العاص » لاستعادة المسلمين أهو « عمارة بن الوليد » ، أم « عبد الله بن أبى ربيعة »[12] ؟

والذى تسكن إليه النفس ، ويستريح إليه البحث والدرس هو أن خروج « جعفر » إلى الحبشة قد كان فى المرة الأولى ، وأنه هو الذى حاور « النجاشى » وناب عن أصحابه فى التحدث إليه

أما رفيق « عمرو بن العاص » فإن خير ما انتهى إليه العلماء بالنسبة له هو أن السفارة إلى « النجاشى » لم تكن مرة واحدة ، وإنما كانت مرتين[13] ، وأن « عمارة » قد كان فى إحداهما ، وكان « ابن أبى ربيعة » فى الثانية .

ويظهر أن المشركين قد كانوا على يقين من أن المسلمين لن يقيموا فى الحبشة إلا يسيرا ، وأنهم سرعان ما تضنيهم الغربة ويشقيهم الفراق ، ويعودون مرة أخرى إلى مسقط رءوسهم وموطن آبائهم وأجدادهم ، فلما طاب لهم المقام وتبسمت فى وجوههم الأيام أكل الغيظ قلوبهم ، ونهش الحقد نفوسهم ، وجمعوا الهدايا للنجاشى ، وبطارقته ، وكلفوا عمراً وعمارة بالذهاب إلى الحبشة واستعادة المهاجرين منها ، وقد أبى الله إلا أن يزرع البغض فى قلب كل من هذين الرسولين نحو الآخر .

انطلق عمرو إلى البطارقة ودفع إلى كل منهم هديته ، ورجاهم أن يؤيدوه فى مجلس الملك ، واستأذن على النجاشى ، فلما مثل بين يديه ، وقدم الهدايا إليه قال : أيها الملك إن غِلْمَةً من قومنا سفهاء ، فارقوا دين آبائهم وأجدادهم ، ولجئوا إلى أرضك ، وقد بعثنا[14] أشراف قومنا إليك لتردهم إليهم .

---

(٨) « البداية والنهاية » ـ لابن كثير ـ جـ ٣ ص ٦٧ ، ٧٠ ط مكتبة المعارف « بيروت » .

(٩) « الطبقات الكبرى » ـ لابن سعد ـ جـ ٤ ص ٣٤ .

(١٠) « البداية والنهاية » ـ لابن كثير ـ جـ ٣ ص ٦٧

(١١) « البداية والنهاية » ـ لابن كثير ـ جـ ٣ ـ ص ٧٧ .

(١٢) « البداية والنهاية » ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ ٣ ص ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ .

(١٣) « البداية والنهاية » مرجع سبق ذكره جـ ٣ ص ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ .

(١٤) « البداية والنهاية » ـ لابن كثير ـ جـ ٣ ص ٦٦ ، ٩٩ .

جـعـفـر بن أبي طـالب

قال الملك : والله لا أردهم حتى أحضرهم وأسألهم ، فإن كانوا كما قلت دفعتهم إليك ، وإلا فلا أطردهم من بلادى ، وقد لاذوا بى ، وآثرونى على غيرى وجاء « جعفر » ورفاقه . فلما أسمعهم الملك مقالة عمرو فيهم .

قال « جعفر » : أيها الملك لقد كنا نعبد الأصنام ، ونؤله الأوثان ، ونأكل الميتة ، ونلعب الميسر ، ونأتى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فبعث الله إلينا رجلا منا ، نعرفه ونعرف آباءه وأجداده ، فدعانا إلى عبادة الرحمن ونهانا عن عبادة الأوثان ، وأمرنا أن ندع الزنا والربا وكل منكر من القول والعمل ، فصدقناه ودخلنا فى دينه ، وكان « جعفر » يقول ما يقول فى عبارات مؤثرة تهز الأنفس ، وتثير العواطف والمشاعر ، وتفعل فى قلب الملك وبطارقته فعل السحر .

فقال الملك : فاقرأ علينا شيئا مما نزل على صاحبك ، فراح يتلو من كتاب الله ما حضره . فبكى الملك وبكت بطارقته ، حتى بلل الدمع لحاهم .

وقال الملك « لعمرو »: والله ما عدا هذا الذى سمعت ما نزل على « موسى » و« عيسى » وإنهما ليخرجان من مشكاة واحدة ، خذ هداياك وعد إلى قومك ، فوالله لا أعيدهم إليهم أبداً ، وإنهم لفى حمايتى ما أقاموا فى أرضى ، وآثرونى على غيرى ، من آذاهم غرم ، ومن أساء إليهم عوقب .

وعلى الرغم من هذا الإخفاق الذى أصاب « عمرو » وهذه النتيجة السيئة التى انتهى إليها فإنه لم ييأس ولم يقنط ودخل على الملك مرة أخرى .

وقال له : إن « جعفرا » وأصحابه يقولون فى « عيسى » و« مريم » قولا عظيما ، فغضب الملك وبعث إلى القوم فلما حضروا بين يديه قال لهم : ما تقولون فى « عيسى » وأمه ؟ فقال « جعفر » : ما نقول فيهما إلا ما قال الله فى كتابه ، واستفتح سورة « مريم » وراح يتلو ، و« النجاشى » يهز راسه وينكت الأرض بعود فى يده ويقول : هذا والله هو الحق الذى لا أعرف غيره ، والذى لا ينبغى أن يتجاوز إلى سواه ، وعاد « عمرو » وصاحبه يجران أذيال الخيبة ، ويلعنان الوقت الذى أمضياه فى أرض الحبشة ، وهاجر النبى ـ ﷺ ـ وأصحابه إلى المدينة و« جعفر » ورفاقه بين أكناف « النجاشى » لا يسىء إليهم أحد ، ولا ينال من مكانتهم خسيس ولا شريف . ومضت غزوة « بدر » ، وغزوة « أحد » وغزوة « الأحزاب » ، و« جعفر » ورفاقه لايزالون فى مهجرهم الكريم ، وتحت حماية هذا الملك العظيم ، حتى إذا غاظ البطارقة انتصارُ الملك للإسلام ، وإلقاؤه ثوب حمايته ورعايته على أهله فى بلاده ، وتجمعوا لحربه ، استأجر « النجاشى » سفينة ودعا إليه « جعفر » ورفاقه وقال : تعلمون حبى لكم ، وحدبى عليكم ، ودفاعى عنكم ، وقد وقع بينى وبين بطارقتى ما ترون ، وإنى أخشى أن تميل كفَّةُ الحرب إلى صالحهم ، فينالكم منهم ما تكرهون ، وإنى قد استأجرت لكم هذه السفينة فعودوا إلى مأمنكم من أرضكم . فإن نصرنى الله فذلك ما تحبون وأحب ، وإن كان الأمر غير ذلك لم يمسسكم سوء وركب القوم السفينة ، ووصلوا إلى المدينة وكان النبى ـ ﷺ ـ قد عاد إليها فور فتحه « لخيبر » ، فلما رأى « جعفر » التزمه وقبله وقال : والله ما أدرى بأيهما أسر ، بفتح « خيبر » أم بعودة « جعفر »[(١٥)] . وأسهم له ولأصحابه فى غنائم هذه المعركة ولم يكونوا قد شاركوا فيها . وقد شاء الله ألا يطول بقاء « جعفر » إلى جانب

(١٥) « الطبقات الكبرى » جـ ٤ صـ ٣٥ ، « البداية والنهاية » ـ لابن كثير جـ ٣ ص ٧٢ .

النبى - عليه الصلاة والسلام - فى « يثرب » بل لقد شاء الله ألا تطول حياته بعد عودته فإن النبى - عليه الصلاة والسلام - قد بعث إلى ذات « الطلح[١٦] » ، وهى بليدة على أطراف الشام خمسة عشر رجلا من أصحابه يتلون على أهلها القرآن ويعلمونهم أحكام الإسلام ، فوثبوا عليهم فقاتلوهم ورووا سيوفهم ورماحهم من دمائهم وهز هذا الخطب الجلل فؤاد النبى - صلوات الله عليه - واشتد حزنه على من قتل من أصحابه وما كاد الله - عليه الصلاة والسلام - يختفى وجرحه يندمل حتى أصابته فاجعة أخرى ، فقد بعث كتابا إلى أمير بصرى[١٧] يدعوه فيه إلى الإسلام ويحذره من الوقوف بينه وبين رعاياه . ولم يكتف هذا الأمير بالرفض والإعراض وحسب وإنما قتل رسول النبى - صلوات الله عليه - أو سلط عليه من قتله . ولاجدال فيما تركه هذا الحدث وسابقه فى نفس النبى وأصحابه من الوقع السيىء والأثر الشديد وأنه - عليه الصلاة والسلام - إذا لم يؤدب هؤلاء الأعداء ويقلم أظفارهم ، فإن هذه الاعتداءات سوف يكون لها ما بعدها من الاجتراء على دولة الإسلام والنيل من رعاياها واعتراض الدعوة الجديدة حتى لا تمضى إلى أهدافها ولا تصل إلى مراميها وأغراضها . ولهذا رأينا رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - يحشد ثلاثة آلاف[١٨] من خيرة أصحابه ويؤمر عليهم : « زيد بن حارثة » و« جعفر بن أبى طالب » و« عبد الله بن رواحة » ويأمرهم أن ينطلقوا حتى يأتوا أطراف الشام ويغيروا على القبائل المتنصرة ، ومن يقف إلى جانبها ويشد أزرها من جند الروم . ولأنه - عليه الصلاة والسلام - قد كان يعرف أن هذه المهمة ليست سهلة ولا هى مما يمكن إنجازها فى يسر وبساطة وأن المسلمين قد يواجهون ما لا قبل لهم به من متنصرة العرب ، وفيالق الروم فإنه - عليه الصلاة والسلام - قد قال لأصحابه قبل مغادرتهم أرض المدينة : « إن أميركم « زيد بن حارثة » فإن قتل فالأمير « جعفر بن أبى طالب » فإن قتل « فعبد الله بن رواحة » فإن قتل فليؤمر المسلمون عليهم من يختارون .» .

وفى جمادى الأولى من السنة الثامنة من الهجرة وفى يوم الجمعة على سبيل التحديد غادرت هذه الغزوة أو هذه السرية الجرف ميممة وجهها شطر الشام ولما بلغت « مُعان » جاءتها الأخبار أن « شرحبيل بن عمرو » قد تهيأ للقائها فى مائة ألف وتهيأ « هرقل » أو أخوه « تيودور » فى جيش مثله ، فاجتمع وجوه المسلمين وتشاوروا ؛ أيمضون حتى يلاقوا عدوهم أم يبعثون إلى النبى - عليه الصلاة والسلام - من يتعرف رأيه فينفذونه ؟ ولما طال الحوار قال « عبد الله بن رواحة » ياقوم والله إن التى تكرهون لا التى خرجتم تطلبون الشهادة ، وإنا ما نقاتل الناس بعدد ولا عدة وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذى دخلنا فيه وانقدنا له ، وأثرت هذه الكلمات القوية فى أنفس القوم فساروا حتى بلغوا « مؤتة » وهى القرية التى دارت فيها رحى المعركة . وقد أخذ الراية « زيد بن حارثة » وقاتل حتى قُتل - ورأى « جعفر » ذلك فنزل عن فرس له شقراء وعرقبها فكانت أول فرس عرقبت فى الإسلام وأخذ اللواء وانغمس فى صفوف الأعداء وهو يقول :[١٩] :

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وباردا شرابها

---

(١٦) « الطبقات الكبرى » - لابن سعد جـ ٢ ص ١٢٧ ، ص ١٢٨ .

(١٧) « الطبقات الكبرى » - لابن سعد - جـ ٢ ص ١٢٨ .

(١٨) « السيرة النبوية » - لابن هشام - جـ ٤ ص ٧ ، « الطبقات الكبرى » - لابن سعد جـ ٢ ص ١٢٨ .

(١٩) « البداية والنهاية » لابن كثير جـ ٤ ص ٢٤٤ .

جـعـفـر بن أبي طـالـب

والـروم روم قـد دنـا عـذابـهـا
كـافـرة بـعـيـدة انسـابـهـا
عليّ إن لاقيتها ضِرابها

ويقول الرواة : إن جعفرا قد طفق يقاتل حتى قطعت يمينه[20] فتناول الراية بشماله فلما قطعت هى الأخرى تناولها بين عضضيه وراح ينغمس فى صفوف الأعداء حتى انقض عليه أحد الروم فضربه فشطره شطرين ، وقبل أن تصل أنباء المعركة إلى المدينة صعد رسول الله - ﷺ - المنبر[21] وحدث أصحابه عن الجيش وأنبأهم أن زيداً قد قتل ، وأن جعفراً قد قتل هو الآخر ولكنه لم يمت حتى بتر الأعداء ذراعيه فأبدله الله منهما جناحين فهو يطير بهما مع الملائكة ، فأطلق عليه من هذه اللحظة ذو الجناحين . وتحدث النبى - ﷺ - مرة أخرى عن أمراء « مؤتة » وذكر استشهاد « زيد » و« جعفر » و« ابن رواحة » وأعلن أنه رأى هؤلاء الثلاثة على سرر متقابلين فى الجنة لكنه لمح فى عنق ابن رواحة ازوراراً فسئل عنه فقال : إن نفسه قد عافت الموت وحنت إلى الحياة لكنها ما لبثت أن سكنت واتجهت نحو الشهادة[22] .

ومهما يكن من شىء فإن المسلمين لما عرفوا خبر « جعفر » كثر البكاء عليه حتى بعث النبى إلى نسائه من ينهاهن عن ذلك وأعلن - صلوات الله عليه - أن أبناءه فى كفالته . ودعا لامرأته فخلف عليها « أبو بكر » وأنجب منها « محمداً » ولما مات خلف عليها « على » وأنجب منها « عونا » .

وقد كان رسول الله - ﷺ - يطرى « جعفرا » ويسميه أبا المساكين[23] لرعايته للفقراء وعطفه عليهم وتقديمه الطعام لهم ، وكان يقـول « لجعفر » : لقد أشبه خَلْقُكَ خَلْقى[24] وأشبه خُلُقُكَ خُلُقِى .

فرحم الله هذا الصحابى الكريم فقد كان من السـابقين الأولـين وكـان من المكـافحـين والمجاهدين . وكان ممن باعوا انفسهم لله وأخلصوا قلوبهم له .

وقد أبى الله إلا أن يكرمه فى الدنيا والآخرة . فأعطاه جناحين يطير بهما فى أجواء الجنة كما يشاء .

---

(٢٠) « الاستيعاب » - لابن عبد البر - جـ ١ ص ٢١٠ ، ٢١١ ، « البداية والنهاية » - لابن كثير - جـ ٤ ص ٢٤٤ .
(٢١) « البداية والنهاية » - لابن كثير جـ ٤ ص ٢٥٤ ، ٢٥٩ .
(٢٢) « الطبقات الكبرى » - لابن سعد - جـ ٤ ص ٤٠ ، ٤١ .
(٢٣) « الإصابة فى تميز الصحابة » - لابن حجر - جـ ١ - ص ٢٣٧ - ط دار الفكر « بيروت » .
(٢٤) « الطبقات الكبرى » - لابن سعد - جـ ٤ ص ٣٦ .

مشيخة علماء أسيوط
أو معهد أسيوط العلمى الدينى
بصعيد مصر
دراسة وثائقية

بقلم الدكتور
مجاهد توفيق الجندى

احِنُّ إلى ارض الصعيد وأهلها
ويزداد شوقى حين تبدو قبابها
وتذكرها فى ظلمة الليل مهجتى
فتجرى دموعى إذ يزيد التهابها
وما صعبت يوما علىَّ مَلَمَّة
وشاهدتها إلَّا وهانت صعابها
بلاد بها كان الشباب مساعدى
على نيل آمال عزيز طِلَابُهَا
وقضيت صفو العيش فى عرصاتها
لذلك يحلو للفؤاد رحابها
مواطن أهلى ثم صحبى وجيرتى
وأوّل أرض مَسَّ جلدى ترابها

وبهذه الأبيات بدأ الإدفوى كتابه « الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد »(١) والدارس لهذا الكتاب يعجب أشد العجب لهذه النهضة العلمية التى كانت ـ ومازالت ـ فى صعيد مصر متمثلة فى المدرسة الإسلامية فى جرجا واسنا وقوص وادفو وأسوان وغيرها من بلدان هذا الإقليم العظيم وهى نهضة لا تقل بحال عما كان يدور فى مصر أو فى القاهرة فى تلك العصور الزاهية الزاهرة ..

ويتميز أهل صعيد مصر بالحمّية والنشاط والهمة والعصبية والشهامة ومساعدة الجار وحفظ الذمار .. ويتميزون كذلك بالقوة والفتوة والصبر على العمل ولهم جلد عجيب فى تنفيذ المهام الموكولة إليهم والمشاريع المنوطة بهم .. وهم عدة مصر فى حروبها لما يتميزون به من الشجاعة عند الشدة .. وهم ركاب الأخطار، لا يهابون الموت أوقع عليهم أم وقعوا عليه .. وقد عشت بينهم سنين عددا وخبرتهم ولستهم عن

(١) للشيخ الإمام أبى الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الإدفوى الشافعى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ تحقيق سعد محمد حسن مراجعة الدكتور طه الحاجرى ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ بالقاهرة ٨٠٦ صفحات .

مشيخـــة علمـــاء أسيـــوط

قرب فهم الرجال الشجعان الأبطال .. ولا نعجب إذن من المثل العربى القائل : « أهل صعيد مصر يمدونها بالرجال وأهل الوجه البحرى يمدونها بالمال » ، ويتميزون كذلك بالكرم الحاتمى فإكرام الضيف وتكريم الغريب سجية وطبيعة فيهم .

وهذا هو العلامة الشيخ خالد الأزهرى الجرجاوى[٢] المتوفى سنة ٩٠٥ هـ والذى كان يعمل وقادا بالجامع الأزهر يشعل القناديل لتضيىء لطلاب العلم وفى مرة سقطت منه فتيلة بزيتها على أحد الطلاب .. فشتمه الطالب وعَيّره بالجهل .. فغضب الشيخ خالد وغلى الدم فى عروقه وأخذته الحمية ، وصار يجلس فى حلقات العلم ـ مع كبر سنه ـ حتى أصبح علما من أعلام الأزهر يشار إليه بالبنان حيث أصبح فريد دهره ووحيد عصره .. ولسهولة مؤلفاته حازت شهرة كبيرة وكانت تدرس فى الأزهر إلى وقت قريب فقد بارك الله فيها وطوفت الآفاق .

وبعض الرجال يتنصلون من صعيدهم ويغيّرون جلدهم مع أنهم الأساس فى القاهرة وغيرها وفى كل مدن مصر يعملون بالتجارة الرابحة ويمتلكون المحلات والدكاكين والشركات .. وهم النبراس فهم حملة لواء الإسلام فى كل مكان على كل التراب الإسلامى فى كل الدول الإسلامية .

وعلى سبيل المثال : عرب بنى سليم وبنى هلال الذين رحلوا من صعيد مصر سنة ٤٠٠ هـ تقريباً إلى بلاد المغرب العربى (ليبيا وتونس والجزائر ومراكش)[٣] واستقروا هناك ولم يعودوا إليها إلا لطلب العلم أو مروراً بها لأداء فريضة الحج هؤلاء حافظوا على لغة القرآن وعلومه وتراث الإسلام الخالد وسنة محمد صلى الله عليه وسلم فهم الخطباء البلغاء الذين لا يشق لهم غبار وحملة مشاعل الدعوة والجهاد والمرابطة فى بلاد المغرب العربى .. وآل العدوى فى كراتشى فى الباكستان لهم مطبعة عربية تنشر الثقافة العربية الإسلامية .. فهى منبر إسلامى لشعب يتعطش للعربية وغير هؤلاء وأولئك كثير .. جند مجهولون رزقهم الله عقلا متفتحا وقلبا مخلصا ونية صادقة .

صعيد مصر
وطلب العلم فى العصر الحديث

الصعيد واد مستطيل ، قليل العرض ، وأهله محافظون ، متدينون محبون للعلم الدينى ، وهؤلاء العلماء ، المتفرقون ها هنا ، وها هناك ، فى بلاد الصعيد ، لا يشبعون نهم الناس للعلم ، لقلة عددهم ، وضعف جهدهم ، وهيهات هيهات أن يؤدى هؤلاء ، ما يؤديه الأزهر الشريف .

لقد كان القليلون ، هم الذين يبعثون بأبنائهم إلى الأزهر ، ليغترفوا من بحاره الزاخرة ، ثم ليعودوا بعد سنوات ، علماء يرفعون شأن عائلاتهم وبلادهم . ولاستطالة الصعيد ، وسوء المواصلات فيه ، وبعد الشقة ، كان الناس يجدون المشقات المرهقة ، فى إرسال بنيهم إلى القاهرة ، حيث الأزهر ، والطالب الصعيدى إذا ما هيىء له ، أن يلتحق به ، كان مضطرا أن يهجر بلده ومعشره ، على أن يبقى بعيدا عنهم عشر

(٢) ترجمنا له فى رسالتنا للدكتوراه (الحركة العلمية فى مصر فى عهد المماليك البرجية ودور الأزهر فيها) تحت الطبع سنة ١٩٨١ م . جـ ٢ ص ١٢٥٧ وذكرنا مؤلفاته بأرقامها فى مكتبة الأزهر .

(٣) كتبنا بحثا عن العلاقات القديمة بين القاهرة وبلاد المغرب العربى تعرضنا فى مقدمته لعرب بنى هلال وبنى سليم بمجلة الدراسات الإسلامية بإسلام آباد عدد يناير ـ مارس سنة ١٩٨٦ .

سنوات أو أكثر ، فيتركهم فى ميعة الصبا ، ثم يعود إليهم ، وقد اشتعل رأسه شيبا ، ولكنه يعود وقد أصبح عالما ، يجتمع الناس لاستقباله ، وتتوارد الوفود للترحيب به ويتسابق أهل بلده للثم يده .

هذا المصاعب التى تنتظر طالب الصعيد ، وما يتبعها من نفقات وتضحيات ، لا يستطيعها الفقراء من الناس ، وهم الأكثرون . لذا كان علماء الصعيد ، أقلية قليلة ، إذا قيسوا إلى إخوانهم علماء الوجه البحرى .

من أجل ذلك ، كان الناس فى صعيد مصر ، يتمنون أن ينشأ لهم معهد قريب ، يجرى فى نظامه وتعليمه ، على سنن الأزهر ، حتى يمكن لهم أن يعلموا أبناءهم ، هذا التعليم الدينى الذى يحبون .

لم تزل تلك رغبة ، تتلجلج فى صدور الناس حتى شاء الله إنفاذها فكانت صفحة ذهبية ناصعة ، من صفحات سلطان مصر المعظم السلطان حسين كامل فهو الذى قلد الصعيد تلك المفخرة . وهو الذى يدين له الصعيد ، بإنشاء معهد أسيوط .

توطئة
مدينة اسيوط*

أسيوط ، بلد عريق فى القدم ، متوغل فى أحشاء الزمن ، كانت أيام مجد الفراعنة ، مستقرا لطائفة من الأمراء الأقوياء ، وتلك آثارهم قائمة فى الجبل الغربى ، تشهد بسطوتهم وقوة جانبهم . ومنها ظهر العلماء النابغون ومن فلاسفتها الفيلسوف « فلوطين » .

كما كانت منذ القدم ، المركز الرئيسى لتجارة السودان والواحات وبلاد المغرب ، إليها تفد القوافل . عن طريق الصحراء والجبل ، هوقرة بتجارة تلك الجهات :

ولما أشرقت على الكون أنوار الإسلام . وخفقت فى مصر ألوية العروبة ، كان أهل أسيوط أول المستجيبين . فكان عهد إسلامها . مبدأ إسعادها . فقدمت للعلم وللقضاء طائفة كبيرة من العلماء الأجلاء فمن هؤلاء العلماء : الأستاذ جلال الدين السيوطى . ووالده والشيخ الصلاحى الحسنى . والشيخ ابن الصلاحى . والشيخ محمد رضوان .

وقد عرفت بخصب أرضها . وكثرة خيراتها . حتى وصفها أحد العمال للرشيد . بأنها أخصب البقاع فى المملكة الإسلامية المترامية الأطراف ، وفى تلك القرون ، وقفها أبو بكر الماردانى ، بأراضيها ومزارعها على الحرمين الشريفين . وفى العصور المتأخرة ، كانت إحدى الرهائن فى ديون مصر .

توطنها جماعة من المماليك الأشداء البأس . وابتنوا بها قلاعا وحصونا .. وبها كانت إحدى المواقع الفاصلة فى تاريخ المماليك وإنك لترى فى أسيوط ارتفاعاً فى بعض مناطقها ، وتلك هى بقايا هذه الحصون ، وعلى انقاضها بنى الناس مساكنهم فيما بعد .

وكما عرفت بخصب أرضها ، اشتهرت بالتفنن فى التجارة وتنمية الثروة[٤] وبحب العلم وكثرة العلماء ، ومن مشاهير علمائها ، فى القرن الماضى الشيخ على القوصى . والشيخ على الشطبى[٥] والشيخ محمود قراعه[٦] والشيخ

* كتبنا شيئا عن مدينة أسيوط فى تقديمنا لتصدير السيوطى بمجلة الأزهر سنة ١٩٨٣

(٤) اسم أسيوط فى اليونانية : « ليكو بوليس » أى مدينة الذئاب ، لأن أهلها كانوا يحترمون الذئاب ويقدسونها .

(٥) كان الشيخ الشطبى قاضي أسيوط وهو الجد الثالث للشيخ محمد حسين النجار ، ولاسرة خشبة بأسيوط ، ولدولة محمد باشا محمود وأشقائه .

(٦) الشيخ محمود قراعة هو رأس تلك الشجرة المباركة ، التى أنجبت جمهرة كريمة من العلماء الأجلاء .

مشيخـــة علمـــاء أسيـــوط

حسن بشنك . عليهم رحمة الله . وقد كانوا يقومون بالتدريس والتعليم فى مسجد سيدى جلال . والشيخ أحمد الزقيم . وكان يقوم بالتدريس فى مسجد القاضى .

وفى أوائل هذا القرن ، نفقت فيها سوق العلم ، وكثرت الدروس العلميـة ، وعمرت المساجد بالطلاب الوافدين من شتى الأنحاء ليرتشفوا من معين علومها . وكان أساتذة هذا العهد هم حضرات : الشيخ على الطوبجى ، والشيخ طاهر حسن شريت ، والشيخ على الطويل والشيخ عبدالعاطى التليت ، والشيخ عبدالمجيد سليم ، والشيخ حسن الكراك الذى تخصص فى تعليم القراءات(٧) .

ولقد أدى هؤلاء العلماء الأجلاء ، واجبهم خير أداء ، فلقوا ربهم مرضيا عنهم ، مذكورين بالخير ، من تلاميذهم الكثيرين .

والشيخ عبدالمجيد سليم ، آتاه الله بسطة فى الرزق ، فلم تشغله شواغل العيش ، وذلك يسر له أن يهب نفسه كلها للعلم ، فكثرت دروسه ، وكثر تلاميذه ، حتى بلغوا المئات ، لم يتقاض من أحد منهم أجرا بل كان يشمل فقراءهم ببره ورعايته . وكان مسجد المجاهدين فى عهده . معهداً علمياً زاخراً بالطلاب .

على هؤلاء الأعلام ، تلقى الناس علوم الفقه والنحو ، والتفسير والحديث ، والنحو والصرف ، والبلاغة والمنطق .

ومن علمائها الذين تولوا مناصب القضاء والإفتاء والتدريس ، الشيخ مصطفى حميده ، والشيخ مليجى على ، والشيخ عبدالـرازق حميده ، والشيخ بيومى أبو النجا ، والشيخ محمد حسنين الغندقلى ، وغيرهم كثيرون .

وعرض الوادى فى مقابلتها يبلغ ١٩٧٨٩ مترا .

وكان مساحة المدينة سنة ١٨٩٧ م ٢٧٠ فدانا ، وسكانها أربعين ألفاً .

وأسيوط : بلد عظيم الشأن . تجثم على الشط الغربى لنهر النيل ويمتد عمرانها منه ـ غربا ـ إلى سفح الجبل .

وهى عاصمة الصعيد وزهرته . ورابعة المدائن فى القطر المصرى . لا يفضلها نظاما . وعمرانا . وسكانا . سـوى القاهـرة المعزيـة . وثغر الأسكندرية وطنطا فمبانيها تقوم على مساحة شاسعة من الأرض تزيد على ١٥٦٠ فدانا . ويقطنها من الساكنين مائة ألف(٨) . أو يزيدون . أكثريتهم من المسلمين .

وإنك إذا سرت فى جنباتها . راعك ما ترى . مناظر رائعة . وشوارع واسعة . بيوت عامرات . قصور شامخات . تحف بها الحدائق والبساتين . تجارة رائجة ، وصناعات متنوعة ، ونشاط عظيم ، شوارعها ذات عدد . تخترقها من الشرق للغرب ، ومن الشمال للجنوب ، تجمعها ميادين رحبة الأرجاء . ويقوم فى وسطها متنزه رائع بهيج ، واسع الجنبات ، كان منذ سنوات بركة آسنة ثم استحالت إلى جنة ، ذات غصون وأشجار ، وظلال وأزهار ، يفزع الناس إليها إذا جنهم الحر ، ويتفرقون فى جنباتها ، مستمتعين بأريجها وبهائها ، وبهجتها وهوائها .

وفى شمالها ، يقوم على نهر النيل ، سد منيع (خزان) يحتجز من خلفه ماء النهر ، لينفق منه

---

(٧) توفى الشيخ طاهر سنة ١٩١٤ والشيخ عبدالمجيد سنة ١٩١٧ والشيخ الطويل سنة ١٩٢١ والشيخ عبدالعاطى سنة ١٩٢٦ .

(٨) كان ذلك سنة ١٩٣٧ م وقد تغيرت الأحوال بعد ذلك كثيراً .

بحساب إذا جاء موسم الرى . ويبلغ طول هذا الخزان ٨٨٠ مترا وعرضه ٨ أمتار وبه مائة عين وعشر ، وممر كبير للسفن :

أما مساجدها وزواياها فتزيد عن الخمسين عدا ، وهى تزين المدينة بمآذنها الشاهقة . وأكبر تلك المساجد ، المسجد الأموى . وأكثرها زوارا مسجد جلال الدين السيوطى . وأشهر هذه المساجد ، مسجد اليوسفى . والمجذوب . والقاضى . والمجاهدين . والقرمانى . ومكرم والنميس . والمغربى . أما التعليم فيها فحسبك أن تعلم أنها تعج بمدارس البنين والبنات ، أولية ، وابتدائية ، وثانوية ، حكومية وأهلية ، وزينة هؤلاء معهد أسيوط . ثم حسبك أن تعلم أن بها أكثر من عشرة آلاف تلميذ وتلميذة ، يتلقون العلم والثقافة ، ويزينون الطرقات فى تزاحمهم جيئة وذهابا . صباحا ومساء .

وكثير من زعماء مصر ، ورجال الجهاد فيها ، من أسيوط ظهروا وفى أحضانها ربوا ، وبين ربوعها درجوا ، وفيها بيوت عرفت بالعلم الدينى ، حتى صار سمة لها . منها بيت قراعة ، ودرة عقدهم المفتى الأكبر أستاذ الأساتذة الشيخ عبدالرحمن قراعة ـ رحمه الله رحمة واسعة ومنها بيت حميده وعلى رأسهم حضرة الشيخ أحمد محمد حميده شيخ علماء أسيوط .

إنشاء معهد أسيوط الدينى[٩]

أجمعت كلمة الناس على ضرورة وجود معهد دينى فى أسيوط عاصمة الصعيد ، وبدأت الفكرة تتقدم فتصير عملا نافذاً فجمعوا ألفاً وخمسمائة جنيه ، من الأعيان والأهلين وأودعوها خزانة الأوقاف ، ثم كتبوا العرائض ورفعوها إلى أولى الأمر ملتمسين منهم إنشاء معهد فى أسيوط[١٠] جاعلين ما جمعوا من مال ، نواة لتنفيذ تلك الفكرة التى هى أمنية للجميع .

وصل إلى مسامع عظمة السلطان حسين كامل الذى اقتنع بأن الصعيد محتاج حقا إلى معهد دينى تشع منه أنوار الهداية على سكان مصر العليا فأصدر أمراً سلطانيا فى ٩ ذى القعدة ١٣٣٣ هـ (١٩ سبتمبر ١٩١٥ م) بإنشاء معهد أسيوط .

ذاعت هذه البشرى بين الناس فغمرتهم موجة من السرور ، ولاعجب فالشعب المسلم المتعصب لدينه يفرحه ويشرح صدره أن يجد على مقربة منه أزهراً صغيراً ، يضم شمل أبنائهم ويبث فيهم الخلق والعلم والدين .

وقد عين المرحوم الشيخ محمد شريت شيخا للمعهد الجديد وعين معه خمسة مدرسين هم أصحاب الفضيلة : الشيخ أحمد حميدة والموحوم الشيخ محمود قراعة ، والشيخ محمد عبدالله الجهنى ، والشيخ فراج سيد عبدالرسول والشيخ محمد فاضل بشنك وعين له كاتب واحد هو حسن أفندى حلمى وملاحظ هو الشيخ أحمد إبراهيم سرور[١١] .

وبلغ عدد المتقدمين فى بدء افتتاحه نحو المائتين أكثرهم من قرى مديرية أسيوط ،

البقية ص ٦٧٥

(٩) رجعنا فى بحثنا هذا إلى محاضر جلسات مجلس الأزهر الأعلى وقراراته سنة ١٩١٥ م راجع للتوسع ص ٢٦٢ ـ ٢٦٥ طبع مطبعة الصباح ش خيرت بالقاهرة ، سنة ١٩١٦ ص ٤ ـ ٥ طبع مطبعة النهضة بشارع عبدالعزيز بمصر وكذلك اعتمدنا فى مادتنا العلمية فى هذا الموضوع على كتاب تاريخ معهد أسيود الدينى منذ إنشائه قامت بجمعه وطبعه مطبعة الجهاد الإسلامية بأسيوط تحت إشراف محمد حسين النجار من علماء المعهد سنة ١٣٥٦ هـ ، ونظام الدراسة قديما وحديثا بالجامع الأزهر ، بحث قدم للجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر سنة ١٩٨٣ تأليف د . مجاهد توفيق الجندى ص ٧٧٨ ـ ٧٩٤ تحت الطبع .

(١٠) كان ممنْ لهم الفضل الأكبر فى إيجاد هذا المعهد وإنشائه المرحوم محمود بك خشبة وسيد باشا خشبة والأستاذ محمود بسيونى .

(١١) راجع قرار مجلس الأزهر الأعلى بتاريخ ٢٨ شوال سنة ١٣٣٣ هـ ـ ٩ سبتمبر سنة ١٩١٥ م بإنشاء معهد أسيوط والمدرسون الذين ندبوا للتدريس به نمرته الخصوصية (١١١) .

الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى

جمهورية أوزبكستان

٢

للأستاذ الدكتور
محمد عبد العليم العدوى

* **موقعهـــا :**

تقع جمهورية أوزبكستان فى الجزء الجنوبى الشرقى من الاتحاد السوفيتى .

* **مساحتهـــا :**

تبلغ مساحتها ٤٤٧,٤٠٠ كم مربع وتتألف من منطقة الشرقى وتميل تدريجيا نحو الشمال الغربى حتى صحراء تزيل قوم .. ونجد سهل طوران على ضفاف بحيرة خوارزم وتضم وحدات سياسية مختلفة منها إمارة بخارى وسمرقند وخوارزم . وقد أصبحت جمهورية اتحادية فى عام ١٣٤١ هـ ٢٧/١٠/١٩٢٤ م[١] .

سكانها :

وعدد سكانها حسب إحصاء سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م هو ٢١ مليون نسمة .

* **التخطيط الروسى :**

وقد لوحظ أن الروس يحاولون باستمرار تغيير معالم تلك الديار ، ومحو الطابع الإسلامى ، ولا سيما فى المدن ذات المجد الإسلامى العربى كبخارى وسمرقند وطشقند ولكن المسلمين الصابرين يجاهدون بكل ما أوتوا من قوة ..

وكان من أثر ذلك الجهاد أن نقل الروس العاصمة من سمرقند لتغيير الطابع الإسلامى لمدينتهم .. ولأن حوالى نصف مليون روسى قد نزحوا إلى طشقند واستوطنوا بين سكانها عنوة ، ووصلوا فى الآونة الأخيرة إلى أكثر من مليون وستمائة ألف نسمة[٢] .

ولجمهورية أوزبكستان حدود مشتركة مع أفغانستان وطاجكستان فى الجنوب ومحاطة بالجمهوريات الإسلامية فى النواحى الأخرى حيث تقع إلى شمالها (قازاكستان) وفى الشرق (فرغيزيا) وفى جنوبها الغربى (تركمانستان) ورغبة فى تفتيت وحدة أراضى المسلمين كان هذا التقسيم الغريب .

---

(١) البلدان الإسلامية ص ٣٢٥ .

(٢) الأقليات المسلمة فى آسيا واستراليا ص ٣٠٠ .

عناصر السكان :

ويتكون السكان من عناصر مختلفة أكبرها (الأوزبك) الذين يمثلون ٦٥,٥ ٪ من مجموع السكان . يليهم (الروس) الذين يمثلون ١٢,٥ ٪ و (التتار) ٤,٩ ٪ و (القازاخ) ٤ ٪ و (الطاجيك) ٣,٨ ٪ و (كاراكلياك) ٢,٥ ٪ . وينتشر الروس في معظم المدن ، ولاسيما العاصمة طشقند ، وأكثر من ٨٨ ٪ من السكان مسلمون من أهل السنة وجميع الأوزبك مسلمون .

*** اللغة :**

يتكلم (الأوزبك) اللغة التركية ، وهي اللغة الرسمية للجمهورية ، وتنتشر إلى جانبها اللغة الروسية بينما يتكلم باقى الفئات اللغات الخاصة بكل منها(٣) .

*** الحالة الاقتصادية :**

تعتبر (أوزبكستان) في مقدمة الجمهوريات الإسلامية من حيث تعداد سكانها وتقدمها الاقتصادي ، ففيها ثروة زراعية وحيوانية هائلة إذ أنها تقع في منطقة كثيرة الأنهار كثيرة المراعى متصلة الخضرة حتى وصفها ياقوت والمقدسى والاصطخرى بأنها أجمل مناطق الدنيا وأكثرها خضرة .

وتنتج أوزبكستان ثلاثة ملايين طن من (القطن) سنويا أى ٦٨ ٪ من جملة إنتاج الاتحاد السوفيتى بأكمله من القطن . وربع مليون طن من (القمح) ، ومائة وستون ألف طن من (الذرة) ومختلف أنواع (الفاكهة) ، وكمية هائلة من البنجر (الشوندر السكرى) وبها تسعة ملايين رأس من الغنم ومليونين ونصف المليون من البقر كما توجد المزارع الشاسعة لشجر التوت الذى تربى عليه دودة القز ، مما يجعلها تنتج ثلث الحرير الذي ينتجه الاتحاد السوفيتى .

كما أن الثروة الحيوانية ساعدت على إنتاج الصوف الذى يمثل ثلث إنتاج الاتحاد ، كما يزرع (القنب) وتنتج ٨٥ ٪ من جملة أليافه التى ينتجها الاتحاد السوفيتى .

وبجانب الثروة الزراعية والحيوانية توجد الثروة المعدنية كالنحاس والذهب والبوكسايت كما أنها غنية بموارد الطاقة من البترول والغاز الطبيعي والفحم والكهرباء .. ويستخرج الفحم الذى يقدر بستة ملايين طن بالقرب من طشقند بينما يستخرج البترول والغاز الطبيعى من الحقول الواقعة فى منطقة بخارى . وخيفا وفى صحراء كيزل كوم وتعد الأنهار أهم مصدر طبيعى لتوليد الطاقة الهيدوكهربية .

ولهذا قامت صناعات متعددة فى البلاد كصناعة الحديد والصلب وكثير من الصناعات الثقيلة وغيرها كصناعة الأسمنت وتكرير النحاس والأسمدة ومشتقات البترول . والأدوات الدقيقة .

*** أهم المدن :**

١ ـ **طشقند** العاصمة وعدد سكانها يزيد على مليون وستمائة ألف نسمة ، وتقع على رافد لنهر (سيحون) بالقرب من حدود قازاكستان ،

---

(٣) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى جـ ١ ص (٣٦٢) .

د . محمد البار .

جمهـــورية أوزبكستــــــان

ولهذه المدينة تاريخ حافل بأمجاد الإسلام وبالثقافة الإسلامية وهى الآن ذات مبان شاهقة ومنتزهات جميلة وتقع وسط إقليم زراعى وتعد مركزا صناعيا هاما .

٢ ـ **سمرقند** على نهر (زراقشان) رافد (جيحون) ، وكانت عاصمة لتيمور لنك ، وبها مبان وآثار تاريخية تعود إلى القرنين الثامن والتاسع للهجرة ، ويتجلى فيها الفن المعمارى الإسلامى ، وكانت سمرقند أيضا منارة من منارات الإسلام فى العلم والمعرفة ، وتضم الآن مركزا للبحث العلمى ومعاهد علمية ، وعدد سكانها يزيد على ربع مليون نسمة .

٣ ـ **بخارى** وتقع فى واحة جميلة يخترقها (زراقشان) أحد روافد نهر (جيحون) وكفى بخارى فخرا أن تنجب الإمام البخارى وأمثاله من علماء المسلمين الأعلام ..

ولا تزال بخارى فى قلوب المسلمين ، وقد كانت مساجدها ومدارسها ملء السمع والبصر وظلت لمئات السنين مركزا إسلاميا ممتازاً لا يقل عن القاهرة وبغداد فى تزويد الراغبين بعلوم الإسلام وثقافته ، وقد تعرضت هذه المدينة للتخريب فى عام ٦١٦ هـ على يد جنكيز خان فلما فتحها الأوزبك فى عام ٩٠٥ هـ أَبْقَوْا سمرقند عاصمة لهم ..

ومضى على بخارى حين من الدهر ذخرت فيه بنحو (١٩٧) مسجدا و (١٦٧) مدرسة لكن لم يبق فيها الآن سوى مسجد واحد ومدرسة واحدة(٤) . ليراهما من يزور بخارى التى غدت تأخذ طابع غيرها من المدن السوفيتية ..

متى وكيف وصل الإسلام إلى أوزبكستان ؟ وبلاد ما وراء النهر ؟

وصل الإسلام إلى أوزبكستان بعد أن فتح الله على المسلمين خراسان فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقيادة (الأحنف بن قيس) ـ رضى الله عنه ـ الذى وصل إلى مدينة (هراة) ثم (مرو) ، وفى خلافة (عثمان بن عفان) رضى الله عنه عاود الأحنف الفتح فى سنة ٣٠ هـ حتى وصل إلى أعلى نهر جيحون واستولى على (طخارستان) ، وفتح (الطالقان) صُلْحاً ، ثم سار إلى بلخ فصالحهم فلما بلغ أمره أهل ما وراء النهر طلبوا إليه أن يصالحهم ففعل .

ولما استقر الأمر ، لـ (معاوية بن أبى سفيان) ـ رضى الله عنه ـ ضم إلى عبدالله بن عامر خراسان مع البصرة .. إلى أن تولى زياد بن أبى سفيان ـ رضى الله عنه البصرة فى عام ٤٥ هـ ففرق عماله على أنحاء خراسان وولى عليها (الحَكَم بن عمرو الغفارى) وكان عفيفا وله صحبة رضى الله عنه فمات بها فى سنة خمسين ، وكان الحَكَم أول من صلى وراء النهر .. ثم وَلَّى معاويةُ سعيد بن عثمان خراسان فقطع النهر ، وكان أول من قطعه بجنده(٥) .

وثمة روايات لليعقوبى وغيره تجعل أول من عبر نهر جيحون عبدالله بن زياد وذلك سنة ٥٤ هـ ـ ٦٧٤م أثناء ولايته خراسان فى خلافة معاوية ـ رضى الله عنه ـ ويذكر أنه حاصر بخارى ثم فتح (بيكند) التى تقع بين بخارى ونهر

(٤) البلدان الإسلامية ص ٣٣٣ .

(٥) فتوح البلدان : ٢٩٧ ـ ٤٠١ .

جيحون ، وقد انتهى حصار بخارى بمصالحة أهلها للمسلمين .

وأعقب ذلك عبور سعيد بن عثمان بن عفان عام ٥٥ هـ ـ ٦٧٥ م وقد أغار على بخارى وسمرقند(٦) ثم تتابعت الغزوات على تلك المنطقة حينما ولى الحجاج بن يوسف خراسان .

وفى عهد الوليد بن عبدالملك تولى قتيبة بن مسلم الباهلى أمر خراسان عام ٨٨ فعبر النهر فى المرحلة الأولى من جهاده ٨٣ ـ ٨٤ هـ واستعاد منطقة (طخارستان) ثم استعاد بخارى فى سنة ٨٧ ـ ٩٠ هـ واستطاع فى المرحلة الثالثة ٩٠ ـ ٩٣ هـ أن يرفع راية الإسلام فى حوض نهر جيحون ، وتوجت فتوحاته فى المرحلة الرابعة من جهاده ٩٤ ـ ٩٦ هـ . بتوجيه الحملات إلى (ولايات سيحون) ودانت له بلاد (أوزبكستان) ونجح فى نشر الدعوة الإسلامية وثبت دعائم الإسلام بها ، وبنى أول مسجد فى بخارى عام ٩٤ هـ وواصل مسيرته حتى فتح مدينة كاشغر وقارب تخوم الصين(٧) .

ومن روائع عدالة الإسلام الدولية وتجاوز مثالية شريعته فى الحرب كل تصور ما روى من أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز لما استخلف ، وفد عليه قوم من أهل (سمرقند) فرفعوا إليه شكواهم أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر فكتب عمر إلى عامله أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا ، فإن قضى بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء ، فكره أهل سمرقند الحرب وأقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم(٨) .

وفى ولاية المعتصم بالله العباسى هدى الله كثيرا من قبائل التركستان إلى الإسلام ، واستخدم الأتراك جندا فى جيشه ، وقام (السامانيون) بنقل الدعوة الإسلامية إلى آفاق جديدة فى بلاد التركستان ، وأخذ أحد أمراء السامانيين ، وهو « ساتوف » على عاتقه نشر الدعوة الإسلامية حتى حدود الصين ، ثم جاء دور السلاجقة بعد ذلك فى القرن الرابع الهجرى(٩) .

وكان إسلام خانات المغول دفعة جديدة مدت حدود الإسلام إلى مناطق أبعد فقد أسلم (بركة خان) حفيد جنكيز خان فى سنة ٨٣٠ هـ ـ ١٤٢٢ م وعرفت دولته باسم امبراطورية « التون أدردو الإسلامية » ، وتوالى بعد ذلك خانات المغول .

وانقسمت تلك الامبراطورية ـ بعد أن أصابها الضعف بسبب التنازع والاختلاف إلى دويلات كان منها الدول الأوزبكية ، ودولة بلاقوندى فى الشمال الغربى من تركبستان وسيبيريا ، وسميت بخانات سيبيريا ، ودولة قازاكستان ، ودولة سلاطين فازانى ودولة بنى جفتاى ودولة بابورشاه فى جنوب التركستان ، وهكذا ضعفت امبراطورية المغول وتفتت أوصالها مما سهل على الروس غزوها واحدة تلو الأخرى(١٠)

---

(٦) تاريخ اليعقوبى جـ ٢ ص ٢٨١ وتاريخ دول الإسلام للذهبى جـ ١ ص ٢٢ ومعجم البلدان لياقوت جـ ٢ ص ٨٤ ، فتوح البلدان للبلاذرى ص ٤٠٧ .

(٧) البلدان الإسلامية ص ٣٢٨ .

(٨) المرجع السابق ص ٤١١ والبلدان الإسلامية ص ٣٢٩ .

(٩) انتشار الإسلام حول بحر قزوين ص ٢٤٤/٢٤٥ وانظر الأقليات المسلمة فى آسيا واستراليا ص ٤٠٦ .

(١٠) القصة الحقيقية لحياة المسلمين فى ظل الحكم الروسى الصينى ص ١٧ نقلا عن الأقليات المسلمة فى آسيا ، الإسلام الفاتح .

جمهــورية أوزبكستـــــــــان

* **الاحتلال الروسى :**

إن ضعف هذه الدول شيء واستمساك أهلها بالإسلام شيء آخر ؛ فقد ظلوا على إسلامهم لا يتحولون عنه وفى القرن التاسع عشر الميلادى بدأ الاحتلال الروسى لمدن أوزبكستان حيث سقطت طشقند (الشاش سنة ١٢٨٣ هـ ـ ١٨٦٥ م وسمرقند سنة ١٢٨٥ هـ ـ ١٨٦٨ م وفرضت روسيا حمايتها على (خانية بخارى) عام ١٢٩٠ هـ ـ ١٨٧٣ م) .

وفى العام التالى بسطت حمايتها على خانية خيـوه (خـوارزم) واحتلت (خـوقنـد) و (فرغانة) بعد معارك دامت عاما كاملا سنة ١٢٩١ هـ ـ ١٨٧٤م ، مما دفع بالقوات الروسية إلى الانتقام من هذه المدينة الباسلة فأزالوها من الوجود،وأبادوا سكانها عن بكرة أبيهم إلا من استطاع منهم الفرار من هذا المصير البائس ، واستخدموا هذه الأساليب الوحشية فى كل منطقة يستولون عليها ، ويقومون بإحلال الروس محل السكان الأصليين .. ولم يستكن المسلمون بل أخذوا يجاهدون المحتل الغاصب،وقاموا بعشرات الثورات،وأظهر العلماء مقاومة باسلة ومستترة ضد الطغيان الروسى الذى دنس هذه الديار بقوة النار والحديد .

وعندما قامت الثورة الشيوعية فى أكتوبر سنة ١٣٣٦ هـ ـ ١٩١٧ م تحولت حامية طشقند الروسية إلى صف البلاشفة الشيوعيين ، وتبعها المستوطنون الروس برغم انتماءاتهم الطبقية المعادية والمناقضة للشيوعية حيث كانوا من كبار الملاك والضباط وموظفى دولة القياصرة إلا أن الانتماء العرقى كان فوق كل اعتبار فضلا عن الوحدة الاستعمارية ضد المسلمين سواء كانت من الأوروبى الرأسمالى ، أم الشيوعى البلشفى ، أم الروسى القيصرى .

واعلنت بقية المناطق قيام دولة التركستان المستقلة بقيادة علماء الدين والصوفية والمثقفين وكانت قاعدتها مدينة خوقند ، وفى فبراير ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ قام الروس بهدم مدينة خوقند للمرة الثانية .. وأبادوا سكانها،وقاموا بأفظع الجرائم والمنكرات واغتصبوا الفتيات المسلمات العفيفات ، وقاموا بأفظع من منكرات الصين فى التركستان الشرقية (سنكيانج) التى أُجْبِرت المسلماتُ فيها على (الزواج الباطل) بالصينيين ، واندلعت شرارة الثورة لتعم كل مدن التركستان،وعرفت باسم ثورة (البصمة جه) أو (التسمستية) ودامت من سنة ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ م،و انضم إليها زكى والدى طوقان رئيس أول دولة فى البشكير . وأذورباشا وزير الحربية التركى فى أثناء الحرب العالمية الأولى .

وفى ٣٠ أبريل ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ تغير اسم كراى تركستان ليصبح جمهورية تركستان .

وسقطت بخارى عام ١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٢ م أمام جحافل لينين ، كما سقطت خيوة عام ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٤ م .

جمهورية أوزبكستان :

وقد كانت أراضى هذه الجمهورية موزعة قبل ذلك بين خانية بخارى وخانية خيوة وحكومة التركستان العامة (كراى تركستان) التى كانت خاضعة مباشرة للحكم العسكرى الروسى والقيصرى منذ سنة ١٣٠٤ هـ ـ ١٨٨٦ م وكانت خانية خيوة وبخارى غير داخلتين فى جمهورية أوزبكستان، وفى سنة

ـ ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م أصدر ستالين مرسوما بتكوين جمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفيتية الفيدرالية ضاما إليها أراضى خانية خيوة ، وخانية بخارى ، وجمهورية طاجيكستان ذات الحكم الذاتى .

وفى السنة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م قرر ستالين فصل طاجيكستان عن أزبكستان وجعلها جمهورية فيدرالية سوفيتية .

ومرة أخرى قرر ستالين تغيير حدود أوزبكستان فأضاف إليها جمهورية كاركلباك[١١] . الذاتية الحكم وذلك عام ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م وذلك لتتغير المعالم الجغرافية والسياسية لمناطق المسلمين حسب أهواء حفنة من الحكام الطغاة الجبابرة الملحدين .

الحالة الدينية فى أوزبكستان :

ذكرنا من قبل أن أوزبكستان تضم معظم المدن الإسلامية ذات التاريخ الحافل بالأمجاد كبخارى وسمرقند وترمذ وطشقند وخوارزم وخوقند ، وصار مجدها الإسلامى أثرا بعد عين ، ولم يبق فى أوزبكستان إلا المدرستان الوحيدتان فى الاتحاد السوفيتى اللتين يسمح فيهما بتدريس المواد الدينية ـ تحت رقابة الشيوعيين وهما مدرسة .. (أمير عرب) فى بخارى، ومدرسة الإمام البخارى فى طشقند، ويتخذ مفتى أوزبكستان طشقند مقرا له، ويعتبر بمثابة المفتى العام لجميع المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ..

وقد عمد النظام الشيوعى إلى هدم المساجد التى كانت مقامة فى أنحاء أوزبكستان، والتى كانت منارات يهتدى بها فى مدن الإسلام الزاهرة .. وشن حربا ضروسا ضد الإسلام والمسلمين، وفرض الشيوعيون دراسة الإلحاد والشيوعية فى المدارس ، ومنع الدين منعا باتا .

وتؤدى وسائل الإعلام وصحافته التى لم تكن يوما فى خدمة الإسلام والمسلمين دورا أساسيا فى تشويه حقائق الإسلام ورجالاته، وتقوم بنشر مئات الكتب المناهضة للدين الإسلامى ، واشتد ذلك فى السنوات العشر الأخيرة .

ولا تزال أوزبكستان برغم كل هذه التحديات هى البلد الأكثر محافظة فى الاتحاد السوفيتى على العادات الإسلامية مثل: الختان وطريقة الزواج ودفن الموتى[١٢] .

ويقوم بعض المسلمين سرا بالدعوة إلى الله وإقامة المساجد وحلقات قراءة القرآن الكريم .. ولكن الشيوعيين الملحدين لا يكفون عن مطاردة المسلمين للقضاء على أى أثر للدين .
وهيهات ..

فإن الله جلت قدرته حافظٌ كتابه ، ناصرٌ دينه وهو سبحانه يحق الحق ويبطل الباطل، وها نحن الآن نرى ونسمع كيف هوت عروش الشيوعية وكيف شيعها أصحابها إلى مثواها الأخير ؟ وصدق الله العظيم : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ .

---

(١١) من كتاب « المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى » وانظر المسلمون فى الاتحاد السوفيتى جـ ١ ص ٣٥٣ ـ ٣٥٥ .

(١٢) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى جـ ١ ص ٣٥٨ .

كشمير المسلمة

للأستاذ
ماهر زكريا الشيمى

تعتبر مشكلة كشمير المسلمة إحدى النتائج السيئة التى تمخض عنها الاستعمار البريطانى ، الذى تسلط على شبه القارة الهندية واستنزف ثرواتها أكثر من ثلاثة قرون . فقد خلف من ورائه مشكلات جسيمة تعانى منها الشعوب قبل الدول بعد رحيله عنها وحصولها على الاستقلال .

الخلفية التاريخية :

يدعى الهنادكة أن الهند بلادهم وبلاد أجدادهم (كما يدعى اليهود ذلك بالنسبة لفلسطين) ، وقد صرح زعماؤهم بذلك وقالوا « إن الهند بلادنا ، وعلى المسلمين أن يرتدوا عن دينهم ويعودوا إلى دين آبائهم وأجدادهم لأنهم من أصل هندوكى ، أو أن يرحلوا عن الهند إلى الجزيرة العربية بلاد المسلمين »[1]

والواقع أن التاريخ القديم للهند تحيط به الغيوم الكثيفة . ولكن المؤرخين اعتبروا أن تاريخ هجرة (الآريين) ـ وهم أجداد الهنادكة ـ إلى الهند ، هو بدء تاريخ هذه البلاد . واعتبروا أن (الدراوريين) ـ وهم سكان البلاد قبل مجىء الآريين ـ لايستحقون العناية التاريخية لبدائيتهم .

ولكن المرجح أن سكان الهند الأصليين يرجعون فى أصلهم إلى عناصر وافدة من أستراليا وسومطرة وسيلان . وهم قصار القامة ، عريضو الأنوف ، سمر البشرة . ومازال أحفادهم وأحفاد الدراوريين موجودين فى جنوب الهند إلى اليوم . ومازالوا يتكلمون لغاتهم القديمة التى ترجع فى أصولها إلى لغات أهل جزر المحيط الهادى والمحيط الهندى .

والمعتقد أن الدراوريين قد أتوا من الشمال والغرب ، بعد أن نزحوا من شواطىء البحر المتوسط ، ووصلوا إلى شمال الهند ، واستقروا هناك نحو ثلاثة آلاف سنة ، وذلك بعد أن طردوا السكان الأصليين إلى الجنوب . ثم انقرضوا باستيلاء الآريين على الهند ودفعهم إلى الجنوب .

ويرجح أن استيلاء الآريين على الهند كان فى الألف الثانية قبل الميلاد . وأن أصولهم ترجع إلى عناصر من وسط آسيا ومن آسيا الصغرى . ويقول بعض المؤرخين : إنهم من سكان شرق أوروبا والمجر والنمسا وسموهم (الهنود الجرمانيين) . وقد سموا أنفسهم باسم (آرى) اى المختار أو الممتاز . وسموا سكان البلاد

* الكاتب مستشار أول الجغرافيا بالأزهر

(١) « مأساة كشمير » د . إحسان حقى .

الأصليين (ويسو) أى السمر[٢] . وقد احتقروا الدراويين واستعبدوهم ونبذوهم ، ثم انقلبت هذه « السياسة الاجتماعية » إلى « عقيدة دينية » قامت عليها الديانة الهندوكية .

وقد تعرضت البلاد للغزو التترى الذى جاء من الشرق . ثم جاء الإسلام إلى البلاد فى القرن الرابع عشر الميلادى . ففى عهد معاوية - رضى الله عنه - فتح المسلمون مناطق « بلوچستان » و« السند » ، وتقدموا شمالاً إلى « أفغانستان » . وفى عهد العباسيين انسلخت السند عن الخلافة وانقسمت إلى إمارتين مستقلتين . وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت فيها الشعوبية وخصوصاً « القرامطة » الذى أفسدوا إسلامهم بأن خلطوه بالهندوكية ، واستمر حكمهم نحو اربعة قرون . ولكن جاء السلاطين الغوريون واستعادوا السند واستولوا على « البنجاب » وتوغلوا فى الهند حتى « دلهى » وطبعوا البلاد بالطابع الإسلامى[٣] .

ثم تفككت البلاد إلى إمارات . واستقل كل امير بإمارته إلى أن جاء المغول واستولوا على البلاد كلها ، وأخضعوا الأمراء لسلطانهم ولم تخضع الهند كلها لحاكم واحد إلا زمن المغول وزمن الاستعمار البريطانى . وقد استمر حكم المغول ما يزيد على ثلاثة قرون طبعوا الهند فيها بطابع إسلامى خاص ، وتركوا آثارا خالدة منها مدينة (تاج محل) . وتركوا فيها لغة جديدة هى اللغة (الأوردية) . ثم جاء الاستعمار البريطانى عام ١٦١٢ م الذى بدأ بإنشاء مركز تجارى قرب (بومبى) ثم تشييد قلعة حربية حيث توجد مدينة (مدراس) الآن ، فكانت هذه القلعة أول حجر فى بناء الامبراطورية البريطانية .

الجنس واللغة :

وشبه القارة الهندية يكتظ بالسكان اكتظاظا عظيما بالإضافة إلى اختلاطهم وتنوعهم جنسيا . فهم ينتمون فى الغالب إلى مجموعة السلالات القوقازية ، إلا أنه توجد بينهم عناصر جنسية اخرى كثيرة لدرجة يمكن اعتبار الهند معها متحفا بشريا يصل فيه التنوع السلالى إلى درجة عالية . ويصاحب هذا تنوع آخر فى اللغة إذ يوجد بها أكثر من (٢٢٥) لغة . منها ما يرجع إلى أصول هندية أوروبية ، ومنها ما يرجع إلى أصول محلية قديمة ، ومنها ما يرجع إلى أصول من التبت وبورما . ولذلك فقد اتخذوا اللغة الانجليزية وسيلة للتفاهم عند تعذر استخدام اللغات الهندية . وقد أدى ذلك إلى أن يفقد الكيان البشرى فى الهند وحدة الفكر[٤] .

الدين :

وفى شبه القارة الهندية تتعدد الديانات وتتنوع من ديانات سماوية أهمها (الإسلام) ، إلى ديانات ومعتقدات تنبع من فلسفة أو حكمة قديمة . وتعمق الفروق الدينية الفواصل التى تمزق هذا الكيان البشرى ، وعدا الدين الإسلامى الحنيف تعتبر (الهندوكية) أكثر الأديان انتشارا فى الهند . وقد انبثقت عنها ديانتان هما (البوذية) التى تقوم على المبادىء الأخلاقية وتنكر وجود الله . و (الجينية) أو ديانة (چين) التى هى على نقيض البوذية إذ لم

(٢) كما سمى الرومان سكان شمال افريقيا « البربر »

(٣) « مأساة كشمير » د . إحسان حقى .

(٤) « دراسات فى الجغرافيا السياسية » د . صلاح الدين الشامى ص ٣٨٨

♦ كشمـــــــير المســلمة

تكتف بالإيمان (بالروح الأعظم) وإنما ادعت أن لكل شيء روحا حتى الجماد . وفى مطلع القرن السادس عشر ظهرت ديانة أخرى هى (السيكهية) أو (السيخية) .

ظهور مشكلة كشمير :

فى ١٥ أغسطس ١٩٤٧ رحل الاستعمار البريطانى عن الهند بعد أن قسمها إلى دولتين : (باكستان) و (هندوستان) على أساس أن المناطق ذات الأغلبية المسلمة تنضم إلى باكستان ، والمناطق ذات الأغلبية غير المسلمة تنضم إلى هندوستان .

وصاحب هذه الفترة عمليات بطش رهيبة وإبادة للمسلمين(٥) قام بها الهنادكة والسيخ . ففى اليوم الثالث من أغسطس ١٩٤٧ قامت الهيئة الهندوكية الإرهابية (راشتريا سيواك سانج) وزعماؤها بتأييد من حليفهم القوى السردار (باثل) نائب رئيس وزراء الهند وزعيم حزب المؤتمر الهندى بمذبحة للمسلمين فى (باتيالا) شرقى البنجاب ، وقد استشهد فى هذا اليوم وحدة مالا يقل عن ١٤ ألف مسلم . وخلال الأسابيع السبعة من أول أغسطس إلى ٢٠ سبتمبر ١٩٤٧ أستشهد من المسلمين ما لا يقل عن مائة ألف فى ولاية باتيالا وحدها . وامتدت عمليات الإبادة إلى ولايات السيخ المجاورة شرقى البنجاب ، فكانت عصابات السيخ والهندوس المسلحة تصاحبها سيارات النقل المحملة بالبترول تهاجم بيوت. وقرى المسلمين وتحرقها حتى انها أحرقت ١٥ قرية ، كما كانوا يذبحون المئات من المسلمين كل يوم ، كذلك أرغموا الآلاف على الهروب إلى الغرب . وقد كتبت جريدة (التايمز) اللندنية يوم ٢٥ أغسطس ١٩٤٧ يصف مراسلها هذه المذبحة « إن الضباط البريطانيين يصفون هذه المذبحة شرق البنجاب بأنها أفظع ألف مرة من كل ما شاهدوه خلال الحرب العالمية » .

وكان من نتيجة تقسيم الهند أن خرجت باكستان مقطعة الأوصال ، قسم شرقى وهو مقاطعة البنغال مساحته (٥٤٥٠١) ميل مربع به حوالى ٥٠ (خمسين مليون) مسلم . وقسم غربى مساحته (٣١٠٢٣٦) ميلا مربعا به حوالى ٤٥ (خمسة وأربعين مليون) مسلم . وبقى فى هندوستان أكثر من ٥٠ (خمسين مليونا) من المسلمين .

وقد كان تمزيق أراضى باكستان على هذا النحو ، ووجود أكثر من (٩٠٠) ميل من الأراضى الهندية تفصل بين شطريها سببا أساسياً أدى إلى انفصال القسم الشرقى عام ١٩٧٢ مكونا دولة بنجلاديش مما زاد فى اضعاف باكستان . وغنى عن القول أن الهند هى التى حبذت وشدت أزر العصيان والتمرد لكى تجنى ثمرة الانفصال ضعفا يؤمن أوضاعها على حساب كل من باكستان وبنجلاديش .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأراضى التى قسمت إلى دولتى باكستان وهندوستان لم تكن كل أراضى شبه القارة الهندية ، وإنما كانت المستعمرة الانجليزية فقط . ولم تكن كل الهند مستعمرة انجليزية ، بل كان هناك إلى جانب

(٥) « مأساة كشمير » عبد القادر خان ـ ترجمة إبراهيم نوار مطبعة مصر ١٩٤٨

المستعمرة التى يحكمها الانجليز حكما مباشرا ٥٦٥ إمارة يحكمها أمراء مستقلون ، منهم الهنادكة ومنهم المسلمون . وقد ترك الانجليز وضع هذه الإمارات كما هو ، وثبتوا أمراءها ، مكافأة لهم على تعاونهم معهم .

ولما حدث التقسيم ترك الانجليز هذه الإمارات على وضعها الذى كانت عليه . وكانت فى جملتها تشغل مساحة (٤٥,٣٪) من مساحة شبه القارة الهندية ، وبها ما يزيد على مائة مليون نسمة . وبمقتضى وثيقة الاستقلال ، كان من حق هذه الإمارات أن تبقى مستقلة عن الدولتين باكستان والهند . أو أن تنضم كل إمارة إلى الدولة التى توجد هذه الإمارة داخلها أو بالقرب منها ، وقد حدث هذا وتم فعلا ، لأنه لم يكن فى استطاعة أى إمارة أن تقاوم قوة الدولة التى تحيط بها أو تجاورها . ولم يبق إلا أربع إمارات كان لها وضع خاص وهى : « كپورتهلة » و « جوناكده » و « حيدر أباد » و « كشمير » .

إمارة كپورتهلة : تقع داخل أراضى دولة الهند . وغالبية سكانها مسلمون (٦٣٪) . وقد خشى أميرها الهندوكى أن تطالب رعيته بالاندماج فى باكستان فاستخدم الإبادة والبطش بالمسلمين حتى لا يرتفع فيها صوت معارض إذا ما انضم إلى الهند . وهكذا أدمجت هذه الإمارة فى دولة الهند .

إمارة جوناكده : إمارة صغيرة مساحتها ١٣ ألف كيلو متر مربع وتعدادها حوالى ٨٠٠ ألف نسمة . معظمهم من الهنادكة وأميرها مسلم . وقد اختارت فعلا الانضمام إلى باكستان رغم أن الإمارة لاتتاخم باكستان بل تقع على شاطىء البحر بين بومبى وكراتشى . فلما شعرت الهند بذلك أرسلت قوة عسكرية غزت الإمارة . وفى ظل هذه القوة أجرت استفتاء صوريا أسفر عن ضم الإمارة إلى الهند .

إمارة حيدر اباد : فى شبه القارة الهندية بلدتان بهذا الاسم . الأولى تقع قرب (كراتشى) ، أما الثانية فتوجد، وسط الهند وهى عاصمة مقاطعة (دكن) وهى المقصودة هنا .

ويطلق عليها اسم حيدر أباد دكن أو إمارة حيدر أباد . وهى ليست مثل غيرها من الإمارات ، بل هى فى الواقع امبراطورية ، إذ كان لها أمراء صغار تابعين لها . ومساحتها تزيد على ٨٣ الف ميل مرّبع ، وسكانها حوالى ٢٠ (عشرين مليون نسمة) . وبالرغم من أن معظم سكان الإمارة كانوا من الهنادكة إلا أن أميرها كان مسلما وكان محبوبا لعدالته . وقد أعلنت الإمارة رغبتها فى البقاء مستقلة عن الدولتين . وكان هذا حقا من حقوقها بموجب وثيقة الاستقلال . ولكن الهند أطلقت جيوشها وغزت الإمارة فى ١٣ سبتمبر ١٩٤٨ مدعية أنها تقوم بعمل بوليسى لتأديب العصاة . وهكذا تم القضاء على هذه الإمارة وضمت عنوة إلى الكيان السياسى للهند .

يتبع

"أشَدَّ النَّاسِ عداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا"

ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية

■ ٢ ■

بقلم لواء . أ . ح . دكتور
فوزى محمد طايل

نشات « مدينات يسرائيل » (اى دولة إسرائيل) نشأة غريبة ، وتطورت تطوراً سريعاً ، فلقد رسم « تيودور هرتصل » ملامح هذه الدولة فى كتابه « الدولة اليهودية » الذى ظهر عام ١٨٦٦ م ، ثم دعا « للمؤتمر الصهيونى الأول » الذى عقد فى « بازل » بـ « سويسرا » عام ١٨٩٧ م ليخرج من المؤتمر قائلاً : « لقد أنشأت الدولة اليهودية .. ربما بعد خمس سنوات ، وبالتأكيد بعد خمسين سنة سوف يعرف كل الناس » .

ولقد كان هناك تنسيق خفى مريب بين « الصهيونية العالمية » و« الامبريالية » ، فما أن قامت الحرب العالمية الثانية حتى اتفق السير « مارك سايكس Mark Sykes » وزير خارجية « بريطانيا » ، والسيد « شارل چورچ بيكو » « Charles Georges- Picot » وزير خارجية « فرنسا » عام ١٩١٦ على تقسيم « دولة الخلافة الإسلامية » وتقطيع أوصالها ، ووقعا فيما بينهما اتفاقاً سرياً عرف باسميهما وكان أهم ما فيه إنشاء « لبنان » ككيان مستقل عن « سوريا » ، وتقسيم « العراق » إلى « دولة كردية » فى الشمال ، « وسنية » فى الوسط ، « وشيعية » فى الجنوب ، كذا إقامة « شرق الأردن » ، كإمارة مستقلة ، وفصل « فلسطين » لتوضع تحت الانتداب البريطانى .

من ناحية أخرى سعى الدكتور « حاييم فايتصمان » « chaim Weizmann » لدى بريطانيا لاستصدار وعد « بوطن قومى لليهود » فى « فلسطين » ، وكان الثمن الذى دفع مقدماً هو قيام القاضى « الأمريكى » « لويس براندیز » « Louis Brandies » ، وكان زعماء من « المنظمة الصهيونية العالمية » ، وأكبر مستشارى الرئيس الأمريكى « وودرو ويلسن » « Woodrow Wilson » ، قام بإقناع الأخير بأن تدخل « الولايات المتحدة الأمريكية » ، الحرب إلى جانب الحلفاء ، فكان هذا فى أبريل ١٩١٧م ، فأصدر اللورد « آرثر چيمس بلفور » « Arthur J.Balfour » وعده المشئوم ووجهه للرأسمالى البريطانى « اللورد روتشيلد » فى

الثانى من نوفمبر ١٩١٧ م ، وكان الأخير ممثلاً للمنظمة الصهيونية العالمية فى تلقيه لهذا الوعد .

وعلى الرغم من أن السكان العرب كانوا يشكلون ٩٢٪ من « شعب فلسطين » ، وكان هؤلاء يمتلكون ٩٨٪ من « أرض فلسطين » ، فقد تقدمت « المنظمة الصهيونية العالمية » لمؤتمر صلح « باريس » عام ١٩١٩ م لتحدد الأرض التى سيقام عليها « الوطن القومى اليهودى » كما يلى :

كل « فلسطين » ، وجنوب لبنان بما فى ذلك مدينتا « صور » و« صيدا » ، و« منابع مياه نهر الأردن » ، و« جبل الهرمون » ، والجزء الجنوبى من « نهر الليطانى » ، ومرتفعات « الجولان » ، بما فى ذلك « مدينة القنيطرة » ، و« نهر اليرموك » ، والعيون الساخنة فى « الحمة » ، وكل « وادى الأردن » ، و« البحر الميت » ، والمرتفعات الشرقية حتى « ضواحى عمان » ، وجنوباً على طول « سكة حديد الحجاز » حتى « خليج العقبة » ، ومن « العريش » حتى « شرم الشيخ » على « خليج العقبة » .. هذا .. لمن ألقى السمع وهو شهيد !!!

ولم توافق (عصبة الأمم) على هذه الحدود ، لكنها أعطت بريطانيا انتداباً على فلسطين .. بل وفى ظل هذا الانتداب تمت الهجرات اليهودية ، وطرد السكان العرب ، وأعلن اليهود دولتهم عام ١٩٤٨ ، كما ذكرنا فى المقال السابق ..

السلطات العامة فى إسرائيل .. من يحكم إسرائيل ؟

وحتى تستكمل « الدولة اليهودية » مقوماتها القانونية بعد أن تم جلب « الشعب » من الشتات ، وتم الحصول على « الأرض » بالشراء تارة ، وبالاغتصاب وطرد السكان تارة أخرى ، ومن خلال الاستيلاء على مزيد من الأرض خلال حرب عام ٤٨/١٩٤٩ م تارة ثالثة ، ذهبوا يقيمون « السلطات العامة » .

وعلى الرغم من قيام السلطات العامة ، فى صورتها النهائية ، فى « إسرائيل » منذ عام ١٩٤٩ م ، فإنها دولة بلا دستور مكتوب ، ويرجع هذا إلى أن (مسودة الدستور) التى تم إعدادها آنذاك لم تستطع التوفيق بين من كانوا ينـادون بتطبيق « الشريعـة اليهـوديـة » (هـا هلخاه) مبـاشرة ، وبين غـيرهم من « العلمانيين » الذين كانوا متأثرين بثقافات البلدان التى جاءوا منها : لذا فقد استمرت المناقشات فى هذا الأمر منذ شهر ديسمبر ١٩٤٨ م حتى ١٣ يونيو ١٩٥٠م ، إذ ذاك صدر قرار سُمِّى بقرار « هارارى » « Harari » (نسبة للعضو الذى قدمه) ، ومفاده عدم التعجل فى إصدار دستور مكتوب ، بل السير فى هذا الاتجاه « خطوة خطوة » ، فوضع عوضاً عن ذلك « قانون أساسى » مرن جداً ، ومجموعة من « القوانين الدستورية » .. وكلها يمكن للسلطة التشريعية أن تعدلها بأغلبية معينة .

ويمكن القول بأنه ، بالنظر إلى الشكل العام للسلطات العامة فى إسرائيل وأسلوب وصولها لحكم البلاد ، فإسرائيل جمهورية ديمقراطية نيابية (برلمانية) تتوزع السلطة العامة فيها على ثلاث هيئات :

★ السند القانونى لقيام «دولة إسرائيل» ، كما جاء فى إعلان قيام الدولة ، هو قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ م وهذا يقسم فلسطين ستة أجزاء : ثلاثة منها (يعادل ٥٦٪ من إجمالى فلسطين) يقيم اليهود عليها دولتهم ، وثلاثة أجزاء (تعادل ٤٣٪ من مساحة فلسطين) تقام عليها «الدولة العربية» ، وتبقى «القدس» كيانا خاصا تابعا للأمم المتحدة .

ملامح النظام السياسي للدولة اليهودية

١ ـ السلطة التشريعية :

وهى تتكون من مجلس واحد يطلق عليه بالعبرية « الكنيست » ، وهى كلمة تعنى « الجمعية » ، وقد أنشىء أول « كنيست » فى يناير ١٩٤٩ م، وعقد أول اجتماعاته فى شهر فبراير . ومقر « الكنيست » حالياً مدينة « القدس » ، وهو يتكون من ١٢٠ عضواً ـ على غرار « الجمعية الكبرى » ، التى أنشأها « عزرا » (عزير) عندما أسس « الدولة اليهودية » الثانية عام ٤٥٨ ق . م ـ ومدة « الكنيست » أربعة أعوام ، إذا استكمل مدته ، وينتخب أعضاؤه بالاقتراع السرى المباشر من خلال دوائر حزبية مغلقة (أى لا يجوز تعديل أولويات المرشحين بداخلها) ، باعتبار إسرائيل كلها دائرة انتخابية واحدة ، ويخرج الفائزون فى الانتخابات بحسب حصول كل قائمة على نسبة معينة من الأصوات الصحيحة (أى بنظام التمثيل النسبى) .

ويشترط فى عضو الكنيست الا تقل سنه عن إحدى وعشرين سنة ، والا يكون قد صدرت ضده أحكام قضائية ، والا يكون من المشتغلين بالوظائف العامة الرئيسة (كرئيس الدولة ـ الحاخاميم ـ القضاة ـ كبار الموظفين المدنيين ـ ضباط القوات المسلحة) ، ولئن كان يسمح للمرأة بترشيح نفسها بلا قيود إلا أن الأحزاب الدينية تعارض ذلك ؛ لأنه لا يتفق والشريعة اليهودية .

ويمكن لكل من بلغ سن الثامنة عشرة فأكثر أن يدلى بصوته فى الانتخابات التى تجرى يوم الثلاثاء الثالث من شهر « حشفن » « Chesh-ven » من العام الذى تنتهى فيه مدة « الكنيست » . ويوم الانتخابات يوم عطلة رسمية يتسم بالهدوء ، وتحظر فيه المظاهرات ، أو الدعاية الانتخابية ، أو عقد الاجتماعات ، أو استخدام مكبرات الصوت ، ويمنع فيه بيع الخمور ، ويمنح الموظف المدنى « المرشح » إجازة مائة يوم حتى تاريخ إعلان النتيجة الذى يكون خلال أربعة عشر يوماً تالية ليوم التصويت ، ويعد المواطن الإسرائيلى واحداً من أكثر ناخبى العالم إقبالاً على الانتخابات ، إذ يشعر بعدالتها ، وبأن نتيجتها تعكس الاتجاه الحقيقى للرأى العام ولقوى المجتمع .

وينعقد « الكنيست » مرتين فى العام : الأولى خلال أربعة أسابيع بعد « عيد المظال » جمع « مظلة » ، والثانية خلال أربعة أسابيع بعد « يوم الاستقلال » (أى يوم قيام الدولة) ، بمدة إجمالية قدرها ثمانية شهور ، ويتم الاجتماع ثلاث مرات فى الأسبوع ، وتصدر القرارات بالأغلبية البسيطة للأعضاء الحاضرين مهما كان عددهم صغيراً .

وبرغم أن « الكنيست » هو المختص الأصيل بالتشريع ، فإن له أن يفوض بعض اختصاصاته إلى وزير منفرد (أو إلى الوزارة مجتمعة) كى يصد (تصدر) اللوائح التنفيذية لقوانين بعينها . وتصبح نافذة ولها قوة القانون اعتماداً على الرضاء الضمنى « للكنيست » .

ويعمل « الكنيست » من خلال لجان منتخبة من أعضاء المجلس ، ويحرم العرب (بوصفهم أعضاء غير مأمونين) من عضوية اللجان الحساسة كلجنة الخارجية والأمن ، واللجنة المالية .. ويتم هذا الحرمان من خلال إصدار (قانون العدد) ، وبموجبه لا يحق لحزب معين أن يكون له تمثيل فى لجنة بعينها ما لم يكن له

عدد معين من المقاعد يحدد في القانون المذكور في أول اجتماع « للكنيست » بعد انتخابه ، وتقوم هذه « اللجان الدائمة » بمراجعة سياسة الحكومة ، وإجراء التحقيق والاستقصاء اللازمين وتقديم التوصيات ، كما أنها تظل تعمل في غياب الكنيست مع استمرار اتصالها بالوزارات للحصول على المعلومات ومناقشاتها بعيداً عن الشعب وعن الصحافة .

ومع ذلك فإن الاعتبارات الأمنية تجعل دور اللجان ، خاصة لجنة الخارجية والأمن القومي ، دوراً هامشياً .

٢ ـ السلطة التنفيذية :

(أ) رئيس الدولة :

وظيفة شرفية ، لكنه رمز الدولة ، ومن هنا يسقط عنه انتماؤه الحزبي بمجرد انتخابه بواسطة « الكنيست » في اقتراع سري ، يصبح بعده رئيساً لمدة خمس سنوات . ويكفي أن يحصل أي من المرشحين لهذا المنصب على (٦١) صوتاً في ذلكم الاقتراع بغض النظر عن أعضاء الكنيست الحاضرين آنذاك . ويجوز إعادة انتخاب رئيس الدولة لمدة ثانية فقط ؛ وهذا ما لم يحدث في تاريخها سوى للرئيس الحالي « حاييم هرتصوج » الذي أعيد انتخابه عام ١٩٨٨ م .

ولا يوجد نص قانوني يحدد صلاحيات رئيس الدولة ، فهو يرأس ولا يحكم ، سوى أن له حق منح العفو ، وسلطة تعيين شخص رئيس الوزراء ، وهذه سلطة صورية ؛ لأنه يحدد بموجب نتيجة انتخابات الكنيست ، فهو عادة رئيس الحزب الذي يحصل على أغلبية مقاعد الكنيست .. ويقوم رئيس الدولة أيضاً بالاستقبالات الرسمية وتلقي أوراق اعتماد السفراء .

وليس لرئيس الدولة حق مغادرة البلاد دون إذن من مجلس الوزراء ، وعند استقالته يقدم طلباً لرئيس الكنيست .

ويحل رئيس الكنيست محل رئيس الوزراء في حالة غيابه ، أو خلو منصبه ، وللكنيست حق توجيه الاتهام إلى رئيس الدولة بأغلبية ثلاثة أرباع الحاضرين بالجلسة ، وله حق إقصائه من منصبه بأغلبية ثلاثة أرباع كل المجلس (٩٠ عضواً) ، وللمجلس أن يعفيه من منصبه لأسباب صحية بأغلبية ثلثي الأعضاء (٨٠ عضواً) .

(ب) مجلس الوزراء :

يتكون مجلس الوزراء الإسرائيلي من رئيس (.زعيم الحزب الفائز في الانتخابات ، وزعيم الأغلبية في الكنيست ، أو على الأقل زعيم أكبر حزب حائز على مقاعد فيه) ، ووزراء ، وقد تكون الوزارة مشكلة من حزب واحد أو وزراء من أحزاب مختلفة (وزارة ائتلافية) . وقد يكون أعضاء الوزارة أعضاء في الكنيست في نفس الوقت ، وقد لا يكون البعض أعضاء في الكنيست .

ولا يملك رئيس الوزراء حق إقالة وزير أو أكثر إلا إذا خالف شروط الائتلاف بأن أعطى صوته في الكنيست ضد الوزارة .

وتمارس الوزارة أعمالها اليومية من خلال الوزراء أو من خلال مجلس الوزراء ، بيد أن إعداد القرارات يتم من خلال ما يسمى « بالوزارة المصغرة » ، وهي تتكون من اثني عشر وزيراً تجتمع في هيئة لجنة للتشاور حول القرار الواجب اتخاذه ، وبعد ذلك يعرض القرار على الوزارة مجتمعة للموافقة عليه . ويؤدي مدير مكتب رئيس الوزراء دوراً هاماً في هذه العملية ،

ملامح النظام السياسي للدولة اليهودية

وقد تلجأ الوزارة إلى تشكيل لجان وزارية لبحث الأمور الأكثر تعقيداً ، وأهم هذه اللجان « لجنة الخارجية والأمن » التى تكاد تكون لجنة دائمة تعمل فى غير أوقات انعقاد الوزارة .. وهناك لجنتان هامتان أخريان هما : « اللجنة الوزارية للاستيطان » و« لجنة شئون القدس » .

٣ ـ السلطة القضائية :

تعكس السلطة القضائية ـ بحق ـ التناقض والتفكك داخل المجتمع المدنى الإسرائيلى ، فلدى إسرائيل قضاء مدنى (علمانى) يسمى القاضى فيه « شوفِطْ » ، و(قضاء دينى) يسمى القاضى فيه « دايان » ، وهذا الأخير ينقسم إلى قضاء خاص « بالاشكنازيم » ، وآخر خاص « بالسفاراديم » (*) ، فضلاً عن (قضاء خاص) بالمسلمين ، وآخر (خاص بالنصارى) ، وثالث (خاص « بالدروز ») ، وهناك محاكم عسكرية ومحاكم خاصة ، ومحاكم بلديات ، وأخيراً هناك « محاكم تحكيم » تبنى أحكامها على قواعد « العدل » وعلى « العُرْف » والتقاليد السارية .

وهناك ثلاث درجات للتقاضى : قضاء جزئى ، وقضاء إقليمى (استئناف) ، وقضاء عالٍ .. والقضاة بصفة عامة ـ غير قابلين للعزل ، لكنهم يحالون للمعاش فى سن السبعين ، بينما يحال القضاة فى المحاكم الدينية للمعاش فى سن الخامسة والسبعين . ويحصل القضاة على مرتبات عالية ، فمرتب رئيس المحكمة العليا يساوى مرتب رئيس الوزراء . ولا ينقل أى قاض إلا بموافقة رئيس المحكمة العليا ، وليس لأية جهة أن تتدخل فى أعمال القضاء ، بيد أن الاعتبارات الأمنية والسياسية قد توجه الأمور من وراء الستار .

وتقع القوانين المستمدة من الشريعة (ماهلخاه) على قمة تدرج القوانين ، ولايطبق سواها فى (المحاكم الحاخامية) لكن لا تطبق الشريعة الإسلامية فى محاكم المسلمين ، كما لا تطبق أحكام «المذاهب النصرانية» أو «الدرزية» فى محاكمهم إلا فى مجال الأحوال الشخصية ، وتلتزم هذه المحاكم فى خلاف ذلك «بقوانين الدولة» .

و«محكمة العدل العليا» هى أعلى سلطة قضائية فى مجال القضايا المدنية والجنائية (فهى لا ترأس المحاكم الحاخامية) ، وتتمتع باختصاصات «محكمة النقض» و«مجلس الدولة» و«المحكمة الدستورية العليا» (برغم عدم وجود دستور مكتوب) اعتمادا على قواعد العدالة كما أنها قد تمارس العمل كمحكمة أول درجة أحياناً .. أى تتعرض للوقائع وملابسات الدعوى .. وأحكامها نهائية ويصدرها أحد عشر قاضيا .

★ «الاشكنازيم» جمع «اشكنازى» وهم ينسبون إلى «اشكناز» أى «ألمانيا» ، لكن الاصطلاح ينصرف إلى كل اليهود الذين جاءوا من أصل أوروبى ، وكانت لغتهم هى «البيديش» وهى خليط من الألمانية والعبرية وهم يمثلون ٨٥٪ من يهود العالم ـ ١٢٪ منهم فقط فى إسرائيل وهم يمثلون قرابة ٤٥٪ من سكانها .

أما «السفاراديم» فجمع «سفارادى» نسبة إلى «سفاراد» أى «أسبانيا» ، وهم اليهود الذين عاشوا فى ظل «الدولة الإسلامية» فى «الأندلس» وغيرها ، ولغة بعضهم «اللادينو» وهى خليط بين الأسبانية والعبرية ، وبعضهم يتكلم العربية ، ويعيش ثلثاهم الآن فى إسرائيل (٥٥٪ من سكانها) وهم يمثلون ١٥٪ من يهود العالم .

وتعد أحكام المحكمة العليا ملزمة لكل السلطات ولسائر المحاكم الأخرى ، بيد أن المحكمة ذاتها لا تلتزم بأحكامها السابقة ، ولا بالمبادىء القانونية التى تقرها فى أحكامها .

التوازن السياسى والدستورى بين السلطات :

إن عدم وجود دستور مكتوب ، وقيام حكومات ائتلافية باستمرار يعتبران عاملان من عوامل عدم الاستقرار ، بيد أن السلطات العامة فى إسرائيل قد صممت - ربما منذ قيام الحكومة المؤقتة - على أساس إقامة عدد من التوازنات التى تتغلب على العيبين المذكورين . وربما يساعد على هذا أن إسرائيل لا تزال تعتبر نفسها فى مرحلة التعبئة والصراع التى تعمل فيها على تثبيت دعائم الدولة ككيان غريب فى محيط معادٍ لها ، يختلف معها كل الاختلاف فى القيم والمصالح والأهداف ، يضاف إلى ذلك أن الأحزاب والمجتمع الإسرائيلى جميعا يتخذون شكل تدرج هرمى تقف على قمته «صفوة» elite من الشخصيات «الكاريزمية» charismatic (أى البطولية التى تلهب مشاعر الجماهير) ، وإسرائيل مازال لديها رصيد من هؤلاء فعندما قصر «حزب العمل» الذى حكم إسرائيل منذ قيامها حتى عام ١٩٧٧ م - قصر عن أن يخرج مثل هذه الشخصيات فى أعقاب خروج «جولدا مائير» من الحكم ، ظهر ما سمى «بأزمة التعاقب» (الخلافة) crisis of succession فتقدم إلى قمة المجتمع شخصيات من «الحرس القديم» («بيجين» ، ثم «شامير ») من حزب «الليكود» فى حركة أطلقوا عليها «الهبوط العبرى» «Hebrew parachuting» .

من ناحية أخرى نجد أن «الكنيست» يتمتع بسلطات واسعة ، ساعد عليها غياب الدستور ، لكنه لا يستخدمها فى مواجهة الوزارة من الناحية العملية ، ومع ذلك فبإمكان الكنيست أن يدير دفة الأمور فى البلاد ، من خلال لجانه ، إذا ما وجد وضع تغيبت فيه الوزارة لسبب ما أو آخر .

ويمكن القول بأن حالة التعبئة العامة والاستنفار الدائم التى تعيشها إسرائيل منذ قيامها جعلت السلطات مركزة فى يد مجلس الوزراء حتى يصبح قادرا على سرعة اتخاذ القرارات ومواجهة الأزمات ، وفى المقابل فإنه بينما يملك الكنيست - الذى تسيطر عليه الوزارة عمليا - أن يحاسب الوزارة من خلال طرح الثقة فيها ، فإن هذه الوزارة لا تملك حل «الكنيست» ، الذى فضلاً عن هذا يستطيع أن يمد فترة بقائه ؛ لأن حله لا يكون إلا بموجب قانون يصدره «الكنيست» نفسه ، ويحدد فيه موعد الانتخابات ، وموعد انعقاد المجلس الجديد .. ومع ذلك فمن الناحية العملية يمكن لرئيس الوزراء أن يدعو لانتخابات جديدة - فى أى وقت - ولا يملك المجلس (الكنيست) إلا أن يستجيب ؛ لأن الوزارة تملك تحريك الأغلبية فيه .

وبينما نجد الحكومة لا تستطيع ممارسة عملها رسميا إلا بعد أن تحصل على الثقة فى برنامجها من قبل المجلس ، الذى يملك السؤال والاستجواب والتحقيق والاقتراع بعدم الثقة فى وزير أو فى كل مجلس الوزراء ؛ فإن الحكومة (الوزارة) تتخذ جل القرارات المصيرية ، بل ومعظم القرارات اليومية بعيدا عن المجلس ، بل وإن رقابة «الكنيست» على الأمور المتعلقة بالأمن القومى تكاد تكون منعدمة .

وتتولى الوزارة - من الناحية العملية - قيادة أعمال الكنيست فى معظم الأمور الحيوية ، بما فى ذلك أمور التشريع ، كما أن للوزارة سلطة الدخول فى اتفاقيات دون الرجوع للكنيست إلا للموافقة النهائية بعد إبرام المعاهدة وعادة ما يكون هذا إجراء شكليا .

البقية ص ٧٠١

المحافظة على المنشآت الاقتصادية

أمانة فى تقدير الإسلام

لواء . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

● المنشئات الاقتصادية من القواعد الاستراتيجية التى تقوم عليها التنمية وبناء القدرات الدفاعية فى الوقت نفسه ، من أجل ذلك فإن المحافظة عليها وتامين سلامة معداتها والعناية بها وصيانتها ضرورة حيوية وأمانة عظمى .

ولقد سبقت حكمة الله أن تكون الأمة الإسلامية أمة قوية عزيزة الجانب فأمرها بإعداد القوة والمرابطة التى توقع الرهبة فى قلوب الأعداء فقال جل شأنه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ . . ﴾[1] ، فلفظ قوة فى هذه الآية الكريمة لفظ شامل ، فقد ورد مطلقاً بغير تحديد بحيث يفهم منه أنه لا يقتصر على القوة العسكرية فحسب ، بل يشتمل أيضا على القوة الاقتصادية والقوة الاجتماعية والقوة السياسية وغيرها من مصادر القوة .

وبذلك تكون المنشئات الاقتصادية من « أدوات القوة الشاملة » التى يريدها الإسلام ، هذا فضلاً عن أهميتها العظمى للدفاع لأن القوات المسلحة تحتاج إلى قاعدة اقتصادية قوية ، تكون قادرة على تلبية احتياجاتها بكفاءة مهما طال أمد الحرب .

● هذا الارتباط الوثيق بين القوة العسكرية والقوة الاقتصادية يوجه إلى أن تكون القوات المسلحة على أعلى درجة من الكفاءة القتالية[2] ، كما يوجه ـ فى الوقت نفسه ـ إلى أن تكون القاعدة الاقتصادية على أعلى درجة من « الكفاية الإنتاجية » .

● وترتيباً على ما تقدم يمكن أن نقول إن الأمر يتطلب أن تكون معدات القوات المسلحة وأسلحتها على أعلى درجات الصلاحية والكفاءة والاستعداد القتالى ، كما يتطلب ـ فى الوقت نفسه ـ أن تكون أدوات ومعدات القاعدة

(١) الآية الكريمة : ٦٠ من سورة الأنفال .

(٢) الكفاءة القتالية Combat Efficiency تعبر عن قدرة القوات المسلحة على القتال وعلى تحقيق الأهداف المقررة ، ويعتبر المقياس العلمى للكفاءة القتالية العالية هو « قدرة القوات المسلحة على إحراز النصر فى الحرب بدون أو بأقل خسائر ممكنة فى الأرواح والمعدات وفى أقل وقت » .

الاقتصادية على أعلى درجة من الصلاحية والكفاءة « فى العمل والإنتاج » .

ضرورة المحافظة على المعدات :

● ويتضح مما تقدم أن المحافظة على المعدات « ضرورة استراتيجية حيوية » وخاصة إذا تأملنا العوامل الآتية :

١ ـ بالنظر إلى التقدم المذهل فى العلوم والتقنية فى هذا العصر فقد أصبحت معدات القوات المسلحة ومعدات المنشئات الاقتصادية على درجة من التقدم والتعقيد ضاعفت من أهمية صيانتها والعناية بها والدقة والحرص عند استخدامها .

٢ ـ إن صلاحية المعدات وكفاءتها تسهم ـ مع العوامل الأخرى ـ فى تحقيق أعلى مستويات الإنتاج بطريقة اقتصادية أى « بأقل قدر من التكاليف أو الخسائر » ، وذلك هو أمل كل القادة والمديرين .

٣ ـ إن من أهم مقومات الروح المعنوية للعاملين ، ثقتهم فى المعدات التى يعملون عليها من حيث كفاءتها فى العمل وتحقيق الأهداف الإنتاجية المقررة ، وتلك أمور تعتمد إلى حد كبير على مستوى صلاحية هذه المعدات وكفاءتها ، فالعامل ، إذا تأكد من أن الآلة التى فى يده « لن تخذله » ، أثناء العمل ، زادت ثقته فيها ، وقويت ـ بالتالى ـ عزيمته وإرادته فى العمل الإيجابى بإخلاص وحيوية دافقة .

توجيهات الإسلام :

● والحق أن المحافظة على المعدات والعناية بها وصيانتها من التلف لها شأن عظيم فى الإسلام وهو ما نوضحه فيمايلى :

أولًا : ربط المحافظة على المعدات بالعقيدة :

● لقد عنى الإسلام بتنمية أقوى الدوافع فى نفس المسلم نحو المحافظة على المعدات على نحو يختلف تماما عن دوافع الحافز المادى أو اللوائح والقوانين ، « فهو يربط هذه الأعمال بالعقيدة والإيمان » بحيث يقبل المسلم عليها بكل حماسة وإيجابية وإخلاص وإتقان لكى يحظى بمرضاة الله سبحانه .

● فالمعدات فى نظر الإسلام « أمانة » فى عنق المسلم ، حتى يحافظ على « أدوات القوة » التى أمر الله تعالى بإعدادها : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ . . ﴾ .

● ويحذر الإسلام من خيانة هذه الأمانة بإهمال العناية بالمعدات أو إساءة استخدامها ، وهو بعض ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٣) ومن قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الا لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له »(٤) . وقوله : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان »(٥) .

ثانيا : المحافظة على قوة الردع الإسلامية :

● ولما كان القصد من إعداد القوة الشاملة هو إيقاع الرهبة فى قلوب الأعداء وردعهم فإن من أهم مقومات النجاح فى تحقيق هذا الهدف هو أن تكون أسلحة القوات المسلحة ومعدات المنشئات الاقتصادية على أعلى درجة من الصلاحية والكفاءة فى كل وقت وتحت كل الظروف ، وهكذا

---

(٣) الآية الكريمة : ٢٧ من سورة الأنفال .
(٤) الحديث : رواه أحمد .
(٥) الحديث : رواه الشيخان .

المحافظة على المنشآت الاقتصادية

تكون المحافظة على المعدات وصيانتها محافظة على قوة الردع للمسلمين .

ثالثا : رفع كفاءة العاملين :

● عند علماء الإدارة قول مشهور هو : « الإنسان سيد الآلـة » ، وعند الخبـراء العسكريين ـ فى الوقت نفسه ـ قول مشهور هو : « إن العبرة ليست بالمدفع بل بالرجال الذين وراء ذلك المدفع » .

من أجل ذلك كان الاهتمام برفع مستوى العاملين بالتدريب المستمر من أهم أسباب تحقيق الكفاية فى الإنتاج . وهو فى الوقت نفسه من أسباب المحافظة على المعدات وصيانتها والعناية بها ، فالمعدات الجيدة فى يد غير الكفء تفقد قيمتها وفاعليتها وتتعرض للتلف مما يشكل « خسارة اقتصاديـة » وضعفا فى الطـاقة الإنتاجية .

● والإسلام يحث على إتقان التدريب لبلوغ أعلى مستوى من الكفاءة فى الأداء ، وهو بعض ما يفهم من قول الله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٦) ، ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »(٧) .

ومن مقتضيات هذا التوجيه الإسلامى ألا يكتفى المسلم بالمستوى الذى بلغه ، بل عليه أن يُجَوِّد فيه ، ويرفع من مستواه بالمزيد من المعرفة والمران واكتساب المهارات ، فقد أمر الله تعالى نبيه ـ وهو قدوة المسلمين ـ أن يقول : « ربى زدنى علما » ، وهذه المسئولية تقع على عاتق الفرد كما تقع على عاتق رؤسائه ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٨) والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »(٩) .

● وفى هذا المجال أيضا يحث الإسلام على « استمرار التدريب » لأنه يحقق فائـدتين كبيرتين : **الأولى** : هى المحافظة على مستوى كفاءة العامل ليكون قادراً على الأداء الصحيح ، **والثانية** : هى دعم هذه الكفاءة والارتقاء بها إلى مستوى أفضل ، وذلك ما يفهم من قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يحذر المسلمين من الانقطاع عن التدريب على الرمى : « من علم الرمى ثم تركه فليس منا ، أو فقد عصى »(١٠) ، وقوله أيضا : « من ترك الرمى بعد ما علمه فإنما هى نعمة جحدها »(١١) .

رابعا : النهى عن إساءة استخدام المعدات :

● وينهى الإسلام عن إساءة استخدام المعدات ومن ذلك استخدامها فى غير الغرض الذى صممت من أجله ، أو مخالفة قواعد التشغيل التى وضعها صانعوها ، وذلك ما يستخلص ـ على سبيل المثال ـ من نهى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الإساءة إلى الخيل والبهائم :

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن إخصاء الخيل والبهائم ، ثم قال ابن عمر : فيهما نماء الخلق »(١٢) .

(٦) الآية الكريمة : ١٩٥ من سورة البقرة .
(٧) الحديث : رواه أبو يعلى .
(٨) الآية الكريمة : ٩٣ من سورة النحل .
(٩) الحديث : رواه الخمسة .
(١٠) الحديث : رواه أحمد ومسلم عن عقبة بن عامر .
(١١) الحديث : رواه أبو داود وغيره .
(١٢) الحديث : رواه أحمد .

وعنه أيضاً أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، الأجر والغنيمة »(١٣) .. وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « كل شىء يلهو به ابن آدم فهو باطل إلا ثلاثة : رمية عن قوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، فإنهن من الحق »(١٤) ، وقال أيضاً : « أفضل دينار ينفقه الرجل : دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه الرجل على دابته فى سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله »(١٥) .

خامسا : ضرورة إجراء الصيانة الدورية للمعدات :

● قال ابن إسحاق (فى مجال الحديث عن غزوة أحد) : « فلما انتهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أهله (أى بعد المعركة) ، ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسلى عن هذا دَمَه يابُنَيَّة ، فو الله لقد صَدَقَنى اليوم » وناولها علي بن أبى طالب سيفه فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلى عنه دمه ، فو الله لقد صدقنى اليوم ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لئن كنتَ صدقت القتال ، لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة »(١٦) .. فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلف ابنته فاطمة بأن تغسل الدم عن سيفه « فور عودته » من المعركة مباشرة يوم أحد ، وفضلا عما فى ذلك من تنويه بأهمية الصيانة ودورها فى المحافظة على صلاحية الأسلحة والمعدات ، فإنه يرشد إلى أن « استعادة كفاءة المعدات بعد استخدامها أمر حيوى لا يحتمل التأجيل » .

● إن الإسلام يطلب أن تكون أسلحة المسلمين ومعداتهم على درجة عالية من الكفاءة والاستعداد للعمل « بصفة مستمرة وفى كل وقت » . ومما يؤكد ذلك أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عاد من معركة أحد على موعد مع العدو للقاء بعد عام ، فقد قال أبو سفيان بعد المعركة : « إن موعدكم بدر للعام القابل » فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لرجل من أصحابه : قل نعم ، هو بيننا وبينكم موعد »(١٧) ... وبذلك يمكن أن يقول قائل : ليس هناك ما يدعو إلى العجلة فى أى أمر من أمور الجيش أو استعداده مادام أمام المسلمين وقت طويل (عام كامل) إلى أن يحين موعد المعركة المقبلة وذلك « باتفاق الطرفين » ، لكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر بأن تجرى الصيانة لسيفه فور انتهاء المعركة وقبل أن ينقشع غبارها حرصا منه على « المحافظة على درجة الاستعداد العالية للمسلمين وأسلحتهم ومعداتهم » .

● ثم إن قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (وقول على ـ رضى الله عنه ـ بعده) : « والله لقد صدقنى اليوم » فيه إشعار بأن كفاءة السلاح والمعدات تعتمد اعتماداً كبيراً على العناية بها وصيانتها ، وبأن هذه الكفاءة تضعف وتقل بتأخير الصيانة أو التهاون فيها ، وبأنه يمكن الإبقاء عليها « بالمبادرة بإجراء عمليات الصيانة » دون إبطاء حتى « تصدق صاحبها » فى كل مهمة جديدة « ولاتخذله » كما قدمنا .

● وحتى « تصدق » المعدات صاحبها ، فمن الضرورى أن تكون صيانتها متقنة إلى أقصى حدود الإتقان ، من أجل ذلك رأينا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « يوضح » لابنته فاطمة رضى الله عنها « كيفية » إجراء الصيانة اللازمة ،

(١٣) الحديث : متفق عليه .
(١٤) الحديث : رواه الخمسة .
(١٥) الحديث : رواه مسلم .

(١٦) ابن هشام : السيرة النبوية القسم الثانى (جـ٣ ، جـ٤) ص ١٠٠ .
(١٧) المرجع السابق ص ٩٤ .

المحافظة على المنشئات الاقتصادية

ثم « يُنمى » فى نفسها أقوى الدوافع إلى إتقان عملها بالإشادة بما أداه السلاح من دور عظيم فى قتال العدو، وهذا المعنى يتضح كذلك من الأحاديث التى وردت بشأن الأسلحة التى كانت مستخدمة فى جيش الإسلام وقتئذ :

ـــ السيف : « ... واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف »[18] .

ـــ القوس : « ألا إن القوة الرمى وكررها ثلاثاً »[19] .

« إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب فى عمله الخير، والرامى به، والمُمِدَّ به، فارموا واركبوا وإن ترموا أحب إلىَّ من أن تركبوا »[20] .

ـــ الرمح : « جُعل رزقى تحت ظل رمحى »[21] .

سادسا : أمن المنشئات والمعدات :

● ويوجه الإسلام إلى تأمين المنشئات والمعدات ضد الأخطار المختلفة وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾[22] .. وقوله : ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾[23] ومن الإجراءات التى تتخذ فى مجال الأمن مايلى :

١ ـ وضع نظام دقيق لحراسة المنشئات والمعدات مع وجود وسائل اتصال سريعة ومباشرة بين الحراس وإدارتهم مع استخدام أحدث نظم الإنذار والمراقبة مثل العيون التليفزيونية والأشعة غير المرئية والموجات فوق الصوتية .

٢ ـ وضع نظام دقيق للتحكم والسيطرة على الدخول إلى المنشئات والخروج منها .

٣ ـ اتخاذ إجراءات الوقاية من الحريق وإطفائها بأحدث الوسائل وأسرعها .

٤ ـ اتخاذ إجراءات الأمن الصناعى ووضع قواعد الأمان الكافية التى تحقق سلامة الأفراد والمعدات ووقايتهم من الحوادث .

٥ ـ اتخاذ تدابير « أمن المعلومات » التى تستهدف منع تسرب أية معلومات عن المنشئات والمعدات، لأنه من المسلم به أن أية عمليات تستهدف تخريبها أو إلحاق الضرر بها لا يمكن أن تتم إلا بناء على معلومات دقيقة يتم الحصول عليها مسبقا .

● ولابد من التنويه بأن مما يساعد على إنجاح إجراءات تأمين المنشئات والمعدات أن تعنى الإدارة « بغرس وعى الأمن » لدى جميع العاملين وحثهم على « التعاون الإيجابى » معها وسرعة الإبلاغ عن أى بادرة خطر يهدد المنشأة .

(١٨) الحديث : رواه البخارى .
(١٩) الحديث : رواه مسلم .
(٢٠) الحديث : رواه الخمسة .
(٢١) الحديث : رواه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما .
(٢٢) الآية الكريمة : ٧١ من سورة النساء .
(٢٣) الآية الكريمة : ١٠٢ من سورة النساء .

الفتاوى

إعداد : أحمد السيد تقى الدين

السماح بالنظر إلى المرأة قبل الخطبة

● س : ماهى الحكمة فى ان ينظر الخاطب إلى من يريد الزواج بها ، وما الذى يباح رؤيته منها ؟ وهل يباح لها ان تنظر إلى من يريد خطبتها ام لا ؟

عبدالرءوف محمد ـ الشرقية

جـ : يباح شرعا للخاطب أن ينظر من مخطوبته أو إلى من يريد الزواج بها إلى الوجه والكفين مع حضور ذى محرم منها ، لأن ذلك مما يجعل الحياة الزوجية محفوفة بالسعادة ، محوطة بالمسرة والهناء ، أما الوجه : فإنه يستدل بالنظر إليه على الجمال أو الدمامة ، وأما الكفان : فلأنه يستدل بهما على خصوبة البدن أو هزاله ، وهذا النظر ندب إليه الشرع ورغب فيه ، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها مايدعوه إلى نكاحها فليفعل ، قال جابر : فخطبت امرأة من بنى سلمة ، فكنت أختبىء لها حتى رأيت منها بعض مادعانى إليها » رواه أبو داود . وعن المغيرة بن شعبة : « انه خطب امرأة فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنظرت إليها ؟ قال : لا ، قال: انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » أى أجدر أن يدوم الوفاق بينكما ، رواه النسائى وابن ماجه والترمذى وحسنه .

وأما بقية الصفات الخلقية فتعرف بالوصف والاستيصاف والتحرى ، أو بواسطة بعض أفراد ممن هم موضع ثقة من الأقرباء كالأم والأخت والعمة والخالة ، وقد بعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أم سليم إلى امرأة فقال : « انظرى إلى عرقوبيها وشمى معاطفها » أى ناصية العنق ، وفى رواية : « شمى عوارضها » أى الأسنان فى عرض الفم والمراد به اختبار رائحة الفم . رواه أحمد والحاكم والطبرانى والبيهقى .

وللمرأة أيضا أن تنظر إلى خاطبها فإنه يعجبها منه مثل ما يعجبه منها ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لاتزوجوا بناتكم من الرجل الدميم فإنه يعجبهن منهم مايعجبهم منهن » .

الفتـــــــــــاوى

الدين وليس المؤهل الجامعى

● س : انا فتاة حاصلة على شهادة الليسانس ، تقدم لخطبتى شاب مستقيم ذو خلق ودين وفى نفس مستوانا الاجتماعى فضلا عن ادبه الجم ولكنه لايحمل شهادة عليا وإن كان على جانب لاباس به من الثقافة الإسلامية وقد رفضه والدى بحجة انه لايحمل شهادة جامعية مثلى ، فماذا افعل ؟ هل ارفضه لمجرد انه لايحمل شهادة ام اعارض والدى واوافق عليه ؟ وهل الشهادة العليا هى الميزان الذى يوزن به الرجال ؟

ع . ا . م الاسكندرية

جـ : روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لاتنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن : قالوا : يارسول الله وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت » لقد أعطى الإسلام للمرأة حرية الاختيار فيمن ترغب الزواج منه فلا يجوز أن ترغم على الزواج بغير إذنها ، ولايتم العقد إلا بموافقتها ورضاها مادامت تحسن الاختيار ، روى أحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن جارية أتت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكرت أن أباها زوجها،وهى كارهة،فخيرها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يجوز للأب أن يجبر ابنته على الزواج عند الكراهة ، بل لابد من أخذ رأيها أو العمل على إقناعها مع مراعاة الكفاءة ، وإذا كان اختيار الزوجة الصالحة مطلوبا بالنسبة لمن يريد الزواج ، فإن اختيار الزوج الصالح لمن يراد الزواج منها أشد طلبا ، روى الترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » وعلى والد هذه الفتاة أن يوافق على خطبة ذلك الشاب المتدين لابنته مادام المستوى الاجتماعى على حد سواء ولا يجعل عدم حصوله على الشهادة العليا حائلا دون تحقيق رغبتها وخاصة أن الشاب على خلق ، ولهذه الفتاة أن تستعين ببعض العقلاء من أقاربها لمحاولة إقناع والدها بالموافقة على ذلك الشاب ليكون زوجا لها .

مواريث

س : ١ ـ توفى رجل عن زوجته وابنتيه وابنه .

٢ ـ ثم توفيت إحدى البنتين عن زوجها وابنتيها وامها واخيها الشقيق واختها من ابيها .

٣ ـ ثم توفيت إحدى البنتين فى المسالة الثانية عن والدها وشقيقتها وجدتها لأمها وخالها الشقيق وخالتها لأبيها .

٤ ـ ثم توفيت البنت الثانية فى المسالة الثانية عن والدها وجدتها لامها وخالها الشقيق وخالتها لابيها .

محمد عبد الحميد ـ المنصورة

ج : ١ ـ لزوجة المتوفى الأول من تركته الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث والباقى لأولاده تعصيبا للذكر مثل حظ الأنثيين .

٢ ـ ولزوج المتوفاة الثانية من تركتها الربع فرضا ولأمها السدس فرضا لوجود الفرع الوارث ولبنتيها الثلثان فرضا بالسوية بينهما وقد دخل فى المسألة العول ، فأصلها من اثنى عشر وتعول

إلى ثلاثة عشر تنقسم إليها تركة هذه المتوفاة ، للزوج منها ثلاثة أسهم ، وللأم سهمان ، وللبنتين ثمانية الأسهم ولا شيء للأخ الشقيق ولا للأخت لأب .

٣ ـ ولجدة المتوفاة الثالثة لأمها من تركتها السدس فرضا والباقي لوالدها تعصيبا ولا شيء لأختها الشقيقة ولا لخالها الشقيق ولا لخالتها لأبيها .

٤ ـ ولجدة المتوفاة الرابعة لأمها من تركتها السدس فرضا والباقي لوالدها تعصيبا ولا شيء لخالها الشقيق ولا لخالتها لأبيها .

وهذا إذا لم يكن لأحد من المتوفين وارث آخر . والله أعلم .

زكاة

س : شخص له رصيد من المال تجب فيه الزكاة ، ويقوم بالمعاونة في الإنفاق على اسرة والده بمبلغ من المال شهرياً نظراً لوفاة والده ، وطلب السائل الإفادة عما إذا كان يمكن إدخال هذا المبلغ تحت بند الزكاة ، فهل يمكن إعطاؤها ايضاً لابنه البالغ وهو فقير ولا يوجد لديه مورد رزق ؟

ج : حددت الآية الكريمة مصارف الزكاة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

كما نص الفقهاء على أن المزكى لا يدفع زكاته إلى أصله وإن علا أو إلى فرعه وإن سفل أو إلى زوجته لأن المنافع بينهم متصلة فلا يحق التمليك على الكمال ويجوز له أن يدفع زكاته إلى من سوى هؤلاء من القرابة كالإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات الفقراء ويستحب ألا يخصهم وحدهم بها وإنما يضم إليهم فقراء آخرين .

وعلى هذا التفصيل فإذا كانت الأسرة التى يعنيها السائل في سؤاله هى أصله وإن علا أو فرعه وإن سفل أو زوجه فلا يجوز أن يحسب ما أعطاهم إياه على سبيل المعاونة من الزكاة كما لايجوز أن يعطيهم من مال الزكاة شيئاً لما سبق بيانه ـ أما إذا كانوا غير هؤلاء من الأقارب وكانوا فقراء فإنه يجوز له أن يعطيهم من زكاة ماله ويستحب أن يضم إليهم فقراء آخرين

من أتى ساحرا فقد كفر

س : ما حكم الإسلام فيمن يلجأ إلى السحر لإيذاء الآخرين ؟

« عبد اللطيف الشفيع ـ سوهاج »

ج : السحر هو تسخير الجان للإضرار بخلق من مخلوقات الله تعالى والسحر محرم ولا يجوز فعله لما فيه من الإضرار بالغير ولما فيه من التلفظ بألفاظ محرمة تخرج الإنسان عن الإيمان ، ولذلك كانت عقوبته القتل .

وكان ابن مسعود يردد ويقول « من أتى ساحرا أو كاهنا أو عرافا فصدقه ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

شاطئ الإيمان

للشاعرة : جليلة رضا

اجل هو الله اهواه واهواه ... أنّى اسير فإن القلب مأواه

عانيت فيه رغابا جاوزت املى ... لا المجد يبلغها قدرا ولا الجاه

فاسدل ستارك يادهرى على بصرى ... واهبط بليلك واستجمع خفاياه

وانت ياساعد الإعصار ، ياغضبا ... فى هوة اليأس كم القى ضحاياه

صوب سهامك نحو القلب فى شطط ... ومزق اليوم فى عنف بقاياه

هيهات للقلب ان يخشاك قاتله ... وان يئن ، وان يفضى بشكواه

من اين ينفذ سهم فى جوانحه ... وهو المليء بنور الله مولاه

الشمس تسطع فى جنبيه ضاحكة ... والعطر يقطر مسكا من زواياه

اليوم ياقلب لا انواء ترهبنى ... ولا رياح ولا بحر وامواه

إنى على شاطئ الإيمان آمنة ... معى المنجى معى الحامى ، معى الله

يا نفس خافي الله

للشاعر : أبي نواس

يانفس خافي الله واتئدى ... واسعى لنفسك سعى مجتهد
من كان جمع المال همته ... لم يخلُ من غم ومن كمد
ياطالب الدنيا ليجمعها ... جمحت بك الآمال فاقتصد
لو لم تكن لله متهما ... لم تمس محتاجا إلى أحد
فاقصد فلست بمدرك أملا ... إلا بعون الواحد الصمد
والقصد احسن ما عملت به ... فاسلك سبيل الخير واجتهد
والحرص يفقر اهله حسدا ... والرزق اقصى غاية الحسد

• • •

سبحان علام الغيوب ... عجبا لتصريف الخطوب
تعدو على قطف النفوس ... وتجتنى ثمر القلوب
يانفس توبى قبل أن ... لا تستطيعى أن تتوبى
واستغفرى لذنوبك الرحمن ... غفار الذنوب
إن الحوادث كالرياح عليك ... دائمة الهبوب
والموت شرع واحد ... والخلق مختلفو الضروب

شعر
السَّفَّاح التَّغلبى

جمع وتحقيق الأستاذ
أيمن محمد ميدان

ترجمته :

هو سَلَمَة بن خالد بن كعب بن زهير بن تَيْم بن اسامة بن مالك بن بكر بن حَبَيْب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب(١) : لقب بالسفاح يوم الكلاب الأول لأنه « سفح ماء أصحابه وقال : لاماء لكم دون الكُلاب »(٢) وذكر محمد بن حبيب أنه كان مصاباً بالبرص(٣) .

والسفاح التغلبى واحد من أقدم شعراء العربية وفرسانها حيث ارتبط ذكره بأقدم الأحداث التى شهدتها شبه جزيرة العرب ، وعمِّر إلى أن « عاش إلى عهد امرىء القيس ، ولما ثارت الحرب بين بنى الحارث الكندى أعمام امرىء القيس كان هو من رؤسائها .. وقيل : إن السفاح قتل فى آخر يوم الكلاب نحو سنة ٥٥٥م »(٤) .

وقد كان فارساً ذائع الصيت ، سامق المكانة ، اختاره كليب لقيادة مقدمته يوم خزازى ، وأمره أن يعلو قمة جبل خزازى فيوقد بها النار ليهتدى الجيش بناره . وقال له : إن غشيك العدو فأوقد نارين وعندما علم سلمة استنفر قبائل مذحج ، وقدم بها صوب خزازى مهاجماً إياه ليلاً ، فأوقد السفاح نارين ، فباغتهم كليب بجموع ربيعة وانهزمت جموع اليمن .

وشارك السفاح أيضاً فى وقعات الكلاب والأقطانتين(٥) « وذكر ابن قتيبة : « إن السفاح كان يخطب فى حرب بكر وتغلب »(٦) .

(١) الكامل فى التاريخ « دار صادر » ٥٢١/١ .
(٢) المحبر ص ٣٠٠ وبدائع البداية ص ١٧٥ .
(٣) المحبر ص ٣٠٠ .
(٤) شعراء النصرانية ١٨٣/١ .
(٥) معجم البلدان ٣٣٨/١ .
(٦) شعراء النصرانية ١٨٣/١ .

(١)

قال السفاح التغلبى : **ـ الوافر ـ**

وليلةَ بِتُ أُوقِدُ فى خَـزازى
هـديتُ كتـائبـاً متحـيراتِ(٧)
ضللن من السُّهـادِ وكن لولا
سهاد القوم أحسب هادياتِ(٨)
فكن مع الصباح عـلى جذام
ولخم بـالسيـوف مشهـراتِ(٩)

(٢)

قال السفاح التغلبى :* **ـ المتقارب ـ**

وردنـا الكُـلابَ عـلى قـومنـا
بأحسن وِرْدٍ لِهَيّجا شعارا(١٠)

◆

□□ قالها يوم خزازى ، مظهراً الدور البطولى الذى قام به السفاح التغلبى ، والنهاية الأليمة لجموع مذحج . وكان كليب قد قلده قيادة مقدمته ، وأمره أن يوقد على خزازى ليهتدوا بناره . وقال له : إن غشيك العدو فارفع نارين ، وبلغ مذحج اجتماع ربيعة ومسيرها فاقبلوا بجموعهم .. وهاجمت خزازى ، فأشعل السفاح نارين ، فأقبل كليب واقتتلوا قتالا شديداً ، وانهزمت جموع مذحج .

(٧) خزاز وخزازى : كلاهما جبل كانت العرب توقد عليه غداة الغارة وخزاز ومتالع وكير أجبال ثلاثة بطخفة ما بين البصرة إلى مكة ، فمتالع عن يمين الطريق الذاهب إلى مكة . وكير عن شماله . وخزاز بنحر الطريق إلا أنها لا يمر الناس عليها . وبخزازى كانت للعرب وقعة شهيرة . وهديت : أرشدت والكتائب : واحدها كتيبة ، والكتيبة : هى الجماعة المستخيرة من الخيل أى فى حيز على حدة ، وقيل الكتيبة : جماعة الخيل إذا أغارت من المائة إلى الألف والكتيبة : الجيش . ومتحيرات : لم تهتد إلى سبيلها .

ورد البيت بروايته السابقة فى : كتاب بكر وتغلب ٢٤ ، ونقائض جرير والفرزدق ص ١٠٩٥ ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ٥٢١/١ .

(٨) ضللن : تهن أو أخطأن الطريق . والسهاد : نقيض الرقاد ، قال الجوهرى : السهاد الأرق ، والسهد : بضم السين والهاء : القليل من النوم . ورد البيت بروايته السابقة فى : نقائض جرير والفرزدق ص ١٠٩٥ ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ٥٢١/١ . وبرواية ثانية فى كتاب بكر وتغلب ص ٢٤ :

ـــــــ وهن لولا ـــــــ أمست ـــــــ

وبرواية ثالثة فى : شعراء النصرانية ١٨٢/١

ظللن ـــــــ ـــــــ

(٩) جذام : قبيلة من اليمن تنزل بجبال حِسْمَى وتزعم نساب مُضَر أنهم من مَعَدّ ؛ قال الكميت يذكر انتقالهم إلى اليمن :

نـعـاء جـذامـاً غـيـر مـوت ولا قتـل
ولكـن فـراقـا للـدعـائـم والأصـل

وقال ابن سيده : جذام حى من اليمن ، قيل هم من ولد أسد بن خذيمة ، وكانوا أكثر الناس إبلاً . ولخم : حى من جذام . قال ابن سيده : لخم حى من اليمن ومنهم كانت ملوك العرب فى الجاهلية ، وهم آل عمرو بن عدى بن نصر اللخمى ، وقال أبو منصور : ملوك لخم كانوا نزلوا الحيرة وهم آل منذر . ومشهرات : مسلولات .

ورد البيت بروايته السابقة فى « شعراء النصرانية » ١٨٢/١ ، وبرواية ثانية فى كتاب بكر وتغلب ص ٢٤ :

فملن ـــــــ ـــــــ

* شرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤٣٣

(١٠) وردنا : أشرفنا على ماء الكُلاب ، ورد ماء كذا وبلد كذا إذا أشرف عليه ، دخله أو لم يدخله . والكُلاب : ماء بين الكوفة والبصرة على بضع عشرة ليلة من اليمامة . الهيجاء : بالمد والقصر الحرب لأنها موطن غضب ، فآثر السفاح أن يأتى بها مقصورة ؛ ليستقيم وزن البيت . والشعار : العلامة فى الحرب وغيرها ، وشعار العساكر أن يسموا لها علامة ينصبونها ليعرف بها الرجل رفقته .

ورد البيت بروايته السابقة فى : شرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤٣٣ ، « ونقائض جرير والفرزدق » ص ٤٥٧ .

شعر السفاح التغلبى

وقد جمعوا جمعَهم كلَّه
وجمع الرّبابِ لنا مُسْتعارا(١١)

(٣)

قال السفاح التغلبى :* ـ الكامل ـ

أبنى أبى سعد وأنتم إخوة
وعتاب بعد اليوم شىء أفقمُ(١٢)

هلا بخيركم كففتم شركم
عنى ولم يهتك لكم بى محرم(١٣)

هلا خشيتم أن أصادف مثلها
منكم فتترككم كمن لا يعلم(١٤)

ملؤا من الأقطانتين رَكِيّةً
منا وأبوا سالمين وغُنّمُوا(١٥)

قتلوا تَعَنِّيَةً بِظَنَّةِ واحد
تلك المعطر من أسِرَّتها الدم(١٦)

فيدى لكم رَهْنٌ بيوم مُفسِد
وبوقعة فيها عقاب صَيْلَم(١٧)

---

(١١) الرباب : قال أبو عبيد سموا ربابا لأنهم جاءوا برب فأكلوا منه وغمسوا فيه أيديهم وتحالفوا عليه ، وهم تيم وعدى وعُكْل . وأما أبو عبيدة : فإنه قال:سموا بذلك لترابهم أى تعاهدهم . وقال الأصمعى : سموا بذلك لأنهم أدخلوا أيديهم فى رُبٍّ وتعاقدوا وتحالفوا عليه . وقال ثعلب : سموا ربابا بكسر الراء ؛ لأنهم تربَّبوا أى تجمعوا ربة ربة وهم خمس قبائل تجمعوا فصاروا يداً واحدة : ضبة وثور وعكل وتيم وعدى . ويضيف ابن منظور رأيا لا يتفق وما ذهب إليه العلماء فيقول : والرباب أحياء ضبة سموا بذلك لتفرقهم ؛ لأن الربة : الفرقة .

ورد البيت بروايته السابقة فى : شرح المفضليات لابن الأنبارى ٤٣٣ ونقائض جرير والفرزدق ٤٥٧ .

* نقائض جرير والأخطل ص ٤٣ .

قال السفاح هذه الأبيات بعد أن علم بقذف الزبان لجيف ـ خمسين بيتا من تغلب فى ركية يقال لها الأقطانتين ، ثأراً لابن عمرو وإخوته الذين قتلهم كثيف بن زهير التغلبى بلطمة لطمه إياها عمرو بن الزبان بن مجالد الذهلى .

(١٢) العتاب : اللوم ، وأفقم : أى متفاقم ، وأشار أبو تمام إلى رواية ثانية للبيت وهى « وبعد القتل أمر أفقم » . وورد البيت برواية ثالثة فى « أمثال العرب » للمفضل الضبى ص ٧٦ .

بنى ــــــــــــ ــــــــــــ

(١٤) ورد البيت بروايته السابقة فى : نقائض جرير والأخطل ص ٤٣ . وبرواية ثانية فى : أمثال العرب للضبى ص ٧٦ وشعراء النصرانية ١/١٨٢ :

ــــــ يصادف ــــــ ــــــ فيترككم ــــــ

(١٥) الأقطانتين : موضع معروف بناحية الرقة فيه قتل الزبان الذهلى خمسة وأربعين بيتا من بنى تغلب بابنه عمرو بن زبان . وقد أخطأ البكرى فى لفظه إذ كتبه « الأقطانيون » . وكذا ابن الأنبارى إذ كتبه « الأقطاءتين » وعلق قائلاً : يوم الأقطاءتين وهو يوم الدهيم يوم قتل بنو الزبان : وهم سبعة ، وجعلت رءوسهم على ناقة يقال لها الدهيم فتشاءموا بها ، فصارت مثلاً .. وكانوا يأتون كل ليلة ببيض فلما قتلهم بنو تغلب حملوا رءوسهم عليها ثم أقبلت مع الليل : فقال أبوهم الزبان بن الحارث بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة : أظن بنى أصابوا بيضا . فقال لغلامه : انظر فإذا الرءوس . فقال : « آخر البَزِّ على القلوص » .

ورد البيت بروايته السابقة فى : نقائض جرير والأخطل ص ٤٣ ، وأمثال العرب للضبى ٧٦ ، وشعراء النصرانية ١/١٨٢ ـ ١٨٣ .

(١٦) قتلوا تعنية : أى قسراً وقهراً . والظنة : التهمة . والأسرة : واحدها سرير وهو المضجع ، وقيل : مستقر الرأس ، والعنق . ورد البيت بروايته السابقة فى : نقائض جرير والأخطل ص ٤٣ .

(١٧) الرهن : قال ابن سيده : الرهن ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه . والجمع رُهون ورهان ورُهُن . والعقاب الصيلم : الشديد المستأصل . ورد البيت بروايته السابقة فى : نقائض جرير والأخطل ص ٤٣ .

تخريج المقطعة :

الأبيات كلها وردت فى « نقائض جرير والأخطل » ص ٤٣ . والأبيات ١ ، ٣ ، ٤ وردت فى « أمثال العرب » للمفضل الضبى ص ٧٦ ، وشعراء النصرانية ١/١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٤)

قال السفاح التغلبي :* - البسيط -

هلّا سألتَ وريب الدهرِ ذو غِيَرٍ
أنْ كيف صفقتنا ذهل بن شيبانا(١٨)

صدّوا عن الماءِ ما يسقون ذا كَلَمٍ
ونحن نسقي على الأحْساءِ كَلْمانا(١٩)

فى كل حى من الحيين أبهة
ونحن أكثر مغبوطاً وجذلانا(٢٠)

أما بنو الحِصْنِ إذ شالتْ نعامتُهم
فيخرج المرءُ من ثوبيه عُرْيانا(٢١)

أما الربابُ فولونا ظهورَهم
وأجزرونا أبا سلمى وسفيانا(٢٢)

* شرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤٣٣ قال هذه الأبيات يوم الكُلاب الأول ، يذكر ما آلت إليه الأمور من هزيمة ساحقة منى بها شرحبيل الملك وأتباعه من بنى بكر : ذهل بن شيبان وبنى الحصن : ثعلبة بن عكابة والرباب .

(١٨) ريب الدهر : صروفه وحوادثه ، وذو غير : أى صروفه دائمة الذهاب والحلول . والصعقة : الغشية ؛ والصاعقة : الموت ، وقال آخرون : كل عذاب مهلك صاعقة ، وقيل : الصاعقة العذاب . وذهل هو ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة حى من بكر بن وائل .

ورد البيت بروايته السابقة فى : «شرح المفضليات» لابن الأنبارى ٤٣٣، وبرواية ثانية فى «نقائض جرير والفرزدق» ص ٤٥٧ .

ــــــ ذو غير ــــــ صعقتنا ــــــ

(١٩) صدوا : امتنعوا . وذا كلم : الجريح . والكَلْمَى : مفردها كليم وهو الجريح ، فعيل بمعنى مفعول . والأحساء : مفردها الحسى وقال ابن الأعرابى : هو الرمل المتراكم أسفله جبل صلد فإذا مطر الرمل نشف ماء المطر ، فإذا انتهى إلى الجبل الذى أسفله أمسك الماء ، فإذا اشتد الحر نُبثَ وجه الرمل عن ذلك الماء فنبع باردا عذبا ؛ وقال الأزهرى : وقد رأيت بالبادية أحساء كثيرة على هذه الصفة . ورد البيت بروايته السابقة فقط فى شرح المفضليات ص ٤٣٣ .

(٢٠) مغبوط : مسرور ، والغبطة : حسن الحال ، والغبطة : المسرة والجذلان : المنتصب الرأس فرحا . ورد البيت بروايته السابقة فقط فى شرح المفضليات ص ٤٣٣ .

(٢١) بنو الحصن : أبناء ثعلبة بن عكابة وهم «شيبان وذهل وقيس والحارث ، ودخل بنوه فى بنى أنمار بن دب بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، وأمهم رقاش وهى البرشاء بنت الحارث بن العتيك بن غنم بن تغلب ، وتيم الله بن ثعلبة ، وأمه الجذماء وهى أسماء بنت جل بن عدى بن عبد مناة بن أدبن طابخة بن إلياس بن مضر ، سميتا بذلك لأنهما كانتا ضرتين ، فقعدتا تصطليان ، فتشاجرتا ، فنضحت أسماء على وجه رقاش الجمر ، فتبرش وجهها ؛ فسميت البرشاء . فضربتها رقاش فقطعت يدها ، فسميت الجذماء ، جمهرة أنساب العرب ص ٣١٤ .

وشالت نعامتهم : خفت منازلهم منهم ويقال للقوم : إذا خفوا ومضوا : شالت نعامتهم . وشالت نعامتهم : إذا تفرقت كلمتهم . وشالت نعامتهم إذا ذهب عزهم . يقال : شالت نعامتهم : إذا ماتوا وتفرقوا ولم يبق منهم إلا بقية . والنعامة : الجماعة .

ورد البيت بروايته السابقة فى : شرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤٣٣ ، ونقائض جرير والفرزدق ص ٤٥٧ .

(٢٢) الرباب : قال أبو عبيد سموا ربابا لأنهم جاءوا برب فأكلوا منه وغمسوا فيه أيديهم وتحالفوا عليه وهم تيم وعدى وعكل . وأما أبو عبيدة فإن قال : سموا بذلك لترابهم أى تعاهدهم . قال الأصمعى : سموا بذلك لأنهم أدخلوا أيديهم فى رب وتعاقدوا وتحالفوا عليه . وقال ثعلب سموا ربابا بكسر الراء ؛ لأنهم تربوا أى تجمعوا ربة ربة وهم خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدا واحدة : ضبة وثور وعكل وتيم وعدى . ويضيف ابن منظور تفسيرا لا يتفق وما التقى حوله العلماء فيقول : والرباب : أحياء ضبة سموا بذلك لتفرقهم ؛ لأن الربة : الفرقة .

ولى : أدبر . والظهور : واحدها ظهر ، والظهر من كل شيء خلاف البطن ، والظهر من الإنسان من لدن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز عند آخره . أجزرونا : وهبونا أبا سلمى وسفيان لنقطعهما قطعا قطعا . أبو سلمى : من بنى رياح أحد بنى هرمى بن رياح وسفيان : هو ابن حارثة بن سليط بن يربوع .

ورد البيت بروايته السابقة فى شرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤٣٣ ، و«نقائض جرير والفرزدق» ص ٤٥٧ .

□ □ نقائض جرير والأخطل ص ٤٤ .

قال هذه الأبيات فى شأن بنى الزبان الذين قتلهم كثيف بن زهير التغلبى بلطمة لطمة إياها عمرو بن الزبان .. موجها الحديث لعمرو بن لأى التميمى .

(٥)

قال السفاح التغلبي : ـ الوافر ـ

الا مـن مبلـغ عمـروَ بن لأيٍ
بـأن بيـان غِلْمَتهم لـدينـا(٢٣)

فلـم نقتلـهـمُ بـدمٍ ولكـن
للـؤمـهـم وهـونـهـم علينـا(٢٤)

فـإنـى لـن يفـارقَنـى نُبـالٌ
يـرى التَّعْداءَ والتقـريبَ دينا(٢٥)

جلبنـا الخيـلَ من حلفـاء قَـرْن
ونـوردهـا لظـاهـرة حنينـا(٢٦)

فلمـا أن أتينـا عـلى تُمَيْـل
تـأزَّرْنَ المجاسِـدَ وارتـدينـا(٢٧)

(٦)

قال السفاح التغلبي : ـ السريع ـ

إن الكُـلابَ مـاؤنـا فَخَلُّـوه
وساجراً واللهِ لن تحلوه

---

(٢٣) البيان : ما بين به الشيء من الدلالة وغيرها . وغلمة : واحدها غلام : قال ابن سيده : الغلام الطار الشارب ، وقيل : من حين يولد إلى أن يشيب والجمع : اغلمة وغلمة وغلمان .

ورد البيت بروايته السابقة فى : نقائض جرير والأخطل ص ٤٤ وبرواية ثانية فى «أمثال العرب» للمفضل الضبى ص ٧٦ .

ـــــــ فإن ـــــــ

وبرواية ثالثة فى «شعراء النصرانية » ١٨٣/١ :

ـــــــ فإن ـــــــ فتيتهم ـــــــ

(٢٤) نقتلهم بدم : نقتلهم بثار . واللؤم : ضد العتق والكرم ، واللئيم: الدنىء الأصل الشحيح النفس . والهون : الذل والضعف والاستخفاف من الحضارة . ورد البيت بروايته السابقة فى : نقائض جرير والأخطل ٤٤ و«أمثال العرب» للمفضل الضبى ص ٧٦ ، وشعراء النصرانية ١٨٣/١ .

(٢٥) التعداء : ارتفاع الفرس فى عدوه . والتقريب : قال الأصمعى : إذا رفع الفرس يديه معاً ووضعهما معاً فذلك التقريب ، وقال أبو زيد : إذا رجم الأرض رجما فهو التقريب .

ورد البيت بروايته السابقة فى : نقائض جرير والأخطل ص.٤٤ وعلق أبو تمام بقوله «نبال : فرسه» . وبرواية ثانية فى امثال العرب للمفضل الضبى ص ٧٦ ، وشعراء النصرانية ١٨٣/١ :

وإنى ـــــــ بُناك ـــــــ

وكلاهما تصحيف ، والصحيح ما أورده ابن الكلبى فى « انساب الخيل » ص ٨٧ ـ ٨٨ حيث يقول عند الحديث عن خيول تغلب: «ومنها النباك فرس خالد بن الشماخ بن خالد التغلبى ، وله يقول :

فـإنـى لـن يفـارقنـى نبـاك
يـرى التقـريـب والتـعـداء دينـا

وفى التاج مادة (ن ب ك) رواية رابعة ، فيقول :

ونباك كغراب فرس السفاح بن خالد وفيه يقول :

فـإن لـن يفـارقنـى نبـاك
يخـال الشـد والتقـريـب دينـا

والشد : الحُضْر والعدو ، والحُضْر : ارتفاع الفرس فى عدوه .

(٢٦) جلبنا : سقنا الإبل والخيل ، والجلب : سَوْقُ الشيء من موضع إلى آخر . والحلفاء : نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل والخوص ينبت فى مغايض الماء والنزوز . وقرن : اسم موضع ....

وأيضاً جبل معروف .. وأنا أرجح أن تكون حلفاء قرن مكانا تجلب منه الخيول الكريمة . ورد البيت بروايته السابقة فى : نقائض جرير والأخطل ص ٤٤ .

(٢٧) تميل : قبيلة . تأزرن : تلحفن . والمجاسد : واحدها مِجْسَد ، والمجسد : الثوب الذى يلى جسد المرأة . ورد البيت بروايته السابقة فى «نقائض جرير والأخطل» ص ٤٤ .

□□ قال السفاح هذا البيت عندما أشرف على ماء الكُلاب وهو يقود قومه بنى تغلب . والكُلاب : ماء بين الكوفة والبصرة على بضعة عشر يوما من اليمامة فيه كان يوم الكُلاب الأول والثانى، وإنما سمى الكُلاب لمالقوا فيه من الشر.وساجر : اسم موضع . ولن تحلوه : لن تقيموا فيه .

ورد البيت السابق فى : شرح المفضليات لابن الأنبارى ٤٣٠ ، ونقائض جرير والفرزدق ص ٤٥٤ ، والأغانى (التقدم) ٦١/١١ ، وشعراء النصرانية ١٨٢/١ .

مشيخة علماء أسيوط . بقية .

والقليلون من مديرية جرجا ، وقد عقد امتحان القبول بمنزل فضيلة المرحوم الشيخ محمد شريت شيخ المعهد ، فنجح من المتقدمين ١٥٤ طالبا ، ومنهم تكونت النواة التى شيد من فوقها هذا الصرح العتيد .

وفى شهر المحرم ١٣٣٤ هـ - أكتوبر ١٩١٥ م اتخذ المعهد مسجد اليوسفى مستقرا للدراسة ، وقسم الطلاب إلى خمسة فصول بعدد المدرسين ، وكان أكثر الطلاب على المذهب الحنفى ، وأقلهم على مذهب الشافعى ، والباقون على مذهب مالك ، ولم يلتحق أحد بمذهب ابن حنبل .

وأقبل الطلاب والأساتذة على دروسهم بشغف ولذة ، وسرور عظيم ، وهم ينتظرون اليوم الذى تقام فيه حفلة افتتاح المعهد ، بصفة رسمية وتطلع الطلاب الصغار إلى هذا اليوم الذى يمتعون فيه أنظارهم برؤية شيخ الإسلام والكبراء والعلماء .

وفى يوم ١٥ نوفمبر ١٩١٥ كان يوما مشهودا زخرت فيه أسيوط بالقادمين من رجالات مصر وأعيان الصعيد وتجمعت جموع الشعب فى مسجد اليوسفى وفيما حواليه . وخطب الناس يومئذ خطباء كثيرون على رأسهم شيخ الإسلام الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر والمرحوم الشيخ محمد شريت والشيخ سليمان العبد والشيخ على قراعة . كما حضر من كبار العلماء العدد الكبير . وسارت الدراسة من بعد سيرا جميلا موفقا .

الأوقاف والتبرعات على معهد اسيوط

والذى لا ريب فيه أن كثيراً من طلاب المعهد من بيئات فقيرة وهؤلاء فى أشد حاجة إلى العون والمساعدة ليستطيعوا الاستمرار فى طلب العلم الدينى .

لهذا فكر القائمون بشئون المعهد فى ضرورة السعى للحصول على وقفيات وتبرعات من ذوى الثروة واليسار . ليكون منها المدد الذى يستعين به الفقراء من الطلاب .

فتألفت لهذا الغرض لجنة على رأسها المرحوم الشيخ شريت . ومن أعضائها المرحوم محمود بك خشبة . وأحمد مختار حجازى بك (وكيل المديرية وقتئذ) وطافت البلاد تحث الأغنياء على التبرع ومساعدة المعهد وقد كتب الله لها التوفيق فى مهمتها . ولم يخلف المحسنون الظن فيهم . وكان الذين وفقهم الله . وكتب لهم الخلود . هم هؤلاء الذين نطالعك بأسمائهم . وبما أوقفوه أو تبرعوا به :

فدان	جنيه فى العام	
١٠		المرحوم محمود بك خشبه
١٠		أحمد باشا جاد الرب
١٠		المرحوم مصطفى بك عمرو
١٠		المرحوم الشيخ أحمد بدير
١٠		حفنى باشا الطرزى
٥		الأستاذ محمود بك بسيونى
٥		المرحوم يونس أفندى سلامة
٢		الشيخ سيد على معوض
	٦٠	همام بك حسين
	٥٠	سيد باشا خشبه
	٥٠	الست نفوسه الطرزى
	٦	المرحوم سعد أفندى مجمد
٦٢ فدانا	١٦٦ جنيها	

وهذه حركة مباركة ، لو أنها استمرت لأتت بوقف كبير ، ولكنها وقفت عند هذا الحد ، وجزى الله المحسنين خيراً .

يتبع

من أعلام الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور محمود بن الشريف

انتقل إلى جوار ربه راضيا مرضيا صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور / محمود بن الشريف بعد حياة مباركة طيبة حافلة بالعطاء .

مولده : ولد فى ٢٢ مايو ١٩٢٢ م بمحافظة الاسكندرية من أسرة كريمة والده الشيخ محمد الشريف من كبار علماء الأزهر ـ وصهر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق .

حياته : حفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة من حياته . تخرج فى جامعة الأزهر ونال الشهادة العالية من كلية اللغة العربية عام ١٩٤٥ م ثم نال شهادة تخصص التدريس من كلية اللغة العربية ١٩٤٧ م .

منحته جامعة الأزهر معادلة درجة الماجستير من كلية أصول الدين عام ١٩٦٥ تقديراً لكتبه الإسلامية التى أصدرها .

ثم نال الشهادة العالمية « الدكتوراة » من كلية أصول الدين سنة ١٩٦٩ م فى التفسير وعلوم

بقلم :
صفوت جودة أحمد

القرآن عن رسالته « الاديان فى القرآن » وحصل على تقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى .

ـ تولى التدريس فى جميع مراحل التعليم الابتدائى والاعدادى والثانوى والتعليم . كما تولى تدريس اللغة العربية فى التعليم الأجنبى بمدارس الليسيه فرانسيه بالقاهرة .

ـ عين عضواً فنياً بإدارة حماية الشباب بوزارة التربية والتعليم .

ـ ثم عين "سكرتير" تحرير جريدة الطلبة العرب بوزارة التربية المركزية .

ـ ثم عين مراقبا مساعدا بمراقبة الكتاب بوزارة التعليم العالى .

ـ ثم عين أستاذاً للغة العربية والأدب العربى بالمعهد العالى للاقتصاد المنزلى .

- عمل استاذاً فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية - جامعة الأزهر - بالقاهرة .
- وبعد سن المعاش عمل استاذاً متفرغا بقسم الدراسات العليا بنفس الكلية إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى .
- قام بتدريس الثقافة الإسلامية والعربية معاراً من جامعة الأزهر إلى جامعة الملك عبد العزيز بالسعودية - جامعة أم درمان بالسودان - جامعة قطر - جامعة صنعاء باليمن .

- القى العديد من المحاضرات فى رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .
- مثل جامعة الأزهر فى مؤتمر المنظمات الإسلامية الذى اقامته رابطة العالم الإسلامى بمكة سنة ١٣٩٤ م .

- رشحته جامعة الأزهر عام ١٩٨٤ م لنيل جائزة الملك فيصل العالمية فى الدراسات الإسلامية .

- قام بزيارة عديد من المراكز الإسلامية فى اسبانيا ، وواشنطن ، ونيويورك ، ونيوجرسى .
- كما أسهم فى الندوات الرمضانية بدعوة من دولة الإمارات العربية المتحدة .

- له إسهاماته فى أحاديث التليفزيون الدينية ، وفى الأحاديث الإذاعية بالكويت وصوت الإسلام بالسعودية ، وأحاديث دينية تذاع حالياً فى برامج : أحاديث الصباح ، ورأى الدين ، ومقدمة التلاوة التى تذاع بالبرنامج العام بالإذاعة المصرية .

أشرف وناقش العديد من رسائل الماجستير والدكتوراة بجامعة الأزهر .

الأستاذ الدكتور
محمود بن الشريف

- وكان آخر ما كتبه فضيلة الأستاذ الدكتور / محمود بن الشريف مقالا تحت عنوان « النور المحمدى » نشر فى مجلة التصوف الإسلامى قبل وفاته بيوم واحد .

اهم مؤلفاته : له مؤلفاته العديدة فى المكتبة القرآنية والإسلامية والأدبية .

- **فى تفسير القرآن الكريم :**

١ - إطلالة على سورة يس .
٢ - المؤمنون آيات وأحاديث .
٣ - مع فتوحات سورة الفتح .
٤ - أضواء على سورة الفرقان .
٥ - تفسير القرآن الكريم - لم يطبع بعد .

- **فى الدراسات القرآنية :**

١ - الأمثال فى القرآن .
٢ - الدعاء فى القرآن .

البقية ص ٦٩٢

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

« قـالـوا .... »

● قد أمن الحرمان ؛ من سأل الرحمن .

● اطلب وجه الله فى كل ما أنت صانع وإلا فعملك كله ضائع .

● أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب فى مودة من لا ينفعه ، وقبل مدح من لا يعرفه .

● رب صدقة من بين فَكَّيك ؛ خير من صدقة من بين كفيك .

● استهينوا بالموت ؛ فإن مرارته فى خوفه .

● من شكرك فيما لم تفعله . فاحذر أن يذمك فيما تفعله .

● عمل فيه رياء ، ليس عليه ضياء .

« نحن بنو الأرض »

قيل للإمام جعفر الصادق - رضى الله عنه : ما بالُ الناس ، فى الغلاء يزداد جوعهم بخلاف العادة فى الرخص ... !!

فقال : لأنهم خلقوا من الأرض - وهم بنوها - فإذا اقحطت اقحطوا ، وإذا اخصبت اخصبوا .

« تهـديـد بالدعـاء »

أخذ لرجل من العرب مال ، فكتب إلى آخذه : ياهذا ؛ إن الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب ، فإما رددته ، وإما عرضت اسمك على الله - تعالى - كل يوم وليلة خمس مرات .

« تجـارة العطـر »

قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : لو كنت تاجراً ما اخترت غير العطر ؛ إن فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه .

« كناية .. وتعريض »

مرض زياد ، فدخل عليه شُرَيح القاضى يعوده فلما خرج بعث إليه مسروق بن الأجدع يسأله كيف تركت الأمير ؟ .

قال : تركته يأمر وينهى .

فقال مسروق : إن شريحا صاحب تعريض فاسألوه فسألوه ، قال : تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء .

« حياء المعتذر »

سأل رجل ابن العلاء حاجة فوعده بها ، ثم تعذرت عليه ، فلقيه الرجل ، وقال : وعدتنى وعدا فلم تُنْجِزْه .. !!

فقال ابن العلاء : فمن أولى بالغم ، أنا أو أنت ؟

قال له الرجل : أنا .

فقال ابن العلاء : بل أنا أولى بالغم ؛ لأنى وعدتك ، فَأُبْتَ أنت بفرح الوعد ، وأبتُ أنا بهم الإنجاز ؛ ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة ، فلقيتنى مدلا ؛ ولقيتك محتشما ، فصرتُ أولى منك بالغم .

« همة عظيمة »

عكف أحد أولاد الملوك على الحياة فى المقابر ، فلما سُئِل : ألك همة .. ؟

قال : همتى عظيمة .

قيل : ماهى ... ؟

قال : حياة لا موت معها ، وشباب لا هرم بعده ، وغنى بلا فقر ، وصحة بغير سقم ، وسرور لا يشوبه كدر .

« عجبت »

ولقد عجبت من الزمان وفعله
فى حط ذى شرف ورفعة أرذل
كطبيعة الميزان فى أفعاله
يضع الرواجح والنواقص تعتلى

« ثلاث من كن فيه كن عليه »

● البغى

قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم ﴾ .

● والمكر

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ .

● والنكث

قال الله عز وجل : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ .

« خير الأمور »

● لا خير فى القول إلا مع العمل .
● ولا خير فى المال إلا مع الجود .
● ولا خير فى الصدق إلا مع الوفاء .
● ولا خير فى الفقه إلا مع الورع .
● ولا خير فى الصدقة إلا مع حسن النية .
● ولا خير فى الحياة إلا مع الصحة .

« دعاء »

اللهم ياهادى المضلين ، وياراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين .

نسألك أن تلحقنا بعبادك الصالحين .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

القرآن وقواعد النحو

لفضيلة الشيخ : محمد محمد المدني

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

القرآن رسالة . فمن شاء ان يفهمه على هذا النهج فقد وقف بنفسه على مواطن العظمة ، ومواطن الإعجاز في كتابنا العزيز . وعلى من شاء ان يعرف اثره في اللغة العربية فليطالع ذلك الأثر في حياة المسلمين عقيدة وسلوكاً ، يرى ذلك واضحاً جلياً ، ولكن قد تقصر الأفهام عن المراد من آية . فيظن ظان انها جاءت على غير ما تعارف عليه لغوياً .

وقد يكل البصر ان يمتد إلى إعجاز نحوى جاء في ثنايا آية فيرى كتابنا الكريم قد تجاوز النحو ، وإنما هذا قصور الإنسان ، وكتاب الله تعالى اعلى واجل .. إنه كتاب الله .. وما كان من عند الله فمحال ان يناله تجاوز او خطأ او مجافاة للذوق النحوى ، قال الأستاذ ـ رحمه الله ـ :

قرأت في جريدة البلاغ كلمة في مقال للدكتور زكى مبارك ، يذكر فيها ان القرآن الكريم ربما تخطى قواعد النحو لغرض موسيقي ، ومثل لذلك بقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [1] ، والشاهد في قوله : « وأكن » بالجزم مع أنه معطوف على منصوب هو قوله : « فأصدق » ، كما مثل بقوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [2] حيث كان

(١) المنافقون الآية ١٠ .

(٢) الفجر الآيات من ١ ـ ٤ .

القياس أن تكون « والليل إذا يسرى » بإثبات الياء .

وهذا الموضوع : موضوع الزعم بأن القرآن قد يتخطى القواعد النحوية ليس بالجديد ، فكثيراً ما نجد بعض المفسرين يخوض فيه مقرراً ما يراه إثباتاً أو نفياً ، وقد مر بى قريباً الاشتغال بذلك حينما كنت مكلفاً بالنظر فى كتاب « الفرقان » الذى صودر ، وقد جاء صاحبه بكثير من الآيات التى زعم أن فيها مخالفة للقواعد فى معرض الإزراء بالقراءات ، أو التهجين لما فعله الأصحاب فى رسم المصحف ، والحمد لله الذى وفق لإظهار شأن هذا الكتاب ، وضعف ما جاء به ، حتى حكم مجلس الدولة برفض طلب التعويض ، وإلغاء المصادرة ، بعد دفاع طويل ومذكرات مختلفة . وقد تحدثت عن هذا الموضوع من قبل فلا أعود إليه . وإنما أريد أن أقول : إن مثل من يقرر أن القرآن قد تخطى قواعد النحو كمثل من يقرر أنه تخطى قواعد الأصول ، وكلاهما مخطىء ، لأن الأصولى حين يقرر قاعدة ، فإنما يقررها بعد تتبع ما يدل عليها من كتاب الله وسنة رسوله ، وما يقضى به الفهم فيها ، فإما أن يكون تتبعه صحيحاً كاملاً فلا نجد خلافاً بين القاعدة التى قررها ، وأية ما من الكتاب الكريم ، وإما أن يكون تتبعه ناقصاً فنجد خلافاً بين القاعدة وبعض ما جاء فى القرآن ، وحينئذ لا يقال إن القرآن خرج على قواعد الأصول ، ولكن يقال إن هذه القواعد قصرت فى التتبع أو قصر أصحابها ، وكان عليهم أن يكونوا أدق فى وضع القاعدة .

وربما كان الأمر بالنسبة للقواعد النحوية أوضح ، فإن النحو هو القواعد المستنبطة من كلام العرب للأحوال الإعرابية والبنائية التى يكون عليها الكلام ، ولا شك أن القرآن الكريم هو أول حجة فى جواز شىء أو عدم جوازه ، وإذا كان بعض القواعد النحوية ليس له شاهد إلا كلمة أو بيت من الشعر نطق به أعرابى ، فما بالك بشىء يجىء به القرآن الكريم .

واذكر على سبيل الاستطراف ما قراته قديماً فى بعض كتب الأدب من أن الفرزدق كان يمزح مع عبد الله بن اسحق النحوى - فيما أظن - فقال له :

ولو كان عبد الله مولى هجوته
ولكن عبد الله مولى مواليا

فقال له عبد الله : لقد أخطأت فأصلح خطأك . إنما هى « مولى موالٍ » لا « مولى مواليا » فأجابه الفرزدق على الفور : إن علىَّ أن أقول ، وإن عليك أن تضع القاعدة .

يشير بذلك إلى أن الشاعر المحتج بقوله يقول ما شاء على فطرته وسجيته ، ولا يعد قوله خطأ ولا لحنا ، ولو خالف قاعدة مشهورة عند النحاة .

ولذلك يقتصد بعد المتحدثين فى هذا فيقولون : جاء كذا على الكثير ، وخالف كذا القاعدة المشهورة ، إلى غير ذلك من العبارات التى لا يفهم منها التخطئة من قريب أو من بعيد .

بعد هذا ننظر فى الآيتين اللتين استشهد بهما الدكتور زكى مبارك لنعلم هل خالفتنا القواعد حقا ؟

قال الطبرسى فى تفسير مجمع البيان ، وهو بصدد الكلام عن قوله تعالى : ﴿ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ قرأ ابو عمرو : وأكونَ ، بالنصب ، والباقون : وأكن ، بالجزم .. والحجة - اى حجة القراءتين - أن من قرأ وأكُنْ عطفه على موضع قوله (فأصدق)، لأنه فى موضع فعل مجزوم ، الا ترى انك إذا قلت : أخِّرْنى أَصَّدَّقْ ، كان جزما بأنه جواب الجزاء ، وقد أغنى السؤال عن ذكر الشرط ، والتقدير : أخرنى فإنك أن تؤخرنى أصدق ، فلما كان الفعل

من روائع الملغى

﴿ القرآن وقواعد النحو

المنتصب بعد الفاء فى موضع فعل مجزوم بأنه جواب الشرط ، حُمِل قوله « واكن » عليه ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ ﴾ لما كان فلا هادى له فى موضع فعل مجزوم ، حمل « ويذرهم » عليه ... ومثل ذلك قول الشاعر :

أيّاً سلكت فإننى لك كاشح
وعلى انتقاصك فى الحياة وأزدد

حُمل « وأزدد » على موضع الفاء وما بعدها ، وأما قول أبى عمرو « وأكون » فإنما حمله على اللفظ دون الموضع ، وكان الحمل على اللفظ أولى لظهوره فى اللفظ وقربه .

فمن هذا الذى ذكره الطبرسى فى توجيه قراءة الجزم يتبين أن لا خطأ ولا تخطى وأزيد ما ذكره إيضاحا فى ناحية ما يشير إليه بقوله إن « اكن » فى موضع الجزم فأقول : إن إيراد ما قبل هذه الجملة يعين على فهم المراد ، فالله تعالى يقول فى سورة المنافقين :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ.وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ.وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٣) .

فهذه الآيات تتحدث عن شأن الإنفاق والتصدق وما يجب على المؤمنين فيه ، مقابلة بذلك ما جاء قبلها فى قوله تعالى عن المنافقين : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ فهى تبنى الصلاح وعدمه فى هذا المقام على التصدق والبذل ، والضن والبخل ، فمن تصدق وبذل فهو الصالح ، ومن بخل وأبى فهو المنافق الخادع ، فإذا قال امرؤ حين يأتيه الموت « رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » كان المعنى الذى يوحى به السياق ، والذى يأتى فى ذهن قائل هذا الكلام : وإن أصدق اكن من الصالحين ، وتقدير الكلام بحسب ترتيب المعنى المفهوم من جو الآيات : أخرنى فإنك إن أخرتنى سأتصدق ، وإن أتصدق أكن من الصالحين ، فالمراد الربط بين الصدقة والكون من الصالحين ، وليس المراد حصول الصدقة والكون من الصالحين بعد التأخير وإنما يقال ذلك فى قراءة « وأكون » .

اما قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ فيقول فيه الطبرسى أيضاً :

« قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائى « والليل إذا يسرى » بإثبات الياء فى الوصل وحذفها فى الوقف ، وقرأ ابن كثير ويعقوب بإثبات الياء فى الوصل والوقف ، والباقون بالحذف فيهما .

ثم وجَّه هذه القراءات ، فذكر أن قراءة حذف الياء ترجع إلى قاعدة ذكرها سيبويه من أن ما لايحذف فى الكلام وما يختار فيه الا بحذف نحو القاضى بالألف واللام ؛ يحذف إذا كان فى قافية أو فاصلة ، قال سيبويه : والفاصلة نحو « الليل إذا يسر » و« يوم التناد » و« الكبير المتعال » ، فإذا كان شىء من ذلك فى كلام تام شبه بالفاصلة ، فحسن حذفها ، نحو قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ .

بهذا يتبين أن القاعدة لا تضيق عن حذف الياء كما زعم من زعم ، والله المستعان .

(٣) المنافقون الآيات من ٩ ـ ١١ .

العلوم الكونية

التوجيه الإسلامي

الجديد في العلم

تأخر الحمل

التوجيه الإسلامى للعلوم

ضرورة حضارية

٢

أ.د. أحمد فؤاد باشا

تحدثنا فى المقال السابق عن أهمية التوجيه الإسلامى للعلوم بعامة ، والعلوم الكونية بخاصة ، من أجل أن يستعيد العلم طبيعته الحقة بوصفه بحثا موضوعيا عن الحقيقة الخالصة أينما وجدت ، والإفادة منها فيما يعمر الحياة وينفع الناس ويعمق الإيمان بالله سبحانه وتعالى على هدى وبصيرة . وتوقف بنا الحديث عند سؤال محدد هو : كيف يمكن توجيه العلوم المختلفة توجيها إسلاميا فى إطار نظام تعليمى متكامل وقادر على تحقيق غايات وأهداف التربية الإسلامية الرشيدة ؟ والإجابة على هذا السؤال تتطلب الإلمام الواعى بعدة قضايا هامة سوف نعرض لها تباعاً دون إسهاب .

أولاً : مظاهر الاهتمام العالمى بقضايا التربية والتعليم :

إن نظرة عابرة إلى ما يجرى فى أماكن عدة من العالم تبين لنا مدى الاهتمام المتمحور حول إعادة تقويم العملية التعليمية من مختلف جوانبها بعد أن أصبحت عاجزة عن الوفاء بالآمال المعقودة عليها فى التوفيق بين مواكبة ركب التقدم العلمى والتقنى من جهة ، وبين المحافظة على إنسانية الإنسان وقيمه من جهة أخرى . وعندما تخضع العملية التعليمية ، حتى فى أكثر الدول تقدما ، للفحص والمراجعة بصورة مستمرة ، فإن ذلك يكون بغرض الكشف عن مواطن القوة للاستزادة منها ، والتعرف على مواطن الضعف للتخلص منها ، والوقوف على المستوى الحقيقى لكفاية

الأداء والقدرة على بلوغ الأهداف مع الحفاظ على الجمع بين تحديث الثقافة الذاتية وتأصيلها فى نفوس النشء . ويكفى أن نسوق المثال على ذلك بما جاء فى التقرير النهائى للجنة تقييم مؤسسات التعليم النظامى فى الولايات المتحدة الأمريكية من أنه : « لو قامت (قوة معادية) بفرض أداء تعليمى قليل الجودة على الشعب الأمريكى لاعتبر ذلك مدعاة للحرب ، ولكن ذلك يحدث الآن من خلالنا نحن الذين سمحنا به . لقد بددنا هذراً المكاسب التى حصلنا عليها فى رفع مستوى التحصيل التعليمى لطلابنا بعد التحدى الذى واجهناه بإطلاق القمر الصناعى (سبوتنيك)(*) إن هذا التدنى فى قبول تلك المستويات من التعليم عمل بلا تفكير وعملية نزع لسلاح التعليم »[1] .

وعندما يقترح « هتشنجر » Hichinger ، أحد أعلام التربية الأمريكيين ، تصوراً لإصلاح التعليم يقضى باعتبار المدرسة الثانوية المخطط لها بعناية فائقة فى أوروبا مثالاً يجب أن يحتذى فى أمريكا ، فإنه يواجه باعتراضات شديدة على أساس أن مثل هذا التصور لا يلبى حاجات طلاب التعليم العام فى أمريكا من الأقليات التى تنتمى إلى أصول ثقافية مختلفة ، ولهذا فهو لا يخدم مواقع العمل فى الثقافة الأمريكية المعاصرة التى تتسم بالتقدم العلمى والتقنى ، فضلا عن أنه يعكس ظلال الثقافة الغربية بوجه عام ويحرم الأمريكيين من التعرف على ثقافات الأمم التى تؤدى فيها أمريكا دوراً ما ، قل أو كبر[2] . ومن أبرز مظاهر الاهتمام العالمى بالتأصيل للعلم والتقنية كجزء لا يتجزأ من عملية التأصيل المتصلة بإصلاح مسار العلم والتعليم تلك الدعوة المعلنة حاليا لإحياء تراث المبرزين من رجال العلم والتقنية أمثال نيوتن فى انجلترا ، وجاليليو فى إيطاليا ، وجاوس فى ألمانيا ، ولابلاس فى فرنسا ، وغيرهم[3] .

واقع التربية والتعليم فى الأمة الإسلامية :

وإذا ما أجلنا النظر الآن لاستعراض واقع التعليم العام فى الأمة العربية والإسلامية فإن النشرات الإحصائية توضح لنا أن جهدا ملحوظاً يبذل فى تعميم التعليم وتوسيع رقعة انتشاره ، لكن الدراسات التحليلية والتقويمية تؤكد لنا ـ مع الواقع الملموس ـ أن هذا التطور الكمى لا يواكبه تطور نوعى يفى باحتياجات الأمة ويقيلها من عثرتها ، وأن الفجوة واسعة بين الهدف والتطبيق[4] . وتعزى الدراسات العالمية

(*) أطلق الاتحاد السوفيتى قمره الصناعى (سبوتنيك) عام ١٩٥٧ م إيذاناً ببدء عهد جديد فى أبحاث الفضاء الكونى . وقد شكل هذا الإنجاز العلمى والتقنى فى حينه تحدياً كبيراً للولايات المتحدة الأمريكية التى واجهته بإنشاء وكالة الفضاء الأمريكية وتحديد هدف لها يتمثل فى إنزال إنسان على سطح القمر بنهاية/عقد الستينيات ، الأمر الذى تحقق بالفعل فى رحلة « أبوللو » عام ١٩٦٩ م .

(١) د . يوسف عبد المعطي ، أمة معرضة للخطر ، مكتب التربية العربى لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٤ ، عن د . محمد احمد الرشيد ، التربية ومستقبل الأمة العربية ، عالم الفكر ، مجلد ١٩ ، ع ٢ ، الكويت ١٩٨٨ .

(٢) د . أحمد المهدى عبد الحليم ، نحو اتجاهات حديثة فى سياسة التعليم العام وبرامجه ومناهجه ، عالم الفكر ، المجلد ١٩ ، ع ٢ ، الكويت ١٩٨٨ ، ص ص ١٧ ـ ٤٦ .

(٣) Im pact of science on society, unesco, no.160 (1990)

(٤) ـ مكتب اليونسكو الإقليمى للتربية فى البلاد العربية ، التربية الجديدة ، العددان ٤٠ ، ٤١ (١٩٨٧) .

ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، استراتيجية تطوير التربية العربية ، ١٩٧٩ .

التوجيــه الاســـلامى

المقارنة هذا العجز الذى يصيب نظام التربية والتعليم فى دول العالم الثالث عموما إلى أن كثيرا من الدول النامية قد غدت معرضا عالميا كبيرا لأشتات من النماذج والفلسفات التعليمية الوافدة من كل أنحاء العالم الصناعى ، وأنها تحاول تطبيقها كما هى ، أو مرتدية شعارات التجديد والتطوير فى بيئة تختلف عن بيئاتها الأصلية(٥)

إن منهج التأصيل الواعى للثقافة والعلوم يكاد يكون غائبا فى أغلب مجتمعات العالم الإسلامى ، حتى وإن كان هدفا ينص عليه فى « الاستراتيجيات » وفى توصيات النـدوات والمؤتمرات . وكيف يمكن الاتفاق على منهج محدد الخطوات والغايات فى وسط ثقافى وفكرى باهت الهوية لا يزال بحاجة إلى اسم ونسب ؟!!

إن الحوار والجدل العقيم لايزالا دائرين فى سبيل إقرار أبسط مبادىء التفكير العلمى السليم الذى يدفع بالأمة نحو التقدم والرقى ، بينما نجد التقدم نفسه عند الآخرين يركب الآن صاروخا ومكوك فضاء ، ويسافر نحو الشمس والقمر والكواكب البعيدة ..!!

من هنا يبدأ التوجيه الإسلامى للعلوم :

يتضح لنا مما سبق أنه إذا ما أردنا الاستفادة من تجارب المجتمعات المتقدمة فى اعتبار التعليم العام أداة لتأكيد الثقافة الذاتية وتجديدها ، يكون علينا أن نعول على ثقافتنا الإسلامية وليس على ثقافة الغير ، وأن ننطلق من التصورات والمعتقدات والقيم التى يؤمن بها أبناء أمتنا الإسلامية لتكون زادهم الحقيقى فى العمل والكفاح من أجل حياة أفضل . ويقينى أن هذا هو ما يجب أن يمثل حجر الزاوية فى فكر الصحوة الإسلامية المعاصرة التى تؤمن بدور العلم فى صنع التقدم ، وتدعو إلى الأخذ به بنية ومنهجا ، على أن يبدأ الإصلاح بإعادة نظر شاملة وفورية فى جميع المناهج الدراسية لتنقيتها من أى مفاهيم غير إسلامية وإعادة صياغتها بعد تحديد أهدافها ومحتواها وأساليب تدريسها وتعلمها وعملية تقويمها فى ضوء التصور الإسلامى المستند إلى كتاب الله الكريم وسنة نبيه الأمين . إن المنهج الإسلامى قد احتضن حضارة المسلمين الأولى ، ولا يزال قادرا على ابتعاث حضارة جديدة إذا ما أدركنا الحاجة الماسة إلى إحياء تراثنا الإسلامى وتنقيته وتوسيع دائرته وترشيد العقول المفكرة به فى إطار الإلمـام الواعى بحقـائق الواقـع المعاش ، وباحتياجات الأمة وآمالها ، وباتجاهات الفكر العالمى وفلسفاته دونما أدنى إنبهار بأية نماذج غربية أو شرقية . وعندئذ فقط سوف ينكسر حاجز الجمود فيما يمكن أن يسمى بنظام التعليم السلمى ، وتزول حالة التشاؤم من ثقافة مستسلمة ، وتنقل الأمة إلى وضع جديد يحدوها الأمل والتفاؤل بنهضة حضارية جديدة ، تحقق إرادة الله فى ترقية الحياة على الأرض ، وترسى قواعد المنهج الإلهى الذى يتناسق مع الناموس الكونى العام .

ولايزال للحديث بقية فى العدد القادم بإذن الله .

---

(٥) كومز ، فيليب ، ترجمة حربى ، محمد خيرى وآخرين ، ازمة العالم فى التعليم من منظور الثمانينيات ، الرياض ، دار المريخ ١٩٨٧ ، عن د . احمد المهدى عبد الحليم ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .

الجديد في العلم والتقنية

إعداد
د. نجوى السيد أحمد

استخدام المطاط لمقاومة أخطار الزلازل

أعلنت رابطة بحوث منتجى المطاط الماليزية عن نجاحها فى إنتاج أعمدة من المطاط الطبيعى ترتكز عليها المبانى أثناء إقامتها وذلك لامتصاص الصدمات الأرضية الناتجة عن الزلازل وبالتالى توفير الحماية للمبنى .. وقد فاز هذا التصميم بجائزة الاستحقاق من معهد المطاط والبلاستيك البريطانى باعتباره من أكثر التصميمات نجاحا لمواجهة الهزات الأرضية .

جهاز جديد لتنقية الهواء

أنتجت إحدى الشركات العالمية جهازا الكترونيا متطورا وصغير الحجم لتنقية الهواء فى المنزل والمكتب بطريقة طبيعية . يصدر الجهاز تريليونات من الأيونات المشحونة السالبة التى تعمل كأنها مغناطيس يجذب إليها ذرات الرمل الدقيقة والدخان والغبار . حجم الجهاز ١,٥ × ٣ بوصة ومزود بمؤشر ضوئى يمكن تثبيته مباشرة بدون سلك فى فيشة الكهرباء . قال العلماء إن جهازا واحدا يكفى لتنقية هواء حجرة .

القمامة لانتاج الطاقة

أعلنت إحدى الشركات البريطانية للكهرباء بالتعاون مع شركة ستيج الألمانية عن نجاحها فى توليد الطاقة من مشروعات القمامة فى بريطانيا . وقال المتحدث باسم الشركة البريطانية أن البريطانيين ينتجون حوالى ٥٠ مليون طن من القمامة الصلبة كل عام وهو ما يمكن تحويله إلى طاقة تعادل ١٣ مليون طن من الفحم أى ما يكفى لاحتياجات مدينة كبيرة .

الكاتبة باحثة بالمركز القومى للبحوث

الجـديد فـى العلـم والتقنيـة

علاج الأسنان بأشعة الليزر

صممت شركة امريكية آلة جديدة تستخدم فى علاج الأسنان بدون ألم عن طريق بث نبضات الليزر لمدة واحد على عشرة آلاف من الثانية فتزيل الأنسجة المسوسة بسرعة أكبر من السرعة التى تنتقل بها الإشارات العصبية من الأسنان لمراكز الإحساس بالمخ .

سيارة إطفاء من البلاستيك

تمكنت إحدى الشركات الأمريكية من إنتاج سيارة لإطفاء الحرائق فى المناطق النائية والجبلية التى يصعب وصول سيارات الإطفاء العادية إليها . وتمتاز السيارة الجديدة بأنها خفيفة الوزن وقوية لمقاومة المخاطر التى تواجهها فى المناطق الجبلية ، بالإضافة إلى أنها صغيرة الحجم ويمكنها الوصول إلى أصعب المناطق وأضيقها مساحة فهى أخف من السيارات المستخدمة بحوالى طنين نظـرا لاستخدام الألومنيوم والبلاستيك المقوى غير القـابل للاحتراق فى صناعة أجزاء كبيرة منها ، وهى مزودة بكل ما تحتاج إليه سيارة الإطفاء المعتادة وخاصة تلك التى يحتاج إليها رجل الإطفاء فى المناطق المعزولة .

آلة تصوير فائقة السرعة

صمم الباحثون فى معامل باتلى الألكترونية نظاما الكترونيا كاملا يمكنه التصوير بسرعات عالية جداً تصل إلى عدة أضعاف سرعةَ آلات التصوير التقليدية . يعتمد النظام الجديد على آلة تصوير فيديو تصل سرعتها إلى ١٢ الف إطار فى الثانية الواحدة مما يعنى إمكانية تجميد أى صورة مهما كانت سرعة أحداثها ، مثل انفجار بالون أو انفجار طلق نارى . وتختزن ذاكرة الحاسب الآلى ٤٠٩٦ صورة متتابعة حيث يمكن أن يعاد عرضها ثانية بأى ترتيب أو ترسل إلى التخزين الالكترونى وبذلك يحقق النظام الجديد السرعة العالية جدا ، وقلة التكاليف بشكل ملموس .

أحدث طريقة لعلاج انسداد الشرايين

نجحت مستشفى جامعة « جراتس » بالنمسا فى استخدام طريقة جديدة لعلاج انسداد الشرايين فى الأطراف عن طريق إدخال مجس فى الأوعية الدموية المسدودة ، حيث ينطلق من المجس شعاع الليزر الذى يؤدى إلى زيادة الحرارة داخل هذه الأوعية ويترتب عليه تبخر الانسداد ثبت نجاح هذه التجربة بنسبة ٨٠٪ بعد أن تم تجربتها على ٣٠٠ مريض خلال الأربع سنوات الأخيرة .

من فوائد الألياف النباتية

تشير الأبحاث الطبية إلى أن الألياف النباتية تلعب دوراً هاما فى الوقاية من أمراض القلب حيث إنها تساعد على تخفيض نسبة الكولسترول والدهون الضارة فى الدم ، كما تساعد مرضى السكر على تنظيم عملية امتصاص المواد السكرية فى الأمعاء مما يؤدى إلى تقليل احتياجات مريض السكر إلى تعاطى الأدوية . وقد أثبتت الأبحاث الطبية أن الألياف النباتية

تقوم بالحماية من الإصابة بمرض القولون عن طريق احتجاز المواد السامة التى تؤدى إلى مثل هذه الإصابة وتقصير مدة احتكاك هذه المواد بالقولون . ومن ناحية أخرى قد تساعد الألياف النباتية على تخفيف الوزن لأنها تزيد من جحم الغذاء دون زيادة السعرات الحرارية الأمر الذى يساعد على الشعور بالشبع .

زراعة الأنسجة تقنية جديدة لانتاج القطن

اكتشف علماء البيولوجيا بجامعة « تكساس » طريقة جديدة لاستنبات ألياف القطن فى المعمل عن طريق زراعة خلايا مفردة لنبات القطن فى أنابيب تحتوى على بيئة مغذية مكونة من أملاح معدنية وسكر وهرمونات نباتية ، وفى خلال مدة تتراوح بين ٣ ـ ٥ أسابيع تمتلىء الأنبوبة التى زرعت فيها الخلايا بألياف مبتلة من القطن . والآن يجرى التجارب لإنتاج ألياف القطن ذات المواصفاتالخاصة حسب الطّلب من حيث الطول والقوة عن طريق تغير بعض مكونات البيئة المغذية مما يؤدى إلى تغير فى صفات ألياف القطن الناتجة من زراعة الأنسجة بالمعمل .

فقه الأصول والفروع ـ بقية ـ

وفى قواعد ابن رجب كثير مما يشتغل بالنظر فيه رجال الفقه القانونى ، والفقه الدستورى .

ومن هذا قوله فى القاعدة الحادية والستين : (المتصرف تصرفا عاما على الناس كلهم .. وهو الإمام .. هل يكون تصرفه عليهم بطريق الوكالة لهم ؟ أو بطريق الولاية عليهم ... ؟ فى ذلك وجهان . وخرج الآمدى[١٥] روايتين بناء على أن خطأه[١٦] : هل هو على عاقلته[١٧] ؟ أو فى بيت المال ؟ .

لأنا إن جعلناه على عاقلته فهو متصرف بنفسه .. وإن جعلناه فى بيت المال فهو متصرف بوكالته : لهم ـ أى للناس ـ وعليهم . فلا يضمن لهم ، ولا يُهْدَرُ خطؤه ، فيجب فى بيت المال .

واختيار القاضى[١٨] أنه متصرف بالوكالة لعمومهم[١٩]) .

والمعنى أن الإمام وكيل عن الأمة وبيعته إنما تمثل عقد وكالة ..

والله ولى التوفيق

(١٥) سيف الدين أبو الحسن على بن أبى على بن محمد الآمدى ـ صاحب كتاب : (الإحكام فى أصول الأحكام) .

(١٦) أى خطأ الإمام .

(١٧) أى ضامن يقع الضمان على عاقلته .

(١٨) القاضى أبو يعلى محمد بن أبى الحسين الفراء الحنبلى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ .

(١٩) بالوكالة عمن بايعه ومن لم يبايعه .

تأخر الحَمْل والعقم

د. أحمد رجاء عبد الحميد

يعتبر العقم إحدى المشكلات الصحية الهامة فى العالم الإسلامى ، وقد حث الدين الإسلامى الحنيف على الزواج وتكوين الأسرة لعمارة الكون ، اورد ذلك القرآن الكريم والحديث الشريف ، ويوجد نوعان من العقم :

الأول : يظهر إذا مر عام كامل-او اكثر-من الزواج مع وجود جماع منتظم ، وبدون استخدام اية طريقة لمنع الحمل ، ثم لا يحدث حمل .

الثانى : العقم الثانوى : ويبدو إذا مر عامان كاملان او اكثر على عدم الحمل ، مع وجود جماع منتظم ، وبدون استخدام اية طريقة لمنع الحمل ، ولم يحدث حمل ، وذلك بعد آخر ولادة .

وفى اعتقادى إن إطلاق لفظ «العقم» على كل الحالات تسمية تعوزها الدقة ، ولفظ «تأخر الحمل» هو التسمية الصحيحة إلا فى حالة وجود سبب دائم لعدم الإنجاب فيطلق على هذه الحالة لفظ «عقم» .

وأسباب تأخر الحمل كثيرة ومختلفة ، منها : ما هو بسيط مثل الجهل بوظائف الأعضاء التناسلية ، وبخاصة فترة التبويض عند المرأة ، أو غياب الزوج لعمل بعيد عن الزوجة ، وبخاصة فى فترات (التبويض) ثم أسباب أكثر صعوبة مثل ضعف التبويض أو الالتهابات بالحوض إلى أسباب يستحيل فيها العلاج مثل بعض العيوب الخِلْقِية أو عيوب فى (الكروموزومات) .

الطرق الشعبية فى علاج العقم :

يرتد العالم فى هذه الآونة ـ طلبا للشفاء ـ إلى الأعشاب والعلاج الشعبى هربا من الكيماويات والأدوية الحديثة بمضاعفاتها الجانبية .

وفى خلال ممارستى للمهنة وأبحاثى فى مجال العقم ، وصلت إلى نتيجة : أنه إذا كان العلاج الشعبى له فوائد كثيرة ، ويجب تشجيع الناس عليه فى الأمراض المختلفة إلا أنه فى حالة العقم لا يمكننى أن أشجع أو أحبذ استعماله ، ودعونا نستعرض بعض الأمثلة :

فى أثناء إجراء بحثى عن الطرق الشعبية لعلاج العقم فى الريف المصرى وجدنا طرقا كثيرة قمنا بتقسيمها طلبا لاستيعابها وتصنيفها بسهولة ـ إلى :

١ ـ وسائل عن طريق المهبل .

٢ ـ وسائل سطحية «عن طريق الفم أو الاستحمام» .

٣ ـ وسائل تعتمد على الدجل والسحر والغيبيات .

أما الوسائل التى تعتمد على الدجل والسحر والغيبيات فكثيرة ومتعددة تتراوح ما بين أحجبة وتمائم ، وزيارة قبور بعض المشايخ مثل (الشيخ أبو السعود) فى مصر القديمة ، إلى (عمل زار)[١] ، وزيارة بعض الأحجار والاستحمام عليها منها «حجر بمدينة ههيا»[٢] ، و(فك عملات)[٣] ونزول المقبرة لقلب جمجمة متوفى وواضح طبعا أن هذه الطرق لا فائدة منها ، وهذا ينطبق أيضاً على طريقة الاستحمام بطلع النخل «أجنة النخل» أو براعم الزهور وبخاصة زهور البرتقال .

كذلك يوجد أسوأ ما يمكن تخيله وهو الاستحمام بـ (ليفة)[٤] استعملت فى غسل مُتوَفَّى ، وكذلك الاستحمام بالماء الناتج عن غسله ، وتخيل معى الحالة النفسية الهائلة التى تكون فيها السيدة فى هذه الأثناء .

وهناك طرق ذات تأثر سلبى كبير تستخدم بمواد مختلفة عن طريق المهبل ، وقد تعددت هذه المواد فى ضوء دراساتنا فهى : لبوس (عبارة عن قطنة ملوثة بدم فتاة بكر) ، أو دم ناتج عن عملية ختان ، أو الجلوس فوق مشيمة امرأة وضعت حديثا ، أو لبوس من لبن امرأة وضعت حديثا ، إلى استعمال غسول مهبلى ناتج عن غسل (عدة حَلَّاق) القرية ، أو لبوس (سكر نبات) أو بصلة ، أو رأس مشيمة .... أو .... الصوفة .

ولنا وقفة عند الصوفة والشائعات كثيرة عنها : هل هى طريقة للتلقيح الصناعى من غير الزوج بأن يضع الدجال سائلا منويا لرجل قادر على الإخصاب[٥] ، وفى دراستنا لم نجد هذا النوع ، ووجدنا صوفة بها حِلْبَة وملح وسكر ونوع من الأسفلت ومواد أخرى غريبة .

والمثير للاهتمام أننا وجدنا بين مستعملات هذه الوسائل نسبة كبيرة على درجة من التعليم والثقافة ، ومثلهن من ذوات المستوى المادى والاجتماعى المرتفع الذى يجعلهن يدركن مدى الضرر الذى يحيق بهن من استعمال مثل هذه الطرق .

وبفحص السيدات اللاتى استعملن وسائل داخل المهبل وجدت نسبة الالتهابات فى المهبل ، وعنق الرحم والرحم ومتعلقاته ـ عالية نسبيا عن أولئك اللاتى لم يستعملن وسائل داخل المهبل .

وهذا ما دفعنى إلى كتابة هذه السلسلة من المقالات .

وفى هذه السلسلة سوف نقوم بإذن الله بشرح تفصيلى علمى ودقيق وفى نفس الوقت مبسط للأسباب التى تؤدى إلى تأخر الحمل مع الإشارة إلى طرق علاجها ، وذلك حتى يتسنى للزوجين معرفة الطريق الصحيح للعلاج فلا يقعان ضحية للدجل أو الابتزاز وكذلك لكى لا يستهلكا وقتا طويلا فى المرور ـ إلى هدفهما ـ على قائمة طويلة بدءاً من الأطباء والمستشفيات ، ونهاية بالدجالين والمشعوذين .

وتبدأ هذه السلسلة بشرح مبسط للجهاز التناسلى للرجل والمرأة ووظائفه لدى كل منهما ثم يليها أسباب العقم فى الرجال ثم أسباب العقم فى النساء ثم طرق العلاج المختلفة .

(١) هو حفل نسوى يصحبه إيقاع طبل صاخب بشدة يزعمون أنه كفيل بطرد "العفاريت".

(٢) مدينة بالوجه البحرى .

(٣) أى فك أعمال السحر .. وكل ذلك من الأفكار الشعبية الدنيا .

(٤) أعشاب خيطية يتخذ منها حفنة تستعمل فى الدلك أثناء الاستحمام .

(٥) سبق لفضيلة الإمام الأكبر أن أفتى فى هذه الجريمة بمجلة الأزهر عدد صفر ١٤١١هـ سبتمبر ١٩٩٠م بعنوان ـ الحمل عن طريق صوفة .

من أعلام الأزهر
فضيلة الأستاذ الدكتور محمود بن الشريف بتية .

٣ ـ الحب فى القرآن .
٤ ـ الأديان فى القرآن .
٥ ـ الفرقان فى القرآن .
٦ ـ اليهود فى القرآن .
٧ ـ الشعب الملعون فى القرآن .
٨ ـ الحياة البرزخية فى القرآن .
٩ ـ القصة فى القرآن .
١٠ ـ القرآن ودنيا المرأة .
١١ ـ القرآن وحياتنا الثالثة .
١٢ ـ الصبر فى القرآن .
١٣ ـ الإمام الطبرى .
١٤ ـ الرسول ـ ﷺ ـ فى القرآن .

● **فى الدراسات النبوية :**

١ ـ من جوامع الكلم .

● **فى الدراسات الإسلامية :**

١ ـ الإسلام والحياة الجنسية .
٢ ـ الإسلام والأسرة .
٣ ـ بدر الغزوة الإسلامية الأولى .
٤ ـ فدائيات إسلامية « أسماء بنت أبى بكر ـ نسيبة بنت كعب » .

كتب محققة فى التصوف الإسلامى بالاشتراك مع فضيلة الإمام الأكبر عبد الحليم محمود :

١ ـ الرسالة القشيرية .
٢ ـ عبث المواهب العلمية .
٣ ـ عوارف المعارف .
٤ ـ شرح حكم ابن عطاء الله .
٥ ـ قرة العين .

● **فى الدراسات الأدبية والتراجم :**

١ ـ رواد خالدون .
٢ ـ خليل مطران أستاذ شوقى وحافظ .
٣ ـ خليل مطران شاعر الحرية .
٤ ـ رائد الفضاء .
٥ ـ الفقاعى .. أصغر فدائى مصرى .
٦ ـ أسلحتنا العربية قديماً وحديثاً .
٧ ـ الملخص الوافى فى النقد والأدب .
٨ ـ أدب محمود تيمور للحقيقة والتاريخ .

● **وكان آخر ما صدر لفضيلته :**

١ ـ من حديث القرآن . إلى من نزل عليه القرآن . ـ ﷺ ـ
٢ ـ من معين القرآن « صور وأقضية وقيم ومفاهيم » الجزء الأول .
٣ ـ من حصاد المكتبة القرآنية .

● **وله كتب لم تطبع منها :**

١ ـ المختصر الشريف فى علوم الحديث .
٢ ـ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .
٣ـ تحقيق كتاب الأذكياء لابن الجوزى .
٤ ـ تحقيق المخطوطة التركية : « النوادر واللطائف فى تفسير آيات القرآن التى احتوت على النكات والطرائف » .

اللغة والأدب والنقد

صدى وصية إلى حبيب

نظرات في النظرات

لحظات طيبات مع الإمام زين العابدين علي بن الحسين

صدى وصية إلى حبيب

ظهر العدد الماضى جمادى الأولى ١٤١٢هـ ، وفى صفحته رقم (٥٧٢) مقال : «فى الأدب المقارن» .

وعقب نحو أسبوع من صدور العدد تلقت إدارة التحرير بضع رسائل تختلف وجهات النظر فيها ، ونقف منها نحو اتجاهات ثلاثة كان كل اتجاه منها فى حاجة إلى حديث :

(ا) كتب الشاعر احمد مصطفى حافظ إلى الأستاذ الدكتور رئيس التحرير يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ الدكتور على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر الغراء تحية طيبة وبعد :

فقد استوقفنى بالعدد الجديد الذى صدر بالأمس النص الانجليزى المنشور به ، للشاعرة الانجليزية كريستينا روزيتى ، والترجمة النثرية البليغة التى نشرت معه .. إلا أننى تمنيت ـ فيما بينى وبين نفسى ـ على الأستاذ الفاضل ، صاحب الدراسة المقارنة ، لو أنه حاول ترجمة هذا النص شعرا ، لتصبح المقارنة أمتع بين هذا النص ، وقصيدة (إيليا أبى ماضى) المنشورة معه .. ولذا فقد أخذت على عاتقى إنجاز هذا الأمر ، بنفس الوزن والقافية التى شدا بها أبو ماضى.. لأن ترجمة النص الانجليزى ـ بصفة عامة ـ ترجمة شعرية ، كان ـ ولايزال ـ رأيى وشغفى منذ عدة سنوات ، بل إن ديوانىَّ :(ما أبقت الأيام) الذى نشره المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٨٣ و(أنداء وظلال) الذى نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ يحتوى كل منهما على قصائد لعيون الشعر العالمى ، تستغرق نصف الديوانين تقريباً .

وكم يسعدنى إهداء الترجمة الشعرية ـ الفورية لنص كريستينا روزيتى ، للأستاذ صاحب الدراسة المقارنة .. وشكراً .

ملاحظة : كلمة twilight تعنى معنى (الفجر) أو (الشفق)[١] وليس ظلمة القبر كما جاء بالترجمة النثرية و haply تعنى مصادفة أو اتفاقا .

(١) للأستاذ عبد الصبور تحفظ بالنسبة لترجمة هذه الكلمة .

وصية إلى حبيب
للشاعرة الانجليزية كريستينا روزيتى
ترجمة : أحمد مصطفى حافظ

إن اتـانى الردى .. وصرتُ دَفِينـهْ
فـدع الندب .. والأغـانى الحـزينـهْ
قُرْبَ راسى .. لا تغرس الزهر .. حسبى
سنـدسىٌّ الأعشـاب يـزجى فتـونـه
جَـادَهُ الغيثُ والندى .. بـاخضـلال
فـوق رمسى .. فصرت أنشـد لينـه
وظـلال الصبـار لسـت أبـالى
أن تـوارى .. فتـاتـك المستكينـة
وتـذكر - إذا أردت - أو اجنـح
لسلو .. يُنسى الشجىَّ .. شجونـه
فـأنا لست أدرك الظـل ولا الْغَيْـ
ـثَ .. وقـد أطبق الفؤادُ جفونـه

* * *

كـرواني .. الـذى شجـانى مليـا
فى حياتى .. ماعـدت أدرى لحونـه
ذلـك الفجـر فى ثـرى أحـلامـى
صـار لا يعرف الشعـاعُ عيـونـه !
ذكـريـاتـى قـد تستبينى اتفـاقـا
فى انفـرادى .. بـعـزلـة وسكينـة
ربمـا بـدَّدت صـداهـا الليـالى
والمنـايـا .. تُنسى الفؤاد .. حنينـه

واعتقد بعد ذلك ، أن الشقة بعيدة إلى حد ما بين هذا النص ، ونص إيليا أبو ماضى .. والمشابهة محدودة فى بعض المقاطع .

وكتب الأستاذ محمد عبد الوهاب جنيدى :

طالعنا بـاهتمام بـالغ مقـالة الأستـاذ عبد الصبور الكاشف بعدد الأزهر الغراء الصادر فى جمادى الأولى سنة ١٤١٢ هـ ، وقد ترجم فيها الأستاذ الكاشف نصا شعريا عن الانجليزية للشاعرة كريستينا روزيتى ، ونشر معه نصا آخر للشاعر المهجرى الكبير إيليا أبو ماضى ، وبعد قيامه بموازنة موجزة بين النصين انتهى إلى الرأى بأن أبا ماضى قد تأثر بالنص الانجليزى فى أبياته تأثرا يدنو من الاقتباس بعد إجراء بعض التعديل .

ونرى أن الكاتب الفاضل قد نأى عن السبيل حيث إن الشاعر إيليا أبو ماضى أعظم من أن يعمد إلى مثل ما انتهى إليه كاتبنا الفاضل وإن كانت هناك مشابهة طفيفة حول الفكرة إلا أن «البعرة هنا لا تدل على البعير» وكما نعلم جميعا فهناك ما يسمى «بتوارد الخواطر» وخاصة فى المعانى الإنسانية العامة ، وإن كان هذا التوارد غير واضح المعالم والحدود فى تلك الموازنة .

وفى رسالة الأستاذ/ محمد عبد الوهاب جنيدى نقاط :

الأولى : أن المقارنة أو الموازنة بين النصين جعلت الكاتب ينتهى إلى الرأى بأن أبا ماضى قد تأثر بالنص الانجليزى فى أبياته تأثرا يدنو من الاقتباس .

الثانية : أن الشاعر أبا ماضى أعظم من أن يعمد إلى مثل ما انتهى إليه كاتبنا الفاضل .

الثالثة : أن هناك مشابهة طفيفة حول الفكرة .

الرابعة : أن ثمة توارد خواطر ، وخاصة فى المعانى الإنسانية العامة .

صدى وصية إلى حبيب

وبعد : فإن الشعر لدى أولئك العمالقة يرتفع عن مستوى المعانى الإنسانية العامة ويفسح لنفسه النظرة فى مجال المعانى الرفيعة داخل دقائق النفس الإنسانية ، وبهذا العمق تكون له أجواؤه العليا التى لا يسمو إليها كل إنسان ، وتجعل من العمل الأدبى عملا عالميا .

على أن توارد الخواطر لا يمكن أن يكون له قوة التطابق التى تحيط بالفكرة الوجدانية ، كل هذه الإحاطة التى لا نعتبرها مجال مشابهة طفيفة ، وللأستاذ محمد عبد الوهاب رأيه الذى لا يسعنا إلا احترامه .

ثم إن كاتبنا الذى قدم الدراسة لم يجزم أبداً باتهام أبى ماضى بالأخذ عن كريستينا ، كما لا يستطيع الأستاذ محمد عبد الوهاب أن يقطع بعدم تأثر أى إنسان بما يقرأه ويعجب به ، لاسيما إن كان متسما بالروعة فى شيء يحبه ، وقديما قال عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم

ثم هذا شعر ذواقة هو الأستاذ أحمد مصطفى حافظ لم تكن له نفس الرؤية التى أبداها الأستاذ جنيدى ، ولو أنه لمح طعنا فى أبى ماضى لانبرى يدافع عنه .

وقد أتحف الأستاذ محمد عبد الوهاب جنيدى الباب بقصيدة للأستاذ محمد فضل إسماعيل ـ رحمه الله ـ نرجو أن تكون موضوع دراسة عندما تسمح الظروف .

وأخيراً أبدى البعض ملاحظة فحواها : كيف تنشر مجلة الأزهر مثل هذا ؟! ولست أرى : أكان هذا إعجابا ، أم تعجبا ، أم استنكارا ؟

نقول : هذا الباب من أبواب المجلة فتح للغة والأدب والنقد .

وللأزهر الشريف جامعة تمثل كلية اللغة العربية أحد أعمدتها،وهى معنية بدراسة الأدب المقارن . ثم نشأت بعدها بالأزهر كلية اللغات والترجمة ، وهذه المجلة تمثل الأزهر بكامل اختصاصاته : دينا ولغة وأدبا وعلما

وأخيراً كان فضيلة الإمام الأكبر السابق الدكتور محمد الفحام ـ وهو يحمل إجازة الدكتوراة من السوربون ـ يدرس مادة الأدب المقارن بكلية اللغة العربية ، وشرفنا بالتلمذة عليه فى هذه المادة عام ١٩٥٦/٥٥ ثم كان من بعده الأستاذ الدكتور غنيمى هلالى .. لذا كان الأدب المقارن أحد اهتماماتنا .

د. على أحمد الخطيب

تصويب

(أ) جاء ص (٣٩١) عدد ربيع الآخر ١٤١٢ قوله : ولا يعذب ..
والصواب : ولا يعزب

(ب) وص (٤٨٦) بعدد جمادى الأولى ١٤١٢ قوله : بايديهم نوران ..
والصواب بايمانهم نوران .
رجاء التصويب .

نظرات عصرية
في القرآن الكريم

تأليف : محمد لطفى جمعة

ونظرات فى النظرات

بقلم : السيد حسن قرون

هذا الكتاب «نظرات عصرية فى القرآن الكريم» يحتاج منا إلى دراسات والوقوف عند كل مسألة، والتأمل عند كل تشريع والإلمام بما حوى من معلومات عصرية سنشير إلى بعضها أثناء ما نعرض من مناهج الكتاب .

والمؤلف المرحوم محمد لطفى جمعة من الرواد الذين حملوا شعلة التنوير ، فهو فى القمة مع السادة النجباء :

العقاد والمازنى وحسين هيكل وزكى مبارك والجارم وغيرهم ممن يحلو الكلام بذكرهم ، والرائد المتفتح الذهن فى قضايا الدين والأدب والسياسة محمد لطفى جمعة كان من اعلام المحاماة وزعماء الوطنية ، وحسبك أن تعلم انه شارك مصطفى كامل ومحمد فريد العمل فى القضية الوطنية داخل البلاد وخارجها ، ولم يمنعه كل ذلك واكثر منه عن التفكير فى القرآن الكريم ودراسة تفاسيره والتاليف فى شرح ما له صلة بعلم العصر الحديث والكشوف العلمية التى ظهرت فيه واعتز بها من اظهروها وقدموها للناس معقولة ومحسوسة .

والكتاب من مطبوعات ١٩٩١ ولكنك تقرأ تسجيلا لتأليفه فى آخر صفحة مفه المختومة بتلك العبارة التى تحمل الدعاء وهو :

« اللهم إنا نسألك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء حزننا وذهاب همنا وغمنا ، وأن تجيرنا من الفتن المعتلة ما ظهر منها وما بطن بفضلك ياأكرم الأكرمين » .

الثلاثاء ١٠ من رجب سنة ١٣٦١ ـ الموافق ١٣ يوليو سنة ١٩٤٣ .

وقد صدر الكتاب بمقدمات أولها «تقديم بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جادالحق على جاد الحق شيخ الأزهر» .

نظـــرات فـــى النظـــرات

وهى مقدمة تحدثت عن القرآن الذى لا تفنى عجائبه والذى حوى كل شىء، ونشأت فى ظله وحوله علوم ومعارف متنوعة ، ثم أومأ إلى المؤلف محمد لطفى جمعة الذى كان من الرواد الذين تَفَيَّئُوا ظل القرآن الوارف ، ثم أشار إلى محتويات الكتاب فى عبارات أنيقة وأسلوب رشيق امتاز به صاحب الفضيلة ، ولصاحب الفضيلة زمالة بنجل المؤلف المستشار (رابح محمد لطفى جمعة) أفصح عنها بلفظ منير، وختم التقديم بما يليق بقلمه وما نهفو إلى عطائه فكان الختام حديثا شريفا رواه أبو هريرة : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له » وعلق عليه بتلك العبارة الهادفة :

« ولاشك أن من بر الابن بأبيه هذا الصنيع الذى قام به السيد المستشار رابح لطفى جمعة من نشر هذا المؤلف الجم الفائدة للإسلام والمسلمين حتى يكمل الانتفاع بما فيه من علم وحكمة وجلاء للعقيدة والشريعة » .

وتحت هذه العبارة التوقيع والتاريخ ـ غرة رمضان ١٤١٠ ـ ٢٨ مارس ١٩٩٠ .

ومعنى هذا أن الكتاب قام بطبعه نجله الأستاذ رابح ، وبه نال المؤلف اتصال عمله للانتفاع به ونال الدعاء وقد تكون له الثالثة ، رحمه الله، وأطال الله فى عمر نجله رابح المفكر والقانونى والأديب ، وكتاب نظرات عصرية فى القرآن الكريم يقع فى ٥٥٨ صفحة ، وقدم له صاحب الفضيلة الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر كما قدمنا آنفا ، وفيه مقدمتان آخريان أولاهما لنجل المؤلف الأستاذ رابح وهى مقدمة تدل على دراسة واسعة فى تاريخ التفسير ابتداء بالمفسر الأول محمد ﷺ وانتهاء بصاحب النظرات العصرية مشيرا فيها إلى تتابع العصور والمفسرين كما أشار إلى تسرب الإسرائيليات، وجهد المخلصين من العلماء فى تنقية تفسير القرآن من شوائب أهل الكتاب وأساطيرهم ، ثم أشار إلى انواع التفسير فى العصر العباسى ، ومحاولات التجديد فى العصر الحديث ومدى التوفيق فى هذا التجديد ، ثم خلص إلى الكتاب الذى نحن بصدده فتحدث عنه حديث العالم ببواطن أموره ، ولخص لنا قضاياه وموضوعاته فى هذه البنود :

١ ـ توحيد الله وتقرير حرية الاعتقاد .

٢ ـ وصف المؤمنين، وما أعد لهم من نعيم الجنة، ووصف الكافرين وما أعد لهم من عذاب النار .

٣ ـ إظهار تعظيم القرآن لشأن العقل وجعله أساسا لفهم الأحكام والتدبر والتفكر والتأمل .

٤ ـ رفع شأن الإنسان بتقرير مبدأ المساواة بين جميع الطبقات وأن التفاضل بينها إنما يكون بالتقوى والعمل الصالح .

٥ ـ سرد تواريخ الأنبياء السابقين وتمجيدهم والتصديق بهم وعدم التفريق بينهم بغرض الاعتبار بهم وبجهادهم مع أقوامهم والاقتداء بهم مواساة للنبى وتشجيعه وتطمينه .

٦ ـ وصف حياة الجاهلية ونظامها وتكذيب قريش للنبى .

٧ ـ بيان أخلاق النبى وتنسكه وإنسانيته وبعض المسائل البدنية والزوجية فى حياة النبى

٨ ـ بيان بلاغة وإعجاز أسلوب القرآن .

٩ ـ بيـان القوانـين والنواميس العـامة والأنظمة الطبيعية بالبحث فيها، وتدبرها وذكر آيات الله فى الكون وخلق السموات والأرض وتسخير الشمس والقمر والنجوم والكواكب والبحار ، وخلق الإنسان والحيوان والنبات والطير والحشرات، وتصريف الرياح وتسخير

السحاب وإنزال المطر وغير ذلك من الآيات الكونية التى كانت مجهولة فى عصر التنزيل وكشف عنها العلم الحديث .

١٠ ـ الرد على دعاوى المستشرقين وشبهاتهم عن الوحى المحمدى ، وعن الحدود فى الشريعة الإسلامية وغير ذلك من الشبهات والأباطيل .

ويختتم الأستاذ رابح تقديمه برجاء أن يكون وُفِّقَ فى هذا العمل ، سائلا المولى ـ عز وجل ـ أن يتغمد المؤلف برحمته . والمكان والتاريخ بصحبة التوقيع (مصر الجديدة ١٩٩٠) .

وقد نقلت لك ولى هذه البنود وتلك الكلمات لأنها صادرة من ابن يكاد يكون قد رافق أباه أثناء تأليف الكتاب ، فكم من مرة نجد المؤلف يخاطب ابنه عند فكرة جديدة ، أو عندما يحتاج الأمر إلى وقفة وتوضيح بأن يقول ـ كما جاء فى سورة النحل حين تعرض لبلقيس :

«يابنى رابح إلى أين تقودنا أقوال المفسرين ؟ فبعد زعم الهداية لبلقيس تنتهى إلى إزالة الشعر لتنعيم جسد العروس قبل أن يدخل عليها هذا النبى ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ج ٦ تفسير ابن كثير والبغوى» .

وإذا علمنا أن الابن حين ذاك كان فى المرحلة الثانوية حق لنا أن نذكر صلته بهذا الكتاب منذ صباه ، وأبناء لطفى جمعة كلهم على ثقافة عالية ، ومنهم الصحفى المعروف الأستاذ زكريا لطفى جمعة ، ولكن الأستاذ رابح هو الذى عُنِىَ بمؤلفات والده منذ الصغر ، والأب يخاطبه كأنه أستاذ فى التفسير وصناعة القلم .

وأنا لا يمكننى أن أعرض لك الكتاب فى مقال ، ولا أقدر على مناقشة قضاياه فى فصل من الفصول ، فهو كتاب ضاف حوى القديم والجديد معا ، فلقد تناول المؤلف ـ رحمه الله ـ القرآن سورة سورة بدأ بالفاتحة وختمه بالمعوذتين ، ومن طريف كلام المؤلف فى ذلك قوله :

« وإننى أشعر أن المعوذتين بمثابة القفل والمفتاح لأحكام القرآن وختامه ، كما أن البسملة خير فاتحة وباب ؛ فإن أسلوب المعوذتين يشعر باتخاذ الحيطة فى نسج محكم متشابه ودق مسامير من أصوات أحرف وكلمات أظهر ما فيها حرف السين الذى هو كأسنان المفتاح ، كما أن سورة الفلق يكثر فيها حرف القاف كأنها تشير إلى دق الأقفال وصوت الغلق ، وهذه إرادة سابقة لله سبحانه أن تتفق حروف المعوذتين لإتمام هذه الغاية . غير أن وصف الله عز وجل فى سورة الناس بأنه «رب» و«ملك» و«إله» يعطى تلك المعوذة قوة : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ. إِلَٰهِ النَّاسِ ﴾ وذكر الشيطان فى ختامها يجعل الخير مقابلا للشر ومواجها له ومتغلبا عليه حتما» .

وهذا كلام يقوله المؤلف بعد رحلة طويلة مع سور القرآن وآياته مصحوبة بتأملاته وتجلياته أيضاً ووقوفه على أسرار الثروة اللغوية .

وقد بدأ المؤلف نظراته العصرية فى القرآن الكريم بفصل من أنفع الفصول لمن يريد الحقيقة الباهرة ، والبراهين الساطعة عنوانه «فضل القرآن» يقع فى سبع وعشرين صفحة ، جعله المؤلف مقدمة كتابه ، وهى مقدمة فيها جهد وفيها علم وفيها حوار ، وحديث عن الوحى وموقف المستشرقين منه ، وقد فَنَّد مزاعمهم ، وبين فضلهم ، كما تحدث عن موقف المشركين منه حين نزل غضا بمكة أو المدينة ، وجعل موقف بعض المستشرقين كموقف كفار مكة ، ونفى أن يكون محمد قد تلقى تعليما من أحد كما ذكر القرآن ، وبين كيف كان النبى ﷺ يتلقى الوحي وكيف ينقله إلى أصحابه ؟ وتحدث عن جمع القرآن على عهد أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما ، وأشار فى ختامه إلى عظماء المفسرين أمثال الطبرى والزمخشرى والبيضاوى والبغوى وابن كثير والقرطبى والشوكانى يقول : ولا نبالغ إذا قلنا : إن عدد المفسرين بلغ الوفا وكثير منها منشور ، واكثر منها مخطوط . ولكن القرآن لا يزال

نظــرات فــى النظــرات

محتاجا إلى التفسير فى ضوء العلم الحديث والاكتشـافـات والاختـراعـات والتطـورات الاقتصادية والسياسية ، وكانت آخر محاولة من هذا القبيل هو ما صنعه الشيخ طنطاوى جوهرى والأستاذ محمد فريد وجدى ، أما عـدد المستشرقين الذين خدموا القرآن ، بعضهم بحسن نية وبعضهم رغم أنفه فكثير جداً .

وأحسن ترجمة فرنسية لمعانى هذا الكتاب الكريم ترجمة ماردوريس الأرمنى المتفرنس ، وفى الانجليزية : سيل ولين ، ورد ويل وبالمـير ، والترجمات الألمانية ادق وأكد عناية .

والحمد لله على كل هذا ، وانا أعتقد ان الكتب المذكورة عربية وأجنبية اطلع عليها المؤلف ونفحنا بميزتها .

مع ملاحظة هامة : أن المؤلف كتب هذا الفصل فى رجب سنة ١٣٦٢ هـ .

وللكتاب جاذبية تدعوك لمعاودة قراءته مرة بعد مرة ، ولا غرو فهو حديث تحت راية القرآن ، وحين اكتب عنه أود بشوق النفس أن يشاركنى غيرى فى الحديث عنه والحوار حول ما جاء به ، وانتهز الفرصة فأصنع نماذج من نظرات المؤلف العصرية ، وقد أكون معه وقد أخالفه فمجال القول ذو براح ومراح .

ففى سوورة البقرة نظر فقال : وترد فى القرآن الكريم كلمة : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ آية ٨٣ ، أو ﴿ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ سورة آل عمران آية ٨١ ، وفى سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾ آية ٧ .

فما معنى الميثاق ؟ يقول : ليس معنى الميثاق هنا اتفاق بين الله سبحانه وتعالى وبين الأشخاص المذكورين إنما معناه أوامر الله كما ورد فى سفر التثنية إصحاح ٤ نبذة ١٣ «واخبركم بعهده الذى آمركم ان تعملوا به الكلمات العشر وكتبه على لوحى حجر» فالعهد هنا فى لغة التوراة هو الميثاق فى لغة القرآن ، ومعناه فى الاثنين الأوامر والنواهى الإلهية ، ويستمر فى الاستشهاد من كلمات التوراة ، مؤكدا أن العهد والميثاق هو أوامر الله لعبيده . فليس الله سبحانه وتعالى بحاجة لأن يأخذ عهودا من أنبيائه أو ملائكته أو عباده ؛ بل يأمرهم امرا أو ينهاهم نهيا ، وإنما ذكر «الميثاق» تشريفا لبنى آدم بحسبان أنه كائن عاقل مسئول عن أقواله وأفعاله وعهوده ، ويذكر عهد الله لعباده وأنه تعطف وتكرم وترحم ، فيقول ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾[1] لإدخال الاطمئنان إلى قلوبهم وتقديم الرحمة بين أيديهم ليتحرروا من أغلال العبودية البشرية ، ثم يقول : ولذا نرى أن المواثيق المذكورة فى القرآن ترمى دائما إلى خير العبيد ، فمثلا يقول الله سبحانه وتعالى فى آية ٨٤ من سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ وكذلك آية ٨٥ من نفس السورة ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ ﴾ ويقال فى تفسير ذلك إن اليهود بالمدينة المنورة كانوا قبيلتين كبيرتين : قريظة وبنى النضير فقريظة حالفت الأوس ، والنضير حـالفت الخزرج ، وجميعهم حالفوا النبي ﷺ فكتب دستور المدينة المعروف بـاسم الصحيفة ، وتاريخه السنة الثانية للهجرة .

يتبع

(١) سورة الأنعام : ١٢

أغنى الناس من أتقى الله - بقية -

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النحل - ٩٧ .

إن من توكل على الله وراقبه كان الله معه ورزقه من حيث لا يحتسب تصديقا لوعده فى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ الطلاق ٢ ، ٣ .

ومن اتقى الله وآمن وصدق بوعده رزقه الله من واسع فضله ، قال سبحانه فى سورة الأعراف الآية ٩٦ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

لقد ضل كثير من الناس فى أمر المال واهمهم شأنه، وأسرفوا على انفسهم فيه ولم يتهيبوا مدخلا من مداخله، ونسوا تعاليم الله وأعرضوا عن ذكره فكان لهم مآلهم . كما قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ • قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا • قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ • وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ طه ١٢٤ ، ١٢٧ .

ولو راقبوا الله ووثقوا بما عنده لبارك لهم فيه وهنأهم به تصديقا بوعده حيث يقول حكاية عن نوح عليه السلام :

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ نوح ١٠ ، ١١ .

وإيمانا بقول الله تعالى فى الحديث القدسى الذى يقول فيه رب العزة « يادنيا من خدمنى فاخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه »(١).

ملامح النظام السياسي للدولة اليهودية - بقية -

هذا ومن وسائل إحداث التوازن بين السلطات العامة فى إسرائيل وجود وظيفة «مراقب عام الدولة»★ الذى يقدم تقريره السنوى للسلطة التشريعية عن نتائج متابعته لإنفاق السلطة التنفيذية من ميزانية الدولة ، وتمتد رقابته إلى أية مؤسسة تشترك الحكومة فى إدارتها .

ويتلقى «مراقب عام الدولة» شكاوى المواطنين.. وهذا أمر يتيح فرصة للرقابة الشعبية على أعمال الحكومة ومؤسساتها .

هذا وتتم الرقابة القضائية على أعمال الحكومة والمجالس المحلية ، فتصبح اللوائح التى تصدر عن أى من هذه الجهات عرضة لرقابة «المشروعية» ولقضاء «الإلغاء» ، وتمتد رقابة القضاء أيضاً إلى بعض القوانين ، وإلى كل القرارات التى تمس الحريات العامة والحقوق .

وبذا نكون قد عرفنا من يحكم إسرائيل ؟ أما كيف تحكم إسرائيل ؟

فهذا ما أرجو أن أعالجه فى المقال القادم بإذن الله .. ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف / ٧٦) .

---

(١) رواه القضاعى عن ابن مسعود

★ يرشحه الكنيست ويعينه رئيس الدولة لمدة خمس سنوات ، ويصير من يوم تعيينه تابعا للكنيست ويحظر عليه القيام بأى نشاط سياسى أو اقتصادى أو إدارى خارج الكنيست طوال فترة انتدابه وبعد انتهائها بثلاث سنوات . وهو يخطر الجهات التى يراقبها بالمخالفات والأخطاء لإزالتها قبل أن يقدم تقريره عنها .

لحظات طيبات مع الإمام

زين العابدين على بن الحسين

إعداد: عادل خفاجة

إنه الإمام ابن الإمام ابن الإمام : زين العابدين على ابن الإمام الحسين شهيد كربلاء وسيد شهداء أهل الجنة ابن الإمام على - كرم الله وجهه . وسبب إنشاد الفرزدق لتلك الأبيات ؛ أن هشام بن عبدالملك حج قبيل ولايته الخلافة ، فكان - إذا أراد استلام الحجر - زوحم عليه ، وإذا دنا علىُّ بن الحسين من الحجر تفرقوا عنه إجلالا له ، فوجم لها هشام وقال : من هذا ؟ فما أعرفه ، فأنشأ الفرزدق يقول هذه الأبيات .

فأمر هشام بحبسه ، فحبس بعسفان ، وبعث إليه علىُّ بن الحسين باثنى عشر ألف درهم وقال : اعذر أبا فراس . فردها وقال : ماقلت ذلك إلا غضبا لله ولرسوله . فردها إليه وقال : بحقى عليك لما قبلتها ، فقد علم الله نيتك ورأى مكانك . فقبلها .

نسبه :

أبوه .. الحسين بن على - كرم الله وجهه - ابن أبى طالب بن عبدالمطلب بن هشام بن عبد مناف .

قال فيه الفرزدق - إذ قال هشام بن عبد الملك : من هذا ؟

هذا الذى تعرفُ البطحاءُ وطأتهُ
والبيتُ يعـرفُهُ والحـلُّ والحَرَمُ
هذا ابن خير عِبَادِ اللهِ كُلِّهم
هذا التَّقُّى النَّقُّى الطاهِرُ العَلَمُ

يَكـادُ يُمسِكـهُ عِـرفـانُ راحتِـهِ
عند الحطيم إذا ماجاء يَسْتَلِمُ
إذا رأتـه قريشٌ قـال قائلُهـا :

إلى مكـارم هـذا ينتهى الكـرمُ
إن عُدّ أهلُ التقى كانوا ائمتهم
أو قيل : من خيرُ اهل الأرض قيل : هم

هذا ابن فاطمةَ إن كنتَ جاهلَهُ
بجدّه أنبياء الله قـد ختمـوا

وليس قولُكَ : من هذا بضائرِهِ
العربُ تعرفُ مَنْ انكرتَ والعجمُ

يغضى حياءً ويغضى من مهابَتهِ
ولا يكلـم إلا حـين يبتسـمُ
ما قالِ : (لا) قط إلا فى تشهده
لـولا التشهد كـانت (لاؤه)نعم

أمه .. سلاّمة **سُلافة** بنت ملك الفرس يزدجرد .

مولده : ولد فى نحو سنة ثمان وثلاثين .

قال ابن سعد : هو علىُّ الأصغر ، وأما أخوه علىُّ الأكبر ، فقتل مع أبيه بـ « كربلاء » .

شدة خشيته الله :

عاش الإمام علىُّ بن الحسين فى إطار من خشية الله التى يجب أن يتصف بها كل مؤمن ، وكانت خشيته لله عظيمة .

روى العتبى عن أبيه أنه قال : كان على بن الحسين إذا فرغ من وضوئه للصلاة ، وصار بين وضوئه وصلاته ، أخذته رعدة ونفضة . فقيل له فى ذلك ، فقال : ويحكم ، أتدرون إلى من أقوم ؟ ومن أريد أن أناجى ؟

وإذا كانت الرعدة تأخذه قبيل صلاته ووقوفه بين يدى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فما باله لو ذهب إلى الله ضيفاً ملبيا نداءه ؟

يصف لنا هذه الحالة مصعب بن عبدالله ، عن مالك ، فيقول : « أحرم علىُّ بن الحسين ، فلما أراد أن يلبى ، قالها ، فأغمى عليه ، وسقط من ناقته فَهُشِّم . فلم يزل به بعض ذلك حتى قضى حجته .

ويروى أن أبا نوح الأنصارى ، قال : وقع حريق فى بيت فيه علىُّ بن الحسين وهو ساجد ، فجعلوا يقولون : ياابن رسول الله النار . فما رفع رأسه حتى طفئت . فقيل له فى ذلك ، فقال : الهتنى عنها النار الأخرى .

حبــــه للفقـــــراء :

كان ابن الحسين محبا للفقراء ؛ إذ كان يراهم نقلة أمواله إلى الآخرة بغير أجر . ولعل حبه هذا يبين من قول المنهال الطائى : إن على بن الحسين كان إذا ناول الصدقة السائل ، قبله ثم ناوله . إلا أنه كان قليلا ما يُرى وهو يعطى الفقراء ، حتى رمى بالبخل ؛ وذلك أنه كان يفضل صدقة السر ، ويؤثرها على صدقة العلن .

قال شيبة بن نعامة : كان على بن الحسين يُبَخَّل (*) فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة .

إن الذين بخلوه ، هم الذين لم يروا أعماله ليلا ، فهذا أبو حمزة الثمامى يقول : كان على بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ، ويقول : إن صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل .

وقال بعضهم : مافقدنا صدقة السر ، حتى توفى علىُّ ، فلما مات وجدوا بظهره آثاراً مما كان يحمل بالليل .

نظرته إلى العلم :

لعل نظرة الإمام علىٍّ بن الحسين تتضح من ذلك الحديث الذى دار بينه وبين الزهرى ، عندما قال : حدثت علىَّ بن الحسين بحديث فلما فرغت قال : أحسنت ! هكذا حُدِّثناه ، قلت : ما أرانى إلا حدثتك بحديث أنت أعلم به منى !! قال : لاتقل ذاك ، فليس (ما) لا يعرف من العلم ، إنما العلم (ما)عرف وتواطأت عليه الألسن .

وكان ـ رحمه الله ـ يتتبع العلم حيث كان ، فكان يجلس إلى زيد بن أسلم ، فقال له نافع بن جبير يوماً : « غفر الله لك أنت سيد الناس

(*) بخَّله : رماه بالبخل ونسبه إليه . لسان العرب مادة (بخل)

زين العابدين على بن الحسين

وأفضلهم ، تذهب إلى هذا العبد[1] فتجلس معه ؟ ـ فقال : إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه فى دينه .

ولم يكن العلم فى نظره مجرد حفظه ومدارسته ونشره ، حتى (تتواطأ) عليه الألسن ، إنما العمل به هو جوهره ، لذلك لما حدث بحديث أبى هريرة « من اعتق نسمة مؤمنة أعتق الله كل عضو منها بعضو منه من النار ، حتى فرجه بفرجه » نجده يعمد إلى غلام له فيعتقه ، وكان عبدالله بن جعفر قد عرض عليه فيه عشرة آلاف درهم .

غزارة علمه :

وعى الإمام علىٌّ من العلم الكثير ؛ فقد كان يقول : « إن العلم ينبغى أن يتبع حيث ما كان » . ولعل الشاهد على غزارة علمه ، ما قاله الزهرى : « دخلنا على علىِّ بن الحسين بن على . فقال : يازهرى فيم كنتم ؟ قلت : تذاكرنا الصوم ، فأجمع رأيى ورأى أصحابى على أنه ليس من الصوم شىء واجب إلا شهر رمضان . فقال : يازهرى ليس كما قلتم » ، ثم بين أن له وجوها كثيرة منها ماهو واجب ، وماهو حرام وماهو بالخيار . ذكر أبو نعيم من الصوم الواجب : صوم رمضان ، وصيام شهرين متتابعين ـ يعنى فى قتل الخطأ لمن لم يجد العتق ـ قال تعالى : ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ ... النساء /٩٢ وصيام ثلاثة أيام فى كفارة اليمين ـ لمن لم يجد الإطعام ـ قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ... ﴾ المائدة/ ٨٩

وذكر من الصوم الذى صاحبه بالخيار :

* صوم الاثنين والخميس ، وصوم ستة أيام من شوال بعد رمضان ، وصوم يوم عرفه ، وصوم يوم عاشوراء ... الخ .

بعـــض اقـــواله :

* « إن الجسد إذا لم يمرض أشر [2] ، ولا خير فى جسد يَأْشَرُ » .
* « لايقولن أحدكم اللهم تصدق علىّ بالجنة ، فإنما يتصدق أصحاب الذنوب ؛ ولكن ليقولن : **اللهم ارزقنى الجنة ، اللهم مُنَّ علىَّ بالجنة »** .
* إن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ، وقوما عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار » .

وقد سئل يوما عن كثرة بكائه ، فقال : لاتلومونى فإن يعقوب فقد سبطا من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه ولم يعلم أنه مات ، وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلا من أهل بيتى [أى ماتوا] فى غزاة واحدة ؛ أفترون حزنهم يذهب من قلبى ؟

ولعل ذلك مادفعه لأن يقول :

* « فقد الأحبة غربة » .

رأيه فيمن بالغ فى حب الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ وآله :

كان الإمام علىّ بن الحسين حريصا على تصحيح المفاهيم الخاطئة التى أرساها أهل الأهواء ، وألصقوها فى حق الإمام علىّ بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ ، فكان يرد على ذلك بشدة ووضوح . **يقول :**

---

(١) يقصد زيد بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب .

(٢) الأشَرُ : البطر ، وقيل : أشد البطر . (لسان العرب : مادة أشر) .

جاءني رجل قائلا : جئتك في حاجة ، وما جئت حاجاً ولا معتمرا ، قلت : وماهي ؟ قال : جئت لأسألك متى يبعث عليّ ؟ فقلت : يبعث ـ والله ـ يوم القيامة ، ثم تهمه نفسه .

وهاهو يقول : يامعشر أهل العراق ، يامعشر أهل الكوفة ، أحبونا حب الإسلام ، ولا ترفعونا فوق حقنا .

ومرة أخرى ، وقد اجتمع عليه ناس ، فرددوا ذلك فقال : « أحبونا حب الإسلام ـ لله ـ عز وجل ـ فإنه مابرح بنا حبكم حتى صار علينا عارا .

مـــن ادعيتـــه :

« اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوائح العيون علانيتي ، وتقبح في خفيات العيون سريرتي ؛ اللهم كما أسأتُ وأحسنتَ إليَّ ، فإذا عُدْتُ ، فَعُدْ عليَّ » .

* « اللهم لاتكلني إلى نفسي ، فأعجز عنها ، ولا تكلني إلى المخلوقين فيضيعوني » .

* « عبيدك بفنائك ، مسكينك بفنائك ، سائلك بفنائك ، فقيرك بفنائك » سمعه طاووس يقول ذلك وهو ساجد في الحِجْر ، قال : فوالله مادعوت بها في كرب قط إلا كُشِفَ عني .

نصيحتـــه لابنـــه :

يابني اصبر على النوائب ولا تتعرض للحقوق ، ولا تُجب أخاك إلى الأمر الذي مضرته عليك أكثر من منفعته له ».

مـــن روى عنهـــم :

حَدَّثَ عن أبيه الحسين الشهيد ، وكان معه يوم كائنة كربلاء وله ثلاث وعشرون سنة ، وكان يومئذ موعوكاً فلم يقاتل ، ولا تعرضوا له ، بل أحضروه مع آله إلى دمشق ، وحَدَّث أيضا عن جده مرسلا ، وعن صفية أم المؤمنين ، وذلك في « الصحيحين » وعن أبي هريرة ، وعائشة وروايته عنها في «مسلم » ، وعن أبي رافع ، وعمّه الحسن ، وعبد الله بن عباس ، وأم سلمة ، والمِسْوَر بن مخرمة ، وزينب بنت أبي سلمة ، وطائفة . وعن مروان بن الحكم ، وعبيد الله بن أبي رافع ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن مرجانة ، وذكوان مولى عائشة ، وعمرو بن عثمان ابن عفان ، (وليس بالمكثر من الرواية).

وروى عنـــه :

أولاده : أبو جعفر محمد ، وعمر ، وزيد المقتول ، وعبدالله، والزهري، وعمرو بن دينار ، والحكم بن عتيبة ، وزيد بن أسلم ، ويحيى بن سعيد ، وأبو الزناد ، وعلي بن جُدْعان ، ومسلم البطين ، وحبيب بن أبي ثابت ، وعاصم بن عبيدالله ، وعاصم بن عمر بن قتادة بن النُّعمان ، وأبوه عمر والقعقاع بن حكيم ، وأبو الأسود يتيمُ عروة ، وهشام بن عروة ، وأبو الزبير المكي ، وأبو حازم الأعرج ، وعبدالله بن مسلم بن هرمز ، ومحمد بن الفرات التميمي ، والمنهال بن عمرو ، وخلق سواهم .

بعض ما رواه :

عن عليّ بن الحسين أن الحسن بن عليّ أخبره أن عليّ بن طالب ـ رضي الله عنهم ـ أخبره أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : طرقه وفاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لهما : « ألا تصليان؟ » . قال عليّ فقلت : يارسول الله إنما انفسنا بيد الله ـ عز وجل ـ فإن شاء أن يبعثنا بعثنا . فانصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قلت ذلك له ولم يرجع إلى شيئا ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول :

زين العابدين على بن الحسين

« وكان الإنسان أكثر شىء جدلا »[٣]. صحيح متفق عليه .

* عن علىّ بن الحسين أن عمرو بن عثمان أخبره أن أسامة بن زيد أخبره أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال« لايرث المسلمُ الكافرَ » .

* عن علىّ بن الحسين أن صفية ـ رضى الله عنها ـ أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلا تزوره ـ وهو معتكف فى المسجد ـ فحدثته قالت ثم قمت فقام معى ـ وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد ـ فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسرعا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « على رِسْلِكما إنها صفية بنت حيى ، فقالا : سبحان الله يارسول الله ! فقال : إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا » . أو قال شرا ـ لفظ معمر ، وهو من صحاح حديث الزهرى ، متفق عليه .

* عن علىّ بن الحسين قال : « أخبرنى رجل من أهل العلم أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم لعظمة الرحمن عز وجل ، فلا يكون لرجل من بنى آدم فيه إلا موضع قدميه ، ثم أُدعى أول الناس فأخر ساجدا ، ثم يؤذن لى فأقول : يارب ، أخبرنى جبريل هذا ـ وجبريل عن يمين العرش ووالله مارآه قط قبلها : أنك أرسلته إلىّ . وجبريل ساكت لايتكلم ، ثم يؤذن لى فى الشفاعة ، فأقول : أى رب ، عبادك عبدوك فى أطراف الأرض ، فذلك المقام المحمود » . صحيح تفرد بهذه الالفاظ علىّ ابن الحسين لم يروه عنه إلا الزهرى ولاعنه إلا إبراهيم بن سعد ، وعلىّ بن الحسين هوَ أفضل وأتقى من أن يروه عن رجل لايعتمده فينسبه إلى العلم ويطلق القول به .

وكان ـ رحمه الله ـ ورعا شديد الورع ، حتى أن رجلا حينما قال لابن المسيب : مارأيتُ أوْرَع من فلان ، قال : هل رأيتَ علىّ بن الحسين ؟ قال : لا ، قال : مارأيتُ أورع منه » .

وقال عنه الزهرى : «مارأيت قرشيا أفضل من علىّ بن الحسين » .

وقال عمرو بن ثابت : «كان لايضرب بعيره من المدينة إلى مكة » .

وكان معتدا بنفسه ، يحب المظهر الطيب ، فكان يعتم ويرخى منها خلف ظهره .

وكان يلبس فى الصيف ثوبين ممشقين من ثياب مصر ويتلو :﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ الأعراف /٣٢ .

وفـــاتـــــــه :

قال الواقدى ، والبخارى مات سنة أربع وتسعين وقال أبو جعفر الباقر : عاش أبى (ثمانيا وخمسين سنة) وقبره بالبقيع ، ولا عقب للحسين إلا من قبل ابنه زين العابدين .

---

(٣) سورة الكهف آية ٥٤ .

أنباء وآراء

إعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

أنباء مكتب فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد/ إيفان قوليس سفير تشيكوسلوفاكيا بالقاهرة .. وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

فى بداية اللقاء أعرب السيد السفير عن سعادته للقاء فضيلة الإمام الأكبر مؤكداً على أهمية الدور الذى يقوم به الأزهر الشريف ..

وقد نقل السيد السفير رغبة رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا فى القيام بزيارة الأزهر الشريف خلال زيارته القادمة لمصر فى نهاية هذا العام ، وذلك للتباحث وتبادل الآراء والتعرف على دور الإسلام فى العالم الحديث .

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن ترحيبه بالسيد رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا فى أى وقت ..

وقد دار خلال اللقاء حوار مفيد حول عملية السلام فى الشرق الأوسط أوضح فيه فضيلة الإمام الأكبر موقف الإسلام من قضية الحرية واحترام حقوق الإنسان .

وفى نهاية اللقاء حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير تبليغ الرئيس التشيكى تحيات الأزهر وترحيب مصر بزيارته لها ..

الامام الأكبر يلتقى والسيد سفير تركيا بالقاهــرة

استقبل فضيلة الإمــام الأكبر الشيــخ جــاد الحق على جــاد الحق شيخ الأزهــر السيد / ميثان ميكيك سفير تركيا بالقاهرة ، وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر ..

وقد أعرب السيد السفير عن امتنانه بهذا اللقاء وأعلن أنه يحمل تحيات المسئولين الأتراك والشعب التركى لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر الشريف ..

وأوضح أن هذه اللقاءات تعبر عن الصلات الطيبة بين الشعبين المصرى والتركى الممتدة عبر التاريخ الطويل ..

كما أعرب عن سعادته للعمل للمرة الثانية فى مصر التى يكن لها كل حب وتقدير .

وقد دار اللقاء فى جو ودى تبادل فيه فضيلة الإمام الأكبر وضيفه الآراء والمعلومات من أجل التنسيق بين الأزهر والهيئات التعليمية فى تركيا ..

فى نهاية اللقاء أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن تمنياته للسيد السفير بإقامة طيبة فى القاهرة راجياً له دوام التوفيق ..

أنبــــاء وآراء

الأزهر يدين العدوان الاسرائيلى على المحكمة الشرعية بالقدس

طالب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر العالم المتحضر أن يقف وقفة حازمة مع إسرائيل لانتهاكها حرمة دور القضاء وقداستها ..

وطالب فضيلته الأمم المتحدة بالتدخل لاسترداد ما استولت عليه القوات الإسرائيلية المعتدية على المحكمة الشرعية بالقدس الشريف .

ودعا فضيلة الإمام الأكبر فى بيان أصدره فى الثالث والعشرين من نوفمبر الماضى ، الشعوب العربية والإسلامية وكل الشعوب التى تنادى بالسلام أن تقف ضد هذا العدوان وأن تتعاون لمؤازرة الفلسطينيين وحمايتهم ..

واختتم فضيلته البيان بأن الأزهر يرفض هذا السلوك الإسرائيلى فى وقت يجرى فيه التفاوض نحو إقرار السلام ويدعو الفلسطينيين إلى اليقظة والحرص على ممتلكاتهم والذود عنها ..

أنباء العالم الاسلامى

احتفلت الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جادالحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، رئيس اللجنة العليا للدعوة الإسلامية باختتام الدورة العالمية الخامسة عشرة للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى والتى اشترك فيها أئمة ووعاظ من دول جزر القمر ـ مدغشقر ـ وسيراليون ـ وأوغندا ـ وتنزانيا ـ زائير ـ چيبوتى ـ كوت ديفوار ، فى المدة من أول أغسطس ١٩٩١ م ولمدة ثلاثة أشهر .

وقد درس الأئمة والوعاظ خلال مدة الدورة العلوم الإسلامية ومقارنة الأديان والخطابة العملية والنظرية ، وكذلك تاريخ التشريع ونظم الحكم فى الإسلام والاستشراق .

وقد تحدث فى الحفل أحد السادة الأئمة نيابة عن الدارسين فى الدورة ، فشكر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وحكومة جمهورية مصر العربية على استضافتهم للدورة والفكرة التى تربط أئمة ووعاظ العالم الإسلامى بكعبة العلم الإسلامى فى العالم (الأزهر الشريف) .

ثم خُتم الحفل بكلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، فحث المشاركين فى الدورة على تحرى الدقة فى الفتوى وأن يكونوا على اتصال دائم بالأزهر الشريف فى كل ما يعن لهم من مشاكل تعوق الدعوة الإسلامية فى بلادهم وتمنى لهم دوام التوفيق فى عملهم .

ثم قام فضيلته فى ختام الحفل بتوزيع شهادات إتمام الدورة على السادة الأئمة والوعاظ المشاركين فى الدورة .

* * *

إحدى المحاكم الهندية تمنع إقامة معبد هندى مكان مسجد قديم

قضت حكمة الله العلى القدير فى الكون أنه لا يصح إلا الصحيح .. فقد منعت إحدى المحاكم الهندية المتطرفين الهندوس من إقامة معبد لهم مكان مسجد (بابرى) بمدينة (أيوريا) ، والذى تم بناؤه فى القرن السادس عشر .

وقد أبلغت الحكومة الهندية بحكم المحكمة هذه لتنفيذه .

الجدير بالذكر : ـ

أن المسلمين الهنود رغم كثرتهم إلا أنهم يتعرضون لمحاولات اضطهاد كثيرة من المتطرفين الهندوس ، وقد حاول الهندوس فى محاولات كثيرة هدم بعض المساجد لإقامة معابد لهم بدلاً من المساجد .

« والله غالب على أمره »

« أئمة ووعاظ من أفريقيا وآسيا وأوروبا لحضور الدورة التدريبية السادسة عشرة التى ينظمها الأزهر الشريف

تنظم الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر رئيس اللجنة العليا للدعوة الإسلامية ، الدورة السادسة عشرة للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى فى المدة من ١٩٩١/١٢/١م ، وحتى آخر شهر فبراير ١٩٩٢ م ، ويشترك فى هذه الدورة أئمة ووعاظ من دول :ـ نيچيريا ـ وغينيا كوناكرى ـ توجو ـ الصين ـ الاتحاد السوفيتي ـ ألبانيا .

ويقوم بالتدريس فى هذه الدورة علماء الدعوة الإسلامية فى مصر ـ ومقر الدورة ـ مدينة البعوث الإسلامية بالأزهر .

وقد يتلقى الأئمة والوعاظ خلال هذه الدورة دروساً فى الدعوة الإسلامية والاستشراق واللغة العربية وعلوم القرآن ونظم الحكم فى الإسلام وتاريخ التشريع وتجويد القرآن الكريم والفقه المقارن والحديث وعلومه .

ويتسلم كل إمام مكتبة إسلامية بها أمهات الكتب ، وذلك ليستعين بها فى أداء رسالته عند رجوعه إلى بلده .

* * *

« بدء أعمال القمة الاسلامية فى شهر ديسمبر بداكـار

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية أن مؤتمر القمة الإسلامى سيعقد اجتماعاً بمشيئة الله فى (داكار) عاصمة السنغال فى شهر ديسمبر من هذا العام .

ومن المقرر أن تشترك فى المؤتمر جميع الدول الإسلامية الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى .

والجدير بالذكـر : ـ

ولأول مرة سوف تشترك الجمهوريات الإسلامية السوفيتية كمراقب تمهيداً لانضمامها إلى منظمة المؤتمر الإسلامى .

ويؤكد الخبراء أن اشتراك وفود من الجمهوريات الإسلامية السوفيتية كمراقبين فى المؤتمر يعد اعترافاً جماعياً من جميع الدول الإسلامية المشتركة باستقلال هذه الجمهوريات عن الاتحاد السوفيتي .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية « الإسلام فى عالمه الجديد »	

الافتتاحية « الإسلام فى عالمه الجديد »
د . على احمد الخطيب ٦٠٩

كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك
بمناسبة ذكرى مرور ١٠٠ عام على إنشاء
كلية دار العلوم ٦١١

بيان من الأزهر الشريف باستنكار التعدى
على المحكمة الشرعية بالقدس
لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر ٦١٨

علامات المؤمنين وجزاؤهم
د . عبد الجليل شلبى ٦٢٠

قبس من أنوار النبوة « أغنى الناس من اتقى الله »
الشيخ على حامد عبد الرحيم ٦٢٤

فقه الأصول والفروع
الشيخ محمد حسام الدين ٦٢٦

حول شهادات الاستثمار
للمستشار احمد محمد إبراهيم ٦٣٠

ذو الجناحين « جعفر بن أبى طالب »
د . عبد العزيز غنيم ٦٣٤

مشيخة علماء أسيوط
بقلم د . مجاهد توفيق الجندى ٦٣٩

الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى
د . محمد عبد العليم العدوى ٦٤٤

كشمير المسلمة
أ . ماهر زكريا الشيمى ٦٥٠

اشد الناس عداوة للذين آمنوا
لواء أ . ح فوزى محمد طايل ٦٥٤

المحافظة على المنشآت الاقتصادية
لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ ٦٦٠

الفتـــاوى
إعداد احمد السيد تقى الدين ٦٦٥

الشعر والشعراء

اشراف رشاد يوسف

شـاطـىء الإيمـــان
للشاعرة جليلة رضا ٦٦٨

يانفس خافى الله
للشاعر ابى نواس ٦٦٩

شعر السفاح التغلبى
تحقيق ايمن ميدان ٦٧٠

من اعلام الأزهر « د . محمود بن الشريف »
بقلم صفوت جودة احمد ٦٧٦

طرائف ومواقف
أ . عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦٧٨

من روائع الماضى « القرآن وقواعد النحو »
للشيخ محمد محمد المدنى ٦٨٠

العلوم الكونية

التوجيه الإسلامى للعلوم ضرورة حضارية
أ . د احمد فؤاد باشا ٦٨٤

الجديد فى العلم والتقنية
د . نجوى السيد احمد ٦٨٧

تأخر الحمل والعقم
د . احمد رجاء عبد الحميد ٦٩٠

اللغة والأدب والنقد

صدى وصية إلى حبيب ٦٩٤

نظرات عصرية فى القرآن الكريم
بقلم السيد حسن قرون ٦٩٧

لحظات طيبات مع الإمام :
زين العابدين بن على بن الحسين
إعداد : عادل خفاجة ٧٠٢

انبـــاء وآراء
إعداد : عبد المنعم فودة
مصطفى عبد المجيد ٧٠٧

القسم الفرنسى

المقالة الثانية :
هدى حسنين ٧١٥

المقالة الأولى :
رقية جبر ٧٢٤

القسم الانجليزى

اشراف د . انس النجار

المقالة الثانية :
د . علية شليفر ٧٣٠

المقالة الأولى :
سعد مصطفى مصطفى ٧٣٤

père doit le marier et lui laisser ensuite le choix de continuer à vivre sous sa tutelle ou de jouir de sa liberté en se frayant seul un chemin dans la vie .

Toutes ces directives sont confirmées par le Coran et la Sunna, : Ainsi, on trouve daus le coran :

- « [Les mères allaitent leurs enfants deux années entières pour qui veut parfaire l'allaitement. Au père de l'enfant il incombe de pouvoir à la nourriture et à l'habillement de la manière reconnue convenable] » .

le sens du verset 233
La VACHE

- [Croyants! Préservez- vous, ainsi que les vôtres d'un feu auquel hommes et pierres serviront de combustibles : un brasier gardé par des anges gigantesques et violents qui n'enfreignent en rien les ordres d'Allah et exécutent ce qui leur est commandé] .

Le sens du verset 6
L'interdiction

Ce dernier verset recommande à l'homme de préserver toute sa famille de l'Enfer. On y parvient par la soumission à Allah, degré qu'on ne peut atteindre que si l'on est instruit de ses devoirs . Comme l'enfant, est aussi un membre de la famille, ce verset prouve la nécessité» pour le père d'instruire son enfant, de l'éduquer, de le conseiller, de l'exhorter à faire le bien, à obéir à Allah et à son Prophète mais aussi de le préserver de l'hérésie, des péchés et du mal pour le mettre à l'abri du supplice de l'enfer .

Le verset cité ci-dessus : [Les mères allaitent leurs enfants deux années entières ....] , fait mention du devoir du père de pourvoir aux dépenses de son enfant. C'est pour cette raison que la mère nourricière est rétribuée .

Le Prophète salut et bénédiction sur lui a dit :

— Cinq pratiques inhérentes à la nature humaine à savoir : la circoncision, l'épilation du pubis, le rasage des moustaches, la taille des ongles et l'épilation des aisselles .

— Traitez vos enfants avec égards car ils sont des dons qui vous sont offerts .

— Quand vous faites des dons à vos enfants, soyez équitables .

Habituez vos enfants à accomplir la prière dès l'âge de 7 ans. Punissez-les à l'âge de 10 ans, s'ils la négligent, et séparez-les au lit . En ce qui concerne le devoir paternel, le Prophète- salut et bénédiction sur lui a dit : «Il est du devoir du père de bien élever son enfant et de lui donner un beau nom» .

Omar Iben khattab dit à ce sujet : «Le père doit apprendre à son enfant l'écriture et le tir. Il ne doit le nourrir que de ce qui est pur et licite. Choisissez vos épouses dans de bonnes familles, car le caractère est héréditaire et récessif .

«J'implore Allah de nous guider vers le droit chemin afin que nous soyons soumis à Ses ordres à Ses commandements .

Seigneur! Accorde-nous Tes bienfaits dans ce monde et dans celui de l'au-delà et que Ton salut, Ta bénédiction et Grâce soient accordés à l'homme par excellence, à Mohammad salut et bénédiction sur lui- et à tous ceux qui défendent ses principes j'usqu'au Jour Dernier» .

Hoda Chaaroui

femmes de se rendre aux mosquées. Quand l'une d'elles demande la permission de s'y rendre, autorisez - la» .

(لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وإذا استأذنت امراة احدكم إلى المسجد فلا يمنعها) .

3 - La femme doit veiller à ne jamais trahir son époux à prendre soin de ses enfants de ses biens et de tout ce qui concerne le foyer de son mari. Allah a prescrit cela : «Les femmes vertueuses, restent fidèles à leurs époux absents et maintiennent intact ce que Allah a prescrit de sauvegarder» .

Le sens du verset 34 - Les Femmes

﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ .

Le Prophète - salut et bénédiction sur lui - a dit aussi : «Il est de votre droit d'exiger qu'elles n'autorisent pas celui que vous ne désirez pas, de fouler vos tapis, ni de s'introduire chez vous» .

(فحقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون) .

LE COMPORTEMENT AU LIT.

1 - Il convient de flirter avec sa femme pour éveiller son désir. Le Prophète - salut et bénédiction sur lui- dit : «Que l'un de vous n'assaille pas sa femme comme une brute. Dépêchez un messaget ! mais quel messager, Envoyé d'Allah, lui demanda-t-on? C'est le baiser c'est la conversation intime répondit le Prophète- salut et bénédiction sur lui» .

2 - Il faut dire, avant d'approcher sa femme «Bismillah! au nom d'Allah Seigneur ! Préserves-en ce que tu nous accordes comme enfant» .

Si le mari prononce cette formule avant d'approcher sa femme, Satan n'aura aucun pouvoir sur leur enfant, si Allah décide de leur en accorder un de cette copulation .

(اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا) .

3 - Il est interdit d'approcher l'épouse en période de menstrues ni de lochies avant qu'elle ne soit complètement purifiée et lavée . Mais, il est permis au mari de jouir de sa femme - en état de menstrues ou de lochies sans attouchement des organes sexuels .

Allah dit «tenez - vous à l'écart de vos compagnes en période de menstrues et ne les approchez qu'une fois qu'elles se seront purifiées» .

Le sens du verset 222 La Vache

﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ .

COMPORTEMENT ENVERS LES ENFANTS.

L'enfant a aussi des droits sur son père. Celui- ci doit faire bon choix de la mère, donner un nom convenable à son enfant, célébrer à son attention la cérémonie d'Al-Akika, (qui est le sacrifice d'un mouton le 7ème jour de sa naissance) le circoncire, le traiter avec amour et douceur, veiller à son entretien, bien l'élever, lui donner une formation culturelle et morale satisfaisante, l'habituer à appliquer les enseignements de l'Islam, à en pratiquer le culte et les actes surérogatoires. Quand l'enfant atteint l'âge mûr, le

protéger sa chasteté et sa pudeur, la préserver de toute corruption morale ou religieuse, ne jamais lui permettre ni désobéissance à Allah ni libertinage. Il est le responsable chargé de sa protection. Le Prophète-salut et bènédiction sur lui- a dit : «L'homme est gouverneur dans sa famille. Il lui sera demandé compte de ses responsabilités» .

4 - Si le mari a plus d'une femme, il est tenu d'être équitable juste entre elles, dans la nourriture, le logement, les rapports sexuels et l'habillement. Une équité absolue doit être observée car Allah éprouve toute injustice. Il dit : «Si vous craignez d'être pratiaux, que ce soit alors une seule épouse» .

le sens du verset 3
Les Femmes

Le Prophète - salut et bénédiction sur lui- fit cette recommandation en faveur des femmes : « Le meilleur d'entre vous est celui qui se conduit le mieux envers sa femme. Je suis meilleur que vous envers ma famille» .

(خيركم خيركم لأهله وانا خيركم لأهلي) .

5 - Il ne doit jamais trahir le secret de sa femme, ni révéler ses défauts. Il est son homme de confiance chargé de la protéger et de la défendre .

Le Prophète - salut et bénédiction sur lui-a dit : «L'homme le plus désavantagé, le Jour de la Résurrection est celui qui, après s'être confié à sa femme et que celle -ci a fait de même, se met à trahir son secret» .

(أن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امراته وتفضى إليه ثم ينشر سرها) ؟

B) Les Droits du mari sur sa femme :

1 - La femme doit obéissance à son mari en tout ce qui n'est point illicite. Le Prophète - salut et bénédiction sur lui-dit :
«S'il m'avait été permis d'ordonner à quelqu'un de se prosterner devant un autre, c'est bien à la femme que j'aurais ordonné de se prosterner devant son mari» .

(لو كنت آمرا احدا ان يسجد لأحد لأمرت المراة ان تسجد لزوجها)

Il a dit aussi : «Quand l'épouse ne répond pas au désir sexuel de son mari et que celui-ci passe la nuit mécontent d'elle, les anges ne cessent de la maudire j'usqu'au matin» .

(إذا دعا الرجل امراته إلى فراشه فلم تاته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح) .

2 - La femme doit garder le foyer conjugal, ne pas le quitter sans le consentement de son époux. Si elle sort, elle est appelée à baisser le regard, à ne pas causer de mal, ni prononcer des propos vulgaires et indécents. Elle doit bien traiter les proches parents de son mari, car, manquer d'égards envers eux, c'est se conduire mal envers son époux. Le Prophète - salut et bénédiction sur lui a dit :

«La meilleure épouse est celle qui te réjouit quand tu la regardes, quand tu lui donnes un ordre, elle s'y conforme et quand tu t'absentes, elle préserve aussi bien ton honneur que tes biens» .

(خير النساء إذا نظرت إليها سرتك وإذا امرتها اطاعتك)

Il dit aussi : «N'empêchez pas les

﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾

Voici également cette exhortation du Prophète - salut et bénédiction sur lui - qui dit "Recommandez - vous réciproquement de bien traiter les femmes" .

Le Musulman se conduit de la sorte en signe de soumission à Allah . Quant aux droits particuliers exigés de part et d'autre, ils sont comme suit :

A) Les droits de l'épouse sur son mari .

Le Musulman est tenu de traiter convenablement sa femme, selon la prescription d'Allah .

Il doit la nourrir et la vêtir comme il le fait pour lui-même. Dans le cas où la femme brave les ordres de son mari, les dédaigne et se montre inflexible, il doit la ramener à la raison par les moyens qu'Allah lui a permis d'employer, c'est à-dire il l'exhorte sans l'insulter ni l'humilier, il l'abandome dans le lit coujugal. Si, malgré cela elle se montre intraitable, il la corrige mais sans brutalité : I.e. ni lui causer une blessure, ni la priver de l'usage d'un membre ou d'un sens; et il ne doit point la frapper sur le visage. Voici ce que prescrit le **coran :** [Pour celles dont vous craignez l'inconduite, vous pourrez les blâmer, leur tourner le dos dans le lit, les corriger même, si besoin est. Si elles se sont soumises, vous ne tenterez plus rien contre elles. Allah est si haut si grand] .

Le sens du verset 34
Les Femmes

﴿ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيراً ﴾ .

Un homme demanda au Prophète salut et bénédiction sur lui-: Quels droits a la femme de l'un d'entre nous sur son mari ?

- Il doit la nourrir quand il se nourrit, dit-il, l'habiller quand il s'habille, éviter le visage quand il la corrige. Il ne doit ni l'avilir ni la mettre en quarantaine que chez elle . Il dit aussi :

- Les droits qu' elles ont sur vous, c'est de les traiter aimablement, de les habiller et de les nourrir .

- L'homme croyant ne doit pas haïr sa femme : s'il trouve en elle un défaut, il a également une qualité qui le satisfait.

2 -Il doit l'instruire de l'essentiel de sa religion, si elle l'ignorait, ou lui permettre d'assister aux cercles d'instruction tenus dans les mosquées. Son besoin de consolider sa foi et de purifier son âme, n'est pas moindre que la nourriture qu'il lui fournit .

3 - Le mari doit encourager sa femme à suivre les enseignements de l'Islam et la ligne de conduite et à suivre il doit même exiger cela d'elle fermement. Il ne doit pas lui permettre de paraître daus une tenue indécente, de faire parade de ses charmes, de fréquenter des hommes qui sont susceptibles légalement de l'épouser . Il doit

LES RELATIONS ENTRE EPOUX.

Le Musulman reconnaît les bons rapports qui doivent régner entre les époux. Chacun d'eux a des droits sur l'autre. Allah les a signalés ainsi : [Les femmes ont autant de droits que de devoirs vis-à-vis de leurs époux. Une certaine prééminence demeure acquise aux hommes]
le sens du verset 228 laVache

« ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم »

Ce verset a fixé à chaque conjoint des droits qui lui sont propres, mais il a reconnu des droits spécifiques aux hommes dans certaines conditions. A l'occasion de son pèlerinage d'adieu, le Prophète - salut et bénédiction sur lui a mentionné ces droits en ces termes «Vous avez des droits sur vos femmes et elles ont des droits sur vous». Quelques - uns de ces droits sont communs, d'autres sont particuliers à chacun d'entre vous .

LES DROITS RÉCIPROQUES :
1 - LA FIDÉLITÉ .

Chacun des deux époux doit, à son conjoint, une fidélité absolue. La vie conjugale est une cellule sociale. La fidélité, la sincérité la franchise et la loyauté sont de rigueur dans la vie publique comme dans la vie privée des deux époux .

2 - L'AMOUR .

Chacun éprouve envers l'autre la meilleure part d'amour et de tendresse, et cela pour toute la vie. Allah a dit : [C'est un signe de lui que d'avoir créé pour vous des épouses, issues de vous-mêmes, auprès desquelles vous délassez. Il a suscité entre vous et elles affection et bonté] .
le sens du verset 21 Les Bysantins

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ .

3 - LA CONFIANCE RÉCIPROQUE :

Chacun des deux époux doit avoir une entière en son conjoint, une confiance qui n'admet aucun doute ni en sa franchise ni en sa fidélité. Chacun des deux doit considérer l'autre comme une partie de lui-même .

Partant de ce principe comment ne pas avoir confiance en soi-même? L'homme peut-il se duper lui-même ?

4 - LA CIVILITÉ COUTUMIERE .

Les deux époux doivent observer les actes de civilité coutumière telles que la sérénité de visage, le doux langage, la bienveillance et le respect. Ce sont là les rapports prescrits par le CORAN qui recommande [Vivez avec elles en bons rapports] .
le sens du verset
Les Femmes

pour dire qu'Abou-Bakr ordonna à Zaïd de ne point se fier uniquement à la mémoire, mais de chercher pour chaque verset deux témoins, copies écrites chez deux personnes. Il annonça dans la ville que tous coux qui possédaient des fragments écrits du Coran devaient les montrer à Zaïd. Un récit précise que ceci se passait à la grande mosquée[28], où Omar adjurait les témoins de dire si leurs copies avaient été contrôlées par le Prophète. Un autre récit affirme qu'Omar lui-même présenta un texte sur la lapidation des adultères, mais faute d'autres témoins[29], on le rejeta[30]. La copie préparée pour Abou-Bakr s'appelle généralement Mushaf[31] (lieu, ou collection, des feuilles), mais parfois également Rab'a[32] qui selon la racine signifie "la in 4[0]". Selon Ibn Kathîr[33], ce la signifie la collection des cahiers. Pour l'époque d'Othmân, on partle non seulement de deux scribes[34] principaux, mais même de quatre[53], probablement pour classifier les textes écrits sur des objets disparates. On parle également de douze[36] membres, probablement pour préparer plusieurs exemplaires. Selon les sources, c'est 4 ou 7 exemplaires[37] qu'Othmân envoya dans les grands centres de son immense empire, s'étendant de la Transoxiane jusqu'en Andalousie[38]. Il ordonna même de détruire les copies qui ne se conformaient pas à l'édition officielle[39].

A la lecture des divers récits, on a cette impression[40] que ce que Zaïd cherchait ce n'était pas seulement des fragments écrits du Coran, mais des rédactions de première main, sous la dictée personnelle du Prophète. Un récit[41] dut même qu'Abou-Bakr en trouva des feuilles dans la maison du Prophète, et qu'il les relia par un fil. Il n'existait apparemment pas de texte complet, sinon on ne se serait pas donné la peine de chercher des fragments parmi le public.

(Voir suite)

Dr Rokaya GABR

Obayy Ibn Ka'b, et disaient des choses que les Irakiens n'avaient pas entendues; ces derniers les ont donc accusés de mécréance . De même les Irakiens, qui suivent la lecture d'Ibn Mas'oud et lisent des choses que n'ont pas entendues les Syriens ; et les Syriens les ont accusés de mécréance. Zaïd ajoute : Othmân ibn Affân m'ordonna alors d'écrire pour lui un Coran, et me dit : Je te donnerai comme aide un homme intelligent et de goût littéraire . Ecrivez tous deux le Coran . Toutes les fois qu'il y aura une divergence entre vous deux, référez-m'en . Il nomma pour cela Abân Ibn Saïd Ibn Al-Aas — (également scribe du Prophète). Lorsque les deux (scribes) arrivèrent au verset (II,247) sur l'arche d'alliance, Zaïd dit : C'est tâbouh, et Abân dit : Non, c'est tâbout. Puis nous en référâmes àd Othmân, qui l'écrivit tâbout. Zaïd ajoute : Quand je l'eus terminé, je le collationnai. A ce moment je m'aperçus qu'il y manquait le verset (XXXIII, 23). Je l'ai présenté aux Mohâjirs, pour demander (s'ils le possédaient par écrit), mais je ne l'ai trouvé chez aucun d'eux. Puis je l'ai présenté aux Ansâr, pour demander (s'ils le possédaient), mais je ne l'ai pas trouvé chez eux non plus, sauf chez Khozaïma, c'est-à-dire fils de Thâbit. Alors je l'écrivis. Ensuite je le collationnai encore une fois, et je trouvai qu'il y manquait deux versets (IX. 128-9)[24]. Je me suis adressé anx Mohâjirs, mais n'ai trouvé ces (versets) chez aucun d'eux. Puis je me suis adressé aux Ansâr, pour leur demander à ce sujet. Chez eux non plus, je ne les ai pas frouvés, sauf chez un autre homme du même nom Khozaïfma. lors je les écrivis à la fin de la sourate 9. Si (au lieu de 2), il y avait eu 3 versets, je les aurais constitués en une sourate indépendante. Ensuite Othman demanda à Hafsa de lui prêter le volume (d'Omar), et jura qu'il le lui rendrait. Alors elle le lui donna. Othmân le collationna avec la (nouvelle copie), mais n'y trouva aucune différence. Il rendit donc le volume à Hafsa, et il en fut tout à fait heureux. Puis il ordonna au public de transcrire leurs copies du Coran (à partir de cette édition) .

Relevons quelques divergences ou détails supplémentaires d'après d'autres sources, comme Bokhâri, etc. La transcription sur des cahiers date du temps d'Abou-Bake et non pas d'Omar ce dernier possédant la copie confectionnée pour Abou Bakr Omar[26] songea à publier une édition officielle, mair mourut avant de le faire; cela revint donc à son successeur Othmân, La rédaction d'Othmân ne fut pas faite indépendamment du texte gardé par Hafsa, avec lequel elle aurait été collationnée par la suite, elle n'a été que la transcription de ce même texte, avec amélioration de l'orthographe de certains mots. Un récit dit[27] que lors de la première rédaction, Zaïd refusa de travailler si Omar ne collaborait pas avec lui. Les sources sont unanimes

préoccupaient l'attention du gouvernement et de la communauté . La bataille de Yamâma, contre l'imposteur Mosailima, fut particulièrement sanglante : cent mille ennemis contre treize mille Musulmans . Ceux-ci ne purent résister . Alors les Musulmans de la première heure, donc connaissant davantage le Coran, décidèrent de se séparer du gros de la troupe . Ils furent au nombre de trois mille et se placèrent sous le commandement de Sâlim, des plus grands connaisseurs du Coran . On les appelle les bataillons des connaisseurs du Coran . Sept cents de ces commandos de suicide périrent en compagnie de leur commandant, mais l'armée ennemie fut aussi anéantie .

Reportons-nous au scribe particulier du Prophète, Zaîd ibn Thâbit, qui dit (cf. Commentaire de Tabari I, 20) :
« Quand un certain nombre des compagnons du Prophète eurent été tués dans la bataille de Yamâma, Omar se rendit auprès du (calife) Abou-Bakr et dit : Les compagnons de l'Envoyé d'Allah tombent à Yamâma à la façon des papillons dans le feu, et je crains qu'ils le fassent toujours s'ils rencontraient une occasion (pareille) de se faire tuer, cependant qu'ils sont les porteurs du Coran. Ainsi le Coran sera perdu et oublié. Si tu le réunissais et le faisait écrire ... ! Abou-Bakr s'enfuit, et dit : « Ferais-je ce que n'a pas fait l'envoyé d'Allah ? » Ils échangèrent (des arguments) là-dessus . Ensuite Abou-Bakr fit venir Zaîd ibn Thâbit, qui rapporte : je me rendis chez lui cependant qu' Omar était tout prêt . Alors Abou- Bakr me dit : Celui-ci (: Omar) insiste pour que je fasse quelque chose que je refuse : Tu as été le scribe de la Révélation . Si tu es d'accord avec lui, je vous suivrai tous deux. Mais si tu es d'accord avec moi, je n'entreprendrai pas cette chose. Puis Abou-Bakr raconta le dire d'Omar, tandis que ce dernier se taisait. Je m'enfuis de cette (suggestion), et dis : « Fera-t-il ce que n'a pas fait l'Envoyé d'Allah ? jusqu'à ce qu'Omar dit un mot : Quel mal à vous si vous faites cela ?» Nous réfléchîmes, puis dîmes : Par Allah il n'y a pas de mal contre nous en cela. Zaîd ajoute : Abou-Bakr m'ordonna, et le l'écrivis lur des morceaux de cuir des omoplates et des nervures médiales de dattiers . Quand Abou-Bakr mourut et qu'Omar lui succéda, ce dernier l'écrivit en un seul volume (mushaf), qui resta chez lui . Quand lui aussi mourut, il resta chez (sa fille) Hafsa, veuve du Prophète . Puis Hodhaifa Ibn al-Yamân rentra après avoir participé — (en l'an 25 ou 30, selon les chroniqueurs) — à l'éxpédition contre l'Arménie, mais avant même d'aller dans sa maison (à Médine), il se rendit chez (le calife) Othmân, et lui dit : O calife, prends soin des gens ! Et lui de dire : « Qu'y a-t-il ? » Hodhaifa dit : « J'ai participé à l'expédition contre l'Arménie, expédition où il y avait des Irakiens tout comme des Syriens . Mais les Syriens suivaient la lecture coranique selon

Le papier n'existait pas encore, et les Musulmans de la Mecque pré-hégirienne, puis ceux de Médine se servaient, chacun selon ses moyens, de différents objets pour copier pour eux le texte du Coran : morceaux de parchemin et de cuir tanné, tablettes de bois, omoplates de chameaux, espèces de pierres blanches assez tendres pour que l'on y puisse graver facilement le texte, nervures médianes des dattiers, morceaux de poteries brisées, et ainsi de suite. (Un grand spécialiste de la question, le professeur Manâzir Ahsan Gîlâni pense que l'emploi d'os se de pierres était motivé par le souci de la conservation : une chose gravée risquait moins l'effacement qu'une chose écrite. De même le parchemin et le cuir étaient plus solides que le papyrus . Comme la Révélation ne se faisait que par fragments, on la notait provisoirement sur de menus objets, en attendant l'achèvement de la sourate, pour la copier ensuite sur des matériaux plus convenables) .

Evidemment tous les Musulmans de la première époque n'étaient pas également doués pour des vocations intellectuelles. Réaliste, Muhammad n'exigea pas non plus que tout un chacun prit toujours sans exception copie des révélations. Les uns étaient illettrés, les autres trop occupés à gagner leur vie, d'autres encore habitaient trop loin de la résidence du Prophète pour être quotidiennement au courant des nouvelles révélations, dont certaines furent reçues lors des voyages de Muhammad. Tout cela explique pourquoi personne ne possédait le texte complet : certains fragments chez les uns, et d'autres chez les autres, — par centaines déjà au temps de Muhammad .

Mais simultanément Muhammad insistait pour que l'on apprit par coeur le texte, afin de pouvoir le réciter lors des offices liturgiques. Là aussi il n'était pas obligatoire de se remémorer le texte tout entier : les uns apprenaient certaines sourates, d'autres certaines autres, mais quelques-uns la totalité des sourates. On dit[21] qu'au temps de la mort du Prophète, 4 à 8 Ansâr (tribu d'origine médinoise), dont une femme[22], étaient (sachant par coeur le texte tout entier, plus volumineux que le entateuque et les quatre Évangiles réunis); le nombre chez les Muhâjirs (d'origine mecquoise) n'est pas mentionné, mais ne doit pas être moins important .

C'est par cette double méthode que Muhammad voulut assurer la conservation de l'intégrité du texte du Coran : par écrit et de mémoire. Les fautes de graphie pouvaient être rectifiées par le texte appris par cœur, et les déficiences de la mémoire par référence au texte écrit. Cette lecture ou récitation pieuse se pratiquait toute la vie; elle se perpétua de génération en génération, jusqu'à nos jours : on étudie le texte devant un maître attitré, qui certifie l'authenticité du texte appris. Nous y reviendrons .

A la mort du Prophète, on n'y pensa pas tout de suite : les guerres dites de l'Apostasie, commencées dès les derniers mois de la vie de Muhammad,

Le Coran fut chose écrite même avant l'Hédine. Le Coran (XXV, 5, LVI. 79, XCVIII, 2, etc.) en témoigne. Mais on ne sait pas la date exacte où Muhammad pensa à faire rédiger par écrit les révélations qu'il recevait. On en parle déjà en l'an 5 de l'apostolat (8 avant l'Hégire), et on dit que la copie de la sourate 20 (chronologiquement 54) que possédait la soeur d'Omar fut à l'origine de la conversion d'Omar à l'Islam. Ibn Ishac cite cela en même temps qu'une autre explication du motif de sa conversion, où n'est pas question de documents écrits, et l'auteur ne sait pas lequel des deux récits est à préférer. Mais le premier récit est rapporté par d'autres sources aussi (mentionnées par Suhīlī)[15], où l'on précise que le document contenait au moins encore une sourate (la 81, chronologiquement 7). Il ne faut pas oublier que la toute première révélation eut pour thème l'éloge de la plume comme moyen de connaissance humaine. De là le souci du Prophète pour la conservation du Coran par écrit. Et. en effet, la sourate 80 (chronologiquement 24) parle aux versets 11-16 des copies écrites du Coran .

Les sources[16] sont d'accord pour dire que toutes les fois qu'un fragment de Coran était révélé, le Prophète appelait un de ses compagnons lettrés, et le lui dictait, tout en précisant la palce exacte du nouveau fragment dans l'ensemble déjà reçu. Rappelons que Muhammad n'a pas voulu une codification mécanique, par ordre chronologique, des révélations, mais un order qui donne aux passages une suite logique, et un développement cohérent, selon le style particulier du Coran. Les récits précisent[17] qu'après la dictée, Muhammad demandait au scribe de lui lire ce qu'il avait noté, pour pouvoir corriger les déficiences s'il y en avait .

Un autre célèbre récit[18] nous dit que le Prophète récitait chaque année, au mois de Ramadân, devant Gibril tout le Coran (révélé jusqu'alors), et qu'à ce moment la mémoire de Muhammad devenait en fait de Coran "plus féconde que le vent portant la pluie"; que le Ramadân qui précéda sa mort, Gibril le lui fit réciter par deux fois, chose dont Muhammad conclut à l'achèvement définitif de sa mission et à une mort prochaine. Ce récit implique tout au moins que lors du saint mois des jeûnes, le Prophète s'occupait chaque année de la révision du texte tout entier. On sait que des l'époque du Prophète les Musulmans prirent l'habitude de veiller, le mois de Ramadan, par des offices surérogatoires, en récitant le Coran tout entier. Plusieurs sources ajoutent que lors de cette dernière collation (arda)[19], son scribe Zaid[02] était présent. D'autres parlent de nombreux autres personnages aussi. Faut-il penser que le Prophète récitait le texte, en présence de ses compagnons collationnant leurs copies, et de Gibril prêt à intervenir s'il oubliait quelque chose ?

datant du Prophète, quelqu'un alors se rappelait des faits décisifs pour le problème. Dans la deuxième génération, les mémoires furent amalgamès, mais conservèrent les indications sur leur provenance. Plus tard, des codes plus vastes furent rédigés, selon les narrateurs, selon les sujets„ et ainsi de suite. On élabora une science de critique du Hadith, pour connaître l'authenticité de chaque récit individuel, pour en déterminer la date chronologique. en vue de déclarer lors d'un conflit entre deux récits egalement authentiques, lequel était abrogeant et lequel abrogéou limité à un cas particulier, et ainsi de suite .

Lors du dernier pèlerinage, Muhammad s'était adressé à cent quarante mille Musulmans. On peut avoir par là une idée du nombre des Musulmans à cette époque. Un spécialiste de l'époque classique nous assure que parmi ces centaines de milliers de compagnons du Prophète, plus de cent mille ont laissé de plus ou moins nombreux récits sur le Prophète[11]

Les codes du Hadîth sont nombreux. Ceux qui furent préparés par Bokhâri, Muslim, Tirmidhî, Abou-Dâoud, Nasâï et Ibn-Mâja — et surtout les deux premiers — ont trouvé la confiance la plus grande au sein de la communauté musulmane. Le plus ancien qui soit parvenu jusqu'à nous est la Sahîfa d'Abou-Huraira (mort 58 H.) à son élève Hammâm ibn Munabbih (m. 101 H.), document qui prouve l'authenticité impeccable des données des auteurs postérieurs comme Bokhâri, Muslim, etc .

Supposons que Bokhâri dise : Je tiens d'Ahmad Ibn Hanbal, qui le tient d'Abdar-Razzâc, qui le tient de Ma'mar, qui le tient de Hammâm, qui le tient d'Abou-Huraira, que le Prophète a dit telle ou telle chose. Depuis la fin de la deuxième guerre mondiale, on a découvert les manuscrits de Hammâm, de Ma'mar et d'Abdar Razzâc, — l'ouvrage d'Ahmad étant depuis longtemps connu. Or, en cherchant dans ces sources antérieures à Bokhâri, on constate que Bokhâri n'a ni menti ni ramassé le simple folklore de son époque : il se repose sur des sources écrites et authentiques .

IV - Histoire de la Rédaction du Coran :

HISTOIRE DE LA RÉDACTION DU CORAN

La toute première révélation, comportant les cinq premiers versets, très courts, de la sourate 96, resta gravée dans la mémoire de Muhammad, et il a dû la répéter souvent quand il racontait l'évènement à ses amis. Il y eut ensuite une interruption de trois ans, après quoi les révélations reprirent leur cours, et cela continua pendant kes derniers vingt ans, dont dix à Médine, de la vie de Muhammad .

rien de sa propre impulsion : tout, en lui, est Révélation à lui adressée. A partir de ce verset, et d'autres encore, la personne du Prophète prend une importance particulière au sein de l'Islam. Car non seulement ce qu'il dit, mais même ce qu'il fait ou tolère devient loi pour sa communauté, pour toujours.

Mais Muhammad faisait lui-même une distinction dans ce qu'il communiquait à sa communauté : pour certains messages, il disait : C'est d'Allah ; parfois, en attendant une Révélation, il faisait de lui-même effort de déduction de bon sens. Il arriva parfois qu'Allah n'approuva pas la décision prise par le Prophète, et immédiatement une Révélation vint la corriger, pour que sa communauté ne voile pas la volonté divine. Il y a donc distinction nette entre la personne publique du messager d'Allah et la personne privée de Muhammad - distinction pourtant sans grande portée, car si l'initiative privée du Prophète n'était pas abrogée par une Révélation, la communauté n'avait pas les moyens de savoir s'il s'agissait d'une opinion personnelle du Prophète, approuvée par Allah, ou de quelque chose basée dès l'origine sur la Révélation.

En outre, même la Révélation fut divisée par Muhammad en deux catégories très nettes : de certains cas, il disait : C'est d'Allah ; écrivez-le et apprenez-le par cœur pour le réciter liturgiquement dans les offices de prière-et c'est le Coran; ; des autres cas, il disait : Faites-le : même sans rien dire, il le pratiquait lui-même, et n'en ordonnait pas la codification. De la la différence entre la Révélation révélation récitée *(wahy matlour ,* la Révélation non-récitée *(wahy ghair matiou)* C'est cette dernière catégorie ainsi que les récits sur la pratique du Prophète en général (Même ses initiatives "privées") qu'on appelle indifféremment Hadîth ou Sunna.

"Hadîth" signifie la parole ; et Sunna signifie la conduite ou le comportement. il s'agit des deux à la fois, mais comme la langue arabe ne possédait pas un mot pour comprendre à la fois la parole et le comportement de quelqu'un, on emploie ici les deux termes dans le même sens. (il y a une subdivision du. Hadîth : parfois le Prophète, disait : Allah dit..., sans pourtant en ordonner l'inclusion dans le Coran. On appelle ce Hadîth : qudsi, c. - à-d. parole sainte).

Mohammad prit lui-même soin de la codification du Coran, non pas de celle du Hadîth. Ce dernier provient des mémoires privés de ses compagnons, sans critère autre que leurs propres capacités. Certains compagnons du Prophète, comme Abdullah ibn Amr[9] ou Anas ibn Mâlik[10], commencèrent la rédaction de leurs mémoires sur les paroles et les actions du Prophète dès son vivant; d'autres n'en sentirent le besoin qu'après sa mort; d'autres encore communiquèrent leurs connaissances oralement à leurs élèves ou, lorsqu'on cherchait un précédent

tour : “lorsque la révélation se faisait au Prophète, il transpirait, même au jour le plus froid[3]. Un autre ajoute : le Prophète pesait alors si lourd que si par hasard il se trouvait sur sa chamelle, elle préférait s’agenouiller, et si elle s’obstinait, alors ses jambes se courbaient, et l’on craignait qu’elles n’aillent craquer. Un autre compagnon précise : un jour je me trouvais auprès de lui, sa cuisse posant sur la mienne, à cause de l’affluence dans la salle (on est assis à même le sol, jambes repliées). Tout à coup l’état de révélation le saisit, et je sentais un poids écrasant qui devait briser mon fémur. Par Allah s’il ne s’était pas agi du Messager d’Allah j’aurais poussé des cris de douleur et retiré ma jambe[5] .

Quelquefois le Prophète s’étendait sur le dos, et l’on couvrait son visage de drap[6], mais ce fut plutôt rare. En général, il restait sur place, assis, immobile, et on le voyait pris d’extase, mais en quelques instants, il revenait à son éat normal[7].

C’est en état de pureté spirituelle et rituelle du Prophère que l’archange se présentait. Khadija, première épouse de Mohammad, rapporte[8] : “Au début de sa mission. Lorsqu’il me parla des visites de l’ange, je lui dis : Peux-tu me faire signe, lors d’une prochaine visite ¿ Un jour, il me dit : Le voilà qui apparaît : Je dis à Mohammad de’ s’asseoir à ma droite. puis demandai : Le vois-tu ? Il dit : Oui. je le fis asseoir à ma gauche, devant moi, et derrière moi, et posai toujours la même question, recevant la même réponse. Ensuite je pris mon mari dans mes bras et tout à coup il dit : Non, je ne le vois plus. Je compris alors que vraiment c’était un ange, car le Diable ne se serait jamais éloigné de nous lors de notre intimité conjugale.

II La durée de la Révélation du Coran :

Le Coran ne fut pas révéle tout à la fois, mais en fragments pendant vingt-trois ans (610-632) - Mohammad était né en 569 - et cela de la façon si chère aux juristes : chaque révélation à l’occasion même où l’on en avait besoin, et pour trancher un problème concret. Il aurait été bien absurde qu’à l’occasion d’un décès quand il aurait fallu promulguer la loi d’héritage, révélation eût été fait d’une loi pénale !

Le Coran que nous possédons se divise en 114 chapitres de dimensions très variées. Les chapitres eux-mêmes n’étaient pas toujours révélés en entir ; parfois plusieurs sourates furent à la fois objet de révélations fragmentaires; on les codifiait selon les directives du Prophète lui-même. Nous y reviendrons. Ce travail de compilation dura toute la vie missionnaire du Prophète, et le tout date de l’époque de Prophète lui-même : après sa mort la révélation cessa, et la communauté n’avait aucun droit d’ajouter ou de supprimer.

III La Coran et la Sunna

Selon le Coran, Mohammad ne dit

(1) Quelques aspects de la Science du Coran

Préambule .

Mohammad Hamidullah est célèbre dans les milieux qui s'intéressent aux études islamiques.

Professeur à l'Université d'Istambul, il est l'auteur d'une interprétation du Coran en langue française, publiée en l'an 1399 de l'Hégire (1973 J.C) Dans l'introduction de cet ouvrage, Hamidullah présente une excellente étude sur la Révélation et l'histoire de la rédaction du Coran .

Vu l'importance et l'intérêt d'une telle recherche faite par cet éminent savant, nous nous proposons à d'en présnter des extraits en vue d'en faire profiter le plus grand nombre de Musulmans .

Quelques aspects de la Science du Coran :

Le Coran est la "Parole incréé d'Allah" révélée à Son Envoyé, Mohammad (à lui bénédiction et salut) destinée à devenir le Livre Saint de la communauté Musulmane .

I - Comment eut lieu la Révélation ?

Voici ce que nous apprend Hamidullah à ce sujet :

Allah est transcendant et au-delà de toute perception humaine. Pourtant Il est plus près de l'homme que sa veine jugulaire (Coran, L, 16) : et c'est à Lui qu'il faut obéir. Par Sa grâce, Allah a choisi d'Allah temps en temps, chez tous les peuples, des hommes pour recevoir les révélations du message divin pour ensuite le communiquer à leurs peuples. Allah charge les messagers célestes, les anges, surtout l'archange Gibril (étymologiquement "Puissance d'Allah de transmettre le message de d'Allah au messager-homme, au prohète[2].

Mohammad a dit lui-même à diverses reprises à ses compagnons : la révélation se fait de différentes façons : parfois Gibril Prend la forme d'un homme, qui me parle comme parle un homme, parfois commè un être particulier, doté d'ailes, et je retiens tout ce qu'il me dit. D'autres fois, j'entends comme une cloche sonner dans mes oreilles - et c'est là la plus dure les épreuves - et tout, comme si c'était gravé dans ma mémoire.

Ses compagnons repportent à leur

REVUE AL-AZHAR

Section Française

Comité de Rédaction :
Dr Rokaya GABR, Professeur adjoint au
Département de Langue Française et de Traduction
M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

CONTENU

Dr Rokaya GABR
1) Quelques aspects de la Science du
Coran (voir suite) .

Mme Hoda Hussein Chaaraoui
2) Les Rapports Entre Les Epoux

And the Most Merciful never, never forsakes. For when the babe was nigh,
when Maryam was to deliver, Allah protected them
when those around her said : You have brought us a shocking thing.
Thus it was in time that Isa be protected and justified.
Maryam had perception from her Lord and then,
Mercy, by virtue of the words of a prophet :
I am a Sign from Allah, and He gave me knowledge
and Allah is the Best of Teachers.
And I was sent (as a messenger) to mislead not, nor trouble-make,
nor was I sent through indecency.
nor was I sent through sin (*).

According to classical scholars, Maryam is one of the great symbols of devoutness, sincerity and aubmission in Islam because of her extensive trust and belief in the miracles of Allah. In addition, to her belief in the message that was conveyed to her by Jibril about her ensuing conception of Isa and his purpose. Furthermore, she maintained her faith in spite of the insults peretrated against her by her own people, and thus she is emphasized in the text of the Holy Quran as a spiritual example for mankind. Maryam together with her son is a unified symbol to mankind of the power of Allah over all his creations. And Maryam as an individual is revered in Islam as a spiritual light in her own right.

(*) The author's translation of this poem, was re-cast into poetic form by S. Abdullah Schleifer.

of Aaron).(*) But, Allah redeemed Maryam, the Faithful, in the speech of the baby, the meanings of the original Arabic Text of the Holy Quran are :

" Then she pointed to him. They said : How can we talk to one who is in the cradle, a young boy ?
"He spoke : Lo ! I am the slave of Allah. He hath given me the Scripture and hath appointed me a Prophet",
"And hath made me blessed wheresover I may be, and hath enjoined upon me prayer and almsgiving so long as I remain alive"
"And (hath made me) dutiful, kind to my mother, and not arrogant or troublesome." (19 , 29-32).

The following poem by Umayyah highlights the spiritual and miraculous nature of Maryam's life :

"And in your din, Allah, Subhanallah, the Lord of Maryam, made
Maryam and the slave, Isa Ibn Maryam, a Sign, Clear, Proof.

Maryam, who turned in repentance to her Lord, lived thereupon in chastity,
and He exalted her above the carping crowd.
She had no wish nor even thought of marrriage, nor passion or
Platonic Company with men.
So Maryam lived, apart from any guradian kin, dwelling alone for her Lord
at the land's edge of desolation.
Her presence veiled from the traveller by night and even so by day.

A messenger from beyond this world and appetites, came down while all else slept :
Worry not, nor deny an angel from the Lord of Ad an Jurhum,
Heed and receive what you are asked to accept, for I am a messenger
from the Most Merciful, come with a son.

Said Maryam : How is this to be ?
I am neither with child, nor wayward nor a whore.

I give myself to the Most Merciful; if you be His messenger, then sit indeed, or go.

So he praised Allah and dazzled her and breathing deep his breath,
deep to her cloak's pit.
By him she became with child; an act for which there is no twin.

(*) In an effort to make sure that the unknowledgeable amongst the believers do not make the error of assuming that Maryam was actually the sister of Aaron, the scholars stress the great time span between the eras in which the two lived and explain that it is a reference to her pious ancestors and her position at the Temple.

Maryam's dedication by her mother, Hannah, to the sole purpose of worship, even before she was born, was an indication, a foretoken, of the kind of life she was to lead. Hannah's request was accepted, thus, according to Islam, making Maryam the only female of Bani Isra'il to have been given this honor. "Allah accepted her from her mother as one concecrated to Him and made her physically beautiful and made it easy for her and placed her among the pious of His subjects to learn knowlege, goodness and His religion from them. Therefore, He made Zakariyya her guardian so that she could gain this knowledge and piety from him. Zakariyya was the spiritual guide of Maryam bint Imran, Imran being her ancestral name, representing a people whom Allah chose because of their religion, because they had surrendered to the Will of Allah, the believers with respect to their acceptance of the Oneness of Allah and to their obedience to Him.

Maryam represents the epitome of sincerity in her faith. This outstanding strength of faith, which was to be tested throughout her life, was most pointedly examined when she was but more than a child. First, the angel, Jibril (Gabriel), (Alayhi as-salam), appears in the form of a perfect Man in order not to chock her with his true angelic form so that she would be able to accept what he was about to tell her. Nevertheless, Maryam, the pure, was frightened and prayed to her Lord for protection from this seeming mortal, and apparent stranger. Jibril then explained who he was and what Allah had sent him to do. Upon hearing this news, Maryam submitted immediately to the Will of her Lord, and Jibril breathed (blew) some of the Spirit of Allah into the hollow of the sleeve of her garment, and Allah's command : "Kun Fa Yakun" (Be ! And so it is), she conceived.

Then, when the labor pains came upon her, Maryam, the Pure, withdrew alone to give birth. There under a palm tree, fearing, that she would be suspected (by the people) of evil in her religion and abused, reproached, and this would tempt her (i.e., to lose her strength of faith), and that her family would suffer because of the slander associating her with adultery as this would be ruinous for them, she cried out to her Lord. This experience was the supreme test of Maryam's faith. It was such a severe test that Allah took mercy on her and provided her with food and drink. Having done so, He commanded her to fast, a fast which included not speaking to anyone for a day, a fast which was to replenish her faith such that she, Maryam, the Virgin, would be able to present to her people her newly-born baby. Finally, she set off with the infant to face the slanderous accusations of her people. In this context, the meanings of the original Arabic Text of the Holy Quran are :

"Then she brought him to her own folk, carrying him. They said : O Maryam ! Thou hast come with an amazing thing".
"O sister of Harun ! Thy father was not a wicked man nor was thy mother a harlot". (19 : 27-28).

Upon seeing her with this child, and having no knowledge of her having married anyoene, they accused her and slandered her using the epithet : Ya Ukhta Harun (O sister

The question may arise as to why Maryam, who was born to be eternally free of sin, devoted herself so staunchly to worship. Maryam's worship was an indication of her full submission to her Lord's command of obedience.

Therefore, Maryam's intense worship indicates both her desire to fulfill her Lord's command, and her gratefulnes for having been chosen for her unique position above the women of the worlds.

In Arabic, Maryam is entitled, "Al-Batul". She is called the Virgin Mary in the Christian context, thus stressing the physical aspect of her purity. The Arabic word, Al-Batul implies more. According to Lisan Al-Arab, the root of Batul, "batala", means to sever, or to cut off.

Lisan Al Arab further states that "Al-Batul min an-nisa" is the woman who separates herself from men, having no desire or need for them; thus, Maryam, "Al-Adhra" (the Virgin), was called "Al-Batul" because of her abstention from marriage, her severance from all concern with worldy affairs in order to worship Allah. "Batul" may also refer to physical beauty, in additon to spiritual excellence; consequently, she is described as the most beautiful and the most excellent of the women of her time.

The fact that Maryam was chosen to abstain from marriage and sever ties with worldly affairs distinguishes her in the Islamic context, as it places her outside the realm of what is generally advised for the believers, male or female. In Islam, the injunction for the Muslim is to be morally chaste before mariage; then to marry if possible, preserving this chastity in the sense of abstaining from extra-marital relations. In this context, the following meanings of the Arabic Text of the Holy Quran indicate :

"Let those who find not the wherewithal for marriage keep themselves
chaste until Allah gives them means...." (24 : 33).
" For men and women who guard their chastity..... For them has
Allah prepared forgiveness and great reward." (33 : 35).

The Qur'anic injunctions of the Arabic Text of the meanings of (24 : 33) and (33 : 35) apply to both men and women; thus, Muslim women are normally expected to marry, even re-marry in case of widowhood or divorce. The extraordinary status of Maryam who was designated never to marry, but to remain together with her son. The exceptions to this condition are found in the special status of the widows of the Prophet who were prohibited from re-marrying after his death; according to a Quranic command whose meanings of the Arabic Text are :

"Nor is it right for you that ye should annoy the Messenger of Allah,
or that ye should ever marry his widows after him. (33 : 53).

SAYYIDAH MARYAM, THE ISLAMIC SYMBOL OF PURITY AND FAITH

By Dr. Aliah Schleifer

Maryam, the mother of Isa (Jesus), (alayhima as-salam), symbolizes a variety of lofty charactersitics to the traditional scholars of Islam. She has been described as the outstanding example of the mother, and she exemplifies the qualities of submission, devoutness, fait, purity, righteousness, saintliness. Two of her attributes, have been chosen for the focus of this article; her purity and her faith. As texts about Maryam are found in the Holy Qur'an and the honourable Hadith, there is a substantial amount of classical commentary on the subject. The meanings of the Arabic Text of the Holy Quran

"And when the angels said: O Maryam! Lo ! Allah hath chosen thee and purified thee, and hath preferred thee above the women of all nations." meaning of verse (3 : 42).

Explications of the meaning of "purified thee" describe a range of characteristics of physical, moral and spiritual purification, Maryam was purified from any bad habits, and from the touch of man and the accusations of her people. She was purified from rebellious disbelief (kufr), and she was purified from sin, from the blemishes that are found in the religion of other women.

The following sound hadith emphasizes the exent of Maryam's purity, from birth to death :

"Abu Hurayrah narrated that the Messenger of Allah - (Alayhi Al-Salatu Wal-Salam) said : Each person, when his mother gives birth to him, is an instinctive believer. And his parents later make him a Jew or a Christian or a Magian (Fire worshipper); and if his parents are Muslims, then he will be a Muslim. Each person, when his mother gives birth to him, is struck by Satan in his sides, except Maryam and her son." (Muslim).

This Hadith stresses the Islamic doctrinal point that everyone is born pure of sin, but Satan immediately interferes, except in the case of Maryam and Isa, and also that it is one's environemt and upbringing that attempt to maintain the purity or distort it.

its precise explanation remains only in Allah's Knowledge and Providence; it is beyond the bracket of human conceptualization. The unity of life of every creation, and the unity of sustenance are preordained, and prequantified within The Supreme Soverign Equitable order of creation. All created things, animate and inanimate depend on Allah for their existence, this dependence can be construed as their continual utterance of Praise to Allah, of their figurative or actual prostration in devout worship to Allah.

The relation of esteem, love, and respect incumbent upon mankind towards parents is another theme of Islamic culture of major significance. The provisions of such injunction are among the doctrinal teachings of the Holy Quran. It is a Divine Ordinance, a Decree fom Allah, that parents should be treated with kindness, respect, dignity, honour, and to bestow upon them tenderness and genuine gratitude. This conduct ranks as an act of piety of the highest spiritual grace. The form of behaviour towards parents is a perpetual phenomenon of human life from one generation to another. Human generations do not only inherit genetic characteristics, they also inherit their own previous forms of behaviour towards their parents. It is a debt to be paid, an account that must be settled by Divine Justice.

Human life is a complete integrated complex systems of actions, events, interactions, mass and energy transfers, physical and spiritual changes; and all this within a perfect orderly system of conservation, within itself and with the infinite order of cosmic creation. The exact detailed multidimensional mechanisms that take place within this system is certainly beyond human recognition. This understanding must be evisaged with the maximum supreme value for human development of thought and rationality. This value is the vehicle and expression of Divine Wisdom, Transcendent Omniscence, Absolute Equity, Sovereign Guidance, Supreme Light.

Mankind is endowed with senses, rationatity of thought and understanding, and within him is the Transcendent Spirit. The purpose of man's creation is tremendous, he is the crown of creation, deputized to be the vicegerent of Allah on earth. Through this function, the natural human seraphic, divine, ethical actions must prevail. Indeed, through his physical nature, man must enjoy nature in all its forms. However, this enjoyment must be regularized by limits of appropriate priority, necessity and valuation. All acts must pertain to morals and values. There should be no theft, no cheating or monoply, no hording, no exploitation, no egotism or selfishness, no extravagance, wastefulness, or ostentatious consumption. Unchastity is condemned, and also all acts of vice and malice. The preservation of rights and justice, social stability, human fraternity, education, work, sense of duty, patience, and family integrity are all themes of Islamic culture. The greatness of Islamic culture originates from the greatness of the Islamic Theism itself, to develop firm conviction, to make the effort to strive for the fulfillment of the injunctions and ordinances of the Supreme Transcendent Light of Sovereignty.

are vócally resonated by the tongue, and echoed in the silence of the conscious mind. Not only mankind utters Praise to Allah; indeed everything in the infinite realms of the cosmic creation is in continual perpetual incessant Praise to Allah. Every atom, molecuke and particle in the vast universe are in permanent everlasting constant rhythm, uttering Praise to Allah, however we humans may not understand their language of praise. The ultimate purpose of "Praise to Allah" is to preserve the human seraphic element of mankind in unison and harmony with The Transcendent Light of the Absolute Supreme Being to become part of the integrated system of creation, in which every sybatamic body exhibits a sepecific phenomena which is its language of Praise to Allah.

The first aspect that emerges from the confident belief in Unicity of The Supreme Being is the absolute undisputable fact and reality of dictum that every individual human life has a specified period of time. This is the precise duration of one's life. Every human individual has a predetermined span of life to live; such is ordained by Divine Providence. Allah alone is the Life-Giver, and He alone is the Life-Taker. No power exists that can lengthen or shorten human life to one more extra breath. Everything is accurately defined and precisely predetermined with Divine Exactness. Every muscle contraction, every blink of the eye, every syllable uttered every morsel ingested; every atom of oxygen breathed; everything in human life is preordained by Divine Will, The Equitable, The All-Cognizant. Human life, a brief spell, a walking shadow, a grave responsibility for those who think. The Islamic understanding of life affirms that mankind is a guest in this world, an ephemeral visitor, whose departure from life is inevitable, determined only by Absolute Omnisciense. Such conceptualization entails the deep insight perception that mankind during life must conform with the Divine doctorines and injunctions stipulated and ordained by The Creator. Mankind is the vicegerent of Allah on earth because of his exclusive possession of the faculty of rational thought. For this, mankind has been entrusted with the Responsibility (Amanah) for which he will be judged by his conduct in life as a believer, a hypocrite, or an unbeliever. The believers are those who profess faith, and bring forth the fruits of their faith to their ambient life. The unbelievers are those who openly deny Faith, and form whom therefore no cultural fruits of faith are expected. The hypocrites are those who profess faith but do not strive to bring the fruits of faith into human life.

The second aspect that emerges from the confident belief in the Unicity of Allah, is the ultimate truth and actuality that man's sustenance in life is quantified by the Equitable Creator. Everything is prescribed by its measure, its character and destiny. No creature creeps on earth but Allah provides for its sustenance; He knows its purpose and destiny, preordained in His eternal order. Allah, The Sustainer, The Cherisher, provides sustenance to all ; this includes all means of physical, moral, intellectual, spiritual, and opulence growth and development according to His All-Cognizant Equitable will. To some, Allah grants in abundance, to others, the provision is constrained. Allah's Will is supreme, the quantified measure of sustenance for individual humans is precisely quantized. The scarcity or abundance is a matter that must be accepted with sincere content;

mankind assumes a cosmic function of paramount importance. This responsibility of obligation entrusted upon mankind constitutes all the actions, intentions, thought, the entire life, and the totality of human performance. This responsibility of obligation "Taklif" is exclusive without limits, the whole universe is the field of human function of responsibility. The characteristic paradigm of humanity in Islamic ontology is structured upon the meaning and content of "Taklif". Man's acceptance of the burden of "Taklif" promotes him to a higher level than the rest of creation, indeed higher than the angels. Only mankind is capable of "Taklif", and this fact constitutes the cosmic significance of humanity. The Islamic concept of humanism is genuinely unique; it is structured on "Taklif", and defines the value of mankind in terms of virtues. It also evaluates the virtues and ideals of human life in terms of human nature, without glorified idolization or malicious defamation. This Islamic concept of humanity is very different to the Christian concept which debases mankind with the "original sin"; and which was absolutized in order to require the incarnation and crucifixion of god for the redemption and atonement of mankind. The whole paradigm of Islamic culture is organized an "Taklif", addressing the faculty of thought as the superior master function of mankind.

In the monolithic uniform system of Islam, religious injunctions are an integral inseparable part of human life. These injunctions organize the conceptual understandings required for the performance of every infinitesimal action, intention or thought. The primal understanding in Islamic knowledge is the Unity of Truth, the ultimate principle of the Unity of The Divine Being. Fom this nucleus of Reality manifests the different phases of religious experience and the different levels of certainty of conviction. The life of the individual is constantly under the All-Seeing vision of Allah, under the norms of the Divine Will, and under the everlasting shadow of impending judgement according to the Divine balance of absolute justice. This is the optimized milieu of human self-discipline and functional self-motivation. Every order of nature is sustained by Divine Absolute Knowledge, where Transcendent Power provides mankined with the vast rich ground for action. The gates of knowledge of the sciences of the wonders of creation are wide open for experimental exploitation and development. All the facts and values, all become synthesized as one evidence of Tructh proceeding from Allah and fulfilling His Will. This means that every atom in the entire cosmos moves by Divine agency, in a Divine dependency, and for a value that is of a Divine Will. Such imderstanding is the essence of Islamic Culture, it is the Reality of the collective mind, and the ground plan upon which Islamic thought is structured.

Mankind is required to praise Allah for the infinite bounties provided for the service of the human race; everything in creation is harnessed to serve mankind. The statements "Praise be to Allah" (Alhamdu Lillah), "Allah is most supreme" (Allahu Akbar), "No power and no sustenance except from Allah" (La Hawla, Wala Quwata Illa Bellah); are uttered repeatedly by Muslims through the day, following every Salat. These statements

THEMES OF ISLAMIC CULTURE

Part III

By: Saad Moustafa Moustafa, M.D.

The concept of the "Ummah" in Islamic doctrines provides the patterns of the fundamental basic intigrated social infrastructure that originates from the primordial element of the unequivocal conviction that there is no god but Allah, (La ilaha illa Allah). The binding matrix of the complete lattice of consmic creation including the totality of human existence is the outcome of that Primal Truth. This conviction entrusts the human cognitive function wtih a consistent milieu of conceptualization, characterized by its universality in nature and in function. Consequently, the cohesive unity of thought between individuals within the society will harmonize its ultimate performance into unison of propagation. Within the primordial element of unequivocal conviction that (there is no god but Allah) lies the nucleus of the conceptual understanding of Creation towards which the harmonized unison of propagation is directed, and upon which it is structured.

This holds that Allah alone is the sole Creater who gave everything its existence, who is the ultimate cause of every event, and the final End of all that is. Allah "The First" has the precedence, from His Being all else came to exist. Ultimately Allah is "The Last", all beings shall return to him, he disposes of their destiny. Allah is "The Evident" whose Existence and Omnipresence are established by evidence through the exercise of logic; yet His Presence can be visualized through perception of the senses. This conviction entails the conscious absolute understanding of its implications to realize that everything that surrounds us whether things or events, all that takes place in the natural, social and physical fields, and all that happens in the infinite realms of cosmic creation is the action of Allah, determined by His Will, discharged by His Power, for the fulfillment of His Purpose. Humans are not creators, they can neither give nor take away, they act as agents; and the moral worth or unworth of human deeds individually or collectively is exclusively the human responsibility.

Obedience to Allah and the observance of Divine injunctions are the objective pursuit of human life. Man has been invested with Divine trust, the fulfillment of the ethical aspect of Divine Will; whose very nature requires that it must be accomplished in the freedom of man's liberal elective volition. This function is the ultimate purpose of human existence, man's definition of the true meaning of his life. By virtue of this trust,

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part VI

Jumadah Al Akhirah, 1412, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

(The editor of the English Section advances his apolgeies for not publishing the article on Omar Ibn Al-Khattab, this month, for unavoidable reasons).

1.Theme of Islamic Culture (Part III)

By: Saad Moustafa Moustafa.

2- Sayyidah Maryam, The Islamic Symbol of Purity and Faith

BY : Aliah Schleifer

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

رجب ١٤١٢ هـ
يناير ١٩٩٢ م
الجزء السابع
السنة الرابعة والستون

م ١٢
ع ٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

العظة وكبار النفوس

ونعنى بـ « كِبَار النفوس » نفوسا تعرف فى ذاتها ـ قيمتها ـ فلا يَغْلُو بها سَفَهٌ إلى غرور الكبر ، ولا تَسْفُلُ بها أَثَرَةٌ إلى دناءة الجهل ، وبمعرفتها لقيمتها عَرَفَتْ حُدودَها ، فقامت بواجبها امانة مُؤَدَّاةً ، ووزْراً تتخفف عنه ، فإن نَزَغَهَا شيطان فماأسرع ماترعوى وتنقاد لطبيعة الخير فيها فتثوب إلى الله ـ تعالى مجده ، وتبارك عزه .

من تلك النفوس النادرة ابو ايوب سليمان بن عبد الملك الخليفة المروانى . كان جميلا مهيبا ، تانق يوم جُمُعَةٍ فى ملبسه حتى اعجبته نفسه فَزُهِىَ بها لحظة إلى ان مرت إحدى نسائه ، فقال لها : كيف تَرَيْنَ امير المؤمنين ؟ قالت : أراه مُنَى النفس وقرة العين ، لولا ما قال الشاعر !

قال : وما قال ؟ قالت : قال :

انتَ نِعْمَ المتاعُ لـو كنتَ تبقى
غـيرَ أن لابقـاء لـلإنسـانِ
ليس انَّـا يُـرِيبُنَـا منـك شيءٌ
عَلِـمَ اللـهُ . غـيرَ انـك فـانِ

فدمعت عيناه ، وخرج على الناس باكيا .

العظـة وكبـار النفـوس

وَلِرُشْدِهِ هذا قَرَّب إليه ابنَ عمه عُمرَ بن عبد العزيز ، وجعله وزيره ومُشِيرَهُ ، فكان نعم الوزير والمشير الحريص على سداد ابن عمه وصلاح رعيته .

اصطحبه فى حجة له .. فلما كان الموقف الرهيب بـ « عرفات » رَعَدَت السماءُ لمطر فارتجف سليمان حتى ألقى بصدره على رحله جزعا ، فقال عمر : هذه (الرَّعْدَةُ) جاءت برحمة ؛ فكيف لو جاءت بِسَخْطَةٍ ؟! فلما عَلاَ برأسه نظر إلى الناس فإذا هم كثير ، فقال : ما أكثرَ الناسَ !!

فقال عمر : خُصَماؤك ياأمير المؤمنين !! فقال له سليمان : ابتلاك اللهُ بهم !!

وأُجِيبت الدعوة فإذا عُمر أمير المؤمنين ، وحاكمهم شرقا وغربا ، وأعلمهم بثقل الأمانة ، وأشدهم خشية لله ، وأطوعهم لله فى عِبادِهِ ، وأفقرهم مالاً فى رعيته ، فلم يَعْلُ به السفهُ إلى غرور الكبر ، ولم تَسْفُل به الأَثَرَةُ إلى دناءة الجهل ، فلم يبق فى الرعية مكروب ولا ذو حاجة .

وهو ـ مع ذلك كله ـ لم يفعل المستحيل ، إنما عمل بإمكانياته وهو القوى الأمين .

ولعله ـ وحيد عصره ـ الذى يمكنه أن يعتذر لله ـ الرحيم ، فيقول : « يارب كنتُ أفقر رعيتك حتى مَلَكُوا ما لم أَمْلِك ، وتمتعوا بما صرفَتْنِى عنه خشيتُك ، ونَعِمُوا بأهليهم بما رغبتُ عنه رغبة فيك ، فلولا ما أنزلت فى قلوب أهلى من حب لى لعشتُ بلا أنيس ، وهذا مال الزكاة جمعناه ، فلم نجد فقيرا يستحقه لولا تأويل وفقنا إليه .

يارب هأنذا والرعية خصمائى بين يديك ، لا أعلم أحداً تطاول إلى حقك حتى زجرته فرددتُهُ إلى الوفاء لك ، ولا أعلم محسنا فى دينك لم أنتفع به ، ولا عالما بكتابك وسنة نبيك إلا أجللتُهُ فلم أهْزَأْ به ، ولم أتطاول عليه ، ولم أسكت على سخرية به ، ولم أشجع عَلَى لَمْزٍ فيه .

ويارب . هذه أمتك عاشت معى على أنقى من الراحة ، فما ضاقتْ بالعيش ، ولا نَفَرَتْ من الوطن .

يارب ، ولم أجعل لأعداء دينك سبيلا علىَّ ولا على أمتك، فلم يكن لهم منى إلا الصَّغَار الذى أردتَهُ لهم ، وهل نَفَرَ من هديك إلا صاغراً أذل » .

ومضى العُمْرُ بِعُمر حتى إذا كانت النهاية سمعته فاطمة بنت عبد الملك زوجه يقرأ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ـ القصص ٨٣ ـ فأقبلت عليه ؛ فإذا هو قد أقبل بوجهه إلى القِبْلة وغمضَ عينيه بإحدى يديه ، وضَمَّ فَاهُ بالأخرى .

كان قُبِضَ .

رحمه الله الرحمن الرحيم .

د. على أحمد الخطيب

في شهر رجب الفرد كانت منحة أذهبت المحنة

بقلم: صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

* هاهو هلال شهر رجب الفرد الذى بين جُمَادَى وشعبان ، قد اهله الله على خلقه فى ارضه هلالا وليدا ، ينمو كسُنَّةِ الله فى كونه حتى يكتمل نوره ويفيض ضَوْؤُهُ هدايةً للسارين ، وإرشادا للسالكين .

* ورجب من الاشهر الحرم التى كرمها الله وشرفها واعلى ذكرها وقدرها فى القرآن الكريم، ففى سورة التوبة قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(١) .

* وفى هذا الشهر الحرام كانت منة الله على الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتكريمه بالإسراء به إلى بيت المقدس وصلاته بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وعلى إمامهم إيذانا بسير الإنسانية إلى وحدة الدين .

* ولقد تحدث القرآن عن هذا فى سورة الإسراء فقال الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٢) .

---

(١) الآية : ٣٦ .
(٢) الآية : ١ .

في شهر رجب الفرد كانت منحة أذهبت المحنة

* ثم كان العروج به إلى السموات العلا تشريفا ورفعة مكان، وعلو منزلة على ما تشير إليه الآيات في سورة النجم .

* ولقد وقع حادث الإسراء إلى بيت المقدس والعروج إلى السموات العُلا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن بلغ الجهد منه مبلغه ، وتواكبت المعوقات، وتشابكت في سبيل نشر دينه الإسلام : فهؤلاء كبار القوم ، بل وسفهاؤهم يتعهدون مجالسه بالتضييق والاستهزاء ، ويطاردون من آمنوا به ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، وهاهو عمه أبو طالب قد نزل به قضاء الله ، فصار تحت الثرى، وهاهى زوجه خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ قد حُمَّ القضاء فيها ، وطَمَّ البلاء بموتها ، وقد كانا أقوى البصراء بأمره والمؤازرين لدعوته ، والعاملين على حمايته ، فَزَوْجُهُ هذه كانت نعم الأنيس والجليس ، تعينه على هذا الأمر، وتشد من عزمه ، استمع إليها وهى تقول له ـ غداة بدء الرسالة، وإثر عودته من غار حراء : « كلا والله لن يخزيك الله أبدا ؟ إنك لتحمل الكلَّ وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر » .. وتسرع معه إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ليسمع منه الجديد المفيد الوافد به إلى الناس بالبر والرحمة والعدل .

* وهذا عمه أبو طالب ومواقفه في تأييده ودفاعه عنه في منتديات القوم ومجالسهم مما قد حفلت بها مدونات السير والتاريخ .

* في ظلال هذه الأنواء كانت رحمة الله برسوله ﷺ بالإسراء والمعراج تسرية عنه، وتثبيتا لقلبه .

* هذه الرحلة المباركة تحمل لأمة الإسلام الكثير الوفير من الدروس التى يزداد بها المؤمنون إيمانا .

* بهذه الدروس يعلمنا الله سبحانه وتعالى أنه الخالق لكل شىء، والقادر على كل شىء، وأنه الإله المعبود المنزه عن كل نقيصة ، تنزيها كاملا ، وأنه ـ وحده ـ الذى تعنو له الجِباهُ وتخضع .

* وفي فرض الصلاة في هذه الرحلة السماوية إلى الملأ الأعلى آية على أن عبادة الله تسمو بالعباد إلى أعلى المراتب ، وفيها يتحقق الذكر الدائم الذى يؤتى ثماره في فكر المؤمن وسلوكه، وهى تكريم للإنسانية في ذات الرسول المكرم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتكريم لعقل الإنسان الذى اتخذه القرآن الكريم موئلا للعلم والتكليفات بالمشروع من العبادات وأحكام الشريعة ، وهو الوسيلة التى بها استخلف الله الإنسان لإعمار هذه الحياة .

* هذه الرحلة تدعو المسلمين إلى توثيق الإيمان بالغيب وتأكيده حتى يستكن في قلوبهم اتباعا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستقبالا للرحمة المهداة ، والنعمة المسداة إلى الإنسانية جمعاء ، باعتباره بشرا رسولا قدوة في عباداته ومعاملاته وأخلاقه وسلوكه وصفاء نفسه ، فيتمسك بعقيدته وبشريعته وبكتابه القرآن .

* وَدَعُونا من أولئك الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، فافتروا على الله وعلى رسوله وعلى دينه وسخروا من تشريعه وأحكامه وذهبوا يصدون عن سبيل الله إما بالغلو في الدين أو بالتفريط فيما أمروا به أو بارتكاب ما نهوا عنه .

* لتكن ذكرى الإسراء والمعراج برسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حافزا للمسلمين إلى المزيد من الترابط والتساند والتكافل ؛ بل والتكامل فقد أسبغ الله عليهم صفة الأخوة .

* لتكن هذه الذكرى دافعا إلى أن تحاسب الأمة نفسها : ماذا خسرت من الانحراف عن أحكام الإسلام ؟

* إن التاجر الناجح هو الذى يضبط دفاتر أعماله ، حتى يستظهر العائد والفاقد،ويميز الخبيث من الطيب ، فاسْتَظْهِرُوا ـ أمة الإسلام ـ هل ازددتم قوة بميلكم عن منهج الله ؟ أو ضللتم الطريق إلى العودة إليه ؟.

* ألم يكن الإسراء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بيت المقدس ، فأين أنتم من هذا البيت ؟ كيف استحللتم العزوف عن نصرته،وإمداد حراسه وحماته أطفال الحجارة ؟ أين أنتم وبيت المقدس ، يقتحمه شذاذ الآفاق كل يوم ويبذلون النفس والنفيس للسيطرة عليه ، بل وهدمه ؟ .

* إن بيتَ المقدس عِرْضُ هذه الأمة وأهلَه فى ذمتها.

* ألا إنهم يحيطون هذه المقدسات بأجسادهم وأرواحهم .

* فلتكن أمة الإسلام لهم سندا ومددا ولتصمد فى وجه الصعوبات والمعوقات والمناورات ، فلا يصرفها عن استرداد القدس،وسائر الأرض العربية المحتلة أية عوائق أو أية خلافات يفتعلها أولئك المعوقون الذين يقولون ما لا يفعلون ؛ فإن الواجب التعامل مع الحق وباسمه لاسترداده ، ذلك قدر أمة الإسلام وزعمائها المعاصرين ولا يضركم أيها الزعماء المخلصون لقضايا هذه الأمة من ضل إذا اهتديتم ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٣) .

فى شهر رجب الفرد يجب ألا تصرف الأحفال التى تقام هنا وهناك فى ذكرى الإسراء والمعراج عن استظهار العلل التى تسرى فى جسم الأمة،والانحراف عن الإسلام حتى طاف بها وطوقها يذكيه أولئك الذين استهوتهم الشياطين ، فأملت عليهم ذلك الإفك الذى ينشرون لا يَرْعَوْنَ فى الله إلاًّ ولا ذمة : ﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

إن هذا الغلاء والأزمة الاقتصادية التى تقاسى منها الأمة الإسلامية ابتلاء من الله بعد أن ظهر فيها التهجم على دينه الإسلام،والمجاهرة بالمعاصى ، والمفاخرة بارتكابها والمبالغة فى استباحة المحرمات من الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، بل قد ظهر من يجاهر بالقول المنافى لأدب الإسلام المحرض على انتهاك ما حرم الله-وهو فى موضع القدوة-وكأنه لم يسمع قول الله سبحانه فى القرآن :

﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾(٤) .

وقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث الذى أخرجه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين وأن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول:يافلان عملت البارحة كذا وكذا،وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه » ثم هل قرأ هؤلاء المجاهرون بآثامهم مشاهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ليلة الإسراء والمعراج لأصحاب السيئات ومنهم المجاهرون .

◆

(٣) من الآية ٢٠٠ سورة آل عمران .

(٤) الآية ١٤٨ سورة النساء .

♦ فى شهر رجب الفرد كانت منحة أذهبت المحنة

أين القدوة المفترضة فى القادة ، كل فى موقعه . إنها القدوة فى كل شىء فى الانضباط فى القول وفى العمل ، فى السلوك ، فى الأخلاق فى الالتزام بالآداب والأعراف القويمة ، لاسيما أدب الإسلام الذى ارتضاه الله للناس طريقا مستقيما .

إنها مسئولية ومن لم يفِ بها وتفلت منها يكون قد خان الأمانة التى حملها .

ثم هل لهؤلاء الذين غاض الحياء من وجوههم فذهبوا ينشرون على الناس سيئاتهم،ويتباهون بآثامهم أن يعرفوا أن صنيعهم هذا ليس من الحرية الشخصية،ولا من حرية الكلمة التى قدسها الإسلام،وذاد عنها وضرب لها الأمثال .

فقد وصف الله سبحانه فى كتابه الكلمة الطيبة التى تؤتى ثمرتها الطيبة ، لا تلك الكلمة الخبيثة التى هى كالشجرة الخبيثة التى اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار .. ثم هلا احتفت الأمة فى شهر رجب بالدروس التى تستفاد من صنع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه فى هذا الشهر من عام العسرة فيواجهوا واقعهم وما حاق وأحاط بهم من مصاعب ومتاعب سياسية واجتماعية واقتصادية فاستلهموا الرشد حتى يهيىء الله لهم من كل هم فرجا ، ومن كل كرب مخرجا ،

أفلا ينظرون إلى مَنْ حولهم مِمَّنْ استهانوا بهم ؟

.. فهذه المذابح فى الهند التى تباد فيها قرى المسلمين بأكملها،وفى كشمير وفى فلسطين،وفى أفغانستان ويوغسلافيا ، ظلم وظلمات تخيم على المسلمين فى كل مكان ممن يتنادون بحقوق الإنسان ويتباهون بأنهم دعاة العدالة والديمقراطية مع أن أفعالهم تناقض أقوالهم لبئس ما كانوا يفعلون .

ليكن شهر رجب شهر تذكرة ننهض بها إلى التخلى عما فرطنا فيه،والتحلى بما نستقيم به على الإسلام عقيدة وشريعة ، فإن من تخلى عن الباطل ، واستمسك وتحلى بالحق كان الله معه . ومن سُنَّة الله فى خلقه أن يأخذ بيد من استقاموا على الطريق القويم . وصدق الله سبحانه فقد قال فى كتابه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٥) وقال :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾(٦) .

وقال : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٧) .

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

---

(٥) من الآية ١١ من سورة الرعد .

(٦) من الآية ٢٥١ سورة البقرة .

(٧) من الآية ٤٠ سورة الحج .

مقدمة لبدر

لفضيلة الأستاذ
الدكتور عبد الجليل شلبى

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ . يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ . وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ . لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ .

بينت السورة فى بدايتها أن قسمة الأنفال وتوزيعها بين المحاربين أمر مرده إلى الله ورسوله ، وكان الشبان المحاربون فى بدر ـ يريدونها لأنفسهم ، لأنهم هم الذين حاربوا وهزموا عدوهم ، وكان الذين وقفوا من ورائهم يحمونهم ويحمون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد جمعوا منها ماجمعوا ، وقالوا لولا حمايتنا ظهور المحاربين وموقفنا وراءهم ما أحرزوا نصرا ، فبين الله ـ سبحانه ـ أن قسمة الأنفال ليست إليهم ، وإنما هى لله ورسوله ، وكان فى ذلك خير لهم أى خير ، به تآلفت قلوبهم ، وطابت أنفسهم ، ورسخ إخاؤهم ومودتهم ، ولم يكونوا أول أمرهم يدركون ذلك ، بل كره كل فريق منهم أن يشاركه الفريق الآخر .

والآية هنا تشبه خروجهم إلى لقاء عدوهم يوم بدر بهذا الموقف ، إذ طلب إليهم أن يوجهوا إلى شىء ثقيل عليهم وهو خير لهم . ففريق منهم كانوا راغبين عن الحرب وملاقاة الأعداء المسلحين ، وكانوا يؤثرون الاستيلاء على قافلة أبى سفيان العائدة من الشام ، يرون أن خيرها كثير ومشقتها قليلة ، فليس مع أبى سفيان محاربون . وغنيمتهم منه سهلة المنال ، فهؤلاء هم الكارهون للقتال . ولكن الله ـ سبحانه ـ وهو أعلم بخيرهم منهم . ـ يريد إحقاق الحق وتثبيت

مقدمة بـــدر

الإسلام وفى ذلك ماهو خير لهم من قافلة أبى سفيان وصحبه.

وقبل أن نمضى فى تفسير الآية نورد اعتـراضـات المستشرقين واتبـاعهـم من المستغربين . قالوا ـ فى كثير من التبجح : إن محمداً عقب هجرته إلى يثرب أصبح قاطع طريق وأحْيَا عادات جاهلية حاربها من قبل ، استساغ قطع الطريق على أبى سفيان ونهب تجارته وترصد قوافل التجارة المكية شرقا وغربا(١) .

ولكننا نذكر أمرين ذوى أهمية فى هذا الصدد .

أولهما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج من مكة ، وخرج المسلمون والمهاجرون ـ قبله وبعده ـ وتركوا أموالهم وديارهم فاستولى عليها مشركو مكة بغير وجه ، وإذن فالمسلمون فى حل من مصادرة أموال المكيين فى مقابلة عدوانهم عليهم وأخذهم أموالهم ، انتقاما لما نالهم من تشريد ونهب ممتلكات .

والأمر الثانى أن المسلمين فى المدينة والقـرشيين فى مكـة أصبحـوا طـائفتين متحاربتين ـ بعضهم لبعض عدو ـ وفى حال إعلان الحرب بين جماعتين ، تنال كل طائفة من عدوها ما تستطيع ، والقرشيون هم الذين بدأوا العداء ، وكانوا يصدون المسلمين عن الحج والقدوم إلى مكة للطواف حول الكعبة ، فلم يكن بد للمسلمين أن يدافعوا عن حريتهم الدينية والاجتماعية ، وأن يخضدوا شوكة عدوهم كى يأمنوا شره ، ويأمنوا على أنفسهم .

لم يكن المسلمون إذن قطاع طريق ، ولم يحاربوا غير القرشيين الذين حاربوهم . ثم إن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب رسالة كلف ببلاغها ، وكلف أن يجاهد فى سبيلها ونشرها بين الوثنيين ، وقد أمره الله الذى ألقى عليه أعباء الرسالة أن يضطلع بهذا الواجب ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَاأُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وكلف المسلمون أيضا بهذا الجهاد ﴿ وَجَاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ .

فالجهاد أمر حتمى لكل دعوة ، والمسيحية الآن تنشر بالقوة فى غير مكان ، وجزر الفيلبين مسرح الآن للقوى الأمريكية تحارب الإسلام فيها بغير هوادة ، ولو كان الجهاد قائما بين المسلمين ، ما كانت بلاد المسلمين فى أى مكان فريسة للمعتدين ، والقاعدة الإسلامية العامة أنه لو اعتدى على امرأة مسلمة فى أقصى المغرب لوجب على المسلمين فى أقصى المشرق أن يهبوا لنصرها .

الجهاد أساس من أسس الإسلام كما أنه أساس الدعوة لكل مبدأ .

ثم إن نبى الإسلام ـ بعد هذا الجهاد الطويل والحروب المستمرة لم يترك لنفسه شيئا بل مات ودرعه مرهونة عند يهودى ، وقال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة ، وكان فى بيته ثمانية دراهم يوم أن مات ، فأمر بإخراجها صدقة قبل أن يموت ، ووضعها فى يده وقال : ما ظن محمد بربه إذا مات وفى بيته هذه الدراهم .

(١) من المستغربين الذين توسعوا فى هذه التهمة « أبكار السقاف » فى كتابها « العقل البشرى فى مراحله التطورية » .

أمثل هذا يوصف بأنه قاطع طريق ؟

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد ترصد أبا سفيان متجها بقافلة إلى الشام فأفلت منه ، فظل يتحين عودتها ، وبث عيونه يستطلعون أنباءها ، فلما علم بها مقبلة ندب المسلمين إليها ، وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن يَنْفِلَكُموهَا . أى يمنحكم إياها نافلة .

وخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن معه حتى بلغوا وادى ذِفْران ـ وكان أبو سفيان قد خشى المسلمين وتوقع مقابلتهم له ، فأرسل إلى أهل مكة يستنفرهم لمعونته واستنقاذه . ومال بقافلته إلى ساحل البحر متحاشيا المرور بالمدينة . وكان من الممكن أن ينتهى الموقف إلى هذا الحد ، ولكن القرشيين رغم ما علموه من نجاة القافلة أصروا على حرب المسلمين . وعبأوا جيشا ثقيلا للقضاء عليهم ، وتزعم أبو جهل هذه الدعوة وصاح فى قومه : النجاء النجاء على كل صعب وذلول ، عيركم هى أموالكم إن أصابها محمد فلن تفلحوا بعدها أبداً ، وخرج بمن معه ، فقيل له : إن العير قد نجت فارجع بالناس ، فقال : لا والله لا يكون ذلك أبداً حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ، ونقيم القينات والمعازف ببدر[٢] فيتسامع الناس بمخرجنا ، وأن محمداً لم يصب العير وأنا قد أعضضناه[٣] فمضى ومن معه إلى بدر ـ وبدر يومئذ ماء تجتمع فيه العرب لسوق لهم تستمر يوما كل سنة .

وأوحى الله إلى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الله وعدهم إحدى الطائفتين ، إما العير وإما قريشا ، وقد أفلتت العير ، فلم يبق إلا قريش ، وقريش خرجت على كل صعب وذلول ، والمسلمون لم يستعدوا لحرب .

واستشار ـ صلى الله عليه وسلم ـ قومه ، ماتقولون ، العير أحب إليكم أم النفير ؟ قالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو وكره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ردهم وكرر قوله ، فقالوا عليك بالعير ودع العدو ، والله مالنا طاقة بقتاله ، ولكنا أردنا العير .

كان الغضب باديا على وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن أبا بكر قام فقال وأحسن ، وفعل عمر فعله ، وقام المقداد بن عمرو الذى يسمى ابن الأسود ـ وهو من المهاجرين فقال : لا نقول كما قال قوم موسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » ، قال أبو أيوب الأنصارى بعد ذلك ، فتمنينا معشر الأنصار أن لو قلنا كما قال المقداد فذاك أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم !

وكرر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كيف ترون » ، وفطن الأنصار أنه يعنيهم ، فقام سعد بن معاذ (الأوسى) فقال : يارسول الله إيانا تريد ؟ والذى أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لى بها علم ، ولكن سِرْ حيث أمرك الله ، فلئن سرت حتى تأتى برك الغماد من ذى يمن لنسيرن معك ، ولا نكون كالذين قالوا لموسى : « اذهب أنت وربك ... » ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، ولعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره ، فانظر الذى أحدث الله إليك فامض له ، صل حبال من شئت واقطع حبال من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ماشئت .

---

(٢) المعازف جمع مِعْزَف ، وهى آلات المزمار ونحوه ، والقينات : المغنيات .

(٣) قهرناه بقوة سيوفنا .

مقدمة بدر

وقام سعد بن عبادة الخزرجى فقال مثل ذلك أيضا .

وفى هذا نزلت الآية : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ .

وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - يكرر : أشيروا على مترقبا إجابة الأنصار ، لأنهم حين بايعوه يوم العقبة قالوا : إنا برءاء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا .... وكان النبى يتخوف ألا يرى الأنصار عليهم نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من الأعداء .

وقد سر بخطبة سعد بن معاذ لأنه وضح فيها أن الأنصار معه فى كل مكان يريد ، كما أشار إلى قوتهم وشدة بأسهم ، جاء فى كلامه : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق ، ... امض لما أمرك الله به ، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما يتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر عند الحرب صدق(٤) عند اللقاء ، ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك .. » .

وهذا حديث ينبىء عن صدق الإيمان وشدة الإخلاص .

لم يكن المسلمون إذن كلهم كارهين لهذه الحرب ، ولكن فريقا منهم كانوا كذلك .

أخرج الله نبيه ورسوله - صلى الله عليه وسلم - من بيته - مسكنه أو المدينة فهى أيضا بيته - خروجا متلبسا بالحق ، والعمل له ، والحال أن بعضاً من المؤمنين كارهون هذا الخروج .

وقد جزع هؤلاء جزعا شديداً ، وأخذوا يحاجون النبى بأنهم لم يخرجوا لحرب ولم يستعدوا لها ، وإنما خرجوا للعير ، وأنه لم يذكر لهم قتالا ، فيستعدوا له - وقد وعد الله نبيه إحدى الطائفتين - إما العير وإما قريشا - ولكنهم أرادوا تثبيت الطائفة الموعودة فى العير ، وهذا خطأ لأن الحق قد تبين بإفلات العير - وبه تعينت طائفة قريش . ولم يبق وجه للمجادلة ، ولكن الخوف والجزع والرهبة تملكتهم كأنما يساقون لموتهم .

قال الله تعالى : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

هم يريدون الطائفة التى ليست بذات شوكة ، لينالوا من مالها ، ولكن الله - سبحانه - يريد إحقاق الدين وتثبيته ، وأخذ مال العير ليس إلا كسبا رخيصا مهما كثر .

قال الزمخشرى : .. يريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور ، وألا تَلْقَوْا مايرزؤكم فى أبدانكم وأموالكم ، والله - عز وجل يريد لكم معالى الأمور ومايرجع إلى عمارة الدين ونصرة الحق ... وشتان مابين المرادين .

فَعَل الله ذلك ليحق الحق ويثبته - وهو الإسلام ، ويزيل الباطل ويمحقه - وهو الشرك .

رغم أنوف المشركين ، وقد تحقق ذلك بهزيمتهم يوم بدر ، ذهب صناديدهم وحُطِّمَتْ كبرياؤهم . ولم يكن الاستيلاء على العير ليحدث شيئاً من هذا ، لا يُثَبِّتُ الإسلام ولا يمحق الشرك .

هذه بداية غزوة بدر ، ويأتى حديث الموقعة بعد .

(٤) جمع صبور وصدوق ، ويراد بالصدق الثبات والشدة .

قبس من أنوار النبوة

الكسب

حلاله - وحرامه

للشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله قسم بينكم اخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ولمن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا من أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذى نفسى بيده لا يُسْلِمَ عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يامن جاره بوائقه .

قيل : وما بوائقه ؟ قال : غشمه وظلمه ، ولا اكتسب عبد مالا حراما فتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفقه فيبارك له فيه ، ولايدعه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله تعالى لايمحو السيىء بالسيىء ، ولكن يمحو السىء بالحسن ، وإن الخبيث لايمحو الخبيث ، رواه الإمام احمد والبزار .

من اكتسب مالا من غير حله فوضعه فى غير حقه فذاك الداء العضال ، ومن اكتسب من حله فوضعه فى حقه فمثل ذلك مثل الغيث ينزل .

سئل النبى - صلى الله عليه وسلم - عن « البر » - والبر : اسم جامع لأصول الخير والفضائل - فقال : البر حسن الخلق ، فعن النواس بن سمعان - رضى الله عنه - قال : سألت النبى - صلى الله عليه وسلم - عن البر والإثم ؟ فقال : البر حسن الخلق ، والإثم ماحاك فى نفسك وكرهت أن يطلع الناس عليه - رواه مسلم .

وقد يطلق حسن الخلق ويراد به التخلق بأخلاق الشريعة ، والتأدب بآداب الله التى أدب بها عباده وأودعها فى كتابه الكريم ، من مثل قوله : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الآيات آل عمران : ١٣٣ : ١٣٦ .

قبس من انوار النبوة

الكسب . حلاله وحرامه

وقوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الأعراف ، ١٩٩ .

وقول الله ـ عز وجل ـ فى سورة النحل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ ﴾ ٩٠ .

قال العلماء : من حسن الخلق طلاقة الوجه وبذل الندى ـ العطاء ـ وكف الأذى وعن الأوزاعى : حسن الخلق : البذل والعطية والبشر الحسن .

وقال الإمام أحمد : حسن الخلق ألا تغضب وألا تحقد .

وإذا كان السعى على العيش وطلب الرزق فرضا لازما أوجبه المولى ـ عز وجل ـ حيث قال : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ الجمعة ١٠ وحيث قال : ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ الملك ١٥ ـ إلا أن الإنسان كثيرا ما يفتن بالمال ويسرى حبه فى دمه ولحمه ، ويخالط قلبه ، فيتخذ من المال حاكما مطاعا ، وإماما متبعا ، تقدم أوامره على أوامر الدين ، وتنفذ أحكامه ولو أسخطت رب العالمين ، وأضرت بالناس وأفسدت الأخلاق ، وذهبت بالكرامة وأخلت بالمعايير ، حتى نسمع من يقول : إنما السعادة فى المال وينسى واجبه نحو الله .

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقى هو السعيد

وليست كثرة المال أو قلته دليلا على حب الله أو بغضه للعبد ، ولا هى دليلا على سعادة أو شقاء ، وحسبك أن تقرأ قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ . وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ . كَلَّا ﴾ الفجر الآيات ١٥ ـ ١٧ .

إنه جل وعلا ـ يعطى الدنيا لمن يحبه ومن لا يحبه ، فهو يرزق الطائع والعاصى وينعم على المسلم وغير المسلم والمؤمن والمشرك . لأن الدنيا لا قيمة لهاإلا بقدر مايحصله العبد من الصالحات فيها : ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها جرعة ماء .

إن الإسلام يعلمنا أن المال وسيلة لا غاية وبداية لا نهاية ، وليس خيرا لذاته ، بل خيره فى الاستغناء به عن الناس ثم فى الإنفاق ومساعدة المحتاج وليس شرا لذاته ، بل شره فى الشح والبخل والطغيان والغرور وإنفاقه فى الفسق والفجور ، والتعالى والزور .

إن المال قد يفتح لصاحبه أبواب النعيم ، وقد يفتح له أبواب الجحيم ، فإذا جمع من حله ، وانفق فى حقه فنعم المال الصالح للرجل الصالح . يبارك الله فيه ، لما فيه من خير قال تعالى :

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ الإسراء ٢٦

وقال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ البقرة ـ ٢١٥ ـ وقد صور لنا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا المعنى تصويرا دقيقا فى قوله : « الدنيا خضرة حلوة من اكتسب فيها مالا من حله ، وأنفقه فى حقه أثابه الله عليه وأورده جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه فى غير حقه أحله الله دار الهوان » رواه البيهقى عن ابن عمر .

فإذا سلك الإنسان الطرق الحكيمة التى تتفق ومكارم الأخلاق حقق مقاصد الشريعة الغراء ، إذ ليس محظورا عليه أن يسلك كل طريق مشروع لكسب المال ، ومن أجل ذلك كان الغنى الشاكر وهو الذى يتصرف فى المال كسبا وإنفاقا بالطرق المشروعة ، أفضل من الفقير الصابر الذى لا يجد ما ينفقه .

ونأخذ من كل ماتقدم : أن السعى فى الحياة والجد فى طلب الرزق وزيادة المال من طرقه المشروعة أمر محمود فى الدين ، لأنه وسيلة العمار فى الأرض والنهوض بما على الناس من تبعات نحو أهليهم ومن يعولونهم ، ونحو المجتمع بالمساهمة فى تخفيف آلام البائسين والمحرومين بالبذل والعطاء والإنفاق فى سبيل الخير والبر وفى ذلك سعادة الدارين .

وليس كذلك كسبه من حرام كالغصب والانتهاب والاختلاس أو الخيانة أو السرقة أو الفسق والخداع وتطفيف الكيل والميـزان والرشوة ، فذلك ووسائله كلها حرام ، فإذا تصدق منه فإن صدقته مردودة لأن المال السيىء لايمحو السيئات .

وإذا تركه لذريته فهو زاده إلى النار يوم لاينفع فيه مال ولابنون . وفى صحيح مسلم : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع فقال : « إن المفلس من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه ، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار .

يحذر الرسول الكريم من يكتسب المال الحرام ثم يحاول أن يجعل منه قربات يتقرب بها إلى الله ـ تعالى وهو سبحانه لايقبل إلا طيبا ، فأما المال الخبيث فإنه لايصلح إلا للنار .

روى أبو داود . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من اكتسب مالا من مأثم فوصل به رحمه ، أو تصدق به ، أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك كله فقذف به فى جهنم » .

اللهم ارزقنا عملا حلالا وكسبا حلالا ونجاة من النار ، إنك على كل شىء قدير .

وسائل الاجتهاد في الفقه الإسلامي

للأستاذ الدكتور
محمد الدسوقي

عرضت في عدد شوال المنصرم من مجلة الأزهر الغراء للحديث عن اهمية علم الأصول ، ومصادر الأحكام التى لا اختلاف عليها بين الفقهاء ، وتلك التى ياخذ بها جمهورهم ، ثم اومات إلى المصادر المختلف فيها ، وخصصت موضوع الاستحسان بدراسة انتهيت فيها إلى ان هذا الموضوع لا ينبغى ان يفرد في علم الأصول بدراسة ، وان الجدل الذى دار حوله بين الفقهاء لا جدوى منه ، وان الاختلاف بينهم فيه اختلاف شكلي .

وفى هذه الكلمة أعرض لمصدر آخر من مصادر الاجتهاد أو وسيلة من وسائله ، وهو المصلحة المرسلة ، وقد اختلف العلماء فى هذا المصدر ، وما كان لهم أن يختلفوا ، لأن رعاية هذه المصلحة من أهم مقاصد التشريع العامة .

المصلحة المرسلة :

مما لا مراء فيه أن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح ودرء الفساد ، فلو استقرانا موارد الشريعة الدالة على مقاصدها من التشريع لاستبان لنا من كليات دلائلها ، ومن جزئياتها أن المقصد العام من التشريع هو حفظ نظام الأمة ، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه ، وهو نوع الإنسان ، ويشمل صلاحه ، صلاح عقله ، وصلاح عمله ، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذى يعيش فيه[1] .

والنصوص القرآنية والحديثية التى تبين أن مقصد الشريعة هو الإصلاح وإزالة الفساد كثيرة ، فالحق تبارك وتعالى لا يشرع عبثاً ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً ، ولا يشرع لمجرد الرغبة فى أن يشرع ، ولكن ليحقق لخلقه مصالح معينة لا تستقيم حياتهم بدونها .

لقد أرسل الله الأنبياء هداة مصلحين مبشرين ومنذرين ، وكانت محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وكان بعثته رحمة للناس أجمعين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[2] ﴿ يَاأَيُّهَا

(١) انظر مقاصد الشريعة الإسلامية للشيخ الطاهر بن عاشور ص ٦٣ طـ الدار التونسية .

(٢) الآية : ١٠٧ من سورة الأنبياء .

النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] .

فالشريعة التى بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم هدى ورحمة من الله ، إنها لخير الناس وسعادتهم فى العاجل والآجل .

قال الإمام الدهلوى : وكل مصلحة حثنا الشرع عليها ، وكل مفسدة ردعنا عنها فإن ذلك لا يخلو من الرجوع إلى أحد أصول ثلاثة : **أولها** : تهذيب النفس ، **وثانيها** : إعلاء كلمة الحق ، **وثالثها** : انتظام أمر الناس[٤] .

إن الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق مصالح الناس عاجلاً أو آجلاً ، وذلك بجلب النفع لهم ، أو لدفع الضرر والفساد عنهم ، ومن ثم فإن مقاصد الشريعة ، أى ما تهدف إليه من وراء أحكامها أو الغاية مِنْهَا لا تخرج عن رعاية تلك المصالح ، حتى صار العلم بذلك علماً ضرورياً ، وأصبح من المجمع عليه بين جمهور المجتهدين انه إذا تحققت المصلحة فثم شرع الله .

وتجدر الإشارة إلى أمرين يتعلقان برعاية المصلحة فى التشريع الإسلامى قبل الحديث عن أنواع المصلحة ، وموقف العلماء من المصلحة المرسلة ، والأمران هما[٦] :

أولاً : إن المصالح إنما اعتبرت مصالح من حيث وضعها الشارع كذلك ، لا من حيث إدراك المكلف ، إذ المصالح تختلف عند ذلك بالنسب والإضافات وتتأثر بالأهواء والرغبات ، ولهذا كانت المصلحة المعتبرة شرعاً هى الثابتة بالنص أو المشابهة ، والمقاربة لما ثبتت به .

والمصلحة الحقيقية لا يمكن أن تصادم نصاً قطعياً فى ثبوته ودلالته ، وما قد يبدو من تعارض بين نص ومصلحة فإن مرده إما إلى عدم فهم النص فهماً سليماً ، وإما إلى أن ما يعد مصلحة ليس فى الواقع إلا هوى حاول القائلون به أن يضفوا عليه رداء المصلحة .

ثانياً : إن مصلحة المجموع هى الأساس فى التشريع ولذا تقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة عند تعارض المصلحتين ، فنفع الجماعة مقدم على نفع الفرد ، ولهذا شرعت العقوبات والحدود ـ وإن آلمت بعض الناس ـ ليأمن سائرهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم[٧] .

أنواع المصالح :

تنقسم المصالح باعتبارات مختلفة إلى أنواع ، فهى من حيث قوتها فى ذاتها تنقسم إلى ضرورية وحاجية وتحسينية ، والضرورية هى التى تقوم عليها حياة الناس ، بحيث إذا تخلفت اختل نظام الحياة ، وعمت الفوضى . وتنحصر المصالح الضرورية فى المحافظة على خمسة أشياء هى : الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

أما المصالح الحاجية فهى كل ما يحتاج إليه الناس لرفع الحرج والضيق والمشقة عنهم ، وهذا يعنى أن تخلف هذه المصالح لا يترتب عليه اختلال نظام الحياة كالمصالح الضرورية ، وإنما

(٣) الآية : ٥٧ من سورة يونس .

(٤) حجة الله البالغة جـ ١ ص ٢٧٣ تحقيق الشيخ سيد سابق .

(٥) انظر أصول الفقه الإسلامى للدكتور وهبة الزحيلى جـ ٢ ص ١٠١٧ طـ دمشق .

(٦) أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٥٨ طـ دار الفكر العربى .

(٧) أصول التشريع الإسلامى للشيخ على حسب الله ص ٣١٠ طـ دار المعارف .

وسـائل الاجتهاد فى الفقه الإسلامى

يصيبهم العنت وعدم السعة ، وتشمل هذه المصالح جميع ما شرعه الإسلام من رخص كإباحة الفطر مع السفر والمرض فى رمضان ، كما تشمل كل ما أبيح من معاملات لتبادل المنافع وتيسير وسائل الحياة .

ويراد بالمصالح التحسينية كل ما يتعلق بمحاسن العادات وتقتضيه المروءات كاستحباب لبس الجديد من الثياب فى العيدين ، والتنزه عن أكل ذي ريح كريهة والنهى عن الغش والتبرج وخروج المرأة بزينتها فى الطرقات .

وتلك المصالح على تفاوت قوتها ومراتبها يكمل بعضها بعضا ، فلا غنى للمصالح الضرورية عن المصالح الحاجية ، وهذه لا غنى لها عن التحسينية ، ولكن المصالح الضرورية هى الأساس ، والأصل لغيرها من المصالح ، فعليها يتوقف نظام الحياة ، وبدونها يختل هذا النظام ، على حين لا يترتب على فقد المصالح الحاجية إلا الحرج والضيق دون اختلال نظام الحياة .

أما المصالح التحسينية فلا يترتب على تخلفها أن تختل الحياة الإنسانية ، أو أن يقع الناس فى عنت ومشقة ، وإنما يترتب على ذلك خروج الناس عن مناهج الكمال فى الحياة .

وتنقسم المصالح باعتبار الشارع لها ثلاثة أنواع :

١ ـ مصلحة معتبرة ، وهى التى دلت النصوص عليها أو على جنسها .

٢ ـ مصلحة ملغاة ، وهى ماجاءت النصوص بإبطالها .

٣ ـ مصلحة مرسلة ، وهى ماسكت النص عنها ، فلم يرد بشأنها مايدل على اعتبارها أو إلغائها .

ويؤخذ على هذا التقسيم اعتبار ماأبطله الشارع مصلحة ملغاة ، وذلك أن الأمر الباطل لا ينبغى أن يوصف بأنه مصلحة ملغاة ، فالشارع لا يلغى مصلحة ، وإنما يلغى مفسدة ، ولهذا لا أرى أن يعد هذا النوع من أقسام المصلحة ، ولا أرى أن يدخل ضمن الحديث عن المصلحة فى الشريعة .

وإذا كان إطلاق المصلحة المرسلة على ما لم يرد نص باعتباره أو بإلغائه فإن الشريعة التى جاءت لمصلحة العباد فى المعاش والمعاد قد بينت نصوصها بعض المصالح أومأت إليها ، ودلت نصوص أخرى بمجموعها على كل مصلحة تحقق خيرا للجماعة ، ومن ثم لا تكون هناك مصلحة ـ مرسلة ، أى مصلحة لا يمكن أن تندرج تحت نصوص الشريعة أو مقاصدها .

فالمصلحة الشرعية مقيدة بالنصوص أو المقاصد العامة(٨) وهى فى حالة اندراجها تحت هذه المقاصد توصف بالإرسال تمييزاً لها عن المصلحة المقيدة بالنصوص صراحة ، وهذا اصطلاح ولا مشاحة فيه ، وإنما أشرت إليه لأؤكد أن الشريعة لم تهمل مصلحة من المصالح ، وأن نصوصها وقواعدها ومقاصدها تستوعب كل مجالات النشاط الإنسانى ، وتطوير الحياة البشرية ، وأنها من ثم صالحة للتطبيق الدائم .

ولا يختلف العلماء فى المصلحة التى دلت عليها النصوص بأسلوب مباشر ، وإنمايختلفون

(٨) انظر مقاصد الشريعة للأستاذ علال الفاسى .

فى المصلحة التى لم تعرض لها الشريعة بهذا الأسلوب ، وهل يمكن الحكم بالمشروعية بناء على هذه المصلحة ، أو أن التعويل عليها فى استنباط الأحكام قد يفتح بابا للأهواء والمفاسد .

والذين يرون أن المصلحة المرسلة تعد دليلاً شرعياً ، ووسيلة من وسائل الاجتهاد ، وحجة يبنى عليها الحكم يستدلون بجملة من الأدلة من اهمها :

١ ـ مادامت الشريعة قد جاءت لتحقيق مصالح الناس ، ومادامت هذه المصالح تتجدد وتتعدد ، وتتغير بتغير الزمان والمكان فإنه إذا وجدت مصلحة لا مراء فيها ، فإنها تكون دليلاً شرعياً يعول عليه فى الاجتهاد ، والقول بغير ذلك يؤدى إلى جمود الشريعة ، وتعطيل مصالح الناس المتجددة ، وعدم تحقيق الخير لهم فى حياتهم الدنيا ، وحياتهم الآخرة .

٢ ـ إن الصحابة رضوان الله عليهم لم يختلفوا حول الأخذ بالمصلحة المرسلة وكانت لهم اجتهاداتهم التى تقوم على مراعاة هذه المصلحة ، ومن هذه الاجتهادات جمع ابى بكر الصحف المتفرقة التى كتب فيها الصحابة القرآن فى مصحف واحد ، محافظة على كتاب الله ، وخوفا عليه من أن يضيع منه شىء بعد أن استحر القتل بالقراء فى حروب الردة ، وقد قال عمر بن الخطاب الذى أشار على الصديق بجمع القرآن ، وتحرج هذا من أن يفعل أمراً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الجمع : « إنه والله خير »(٩) أى مصلحة للإسلام كذلك دون عمر الدواوين ، واتخذ السجون ووضع الخراج ، وجمع عثمان بن عفان المسلمين على مصحف واحد بعد أن ظهرت بوادر الخلاف حول القراءة بالأحرف التى أنزل عليها القرآن ، وكل هذا رعاية لمصلحة المسلمين .

وذهب على بن أبى طالب إلى تضمين الصناع ، وهم الذين يعهد إليهم بعمل نظير أجر كالخياط والنجار ـ ضمنهم ما يضيع من أمتعة الناس التى تكون تحت أيديهم ، حتى يحافظوا عليها ، ولا يفرطوا فيها ، وأثر عنه فى ذلك انه قال : لا يصلح الناس إلا ذاك(١٠) .

وينكر بعض العلماء حجية المصالح المرسلة ، ويستند فى هذا إلى أدلة منها :

١ ـ أن الشريعة قد كملت واشتملت على كل المصالح ، والقول بأن هناك مصلحة لم يرد من الشارع مايدل على اعتبارها يتنافى مع كمال الشريعة ، ومثل هذه المصلحة إذا ظهرت تكون وهمية لا حقيقية ، ومن ثم لا يصح بناء الأحكام الشرعية عليها .

٢ ـ إن القول بالمصلحة المرسلة دليلاً شرعياً قد يفتح الباب أمام الذين فى قلوبهم مرض من أهل الأهواء ، فيدخلون مايريدون من هذا الباب ، وبذلك يدخل الفساد على الشريعة ، وقد يؤدى هذا إلى الاستهانة بأحكامها أو التفريط فيها(١١) .

وبالإضافة إلى ذلك يفتح الاعتداد بالمصالح المرسلة فى التشريع باب الخلاف على مصراعيه بين الفقهاء ، لأن هذه المصالح تختلف باختلاف

(٩)
(١٠) انظر المصلحة فى التشريع الإسلامى للدكتور مصطفى زيد ص ٣١ طـ دار الفكر العربى .
(١١) انظر علم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف ص ١٩٠ طـ دار القلم الكويت .

وسائل الاجتهاد فى الفقه الإسلامى

الزمان والمكان والأمر الواحد فى عصر واحد ، قد يكون فى مكان مصلحة ، وفى آخر مفسدة ، وهذا الخلاف ينال من وحدة الشريعة وصلاحيتها للتطبيق الدائم .

والذين رجحوا حجية المصالح المرسلة ، واتخذوها وسيلة من وسائل الاجتهاد ردوا تلك الشبهات التى أثارها المنكرون لحجية هذه المصالح ، وهم إلى هذا وضعوا بعض الضوابط أو الشروط للمصالح المرسلة ، حتى لا تختلط بغيرها من المفاسد[١٢] .

أما الشبهة الأولى وهى أن الشريعة قد كملت ، وكل المصالح دل على اعتبارها نص أو قياس ، وما سوى ذلك فهو وهم لا ينبغى بناء الأحكام عليه ، يرد عليها بأن القول بالمصالح المرسلة لا يتعارض مع كمال الشريعة ، بل هو الذى يحقق كمالها ، والشريعة لعمومها كانت صالحة لكل عصر ومصر ، ومن شواهد هذه الصلاحية أنها قامت على اليسر ، ومراعاة كل مافيه خير ، فإذا جد أمر وحقق للأمة مصلحة ، ولكن لم يدل على اعتباره بذاته نص أو حمل على نص وطرحناه أو حكمنا عليه بعدم المشروعية فقد قضينا على الشريعة بالجمود ، وانها كما يقول أعداؤها جاءت لعصر خاص وبيئة خاصة ، فلا تصلح لكل زمان وكل مكان .

وأما الخوف من أن يتخذ أهل الأهواء المصالح المرسلة ذريعة للفساد وتشريع الأحكام وفقاً للرغبات الذاتية فإن هذا الخوف لا يجب أن يحول دون مراعاة مصالح الناس ، وذلك بمنع هؤلاء من الإفتاء ، فهم خطر على الشريعة ، ويجب على أهل الذكر أن يحذروا من شرهم ، ويحولوا بينهم وبين تحريف الكلم عن مواضعه .

شروط العمل بالمصلحة :

لاختلاف العلماء حول حجية المصلحة المرسلة ، لجأ القائلون بحجيتها إلى وضع بعض الشروط والضوابط التى ينبغى مراعاتها عند الأخذ بالمصلحة والاعتداد بها فى استنباط الأحكام ، وأهم هذه الشروط :

١ - أن تكون المصلحة حقيقية وليست وهمية ، ومعنى هذا أن يكون تشريع الحكم فى الواقعة محققاً للنفع ، أو دارئاً للفساد ، أما مجرد التوهم أن التشريع يجلب نفعا من غير موازنة بين ما يجلبه من نفع أو ضرر ، فهذا يعد بناء على مصلحة متوهمة ، ومثل هذه المصلحة مايذهب إليه البعض من منع الزوج من تطليق زوجته ، وإعطاء حق التطليق للقاضى فى جميع الحالات ، فإن القول بأن فى هذا مصلحة ، قول غير مسلم ، فالأخذ به يؤدى إلى مفاسد ترد على الأسرة والمجتمع ، وتقضى على العلاقة الزوجية بأنها لا تعرف المودة والرحمة والرغبة المتبادلة .

٢ - أن تكون المصلحة عامة فإذا كانت خاصة فلا يعتد بها ، وتعتبر المصلحة عامة إذا كان بناء الحكم عليها يحقق منفعة لأكبر عدد من الناس ، أو يدفع ضرراً .

وليس لمصلحة فرد أو أفراد قلائل منهم .

٣ - أن تكون المصلحة ملائمة لمقاصد الشارع ، بأن تكون من جنس المصالح التى جاء بها

(١٢) المصدر السابق .

وليست غريبة عنها ، ولو لم يشهد لها دليل خاص ، فلا اعتبار لمصلحة لا تتفق مع مقاصد الإسلام .

٤ ـ الا تعارض المصلحة حكماً أو مبدأ ثبت بالنص أو الإجماع ، فلا يصح مثلاً اعتبار المصلحة التى تنادى بالمساواة بين الذكر والأنثى فى الميراث ، لأن هذه المصلحة تعارض نصا قرآنيا يجعل للذكر مثل حظ الانثيين[١٣] على أن الذين يحتجون بالمصلحة المرسلة ، ويضعون لمراعاتها تلك الضوابط يقصرون العمل بها على المعاملات دون العبادات ، وذلك أن المصلحة فى المعاملات يمكن إدراكها بخلاف العبادات التى تنظم علاقة الإنسان بخالقه ، ومن ثم لا يصح إنشاء عبادة لم يأت بها نص بدعوى أن فيها مصلحة ، لأن العبادة الخالصة يقصد بها التقرب إلى الله ، وهذا أمر لا يعرف إلا منه سبحانه ، يقول الطوفى : وإنما اعتبرنا المصلحة فى المعاملات دون العبادات وشبهها ، لأن العبادات حق للشارع خاص به ، و لايمكن معرفة حقه كما وكيفا وزمانا ومكانا إلا من جهته فيأتى به العبد على مارسم له ، وهذا بخلاف حقوق المكلفين فإن أحكامها سياسية شرعية ، وضعت لمصالحهم وكانت هى المعتبرة ، وعلى تحقيقها المعول[١٤] .

وجملة القول أن العمل بالمصلحة المرسلة لا يكون إلا عند عدم وجود نص أو إجماع على الحكم ، ولهذا كانت لها أهميتها فى الاجتهاد ، لأنها تتيح مواجهة كل ما يطرأ من وقائع جديدة وحاجات عارضة ، ولذلك أخذ بها الفقهاء فى جميع المذاهب كما قال الزركشى وإن تفاوتت درجات الأخذ بين مذهب وآخر .

إن صلاحية الشريعة للتطبيق الدائم تعنى أن لها فى كل جديد لم تتناوله النصوص بأسلوب صريح حكما ، ولذا كان الأخذ بالمصلحة المرسلة التى وإن لم يشهد لها نص صريح تشهد لها النصوص على وجه الإجمال ، وكذلك القواعد الكلية والمقاصد العامة هو التعبير السليم عن صلاحية الشريعة للتطبيق ، وهو التأكيد على أن الله فى كل مسألة حكما ، قال الإمام الغزالى : فقد تبين أن كل مصلحة مرسلة فلا بد أن تشهد أصول الشريعة لردها أو قبولها[١٥] .

والذى لا مراء فيه أن مراعاة المصلحة المرسلة فى عصرنا على نحو سديد لا يكون إلا طريق الاجتهاد الجماعى ، فهو السبيل إلى التعرف على المصلحة الحقيقية التى تلائم مقاصد الشارع ، ولا تعارض حكما ثبت بالنص ، ويحول بين أهل الأهواء وما يريدون من اباطيل باسم المصلحة .

(١٣) انظر علم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف ص ١٩٢ .

(١٤) المصدر السابق .

(١٥) انظر المتحول للإمام الغزالى ٣٦٣ ط دمشق .

حول شهادات الاستثمار

٤

بقلم المستشار أحمد محمد إبراهيم

فى ثلاث مقالات سابقة تحدث السيد المستشار فى شان معاملات البنوك وشهادات الاستثمار . وتناول الآراء التى اعتمد عليها استنادا إلى ادلة وبراهين من منهج الرسول - ﷺ - وعمل الصحابة والتابعين ، وكبار الأئمة والفقهاء عن تلك المعاملات من حيث الحل والحرمة وهاهو يواصل الحديث عن آراء العلماء مفندا ما يخالف المنهج الصحيح ، فيقول :

٣ - الشيخ إبراهيم زكى الدين بدوى :

قال المفتى فى كتابه : إن المتتبع لأقوال العلماء يرى اختلافا كبيرا فى تحديد صور الربا المحرم شرعا ، وحرص على أن يذكر أن فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم زكى الدين بدوى - الأستاذ السابق بكلية الحقوق - قدم بحثا طويلا قارب المائة صفحة عن « نظرية الربا المحرم فى الشريعة الإسلامية » نشرته مجلة القانون والاقتصاد فى سنتها التاسعة ثم نقل عنه بعض ما جاء فى بحثه . ومن ذلك : « من أدق المشكلات الإسلامية التى أثارت الخلاف بين الباحثين فى مختلف العصور ، مشكلة تحديد الربا المحرم شرعا ، فقد كانت آيات تحريمه من آخر مانزل من القرآن ... « ولقد حمل الورع الصحابة والتابعين وكبار الأئمة على النهى عن كل ما هو موضع شبهة من المعاملات . ولم يفرق غالبية الفقهاء بين ما كان النهى عنه لذاته ، لتحقق الربا القطعى فيه ، وما نهى عنه سدا للذريعة إلى الربا الحقيقى ، فاعتبر الكل حراما . وهذا الطريق فى الاجتهاد غير مقبول فى المعاملات التى الأصل فيها الإباحة ، لأنها تتعلق بمصالح الناس المالية وما تواضعوا على ضرورته لهم فلا حرام إلا ما حرمه الشرع ، ولا يكفى مجرد الاشتباه للقول بالتحريم » .

إن العبارات التى نقلها المفتى من بحث الشيخ إبراهيم زكى الدين بدوى تفيد أن له رأيا فى الربا خالف فيه الصحابة والتابعين وكبار الأئمة الذين دفعهم الورع إلى النهى عن كل ماهو موضع شبهة من المعاملات - وهذا صحيح ، ولكن هل ظل الشيخ إبراهيم زكى الدين على آرائه أو عدل عنها ؟ .

إن الأقوال التى نقلها المفتى من البحث فى الصفحات الثلاث الأولى من القسم الأول من البحث الذى نشر فى العدد الرابع من المجلة ،

الذى صدر فى صفر ١٣٥٨ . أبريل ١٩٣٩
وأعتقد أنه إذا كان من بين المصادر التى رجع إليها المفتى مجلة متخصصة صدرت منذ أكثر من خمسين عاما ، ولا توجد حاليا إلا عند من عاصروا صدورها أو فى المكتبات العامة ، فإنه من الصعب تصور أنه لم تقع عين المفتى ، أو لم يصل إلى علمه أن الشيخ إبراهيم زكى الدين قد أصدر كتابا فى نفس الموضوع وبنفس العنوان ، قام بنشره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب سنة ١٣٨٣ ـ ١٩٦٠ وقد عدل فيه الشيخ إبراهيم زكى الدين عن آرائه التى تبناها فى بحثه وقام بتفنيدها وبيان فسادها ، وتحدث عن سبب ذلك فقال : كان فى نيتى منذ نشر المقال ، أن أجعل منه نواة لرسالة أحصل بها على الدكتوراه فى الحقوق ولكننى لم افعل ، ولعل ما صدنى عن ذلك ـ إلى جانب شواغل الحياة الكثيرة ـ ريب كان يعتمل فى نفسى من صحة الآراء الواردة فى المقال ومطابقتها لحكم الشرع . ولم أكن أعلم مبعث ذلك الريب فى صحة مقال نشر فى مجلة كانت ، وماتزال ، أولى المجلات القانونية فى مصر . ولم يقو أحد من رجال الشريعة أو سواهم على التعرض لها بنقد أو تفنيد ، إلى أن نشر للمرحوم الشيخ عبدالوهاب خلاف (أستاذ الشريعة الأسبق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة) مقالان فى الربا بمجلة لواء الإسلام (عددى أبريل ومايو ١٩٥١) وقد نحا فيهما نحو القول بحل الفائدة ، وإن كان قد سلك للوصول إلى هذه النتيجة طريقا غير الذى سلكته ، ولم أقتنع بإفضاء ذلك الطريق الذى سلكه إلى النتيجة التى انتهى إليها . فكتبت مقالا فى الرد عليه ، ثم جرنى ذلك إلى إعادة بحث الموضوع كله من جديد ، ماكتبته انا ، وما كتبه سواى ممن يتوجهون الوجهة نفسها : وهناك فتح الله علىَّ بما لم ينكشف لى من قبل ، فوقفت على سر ارتيابى فى صحة رأيى السابق ، وتورعى عن أن أجعل منه رسالة للدكتوراه ، وعرفت أنى لم أكن قد تقصيت دراسة الموضوع . ولا أحسنت الاستنباط فيه ، ومن ثم انكشف لى فساد ذلك فعدلت عنه منذ ذلك الحين ، إلى الرأى الذى عليه جمهور علماء المسلمين ، من المفسرين والمحدثين والفقهاء . وحمدت الله ـ جلت نعماؤه ـ على أن هدانى إلى الحق بعد ما صدنى عنه ، قبل ذلك ، عن التمسك بالباطل والتردى فيه فحال ـ جلت قدرته ـ بينى وبين الكتابة على أساسه الواهى مرة أخرى .

٤ ـ الدكتور عبدالحليم محمود :

ومما يتصل بآراء العلماء ـ وإن لم يذكر فى كتاب المفتى ـ مانشر أن المفتى قال فى المؤتمر الموسع الذى عقد بجامعة المنصورة : إن شهادات الاستثمار حلال ، وأن هذه الفتوى لم تصدر من فراغ وأنه رجع إليها لرأى المرحوم الدكتور عبدالحليم محمود ومجموعة من كبار علماء المسلمين ، وأنه ليس من الشرع ولا من الأخلاق معارضة هذا الرأى الذى انتهت إليه دار الإفتاء . (الأهرام ١٩٨٩/١٢/٧) .

وإنى أطمع أن يدلنى المفتى مشكورا على المصدر الذى نقل عنه رأى الدكتور عبدالحليم محمود ، لأن ما أعلمه أنه امتنع عن إبداء رأيه فى شهادات الاستثمار ، فقد أجرى معه الأستاذ فهمى هويدى حديثا صحفيا جاء فيه قوله : موضوع الفوائد والتأمين وشهادات الاستثمار لايزال معروضا على مجمع البحوث الإسلامية . وباعتبارى رئيسا للمجمع ، فأنا ملزم بالقرار الذى سينتهى إليه الأمر الذى يمنعنى من أن أدلى برأى فى الموضوع الآن . لكننى مع ذلك أقول إن القضية ليست فى البنوك وشركات التأمين . القضية أكبر من ذلك بكثير ، وهى تكمن أساسا فى الإصلاح الإسلامى ككل . نحن نترك المشكلة

حــول شهـــادات الاستثمـــار

الأصلية ونتصدى للجزئيات . أين هو المجتمع الإسلامى فى بلادنا ؟ سأل شيخ الأزهر ، ثم اضاف : الا يتعارض مع تعاليم الإسلام تقديم الخمور ولعب الميسر فى الفنادق ، وما يجرى فى شارع الهرم . ذلك كله غير (الخلاعة) الشائعة فى السينما والتليفزيون . نحن فى حاجة إلى إصلاح إسلامى شامل يتناول كل جوانب حياتنا ، فى التعليم ، فى التشريع ، ومختلف مظاهر السلوك ... (الأهرام ١٩٧٥/٥/٢٣) .

حادى عشر : التسعير ـ تضمين الصناع ضالة الإبل :

ذكر المفتى أن شريعة الإسلام تقوم على رعاية مصالح الناس فى كل زمان ومكان . وقد تبدو هذه الرعاية فى ظاهرها ، مخالفة لبعض النصوص التى وردت عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن الأمثلة على ذلك ماأخرجه أصحاب السنن ـ بسند صحيح ـ عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال الناس : يارسول الله ، غلا السعر فسعِّر لنا ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله هو المسعر القابض ، الباسط ، الرازق ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبنى بمظلمة فى دم ولا مال » فأنت ترى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يجبهم إلى ما طلبوه من تسعير السلع ، إذ الأصل عدم التسعير ، وترك السعر لقانون العرض والطلب . إلا أن كثيراً من الفقهاء اجازوا لولى الأمر تسعير السلع إذا غالى التجار فى الأسعار ، أو احتكروا ما لا غنى للناس عنه ، أو تذرعوا بأمثال هذا الحديث لإشباع مطامعهم .. وقياساً على ما تقدم ، فإن لولى الأمر ـ إذا رأى بعد استشارة الخبراء العدول ـ أن مصلحة الناس تقتضى أن تحدد البنوك الأرباح مقدماً لمن يتعاملون معها ، فله أن يكلفها بذلك رعاية للناس ، وحفظاً لأموالهم وحقوقهم ومنعاً للنزاع والخصام بين البنوك وبين المتعاملين معها ، وهى مقاصد شرعية معتبرة .

وقال أيضاً إن الصناع كانوا فى أول الأمر لا يضمنون إذا ما اتلفوا ما تحت أيديهم ، فلما كثر إتلافهم لما تحت أيديهم وتضرر أصحاب السلع ، أمر أولياء الأمور بتضمين الصناع محافظة على أموال الناس . وهذا معنى قول الإمام على : « لا يصلح الناس إلا ذاك » ، وكما تدخل الحكام فى تضمين الصناع لما يهلك تحت أيديهم بسبب إهمالهم ، بأن حكموا عليهم بأن يدفعوا لأصحاب السلع قيمتها ، فإن لولى الأمر فى زماننا هذا الذى خربت فيه الذمم أن يتدخل فى عقد المضاربة ، فلا يجعل المال أمانة عند المضارب ، إذا هلك كان هلاكه على صاحبه ، بل له أن يفرض الضمانات الكافية لحفظ أموال الناس ، ومن هذه تحديد نسبة الربح مقدما . وان يكون رأس المال مضموناً . وهذا اللون من التدخل يندرج تحت باب المصالح المرسلة .

ونظراً لأن بعض من ينهجون نهج المفتى يضيفون مثالاً آخر هو أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن التقاط ضالة الإبل ، إلا ان عثمان بن عفان وعليا ـ رضى الله عنهما ـ أمرا بالتقاطها . فقد رأيت أن اضم هذا التصرف إلى التصرفين اللذين ذكرهما المفتى وأن أبين ـ بتوفيق من الله ـ وجه الحق فى ذلك .

١ ـ التســعير :

« عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : غلا السعر فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : يارسول الله لو سعرت ؟ فقال : إن الله هو القابض ، الباسط ، الرازق ، المسعر ، وإنى

لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبنى أحد بمظلمة أظلمتها إياه فى دم ولا مال » .

وعن معمر بن عبدالله أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من احتكر فهو خاطىء » .

وإذا كان الأصل أن أسعار السلع تخضع فى الظروف العادية للعرض والطلب ، إلا أنه قد تتغير الظروف الاقتصادية بحيث تكون السلع محتكرة ، أو فى حكم المحتكرة ، ولما كان الاحتكار محرماً ، فإنه يحق لولى الأمر فى مثل هذه الظروف أن يسعر السلع ، وأن يضرب على يد من وصفهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالخاطئين ، دون أن يوصف تصرف ولى الأمر بأنه خرج على ما سار عليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من امتناعه عن التسعير .

ولما كان المفتى قد أشار إلى الرجوع إلى كتاب الحسبة لابن تيمية وإلى كتاب الطرق الحكمية لابن القيم ، فإنى أنقل عنهما بعض ما قالاه فى موضوع التسعير ، وأثبتنا به أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سعر عندما اقتضى الأمر ذلك .

يقول ابن تيمية وابن القيم ـ والعبارات من كتاب الحسبة ـ أن التسعير منه ما هو ظلم لا يجوز ، ومنه ما هو عدل جائز . فإذا تضمن ظلم الناس وإكراههم بغير حق على البيع بثمن لا يرضونه ، أو منعهم مما اباحه الله فهو حرام . وإذا تضمن التسعير العدل بين الناس مثل : إكراههم على ما يجب عليهم من المعاوضة بثمن المثل ، ومنعهم مما يحرم عليهم من أخذ زيادة على عوض المثل فهو جائز بل واجب . فأما الأول : فمثل ما روى أنس قال : (غلا السعر فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فقالوا يارسول الله : لو سعرت ؟ فقال : إن الله هو القابض ، الباسط ، الرازق ، المسعر ، وإنى لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبنى أحد بمظلمة ظلمته إياها فى دم ولا مال) ، فإذا كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم منهم ، وقد ارتفع سعره : إما لقلة الشىء ، وإما لكثرة الخلق ، فهذا إلى الله ، فإلزام الخلق أن يبيعوا بقيمة بعينها إكراه بغير حق .

وأما الثانى : فمثل أن يمتنع أرباب السلع من بيعها مع ضرورة الناس إليها . لا بزيادة على القيمة المعروفة ، فهنا يجب عليهم بيعها بقيمة المثل ، ولا معنى للتسعير إلا إلزامهم بقيمة المثل فيجب أن يلتزموا بما ألزمهم الله به .

ووصف الإمامان مَنْ منع التسعير مطلقاً استناداً إلى الحديث السابق ذكره بأنه قد غلط ، لأن هذه قضية معينة ، وليست لفظاً عاماً ، وليس فيها أن أحداً امتنع عن بيع يجب عليه ، أو عمل يجب عليه ، أو طلب فى ذلك أكثر من عوض المثل .

ومما استدلا به على جواز التسعير ، ما ورد فى الصحيحين عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (من أعتق شركا له فى عبد ، وكان له من المال ما يبلغ ثمن العبد ، قوم عليه قيمة عدل لا وكس ولا شطط ، فأعطى شركاءه حصصهم وعتق عليه العبد ، وإلا فقد عتق منه ما عتق) ، فهذا لما وجب عليه أن يملك شريكه عتق نصيبه الذى لم يعتقه لتكمل الحرية فى العبد ، قدر عوضه بأن يقوم جميع العبد قيمة عدل لا وكس ولا شطط ، ويعطى قسطه من القسمة . فإن حق الشريك فى نصف القيمة ، لا فى قيمة النصف عند جماهير العلماء ، كمالك وأبى حنيفة وأحمد ، ولهذا قال هؤلاء : كل ما لا يمكن قسمه يباع ويقسم ثمنه ، إذا طلب أحد الشركاء ذلك ، ويجبر الممتنع على البيع ، وحكى عن بعض المالكية ذلك إجماعاً ، لأن حق الشريك فى نصف القيمة ، كما دل عليه هذا الحديث الصحيح ، ولا يمكن إعطاؤه ذلك إلا ببيع الجميع . فإذا كان الشارع يوجب إخراج الشىء من ملك مالكه بعوض المثل لحاجة الشريك إلى اعتاق ذلك . وليس للمالك المطالبة بالزيادة على نصف القيمة ، فكيف بمن حاجته أعظم من الحاجة إلى اعتاق

حـول شـهادات الاسـتثمار

ذلك النصيب ، مثل حاجة المضطر إلى الطعام واللباس وغير ذلك ، وهذا الذى أمر به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من تقويم الجميع بقيمة المثل هو حقيقة التسعير .

كما أوردنا أمثلة أخرى يمكن للمفتى ولغيره من الباحثين الرجوع إليها .

٢ ـ تضمين الصنـــاع :

يقصد بعدم تضمين الصانع أن يده على المتاع المسلم إليه لتصنيعه أو إخلاصه تعتبر يد أمين ، وهو بهذا الوصف لا يسأل عن ضياع أو تلف السلعة التى أعطيت له إلا إذا تعدى أو فرط . أما الضامن فإن التزامه يكون فى ذمته فيسأل عن الضياع أو التلف ، ولو كان ذلك راجعاً إلى سبب لا يد له فيه ، ولم يكن يستطيع دفعه ، فالوكيل يده يد أمين وهو لا يسأل إلا إذا تعدى أو فرط ، وعلى الموكل إثبات التعدى أو التفريط ، أما المقترض أو المغتصب فإن التزامهما للوفاء بالقرض أو رد المال المغتصب مضمون فى ذمتهما ، وعليهما أن يقوما بذلك ولو كان المال المقترض أو المغتصب قد ضاع أو تلف بقوة قاهرة .

وأول ما يجب إبرازه فى موضوع تضمين الصناع هو قول الإمام الشافعى ـ كما جاء فى كتاب الأم : (الصانع والأجير لا يضمن بحال إلا ما جنت يده ، كما يضمن المودع ما جنت يده ، وليس فى هذا سنة أعلمها ، ولا أثر يصح عند أهل الحديث عن أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . وقد روى فيه شىء عن عمرو عن على ، ليس يثبت عند أهل الحديث عنهما) جـ ٣ ص ٢٦١ .

وقد اختلف الفقهاء فى تضمين الصناع وما يضيع أو يتلف مما تحت أيديهم من متاع عهد إليهم بتصنيعه أو إصلاحه ، بل إننا نجد أن فقهاء المذهب الواحد اختلفوا فى ذلك ، فمنهم من قال بالضمان ومنهم من قال بعدمه .

وإذا رجعنا إلى أدلة من قالوا بالضمان نجد من بينهم من استند فى ذلك إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (على اليد ما أخذت حتى ترده) وإلى أن ضمان الصانع يرجع إلى أنه يأخذ أجرا على عمله . ومنهم من يستدل بما روى عن عمر أو على .

ثم إن الذين قالوا بتضمين الصناع لم يطبقوا عليهم أحكام الضمان ، فهم لم يضمنوهم إلا ما ينشأ عن تعديهم أو تفريطهم ، أما ما يحدث لما تحت يدهم من متاع لسبب قاهر لم يكن فى وسعهم منعه ولم يكن لهم يد فيه فإنهم لا يضمنونه ، على أن عليهم إثبات ذلك . وفى هذا المعنى جاءت الذين قالوا بتضمين الصناع . وأورد فيما يلى بعض أقوالهم فى هذا الصدد .

جاء فى بدائع الصانع أن أبا يوسف ومحمد قالا بضمان الصناع ، لأن هؤلاء الأجراء الذين يسلم إليهم المال من غير شهود ، تخاف الخيانة منهم ، فلو علموا أنهم لا يضمنون لهلكت أموال الناس ، لأنهم لا يعجزون عن دعوى الهلاك ، وهذا المعنى لا يوجد فى الحرق الغالب والغرق الغالب أو نصوص مكابرين ـ وعند أبى حنيفة الأصل أنه لا يجب الضمان إلا على المتعدى .

وجاءت فى المدونة الكبرى : قلت أرأيت الصناع فى السوق : الخياطين والقصارين والصواغين إذا ضاع ما أخذوا للناس يعملونه بالأجر ، وأقاموا البينة على ضياعه ، أيكون عليهم ضمان أم لا ؟

قال : قال مالك : إذا قامت لهم البينة بذلك فلا

ضمان عليهم . وهو بمنزلة الرهن . قلت : أرأيت القصار إذا قرض الفأر الثوب عنده ، أيضمن أم لا ؟ قال : قال مالك : يضمن القصار ، إلا أن يأتى أمر من أمر الله تقوم عليه بينة ، فالقصار لا يضمن إذا جاء أمر من أمر الله تقوم عليه بينة ، والفأر من يعلم أنه قرضه ؟ فهو على القصار إلا أن تقوم للقصار بينة أن الفأر قرضه بمعرفة تعرف أنه قرض الفأر ، من غير أن يكون ضيع الثياب حتى قرضه الفأر . (قال) فإن قامت له البينة بحال ما ، ووصفت فلا يكون عليه ضمان .. قلت : أرأيت الصناع مما أصاب المتاع عندهم من أمر الله مثل التلف والحريق والسرقة وما أشبهه فأقاموا على ذلك البينة ؟ قال مالك : لا ضمان عليهم إذا قامت لهم بينة على ذلك ولم يفرطوا .

وقال فى المغنى : أنه اختلفت الرواية عن أحمد فى الأجير المشترك إذا تلف العين من حرزه من غير تعد منه ولا تفريط ، فروى عنه لا يضمن ، نص عليه فى رواية منصور ، وروى عن أحمد : أن كان هلاكه بما استطاع ضمنه ، وإن كان عدواً أو غرقاً فلا ضمان ، وقال أحمد ـ رحمه الله ـ فى رواية أبى طالب : إذا جنت يده أو ضاع من بين متاعه ضمنه ، وإن كان عدواً أو غرقاً فلا ضمان .

ويتبين من هذا القول أن من ذهبوا إلى تضمين الصناع طبقوا عليهم أحكام الأمين ، فهم لا يضمنون إلا إذا تعدوا أو فرطوا ، غير أنه لما كان الصناع يعملون بعيداً عن أصحاب المتاع ، ومن الصعب على هؤلاء أن يثبتوا أن ضياع المتاع أو تلفه ناشىء عن التعدى من الصانع أو تفريطه ، فى حين أنه لا يصعب على الصانع ـ وهو الذى يعلم سبب الضياع أو التلف ـ أن يثبت أن ذلك يرجع إلى سبب لا يد له فيه ، ولم يكن فى وسعه منعه ، فقد رأى القائلون بتضمين الصناع أن عليهم أن يثبتوا أن الضياع أو التلف لا يرجع إلى تعديهم أو تفريط منهم ، وأنه حدث بسبب لم يكونوا يستطيعون له دفعا .

ويتضح مما تقدم أن الأثر المترتب على تضمين الصناع يقتصر على نقل عبء الإثبات من على أصحاب المتاع إلى الصناع ، فلم يعد الأولون مكلفين بإثبات تعدى الصناع أو تفريطهم ، وصار على الصناع إثبات سبب عدم ضمانهم لضياع المتاع الذى سلم إليهم أو تلفه ـ أما باقى أحكام عدم الضمان فلم تتغير ، مازال الصناع لا يضمنون إلا تعديهم أو تفريطهم . ويمتنع الضمان إذا أقاموا البينة على أن الضياع أو التلف يرجع إلى أمر من أمر الله كحرق غالب أو غرق غالب أو ما ماثل ذلك من أسباب أدت إلى ضياع المتاع أو تلفه .

٣ ـ ضالة الابل :

عن يزيد ، مولى المنبعث أنه سمع زيد بن خالد يقول : سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن اللقطة الذهب أو الورق ؟ فقال : اعرف وكاءها وعفاصها ، ثم عرفها سنة . فإن لم تعرف فاستنفقها ، ولتكن وديعة عندك ، فإن جاء طالبها يوماً من الدهر فأدها له . وسأله عن ضالة الإبل ؟

فقال : مالك ولها ؟ دعها ، فإن معها حذاءها وسقاها ، ترد الماء وتأكل الشجر حتى يجدها ربها ، وسأله عن الشاة فقال : خذها ، فإنما هى لك أو لأخيك أو للذئب ..

لقد بين هذا الحديث النبوى الشريف أحكام اللقطة ، وفرق فى الحكم بين ضالة الإبل ، وبين ضالة الشاة ، فقال بالتقاط ضالة الشاة وعدم التقاط ضالة الابل ، وذكر علة هذه التفرقة فى الحكم ، وأنها مدى تعرض كل منها للضياع ، فأباح التقاط ضالة الشاة لتعرضها للضياع فهى لا تستطيع الصبر على الجوع والعطش ، كما

البقية ص ٨٤١

جمهورية القرم الإسلامية

٣

إعداد: عادل خفاجة

موقعها :

تقع هذه الجزيرة الخضراء فى البحر الاسود شمال تركيا على بعد ثلثمائة ميل على التقريب من الشاطىء التركى الشمالى ، ويحيطها غربا وجنوبا البحر الاسود ، وشرقا مضيق كرتش وبحر ازاق الذى يفصل بينها وبين القوقاز ، وتتصل شمالاً باوكرانيا عن طريق برزخ اورقابى (بريكوب) الذى يتسع عرضه من خمسة إلى ستة كيلومترات .

مساحتها :

تبلغ مساحتها سبعة وعشرين الف كيلومتر مربع ، وهو ما يزيد على ثلثى مساحة سويسرا ، وتنقسم هذه المساحة إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

سهل منبسط فى الشمال يزينه العشب الأخضر وتمر خلاله نهيرات صغيرة . وهذا القسم غنى بالحيوانات الأليفة والوحشية ومختلف الطيور ، وتراب هذا القسم صلصالى ، ينبت فيه العديد من النباتات والخضر والحبوب ؛ لذلك وصفها هيرودوت بأنها مخزن العالم فيما تنبته .

القسم الثانى :

منطقة الجبال والشواطىء ، حيث توجد الخضرة وينابيع المياه والغابات التى تكسوها أجناس لا حصر لها من نباتات الجبال التى تستخرج منها العطور والكثير من المواد الكيميائية . فعلى سبيل المثال يوجد فى جبالها ٢١٠ أنواع من الخوخ و ٣٣٠ نوعاً من التفاح و ٤٥٠ نوعاً من العنب ، وللقارىء أن يستنتج

الأعداد الهائلة للنباتات الطبية ، ومدى تنوع العقاقير المستخرجة منها .

وغابات القرم مع شواطئها تؤلف منطقة ممتازة للاستشفاء ؛ يتردد عليها الآلاف من المصابين والمصطافين .

القسم الثالث :

وهى منطقة الوديان والتلال ، وهى تجمع بين صفات القسمين الأول والثانى .

الحالة الاقتصادية :

إن الموقع المتميز الذى تمتاز به القرم ، لكونها منطقة جمعت بين المناطق الجبلية وبين الوديان جعلت من هذه الأرض مخزن العالم فيما تنبت كما قال هيرودوت .

لذلك تكثر فيها أشجار اللوز ، والبندق ، والبلوط ، والصنوبر ، والزان ، والتين والكروم والورود ، والجوز والتفاح والكمثرى والفراولة ، والخوخ ، والبرقوق ، والسفرجل وأجناس أخرى من نباتات الجبال . وكل ما من شأنه تقوية اقتصاد البلاد . إضافة إلى ذلك توجد :

*** مناجم الحديد :**

التى احتلت الدرجة الثالثة بعد مناجم اللورين الفرنسى ومناجم نيوقائد لاند الأمريكى ؛ حيث تأتى بعدهما مناجم كرتش فى القرم .

*** خام الكبريت :**

ويوجد بكميات كبيرة فى شبه جزيرة كرتش بالقرب من جبل « أويوك » .

*** زيت البترول :**

ويوجد زيت البترول بكميات كبيرة فى منطقة كرتشى ، وقد اكتشف البترول فى هذه المنطقة منذ عهد بعيد ، حيث تم أول بحث چيولوچى للمنطقة سنة ١٨٨١ م فأنشىء فى المنطقة أول مصنع بها لتكرير البترول .

*** الفحم الحجرى :**

يوجد الفحم الحجرى بكميات وفيرة وخاصة فى ضواحى آقمسجد ، وأهم مناجمه « بش أو » .

*** استخراج الملح :**

وعلى البحيرات المالحة التى يزيد عددها على مائة بحيرة والتى تصل مساحتها إلى ١٩ ألف هكتار ، تقوم صناعات استخراج الملح بالإضافة إلى عدد من المواد الطبية الأخرى .

*** صيد الأسماك :**

كما تقوم على تلك البحيرات ، حرفة صيد الأسماك ، حيث تكثر أسماك (باربونيا) (كالكان) و (تيرس) وغيرها ويقوم على هذه الحرفة العديد من المصانع لحفظ الأسماك .

القرم المسلمة :

إن عهد القرم بالإسلام أقدم من قيامها كدولة مستقلة حيث كانت القرم بلدة داخل نطاق إمبراطورية يحكمها (بركة خان) الذى هداه الله إلى الإسلام فاعتنقه دينا له وتبعه أشياعه ورعاياه عام ١٢٦٢ ميلادية ، وكان يحكم القرم فى هذه الأثناء نائب الأمير (أديكه) .

دولة القرم المستقلة :

قامت دولة القرم عام ١٤٢٨ م كدولة مستقلة ، ونصب الحاج « منكلى كيراى » (خاناً) عليها - أى ملكا - ويتصل نسبه بجنكيز خان ، ثم توارث أبناؤه العرش القرمى جيلا بعد

جمهورية القرم الإسلامية

جيل حتى بلغ عددهم تسعة وستين خانا .

ازدهرت البلاد أثناء حكمهم لها ، وترعرعت وتعمرت بالمدنية الإسلامية الطاهرة فأصبحت تعيش فى كنف الطمأنينة وسلام العز الدائم . مراعية حسن الجوار وقوانين التجارة .

كان أبناؤها أشداء أقوياء يعلمون كيف يذودون عن وطنهم ويردعون المعتدى ، وكان ممن ذاق شدتهم وعلم قوتهم أمراء أوكرانيا وموسكو حينما تناسى هؤلاء الأمراء حقوق جيرانهم وبخاصة على الحدود الإسلامية مثل (القازان) و(أسترخان) لقد اضطرت القرم حيال ذلك إلى إخضاع موسكو دون أن تعمد إلى خرق القواعد الإسلامية المفروضة على المتحاربين .

التخطيط الروسى :

لم يكن الروس ليهنأوا بالاً مع وجود دولة قوية مثل دولة القرم على حدودهم ! وفكروا فى القضاء على هذه القلعة الإسلامية ، وحاولوا الاستيلاء عليها بالقوة فجهزوا جيشاً جراراً وأغاروا عليها فى عام ١٦٧٧ م فباءت محاولتهم بالفشل ولحقتهم هزيمة نكراء ؛ بفضل إيمان جنود القرم ، وشجاعة (سليم كيراى) الذى كان على عرش القرم فى تلك الآونة .

لم يرتدع الروس إزاء هذه الهزيمة فأعادوا الكرة عام ١٧٣٦ م فذاقوا نفس الهزيمة ، ثم أغاروا للمرة الثالثة ما بين عامى (١٧٣٧ - ١٧٣٨) بقيادة الفيلد مارشال (لاسسى) ، ولم يكن للفيلد مارشال (لاسسى) حظ أفضل من سابقيه ، فمُنى بفشل ذريع . وأعاد الروس اعتداءهم للمرة الرابعة عام ١٧٧١ بقيادة (دولغوروكى) فضرب ألف قرية وعدداً من المدن وكان هذا الإجرام الحربى فى قصف المدنيين هو ما دفع العالم الروسى (ماركوف) إلى وصف شنائع الاعتداء الروسى ، على القرم الإسلامية .

ضم القرم إلى روسيا :

كانت القرم دولة كاملة الأركان ترتبط بمن تشاء من الدول وتوقع المعاهدات وفقاً لما تتطلبه مصالح القرميين السياسية والتجارية ، وكان من هذه الاتفاقيات ، معاهدة (عدم اعتداء) بينها وبين الدولة الروسية القيصرية .

تلك المعاهدة التى نقضتها الامبراطورة (كاترين الثانية) بالاستيلاء على القرم وأعلنت ذلك بعد الاعتداء لا قبله ، هذا الاعتداء الذى يعتبر خامس اعتداء أنهك القرميين الذين لم تكن بين أيديهم مساعدات كافية ولننظر إلى ترجمة بعض أجزاء منشور ٨ أبريل ١٧٨٣ الخاص بذلك ، يقول المنشور :

« نعلن نحن كاترين الثانية امبراطورة روسيا وحاكمتها المطلقة ما يأتى :

فى الحرب الأخيرة التى نشبت بيننا وبين الباب العالى العثمانى انتصرت جيوشنا البواسل ، فازت عليه ، وخولت لنا حق الاحتفاظ التام بالقرم .. لذلك أرانى فى حل من تعهداتى الخاصة بالتخلى عن القرم وترك شعوبها الإسلامية حرة مستقلة . وأجد من حقى أن أعود فيما أعطيت وأن أضع يدى على هذا الإقليم الذى أستحقه ثمرة الفوز العسكرى »[١] .

وهكذا ، ظُلم القرم وأهله ، ونكل بالمسلمين وأُحرقت المدن والقرى ونُهبت الدور والقصور ، وهتكت الأعراض ، وذبح الجنرال المغير ثلاثين

(١) يوسف ولى شاه : كارثة القرم الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى القاهرة ١٩٥٠ .

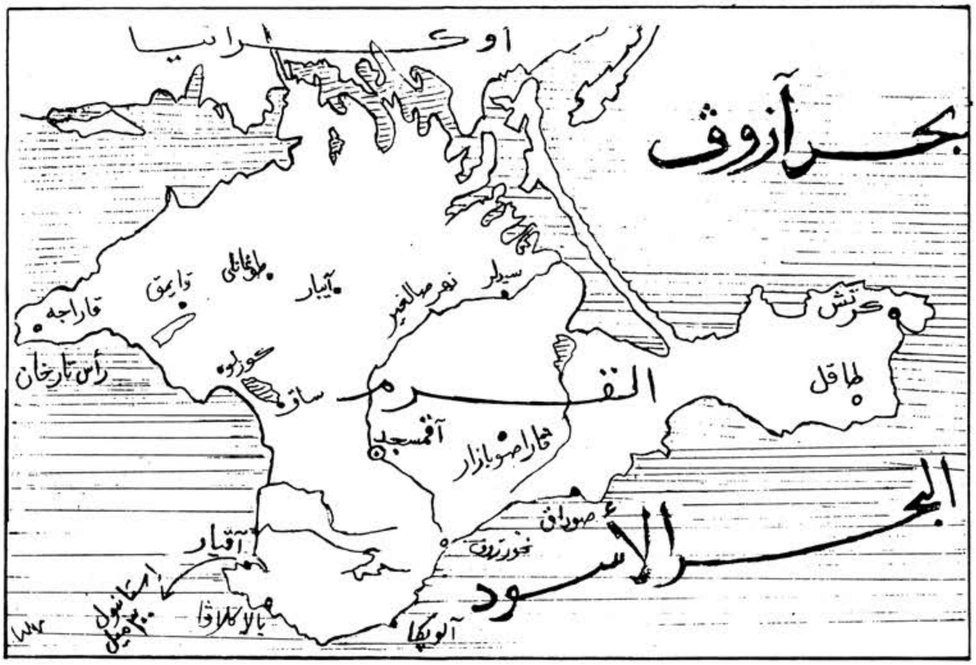

ألف مسلم بين أطفال ونساء وعجائز فى ليلة واحدة على نهر (قاراصو پازار) وأمام هذا الظلم الفادح والفظائع والتنكيل والعذاب ، اضطر ٣٠٠,٠٠٠ من مسلمى القرم إلى هجر بلادهم إلى البلدان المجاورة ولم يكن ما فعلته الامبراطورة كاترين الثانية وأمرت به غريبا على مسلمى القرم ، فقد كان امتداداً لمخطط روسى لا يهدف فقط إلى الاستيلاء على القرم ، بل يهدف أيضا إلى نفى أهلها . فقد سبق كاترين الثانية ، الامبراطور (إلى آلكسى ميخايلوفتش) قيصر روسيا حيث أجبر المسلمين فى عهده على قبول دينه ، وفوق ذلك قام بإحراق القرآن الكريم ، والمساجد ، وسلخ بشرة المسلمين .

لم يستطع الشعب القرمى المسلم الصمود فى وجه الروس أكثر من هذا ؛ فبدأت الهجرات تتوالى كلما ازداد طغيان الروس مالكى زمام الحكم ، وكان أهم هذه الهجرات ماتم فى الأعوام (١٧٩٠ ـ ١٨١٣ ـ ١٨٦٠ ـ ١٨٦٣ ـ ١٩٠٥ ـ ١٩٢١) ولم تقف محاولات الروس عند هذا الحد ، بل تغيرت وتشكلت وفق الأحوال ، فلجأوا إلى الغش للوصول إلى تنفيذ خطتهم لنفى هذا الشعب المسلم ، فقد أخذت الدولة الروسية عقب إلحاق القرم بالامبراطورية الروسية فى أواخر القرن الثامن عشر تدعو الشعب القرمى بالهجرة إلى تركيا باسم سلطانها ، وتبث بين الشعب القرمى وكلاءها من الأرمن والروم الذين تنكروا فى أزياء علماء ، وتظاهروا بأنهم رسل السلطان ، وكانوا ممن يجيدون اللغة التركية إجادة تامة بالإضافة إلى إتقانهم قراءة سور القرآن الكريم على اتم وجه ، ويخاطبونهم قائلين : « أيها المسلمون ، يجب عليكم الا تظلوا تحت حكم الكفرة ، إذ أن الدين يمنع الخضوع لهم ، وقد جهز السلطان أراضى وبيوتاً فى الاناضول ويدعو كل واحد منكم أن يلبى دعوته » وانطلت الحيلة

جمهورية القرم الإسلامية

على القرميين ، فهاجر قسم كبير منهم قاصدين الأرض البيضاء - أى الإسلامية - وضاع ثلثهم فى أعاصير البحر الأسود !!

التخطيط لتجويع مسلمى القرم :

خطط الروس لتجويع هذا الشعب المسلم ، وفرضوا عليه الجوع فرضاً ففى عام ١٩٢١ راح ضحية الجوع مائة ألف شخص ماتوا فى الطرقات العامة والحقول بحثاً عن شيء يسدون به رمقهم !! نعم ، لقد ظهر القحط فى هذه السنة فى حوض الفولغا ، وبسط الجوع سلطانه على السكان ، ولكن ما حدث فى القرم شيء مخطط ؛ حيث نقل الروس من القرم ماجادت به الأرض فى هذه السنة - لجودتها وطيب مناخها - من حبوب وغيرها إلى روسيا بالقوة دون أن يتركوا لغالبية السكان مايتعيشون به !! وقد دفع ذلك الأتراك إلى شراء الكميات اللازمة من الطعام لسد رمق إخوانهم ، وذهبوا بها إلى القرم ، إلا أن الإدارة الشيوعية صادرت هذه المؤن قبل وصول القافلة إلى البلاد ! ليبقى القرم يعانى المجاعة والقرم اليوم إحدى الجمهوريات الإسلامية .. فهل يعنى المسلمون بها بعد السقوط الذريع للشيوعية ، وتكالب الاستعمار الجديد على الجمهوريات الإسلامية ..؟!

"أشد الناس عداوة للذين آمنوا"

ملامح النظام السياسى ٣

للدولة اليهودية

بقلم لواء . أ . ح . دكتور
فوزى محمد طايل

عرضنا فى المقال الأول من هذه الدراسة للثقافة السياسية وللقيم العليا فى « الدولة اليهودية » .

وفى المقال الثانى حاولنا الإجابة على سؤال : من يحكم « إسرائيل » ، فعرضنا للسلطات العامة وللعلاقات الدستورية والسياسية فيما بينها ، ونحن فى هذا المقال على موعد لنحاول الإجابة على سؤال : كيف تُحكم إسرائيل ؟

الأحزاب السياسية :

يصدق من يقول: إن الحياة السياسية فى إسرائيل هى حياة سياسة الأحزاب ، وسياسة الأحزاب هذه هى سياسة « النخبة السياسية » . ولا غرو ، فهذا ميراث تاريخى ورثه اليهود منذ فجر تاريخهم . وفى هذا يقول الله ـ تعالى ـ فى كتابه العزيز :

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (البقرة /٦٠) .

ذلك بأن الله تعالى قد كتب عليهم الفرقة والتحزب إلى يوم القيامة فقال جل شأنه ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف/١٦٨) .

ويبلغ عدد الأحزاب والقوائم[١] التى تدخل ◄

(١) القائمة اصطلاح فنى يطلق على مجموعة تسعى سويا من أجل الحصول على مقعد فى المجلس التشريعى (الكنيست) ، ولايضمهم حزب سياسى .

أشد الناس عداوة للذين آمنوا

الانتخابات أحيانا مايزيد على الثلاثين ، بيد أنه لايسمح لمن لايحصل على نسبة ١٪ من الأصوات على الأقل بالمشاركة فى مقاعد (الكنيست) . وكثيرا ما نسمع عن انشقاقات داخل الحزب الواحد ، فينتج عن ذلك أحزاب جديدة ، وأحيانا ما يحدث ائتلاف بين حزبين أو أكثر لتكوين كتلة واحدة مثل « كتلة الليكود » التى تحكم إسرائيل الآن ، « وكتلة المعراخ » التى حكمت إسرائيل حتى عام ١٩٧٧ .

ونظراً لهذا التحزب المفرط فإنه يستحيل على حزب واحد أن يحصل على واحد وستين مقعدا فى « الكنيست » (أى الأغلبية المطلقة) حتى يمكنه تأليف الوزارة ، لذا فالوزارة الإسرائيلية دائما « وزارة ائتلافية » .. أى تتشكل من وزراء تابعين لأكثر من حزب سياسى واحد ، توزع بينهم المناصب الوزارية بناء على مفاوضات تسبق تشكيل الوزارة .

وعلى الرغم من التحزب الشديد ، فإن كل الأحزاب فى إسرائيل تجتمع حول « الفكرة الصهيونية ».. لذا فهى توزع الأدوار السياسية فيما بينها ، فيظن البعض أن هناك من يميل منهم إلى التسامح فى سبيل إعادة الحقوق أو بعض الحقوق المغتصبة للفلسطينيين ، وهناك من يتشدد ... وهذا خطأ كبير وقع فيه الكثيرون منا ولايزالون ، وقد أطلق الإسرائيليون ـ خداعا ـ على الفريق الأول فى هذه اللعبة المتقنة اسم « الحمائم » ، وعلى الفريق الثانى اسم « الصقور » .

وحينما يطلق على بعض الأحزاب السياسية فى إسرائيل:أنها يمينية ، وعلى أخرى:أنها يسارية ، فإن هذا التقسيم ينصرف إلى مدى التشدد فى حرفية تنفيذ الفكرة الصهيونية التى تقوم أساسا على إحلال أكبر قدر ممكن من يهود العالم محل العرب فى المنطقة التى يدعون أنها « أرض الميعاد » ... فالكل يؤمن بهذه الفكرة ويعمل على تنفيذها .. لكن البعض يرى التدرج واستخدام اساليب خداعية على مدى طويل . والبعض الآخر يرى الإسراع بتنفيذ الفكرة والطرد الفورى لسكان هذه الأرض من مسلمين ونصارى .

فالحكم على حزب إسرائيلى بأنه يمينى يعنى أنه يتشدد فى تطبيق « الشريعة اليهودية » (هاهلخاه) ، ويطالب بالإسراع فى وضع « الفكرة الصهيونية » موضع التنفيذ .. على أن أكثر الأحزاب تطرفا تجاه « اليسار » لاينكر هذين المطلبين بوصفهما غاية قيام الدولة اليهودية ... وإلا لما كان أتباع هذا الحزب « اليسارى » قد تركوا أوطانهم وهاجروا إلى فلسطين .

والأحزاب الإسرائيلية هى أحزاب جماهيرية ، هرمية التنظيم يقف على قمة كل منها شخصية صهيونية قوية ذات تاريخ مشهود له فى هذا المجال . وتتلقى هذه الأحزاب معونات مالية من المنظمات اليهودية خارج إسرائيل تستخدمها فى عمليات التأهيل الاجتماعى والسياسى للمواطنين من خلال تنظيم: حركات الشباب ، وإنشاء المدارس ، والنوادى الرياضية والملاهى ، وتأدية الخدمات الاجتماعية ، وبث الروح الصهيونية لدى أعضاء الحزب من خلال الندوات والمحاضرات والمناقشات الثقافية ، ومن خلال الصحافة .

ولعل من أهم واجبات الأحزاب السياسية فى

إسرائيل أنها تقوم بعملية « التجنيد السياسى » وانتقاء وتأهيل القادة ودفعهم لتولى المناصب العامة .. كما أنها تقوم بصناعة « الرأى العام » وتقوية « الإرادة الوطنية » .

ويشارك المواطن الإسرائيلى فى اتخاذ القرار السياسى بشكل غير مباشر من خلال إقباله على الانضمام إلى حزب سياسى أو حركة أو جماعة سياسية ، وتحوله من حزب إلى آخر بمعدل عال يفوق كل المعدلات العالمية فى هذا المجال ، ومن خلال الإقبال الشديد على الانتخابات الذى يزيد عادة على ٨٠٪ من إجمالى الناخبين المدرجين فى جدول الانتخاب .

هذا ، ويميل معظم « السفارديم » إلى إعطاء أصواتهم لكتلة الليكود فى حين يميل معظم « الاشكنازيم » إلى إعطاء أصواتهم إلى « حزب العمل » ، أو « التكتل العمالى » (المعراخ) .... وتذهب باقى الأصوات للأحزاب الأخرى وللقوائم السياسية .

ولعل من المفيد أن نلقى الضوء على أهم الأحزاب السياسية فى إسرائيل :

١ ـ **حزب العمل** ، وأطلق عليه أيضا « التحالف العمالى » (المعراخ) فى فترات تاريخية كانت فيها كل الأحزاب العمالية متآلفة فى كتلة واحدة .

والحزب الرئيس فى هذا التحالف هو حزب « ماپاى » Mapai وهو اختصار عبرى لـ « حزب عمال أرض إسرائيل » ونشأ عام ١٩٣٠ م من اندماج حركتى « عمال صهيون » ، و « العامل النشيط » اللتين ظهرتا منذ عام ١٩٠٦ م .

وقد انضم لهذا الحزب حزب عمالى آخر هو حزب « ماپام» Mapam أى « حزب العمال المتحدين » ، وانفصل عنه حزب «رافى» أى « قائمة العمال الإسرائيلية » الذى عاد فانضم إليها ... الخ

وقد تولى هذا الحزب حكم إسرائيل منذ نشأتها ، كحزب مهيمن ، حتى ضعفت شعبيته فى أعقاب حرب رمضان ١٣٩٣ هـ (أكتوبر ١٩٧٣) وخسر انتخابات عام ١٩٧٧ م . ومن أهم قادة هذا التحالف « دافيد بن جوريون » ، « وموشى شاريت » ، « وليفى إشكول » ، «وموشى ديان » ، و« جولدا مئير » ، « ويتصحق رابين » ، « وشمعون بيريس » الرئيس الحالى للحزب .

٢ ـ **كتلة ليكود** وهى تجمع لمجموعة أحزاب متشددة فى موقفها إزاء إقامة « إسرائيل الكبرى » بحدودها « التوراتية » كما يزعمون . وبذا فهى كتلة يمينية ، لايفوقها فى تشددها سوى الأحزاب الدينية والحركات اليهودية الأكثر تطرفا مثل « هتحيا »، و «شاس» ، و« جوش إيمونيم » ... إلخ .

وتضم « الكتلة » حزب « حيروت » أى « الحرية » الذى كان يرأسه « مناحيم بيجن » منذ عام ١٩٤٨ ، والذى انضم إليه «حزب الأحرار» فيما بعد ليكونا ما سمى بكتلة « جاحال » التى انضم إليها أيضا « حزب الصهيونيين العموميين » .

وشاركت كتلة « جاحال » فى الحكومة الائتلافية عام ١٩٦٧ ، وانضم إليها حزب « لاعام » الذى انشق عن حزب « رافى » بسبب عودة الأخير إلى «تحالف العمل » عام ١٩٦٨ م .

وقد ظهرت « كتلة ليكود » كحزب قوى تحت قيادة « مناحيم بيجن » منذ عام ١٩٧٣ م لتتولى الحكم منذ عام ١٩٧٧ م ، ثم انتقلت قيادته إلى «يتصحق شامير » منذ عام ١٩٨١ م وحتى الآن .

وتلتزم « كتلة ليكود » ببرنامج عمل يتضمن

﴿أشد الناس عداوة للذين آمنوا

ضرورة إقامة «إسرائيل الكبرى» عاصمتها «القدس» الموحدة، وعدم قبول أى تقسيم «للوطن العبرى» الذى يشكل وحدة جغرافية وتاريخية. وأن على الجيل الحالى أن يعمل على عودة الشعب اليهودى المشتت إلى وطنه المحرر. وأن «التوراة» يجب أن تكون دستور الدولة.

٣ ـ **الأحزاب الدينية**، وما أكثرها، وهى رغم صغرها تعد ضرورية وهامة لإحداث الائتلاف الحكومى. وبدونها لايمكن لأى من الحزبين الكبيرين تشكيل وزارة تحكم البلاد.

ولعل القاسم المشترك الأعظم لهذه الأحزاب هو دعوتها لتحويل كل القوانين فى إسرائيل إلى قوانين مستمدة من الشريعة اليهودية، كما أنها ما قامت جميعها إلا لتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين، وتأمين الاستيطان فيها وعدم السماح لأية حكومة إسرائيلية باتخاذ قرار يتضمن التنازل عن الأرض ولو مقابل السلام.

ومن أهم هذه الأحزاب حزب «مفدال» أى (الحزب القومى الدينى)، وحزب «مزراحى» (حزب المركز الروحى)، و«جماعة إسرائيل» (أجودات يسرائيل)، وحزب «تامى»، وحزب «شاس» الذى كان يترأسه الحاخام «مئير كاهانا» ... الخ.

٤ ـ وفضلا عن هذا توجد بعض الأحزاب الشيوعية مثل حزبى «ماكى» و«راقح»، وحزب «العرب الديمقراطيين» الذى أطلق على نفسه «حزب التقدم والتنمية»، و«حزب التقدم والعمل» الذى أطلق على نفسه «حزب التعاون والأخوة» .... الخ وكلها أحزاب هامشية مثلها مثل بعض الحركات الأخرى ذات التأثير الدعائى الأجوف مثل «حركة السلام الآن» ... ويقابلها حركات هامشية متطرفة مثل «جوش إيمونيم»، «والحشمونائيم»، وحركة «أومتص»، و«مانوف» .. الخ.

قوى الضغط ومجموعات المصالح :

لقوى الضغط ومجموعات المصالح ـ رغم أنها تعد بالمئات ـ تأثير محدود ومحكوم فى مجال صنع واتخاذ القرار السياسى، ويرجع ذلك إلى المركزية الشديدة للنظام السياسى الإسرائيلى، وإلى سيطرة الأحزاب على الحياة السياسية، كذا إلى قلة الموضوعات التى تترك دون بحث ومعالجة فى إطار مؤسسات السلطات العامة، وأخيرا فإن رؤساء مجموعات المصالح وقوى الضغط هم أنفسهم قادة الأحزاب أو الشخصيات القوية فيها .. لذا ينحصر عمل هؤلاء فى التأثير لإشراك شخصيات غير رسمية فى عملية صنع واتخاذ القرار السياسى. ولعل أهم التنظيمات وأكثرها تأثيرا تتمثل فيما يلى :

١ ـ **الهستدروت** :

وهى كلمة عبرية تعنى «النقابة» واسمها الكامل «النقابة العامة للعمال العبريين بأرض إسرائيل». وهى ليست نقابة العمال الوحيدة هناك، لكنها أكبر هذه النقابات بحيث تبدو الأخريات بالنسبة لها ضئيلة الحجم جدا.

تأسست «الهستدروت» عام ١٩٢٠ م بهدف تنظيم دور العمال فى الحركة الصهيونية، وارتبطت «النقابة» «بحزب العمل» فى بداية نشأتها، وقد بلغ(٢) عدد أعضائها عند

(٢) توسعت علاقاتها الآن بالأحزاب الأخرى إلى درجة أن ثلاثة أرباع أعضاء الكنيست هم فى نفس الوقت أعضاء «بالهستدروت» ... وهناك من يطلق عليها الآن : «اتحاد الشعب الإسرائيلى».

التأسيس ٤٤٣٣ عضوا ، وهى تضم الآن أكثر من مليون ونصف المليون (حوالى ٨٠٪ من قوة العمل فى إسرائيل) ، وينضم العرب المقيمون فى إسرائيل إلى هذه النقابة ... وبجانب دورها كنقابة عمال فإنها تمارس نشاطات اقتصادية واجتماعية واسعة ، بل إن لها علاقات خارجية من خلال منظمات الأمم المتحدة المانحة للمعونة لاتقل أهمية وخطورة عن علاقات وزارة الخارجية الإسرائيلية :

« والهستدروت » هى أكبر مستخدم مدنى ، وأكبر مستثمر رأسمالى من خلال امتلاكها « لشركة العمال » (حفرات عوفديم) Hevrat ovdim .. لذا فإن لها قوة اقتصادية واجتماعية هائلة[٣] .

وهى تسيطر على التأمين الصحى من خلال منظمة « صندوق المرضى » (قويات حوليم) التى تقدم خدماتها الصحية لقرابة ٧٥٪ من المواطنين ، ويتبعها ثلث مستشفيات إسرائيل .

وللهستدروت فروع فى جميع البلاد التى بها جاليات يهودية كبيرة ، ومكتبها الدائم فى « نيويورك » يطلق عليه « بيت هاهستدروت » ، ويقوم بنشاط سياسى واستخباراتى سرى ، ويعمل على دفع اليهود إلى المناصب القيادية الكبرى فى نقابات العمال الأمريكية .

وللهستدروت حزب فى بريطانيا يسمى « بوعيل تصيون » أى عامل صهيون . بعض أعضائه أعضاء فى حزب العمال البريطانى فى نفس الوقت .

وللهستدروت علاقات قوية مع الأحزاب الاشتراكية فى كل أنحاء العالم ، وتوفد الخبراء والفنيين إلى مختلف بلدان العالم للمساهمة فى المشروعات التى تتولى منظمات الأمم المتحدة المانحة للمعونة تمويلها .

٢ - المؤسسة العسكرية

اعتمدت إسرائيل على استخدام القوة العسكرية لإقامة الدولة ولتأمينها ولتحقيق أهدافها ، فقد شكلت العصابات المسلحة (الهاجاناه - شتيرن - الأرجون ... الخ) فى المجتمع اليهودى الاستيطانى بفلسطين « اليشوف » وقد أفرزت هذه العصابات الزعماء والقادة الذين تولوا أعلى المناصب منذ عام ١٩٤٨م وحتى الآن . وصارت أولوية « سياسة الدفاع » - على حد تعبير « آشير آريان » عميد كلية العلوم الاجتماعية بجامعة تل « أبيب » - بمثابة « جزء من منهاج الحياة فى إسرائيل » Part of the Israeli way of life وصار موضوع الدفاع - فى نظر المواطن الإسرائيلى - هو الموضوع الأهم ، وغلفت الرموز العسكرية (القوة - التضحية - البطولة ... الخ) منظومة القيم ، والثقافة فى إسرائيل ، على حد تعبير « آريان » .

وبالإضافة إلى أن وزير الدفاع الإسرائيلى يعد ثانى أو ثالث أهم شخصية هناك ، فإن عدداً كبيراً من كبار القادة السابقين يرأسون أهم الأحزاب ، ويتولون مناصب وزارية هامة كالزراعة ، والاستيطان ، والخارجية ، بل والتعليم أحيانا ، فضلا عن منصب رئيس الدولة أو رئيس الوزراء أو المنصبين معا أحيانا[٤] وإذا ما أضفنا لذلك أن « مجمع الصناعات

(٣) تسيطر الهستدروت على ٧٥٪ من الإنتاج الزراعى ، و٢٥٪ من الإنتاج الصناعى ، و٤٠٪ من أعمال البناء ، و٩٩٪ من المواصلات العامة .

(٤) ضمت الوزارة التى شكلت عام ١٩٨٨ م أحد عشر عضوا من القادة العسكريين السابقين فضلا عن رئيس الدولة . ومن هؤلاء خمسة وزراء دفاع ، وثلاثة رؤساء أركان سابقين .

أشد الناس عداوة للذين آمنوا

العسكرية » ، والذى يضم أهم الصناعات فى إسرائيل تسيطر عليه المؤسسة العسكرية ، وإذا ما علمنا أن المسرحين من الخدمة العسكرية يمثلون ٤٠٪ من العاملين بشركات الأعمال الكبيرة ، و ٨٠٪ من العاملين بالشركات الحكومية ، و٩٠٪ من العاملين بجهاز النقل ، بما فى ذلك الطيران المدنى ، لأمكننا القول بكل بساطة أن « إسرائيل معسكر كبير » ، للعسكريين فيه اليد الطولى فى حكم البلاد ... ناهيك عن سيطرتهم الكاملة تقريبا على مجتمع الاستخبارات الذى يعد بمثابة كل حواس صانعى ومتخذى القرار ، فضلا عما يحيكه من أعمال سرية فى هذا المجال .

٣ ـ المؤسسة الدينية :

يتعدى دور المؤسسة الدينية فى إسرائيل مجرد التأثير الاجتماعى إلى التأثير فى الحياة السياسية ككل ، بل وفى مجال الدفاع والأمن القومى ، باعتبار الصهيونية فكرة يهودية فى لحمتها وسداها .

وعلى الرغم من أن عدد مقاعد الأحزاب الدينية فى الكنيست لايتجاوز الآن ثمانية عشر مقعدا ، إلا أن تأثير المؤسسة الدينية فى تطبيق الشريعة اليهودية ، وفى الاستيطان ، والهجرة ، وتهويد مدينة القدس ، والإعداد لبناء الهيكل الثالث على أنقاض المسجد الأقصى يتزايد يوما بعد يوم .

هذا ولايتخذ قرار سياسى فى إسرائيل إلا والبعد الدينى فيه يكون جوهريا ... وتقوم الخلافات والمناظرات بين صانعى القرار وبين متخذى القرار حول مدى « يهودية » القرار كما يقول « آشير آريان » .

Religion is a central issue in Israeli political life.. the broad consensus within the Jewish population that Israel should be a Jewish state. The conflict is over the degree of Jewishness. »

ويعتبر منصب « وزير الأديان » من المناصب ذات الأهمية السياسية والقانونية ... ونظرا لخطورته فى هذه الأيام فقد تولاه رئيس الوزراء «يتصحق شامير» نفسه ... الذى عاد فدعم وزارته بأحد الوزراء « المتطرفين » ليعمل وزيرا دون وزارة هو « ريحاڤام زعيڤى » .

صنع واتخاذ القرار السياسى :

يتسم صنع القرار السياسى فى إسرائيل بالتعقيد ، وباحتوائه على أبعاد أمنية ، وعقائدية ، واستراتيجية ، واقتصادية ، ونفسية واجتماعية فى آن واحد . وتشارك فيه بشكل أو بآخر مختلف مؤسسات الدولة وتنظيماتها ، والمؤسسات الصهيونية (خارج الدولة) . بيدأن عملية اتخاذ القرار التى تلى ذلك مباشرة تناط بمجموعة صغيرة يرأسها رئيس الوزراء ، وتقوم باختيار البديل الذى تراه مناسبا ... وغالبا ماتعمل فى منزل رئيس الوزراء .

ولا تخلو عملية صنع القرار واتخاذه من صراعات شخصية ومنافسات مريرة . ومن ناحية أخرى فإن كبار الشخصيات التى لاتشغل مراكز رسمية فى أجهزة السلطة العامة تشارك عادة بالرأى والنصيحة والمشورة .

وتمر عملية صنع القرار السياسى بمرحلة أولية لجمع البيانات والمعلومات وتحليلها ، وتوقع الأزمات ، ووضع بدائل الحلول ، وهذه يُشارك فيها مجتمع الاستخبارات ، ومراكز الأبحاث الاستراتيجية والخبراء والفنيون والاستشاريون بمختلف الوزارات .

أما عملية اتخاذ القرار فيشارك فيها رئيس الوزراء ، ووزيرا الخارجية والدفاع ، وزعيما « حزب العمل » (ماپاى) ، «والليكود »[٥] ، وأمين عام « الهستدروت » ، وآخرون يختارون حسب طبيعة القرار وخطورته ، وتستمع هذه المجموعة لتقرير ممن تراه ، ويلعب مدير مكتب رئيس الوزراء فى هذا المجال دورا خطيرا إذ يضع الأفكار الرئيسية التى تعرض للمناقشة ، ويرتب البدائل .

أما مرحلة وضع القرار موضع التنفيذ وتحديد الوقت المناسب لذلك فتتحكم فيها مجموعة من الاعتبارات مثل : الظروف السياسية الخارجية ، ومدى تقبل الرأى العام ، ومدى تأثير جماعات الضغط والمصالح ... الخ .

هذا وتشارك المنظمة الصهيونية العالمية فى وضع الاستراتيجية العامة للدولة اليهودية ، وفى اتخاذ القرارات المصيرية . وقد نظم القانون الإسرائيلى هذه المشاركة منذ عام ١٩٥٢ م ، كما صدر عام ١٩٥٤ م ميثاق للتعاون بين الحكومة الإسرائيلية والمنظمة ، باعتبار الأخيرة « الحكومة القومية العليا » التى تقوم باستنفار يهود العالم وتحريكهم كقوى ضاغطة عالمية فى الوقت المناسب .

لقد أدت ظروف نشأة إسرائيل ، والتأييد شبه الكامل من قبل دول الربع الشمالى للكرة الأرضية إلى إحداث قدر كبير من التوازن بين السياسة الداخلية فى الدولة اليهودية وبين تحقيقها للأمن القومى ... وهذا مانحاول معالجته فى المقال القادم بإذن الله .

---

(٥) عادة مايكون أحدهما هو نفسه رئيس الوزراء . وفى الوقت الحالى يرأس زعيم حزب « الليكود » « يتصحق شامير » الوزارة بينما يرأس « شمعون بيريس » « حزب العمل » .

قضية كشمير المسلمة

للأستاذ
ماهر زكريا الشيمى

٢

اما بالنسبة لكشمير فقد ادركت الهند اهميتها الاستراتيجيـة والاقتصاديـة ، ولذلك عملت جاهدة للاستيلاء عليها حتى تتمكن من الهيمنة والسيطرة على باكستان ومقدراتها .

إمارة كشمير

الموقع وأهميته : تقع كشمير فى أقصى شمال الهند . بين دائرتى عرض ٣٢ ° ، ٣٨° شمالا ، وبين خطى طول ٧٢° ، ٨٠° شرقا . فى منطقة ذات أهمية استراتيجية كبيرة حيث تجاور الهند من الجنوب الشرقى ، والصين من الشمال الشرقى ، والاتحاد السوفيتى من الشمال الغربى ، وجمهورية باكستان الإسلامية من الجنوب الغربى ، حيث يمتد خط الحدود بينهما لأكثر من (٧٠٠) سبعمائة كيلو متر ، بينما تمتد حدودها مع الهند إلى ٣٠٠ كيلومتر فقط .

وهى أرض مضرسة وعرة صاعدة إلى عقدة بامير الجبلية ، وسلاسل جبال هيمالايا . ومعنى هذا انها تقع فى موقع جغرافى حساس من حيث سيطرتها على الممرات التى تعبر هذه المرتفعات الشاهقة والتى تصل بين أرض الهند وأرض الصين من وراء الجبال ، ويوجد بها سهلان أو واديان هما وادى جامو ووادى كشمير . كما تجرى بها الأنهار الثلاثة السند وجيلم وجناب (تشناب) التى تكفل الحياة فى دولة باكستان .

ولهذا كله تنظر الهند إلى كشمير باهتمام ، وتعقـد عليها أهميـة كبرى من النـاحية الاستراتيجية . مثلما تنظر باكستان إليها باهتمام أكثر وتعقد عليها أهمية أكبر من الناحية الاقتصادية ، لاعتقادها أن من أهم مقومات التقدم الاقتصادى : السيطرة على كشمير واستغلال مساقط المياه فى الروافد النهرية لتوليد الكهرباء . بالإضافة إلى أن التفوق الكبير فى أعداد المسلمين فى كشمير يشعر باكستان بالتعاطف مع سكانها ، ويذكرها دائما بواجبها نحوهم .

المساحة والسكان : تبلغ مساحة كشمير نحو ٨٤٤٧١ ميلا مربعا . أى انها أكبر من مساحة هولندا وبلجيكا والدنمارك مجتمعة وأكبر من

* الكاتب مستشار أول الجغرافيا بالأزهر .

مساحة بنجلايش (٥٤٥٠١ ميل مربع) ويبلغ عدد سكانها أكثر من ١٢ مليون نسمة[1] وهم موزعون على النحو التالى :

فى كشمير نفسها – أى بخلاف مقاطعة جامو – تبلغ نسبة المسلمين ٩٣,٥٪ من مجموع السكان بها . وفى مقاطعة جامو تبلغ نسبة المسلمين ٣٢٪من مجموع سكانها ، بينما نجد أن منطقة (جلجت) وهى المنطقة الجبلية الواقعة فى الشمال الغربى والتى يتاخم جزء منها حدود الاتحاد السوفيتى نجد أن جميع سكانها من المسلمين . وعموما فإذا نظرنا إلى الإمارة بأكملها فإن نسبة المسلمين فيها تبلغ ٧٨٪[2] .

ويعتمدون فى حياتهم على القمح والأرز والقطن والرعى . وشعب كشمير فقير بوجه عام ، وهناك عدة لغات محلية ، ولكن الأردو والكشميرية هما أهم لغتين ، والعاصمة سرينحار وتقع فى القطاع الهندى ، وجلجت عاصمة القطاع الباكستانى .

وكانت إمارة كشمير زمن الاستعمار الإنجليزى مقسمة إداريا إلى ثلاث مناطق هى : جامو وكشمير ومنطقة الحدود ، وأما اليوم فقد أصبحت تنقسم إلى قسمين هما : كشمير الحرة ، وهو القسم الذى أعلن انفصاله عن الإمارة الأم – كما سيأتى ذكره – وهذا القسم يلى باكستان مباشرة ، ومساحته حوالى ثلث مساحة الإمارة . أما القسم الآخر وهو يمثل ثلثى مساحة الإمارة ، فقد استولت عليه الهند – كما سيأتى ذكره – ويشمل مقاطعتى جامو وكشمير ، وحاليا يطلق اسم كشمير عليهما معا (جامو وكشمير) ،

وهذا القسم هو موضوع النزاع بين باكستان والهند إلى الآن .

التطور التاريخى لامارة كشمير :

عاشت إمارة كشمير منذ عام ١٣١٠ إلى عام ١٨١٩ ميلادية بلادا إسلامية يحكمها أمراء مسلمون تارة حكما مستقلا ، وتارة أخرى فى ظل أباطرة المغول ، وقد آل أمرها فى ١٦ مارس ١٨٤٦ م إلى الأمير (المهراجا) الهندوكى غلاب سنج الذى نصبه الإنجليز حاكما على الإمارة على أن يدفع لهم مقابل ذلك مبلغ سبعة ونصف مليون روبية ، وفق معاهدة عقدت بينهما تقضى أيضا بأن يتولى الإنجليز حمايته . وهكذا جاءت أسرة

(١) مجلة « المختار الإسلامى » العدد ٩١ – اغسطس ١٩٩٠ ص ٤٨ . بينما يقرر الكاتب يحيى جاد الله عددهم بـ ١١ مليونا فى كلمته (المسلمون فى كشمير) بالأهرام العدد ٣٨١١٣ فى ١٤ ابرايل ١٩٩١ ص ١١ .

(٢) « مأساة كشمير » عبد القادر خان – ترجمة إبراهيم نوار .

كشمير المسلمة

سنج إلى الإمارة ، وإذا كانت قد اشترتها بهذا المبلغ ، فإن الحفيد قد سلمها إلى الهند بلا مقابل . إذ كان يحكمها قبل التقسيم مباشرة (هرى سنج) الذى كان طاغية فاسدا ، جعل البلاد فى حالة سياسية واقتصادية وإدارية سيئة ، ولذلك قامت الثورة ضده فى عام ١٩٣٠ ، ولكنه استعان بالانجليز لإخمادها .

وفى عام ١٩٤٧ عندما انحسر الاستعمار الانجليزى عن الهند ، وتم التقسيم ، كانت رغبة سكان الإمارة واتجاههم واضحا نحو الانضمام إلى باكستان ، ولكن الأمير الهندوكى اتصل بزعماء الهند لكى يضم الإمارة إليها ، مما أدى إلى قيام الثورة فى أغسطس ١٩٤٧ تطالب بالانضمام إلى باكستان ، ولكن القوات الهندية زحفت على الإمارة لإخماد الثورة . فقتلت اكثر من ٢٧٠ الف مسلم . وقد نشرت جريدة (التايمز) اللندنية يوم ١٠ أكتوبر ١٩٤٧ رسالة لمراسلها هناك قال فيها : « إن ٢٣٧ الف مسلم قد قتلوا بطريقة منظمة فى عملية إبادة جماعية على يد قوات (الدوجرا) الهندوكية والتى كان يرأسها المهراجا نفسه والتى استقدمها من الهند حيث أشعلوا النيران فى قرى بأكملها [٣] .

وفى ظل هذه الظروف المأساوية نشأت « حركة تحرير جامو وكشميرى . وكانت تستهدف إنقاذ هذه الإمارة المسلمة من براثن الحكم الهندوسى ، وضمها إلى دولة باكستان المسلمة ، ويقول مؤسس حركة تحرير جامو وكشمير (غلام عباس) : « إن حركة تحرير كشمير ليست إلا حركة إسلامية قامت على أسس إسلامية وتحت شعار (إلى الإسلام من جديد) ، وقد عرضنا هذه الحركة على العالم باسم الإسلام دما قلبا وقالبا » .

وكان من نتيجة حرب الإبادة التى شنها الهندوس ضد المسلمين أن لجأت أعداد كبيرة من سكان الإمارة المسلمين إلى باكستان التى أرسلت جيشا معظمه من رجال القبائل ، استطاعوا أن يقهروا القوات الهندية ويحرروا قسما من الإمارة تأسست فيه حكومة باسم كشمير الحرة أو (آزاد كشمير) فى ٢٤ أكتوبر ١٩٤٧ .

وفر المهراجا الهندوكى إلى جامو وأرسل فى ٢٢ أكتوبر ١٩٤٧ كتابا إلى حاكم الهند الإنجليزى اللورد (مونتباتن) يعلنه فيه برغبته فى ضم الإمارة إلى الهند ، وفى ٢٦ أكتوبر أرسلت الهند بالتواطؤ مع الإنجليز ـ مندوبا عنها يحمل وثيقة الانضمام للمهراجا للتوقيع عليها . وتم ذلك وأقرت الهند هذا الانضمام فى ٢٧ أكتوبر ١٩٤٧ . وتضمنت وثيقة الانضمام مادة تنص على أن يستفتى شعب كشمير لتقرير مصيره .

وكان مؤتمر مسلمى جامو وكشمير قد قام باتخاذ قرار بانضمام الولاية إلى دولة باكستان وذلك فى ١٩ يولية ١٩٤٧ . كما قرر الشبان المسلمون فى الولاية أن يقوموا بالجهاد لتحرير الولاية وضمها إلى دولة باكستان الإسلامية . إلا أن الأمير الهندوسى سارع بتوقيع الاتفاقية المشار إليها لضم الولاية إلى الهند بالتواطؤ مع نهرو والإنجليز .

(٣) « مأساة كشمير » سفارة الباكستان ١٩٦٥ .

وترى باكستان أن اتفاقية الضم هذه باطلة لأنها تخالف الاتفاقيات التى تم بناء عليها تقسيم شبه القارة الهندية إلى باكستان والهند وفقا لديانة أغلبية السكان فى المناطق المختلفة . كما أن هذه الاتفاقية تتعارض مع رغبات أغلبية السكان المسلمين فى الولاية الذين اتخذوا قرارا بضم الولاية إلى باكستان . اضف إلى ذلك أن الحاكم الهندوسى لإمارة كشمير لم يكن له الحق فى توقيع تلك الاتفاقية والتواطؤ مع نهرو والإنجليز على حساب رغبات سكان الولاية .

كما ترى باكستان أن من حق كشمير أن تنضم إلى باكستان للأسباب الآتية :

ـ أنها جزء لايتجزأ من باكستان ، فكشمير تعتبر امتدادا جغرافيا طبيعيا لها .

ـ أنها تمثل الحدود الطبيعية لباكستان .

ـ أن أنهار باكستان الثلاثة (السند وچيلم وجناب) تنبع من كشمير .

ـ أن ٧٨٪ من سكانها مسلمون ، وأن هذه الأكثرية الساحقة تريد الانضمام إلى باكستان .

ـ أن علاقات البلدين الاقتصادية مرتبطة ارتباطا وثيقا إذ تعتبر بأكستان منفذا لكشمير على العالم الخارجى عن طريق البحر حيث إن ميناء كراتشى يخدم اقتصاد كشمير أيضا .

ـ كما أن هناك العلاقات الاجتماعية بين البلدين والعادات والتقاليد واحدة . ولغاتهم متشابهة ودينهم الإسلام .

يتبع

مشيخة علماء أسيوط

أو معهد أسيوط العلمى الدينى بصعيد مصر

دراسة وثائقية

بقلم الدكتور
مجاهد توفيق الجندى

- ٢ -

مكتبة المعهد :

بعد أشهر من ابتداء العام الدراسى حضر الشيخ عبدالرحمن قراعة - مدير المعاهد الدينية وقتئذ - فسره ما رأى ، إلا أنه وجد المعهد خاليا من المكتبة يستعين بها الأساتذة ويستعير منها فقراء الطلبة ومجتهدوهم ، وأبلغ ذلك للسلطان حسين كامل منشىء المعهد وراعيه فأمر بشراء ألف كتاب وأوقفها على المعهد وبهذا وجد للمعهد مكتبة عامرة وأسندت أمانتها للشيخ محمد فاضل بشنك المدرس بالمعهد . وفى يوليو ١٩٢٨ عين الشيخ أحمد محمد شريت أمينا للمكتبة وهو لا يزال الأمين عليها حتى ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

ولقد بلغت مجلداتها سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م نحو أربعة آلاف مجلد فى مختلف العلوم والفنون .

غير أنها فى حاجة إلى متابعة النهضة العلمية الحديثة ، لأنها فقيرة جدا إلى المؤلفات الكثيرة ، التى ظهرت فى السنين الأخيرة ، فى العلم والأدب والفنون .

وهى فى حاجة أيضا إلى الاشتراك فى المجلات العلمية والأدبية والدينية ، فالمجلات اليوم تحمل ثقافة ليست تؤخذ من الكتب بسهولة ووزارة المعارف تشترك لمكاتبها فى المجلات كلها . فأحرى بمعهد العلم والدين أن يشترك لمكتبته فى المجلات .

وهى بعد فى حاجة إلى قاعة للمطالعة وإلى وضع نظام نافع للإعارة ، فكل ذلك ما يستأهل الاهتمام من شيوخ المعهد ، لتكون الفائدة أتم وأعم .

المعهد فى خطواته الأولى :

ظل المعهد ينمو ويكثر طلابه عاما فعاما ، حتى تكامل فيه القسم الأولى ، بلغت سنوات الدراسة

فيه خمسا سنة ١٩٢٠ فيها ثلثمائة طالب ، عمرت بهم مساجد اليوسفى وجلال الدين وبلغ عدد أساتذته ١٦ مدرسا ، وفى هذه الفترة استأجر المعهد مكانا لإدارته ، يقع فى منتصف السكة الجديدة ، ثم تركه إلى إدارة فخمة ، فى منزل كحيلة بشارع العدلية بأسيوط ، وفى هذا العهد كانت ميزانية المعهد ميزانية ضئيلة متواضعة مقدارها ٥١٦ جنيها فى العام او تزيد قليلا .

حينما كان مسجد اليوسفى هو المستقر الوحيد لطلاب المعهد كان فى استطاعة الشيخ أن يشرف عليه إشرافاً تاماً وفى كل وقت ، فلما كثر عدد الطلاب وتعددت مساجد الدراسة ، أصبح من العسير مراقبة المعهد كله عن كثب مراقبة دقيقة ولكن ما الحيلة ؟ وليس فى المدينة كلها مسجد يسع الطلاب جميعاً .

هناك على مقربة من المسجد اليوسفى مسجد معطل مهمل وهو واسع الأرجاء متباعد الجوانب ، فلم لا يجدد ، ذلك هو الجامع العمرى أو المسجد الأموى أو الجامع الكبير وذلك هو الذى اتجهت الأفكار إليه ثم تبودلت الآراء فى أمره فسارت الفكرة فى طريق العمل .

وبدأت عملية جمع التبرعات لبناء المسجد فجمعت اللجنة المشكلة لذلك تسعة آلاف جنيه ، وابتدأ العمل فى عمارة المسجد حتى افتتح فى ١٣ اغسطس ١٩٢٣ ، وهذا المسجد هو اكبر مساجد أسيوط بل وفى الصعيد كله به من العمد ٧٠ عاموداً ومساحته تبلغ ثلاثة آلاف متر وله بابان كبيران فى جهته الشرقية ، وبين البابين تقوم مئذنة المسجد الشاهقة المتناسقة .

الأساتذة الأول فى معهد أسيوط :

١ ـ المرحوم الشيخ محمد شريت : ولد سنة ١٨٦٩ م بقرية ريفا التابعة لمركز أسيوط ، والتحق سنة ١٨٨٩ بالأزهر الشريف وتتلمذ لأعلام علمائه منهم الشيخ البشرى والشيخ الرفاعى والشيخ البولاقى والشيخ العدوى . وحصل على شهادة العالمية سنة ١٩٠٢ م ثم اشتغل مدرسا بالأزهر وفى سنة ١٩٠٦ اختير مدرسا بمعهد الأسكندرية ، ووقع الاختيار عليه ليكون أول شيخ لمعهد أسيوط ، وتمكن من تثبيت أقدام المعهد ، ورفع شأنه وبقى شيخا له إلى سنة ١٩٢٠ حتى تم القسم الأولى كله بسنواته الخمس .

وفى سنة ١٩٢٠ رقى وكيلا لمعهد طنطا ، وبقى هنالك حتى لقى ربه فى ١٩٢٢/١٢/١٩ وله من العمر ٥٤ سنة . ثم نقل جثمانه إلى أسيوط حيث دفن هناك بريفا .

٢ ـ الشيخ محمود أحمد قراعة : كان مولده سنة ١٨٧٣ ، وفى سنة ١٨٨٧ الحق بالأزهر فتلقى العلم عن كبار شيوخه وممن تتلمذ لهم : الشيخ محمد عبده والشيخ البحراوى والشيخ أبو خطوة والشيخ الطويل ، والشيخ المطيعى ، وحصل على شهادة العالمية سنة ١٩٠٨ ثم ابتدأ يلقى الدروس بالجامع الأزهر فى العام التالى . ولما انشىء معهد أسيوط اختير ليخدم المعهد الناشىء بنفوذه وعلمه ، وقد بقى مدرسا به إلى سنة ١٩٢٧ حيث نقل إلى القسم الثانوى بالمعهد الأزهرى بالقاهرة . وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٣٥ لقى ربه وعمره اثنان وستون عاما .

٣ ـ الشيخ أحمد محمد حميدة : ولد عام ١٨٧٥ فى أسرة علمية عريقة ، وفى ١٨٩١ بعثه والده إلى الأزهر الشريف فتلقى العلم هنالك على

♦ مشيخـة علمـاء أسيـوط

اساطين العلماء ومنهم : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد بخيت والشيخ محمد حسنين والشيخ أبو الفضل . وفى سنة ١٩٠٨ نال شهادة العالمية وبعد أشهر عين مدرسا واقتعد كرسيه بين أساتذة الأزهر وسرعان ما تبدت كفاءته فاختص به معهد الأسكندرية ، وفى سنة ١٩١٥ يوم أسس معهد أسيوط تطلعت إليه الأنظار فنقل مدرسا به ليضمنوا للمعهد نشأة صالحة ، وخطى موفقة ، فكان فضيلته شيخ المعهد ، العضد المساند ، والظهير المساعد .

٤ ـ الشيخ محمد عبدالله يوسف الجهنى : أصله عربى صميم من قبائل العرب بالصعيد ، ولد بجهينة سنة ١٨٨٨ م بعثه والده إلى الأزهر سنة ١٩٠٨ ، وفى سنة ١٩١٤ نال شهادة العالمية ، ثم نقل إلى معهد أسيوط وبقى به إلى سنة ١٩٢٨ .

المعهد الدينى فى الخطوات الثانية ١٩٢٠ ـ ١٩٢٣ :

(أ) القسم الثانوى : تم إنشاء القسم الثانوى فى ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٩ هـ ـ ٨ مارس ١٩٢١ م[١٢] إذ أنشىء السنة الأولى من القسم الثانوى بالمعهد على أن تبدأ فى الدراسة فى العام الجديد بانتقال طلاب السنة الخامسة من القسم الأولى إلى السنة الأولى من القسم الثانوى . وفى يونيو ١٩٢٢ تقررا أن ينشأ للمعهد مجلس إدارة ليكون عونا لشيخه على تسيير الأعمال ـ وقد تألف هذا المجلس من الأساتذة : الشيخ أحمد حميدة والشيخ محمد حسن الدكرورى والشيخ عبدالعزيز متولى (المدرسين بالمعهد) والأستاذ وكيل المدرسة الثانوية واسمه حسين محمد .

وقد بلغ عدد طلاب المعهد سنة ١٩٢٢ : ٣٦٤ طالبا ، منهم ٥٤ فى القسم الثانوى ، ٣١٢ فى القسم الابتدائى والمدرسون وقتئذ ، ستة عشر مدرسا ، وفى سنة ١٩٢٣ حول طلاب الصعيد من المنيا فصاعدا ـ إلى معهد أسيوط ـ فغصت بهم المدينة وخطا المعهد خطوة واسعة فبلغت سنواته الدراسية عشرا وبلغ عدد الطلاب ١١٧٧ (٣٤٧ ثانوى ، ٨٣٠ ابتدائى) وبلغ عدد المدرسين نحو السبعين ، وارتفعت ميزانيته إلى ١٠٢٠٤ جنيهات واحتل المعهد بدروسه مساجد : اليوسفى وسيدى جلال ، ولطفى ، والقاضى ، ومكرم ، والمجاهدين ، وخلاصة والفانزية . وفى هذا العهد كانت إدارة المعهد فى منزل الشيخ القوصى بشارع شكرى على مقربة من الجامع الكبير .

(ب) **مساكن الطلاب** : وقد استطاع الشيخ الجبالى بنفوذه أن يأخذ من ولاة الأمور تنازلا عن المديرية القديمة لتكون مسكنا للفقراء من الطلاب (وهى التى كانت مواجهة لمقر الإسعاف) وقد تبرع عبدالله النميس بإصلاحها على حسابه وأنفق عليها ٧٠٠ جنيه حتى صلحت للسكنى واستقر بها كثير من الطلاب فى اغسطس ١٩٢١ . ولما ضاقت بمن فيها أمكنه أن يأخذ تنازلا عن مستشفى الحميات القديم ليسكن فيه من لم يجد مكانا هناك . ومما يجدر ذكره أن هذا المستشفى هو الذى بودلت به القطعة التى شيد عليها المعهد الجديد على شاطىء النيل بالحمراء .

---

(١٢) راجع قرار مجلس الأزهر الأعلى رقم ٧٧ بإنشاء قسم ثانوى فى معهد أسيوط وأن يبدأ بالدراسة فى سنته الأولى من أول السنة الدراسية المقبلة ، كان شيخ الأزهر ورئيس مجلسه الأعلى الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى .

(جـ) **مرتبات الطلاب** : كان ريع أوقاف المعهد يرد فى مواعيد منتظمة ، وكلما ورد منه شىء ، وزع على الطلاب قل أم كثر ، وقد أراد الشيخ الجبالى خدمة الطلاب فسعى سعيه المشكور حتى تقرر للطلاب مرتب ثابت (جراية) يصرف لهم كل شهر ، من السنة الثالثة إلى العاشرة عوضا عن ريع الأوقاف ، ولا تزال هذه المرتبات تصرف للطلاب حتى اليوم ليستعينوا بها على شئون الحياة أو ليشتروا بها الكتب العلمية والأدبية . هذه السنوات الثلاث فى هذا العهد ، عهد الشيخ الجبالى ، تقدم المعهد تقدما مدهشا وعجيبا فكملت سنواته واجتمع شمله ووجدت مساكن للطلاب وتقررت لهم مرتبات ، واتجهت بكليتهم نحو العلم وحده ، وإنها لصفحة ناصعة لهذا العهد الذهبى ، عهد الشيخ الجبالى .

المعهد الدينى فى الخطوة الثالثة ١٩٢٣ ـ ١٩٣٠ :

بعد نقل الشيخ الجبالى إلى معهد الزقازيق* فى أكتوبر ١٩٢٥ عين الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى خلفا له فى مشيخة معهد أسيوط ، وأول ما فكر فيه الشيخ الأحمدى هو أن يكون لمعهد أسيوط دار خاصة ، تتفق والنظم الدراسية الحديثة . ولما كان ذلك يقتضى المال الوفير والزمن الكثير لتنفيذه ، فقد عمل جهده على نقل الدراسة من المساجد إلى الدور والقصور . ولقد فاوض الحكومة فى عقد صفقة مبادلة ، بأن يتنازل لها المعهد ، عن مستشفى الحميات ، على أن تتنازل له عن مقر خفر السواحل ، الواقع على شاطىء النيل فى جنوب الحمراء وقد تم التبادل فعلا فى يونية ١٩٢٤ . وتلك هى البقعة التى شيد عليها المعهد الجديد .

ثم استأجر دارا للدراسة فى شارع النميس (وذلك سنة ١٩٢٦) ومن بعدها استأجر قصر مراد بك ثابت . ثم منزل تهامى خشبة بشارع ثابت بك . وقد استقرت الدراسة فى القصرين الأخيرين مدة كبيرة .

فللشيخ الأحمدى الفضل فى نقل الدراسة من عهدها الأول وعهد الجلوس على الحصير فى المساجد ، إلى الحالة النظامية بفصولها وتختها فى تلك القصور الشامخة ذات الحدائق الغناء .

وفى سنة ١٩٢٥ أنشئت أقسام التخصص بالمعاهد ، لتخريج معلمين للمدارس الالزامية ، وأنشىء فى معهد أسيوط قسم ، استمر عامين وخرج عدداً كبيراً من المعلمين ، بعد أن حصلوا منه على كفاءة التعليم ، وكانت الدراسة لطلاب التخصص فى « المساكن » بميدان المجذوب .

وفى يوليو ١٩٢٨ عين الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخا للجامع الأزهر ، خلفا للشيخ أبو الفضل الذى انتقل إلى رحمة الله فكان لهذا التعيين أثر ظاهر ، أوجد فى المعاهد كلها روحا جديدة ، وتوثبا للنهوض بعد الركود .

فتقرر نقل الشيخ الأحمدى شيخا لمعهد طنطا ، وتعيين الشيخ إبراهيم حمروش شيخا لمعهد أسيوط ، وذلك فى ٢٢ محرم ١٣٤٧ هـ ـ ١٠ يوليو ١٩٢٨ م .

ولم يطل عهد الشيخ حمروش فى معهد أسيوط فنقل فى ١٥ ديسمبر ١٩٢٨ شيخا لمعهد الزقازيق ، وعين المرحوم الشيخ عبدالحكم عطا خلفا له فى مشيخة معهد أسيوط .

وفى عهد الشيخ المراغى ، أعد قانون جديد لاصلاح الأزهر والمعاهد فوقفت فى سبيله بعض العقبات فاستقال من وظيفته . وعين الشيخ الأحمدى شيخا للجامع الأزهر فى هذا التاريخ (٧ أكتوبر ١٩٢٩ م) .

* سنفرد بحثا لمشيخة علماء الزقازيق أو معهد الزقازيق الدينى ـ بحول الله تعالى ـ عقب هذا البحث مباشرة ولأنه يلى معهد أسيوط فى الأقدمية ، فقد أنشىء معهد الزقازيق سنة ١٩٢٥ م وذلك إذا كان فى العمر بقية (الباحث) .

مشيخـــة علمـــاء أسيـــوط

وقد نقل الشيخ عبدالحكم شيخا لمعهد الزقازيق ، وعين الشيخ محمود الدينارى شيخا لمعهد أسيوط ، فى ٣ رجب ١٣٤٨ هـ - ٤ ديسمبر ١٩٢٩ م . حيث وضع حجر الأساس لمعهد أسيوط ملك مصر أنذاك (فؤاد الأول) فى ٢١ ديسمبر ١٩٣٠ م .

وفى يونيو ١٩٣١ تقرر نقل الشيخ الدينارى شيخا لمعهد طنطا وخلفه فى أسيوط الشيخ محمد سليمان السرتى ، وقد بذل جهده حتى جمع شمل الطلاب المتفرقين فى الدور المختلفة ، فاستأجر المدرسة الابتدائية القديمة ، ونقل الدراسة إليها فى أغسطس ١٩٣٢ .

إلى هنا ينتهى الدور الثالث من أدوار معهد أسيوط .

المعهد الدينى فى الدور الرابع : (تشييد المعهد الجديد) ١٩٣١ - ١٩٣٧ :

سارت عمارة المعهد بنشاط فى جميع مراحله وان بدأ فى أول الأمر بطيئا نسبيا . وبعد بضعة أشهر تم بناء المدرسة الابتدائية ، وحضر اسماعيل صدقى - رئيس الوزراء أنذاك - لافتتاحها فجمعته إحدى الحفلات بفضيلة الشيخ السرتى شيخ المعهد ، وقد تعمد فضيلته فتح باب الحديث عن بناء المعهد وتعطيل العمل فيه . وقد استطاع الشيخ السرتى أن يحرج صدقى باشا أمام الملأ ، إذ قال له : لقد وضع جلالة الملك الحجر الأساسى للمعهد وللمدرسة الابتدائية فى يوم واحد ، وها قد تمت المدرسة ولم يصنع فى المعهد شىء . فهل يضع جلالته الأساس فى معهد ليهمل ؟ وهل المدرسة أجدر بالعناية من معهد العلم والدين فى عهد الملك فؤاد ، ولم يزل بالوزير حتى وعد باعتماد المال اللازم للمعهد ، وما هى إلا أيام حتى رصد الاعتماد ، وبدأ العمل فى ظلال من اهتمام الملك فؤاد ورعايته لمعهد أسيوط .

وفى سنة ١٩٣٤ اعتزم الملك فؤاد الرحلة إلى الصعيد لافتتاح خزان أسوان بعد تعليته ، ولافتتاح المعهد الدينى بأسيوط ، بعد تمام بنائه ، وهكذا أنجز بناء المعهد بسرعة ، بيد أن أحداث السياسة ومرض الملك فؤاد منعتا الملك من حضور حفل الافتتاح .

وهكذا انتقل المعهد بطلابه وإدارته إلى ذلك الصرح المشيد المشرف على النيل فى شهر أكتوبر ١٩٣٨ . واستقر الشيخ السرتى فى أسيوط حتى نقل إلى معهد الزقازيق فى ١٨ فبراير ١٩٣٥ وخلفه الشيخ أبو العيون إبان الثورة العنيفة فى الأزهر والمعاهد ضد الشيخ الأحمدى شيخ الأزهر .

وفى ١٩ مايو ١٩٣٥ عين الشيخ فرغلى الريدى شيخا لمعهد أسيوط ، ونقل الشيخ أبو العيون شيخا لمعهد الزقازيق . وفى ١٨ مايو ١٩٣٨ نقل الشيخ الريدى شيخا لمعهد القاهرة وخلفه فى معهد أسيوط الشيخ عبدالهادى الضرغامى ، وفى ١٩ يونيو ١٩٣٧ تقرر إحالة الشيخ الضرغامى إلى التقاعد لسوء إدارته ، وعين الشيخ أحمد محمد حميده خلفا له .

شيوخ المعهد :

١ - المرحوم الشيخ محمد شريت (سبق الحديث عنه) .

٢ - الشيخ إبراهيم الجبالى :

ولد فى الرحمانية بحيرة سنة ١٨٧٨ م ، وبعد حفظه للقرآن أرسل فى سنة ١٨٩٠ يتلقى العلم فى الأزهر ، ونال العالمية بدرجة ممتازة عام ١٩٠٤ ،

ثم كان خامس خمسة هم الذين رفعوا لواء النظام فى معهد الأسكندرية وعنهم أخذ ، فعم المعاهد الدينية وآثاره فى الأسكندرية مذكورة .

وقد دعى سنة ١٩١٩ لتدريس فن الخطابة وللتنظيم فى قسم الوعظ والخطابة فى الأزهر الشريف فأبلى فى ذلك البلاء الحسن .

وفى سبتمبر ١٩٢٠ عين شيخا لمعهد أسيوط ، فكانت أيامه هى العصر الذهبى للمعهد ، إذ بسعيه أوجد القسم الثانوى فيه ، ووجدت المساكن للطلاب ، ورتبت لهم المرتبات الشهرية ، وزاد عدد طلبته من ثلثمائة إلى ١١٧٧ وعدد أساتذته إلى ٧٠ ، وانتقلت ميزانيته من ٥١٦ جنيها إلى عشرة آلاف جنيه . وتم فى عهده بناء المسجد الأموى وافتتح للدراسة فيه ، وفى أكتوبر سنة ١٩٢٣ نقل من معهد أسيوط ، فتنقل بين مشيخة معهد الزقازيق ، فرياسة التفتيش بالمعاهد ، ثم عين عضوا بمجلس الشيوخ ، فمفتشا كبيراً بوزارة المعارف فشيخا لمعهد الزقازيق ، وقد ندب لرياسة امتحان شهادة العالمية سنة ١٩٢٧ ، فحدثت أحداث وقامت حوله الدسائس فأحيل إلى المعاش سنة ١٩٢٨ .

ثم ظهرت الحاجة إلى كفاءته ، وإلى علمه ، فطلب بعد بضعة أشهر للتدريس فى أقسام التخصص ، ثم دعى إلى تحرير مجلة الأزهر . كما عين رئيسا لبعثة الأزهر إلى الهند لبحث مشكلة إسلام المنبوذين هناك . وبينما هو فى بلاد الهند تقرر منحه عضوية جماعة « كبار العلماء » فى ٨ مارس ١٩٣٧ وبعد ذلك بقليل عين وكيلا لكلية أصول الدين .

٣ ـ الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى :

نشأ فى أسرة عريقة فى العلم والثروة ، وقد ولى مشيخة معهد طنطا فى سن مبكرة ، وبقى شيخا له إلى أن نقل شيخا لمعهد أسيوط سنة ١٩٢٣ فأحسن الناس استقباله وراقهم فيه فخامة مظهره وفصاحة منطقة وسخاء يده . بيد أنه نقل من المعهد بعد قليل .

وإن له على معهد أسيوط فضلين :

أولهما : إنه نقل الدراسة من المساجد ، وانقذ الطلاب من افتراش الحصر واستأجر للدراسة قصورا فخمة واسعة فى مناطق عامرة .

ثانيهما : إنه تنازل للحكومة عن مستشفى الحميات وأخذ بدله تلك البقعة التى أقيم عليها المعهد الجديد .

ولما عين الشيخ المراغى شيخا للأزهر سنة ١٩٢٨ وشاع الخبر فى أسيوط ، اتفق أن أصيب الشيخ الأحمدى بمرض شديد أثار حوله الأقاويل ، إلى أن شفى منه وبعد قليل نقل شيخا لمعهد طنطا .

وفى أكتوبر ١٩٢٩ استقال الشيخ المراغى وعين الشيخ الأحمدى شيخا للأزهر ، بيد أنه استهل عهده بفصل سبعين عالما من أفاضل العلماء بالأزهر ، فأخذ الناس عليه المآخذ وثار عليه العلماء والطلبة حتى استقال من منصبه فى ٢٨ أبريل ١٩٣٥ .

٤ ـ الشيخ إبراهيم حمروش :

ولد عام ١٨٨١ م فى بلدة الخوالد ـ ايتاى البارود ـ بحيرة ، من أسرة طيبة ، وبعد أن استوعب كتاب الله التحق بالأزهر سنة ١٨٩٢ م فنال منه شهادة العالمية سنة ١٩٠٦ م وفى سنة ١٩٠٨ م عين مدرسا بمدرسة القضاء الشرعى ، وبقى بها أستاذا ممتازاً إلى سنة ١٩١٦ م ، حيث انتخب قاضيا شرعيا يمثل العدل ويرفع رايته إلى عام ١٩٢٨ م .

ولما ألقيت مقاليد الأزهر إلى الشيخ المراغى آثر المعاهد بالشيخ حمروش فعين شيخا لمعهد أسيوط فى أكتوبر ١٩٢٨ م ، ولم يطل بأسيوط عهده ، فنقل فى ديسمبر من نفس العام شيخا لمعهد الزقازيق ، وبعد عام ونصف عين مفتشا

مشيخة علماء أسيوط

بالمعاهد ، وبعد سنتين أنشئت كليات الأزهر فانتخب شيخا لكلية اللغة العربية(١٣) .
ولتضلعه فى اللغة العربية انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية من يوم إنشائه .

٥ - المرحوم الشيخ عبدالحكيم عطا :
كان مولده سنة ١٨٦٥ فى نواى - ملوى - أسيوط ، من أسرة كريمة فوالده كان عالما جليلا مشهورا بالتقوى والعلم والجراة . وأرسله والده سنة ١٨٧٩ إلى الأزهر ليأخذ عن العلماء الأعلام وابتدأ نجمه يتألق بين طلاب العلم فى الأزهر . وقد حصل على العالمية الممتازة سنة ١٨٩٥ م واتخذ مكانه بين المدرسين فى الأزهر فعمرت دروسه وغصت بالمئات من تلاميذه .

وقد مكث يدرس فى الأزهر قرابة الثلاثين عاما ورفض غير مرة أن يلى الوظائف ، وصدف عن التنعم فى بحبوحة المرتبات ، متلذذا بخدمة العلم وتخريج العلماء . حتى قبل بعد إلحاح مشيخة القسم الثانوى سنة ١٩٢٠ م ، ثم جمع بين مشيخة القسم الثانوى والقسم العالى .

وفى سنة ١٩٢٨ م عين شيخا لمعهد أسيوط فبقى به سنة إلى أن نقل إلى معهد الزقازيق ، وقد أحيل إلى المعاش بعد حين . وكان من العلماء المقدمين ، فى هيئة كبار العلماء ، وهو بحق شيخ الشيوخ بلامراء ، لكثرة من أخذ عنه من الأساتذة ، وكان عالما متقنا دقيقا وعى كتاب الله وحفظه وألم بالكتب الأزهرية كبيرها وصغيرها متونها وشروحها وحواشيها إلماما عجيبا - كأنه استظهرها عن ظهر قلب ، وذلك راجع إلى قوة عقله وشدة ذكائه وجلده ، وقد انتقل إلى رحمة الله فى ١٠ ذى الحجة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .

٦ - المرحوم الشيخ محمود الدينارى :
كان مولده فى قاى - بنى سويف سنة ١٨٧٥ وبين ربوعها نشأ وحفظ القرآن الكريم ثم مكث سنة فى طنطا يجود حفظه وقراءته ، وفى سنة ١٨٨٨ ألحق بالأزهر الشريف وصار ينهل العلم حتى سنة ١٩٠٤ حين نال العالمية بدرجة ممتازة . وفى هذه السنة عين مدرسا فى الأزهر ثم اختير مدرسا بمعهد الأسكندرية ، واستمر بها إلى سنة ١٩١١ م ، ثم نقل مراقباً للقسم النظامى الجديد بالأزهر فكان عونا وظهيرا للشيخ محمد شاكر على تركيز النظام .

وفى سنة ١٩٢٠ م ، عين شيخا للقسم الأولى فعضوا فى مجلس إدارة الأزهر ، ثم أضيفت إليه مشيخة القسم المؤقت ، وفى سنة ١٩٢٥ م ، عين شيخا للقسم العالى ، ثم اختير مفتشا للمعاهد الدينية عام ١٩٢٨ م ، وفى ديسمبر ١٩٢٩ م ، عين شيخا لمعهد أسيوط ، فظهر فيه حزمه وكفاءته وسار المعهد فى عهده سيرا حميداً وأحبه الأساتذة والطلاب جميعاً ، وظهرت فى المعهد روح الجد والنظام .

وفى يونيو ١٩٣١ م ، نقل شيخا لمعهد طنطا فعالج الروح الثائرة فى الطلاب بحكمته ، ثم عنى بإنشاء جمعيات المحافظة على القرآن الكريم فى طنطا وما حواليها . وفى سنة ١٩٣٤ م ، قدم رسالة فى البلاغة عين على أثرها عضوا فى جماعة كبار العلماء وفى سنة ١٩٣٦ م ، أنعم عليه

(١٣) وتكريما لهذا الشيخ الجليل وتخليدا لذكره خصصت كلية اللغة العربية الأم بالقاهرة أكبر مدرجاتها بالدور الأول فى مواجهة الداخل وأسمته باسم الشيخ إبراهيم حمروش ، وهو ضخم فخم يتسع لستمائة شخص تقريبا وتناقش به رسائل التخصص والعالمية ومؤتمرات الشعر - راجع ما كتبناه عن تاريخ هذه الكلية فى حولية كلية اللغة العربية رقم ٢ بمناسبة العيد الألفى للأزهر (الباحث) .

بكسوة التشريفة الأولى . ولقد كان من المشهود لهم بالقوة فى العلم والدقة فى الإدارة كما عرف بالدهاء وحسن السياسة ، إلى أن استجاب لنداء ربه بعد هذا الجهد المبرور فى فجر ٢٧ رمضان ١٣٥٥ هـ (ديسمبر ١٩٣٦ م) بمدينة طنطا .

٧ ـ الشيخ محمد سليمان السرتى[١٤] :

عين مدرسا بالمعاهد عام ١٩٠٧ م ، وتنقل بين وظائف التدريس والمراقبة ، وفى ١٢ يونيو ١٩٣١ م ، عين شيخا لمعهد أسيوط ، وهو الذى جمع الدراسة من الدور المتفرقة إلى مكان واحد هو المدرسة الابتدائية القديمة ، وبفضله ابتدأ العمل فى بناء المعهد الجديد بعد تعطيله ، وفى عهده انتقل المعهد من تلك الأماكن المستأجرة لدراسته وإدارته إلى ذلك الصرح المشيد على نهر النيل .

وله بأسيوط مواقف مشهودة فى الغيرة على الدين ومن أجمل آثاره جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، فقد أسسها وتعهدها إلى أن نمت وترعرعت ، والمدرسة الإسلامية الابتدائية بأسيوط ، لن تنسى تشجيعه لها وفضله عليها ، وقد نقل شيخا لمعهد الزقازيق ، فشيخا لمعهد الأسكندرية ، ثم نقل شيخا لمعهد طنطا حتى أحيل إلى التقاعد فى ١٠ يونيو ١٩٣٧ م .

٨ ـ الشيخ محمود أبو العيون :

من أسرة طيبة معروفة بالعلم والتقى ، ولد فى دشلوط ، ديروط ، أسيوط ، لقد تخرج من الأزهر وعين مدرسا به سنة ١٩٠٩ م ، وتنقل فى وظائفه فاشتغل مدرسا ومفتشا . وفى فبراير ١٩٣٥ م ندب شيخا لمعهد أسيوط ، والطلاب فى ثورة عنيفة أيام الشيخ الأحمدى ، وقد استطاع بمهارته وحسن سياسته أن يستميل الطلاب إلى جانبه خصوصا بعد انتصارهم بعودة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، ولقد نقل بعد ذلك إلى معهد الزقازيق والطلاب يتمنون بقاءه لما رأوا من عظيم يقظته وسلامة تفكيره وصادق رغبته فى النهوض بالمعهد . ولقد ساهم فى الحركة الوطنية يوم دعا داعى الثورة سنة ١٩١٩ فكان من كتابها ومن خطبائها الملهبين وساهم فى الحركة الوطنية فكوته أحيانا بنيرانها .

وله فى محاربة البغاء مواقف نبيلة جاهد فيها أحسن الجهاد وأبلى بلاء حسنا ، وكان يهز البلد بكتاباته الملتهبة فى هذا الشأن ، حتى أوشك على النجاح ، لولا عقبات قامت من امتيازات الأجانب وسواها . ولما حان الوقت عاود الشيخ حملته فالعهد غير العهد والأمل فى النجاح عظيم حتى قضى على البغاء تماما رحمه الله رحمة واسعة .

ولم يطل فى أسيوط عهده فقد نقل شيخا لمعهد الزقازيق ، فى ١٩ مايو ١٩٣٥ .

٩ ـ الشيخ أحمد محمد حميدة :

عف اللسان سليم التفكير عذب الحديث حكيم غاية الحكمة . ومعهد أسيوط لا شك سعيد بشيخه الجديد وهو يضع بين يديه آماله راجيا فى عهده نهضة مباركة عامة شاملة فى الخلق والعلم وفى أداء رسالة الأزهر على خير الوجوه .

بناء المعهد :

يحتل بقعة مساحتها أكثر من أربعة أفدنة يحيط به سور طوله ١٤٤ متراً وعرضه ١٢٠ مترا ، فإذا دخلت من الباب الملكى فى الواجهة البحرية للسور ، وجدت أمامك منظراً رائعاً يستولى على مشاعرك ويملأ بالسرور القلب ،

البقية ص ٨١٩

(١٤) لدينا وثيقة بعد وفاته تحمل أسماء أولاد الشيخ ذكوراً وإناثا وزوجتيه حيث قسم عليهم المعاش تقسيما شرعيا (الباحث) .

الخُلق ماله وما عليه

الخُلُق : هو السجية من الأوصاف الباطنية بخلاف الخَلْق بفتح الخاء وسكون اللام . فهذا الأخير اسم للصفات الظاهرية ، وتعلق الكمال بالأول اكثر منه بالثانى .

هذا وللقاضى عياض فى الشفاء تعريف لِلْخُلُق يقول فيه : هو الاعتدال فى قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها .

وعرفه حجة الإسلام الإمام الغزالى . بأنه هيئة فى النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خُلُقا حسنا ، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة - التى هى المصدر - خلقا سيئا .

أما قول الشيخ ابن حجر : الخلق ملكة نفسانية ينشأ عنها جميل الأفعال . إنما هو تعريف للخلق الحسن لا لمطلق الخلق .

وقد جمع بعض العلماء علامات حسن الخلق فقال : هو أن يكون الإنسان كثير الحياء ، قليل الأذى ، كثير الصلاح ، صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل ، قليل الفضول ، بَرًّا وصولا وقوراً ، صبوراً شكوراً ،

للأستاذ/
محمد زين العابدين محمد العزازى

رَضِيًّا حليما رفيقا عفيفا ، لا لعّانا ولا سبَّابا ، ولا نمَّاما ولا مغتابا ، ولا عجولا ولا حقوداً ، ولا بخيلا ولا حسودا ، يحب فى الله ويبغض فى الله ، ويرضى فى الله ويغضب فى الله .

وقد بلغ المصطفى - صلى الله عليه وسلم - الدرجة القصوى وحاز قصب السبق فى حسن الخلق بشهادة الخالق جل وعلا : كان - صلى الله عليه وسلم - أحلم الناس ، وأشجع الناس ، وأعدل الناس وأسخى الناس ، وأَعَفُّ الناس وأعفاهم ، وكان يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، وكان أشد الناس حياء ، لا يُثبت بصره فى وجه أحد ، ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو جرعة لبن أو فخذ أرنب ويأكلها ولا يأكل الصدقة ، ولا يستكبر عن إجابة الأَمَةِ والمسكين ، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ، وكان يقبل بوجهه على أشر القوم يتألفهم بذلك . كما ذكره صاحب الشمائل .

ويكفيه فخرا هذا الوسام وتلك الشهادة من احكم الحاكمين إذ قال عز من قائل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة القلم : ٤) .

يقول الإمام القرطبى فى تفسيره لهذه الآية : ... مسألتان .

الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ قال ابن عباس ومجاهد . على خلق . على دين عظيم من الأديان ، ليس دين أحب إلى الله تعالى ولا أرضى عنده منه ، وفى صحيح مسلم عن عائشة - رضى الله عنها - : أن خلقه كان القرآن ، وقال على - رضى الله عنه - وعطية : هو أدب القرآن ، وقيل : هو رفقه بأمته وإكرامه إياهم ، وقال قتادة : هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهى عنه مما نهى الله عنه . وقيل : أى إنك على طبع كريم ، وسئلت عائشة عن خلقه - عليه الصلاة والسلام - فقرأت : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى عشر آيات ، وقالت : ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مادعاه أحد من الصحابة إلا قال : لبيك ؛ ولذا قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . ولم يُذكر خُلُق محمود إلا وكان للنبى - صلى الله عليه وسلم - منه الحظ الأوفر ، وقال الجنيد : سمى خلقه عظيماً ؛ لأنه لم تكن له همة سوى الله - تعالى - وقيل : لاجتماع مكارم الأخلاق فيه ، وقيل : لأنه امتثل أمر الله - تعالى - بقوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[1] ، وقد روى عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « أدبنى ربى تأديبا حسنا إذ قال : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فلما قبلت ذلك منه قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] .

الثانية : روى الترمذى عن أبى ذر قال ؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

وعن أبى الدرداء أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « ما شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله ليبغض الفاحش البذىء » ، حسن صحيح .

والحديث موصول للإمام القرطبى قال : ... وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال : « تقوى الله وحسن الخلق » .

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال : « الفم والفرج » .

وعن جابر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا . قال : وإن من ابغضكم إلىّ وابعدكم منى الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » قالوا : يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون[3] ، فما المتفيهقون ؟

قال : المتكبرون .

ولقد بين لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن الله يحب مكارم الآخلاق ويبغض سفسافهافعن سهل بن سعد أن رسول اله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يحب معالى الأخلاق ويبغض سفسافها » رواه البيهقى وقد ذكر صاحب الشمائل قال : حدثنا قتيبة بن سعيد انبأنا جعفر بن سليمان الضبعى عن ثابت عن انس بن مالك قال : خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين فما قال لى أف قط ،

(١) الأعراف ١٩٩ .

(٢) مصدر الحديث الشريف هو الإمام القرطبى .

(٣) المتشدق الذى يتطاول على الناس فى الكلام .

الخلق ماله وماعليه

وما قال لشيء صنعته : لم صنعته . ولا لشيء تركته : لم تركته . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ولا مَسَسْتُ خزًّا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا شممت مِسْكًا قط ولا عِطْرًا كان أطيب من عَرَقِ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قال على ـ رضى الله عنه ـ : ياعجبا لرجل مسلم ! يجيئه أخوه المسلم فى حاجة ، فلا يجد نفسه للخير أهلا ، فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا ، لقد كان ينبغى أن يسارع إلى مكارم الأخلاق ، فإنها مما تدل على سبيل النجاة ، فقال له رجل : أسمعته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : نعم ، وما هو خير منه ، لما أُتى بسبايا طيء إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقفت جارية فى السبى ، فقالت : يامحمد إن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فإنى بنت سيد قومى ، وإن أبى كان يحمى الذمار ، ويفك العانى ، ويشبع الجائع ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الطائى ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ياجارية هذه صفة المؤمنين حقا ، لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها ؛ فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق » فقام أبو بردة بن نيار فقال : يارسول الله ، اللهُ يحب مكارم الأخلاق ؟ فقال : « والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق » .

قال ابن لقمان الحكيم لأبيه : ياأبت أى الخصال من الإنسان خير ؟ قال : الدين ، قال : فإذا كانتا اثنتين ؟ قال : الدين والمال ، قال : فإذا كانت ثلاثا ؟ قال : الدين والمال والحياء ، قال : فإذا كانت أربعا ؟ قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق . قال : فإذا كانت خمسا ؟ قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء . قال : فإذا كانت ستا ؟ قال : يابنى من اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقى وتقى ، ولله ولىّ ، ومن الشيطان برىء .

وعن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : من كان فيه أربع خصال أبدل الله سيئاته حسنات يوم القيامة . الصدق والحياء والشكر وحسن الخلق .

وحكى عن شقيق البلخى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه كانت له امرأة سيئة الخلق فقيل له : لم لا تفارقها ، وهى تؤذيك بسوء خلقها فقال : إن كانت سيئة الخلق فأنا حسن الخلق ، لوفارقتها صرت مثلها ، ومع ذلك أخاف أن لا يمسكها أحد غيرى لسوء خلقها .

وقال أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ : إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة فى الجنة ، وهو غير عابد ، وإن العبد ليبلغ أسفل درك فى جهنم بسوء خلقه .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا خلقا حسنا يكون فى ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

الفتاوى

إعداد : أحمد السيد تقى الدين

رزق الله موجود فى كل مناكب الأرض

س : يسال محمود عبد القوى من المحلة عن انه يعمل فى احد الملاهى الليلية كمحاسب ومقر عمله بعيد عن الملهى نوعا ما إلا انه يخشى الفتنة من كثرة ما يسمعه من امور منكرة ، فهل يترك العمل برغم انه لم يجد سواه ام يبقى فيه . وما حكم الإسلام فى ذلك ؟

ج : إذا كنت صاحب دين قوى وأنت تعمل قريباً من الأماكن التى ترتكب فيها المعاصى فعليك أن تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالوسيلة الممكنة التى لا تنتج ضرراً عليك أو تؤدى إلى منكر أشد فذلك من أنواع الجهاد .

أما إذا كنت غير قوى فى دينك وتخشى أن تقع فى المنكر ، فعليك أن تترك العمل فى هذا المكان الموبوء بالمعاصى ، واطلب رزقك فى مكان آخر فدينك أولى بالحفاظ عليه .

مثل ذلك مثل الذين يعملون أو يعيشون فى مجتمع أجنبى لا يدين بالإسلام ويقارف المنكرات ، فالقوى فى دينه يحافظ على نفسه وقد يدعو هناك إلى الخير ، والضعيف لا يهمه دينه بل همه الأول هو الكسب وبخاصة إذا كان مغريا .

قال تعالى فى تجنب اجتماعات الكافرين والمنحرفين : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ « النساء ١٤٠ » .

يقول القرطبى فى تفسيره : فكل من جلس فى مجلس معصية ولم ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها ، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغى أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ﴾

الفتـــــــاوى

آياتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ « الأنعام ٦٨ » .

يقول القرطبى : قال ابن العربى : وهذا دليل على أن مجالسة أهل الكبائر لا تحل ؛ وروى أبو عبد الله الحاكم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام » .

فبطل بهذا كله قول من زعم أن مجالستهم جائزة إذا صانوا أسماعهم .

وروى ابن ماجه والترمذى وأبو داود أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سُئل عن معنى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ « المائدة ١٠٥ » .

فقال : « ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام ، فإن من ورائكم أياما ، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله » .

فالخلاصة أنك إن استطعت أن تقوم بواجب النصح ولم تخف على نفسك من التورط فى المعصية مثلهم ، كان لك العمل فى هذا الوسط ، وإن سكت عن المنكر وجاملتهم وخفت على نفسك أن تعصى مثلهم وجب عليك مفارقة هذا المكان ، ورزق الله موجود فى كل مناكب الأرض .

القنــوت

س : ما القنوت المسنون فى صلاة الصبح ؟ وما الأذكار المشروعة التى تكون بعد الفراغ من الصلاة ؟

« أحمد سعيد ـ المنوفية »

ج : القنوت وهو مايكون عند الشافعية بعد الرفع من الركوع فى الركعة الثانية ونصه كما رواه أحمد وأهل السنن وغيرهم : من حديث الحسن بن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت وقنى شر ما قضيت ، فإنك تقضى ولا يقضى عليك ، وأنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، وصلى الله على النبى محمد .

قال الترمذى هذا حديث حسن قال : ولا يعرف عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القنوت شىء أحسن من هذا .

ويجوز للمصلى أن يدعو الله بما شاء من الأدعية المأثورة وغيرها .

وأما بالنسبة للأذكار بعد الفراغ من الصلاة فقد وردت فيها عدة آثار ، منها ما رواه الطبرانى عن على رضى الله عنه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من قرأ آية الكرسى فى دبر الصلاة المكتوبة كان فى ذمة الله « أى حفظه » إلى الصلاة الأخرى ، وروى أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين : فتلك تسع وتسعون ، ثم قال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » .

من مات فى أحد الحرمين بعث آمنا

س : ما حكم الدين فى تمنى الإنسان أن يكون موته فى أحد الحرمين الشريفين ؟
وما مدى صحة الخبر : « من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمناً » ؟

« على حسن عبد الوهاب ـ البحيرة »

ج : لا حرج فى أن يطلب الإنسان من الله ـ عز وجل ـ أن يكون موته فى أحد الحرمين المكى أو المدنى مع حسن صلته بالله ـ تعالى ـ ويكون ذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ووقوفه عند الحدود الشرعية والآداب الإسلامية ومراقبته فى السر والعلن .

روى البخارى فى صحيحه عن حفصة أم المؤمنين أن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال : « اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك ، واجعل موتى فى بلد رسولك ـ صلى الله عليه وسلم ـ . فقلت : أنى هذا ؟ فقال : يأتينى من الله إن شاء » .

وحديث : « من مات فى أحد الحرمين بعث آمنا يوم القيامة » رواه الطبرانى عن جابر بن عبد الله الأنصارى .

النهى عن صبغ الشعر باللون الأسود

س : ما الحكمة فى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن اللون الأسود فى صبغة الشعر ؟

« عبد العزيز محمد ـ المنصورة »

ج : يباح شرعا للإنسان أن يخضب شعر رأسه ولحيته بالحناء إذا اراد ذلك وكذلك الشأن بالنسبة للمرأة ، فلها أن تخضب شعر رأسها بالحناء ، بخلاف السواد ، لأن الخضاب بالسواد يظهر الشخص فى اقل من سنه الطبيعية وهو نوع من الخداع ، وقد نهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك .

روى مسلم عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : اتى بأبى قحافة والد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثُّغَامة بياضا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غيروا هذا واجتنبوا السواد . والثغامة نبت أبيض الزهر .

المحرر : ذكر ابن القيم ـ فى زاد المعاد أن واحداً من آل البيت خضب بالسواد . والذى يبدو أن استخدام الصبغ لا يباح إذا كان فيه تحايل للغش فى مقام الخطبة ، أو ما شابهه فأما إذا كان فى موطن يستحب فيه إظهار القوة كالجهاد ، أو استخدم لغير غش مطلقا فلا شيء فيه والله أعلم .

البقية ص ٨٠٦

الإسراءُ والمعراجُ

رحلة النور.. وأرض الفداء

– يقول عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى :

سَرَيْتَ من حرم ليلاً إلى حرم   كما سرى البدر فى داج من الظلم
وبِتَّ ترقى إلى ان نلْت منزلة   من قاب قوسين لم تُدرَكْ ولم تُرَم
وقَدَّمتْك جميع الأنبياء بها   والرُّسْلُ تقديم مخدوم على خدم
وانت تخترق السبع الطباق بهم   فى موكب كنت فيه صاحب العلم
كيما تفوز بوصل اى مستتر   عن العيون وسر اى مكتتم
فحزت كل فخار غير مشترك   وجزت كل مقام غير مزدحم
وجل مقدار ما وُلِّيتَ من رتب   وعز إدراك ما اُولِيتَ من نعم
بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا   من العناية ركنا غير منهدم

•••••••

– ويقول فضيلة الإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمد الخضر حسين يستفز الهمم ويثير العزائم لتحرير القدس وارض الإسراء من الاحتلال الانجليزى ثم الإسرائيلى :

من مبلغ الحنفاء امة احمد   نَبَأً يطير له الفؤاد هباء
لاتنجدوهم بالتحسر وحده   إنّ التحسر لا يزيح عناء
لاتنهض الأوطان من كبواتها   إلا على أيد تفيض سخاء
ومتى أرى قومى قد استبقوا العلا   بسخاء كَفٍّ يكشف اللأواء
اننام عن إسعافهم والدِّين قد   عقد ائتلافا بيننا وإخاء
افبعد فتح ابن الوليد وصحبه   للقدس وعد يستحق وفاء

ــ أما أمير الشعراء أحمد شوقى فيخاطب النبى الكريم قائلاً :

يا أيها المسرى به شرفا إلى ما لا تنال الشمسُ والجوزاء
يتساءلون وأنتَ أطهر هيكل : بالروح أم بالهيكل الإسراء ؟
بهما سموتَ مطهرين كلاهما نور وروحانية وبهاء
فضل عليك لذى الجلال ومنة والله يفعل مايرى ويشاء
تَغْشَى الغيوبَ من العوالم كلما طويتَ سماء قلدتك سماء
الله هيأ من حظيرة قدسه نُزُلاً لذاتك لم يجزه علاء
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم حاشا لغيرك موعد ولقاء

●●●●●●●

ــ ويتناول الشاعر الفارس محمود سامى البارودى هذا المشهد الرائع فيقول :

وحبذا ليلة الإسراء حين سرى ليلاً إلى المسجد الأقصى بلا أتم(١)
رأى به من كرام الرسل طائفة فامهم ثم صلى خاشعا بهم
بل حبذا نهضة المعراج حين سما به إلى مشهد فى العز لم يُرَم
سما إلى الفلك الأعلى فنال به قدرا يجل عن التشبيه فى العِظَمَ
وسار فى سبحات النور مرتقياً إلى مدارج أعيت كل معتزم
وفاز بالجوهر المكنون من كَلِمٍ ليست إذا قرنت بالوصف كالكلم

●●●●●●●

ــ والشاعر الإسلامى الأستاذ عبد الله شمس الدين وصف أحداث هذه الرحلة المباركة قائلاً :

يا أيها السارى وملء فؤاده شوق يؤج تبتلا ويزيد
حيران يسأل والدموع تجيبه والغيب معتصم هناك بعيد
هذا البراق فطر على صهواته واطو الفلا ، لم تعى طيّك بيد
المسجد الأقصى زهت جنباته وتضوات والأنبياء حشود
واصعد فأبواب السماء تفتحت لا يعجز المعراج منك صعود
واستطلع السبع الطباق وخلّها للمنتهى ، حيث اللوا معقود
واسمع نداء الله جل جلاله وجنود ربك ركع وسجود
سبحانه يدنى إليه من اصطفى فهو المهيمن والأنام عبيد
سبحانه كل الورى بيمينه يبدى الحياة كما يرى ويعيد

●●●●●●●●

(١) إبطاء

الإســـراء والمعـــراج

ـ ويناجى شاعر إسلامى معاصر صاحب الإسراء ـ عليه الصلاة والسلام ـ قائلاً :

ياصاحب الإسراء قلبى مثقل ... والنفس تذبل عودها الأكدار
ياصاحب الإسراء قومك اصبحوا ... والقلب صخر والنفوس بوار
نبذوا عهودك خلفهم وتفرقوا ... شيعا وراء الخلف وهو دمار
غفلوا عن الشر المحيط بأرضهم ... فتساقطت وتداعت الأقطار
والقدس فى الأسر المهين ذليلة ... ديست وهيج جناحها الطيار
والمسجد الأقصى تحرق ركنه ... يدعو فلا يحمى حماه جوار
والشام فى كف الطغاة سَبِيَّة ... بعفافها يتلاعب الفجار
وجراح أندلس تعود مريرة ... زاد العداة وقلت الأنصار
ياسيدى المختار هل من نفحة ... كى نستفيق ويستفيق الثار

ـ ويناجى الشاعر رشاد يوسف النبى الكريم قائلاً :

نفسى فداؤك والأيام قد عبست ... فلا معين ولا إلف ولا جاه
راحت « خديجة » راح العم قد طفحت ... عداوة القوم كم ضلوا وكم تاهوا
أسرى بك الله تكريما وتسرية ... حتى يثبت من للخير مسعاه
واذهل القوم ماترويه من خبر ... لا يدركون مع الأصنام فحواه
اقبل ابا بكر واسمع لصاحبكم ... ما مثله مرة قولا سمعناه
يقول : أسرى بى للقدس فى ملأ ... وعاد والفجر لم يظهر محياه
وكم قطعنا طريق الشام من زمن ... وكل درب إلى الأقصى سلكناه
تمضى قوافلنا شهرا مثقلة ... فى رحلة الصيف كم جهد بلوناه
وينطق الصدق والصديق فى ثقة ... إن كان قال : فصدق كل دعواه
ويعقدون التحدى خاب ظنهمو ... صف ما رأيت فإنا قد رأيناه
وتوشك العين أن تنسى فيحمله ... لك الملائك قيد الخطو مرآه
وتقبل العير والحادى يقول لهم ... هذا نداء حقيقى سمعناه
وما وجدنا شرابا كان مدخرا ... ملء الوعاء كما كنا تركناه
من يصدق اللهَ فى قول وفى عمل ... يبارك الله دنياه وأخراه

●●●●●●●

ـ ويحدثنا الشاعر الدكتور محمد كمال الدين إمام عن الولاء للقدس ولأرض فلسطين قائلا :

اى فلسطين ياصديقة قلبى … لك قلبى والحب والكبرياء
ارضنا هذه وينطق فيها … باسمنا النور والثرى والماء
ارضنا هذه وتحمل صوتى … فى حماها البيوت والأحياء
ارضنا هذه وتسال عنى … فى رباها السنابل الخضراء
ارضنا هذه وخطو جدودى … كل حين فى دربها مشاء
ارض ياسين « دير ياسين » وجه … حدثتنى عن جرحه الأشلاء
احرق المسجد الطهور وريعت … صلوات وهدمت ابهاء
وخيول العدو تمشى عليه … وبه الأمس قد مشى الانبياء
نكبة ان يسود فيه يهود … واسى ان تظلهم افياء
آه يامسجدى قد اهتز ركن … فى حمى مكة وصاح قباء
اول القبلتين والمسجد الاقصى … ومن للهدى به إسراء
يجثم الغاصبون فوق ثراها … فعلى الأرض والسلام العفاء

●●●●●

ـ والشاعر محمد على أحمد .. يؤكد احقية الإنسان العربى فى أرض فلسطين قائلاً :

هذه أرضنا وهذا حمانا … شتت الغدر أهله وصحابه
مزقت شمله الذئاب الضوارى … واستحلت غذاءه وشرابه
سلبوا امنه وعاثوا فسادا … ودمارا وشتتوا اربابه
كان بيتى هنا وكان رفاقى … وزمان الصبا شربنا رضابه
كان حقلى على مدى الافق حقلى … تنتشى فيه خضرة جذابه
سنبلاتى بارضه راقصات … وطيورى بارضه منسابه
يافلسطين والشباب غضوب … سمم الحقد سهمه وحرابه
فى غد تزحف الجموع لهيبا … تزحم الافق او تشق حجابه
ياحمى العرب فى غد نتلاقى … يوم عيد بارضنا المخصابه
وغدا نملأ الديار أمانا … وغدا يعرف السؤال جوابه

الأستاذ الإمام محمد عبده

مفتى الديار المصرية الأسبق

١٢٦٥ هـ - ١٣٢٣ او ١٨٥٠ م - ١٩٠٥ م

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

الأستاذ الإمام محمد عبده اعظم رجل ظهر فى مصر وما جاورها منذ خمسة قرون ، هكذا وصفه الأديب الكاتب عباس محمود العقاد، وقد راقه فيه غيرته على الحق ونجدته للضعيف وقلة اكتراثه للقيل والقال ، كما اثار إعجابه بخلقه فوق إعجابه بعلمه فإن الاقتداء بالأخلاق نافع لكل إنسان كائنا ما كان مذهبه فى الدراسة والتفكير[1] .

ولما ابعدت حكومة الخديوى توفيق السيد / جمال الدين الافغانى من البلاد فى ٣١ اغسطس سنة ١٨٧٩ م سالوه عن وصيته فقال : (حسبكم الشيخ محمد عبده وكفى به لمصر عالما)[2] .

اصل محتده وتاريخ ميلاده :

يحكى الأستاذ الإمام ــ رحمه الله ــ عن نفسه فى مذكراته فيقول : (إنى ابن عبده خيرالله

---

(١) كتاب (انا) بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد ـ سلسلة كتاب الهلال يوليو سنة ١٩٦٤ صفحة ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) كتاب الأزهر جامعا وجامعة او مصر فى الف عام تاليف الأستاذ محمد كمال السيد صفحة ٢٥٣ طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

من سكان قرية « محل نصر » بمركز « شبراخيت » من مديرية (أى محافظة) « البحيرة » ، ووقر فى نفسى احترام والدى ونظرت إليه أجل الناس فى عينى وسكن من هيبته فى قلبى ما لا أجده لأحد من الناس عندى ، أما عوامل الاحترام وذلك الإجلال فأتذكر منها قلة الكلام امامى ووقارا كان فى الحركات والأعمال والهيئة ، والتنزه عن مخالطة الصغار من الناس ، ومشاهدتى أهل بلده يحترمونه ويبالغون فى توقيرهم إياه) رغم ما لاقاه هذا الوالد الأبى من عنت السلطات واضطهادها له فى عهد عباس الأول والى مصر وحفيد محمد على مما تسبب فى ضياع ماله ، وإلى هجرته من قريته فترة من الزمان حتى إذا ما هلك عباس الأول ، وتولى حكم مصر سعيد بن محمد على وارتد إلى الناس بعض الأمن عاد الأب إلى مسقط رأسه فوجد أطلالا وجدرانا مهدمة كانت يوما ، ما بيته فى قريته وفى أثناء هذه الهجرة تزوج وأقام فى قرية (شنترا) من أعمال محافظة الغربية حيث أنجب ابنه محمدا صاحب هذه السيرة عام ١٢٦٥ هجرية[٣] .

خطوات الأستاذ الإمام فى حفظ القرآن وتلقى العلم :

لما درج رحمه الله فى مدارج الصبا بعثه والده إلى من يحفظه القرآن الكريم فحفظه جميعه فى عامين ثم أرسله إلى طنطا لاستكمال تلقى العلوم الدينية فى المسجد الأحمدى بطنطا وكانت سنه وقتئذ أربعة عشر عاما ، فقضى به عاما ونصف العام تعثر خلالهما فى دراسته للأجرومية مما دفعه إلى العودة إلى قريته للاشتغال بالفلاحة فتزوج هناك فى عام ١٢٨٢ هجرية على نية الإقامة المستديمة بها[٤] .

والده ياسره بمتابعة تلقى العلم :

فوجىء الأستاذ الإمام بعد زواجه بأربعين يوما بأمر من والده يلزمه بأن يتابع علمه ، وأن يعود إلى طنطا من حيث أتى ، ثم حمله حملا على المسير إلى مركز العلم فى قلب إقليم الغربية ، وما أن قام بتنفيذ أمر والده وفصل عن قريته إلا قد ولى وجهه شطر محل إقامة أحد أخوال أبيه ، ويدعى الشيخ درويش ، وكان من رجال التصوف النابهين فعلم بأمر قريبه الذى حل ضيفا عليه فقرر هذا الشيخ أن يعالج حالة الجمود النفسى والانصراف عن الدرس التى علمها منه .

نجاح خال والده فى إقناعه بمتابعة تحصيل العلم :

يحكى الأستاذ الإمام عن هذه الفترة فيقول :

جاءنى هذا الشيخ (وهو خال أبيه الشيخ درويش) وبيده كتاب يحتوى على رسائل كتبها السيد محمد المدنى أحد أئمة الصوفية إلى بعض مريديه بالأطراف بخط مغربى دقيق ، وسألنى أن أقرأ له فيها شيئا لضعف بصره فدفعت طلبه بشدة ، ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ونفرت منه أشد النفور ، ولما وضع الكتاب بين يدى رميته إلى بعيد .

لكن الشيخ تبسم وتجلى فى ألطف مظاهر الحلم ، ولم يزل بى حتى أخذت الكتاب ، وقرأت

---

(٣) كتاب الشهر الشيخ محمد عبده تأليف محمد صبيح طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه بدون تاريخ .

(٤) كتاب الشهر ــ الشيخ محمد عبده ــ المرجع السابق .

من اعلام الأزهر

الإمام محمد عبده

منه بضعة أسطر فاندفع يفسر لى معانى ما قرأت بعبارة واضحة تغالب إعراضى فتغلبه وتسبق إلى نفسى ، وبعد قليل جاء بعض شباب القرية يدعونى إلى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة فى نهر قريب من القرية فرميت الكتاب وانصرفت إليهم .

وبعد العصر جاءنى الشيخ درويش بكتابه وألح علىّ فى قراءة شىء منه فقرأت وفسر ثم تركته إلى اللعب ، لكنه جاء فى اليوم الثانى كما فعل فى اليوم الأول أما اليوم الثالث فقد بقيت أقرأ له فيه وهو يشرح لى معانى ما أقرأ نحو ثلاث ساعات لم أمل فيها ، فقال لى : إنه فى حاجة إلى الذهاب إلى المزرعة ليعمل بعض العمل فيها ، فطلبت منه إبقاء الكتاب معى فتركه ومضيت أقرأه ، وكلما مررت بعبارة لم أفهمها وضعت عليها علامة لأسأله عنها ، إلى أن جاء وقت الظهر وعصيت فى ذلك اليوم كل رغبة فى اللعب وهوى ينازعنى إلى البطالة ، وعصر ذلك اليوم سألته عما لم أفهمه فأبان معناه على عادته وظهر عليه الفرح بما تجدد عندى من الرغبة فى المطالعة والميل إلى الفهم ، ولم يأت على اليوم الخامس إلا وقد صار أبغض شىء إلىّ ماكنت أحبه من لعب ولهو وفخفخة وزهو ، وعاد أحب شىء إلىّ ما كنت أبغضه من مطالعة وفهم) أ هـ .

وهكذا تمكن خال والده الشيخ درويش بذكائه الفطرى من أن يحل بكياسته وسعة صدره عقدة فى نفس الأستاذ الإمام وهو صغير ، كانت حياته كلها ترزح تحتها ، فقد كان خال والده السابق الإشارة إليه من أولئك الصوفية الرحالة سافر إلى صحراء « ليبيا » ووصل إلى « طرابلس » وتردد على زوايا الصوفية فى هذه الأنحاء حيث تلقى كثيرا من العلوم الدينية والسياسية عن رؤساء الفرق الصوفية ويبدو أنهم كانوا أهل استنارة وبصيرة نافذة فى ذلك الزمان .

ومما يذكر لهم بالفضل والعرفان عملهم الدءوب على نشر الإسلام فى مجاهل القارة الأفريقية من نحو مائة وخمسين عاما ، نشروا خلالها الزوايا والمساجد على خط عمودى يمتد من برقة فى الشمال حتى يصل إلى جنوب خط الاستواء بمسافة كبيرة(٥) .

وهم الذين قاوموا حركة التنصير بالقارة وحالوا دون نشر المسيحية بمقاومة عنيدة انتهت بأن تحول الكثير من سكان وسط القارة من وثنيين ومسيحيين إلى مسلمين ، والقارىء لتقارير المنصِّرين خلال المائة سنة الماضية يجدهم يشكون مرّ الشكوى إلى هيئاتهم الرئيسية ويفزعون إلى حكوماتهم فى أوروبا وأمريكا لتعاونهم على صد هذا التيار الجارف من نشاط الصوفية والذى كان يهدم فى أيام ما بناه المنصِّرون فى أجيال منفقين عليه الملايين من الأموال وباذلين فيه الأرواح(٦) .

قال جل وعلا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾(٧) .

وهكذا كانت الصوفية والله أعلم كيف صارت وأصبحت فى زماننا هذا .

---

(٥) كتاب الشهر ــ الشيخ محمد عبده ــ المرجع السابق .

(٦) كتاب الغارة على العالم الإسلامى تأليف المرحوم محب الدين الخطيب .

(٧) سورة الأنفال ٣٦ .

عودته إلى استئناف العلم ووصوله إلى الأزهر حتى حصل على شهادته :

رجع الأستاذ الإمام إلى طنطا لاستئناف تلقى العلم والدرس ، ولم يلق هذه المرة صعوبة فيما يلقى فى ساحات العلم ، ثم سافر إلى القاهرة لاستكمال تحصيل العلوم فى رحاب الأزهر الشريف ، وكان كلما عاد من القاهرة إلى قريته فى الأجازات المقررة يقابله الشيخ درويش خال والده السابق الإشارة إليه فيناقشه فيما حصله من علم ، ثم يقول له : ما درست المنطق ؟ ما درست الحساب ؟ ما درست الهندسة ؟ ما درست كذا .. إلخ فيجيبه الأستاذ الإمام : (هذه العلوم غير معروفة الدراسة فى الأزهر ، فيرد عليه خال والده فى عزم وإصرار بأن طالب العلم لا يعجز عن تحصيله فى أى مكان ، مما دفعه عند عودته إلى القاهرة إلى التماس تلك الدراسات ومن حسن حظه أن تيسرت له سبلها عندما جاء السيد / جمال الدين الأفغانى إلى مصر فى أواخر سنة ١٢٨٦ هجرية فصحبه الأستاذ الإمام ، وأخذ يتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمية والكلامية ، وذلك دون إخلال منه بالعلوم الإسلامية التى كان يتلقاها فى دراساته الأزهرية(٨) .

ولقد لمع بين أقرانه بذكائه الفطرى ، ونشاطه الجم ، ومثابرته على الدرس والتحصيل ، وظل على هذا المنوال أربعة أعوام استنبط فيها لنفسه طريقة تأتلف مع روحه وتتسق مع وجدانه وهو فى كل حال الدائب على البحث والإفادة(٩) .

ولما تقدم إلى الامتحان لنيل شهادة العالمية رأت اللجنة المشكلة لمناقشته من حسن الجواب عما سألوه فوق ما كانوا ينتظرون وطفقوا يناقشون ويراجعون وينتقلون به ويستطردون حتى صار الامتحان مناظرة ، وعندئذ حلف الشيخ العباسى أنه لم ير أحداً امتحن فى عصره مثله ، وأنه لو كان فوق الدرجة الأولى درجة ممتازة لاستحقها . وانتهت اللجنة إلى منحه شهادة عالمية الأزهر سنة ١٢٩٤ هـ التى توافق ١٨٧٧ ميلادية ، ولا غرو فى ذلك فلقد ميزه الله قبل كل شىء بقوة عقلية وشجاعة نفسية منقطعة النظير .

وكان إذا قرأ فهم ، وإذا ناقش حاول أن يتعرف على رأى مناظره وينتفع منه إن كانت منه فائدة ، وكان إلى جانب هذا الاستعداد القوى نشيطا متين البناء وهو ما اكتسبه من الريف ومقامه فيه وما ورثه عن أبيه من صحة البدن إذ كان يركب الخيل ويجد فى صحبتها لذة الفارس إذا انطلق ، فهذه القوى العقلية والروحية والبدنية هى التى جعلت مواجهته للحياة ، تأخذ لونا غير ما تعوده كل أقرانه ومعاصريه(١٠) .

الوظائف التى تقلدها بعد تخرجه من الأزهر والاعمال التى قام بها :

١ ـ أجازت شهادة العالمية التى حصل عليها أن يكون مدرسا فى الأزهر سنة ١٨٧٧ م ـ ١٢٩٤ هـ .

٢ ـ وفى السنة التّالية عين مدرسا للتاريخ فى

(٨) كتاب الشهر ــ الشيخ محمد عبده ــ المرجع السابق .

(٩) كتاب الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة للدكتور محمد كامل الفقى الجزء الثانى صفحة ١١٣ .

(١٠) كتاب الشهر ــ الشيخ محمد عبده ــ المرجع السابق .

الإمام محمد عبده

دار العلوم وكان ذلك فى سنة ١٢٩٥ هـ التى توافق سنة ١٨٧٨ م .

٣ ـ وفى نفس الوقت عين مدرسا للعلوم العربية فى مدرسة الألسن الخديوية . لكنه أبعد إلى قريته سنة ١٨٧٩ م لما قامت الحكومة بإبعاد السيد جمال الدين الأفغانى عن البلاد بعد عزل الخديوى إسماعيل وتولية الخديوى توفيق وبذلك أبعد عن وظائف التدريس لما كان يجاهر به من آراء .

٤ ـ وفى عام ١٨٨٠ م عندما تولى رياض باشا رياسة مجلس النظار ـ أى مجلس الوزراء ـ أعاده إلى القاهرة وألحقه بوظيفة محرر بجريدة الوقائع المصرية بعد أن ألغى قرار إبعاده ، إذ كان يعلم قدره وعلمه فحرر لغة كتابتها من السجع الذى كان سائدا على أقلام الكتاب وقتئذ .

٥ ـ وبعد فترة عين محررا أول بتلك الجريدة فكان له الإشراف على الصحف المصرية عربية ، وكذا أجنبية ، وهو منصب كبير يشبه منصب مدير المطبوعات فيما بعد .

٦ ـ لما ساءت الأمور فى عهد الخديوى توفيق وفشلت الثورة العرابية لم يتنكر لها ولم يهرب من مسئولية المشاركة فيها برغم نصائحه لأحمد عرابى بالاتزان والتعقل وعدم الشطط والتهور ، وباحتلال بريطانيا لمصر سنة ١٨٨٢ م نفى إلى لبنان ، وتولى هناك التدريس فترة من الزمان فى بيروت .

٧ ـ ثم انتقل إلى باريس حيث شارك مع السيد جمال الدين الأفغانى فى إصدار مجلة العروة الوثقى ، وقد صدر من هذه المجلة ثمانية عشر عددا حتى عام ١٣٠١ هجرية التى توافق سنة ١٨٨٤ ميلادية .

٨ ـ لما انتهت مدة نفيه عاد إلى مصر وعين قاضيا بالمحاكم الأهلية خلال حكم الخديوى توفيق .

٩ ـ وفى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى عين عضوا بمجلس إدارة الأزهر سنة ١٨٩٤ م فوفق إلى استصدار قانون سنة ١٨٩٥ م لإصلاح الأزهر فى مشيخة الشيخ حسونة النواوى .

١٠ ـ وفى سنة ١٨٩٩ م عين مفتيا للديار المصرية مع مواظبته على إلقاء الدروس بالأزهر[١١] .

تمسكه بزيه الأزهرى :

حدث فى خلال وزارة رياض باشا أن فوتح الأستاذ الإمام بأن يتخلى عن عمامته ؛ لأن صاحب العمامة لا يرتقى إلى مراتب الرؤساء والنظار كلابس الطربوش فتمسك بزيه إلا إذا أريد له أن يتخلى عنه لأنه يعمل فى الحكومة فهو مستعد للبس الطربوش ولكن فى أوقات عمله الرسمى ثم يعود إلى زيه عندما يترك مقر الحكومة فقال له رياض باشا : (إننى لا أرضى لك الطربوش لأننى أحب أن يعلم الناس أنه يوجد تحت العمائم من العقول والأفهام ما يوجد تحت الطرابيش وغيرها)[١٢] .

(١١) كتاب الأزهر جامعا وجامعة او مصر فى ألف عام المرجع السابق صفحة ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(١٢) كتاب الشهر ــ الشيخ محمد عبده ــ المرجع السابق .

حملته فى الصحافة على نظام التعليم :

اشتدت حملة الأستاذ الإمام على نظام التعليم فى وزارة المعارف حينئذ ـ وزارة التربية والتعليم حاليا ـ وذلك فى الجريدة الرسمية فزادت شكوى الشاكين منه إلى رياض باشا فوقف دونه ، ومد له فى أسباب الحصانة إذ رأى الحق فى جانبه ، ولما أصغى إلى رأى الأستاذ الإمام أمر بتأليف مجلس أعلى للمعارف جعله عضواً فيه يأخذ مجلسه بجوار الوزراء وعظماء الدولة ويظهر عليهم بمواهبه .

وقد حالفه التوفيق فى جعل وزارة المعارف المصرية مشرفة ورقيبة على المؤسسات التعليمية الأوروبية فى مصر وقتئذ ، وكانت ذات شأن كبير بما مد لها الخديوى إسماعيل من سلطان وما أغدق عليها من هبات وكانت وسيلة الأستاذ الإمام إلى فرض هذه الرقابة أنه بدأ فاقترح إعانة تلك المدارس فمر قرار الإعانة على عجل ، ولما كانت الجلسة التالية رتب على هذه الإعانة نتيجتها وهى إشراف وزارة المعارف عليها(١٣) .

رأى الأستاذ الإمام فى الأحداث التى صاحبت الثورة العرابية :

كانت آراؤه تتركز فى أن أول ما يجب أن تبدأ به مصر النهوض بالتربية والاهتمام بالتعليم ، وذلك لتكوين رجال يقومون بأعمال الحكومة النيابية على بصيرة مؤيدة بالعزيمة ، وحمل الحكومة على العدل والإصلاح وتعويد الأهالى على البحث فى المصالح العامة واستشارتها إياهم فى الأمر بمجالس خاصة تنشأ فى المحافظات والمديريات .

وقد خاطب أحمد عرابى فى بعض مجادلاته له بقوله : (إن الأمة لو كانت مستعدة لمشاركة الحكومة فى إدارة شئونها لما كانت لطلب ذلك بالقوة العسكرية معنى ، فما يطالب به رؤساء العسكرية الآن غير مشروع ؛ لأنه ليس تصويراً لاستعداد الأمة ومطلبها ويخشى أن يجر هذا الشغب على البلاد احتلالاً أجنبيا يسجل على مسببه اللعنة إلى يوم القيامة) وعندما سمع احمد عرابى من الشيخ هذا النذير تبسم وقال (ارجو الا استحق هذه اللعنة)(١٤) ، ووصل الأمر به إلى أن أرسل للأستاذ الإمام ضابطين يهددانه فى مقر عمله بإدارة جريدة الوقائع لكى يكف عن معارضته ، برغم انه لم يكن من حزب القصر انصار الخديوى ، كما أن رياض باشا نفسه لم يكن من هذا الحزب ايضا وإنما كان وزيراً ذا كفاءة يلتجىء إليه الخديوى كلما ضاقت امامه السبل فإذا انفسح أمامه الطريق وضع له العقبات لكى يحرجه ويبعده عن الحكم وليس اقطع فى التدليل على بعد الأستاذ الإمام عن الخديوى وحزبه من أن محامى العرابيين الإنجليزى استند فى دفاعه على مذكرات الأستاذ الإمام التى كانت كلها اتهاما للخديوى وحاشيته وسياسته وعلى المستندات الهامة التى وقعت له ، وفيها تجريح شديد لتصرفات القصر حتى إن المحكمة لم تروجها ـ وقد كشف لها الأستاذ الإمام عن هذه الصفحة ـ أن تحكم بالإعدام على زعماء الثورة العرابية وصفحة خصومها ليست

(١٣) كتاب الشهر ــ الشيخ محمد عبده ــ المرجع السابق .

(١٤) كتاب الهلال دور الأزهر فى السياسة المصرية تاليف دكتور سعيد إسماعيل على صفحة ١٧٢ ـ ١٧٣ .

من اعلام الازهر

الإمام محمد عبده

فوق الشبهات ، وإن كانت فوق المحاكمات وقتئذ(١٥) .

لماذا تغير موقف الأستاذ الإمام من معارض لحركة العرابيين إلى مؤيد لها :

لمح - رحمه الله - فى الأفق حربا تقترب هى التى تنبأ بها - حربا مع انجلترا التى حذر أحمد عرابى من الاصطدام بها ، ولما لم يجد وسيلة لتفاديها انضم إلى صفوف الوطنيين فوضع يده فى يدهم ، وقرر أن يصطلى بنارها ، ولا يتخلى عن موقف الرجولة والشهامة - وحاشاه أن يكن ؛ لأن الوضع السياسى لم يكن محل رأى يُرى وإنما أصبح حياة وكرامة للأمة ، كلها فكان القوة الروحية فى وسط العرابيين يأخذ مواثيقهم ويحرر بياناتهم للأمة ولدول العالم ويحض بنى وطنه على الالتحاق بالجيش ويحمسهم للقتال .

ومن عجب أن عدته فى حملته القلمية كانت الوقائع المصرية جريدة الحكومة الرسمية ولما أخفقت الثورة العرابية ، واحتلت الجيوش الإنجليزية مدينة القاهرة قبض على الأستاذ الإمام مع من قبض عليه من العرابيين ، وأودع السجن حيث حوكم وصدر عليه الحكم بالنفى ثلاثة أعوام خارج مصر فسافر إلى بيروت وقام بالتدريس فيها فترة من الزمان ، ثم توجه إلى أوروبا حيث اجتمع مع صديقه السيد جمال الدين الأفغانى فى باريس واشتركا معاً فى إصدار مجلة العروة الوثقى كما قدمنا وكانت هذه المجلة لسان حال جمعية كَوَّنَاها فى المنفى بهذا الاسم ومن أهدافها العمل بكتاب الله ، والدعوة لنصرة دين الله ، وتقوية الروابط بين المسلمين فى كل مكان(١٦) .

الأستاذ الإمام يفاوض الانجليز بشأن خروجهم والجلاء عن مصر :

أحس بعض الساسة الانجليز بحملة العروة الوثقى على انجلترا وخطرها ، فدعوا الأستاذ الإمام ليقابل المسئولين الإنجليز فى لندن ، وجرت بينه وبينهم محادثات طويلة لم تكلل بالنجاح لإصرار انجلترا على موقفها بعدم الجلاء ، وإصرار الأستاذ الإمام على ضرورة الجلاء وخروجهم من مصر وكان مما قاله لهم : (إن المصريين لا يخطر على بال أحد منهم الميل إلى الخضوع لسلطة من يخالفه فى الدين والجنس)(١٧) .

كيف عاد الشيخ محمد عبده إلى مصر :

لما قامت ثورة السودان بقيادة السيد / محمد أحمد المهدى سعد بأخبارها الأستاذ الإمام والسيد جمال الدين الأفغانى ، وهما فى باريس وتم الاتصال بينهما وبين المهدى لأنه كان يسير فى نفس اتجاهات جمعية العروة الوثقى ، واتفقوا على أن يتوجه الشيخ محمد عبده إلى مصر متخفيا تمهيداً لذهابه إلى السودان وفعلا تم ذلك

---

(١٥) كتاب الشهر — الشيخ محمد عبده — المرجع السابق .

(١٦) كتاب جمال الدين الأفغانى وأثره فى العالم الإسلامى تأليف الدكتور عبدالباسط محمد حسن عميد كلية الدراسات جامعة الأزهر طبعة سنة ١٩٨٢ م صفحة ٤٦ .

(١٧) كتاب جمال الدين الأفغانى المرجع السابق صفحة ٥١ .

لكى يلحق به السيد جمال الدين الأفغانى فيجتمعا فى الخرطوم مع المهدى لتدعيم ثورته .

لكن الخطة فشلت فجأة بوفاة السيد / محمد أحمد المهدى مفجر الثورة ، وتعذر التفاهم مع « التعايشى » خليفته لذلك كرّ الشيخ محمد عبده راجعا إلى بيروت حيث استأنف سيرته الأولى فى الأشتغال بتربية النشىء والتدريس والعمل على إصلاح التعليم وبث آرائه بين رواده ومريديه .

ولما انتهت مدة نفيه عاد إلى مصر وسكن فى شارع الشيخ ريحان بجوار ميدان عابدين ، وعندما سئل فى ذلك قال : (اخترنا هذا المكان لنناطح عابدين مناطحة) ولقد سعى بعض ذوى النوايا الحسنة لدى الخديوى توفيق ليعفو عنه ، فتم لهم ذلك ، وسمعوا الخديوى بعد العفو يقول (ما عفوت عن احد عفواً هو أشبه بالاعتذار منه بالعفو إلا هذا) وكانت فرصة أرادها الشيخ محمد عبده ليعود إلى تدريس العلم والاتصال بالشباب فى حلقات الدرس يلقنهم مبادئه لكن الخديوى أبى عليه ما أراد وقرر أن يبعده عن محيط التدريس فعينه قاضيا فى المحاكم الأهلية وقال عنه (إنى لا أحب أن يربى لى التلاميذ على أفكاره السياسية)[١٨] .

بروز الأستاذ الإمام فى منصب القضاء وإعتداده بكرامته :

لم يلبث الشيخ محمد عبده أن ظهر فى هذا المجال ظهورا عظيما حتى وصل إلى درجة مستشار ، وجالس كبار القانونيين الذين تلقوا دروسهم على أحدث الطرق الأوروبية وكان الفرق بينه وبينهم أنهم يعرفون اللغة الفرنسية فتعلمها ، وكانت أحكامه فى القضايا التى عرضت عليه لها شهرة كبيرة .

وكان شديد الاعتداد بكرامة منصبه ، لاسيما أمام الاجانب فى وقت طغوا فيه على كل شىء فى مصر باسم ديونهم ، وبمعاونة الاحتلال الأجنبى ، وقد حدث مرة أن أحدث أحد الأجانب هرجا فى قاعة جلسة كان هو قاضيا فأمر من فوره بحبس هذا الأجنبى ، فهاجت الدنيا وماجت واتصل المستشار الانجليزى لوزارة الحقانية[١٩] بالأستاذ الإمام قائلا له : إن قناصل الدول احتجوا لدى وزارة الخارجية المصرية ورجاه الا يعرض الحكومة لمثل هذه الأزمة فأجابه بإصرار : إنه مادام جالسا على كرسى القضاء فهو لا يتردد مطلقا فى صيانة هذا الكرسى بكل ما يضعه القانون فى يده من روادع إذا تجرأ أحد على المساس به[٢٠] .

تعيين الشيخ محمد عبده عضوا بمجلس إدارة الأزهر :

بعد وفاة الخديوى توفيق خلفه عباس حلمى الثانى واليا على مصر ، وفى عهده وافق على تعيين الأستاذ الإمام عضوا بمجلس إدارة الأزهر سنة ١٨٩٤ م فظل فيه أحد عشر عاما حتى وفاته وحتى بعد تعيينه مفتيا للديار المصرية عام ١٨٩٩ م مع المواظبة على إلقاء الدروس بالأزهر .

عمله على استصدار قانون إصلاح الأزهر عام ١٨٩٥ م :

كانت أولى الخطوات لإصلاح الأزهر صدور

(١٨) كتاب الشهر ــ الشيخ محمد عبده ــ المرجع السابق .

(١٩) سميت وزارة العدل فيما بعد .

(٢٠) كتاب الشهر ــ الشيخ محمد عبده ــ المرجع السابق

الإمام محمد عبده

قانون عام ١٨٧٢ م خلال مشيخة الشيخ محمد المهدى العباسى فى عهد الخديوى إسماعيل وكان يتعلق بطريقة امتحان من يريد التدريس بالأزهر ، ثم سعى الأستاذ الإمام خلال عمله بالإفتاء على استصدار قانون سنة ١٨٩٥ م لإصلاح الأزهر أيضاً وكان ذلك خلال مشيخة الشيخ حسونة النواوى ومن أهم عناصر ذلك القانون :

اولا : تشكيل مجلس لإدارة الأزهر من خمسة اعضاء غير الرئيس الذى هو شيخ الأزهر ، وثلاثة من علماء الأزهر واثنان من العلماء الموظفين بالحكومة .

ثانيا : حدد هذا القانون شروط الانتساب للأزهر بأن لا يقل عمر الطالب عن خمسة عشر عاما ، وأن يكون ملما بالقراءة والكتابة ، وأن يكون حافظاً لنصف القرآن على الأقل إلا إذا كان كفيفا فيجب ان يكون حافظاً للقرآن كله .

ثالثا : اضاف علوما جديدة للتدريس به فأصبحت (٢٦) علما بدلا من (١١) علما .

١ ـ فأضاف إلى علوم الدين ـ التصوف والقراءات والتجويد ومصطلح الحديث .

٢ ـ وأضاف إلى علوم اللغة ـ العروض والقوافى وفقه اللغة والإنشاء .

٣ ـ كما اضيفت علوم أخرى هى الأخلاق وأدب الحديث والمناظرة والتاريخ الإسلامى والحساب والجبر ومبادىء الهندسة والميقات والهيئة والرسم أى رسم المصحف[٢١] .

المؤلفات التى خلفها الشيخ محمد عبده :

لم يكن رحمه الله من المكثرين فى التأليف نظرا لانشغاله بالنواحى السياسية والإصلاحية ومع ذلك فقد ألف الكتب الآتية :

١ ـ تفسير جزء تبارك وجزء عم .

٢ ـ رسالة فى التوحيد وهى من أبلغ النماذج فى أسلوبها وقوة حجتها .

٣ ـ أملى تفسير سورة البقرة وآل عمران والنساء .

٤ ـ وقام بشرح كتاب نهج البلاغة المنسوب للإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

٥ ـ شرح مقامات الهمذانى ، بديع الزمان .

٦ ـ فلسفة الاجتماع والتاريخ وهو كتاب الفه أيام تدريسه لمقدمة ابن خلدون فى مدرسة دار العلوم ـ وقد فقد هذا الكتاب عندما أمر الخديوى توفيق بنفى الأفغانى ، وعزل الأستاذ الإمام وإبعاده إلى قريته وبلغ من أسفه على فقده أن يقول : اتمنى لو يحفظ هذا الكتاب من وقع فى يده وينسبه لنفسه ولو بعد موتى لينتفع به الناس .

٧ ـ نظام التربية والتعليم بمصر وهو رسالة فى أبلغ الطرق للتربية والتعليم .

٨ ـ الإسلام والرد على منتقديه وهو سلسلة مقالات نشرها فى صحيفة المؤيد سنة ١٩٠٠ م يرد بها على (مسيو هانونو) وزير خارجية فرنسا فى ذلك الزمان فيما كتبه فى صحيفة (دى بارى) وقد ترجمها إلى الفرنسية وطبعت مرة ثانية بالعربية بعد أن أضيفت إليها مقالات أخرى له .

٩ ـ الإسلام والنصرانية وهو مجموعة مقالات حررها فى جريدة الأهرام عام ١٩٠٠ م ، رداً على ما كان يكتبه (فرج انطون) فى مجلة الجامعة .

(٢١) كتاب الأزهر جامعا وجامعة أو مصر فى الف عام المرجع السابق صفحة ٣٤٦ ـ ٣٤٨ .

١٠ ـ رسالة فى وحدة الوجود وقد بين فيها مراتب الوجود وتعددها ونظامها العام .

١١ ـ حاشية عقائد الجلال الدوانى ، وقد ألفها فى علم الكلام وشرح مسائله وتحرير الخلاف بين المتكلمين .

١٢ ـ شرح كتاب البصائر النصيرية ، وهو شرح مختصر فى المنطق أطلق عليه لفظ التعليقات وهو مكتوب بأسلوب رفيع كان قد قرأه درسا فى الأزهر .

١٣ ـ تاريخ أسباب الثورة العرابية .

١٤ ـ ترجم إلى العربية رسالة الرد على الدهريين التى كتبها بالفارسية السيد جمال الدين الأفغانى وقد ساعده فى ترجمتها (عارف افندى أبو تواب) أحد أصدقائه من الأفغانيين .

١٥ ـ هذا عدا ما خلده من مقالاته الرائعة التى نشرها فى صحف الأهرام والوقائع المصرية والعروة الوثقى وثمرات الفنون والمؤيد والمنار وغيرها[٢٢] .

وفاته :

لما تقدمت بالأستاذ الإمام السن بدأت الأمراض تناوشه حتى انتهت بمرض الكبد الذى ختم حياته ، وكان قد اعتزم الرحلة إلى أوروبا للعلاج وسافر إلى الأسكندرية فعلا للإبحار منها لكن تعذر عليه ركوب الباخرة لما كان يعانيه من آلام شديدة ، وكتم الأطباء الأمر عليه ، عندما قاموا بفحصه لكن لم يطل الكتمان فقد صعدت روحه إلى بارئها يوم ١١ يوليو سنة ١٩٠٥ م والتى توافق سنة ١٣٢٣ هجرية .

وبموته فقدت مصر والعالم الإسلامى رائد المدرسة الفكرية التى أقامها الأستاذ الإمام بهمته واجتهاده والتى سرعان ما بسطت نفوذها العلمى على بلاد الإسلام من بحار الصين فى الشرق إلى شواطىء المحيط الأطلسى فى الغرب ، فقد كان عبقرياً قَرَنَ حكمته العالية بالعمل المتصل الدءوب وتصدى لأوروبا وغاراتها المستمرة على عقائد الإسلام ، فدفعها دفعاً بأسلوبه الفذ وحجته القوية مما بهر الأوروبيين وهزهم من الأعماق ، ولفت أنظارهم بقوة لهذه النهضة العقلية الجبارة التى تحاججهم فى القاهرة[٢٣] .

كما أن محاوراته وخطاباته التى كانت مع الفيلسوف الإنجليزى الشهير سبنسر وكذا مع أديب روسيا الكبير تولستوى جعلته شخصية فكرية عالمية .

ولا تحصى أسفاره التى لم تكن تنقطع إلى غرب أوروبا وشمال أفريقيا وتركيا ولبنان والسودان يسعى إليهم ويزورهم بنفسه ويحادثهم ويوجه حياتهم إلى ما ينفعهم ويزكيهم ويصلح أحوالهم حتى قيل عنه إنه كان كرابطة الخلافة فى ربط العالم الإسلامى المترامى الأطراف بعضه ببعض بما أذاع من تعاليم وبث من أفكار حتى أن هذه الشعوب كانت تتأثر بما يحدث له أو يحدث معه كأنها تعيش معه ، وفى هذا المضمار ظهرت مصر متألقة فى دنيا العلوم بأزهرها التليد الذى عقد لها ـ دائما لواء الفكر والتجديد فى العالم الإسلامى كله .

---

(٢٢) كتاب الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة المرجع السابق صفحة ١٣٢ ـ ١٣٧ من الجزء الثانى .

(٢٣) لازال هذا الاهتمام بالإمام قائما حتى اليوم ، وآخر حدث له ما كان من أمر جامعة لندن التى طلبت إلى الدكتور خليل عبدالعال من أساتذة التاريخ ، بآداب الاسكندرية ، واستقدمته إلى لندن ليكتب عما إذا كان هناك علاقة بين حجة الله الدهلوى ومحمد عبده ، ذلك أن رسالة الدكتور خليل كانت عن الدهلوى بجامعة البنجاب .. وعلى أية حال يعد اهتمام الغرب أمر مريب . مجلة الأزهر .

الخروج من الصلاة لاستكمال الوضوء

س : دخلت المسجد فوجدت الإمام يصلى بالناس فنويت ، ودخلت فى الصلاة ، وأثناء ركوعى لاحظت وتيقنت أن جزءا من قدمى لم يصله الماء أثناء الوضوء ، فهل أخرج من الصلاة لكى أستكمل وضوئى أم أمضى فى إتمام الصلاة ؟

« عبد الباقى حسين ـ سوهاج »

ج : نعم يجب عليك أن تخرج من الصلاة لأجل أن تستكمل وضوءك بغسل قدميك ؛ لأن غسل الرجلين إلى الكعبين من فرائض الوضوء ، ومادمت قد تيقنت ـ وأنت فى الصلاة ، أنك قد تركت جزءا من القدمين من غير أن يصيبهما الماء ـ فعليك أن تخرج من الصلاة لغسلهما ما لم يترتب على الخروج الإضرار بالمصلين واختراق الصفوف فعندئذ تنتظر حتى يسلم الإمام ، ثم تخرج لإكمال الوضوء وإن كان من الأفضل إعادته مراعاة للموالاة وخروجاً من عهدة الخلاف ثم إعادة الصلاة .

مواريث

س : توفيت امرأة سنة ١٩٩١ عن ثلاث بنات ، وأولاد بنت ، وأخ ، وأخت أشقاء ، وأخ وأخت لأب ، وأولاد أخ شقيق ، بنت أخت شقيقة فمن يرث وما نصيبه ؟

« محمود عبد الله عبد المنعم »

ج : فى تركة هذه المتوفاة وصية واجبة لأولاد البنت المتوفاة قبل أمها بمقدار ماكانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقاً لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول اغسطس لسنة ١٩٤٦ ، وبشرط الا تكون الجدة قد أعطتهم شيئاً حال حياتها بدون عوض ، فتقسم التركة اثنى عشر جزءا ، منها جزءان وصية واجبة لأولاد البنت يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والباقى وهو عشرة أجزاء هو الميراث للبنات الثلاث ، الثلثان فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للأخ والأخت الأشقاء تعصيبا يقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى ، ولا شىء للأخ والأخت لأب لحجبهم بالأخ الشقيق كما لا شىء للذكور من أولاد الأخ الشقيق أيضاً لحجبهم بالأخ الشقيق ولا شىء للإناث من أولاد الأخ الشقيق ولا لبنت الأخت الشقيقة لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبيات .

س : توفى رجل سنة ١٩٩٠ م عن ابن ، بنتين ، أولاد ابن ، أولاد بنت ، فمن يرث وما نصيبه ؟

« عادل عبد العظيم »

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لكل من أولاد الابن وأولاد البنت المتوفين قبل والدهما بمقدار ماكان يستحقه أصل كل منهما لو كان على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقاً لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ وبشرط الا يكون الجد قد أعطاهم شيئاً حال حياته بدون عوض ، وحيث إن نصيب الابن والبنت المتوفين يزيد على الثلث فترد الوصية الواجبة إلى الثلث فتقسم التركة تسعة أجزاء ، ثلاثة أجزاء وصية واجبة ، يخص أولاد الابن جزءان ويخص أولاد البنت جزء واحد يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والباقى وهو تسعة أجزاء هو الميراث للابن والبنتين الأحياء تعصيبا ، يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

العلوم الكونية

التوجيه الإسلامي للعلوم

الأمواج الكهرومغناطيسية

الجديد في العلم

التوجيه الإسلامي للعلوم

ضرورة حضارية

٣

أ.د. أحمد فؤاد باشا

حين يكون تأثير التربية والتعليم محدوداً فى مسار الأمة ، فإن هذا يعنى ضرورة الإسراع فى اتخاذ الخطوات الجادة نحو تقويم ما تم ، وما لم يتم من خطط وبرامج أُعِدَّت أو تُعدّ لأغراض التطوير والإصلاح .. وسوف نستكمل فى هذا المقال طرح تصورنا حول أهمية التوجيه الإسلامى للعلوم باعتباره واجباً شرعياً وضرورة حضارية يُعوَّل فى تحقيقهما بالدرجة الأولى على الأنظمة والمؤسسات التربوية والتعليمية المختلفة .

التصور الإسلامى للنهوض بتعليم العلوم :

إن التعليم حق أقرته الشريعة الإسلامية الغراء فكان الدعامة الأساسية لازدهار حضارة الإسلام ، كما أقره الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ، ولا يقتصر هذا الحق الأساسى على مجرد الحصول على فرصة التعليم ، بل إن مفهومه يتسع ويمتد ليشمل توفير سبل النجاح فى التعليم وتحقيق الأهداف المرجوة منه ، وهى من المنظور الإسلامى كل أهداف التربية الإسلامية وغاياتها المتمثلة فى بلوغ الكمال الإنسانى لأن الإسلام نفسه يمثل بلوغ الكمال الدينى . مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١) .

ويأتى فى مقدمة خصائص الكمال الإنسانى الذى تنشده التربية الإسلامية الرشيدة تزويد الإنسان بأساسيات العلم النافع ، وإعداده الإعداد الصحيح ليكون الإنسان الصالح العابد

(١) سورة المائدة : ٣ .

لله حق عبادته ، والجدير بحمل الأمانة وتحقيق الإعمار فى الأرض . ولنا فى أسلافنا الذين تربوا على الإسلام أسوة حسنة لأنهم أدركوا أن الاهتمام بالعلم قضية تعبدية بالدرجة الأولى ، وليست مجرد الحصول على شيء من القوة الغاشمة أو التسلط الظالم فى هذه الدنيا ، فالذين يعيشون ويتعلمون ويعملون فى كنف الإيمان الخالص بالخالق الواحد وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر ، خيره وشره ، هم الذين يستطيعون ـ أكثر من غيرهم ـ مواصلة الترقى فى السلم المعرفى إلى غايته القصوى بإدراك حقيقة الوجود الإنسانى فى هذا الكون ، كما أرادها رب العالمين ، ومن ثم فهم القادرون ـ أكثر من غيرهم ـ على جنى كل ثمار المعرفة التى حصلوها دون أن يسيئوا استخدامها فى غير موضعها .

الانتقادات الموجهة لأنماط التعليم القائمة :

وأياً ما كان الأمر بالنسبة لأوجه العجز والقصور البادية حالياً فى أنماط التربية والتعليم بنوعيها النظامى وغير النظامى على المستوى العالمى [٢]، فإن الاعتقاد السائد منذ عقود خلت ، هو أن هذه الأنماط بصورتها الراهنة قد تأكد فشلها ، بل إنها أصبحت تمثل عقبة كأداء على طريق التنمية البشرية التى يقع عليها عبء تحقيق التنمية الشاملة للمجتمع الإنسانى .

وتنصب الانتقادات الموجهة إلى أنماط التربية والتعليم القائمة فى الدول المتقدمة والنامية على حد سواء على عدم وضوح الأهداف التربوية ، أو على الأقل عدم توافر الوسائل الملائمة لتحقيقها ، فقد واجهت المدرسة التقليدية (النظامية) ، نتيجة قصورها الكمّى وضعفها النوعى ، انتقادات لاذعة من عدد كبير من المفكرين فى ميدان التربية ذاته ، ومن خارجه ، حتى طالب بعضهم « بموت المدرسة » ، كما طالب آخرون بإلغائها بسبب ما اتسمت به من اهتمام مفرط بالشكليات ، وتركيز شديد على المادة المجردة بدلاً من التركيز على المشكلات الحياتية ، واعتماد كبير على أساليب التلقين والحفظ بدلاً من التفاعل والحوار ، وتجاهل مقصود لاحتياجات المتعلمين ورغباتهم [٣] . وتوجَّه الانتقادات أيضاً إلى غلبة النزعة الموسوعية لتعليم كمّ كبير من المعارف فى الوقت الذى تتقادم فيه المعرفة نظراً لنموها المتسارع ، بالإضافة إلى أن اتساع حجم المنهج المدرسى أكثر من اللازم يُشكل بعض العبء على القدرة الاستيعابية للمتعلمين . وهذا من شأنه أن يحدث بعض الخلل فى التوازن المطلوب بين عناصر الموقف النظرى للمنهج الدراسى على أساس معالجة المعرفة العلمية بشكل يخدم كلا من المتعلم والمجتمع معاً [٤].

---

(٢) يقصد بالتعليم النظامى Formal Education نمط التعليم العام الذى يتم فى المدارس والمعاهد والجامعات النظامية : أما التعليم غير النظامى Non- Formal Education فيقصد به اى نشاط تعليمى منهجى يجرى خارج الإطار التقليدى لنظام التعليم العام . لمزيد من التفصيل راجع :
ـــ سعاد خليل إسماعيل ، انماط التعليم غير النظامى ، عالم الفكر ، المجلد ١٩ ، ع ٢ ، الكويت (١٩٨٨) ، ص ١١٣ .

(٣) راجع فى ذلك :

Reimer Everott, « School Is Dead : Alternatives To Education.» Anchor Book Edition., New York, 1972 .

Illich Ivan, « Deschooling Society », Harpei And Row, New York, 1970

عن : سعاد خليل إسماعيل ، مرجع سابق .

(٤) د . احمد فؤاد باشا ، « علاقة العلم بالفلسفة الإسلامية ونصيب الفكر العلمى من التدريس الفلسفى العام » ، اعمال ندوة « نحو فلسفة إسلامية معاصرة » ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، القاهرة ١٩٨٩ .

التوجيه الإسلامى للعلوم

وهناك جزء كبير من الانتقادات الموجهة بشدة إلى نظم التعليم السائدة ينصب على برامج تربية المعلم باعتباره العنصر الأهم فى العملية التعليمية مهما تطورت وسائلها وتقنياتها . ذلك أن توسيع رقعة المدارس وانتشارها قد استوجب التوسع فى توظيف معلمين حسب الضرورة وليس حسب الكفاءة والخبرة فى أغلب الأحيان ، وحين كان المعلم فى بدايات التعليم النظامى رائداً فى محيطه وعالماً متميزاً بين أفراد مجتمعه وقدوة طيبة لأبنائه وتلاميذه ، فإنه فى هذا العصر قلّ أن يتمتع بكل المميزات التى كان ينعم بها سلفه ، بل إن كثيراً من الدراسات تشير إلى أن مهنة التعليم ليست ضمن المهن المتقدمة التى يقبل الناس عليها ، واستجابة للضغوط الملحة فى سد شواغر الوظائف التعليمية ، فإن التأهيل اللازم للمعلمين قد تأثر شكلاً ومضموناً نتيجة لقصر فترة الإعداد وقصور برامج التأهيل والتدريب . من ناحية أخرى ، يتعرض المعلمون بصورة مستمرة لكثير من التحديات الناجمة عن التغيرات المطردة فى المجتمع والتقنية ، ومن ثم فإنهم يظلون فى حاجة ماسة إلى تعلم مهارات جديدة وإلى اكتساب معارف واتجاهات حديثة لمواجهة ما يلاحظ من عدم اهتمام الطلاب بالتعليم وضعف مستوياتهم العلمية [٥] . ومن الطبيعى أن تؤدى كل هذه العوامل إلى أن يعانى المعلم من أزمة الانتماء إلى مهنة التعليم بالرغم من شغله إياها ، وأن يندر وجود المعلم القادر على ترجمة محتوى الكتاب المدرسى لما هو مطلوب .

إصلاح التعليم وإمكانية البعث الحضارى للأمة الاسلامية :

إن إمكانية البعث الحضارى للأمة الإسلامية يمكن أن تتحقق إذا ما أعيد ترشيد العقل الإسلامى لينطلق فى تفكيره ، كما كان ، من ثوابت الدين الإسلامى الحنيف : العقيدية والعملية ، ثم يتحرك فى إطار المتغيرات المرتبطة بهذه الثوابت والمناسبة لطبيعة العصر ، وإذا كان أصحاب التفسير المادى للتاريخ يقولون بحتمية سقوط الدول والحضارات بشكل أو بآخر إلى غير عودة ، فإن هذه المقولة لا تنطبق إلا على الحضارات المادية ذاتها ، على نحو ما نشهد الآن فى عصرنا من انهيار تام للماركسية والدائرين فى فلكها .

أما التفسير الدينى للصحوة الإسلامية الحضارية فقد فطن إليه ابن خلدون فى بادىء الأمر حين قال بأننا أمة لا يصلح حالها إلا على أساس الدين . لكن أساليب الغزو الفكرى تشيع عكس هذا ، لتباعد بيننا وبين الحضارة ولتحول بيننا وبين ما بلغه الآخرون . وهنا يكمن سر خطورة الاتجاه « العلمانى » ، الوافد إلينا والمتفشى بيننا ، على إمكانية نجاح الجهود الإصلاحية ، لأنه يفصل تماماً بين المقومات المادية لقيام النهضة والطاقات الروحية الخلاقة المغذية لها ، بل إنه ينفى الدين من مجال التأثير فى توجيه شئون الحياة الدنيا ، ويستدعى العلم وحده ويقدسه لكى يقوم بهذا التأثير ، وإذا كان هذا قد جاز فى مرحلة سابقة من تاريخ الغرب ، فإنه مرفوض رفضاً باتاً فى عرف الإسلام .

---

(٥) محمد الأحمد الرشيد ، التربية ومستقبل الأمة العربية ، عالم الفكر ، مجلد ١٩ ، ع ٢ ، الكويت ، ١٩٨٨ ، ص ص ٥ ـ ١٥ .

ومادام طريق الإصلاح يبدأ بالتعليم والتربية ويعول عليهما ، فإن أول ما يجب الأخذ به ـ فى تصورنا ـ هو إيجاد حل لمشكلة ازدواجية التعليم فى العالم الإسلامى ، والمتمثل فى نظامين أحدهما دينى والآخر « علمانى » ، وذلك عن طريق المزج الكامل بين علوم الدين الإسلامى ومناهج العلم الحديث ، بمعنى أن تأتى المناهج التعليمية ، بما فيها مناهج العلوم الكونية والتقنية ، من واقع تصور إسلامى صحيح ينطلق من الاهتمام بتكوين عقلية إسلامية تنبذ التلقين والتقليد الأعمى ، وتعتز بحاستها النقدية واستقلالها الفكرى ، وتؤمن بأن ما وصلت إليه الحضارة المعاصرة من علوم وتقنيات ما هو إلا امتداد طبيعى لما حققته الحضارة الإسلامية التى كانت بدورها امتداداً لحضارات قديمة أقل نضجاً ، ومن ثم فليس هناك تناقض بين علوم الغرب المعاصرة وبين المناخ الفكرى الإسلامى ، على أن تعاد صياغة هذه العلوم ، المعارف ، ويفاد من تطبيقاتها وتقنياتها ، فى إطار إيمانى إسلامى يربطها بجذورها الإسلامية .

ولا يمكن الاطمئنان إلى علاج ناجع لظاهرة الازدواج التعليمى دون اعتماد اللغة العربية لغة للعلوم والتقنية فى جميع مراحل التعليم ، بما فيها مراحل التعليم العالى والدراسات العليا . فاللغة صورة من حياة أصحابها ، ترقى برقيِّهم وتنحط بانحطاطهم . وانطلاقاً من مقولة أن اللغة القومية هى محور التعليم العام ، فإن أهل الاختصاص يؤكدون دورها الفعال فى نمو الفرد وتنمية ولائه لها ، بوصفها أبرز متطلبات الثقافة القومية والتواصل الثقافى ، وباعتبارها ـ أيضاً ـ أداة التعلم ووسيلة التعليم فى كل الأنظمة المعرفية أو مجالات المعرفة التى يتعرض لها الطلاب فى التعليم العام . ومن شأن اتقان اللغة القومية أن يجعل الفرد قادراً على التواصل مع أبناء ثقافته بصورة يتخطى فيها حدود الزمان والمكان ، وأن يساعده على استيعاب التراث الخاص بأمته فى مختلف مجالات المعرفة [٦] ، ولقد قدَّر الله تعالى للغة العربية أن تكون وعاء الإسلام الحنيف ، تنتشر معه فى كل ربوع الأرض ، وتندفع بفضله إلى ارتياد آفاق العلوم ، ولم يطرأ عليها ما يخلع عنها هذا الثوب الذى كساها به الإسلام ، فهى لغة صالحة لتكون لغة العالمين ، صلاح الإسلام ليكون ديناً للعالمين .

ومرة أخرى نقول : إن لنا فى أسلافنا أسوة حسنة ، لقد وجدوا فى تراث من سبقوهم ما يمكن قراءته قراءة إسلامية ، واستطاعوا أن يقدموا علوماً وفنوناً وحضارة لها قيمتها العظيمة إلى الحد الذى جعلهم رواداً للطلائع الفكرية التى انتهت بأوروبا الحديثة إلى النهضة ، وكانت اللغة العربية آنذاك لغة دولية للعلم والحضارة ، بل إنها تركت آثاراً على لغات أخرى غربية . لماذا إذن لا نفعل كما فعل أسلافنا ؟ لماذا نقلنا عن الغرب أسماء لننزع عنها مضمونها ، ثم نطلقها على شىء عندنا ، مما قد يشبه ذلك المضمون لكنه ليس إياه ؟ وهذا خلط فكرى ، أو ننقل عنهم مضمونا فكرياً ثم نعطيه من عندنا اسماً يوهمنا بأن المضمون المنقول هو من غرسنا ؟ وهذا نفاق وغش فكرى ، أو ننقل عنهم شيئاً ما ، كالتقنية ، نقلاً أعمى نحاكى فيه القردة التى تقلد ما تراه حركة حركة ، ولا نراعى فيه هويتنا ومقوماتنا وأصول عقيدتنا ؟ وهذه ثالثة الأثافى ..!!

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [٧] .

« صدق الله العظيم »

---

(٦) أحمد المهدى عبدالحليم ، « نحو اتجاهات حديثة فى سياسة التعليم العام وبرامجه ومناهجه » ، عالم الفكر ، مجلد ١٩ ، ع ٢ ، الكويت ١٩٨٨ ، ص ص ١٧ ـ ٤٨ .

(٧) سورة آل عمران : ٨

الأمواج الكهرومغناطيسية

إعداد: أستاذ دكتور
محمد عبد الرحمن سلامة

إن دراسة الأمواج الكهرومغناطيسية واستخداماتها تتطور كل يوم وتساعد المعرفة المتعمقة لخواصها على التوصل لتطبيقات جديدة تتوالى بلا انقطاع فى مختلف المجالات .

ويرجع الفضل فى اكتشاف الأمواج الكهرومغناطيسية للعالم الإنجليزى « جيمس ماكسويل » (١٨٣١ - ١٨٧٩) الذى تمكن من صياغة معادلاته المعروفة لوصف خصائص هذه الأمواج .

ثم تمكن العالم الألمانى هرتز (١٨٥٧ - ١٨٩٤) من التوصل إلى توليد أمواج كهرومغناطيسية بواسطة ذبذبات كهربية متناهية فى السرعة ، ولها نفس الخواص التى عرَّفها ماكسويل ، ثم جاء بعد ذلك العالم الإيطالى « اوجست ريجى » الذى اجرى عدة تجارب تقليدية ساعدته على تعريف تلك الأمواج بمزيد من الدقة . واخيراً جاء « جوليلمو ماركونى » (١٨٩٤ - ١٩٣٧) الذى وضع تلك الأمواج موضع التطبيق العملى فى صناعة جهاز للاتصال « اللاسلكى » .

وقد اوضحت التجارب أن الأمواج الكهرومغناطيسية تتكون من مجالات كهربية ومغناطيسية مترددة وتنتشر فى كل الاتجاهات خلال الفراغ والأوساط المادية على عكس الأمواج الصوتية التى تنتشر فقط خلال الأوساط المادية . وبصورة عامة فإن موجات الإشعاع الكهرومغناطيسى تنتقل بنفس السرعة دائما (سرعة الضوء = ٣٠٠,٠٠٠ كم / ث) وترتبط السرعة مع التردد والطول الموجى فى علاقة بسيطة على الصورة : السرعة = التردد × الطول الموجى . ويمثل (شكل ١) مختلف انواع الأمواج الكهرومغناطيسية ومراتبها فى الطيف الكهرومغناطيسى .

ويطلق على الأشعة فوق البنفسجية والضوء المرئى والأشعة تحت الحمراء مجتمعة اسم « الأشعة الضوئية » ، وأحيانا تعرف حزمة الطيف ذات الأطوال الموجية التى تقل عن ١٠٠ نانوميتر (واحد نانوميتر = ١٠$^{-٩}$ متر) بمنطقة الإشعاع المؤين والمنطقة ذات الأطوال الموجية التى تزيد على ١٠٠ نانوميتر تعرف بحزمة

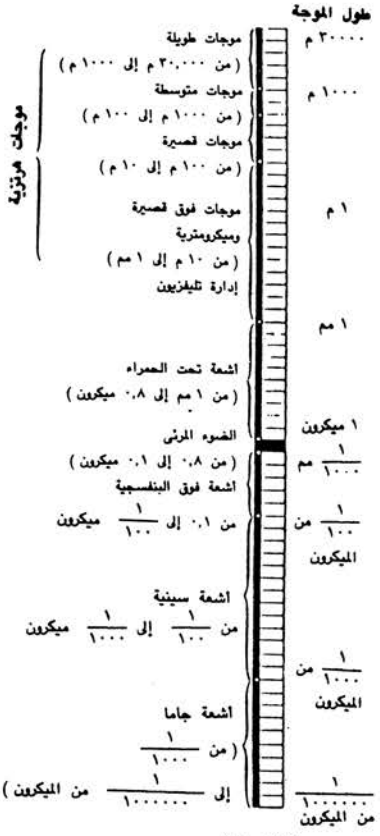

(شكل ١)

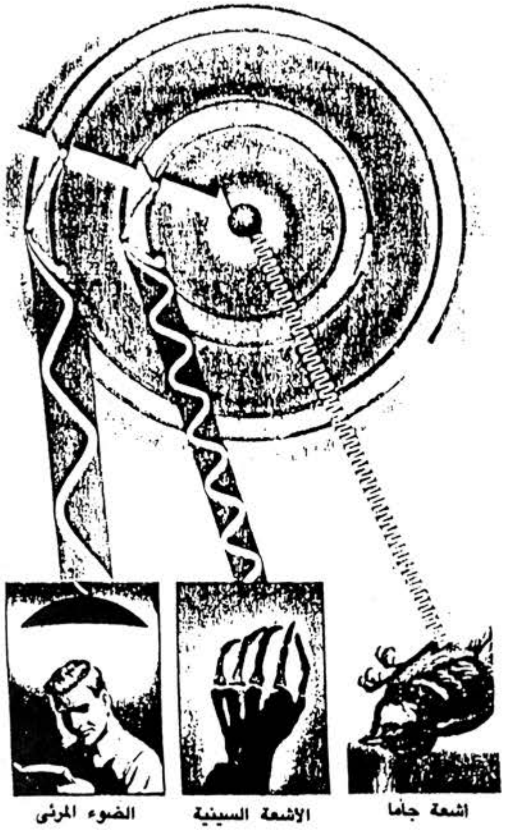

(شكل ٢)

مختلف انواع الموجات الكهرومغناطيسية ومراتبها والطيف

الإشعاع غير المؤين . وهذه المسميات تعتبر مفيدة لهؤلاء الذين يرغبون فى التمييز بين التأثيرات البيولوجية للأنواع المختلفة من الإشعاع .

ولتوضيح كيفية تولد الموجات الكهرومغناطيسية نسوق على سبيل المثال حالة توليد الموجات الهرتزية المستخدمة فى الإرسال الإذاعى والتليفزيونى والتى يتم الحصول عليها بواسطة (المذبذبات)* غير أن بعض الأمواج الكهرومغناطيسية قد تتولد فى مادة الخامة نفسها ، ويرجع مصدر هذه الموجات إلى ذرات المادة باعتبارها المجال الدائم الذى تتحرك فيه

* المذبذبات : اجهزة تتولد فيها حركة سريعة ومتغيرة لشحنات كهربية ، أو بعبارة أخرى حركة تدفق وانتشار للكهارب فى اتجاهات متضادة .

الأمــواج الكهرومغناطيسية

الالكترونات . ذلك أن كل ذرة تتكون من (نواة) و (الكترون) أو عدة (الكترونات) ويتحرك كل (الكترون) فى مسار مختلف فى بعده عن النواة ، وكلما كان المسار بعيداً عن النواة كانت طاقة الالكترون الذى يسير فيه أكبر ، وعندما تستقبل الذرة قدرا من الطاقة (على شكل حرارة أو تيار كهربى) فإن (الكتروناتها) تسرع فى حركتها وتتخذ لها مسارات أكثر بعدا عن النواة (أى ذات طاقة أكبر) وعندئذ تطرأ على الذرة المثارة حالة من النشاط الزائد ، وينتج عن ذلك فى وقت قصير للغاية أن يقفز الالكترون مرة أخرى إلى مساره الطبيعى ، وهذه القفزة تولد طاقة على شكل موجات كهرومغناطيسية تؤكد بالتالى إعادة التوازن للذرة ، وكلما قفزت الالكترونات عدداً أكبر من المسارات ، وكانت على مسارات أكثر بعداً عن النواة ؛ فإن الطاقات الممتصة ثم المنبعثة تتزايد فى حين أن طول الموجات المتولدة يتناقص ، وهكذا تنتقل الموجات من الأشعة الحرارية (تحت الحمراء) الناتجة من قفزات الالكترونات الأبعد عن النواة إلى الأشعة الضوئية فالأشعة السينية وأخيراً إلى (اشعة جاما) وهذه الأشعة الأخيرة تبعثها نواة الذرة نفسها عندما تستثار أو تتفتت .

ويمثل (شكل ٢) رسما توضيحيا لكيفية انبعاث بعض الأمواج الكهرومغناطيسية فى صورها المختلفة من إحدى ذرات المادة .

ويمكن التعريف بمختلف أنواع الموجات الكهرومغناطيسية ومراتبها فى الطيف على النحو التالى :

(١) الأمواج الهرتزية :

إذا نظرنا إلى الأمواج الهرتزية فإننا نجد أن أطوالها تتراوح بين الأمواج الطويلة والمتوسطة والقصيرة المستخدمة فى الاتصالات والإرسال الإذاعى .

وفى بداية العهد بالتلغراف واللاسلكى كانت تستخدم الأمواج الطويلة (من ٣٠,٠٠٠ إلى ١٠٠٠ م تقريبا) وذلك لأنه كان من المعتقد أن تلك الأمواج هى الأنسب للإرسال البعيد نظراً لأنها تنطلق على طول سطح الكرة الأرضية وتجد مجالا مواتيا لسريانها فى طبقات الجو الأكثر كثافة ، وهى الطبقات الأقرب إلى الأرض .

أما إذا نظرنا للأمواج المتوسطة ذات المدى (من ١٠٠٠ إلى ١٠٠ م) فإننا نلاحظ أنها تبعد اكثر فى مسارها عن سطح الأرض فى حين نجد أن الأمواج القصيرة من ١٠٠ إلى ١٠ م) والأمواج فوق القصيرة من (١٠ م إلى ١ م) ترتفع فى خطوط مستقيمة . وقد ظلت الأمواج القصيرة غير مستخدمة زمنا طويلا ، إذ انه كان يُخشى أن تضيع فى الفضاء ، وكان هذا هو السبب الذى جعلها توهب دون قيد لهواة الاتصال بالراديو ، غير أنه لوحظ أن هؤلاء الهواة يُغطون بتلك الأمواج القصيرة مجالات الاتصال ، وسرعان ما عرف السبب : فالأمواج القصيرة ترتفع فى الفضاء إلى مسافة من ٨٠ إلى ١٠٠ كم . وهناك تقابل طبقة هوائية متأينة تعرف بطبقة « كينلى ـ هيفيسايد » فترتد فى صورة أمواج إلى الأرض لتعود منها مرة ثانية إلى الهواء ، وهكذا تدور حول الكرة الأرضية بأكملها . ومن البديهى انه لا يمكن التقاط هذه الأمواج من مسافات بعيدة إلا إذا كانت المحطات التى ترسلها قوية بدرجة كافية . ومن المعروف أن معظم الإرسال الإذاعى واللاسلكى فى الوقت الحاضر يتم عبر المحيطات بواسطة الأمواج القصيرة .

ومن الجدير بالذكر أن الطبقة الهوائية التى تعكس الأمواج القصيرة تبدو ، وكأنها غطاء معدنى كبير ، وتسمح فى نفس الوقت بمرور الأمواج فوق القصيرة فمن المعروف أن الأمواج

التى طولها بضعة أمتار أو بضعة سنتيمترات لا تنتشر إلا فى اتجاه رأسى بالنسبة للهوائى ثم تضيع فى الفضاء الكونى . وإذا هى وجهت نحو الأرض فإنها تتخذ مسارها فى خط مستقيم إلى أن تقابل عائقا طبيعيا (سلسلة جبلية مثلا) فتصطدم به ثم ترتد بطريقة الأمواج الصوتية عندما ترتد على هيئة صدى . وتستخدم الأمواج فوق القصيرة فى الإرسال التليفزيونى ، لذلك فإننا نلاحظ أن هوائيات محطات الإرسال لم تكن تستطيع إرسال الصورة إلى أجهزة الاستقبال التى توجد خلف موانع طبيعية . وقد أمكن التغلب على هذه الصعوبة بابتكار فنى رائع تمثل فى تحقيق الاتصال المرئى عبر القارات لأول مرة فى شهر يوليو ١٩٦٢ بواسطة (التلستار) ، وهو أول قمر صناعى يستخدم فى الاتصال وحديثا أمكن استخدام الأمواج السنتيمترية (هى التى لا يزيد طولها على بضعة سنتيمترات) فى أجهزة الرادار ، حيث نجد أن الأمواج التى يطلقها جهاز الإرسال تأخذ مساراً مستقيما حتى إذا ما واجهت عائقا كطائرة مثلا فإنها ترتد إلى محطة الإرسال على شكل صدى ، وبذلك تظهر الطائرة على هيئة بقعة تتحرك فوق شاشة تشبه شاشة التليفزيون .

(٢) أمواج الميكروويف

وهى الأمواج التى يقع ترددها فى المدى من (٣٠٠ ميجا سيكل) إلى (٣٠٠ جيكاسيكل) ومن المعروف عن أمواج الراديو وأمواج الميكروويف أنها إشعاعات ذات خاصية غير مؤينة ، حيث أن طاقتها المنخفضة جدا لا تكفى لإحداث تأين فى المادة . وتدخل أمواج الميكروويف وأمواج الراديو فى كثير من التطبيقات التكنولوجية الحديثة مثل عمليات صهر المعادن واللحام والتجفيف واللصق وإنتاج البلاستيك والتعقيم . وقد أوضحت الدراسات أن أشعة الميكروويف لها بعض التأثيرات الضارة على صحة الإنسان تظهر أعراضها فى صورة الصداع والقلق النفسى والأرق وعدم القدرة على التركيز والشعور بالإعياء بصفة عامة . وقد ثبت أن التعرض لأشعة الميكروويف يمكن أن يكون له تأثير على إصابة العين بالمياه البيضاء (كتراكت) إذا تعرضت العين إلى هذه الأشعة بكثافات عالية تصل إلى ١٠٠ مللى ووات / سم ..

(٣) أمواج الأشعة تحت الحمراء

ويطلق على الأشعة الحمراء اسم « الأشعة الحرارية » أو « الحرارة الإشعاعية » والواقع أن هذه الأمواج تشع حرارة ليس فقط خلال الهواء بل خلال الفراغ .

فالحرارة التى تصلنا من الشمس حرارة إشعاعية ناتجة من الأشعة تحت الحمراء التى تخترق الفضاء . والأشعة الحمراء لا توجد فى طيف الضوء الأبيض للشمس فحسب ولكنها تنبعث أيضا من جميع أجهزة التدفئة (المواقد والدفايات .... الخ) وحزمة الأشعة الحرارية يتراوح طول أمواجها من حوالى ١ مم إلى ٠,٨ ميكرون (الميكرون يساوى جزءاً من ألف جزء من المليمتر) وتستخدم الأشعة تحت الحمراء فى كثير من التطبيقات التكنولوجية فى الوقت الحاضر خاصة فى مجال الاستخدامات العسكرية .

(٤) الضوء المرئى :

وهو الذى تدركه العين البشرية ويتكون من ألوان الطيف التى نشاهدها فى « قوس قزح » . من الأحمر (٠,٨ ميكرون) إلى البنفسجى (٠,٤ ميكرون) .

(٥) الأشعة فوق البنفسجية :

تلى الأشعة فوق البنفسجية منطقة اللون البنفسجى عند طرف الضوء المرئى فى الطيف الكهرومغناطيسى ويبلغ مدى الطول الموجى لها

من ٠,٤ ميكرون إلى ٠,١ ميكرون .

ويمكن توليد هذه الأشعة صناعيا بطرق مختلفة من أمثلتها مصابيح « بخار الزئبق » المعروفة .

ويمكن تقسيم طيف الأشعة فوق البنفسجية إلى المناطق الآتية والتى يسبب كل منها تأثيرات بيولوجية مختلفة :

أشعة فوق البنفسجية (أ) (٠,٣٢ ـ ٠,٤ ميكرون) وتعرف بمنطقة « الإشعاع الأسود » .

أشعة فوق البنفسجية (ب) (٠,٢٨ ـ ٠,٣٢ ميكرون وتعرف بمنطقة (الإشعاع الشمسى الحارق) .

أشعة فوق البنفسجية (ج) (٠,٢ ـ ٠,٢٨ ميكرون) وتعرف بمنطقة (إشعاع العلاج الطبى) .

لقد أثبتت الدراسات أن للأشعة فوق البنفسجية تأثيرات بيولوجية خاصة على العين والجلد . إن التأثيرات البيولوجية الحادة لهذه الأشعة على العين ، تتمثل فى سرطان ملتحمة العين ، وأحيانا المياه البيضاء (كتراكت) . أما التأثيرات الحادة على الجلد فإنها تتمثل فى حروق الشمس والتى إذا كانت شديدة بدرجة كافية ، يمكن أن تؤدى إلى تحطيم سطح الجلد مسببة التهابات وحروقا من الدرجة الثانية . إن التغيرات المزمنة فى الجلد نتيجة التعرض للأشعة فوق البنفسجية يمكن أن ينتج عنه أورام الجلد السرطانية . وعلى الناحية الأخرى فقد أوضحت الدراسات أن التأثيرات الطبية للأشعة فوق البنفسيجة على الجلد هى المساعدة على تكوين فيتامين (د) والذى يسبب نقصه قصورا فى المقاومة الطبيعية لجسم الإنسان . وقد وجد أن الأطوال الموجية التى تقل عن ٠,٢ ميكرون ليس لها أى تأثيرات بيولوجية ملحوظة .

(٦) الأشعة السينية :

إن الأشعة السينية هى أمواج كهرومغناطيسية ذات طول موجى يتراوح بين ١٠ -⁵ إلى ١٠٠ انجستروم (الانجستروم = ١٠ -⁸ سم) .

وهذه الأشعة لها قدرة على النفاذ خلال الأجسام بكميات تتناسب وسمك الأجسام وعددها الذرى كما تتناسب أيضا مع طاقة هذه الأشعة . وتنقسم الأشعة السينية إلى نوعين :

أ ـ الأشعة السينية الناعمة :

ولها القدرة على اختراق المواد إلى سمك بسيط ويكشف عنها بالألواح الفوتوغرافية وأجهزة قياسات الإشعاعات مثل عداد جاما . وتستخدم هذه الأشعة فى التشخيص الطبى الإشعاعى للجلد والأنسجة القريبة جداً من سطح الجلد .

ب ـ الأشعة السينية العميقة :

وتستخدم فى أغراض العلاج بالإشعاع مثلها فى ذلك مثل أشعة جاما . ويتم الحصول على الأشعة السينية المستخدمة فى الفحوص الطبية بقذف هدف من معدن التنجستن بواسطة الكترونات عالية الطاقة لتوليد هذه الأشعة التى تركز فى حزمة وتوجه إلى الموقع المراد فحصه .

وتصدر أجهزة التليفزيون ، خاصة الملونة منها ، أشعة سينية ناعمة . لذلك تدرع الشاشة بزجاج خاص بغرض خفض مخاطر التعرض الإشعاعى بدرجة كبيرة .

(٧) اشعة جاما :

وهى شكل من أشكال الإشعاع الكهرومغناطيسى يشبه الأشعة السينية والضوء وموجات الراديو ، ولكنها تقع فى جزء مختلف من الطيف وذات أطوال موجية قصيرة جداً تتراوح بين ٣ × ١٠ -⁸ سم إلى ١٠ -¹¹ سم أو أقل . وهذه الإشعاعات منشؤها نواة الذرة ، ولها قدرة اختراقية عالية وعموما يمكن أن تمر إشعاعات جاما خلال الجسم البشرى ، ولكنها غالبا ماتمتص بالكامل بواسطة سمك من الخرسانة المسلحة يساوى مترا واحداً .

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد : د. نجوى السيد أحمد

طريقة مصرية جديدة للكشف عن المياه الجوفية .

استخدمت فى مصر لأول مرة طريقة جديدة لتحديد مناطق وجود المياه الجوفية باستخدام الحس الإشعاعى للإنسان ، وذلك باستخدام قضيبين من المعدن ملتصقين ومزودين بإبرة معدنية فى نقطة التصاقهما تستقبل الإشعاع المنبعث من الأرض . ويؤثر هذا على الأعصاب فتحدث ذبذبة فى الجسم يمكن عن طريقها التعرف على أماكن تواجد المياه الجوفية بدقة شديدة . وتعتمد هذه الذبذبات على تغير كمية الإشعاع من طبقات صلبة إلى مائية مما يتسبب فى وقوع الإبرة على الأرض ليدل على مكان المياه الجوفية .

جهاز لقياس الذكاء

قام معهد الطب النفسى البريطانى بابتكار جهاز لقياس الذكاء . وتتمثل طريقة عمل الجهاز فى إظهار خطين بطولين مختلفين يختفيان عن الأنظار بسرعة وعلى الشخص المفحوص أن يحكم من منهما الأطول وكلما قصرت المدة التى يظهر فيها الخطان صعبت هذه المهمة . والفكرة هى أن الجهاز يقيس الحد الأدنى من الزمن لظهور الخطين على الشاشة الذى يتمكن فيه الشخص المفحوص من إعطاء الجواب الصحيح فى كل مرة . وقد جاء هذا الابتكار نتيجة أبحاث أجريت فى السبعينيات على الفطنة البصرية وبينت أن هذه المقدرة تعتمد على الذكاء .

****

كشف علمى مثير للتحكم فى الأمواج الكهرومغناطيسية .

حقق فريق عمل فرنسى إنجازا علمياً هاماً عندما تمكن من استخدام البللور لتحويل الأشعة تحت الحمراء غير المرئية إلى ضوء أخضر مرئى . وقد تم التوصل لهذه النتيجة المذهلة فى الحصول على محول للتردد الكهرومغناطيسى عند إنتاج

• باحثة بالمركز القومى للبحوث .

الجديد فى العلم والتقنية

بللورات من فوسفات البوتاسيوم والتيتانيوم فى فرن مرتفع الحرارة وعند انخفاض درجة حرارة البللور تبين أنه يلعب دورا مضاعفا للتردد إذ يحول الإشعاع تحت الأحمر الذى يصوره ليزر صلب (بتردد ٢,٨ × ١٠^١٤ هرتز) إلى إشعاع أخضر بتردد (٥,٦ × ١٠^١٤ هرتز) . ويثير هذا الإنجاز اهتمام الجراحين الذين سيصبح فى مقدورهم استعمال ترددين اثنين بدلا من تردد واحد لدى تدميرهم الأورام .

****

ساعة شمسية شاملة .

تم ابتكار ساعة شمسية جديدة تعطى الوقت الرسمى فى كافة دول العالم بدقة . وتتميز هذه الساعة بأنها سهلة القراءة طيلة النهار وخلال كافة ايام السنة سواء وضعت فى داخل الغرفة أم فى خارجها ويمكن صنعها بحجوم مختلفة .

****

دواء جديد لعلاج سرطان الدم .

توصل العلماء الأمريكيون إلى دواء لعلاج سرطان الدم (اللوكيميا) وذلك عن طريق إعادة الخلايا التى تتكاثر بشكل عشوائى إلى خلايا عادية مرة أخرى . أدى العلاج إلى تحسن تام فى حالة ٢٠ مريضا من بين ٢٣ مريضا تم تجربة الدواء عليهم . ويذكر أن خلايا الدم البيضاء تنمو عادة ثم تهدم وتموت ، ولكن فى حالة « اللوكيميا » فإن هذه الخلايا تظل فى حالة غير ناضجة ، ومن ثم تظل تنقسم وتتزايد وتزاحم الخلايا البيضاء العادية التى تكافح جراثيم الأمراض وخلايا الدم الحمراء التى تحمل الاكسجين . والعقار الجديد يؤدى إلى إمكانية أن تهدم تلك الخلايا المريضة غير الناضجة وتموت كالخلايا العادية تماماً .

****

رادار طائر لمراقبة التهريب .

أدخلت الجمارك الأمريكية فى خدمتها سلاحاً جديداً لمكافحة المخدرات وهو عبارة عن طائرة إنذار جوى مبكر مخصصة لكشف ومراقبة مئات الطائرات الصغيرة المستعملة فى تهريب المخدرات . هذه الطائرة مجهزة برادار كبير المدى مثبت فوق الطائرة ويبلغ قطره ٧,٣ متر وهو قادر على المسح بزاوية ٣٦٠ درجة ولا تستطيع أى طائرة أن تؤثر على حزمته الرادارية .

****

من الفوائد الطبية للحلبة .

تحتوى الحلبة على مادة الصابونين وهى مضادة للالتهابات ومقوية وملينة للأمعاء . ويفيد مغلى الحلبة فى علاج أمراض الصدر المزمنة والسعال والربو وضيق التنفس . ويفيد أيضا فى حالات فقر الدم وضعف البنية وفقدان الشهية . كما يستعمل مغلى الحلبة أو مسحوقها فى علاج مرضى البول السكرى وتساعد على شفاء الجروح فيهم .

٩ـ دراسة حول المادة الشمعية فى الأذن.

أكد الباحثون بمعهد جون هوبكنز بولاية ميريلاند الأمريكية أن الأطفال وصغار السن الذين تتراوح أعمارهم حول العاشرة لديهم مناعة كبيرة ضد التهابات وآلام الأذن نتيجة لإفرازها الزيوت الطبيعية المسئولة عن تكون المواد الشمعية التى تحمى الأذن . وحذر العلماء مرضى السكر من إهمال علاج أى آلام أو التهابات يشعرون بها فى الأذن ، حيث أنها تسبب نقل هذه الالتهابات لعظام الغضاريف بالأذن وبالتالى تصل إلى الأنسجة الموجودة داخل الرأس وتؤثر عليها . وتؤكد الدراسة أن الماء والصابون يعملان على إذابة الزيوت الطبيعية بالأذن وبالتالى تفقد حصانتها ضد العدوى أو الإصابة بالأمراض .

****

اكتشاف بركان فى قاع المحيط الهادى.

عثر الجيوفيزيائيون الأمريكيون على تدفق هائل من الحمم البركانية فى قاع المحيط الهادى بقى غير معروف حتى الآن . وأشارت حساباتهم إلى أن حجم هذه الحمم يبلغ ١٥ كيلو مترا مكعبا ، أى ما يكفى لتغطية كل طرق الولايات المتحدة بغطاء سماكته عشرة أمتار . وتشير المقارنة إلى أن حجم تدفق الحمم هذا يساوى ثلاثة أضعاف متوسط ماتقذف به كل براكين الأرض فى سنة واحدة .

مشيخة علماء أسيوط ـ بقية

حدائقه فيحاء واسعة الأرجاء يقوم فى وسطها ثلاث عمائر شاهقات بديعات جميلات .

فإلى اليمين بعد أن تجاوز السور بنحو ستين مترا نجد قسم الدراسة وهو مؤلف من طابقين ، أما الطابق الثانى ففيه : قاعة كبرى للمحاضرات والسينما تتسع لثلاثمائة شخص ، وفيه ١٥ حجرة للدراسة .

فإذا قطعت عشرة أمتار بعد مبنى الدراسة وجدت مبنى المساكن (القسم الداخلى) وهو عمارة شاهقة ، مؤلفة من ثلاثة أدوار ، ويشترى فى الدورين الثانى والثالث أربعة عنابر واسعة فى كل منهما فى كل عنبر من السرر خمسون سريرا ، لكل طالب سرير ، ويتبع كل سرير دولاب خاص لصاحبه ، يضع فيه كتبه وملابسه ويتبع ذلك حجرات للمراقبين وللخدم ودورات مياه على أحدث نظام .

ويقابل العمارة من الجهة الشرقية مسجد المعهد وإنه ليعد تحفة فنية نادرة فى هندسته ونظامه ، وهو مفروش بالسجاد المصرى الفاخر ويتسع لنحو خمسمائة من المصلين .

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

الاستقامة

لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه
رواه الأمام احمد عن انس رضى الله عنه

« إنى لا أذل العلم »

بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلى والى « بخارى » إلى محمد بن إسماعيل ، أن احمل إلى « كتاب الجامع والتاريخ » لأسمع منك .

فقال محمد بن إسماعيل لرسوله ، قل له : إنى لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين ، فإن كانت له حاجة إلى شىء منه فليحضرنى فى مسجدى أو فى دارى ؛ فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من المجلس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة . إنى لا أكتم العلم : فكان سبب الوحشة بينهما .

« أخى »

إنك لن تستطيع أن تمنع طيور الهم من التحليق فوق رأسك ؛ لكنك تستطيع أن تمنعها من التعشيش داخل رأسك .

« إذا رأيت »

إذا رأيت الحكام يتنافسُون فى العدالة ، ويجتنبون الفسوق والجهل فتلك نعمة طائلة .

وإذا رأيت الجور فاشيا ، والعدل منكرا فتلك نعمة زائلة .

وإذا رأيت الإمام يجمع بين العدل والجور فى ولايته فتلك فتنة .

« الجهاد ضربان »

كان العز بن عبد السلام يقول للسلطان نجم الدين حين أكرم وفادته ، وطلب منه المهادنة : الجهاد ضربان : ضرب بالجدل والبيان ، وضرب بالسيف والسنان ، وسلاح العالم علمه ولسانه كما أن سلاح الملك سيفه وسنانه .. وكما لايجوز للملوك إغماد أسلحتهم ، لايجوز للعلماء إغماد ألسنتهم .

« وصية »

أوصى الخليفة عبد الملك بن مروان بنيه عند وفاته قائلا :

أوصيكم بتقوى الله ، فإنها عصمة باقية ، وجنة واقية ، فالتقوى خير زاد ، وأفضل فى المعاد ، وهى أحصن كهف ، وليعطف الكبير منكم على الصغير ، وليعرف الصغير حق الكبير ، مع سلامة الصدور ، والأخذ بجميل الأمور ، وإياكم والبغى والتحاسد فبهما هلك الملوك الماضون ، وذو العز المكين .

« كناية .. ودعابة »

سئل ابن سيرين عن رجل .
فقال : توفى البارحة ، فلما رأى جزع السائل قال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ وإنما أردت بالوفاة النوم .

« الإقلال »

قيل : الغنى فى الغربة وطن ، والمقِلُّ فى أهله غريب .

وفيه قال الشاعر :

لعمرى ما الغريب بذى التنائى
ولكن المقل هو الغريب
إذا ما المرء أَعْوَزَ ضاق ذرعا
بحاجته وأبعده القريب

« نصيحة »

قال بعض الحكماء لبنيه : لاتعادوا أحداً وإن ظننتم أنه لايضركم ، ولاتزهدوا فى صداقة أحد وإن ظننتم أنه لاينفعكم ؛ فإنكم لاتدرون متى تخافون عداوة العدو ولا متى ترجون صداقة الصديق ؟

« الحب الكاذب »

قال أحد الحكماء :

١ ـ من ادعى أنه يحب الله ولم يتورع عن محارمه فهو كذاب .

٢ ـ ومن ادعى أنه يحب رسول الله ﷺ ولم يعمل بسنته فهو كذاب .

« ثقة فى الله »

كان خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ لايبدأ معركة قبل أن يخير عدوه بين الاستسلام أو الحرب حسب تعاليم الإسلام ـ فيقول : إن معى رجالاً يحبون الموت كما تحبون الحياة فإن أبوا إلا القتال قال لهم : لو كنتم فى السماء لرفعنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا .

« صاحب المال »

من أقوال العباس ـ رضى الله عنه ـ الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء خطؤه صواب وسيئاته حسنات .

أما المفلس فهو عندهم أكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص ، لايسلم عليه إذا قدم ولا يسأل عنه إذا غاب ، إن حضر إزدروه وإن غضب صفعوه .

« دعاء »

اللهم طيبنا للقائك ، وأهلنا لولائك وأدخلنا مع المرحومين من أوليائك وتوفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين .

٢

شرك العقيدة وشرك العمل

لصاحب الفضيلة
الشيخ محمد محمد المدنى

إعداد وتقديم عبد الفتاح حسين الزيات

حين نتلو كتاب الله حق تلاوته ، ونقرا سنة نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى تمعن يستبين لنا المنهج السليم للعقيدة الصحيحة .

غير أن العالم المعاصر يتعرض فى هذه الفترة من التاريخ لتيارات فكرية متعددة وإلى تغير اساسى فى كثير من النظم والتقاليد التى تظهر لنا من وقت لآخر ، والعالم الإسلامى باعتباره صاحب عقيدة يدور شطر منها حول الترغيب والترهيب ، تعرض هو الآخر لهذا التيار الفكرى الجديد الذى يهب عليه من كل جانب .

وهذا التيار الذى لايخلو دوما من حمل بعض الأفكار الغريبة عن تعاليم ديننا بغية أن يخلط علينا الأمور فنفقد التمييز ويحدث الزلل .

لذلك أصبح لزاما على المسلم أن يفكر ويتروى فى تناوله لهذه الأمور حتى لايدخل فى دائرة الشرك المنهى عنه شرعا :

قال الأستاذ رحمه الله :

لا أظن أنه بقى على ظهر البسيطة من يعتقد أن هناك إلهاً مع الله يستحق العبادة والخضوع له كما يستحقها الله جل جلاله ، ولكن هناك نوعاً من الشرك مايزال باقياً ، وهو أشد خطورة من الناحية العلمية وأكبر ضرراً على المجتمع من شرك الأوثان والكواكب والأحجار .

بيان ذلك أن الشرك بالله واتخاذ غيره إلهاً نوعان :

شرك فى العقيدة ، وشرك فى العمل .

فأما شرك العقيدة : فهو أن يعتقد الإنسان أن مع الله إلهاً آخر يستحق العبادة والطاعة ، كهؤلاء الذين كانوا يعبدون الشمس والقمر والأشجار والأحجار وغير ذلك من التماثيل ، التى كانوا يصنعونها بأيديهم ثم يخضعون لها ، ويقفون أمامها خاشعين ، ويتخيلون رضاها وغضبها ، وبركاتها ولعناتها ، فترعد فرائصهم

منها خوفاً وفَرَقاً ، ولاشك أنه لا يوجد سفه وضلال يقع به الإنسان فى التخبط والعماية كهذه العقيدة ؛ ولم نجد أحداً فى التاريخ يعتقدها إلا ذوو الأحلام الضعيفة والعقول السخيفة ، ولذلك يسخر الله منهم دائما ، ويصفهم بالجهل والعمى ، وأن لهم قلوباً لايعقلون بها ، وآذانا لايسمعون بها ، وأعيناً لايبصرون بها ، وأنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

وهذه العقيدة مودية بصاحبها فى الدنيا قبل أن تودى به فى الآخرة ، وحسبنا أن نتصور رجلا يعيش فى مجتمع مفكر ــ ولاسيما فى عصرنا الحاضر ــ وهو يؤمن فى قرارة نفسه بأن هذا الحجر أو ذاك إله يستحق منه العبادة ، ويملك له النفع والضرر ، إنه لاشك يكون فى سائر تصرفاته ذا عقلية ضئيلة ، وشخصية هزيلة ، ومثل هذا لايرجى منه أى خير ، بل هو دائماً عرضة لجميع الشرور وألوان الفساد ، ولذلك يصور الله تعالى حال الشرك به تصويراً رائعاً يمثل جميع معانى الحيرة والاضطراب والخوف والضعف والضلال فيقول : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ .

هذا هو شرك العقيدة ، وهو أول انحراف عن سواء السبيل ، وإليه يرجع كل اضطراب وكل شر وكل فساد فى هذه الحياة .

أما كونه أول انحراف عن سواء السبيل ، فذلك أن الفطر السليمة والعقول المستقيمة توحى بالإيمان بالله إيمانا صحيحاً لايخالجه شك ، ولايفسده شرك ، فإن الإنسان مفكر ، وتفكيره يهديه إلى أنه لم يوجد إلا بمؤثر ، ولايجد شيئا أمامه يمكن أن يسند إليه هذا التأثير ، بل يجد كل ما حوله من الأشياء موجداً بعد عدم مثله تماما ، فيذعن فى قرارة نفسه لهذه القوة الغيبية التى تأتى الرسل وتنزل الأديان فتسميها الإله الذى خلق الخلق ، وتفكيره يهديه أيضا إلى قضية أخرى هى قضية الوحدانية ، فيؤمن بها إيمانا عقليا عن طريق النظر فى أدلتها المعروفة فإذا انحرف الإنسان عن حكم فطرته ، وعن حكم عقله وتفكيره فى هذا الشأن الذى يتصل بالعلاقة بينه وبين خالقه وموجده ، كان ذلك أول انحراف عن سواء السبيل .

وأما كون هذا الانحراف سبب كل اضطراب ، فإنه كما ذكرنا دليل على التياث العقل ، واعوجاج الفكر ، وباعث على سوء التصرف ، ولايمكن أن يعيش امرؤ فاقد العقل سيىء التصرف عيشة سعيدة صالحة بين قوم عقلاء يعرفون مايفعلون وما يتركون .

شرك العقيدة وشرك العمل

أما شرك العمل فهو إيثار ما سوى الله على الله ، وإن اعتقدت أن الله واحد ، وأن الأمر بيده ، فإنه لايكفى أن تؤمن النفس إيمانا سلبيا داخليا بأن الله هو مالك النواصى والأقدام ، ثم لايظهر لهذا الإيمان أثر فى التصرف والعمل ، بل يظهر فى الأعمال والتصرفات عكس ذلك ، كأن الإيمان هو ذلك الزعم القلبى الخفى الذى لا روح له ، ولاحياة به ، إنما الإيمان الحق هو الذى يحول بين صاحبه وبين إثبات المنكرات واقتراف الآثام .

ولذلك يقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يقتل القاتل حين يقتل وهو مؤمن »(١) ، ويقول فى حديث آخر : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قالوا من هو يارسول الله ؟ قال الذى لايأمن جاره

(١) من حديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

بوائقه » إلى غير ذلك من الأحاديث التى تربط الإيمان الحق الذى يعبد الله به بالأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة ، وقد وصف القرآن الكريم المائلين إلى الأهواء ، المتبعين للشهوات بأوصاف العبودية لغير الله ، واتخاذ غيره إلهًا إذ يقول : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾(٣) ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾(٤) ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(٥) ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴾(٦) .

ووصفت السنة أيضاً هؤلاء بمثل ذلك فقد جاء فى بعض الأحاديث النبوية الصحيحة « تعس عبد الدينار والدرهم ، تعس عبد الخميصة » .

فهؤلاء مشركون ، وإشراكهم أضر على المجتمع من إشراك عابد الوثن ، والمعتقد فى الحجر ، لأن عابد الوثن يضر نفسه ، ويفسد حياته ، أما هؤلاء فإنهم يبثون الفساد والوهن فى صفوف المجتمع ، ويشيعون فيه الضعف والمنكر وسائر أصناف الرذيلة .

أقول هذا بمناسبة ما سرى فى مجتمعنا المصرى من فساد وأخلاق سيئة ، عمت الصغير والكبير ، وأصبح أمرها من التسليم والقبول فى المجتمع كأمر العقائد الثابتة ، ومن حاول التنفير عنها ، أو النصح بالتخلص منها ، عدّ فى قومه كالنافخ فى الرماد ، أو الضارب فى الحديد البارد ، ووجد من الناس من يلومه ، ويهجن فعله ، ويرميه بالتجاوز والاغترار .

وقد أصبحت مهمة العلماء ورجال الدين والإصلاح بذلك من المشقة والعسر بمكان ، وإلا فمن ذا الذى يستطيع أن يحول الناس عما ألفوه ، ودرجوا عليه من التعامل بغير ما شرع الله ، أو عن إباحة ما استباحوا من الحرمات باسم المدنية والحرية ، أو عن أخلاق الفجور التى منى بها الشباب ، وغض عنها الآباء والأمهات ، أو عن الفساد المتصل بالحاكمين فى الرشوة والمحسوبية ، والإهمال والتضييع ؟

إن الذى يريد أن يصلح شيئا من ذلك ، أو يحاول خلع الناس منه ؛ يُنظر إليه نظرة تعجب ، ويتهم بأنه يعيش فى زمان غير زمانه ، ويفكر بعقل غير عقول أهله ، وهكذا انقلب المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً ، واتبع الناس أهواءهم فاتخذوها آلهة ، وآثروها بالتقديم والطاعة على الله ، فليس ينفعهم أن يقولوا إنهم مؤمنون بالله رباً واحداً ، كما أنهم مؤمنون به خالقاً وموجداً .

إنى لأخشى أن يكون مجتمعنا قد آثر ما يسمونه الحرية أو المدنية على أمر الله وأحكام الله ، وإلا فقل لى بربك أيها القارىء : ما الذى يدعونا إلى التمسك بهذه الألوان الباهتة من المدنية الزائفة ، وقد أفضى بنا الأمر إلى كارثة الفضيلة والخلق ، حين هَمَّ بعض الفتيان فى حفلة أقامتها الدولة ببعض الفتيات المُجتَلبَات للرقص من أوروبا ؟

أتغرينا المدنية والرقى الكاذبان بأخلاقنا وآدابنا إلى هذا الحد ، ثم نتمسك بأخطائنا فى شأنهما تمسك المرء بعقيدته ، ونؤثرهما على الدين ؟

هذا هو الشرك بالله فى أخطر صوره ، فإياه فحاربوا أيها المؤمنون .

---

(٣) الأعراف ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٤) الكهف آية ٢٨

(٥) الفرقان ٤٣ ـ ٤٤

(٦) الروم ٢٩ .

اللغة والأدب والنقد

نظرات عصرية في القرآن الكريم

منهج ابن الأثير في تأليف كتابيه
الكامل في التاريخ وأسد الغابة
في معرفة الصحابة

مع الأدب المقارن - جواكير الحصاد في مصر

نظرات عصرية
في القرآن الكريم ٢

تأليف : محمد لطفي جمعة

ونظرات في النظرات

بقلم : السيد حسن قرون

إن اليهود بالمدينة المنورة كانوا قبيلتين كبيرتين : قريظة ، وبنى النضير ، فقريظة حالفت الأوس ، والنضير حالفت الخزرج ، وجميعهم حالفوا النبى عليه الصلاة والسلام ، فكتب دستور المدينة المعروف باسم الصحيفة ، وتاريخه السنة الثانية للهجرة .

ثم أفاض فى الحديث عن هذا الدستور وأثره الكريم وما ترتب عليه من انتصار النبى على قريش وضمان وحدة المدينة بجميع عناصرها ؛ المهاجرين والأنصار وأهل الكتاب من اليهود والمشركين من العرب الذين ليسوا لهؤلاء ولا إلى هؤلاء .

وهنا بين مكانة سورة البقرة لما ورد فيها من قواعد التشريع والسنن والآداب الإسلامية .. وكان حفاظها فى الطليعة الأولى من المسلمين كأنهم حزب سياسى ينادون فى المواقع الكبرى «ياأصحاب البقرة» ثم يشير إلى نقض الصحيفة من اليهود كأن لم يكفهم نقض مواثيق الله السالفة .

ويسير فى هذا النهج مبينا طبائعهم وسلوكهم وأنهم يحرصون على شىء واحد هو الإبقاء على حياة رجالهم ، وفى الحديث قال رسول الله ﷺ «أخذ الله على اليهود أربعة عهود ، ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة وفداء أسراهم فأعرضوا عن كل ما أقروا به إلا الفداء ، لأن حياة الرجال عندهم غالية يبذلون أى ثمن لإنقاذهم» وضرب الأمثلة بالدول التى تسير على نهجهم ، ونحن اليوم نرى ما يفعلون إزاء أسراهم ، وفى ٦ أكتوبر وحرب العبور سنة ١٩٧٣ شاهدنا حرصهم على إطلاق سراح أسراهم بكل حيلة . واقرأ من الكتاب ص ٧٤ وما تلاها .

وفى حديثه عن خلق آدم ص ١٢٢ من الكتاب قال : وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ فى الآية الأولى (من سورة النساء)

جعل بعض المفسرين يظنون أن الخلق للرجل والمرأة من روح واحد أو شخص واحد ارتكانا على بعض الأقوال الرمزية ، ونحن نميل إلى القول بأن «نفس» هنا يقصد بها من جنس واحد وهو الجنس الإنسانى ، وبعد أن ذكر معنى نفس عند العرب من أنها يقصد بها حينا الروح فيقال «خرجت نفسه» أى روحه إلى بارئها ، ولا تخفى العلاقة بين النَّفْس والنَّفَس ، والنفس الدم يقال : سالت نفسه، وفى الحديث «ما ليس له نفس سائلة فإنه لا ينجس الماء إذا مات فيه» والنفس الجسد ، ويقولون ثلاثة انفس ، فيذكرونه لأنهم يريدون به الانسان «مختار الصِّحاح» والدليل على ما قدمنا أن المقصود بالنفس هو الجنس والنوع ما ورد فى الآية ٧٢ من سورة النحل ونصها : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ .

وأنا أعتقد أن ميله هذا لا يمنع الفهم الذى اتفق عليه علماؤنا وهو أن المراد بالنفس «آدم» والدليل من نفس الآية ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ يعنى حواء ، وللزمخشرى فى كشافه تساؤل هو : «فإن قلت : علام عطف قوله ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ؟ قلت : فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها ، وإنما حذف لدلالة المعنى عليه ،والمعنى شعَّبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهى أنه أنشأها من تراب ، وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها .. والثانى أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب فى ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ للذين بعث إليهم رسول الله ﷺ ، والمعنى خلقكم من نفس آدم لأنهم من نفس الجنس المفرع عنه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما ﴿ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ .

والنفس تذكر وتؤنث ، والزوج بدون التاء أفصح .

وآية النحل ٧٢ : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ لا تمنع المراد من خلق آدم ثم خلق حواء منه لأن جعل بمعنى خلق، ولاشك أن آدم وحواء من جنس واحد وهو الإنسان ، وابن كثير يقرر هذا ولا ينسى أن أصل الإنسان نفس واحدة هى آدم ، قال ابن كثير يذكر تعالى نعمه على عبيده بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم وشكلهم ، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة والرحمة ، ولكن من رحمته خلق من بنى آدم ذكورا وإناثا وجعل الإناث ازواجا للذكور .. وكما خلق الله عيسى ـ عليه السلام ـ بلا أب خلق حواء بلا أم ، وباب المعجزات مرجعه إلى الإيمان وصدق اليقين .

و« موريس بوكا» مؤلف كتاب «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم الحديث» يقرر فى ص ١٠٥ عند الحديث عن نسب المسيح : «أن نمو المسيح فى رحم أمه قد حدث خارج قوانين الطبيعة المشتركة بين كل الكائنات البشرية ؛ فالبويضة التى انتجها مبيض أمه لم تحتج للالتقاء بحيوان منوى يأتى من أبيه ليشكل جنينا ثم طفلا قابلا للحياة ؛ إن الظاهرة التى تؤدى إلى ميلاد الكائن الحي دون تدخل من العنصر المخصب الذكر تسمى بالتلقيح الذاتى ، ويمكن ملاحظة التلقيح الذاتى فى عالم الحيوان تحت ظروف معينة وبعد أن وضح ومثَّل قال : أما المسيح فهو حالة خاصة ؛ فقد كانت مريم أمًّا عذراء وما يقال عن المسيح وحاله يقال عن آدم وحواء ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ

﴿ نظـــرات فـــى النظـــرات

مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (الآية ٥٩ من سورة آل عمران) .

ومن القضايا الكثيرة التى ذخر بها الكتاب موقف المسلم من المسلم ، يقول : وفى الآية ١٠٥ من سورة المائدة يقول تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ يعنى أمر المؤمنين بأن يصلحوا انفسهم ، ومن اصلح نفسه فلا يضيره فساد غيره ، وهذه الآية تنطوى على حكمة وآداب اجتماعية بعدم التدخل فى شئون الغير إلا بالنصيحة والموعظة الحسنة والانصراف إلى إصلاح النفس وفعل الخير والعمل بما أمر به الله ، وينفى أن يكون فى الآية معنى من معانى الأنانية وايثار السلامة والاهتمام بالنفس وعدم المبالاة بالآخرين ، كما أنه ليس فيها مستدل على ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا كان فعل ذلك ممكنا ، ومن هنا قال سعيد بن المسيب (تابعى) إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فلا يضرك من ضل إذا اهتديت ، ثم يأتى برأى الصديق حين قام وقرأ الآية ، وانكر أن توضع الآية في غير موضعها قال : «وإنى سمعت رسول الله ﷺ قال : إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه» .

ويبدو لى أن هذه الآية الكريمة شغلت الصحابة والتابعين ، فهناك اكثر من سؤال عنها من نبي الإسلام صلوات الله عليه ، وقد أجاب كل سائل عنها ، وبقيت الحيرة عند بعضهم ، وقد ذكر المرحوم محمد لطفى جمعة أن من الصحابة رضوان الله عليهم مثل ابن مسعود وابن عمر وغيرهما من يرى أن تأويل هذه الآية لم يأت بعد . أى لم يأت أوانه ، وفى تفسير الطبرى أن ابن مسعود قال : « لم يجئ تأويل هذه الآية بعد» إن القرآن انزل حيث أُنزل ومنه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزل ، ومنه آى قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله - ﷺ - ومنه آى قد وقع تأويلهن عند الساعة على ما ذكر من الساعة ومنه آى يقع تأويلهن يوم الحساب على ما ذكر من الحساب والجنة والنار ؛ فمادامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ، ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا ؛ فإذا اختلفت القلوب والأهواء والبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه ، عند ذلك جاءنا تأويل هذه الآية .

وتأويل الآية واضح فعلى الإنسان أن يراقب نفسه فى الطاعة والمعصية، وقيامه بالموعظة الحسنة ما وجد إلى ذلك سبيلا ، وهنا لايضره من خالفه ، وقد وفق إلى ذلك المؤلف كما قدمنا قوله .

وفى نظراته فى الآية ٩٠ من سورة المائدة التى جاء فيها تحريم شرب الخمر ولعب القمار وذبح القرابين على الأنصاب والاستقسام بالأزلام عقد فصلا عنوانه «حكم المواد المخدرة» ص ١٥١ من الكتاب قال : إن اجماع الفقهاء على أن المخدرات كالحشيش والأفيون والكوكايين والهيروين وغيرها من المواد المخدرة بطبيعتها أو المخلقة تأخذ حكم الخمر فى التحريم ، لأنها جميعها تخامر العقل .

ورد على الواهمين أن تلك المواد لم يرد ذكرها فى الكتاب أو السنة ، لان التحريم راجع إلى العلة التى من أجلها حرمت الخمر ؛ فكل ما خامر العقل وحجبه حرام . قال : وقد كشف الطب الحديث بما لا يدع مجالا لشك أو جدال عن أضرار أخرى جسمية يحدثها شرب الخمر فى

المعدة والكبد ، فضلاً عن الأضرار المادية التى تذهب الأموال فيما يضر ولا ينفع ، هذا علاوة على امتهان من يشرب الخمر بذهاب الحشمة والكرامة والوقار واحترام الناس . وقد أطال فى الكلام عن تحريم الخمر والمخدرات مستشهدا بالنصوص وأقوال السلف الصالح حتى عصر ابن تيمية الذى «سوى بين الخمر والمخدرات فى الحكم» فيعتبر محمد لطفى جمعة مثل الإمام مالك فى محاربته لكل مسكر ومفتر .

وفى حديثه عن «الذرة فى القرآن» قال : وقد ورد فى القرآن الكريم ذكر الذرة فى بعض الآيات لتقريب وزن أعمال البشر من خير وشر كقوله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ وقد كتب من يفعل وهو خطأ (آية ٧ ـ ٨ سورة الزلزلة) وقوله فى الآية ٢٢ من سورة سبأ : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

قال : لم يحاول المفسرون الصالحون تفسير معنى الذرة ، وفهم بعضهم أنها شىء ضئيل الوزن جداً وأن المقصود من ذكرها ليست الذرة فى ذاتها ولكن إظهار العدل الإلهى والجزاء على الخير والعقاب على الشر ، وهنا تعرض لذكر استخدام القرآن مخلوقاته فى ضرب المثل أو الاستعارة لتقريب المعانى غير أن «الذرة» لها شأن آخر ؛ فإن الله سبحانه وتعالى أراد أن يلفت نظر الإنسان العاقل إلى الذرة التى يعلم عز وجل أنها مادة تركيب الكون وعنصر بناء أجزائه .

ثم ذكر تناول العلماء لها قديما وحديثا . وفى ضحى القرن العشرين تراكمت الأدلة وتواترت الحقائق المؤيدة واستشعرت الحجج الناهضة على أن كل ذرة تشبه تمام الشبه نظاما شمسيا مصغرا جداً ، وأفاض فى شرح تلك الظاهرة التى علمنا آثارها فى مسرح الحرب والمخترعات على مدى ثلاث صفحات ختمها بقوله :

«ومما تقدم يتضح لنا إعجاز القرآن بذكر «الذرة» وما هو أصغر منها فى الآية ٢ من تلك السورة الكريمة «سبأ» ولذلك قال سبحانه فى الآية ٦ منها : ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ .

وجاء الهامش بقلم الابن :

«كتب المؤلف هذا الكلام سنة ١٩٤٢ قبل اختراع القنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية واستخدامات الطاقة الذرية فى الأغـراض السلمية» .

وكل ما كتبه عن التشريع والأحكام وقصص الأنبياء يرضى طالب الحقيقة والباحث عن وسائل الإيمان إلا أنى توقفت عند حديثه عن النمل وجند سليمان عليه السلام ، فهو يفسر قوله تعالى من سورة النمل الآية (١٧) : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ ﴾ بما لا نقوله فيقول ، ويظهر أن هذه رموز وأن الجن رجال مهرة صناع وأن الطير طرق مواصلات استثنائية وجواسيس ينشرهم فى البلاد ، وربما كان الهدهد أحدهم أو أحد الأمراء وفى الآية ١٨ يقول تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

ويقول لطفى جمعة : وأن وادى النمل هذا هو مكان آهل بالسكان مر به جيش سليمان وأنه سمع امرأة منهم تتكلم ؛ إذ ثبت بالعلم[1] أنه ليس للحيوان لغة فضلا عن أن يكون للحشرات لغة.. ونسى أننا فى إطار المعجزات هنا ، وأن سليمان

(١) ان العلم إذا تأخر فى إثبات شىء لا يعنى ذلك عدم وجوده .. المحرر

نظــرات فــى النظــرات

أعطى ملكا اختص به منه معرفته منطق الطير واستخدامه الريح والجن ، وأن ما حدث فى سورة النمل هو تطبيق لمعجزاته ، فالجن يعملون له والهدهد من قلم مخابراته ، وأنه سمع قول النملة فتبسم ضاحكا من قولها ، وأن إسلام بلقيس ورحيلها إلى سليمان لا يغض من نبوته ،

ومن الغريب أن لطفى جمعة تعب من أقوال المفسرين فى شأن بلقيس وسليمان حتى أنه استنجد بابنه رابح قائلاً : «يابنى رابح إلى اين تقودنا أقوال المفسرين» ؟

والأستاذ محمد لطفى جمعة ككل الرواد من كتاب السيرة النبوية يقعون فى أخطاء أو هفوات تتصل بنسب قريش أو أنساب العرب على العموم .

فمثلاً عند حديثه عن مسجد الضرار ص ٢٠٢ يقول : ثم تنتقل السورة «التوبة» من الآية ١٠٧ ـ ١١٠ إلى ذكر مسجد الضرار الذى أقامه أبو عامر الراهب من «قبيلة الخزرج» والحقيقة أن أبا عامر الراهب من قبيلة «الأوس» ، ففى غزوة أحد جاء من مكة مع قريش معه غلمان من الأوس ،(وكان يعد قريشا أنه لو لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يامعشر الأوس ، أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يافاسق ـ وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه رسول الله ﷺ (الفاسق) فلما سمع ردهم عليه قال : أصاب قومى ليرى شر) وقومه الأوس لا الخزرج جـ ٣ سيرة ابن هشام ص ١٩ .

ومثلا فى حديثه عن سورة المسد كان كلامه : «وابو لهب واسمه عبد العزى وهو عم النبى لأنه ابن عم لعبد المطلب فقيل تقريباً واختصارا إنه عم النبى عليه الصلاة والسلام . وهذه عادة لا تزال عند العرب أن عم الجد أو عم الأب يعد عما للحفيد أو الابن ، فمن أبوه إذن ؟

وانسب الحقيقى لأبى لهب أنه عم لرسول الله اى أنه أخو عبد الله ، وإن كان من أم غير أم عبد الله . راجع أعمام الرسول وعماته فى السيرة النبوية لابن هشام ، وفى البداية والنهاية لابن كثير ، واسد الغابة فى معرفة الصحابة وغير تلك الكتب فستجد أن أبا لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هشام وأمه لبنى امرأة من خزاعة .

وهذه الكلمات لا تخدش من جمال الكتاب وجلاله ففيه كل ما يريده المسلم ليكون على درجة من فهم أساليب القرآن وما حوى من تشريع وأحكام وآداب ووصايا .

ورحم الله محمد لطفى جمعة وأبقى لنا نجله المستشار الأستاذ رابح ليحمل الشعلة ويتولى التنوير .. والله الموفق .

الكامل فى التاريخ وأسد الغابة فى معرفة الصحابة

منهج ابن الأثير فى تأليف كتابيه

للدكتور : شكرى يوسف حسين أحمد

أولا : كتاب الكامل فى التاريخ

مؤلف هذا الكتاب القيم هو : عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن محمد الشيبانى الجزرى المعروف بابن الاثير ، وهو أحد أعلام القرنين السادس والسابع الهجريين ، فقد ولد فى (الجزيرة)[1] سنة خمس وخمسين وخمسمائة من هجرة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ونشأ بها ، وتوفى فى (الموصل)[2] فى شهر شوال سنة ثلاثين وستمائة .

وقد تربع هو واخواه على أريكة العلم والمعرفة فى زمنه ، فكان أخوه الأكبر مجد الدين إماماً فى الحديث ، وكان أخوه الأصغر ضياء الدين إماما فى اللغة والادب ، أما هو فقد انتهت إليه الرياسة فى التاريخ[3] .

---

(١) هى جزيرة ابن عمر ، ويقال لها الآن الجزيرة فقط ، وهى بلدة على الضفة اليمنى لنهر دجلة وتقع فوق الموصل ، والذى انشأ هذه المدينة وخلع عليها اسمه : الحسن بن عمر بن خطاب التغلبى ت سنة ٢٥٠ هـ ، وهذه الجزيرة يحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال ، ثم عمل بها خندق أجرى فيه الماء ونصبت عليه رحى فأحاط بها الماء من جميع جوانبها ، وهى مدينة حسنة البناء عامرة بالسكان تحيط بها بلاد خصبة وتحمل منها سفن دجلة صادراتها من العسل والزبد ، والبندق واللوز والفستق إلى الموصل . ياقوت : معجم البلدان .

(٢) الموصل : مدينة مشهورة بالعراق تتسم بكثرة الخلق وسعة الرقعة ، وهى محط رجال الركبان ، ومنها يتجه إلى جميع البلدان ، لأن القاصد إلى الشرق أو الغرب قل عدم مروره بها ، وسميت بالموصل لأنهلوصلت بين دجلة والفرات ، أو لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل : لأن الملك الذى احدثها كان يسمى الموصل ، وكان اسمها فى أيام الفرس نواردشير ، وأول من الحقها بالأمصار العظام وجعل لها ديوانا براسه ونصب عليها جسرا ، ونصب طرقاتها وبنى لها سورا هو : مروان بين محمد آخر ملوك بنى أمية ، وأبنية هذه المدينة جيدة حسنة ، بهية المنظر ، لايكاد يستعمل الخشب فى سقوفها ، وليس للموصل عيب إلا قلة بساتينها وعدم جريان الماء فى رساتيقها وشدة حرها فى الصيف ، وعظم بردها فى الشتاء . ياقوت : معجم البلدان .

(٣) السبكى ـ طبقات الشافعية ١٢٧/٢ ط دار المعرفة بيروت ـ ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ٣٣/٣ ـ ابن الأثير ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة ٧/١ ط الشعب ١٣٨٠ .

منهج ابن الأثير فى تأليف كتابيه

أما عن المنهج الذى سلكه فى تأليف هذا الكتاب : فمن يطالع المقدمة التى صدر بها كتابه الذى نحن بصدد الحديث عنه تتبين له الدوافع التى من أجلها نشط لتأليفه .

فهو قد قرأ التواريخ السابقة فوجدها ما بين مطول قد غرق فى بحر من الطرق والأسانيد .

ومختصر قد أغفل الكثير من الوقـائع والأحداث .

كذلك لاحظ أن ماكتب منها فى الشرق قد أغفل ما جرى فى الغرب ، وما كتب فى الغرب قد أغفل ماجرى فى الشرق ، فنراه يقول :

« فإنى لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها ، مؤثراً للاطلاع على الجلى من حوادثها وخافيها ، مائلا إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة فى مطاويها ، فلما تأملتها رأيتها متباينة فى تحصيل الغرض ، يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل إلى العرض ، فمن مُطوّل قد استقصى الطرق والروايات ، ومختصر قد أخل بكثير مما هو آت ، ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات، والمشهور من الكائنات ، والشرقى منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب ، والغربى قد أهمل أحوال الشرق ، فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخا متصلا إلى وقته ، يحتاج إلى مجلدات كثيرة وكتب متعددة مع مافيها من الإخلال والإملال، فلما رأيت الأمر كذلك شرعت فى تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب ، وما بينهما وأتى فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان متتابعة يتلو بعضها بعضا » [٤] .

والجدير بالذكر ما لاحظه كذلك من أن التواريخ التى سبقته قد التزمت نسق السنين ، فكانت تؤرخ للحادثة الواحدة فى أعوام كثيرة ، فتذكر جزءا منها فى سنة وتذكر جزءا آخر فى سنة أخرى وربما فصلت السنوات المتعددة بين أجزاء الحادثة الواحدة ، فتأتى مبعثرة ومفرقة تشتت ذهن القارىء وتجهده فى الملاحقة والمتابعة والدليل على ذلك ما جاء به فى كتابه الكامل فيقول :

« ورأيتهم يذكرون الحادثة الواحدة فى سنين ، ويذكرون منها فى كل شهر أشياء ، فتأتى الحادثة مقطعة لايحصل منها على غرض ، ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر ، فجمعت أنا الحادثة الواحدة فى موضع واحد ، وذكرت كل شىء منها فى أى شهر أو سنة كانت ، فأتت متناسقة متتابعة ، قد أخذ بعضها برقاب بعض »[٥] .

وواضح مما تقدم الأسباب التى نشطت همته ، وألهبت حماسته ، وجعلته يقوم بتأليف كتابه فى التاريخ ، والذى بدأه بذكر الوقت الذى ابتدىء فيه بعمل التاريخ فى الإسلام ، وأتبعه بالحديث عن الزمان فى ابتداء الخلق وماكان أوله ، ثم مضى فى حديثه فتكلم حول القلم وما خلق بعده حتى انتهى إلى آدم ، وراح بعد ذلك يستعرض الأحداث التاريخية حتى عصره الذى عاش فيه »[٦] .

ويلاحظ على هذا الكتاب أن صاحبه قد تخير مصادره ومراجعه ، فنراه قد اعتمد فى السبعة أجزاء الأولى منه . ومنذ بدايته حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، على تاريخ الطبرى ،فكان يعتمد

---

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١ ص ٢ ط بيروت سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .

(٥) ابن الأثير : الكامل ١ /٤ .

(٦) نفس المرجع من ص ١٠ إلى ص ٥٣ .

على أوضح رواياته ويكتبها بعد أن يضيف إليها ماليس فيها من الروايات الأخرى التى تضمها دفتا هذا الكتاب ، ليس هذا فحسب فقد كان يستعرض التواريخ الأخرى المشهورة ويضيف منها ماليس عند الطبرى كاعتماده على ماجاء به المسعودى [(٧)] والبلاذرى [(٨)] وابن الكلبى [(٩)] وغيرهم فى أخبارهم عن أيام العرب قبل الإسلام ، والوقائع بين قيس وتغلب فى القرن الأول الهجرى ، وغزو العرب للسند وغيرها [(١٠)] .

وكان لا يخالف هذه الطريقة إلا بالنسبة لما ينقله عما جرى بين أصحاب النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد كان فى هذه لايتجاوز

---

(٧) المسعودى : هو ابو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى من ولد عبدالله بن مسعود صاحب النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد اختلف فى نشأته الاولى ، فبينما يرى صاحب الفهرست انه من اهل المغرب نجد أن صاحب معجم الادباء يذكر انه من اهل العراق ، ويدلل على قوله هذا بما ذكره المسعودى نفسه فى مروج الذهب فيقول : وقول محمد ابن اسحاق النديم : أنه من أهل المغرب : غلط لأن المسعودى قد ذكر فى الجزء الثانى من كتابه المعروف بمروج الذهب ـ وقد عدد فضائل الاقاليم ، ووصف هواها واعتدالها ـ ثم قال : واوسط الاقاليم إقليم بابل الذى مولدنا به وإن كانت ريب الايام انأت بيننا وبينه وباعدت مسافتنا عنه ، وولدت فى قلوبنا الحنين إليه ، إذ كان وطننا ومسقطنا ، وبعد انتهائه من قوله حول هذا الامر يذكر : وهذا يدلك على أن الرجل بغدادى الأصل ، وقد انتقل إلى مصر فأقام بها ، وعلى اية حال قد ألف المسعودى كتبا عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر : كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر فى تحف الأشراف والملوك ، وكتاب ذخائر العلوم وما كان فى سالف الدهور ، وكتاب أخبار الأمم من العرب والعجم ، وكتاب أخبار الخوارج ، وكتاب اخبار الزمان ومن أباده الحدثان ، وتوفى رحمه الله سنة ٣٤٥ هـ ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٣ ص٩١ ط دار المأمون بالقاهرة ـ الطبعة الأخيرة ـ، ابن النديم : الفهرست ص ٢١٩ ط الرحمانية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ ، المسعودى : مروج الذهب حـ٢ ص ٦٥ ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م .

(٨) البلاذرى : هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذرى ، اختلف فى كنيته فقيل : أبو جعفر ، وقيل أبوبكر وابو الحسن ، كان شاعرا وكاتبا ومترجما ينقل من الفارسية إلى العربية ليس هذا فحسب ، فقد كان راوية ونسابة ، نشأ فى بغداد وولد فى أواخر القرن الثانى للهجرة ، وتقرب من المتوكل والمستعين والمعتز والذى عهد إليه بتثقيف ابنه عبدالله الشاعر المشهور ، وكان جده جابر يكتب للخصيب صاحب خراج مصر ، وللبلاذرى مؤلفات اهمها : فتوح البلدان وهو أشهر كتبه ويظهر أنه مختصر من كتاب اطول منه كان قد أخذ فى تأليفه ولم يتمه ، وسماه كتاب البلدان الكبير ثم اكتفى بهذا المختصر ، وله كتاب فى أنساب الأشراف وهو ليس مؤلفا تاريخيا متصل الحلقات ، ولكنه مجموع روايات فى إطار الأنساب ، وتوسعت حتى احتوت الأخبار والشعر والتراجم ، وقد تتلمذ هذا العالم على محمد بن سعد والمدائنى ، وسار على نهج أستاذه المدائنى ومؤلفاته خير دليل على ذلك إذ تشف عن اثر أستاذه فى نفسه ، وعن مزاج النقد فى عصره ، وتوفى رحمه الله سنة ٢٧٩ هـ ابن النديم : الفهرست ص ١٦٤ ، ياقوت : معجم الأدباء جـ ٥ ص ٩٢ ، د/محمد فضل : التاريخ وتطوره فى ديار الإسلام ص ٩٣ ط الأمانة شبرا سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م . الطبعة الأولى .

(٩) ابن الكلبى: أولا : محمد بن السائب الكلبى : هو أبوالنصر محمد بن السائب الكلبى بن بشر بن عمرو بن الحارث ابن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر ، من علماء الكوفة ، له باع كبير فى التفسير والأخبار وأيام الناس وعلم الانساب ، كان له ابن يعرف بالعباس يروى عنه ، وقال هشام ابنه : قال لى ابى : أخذت نسب قريش عن أبى صالح وأخذه ابو صالح عن عقيل بن أبى طالب ، وأخذت نسب كنده عن ابى الكناس الكندى ، وأخذت نسب معد بن عدنان عن النجار بن أوس العدوانى وتوفى رحمه الله سنة ١٤٦ هـ بالكوفة . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٣٦ ، ابن النديم : الفهرست ص ١٤٠ ثانيا : هشام بن محمد بن السائب الكلبى :

هو : أبوالمنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر ، عالم بالنسب وأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها ، أخذ عن أبيه وعن غيره من الرواة مثل عوانة بن الحكم ، وأبومخنف ، وقد ألف كتبا عديدة منها على سبيل المثال : كتاب حلف عبدالمطلب وخزاعة ، وكتاب حلف الفضول ، وكتاب المنافرات ، وكتاب أولاد الخلفاء ، وكتاب المثالب ، وكتاب ، جمهرة الجمهرة ، واختلف فى سنة وفاته والأرجح أنها كانت سنة ٢٠٦ هـ . ابن النديم : الفهرست ص ١٤١ وما بعدها ، ابن خلكان : وفيات الأعيان حـ ٥ ص ١٣١ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل ١٤/١ .

منهج ابن الأثير فى تأليف كتابه

الطبرى إلى غيره ، وحجتنا فى هذا ما جاء به فى صدر كتابه فيقول ـ

« فابتدأت بالتاريخ الكبير الذى صنفه الإمام أبو جعفر الطبرى ، إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه ، والمرجوع عند الاختلاف إليه ، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه ، لم أخل بترجمة واحدة منها ، وقد ذكر هو فى أكثر الحوادث روايات ذوات عدد ، كل رواية منها مثل التى قبلها أو أقل منها ، وربما زاد الشىء اليسير أو نقصه ، فقصدت أتم الروايات ، فنقلتها واضفت إليها من غيرها ماليس فيها ، وأودعت كل شىء مكانه ، فجاء جميع ما فى تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقا واحدا ، فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها واضفت منها إلى مانقلته من تاريخ الطبرى ماليس فيه ، ووضعت كل شىء منها موضعه ، إلا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنى لم أضف إلى مانقله أبو جعفر شيئا ، إلا مافيه زيادة بيان أو اسم إنسان ، أو ما لايطعن على أحد منهم فى نقله ، وإنما اعتمدت عليه من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقا ، والجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا »[١١] .

وبالإضافة إلى ماسبق ، فقد كان هذا العالم يترجم لكل حادثة كبيرة فى موضع واحد ولا يفرقها حسب السنين كما كان يفعل غيره ، ونسج على هذا المنوال لمن قصرت عهودهم من الملوك ، فكان يترجم لكل واحد منهم فى بداية التأريخ لعهده ، أما الحوادث الصغيرة فكان يجمعها فى نسق واحد ويترجم لها ترجمة واحدة فى آخر كل سنة ليس هذا فحسب ، بل كان يضبط الأسماءالمتفقة فى الرسم ، المختلفة فى النطق ضبطا يزيل عنها الإبهام والغموض ، ويترجم فى آخر كل سنة لمن توفى فيها من العلماء والوجهاء ، وقد كانت وجهة نظره تجاه هذه الأمور تتمثل فيما ذكره فى كتابه هذا ، فيقول : « وذكرت فى كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها ، فأما الحوادث الصغار التى لايحتمل منها كل شىء ترجمة ، فإنى أفردت لجميعها ترجمة واحدة فى آخر كل سنة ، وإذا ذكرت بعض من نبغ وملك قطرا من البلاد ولم تطل أيامه ، فإنى أذكر جميع حاله من أوله إلى آخره عند ابتداء أمره ، لأنه إذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به ، وذكرت فى آخر كل سنة من توفى فيها من مشهورى العلماء والأعيان والفضلاء ، وضبطت الأسماء المشتبهة المؤتلفة فى الخط ، المختلفة فى اللفظ الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الإشكال ، ويغنى عن الأنقاط والأشكال »[١٢] .

وعلى أية حال فقد شاء المولى ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعيش عز الدين هذا فى عصر تهافتت على المسلمين فيه الحملات المغولية من الشرق ، والحملات الصليبية من الغرب ، وكأن المسلمين قد وقعوا بين شقى الرحى ، فتأثرت عواطفه ومشاعره بهذه وتلك ، وظهرت ثمار هذا التأثر فيما جاد به قلمه السيال وهو يؤرخ لهذه الأخطار فنراه يقول فى أحداث سنة سبع عشرة وستمائة من الهجرة :

(١١) المرجع السابق جـ ١ ص ٤ .

(١٢) ابن الأثير : الكامل جـ ١ ص ٤ .

« ولقد بلى الإسلام والمسلمون فى هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم ، منها : هؤلاء التتر - قبحهم الله - أقبلوا من المشرق ففعلوا الأفعال التى يستعظمها كل من سمع بها ، وستراها مشروحة متصلة إن شاء الله تعالى ، ومنها : خروج الفرنج - لعنهم الله - من الغرب إلى الشام وقصدهم ديار مصر ، وملكهم ثغر دمياط منها ، وأشرفت ديار مصر والشام وغيرها على أن يملكوها ، لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم ، وقد ذكرناه سنة أربع عشرة وستمائة ، ومنها : أن الذى سلم من هاتين الطائفتين ، فالسيف بينهم مسلول ، والفتنة قائمة على ساق ، وقد ذكرناه أيضا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، نسأل الله أن ييسر للإسلام والمسلمين نصرا من عنده ، فإن الناصر والمعين والذاب عن الإسلام معدوم : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾[13] الرعد ١١ .

ويقول : « لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى ، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين ، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ؟ فياليت أمى لم تلدنى ، وياليتنى مت قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا إلا أنى حثنى جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ، ثم رأيت أن ترك ذلك لايجدى نفعا ، فنقول هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقت الأيام والليالى عن مثلها ، عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل : إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها ، لكان صادقا ، فإن التواريخ لم تتضمن مايقاربها ولا مايدانيها »[14] .

من أجل هذا كله كان كتاب الكامل فى التاريخ مصدرا لاسبيل إلى إغفاله ، ولا إلى غض الطرف عنه بالنسبة لكل باحث يؤرخ لهذه الحملات ، وسيظل أحد المصادر الرئيسية ، والأركان الأساسية فى التاريخ الإسلامى عامة ، وفى تاريخ الحملات المغولية والصليبية على وجه الخصوص .

يتبع

---

(١٣) ابن الأثير : الكامل : حـ ١٢ ص ٣٦٠ وما بعدها .

(١٤) ابن الأثير : الكامل : نفس الجزء ص ٣٥٨ .

مع الأدب المقارن

بواكير الحصاد فى مصر

للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

اعطى الشرق للغرب الكثير فدان له: جوته بعبقريته فى « الديوان الشرقى » الذى اغترف فيه من التراث الإسلامى حتى كَظَّ، ولم يكن هذا التراث نفسه بعيداً عن « تولستوى » او « شو » والأمر - فى تقديرى - لا يعدو ما عناه « ابن مسكويه » بقوله :

لئن تمنيتَ عيش الدهر اجمعه وان تُغاين ماوَلَّى من الحقَبِ
فانظر إلى سِيَرِ القوم الذين مَضَوْا والْحَظْ كتاباتهم من باطن الكُتُبِ

إلا أن إدمان النظر فى الكتب ليس بمأمون العواقب ؛ فقد ينجم عنه التأثر العميق بفحواها ، وتسرب بعض محتوياتها إلى أعماق قاصية المراح من اللاشعور ، بعد التمثل والاستيعاب .. وبمضى الوقت ، يحدث أن القارىء الأديب - الذى يبدع بدوره آثارا أدبية خاصة به - يحدث ان « يُفْرِزَ » ، بوعى أو بغير وعى خلال العملية الإبداعية ، نتاجه مشبعا أو مُلقحا بإثارات او نتف من نتاج الآخرين الذين أتيح له التوفر على دراسة آثارهم ، وتذوقها ، ثم نسيانها بعد ذلك .. وهنا يأتى دور الباحث فى أسس وقواعد الأدب المقارن ، ليرى مدى التأثر أو الأصالة فى هذا العمل الأدبى ، وهل يضاف إلى قائمة التجديد والابتكار ، أم إلى قائمة : الاقتباس والتقليد . ومن هذا المنعطف ، وبسببه ، نشبت المعركة بين عبد الرحمن شكرى،وصديق مرحلة (الثورة على القديم) : إبراهيم عبد القادر المازنى . فقد كان المازنى - كزميليه شكرى والعقاد - من أكثر الأدباء اطلاعا على الآداب الغربية ، عن طريق اللغة الإنجليزية ، التى كان يتقنها إتقانا تاما .. لدرجة أنه : « يستطيع أن يفتح المرجع التاريخى فى اللغة

الإنجليزية ، وأن يلخصه وهو يقرؤه ، وأن يترجمه وهو يلخصه ، وأن يكتبه على ورق الناسخة (أى الآلة الكاتبة) فى وقت واحد - وهى أربعة جهود يجمعها ذكاء المعلم النابغة فى لحظة واحدة : جهد القراءة ، وجهد التلخيص ، وجهد الترجمة ، وجهد التحضير .. كما يقول العقاد « صديق عمر المازنى ، إلى أن يستطرد العقاد قائلا : « إلا أن السرعة فى الفهم والترجمة الصحيحة ، أهون ما فى هذه الملكة النادرة ، وأقول: "النادرة" - وينبغى أن أقول: "الوحيدة فى تاريخ الآداب العالمية" ، فإننى لا أعرف فى آداب المشرق أو المغرب ، نظيرا للمازنى ، فى هذه الملكة التى أسميها بعبقرية الترجمة » . ولاشك أن العقاد - وهو من هو - قد أصاب كبد الحقيقة فى وصفه لموهبة المازنى فى دقة وروعة الترجمة ، ولعل خير شاهد على ذلك ، ترجمته الأمينة البليغة ، للرباعية التى يقول فيها (الخيام) ، بترجمة فتزجرالد الإنجليزية ، عن الفارسية :

With them the seed of Wisdom did I sow and with my own hand land Labourd it to grow,
and this was all the harvest that I reapd I came like Water, and like wind I go[1]

ويترجمها المازنى :

كم بذرنا حكمة العقل سواء وتَعهدتُ بكفِّى النماء
تأمَّلْ : ها حصادى كله جئت كالماء ، وامضى كالهواء

ونحسب أن المازنى من تأثره بالبيت الأخير ، استمد عنوان كتابيه . (قبض الريح) و(حصاد الهشيم) منه ، وعنوان كتابه الآخر الذى يدانيهما فى مغزى التسمية : (خيوط العنكبوت)[٢] .

وقد نجم عن إتقان المازنى للإنجليزية أن استوعب الكثير من عيون قصائدها ، والقصائد العالمية الأخرى المترجمة إلى الإنجليزية ، ومن ثم امتلأت مخيلته بالعديد من الصور والمعانى الشعرية المتباينة ولأنه كان إيجابيا ، أعنى سريع الاستجابة ، يقرأ ليكتب ، بحركة دائبة متوالية ؛ لأن الكتابة أصبحت حرفته وهوايته فى وقت معا ، بعد أن استقال من العمل بالتدريس ، وانقطع للكتابة والنظم ، لتحصيل معاشه .. فقد اختلط الحابل بالنابل ، وجاء كثير من قصائده حافلا وزاخرا بأخيلة أخرى ، جنبا إلى جنب مع أخيلته ، بتشابك وتلاحم عجيبين .. وفى هذا الصدد ، تقرر الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، فى رسالة الماجستير التى أعدتها عن (أدب المازنى) أنه : « مما يسترعى النظر أن المازنى حين استوحى بعض معانى شعراء الغرب ، الذين راقوه ، ونقل بعضها الآخر إلى العربية ، لم يشر إلى هذا فى حينه ، كدأبه فى تسجيل كل شىء يتعلق به ، وكما تقضى بذلك الأمانة العلمية ، والمازنى يعرف هذا جيداً ، ومن ثم فإغفاله ذكر المصدر الذى اقتبس منه ، لم يكن سهوا عارضا ، بل عمداً مقصودا ، ولعله خيل إليه أن العصر الذى أصدر فيه ديوانه ، يبعد عليه أن يفطن إلى السر ، لانشغاله عن أدب الغرب ، بتقليده للأدب

---

(١)ترجمها - فى خماسية - السيد / محمد السباعى ، قال : كم بذرنا حكمة الفكر البصير ● وسقيناها حيا العقل الغزير . ما جنينا غير بهتان وزور ● ما علمنا غير انا فى الملا .
شعل البرق خبت بعد التماع .

(٢) هذه وامثالها كانت فى المجتمع المسلم رياح السخط على الاقدار التى عصفت حتى جاءت فى بعض الأغانى ، التى ترددها بعض الإذاعات العربية ، والاعجب ان المتحدثين بهذا الحديث يُطْرون العقل ثم يهوون إلى هذا الحضيض ، وحكمة الاقدار ان تَهْوى بالسفهاء - وربنا الحافظ - سبحانه وتعالى .

« مع الأدب المقارن . بواكير الحصاد فى مصر »

العربى القديم .. وهو لا يزعم لنفسه ، أنه يكتب للأجيال المقبلة ، إذ هى : « أحق بأن يكتب لها ، منها .. »[٣]

وتستطرد الدكتورة نعمات فؤاد ، قائلة بعد ذلك : « ولكن المازنى لم يطل به الإغضاء ، فقد استدرك ، فى أخريات سنيه ، ما فاته ، فكتب عن إنتاجه الأول ـ شعره ونثره ـ يقول : « كان رأيى فى ذلك العهد دراسات فى الأغلب ، قوامها القراءة وحدها تقريبا ، وشعراً لا يصور النفس على حقيقتها ، ولا يعبر عنها تعبيرا صحيحا ؛ لأن الاقتباس فيه بالقديم ، من شرقى وغربى ، أكثر من الاستمداد من التجريب »[٤] .

وقد فطن المرحوم عبد الرحمن شكرى ـ بحكم سعة اطلاعه ـ إلى صنيع المازنى ، وتجرد من صلة الصداقة الوطيدة التى تربطهما سويا ، إيثارا للحق والأمانة العلمية ، فكتب يقول ، فى مقدمة ديوانه الخامس[٥] :

« لقد لفتنى أديب إلى قصيدة المازنى ، التى عنوانها : (الشاعر المحتضر) البائية . التى نشرت فى عكاظ ، واتضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة « أدونيس » للشاعر « شلى » الإنجليزى ، كما لفتنى اديب آخر إلى قصيدة المازنى التى عنوانها : « قبر الشعر » وهى منقولة عن « هينى » الشاعر الألمانى . ولفتنى أيضا آخر ، إلى قصيدة (فتى فى سباق الموت) وهى للشاعر « هود » الإنجليزى (وعَدَّدَ قصائد أُخَر) ..

ثم يستطرد شكرى قائلا : « وقد ذاعت هذه الأشياء ، ولو كنت أعلم أن المازنى تعمد أخذها ، لقلت : إنه خان أصحابه بهذه الأعمال ، ولكن لا أصدق تعمد أخذها » . « ولا أظن أحداً يجهل مدحى المازنى وإيثارى إياه ، وإهدائى الجزء الثالث من ديوانى ، وصداقتى له ، ولكن .. هذا لا يمنع من إظهار ما أظهرت ، ومعاتبته فى عمله ؛ لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد ، بما صنع فى ماضيه ، حتى يداوى ما فعل ، ويرد كل شىء إلى أصله ، وليس الاطلاع مقصورا على رجل دون رجل ، حتى يأمن المرء ظهور هذه الأشياء ، ولسنا فى قرية من قرى النمل ، حتى نختفى » .

ويقول فى مقال له بمجلة المقتطف : « اعتاد الناس أن يُقْرَنَ اسمى إلى اسم المازنى والعقاد ، للمودة التى بيننا ، ولكنها مودة لا تحمل كل واحد منا عيوب أخيه ، فحسب المرء منا عيوب نفسه » . « وقد نبهت المازنى إلى هذه القصائد ، فاعترف بها ، ولكنه قال : إنه نظمها وهو يظن أنها له ، ذلك أنه حفظ المعانى ، ونسى أنها لغيره ، فبينت له : أن الأبيات والمعانى متسلسلة ، والترجمة دقيقة جداً ، فأصر على فكرته السيكلوجية وقال : إن ذلك جائز فى علم السيكلوجيا ، ولكنه .. وعد أن يتجنب أمثال هذه المآخذ فى المستقبل ، ولم يف ، إذ أنه بعد ذلك أنشدنى قصيدة « إكليل الشوك » و« الغزال الأعمى » ، وهى أيضا من هذه المآخذ .

---

(٣) ، (٤) انظر كتاب (أدب المازنى) للدكتورة نعمات أحمد فؤاد د ط سنة ١٩٥٤ ص ١٠٠ ـ ١٠١ .
(٥) صدر عام ١٩١٨ .

وأسرَّها المازنى فى نفسه لشكرى ، وانتهز فرصة إصداره كتاب « الديوان » عام ١٩٢١ مع صديقه العقاد ، وقام بشن هجوم بالغ القسوة على شكرى ، يكفى عنوانه : (صنم الألاعيب) ، لنتبين منه ، أنه لم يكن موضوعيا فى كتابته ، ولا حاجة بنا للاستشهاد (بفقرة منه) لإقذاعة . وهكذا انطبق على شكرى القول المأثور : (قول الحق لم يدع لى صاحبا) ..

وقد استشعر المازنى نفسه ، ما كان من قسوته فى هذا الهجوم ، حين انفثأ غضبه ، بمضى الأيام والسنين ، فكتب يقول عن (شكرى) : « لا أكتم القارىء أنى انتقمت لنفسى شر انتقام ، وأنى أسأت إلى شكرى أعظم إساءة ، وما كنت أستطيع أن أفعل غير ذلك » وبعد أن شفيت نفسى مما وجدت .. استرحت ، ونسيت الحكاية . » ويذكر لنا الأستاذ أنور الجندى ، مؤرخ المعارك الأدبية : أن المازنى حاول بعد مُضىِّ سنوات ، فى عام ١٩٣٠ على وجه التحديد ، أن يعوِّض شكرى عما أصابه من سهام ماضية ، ويرد له اعتباره ، فقام بإلقاء محاضرة عن التجديد فى الأدب العربى » وجعل موضوعها : (عبد الرحمن شكرى) ، ونشرها فى السياسة الأسبوعية »[٦] قال فيها عن شكرى إنه ، : (طليعة المدرسة الحديثة فى الشعر ، وعاتب مستر (جب) « المستشرق الإنجليزى » ، لأنه لم يُشر إلى فضله فى تقريره عن الأدب العربى المعاصر ، وأضاف : « قلت هذا عن شكرى ، وأنا لم أضع يدى فى يده ، منذ سنة ١٩١٩ إلى اليوم ، لأنى لا أحمل له ضغنا ، أو أنْطَوِى له على حفيظة ، فما أحمل له ، أو لغيره ، شيئا من هذا القبيل .. بل لأنه هو شاء أن ينأى ويبتعد ، ولست أستطيع أن أطارد أحدا بصداقة لا يريدها ، وأنا امرؤ ينسى المعركة بعد انتهائها ، يستوى فى ذلك أن أكون غالبا أو مغلوبا .. » .

وهكذا ، ينطبق على موقفى المازنى من شكرى وشعره ، المتناقضين ، ما عناه الشاعر العربى القديم ، بقوله :

تقول : هذا (مجاج النحل) .. تمدحه

وإن تذم .. تقل : (قىء الزنابير) !

ويضيف الأستاذ أنور الجندى ، موقفا طيبا آخر للمازنى ، حينما فاء إلى نفسه ، فيقول : « ولم يلبث المازنى أن عاود الكتابة فى شأن شكرى وخصومته معه ، ولكنه لم يتعرض لاتهامه بالسرقة ، ولم يرد عليه ، فقال: إنه صرفنى عن المقلدين فى كل أمة ، وأغرانى بأصحاب المواهب والابتكار ، فصحح لى المقاييس ، وأقام الموازين الدقيقة ، وفتح عينى على الدنيا ومن فيها ، وكنت عَمِيًّا لا أنظر ، وإذا نظرت لا أرى .. وكان لفرط أدبه (أى شكرى) ، يتوخى معى سلوك الند ، ولا يتعالى تعالى الأستاذ على التلميذ . وكنت فقيراً ، فكان يعيرنى الكتب ، أو يُهْدنيها . »[٧] .

* * *

أما رد الفعل ، بعد مرور الأعوام ، على الطرف الآخر ، أعنى لدى عبد الرحمن شكرى ، بعدما تعرض له من هجوم عنيف ، وتأثره العميق ، نفسيا وأدبيا ، بهذا النقد ، أو التجريح . فقد جاء رد الفعل بين ثنايا أبيات قصيدة له ، من روائعه ، بعد أربعة عشر عاما ، نشرها بالرسالة[٨] ، تحت عنوان :

---

(٦) عدد ابريل سنة ١٩٣٠ .

(٧) انظر مقال الأستاذ أنور الجندى عن المازنى ، بعدد مجلة المعارف اللبنانية ، المجلد الثالث ـ العدد ١٠ الصادر فى تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٣ .

(٨) العدد رقم ١١٢٠ الصادر فى ١٩٣٥/١٠/٢١ .

(بعد الإخاء والعداء) ، يقول فى مستهلها :

حنـوت عـلى الـود الـذى كـان بيننـا وإن صـد عنـه .. مـاجنينـا من الـود

ويصور بعد ذلك صداقتهما الوطيدة - شكرى والمازنى - بعد الجفاء والقطيعة :

وايقنـت لا ينسى عـدائـى ومـاجنـى عـدائى عليـه ، من عنـاءٍ ومن جهـد
ايلتئم الصخـران ، فى اليمِّ .. بـعـدمـا تـردد مـوج البحـر .. بـالصَّـدْع والهدِّ

ثم يعطى الشعر العربى الحديث ، بعض أوابده فى الصداقة والأصدقاء ، التى تبقى على الدهر ، لروعة السبك وقوة الأسر ، وعمق المضمون ورهافته ، حين يستتلى قائلا ، بوجد مُذيب :

وكنـا عـلى مـاكـان مـن قُـرْب انفس كنـهـريـن فى وادى الـغضـارة والـورد
قـد اقتـربـا مجـرى ومـاءً وعسجـدا مـن الشمس لألاءً كـلألاءة الـود
إلى أن دعـا داعـى الحيـاة وإفنـهـا فحـال بنـا قصـد السبيـل عن القصـد

إلى أن يقول :

وخِـلَّانُنَـا مثـل الجـوارح ، أيـهـم فقـدْنـا ، فبعض النفس فى ذلـك الفقـد
واكتـم مـن آلام نَفْسِيَ .. عـزةً إذا لم يُتـحْ لى مـا أُزيـل بـه وجـدى

وبكلمة واحدة ، تحسم هذا الأمر ، فإن الشاعر الذى يعتمد على التذكر المتعمد ، أو على استدعاء المعانى والصور من شاعر بعينه ، يكون فى الغالب - كما يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة - معجبا بهذا الشاعر ، حافظا لشعره - يتكرر ورود معانيه وصوره فى ذهنه .. كما كان « جون كيتس » بالنسبة لشكسبير ، والمتنبى بالنسبة لأبى تمام[٩] والمازنى كان معجبا بعديد من الشعراء ، والأدباء العالميين ، وبصفة خاصة ، بابن الرومى وبشار فى الأدب العربى .

كما أن المازنى كالرافعى ، وجد نفسه فى عالم النثر الرحيب ، يطلق نفسه على سجيتها ، فيجد مجالا لتفوقه وإبداعه .. أما الشعر ، فكان مجرد مرحلة عابرة فى حياته ، ايقن بعدها أن موهبته الحقيقية تكمن فى الشقيق الآخر للشعر ، أى فى النثر الفنى ، الذى تدفق فيه تدفق النهر فى انسيابه بعذوبة وعفوية وطلاوة ، استجابة لطبعه الذى يضيق بالقيود والسدود ، وليطلق العنان لقلمه ، ليقص لنا - فى قصص قصيرة ، وطويلة ، ما صادفه فى حياته الحافلة من صور وذكريات تنفك تردد أصداءها فى نفسه ، كل ذلك ببساطة وسلاسة ، وكأنها صديقه يحدثك فى جلسة خاصة ، بأمتع ضروب الحديث وشجونه . ومن ثم استطاع أن يعطينا من (ألف باء) اللغة العربية ، هذا الكم الممتع الشائق من فصوله ومقالاته وقصصه ، فى العديد من الصحف والمجلات ، وفى (إبراهيم الكاتب) و (إبراهيم الثانى) و (صندوق الدنيا) و (عود على بدء) وغيرها ومهما يكن من أمر ، فإن مقدرة (جماعة الديوان) : شكرى والعقاد والمازنى ، على ترجمة المختارات من القصائد والمقطوعات ، من عيون الشعر الأجنبى ، لازالت بحاجة - كما يقول الدكتور رجاء عبد المنعم جبر « إلى دراسة كاملة مقارنة ، تتجاوز دائرة العموميات الجوفاء ، إلى تقييم مدى التوفيق الذى أصابوه فى محاولاتهم ، ومنهجهم فى الانتخاب ، وفهمهم لخصائص الشعر التى ينبغى الاحتفاظ بها فى الترجمة - والأوزان التى اختاروها لنقل مترجماتهم .. »[١٠] .

وعسى أن نتمكن ، فى دراسة مقبلة ، من شق الطريق ، نحو تحقيق هذه الدراسة الممتعة المنشودة .

---

(٩) انظر عدد مجلة المجلة رقم ١٢ الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ ص ٨٥ .

(١٠) انظر دراسته القيمة بعنوان (قضية ترجمة الشعر) المنشورة بالسلسلة الثانية من الأبحاث الجامعية التى تحمل عنوان دراسات عربية وإسلامية ص ١٧٠ .

حول شهادات الاستثمار

ـ بقية ـ

انها معرضة لافتراس الذئب لها . وهذا هو المستفاد من قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « خذها فإنما هى لك أو لأخيك أو للذئب » ، أما الإبل فعلى خلاف ذلك لأنها بحكم تكوينها الجسمانى تصبر على الجوع والعطش فمعها حذاؤها (أى خفها) وسقاؤها ، ترد الماء وتأكل الشجر ، كما ان احتمال افتراس الذئب لها ضئيل لأنها تستطيع أن تدفع الذئب عنها ، ولذلك خلا الحديث النبوى من الإشارة إلى أنها قد تكون للذئب .

وإن عناصر عدم ضياع الابل ـ كما يستفاد من الحديث النبوى هى إمكان بقائها على قيد الحياة ـ (معها حذاؤها وسقاؤها ، ترد الماء وتأكل الشجر) ـ والأمن من اعتداء الذئب عليها ، وقرب صاحبها منها يستطيع العثور عليها إن بحث عنها (دعها .. حتى يجدها ربها) ، ومن ثم فإنه إذا صارت الإبل معرضة للضياع لفقد أى عنصر من عناصر عدم الضياع ، فإن علة الحكم بتركها وعدم التقاطها تصبح غير قائمة ، ولما كانت المدينة فى عهد عثمان وعلى ـ رضى الله عنهما ـ قد تغير وضعها عما كانت عليه أيام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلم تعد منعزلة عما حولها ، إذ كثر المترددون عليها والمارُّون بها ، ومنهم الأمين وغير الأمين ، ولم يؤمن على الابل عدم ضياعها حتى يجدها ربها ، فقد وجب أن يتغير الحكم لتغير علته ، وفى هذا المعنى يقول الكاسانى صاحب بدائع الصنائع : وأما الحديث فالمراد منه أن يكون صاحبه قريباً منه ، الا ترى أنه قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (حتى يلقاها ربها) ، وإنما يقال ذلك إذا كان قريباً أو كان رجاء اللقاء قريباً ، والدليل عليه أنه لما سأله عن ضالة الغنم قال : خذها فإنها لك أو لأخيك أو للذئب ، دعاه إلى الأخذ ، ونبه على المعنى وهو خوف الضيعة وأنه غير موجود فى الإبل . والنص الوارد فيها أولى أن يكون وارداً فى الإبل وسائر البهائم دلالة . إلا أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصل بينهما فى الجواب من حيث الصورة لهجوم الذئب على الغنم إذا لم يلقها ربها عادة بعيداً كان أو قريباً . وليست كذلك الإبل لأنها تذب عن نفسها .

* * * *

ويتضح مما تقدم أن الأمثلة السابقة التى تثار تبريراً لقطع الربح لأحد الشركاء لا تسعف الذين يستدلون بها على ما ذهبوا إليه ـ فالتسعير ـ كما اثبت ابن تيمية وابن القيم ، أخذ به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما توافرت أسباب ذلك ، كما أنه ليس فى التقاط ضالة الإبل خروج على الحديث الشريف الذى قال بعدم التقاطها لأن علة عدم الالتقاط فقدت أحد عناصرها ، فوجب أن يتغير الحكم لتغير العلة ، وأما عن تضمين الصناع فإنه ليس فى ذلك نص ثابت ، واختلفت الآراء فى التضمين وعدمه فى المذهب الواحد ، فضلاً عن أن القائلين بالتضمين لم يخرجوا عن أحكام الأمين ، إلا فى نقل عبء الإثبات من على صاحب المتاع إلى الصانع . فبعد أن كان صاحب المتاع مكلفاً بإثبات تعدى الصانع أو تفريطه ، صار الصانع هو المكلف بإثبات أن التلف أو الضياع راجع إلى تعديه أو تفريطه ، ويضمن إن عجز عن إثبات ذلك .

بطاقة لعالم من السلف

أبو على شقيق البلخى

هو ابو على شقيق بن إبراهيم الأزدى ، احد العلماء العاملين الذين أُخْلِصَتْ - فى قلوبهم - منزلة الدنيا ، فقدروها حق قدرها ، والتزموا النجاة منها بالبعد عن شهواتها ، والتخلى عن زينتها ، صحب من العلماء باقة عصرهم ، والتزم العمل مع الزهد والورع ، وحبب إليه الجهاد فى سبيل الله فاندفع فيه حتى لقى الله الكريم المتعال .

لقى أبا حنيفة النعمان بن ثابت - رحمه الله - الذى ورث من علم ابن مسعود - رضى الله عنه - الكثير فجلس إليه ، وإلى عباد بن كثير ، وإبراهيم ابن أدهم وغيرهم .

كان شقيق موسراً صاحب ضياع ، يعيش عيش المترفين ، جال فى الأرض وزار أكثر من بلد فتاجر بأرض الترك ، واستقر فترة بـ (بَلْخ) بأفغانستان ، ثم كانت حوادث الفقراء والضعفاء سببا فى سلوكه ، فمال إلى العبادة ثم انخرط فيها حتى كان يترك العمل متأثرا بما رآه من رزق يقضى به الله للعاجزين فلما تحدث بذلك إلى ابن ادهم ، قال له ابن أدهم : أما سمعت قول النبى - ﷺ : (اليد العليا خير من اليد السفلى)[1] ومن علامات المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين فى أموره كلها حتى يبلغ منازل الأبرار . فقال شقيق لابن أدهم : أنت أستاذنا ياأبا إسحاق .

العلماء الذين تأثر بهم :

فى مقدمة هؤلاء : العالم الفذ ، المحدث الثقة الإمام سفيان الثورى أمير المؤمنين فى الحديث ، العلم المجمع على إمامته المتقن الورع الحافظ ، وسبق أن ذكرنا من الأئمة أبا حنيفة - رحمه الله .

ثم ابو يوسف إسرائيل بن يونس بن أبى إسحاق السبيعى الهمدانى الكوفى الثقة الثبت وورقاء بن عمر وعباد بن كثير ووهيب المكى - رحمهم الله .

تأثر من كل - على حدة - بأدب وعلم وسلوك التزمه فى خاصة نفسه وممارسة حياته ؛ فعرف بالصبر والرضا وعمق التأمل وكثرة الصيام وطيب النفس والتوكل على الله .

وقال - رحمه الله : لو أن رجلا عاش مائتى سنة لا يعرف هذه الأربعة لم يَنْجُ : معرفة الله ، ومعرفة النفس ، ومعرفة أمر الله ونهيه ، ومعرفة عدو الله وعدو النفس .

ولم يبال - فى إطعام الفقراء - أن تتبدد ثروته .. كان محبا للضيفان ، وله - فى ذلك - عبارة مشهورة يقول فيها : ليس شىء أحب إلىّ من الضيف ؛ لأن رزقه على الله وأجره لى .

وكان - رحمه الله - من المجاهدين ، بل كان من رءوس الغزاة ، فجمع بذلك بين العلم والعمل والزهد والجهاد ، وقتل - رحمه الله - فى غزوة (كُولان)[2] سنة أربع وتسعين ومائة هجرية .

---

(١) رواه البخارى فى الوصايا والرقاق ، وأحمد فى مسنده .

(٢) فى ياقوت : بلدة طيبة فى حدود بلاد الترك من ناحية ما وراء النهر .

أنباء وآراء

إعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

٦٠ مليون جنيه لإعمار الجامع الأزهر الشريف

ترأس فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر اجتماع اللجنة الوزارية العليا لإعمار وترميم الجامع الأزهر الشريف الذى شارك فيه السادة وزراء الإسكان والأوقاف والثقافة والمالية ومحافظ القاهرة وممثلون للأزهر وهيئة الآثار المصرية .

وقد تم فى هذا الاجتماع مناقشة تقارير اللجان والاتفاق على الشكل النهائى لمشروع الإعمار لهذا الصرح الإسلامى الكبير باعتباره أكبر المؤسسات الإسلامية فى العالم .

يتكلف مشروع الإعمار أكثر من ٦٠ مليون جنيه .

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية ألبانيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد / البيروتسكا وزير خارجية ألبانيا يرافقه السيد سفير ألبانيا بالقاهرة وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر فى بداية اللقاء بعودة ألبانيا إلى الصف الإسلامى واشتراكها كعضو مراقب فى منظمة المؤتمر الإسلامى .

وأعلن فضيلته عن عقد دورات لأعضاء السلك الدبلوماسى الألبانى فى القاهرة لتعلم اللغة العربية .

وأكد فضيلته أن الأزهر مستعد لتقديم كل عون متاح لمسلمى ألبانيا،وأنه خصص هذا العام خمس منح دراسية لطلبة ألبانيا الراغبين فى الدراسة بالأزهر . تزيد إلى عشرين منحة فى العام الدراسى القادم .

وأعلن فضيلته عن إيفاد الأزهر بعض علمائه كمبعوثين إلى ألبانيا على نفقته .

كما أعلن فضيلته عن استعداد الأزهر لإعداد المناهج الدراسية لمراحل التعليم المختلفة فى ألبانيا وإيفاد المدرسين اللازمين لدور العلم هناك .

الإمام الأكبر يفتتح المؤتمر العلمى الدولى الثانى للهندسة بجامعة الأزهر

افتتح فضيلة الإمام الأكبر المؤتمر العلمى الدولى الثانى للهندسة الذى نظمته كلية الهندسة بجامعة الأزهر .

♦ أنبــــــــــاء وآراء

أكد فضيلة الإمام الأكبر فى الكلمة التى ألقاها أن هذا المؤتمر يعد حلقة من حلقات الدراسة التى كان الأزهر إماما فيها كما كان قدوة لغيره من الجامعات والمدارس ، فالأزهر درج منذ إنشائه ليكون جامعا وجامعة لنشر العلوم .

وقد طالب فضيلته العلماء بالاحتفاظ بالفنون الإسلامية والتراث الإسلامى فى العمـارة والإنشاءات،وأن تحتفظ الهندسة بسمات الشرق الإسلامية بكل ما تبتكر، وأن توجه الجديد للالتزام بذلك واستمرار المميزات الخاصة بالفنون الإسلامية .

الإمام الأكبر يستقبل
رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الرئيس التشيكى فاتسلاف هافيل والوفد المرافق له وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف متمنيا له طيب الإقامة خلال زيارته للقاهرة .

ثم قام فضيلة الإمام الأكبر باستعراض تاريخ الأزهر منذ إنشائه معربا عن ترحيب الأزهر بالتعاون الثقافى مع تشيكوسلوفاكيا .

وقد أعرب الرئيس التشيكى عن شكره لفضيلة الإمام الأكبر لإتاحة الفرصة لهذا اللقاء معربا عن رغبته فى التعاون الثقافى،واحترام القيم الدينية والروحية .

أنباء العالم الاسلامى

أول مؤتمر إسلامى فى موسكو منذ أربعين عاما

ذكرت إذاعة موسكو التى تبث برامجها باللغة العربية أنه قد عقد بمدينة موسكو أول مؤتمر إسلامى غير حكومى لبلدان شرق أوروبا ، وذلك خلال الشهر الماضى،وشارك فيه رؤساء الإدارات الدينية بالاتحاد السوفيتى وكبار الشخصيات الدينية فى روسيا وتركيا وبولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا .

والهدف من هذاالمؤتمر : وضع برنامج للتعاون بين دول شرق أوربا تحت شعار (العامل الإسلامى فى الأحداث فى شرق أوربا) .

« رئيس أفغانستان يرضخ لمطالب المجاهدين الأفغان »

فى مقابلة إذاعية للرئيس الأفغانى نجيب الله أجرتها معه الإذاعة البريطانية التى تبث برامجها باللغة العربية .

ذكر الرئيس الأفغانى فى المقابلة؛أنه لا مانع لديه من تقديم استقالته إذا كان هذا يؤدى إلى استقرار البلاد ، وإعطاء الشعب الأفغانى حق تقرير مصيره،وإجراء انتخابات حرة فى البلاد تحت إشراف الأمم المتحدة .

والجدير بالذكر : أن المجاهدين الأفغان قد رفضوا التفاوض مع الحكومة الأفغانية بقيادة الرئيس نجيب الله ، ورفضوا أيضاً أن تحضر الحكومة المحادثات التى تجرى معهم فى موسكو .

« أحدث ترجمة أندونيسية لمعانى القرآن الكريم »

تمت ـ مؤخراً ـ ترجمة جديدة لمعانى القرآن الكريم باللغة الأندونيسية أعدها الدكتور عمر بكرى المتخصص فى الدراسات الإسلامية ، وتعد هذه الترجمة أحدث ترجمة أندونيسية لمعانى القرآن الكريم منذ القرن السابع عشر .

وقد حذر الأزهر من تفسير القرآن الكريم وفقاً للنظريات العلمية والكونية، وذلك لخضوع هذه النظريات العلمية للتغيير المستمر وفقاً للتقدم العلمى والفكرى .

« إنشاء أول مركز للدراسات القرآنية بماليزيا »

وافقت الحكومة الماليزية على إقامة أول مركز للدراسات القرآنية فى كوالالمبور عاصمة ماليزيا .

وذكر الشيخ زين العابدين عبد القادر وزير الشئون الدينية بماليزيا: أن المركز ينتظر أن يصبح جاهزاً بمشيئة الله خلال عام ١٩٩٣ م .

وذكر الشيخ زين العابدين أن الحكومة الماليزية قد أعادت عشرة آلاف نسخة من القرآن الكريم كانت قد طلبتها من الهند وباكستان ، لأنها لم تعد بالرسم العثمانى .

« تعريب التعليم الجامعى فى الجزائر خلال العام الدراسى ١٩٩٢ م/١٩٩٣ م

أعلن السيد / جلال اليابس وزير التعليم العالى الجزائرى أن السنة الجامعية الأولى ستكون معربة بكاملها مع بداية العام الدراسى القادم بمشيئة الله ١٩٩٢ م/١٩٩٣ م .

وذكر الوزير الجزائرى: أن التعريب فى الجزائر يكون جزئيا بسبب الافتقار إلى المراجع وأساتذة اللغة العربية .

وذكر السيد جلال اليابس للإذاعة الفرنسية « مونت كارلو » أن الدراسة باللغة العربية ضرورة تربوية اجتماعية ، وأن الوزارة بصدد عقد دورات تدريبية فى اللغة العربية للمدرسين .

فهـرس العـــدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية « العظة وكبار النفوس » د . على أحمد الخطيب	٧٣٧
● فى شهر رجب الفرد كانت منحة اذهبت المحنة لفضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر	٧٣٩
● مقدمـــة بدر د . عبد الجليل شلبى	٧٤٣
● قبس من انوار النبوة « الكسب حلاله وحرامه » للشيخ على حامد عبد الرحيم	٧٤٧
● وسائل الاجتهاد فى الفقه الإسلامى د . محمد الدسوقى	٧٥٠
● حول شهادات الاستثمار المستشار أحمد محمد إبراهيم	٧٥٦
● الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى « جمهورية القرم الإسلامية » إعداد : عادل خفاجة	٧٦٢
● ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية لواء أ . ح / فوزى محمد طايل	٧٦٧
● قضية كشمير المسلمة أ . ماهر زكريا الشيمى	٧٧٤
● مشيخة علماء اسيوط د . مجاهد توفيق الجندى	٧٧٨
● الخلق ما له وما عليه الأستاذ محمد زين العابدين	٧٨٦
● الفتـــــاوى الأستاذ أحمد السيد تقى الدين	٧٨٩
● الإسراء والمعراج إشراف : رشاد محمد يوسف	٧٩٢
● من اعلام الأزهر « الأستاذ الإمام محمد عبده » للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٧٩٦
العلوم الكونية	
● التوجيه الإسلامى للعلوم ضرورة حضارية أ . د . أحمد فؤاد باشا	٨٠٨
● الامواج الكهرومغناطيسية إعداد الدكتور محمد عبد الرحمن سلامة	٨١٢
● الجديد فى العلم والتقنية إعداد الدكتورة نجوى السيد أحمد	٨١٧
● طرائف ومواقف الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٨٢٠
● من روائع الماضى فى مجلة الازهر « شرك العقيدة وشرك العمل » إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات	٨٢٢
اللغة والأدب والنقد	
● نظرات عصرية فى القرآن الكريم للأستاذ السيد حسن قرون	٨٢٦
● منهج ابن الاثير فى تاليف كتابيه الكامل فى التاريخ واسد الغابة فى معرفة الصحابة للدكتور شكرى يوسف حسين أحمد	٨٣١
● من الادب المقارن « بواكير الحصاد فى مصر » أ . أحمد مصطفى حافظ	٨٣٦
● بطاقة لعالم من السلف ابو على شقيق البلخى إعداد : سيد أحمد الفرباوى	٨٤٢
● انباء وآراء إعداد : عبد المنعم فودة مصطفى عبد المجيد	٨٤٣
القسم الفرنساوى	
● المقالة الثانية بقلم : ليلى الحفناوى	٨٤٩
● المقالة الاولى الدكتورة رقية جبر	٨٥٣
القسم الانجليزى **إشراف : د. أنس النجار**	
● المقالة الثانية بقلم الأستاذ / لطفى سلطان	٨٥٨
● المقالة الاولى د . أنس النجار	٨٦٢

pendant que le prophète à lui bénédiction et salut affrontait les idolâtres et les athées qui ne croient en aucune religion ainsi que certains scriptu culaires dont la loie s'est affaiblie parce qu'ils ont oublié les messages de leurs prophètes et les ont falsifiés le Coran devait affronter tout ceux là et leur prouver qu'ils se sont égarés et gu'ils adorent des divinités qui ne leur sont d'aucun secours, mais plutôt des divinités fabriquées à partir d'une des matières les plus viles de la terre ... la pierre .

Alors que Allah gloire à Lui a honoré l'homme considérant comme présentant sur terre dans cet univers . C'est pour cette raison que le coran devait apprendre aux humains qu' ils seront réssuscités après la mort et qu'il y a un Paradis et un enfer et que la vraie vie n'est point en monde mais plutôt dans celui de l'au - delà. Il devait les prévenir du châtiment divin du Jour terrible où ils comparaitront devant lui et auquel personne ne pourra échapper . Il devait attirer leur attention sur les signes que Allah a placédans l'univers et qui prouvent Il est le créateur et il devait refuter les allégations des ralbins juifs qui, sous petexte de poser des questions visent en fait à attaquer l'slam . Les derniers pensaient qu'il était propable que Mohammed paix soit sur lui parle de son cru donc qu'il commet des erreurs . C'est pourquoi le Coran a été révélé dans le but d'assurer légalité entre tous humains or . le riche n'est point avantagé, quant au pauvre, il ne sera point lésé mais en fait les hommes sont totalement égaux devant Allah . Ceci fut le fondement du message de l'Islam à la mecque : la foi en un Allah unique et en Mohammed Son prophète et la consolidation de la foi durant la période où ils étaient une minorité faible et opprimé .

Et pour consolider leur foi, il fallait leur rappeler toujours qu' Allah les soutient ... S'ils meurent en martyrs, ils iront au paradis sans jugement : ainsi s'ils meurent musulmans ils iront au paradis; tandis que ceux qui resteront dans leurs incroyances subiront le châtiment en enfer .

En ce qui concerne la société médinoise, l'image diffère : l'Islam avait à affonter les incroyants, les paiens, les juifs qui ont falsifié la Bible ainsi qu'un nouvel adversaire les hypocrites .

Alors qu'il y avait une hostilité ignorante à la Mecque, à Médine l'Iislam devair faire face à une hostilité lucide, celles des hypocrites .

Il n'y avait pas d'hupocrisie à la Mecque : Le faible ne feint pas qui donc oserait prétendre qu'il est croyant tunt en étant incroyant pour s'escposer à la souffrance à la torture et à la persécution ? Mais à Médine, quand l'Islam s'est consolidé et soutenu par un état, l'hypocrisie est apparue dans la communauté .

Voici ce que dit la parole divine à ce sujet : « Parmi les bédouins qui nous entourent et parni les habitants des Medines, il y a des hypocrites obstinés, tu ne les connait pas, Nous nous les connaissons . Nous allons les châtier deux fois puis ils seront livrés à un terrible châtiment .

fut révélé le coran qui sert à guider les humains aux enseignements d'Allah .

Allah, Gloire à Lui a posé dans le Saint Coran une législation céleste destinée à l'humanité dans les messages divins Cette révélation du Coran a parachevé tous les messages divins du Saint Coran, ainsi cette dernière religion demeurera la législation pour ce monde et jusqu'à l'heure dernière . Ainsi le Coran a rapporté l'histoire de la création de la terre et des cieux et celle de l'homme, de même il nous a rapporté les récits des prophètes et des messagers qui ont précédé la révélation du Coran tant en rectifiant et modifiant les falsifications et les altérations qu'ils renferment .

Cela dans le but de les rendre conforme aux messages Allah a chargé ses prophètes de transmettre, d'abroger tout ce qui fut déformé par les hommes dans les messages qui ont précédé la révélation du Coran, de rectifier tout discours humain annexé et faussement attribué aux enseignements divins et de révéler ce que les rabins juifs et les prêtres chrétiens dans les religions précédentes ont dissimulés aux hommes .

Ainsi, le Coran dénonce toute altération, dissimulation , falsification ou addition humaine relative à la religion d'Allah dans les messages précédentes et il parachevé les enseignements divins afin que le Saint Coran soit la doctrine parfaite et complète par laquelle on voue un culte à Allah sur terre et qu'il renferme les enseignements divins depuis la création d'Aden jusqu'à l'Heure Dernier .

Les ulémas sont en désaccord quant à la classification de certains versets, sont ils mécquois ou bien médinois. Ceux qui ont considéré le temps comme critère ont dit que chaque sourate du Coran révélée à l'Envoyé, Allah paix soit sur lui après l'Hégire est dite médinoise même si cette sourate a été révélée à la Mecque .

Tandis que ceux qui ont considéré le lieu come critère ils ont dit que toute sourate révélée à la Mecque est médinoise et toute sourates révéleé à Médine est médinoise et ceci sans tenir compte du fait qu' elle a été révélée avant ou aprés l'Hégire car certaines sourates ont été révélée à l'Envoyé d'Allah paix soit sur lui alors qu'il était à la Mecque après l'hégire nous voyons bien qu'il n'existe point de différends entre les ulémas comme le prétendent certains, mais chaque groupe a pris ce sujet d'un certain point de vue ; les uns se sont placés du point de vue du lieu et les autres celui du temps et ils ne sont point en désaccord sur les sourates du Coran même ni sur ses versets . Si l'analyse de la sourate « La Vache » nous révèle qu'elle est une des premières Sourate révéleés à Médine . Elle présente à la fois des caractéristiques Mèdinoises et mécquoises . L'aspect Mécquois dans le Saint Coran insiste sur le dogme, car les versets et les sourates mécquoises ont été revélés

Le Coran .. Le dêlut et la fin de lacréation

Mme. LEYLA AL HEFNAOUI

Dans le Saint Coran, Allah gloire à lui nous a révélé l'histoire de la création de l'homme, de la terre et des cieux ainsi que celle de la désobéissance du satan . De même, Allah a corrigé les erreurs d'interprétation des messages précedents . C'est là l'interprétation donnée par le révérand cheikh M. M. charaoui de certains versets du coran .

Cheikh charaoui dit : « l'Islam a été révélé comme étant la dernière des religions destinée à devenir une législation parfaite en tout point pour l'humanité entière et cela jusquà l'Heure dernière, avec des aspects du surnaturel qu'Allah nous a dévoilé et nous a recommandé de n'en tirer la science que de Lui et des aspects de la science de ce monde qui nous a laissé le soin d'investiguer .

Le revérand cheikh Mohamed Metwali el Charaoui á ajouté : il y a deux éléments dans la vie, un élément qui réagit pour toi et un élément qui réagit par toi . Celui qui réagit pour toi t'est donné gratuitement, comme le soleil, l'air etc .... quant à celui qui réagit par toi, il faut que tu lui donnes pour recevoir en retour. Ainsi toutes les choses et tous ce qui se trouve sur la terre, il faut que tu laboures et que tu sèmes le grain afin d'obtenir une plante, que tu cherches à savoir ce qui est à l'intérieur de la terre et que tu réfléchisses attentivement aux aspects de l'univers pour tirer les lois qui le réagissent .... C'est ainsi que l'humanité progresse .

Le fait que le Coran débute par une sourate médinoise plutôt qu'une sourate mécquoise nécessite (exige) tout d'abord que nous saisissions la signification des termes «mécquois» et «médinois» Or, la Mecque et la Médine sont deux lieux saints - Le premier - a été témoin du début du message et de la révélation du Coran au prophète (paix soit sur lui) quant au second, c'est celui où émigra le prophète . Lorsqu'on parle de «Mecqnois» et «Médinois» dans le Saint Coran, il faut qu'on prenne en considération certaines choses : premièrement, les circonstances dans lesquelles le verset a été révélé, deuxièmement le lieu et trosièmennent le moment où il a éte révélé Ainsi action a lieu dans un lieu et un temps détermimés, elle est accomplie par quelqu'un et elle est subie par un autre, ainsi elle a une cause et suppose une capacité de l'accomplir. pour ce qui est de la révélation du Saint Coran, l'auteur c'est Allah, Gloire à Lui, et c'est à Mahammad paix soit sur lui que le Coran a été révélé . Quant au lieu c'est soit la Mecque, soit Médine, pour ce qui est du temps c'est celui où

tout comme il la contenta lorsqu'elle régnait de l'Atlantique au Pacifique ou presque en un seul et gigantesque empire. Elle y trouva tout pour ses dogmes, pour ses rites, pour sa vie sociale, pour ses lois et ses autres besoins.

On a dit et avec raison que la première sourate du Coran est le résumé, l'essence de l'ensemble du livre, et que cette petite sourate comporte 7 catégories de choses : hymnes, prières, lois, annonces, avertissements, paraboles et histoires, Grosso modo, cela représente la totalité des sujets que le Coran traite.

Il convient de souligner que le Coran ne demande pas que l'on croie pour croire, mais il répète sans cesse : réfléchissez, méditez, raisonnez, pensez, cherchez, et cela, même en matière de foi comme l'existence d'Allah transcendant et inconnaissable, l'au-delà et la résurrection.

Le thème central est évidemment le monothéisme pur : la foi en un Allah sans associés, ni icône, ni autres représentations matérielles de la Divinité.

Sa thèse est qu'Allah, en Sa bienveillante grâce, a donné à l'homme, entre autres bienfaits, des guides, des prophètes ; que ceux-ci ont communiqué à l'humanité le message du Seigneur, qui a toujours et invariablement été celui de l'unicité d' Allah de la vie après la mort, et d'un comportement ici-bas à titre de provision pour l'au-delà ; que toutes les fois que le message divin s'est perdu au sein de la société humaine, pour cause de guerres, ou de déviations religieuses après la mort d'un prophète inspiré, etc., Allah en Son inépuisable miséricorde a renouvelé son message et suscité un nouveau prophète. Que depuis Adam jusqu'à Muhammad il n'y a qu'une suite ininterrompue de tels messagers, envoyés dans différents pays, Muhammad n'étant que le rénovateur et le confirmateur du même éternel et antique message. Il n'y a pas d'exclusivité : Allah a envoyé des messagers chez tous les peuples ; Il n'en a mentionné dans le Coran que quelques uns seulement, précisant qu'il y en eut d'autres encore. C'est ainsi qu'il dira que les Israëlites furent à leur époque les élus d'Allah qui leur donna l'excellence au-dessus de tous les mondes, comme Il avait donné pareille excellence à d'autres auparavant. C'est également ainsi qu'il dira que Jésus-Christ eut une naissance immaculée, sans père. Et c'est ainsi qu'il lavera les biographies des anciens prophètes des calomnies d'immoralité ou de mécréance mentionées dans d'autres livres »

Nous espérons que ces quelques passages tirés de l'ouvrage de Hamidullah nous ont permis de jeter quelque lumière sur certains aspects de la science du Coran.

ROKEYA GABR

Ainsi nous dit Hamidullah

« il est parfois possible alors de lire un mot comme verbe actif ou passif, comme masculin ou féminin, et le contexte admet parfois plusieurs possibilités. Par exemple *yas'al* (Allah) demandera, peut se lire : *yus'al* (on) sera demandé, tus'*al* (elle) sera demandée. On en a trouvé un petit nombre de cas, mais dans aucun le sens du verset ne change, et l'on se demande si la découverte de telles variantes ne vient pas parfois de l'ingémosité des exégètes. »

Voici ce qu'il nous apprend sur la récitation du Coran.

LA RÉCITATION DU CORAN

« Il convient de dire quelques mots sur la récitation rituelle du Coran. Le Coran lui-même en parle à plusieurs reprises, par exemple, LXXIII, 4, XVII, 106, etc. Quant à la façon dont Muhammad le récitait, nous savons que : (1) il séparait nettement les versets, (2) il allongeait la prononciation des voyelles longues : bismillâ--- h'irrahmâ--- n'ir-rahî---m, (3) parfois lors de grande émotion, il réiterait le son(a) par exemple, a-a-a..

Voici quelques directives de Muhammad à ce propos : " N'est pas des nôtres qui ne chante pas le Coran ", ou " Allah n'a autorisé (ou : ne prête l'oreille à) rien comme il a autorisé un prophète à chanter le Coran ", ou " Ne le faites pas voler comme vole le sable, ni ne le coupez comme on coupe les vers d'un poème ", ou " Enjolivez le Coran par vos voix ", etc.

La récitation de Sâlim et celle d'Abou Mousa Al-Ach'ari étaient célèbres parmi leurs camarades. Un jour le Prophète dit à ce dernier : " M'as-tu vu hier soir quand je t'écoutais réciter le Coran ? Vraiment il t'a été donné une flûte *(mizmâr)* comme celles des gens de David ! " Abou Mousa répondit : " Par Allah, si j'avais su que tu m'écoutais, je l'aurais embelli d'embellissement ".

Il est à signaler que le Coran n'est pas en vers, mais qu'il possède mélodie, rythme et même rimes comme les poèmes. Il n'est pas en vers : ses lignes (versets) comportent parfois un seul mot, parfois plusieurs et jusqu'à toute une page. Il est d'un genre qui n'est ni prose ni poème, mais qui réunit les avantages des deux. Les meilleurs talents musulmans ont développé l'art de la récitation du Coran en une véritable science, avec une précision mathématique. Évidemment selon le contenu les mélodies doivent changer. Les savants ont trouvé les origines de ce chant dans le Nedjd (Arabie Centrale). Coupée du monde, cette région désertique a conservé encore son art primitif de lire les textes en prose arabe, et l'on prête au Prophète le conseil : " Récitez le Coran avec les mélodies et l'intonation des Arabes, et non pas avec celles des gens pervers (-professionnels de la distraction), ni des gens des deux Livres ".

L'écriture vocalisée est tellement précise en arabe qu'on n'a pas besoin de notation musicale pour réciter correctement le Coran, pour le chanter. Outre les signes de vocalisation, les éditions arabes du Coran marquent toujours ces autres signes conventionnels qui indiquent la correspondance des sons, l'allongement des voyelles lors des liaisons, et autres caractéristiques de la récitation artistique.»

Voici enfin quelques mots sur le contenu du Coran

LE CONTENU DU CORAN

Le Coran se donne pour un guide à l'homme dans la totalité de sa vie, temporelle aussi bien que spirituelle, individuelle et collective, à toutes les catégories d'hommes, dans tous les pays, et pour toujours ! Depuis le chef du gouvernement et le commandant jusqu'au simple citoyen et à l'homme de la rue, tout y trouve ce qui le concerne. Pour s'en convaincre, il suffit de rappeler que le Coran contenta comme loi la communauté musulmane alors qu'elle ne comportait que quelques persécutés,

lettres à graphies semblables. Mais longtemps avant lui les lettres administratives du calife Omar employaient ces points, comme nous le prouve un papyrus découvert en Égypte et conservé à Vienne (Autriche) qui est daté de l'an 22H./ 662. Deux autres documents de la même époque employant les points se trouvent à Berlin. Tout cela confirme l'authenticité de récit qui dit que c'est le Prophète lui-même qui enjoignait à ses scribes - y compris le futur calife Mo'âwiya, narrateur de ce récit - d'employer le *racch,* c.- à-d. les points sur les lettres trop semblables entre elles, afin de les distinguer. Les signes de vocalisation sont attribués au gouverneur al-Hajjâj ibn Yousuf (deuxième moitié du premier siècle de l'Hégire). Par ces deux réformes, l'alphabet arabe se rendit tellement parfait qu'un texte bien vocalisé, comme celui de Coran, est plus précis en caractère arabe qu'en n'importe quelle autre écriture du monde. N'oublions pas qu'entretemps le triple contrôle du texte coranique, par écrit, mémorisation et étude chez un moître, conservait son intégrité. Bientôt les Arabes découvrirent les procédés de fabriquer le papier en quantité abondante et à bon marché, pour se débarrasser des parchemins et des papyrus. Voilà ie secret de l'essor des sciences au Moyen Age chez eux.

Hamidullah explique ensuite comment le texte du Coran fut conservé et transmis jusqu'à nos jours .

LA TRANSMISSION ET LA CONSERVATION DU TEXTE

Contrairement à certaines autres communautés de l'antiquité, qui restreignaient la connaissance du livre religieux à une classe, à un clan, Muhammad préféra répandre cette connaissance dans toutes les couches de la communauté. Nous avons vu qu'il employa la double méthode écrit-mémoire. En outre, lui et ses successeurs au pouvoir attachaient la plus grande importance à la connaissance coranique pour tout emploi public et administratif, et prirent les dispositions nécessaires pour son enseignement.

Dès l'époque du Prophète, on ajouta une méthode additionnelle pour conserver l'intégrité du texte : savoir lire et posséder une copie du Coran ne suffisait pas; par contre il fallait l'étudier auprès des maîtres attitrés et obtenir un certificat de l'authenticité de la copie tout comme de la connaissance de la part de l'élève. Cette méthode a subsisté jusqu'à nos jours : à la fin des études, le maître octroie un diplôme, mentionnant toute la chaîne de ses maîtres et des maîtres de ses maîtres jusqu'au Prophète, et attestant la correction de la récitation, conforme à ce que lui-même a appris de son maître.

A travers la guerre, l'incendie, l'inondation et autres malheurs, les copies ou les fragments de la première époque sont venus jusqu'à nous. A Tachkent tout comme à Istanbul, Il y a des copies du Coran attribuées au calife Othmân : à Instanbul, à la Bibliothèque nationale de Paris, des fragments que les experts modernes datent du 2*e* et 3*e* siècles de l'Hégire. Il y a des copies très anciennes au Caire, à San'a, en Iran. en Afghnistan, etc. On les a comparées, et il est émouvant de constater que du Maroc à la Malaisie, de Tachkent à Ceylan, des millions d'exemplaires manuscrits ou imprimés existent qui n'offrent d'autres variantes que des fautes de copistes. Il y a également des centaines de milliers de Hâfiz (sachant le Coran par cœur) - dans la seule Turquie, plus de 150.000 en ce moment.... toujours indentiques, entre eux et avec le texte écrit.

Ajoutons que l'écriture arabe de l'époque mecquoise ne connaissait pas l'emploi généralisé des points diacritiques.

Quelques aspects de la Science du Coran (suite)

présenté par Dr. Rokeya Gabr

Nous poursuivons ici l'article tiré de l'introduction faite par Hamidullah pour son interprétation du discours coranique.

L'éminent savant musulman nous parle ainsi de :

L'ordre des versets et des Sourates :

Tout le monde s'accorde à dire qu'à l'interieur des sourates, les versets suivent l'ordre donné par Muhammad lui-même. Quant à l'ordre des sourates, certains auteurs ont eu l'impression qu'il provenait d'Othmân, car un récit dit ceci : "Sur une question, Othman répondit. La révélation fragmentaire de plusieurs sourates se faisait simultanément. Quand le prophète en recevait quelque chose, il appelait les scribes et disait : Mettez ces versets dans la sourate qui parle de telle et telle chose. La sourate 8 faisait partie de celles dont la révélation date du début de l'hégire et la sourate 9 de celles de la fin des révélations . Je pensais que celle-ci avait fait partie de celle-là. Le Prophète mourut et il ne nous fut pas clair que celle-ci eût fait partie de celle-là. Donc je les ai fait suivre sans toutefois y ajouter la ligne (distinctive) d'Au nom d'Allah .

Mais il s'agit de l'opinion personnelle d'Othmân pour expliquer l'absence de l'invocation de la miséricorde divine au début de la sourate 9, chose qu'on expliquerait mieux par le fait que cette sourate parle du désaveu et la dénonciation de certains pactes, et qu'il convient mal de le commencer par l'invocation à la miséricorde d Allah. Plusieurs faits luttent contre ce récit : d'abord, les meilleures sources, comme Bokhari et Muslim, n'en parlent pas. Un des narrateurs dans la chaine de transmission est inconnu. Les certificats d'études coraniques attestent toujours que l'ordre actuel des sourates est en provenance du Prophète. Le grand savant classique de Médine. l'Imâm Mâlik est formel là-dessus : la suite actuelle des sourates a été ordonnée par le Prophète .

Reppelons en passant le récit selon lequel le Prophète révisait chaque année, en compagnie de Gabriel, le texte du Coran, révision qui eut lieu par deux fois pendant la dernière année de sa vie. Chaque sourate constituant une unité indépendante, la question ne gêne pas l'authenticité du texte, chose qui nous intéresse ici.

voici ce qu'il nous apprend sur l'écriture du texte coranique :

Selon les données historiques, l'écriture fut introduite à La Mecque pour la première fois au temps des contemporains de Muhammad, un peu plus âgés que lui (Harb, père d'Abou Sufyân); et le Coran fut le premier livre jamais écrit en langue arabe ! Cela suffit pour expliquer les difficultés d'orthographe, au moment où une poussière de dialectes et de patois rendait l'écrivain perplexe. Rappelons que l'alphabet arabe a 28 lettres, mais on n'avait que 15 graphies et il fallait conjecturer les 13 autres : b, t, th, n et y, par exemple, avaient presque la même graphie (comme e, ë, é, è, ê en français s'il n'y avait pas d'accents). On ne saurait jamais trop admirer avec quel courage les Arabes gardèrent confiance en eux-mêmes. Dans une inscription à Tâïf du calife Moâwiya, en date de 51 H., on rencontre l'emploi de points diacritiques pour distinguer entre les

REVUE AL-AZHAR

Section Française

Comité de Redaction :
Dr Rokaya GABR, Professeur adjoint au
Département de Langue Française et de Traduction
M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques*

CONTENU

Dr Rokaya GABR
1) Quelques aspects de la Science du Coran .
2) Layla El HEFNAOUI
Le Coran .. le début et la fin de la création .

The work and effort of man whether simple or advancd must be planned with purpose of true beneifit to human society. Without that prerequiste, man's work and effort is futile by Islamic measures. The definition of benificial work is every action or intention on the part of mankind that brings about or is intended to bring about provision or prosperity to part or whole of the Human society. The channels of action must be legitimate and lawful according to the doctrines of Islamic Shariah. Consequent upon such a comprehensive selective understanding, all provinces of work are inclusively dignified and should be carried out with honour dignity pride and ambition. The key problem therefore becomes how efficiently the work is performed and not the type of work. All works of human functions are dignified with honour; except that which is marred by negligence, disrespect, purposelessness or that smeared by unlawful practices.

must be rationally understood in the light of Islamic conceptualization. The Prophet said: "Charity is not lawful for a rich man neither is it lawful for a healthy and able man". These sayings of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him,) indicate that the act of begging and idle social stagnation of tramping are absolutely rejected in Islam. There are priorities of precedence set out for the giving out of charity and for the precise distribution of the Zakat. The only case begging may be permitted is when a man is disabled and hard pressed and there is no other way to survive than asking for help. In fact; it is the responsibility of the Muslim society to look after the have-nots and the destitutes living within the society. One of the purposes of the five daily prayers in Islam is that the Muslims should meet each other and understand the need of the fellow men living in the neighbourhood. One may realise that they are handicapped in some way and are unable to work; a situation that demands organized assistance.

A good Muslim should be his brother's keeper. During all ages, of history, the Prophets of Allah preached that men are not free to use and spend their wealth aimlessly, but that the poorer sections of society have a right in their wealth and possessions. The Glorious Qur'an strongly condemns all those who go on collecting wealth without spending part of it in the way of Allah. The famous Hadith of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), "The upper hand is superior to the lower hand". This statement is figurative indicating the superiority of the person who provides and gives, over the person who fails to provide and takes. This is a frank candid summons for beneficial work which benifits the society. The aphorism of upper hand signifies work, effort, achievements, advances in knowledge in all disciplines and practices. It also implies the act of giving and provision.

The Islamic understanding of this Hadith purports to the concept that superiority in human life is attained essentially through work and effort; and that all avenues of work are essential and integrated to each other constituting the ground matrix of human advancement. The superiority of the upper hand is that of provision; a provision of every requirement in man's life. This is justified by Islamic doctrines to be a basic characteristic of man's duty; a universal paradigm of the ages from the time of man's creation till the day of judgement. The paramount question of all human existance; is what has every individual offered during his life for the cultivation and advancement, promotion and management of global resources? The fundamental requirement for such achievement is the genuine effort of work, endevour, strive and the inherent inertia of jihad. This action is considered a distinct component of the wholesome concept of Worship. Man's submission to Allah by necessity entails the effort to harness and utilize the elements and resources of creation in the service of mankind. Every human individual has a role to play in the infinite complex integration of the interlacing weave of the perpetual fabric of human life on earth. From the simple moulding of a brick, to the most elaborate scientific and technological advances, are all incremental constituents of the tremendous facade of man's civilization.

Prophet used to eat from the work done by his hands". He also said: "That one of you take his rope and go to the mountain and bring back a bundle of wood on his back and sell it, that Allah may thereby guard his person, is better for him than begging from men, whether they give him or not". Lady Aishah, wife of the Prophet, Mother of the Believers, was asked what the Messenger of Allah used to do at his house. She replied: "He used to work for his family, and serve them, and when the time for Salat came, he went out for prayers".

These traditions stress the obligation of every able-bodied man to seek a lawful livelihood for himself and his family and not to beg or depend on assistance or charity. He should not despise any lawful labour or regard it as below his dignity to do a certain kind of work. It is dishonourable to make oneself a burden on others. The companions of the Prophet were proud to do manual work. They performed their own labour. It is recorded that they and the Prophet himself worked with exhausting effort to build the mosque at Al-Madinah immediately after the Emigration from Meccah. Therefore, it is most unfitting for any Muslim to refuse to do manual labour when required. It is really astonishing to observe people prefer to sit in idle stagnation in an office building rather than to give the physical effort to do manual work.

For Muslims, the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) is indeed the best human exemplar model to be followed coherently in every tradition. This must be done with perceptive understanding of following the Prophet in action, and the comprehensive recognition of the value and concept of physical labour; and the dignity associated with it.The Messenger of Allah said: "Give the labourer his wages before his sweat dries". Here is another form of respect for labour employment which must therefore, according to Islamic law of Shariah, become highly legislated and organized. Wages and social rights of justice must be duely and timely fulfilled. Manual labour is provided in all human societies by the largest fraction of the population; who are usually of the less affluent poorer classes of the society. The needs and requirements of such category of people are very urgent, fundamental, and sustains their day to day existance. This dictates that immediate attention should optimally become provided to this major fraction of the society. This attention embraces all functions of life; and above all the sincere dignity and genuine respect that should be associated to the very nature of manual physical labour work that they perform in the various provinces of human life. This particular understanding should be expanded in practice to embrace the present situation of disrespect and dishonesty in several social situations in global labour order especially in developing countries. Any person trying to earn clean and lawful living should be treated with dignity, due respect and fairness.

It must be emphasized in this respect, that the livelihood that a Muslim has to earn must be through lawful and ligitimate means according to the Islamic Shariah. Otherwise, he will be deemed to have committed a sin. The concept of charity in Islam

The Dignity of Labour

By: Lotfi Ali Sultan, B.A., M.Ed., M.A.

Islam dignifies labour and exhorts Muslims to respect it. Every Muslim is asked to struggle in effort to earn his living. In this context, the Arabic text of the Glorious Qur'an means: "It is He Who has made the earth subservient for you, so traverse ye through its tracts, and enjoy the Sustenance which He furnishes: (Al-Mulk, LXVII: 15).

Again in another Surah, "That man can have nothing except what he strives for; that the fruit of his striving will soon come in sight..." (An-Najm, LIII: 39-40). The aphorisms used in these Holy verses indicate that mankind must strive in jihad to attain the fruits of his effort. In the above verses, it is made clear that the earth has been made managable to mankind through the nature of creation, and by implementing the rational mechanisms of Allah's knowledge in exploiting the infinite provisions of earth. The ultimate and optimal gain requires continuous effort and labour on the part of mankind. This understading is most essential in Muslim Theism, maximizing one major precept; a maximum which urges Muslims to work, to know, to research, to give the full effort to achieve the maximum benifit of Allah's creation. The attainment of this province of function entails knowledge, intellegence, rational thought, wisdom, perception, mental management; and above all; it requires genuine effort of physical, mental and psychological labour. The whole structure of this effort must be solidified with patience and perseverance. The concept of the dignity of labour in Islamic understanding doss not only embrace manual work in its limited sense, but also expands to include all and every effort to provide for the sustenance of mankind; and to harness all the functions of creation for the subservience of the human race.

The most basic and fundamental component of human life on earth is manual physical work; it is the most essential major requirement of the whole human output in the struggle for life; it is the basic foundation of the infrastructure of the whole civilization and culture of the human race. It is an honour to work, a dishonour to beg, or make oneself a burden on other people. The upper hand that gives is better than the lower one that takes. This is a maxim in Islamic teachings.

The Messenger of Allah said: "To try to earn a lawful livelihood is (also) an obligation like the other obligations of Islam. The Messenger of Allah also said: "No one has ever eaten better food than what he eats from the work done by his hands, and Dawud Allah's

reciprocally responsive mechanisms. All the forces of influence were imparting upon one another their own impacts. The Arabs of the peninsula were confronted with cultures and civilizations very different to their own tribal life style. The population groups inhabitants of Persia, Syria, and Egypt were exposed to the social habbits and traditions of the less developed Arab culture. The affluent richness of the new territories fascinated the Arabs with its spectacular grandoise flagrancy. The personality and character of all population groups was subject to strong forces that influenced their mental abilities, characters, motivations and traditions. From among the many of these sociocultural interactions, the institution of Islam had the most profound authoritative influence on the social evolution of transformation, cultural growth, intellectual promotion, and human abilities. This was the foundation and the media for the metamorphic renaissance that developed into all the territories where Islam was implemented and practiced. Omar Ibn-Khattab was the instrument directing the stability of the whole nation during that period of active transition of the metamorphic process. The implementation of Islam was the binding energy of the nation so widely spread in expanded extensive territories, and whose diverse cultures were actively interacting.

The domination of the Muslim culture was the ultimate outcome of the evolutionary transformation that took place in all human societies to which Islamic teachings were introduced and instituted. This culture embraced all functions of human life. During the administration of Omar Ibn Al-Khattab, an Islamic Empire was being established; an empire that actively promoted within its templates all the manifold resources of human faculties of knowledge, culture, art, sciences, languages, thought, and theism. That empire still remains, not as a territorial geographical unity of political power in world order, but as an empire of faith impregnated into the heart, spirit and thought of the multitudes of millions all over the globe, and of more millions to come. The rationality of the cultural elements of Islam will continue to invoke the cognitive function of perceptive human thought.

Omar Ibn Al-Khattab was the man who implemented the doctrines of the Muslim Theism to a depth which gave the fruit to the generations that followed. The Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) carried the Divine Message of Islam, and summoned mankind to the Words of the Creator. The preservation of the precision of the articulate doctrinal teachings of Islam, was done by Abu Bakre Al-Siddiq. He also compiled the original authentic text of the Holy Revelation, and brought about a theopolitical allegiance among the Arab tribes of the peninsula. Omar Ibn Al-Khattab implemented the teachings of Islam according to the injunctions of the Holy Quran, and the traditions of the Prophet. He observed with meticulous care the optimal practice of Islamic principles as the essential elements of governance. With his genuine sincerity of absolute devoted dedication, he gained the unique place in the history of nations, as instrument of the Islamic renaissance.

proliferation of Islam into territories extending from the plains of central Asia east to the mid north African coast west, and from the Caspian sea north to the Indian Ocean south. These geographically extensive expansions brought about several heterogenous populations groups to live as subjects within on Islamic framework of policy, an Islamic culture, an Islamic family and social life, and an Islamic system of government. The whole complete milieu of human life had been changed towards an Islamic way of thinking, an Islamic rationality of thought, an islamic manner of conduct and behavior. During the time of Omar Ibn Al-Khattab, every single feature of human life was Islamic, in the lands where Islam had been introduced. The Revelation of the Holy Quran, and the Divine injunctions therein, were self indoctrinated to become integrated into the culture, psychology, thought, and mental function of the Muslim individual and the Muslim society.

Omar Ibn A-Khattab was the instrument to implement the Muslim Theism to its minute detail, to become a way of life. There were catalytical factors and promoting agents that helped to bring about the rapid process of metamorphic renaissance. The most paramount of these promoting agents was the absolute rigid implementation of wholesome justice in all functions of human life. This became the supreme scepter, the emblem of authority, the prominent greatness of prerogative, the facultative right of power. This justice during the time of Omar Ibn Al-Khattab was certainly unique; it embraced man woman and child, rich and poor, old and young, masters and bourgeoisie, muslim and non-muslim. The implementation of the injunctions of Muslim Theism brought about a soild coherent theopolitical unity, and socioeconomic intergration amongst the previously heterogenous population groups. This coherence could not have been established by any extrinsic force or power; it is the coherence of Belief, a unity of fate, a unity of the maxims of Divine precepts for the life of mankind.

Omar Ibn Al-Khattab established and practiced Islamic doctrinal teachings as the foundations of worship, the foundation of individual and social life, economy, trade, and every function of life. For Muslims and non-muslims, the laws of governance were the Islamic tenets of jurisdiction and jurisprudence. This policy promoted the socioeconomic and theopolitical mechanisms enhancing the rapid development of the transformation that was manifested throughout the territories governed by Islam. This administration was characterized by the genuine sincere efforts of Omar Ibn Al-Khattab in all functions of governance, political, economical, social, theological, and strategic. The extreme piety of Omar, and his deep sense of responsibility energized his mental functions of thought, perception, wisdom, and forsight. These animated qualities were instrumental in assisting the man to excell in his efforts in all the functions of office. Omar Ibn Al-Khattab was congnizant of the universality of Islam and its teachings, and that it embraces the basic natural spiritual elements of the human faculties and delivers mankind to refined enlightenment. For this reason, he was pragmatically conscientious, orthodox and scrupulous in implementing the precepts of Islam.

When the Muslim crusades ended, several factors came to interact in mutual

elements of that matrix of solid conglomerate theopolitical untiy whose most profound manifestation was social justice dictated by the doctrines of Islam.

The metamorphic renaissance of the Arabs started to develop since the materialization of the Muslim Theism as divinely specified in the Revelation of the Holy Quran' appointing Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) as the Messenger of the Message of Islam. A message for the enlightenment of all mankind, the ultimate final phase of Divine Doctrines; embracing within its principles of Faith all the authenticity of Christianity, the reality of Judaism, and the teachings of all Divine Messages of Faith, declared to mankind by all other Messengers since Adam. The institution of Islam among the clans, tribes, and other population groups resident on the Arab Peninsula was carried out in a conscise sequential strenously arduous effort over a period of twenty three years. During that period the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was supported by Transcendent Providence, to summon mankind to listen, and rationalize the profound radiant splendor of the words of the Holy Revelation. At the time of the Prophet's death, Islam had proliferated all over the peninsula, all the tribes and clans had declared their allegiance to the Prophet as the Messenger of Islam. The life of the Prophet achieved the introduction, implantation and examplary traditions of the doctrinal teachings of the Islamic Theism as divinely ordained in the Holy Revelation. This was the rock bottom solid foundation upon which the whole structure of Islam was constituted.

After the death of the Prophet, Abu Bakre Al-Siddiq was unanimously proclaimed Khalifah of Rassul-Allah. During the short administration of Abu Bakre, two very important accomplishments were perpetrated. These were the theopolitical unity of all the clans and tribes of the peninsula, and the establishment of security for the juvenile Muslim nation against the neighbouring monster forces of Romans and Persians. The former accomplishment anchored the roots of Islam beyond any reverse actions; and the latter conducted the crusade of Muslims to transmit the teachings of Islam to lands beyond the peninsula. These two achievments consolidated the unity of Arab tribes on the peninsula with the nomad Arab clans in the deserts of Syria and Iraq. Indeed, Islamic teachings were the most authoritative factor that established a common ground of life for all the population groups resident in territories where Islam had been introduced. These Islamic principles were preserved and conserved by the policy that Abu Bakre adopted during his term of administration. The Arab tribes had reached a solid theoplitical unity; and were crusading in territories outside the peninsula to institute the teachings of the new Faith to replace the tyrannic domination of the Roman empire, and the despotism of the Persian monarchy.

Omar Ibn Al-Khattab succeeded Abu Bakre to govern the interests of the Muslim nation. After few years of his succession, Omar Ibn Al-Khattab achieved the

Omar Ibn Al-Khattab.
The Islamic Renaissance

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD. Ph.D.

The social evolution of transformation that developed in the Arab territories, the Persian mainland, and Egypt during the fifteen years that followed the Muslims return to Meccah; is known to be the most cultural, greatest, and unique in the history of mankind. During that limited period, the Arabs emerged from the dark mental drudgery of paganism, to the enlightenment of Islamic rationalism; bringing about a coherent theopolitical unity that was never before known on the Arab peninsula. These united clans and tribes moved to the east, to the north, and to the west crusading into territories occupied by the mightiest military powers of the time, and defeated the colossals of the Persian Empire, and invincible strength of the Roman war machine. Several social, communal, economic, religious and political manifestations resulted as impacts consequent upon this rapid great transformation. These manifestations had their fingerprints on the ultimate outcome of the mechanisms involved, in what was of the social life of Muslims, and the various forces interacting to shape that life.

The initiating thrust behind that tremendous sociocultural transformation was the proliferation of Islam. The new creed, whose rational logistic doctrines addressed the fundamental faculties of intelligent thought. These doctrines tune in harmony with the natural resonance of insincts of human constitution. The proliferation of Islam together with territorial expansion resulted in the transfer of population groups from the Arab peninsula to reside on lands more fertile and prosperous than the arid barren tough deserts of the Arab mainland. During that period of transformation, numerous social, cultural, creedal, and economic alterations took place aiming at an equilibrium of theopolical social stability within a newly conglomerate nation of markedly different cultural backgrounds, and totally opposing religious beliefs. The backbone supporting that conglomerate population structure and promoting the advance of its cultural theopolitical and social stability was the proliferation of the teachings of the Muslim Theism and the implementation of its doctrines. The binding forces cementing that conglomerate population structure into a coherent theopolitical social unity was the implementation of justice as a basic fundamental maxim inherent in the tenets of Islamic Faith. The doctrines of Islam proliferated and spread very rapidly to bring about a very coherent matrix of the Muslim Ummah. The previously different heterogenous population groups blended together into a common weave constitiuting the tissue

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part VII

Ragab, 1412, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

The Islamic Renaissance.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2.The Dignity of Labour

By: Lotfi Ali Sultan.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION